من
وصايا الرسول ﷺ

المجلد الأول

الأجزاء من ١ ــ ١٠

شرح وتعليق
طه عبد الله العفيفي

دار التراث العربي

جمادى الآخرة سنة ١٤٠١ هـ ـ ابريل سـنة ١٩٨١ م

مطابع دار التراث العربي
ت ٩٣٦١٤٥ ـ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى الحبيب المصطفى ، صلوات الله وسلامه عليه ، الذى أعطاه الله : صفوة آدم ، ومولد شيث ، وشجاعة نوح ، وحلم ابراهيم ، ولسان اسماعيل ، ورضا اسحاق ، وفصاحة صالح ، وحكمة لقمان ، وبشرى يعقوب ، وجمال يوسف ، وصبر أيوب ، وقوة موسى ، وتسبيح يونس ، وجهاد يوشع ، ونعمة داوود ، وهيبة سليمان ، ووقار الياس ، وزهد عيسى ، وعلم الخضر .

فكان أهلا لأن يخاطبه الله تعالى بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم »[1] . أهدى هذه المجموعة المباركة من وصاياه صلى الله عليه وسلم .. سائلا المولى سبحانه وتعالى أن يجعلها فى صحيفة حسناتى ، وأن يجعل مثل رصيدى من الحسنات فى صحيفة والدى السيد « عبد الله العفيفى » عليه رحمة الله ، الذى غرس فى قلبى منذ نعومة أظفارى بأفعاله وأقواله وجهاده حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، والعمل بسنته ، والدعوة اليها تحت لواء الجمعية الشرعية المباركة ، التى أسسها الامام الأكبر « الشيخ محمود خطاب السبكى » رحمه الله ، وبارك فى ذريته وتلاميذه ومريديه الذين « صدقوا ما عاهدوا الله عليه »[2] .

المؤلف

---

(١) القلم : ٤ (٢) الأحزاب : ٢٣

مقدمة

الحمد لله « **وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب** »[1] وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له « **أرسل رسوله بالهدى ودين الحق** »[2] فكان بشيرا ونذيرا « **وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا** »[3] .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وهدى الأمة ، وكشف الغمة .

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين نهجوا نهجه وتأدبوا بآدابه ، فكانوا هداة مهديين ، وقادة منتصرين .

أما بعد ..

فيا أخا الاسلام :

منذ عشر سنوات وأنا أجمع فى وصايا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. رغبة فى حفظها ، والعمل بما فيها من توجيهات ونصائح .. وقد استطعت بتوفيق من الله سبحانه وتعالى بعد مجهود كبير أرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصا لوجهه ، أن أجمع أكثر من مائة وصية من أندر الوصايا وأعظمها .

وقد رأيت بعد أن استخرت الله سبحانه وحتى يتمكن القارىء من دراستها واستيعاب ما فيها بدون جهد وملل أن أنشرها فى أجزاء متتابعة بصورة موجزة اعتمدت فيها على الأدلة الثابتة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .. هذا بالاضافة الى بعض الحكم والآثار التى تجعل القارىء مرتبطا بالمعنى الذى أريد أن أصل اليه عند تعليقى على كل وصية .

فعش أخا الاسلام مع هذه الوصايا بكل وجدانك ومشاعرك .. و ..

اعمل بآثار النبى فانها النور المبين
واقبل نصيحتها ففيها العز والشرف المكين

---

(١) هود : ٨٨
(٢) التوبة : ٣٣
(٣) الأحزاب : ٤٦

واشـــدد يمينك بالشريـــ ـــعة انهـا السبب المتين
خـــير الـــبرية أحمـــد والحـــق يصحبه اليقـــين
ذو قـــوة عنـــد الالــــــه مقرب منه مـــكين
زان النبيـــــون الورى ومحمـــــد لهـــم يزين
هاد الى طـــرق النجـــا ة مـــؤيد فيهـــا أمين

فهذه وصية امامنا الأكبر الشيخ محمود خطاب السبكى صاحب « المقامات العلية » رحمه الله رحمة واسعة ، فاعمل بها •• وقل معه :

يا رب وسع رزقنا وأكثر يا رب أعل قـــدرنا وأظهر
(اغفر لنا ذنوبنا وكفر) وصف منـــا قلبنا وطهـــر
وجد لنا باليسر بعد العسر

يا ربنا وارفق بنا واجبرنا يا ربنـــا ومن واعف عنـــا
يا ربنا (واغفر لنا وارحمنا) يا ربنـــا وقونا وانصرنا
وامنن بستر يا جميل الستر

يا ربنا واشرح الينا صدرا يا ربنا أجزل الينا الأجرا
يا (ربنا أفرغ علينا صبرا) يا ربنـــا سهل علينا الأمرا
يا ربنـــا واختم لنا بالخير

وقل مع والدى السيد عبد الله العفيفى رحمه الله وأسكنه فسيح جنـــاته :

وأصلح الهى لنـــا نسلنا وشفع الهى طه الرسول
فينا وفيهم وكن عوننا وهبنا جميعا حب الرســـول
وصل وســـلم الهى على أحمد محمد طه الرســـول
وعلى الآل كذلك على كل نصـــير لطه الرســـول

وقل معى :

يا رب وارض عن الصحابة كلهم والتـــابعين وكل عبد هادى
وعن الأئمة والمشـــايخ واجزهم خير الجزاء وزد بفضلك زادى

* * *

واجبر بفضلك كل من عرف الهدى . وانصر إلهى شرعتى وبلادى

* * *

وسلام الله عليكم ورحمته وبركاته •

طه عبد الله العفيفى

* * *

صاحب الوصايا صلوات الله وسلامه عليه
يقـــدم نفســـه

« أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبى يومئذ : آدم فمن سواه الا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ، وأنا أول شافع وأول مشفع »[١] .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم وقد سمع ناسا من أصحابه يتذاكرون فى تفاضل الأنبياء فقال : « قد سمعت كلامكم وعجبكم .. ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك ، وموسى نجى الله وهو كذلك ، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك .. ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر »[٢] .

فصلاة الله وسلامه عليك يا سيدى وحبيبى يا رسول الله .

يا من زكى الله عقلك فقال : « **ما ضل صاحبكم وما غوى** »[٣] .

وزكى لسانك فقال : « **وما ينطق عن الهوى** »[٤] .

وزكى جليسك فقال : « **علمه شديد القوى** »[٥] .

وزكى فؤادك فقال : « **ما كذب الفؤاد ما رأى** »[٦] .

وزكى بصرك فقال : « **ما زاغ البصر وما طغى** »[٧] .

وزكى صدرك فقال : « **ألم نشرح لك صدرك** »[٨] .

وزكاك كلك فقال : « **وانك لعلى خلق عظيم** »[٩] .

---

(١) اخرجه احمد وابن ماجه والترمذى وقال : حسن صحيح .
(٢) اخرجه الترمذى وقال : حديث غريب .
(٣) النجم : ٢ — (٤) النجم : ٣
(٥) النجم : ٥ — (٦) النجم : ١١
(٧) النجم : ١٧ — (٨) الشرح : ١
(٩) القلم : ٤

فكنت لهذا ومن أجل كل هذا قدوة صالحة ، ر « **أســوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** »[١] .

وكنت اماما للأنبياء فى ليلة الاسراء يوم وقفت خطيبا فى بيت المقدس فقلت متحدثا بنعمة الله عليك وعلينا :

« الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيرا ونذيرا ؛ وأنزل القرآن فيه تبيان كل شىء ، وجعل أمتى وسطا ، وجعل أمتى هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ؛ ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحا وخاتما » .

أزكى صلاة مع ســلام عاطر ينمو به يوم الحصاد حصادى[٢]

* * *

ثم الصلاة مع السلام على الهدى خــير البرية منحة المنــان[٣]

* * *

(١) الأحزاب : ٢١

(٢) من قصيدة دعاء ورجاء (للمؤلف) .

(٣) من قصيدة للمؤلف ألقيت فى افتتاح مسجد الفتح بالمعادى .

الوصية الأولى

عن الحارث الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان الله تبارك وتعالى أمر يحيى بن زكرياء عليهما السلام بخمس كلمات أن يعمل بها وأن يأمر بنى اسرائيل أن يعملوا بها ، وأنه كاد أن يبطىء بها ، فقال له عيسى عليه السلام : ان الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بها وتأمر بنى اسرائيل أن يعملوا بها ، فاما أن تأمرهم بها ، واما أن آمرهم بها ٠ فقال يحيى عليه السلام : أخشى ان سبقتنى بها أن يخسف بى أو أعذب ، فجمع الناس فى بيت المقدس فامتلأ المسجد بهم وقعدوا على الشرف ٠ فقال : ان الله أمرنى بخمس كلمات ، أن أعمل بهن وأن آمركم أن تعملوا بهن ، أولاهن : أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق ، وقال : هذه دارى ، وهذا عملى ، فاعمل وأد الى ، فكان يعمل ويؤدى الى غير سيده ، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك ؟ وان الله تعالى أمركم بالصلاة ، فاذا صليتم فلا تلتفتوا ، فان الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته ما لم يلتفت ٠ وأمركم بالصيام ، فان مثل ذلك كمثل رجل فى عصابة معه صرة فيها مسك وان ريح فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ٠ وأمركم بالصدقة ، فان مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يديه الى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه ، فقال : أنا أفدى نفسى منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم ٠ وأمركم أن تذكروا الله ، فان مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى أثره سراعا حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم وكذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله تعالى » ٠

وقال صلى الله عليه وسلم :

« وأنا آمركم بخمس ـ الله تعالى أمرنى بهن : السمع ، والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة . فان من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا أن يرجع ، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو فى جهنم » .

فقال رجل : وان صام وصلى يا رسول الله ؟!

قال : « وان صام وصلى . فادعوا بدعوى الله الذى سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله تعالى » .

(أخرجه الترمذى وصححه وأخرجه ابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

عابدا حقيقيا ، واحذر أن تكون مشركا بالله لأنه سبحانه : **« لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »**[١] و **« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين »**[٢] واذكر قوله تعالى : **« وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ... »**[٣] واياك أن تكون كهذا العبد الذى يعمل ويؤدى الى غير سيده .. فأنت لا ترضى أن تعامل كذلك .

وحافظ على أداء الصلاة التى فرضها الله عليك ، واحذر أن تكون من **« الذين هم عن صلاتهم ساهون »**[٤] وهم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ، وكن من الرجال الذين **« لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة »**[٥] .

واياك أن تلتفت فى صلاتك .. فقد سئل المصطفى صلوات الله وسلامه عليه عن الالتفات فى الصلاة فقال : « اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد »[٦] ، وقال : « لا يزال الله مقبلا على العبد فى صلاته ما لم يلتفت ، فاذا صرف وجهه انصرف عنه »[٧] .. مع ملاحظة هذه الأحكام المتعلقة بالالتفات فى الصلاة :

---

(١) النساء : ٤٨
(٢) الأنعام : ١٦٢
(٣) البينة : ٥
(٤) الماعون : ٥
(٥) النور : ٣٧
(٦) رواه البخارى والنسائى .
(٧) رواه أحمد وأبو داوود والنسائى .

قال الأحناف : يكره الالتفات بالعنق فقط ، أما الالتفات بالعين يمنة أو يسرة فمباح ، وبالصدر الى غير جهة القبلة قدر ركن كامل مبطل للصلاة .

وقال الشافعية : يكره الالتفات بالوجه ، أما بالصدر فمبطل مطلقا ، لأن فيه انحرافا عن القبلة .

وقال المالكية : يكره الالتفات مطلقا ، ولو بجميع جسده ، ما دامت رجلاه للقبلة ، والا بطلت الصلاة .

وقال الحنابلة : ان الالتفات مكروه ، وتبطل الصلاة به ان استدار بجملته ، أو استدبر القبلة ، ما لم يكن فى الكعبة ، أو شدة الخوف فلا تبطل الصلاة ان التفت بجملته ، ولا تبطل لو التفت بصدره ووجهه لأنه لم يستدبر بجملته .

وأد زكاة جسدك .. وذلك بأن تعود نفسك على الصيام .. فرضه ونفله . فقد قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « لكل شيء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم ، والصيام نصف الصبر »[1] وقال : « ما من عبد يصوم يوما فى سبيل الله تعالى الا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا »[2] .

وأد زكاة مالك كما فرض الله عليك ، وكن من « **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية** »[3] ، « **وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل** »[4] واعلم أن « صنائع المعروف تقى مصارع السوء ، وصدقة السر تطفىء غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر »[5] وأن « السخى قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار . والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار .. ولجاهل سخى أحب الى الله من عابد بخيل »[6] وأن « تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وارشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة ، واماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة »[7] « وبكل خطوة تمشيها الى الصلاة

---

(١) رواه ابن ماجه .
(٢) اى سنة : رواه البخارى ومسلم .
(٣) البقرة : ٢٧٤
(٤) الاسراء : ٢٦
(٥) رواه الطبرانى .
(٦) رواه الترمذى .
(٧) رواه البخارى .

صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ‥ »[١] « والكلمة الطيبة صدقة »[٢] فاذكر ذلك جيدا ، واحـــذر أن تكون من الذين يبطلون صدقاتهم **« بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرون على شىء مما كسبوا ، والله لا يهدى القوم الكافرين »**[٣] وكن من **« الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »**[٤] .

وكن من أولى الألباب **« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض »**[٥] ‥ لأن الذكر ركن قوى فى طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العمدة فى هذا الطريق ، ولا يصل أحد الى الله الا بدوام الذكر[٦] .

وحسبك أنك بذكرك لله تعالى تكون جليسا لملك الملوك سبحانه الذى يقول فى الحديث القدسى : « أنا جليس من ذكرنى » وأنك تفوز بخـــير عظيم مع **« الـــذاكرين الله كثيرا والذاكرات »**[٧] الـــذين **« أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما »**[٨] وأنك تكون فى حصانة من كيد الشيطان والا كان قرينا لك ‥ قال تعالى : **« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين »**[٩] .

واحـــذر أن تكون من هؤلاء الذين يذكرون الله بدون خشـــوع **« وهم يحسبون أنهم يحســـنون صنعا »**[١٠] واعلم أنه من آداب الذكر أن تكون حاضر القلب ، طاهرا ، مستقبلا للقبلة ، متطيبا ‥ فلاحظ كل هـــذا .

واذكر الله تعـــالى دائما وأبدا بكل جوارحك وبدون تحريف ، واستحضر عظمته سبحانه وتعالى وأنت فى حضرته عسى أن تكون من أولى الألباب :

واغتنم ركعتين فى ظلمة الليل ... اذا كنت فارغا تستريحا
واذا ما هممت بالخوض الباطل ... فاجعـــل مكانه تســـبيحا

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) البقرة : ٢٦٤
(٤) البقرة : ٢٦٢
(٥) آل عمران : ١٩١
(٦) الامام القشيرى .
(٧) الأحزاب : ٣٥
(٨) الأحزاب : ٣٥
(٩) الزخرف : ٣٦
(١٠) الكهف : ١٠٤

واغتنام السكوت أفضل من خوض وان كنت بالحديث فصيحا

واسمع ، وأطع ، وجاهد فى سبيل الله ، والزم الجماعة عملا بوصية الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأمر الله تعالى فى قوله : **« واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم »**[١] وقوله تعالى : **« أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم »**[٢] .

واعلم أن الجهاد فى سبيل الله ذروة سنام[٣] الاسلام ، وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد »[٤] .

وأن الهجرة قد تكون هربا ، وقد تكون طلبا :

فهجرة الهرب تنقسم الى ستة أقسام :

١ — الخروج من دار الحرب الى دار الاسلام .. وهى باقية الى يوم القيامة وهى التى انقطعت بالفتح فى قوله صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح »[٥] .

٢ — الخروج من أرض البدعة .. قال ابن القاسم : سمعت مالكا يقول : لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يسب فيها السلف .

٣ — الخروج من أرض يغلب عليها الحرام .. فان طلب الحلال فريضة على كل مسلم .

٤ — الفرار من الأذية فى البدن .. وأول من فعل ذلك ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام حين خاف من قومه فقال : **« انى مهاجر الى ربى »**[٦] ، وقال تعالى مخبرا عن موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام : **« فخرج منها خائفا يترقب »**[٧] .

٥ — الخروج من خوف المرض الى بلد لا وباء فيها .

٦ — الخروج خوفا من الأذية فى المال .. فان حرمة مال المسلم كحرمة دمه .

وأما هجرة الطلب .. فقد تكون طلبا للدين ، وقد تكون طلبا للدنيا ، وفى ذلك يقول تعالى : **« ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة »**[٨] .

---

(١) التغابن : ١٦ (٢) النساء : ٥٩

(٣) السنام واحد اسنمة الابل . والمراد ذروته او اعلاه .

(٤) من حديث رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٥) رواه البخارى ومسلم . (٦) العنكبوت : ٢٦

(٧) القصص : ٢١ (٨) النساء : ١٠٠

وهجرة الدين منها :

١ ــ سفر العبرة .. وفى ذلك يقول تعالى : « **أو لم يسيروا فى الأرض فينظــروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** »[١] وقد طاف ذو القرنين فى الدنيا ليرى عجائبها .

٢ ــ وسفر الحج .

٣ ــ وسفر الجهاد .

٤ ــ وسفر المعاش .

٥ ــ وسفر التجارة والكسب الزائد على القوت ولو فى الحج .. وهو جائز لقوله تعالى : « **ليس عليكم جناح**[٢] **أن تبتغوا فضلا من ربكم** »[٣] وطلب العلم .

٦ ــ وقصد البقاع الشريفة وشد الرحال اليها وهى : المسجد الحرام ، ومسجد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، والمسجد الأقصى .

٧ ــ وقصد الثغور[٤] للرباط بها .

٨ ــ وزيارة الاخوان لله تعالى .

* * *

---

(١) فاطر : ٤٤ (٢) الجناح : بالضم أى الاثم .

(٣) البقرة : ١٩٨

(٤) الثغور : موضع المخافة من فروج البلدان .

الوصية الثانية

قال سويد الأزدى : وفدت سابع سبعة من قومى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا ، فقال :

« من أنتم » ؟

فقلنا : مؤمنون •

فقال : « ان لكل قول حقيقة ، فما حقيقة قولكم ، وصدق ايمانكم » ؟

فقلنا : خمس عشرة خصلة ، خمس آمنا بها ، وخمس عملنا بها ، وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية ، ونحن عليها للآن ، فان كرهتها تركناها •

فقال عليه الصلاة والسلام :

« فاذكروا ما عندكم » •

فقالوا : أما خمس الايمان فهى : أن نؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت • وأما خمس العمل فهى : أن نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن نقيم الصلاة ، ونؤتى الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت ان استطعنا اليه سبيلا • وأما خمس الجاهلية فهى : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضا بمر القضاء ، والصدق والثبات عند الحرب واللقاء ، وترك الشماتة بالأعداء •

ومن عظم سرور النبى صلى الله عليه وسلم بهم وبايمانهم النقى وفطرتهم السليمة ، قال لهم :

« أنتم حكماء ، علماء ، فقهاء ، كدتم أن تكونوا أنبياء ، وأنا أزيدكم خمسا ليتم لكم عشرون •

ان كنتم كما تقولون ، فلا تجمعوا ما لا تأكلون ، ولا تبنوا ما لا تسكنون ، ولا تتنافسوا فى شىء أنتم عنه

غدا زائلون ، واتقوا الله الذى اليه ترجعــون ، وعليه تعرضون ، وارغبوا فيمــا أنتم عليه تقــدمون ، وفيه تخلدون » .

(اخرجه ابو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى الزهــد والخطيب فى التاريخ) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

مؤمنا حقيقيا وأكد ايمانك بالأقوال والأفعال ، واحذر أن تكون من الذين قالوا : **« آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون . فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون »[١] . « الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا »[٢] .**

كن من : **« الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم »[٣] و « الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلاتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »[٤] .**

فبهذا تستحق رحمة الله تعالى الذى يقول :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم »[٥] .

وبهذا تكون من المبشرين فى قوله تعالى :

« وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم »[٦] .

---

(١) البقرة : ٨ — ١٠ (٢) الكهف : ١٠٤
(٣) الأنفال : ٢ — ٤ (٤) المؤمنون : ٢ — ١١
(٥) التوبة : ٧١ (٦) يونس : ٢

« الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخـرة »[1] .

« وأخرى تحبونها ، نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين »[2] .

ثم اعمل بوصية الرسول صلى الله عليه وسلم وهى :

* (لا تجمعوا ما لا تأكلون) :

أى لا تكونوا من هواة جمع المـال ، الذين لا هم لهم الا أن يكونوا من ملاك الدنيا .. حتى ولو كان هذا على حساب الآخرين .. مع أنهم لو عرفوا حقيقة الدنيا لزهدوا فيها ، ولكانوا من أبناء الآخرة التى لا دوام للنعيم الا فيها **« وان الدار الآخرة لهى الحيوان**[3] **لو كانوا يعلمون »**[4] **« وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور »**[5] .

فكن من أبناء الآخرة ولا تكن من أبناء الدنيا .. فان كل أم يتبعها ولدها و « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » .

* (ولا تبنوا ما لا تسكنون) :

أى لا تكونوا من هؤلاء الذين يريدون زينة الحياة الدنيا ، ويريدون أن يضعوا أيديهم على أكبر المساكن وأجملها اشباعا لأطماعهم ، وحرمانا لغيرهم .. وحسبكم ما يستركم ويحفظ أقواتكم ، وابنوا للآخرة فانه :

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... الا التى كان قبل الموت يبنيها

* (ولا تتنافسوا فى شىء أنتم عنه غدا زائلون) :

أى لا تكونوا من المتنـازعين بسبب حطام الدنيـا الزائل ، و **« اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما »**[6] ... الآية .

وما دنيـاك الا مثل ظل ... أظـلك ثم آذن بارتحال

وقد خاطبها الله تعالى فى صحف ابراهيم وموسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام بقوله : « يا دنيا ما أهونك على الأبرار الذين تزينت لهم .. انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصبر عنك .. ما خلقت خلقا أهون على منك .. انى قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ، ولا يدوم لك أحد » .

---

(1) يونس : ٦٣ ، ٦٤
(2) الصف : ١٣
(3) أى : لهى الحياة الحقيقية .
(4) العنكبوت : ٦٤
(5) الحديد : ٢٠
(6) الحديد : ٢٠

فاذكر ذلك جيدا ، و « ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس »[1] .

واعلم :

أن لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

فكن من هؤلاء الفطناء السعداء مع ملاحظة أنه :

« ليس الزاهد من لا مال عنده ، وانما الزاهد من لم يشغل المال ، وان أوتى مثل ما أوتى قارون »[2] فلا تنس كل هذا ...

« ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك »[3] .

❋ (واتقوا الله الذى اليه ترجعون وعليه تعرضون) :

أى راقبوه سبحانه وتعالى فى كل زمان ومكان ، وفى السر والعلان .. وأنتم توقنون بأنه « لا تخفى عليه خافية »[4] وأنه : **يعلم السر وأخفى »**[5] و **« يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور »**[6] .

الله يدرى كل ما تضمر يعلم ما تخفى وما تظهر
ان خدعت الناس لم تستطع خداع من يطوى ومن ينشر

وأنكم ستردون **« الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون »**[7] .

❋ (وارغبوا فيما أنتم عليه تقدمون وفيه تخلدون) :

أى ارغبوا فى أعمال الخير التى ستجدونها عند الله **« يوم لا ينفع مال ولا بنون »**[8] **« يوم ينظر المرء ما قدمت يداه »**[9] .

فاذكر ذلك جيدا ، واعلم أن :

زخارف الدنيا أساس الألم وطالب الدنيا نديم الندم
فكن خلى البال من أمرها فكل ما فيها شقاء وهم

❋ ❋ ❋

---

(١) رواه ابن ماجه وغيره ، وهو حديث حسن .
(٢) من اقوال العلماء . (٣) القصص : ٧٧
(٤) الحاقة : ١٨ بلفظ : **« لا تخفى منكم خافية »** تاكيدا لهذا المعنى .
(٥) طه : ٧ (٦) غافر : ١٩
(٧) التوبة : ٩٤ ، ١٠٥ (٨) الشعراء : ٨٨
(٩) النبأ : ٤٠

الدرع لا تمنع سهم الأجل والمال لا يدفعه ان نزل
وكل ما فى عيشنا زائل لا شىء يبقى غير طيب العمل

ولا تنس كذلك قول القائل :

طلق الدنيا ثلاثا والتمس زوجا سواها
انها زوجة سوء لا تبالى من أتاها

وليكن حديثك معها حديث على رضى الله تعالى عنه عندما أرادت اغراءه والوصول الى قلبه فقال لها :

« يا دنيا .. غرى غيرى ، ألى تعرضت ، أم الى تشوفت .. هيهات هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها .. فعمرك قصير ، وخطرك[1] حقير » .. فهذا هو جزاؤها .. لأنها (اذا حلت أوحلت ، واذا كست أوكست ، واذا جلت أوجلت ، واذا دنت أودنت) .

* * *

(١) الخطر : هو القدر والمنزلة .

الوَصيّة الثالثة

• عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله
•• ما كانت صحف ابراهيم ؟ قال :

« كانت أمثـالا كلها •• أيها الملك المسلط المبتلى المغرور : انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم ، فانى لا أردها وان كانت من كافر • وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ساعات : فساعة يناجى فيهـا ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها فى صنع الله عز وجل ، وساعة يخلو فيهـا لحاجته من المطعم والمشرب •

وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا الا لثلاث : تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة فى غير محرم • وعلى العاقل : أن يكون بصيرا بزمانه ، مقبلا على شـأنه ، حافظا للسانه ، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه » •

قلت : يا رسول الله •• فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟ قال :

« كانت عبرا كلها : عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح ، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك ، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب ، عجبت لمن رأى الدنيـا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن اليها ، عجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل » •

قلت : يا رسول الله •• أوصنى • قال :
« أوصيك بتقوى الله فانها رأس الأمر كله » •
قلت : يا رسول الله •• زدنى • قال :
« عليك بتـلاوة القرآن وذكر الله عز وجل ، فانه نور لك فى الأرض وذخر لك فى السماء » •

قلت : يا رسول الله •• زدنى • قال :

« اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب ، ويذهب بنور الوجه » •

قلت : يا رسول الله •• زدنى • قال :

« عليك بالجهاد فانه رهبانية أمتى » •

قلت : يا رسول الله •• زدنى • قال :

« أحب المساكين وجالسهم » •

قلت : يا رسول الله •• زدنى • قال :

« انظر الى من هو تحتك ولا تنظر الى من هو فوقك فانه أجدر أن لا تزدرى نعمة الله عليك » •

قلت : يا رسول الله •• زدنى • قال :

« قل الحق وان كان مرا » •

قلت : يا رسول الله •• زدنى • قال :

« ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك ولا تجد عليهم فيما تاتى ، وكفى بك عيبا أن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك وتجد عليهم فيما تاتى » •

ثم ضرب بيده على صدرى فقال :

« يا أبا ذر •• لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق » •

(رواه ابن حبان فى صحيحه ، والحاكم ، وقال : صحيح الاسناد) •

* * *

فكن أخا الاسلام :

شبيها بأبى ذر رضى الله تعالى عنه فى حبه للعلم ، وحرصه على طلبه ، ولا سيما اذا كان من أستاذ البشرية جمعاء صلوات الله وسلامه عليه ، الذى أحبه أكثر من نفسه ، بل ومن كل شىء فى هذا الملكوت الذى يعيش فيه •

وهو هنا فى هذه الوصية يسأل أستاذه المصطفى صلى الله عليه وسلم عن صحف ابراهيم وموسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام •• فيخبره صلى الله عليه وسلم أنها كانت أمثالا وعبرا كلها •• ثم يذكر له بعض هذه الأمثال والعبر التى ان تعمقنا فيها وحققنا مغزاها لكانت مشعلا مضيئا لنا على طريق الفلاح والوصول الى الله تعالى •

ثم كانت هذه الوصايا العظيمة التى زوده الرسول صلى الله عليه وسلم بها تلبية لرغبته عندما قال له : يا رسول الله أوصنى .. فقال له صلوات الله وسلامه عليه :

* (أوصيك بتقوى الله فانها رأس الأمر كله) :

وحسب العاقل أن يفهم هذا المعنى الكبير الذى ركز الرسول — صلى الله عليه وسلم — عليه .. وهو أن التقوى بالنسبة للعبادة كالرأس بالنسبة للجسد .. فكما أنه لا حياة للانسان بدون رأس .. كذلك لا معنى للعبادة بدون تقوى ..

وهى كما وصفها على رضى الله عنه :

« الخوف من الجليل ، والعمــل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، والرضا بالقليل » .

وهى .. المحافظة على آداب الشريعة .

وهى .. مجانبة كل شىء يبعدك عن الله .

وهى .. أن لا يراك الله حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .

وخلاصة معناها كما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك »[1] .

والمتقون فى هذه الدنيا كما وصفهم على رضى الله تعالى عنه :

« هم أهل الفضائل ، منطقهم الصواب ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع ، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم النــافع لهم ، لا يرضون من أعمالهم القليل ، ولا يستكثرون الكثير ، فهم لأنفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون .. ومن علامة أحدهم أنك ترى له قوة فى دين ، وحزما فى لين ، وايمانا فى يقين ، وحرصا فى علم ، وعلما فى حلم ، وقصدا فى غنى ، وخشوعا فى عبادة ، وتجملا فى فاقة ، وصبرا فى شدة ، وطلبا فى حلال ، ونشاطا فى هدى ، وتحرجا عن طمع ، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسى وهمه الشكر ، ويصبح وهمه الذكر ، يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمــل » .

ولهذا .. ومن أجل هذه الصفات العظيمة ، اذا قرأنا كتاب الله تعالى سنجد أنه سبحانه وتعالى قد وعد المتقين بكل فلاح ونجاح :

---

(١) من حديث رواه مسلم .

وعدهم بالحفظ والحراسة من الأعداء فقال :

« وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا »(١) .

ووعدهم بالنصر والتأييد ، فقال :

« ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »(٢) .

ووعدهم بالنجاة من الشدائد والرزق الحلال ، فقال :

« ومن يتق الله يجعل له مخرجا • ويرزقه من حيث لا يحتسب »(٣)

ووعدهم باصلاح العمل وغفران الذنوب ، فقال :

« اتقوا الله وقولوا قولا سديدا • يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم »(٤) .

ووعدهم بنور يمشون به ، فقال :

« اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به »(٥) .

ووعدهم بمحبته فقال :

« ... فان الله يحب المتقين »(٦) .

ووعدهم بالاكرام ، فقال :

« ان أكرمكم عند الله اتقاكم »(٧) .

ووعدهم بالبشرى فى الدنيا والآخرة ، فقال :

« الذين آمنوا وكانوا يتقون • لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخـــرة »(٨) .

ووعدهم بالنجاة من النار ، فقال :

« ثم ننجى الذين اتقوا »(٩) .

ووعدهم بالخلود فى الجنة ، فقال :

« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين »(١٠) .

وهم كما تحدث الله تعالى عنهم بعد ذلك بقوله :

« الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن

---

(١) آل عمران : ١٢٠

(٢) النحل : ١٢٨

(٣) الطلاق : ٢ ، ٣

(٤) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١

(٥) الحديد : ٢٨

(٦) آل عمران : ٧٦

(٧) الحجرات : ١٣

(٨) يونس : ٦٣ ، ٦٤

(٩) مريم : ٧٢

(١٠) آل عمران : ١٣٣

الناس ، والله يحب المحسنين • والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون • أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين »[١] ••
فكن منهم حتى تفوز معهم بكل هذه الامتيازات العظيمة :

ولا تمش الا مع رجال قلوبهم   تحن الى التقوى وترتاح للذكر

* (وعليك بتلاوة القرآن وذكر الله فانه نور لك فى الأرض وذخر لك فى السماء) :

وحسبك هذا المعنى المحمدى الذى يحتاج الى عمق فى التفكير والفهم السليم •

واعلم أن القرآن فضلا عن أنه كلام الله الذى « **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** »[٢] هو آية الله الكبرى ، وحجته الخالدة ، والرسول الأمين ، والواعظ الناطق ، والبرهان القاطع ، والعقيدة الثابتة ، والآية الساطعة •

وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال فى حديثه عنه وعن فضله :

« •• فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، هو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : « **انا سمعنا قرآنا عجبا • يهدى الى الرشد** »[٣] •• من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعى اليه هدى الى صراط مستقيم »[٤]

ولهذا أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بتلاوة القرآن ، وحث على ذلك فقال : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »[٥] •

---

(١) آل عمران : ١٣٤ — ١٣٦   (٢) فصلت : ٤٢
(٣) الجن : ١ ، ٢   (٤) أخرجه الترمذى •
(٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب •

وقال : « يقول الرب سبحانه وتعالى : من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين .. وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه »(١) .

وقال : « اقرأوا القرآن فانه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه »(٢) .

وقال : « البيت الذى يقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض »(٣) .

وقال : « نوروا منازلكم بالصلاة وتلاوة القرآن »(٤) .

وقال : « أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن »(٥) .

هذا وللتلاوة آداب منها :

أنه يستحب الوضوء لقراءة القرآن .. وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يكره أن يذكر الله الا على طهر ، وأما الجنب والحائض فتحرم عليهما القراءة وان كان يجوز لهما النظر فى المصحف .

وأما متنجس(٦) فتكره له القراءة ، وقيل : يحرم لمس المصحف باليد النجسة .

وتسن القراءة فى مكان نظيف وأفضله المسجد .

ويستحب أن يجلس القارىء مستقبلا القبلة ، متخشعا بسكينة ووقار ، مطرقا رأسه .

ويسن أن يستاك القارىء تعظيما وتطهيرا .

ويسن التعوذ قبل القراءة .

وأن يحافظ على قراءة البسملة أول كل سورة غير سورة براءة ، كما يستحب ذلك اذا قرأ من أثناء السورة .

ويسن الترتيل فى قراءة القرآن .. وقد كانت قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم مفسرة حرفا حرفا(٧) قال تعالى : **« ورتل القرآن ترتيلا »**(٨) .

---

(١) اخرجه الترمذى من حديث ابى سعيد وقال : حسن غريب .

(٢) اخرجه مسلم . (٣) اخرجه البيهقى من حديث عائشة .

(٤) اخرجه البيهقى من حديث انس .

(٥) اخرجه السهقى من حديث النعمان بن بشير .

(٦) وهو شارب الخمر او آكل الميتة او لحم الخنزير .

(٧) ورد فى هذا المعنى حديث صحيح . (٨) المزمل : ٤

وتسن القراءة بالتدبر والتفهم .. فهو المقصود الأعظم ، والمطلوب الأهم . وبه تنشرح الصدور ، وتستنير القلوب .. قال تعـالى : « **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** »[1] .

ويستحب البكاء عند قراءة القرآن والتباكى لمن لا يقدر على البكاء مع الحزن والخشوع ، قال تعالى : « **ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشـوعا** »[2] .

ويسن تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها .. ففى الحديث : « زينوا القرآن بأصواتكم »[3] .

ويسن الاستماع لقراءة القرآن وترك اللغط والحديث بحضور القراءة .

ويسن السجود عند قراءة آية السجدة وهى أربع عشرة :

فى الأعراف ، والرعد ، والفرقان ، والنمل ، والسجدة ، وفصلت ، والنجم ، والنحل ، والاسراء ، ومريم ، وفى الحج : سجدتان ، واذا السماء انشقت ، واقرأ باسم ربك ، وأما سورة ص فمستحبة وليست من عزائم السجود أى متأكداته ، وزاد بعضهم آخر سورة الحجر .

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى سجود القرآن بالليل : « سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته »[4] .

وفى رواية الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما :

« جاء رجل فقال : يا رسول الله .. رأيتنى اليوم وأنا نائم كأنى أصلى خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى فسمعتها تقول : اللهم اكتب لى بها أجرا وحط عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داوود .. قال ابن عباس : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سجدة فقال فيها مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة » .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان

---

(١) سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) : ٢٤

(٢) الاسراء : ١٠٩

(٣) رواه أبو داوود والنسائى وابن ماجه وهو حديث حسن أو صحيح .

(٤) أخرجه أصحاب السنن .

يبكي ! يقول : يا وليتا .. أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار »[١] .

واعلم أن القراءة فى المصحف أفضل من قراءته حفظا .. لأن النظر فيه عبادة مطلوبة .. وذلك بالنسبة للتأمل فى المصحف »[٢] .

ويكره الآتى :

قطع القراءة لمكالمة أحد .. لأن كلام الله تعالى لا ينبغى أن يؤثر عليه كلام غيره .

والضحك والعبث والنظر الى ما يلهى .

والتنكيس فى القراءة بمعنى أن تقرأ مثلا سورة « ألم نشرح » قبل سورة « والضحى » .. وقد سئل ابن مسعود رضى الله تعالى عنه عن رجل يفعل ذلك فقال : ذلك منكوس القلب .

والخلط بين سورة وسورة .. لأن ذلك ليس من آداب التلاوة ، والأولى أن يقرأ على ترتيب المصحف .

ولا يجوز قراءة القرآن بغير العربية مطلقا .. سواء أكان فى الصلاة أو خارجها .

ولا تجوز القراءة بالشاذ .. نقل ابن عبد البر الاجماع على ذلك .. وهى القراءة التى لم يثبتها قراء الأمصار .. مثل ابن كثير قارىء مكة ، ونافع قارىء المدينة .. ولذلك قالوا : انها ليست قرآنا ولا تصح بها الصلاة .

ومثال هذه القراءة الشاذة : « فاليوم ننحيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية »[٣] بالحاء بدلا من الجيم .. كما قال ابن الجزرى .

---

(١) اخرجه مسلم .

(٢) أما بالنسبة لحفظ القرآن فقد ورد فيه حديث رواه الترمذى وحسنه ابن خزيمة والحاكم وقال : صحيح الاسناد .. يقول فيه الرسول ﷺ : « يجىء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن : يا رب حله ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا رب زده ، فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول : يا رب ارض عنه فيرضى عنه ، فيقول له : اقرا وارق ويزداد بكل آية حسنة » وفى حديث قدسى رواه ابو نعيم عن ابى سعيد : « يقول الله تعالى يوم القيامة : أين جيرانى ؟ فتقول الملائكة : من هذا الذى ينبغى له ان يجاورك ؟ فيقول : أين قراء القرآن وعمار المساجد » ؟

(٣) يونس : ٩٢ بلفظ : ((ننجيك)) .

والأوقات المختارة للقراءة أفضلها : ما كان فى الصلاة ، ثم الليل ثم نصفه الأخير ، وهى بين المغرب والعشاء محبوبة ، وأفضل أوقات النهار بعد الصبح .

والمختار من الأيام : يوم عرفة ، ثم يوم الجمعة ، ثم يوم الاثنين والخميس .

ومن الأعشار : العشرة الأخيرة من رمضان ، والأول من ذى الحجة .

ومن الشهور : رمضان .

والأفضل أن تبدأ قراءته يوم الجمعة وتختمه ليلة الخميس ، فقد روى أن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان يفعل ذلك .

والأفضل كذلك : ختمه أول النهار أو أول الليل .. قال فى « الاحياء » : « ويكون الختم فى أول النهار فى ركعتى الفجر ، وأول الليل فى ركعتى سنة المغرب » .

ويسن صوم يوم الختم .. وأخرج الطبرانى عن أنس أنه كان اذا ختم القرآن جمع أهله ودعا .

وحسبك تعبير الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى والذى ان تعمقت فيه لتبين لك بوضوح أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن مجرد مبعوث من قبل الله تعالى .. وانما كان خبيرا ببواطن الأمور ، وطبيبا ماهرا فى معالجة أمراض القلوب التى إن صلحت صلح الجسد كله ، وان فسدت فسد الجسد كله .

وذلك بالنسبة لداء الضحك الذى يعتبر من الأمراض الخبيثة التى ان أصيب القلب بها كان محروما من الأنوار .. فقد ركز عليه الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه كما قال فى حديث شريف : « استدراج من الشيطان واختداع من الهوى » .. وحسبك تحذير الرسول صلى الله عليه وسلم منه فى نص الوصية .

* ولما كان المزاح من أهم الأسباب المؤدية الى كثرة الضحك .. كان لابد وأن نشير اليه ، ونحذر منه كذلك .. وحسبنا ما قاله عمر ابن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه : « اتقوا المزاح فانه حمقة تورث ضغينة » .

وما قاله أحد الحكماء : « انما المزاح سباب الا أن صاحبه يضحك » .

وما قيل فى منثور الحكم : « المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب » كما قيل : « من كثر مزاحه زالت هيبته » وقيل : « من قل عقله كثر هزله » .

وقال سعيد بن العاص لابنه : « اقتصد فى مزاحك فان الافراط فيه يذهب البهاء ويجرىء عليك السفهاء » .

هذا ولا مانع أن يكون هناك مزاح برىء ينفس عن النفس ما طرأ عليها من هم وملل .. فقد قيل : لابد للمصدور أن ينفس عن نفسه والا هلك .. وقد أنشد بعضهم فى هذا المعنى المشار اليه :

أفد طبعك المكدود بالجد راحة   يجـم وعلله بشىء من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن   بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « انى لأمزح ولا أقول الا حقا » ومن مزاحه صلى الله عليه وسلم :

أن عجوزا من الأنصار أتته فقالت : يا رسول الله .. ادع الله لى أن يدخلنى الجنة ، فقال : « أما علمت أن الجنة لا يدخلها العجائز » ؟ فصرخت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « أما قرأت من القرآن قول الله عز وجل : « انا أنشأناهن انشاء . فجعلناهن أبكارا . عربا أترابا »[١] .

وأتته أخرى فى حاجة لزوجها فقال لها : « ومن زوجك » ؟ فقالت : فلان ، فقال لها : « الذى فى عينيه بياض » ؟ فقالت : لا .. فقال : « بلى .. » فانصرفت عجلى الى زوجها وجعلت تتأمل عينيه . فقال : لها : ما شأنك ؟ فقالت : أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فى عينيك بياض .. فقال : أما ترين بياض عينى أكثر من سوادهما[٢] ؟

واعلم أيها الأخ الكريم أن اعتياد الضحك شاغل عن النظر فى الأمور المهمة ، مذهل عن الفكر فى النوائب الملمة ، وليس لمن أكثر منه هيبة ولا وقار ، ولا لمن وسم به خطر ولا مقدار .. وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « من كثر ضحكه قلت هيبته » وقال على رضى الله عنه : « اذا ضحك العالم ضحكة مج من العلم مجة » .. ولتكن دعابتك تبسما .. وهذا أبلغ فى الايناس من الضحك الذى قد يكون استهزاء وتعجبـا .

وكن مقتديا برسول الله صلى الله عليه وسلم .. فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يبتسم حتى تبدو نواجذه .. كما ثبت فى بعض الأحاديث الشريفة .

---

(١) الواقعة : ٣٥ — ٣٧
(٢) أخرجه ابن أبى الدنيا من حديث عبادة بن سهم الفهرى .

* وعليك بالجهاد .. فهو خير لك من الدنيا وما فيها ، وحسبك حديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول فيه : « لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها »[١] .. وهو من أفضل الأعمال .. فقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم : أى العمل أفضل ؟ قال : « ايمان بالله ورسوله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » .. قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور »[٢] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله »[٣] وهذا هو معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فانه رهبانية أمتى » كما جاء فى نص الوصية .

وحسب المجاهد فى سبيل الله أنه بجهاده يكون قد تعاقد مع الله سبحانه وتعالى الذى يقول فى كتابه العزيز :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم »[٤] .

ويكون قد تاجر مع الله تعالى الذى يقول :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم • تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهـار ومساكن طيبة فى جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم • وأخـرى تحبونهـا ، نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين »[٥] .

« واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا »[٦] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أنس .
(٢) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .
(٣) أخرجه البخارى ومسلم .
(٤) التوبة : ١١١
(٥) الصف : ١٠ — ١٣
(٦) من حديث صحيح .

* (وأحب المساكين وجالسهم) :

وحسبك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم أحيني مسكينا ، وأمتنى مسكينا ، واحشرنى فى زمرة المساكين »[١] .

وقال لرجل شكا اليه قسوة قلبه : « امسح رأس اليتيم ، وأطعم المسكين »[٢] .

وكان سيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام اذا دخل المسجد فرأى مسكينا جلس اليه ، وقال : « مسكين جالس مسكينا »

وقيل : كان سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام يحب أن يقال له : « يا مسكين » .

وقال موسى عليه الصلاة والسلام مناجيا ربه : « الهى .. أين أبغيك » ؟ قال : « عند المنكسرة قلوبهم » . وقال الفضيل : بلغنى أن نبيا من الأنبياء قال : « يا رب .. كيف لى أن أعلم رضاك عنى » قال : « انظر كيف رضا المساكين عنك » .

فكن من الذين يحبون المساكين أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذكر من الأنبياء والصالحين ، وكن محبا للمساكين « **ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا** »[٣] ، وكن رحيما باليتيم ، واذكر قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة » وأشار باصبعيه السبابة والوسطى[٤] .

وانظر الى من هو تحتك ولا تنظر الى من هو فوقك : حتى تكون راضيا بما قسم الله لك ، وحتى تكون من أغنى الناس ، واذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » .

وقد ورد فى الحديث القدسى عن رب العزة :

« عبدى .. ان رضيت بما قسمته لك أرحت نفسك وبدنك وكنت عندى محمودا ، وان لم ترض بما قسمته لك سلطت عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش فى البرية ولا ينالك منها الا ما قسمته لك وكنت عندى مذموما » .

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم واخرجه الترمذى عن أنس باسناد ضعيف .

(٢) رواه أحمد .　　(٣) الكهف : ٢٨

(٤) رواه البخارى .

* واحذر أن تنظر الى من هو فوقك فى الغنى المادى حتى لا تكون محتقرا لنعم الله عليك ، حاقدا على من أنعم الله عليه ، وانظر الى من هو أدنى منك مالا حتى تكون شاكرا نعمة الله تعالى الذى يقول :

« لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابى لشديد »(١) .

وانظر الى من هو فوقك فى العلم واغبطه على ذلك **« وقل رب زدنى علما »**(٢) فهذا حسد محمود .

واعلم أنه بشكرك لله عز وجل على ما أعطاك ، وبعدك عن الطمع كما نهاك ، وطلبك للعلم كما أوصاك ، ستكون من أهل الفلاح والنجاح ، وستكون من **« أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده »**(٣) .

* (وقل الحق وان كان مرا ، ولا تخف فى الله لومة لائم) :

حتى لا تكون من الذين لعنوا : **« على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون »**(٤) .

وحتى تكون من الذين : **« يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون »**(٥) .

« وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ... »(٦) .

و **« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »**(٧) .

واذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : **« من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان »**(٨) .

« الدين النصيحة » .. قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »(٩) .

« ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل »(١٠) .

---

(١) ابراهيم : ٧ (٢) طه : ١١٤ (٣) الأنعام : ٩٠
(٤) المائدة : ٧٨ ، ٧٩ (٥) آل عمران : ١٠٤ (٦) طه : ١٣٢
(٧) النحل : ١٢٥ (٨) رواه مسلم . (٩) رواه مسلم .
(١٠) رواه مسلم .

« ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده »[١] •

وفى الحديث القدسى : « يا ابن آدم •• لا تخف من سلطان ما دام سلطانى باقيا ، وسلطانى لا ينفد أبدا •• يا ابن آدم •• لا تأنس بغيرى وأنا لك ، فانك ان طلبتنى وجدتنى ، وان أنست بغيرى فتك وفاتك الخير كله •• يا ابن آدم •• خلقتك للعبادة فلا تلعب ، وقسمت لك رزقك فلا تتعب ، ان كثر فلا تفرح ، وان قل فلا تجزع » •

وفى حديث آخر : « أنا الله ، لا اله الا أنا ، مالك الملك ، وملك الملوك ، قلوب الملوك كلها فى يدى ، وان العباد اذا أطاعونى حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرأفة والرحمة ، وان العباد اذا عصونى حولت قلوبهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب ، فلا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ، ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتقرب أكفكم ملوككم »[٢] •

ومن مواقف أهل الحق التى أرجو أن تنتفع بها هذين الموقفين :

كان أبو هريرة رضى الله عنه واليا على البحرين أثناء خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان قد جاء الى المدينة ومعه عشرة آلاف درهم فقال له عمر : استأثرت بهذه الأموال يا عدو الله وعدو كتابه ؟ ! فقال أبو هريرة : لست بعدو الله ولا عدو كتابه ولكن عدو من عاداهما •• قال : فمن أين هى لك ؟ فقال : خيل نتجت ، وغلة رقيق لى ، وأعطية تتابعت •• وبحث عمر الموضوع ، وبعد أن تحقق من مصادر هذا المال أجازه له ثم دعاه بعد ذلك ليوليه امارة فأبى •• فقال عمر : تكره العمل وقد طلبه خير منك : يوسف عليه السلام ؟ فرد أبو هريرة بقوله : يوسف نبى ابن نبى •• وأنا أبو هريرة ابن أميمة أخشى أن أقول بغير علم ، وأن يضرب ظهرى ، وأن ينزع مالى ، ويشتم عرضى •

ورأى أبو ذر الغفارى رضى الله عنه معاوية يوما وقد أنفق مالا كثيرا فقال له : ان كان هذا من بيت المال فأنت خائن **«وأن الله لا يهدى**

---

(١) رواه أبو داوود والترمذى وقال : حسن صحيح •

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط عن أبى الدرداء .

كيد الخائنين »(١) وان كان من مالك فأنت مسرف والله « لا يحب المسرفين »(٢) •

فكن من أهل الحق والداعين اليه والمدافعين عنه والمناصرين له •

* (ثم كن مشغولا بعيوبك عن عيوب الناس) :

وهذا هو ما يعنيه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك » •

وحسبك أن تفكر فى أخطائك الكثيرة التى ربما لا تحصى ولا تعد ، والتى لو يؤاخذك الله بها لخسف بك الأرض ، ولكن يؤخرك ليوم تشخص فيه الأبصار ، عسى أن تتوب اليه وتصطلح معه ، وتندم على ما كان منك من أخطاء •

واعلم أنه سبحانه وتعالى غفور رحيم ، أحن على عبده من الوالدة على ولدها ، وأنه سبحانه « يغفر الذنوب جميعا »(٣) وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب »(٤) •

وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقول لأصحابه كما ورد فى حديث رواه أبو هريرة : « والله انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة »(٥) •

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد مائة مرة : « رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم »(٦) •

واعلم أن التوبة واجبة من كل ذنب بدليل قوله تعالى : « استغفروا ربكم ثم توبوا اليه »(٧) وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا »(٨) •

---

(١) يوسف : ٥٢
(٢) الأعراف : ٣١
(٣) الزمر : ٥٣
(٤) رواه الأصبهانى بسند ضعيف •
(٥) رواه البخارى •
(٦) رواه أبو داوود والترمذى وهو حسن صحيح •
(٧) هود : ٥٢
(٨) التحريم : ٨

مع ملاحظة أنه اذا كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى ولا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية •

الثانى : أن يندم على فعلها •

الثالث : أن يعزم على أن لا يعود اليها أبدا •

فاذا فقد أحد الثلاثة لا تقبل توبته •

وان كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة : هذه الثلاثة السابقة ، وأن يبرأ من حق صاحبها •

فان كان مالا أو نحوه رده اليه ، وان كان حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه ، وان كانت غيبة استحله منها •

ويجب أن يتوب من جميع الذنوب •• فان تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقى عليه الباقى •

فيا أيها المغرور قم وانتبه   قد فاتك المطلوب والركب سار
ان كنت أذنبت فقم واعتذر   الى كريم يقبل الاعتذار
وانهض الى مولى عظيم الرجا   يغفر بالليل ذنوب النهار

ومن أجمل ما قرأت فى هذا :

أن لصا دخل بيت رابعة العدوية ليلا لكى يسرقه •• فلم يجد فيه غير ابريق فيه ماء •• فلما أراد الخروج قالت له عندما رأته يتسلل الى الباب : يا هذا •• ان كنت من الأذكياء فلا تخرج بغير شىء •• فقال اللص : انى لم آخذ شيئا • فقالت له : يا مسكين •• توضأ بهذا الابريق وادخل فى هذه الحجرة وصل ركعتين فانك ما تخرج الا بشىء •

ففعل اللص ما أمرته به •• فلما قام يصلى رفعت رابعة بصرها الى السماء وقالت : سيدى ومولاى •• هذا أتى بابى فلم يجد شيئا عندى وقد أوقفته ببابك فلا تحرمه من فضلك وثوابك ••

فلما فرغ اللص من صلاة الركعتين لذت له العبادة •• فما برح يصلى الى آخر الليل •• فلما كان وقت السحر دخلت عليه رابعة فوجدته ساجدا وهو يقول فى سجوده معاتبا نفسه :

اذا ما قال لى ربى   أما استحييت تعصينى
وتخفى الذنب من خلقى   وبالعصيان تأتينى
فما قولى له لما   يعاتبنى ويقصينى

فلما انتهى الرجل من ليلته قالت له : كيف ليلتك ؟ فقال : بخير ••

وقفت بين يدى مولاى بذلى وافتقارى .. فقبل عذرى ، وجبر كسرى ، وغفر ذنبى ، وبلغنى المطلوب .. ثم انطلق هائما على وجهه .

فرفعت رابعة كفها الى السماء وقالت : سيدى ومولاى .. هذا وقف ببابك ساعة فقبلته ، وأنا قد عرفتك بين يديك أتراك قبلتنى ؟

واعلم أنه لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق ..

واذا كان التدبير فى الأمر كما يقول علماء اللغة : هو النظر الى ما تؤول اليه عاقبته فالعاقل من فكر فى الأمر قبل أن يفعل ما لا يحمد عقباه .. فكم من الناس هلكوا بسبب حماقتهم .. لأنهم يضعون الأمور فى غير موضعها ، ويتصرفون بدون تفكير وطول نظر .. وذلك لفساد عقـولهم ..

قال الأصمعى : قلت لغلام من أبناء العرب : أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنك أحمق ؟ قال : لا والله .. قلت : ولم ؟ قال : أخاف أن يجنى على حمقى جناية فيذهب مالى ويبقى على حمقى .

وقال لقمان لابنه : لا تعاشر الأحمق وان كان ذا جمال .. فانه كالسيف حسن مظهره ، قبيح أثره .

لكل داء دواء يستطب به الا الحماقة أعيت من يداويها

وكف أذاك عن المسلمين حتى تكون مسلما .. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ... »[1] . ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعتدوا بشىء من عمله .. تقوى تحجزه عن معاصى الله عز وجل ، وحلم يكف به السفيه ، وخلق يعيش به فى الناس »[2] .. فتمتع بهذه الصفات حتى تكون من أهل الورع وحتى تنجو « **يوم يعض الظالم على يديه** »[3] .

وحسن خلقك فهو حسبك ونسبك ، وبه يكمل ايمانك .. وهذا

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه الطبرانى وأبو داوود والترمذى عن أبى هريرة وقال : حسن صحيح .
(٣) الفرقان : ٢٧ بلفظ : « ويوم » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سئل : أى المؤمنين أكمل ايمانا ؟
قال : « أحسنهم أخلاقا »(١) .

وقال : « ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم »
وفى رواية : « ان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجات قائم الليل وصائم النهار » .

وتذكر دائما وأبدا أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان على خلق عظيم .. ولهذا كان قدوة صالحة ، وأسوة حسنة لمن أراد الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .. فكن من المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم تكن من الفائزين فوزا عظيما .. وحسبك هذه الأقوال المـأثورة :

« الحسن الخلق من نفسه منه فى راحة ، والناس منه فى سلامة ، والسىء الخلق الناس منه فى بلاء ، وهو من نفسه فى عناء » .

« ان الله تعالى جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها وصلا بينه وبينكم فحسب الرجل أن يتصل من الله تعالى بخلق منها » .

« والفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والحسب ، لأن من ساء أدبه ضاع نسبه ومن ضل عقله ضل أصله » .



---

(١) رواه أبو داوود وابن ماجه باللفظ الأول والرواية أخرجها الحاكم وقال صحيح على شرطها .

الوَصيّة الرابعَة

قال أبو ذر رضى الله عنه :

أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بثلاث ، قال :

« اسمع وأطع ولو لعبد مجدوع الأنف ، فان صنعت مرقة فاكثر ماءها ثم انظـر الى أهل بيت جيرانك فاصبهم منها بمرقتك ، وصل الصلاة لوقتها » .

(رواه مسلم مختصرا فى البر والصلة عن أبى ذر)

* * *

فكن أخا الاسلام :

من العاملين بهذه الوصايا الثلاث(١) وهى :

* (فاسمع وأطع ولو لعبد مجدوع الأنف) :

وبهذا تكون قد نفذت أمر الله تعالى الذى يقول : **« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »(٢) .**

وهذا هو المطلوب منك كمسلم .. ففى الحديث : « على المسلم السمع والطـاعة فيما أحب وكره الا أن يؤمر بمعصـية فلا سـمع ولا طاعة »(٣) وعن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة »(٤) .

واحذر عدم السمع والطاعة والا مت ميتة جاهلية .. فقد ثبت أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »(٥) .

---

(١) راجع فى الوصية الأولى ما كتب فى هذا الموضوع .
(٢) النساء : ٥٩ .
(٣) متفق عليه ، اى رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه البخارى . (٥) رواه مسلم .

* (وان صنعت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر الى أهل بيت جيرانك فأصبهم منها بمرقتك) :

فربما كانوا يتضورون جوعا وفى أشد الحاجة الى ما يسد رمقهم ويطفىء نار جوعهم •

وفى هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا : « اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك »(١) •

وقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره »(٢) •

وقال : « خير الجيران عند الله خيرهم لجاره »(٣) ولا سيما أقربهم اليك بابا •• فقد روى أن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قلت يا رسول الله •• ان لى جارين فالى أيهما أهدى ؟ قال : « الى أقربهما منك بابا »(٤) •

وذلك لأن جارك ولا سيما الأدنى منك حسيا ومعنويا ودينيا أقرب اليك من أهلك وعشيرتك ، وأسرع لنجدتك عند الشدائد والنوازل •

فأحسن الى جارك وكن بارا ، ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »(٥)

* (وصل الصلاة لوقتها) :

واحذر أن تجمع بين صلاتين حتى لا تأتى بابا من أبواب الكبائر •• فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث شريف :

« من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر »(٦) •

والويل لك ان فعلت ذلك •• وفى هذا يقول الله تعالى :

« فويل للمصلين • الذين هم عن صلاتهم ساهون »(٧) •

وهم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها(٨) •

وحسبك تشجيعا لك على أداء الصلاة فى وقتها قول الله تعالى :

« ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا »(٩) •

---

(١) رواه مسلم • (٢) رواه مسلم •
(٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن •
(٤) رواه البخارى • (٥) رواه البخارى ومسلم •
(٦) رواه الحاكم • (٧) الماعون : ٤ ، ٥
(٨) رواه البزار • (٩) النساء : ١٠٣

وقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى اجابته على سؤال وجهه اليه ابن مسعود رضى الله عنه :

أى العمل أحب الى الله تعالى ؟ قال : « الصلاة لوقتها » . قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » . قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله »(١) .

فاذا سمعت المؤذن ينادى : حى على الصلاة .. حى على الفلاح .. كن ملبيا لهذا النداء ، وتوضأ وأحسن وضوءك ، ثم اخرج الى الجماعة حتى تفوز بثواب صلاة الجماعة الذى أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا .. وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفع بها درجة ، وحطت عنه بها خطيئة .. فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه ما لم يحدث .. تقول : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه .. ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة »(٢) .

واحذر ترك هذا فانه لا رخصة لك فيه ما دمت تسمع المؤذن وتقوى على الذهاب الى المسجد .. فقد ورد أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقال : يا رسول الله .. ليس لى قائد يقودنى الى المسجد .. فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له فيصلى فى بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال له : « هل تسمع النداء بالصلاة » ؟ قال : نعم .. فقال : « فأجب »(٣) .

فحافظ على أداء الصلاة فى وقتها مع الجماعة ، ولب نداء المؤذن ؛ والا فلمن ينادى المؤذن ؟ وما معنى أنك مسلم ؟ وتأمل قول القائل :

ألا فى الصلاة الخير والفضل أجمع ... لأن بها الرقاب لله تخضع
وأول فرض فى شريعة ديننا ... وآخر ما يبقى اذ الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة ... وكان كعبد باب مولاه يقرع
وكان لرب العرش حين صلاته ... نجيا فيا طوبى له حين يخشع

* * *

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) متفق عليه وهذا لفظ البخارى .

(٣) رواه مسلم .

الوصية الخامسة

عن أبى ذر ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ستة أيام ثم اعقل يا أبا ذر ما يقال لك بعد » .

فلما كان اليوم السابع قال :

« أوصيك بتقوى الله فى سر أمرك وعلانيته ، واذا أسأت فأحسن ، ولا تسألن أحدا شيئا وان سقط سوطك ، ولا تقبض أمانة » .

(رواه احمد باسناد جيد) .



فكن أخا الاسلام :

معتبرا ومحيطا بما فى هذه الوصية الجامعة من أسرار ، وتأمل كيف استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوتى من حكمة أن يجعل أبا ذر مشغولا بما سيلقى عليه من الوصايا طوال هذه الأيام الست .. وذلك حتى يظل طوال حياته ذاكرا لها ومنفذا لما فيها ، وهى :

* (اتق الله فى سر أمرك وعلانيته) :

وكما قرأنا قبل ذلك فى الحديث عن التقوى ، وعلاوة على أنها رأس الأمر كله .. فهى السبيل الوحيد الى تكفير السيئات وغفران الذنوب .. قال تعالى : **« ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم ، والله ذو الفضل العظيم »**(١) .

ولما كنا جميعا نرجو هذا ونتمناه ، كان لابد وأن نراقب الله فى السر والعلن .. فلاحظ ذلك يا أخا الاسلام ، واتق الله فى سر أمرك وعلانيته و « اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »(٢) .

* (واذا أسأت فأحسن) :

أى اذا فعلت السيئة بايعاذ من الشيطان الرجيم الذى يعمل دائما وأبدا على اغوائنا واغوائك ، وضياعنا وضياعك فى الدنيا والآخرة من

---

(١) الأنفال : ٢٩

(٢) من حديث أخرجه مسلم .

يوم أن هبط مع أبوينا من الجنة ومنذ اللحظة التى قال فيها لرب العزة : **« فبعزتك لأغوينهم أجمعين »**(١) ، **« فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم • ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين »**(٢) •• اذا كان هذا الملعون قد استطاع بحيله المتعددة أن يسيطر عليك ، ويقودك الى حيث غضب الله تعالى الذى حذرك من شره فقال لك ولجميع خلقه المكلفين : **« الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء »**(٣) وقال أيضا فى كتابه العزيز : **« ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير »**(٤) •• فقم سريعا من كبوتك • وعد الى الله الكريم الذى يقول : **« يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا »**(٥) « وأتبع السيئة الحسنة تمحها »(٦) • وقد أكد الله سبحانه وتعالى هذا فقال : **« ان الحسنات يذهبن السيئات »**(٧) •

* (ولا تسألن أحدا شيئا وان سقط سوطك) :

وذلك حتى تكون عزيزا مرفوع الهامة بين الناس الذين لا يحترمون ولا يجلون غير الأغنياء عنهم •• وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال :

« أحب الناس الى الناس من استغنى عن الناس ، وأبغض الناس اليهم من احتاج اليهم ، وأحب الناس الى الله من احتاج الى الله ، وأبغض الناس اليه من استغنى عنه واحتاج الى غيره » •

ولما كان هذا الغنى عن الناس لا يتحقق الا بالسعى الجاد فى مناكب الأرض طلبا للرزق الحلال فقد أمر الله تعالى به فقال : **« فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور »**(٨) •

حتى فى يوم الجمعة لم يقل الله استريحوا فيه •• وانما قال : **« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا**

---

(١) سورة ص : ٨٢ — (٢) الأعراف : ١٦ ، ١٧

(٣) البقرة : ٢٦٨ — (٤) فاطر : ٦

(٥) الزمر : ٥٣

(٦) من حديث رواه الترمذى وقال : حديث حسن •

(٧) هود : ١١٤ — (٨) الملك : ١٥

الله كثيرا لعلكم تفلحون»(١) •• ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب العمل ويدعو اليه : فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم جلس ذات يوم بين أصحابه فذكروا له أن رجلا منهم يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر من الذكر ، وظنوا أن النبى صلى الله عليه وسلم سيفرح بهذا الرجل ثم سيطلب منهم أن يتشبهوا به •• ولكنه صلى الله عليه وسلم ما كاد يستمع الى مديحهم حتى قال لهم : « أيكم يكفيه طعامه وشرابه » ؟ فقالوا : كلنا يا رسول الله •• فقال : « كلكم خير منه » عند ذلك اندفع الأصحاب يعملون وينشطون حتى قرن الله تعالى التجار منهم بالمجاهدين فى سبيل الله فى آية واحدة يقول فيها سبحانه وتعالى :

« **وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله**»(٢) وهذا شرف عظيم للعاملين ••

فلاحظ هذا أخا الاسلام ، وكن من أهل هذا الشرف ، واعمل على أن تكون من الصنف المنتج ، وحافظ على ماء وجهك وتدبر القول المأثور : « استغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره ، وأحسن الى من شئت تكن أميره » واحذر أن تكون أسيرا لأحد ، ولا تنس قول القائل الحكيم :

ان الغنى اذا تكلم بالخطأ ... قالوا صدقت وما نطقت محالا
أما الفقير اذا تكلم صادقا ... قالوا كذبت وأبطلوا ما قالا
ان الدراهم فى المواطن كلها ... تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة ... وهى السلاح لمن أراد قتالا

ثم اليك هذا المثل الحى الذى أرجو أن يكون نصب عينيك دائما وأبدا حتى تنتفع به :

يقول على رضى الله تعالى عنه : جعت يوما فذهبت الى عوالى المدينة أطلب عملا •• فوجدت امرأة قد جمعت ترابا متلبدا تريد بله بالماء فبادلتها كل ذنوب(٣) على تمرة ، فملأت لها ستة عشر ذنوبا حتى مجلت يدى ـ أى احمرت ـ فبسطت كفى لترى أثر العمل فعدت لى ست عشرة تمرة فأخذتها وذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته بما حدث ففرح وأكل معى منها ••

ولهذا كان رضى الله تعالى عنه يقول معبرا عن فخره وحبه للعمل :

---

(١) الجمعة : ١٠ (٢) المزمل : ٢٠
(٣) الذنوب : الدلو العظيمة .

لحمل الصخر على قمم الجبال أحب الى من منن الرجال
يقول الناس لى فى الكسب عار فقلت العار فى ذل السؤال

ومن أجمل ما يروى فى هذا المجال أيضا أن سيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام ناجى ربه فقال : يا رب .. قد أعطيتنى ما لم تعط أحدا قبلى ، وسألتك أن لا تعطيه أحدا بعدى فأعطيتنيه ، فان قصرت فى شكرك فدلنى على عبد هو أشكر لك منى .. فأوحى الله تعالى اليه : « يا سليمان .. عبد يكسب بيديه يسد جوعه ويستر عورته ويعبدنى هو أشكر لى منك .. » فقال : يا رب .. اجعل كسبى بيدى . فأتاه جبريل عليه السلام فعلمه الخوص يتخذ منه القفاف .. فأول من عمل الخوص سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

ومن قصيدة للامام الشافعى رضى الله عنه :

سافر تجد عوضا عمن تفارقه وانصب فان لذيذ العيش فى النصب(١)
انى رأيت وقوف الماء يفسده ان سال طاب وان لم يجر لم يطب
الأسد لولا فراق الغاب ما افترست والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والشمس لو وقفت فى الفلك دائمة لملها الناس من عجم ومن عرب
والتبر كالترب ملقى فى أماكنه والعود فى أرضه نوع من الحطب
فان تغرب هذا عز مطلبه وان تغرب ذاك عز كالذهب

* (ولا تقبض أمانة) .. ما لم تكن أهلا لحفظ الأمانات ، أو تحمل المسئوليات التى هى مجموعها أمانة ، وحسبك ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم بأبى ذر رضى الله عنه عندما طلب منه أن يستعمله فى ولاية .. فضرب الرسول صلى الله عليه وسلم بيده على منكبه ثم قال له : « يا أبا ذر .. انك ضعيف وانها أمانة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة .. الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها »(٢) .

أما اذا كنت ترى أنك كفء لتحمل أعباء حفظ الأمانات دون طمع فيها ، أو نقصان منها فلا مانع من هذا ، وحسبك أن تعلم أن يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام لم يرشح نفسه لادارة شئون المال الا لعلمه بأنه كفء لهذا ، الى جانب علمه وتقواه .. ولهذا قال :

« **اجعلنى على خزائن الأرض ، انى حفيظ عليم** »(٣) .

جعلنى الله واياك من الأمناء الشرفاء الأتقياء .

---

(١) اى التعب .
(٢) رواه مسلم .
(٣) يوسف : ٥٥

الوصية السادسة

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بسبع :

« بحب المساكين وأن أدنوا منهم ، وأن أنظـر الى من أسفل منى ، ولا أنظـر الى من هو فوقى ، وأن أصل رحمى وان جفـانى وأن أكثر من قول : لا حول ولا قوة الا بالله ، وأن أتكلم بمر الحق ، ولا تأخذنى فى الله لومة لائم ، وأن لا أسأل الناس شيئا » .

(رواه أحمـد والطبرانى من رواية للشعبى عن أبى ذر)

* * *

فكن أخا الاسلام :

* (محبا للمساكين وادن منهم حتى تحشر معهم وفى زمرتهم) : وحسبك أن الرسول صلى الله عليه وسلم تمنى هذا ، كما قال فى دعاء مأثور : « اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين »(١) .

واعمل على أن يكون حبك لهم عطفا واحسانا ، واحذر أن يكون كلاما فقط .. فشتان بين العمل والقول ، وحتى تعرف درجة الانفاق .. اليك هذا الحديث : عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تعبد عابد من بنى اسرائيل فعبد الله فى صومعة ستين عاما ، فأمطرت الأرض واخضرت ، فأشرف الراهب من صومعته فقال : لو نزلت فذكرت الله فازددت خيرا ، فنزل ومعه رغيف ــ أو رغيفان ــ فبينما هو فى الأرض لقيته امرأة فلم يزل يكلمها وتكلمه حتى غشيها .. ثم أغمى عليه .. فنزل الغدير يستحم ، فجاءه سائل ، فأومأ اليه أن يأخذ الرغيفين ، ثم مات ، فوزنت عبادة ستين سنة بتلك الزنية بحسناته ،

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم .

ثم وضع الرغيف – أو الرغيفان – مع حسناته فرجحت حسناته فغفر له »(١) « **فأما اليتيم فلا تقهر • وأما السائل فلا تنهر • وأما بنعمة ربك فحدث** »(٢) •

✻ (وانظر الى من هو أسفل منك مالا ولا تنظر الى من هو فوقك) •• حتى تعيش سعيدا قرير العين بما أنعم الله عليك ، واحذر أن تكون غير راض بما قسم الله لك •• ففى ذلك ضياعك وفقرك ، واشكر الله على ما أعطاك ، واذا أردت مزيدا فسل الله من فضله •• فهو واسع الكرم والعطاء •

واعلم أن « ما قل وكفى خير مما كثر وألهى »(٣) وأن الدنيا لا تستحق أدنى تفكير ، وأنها ليست مقياسا على حب الله تعالى للعبد •• وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى يعطى الدنيا لمن يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين الا لمن أحب »(٤) فكن من أبناء الآخرة ولا تكن من أبناء الدنيا « وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » •

كن غنى القلب واقنع بالقليـ ـت ولا تطلب معاشا من لئيم
لا تكن للعيش مجروح الفؤاد انمــا الرزق على الله الكريم

✻ ✻ ✻

اذا اشتدت بك البلوى ففكر فى ألم نشرح
فعسر بين يسرين اذا فكرته تفرج

✻ (وصل أقاربك وان جفوك) :

واعلم أن صلة الأرحام من أهم أسباب الصلة بينك وبين الله تعالى •• وفى ذلك يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

« الراحمون يرحمهم الله تعالى ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء ، الرحم شجنة من الرحمن ، ومن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله »(٥) •

وعن عائشة رضى الله تعالى عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه ابن حبان • (٢) الضحى : ٩ ـ ١١
(٣) رواه أحمد بسند صحيح •
(٤) رواه أحمد عن ابن مسعود بسند ضعيف •
(٥) رواه الترمذى •

قال : « الرحم معلقة بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعه الله »[١] .

وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله عز وجل : أنا الله .. وأنا الرحمن .. خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمى .. فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته »[٢] .

ثم علاوة على ذلك فهى من أسباب سعة الرزق .. ففى الحديث : « من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وينسأ له فى أثره فليصل رحمه »[٣] . وهى أسرع الخير ثوابا .. قال صلى الله عليه وسلم : « أسرع الخير ثوابا : البر وصلة الرحم ، وأسرع الشر عقوبة : البغى وقطيعة الرحم »[٤] .

فصل رحمك وان قطعوك ولا تكن من« **الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ، أولئك هم الخاسرون**»[٥] .

ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه »[٦] .

* (وأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فهى كنز من كنوز الجنة) :

وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى موسى رضى الله تعالى عنه : « قل لا حول ولا قوة الا بالله فانها كنز من كنوز الجنة » وفى رواية أخرى : « ألا أعلمك كلمة من كنز تحت العرش .. لا حول ولا قوة الا بالله »[٧] .

وورد فى حديث شريف أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قال العبد لا اله الا الله والله أكبر ، قال الله عز وجل : صدق عبدى لا اله الا أنا ، وأنا أكبر ، واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له ، قال تعالى : صدق عبدى لا اله الا أنا وحدى لا شريك لى ، واذا قال لا اله الا الله

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه أبو داوود والترمذى .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) أخرجه ابن ملجه .
(٥) البقرة : ٢٧
(٦) رواه البخارى ومسلم .
(٧) رواه البخارى ومسلم .

ولا حول ولا قوة الا بالله ، يقول سبحانه : صدق عبدى لا حول ولا قوة الا بى ، ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار »(١) •

قال مجاهد : اذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله ، قال الملك : هديت ، فاذا قال : توكلت على الله ، قال الملك : كفيت ، واذا قال : لا حول ولا قوة الا بالله ، قال الملك : وقيت •• فتتفرق عنه الشياطين فيقولون : ما تريدون من رجل قد هدى وكفى ووقى •• لا سبيل لكم اليه »(٢) •

ثم هى من الباقيات الصالحات كما ورد فى حديث يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « الباقيات الصالحات هى : لا اله الا الله ، وسبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله »(٣) •

وفى الحديث الصحيح : « ما على الأرض رجل يقول : لا اله الا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر »(٤) •

※ (وقل الحق وان كان مرا ولا تأخذك فى الله لومة لائم) :

فعن عبادة بن الصامت رضى الله تعالى عنه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر ، والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله الا تروا كفرا بواحا – أى جهارا – عندكم من الله فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم »(٥) •

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا •• فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا »(٦) •

---

(١) رواه أبو هريرة وابو سعيد الخدرى رضى الله عنهما •

(٢) اخرجه بمعناه عن النبى صلى الله علية وسلم والترمذى وحسنة والنسائى وابن حبان •

(٣) اخرجه احمد وابو يعلى والنسائى وابن حبان والحديث صحيح •

(٤) أخرجه النسائى والترمذى وقال : حديث حسن •

(٥) رواه البخارى ومسلم • (٦) رواه البخارى والترمذى •

فكن من أهل الحق الذين لا يخافون فى الله لومة لائم ، ولا تتأثر بغضب أهل الباطل عليك ، وارفع علم الحق يتبعك أهله .. مع ملاحظة أنه ما قام الباطل الا لغفلة أهل الحق .. «وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »[١] وليكن شعارك : « أنت صديقى والحق صديقى .. فان تعارضا فالحق أولى بالصداقة »[٢] .

* (ولا تسأل الناس شيئًا) :

يقول أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه : أقبلت لأسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يقول :

« ومن يتصبر يصبره الله ، ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله » قلت : فما أنا بسائلك اليوم [٣] .

وروى اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه عن جده — رضوان الله عليهم — أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. أوصنى وأوجز .. فقال : « عليك باليأس مما فى أيدى الناس فانه الغنى ، واياك والطمع فانه الفقر الحاضر ، وصل صلاتك وأنت مودع ، واياك وما يعتذر منه »[٤] .

وهذا معناه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يكون أصحابه متوكلين بهذا المعنى الذى وضحه سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه عندما مر عليه قوم من أهل اليمن فقال لهم : « من أنتم » ؟ فقالوا : متوكلون !! قال : « كذبتم .. ما أنتم متوكلون .. انما المتوكل : الذى ألقى حبة فى الأرض وتوكل على الله » . وذلك مع تعهدها بالرعاية والعناية كما جاء فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم للأعرابى : « اعقلها وتوكل » .

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لأن يأخذ أحدكم حبلا فيذهب فيأتى بحزمة حطب على ظهره فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه »[٥] ويقول : « أخشى ما خشيت على أمتى : كبر البطن ومداومة النوم والكسل »[٦] وكان يدعو بالبركة لمن يبكر فى السعى على رزقه فيقول :

---

(١) الكهف : ٢٩   (٢) لأحد الحكماء .

(٣) أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما بمعناه .

(٤) رواه الحاكم والبيهقى فى كتاب « الزهد » وصححه الحاكم .

(٥) رواه البخارى ومسلم .   (٦) رواه الدارقطنى عن جابر .

« اللهم بارك لأمتى فى بكورها »[1] .. فكن من أهل هذه الدعوة المباركة وسل الله من فضله ، و « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله »[2] .

ومن أجمل ما روى فى هذا :

عن ثوبان رضى الله تعالى عنه قال : قلت يا رسول الله .. ما يكفينى من الدنيا ؟

قال : « ما سد جوعتك ، وداري عورتك ، وان كان لك بيت يظلك فذاك ، وان كان لك دابة فبخ بخ » .

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأصحابه وجلسائه ذات يوم : ألا أخبركم بما أستحق من مال الله تعالى ؟ قالوا : نعم .. قال : جلباب لشتائي وقيظى ، وما يسعفنى من الراحة لحجى وعمرتى ، وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش .. لست بأرفعهم ولا بأوضعهم .. ولا أدرى بعد ذلك أيحل ذلك أم لا .

فامش فى مناكب الأرض ، وكل من رزق الله امتثالا لأمره سبحانه وتعالى ، ولا تكن من عباد الدنيا ، وارض بما قسم الله لك .. فقليل يكفيك خير من كثير يطغيك « وما قل وكفى : خير مما كثر وألهى »[3] .

لا تخضعن لمخلوق على طمع　　فان ذاك مضر منك بالدين
واسترزق الله مما فى خزائنه　　فانما هى بين الكاف والنون

وحسبك قول الله تبارك وتعالى : « وفى السماء رزقكم وما توعدون »[4] .

* * *

---

(١) رواه النسائى وأبو داوود وابن ماجه والترمذى وحسنه وصححه ابن حبان .

(٢) من حديث حسن صحيح رواه الترمذى .

(٣) رواه أحمد بسند صحيح .　　(٤) الذاريات : ٢٢

الوَصيّة السابعَة

عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاه فقال له :

« زر القبور تذكر بها الآخرة ، واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة ، وصل على الجنائز لعل ذلك ان يحزنك فان الحزين فى ظل الله يتعرض كل خير » .

(رواه الحاكم وقال رواته ثقات والحديث صحيح) .



هكن أخا الاسلام :

عاملا بهذه الوصية :

* (زر القبور تذكر بها الآخرة) :

لأن القبر كما ورد أول منزل من منازل الآخرة .

وهى مستحبة للرجال من غير وطء للقبور ، ولا استعانة بأهلها ولا سؤالهم شيئا ، ولا مس القبر ، ولا تقبيله ، ولا الطواف به فانه من عادة أهل الكتاب ، ولم يعرف التقبيل فى الاسلام الا للحجر الأسود ، ولا الطواف الا للكعبة المشرفة .

ويقصد بزيارتها وجه الله تعالى ، واصلاح القلب ، ونفع الميت بالدعاء له وما يتلى عنده .. لأن زيارتها تحدث خشية فى القلب وتذكرا للمــوت .

وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم فى أول الدعوة نهى أصحابه عن زيارة القبور لقرب عهد الجاهلية التى اعتادوا فيها فحش القول .. وبعد ذلك أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم بالزيارة بعد أن تعلموا الآداب الشرعية المتعلقة بذلك .. كما ثبت فى حديث أخرجه الشافعى وأحمد بلفظ : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا »[1] .

وفى رواية أخرى : « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها

---

(١) صحيح على شرط مسلم ، والهجر بضم فسكون : القول الفحش .

فانها تذكركم الآخرة »(١) ، وفى رواية : « فان فى زيارتها تذكرة » .
والأمر فى الروايات السابقة للندب عند الجمهور للتعليل الذى بعده .

وقال ابن حزم انه للوجوب ولو مرة فى العمر حملا للأمر على الوجوب .

أما زيارة النساء فانه يحرم عليهن الزيارة ان ارتكبن فيها ما يغضب الله وعليه تحمل الأحاديث الواردة فى لعن زائرات القبور ، ومنها حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور »(٢) . أى دعا عليهن بالطرد من رحمة الله تعالى .. لما يحدث منهن حال الزيارة من الجزع ، وشق الجيوب ، ولطم الخدود ، والتبرج .

وخلاصة الكلام فى هذا الموضوع جمعا بين الأحاديث الواردة فيه ، والأدلة المتعلقة به : هو أنه اذا كان هناك اذن لبعضهن بالزيارة فهو لمن خرجت متسترة خاشعة ، متذكرة أمر الآخرة ، معتبرة بما صار اليه أهل القبور ، تاركة النياحة وضرب الخدود ، وشق الجيوب وسوء القول .

أما من تفعل ذلك فيحرم عليها الزيارة .. ولما كانت عادة النساء فى هذا الزمان هى الخروج على آداب الزيارة واظهار الفتنة الأمر الذى لا يضمن عدم ارتكاب الفجور وعبث الفساق وأهل الشرور .. فقد رأى العلماء العاملون استنادا الى كل ما ثبت لديهم من أدلة نقلية وعقلية عدم خروج النساء لزيارة القبور لا ليلا ولا نهارا .. لا فرق فى ذلك بين شابة وغيرها — اذ لكل ساقطة لاقطة — وحسبنا ما نراه من غالب أهل الزمان من الفساد والافساد .. بل ويحرم عليهن الخروج الى المقابر بدون محرم لا سيما فى المواسم والأعياد — التى ماجعلت الا للفرح والسرور .. لا للحزن والبكاء .

ومن القواعد المقررة أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .
وخلاصة ما ورد فى كيفية الزيارة أنه :

يسن أن يخرج الزائر متواضعا مراقبا الله تعالى ، معتبرا بمن تقدمه من الموتى ، قاصدا وجه الله تعالى ، ونفع الميت بالسلام عليه

---

(١) اخرجه احمد ومسلم والاربعة وابن حبان والحاكم والبيهقى .
(٢) اخرجه احمد والاربعة والبزار والحاكم وحسنة والترمذى .

والدعاء له .. فاذا وصل القبر قام مسلما داعيا مستقبلا القبلة(١) بلا تمسح بالقبر ، ولا طواف حوله ولا دعاء صاحبه ، وقيل : يستقبل وجه الميت ، وهو قول الشافعي وكذا الكلام في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم .

ووضع اليد على القبر بدعة منكرة من عادة أهل الكتاب — كما قال أبو الليث — ويستحب للزائر أن يدنو من قبر صاحبه كما لو كان حيا وزاره وهو بالخيار ان شاء زار قائما ، وان شاء قعد ، كما يزور الرجل أخاه في الحياة ، ولا يستلم القبر ولا يقبله ، ومن قصد السلام على الميت سلم عليه من قبل وجهه ، واذا أراد الدعاء تحول عن موضعه واستقبل القبلة .

ومن الأدعية الواردة والمأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، أنتم فرطنا ونحن لكم تبع ، ونسأل الله لنا ولكم العافية »(٢) .

« السلام عليكم يا أهل القبور ، يغفر الله لنا ولكم ، أنتم سلفنا ونحن بالأثر »(٣) .

« السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد »(٤) :

مع ملاحظة تسمية المكان الذى تزوره اذا قرأت هذه الرواية .

« السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، أنتم لنا فرط ، وانا بكم لاحقون ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم »(٥) .

وقال أنس : مر رجل بالمقابر فقال : اللهم رب هذه الأرواح الفانية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحا(٦) منك وسلاما منا .. فاستغفر له من مات من لدن آدم(٧) .

---

(١) على المشهور عند الحنفيين .

(٢) أخرجه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه والبيهقى .

(٣) أخرجه الترمذى وحسنة .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) أخرجه ابن ماجه .

(٦) اى رحمة .

(٧) أخرجه ابن النجار .

ومن أجمل ما يروى من المواعظ فى هذا الموضوع هذه الآثار الغالية التى أرجو أن تنتفع بها :

قال عبد الله بن عقبة : عدت رجلا مريضا فلما قدمت عنده قلت : كيف تجدك ؟ .. فأنشد يقول :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى   غداة أقل الحاملون جنازتى
وعجل أهلى حفر قبرى وصيروا   خروجى وتعجيلى اليه كرامتى
كأنهم لم يعرفوا قط صورتى   غداة أتى يومى على وساعتى

وقال ثابت البنانى رحمه الله تعالى : دخلت المقابر لأزور القبور ، وأعتبر بالموتى ، وأتفكر فى البعث والنشور ، وأعظ نفسى لعلها ترجع عن الغى والغرور .. فوجدت أهل القبور صموتا لا يتكلمون ، وفرادى لا يتزاورون .. فأيست من مقالهم ، واعتبرت بأحوالهم .. فلما أردت الخروج اذ أبصرت من يقول لى : يا ثابت .. لا يغرنك صموت أهلها فكم فيها من نفس معذبة أو منعمة .

ويروى أن بعض المتعبدين أتى قبر صاحب له كان يألفه .. فوقف عند رأسه وأنشد يقول :

مالى مررت على القبور مسلما   قبر الحبيب فلم يرد جوابى
أحبيب مالك لا تجيب مناديا   أمللت بعدى خلة الأصحاب

قال : فهتف بى رجل من جانب القبر يقول لى :

قال الحبيب وكيف لى بجوابكم   وأنا رهين جنادل وتراب
أكل التراب محاسنى فنسيتكم   وحجبت عن أهلى وعن أصحابى
وتمزقت تلك الجلود صفائحا   يا طالما لبست رفيع ثياب
وتساقطت تلك الأنامل من يدى   ما كان أحسنها لخط كتاب
وتساقطت تلك الثنايا لؤلؤا   ما كان أحسنها لرد جواب
وتساقطت تلك العيون على الثرى   يا طالما نظرت بهم أحبابى

وقال مالك بن دينار رضى الله عنه : أتيت القبور على سبيل الزيارة والتذكار ، والتفكر فى الموت والاعتبار .. فتمنيت من يخبرنى عنهم خبرا ، أو يقص لى من آثارهم .. فقلت شعرا :

أتيت القبور فناديتها   فأين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه   وأين العزيز اذا ما افتخر

فرأيت رجلا بين القبور يرد على بقوله :

تفانوا جميعا فلا مخبر   وماتوا جميعا وأضحوا عبر

وســاروا الى ملك عــادل   عــزيز مطاع اذا ما أمر
فيا سائلي عن أناس مضــوا   أما لك فيمــ مضى معتبــر

قال مالك : فرجعت أبكي الدموع الغزار ، واعتبرت بذلك أي اعتبار .

ولأبي العتاهية :

أنلهــوا وأيامنــــا تذهب   ونلعب والموت لا يلعب ؟
عجبت لذي لعب قد لهــا   عجبت ومالي لا أعجب ؟
أيلهوا ويلعب من نفســه   تمــوت ومنزلــه يخــرب ؟
نرى كل ما ســاءنا دائما   على كل ما سرنا يغلب ؟
نرى الليل يطلبنا والنهار   ولم ندر أيهمــا أطلب ؟
أحاط الجديدان جمعا بنــا   فليس لنا عنهما مهرب ؟
وكل لــه مــدة تنقضي   وكل لــــه أثر يكتــب ؟

وكأني بالأرض تناديك في كل يوم بخمس كلمات فتقول :

يا ابن آدم .. تمشي على ظهري ومصيرك الى بطني .

يا ابن آدم .. تضحك على ظهري فسوف تبكي في بطني .

يا ابن آدم .. تفرح على ظهري فسوف تحزن في بطني .

يا ابن آدم .. تأكل الألوان على ظهري فسوف تأكلك الديدان في بطني .

يا ابن آدم .. تذنب على ظهري فسوف تعذب في بطني .

فاتعــظ منــه وأنذر   انه في الوعظ غايــة
واتخــذ ما فيه ذكرى   ان في هــذا كفايــة

* (واغسل الموتى فان معالجة جسد خاو موعظة بليغة)[١] :

وغسل الميت علاوة على ما في ذلك من العظة والاعتبار .. فرض كفاية على الأحياء .. اذا ما قام به البعض سقط عن الباقين .. والمفروض غسله مرة واحدة بحيث يعم بها جميع بدنه ، وأما تكرار غسله وترا فهو سنة .

ويشترط لفرضية غسل الميت شروط[٢] :

---

(١) اذا لم يتيسر لك هذا فاحرص على مشاهدة الغسل حتى لا تحرم من العظة والاعتبار وتخيل نفسك مكان الميت .

(٢) كما جاء في كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » طبعة وزارة الأوقاف ص ٤٦٢ .

الأول : أن يكون مسلما •• فلا يفترض تغسيل الكافر •• بل يحرم • وان كان يجوز ذلك عند الشافعية •• لأن غسل الميت للنظافة لا للتعبد •

الثانى : أن لا يكون سقطا •• فانه لا يفترض غسل السقط على تفصيل فى المذاهب :

١ ـــ قال الشافعية : ان السقط النازل قبل عدة تمام الحمل ـــ وهى ستة أشهر ولحظتان •• اما أن تعلم حياته فيكون كالكبير فى افتراض غسله ، واما أن لا تعلم حياته وفى هذه الحالة •• اما أن يكون قد ظهر خلقه فيجب غسله أيضا دون الصلاة عليه ، واما أن لا يظهر خلقه فلا يفترض غسله •• وأما السقط النازل بعد المدة المذكورة فانه يفترض غسله وان نزل ميتا ، وعلى كل حال فانه يسن تسميته بشرط أن تكون قد نفخت فيه الروح •

٢ ـــ وقال الحنفية : ان السقط اذا نزل حيا بأن سمع له صوت أو رؤيت له حركة وان لم يتم نزوله وجب غسله •• سواء أكان قبل تمام مدة الحمل أو بعده •

وأما اذا نزل ميتا •• فان كان تام الخلق فانه يغسل كذلك ، وان لم يكن تام الخلق بل ظهر بعض خلقه فانه لا يغسل الغسل المعروف ، وانما يصب عليه المـــاء ويلف فى خرقة •• وعلى كل حال فانه يسمى لأنه يحشر يوم القيامة •

٣ ـــ وقال الحنابلة : السقط اذا أتم فى بطن أمه أربعة أشـــهر كاملة ونزل وجب غسله ، وأما اذا نزل قبل ذلك فلا يجب غسله •

٤ ـــ وقال المـــالكية : اذا كان السقط محقق الحياة بعد نزوله بعلامة تدل على ذلك كالصراخ والرضاع الكثير الذى يقول أهل المعرفة انه لا يقع مثله الا ممن فيه حياة مستقرة وجب غسله ، والا كره •

الثالث : أن يوجد من جسد الميت مقدارا ولو كان قليلا •

قال الأحناف : لا يفرض الغسل الا اذا وجد من الميت أكثر البدن أو وجد نصفه مع الرأس •

وقال المـــالكية : لا يفترض غسل الميت الا اذا وجد ثلثا بدنه ولو مع الرأس فان لم يوجد ذلك كان غسله مكروها •

الرابع : ألا يكون شهيدا قتل فى اعلاء كلمة الله •• لقوله صلى

الله عليه وسلم فى قتلى أحد : « لا تغسلوهم فان كل جرح ــ أو كل دم ــ يفوح مسكا يوم القيامة »(١) •

ويقوم التيمم مقام غسل الميت عند فقد المــاء أو تعذر الغسل ، كأن مات حريقا ويخشى أن يتقطع بدنه اذا غسل بدلك أو بصب المــاء عليه بدون ذلك ، أما اذا كان لا يتقطع بصب المــاء فلا ييمم بل يغسل بصب المــاء بدون دلك •

وكيفية غسل الميت عند الأحناف(٢) :

يوضع الميت على شيء مرتفع ساعة الغسل ــ كخشبة الغسل ــ ثم يبخر حالة غسله ثلاثا أو خمسا أو سبعا •• بأن تدار المجمرة حول الخشبة ثلاث مرات أو خمسا أو سبعا ، ثم يجرد من ثيابه ما عدا ساتر العورة ، ويندب أن لا يكون معه سوى الغاسل ومن يعينه(٣) ، ثم يلف الغاسل على يديه خرقة ، يأخذ بها المــاء ، ويغسل بها قبله ودبره « الاستنجاء » ثم يوضأ ويبدأ فى وضوئه بوجهه لأن البدء بغسل اليدين انما هو للأحياء الذين يغسلون أنفسهم فيحتاجون الى تنظيف أيديهم ، أما الميت فانه يغسله غيره ، ولأن المضمضة والاستنشاق لا يفعلان فى غسل الميت ، ويقوم مقامهما تنظيف الأسنان والمنخرين بخرقة كما تقدم ، ثم يغسل رأسه ولحيته بمنظف كالصابون ونحوه • ان كان عليهما شعر، فان لم يكن عليهما شعر لا يغسلان كذلك •

ثم يضجع الميت على يساره ليبدأ بغسل يمينه ، فيصب المــاء على شقه الأيمن من رأسه الى رجليه ثلاث مرات حتى يعم المــاء الجانب الأسفل ، ولا يجوز كب الميت على وجهه لغسل ظهره بل يحرك من جنبه حتى يعمه المــاء •• وهذه هى الغسلة الأولى •• فاذا استوعبت جميع بدنه حصل بها فرض الكفاية ، أما السنة فانه يزاد على هذه الغسلة غسلتان أخريان •• وذلك بأن يضجع ثانيا على يمينه ثم يصب المــاء على شقه الأيسر ثلاثا بالكيفية المتقدمة ، ثم يجلسه الغاسل ويسنده اليه ، ويمسح بطنه برفق ويغسل ما يخرج منه •• وهذه هى الغسلة الثانية ، ثم يضجع بعد ذلك على يساره ويصب المــاء على

---

(١) رواه أحمد •

(٢) كما جاء فى كتاب « الفقه على المذاهب الأربعة » طبعة وزارة الأوقاف ص ٤٧٠

(٣) أو رجل صالح يرجى بركته •

يمينه ثلاثا بالكيفية المتقدمة .. وهذه هى الغسلة الثالثة .. وتكون الغسلتان الاوليان بماء ساخن مصحوب بمنظف كورق النبق والصابون .. اما الغسلة الثالثة فتكون بماء مصحوب بكافور ثم بعد ذلك يجفف الميت ويوضع عليه الطيب كما تقدم .

هـذا ولا يشترط لصحة الغسل نية ، وكذلك لا يشترط النية لاسقاط فرض الكفاية على التحقيق .. انما يشترط النية لتحصيل الثواب على القيام بفرض الكفاية .. وخلاصة القول فى غسل الميت أن[1] :

الواجب فى غسل الميت أن يعمم بدنه بالماء مرة واحدة ولو كان جنبا أو حائضا ، والمستحب فى ذلك أن يوضع الميت فوق مكان مرتفع ويجرد من ثيابه[2] ، ويوضع عليه ساتر يستر عورته ما لم يكن صبيا ، ولا يحضر عند غسله الا من تدعو الحاجة الى حضوره ، وينبغى أن يكون الغاسل ثقة أمينا صالحا لينشر ما يراه من خير ، ويستر ما يظهر له من الشر .

فعند ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليغسل موتاكم المأمون » .

وتجب النية عليه .. لأنه هو المخاطب بالغسل[3] ثم يبدأ فيعصر بطن الميت عصرا رقيقا لاخراج ما عسى أن يكون بها ، ويزيل ما على بدنه من نجاسة على أن يلف يده خرقة يمسح بها عورته فان لمس العورة حرام ، ثم يوضئه وضوء الصلاة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ابدأ بميامنها ومواضع الوضوء منها » ولتجديد سمة المؤمنين فى ظهور أثر الغرة والتحجيل ، ثم يغسله ثلاثا بالماء والصابون ، أو الماء القراح مبتدئا باليمين فان رأى الزيادة على الثلاث يعدم حصول الانقاء بها أو لشىء آخر غسله خمسا أو سبعا .

ففى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اغسلنها وترا : ثلاثا ، أو خمسا ، أو سبعا ، أو أكثر من ذلك ان رأيتن »[4] .

فاذا كان الميت امرأة ندب نقض شعرها وغسله واعادة تضفيره

---

(١) كما جاء فى الجزء الثانى من كتاب « فقه السنة » ص ٧٣

(٢) راى الشافعى أن يغسل فى قميصه أفضل اذا كان رقيقا لا يمنع وصول الماء الى البدن .

(٣) ولا يشترط التلفظ بالنية .

(٤) رواه البخارى .

وارساله خلفها ، ففى حديث أم عطية أنهن جعلن رأس ابنة النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة قرون قلت : نقضنه وجعلنه ثلاثة قرون (١) ؟ قالت : نعم .

فاذا فرغ من غسل الميت جفف بدنه بثوب نظيف لئلا تبتل أكفانه ، ووضع عليه الطيب ، واذا خرج من بطنه حدث بعد الغسل وقبل التكفين يجب غسل ما أصابه من نجاسة ، واختلفوا فى اعادة طهارته فقيل : لا يجب(٢) ، وقيل : يجب الوضوء ، وقيل : اعادة الغسل .

وقال جمهور العلماء : يكره تقليم أظافر الميت وأخذ شىء من شعر شاربه أو ابطه أو عانته .. وان كان هناك من جوز ذلك كابن حزم .

مع ملاحظة أنه :

اذا ماتت المرأة بين الرجال الأجانب عنها ، واذا مات الرجل بين النساء الأجنبيات عنه .. فانهما ييممان ويدفنان .. وتلك هى اجابة المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن ذلك فقال :

« اذا ماتت المرأة مع الرجال ، ليس معهم امرأة غيرها والرجل مع النساء ، ليس معهن رجل غيره ، فانما ييممان ويدفنان ، وهما بمنزلة من لم يجد المـــاء »(٣) .

وييمم المرأة ذو رحم منها بيده ، فان لم يوجد ييممها رجل أجنبى بخرقة يلفها على يده .. هذا مذهب أبى حنيفة وأحمد .

وعند مالك والشافعى : ان كان بين الرجال ذو محرم منها غسلها لأنها كالرجل بالنسبة اليه فى العورة والخلوة .

وكيفية التيمم أن يمسح بوجهها وكفيها من الصعيد (التراب) .

واذا هلك الرجل ، وليس معه أحد الا نساء يممنه أيضا .

ويرى بعضهم كابن حزم وغيره أنه اذا مات رجل بين نساء لا رجل معهن أو امرأة بين رجال لا نساء معهم غسل النساء الرجل وغسل الرجال المرأة على ثوب كسيف ، ويصب المـــاء على جميع الجسد دون مباشرة اليد(٤) .

ولا يجوز عندهم أن يعوض بالتيمم عن الغسل الا عند فقد المـــاء .

---

(١) قرون : أى ضفائر .

(٢) هذا مذهب الأحناف والشافعية ومالك .

(٣) رواه أبو داوود فى مراسيله والبيهقى عن مكحول .

(٤) راجع « فقه السنة » ج ٤ ص ٧٨

كما أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن تغسل المرأة الصبى الصغير كما قال ابن المنذر •

* (وصل على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فان الحزين فى ظل الله يتعرض كل خير) :

وهى فرض كفاية لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ولمحافظة المسلمين عليها •

وقد روى الجماعة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من تبع جنازة وصلى عليها فله قيراط ، ومن تبعها حتى يفرغ منها فله قيراطان ، أصغرهما مثل أحد — أو أحدهما مثل أحد — »(١) •

وروى مسلم عن خباب رضى الله عنه قال : يا عبد الله بن عمر •• ألا تسمع ما يقول أبو هريرة ؟ انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر ، كل قيراط مثل أحد ، ومن صلى عليها ثم رجع كان له مثل أحد » •

فأرسل ابن عمر رضى الله عنهما خبابا الى عائشة يسألها عن قول أبى هريرة ثم يرجع اليه فيخبره ما قالت •• فقال : قالت عائشة : « صدق أبو هريرة » فقال ابن عمر رضى الله عنهما : لقد فرطنا فى قراريط كثيرة •

فحتى لا يفوتك هذا الخير العظيم ، وحتى لا تحرم من هذه القراريط الكثيرة صل على الجنائز •• بشرط أن تكون طاهرا من الحدث الأكبر والأصغر مستقبلا القبلة ، ساترا للعورة •• وهى تصلى فى جميع الأوقات متى حضرت ، حتى فى أوقات النهى(٢) خلافا لبعضهم(٣) الا ان خيف عليها التغير •

وكيفية صلاة الجنازة(٤) أن يقف المصلى بعد استكمال شروط الصلاة ناويا الصلاة على من حضر من الموتى ، رافعا يديه مع تكبيرة

---

(١) رواه الجماعة وهم البخارى ومسلم وأبو داوود والنسائى وابن ماجه والترمذى وأحمد •

(٢) عند الأحناف والشافعية •

(٣) وهم أحمد وابن المبارك واسحاق •

(٤) كما جاء فى كتاب « فقه السنة » ج ٤ ص ٩٥ بتصرف •

الاحرام ، ثم يضع يده اليمنى على اليسرى ويشرع فى قراءة الفاتحة ، ثم يكبر ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم يكبر ويدعو للميت ، ثم يكبر ويدعو ، ثم يسلم •

ومن السنة أن يقوم الامام حذاء رأس الرجل ، ووسط المرأة لحديث أنس رضى الله عنه أنه صلى على جنازة فقام عند رأسه فلما رفعت أتى بجنازة امرأة فصلى عليها فقام وسطها • فسئل عن ذلك وقيل له : هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الرجل حيث قمت ، ومن المرأة حيث قمت ؟ قال : نعم(١) • واذا اجتمع أكثر من ميت واحد وكانوا ذكورا أو اناثا صفوا واحدا بعد واحد بين الامام والقبلة ليكونوا جميعا بين يدى الامام ، ووضع الأفضل مما يلى الامام ، ويصلى عليهم جميعا صلاة واحدة •• وان كانوا رجالا ونساء جاز أن يصلى على الرجال وحدهم ، والنساء وحدهن ، وجاز أن يصلى عليهم جميعا وصفت الرجال أمام الامام ، وجعلت النساء مما يلى القبلة ، واذا صلى على الصبى مع امرأة كان الصبى مما يلى الامام ، والمرأة مما يلى القبلة(٢) ، ويستحب أن يصف المصلون على الجنازة ثلاثة صفوف •• أقل صف اثنان ، وأن تكون مستوية ، كما يستحب تكثير جماعة الجنازة •

وتجوز الصلاة على الميت بعد الدفن فى أى وقت ولو صلى عليه قبل دفنه كما يجوز الصلاة على الغائب فى بلد آخرى قريبا أم بعيدا ، ومن سبق فى صلاة الجنازة بشىء من التكبير استحب له أن يقضيه متتابعا فان لم يقض فلا بأس •

فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : يا رسول الله •• انى أصلى على الجنازة ويخفى على بعض التكبير •• قال : « ما سمعت فكبرى ، وما فاتك فلا قضاء عليك » هذا صريح ولأنها تكبيرات متواليات فلا يجب ما فاته منها كتكبيرات العيدين ، واتفق الفقهاء على أن يصلى على المسلم ذكرا كان أم أنثى ، صغيرا كان أم كبيرا « والسقط يصلى عليه ويدعى لوالديه بالمغفرة والرحمة »(٣) واذا أتى عليه أربعة أشهر

---

(١) رواه أحمد وأبو داوود وابن ماجه والترمذى وحسنه وهو صحيح •

(٢) وان كان فيه رجال ونساء وصبيان كان الصبيان مما يلى الرجال •

(٣) من حديث رواه أحمد •

فصاعدا أو استهل(١) غسل وصلى عليه باتفاق ، أما اذا لم يأت عليه أربعة أشهر فانه لا يغسل ولا يصلى عليه ، ويلف فى خرقة ، ويدفن من غير خلاف بين جمهور الفقهاء .. والشهداء ، فقد ورد أن يصلى عليهم ، وورد عكس هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والصواب فى المسألة أنه مخير بين العمل والترك ، ومن قتل فى حد(٢) غسل وصلى عليه .

ويصلى على كل مسلم .. بر أو فاجر ، وكذلك المبتدع ما لم يبلغ حد الكفر ، وعلى من قتل نفسه وعلى من قتل غيره ما دام قد مات مسلما مهما كان شره ، ولا يصلى على كافر .

مع ملاحظة أن أركان صلاة الجنازة التى لا تقبل الا بها هى :

النية لقول الله تعالى : « **وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء** »(٣) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى »(٤) : ومحلها القلب والتلفظ ليس مشروعا بها .

القيام للقادر عليه . وهو ركن عند الجمهور .. فلا تصح الصلاة على الميت لمن صلى عليه راكبا أو قاعدا من غير عذر .. وهذا قول أبى حنيفة والشافعى وأبى ثور ، ويستحب أن يقبض بيمينه على شماله أثناء القيام كما يفعل فى الصلاة ، وقيل : لا .. والأول أولى .

والتكبيرات الأربع : لما رواه البخارى ومسلم عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى على النجاشى فكبر أربعا .. قال الترمذى : والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهم يرون التكبير على الجنازة أربع تكبيرات(٥) .. والسنة عدم رفع اليدين فى صلاة الجنازة الا فى الأولى .. أى فى التكبيرة الأولى فقط لأنه لم يشرع فى غيرها كما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وقراءة الفاتحة سرا ، والصلاة والسلام على الرسول صلى الله

---

(١) استهل : أى سمع له صوت أو عطاس .
(٢) كحد الزنا أو القتل . (٣) البينة : ٥.
(٤) أخرجه البخارى ومسلم .
(٥) وهو قول سفيان ومالك وابن المبارك والشافعى وأحمد واسحاق =

عليه وسلم فقد روى الشافعى فى سنده عن أبى أمامة بن سهل أنه أخبره رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أن السنة فى الصلاة على الجنازة أن يكبر الامام ، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرا فى نفسه ، ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ويخلص للدعاء فى التكبيرات ، ولا يقرأ فى شىء منهن ، ثم يسلم سرا فى نفسه .. قال فى « الفتح » : واسناده صحيح .

ومذهب أبى حنيفة ومالك رضى الله عنهما أنهما — أى الفاتحة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم — ليسا ركنين فى صلاة الجنازة .

ويسن للامام أن يجهر بالتكبير والتسليم للاعلان عند الجمهور .

والصيغة الواردة فى الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم فى صلاة الجنازة هى :

« اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد »(١) . ولو قال : « اللهم صل على محمد » لكفى .. ولا مانع أن يصلى على الرسول صلى الله عليه وسلم بأية صيغة ، والدعاء بالوارد أفضل .

والدعاء للميت ركن باتفاق الفقهاء لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء »(٢) .

ويتحقق بأى دعاء مهما قل ، والمستحب فيه أن يدعو بأية دعوة من الدعوات المـأثورة الآتية :

قال أبو هريرة : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة على الجنازة فقال : « اللهم أنت ربها ، وأنت خلقتها ، وأنت رزقتها ، وأنت هديتها للاسـلام ، وأنت قبضت روحها ، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها ، جئنا شفعاء له ، فاغفر له ذنبه »(٣) .

وعن واثلة بن الأسقع قال : صلى بنا النبى صلى الله عليه وسلم على رجل من المسلمين فسمعته يقول : « اللهم ان فلان بن فلان فى ذمتك

---

(١) اخرجه احمد ومسلم والنسائى والترمذى وصححه .

(٢) رواه أبو داوود والبيهقى وابن حبان وصححه .

(٣) رواه أحمد وأبو داوود .

وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار ، وأنت أهل الوفاء والحق ، اللهم فاغفر له وارحمه فانك أنت الغفور الرحيم »[١] ٠

وعن عوف بن مالك قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم — وقد صلى على جنازة — يقول : « اللهم اغفر له وارحمه ، واعف عنه وعافه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بماء وثلج وبرد ، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيرا من داره ، وأهلا خيرا من أهله ، وزوجا خيرا من زوجه ، وقه فتنة القبر وعذاب النار »[٢] ٠٠ واذا كان المصلى عليه طفلا استحب أن يقول : « اللهم اجعله لنا سلفا وفرطا وذخرا »[٣] ٠

ويستحب الدعاء بعد التكبيرة الرابعة وان كان المصلى دعا بعد التكبيرة الثالثة لما رواه أحمد عن عبد الله بن أبى أوفى أنه ماتت له ابنة فكبر عليها أربعا ، ثم قام بعد الرابعة قدر ما بين التكبيرتين يدعو ، ثم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فى الجنازة هكذا ٠٠ وقال الشافعى يقول بعدها : « اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده » ٠

والسلام ٠٠ وهو متفق على فرضيته بين الفقهاء ما عدا أبا حنيفة فانهما — أى التسليمتين — واجبتان عنده وليستا ركنين ٠٠ وأقله : السلام عليكم ، أو سلام عليكم ٠

ولا بأس بالصلاة على الميت فى المسجد اذا لم يخش تلويثه ٠٠ لما يروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سهيل بن بيضاء الا فى المسجد[٤] ٠٠ وصلى الصحابة على أبى بكر وعمر فى المسجد بدون انكار من أحد لأنها صلاة كسائر الصلوات ، وأما كراهة ذلك عند مالك وأبى حنيفة فقد استدلا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى على جنازة فى المسجد فلا شىء له »[٥] ٠٠ قال أحمد بن حنبل : هذا حديث ضعيف تفرد به صالح مولى التوأمة ، وهو ضعيف ٠

وصحح العلماء هذا الحديث فقالوا : ان الذى فى النسخ الصحيحة المشهورة من سنن أبى داوود بلفظ : « فلا شىء عليه » أى من الوزر ٠٠

---

(١) رواه أحمد وأبو داوود ٠ (٢) رواه مسلم ٠

(٣) رواه البخارى والبيهقى من كلام الحسن ٠

(٤) رواه مسلم ٠ (٥) أى لا شىء له من الثواب ٠

وكانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم غالبا على الميت خارج المسجد الا لعذر ، وربما صلى أحيانا على الميت داخل المسجد كما صلى على ابن بيضاء .. وكلا الأمرين جائز ، والأفضل الصلاة عليها خارج المسجد — كما قال ابن القيم — وكره الجمهور الصلاة على الجنازة فى المقبرة بين القبور ، وفى رواية لأحمد : أنه لا بأس بها ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم صلى على قبر[١] وهو فى المقبرة وصلى أبو هريرة على عائشة وسط قبور البقيع ، وحضر ذلك ابن عمر وفعله عمر ابن عبد العزيز .

ويجوز للمرأة أن تصلى على الجنازة مثل الرجال ، سواء صلت منفردة أو صلت مع الجماعة .. فقد انتظر عمر أم عبد الله حتى صلت على عتبة ، وأمرت عائشة بأن يؤتى بسعد بن أبى وقاص لتصلى عليه .

وقال مالك : يصلين فرادى .. وقال الثورى : وينبغى أن تسن لهن الجماعة كما فى غيرها[٢] .

وأولى الناس بالصلاة على الميت وأحقهم : الوصى ، ثم الأمير ، ثم الأب وان علا ، ثم الابن وان سفل ، ثم أقرب العصبة .. والى هذا ذهبت المالكية والحنابلة .

وقيل : الأولى الأب ، ثم الجد ، ثم الابن ، ثم ابن الابن ، ثم الأخ ، ثم ابن الأخ ، ثم العم ، ثم ابن العم .. على ترتيب العصبات .. وهذا مذهب الشافعى وأبى يوسف .

ومذهب أبى حنيفة ومحمد بن الحسن أن الأولى : الوالى ان حضر ، ثم القاضى ، ثم امام الجهة ، ثم ولى المرأة الميتة ، ثم الأقرب فالأقرب على ترتيب العصبة ، الا الأب فانه يقدم على الابن اذا حضر .

* * *

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قبر رطب فصلى وصفوا خلفه وكبر اربعا . اخرجه البخارى ومسلم واحمد .

(٢) وبه قال الحسن بن صالح وسفيان الثورى واحمد والاحناف .

الوَصيّة الثامِنة

عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال : صلى بنا رســـول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل :

يا رســـول الله .. كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا ؟ فقال :

« أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا . فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » .

(اخرجه احمد وابو داوود وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقى والترمذى وقال : حسن صحيح) .



فكن أخا الاسلام :

كأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يتأثرون بالمواعظ النافعة التى كانوا يستمعون اليها من مربيهم ومنقذهم صلوات الله وسلامه عليه لدرجة أنهم كانوا اذا جلسوا بين يديه كنت تراهم منصتين كأن على رؤوسهم الطير .

والسبب فى ذلك هو حبهم له واقتناعهم به صلى الله عليه وسلم ، ولهذا عندما انتقل الى الرفيق الأعلى حدث أن كان هناك حزن شديد فى قلوب هؤلاء الأصحاب بصورة لا يمكن لكاتب أن يصورها أو يتصورها .. وفى هذا يقول أحدهم :

لقد عظمت مصيبتنا وجلت عشية قيل قد قبض الرسولُ
فقدنا الوحىَ والتنزيلَ فينا يروح به ويغدو جبرائيل[1]
نبى كان يجلو الشكَّ عنا بما يوحى اليه وما يقولُ

---

(١) وهو أمين الوحى جبريل عليه السلام .

ونستطيع الآن أن نتصور لمـاذا تأثر الأصحاب بموعظة الرسول صلى الله عليه وسلم التى ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب بصورة فاقت جميع المواعظ السابقة •• الأمر الذى جعلهم يشعرون بهذا الاحساس المؤلم وهو قرب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا وقلوبهم تتمزق : يا رسول الله •• كأن هذه موعظة مودع •• ثم طلبوا منه ان صح توقعهم أن يزودهم بوصية تكون نصب أعينهم حتى يلتقوا به تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل الا ظله فقالوا : فماذا تعهد الينا ؟ فقال :

* (أوصيكم بتقوى الله) :

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بدأ بتقوى الله فتلك كانت عادته فى أغلب وصاياه •• لأن تقوى الله تعالى كما قرأت سابقا هى رأس الأمر كله •• وهى وصية الله تعالى التى أوصانا بها كما أوصى الذين أوتوا الكتاب من قبلنا فقال تعالى :

« ولقـــد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله »(١) ولأهمية التقوى ذكرها الله تعالى فى آيات عديدة فى محكم كتابه ، كما ذكرها مرتين فى آية واحدة فقال تعالى :

« •• اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ، واتقوا الله »(٢) •

وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم يقول الله عز وجل : يا أيها الناس •• انى جعلت لى نسبا وجعلتم لكم نسبا •• فوضعتم نسبى ورفعتم نسبكم •• قلت : **« ان أكرمكم عند الله أتقاكم »**(٣) ، وأبيتم الا فلان بن فلان •• فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى •• أين المتقون •• ؟ فينصب للمتقين لواء فيتبعون لواءهم فيدخلون الجنة بغير حساب »(٤) •

وقال أكثر المفسرين فى قوله تعالى : **« ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب »**(٥) : انها نزلت فى عوف بن عوف ابن مالك الأشجعى •• أسر المشركون ابنا له يسمى سالمـــا •• فأتى

---

(١) النساء : ١٣١ (٢) الحشر : ١٨

(٣) الحجرات : ١٣

(٤) رواه الطبرانى فى « الأوسط » و « الصغير » والبيهقى مرفوعا وهو حسن صحيح .

(٥) الطلاق : ٢ ، ٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا الفاقة اليه وقال : ان العدو أسر ابنى وجزعت الأم فبماذا تأمرنا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « اتق الله واصبر ، وآمرك واياها أن تكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » . فعاد لبيته وقال لامرأته : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى واياك أن نكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .. قالت : فنعم ما أمرنا به .. فجعلا يقولانها فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى أبيه وهى أربعة آلاف شاة فنزلت الآية المذكورة[١] .

فاتق الله أخا الاسلام حتى تصل الى الله .

واتق الله فتقـــوى الله ما   جاورت قلب امرىء الا وصل

وحتى تكون بطلا من أبطال الاسلام كما يقول القائل :

ليس من يقطع طـرقا بطلا   انمــا من يتق الله البطــل

واحذر أن تكون كهذا الذى : « .. **اذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم** »[٢] حتى لا يكون حسبك جهنم مثله .

فمن الخير لك أن تكون تقيا « **ولباس التقوى ذلك خير** »[٣] .

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى   تقلب عريانا ولو كان كاسيا

وخير لباس المرء طاعة ربه   ولا خــير فيمن كان لله عاصيا

* (والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا) :

وفى ذلك يقول تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** »[٤] .

فطاعة الأمير واجبة .. لأنها أمر من الله تعالى بشرط أن تكون فى طاعة الله والا فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق .. وهذا هو ما قاله الصديق رضى الله تعــالى عنه بعد أن أصبح خليفة لرســول الله صلى الله عليه وسلم .. قال فى خطبته : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله .. فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم »[٥] وقال فى خطبة أخــرى : « ان استقمت فتابعونى ، وان زغت فقومونى »[٦] ..

---

(١) رواه ابن جرير مرسلا .   (٢) البقرة : ٢٠٦ بلفظ « **واذا** » .

(٣) الأعراف : ٢٦   (٤) النساء : ٥٩

(٥) رواه ابن كثير فى « البداية » وقال : هذا اسناد صحيح .

(٦) رواه ابن كثير فى « البداية » والطبرى فى تاريخه .

ثم بعد ذلك تنبأ الرسول صلوات الله وسلامه عليه بما سيحدث بعده من تغيرات واختلافات •• فقال وكأنه يرى •• بل وهو يرى :

❋ (فانه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا) :

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم •• فها نحن نرى الآن فى زماننا هذا ما يؤكد كلامه وتنبؤاته ، وما توقعته السيدة صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها عندما قالت ترثيه :

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيمـا هاديا ومعلما ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكى النبى لفقـده ولكن لما أخشى من الهرج آتيا

وها هو الهرج قد جاء فعلا •• صلاة متروكة ، وزكاة ممنوعة ، وقرآن مهجور ، وتبرج ممقوت ، ونساء وفتيات فى الأسواق والمنتديات على الدين خارجات ، وارتكاب لكل أنواع الموبقات •

بل وزادت المصيبة عنـدما تخنفس بعض الشباب حتى أصبح كالاناث المستهترات •• بل أشد •• ولا حول ولا قوة الا بالله •• ويا أرض ابلعى •

قد تعـدى بنو الزمان وصاروا فى زوايا طغيانهم يعمهـون
واستحلوا ما يغضب الله جهـرا وعلى ما يرضى الورى عاكفون
لا يرى جمعهم بغير نفـاق أو شـقاق أو ذم عرض مصون
فاصطبر صاح ان تكن فى ارتياب ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون

وكأنى بالأصحاب رضـوان الله عليهم عندما حدثهم الرسـول صلى الله عليه وسـلم عن هذا الزمان المريض وقد قالوا متسائلين ومشفقين : وماذا نفعل ان أدركناه ؟ فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ولمن سيأتى بعدهم من أبناء الزمان الذى أدركناه :

❋ (فعليكم بسنتى) :

وهى بايجاز : اتباعه صلى الله عليه وسلم فى جميع أقواله وأفعاله ، والتأسى به فى سائر أحواله •• قال تعالى : **« وما آتاكم الرسـول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »**(١) •• وقال : **« وأطيعوا الله وأطيعوا الرسـول »**(٢) •• وقال : **« من يطع الرسول فقد أطاع الله »**(٣) وقـال : **« وان تطيعوه تهتـدوا »**(٤) ولن تكون صادقا فى حبـك

---

(١) الحشر : ٧
(٢) المـائدة : ٩٢
(٣) النساء : ٨٠
(٤) النور : ٥٤

لله الا اذا اتبعت الرسول صلى الله عليه وسلم •• فقد قال الله تعالى فى ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** »(١) •• كما أشار الله تعالى الى هذا فى كتابه العزيز •

وروى الحاكم عنه صلى الله عليه وسلم أنه خطب فى حجة الوداع فقال : « ان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم •• ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا •• انى تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا •• كتاب الله وسنة نبيه »(٢) •

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بنى ان قدرت أن تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لأحد فافعل » • ثم قال : « يا بنى وذلك من سنتى ومن أحب سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة »(٣) •

وقال صلى الله عليه وسلم : « من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر مائة شهيد »(٤) •

❋ (وسنة الخلفاء الراشدين المهديين) :

وهم سيدنا أبو بكر ، وسيدنا عمر ، وسيدنا عثمان ، وسيدنا على •• رضى الله تعالى عنهم أجمعين •• لأنهم ساروا على طريقته ، واقتفوا أثره ، ولم يخرجوا عن صراطه المستقيم الذى خطه لهم ولغيرهم من المؤمنين والمؤمنات الى قيام الساعة •

يقول سيدنا أبو بكر رضى الله تعالى عنه : « لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به •• انى أخشى ان تركت شيئا من أمره أن أزيغ »(٥) •

وروى الطبرانى والبيهقى عن عابس بن ربيعة قال : رأيت عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقبل الحجر — يعنى الأسود — ويقول : « انى أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك » متفق عليه •

---

(١) آل عمران : ٣١ (٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن •
(٣) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد •
(٤) رواه الطبرانى والبيهقى • (٥) اخرجه البخارى •

ويقول سيدنا على رضى الله تعالى عنه : « لم أكن أدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس »[١] • وقال : « انى لست بنبى ولا يوحى الى •• ولكنى أعمل بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت » • وخلاصة القول فى هذا ما قاله عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه وهو ما يسمى بخامس الخلفاء الراشدين لسيره على منوالهم عليه وعليهم رضوان الله •• يقول : (سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور ـ يعنى الخلفاء الراشدين ـ بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله ـ أى حيث قال : **« وما آتاكم الرسول فخذوه »**[٢] (واستعمال لطاعة الله) ـ أى فى طاعة رسوله ـ لقوله تعالى : **« من يطع الرسول فقد أطاع الله »**[٣] •

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى » (وقوة على الدين) ـ أى على كمال ملته وجمال شريعته ـ (ليس لأحد تغييرها) ـ بزيادة أو نقصان فيها ـ (ولا تبديلها) ـ بغيرها ظنا أنه أحسن منها ـ (ولا النظر فى رأى من خالفها ، ومن اقتدى بها فهو مهتد ، ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا) •

ومن هنا كان ولابد أن نتمسك بها ؛ ونعض عليها بالنواجذ ـ وهى الأضراس ـ وقيل : الأنياب •• والمراد بالعض : المسك بجميع الفم ، والنهش : المسك بمقدم الأسنان ، فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول : الزموا السنة واحرصوا عليها كما يحرص العاض على الشىء بنواجذه خوفا من ذهابه وتفلته •• ثم يحذر المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أصحابه وجميع المؤمنين الى قيام الساعة بقوله :

* (واياكم ومحدثات الأمور) :

وذلك حين يصير المعروف منكرا والمنكر معروفا ، وتصير السنة بدعة والبدعة سنة •• وحسبنا ردعا وكرها للبدعة قول الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك : « فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » ، والبدعة : ما أحدث على خلاف الحق المتلقى عن رسول الله صلى الله

---

(١) أخرجه مسلم .
(٢) الحشر : ٧
(٣) النساء : ٨٠ .

عليه وسلم ، وجعل دينا قويما ، وصراطا مستقيما .. وتلك ضلالة ما بعدها ضلالة[١] .

وقد ورد : « وكل ضلالة فى النار » فـ **« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها النـاس والحجارة عليهـا ملائكة غلاظ شـداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعـلون ما يؤمرون »**[٢] . وتمسكوا بسنة حبيبكم صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول : « كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى » .. قالوا : يا رسول الله .. ومن يأبى ؟ قال : « من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى »[٣] .



---

(١) راجع الموضوع فى كتاب « الابداع فى مضار الابتداع » للشيخ على محفوظ رحمه الله .

(٢) التحريم : ٦

(٣) رواه البخارى .

الوصية التاسعة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها : أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكرا ، ونطقى ذكرا ، ونظرى عبرا » .

(رواه رزين)

* * *

فكن أخا الاسلام :

* (مخلصا فى السر والعلانية) :

حتى تكون مع المؤمنين .. وفى ذلك يقول سبحانه : **« الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين ، وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما »**[1] .

وحتى تنفذ أمر الله تعالى فى قوله : **« وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء »**[2] .

وهذا ما أمر به الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول على لسان ربه : **« قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين »**[3] .

واعلم أن الاخلاص كما ورد فى وصفه : « سر بين العبد وربه » وكما يقول أحد الصالحين هو : « ما لا يكتبه الملكان ، ولا يفسده الشيطان ، ولا يطلع عليه الانسان » وكلما كان العمل بعيدا عن الرياء والسمعة كان مقبولا .. ولهذا يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم فى حديث شريف : **« قال الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك .. فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء وهو للذى أشرك »**[4] .

وعن أبى سعيد بن أبى فضالة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ليوم

---

(1) النساء : ١٤٦
(2) البينة : ٥
(3) الزمر : ١١
(4) رواه ابن ماجه ورواته ثقات .

لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك فى عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عنده، فان الله أغنى الشركاء عن الشرك »[١] •

وفى الحديث : « ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم »[٢] • ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى •• فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه »[٣] •

وحسبى أيها الأخ المسلم أن أذكرك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك[٤] حتى استشهدت •• قال : كذبت •• ولكنك قاتلت لأن يقال فلان جرىء ، فقد قيل •• ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها •• قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمت وقرأت فيك القرآن • قال : كذبت •• ولكنك تعلمت ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء •• فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها • قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك • قال : كذبت •• ولكنك فعلت ليقال هو جواد • فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار »[٥] •

فاذكر ذلك جيدا ، وكن من المخلصين فى أعمالهم والا كان للشيطان سلطان عليك وحرمت ثواب أعمالك •

* (وكن عادلا فى الرضا والغضب) :

والا فقدت رصيدك من الحسنات يوم القيامة ثم طرحت فى النار

---

(١) رواه الترمذى وابن حبان والبيهقى وهو حسن أو صحيح .
(٢) رواه مسلم . (٣) رواه البخاري ومسلم .
(٤) اى فى سبيلك .
(٥) رواه مسلم والنسائى والترمذى وحسنه وابن ماجه .

بسبب ظلمك وأكلك أموال الناس بالباطل كما ثبت فى حديث يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « أتدرون من المفلس » ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع .. فقال : « ان المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة .. ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا .. فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته .. فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار »[1] فلا تظلم من أجل ذلك أحدا ، و « ... اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب »[2] و « انصر أخاك ظالما او مظلوما » .. فقال رجل : يا رسول الله .. أنصره اذا كان مظلوما .. أفرأيت ان كان ظالما كيف أنصره ؟ قال : « تحجزه — أو تمنعه — عن الظلم فان ذلك نصره »[3] واحذر أن تظلم أحدا فى رضاك أو غضبك حتى لا تدخل فى قوله تعالى : **« ان الظالمين لهم عذاب أليم »**[4] ولا تنس هذا الحديث الشريف :- « ان الله يملي للظالم فاذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ : **« وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ، ان أخذه أليم شديد »**[5] .

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا فالظلم ترجع عقباه الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

ولا تنس قول الله تعالى : **« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون »**[6] .

❋ (واقتصد فى غناك وفقرك) :

حتى لا تكون من المسرفين الذين لا يحبهم الله .. لأنه سبحانه **« لا يحب المسرفين »**[7] كما يقول تعالى فى كتابه العزيز : **« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا »**[8] ، **« ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين »**[9] .

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه البخارى . (٤) ابراهيم : ٢٢
(٥) رواه البخارى ومسلم ، والآية من سورة هود : ١٠٢
(٦) النحل : ٩٠ (٧) الأعراف : ٣١
(٨) الاسراء : ٢٩ (٩) الاسراء : ٢٦ ، ٢٧

وقد ورد فى الحديث : « ما عال من اقتصد »(١) وفى الحديث الشريف أيضا : « ثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات .. فأما المنجيات : فالعدل فى الغضب والرضا ، وخشية الله فى السر والعلانية ، والقصد فى الغنى والفقر .. وأما المهلكات : فشح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه »(٢) .

وقال بعض الحكماء : صديق الرجل قصده ، وعدوه سرفه .

وروى أن أعرابيا قال لابن عباس رضى الله تعالى عنهما : ان العرب تقول : حب التناهى شطط ، خير الأمور الوسط .. فهل هذا موجود فى القرآن ؟ قال : نعم فى أربعة مواضع : فى قوله تعالى فى وصف بقرة موسى : **« قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ، قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك »**(٣) أى وسط بين الكبر والصغر فى السن . وفى قوله تعالى : **« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط »**(٤) أى فتوسط بين الأمرين فى الانفاق .

وفى قوله تعالى : **« ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا »**(٥) وهذا السبيل هو الوسط فى القراءة .

وفى قوله تعالى فى مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين : **« والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »**(٦) . أى وسطا فى المعيشة .

فكن من المقتصدين فى الرخاء والشدة ، فالاقتصاد كما ورد : « نصف المعيشة »(٧) ولا تكن كهذا الذى يقول :

وكان المـال يأتينـا فكنا نبذره وليس لنـا عقول
فلما أن تولى المـال عنا عقلنا حين ليس لنا فضول

* (واعف عمن ظلمك) :

حتى تكون من **« العافين عن الناس »**(٨) و **« خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »**(٩) .

---

(١) رواه أحمد والطبرانى .
(٢) رواه البزار والبيهقى وغيره .
(٣) البقرة : ٦٨
(٤) الاسراء : ٢٩
(٥) الاسراء : ١١٠
(٦) الفرقان : ٦٧
(٧) رواه الديلمى فى « مسند الفردوس » .
(٨) آل عمران : ١٣٤ بلفظ « **والعافين** » .
(٩) الأعراف : ١٩٩

وحسبك أن تتذكر موقف الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الفتح الأكبر عندما دخل مكة فى عشرة آلاف من جند الله ، وبعد أن حطم الأصنام ، وأذن بلال ، وقف أمام الكعبة .. فرأى أهل مكة الذين طردوه ، وأخرجوه من بلده ، ومن بين أهله وعشيرته ، يرتعدون أمامه .. لأنهم ظنوا أن محمدا سيفتك بهم فى هذا اليوم .. ولكنه صلى الله عليه وسلم كان كما وصفه الله تعالى : « **رحمة للعالمين** »[١] فقد نظر اليهم ثم قال لهم :

« ما تظنون أنى فاعل بكم » ؟ قالوا : خيرا .. أخ كريم ، وابن أخ كريم .. فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء « **لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين** »[٢] .

فكانت النتيجة لذلك أن دخل أكثرهم فى دين الله أفواجا .. لأنه نفذ بهذا قول الله تعالى : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم** »[٣] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرب مع الكفار. الذين رأوا من المسلمين غرة .. فجاء رجل منهم حتى قام على رأس الرسول صلى الله عليه وسلم بالسيف .. فقال : من يمنعك منى ؟ فقال : « الله » .. قال : فسقط السيف من يده .. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال : « من يمنعك منى » ؟ فقال : كن خير آخذ .. قال صلى الله عليه وسلم : « قل : أشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله » فقال : لا .. لا .. غير أنى لا أقاتلك ، ولا أكون معك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك .. فخلى سبيله .. فجاء أصحابه فقال : جئتكم من عند خير الناس[٤] .

وروى عن أنس أن يهودية أتت النبى صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة ليأكل منها .. فجىء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك .. فقالت : أردت قتلك .. فقال : « ما كان الله ليسلطك على ذلك » فقالوا : أفلا تقتلها ؟ فقال : « لا »[٥] .. وسحره رجل

---

(١) الأنبياء : ١٠٧
(٢) يوسف : ٩٢
(٣) آل عمران : ١٥٩
(٤) متفق عليه من حديث جابر .
(٥) رواه أبو هريرة .

من اليهود .. فأخبره جبريل عليه السلام بذلك حتى استخرجه وحل العقد .. فوجد لذلك خفة ، وما ذكر ذلك لليهودى ولا أظهره عليه قط[١] .. فلا تنس ذلك ، واذكر قوله تعالى : « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** »[٢] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ، ويرفع به الدرجات » ؟ قالوا : نعم يا رسول الله .. قال : « تحلم على من جهل عليك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك »[٣] .

وفى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى مناد : أين أهل الفضل ؟ فيقوم أناس وهم يسير ، فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون لهم : انا نراكم سراعا الى الجنة .. فيقولون : نحن أهل الفضل .. فيقولون لهم : ما كان فضلكم ؟ فيقولون : كنا اذا ظلمنا صبرنا ، واذا أسىء الينا غفرنا ، واذا جهل علينا حلمنا .. فيقال لهم : ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين »[٤] .

وفى رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا : « اذا جثت الأمم بين يدى الله عز وجل يوم القيامة نودوا : ليقم من كان له أجر على الله .. فلا يقوم الا العافون عن الناس فى الدنيا » .

والى ذلك الاشارة فى قوله تعالى : « **فمن عفا وأصلح فأجره على الله** »[٥] . فكن أخا الاسلام من أهل الفضل ، وللعافين عن الناس فى الدنيا حتى تفوز يوم القيامة بجزاء المحسنين « **والله يحب المحسنين** »[٦] .. الا اذا أهينت محارم الله .. فعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تنتهك من محارم الله .. فاذا انتهك من محارم الله شىء كان أشدهم فى ذلك غضبا ، وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما ..

خذ العفو عن جاهل قد بغى　　عليك تفز بالمقام الأمين
وبالعرف فأمر وكن محسنا　　وواصل وأعرض عن الجاهلين

---

(١) من حديث زين بن أرقم باسناد صحيح .
(٢) الأحزاب : ٢١　　(٣) رواه أبو هريرة .　　(٤) رواه الأصبهانى .
(٥) الشورى : ٤٠　　(٦) آل عمران : ١٤٨

* (وأعط من حرمك) :

فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « .. من سألكم بالله فأعطوه .. »[(١)] واحذر أن تكون من الذين « **يمنعون المـاعون** »[(٢)] مهما كانت الأسباب ما دام الله سبحانه وتعالى قد تفضل عليك وأعطاك ؛ واعتبر هذا بمثابة شكر لله سبحانه وتعالى على أن جعلك فى هذه المنزلة التى مكنتك من اعطاء من حرمك ، وليكن عطاؤك لله تعالى وبدون من أو أذى حتى لا يكون كصفوان عليه تراب ، وليكن نصب عينيك قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « المسلم أخو المسلم .. لا يظلمه ولا يثلمه .. من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة »[(٣)] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من مشى فى حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق .. كل خندق أبعد مما بين الخافقين »[(٤)] .

فاذكر ذلك وكن من الذين « **يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** »[(٥)] واحذر الشح ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم استعاذ منه فقال : « اللهم انى أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات »[(٦)] وقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم .. حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم »[(٧)] واعلم أن « صنائع المعروف تقى مصارع السوء »[(٨)] « وأن صاحب المعروف لا يقع .. وان وقع وجد متكئا »[(٩)] .. ولن يضيع جميل أينما وضع .

---

(١) من حديث اخرجه ابو داوود والنسائى وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(٢) المـاعون : ٧ بلفظ « **ويمنعون** » .

(٣) رواه البخارى ومسلم . (٤) رواه الطبرانى فى « الأوسط » .

(٥) الحشر : ٩ بلفظ : « **ويؤثرون** » .

(٦) رواه مسلم . (٧) رواه مسلم .

(٨) رواه الطبرانى فى « الكبير » بسند حسن .

(٩) من كلام لسيدنا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

* (وصل من قطعك) :

فعن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث »[١] ، وفى رواية لأبى داوود : « لا يحل لمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، فان مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه .. فان رد عليه السلام فقد اشتركا فى الأجر ، وان لم يرد عليه باء بالاثم وخرج المسلم من الهجرة »[٢] .

قال الحافظ المنذرى : قال أبو داوود : اذا كانت الهجرة لله فليست من هذا بشىء .. فان النبى صلى الله عليه وسلم هجر بعض نسائه أربعين يوما ، وابن عمر هجر ابنا له الى أن مات .. وهذا معناه أن الهجرة بين المؤمنين أو بين المسلمين يجب أن لا تستمر فوق ثلاث ليال .. والا كانت اثما وقطيعة لا يقرها الاسلام ولا سيما اذا كانت تتعلق بذوى الأرحام .. قال تعالى : **« الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ، أولئك هم الخاسرون »**[٣] . فحتى لا نكون من الخاسرين .. يجب علينا أن نصل من قطعنا .. ولا سيما ذوى الأرحام .. حتى يصلنا سبحانه وتعالى الذى يقول فى حديث قدسى : « أنا الله .. وأنا الرحمن .. خلقت الرحم ، وشققت لها اسما من اسمى .. فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته »[٤] . وفى الحديث الشريف : « من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وينسأ له فى أثره فليصل رحمه »[٥] فاذكر ذلك جيدا ونفذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، واعلم أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا[٦] .

* (وليكن صمتك فكرا) :

واحذر كثرة الكلام « الا من حق توضحه أو خلل تصلحه ، أو كلمة تفسرها ، أو مكرمة تنشرها فانه يستدل على عقل الرجل بقوله ، وعلى أصله بفعله » .. فان قبيح الكلام ينفر عنك الكرام ، ويغرى عليك اللئام ، ويوجه اليك الملام .. وحسبك قول الرسول صلوات الله

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه أبو داوود .
(٣) البقرة : ٢٧
(٤) رواه أبو داوود والترمذى .
(٥) رواه البخارى ومسلم .
(٦) الكهف : ٣٠ ، بلفظ : **« انا لا نضيع »** .

وسلامه عليه لأبى ذر رضى الله عنه : « عليك بطول الصمت فانه مطردة للشيطان ، وعون على أمر دينك »[١] ، وقوله صلى الله عليه وسلم لعقبة بن عامر رضى الله عنه عندما قال له : يا رسول الله .. ما النجاة ؟ قال : « أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك »[٢] وحسبك كذلك وقبل كل هذا أن تكون من الذين فازوا بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « رحم الله عبدا تكلم فغنم ، أو سكت فسلم » واعلم أن : « من كثر كلامه كثر خطؤه ، ومن كثر خطؤه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار »[٣] .

ألا وان كلام العبد كله محسوب عليه الا ذكرا لله ، أو أمرا بمعروف ، أو نهيا عن منكر ، أو اصلاحا بين الناس .. والى ذلك الاشارة فى قوله تعالى : « **لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس** »[٤] « فطوبى لمن عقل لسانه وكفه ، وأطلق بالخير بنانه وكفه » و « طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ... »[٥] .

لأن اللسان هو أخطر الجوارح « وهل يكب الناس فى النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم »[٦] فكن كالنخلة يرمونها بالأحجار فترميهم بالثمار .. وكن كالنحلة تأكل طيبا وتخرج طيبا :

وصمتك خير من اثارة فتنة فكن صامتا تسلم وان قلت فاعدل
ولا تك فى ذم الأخلاء مفرطا وان أنت أبغضت الصديق فأجمل
فانك لا تدرى متى أنت مبغض حبيبك أو تهوى بغيضك فاعقل

فتلك يا أخى هى أيسر العبادة كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء رضى الله عنه : « ألا أدلك على أيسر العبادة وأهونها على البدن » ؟ قال : بلى يا رسول الله .. فقال : « عليك بالصمت وحسن الخلق فانك لن تعمل مثلهما »[٧] ففكر فى ملكوت الله

---

(١) من حديث أخرجه الحاكم وصححه .
(٢) رواه الترمذى . (٣) من كلام سيدنا على .
(٤) النساء : ١١٤
(٥) من خطبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم رواها الطبرانى .
(٦) من حديث رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .
(٧) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى وأبو يعلى وسنده جيد .

تعالي وأسرار عظمته فى صمت ، ولا تنس قوله تعالي : **« ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد »**[١] •• فالمرء بأصغريه : قلبه ولسانه •

* (وليكن نطقك ذكرا) :

فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ فقال : « أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل »[٢] وقال لأصحابه ذات يوم : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق[٣] وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقكم ويضربوا أعناقكم » ؟ قالوا : بلى •• قال : « ذكر الله تعالى »[٤] •

وهو : ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم •• فقد ثبت أن أبا هريرة رضى الله تعالى عنه دخل السوق وقال : أراكم هاهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد ؟! فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق •• فلم يروا ميراثا •• فقالوا : يا أبا هريرة •• ما رأينا ميراثا يقسم فى المسجد •• قال : فماذا رأيتم ؟ قالوا : رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرأون القرآن •• قال : فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم[٥] •• فاذكر الله عز وجل : **« ذكرا كثيرا »**[٦] حتى تكون من الذين **« أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما »**[٧] واحذر الغفلة عن الله تعالى اذا أردت أن تكون قريبا منه وجليسا له •• ففى حديث قدسى يقول سبحانه : « أنا جليس من ذكرنى » وما أجمل قول أحد الصالحين : انى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل •• ففزعوا منه وقالوا : كيف تعلم ذلك ؟ فقال : اذا ذكرته ذكرنى •• فهو القائل : **« فاذكرونى أذكركم »**[٨] •

---

(١) سورة ق : ١٨

(٢) رواه ابن أبى الدنيا والبزار والطبرانى وابن حبان فى صحيحه وهو حسن صحيح •

(٣) الورق بكسر الراء : الدراهم المضروبة من الفضة •

(٤) رواه الترمذى وهو صحيح الاسناد •

(٥) رواه الطبرانى فى « الأوسط » باسناد حسن •

(٦) الأحزاب : ٤١ (٧) الأحزاب : ٣٥

(٨) البقرة : ١٥٢

قال الشبلى رحمه الله تعالى فى مناجاة له مع مولاه عز وجل :

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
وكدت بلا وجد أموت من الهوى وهان على القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم ولاحظت معلوما بكل عيان

* (وليكن نظرك عبرا) :

وتأمل فى كل شىء حولك حتى توحد خالقك سبحانه ..

ففى كل شىء لـه آية تدل على أنه الواحـد

* * *

ولعل ما فى الكون من آياته عجب عجاب لو ترى عيناكا
لله فى الآفاق آيات لعل أقلها هـو ما اليـه هـداكا

* * *

فتأمل يا أخى :

تأمل فى نبات الأرض وانظر الى آثار ما صنع المليك
غصون من لجين شاخصات بأبصار هى الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بأن الله ليس له شريك

* * *

تأمل فى الوجود بعين فكر ترى الدنيا الدنيئة كالخيال
ومن فيها جميعا سوف يفنى ويبقى وجه ربك ذى الجلال

فبالتـأمل نصل الى معرفة الله صانع هذا الوجود بما فيه من موجودات بدون شريك ولا معين .

وما أجمل قول الأعرابى عندما سئل عن الدليل على وجود الله تعالى .. فقال بفطرته :

« البعرة تدل على البعير ، وأثر الأقدام يدل على المسير .. فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج .. أفلا يدل كل ذلك على اللطيف الخبـير »؟!

وقال بعض العارفين : النظر فى المصنوعات من أقرب القربات ، قال تعالى : **«أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض»**[1] .

فالمصنوعات المعلومة بالضرورة شيئان : علوية وسفلية .. فالعلوية

---

(١) الأعراف : ١٨٥

كالشمس ، والقمر ، والسموات السبع ، وسكانها من الملائكة على اختلافهم ، والعرش ، والكرسى ، والبيت المعمور وما فيه من الملائكة الذين يعبدون الله عز وجل ويسبحونه ولا يفترون عن عبادته طرفة عين ، والجنة وما فيها من القصور والأنهار ، والحور والولدان ، والنعيم الذى أعده الله تعالى فيها لأوليائه المؤمنين مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، والنار وما أعده الله تعالى فيها لأعدائه الكافرين من العذاب والنكال ، والسلاسل والأغلال ، والحيات والعقارب ، وغير ذلك مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر من أنواع العذاب .. نسأل الله تعالى العافية والسلامة .

والمصنوعات السفلية كالأرضين السبع ، والجبال ، والأنهار ، والبحار ، والشجر ، والدواب ، وبنى آدم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم .. الى غير ذلك مما خلق الله تعالى فيها وأوجده على ظهرها ، وأودعه فى بطنها من الكنوز والمعادن والنبات وغير ذلك .. ففى كل جزء من هذه المصنوعات دلالة كافية على أن الله تعالى هو خالقها وموجدها من غير شريك ولا معين .. وأقرب المصنوعات اليك نفسك .. قال تعالى : « وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون »[1] .. ففى نظرك الى نفسك وما اشتملت عليه من سمع وبصر ، وذوق وشم ، ورضا وغضب ، وكفر وايمان ، وشهوة وعدمها ، كفاية فى الاعتبار ، ودلالة على أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شىء ، وبيده الاعطاء والمنع ، والوصل والقطع ، والخفض والرفع ، والضر والنفع .. ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

ولهذا قال بعض العارفين : من تفكر فى عجائب المخلوقات كان من المقربين .

وقال بعضهم : تفكر ساعة خير من قيام ليلة فان الفكر حج العقل .

وقال بعضهم : الفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك وتدلك على أن الله تعالى هو الصانع المختار ، وغيره صائر الى الزوال .

وقال بعضهم : البر فى ثلاثة : فى النطق ، والنظر ، والصمت .. فمن كان منطقه فى غير ذكر الله فقد لغا ، ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها ، ومن كان صمته فى غير فكر فقد لها ..

---

(١) الذاريات : ٢١

فانظر الى نفسك ثم انتقل   للعـالم العلوى ثم السفلى
تجد به صنعا بديع الحكم   لكن به قام دليل العـدم
وكل ما جاز عليه العـدم   عليه قطعا يستحيل القدم

وانظر الى السماء وارتفاعها ، والشمس وشـعاعها ، والأرض وأقطارها ، والبحار وأمواجها ، والفصول وأزمانها ، والأوقات واتيانها ، وما هو ظاهر وكامن ، ومتحرك وساكن ، ومستيقظ وراقد ، وراكع وساجد ، وما غاب وما حضر ، وما خفى وما ظهر [1] .

وانظر « ... **الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت** »[2] . و :

قل للطبيب تخطفته يد الردى   يا شافى الأمراض من أرداكا[3] ؟
قل للمريض نجا وعوفى بعدما   عجزت فنون الطب من عافاكا ؟
قل للصحيح يموت لا من علة   من بالمنايا يا صحيح دهاكا ؟
قل للبصير وكان يحذر حفرة   فهوى بها من ذا الذى أهواكا ؟
بل سائل الأعمى خطا بين الزحام   بلا اصطدام من يقود خطاكا ؟
قل للجنين يعيش معزولا بلا   راعى ومرعى ما الذى يرعاكا ؟
قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء   لدى الولادة ما الذى أبكاكا ؟
واذا ترى الثعبان ينفث سمه   فاسأله من ذا بالسموم حشاكا ؟
واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو   تحيا وهذا السم يملأ فاكا ؟
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت   شـهدا وقل للشهد من حلاكا ؟
بل سائل اللبن المصفى كان بين   دم وفرث ما الذى صفاكا ؟

ثم قل مع أولى الألباب : « **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** »[4] .

* * *

---

(١) جزء من حديث قدسى .

(٢) الغاشية : ١٧ — ٢٠ بلفظ : « **افلا ينظرون** » .

(٣) من قصـيدة « الشعر مع الله والذرة » للشيخ ابراهيم بدوى (من الوعى الاسلامى العدد ٥٤) .

(٤) آل عمران : ١٩١

الوَصِيَّة العاشِرة

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه :
« اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » .
(رواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، وقال شارح « الجامع » : اسناده حسن) .

* * *

فكن أخا الاسلام :
هذا الرجل الذى وعظه الرسول صلوات الله وسلامه عليه بهذه الموعظة الجامعة ، التى جمعت فأوعت ، وجددت معالم الطريق ، كما بينت أسباب النجاة . وما أحوجنا جميعا الى هذه الأسباب التى ان لم نهتد اليها فسنظل فى متاهات الحياة الى أن نموت بعد حياة كحياة الأنعام بل أضل .. ويااليتنا ان لم نعرفها نكون كالأنعام التى لم ترتكب ذنبا ولم تحدث خطيئة .

ومن هنا كان لابد أن نكون أسمى من هذا المعنى ، وأن نكون أهلا لما خلقنا الله من أجله وهو العبادة **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »**[1] .

فاذكر ذلك جيدا ، ونفذ موعظة الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، واغتنم خمسا قبل خمس :

* (شبابك قبل هرمك) :

والرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الفقرة الأولى يشير الى ملاحظة هامة .. وهى أن الانسان لن يظل متمتعا بشبابه الى أرذل العمر .. وانما هو كالنبات الذى **« يهيج فتراه مصفرا ثم يكون**

---

(١) الذاريات : ٥٦

حطـاما »[١] والى ذلك يشير سبحانه وتعالى فى قوله : **« والله أنبتكم من الأرض نباتا • ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا »**[٢] ، وفى قـوله تعـالى : **« منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى »**[٣] وتستطيع أنت بنفسك الوصول الى هذه الحقيقة الملموسة ، وهى أن الانسان خلق من سلالة من طين ، ثم كان بعد ذلك نطفة فى قرار مكين ، ثم تقرأ بعد ذلك قوله تعالى : **« ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين »**[٤] • وقوله تعالى فى حديث قدسى : « فلما أن تمت مدتك فى بطن أمك أوحيت الى الملك الموكل بالأرحام أن يخرجك فأخرجك على ريشة من جناحه لا لك سن يقطع ولا يد تبطش ولا قدم تسعى بها ، وأنبعت لك عرقين رقيقين فى صدر أمك يجريان لبنا خالصا حارا فى الشتاء باردا فى الصيف ، وألقيت محبتك فى قلب أبويك فلا يشبعان حتى تشبع ولا يرقدان حتى ترقد » •

وهكذا ينشأ الطفل فى أحضان والديه وهو يلقى من حنان الأبوة ما عبر عنه الشاعر العربى بقوله :

وانمـا أطفالنـا بيننـا . أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم . لامتنعت عينى عن الغمض

كما ينتقل الطفل من مرحلة الطفولة لكى نراه بعد ذلك غلاما ، ثم رجلا فى سن الأربعين ثم شيخا كبيرا معمرا •• وعندما يصل الى هذا الحد لن نراه وقتئذ يقوى على السير الا وهو يتوكأ على العصا •• وفى هذا يقول أحدهم :

وكنت أمشى على رجلين معتدلا . فصرت أمشى على أخرى من الشجر

وبعد ذلك اذا طال عمره سنراه لا يقوى على السير حتى على العصا •• وانما سنراه اذا أراد أن ينتقل من مكان الى مكان يحبو كما كان يحبو يوم أن كان طفلا • وصدق الله العظيم اذ يقول : **« ومن نعمره ننكسه فى الخلق »**[٥] •

ثم بعد ذلك سيموت بعد انتهاء أجله لكى يعود الى بطن الأرض كما خرج من بطن الأم التى هى أصلا من سلالة من طين •• وصدق الله

---

(١) الحديد : ٢٠ — (٢) نوح : ١٧ ، ١٨ — (٣) طه : ٥٥
(٤) المؤمنون : ١٤ — (٥) يس : ٦٨

•• فهو القائل أيضا بعد قوله : « **فتبارك الله أحسن الخالقين** »[١] « **ثم انكم بعد ذلك لميتون** »[٢] ولهذا كان لابد أن يقف الشباب على حقيقة هذه الحياة الدنيا حتى لا يغتر بها فيشغل عن الهدف الأسمى وهو الرجوع الى الله تعالى قبل فوات الأوان •• فقد ورد فى الحديث الشريف : « ما من يوم تطلع الشمس فيه الا وهو ينادى : يا ابن آدم •• أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فاغتنم منى فانى لن أعود الى يوم القيامة » وفى الحديث القدسى : « يا ابن آدم •• لا تغتر بشبابك •• فكم من شاب سبقك الى الموت •• يا ابن آدم •• لا تفرح بدنياك فلست بمخلد •• يا ابن آدم •• استح منى عند معصيتك أستحى منك فلا أعذبك » •

فاذكر ذلك وكن شابا صالحا تكون مع الشباب الذين سيظلهم الله تعالى تحت ظله يوم لا ظل الا ظله[٣] •• فقد جاء فى هذا الحديث الشريف الذى تحدث عن هذا فى المرتبة الثانية : « وشاب نشأ فى عبادة الله تعالى »[٤] •

وفى الحديث القدسى : « أحب ثلاثا وحبى لثلاث أشد •• أحب أهل السخاء وحبى للفقير السخى أشد ، وأحب المتواضعين وحبى للغنى المتواضع أشد ، وأحب التائبين وحبى للشاب التائب أشد ••• » •

واياك أن تكون كهذا الشاب المخنث الذى يشك الانسان فى رجولته بسبب « الخنفسة » التى أصبح بها لا يحمل غير صفة الذكورة فقط •• وتلك مصيبة المصائب « فأقم عليهم مأتما وعويلا » وقل : « **انا لله وانا اليه راجعون** »[٥] وان شئت فقل مع الشاعر معاتبا :

شـــباب النيل يا زين الشباب	ويا أشبال آساد غضاب
معى عتب أوجهه اليـــكم	وقد تصفو المودة بالعتاب
لزهر النرد[٦] قد خلقت يداه	وليست لليراع[٧] وللكتاب
تفنن فى محاكاة العـــذارى	وخالفهن فى وضع النقاب
وأرسل شعره المضغوط يحكى	وميض البرق أو لمع السراب
له حلل تحاكى الطيف لونا	بأزرار من الذهب اللبـــاب

---

(١) المؤمنون : ١٤ (٢) المؤمنون : ١٥

(٣) اى يوم لا ظل الا ظل عرشه سبحانه وتعالى •

(٤) من حديث شريف أخرجه البخارى ومسلم •

(٥) البقرة : ١٥٦ (٦) النرد : الطاولة •

(٧) اليراع : القلم •

اذا الذئب استحال بمصر ظبيا فمن يحمى البلاد من الذئاب
برئت من الفتى يبدو فتبدو عليه نعومة البيض الكعاب

فتب أيها الشاب المفرط الى الله تعالى قبل أن يشيب شعرك ، ويذهب عمرك ثم تقول : ليت الشباب يعود يوما •• واذكر قول القائل :

وما أقبح التفريط فى زمن الصبا فكيف به والشيب فى الرأس نازل
ترحل عن الدنيا بزاد من التقى فعمرك أيام تعد قلائل

وذلك لأن الانسان كالوردة لابد أن يذبل ، ولابد أن يمر بجميع مراحل الحياة بما فيها من صحة وعافية وسقم •• وقد ورد فى الحديث الشريف :

« لابد للمرء من ثمانية : عسر ويسر ، وحزن وفرح ، واجتماع وفرقة ، وسقم وعافية » •• تلك طبيعة الحياة •• بل تلك هى سنة الله فى خلقه ، « **ولن تجد لسنة الله تبديلا** »(١) •• ومن أجل هذا كان لابد أن يكون هناك انتهاز لفرصة عافية الانسان قبل أن يصاب بمرض لا يمكنه من عمل شيء يجد ثمرته عند الله تعالى يوم القيامة •• وما أحوجنا الى كل لحظة فى حياتنا الأولى تقريبا فى كل لحظة من السفر الطويل الذى سنحتاج فيه الى زاد كبير بدونه سنكون من أفقر الفقراء « **يوم ينظر المرء ما قدمت يداه** »(٢) يوم يقول المرء المفرط : « **يا ليتنى قدمت لحياتى** »(٣) .

وقد روى أن أبا الدرداء — أو أبا ذر — رضى الله عنهما وقف ذات يوم أمام الكعبة ثم قال لأصحابه : أليس اذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ قالوا : نعم •• قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون •• فقالوا : دلنا على زاده ؟ فقال : « حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور » .

ولما كان كل هذا لا يمكن تحقيقه الا اذا كانت هناك عافية كان من الضرورى ما دمنا أصحاء وما دمنا نقوى على العمل والانطلاق أن نتحرك فى كل اتجاه ، وفى كل ميدان نثبت فيه ايماننا ونؤكد فيه اخلاصنا .

---

(١) الأحزاب : ٦٢ ، والفتح : ٢٣ ، وفاطر : ٤٣ بلفظ : « **فلن تجد** » .
(٢) النبأ : ٤٠
(٣) الفجر : ٢٤

وتلك فرصة من ذهب لن نعرفها ولن ندرك قيمتها الا عندما نعجز عن التحرك كما كنا ونحن أصحاء •• ولله در على رضى الله تعالى عنه •• فلقد قال : « من أمضى يومه فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد بناه ، أو حمد حصله ، أو علم اقتبسه فقد عق يومه وظلم نفسه » •

فاحذر أن تعق يومك وتظلم نفسك ، فأنت أحوج الى كل لحظة من عمرك •• فـ :

ليس المصاب من فارق الأحباب ... ان المصاب من فقـد الثواب

« ودار أنت اليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترحل »[1] •

وحتى يستمر نشاطك فى طاعة الله تعالى بصورة جادة فاننى أوصيك بأن تحافظ على صحتك •• وذلك بالحد من الاسراف فى الطعام والشراب •• فقد قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه :

« ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه •• بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه : فان كان لا محالة فاعلا فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه »[2] •

وان صح الحديث الذى يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه عندما قبل[3] الجارية والدابة ورد الطبيب : « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع »[4] ففيه من التوجيه والعلاج ما فيه الكفاية ••

فان الـــداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب

ومن خطبة لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه :

« اياكم والبطنة •• فانها مكسلة عن الصلاة ، ومفسدة للجسم ، ومؤدية الى السقم وعليكم بالقصد فى قوتكم •• فهو أبعد من السرف ، وأصح للبدن وأقوى على العبادة ، وان العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه »[5] •

---

(١) من وصية لسيدنا لقمان الحكيم •

(٢) اخرجه الترمذى وقال : حديث حسن •

(٣) قبل : بفتح القاف وكسر الباء المخففة وفتح اللام : من القبول •

(٤) وكان ملك مصر فى عهده قد اهدى اليه صلى الله عليه وسلم جارية ودابة وطبيبا •

(٥) ذكره الشيخ حمزة فى « المواهب » •

* (وغناك قبل فقرك) :

وتلك أيضا كالشباب والصحة لا ضمان لدوامها .. فكم من الناس كانوا يملكون وأصبحوا لا يملكون غير القوت الضرورى الذى ربما لا يحصلون عليه الا بشق الأنفس .. وكم من الناس كانوا لا يملكون القوت الضرورى وصاروا الآن يملكون **« القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث »**[١] .

وتلك هى طبيعة الدنيا .. ان طلبتها تركتك .. وان تركتها طلبتك .

هى الدنيا تقول بملء فيها   حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركموا منى ابتسام   فقولى مضحك والفعل مبكى

وقد روى أن رجلا كان له صديق فقير .. فكان يعطيه من فضل الله الذى عنده .. وبمرور الزمن قلب الوضع وأصبح عكسيا — الغنى أصبح فقيرا والفقير أصبح غنيا — غير أن الأخير لم يكن أصيلا ، ولم يذكر مروءة صديقه الذى كان يعطيه يوم أن كان محتاجا .. فكان اذا رآه حول وجهه حتى لا يراه فيضطر الى اعطائه .. وعندما ظهر هذا للصديق الأول قال له :

ترانى مقبلا فتصد عنى   وتزعم أننى أبغى رضاك
سيغنينى الذى أغناك عنى   فلا فقرى يدوم ولا غناك

فاذا كنت غنيا ففى استطاعتك الآن أن تقدم خيرا لنفسك ينفعك يوم القيامة **« يوم لا ينفع مال ولا بنون »**[٢] وفى ذلك يقول الحكيم :

قدم لنفسك خيرا   وأنت مالك مالك
من قبل تصبح فردا   ولون حالك حالك
ولست والله تدرى   أى المسالك سالك
اما لجنة عدن   أو فى المهالك هالك

وحسبك قول الله تعالى :

« وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله »[٣] و **« ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق »**[٤] وحافظ على غناك وذلك بعدم الاسراف والتبذير **« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا »**[٥] .

---

(١) آل عمران : ١٤ بلفظ : **« والقناطير »** .
(٢) الشعراء : ٨٨   (٣) المزمل : ٢٠ .
(٤) النحل : ٩٦   (٥) الاسراء : ٢٩

واعلم أنه ما وقع تبذير فى كثير الا هدمه ودمره ، ولا دخل تدبير فى قليل الا كثره .. وقد كان الصديق رضى الله عنه يقول : « انى لأبغض أهل بيت ينفقون رزق الأيام الكثيرة فى يوم واحد » .

ويقول : معاوية رضى الله تعالى عنه : « ما رأيت سرفا قط الا والى جانبه حق مضيع » وكان للأعمش صديق متصرف فى عمل السلطان فبقي عليه مال سجن من أجله .. فزاره الأعمش فرأى بين يديه سلة فيها فالوذج وهو يتغدى منه فقال له : « والله ما لازمت الوثاق الا باسرافك فى الانفاق .. فلو قنعت نفسك وعفت يدك لم يكن مضيق السجن مقعدك » .

فاحرص على الدرهم والعين   تسـلم من العيلة[1] والدين
فقوة العـين بانسـانها   وقوة الانسـان بالعين

* * *

وأنفق بقدر ما استطعت ولا   تسرف وعش صاح عيش مقتصد

فبهذا تكون من العقلاء الذين يحافظون على مكانتهم .. فقد ورد فى الحديث الشريف : « ما عال من اقتصد »[2] .. ومن كان سليم الجسد مطمئن النفس خالى البال اعتمادا على الله وعلى ما ادخره من المـال فان مثله كمثل القابض بيده على زمام الدنيـا .. وقد قيل لحكيم : لم تجمع المـال وأنت حكيم ؟ فقال : لأصون به العرض ، وأؤدى به الفرض ، وأستغنى به عن القرض .

فانما رجل الدنيـا وواحـدها   من لا يعول فى الدنيا على رجل

فاذكر ذلك ، وضع نصب عينيك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من اليد السفلى »[3] وقوله صلى الله عليه وسلم : « تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة » و « أنفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا »[4] .

* (وفراغك قبل شغلك) :

فـ « الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك » هكذا قال أحد الحكماء .. وهذا هو ما يعنيه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله ..

---

(١) العيلة : الفقر .   (٢) رواه أحمد والطبرانى .

(٣) اخرجه البخارى ومسلم .

(٤) رواه البزار باسناد حسن والطبرانى فى « الكبير » و « الأوسط » باسناد حسن .

وذلك لأن العمر قصير ، واللحظات محسوبة عليك ، والواجبات أكثر من الأوقات ، واللحظة التى تمضى لن تعود مرة أخرى ولن يعرف الانسان قيمتها الا فى يوم الحساب الذى يجب أن يعمل له من الآن ألف حساب ولهذا كان لابد وأن يكون هناك اغتنام لفرصة فراغه .. فربما لا يستطيع بعد ذلك أن يعمل بنفس الطاقة التى كان يعمل بها قبل ذلك بسبب عدم فراغه ، وكبر سنه ، وكثرة مشاغله وأولاده .. الخ .

ثم بعد ذلك ستنقضى أيامه لكى يجد نفسه أمام الله فى موقف له خطورته ، لأنه سيسئل فيه عن كل شىء فعله فى هذه الحياة الأولى وعن كل لحظة قضاها فيها .. وفى ذلك يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه »(١) فاحذر ضياع الوقت .. فالوقت من ذهب ، واغتنم فرصة فراغك ، وقدم لنفسك ما ينفعك فى حياتك الأخرى ، وما يترك لك أثرا صالحا فى حياتك الأولى ، وتأمل قول القائل :

دقات قلب المرء قائلة له ... ان الحيــاة دقائق وثوان
فاعمل لنفسك قبل موتك ذكرها ... فالذكر للانســان عمر ثان

* (وحياتك قبل موتك) :

واذا أردنا أن نتحدث عن الموت الذى يشير اليه هذا العنصر الخامس .. فهو نهاية المطاف الدنيوى ، وهو حكم الله تعالى فى جميع خلقه بعد انتهاء آجالهم .. قال تعالى : **« لكل أجل كتاب »**(٢) .

وقال تعالى : **« كل من عليها فان • ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام »**(٣) وقال تعالى لنبيه ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه : **« انك ميت وانهم ميتون »**(٤) فالموت اذن هو نهايتنا جميعا وقد جعله الله تعالى من أعظم المصائب(٥) كما سماه بهذا فى قوله تعــالى : **« فأصابتكم مصيبة الموت »**(٦) وذلك لأنه تبدل من حال الى حال ، وانتقال من دار الى دار .. من دار العمل الى دار الحساب .

---

(١) رواه الترمذى . (٢) الرعد : ٣٨
(٣) الرحمن : ٢٦ ، ٢٧ (٤) الزمر : ٣٠
(٥) هذا بالنسبة لغير المؤمن ، أما المؤمن فانه يفرح بلقاء الله تعالى لأن « الموت راحة المؤمن » كما ورد فى الحديث الشريف .
(٦) المــائدة : ١٠٦

نزول كما زال آباؤنا ويبقى الزمان على ما ترى
نهار يمر وليل يكر ونجم يغور ونجم يرى

* * *

سيصير المرء يوما جسدا ما فيه روح
بين عينى كل حى علم الموت يلوح
كلنا فى غفلة والموت يغدو ويروح
نح على نفسك يا مسكين ان كنت تنوح
لتموتن وان عمرت ما عمر نوح

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت »(١) وسئل صلى الله عليه وسلم : أى المؤمنين أفضل ؟ قال : « أحسنهم خلقا » • قيل : أى المؤمنين أكيس(٢) ؟ قال : « أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا »(٣) وكان يقول صلوات الله وسلامه عليه : « لو علمت البهائم ما تعلمون عن الموت ما أكلتم منها لحما سمينا أبدا » •

وليس الموت هو نهاية المطاف فقط •• وانما هو أيضا مرحلة انتقال : كما رأينا •• وفى ذلك يقول تبارك وتعالى بعد أن حدثنا عن مراحل خلق الانسان : « **ثم انكم بعد ذلك لميتون** » ثم يقول تعالى : « **ثم انكم يوم القيامة تبعثون** »(٤) وهذا هو أهم ما يجب علينا أن نركز عليه اذا أردنا أن نخرج من هذه الدنيا وقد رضى الله عنا ، وغفر لنا ، ولكى يكون هناك ايقاظ وتذكير قبل فوات الأوان ، وقبل انتقالنا من دار العمل الى دار الحساب بدون رصيد من الحسنات •• كان لابد وأن يكون هناك تذكير باليوم الآخر وهو « يوم القيامة » وأوله الموت •• لحديث هانىء مولى عثمان بن عفان قال : كان عثمان رضى الله عنه اذا وقف على قبر يبكى حتى يبل لحيته •• فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتذكر القبر فتبكى ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « القبر أول منزل من منازل الآخرة •• فان نجا منه فما بعده أيسر ، وان لم ينج منه فما بعده أشد منه » وقال صلى الله عليه وسلم : « ما رأيت منظرا قط الا والقبر أفظع

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .
(٢) اكيس : اى أعقل .
(٣) روى عن ابن مسعود رضى الله عنه .
(٤) المؤمنون : ١٥ ، ١٦

منه »[١] وحتى تدرك خطورة ذلك وما بعده تعالوا بنا نستمع الى البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه وهو يقول : خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جنازة رجل من الأنصار •• فانتهينا الى القبر ولما يلحد •• فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير ، وفى يده عود ينكت به فى الأرض •• فرفع رأسه فقال : « استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين ــ أو ثلاثا ــ » ثم قال : « ان العبد المؤمن اذا كان فى انقطاع عن الدنيا واقبال على الآخرة ، نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط[٢] من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر •• ثم يجىء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة •• اخرجى الى مغفرة من الله ورضوان •• قال : فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء[٣] •• فاذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض •• قال : فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التى تليها حتى ينتهى به الى السماء السابعة •• فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه الى الأرض فانى منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى •• قال : فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله •• فيقولان له : وما دينك ؟ فيقول : دينى الاسلام •• فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله صلى الله عليه وسلم •• فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت • فينادى مناد فى السماء : أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابا الى الجنة ••

---

(١) أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .
(٢) طيب يخلط للميت خاصة ، وكل ما طيب به من مسك وغيره .
(٣) أى فم السقاء .

قال : فيأتيه من روحها[١] وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره ، ويأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب طيب الريح •• فيقول : أبشر بالذى يسرك ، هذا يومك الذى كنت توعد •• فيقول له : من أنت •• فوجهك الوجه يجىء بالخير ؟ فيقول : أنا عملك الصالح •• فيقول : رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلى ومالى •• قال : وان العبد الكافر اذا كان فى انقطاع من الدنيا ، واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء سود الوجوه ، معهم المسوح[٢] فيجلسون منه مد البصر •• ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجى الى سخط من الله وغضب •• فتتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود[٣] من الصوف المبلول •• فيأخذها ، فاذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ابن فلان ، بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا •• حتى ينتهى به الى السماء الدنيا ، فيستفتح له فلا يفتح له •• ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط** »[٤] • فيقول الله : اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى •• فتطرح روحه طرحا ثم قال : « **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق** »[٥] فتعاد روحه فى جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه •• لا أدرى •• فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه •• لا أدرى •• فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه •• لا أدرى •• فينادى مناد من السماء : أن كذب فأفرشوه من النار ، وافتحوا له بابا الى النار •• فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح فيقول : أبشر بالذى يسوءك •• هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول : فمن

---

(١) الرحمة .　　(٢) الثوب الخشن .

(٣) الحديدة التى يشوى بها اللحم .

(٤) الأعراف : ٤٠ ، وسم الخياط : ثقب الابرة .

(٥) الحج : ٣١

ننت .. فوجهك الوجه يجيء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث .. فيقول : « رب لا تقم الساعة »[١] .

هذا .. ومما تقدم يستفاد أن لأهل القبور حياة .. بها يدرك أثر النعيم والعذاب ، ولو تفتتت أجسادهم .. وهو أمر غيبى لا نبحث عن كيفيته .. وحال صاحبه كحال النائم يرى الملاذ والمؤلمات ، ولا يرى من بجواره شيئا .. وقد ستر عنا رحمة بنا لقوله صلى الله عليه وسلم : « لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر »[٢] .

فان كان هذا هو حال أهل القبور .. فما بالك بما سيكون بعد ذلك من بعث ، وحشر ، وحساب ، وميزان ، وصراط .. الخ .. ثم ما بعد ذلك من جنة أو نار .. قال تعالى :

« فأما من طغى • وآثر الحياة الدنيا • فان الجحيم هى المأوى • وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى • فان الجنة هى المأوى »[٣] .

ولهذا أخا الاسلام .. كانوا يعملون لهذا اليوم ألف حساب ، وكانوا يخافون من لقاء الله سبحانه وتعالى خوفا شديداً :

يقول الأصمعى رضى الله تعالى عنه : سمعت شابا يقول هذه الأبيات :

ألا أيها المقصود فى كل وجهة	شكوت اليك الضر فارحم شكايتى
ألا يا رجائى أنت تكشف كربتى	فهبلى[٤] ذنوبى كلها واقض حاجتى
أتيت بأعمال قباح رديئة	وما فى الورى عبد جنى كجنايتى
أتحرقنى بالنار يا غاية المنى	فأين رجائى ثم أين مخافتى ؟

ثم سقط مغشيا عليه .. فدنوت منه .. فاذا هو زين العابدين ابن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم أجمعين .. فرفعت رأسه فى حجرى وبكيت .. فقطرت دمعة على خده فقال : من هذا الذى يهجم علينا ؟ فقلت : عبيدك الأصمعى .. سيدى .. ما هذا البكاء والنحيب وأنت من أهل بيت الحبيب صلوات الله وسلامه عليه ..

---

(١) اخرجه احمد وابو داوود وابن خزيمة .
(٢) اخرجه احمد ومسلم والنسائى . (٣) النازعات : ٣٧ — ٤١
(٤) هب لى ذنوبى : اى تجاوز عنها بكرمك .

والله تعالى يقول : « **انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** »(١) • فقال : هيهات هيهات •• ان الله تعالى خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا ، وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا •• ثم قال : أليس الله تعالى يقول : « **فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون • فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون** »(٢) •

أليس الرسول صلوات الله وسلامه عليه يقول : « انى لأخوفكم من الله وأشدكم له خشية »(٣) ثم قال وهو يبكى : أنسيت يا هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها : « اعملى فانى لا أغنى عنك من الله شيئا »(٤) •

وأن الصديق عليه رضوان الله كان يقول : « لو كانت احدى رجلى فى الجنة والأخرى على بابها ما أمنت من مكر الله » •

وأن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يخاف من لقاء الله خوفا شديدا وكان دائم البكاء لدرجة أنك كنت ترى على وجهه خطين أسودين من كثرة انحدار الدموع ، وكنت تشم من فمه رائحة الكبد المشوى وكان يقول : « ليت أمى لم تلدنى » و « ليتنى شعرة فى صدر أبى بكر » •

وأن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه كان يجمع الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة •• وجاءته مولاة له فقصت عليه أنها رأت فى المنام كأن الصراط قد مد على جهنم وهى تزفر على أهلها ، وذكرت أنها رأت رجالا مروا على الصراط فأخذتهم النار • ثم قالت : ورأيتك يا أمير المؤمنين وقد جىء بك • فوقع مغشيا عليه ، وبقى زمانا يضطرب وهى تصيح فى أذنه : رأيتك والله قد نجوت •

ويقول منصور بن عمار رضى الله تعالى عنه : دخلت الكوفة فبينما أمشى فى ظلمة الليل اذ سمعت بكاء رجل بصوت شجى من داخل دار وهو يقول : الهى •• وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك ، ولكن عصيتك بجهل فالآن من ينقذنى من عذابك ؟ وبحبل من أعتصم

---

(١) الأحزاب : ٣٣
(٢) المؤمنون : ١٠١ ، ١٠٢
(٣) حديث حسن •
(٤) أخرجه البخارى ومسلم •

ان قطعت حبلك عنى ؟ واذنوباه .. واغوثاه .. يا الله .. قال منصور ابن عمار : فأبكانى كلامه فوقفت فقرأت : **« يا أيهــا الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »**[1] فسمعت للرجل اضطرابا شديدا وصياحا .. فوقفت حتى انقطع صوته ومضيت .. فلما أصبحت أتيت الى دار الرجل فوجدته قد مات ، والناس فى تجهيزه ، وعجوز تبكى .. فسألت عنها .. فقيل : هى أمه .. فتقدمت اليها وسألتها عن حاله فقالت : كان يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويكتسب الحلال فيقسم كسبه أثلاثا : ثلث لنفقته ، وثلث لنفقتى ، وثلث يتصدق به .. فلما كان البارحة مر انسان وهو يقرأ فسمع آية من القرآن ففارق الدنيا .

وكان يزيد الرقاشى رحمه الله تعالى يعاتب نفسه ويقول لها : ويحك يا نفس .. ما الذى يصلى عنك بعد الموت .. ما الذى يصوم عنك بعد الموت .. وهكذا ثم يقول : أيها الناس .. ألا تبكون وتنتحبون على أنفسكم بقية عمركم .. فمن كان الموت موعده ، والقبر بيته ، والثرى فراشه ، والدود مؤنسه ، وخوف الفزع الأكبر يزعجه كيف يلتذ بمنام ؟ .. ثم يخر مغشيا عليه .

وكان سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه اذا ذكر الموت لا ينتفع أحد به أياما عديدة ، ولا يأكل ولا يشرب .. وكان اذا سئل عن شىء يقول : لا أدرى .

وكان على بن الفضيل بن عياض اذا ذكر الموت تكاد تنقطع مفاصله من الاضطراب .

وكان يوسف بن أسباط اذا شيع جنازة يكاد يموت .. فيرجعون به فى النعش الى داره .

فاذكر ذلك جيدا ، ولا تتخذ الدنيا وطنا لك ، ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ، ولا تتعلق منها الا بما يتعلق الغريب به فى وطنه الذى يريد أن يذهب الى أهله منه .. فبهذا أوصى الرسول صلوات الله وسلامه عليه سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه الذى يقول : أمرنى خليلى صلى الله عليه وسلم أن لا أتخذ من الدنيا الا كمتاع الراكب .. ثم اليك هذه الخلاصة :

---

(١) التحريم : ٦

روى أن سفيان الثورى رضى الله تعالى عنه قال لأحد أصدقائه : هلم بنا الى المؤدبة ـ يعنى رابعة العدوية ـ يقول جعفر بن سليمان رفيق سفيان فى هذه الزيارة : فلما دخلنا عليها رفع سفيان يديه وقال : اللهم انى أسألك السلامة .. فما كان من رابعة حين سمعت هذا الدعاء الا أن بكت .. وتعجب سفيان من بكائها فسألها : ما يبكيك يا رابعة ؟ فقالت : أنت السبب .. لقد عرضتنى للبكاء .. أما علمت يا سفيان أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها .. فكيف وأنت متلطخ بها ؟ قال سفيان : واحزناه .. فقالت رابعة : لا تكذب .. قل : واقلة حزناه .. لو كنت محزونا لما شغلتك الدنيا يا سفيان .. ثم قالت تعظه : يا سفيان .. انما أنت أيام معدودة .. فاذا ذهب يوم ذهب بعضك ، ويوشك اذا ذهب البعض أن يذهب الكل وأنت تعلم فاعمل ..

وكانت تقول : لو كانت الدنيا لرجل ما كان بها غنيا .. قيل لها : وكيف ؟ قالت : لأنها تفنى .. وسألها متفلسف : من أين أتيت ؟ قالت : من العالم الآخر .. قال : والى أين أنت ذاهبة ؟ قالت : الى العالم الآخر .. قال : وماذا تفعلين فى هذه الدنيا ؟ قالت : آكل خبزها ، وأعمل للآخرة .



فاغتنم أخا الاسلام فرصة وجودك فى هذه الدنيا ، واحذر أن يفوتك القطار ، وكن مستعدا للقاء الله سبحانه وتعالى ، وتزود لهذا اللقاء حتى اذا ما فارقت الدنيا كنت فرحا به كبلال رضى الله تعالى عنه .. فقد روى أنه عندما كان يحتضر كانت ابنته تبكى وتقول : واأبتاه .. واكرباه .. واحزناه .. وعندما انتبه وهى تقول هذا الكلام زجرها .. ثم قال لها : « لا تقولى ذلك .. لا كرب على أبيك بعد اليوم .. اليوم نلقى الأحبة .. محمدا وحزبه » وكن محبا للقاء الله تعالى .. فقد ورد فى الحديث :

« من أحب لقــاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » .



وبعد أخا الاسلام •• وقد وقفت على بعض هذه المواقف المثيرة التى تهز المشاعر المؤمنة ، وتحرك القلوب السليمة •• لا يسعنى بعد هذا العرض الموجز خوفا عليك من اليأس من رحمة الله الرحمن الرحيم الذى يقول كما ورد فى حديث قدسى : « وأنا أرحم بعبادى من الوالدة على ولدها » الا أن أسوق اليك هذا الحديث : عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى : يا ابن آدم •• انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك ما كان منك ولا أبالى •• يا ابن آدم •• لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك • يا ابن آدم •• انك لو أتيتنى بقراب[١] الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة »[٢] • فلا تقنط من رحمة الله تعالى وأكثر من الاستغفار — وهو طلب المغفرة منه سبحانه وتعالى — ثم التوبة اليه •• ففى ذلك يقول تعالى : **« وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه »**[٣] وليكن مثلك فى هذا هو سيد المستغفرين صلوات الله تعالى وسلامه عليه الذى كان يقول فى المجلس الواحد مائة مرة : « رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم »[٤] • ويقول : « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت »[٥] فلا تنس سيد الاستغفار ، وحسبك قول الله تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام : **« استغفروا ربكم انه كان غفارا • يرسل السماء عليكم مدرارا • ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا »**[٦] حتى لا تحرم من كل هذه الامتيازات •• وقل مع سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا[٧]

---

(١) اى بما يقارب ملء الأرض .
(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٣) هود : ٣
(٤) رواه ابو داوود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٥) رواه البخارى . (٦) نوح : ١٠ — ١٢
(٧) وفى رواية أخرى : « ظلما كبيرا » والحديث متفق عليه .

ولا يغفر الذنوب الا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى ، انك أنت الغفور الرحيم » وقل مع هذا الراجى عفو ربه :

يا رب ان عظمت ذنوبى كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن فمن الذى يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا فلئن رددت يدى فمن ذا يرحم
مالى اليك وسيلة الا الرجا وجميل عفوك ثم انى مسلم

حتى تصلك هذه الاشارات من هذه الأبيات :

قل للذى ألف الذنوب وأجرما وغدا على زلاته متنـدما
لا تيأسن من الجميل فعندنا فضل ينيل التائبين تكرما
يا معشر العاصين جودى واسع توبوا ودونكم المنى والمغنما
لا تقنطوا فالذنب مغفور لكم انى الجدير بأن أجود وأرحما

* * *

الجزء الثانى

الوصية الحادية عشرة

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال :

أوصانى رســـول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات فقال :

« لا تشرك بالله شيئا وان قتلت وحرقت ، ولا تعقن والديك وان أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا فان من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ، ولا تشربن خمرا فانه رأس كل فاحشة ، واياك والمعصية فان بالمعصية حل سخط الله ، واياك والفرار من الزحف وان هلك الناس ، وان أصاب الناس موت فاثبت ، وأنفق على أهلك من طولك ، ولا ترفع عنهم عصاك أدبا ، وأخفهم فى الله » .

(رواه احمد والطبرانى فى الكبير)

* * *

فكن أخا الاسلام :

بعيدا عن الشرك بالله[1] فقد حرمه الله علينا جميعا فقال :

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، أن لا تشركوا به شيئا .. »[2]

بل وتلك كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم التى عليها خاتمه كما يقول ابن مسعود رضى الله عنه : من أراد أن ينظر الى وصية محمـد صلى الله عليه وسلم التى عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى : **« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، أن لا تشركوا به شيئا .. »** الى قوله تعالى : **« وأن هذا صراطى مستقيما ... »**[3] .

* * *

---

(١) الشرك هو عدم افراد الخالق بالعبادة ذاتا وصفة وافعالا .

(٢) الأنعام : ١٥١ (٣) الأنعام : ١٥٣

وإذا كان الله تعالى قد حرم عليك الشرك وأمرك بأن تعبده عبادة خالصة فهذا هو حقه سبحانه وتعالى عليك كما ورد فى حديث شريف يرويه معاذ رضى الله عنه فيقول : « كنت رديف[1] النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى : « يا معاذ .. أتدرى ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله » ؟ قلت : والله ورسوله أعلم . قال : « فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا . وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا » . قلت : يا رسول الله .. أفلا أبشر الناس ؟ قال : « لا تبشرهم فيتكلوا »[2] .

* * *

وحسبك ترغيبا لك فى عبادة الله وتحذيرا لك من الوقوع فى الشرك به سبحانه أن تقرأ قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل »[3] .

* * *

وعن عثمان رضى الله عنه : « فان الله حرم على النار من قال : لا اله الا الله يبتغى بذلك وجه الله »[4] فكن : من أجل كل هذا موحدا وجدد ايمانك بالاكثار من قول لا اله الا الله . فقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم : « جددوا ايمانكم » قيل : وكيف نجدد ايماننا يا رسول الله ؟ قال : « أكثروا من قول لا اله الا الله »[5] .

* * *

وحتى تعرف قدر كلمة التوحيد وتكثر من قولها بكل جوارحك اليك هذا الحديث الذى رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : « قال موسى : يا رب .. علمنى ما أذكرك به وأدعوك به ، فقال : يا موسى .. قل لا اله الا الله . قال موسى عليه الصلاة والسلام : يا رب .. كل

---

(١) اى كان يركب خلفه .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه البخارى ومسلم .
(٥) رواه احمد والطبرانى باسناد حسن .

عبادك يقولون هذا • قال : قل لا اله الا الله • قال : لا اله الا أنت • انما أريد شيئا تخصنى به • قال : يا موسى •• لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى ، والأرضين السبع فى كفة ، ولا اله الا الله فى كفة ، لمالت بهن لا اله الا الله »[١] •

* * *

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول :

« أفضل الذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله »[٢]

وكان يقول : « التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص اليه »[٣] •

* * *

ولهذا قال علماء التوحيد :

يجب على من نشأ مؤمنا ، أن يذكر كلمة التوحيد فى العمر مرة ناويا أداء الواجب ، والا فهو عاص ، ثم ينبغى له الاكثار من ذكرها عارفا معناها ، مستحضرا ما احتوت عليه لينتفع بذكرها دنيا وأخرى • فتتفجر ينابيع الحكمة من قلبه ، ويرى لهـا من الأسرار والعجائب ان شاء الله تعالى ما لا يدخل تحت حصر :

لأن كل ما يتعلق بالعقيدة يندرج فى كلمة التوحيد ، وذلك لأن معناها : « لا معبود بحق الا الله » ويلزم هذا المعنى أن يكون غنيا عن كل ما سواه ، وأن يفتقر اليه كل ما عداه •

يا واحدا فى ملكه أنت الأحـد ... واقد علمت بأنك الفرد الصمد

لا أنت بمولود ولست بوالد ... كلا ولا لك فى الورى كفوا أحد

* * *

واعلم : أنه من أنواع الشرك بالله :

الرياء فى العمل طلبا للرفعة والمنزلة والجاه الى غير ذلك من أمور الدنيا وشهواتها • وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يخشى علينا هذا فيقول :

« ان أخوف ما أخاف على أمتى الشرك الأصغر » •

---

(١) اخرجه النسائى وابن حبان •

(٢) اخرجه احمد والنسائى والترمذى وقال : حسن غريب ، وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه •

(٣) اخرجه الترمذى •

يقول الله تعالى يوم القيامة اذا جزى الناس أعمالهم : « انظروا الى الذين كنتم تراءونهم ، هل تجدون عندهم جزاء » ؟

وحسبك أن تقرأ قول الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرون على شىء مما كسبوا »**(١) •

وقوله تعالى : **« فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »**(٢) •

مع ملاحظة : أن الرياء لا يتحقق الا بالنية ، فالشخص الذى يبدى الصدقة جهرا وعلنا ولم يقصد بذلك الرياء ليس مرائيا • لأن اظهار الصدقة تارة يكون محبوبا كالزكاة المفروضة ، وكالاقتداء واغراء الغير به : عندئذ سيكون له أجران : أجر السر وأجر العلانية •

وتعظيم غير الله ومشاركتهم له فى الحب : وفى ذلك يقول تعالى : **« ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله »**(٣) •

وقد وقع العرب فى جاهليتهم فى هذا الشرك ، فقد كانوا يعبدون الأصنام التى صنعوها بأيديهم بدعوى أنها تقربهم الى الله زلفى ، مع أنهم كانوا اذا سئلوا عمن خلقهم ودبر شئونهم يكون جوابهم : « الله » وقد أشار الله تعالى الى هذا فقال : **« والذين اتخذوا من دونه أوليـاء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون »**(٤) • وقال : **« قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون • سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون • قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم • سيقولون لله ، قل أفلا تتقون • قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون • سيقولون لله ، قل فانى تسحرون »**(٥) •

ومن المؤسف أن هذه الجاهلية قد تكررت مرة أخرى فى القرن العشرين وكتاب الله بين أيدينا ولا زالت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تهز مشاعرنا وتملأ أسماعنا :

---

(١) البقرة : ٢٦٤ (٢) الكهف : ١١٠ (٣) البقرة : ١٦٥
(٤) الزمر : ٣ (٥) المؤمنون : ٨٤ — ٨٩

فهناك الآن من يقدم النذور لعباد الله الصالحين ، وهذا خطأ جسيم ، لأن النذر عبادة من العبادات التى لا تكون الا لله وحده مثل الصــلاة .

بل ويدعونهم من دون الله ، وهذا أيضا جرم كبير لأن « الدعاء مخ العبادة » كما جاء فى الحديث الصحيح ، والعبادة لا تكون الا لله . قال تعــالى :

« وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين »(١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليــك ، رفعت الأقــلام وجفت الصحف »(٢) .

ومن هذا النوع من الشرك : السجود لغير الله ، والطواف بغير بيته الحرام ، وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره ، وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود ، أو تقبيل القبور واستلامها والسجود لها .

وقد لعن النبى صلى الله عليه وســلم من اتخذ قبور الأنبيــاء والصالحين مساجد يصلى فيها لله . فكيف بمن اتخذوا القبور أوثانا يعبدونها من دون الله ، فقــد ورد فى الصحيحين : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »(٣) ، وفى الصحيح أيضا : « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » وفى مسند الامام أحمد رضى الله عنه وصحيح ابن حبان عنه صلى الله عليه سلم أنه قال : « لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وقال : « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ، وقال : « ان من كان قبلكم كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .

---

(١) غافر : ٦٠ ، وداخرين : اى صاغرين اذلاء .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) هذا لفظ مسلم .

فاذا كان هذا هو حال من سجد لله فى مسجد على قبر فكيف حال من سجد للقبر نفسه .

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد »[١] .

كما نرى أنه صلى الله عليه وسلم قد حمى جانب التوحيد أعظم حماية حين نهى عن صلاة التطوع لله سبحانه وتعالى عند طلوع الشمس وعند غروبها ، لئلا يكون ذريعة الى التشبه بعباد الشمس الذين يسجدون لها فى هاتين الحالتين . كما منع الصلاة بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين بالوقتين اللذين يسجد المشركون فيهما للشمس .

والشرك به فى اللفظ كالحلف بغيره :

وهو أخف أنواع الشرك ، فلا يخرج الانسان عن الايمان وان كان ينقصه قال صلى الله عليه وسلم : « من حلف بغير الله فقد أشرك »[٢] .

ومن ذلك قول القائل للمخلوق : ما شاء الله وشئت ، فقد ثبت أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجعلتنى لله ندا . قل : ما شاء الله وحده » .

وكذلك من يقول : أنا متوكل على الله وعليك ، وأنا فى حسب الله وحسبك ، ومالى الا الله وأنت ، وهذا من بركات الله وبركاتك ، والله فى السماء وأنت فى الأرض ، أو يقول : نذرا لفلان[٣] ، وكذلك من يشبه به فى الاسم الذى لا ينبغى الا له وحــده : كملك الملوك ، وحاكم الحكام .

وخلاصة القول : ان السجود والعبادة والتوكل والانابة والتقوى والخشية والتحسب والتوبة والنذر والحلف والطواف بالبيت والدعاء كل ذلك محض حق الله تعالى : لا يصلح لســواه من ملك مقرب أو نبى مرسل .

---

(١) رواه مالك فى « الموطأ » . (٢) رواه أحمد وغيره .

(٣) فكل هذا يعتبر اعتمادا على غير الله ، والمفروض أن يكون الاعتماد والاتكال على الله وحده ولا مانع أن يكون هناك تعاون بين المؤمنين على البر والتقوى .

ومن أنواع الشرك أيضا :

تعليق التميمة[١] ، والودعة[٢] ، والرقى[٣] ، والتولة[٤] .

فقد ورد فى حديث عن عقبة بن عامر مرفوعا : « من تعلق تميمة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » وفى رواية : « من تعلق تميمة فقد أشرك » وفى رواية أخرى عن ابن مسعود رضى الله عنه : « ان الرقى والتولة شرك »[٥] .

فلا تنس ذلك ، واذكر قوله تعالى : **« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه »**[٦] .

وقوله : **« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا »**[٧] .

و **« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له »**[٨] .

واحذر : أن تكون من المشبهة ، أى الذين يشبهون الله تعالى بالحوادث لأنه سبحانه لا يشبهه أحد من خلقه فى ذات ولا صفة : **« ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير »**[٩] ، **« هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شىء عليم »**[١٠] .

هو أول هو آخر هو ظاهر ... هو باطن ليس العيون تراه

حجبته أسرار الجلال فدونه ... تقف الظنون وتخرس الأفواه

صمد بلا كفء ولا كيفية ... أبدا فما النظراء والأشباه

سبحان من عنت الوجوه لوجهه ... وله سجود أوجه وجباه

ما كان يعبد من اله غيره ... والكل تحت القهر وهو اله

ولا تكن : من هؤلاء الذين يتكلمون فى الاستواء وغيره وهم يجهلون حقيقتهم ، وحسبهم ما قاله جلال الدين السيوطى رحمه الله :

---

(١) التمائم : شىء يعلق على الأولاد يتقون به العين .

(٢) الودعة : شىء ابيض يجلب من البحر يعلق فى حلوق الصبيان وغيرهم . (٣) الرقى : هى التى تسمى بالعزائم .

(٤) التولة : شىء يصنعونه يزعمون انه يحبب المراة الى زوجها والرجل الى امراته .

(٥) وهذا بالنسبة لمن اعتقد تأثيرها بذاتها ، اما من اعتقد انها لا دخل لها فى ارادة الله تعالى واخذ بالأسباب بأن ذهب الى الطبيب مثلا بعد لجوئه الى الله تعالى فليس بمشرك ، والحديث رواه احمد وابو داوود .

(٦) الاسراء : ٢٣ (٧) النساء : ٣٦

(٨) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣ (٩) الشورى : ١١

(١٠) الحديد : ٣

قل لمن يفهم عنى ما أقول — قصر القول فذا شرح يطول
هو سر غامض من دونه — ضربت والله أعناق الفحول
أنت لا تعـرف اياك ولا — قدر من أنت ولا كيف الوصول
لا ولا تدرى صفات ركبت — فيك حارت فى خفاياها العقول
أين منك الروح فى جوهرها — هل تراها فترى كيف تجول ؟
هذه الأنفاق هل تحصرها ؟ — لا ولا تدرى متى منك تزول
أين منك العقل والفهم اذا — غلب النوم ، فقل لى يا جهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه — كيف يجرى منك أم كيف تبول
فاذا كانت طـواياك التى — بين جنبيك كذا فيها خلول
كيف تدرى من على العرش استوى — لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيف تجلى الله أم وكيف يرى — فلعمرى ليس ذا الا فضول
هو لا كيف ولا أين له — وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له — وهو فى كل النواحى لا يزول
جل ذاتا وصفاتا وسـما — وتعـالى قدره عما أقول

واذا أردت اجابة على موضوع الاستواء فاليك :

دخل رجل على الامام مالك رضى الله عنه وسأله عن معنى الاستواء فى قوله تعـالى : **« الرحمن على العرش استوى »**[1] فأجابه بقوله : الاستواء معلوم — أى من القرآن — والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة . ثم قال لجلسائه : أخرجوا عنى هذا المبتدع .

وسئل أبو حنيفة رضى الله عنه أيضا عن الاستواء فقال : من ادعى أن لله فوقية أو تحتية فقـد كفر **« ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصـير »**[2] .

وسئل الشافعى رضى الله عنه عن الاستواء فقال : آمنت بلا تشبيه وصدقت بلا تمثيل .

فلتكن : هذه اجابتك .

ولتكن : عقيدتك عقيدة أهل السنة .

وخلاصتها : أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد اعتقادا جازما بأن الله تعالى اله واحد منزه عن الشرك والمعين والصاحبة والولد ، موجود بذاته من غير افتتاح لوجوده ، ولا نهاية لبقائه ، مستغن عن كل ما سواه ،

---

(١) طه : ٥ — (٢) الشورى : ١١

ومفتقر الى كل ما عداه ، قائم بنفسه ، ليس بجوهر متحيز فيحتاج الى مكان ، ولا بعرض فيستحيل عليه البقاء ، ولا بجسم فيكون له الجهة والتلقاء ، مقدس عن الجهات والأقطار ، مرئى للمؤمنين بالقلوب فى الدنيا وفى الآخرة بالأبصار ، استوى على العرش كما قال وعلى المعنى الذى أراد ، له الآخرة والأولى ، لا يؤده حفظ المخلوقات • وهو موجود بعلمه فى جميع الجهات ، مقدس عن القبل والبعد فان ذلك من صفات الزمان الذى أبدعه ، فهو سبحانه لا يحده زمان ولا يقله مكان • بل كان ولا مكان ولا زمان ، وهو الآن على ما عليه كان • السموات والأرض ومن فيهن جميعا منه • خلق اللوح والقلم وأجراه كاتبا بعلمه فى خلقه فلا تتحرك ذرة الا اليه وعنه : أوجد الكل من غير حاجة اليه ، ولا موجب ذلك عليه ، الا أن علمه قد سبق • فلذلك خلق من خلق لم تتعلق قدرته الا بما أراد كما أنه لم يرد الا ما علم ، وأحاط بكل شىء علما وأحصى كل شىء عددا • يعلم السر وأخفى **« ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »**[١] علم الأشياء قبل وجودها ثم أوجدها على حد ما علمها ، مريد لجميع الكائنات فى الأرضين والسموات ، فما فى الوجود طاعة ولا عصيان ، ولا ربح ولا خسران ، ولا حياة ولا موت ، ولا حصول ولا فوت ، ولا متحرك ولا ساكن ، ولا ظاهر ولا باطن ، الا وهو مراد للحق جل وعلا ، ولا معقب لحكمه ، ولا راد لأمره ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، أخرج العالم فريقين ، وأوجد لهم منزلتين • فقال : هؤلاء للجنة ولا أبالى • وهؤلاء للنار ولا أبالى •

لم يتصرف فى ملك غيره فلا ينسب اليه الظلم والحيف ، ولا يتوجه اليه من الغير سؤال بلم أو كيف • فهو سبحانه كما قال فى كتابه المكنون : **« لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون »**[٢] •

فان رأيت من لم يخضع لهذا الاعتقاد فاصرف النظر عنهم وقل : **« فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين »**[٣] يسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء ، ويبصر السواد فى الظلماء ، متكلم لا عن صمت تقدم ، ولا عن سكوت متوهم ، بكلام قديم أزلى ، منزه عن الحروف والأصوات ، وعن جميع آلات النطق واللهات ، كما أن سمعه من غير

---

(١) الملك : ١٤ (٢) الأنبياء : ٢٣ (٣) الأنعام : ١٤٩

أصمخة ولا آذان ، وبصره من غير حدقة ولا أجفان • وعلمه من غير نظر ولا برهان ، وحياته من غير بخار حدث عن امتزاج الأركان •

وبالجملة •• فهو سبحانه وتعالى متصف بكل كمال • ومنزه عن كل نقص اذ هو الكبير المتعال ، فلا يشبه شيئا من الحوادث ، بل كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك •

وكذلك : يجب اعتقاد أن لله تعالى أنبياء ورسلا مبشرين ومنذرين ، وأن سيدنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين بعث الى كافة الخلق أجمعين وقد خاطبه الله بقوله : **« يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا • وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا »**[1] فبلغ جميع ما أنزله الله اليه ، وأدى الأمانة ونصح الخليقة •• صلوات الله وسلامه عليه •

ويجب اعتقاد أن كل ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم حق ، ومن جملة ما جاء به أن الموت حق ، وأن سؤال القبر حق **« وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور »**[2] وأن العرض على الله حق ، وأن الميزان حق ، وأن الحوض حق ، وأن الصراط حق ، وأن تطاير الصحف حق ، وأن الجنة والنار حق ، وأن فريقا فى الجنة وفريقا فى السعير ، وأن شفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء وصالحى المؤمنين حق ، وأن كل ما جاءت به الأنبياء عن الله حق •

فهذه عقيدة أهل السنة والجماعة فاعمل بها ومت عليها •

وليكن شعارك :

« ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين • لا شريك له ••• »[3] •

ووطد صلتك بالله عن طريق التأمل فى ملكوته حتى تزداد معرفة به وتعظيما له كما حدث من كسرى الذى اضطجع ليلة على فراشه ثم نظر الى الفلك فتفكر فى هيئته واستدارته وقال : أيها الفلك •• ان بناء أنت سقفه لعظيم ، وان بيتا أنت غطاؤه لنظيم ، وان شيئا أنت تظله لكبير ، وان فيك لعجبا للمتعجبين ، فليت شعرى أعلى أعمدة من تحتك تتمسك ، أم بمعاليق من فوقك تتعلق ، ولعمرى ان ملكا أمسكتك

---

(١) الاحزاب : ٤٥ ، ٤٦ (٢) الحج : ٧

(٣) الانعام : ١٦٢ ، ١٦٣

قدرته لملك قدير ، وانه فى استدارتك بتقديره لحكيم خبير . وان جهل من غفل عن التفكير فى هذه العظمة لغير صغير ، وليت شعرى كم أفنت هذه النجوم من القرون ؟ وكم سحقت قبلنا أمما فى سالف العصور ، وليت شعرى بم طلوعك حين تطلعين ؟ وبم سيرك حين تسيرين ؟ وأفولك حين تأفلين ؟ وعلام سقوطك حين تغيبين ؟ وليت شعرى أساكنة أنت أم تتحركين ؟ أم كيف صفتك التى بها تتصفين ؟ ولونك الذى به تتوسمين ؟ ومن سماك بأسمائك التى بها تعرفين ؟ فسبحان من لأمره تنقادين ، وبمشيئته تجرين ، وبصنعته استقامتك حين تستقيمين ، ورجوعك حين ترجعين ، واستتارك حين تستترين ، وبروزك حين تبرزين » .

* (ولا تعقن والديك) :

فهما مصدر وجودك ، وأقرب الناس اليك ، ومهما أحسنت اليهما لن توفيهما حقهما ، وحسبك ترغيبا لك فى اكرامهما واحترامهما وطاعتهما وان أمراك أن تخرج من أهلك ومالك أن تقرأ قول الله تعالى :

« **ووصينا الانسان بوالديه احسانا** »[1] وقوله : « **اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ...** »[2] .

* * *

ولا تنس بعد وفاتهما أمر الله تعالى فى قوله : « **وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** »[3] .

وحتى لا تقع فى هذا الذنب الكبير — وهو العقوق — الذى اعتبره الرسول صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر ، اليك هذه الأحاديث الصحيحة :

أخبر أبو بكر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » — ثلاثا ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : « الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين » وكان متكئا فجلس وقال : « ألا وقول الزور وشهادة الزور » — فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت[4] .

---

(١) الأحقاف : ١٥

(٢) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤

(٣) الاسراء : ٢٤

(٤) رواه البخارى ومسلم .

« ثلاث لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف »[١] .

« ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنعا وهات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المـــال »[٢] .

* * *

فكن : من أجل كل هذا بارا بهما فى حياتهما وبعد وفاتهما ، واحذر أن تكون سببا فى سبهما :

فقد قال رسول الله صلى الله عليه سلم :

« من الكبائر شتم الرجل والديه » قالوا : يا رسول الله .. وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : « نعم ، يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه »[٣] .

* * *

وحتى تعرف ثمرة البر بالوالدين ، اليك هذه القصة التى ذكرها البغوى وغيره فى تفسير قوله تعالى : « **واذ قال موسى لقومه أن الله يامركم أن تذبحوا بقرة** » الى قوله تعالى : « **فذبحوها وما كادوا يفعلون** »[٤] وخلاصتها : أنه كان فى بنى اسرائيل رجل غنى وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية أخرى فألقاه بفنائها ثم أصبح يطلب ثأره ، وجاء بناس الى موسى عليه السلام ــ قال الكلبى : وذلك قبل نزول القسامة فى التوراة ــ فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم بدعائه أمر القتيل فأمرهم بذبح بقرة قائلا لهم : « **ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ، قالوا أتتخذنا هزوا** » أى أتستهزىء بنا ونحن نسألك عن أمر القتيل فتأمرنا بذبح البقرة ؟ ــ فقال موسى : « **أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين** » أى من المستهزئين بالمؤمنين . وقيل : من الجاهلين بالجواب لاعلى وفق السؤال ــ فلما علم الناس أن ذبح البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه . وكان تحته حكمة عظيمة . وذلك لأنه كان فى بنى اسرائيل رجل صالح له ابن طفل وله عجلة أتى بها الى غيضة وقال : اللهم انى أستودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر .

---

(١) رواه الطبرانى فى « الكبير » عن ثوبان .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) البقرة : ٦٧ ــ ٧١

ومات الرجل فصـارت العجلة فى الغيضة أعواما وكانت تهرب من كل من رآها • فلما كبر الابن كان بارا بوالديه ، وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلى ثلثا ، وينام ثلثا ، ويجلس عند رأس أمه ثلثا ، فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ، ويأكل بثلثه ، ويعطى والدته ثلثه • فقالت له أمه يوما : ان أباك ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا فانطلق فادع اله ابراهيم واسماعيل واسحاق أن يردها عليك ، وعلامتهـا أنك اذا نظرت اليها تخيل لك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها — وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها — فأتى الغيضة فرآها ترعى فصاح بها وقال : أعزم عليك باله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ، فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت : أيها الفتى البار بوالديه اركبنى فان ذلك أهون عليك • فقال الفتى : ان أمى لم تأمرنى بذلك ولكن قالت : خذ بعنقها •

فقالت البقرة : باله بنى اسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر على أبدا ، فانطلق فانك لو أمرت الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق معك لفعل ، لبرك بأمك ، فسار الفتى بها الى أمه •

فقالت له أمه : انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة ، قال : بكم أبيعها ؟ قالت : بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى ، وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير ، فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليرى خلقه وقدرته وليختبر الفتى وكيف بره بأمه ، وكان الله به خبيرا فقال الملك : بكم تبع هذه البقرة ؟ قال : بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتى ، فقال الملك : لك ستة دنانير ولا تستأمر والدتك • فقال الفتى : لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمى ، فردها الى أمه وأخبرها بالثمن •

فقالت له : ارجع فبعها بستة دنانير على رضا منى ، فانطلق بها الى السوق وأتى الملك فقال : استأمرت أمك ؟ فقال الفتى : انها أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها • فقال الملك : فانى أعطيك اثنى عشر دينارا ، فأبى الفتى ورجع الى أمه وأخبرها بذلك فقالت : ان الذى يأتيك ملك فى صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له : أتأمرنا أن نبيع هذه البقرة أم لا ؟

ففعل ، فقال الملك : اذهب الى أمك وقل لها أمسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران سيشتريها منكم لقتيل يقتل من بنى اسرائيل فلا تبيعوها الا بملء مسكها دنانير • فأمسكوها ، وقدر الله على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة مكافأة له على بره بوالدته فضلا ورحمة فاشتروها بملء مسكها ذهبا فذبحوها وضربوا القتيل ببعض منها كما أمر الله تعالى فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال : قتلنى فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث •

❊ (ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا ، فان من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله) :

وهذا تحذير من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطلب منك أن تلاحظه حتى لا تقع فى هذا الذنب الكبير الذى يقطع صلتك بالله تعالى •

❊ ❊ ❊

وحسبك تحذيرا لك أيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة »(١) •

وقوله : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر »(٢) •

ولهذا كما يقول الحافظ المنذرى : ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم الى تكفير من ترك الصلاة متعمدا حتى يخرج جميع وقتها ، منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، ومعاذ ابن جبل ، وجابر بن عبد الله ، وأبو الدرداء ، رضى الله عنهم •

ومن غير الصحابة : أحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ، وعبد الله بن المبارك ، والنخعى ، والحكم بن عتبة ، وأيوب السختيانى ، وأبو داوود الطيالسى ، وأبو بكر بن أبى شيبة ، وزهير بن حرب ، وغيرهم •

كما ذهب بعضهم الى فسق تارك الصلاة عمدا من غير جحود لفرضيتها •

ففريق أوجب تعذيره وحبسه الى أن يصلى حتى لا يكون سيئة •

---

(١) رواه احمد ومسلم •

(٢) رواه احمد وأبو داوود والنسائى •

كما رأى أئمة المذاهب وجوب قتله ، فمنهم من أوجب قتله كفرا : كأحمد واسحاق وابن المبارك ، ومنهم من أوجبه حدا : وهو مذهب مالك والشافعى وأبى حنيفة وأصحابه • وكل هذا يؤكد أهمية الصلاة وأنها عماد الدين بما يحتويه هذا المعنى الكبير من العمق والتركيز •

* * *

وحسبك تأكيدا لهذا المعنى الكبير أن تلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الصلاة الركن الثانى فى أركان الاسلام الخمسة بعد قوله : « شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله »(١) •

وذلك لأن الصلاة هى الصلة الوثيقة بين العبد وربه ، ولهذا كانت بمثابة هدية من الله سبحانه وتعالى لعباده فى ليلة الاسراء والمعراج ، يقول أنس رضى الله عنه :

« فرضت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به خمسين ثم نقصت حتى جعلت خمسا ، ثم نودى : يا محمد •• انه لا يبدل القول لدى ، وان لك بهذه الخمس خمسين »(٢) •

* * *

لهذا أيضا نرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركز عليها فقال لأصحابه :

« أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ، فان صلحت صلح سائر عمله ، وان فسدت فسد سائر عمله »(٣) •

حتى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة قال لهم : « الصلاة الصلاة •• وما ملكت أيمانكم » •

* * *

فحافظ على أداء الصلاة فى وقتها حتى لا تقع تحت طائلة العذاب والطرد من رحمة الله تعالى ، وأنت تذكر قوله سبحانه : **« ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا »**(٤) •

---

(١) الحديث رواه البخارى ومسلم ونصه : « بنى الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » •

(٢) رواه احمد والنسائى والترمذى وصححه •

(٣) رواه الطبرانى • (٤) النساء : ١٠٣

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف »[١] .

* * *

واياك أن تؤخر الصلاة عن وقتها حتى لا تكون من الذين : **« أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا »**[٢] ومن الذين : **« هم عن صلاتهم ساهون »**[٣] وهم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها[٤] .

واياك أن تجمع بين صلاتين من غير عذر حتى لا تأتى بابا من أبواب الكبائر وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبواب الكبائر »[٥] .

واحرص على أداء الصلاة بسكينة وخشوع حتى تكون من الذين كتب الله لهم الفلاح فى قوله : **« قد أفلح المؤمنون ٠ الذين هم فى صلاتهم خاشعون »**[٦] .

والا فان الله سبحانه وتعالى سيرفض صلاتك ٠ هذا بالاضافة الى أنك لو داومت على عدم اتمامك لركوعك وسجودك مت على غير ملة أنك لو داومت على عدم اتمامك لركوعك وسجودك مت على غير ملة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد ورد عن عبد الله الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده وهو يصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو مات هذا على حالته هذه مات على غير ملة محمد — صلى الله عليه وسلم » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل الذى لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده ، مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئا »[٧] .

واحرص كذلك على حضور صلاة الجماعة وحسبك ترغيبا لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه اذا توضأ

---

(١) رواه احمد باسناد جيد .
(٢) مريم : ٥٩
(٣) الماعون : ٥
(٤) رواه البزار .
(٥) رواه الحاكم .
(٦) المؤمنون : ١ ، ٢
(٧) رواه الطبرانى فى « الكبير » .

فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة ، فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه ما لم يحدث[١] : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة »[٢] .

ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الجفاء كل الجفاء والكفر والنفاق من سمع منادى الله ينادى الى الصلاة فلا يجبه »[٣] .

وقوله لعبد الله بن أم مكتوم وقد كان مكفوف البصر : « ان سمعت الأذان فأجب ولو حبوا أو زحفا »[٤] .

* * *

وحتى تحافظ على أداء الفرائض لابد وأن تتعود على صلاة السنن ولا سيما المؤكدة منها ، وهي كما يقول ابن عمر رضى الله عنهما : « حفظت من النبى صلى الله عليه وسلم عشر ركعات : ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد العشاء فى بيته ، وركعتين قبل صلاة الصبح »[٥] .

وعن أم حبيبة بنت أبى سفيان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى فى يوم وليلة اثنتى عشرة ركعة بنى له بيت فى الجنة ..

أربعا قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل صلاة الفجر »[٦] .

أما غير المؤكدة : فمنها حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله امرءا صلى قبل العصر أربعا »[٧] .

ومنها حديث على : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى قبل العصر أربعا يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين والنبيين ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين »[٨] .

---

(١) اى ما لم ينتقض وضوءه .

(٢) رواه البخارى ومسلم .　　(٣) رواه احمد .

(٤) رواه احمد والطبرانى فى « الأوسط » .

(٥) رواه البخارى .

(٦) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح ورواه مسلم مختصرا .

(٧) رواه احمد وابو داوود والترمذى وحسنه وابن حبان وصححه وكذا صححه ابن خزيمة .

(٨) رواه أحمد والنسائى وابن ماجه والترمذى وحسنه .

وأما الاقتصار على ركعتين فقط فدليله عموم قوله صلى الله عليه وسلم : « بين كل أذانين صلاة » .

وعن عبد الله بن مغفل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « صلوا قبل المغرب ، صلوا قبل المغرب » ثم قال فى الثالثة : « لمن شاء » كراهية أن يتخذها الناس سنة[١] .

وفى رواية لابن حبان : أن النبى صلى الله عليه وسلم « صلى قبل المغرب ركعتين » .



والخلاصة : أن المؤكدة هى :

ركعتان قبل الظهر : أو أربع ، وركعتان بعده ، أو أربع .

ركعتان بعد المغرب .

ركعتان بعد العشاء ، قبل صلاة الوتر .

ركعتان قبل الصبح .

وغير المؤكدة هى :

أربع قبل العصر ، أو ركعتان .

ركعتان قبل المغرب .

ركعتان قبل العشاء .

مع ملاحظة : قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من لم يصل ركعتى الفجر حتى تطلع الشمس فليصلها »[٢] .

وظاهر هذا الحديث وغيره أنها تقضى قبل طلوع الشمس وبعد طلوعها سواء أكان فواتها لعذر أو لغير عذر ، وسواء فاتت وحدها أو مع الصبح .

عن عائشة رضى الله عنها : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا لم يصل أربعا قبل الظهر صلاهن بعدها »[٣] .

وفى رواية أخرى عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فاتته الأربع قبل الظهر صلاهن بعد الركعتين بعد الظهر »[٤] .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البيهقى قال النووى : اسناده جيد .

(٣) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .

(٤) رواه ابن ماجه .

هذا فى قضاء الراتبة القبلية أما قضاء الراتبة البعدية فقد جاء فيه ما رواه أحمد عن أم سلمة قالت : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، وقد أتى بمال ، فقعد يقسمه حتى أتاه المؤذن بالعصر ، فصلى العصر ، ثم انصرف الى ، وكان يومى فركع ركعتين خفيفتين ، فقلنا : ما هاتان الركعتان يا رسول الله ، أمرت بهما ؟ قال : « لا ، ولكنهما ركعتان كنت أركعهما بعد الظهر فشغلنى قسم هذا المـال حتى جاء المؤذن بالعصر فكرهت أن أدعهما »[١] .

وعن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العصر فقام رجل يصلى فرآه عمر فقال له : اجلس فانما هلك أهل الكتاب أنه لم يكن لصلاتهم فصل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحسن ابن الخطاب »[٢] .

ولهذا يستحب الفصل بين الفريضة والنافلة بمقدار ختم الصلاة .

وعن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا صلى أحدكم الصلاة فى مسجده فليجعل لبيته نصيبا من صلاته فان الله عز وجل جاعل فى بيته من صلاته خيرا »[٣] .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها قبورا »[٤] وذلك لأنه ليس فى القبور صلاة .

وعن زيد بن ثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة المرء فى بيته أفضل من صلاته فى مسجدى هذا ، الا المكتوبة »[٥] ففى هذه الأحاديث دليل واضح على استحباب صلاة التطوع فى البيت ، وأن صلاته فيه أفضل من صلاته فى المسجد ، وكما قال النووى : انما حث على النافلة فى البيت لكونه أخفى وأبعد عن الرياء وأصون من محبطات الأعمال ، وليتبرك البيت بذلك وتتنزل فيه الرحمة والملائكة ، وينفر منه الشـيطان .

والوتر : سنة مؤكدة حث عليها الرسول صلى الله عليه وسلم ورغب فيها .

---

(١) رواه البخارى ومسلم وابو داوود بلفظ آخر .
(٢) رواه احمد بسند صحيح . (٣) رواه احمد ومسلم .
(٤) رواه احمد وابو داوود .
(٥) رواه ابو داوود باسناد صحيح .

فعن على رضى الله عنه قال : ان الوتر ليس بحتم كصلاتكم المكتوبة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتر ، ثم قال : « يا أهل القرآن أوتروا فان الله وتر[١] يحب الوتر »[٢] .

ووقته من بعد صلاة العشاء الى الفجر .

فعن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر أول الليل وأوسطه وآخره »[٣] .

ويستحب تعجيله لمن ظن أنه لا يستيقظ آخر الليل ، وتأخيره لمن ظن أنه يستيقظ آخره :

فعن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من ظن منكم أنه لا يستيقظ آخره ـ أى آخر الليل ـ فليوتر أوله ومن ظن منكم أنه يستيقظ آخره ـ فليوتر آخره ـ فان صلاة آخر الليل محضورة ـ أى تحضرها الملائكة ـ وهى أفضل »[٤] .

وعدد ركعات الوتر كما يقول الترمذى : روى عن النبى صلى الله عليه وسلم الوتر بثلاث عشرة ركعة ، واحدى عشرة ركعة ، وتسع ، وسبع ، وخمس ، وثلاث ، وواحدة .

يقول اسحاق بن ابراهيم : معنى ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يوتر بثلاث عشرة ركعة : أنه كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة مع الوتر ، يعنى من جملتها فنسبت صلاة الليل الى الوتر ، ويجوز أداء الوتر ركعتين ركعتين وذلك بأن يسلم على رأس كل ركعتين ، ثم بعد ذلك يصلى ركعة بتشهد وسلام . كما يجوز صلاة الكل بتشهدين وسلام ، فيصل الركعات بعضها ببعض من غير أن يتشهد الا فى الركعة التى هى قبل الأخيرة فيتشهد فيها ثم يقوم الى الركعة الأخيرة فيصليها ويتشهد فيها ويسلم . ويجوز أداء الكل بتشهد واحد وسلام فى الركعة الأخيرة .

قال ابن القيم : وردت السنة الصحيحة الصريحة المحكمة فى الوتر بخمس متصلة ، وسبع متصلة .

---

(١) أى انه واحد يحب صلاة الوتر ويثيب عليها ، قال نافع : وكان ابن عمر لا يصنع شيئا الا وترا .

(٢) رواه احمد واصحاب السنن وحسنه الترمذى ورواه الحاكم أيضا وصححه .

(٣) رواه أحمد بسند صحيح .

(٤) رواه أحمد ومسلم والترمذى وابن ماجه .

ومن صلى الوتر ثم بدا له أن يصلى جاز ولا يعيد الوتر لما رواه أبو داوود والنسائى والترمذى وحسنه : عن على قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا وتران فى ليلة » .

وقد ذهب جمهور العلماء الى مشروعية قضاء الوتر . لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أصبح أحدكم ولم يوتر فليوتر »[1] .

فاذكر كل هذا : وحافظ على أداء الفرائض والسنن حتى تكون من الرجال الذين : « **لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار** »[2] .

وحتى تكون من المؤمنين : « **الذين يقيمون الصلاة** »[3] .

* (ولا تشربن خمرا فانه رأس كل فاحشة) :

وحسبك هذا التأكيد المحمدى الذى جاء فى النص السابق والذى لا يحتاج الى اضافة أكثر وان كان فى حاجة الى تعليق يضفى اليه مزيدا من الايضاح وهو : أن شرب الخمر فيه عشر خصال مذمومة :

أولها : أن شاربها يصير بمنزلة المجنون كما يصير مضحكة للصبيان ومذموما عند العقلاء كما ورد عن ابن أبى الدنيا أنه قال :

رأيت سكرانا فى بعض سكك بغداد يبول ويمسح بثوبه ويقول : « اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » .

ثانيها : أنها مذهبة للعقل متلفة للمال كما قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : « اللهم أرنا رأيك فى الخمر فانها متلفة للمال مذهبة للعقل ... » .

ثالثها : أن شربها سبب للعداوة بين الاخوان والأصدقاء والناس ، كما قال تعالى : « **انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ...** »[4] .

رابعها : أن شربها يمنع من ذكر الله ومن الصلاة كما قال تعالى : « **ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون** »[5] .

---

(١) رواه البيهقى والحاكم وصححه على شرط الشيخين .

(٢) النور : ٣٧ — (٣) الأنفال : ٣

(٤) المائدة : ٩١ — (٥) المائدة : ٩١

خامسها : أن شربها يحمل على الزنا وعلى طلاق امرأته وهو لا يدرى[١] .

سادسها : أن الخمر مفتاح كل شر لأنها تسهل ارتكاب المعاصى .

سابعها : أن شربها يؤذى الحفظة الكرام بالرائحة الكريهة .

ثامنها : أن شاربها أوجب على نفسه ثمانين جلدة فان لم يضرب فى الدنيا ضرب فى الآخرة بسياط من نار على رؤوس الأشهاد والناس ينظرون اليه والآباء والأصدقاء والأبناء .

تاسعها : أن شاربها أغلق على نفسه باب السماء أربعين يوما فلا ترفع حسناته ولا دعاؤه .

عاشرها : أن شاربها يخاطر بنفسه لأنه يخاف عليه أن ينزع الايمان منه عند موته . أما العقوبات التى له فى الآخرة فانها لا تحصى كشرب الحميم والزقوم وفوت الثواب .

* * *

ولهذا حرم الله الخمر الذى ورد فى تحريمه أن الله أنزل فى الخمر أربع آيات نزلت بمكة :

« ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا »[٢] .

فكان المسلمون يشربونها وهى لهم حلال يومئذ ، الى أن ذهب عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الأنصار رضى الله عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله .. أفتنا فى الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال ، فأنزل الله تعالى : **« يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس »**[٣] .

الى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعا أناسا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا ، وحضرت صلاة المغرب وتقدم أحدهم ليصلى بهم فقرأ : « قل يا أيها الكافرون . أعبد ما تعبدون »[٤] بحذف « لا » النافية ، فأنزل الله تعالى : **« يا أيها**

---

(١) ويقع طلاق هذا السكران لانه هو الذى اهدر عقله ، بخلاف المجنون الذى يرفع عنه القلم حتى يفيق كما ورد فى حديث شريف .

(٢) النحل : ٦٧ (٣) البقرة : ٢١٩

(٤) الكافرون : ١ ، ٢ بلفظ : **« لا اعبد ما تعبدون »** .

الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون »[١] :

فحرم السكر فى أوقات الصلاة • فلما نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا : لا خير فى شىء يحول بيننا وبين الصلاة ، وتركها قوم فى أوقات الصلاة ، وشربوها فى غير أوقاتها حتى كان يشرب الرجل بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال السكر ، ويشرب بعد صلاة الصبح فيصحو اذا جاء وقت الظهر •

الى أن اتخذ عتبان بن مالك طعاما ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن أبى وقاص ، وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ، ثم أنهم افتخروا عند عتبان وانتسبوا وتناشدوا الأشعار فأنشد سعد قصيدة فيها هجو للأنصار وفخر لقومه ، فأخذ رجل من الأنصار لحى البعير فضرب به رأس سعد فشجه شجة موضحة ، فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الأنصارى • فقال عمر : اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ، فأنزل الله تحريم الخمر فى سورة المائدة فى قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون • انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون »**[٢] •

* * *

وبعد أيها الأخ المسلم وقد وقفت على هذه الحقائق الهامة اليك أيضا بعض ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأن الخمر وشاربها :

« من زنى وشرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه »[٣] •

« لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها ـ مشتريها ـ وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه »[٤] •

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن »[٥] •

---

(١) النساء : ٤٣ (٢) المائدة : ٩٠ ، ٩١

(٣) رواه الحاكم •

(٤) رواه ابن ماجه وزاد : « وآكل ثمنها » •

(٥) أخرجه الشيخان وغيرهما عن ابى هريرة •

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر [١] .

« مدمن الخمر ان مات — أى من غير توبة — لقى الله كعابد وثن » [٢] .

« ثلاثة قد حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة ، مدمن الخمر ، والعاق ، والديوث الذى يقر فى أهله الخبث » [٣] .

« كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام » [٤] .

« وكل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » [٥] .

* * *

ومن أجمل ما قرأت فى هذا :

أن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قام خطيبا فقال : أيها الناس .. اتقوا الخمر فانها أم الخبائث ، وان رجلا كان قبلكم من العباد وكان يختلف الى مسجده فلقيته امرأة سوء فأمرت جاريتها فأدخلته المنزل وأغلقت الباب وعندها خمر وصبى ، فقالت : لا تفارقنى حتى تشرب كأسا من هذا أو تواقعنى أو تقتل هذا الصبى والا صحت وقلت هذا دخل على بيتى فمن ذا الذى يصدقك ؟ فقال الرجل : أما الفاحشة فلا آتيها ، وأما النفس فلا أقتلها ، فشرب كأسا من الخمر . والله ما برح حتى واقع المرأة وقتل الصبى .

ثم قال سيدنا عثمان رضى الله عنه : فاجتنبوها فانها أم الخبائث وانه والله لا يجتمع الايمان والخمر فى قلب رجل الا يوشك أن يذهب أحدهما الآخر :

وذلك لأن شارب الخمر تجرى على لسانه كلمة الكفر فيخاف عليه أن يقولها عند الموت فيخرج من الدنيا على الكفر فيبقى فى حسرة وندامة .

* * *

---

(١) رواه الطبرانى .
(٢) رواه احمد بسند رجاله رجال الصحيح .
(٣) رواه احمد واللفظ له والنسائى والبزار والحاكم وصححه .
(٤) رواه الشيخان وابو داوود والترمذى والنسائى .
(٥) رواه ابو داوود .

هذا بالاضافة كما ورد فى بعض الأخبار :

أنه يخرج من القبر وهو أنتن من الجيفة وأنه يكون فى النار قرين فرعون وهامان .

وأنه يشرب فى النار من طينة الخبال ، وهى صديد أهل النار .

فلا تشرب الخمر ولا تقربه وكذا جميع أخواته ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فانه رأس كل فاحشة » .

* * *

واذا كنت قد وقعت فى هذا الذنب ففى استطاعتك أن تكفر عن كل هذا بالتوبة والانابة ، وحسبك قول الله تعالى : « **ان الله يغفر الذنوب جميعا** »[1] .

* * *

ويدخل فى كل هـذا : الحشيش ، والأفيون ، وكل المخدرات ، وكذلك الدخان .

لأن فى كل هذا تهلكة للانسان واهدارا لعقله واتلافا لماله الذى هو عصب الحياة بل هو من « **زينة الحياة الدنيا** »[2] وفى ذلك يقول تعالى : « **ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين** »[3] .

« **ولا تقتلوا أنفسكم ، ان الله كان بكم رحيما** »[4] .

« **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** »[5] .

« **فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا** »[6] .

« **ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين** »[7] .

ومن أجمل ما قرأت فى مضار الدخان :

كم فى الدخان معايب ومكاره ... دلت نتائجها على انكاره
عمت بليته البرية كلها ... حتى غدا الجمهور تحت حصاره
وعيوبه بين الأنام كثيرة ... معلومة لكباره وصغاره
فان انتهيت وما أظنك تنتهى ... ورغبت عنه نجوت من أضراره

---

(١) الزمر : ٥٣ — (٢) الكهف : ٤٦
(٣) البقرة : ١٩٥ — (٤) النساء : ٢٩
(٥) النساء : ٢ — (٦) النحل : ١١٤
(٧) الاسراء : ٢٦ ، ٢٧

كم من نقود يا فتى وملابس ... أتلفتهـــا بشرائه وشراره
وكذا الهوام اذا رآه بقربه ... ترك المكان وحاد عن أوكاره
والنحل لم تأكله حال سلوكها ... أبدا ولم تنزل على أزهاره
وامنع نساءك ما استطعت مبالغا ... فى زجرهن وقل لهن حذاره
عار على ذات القناع تلوكه ... وتشوب شهدة ريقها بعكاره
فترى الثنايا اللؤلؤية أصبحت ... مقلوحة بســواده وصفاره
والمضغ مذموم وقبح طعمه ... ما دامت الأطرون من أنصاره

* * *

أما عن البيرة : فقد جاء فى تقرير المؤتمر الدولى لمكافحة المسكرات عام ١٩٣٩ عن البيرة قوله : ان انتاج هذا الشراب وغيره من أنواع الخمر لا يستفيد منه الا صانعه وبائعه أما ضحاياه فهم أولئك الذين أغوتهم الأهواء بادمانه وتعاطيه •

وذلك لأنها كما تذكر التقارير تحتوى على نسبة من الكحول تتفاوت كثرة وقلة ، واذا لم يكن قليلها مسكرا فكثيرها لا شك مسكر • وقال صلوات الله وسلامه عليه : « ما أسكر كثيره فقليله حرام »(١) •

كما روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم « المذر » وهو شراب كان يتخذه أهل اليمن من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد وهذا فى البيرة :

يقول صلوات الله وسلامه عليه : « ان فى الحنطة خمرا ومن الشعير خمرا »(٢) •

ومن هذا يتبين أن البيرة خمر وأنها حرام ، وكذلك حكم الكينا المخلوطة بالخمر ولا عبرة باختلاف الأسماء فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « يشرب ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها يضرب على رؤوسهم بالمعازف والقينات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير » •

وبالنسبة للاتجار بالبيرة فهو داخل فى نطاق اللعنة التى صبها الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « لعنت الخمر على عشرة أوجه : بعينها وعاصرها ومعتصرها وبائعها وصانعها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها وشاربها وساقيها » •

---

(١) رواه الامام أحمد وابن ماجه والدارقطنى •
(٢) رواه ابن ماجه •

وبالنسبة لشربها للتداوى فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « انه ليس بدواء ولكنه داء » .

ويقول صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم يجعل شفاءكم فى حرام »[١] .

وبالنسبة لشرب الحشيش ، وتعاطى الأفيون فقد أجمع العلماء على تحريم المخدرات جميعا قائلين : ان ما أفسد العقل يحرم تناوله ، مأكولا كان أو مشروبا كما قال ابن تيمية رحمه الله : « ان فى الحشيش والأفيون ونحوهما من المفاسد أكثر مما فى الخمر » كما كان رحمه الله يسمى الحشيش « باللاقمة الملعونة » أى أنها لقمة الفسق والفجور التى تحرك القلب الساكن الى أخبث الأماكن .

فعلى من استحل ذلك وزعم أنه حلال أن يتوب الى الله ويعقد العزم على أن لا يتناول مثل هذا أبدا والا مات مرتدا والعياذ بالله ، وليتق الله فى نفسه وأهله وماله ، وليعلم أن وطنه فضلا عن نفسه وأهله فى أشد الحاجة الى هذا المال الضائع :

الخمر مذهبة الوقار	ومجال مضيعة العقار
كم موسر نقلته من	عز الى ذل افتقار
كم سالم فقرته أى	كسرت له عظم الفقار
كم من عظيم أسلمته	الى الصغار والاحتقار
كم عصمة وصمت وكم	شرف أضاعت فى شنار
كم ثوب عرض لم يكن	أبدا يباع ولا يعار
نادت عليه لبيعه	بيع الكساد بسوق عار

* * *

وكذلك لعب الميسر وهو القمار : يعتبر مصيبة عظمى وطامة كبرى حاقت بأبناء الأغنياء فاستنفدت الأموال والعقارات التى انفطرت أكباد آبائهم فى تحصيلها وانتقلت اليهم غنيمة باردة : وهو داء عضال سرت سمومه فى عروق أولاد الأغنياء فأضاعت نعمهم وسلبت ثروتهم واضمحل أمرهم وسقطوا عن مراتب الجاه الى أسفل درجات الذل والهوان .

فكم خرب من بيوت عامرة ، وكم التهم من أموال لو استربحها أصحابها فى الطيبات لعادت عليهم بالمنافع الجمة والفوائد المهمة .

---

(١) رواه ابن ماجه فى صحيحه .

ان لعب الميسر يولد الحسد والحقد والفناء لأن المقامر لا يقدم على الميسر الا وهو راغب فى تحريك مال غيره اليه ، وهذا عين الحسد ، ثم ان أحدهما لا يربح حتى يخسر الثانى فيحقد الخاسر على الرابح ويتطاير شرر الشر ، وتستقر بينهم العداوة والبغضاء •

وقد حرمه الله تعالى فقال :

« يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون • انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون »[١] •

ولله در القائل :

أخسر خلق الله منا صفقة ... من يطلب اليسر بلعب الميسر
يجنى حراما ان جنى وقلما ... يبلغ الا حسرات المعسر
فغنمه جرم وأما غرمه ... ففقد ميسور وفقد موسر
كم خرب الميسر بيتا عامرا ... وكم أهان من وجيه وسرى

* * *

* (واياك والمعصية فان بالمعصية حل سخط الله) :

وحسبى قبل أن أعلق على هذا العنصر الهام أن أسوق اليك هذا الأثر الذى كثيرا ما تأثرت به وتأثر به كثير من سامعيه عسى أن يكون سببا كبيرا فى طاعتك لله والبعد عن معاصيه :

ذهب رجل الى ابراهيم بن أدهم[٢] — وقد كان من أطباء القلوب — وقال له : انى مسرف على نفسى فاعرض على ما يكون زاجرا لها •

فقال له ابراهيم : ان قدرت على خمس خصال لن تكون من العصاة فقال الرجل — وقد كان متشوقا لسماع موعظته — هات ما عندك يا ابراهيم •• فقال :

الأولى : اذا أردت أن تعصى الله فلا تأكل شيئا من رزقه • فتعجب الرجل ثم قال متسائلا : كيف تقول ذلك يا ابراهيم والأرزاق كلها من عند الله ؟ فقال : اذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل رزقه وتعصيه ؟ قال : لا يا ابراهيم •• هات الثانية •

الثانية : اذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده • فتعجب الرجل

---

(١) المائدة : ٩٠ ، ٩١ (٢) رحمه الله .

أكثر من تعجبه السابق ثم قال : كيف تقول ذلك يا ابراهيم والبلاد كلها ملك الله ؟ فقال له : اذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه ؟ قال : لا يا ابراهيم •• هات الثالثة •

الثالثة : اذا أردت أن تعصى الله فانظر مكانا لا يراك فيه فاعصه فيه • قال : كيف تقول ذلك يا ابراهيم وهو أعلم بالسرائر « **يعلم السر وأخفى** »[1] ويسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ؟ فقال له :اذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تعصيه ؟ قال : لا يا ابراهيم •• هات الرابعة •

الرابعة : اذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له : أخرنى الى أجل معدود ، فقال الرجل : كيف تقول ذلك يا ابراهيم والله تعالى يقول : « **فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** »[2] ؟

فقال له : اذا كنت تعلم ذلك فكيف ترجو النجاة ؟

قال : نعم يا ابراهيم •• هات الخامسة •

الخامسة : اذا جاءك الزبانية ــ وهم ملائكة جهنم ــ ليأخذوك الى جهنم فلا تذهب معهم • فما كاد الرجل يستمع الى هذه الخامسة حتى قال باكيا : كفى يا ابراهيم •• أنا أستغفر الله وأتوب اليه ، ولزم العبادة حتى فارق الحياة •

فاذا كان الرجل قد أعلن توبته الى الله سبحانه وتعالى بعد الاستماع الى هذه الموعظة الجامعة التى وجهها اليه ابن أدهم عليه رضوان الله :

فكلنا كهذا الرجل الذى تبين له من خلال هذه الموعظة النافعة أنه لا يمكنه الاستغناء عن الله ، وأنه ان تخلى الله سبحانه وتعالى عنه كان من الهالكين •

وكيف نتصور عصياننا لله « **وقد هدانا سبلنا** »[3] وهو ولى نعمتنا الذى يقول : « **وما بكم من نعمة فمن الله** »[4] ويقول : « **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** »[5] ، ولهذا كان لابد من امتثال أوامره سبحانه والابتعاد عن معصيته حتى يتحقق المعنى الحقيقى للعبودية التى تستلزم أن يكون العبد مطيعا لسيده ، والا فما معنى العبودية فى مفهومه ؟ ولله در القائل :

---

(١) طه : ٧ — (٢) الأعراف : ٣٤

(٣) ابراهيم : ١٢ — (٤) النحل : ٥٣

(٥) النحل : ١٨

تعصى الاله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ان المحب لمن يحب مطيع

وكيف لا نطيعه سبحانه ونحن فى حاجة اليه وليس هو فى حاجة الينا ولا الى عبادتنا ؟ وانما كل ذلك لنا أو علينا ، وفى ذلك يقول سبحانه : **« من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها »**[١] **« ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ، وان أسأتم فلها »**[٢] كما يقول فى حديث قدسى :

« يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا ، ولو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا » .

ومن هنا كان لابد اذا أردنا أن يكون الله معنا ولا سيما فى هذه الأيام التى نواجه فيها أعداءنا الملاعين — اليهود ومن وراءهم من أعداء العروبة والاسلام — أن نعود اليه سبحانه وتعالى ونجدد العهد معه حتى يكون نصيرا لنا كما كان الحال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأخيار الذين نصرهم سبحانه على أعدائهم فى جميع الميادين حتى دانت لهم الأمم وخضعت لسلطانهم الرقاب وكان فضل الله عليهم عظيما .

وحسبى أيها الأخ المسلم أن أقرأ معك ونحن نستعرض هذه الحقائق قول الله تعالى فى حديث قدسى :

« يا عبادى .. انى أتممت عليكم نعمتى ، وأرسلت اليكم الرسل الكرام لتعرفوا أحكام شريعتى ، فلماذا تعرضون عنى وأنا الغنى الكريم ؟ فوعزتى وجلالى لو أطعتمونى لنصرتكم على أعدائكم ، واذا استعنتم بى فى الشدائد أعنتكم ، واذا سألتمونى كنت قريبا منكم مجيبا لكم ، ولكنكم عصيتمونى فأعرضت عنكم فوقعتم فى الذل والعذاب المهين » .

* * *

فاذكر كل هذا ، ولا تنس قوله تعالى :

« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا »[٣] .

---

(١) فصلت : ٤٦ (٢) الاسراء : ٧
(٣) النساء : ٦٩

ولا تنس كذلك قول أبو العتاهية :

فيا من بات ينمو بالخطايا — وعين الله ساهرة تراه
أما تخشى من الديان طردا — بجرم دائما أبدا تراه
أتعصى الله وهو يراك جهرا — وتنسى فى غد يوما تراه
وتخلو بالمعاصى وهو دان — اليك ولست تخشى من لقاه
أتنكر فعلها ولها شهود — بمكتوب عليك وقد حواه
فيا حزن المسىء لشؤم ذنب — وبعد الحزن يكفيه جزاه
فيندب حسرة من بعد موت — ويبكى حيث لا يجدى بكاه
فبادر بالصلاح وأنت حى — لعلك أن تنال به رضاه

* * *

* (واياك والفرار من الزحف وان هلك الناس) :

وحسبك تحذيرا لك قول الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار • ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم ، وبئس المصير »**[1] .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : يا رسول الله •• وما هن ؟

قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف »[2] .

وقوله عندما سئل عن الكبائر :

« الاشراك بالله ، وقتل النفس المسلمة ، وفرار يوم الزحف »[3] .

هذا بالاضافة الى أنه من الذنوب التى لا كفارة لها وفى ذلك يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

« خمس لا كفارة لها : الشرك بالله ، وقتل النفس بغير حق ، وبهت مؤمن ، والفرار من الزحف ، ويمين صابرة يقتطع بها مالا بغير حق »[4] .

واعلم أن القتال فى سبيل الله هو التجارة التى لن تبور ، وهو الطريق الى الجنة التى « تحت ظلال السيوف » ، وحسبك أن تقرأ قول الله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من**

---

(١) الأنفال : ١٥ ، ١٦ — (٢) اخرجه الشيخان .
(٣) رواه أحمد والنسائى . — (٤) رواه أحمد .

عذاب أليم • تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم • وأخــرى تحبونهــا ، نصر من الله وفتح قــريب ، وبشر المؤمنين »[1] •

ثم تأمل معى هذه الصورة الحية التى ترينا كيف كان التنافس فى ميدان الشرف والنضال وكيف كان أبطال الاسلام يقبلون على القتال وهم ينشدون احدى الحسنيين : النصر أو الاستشهاد :

عندما رأى عمرو بن الجموح ــ وقد كان أعرجا ــ أولاده وقد خرجوا للقتال فى سبيل الله ، خرج يسبقهم ، فوقفوا جميعا فى وجهه يصدونه عن ذلك وهم يقولون له : أما نحن نكفيك الجهاد فى سبيل الله ؟ ان الله يعــذرك لعرجتك[2] فصاح فيهم قائلا : ما بالكم تمنعونى أن أدخل الجنة بعرجتى هذه ؟

ثم انطلق الى الميدان مع اخوانه المجاهدين ، وظل يقاتل بكل شجاعة واستبسال الى أن فاز بالشهادة •

فقال صلوات الله وسلامه عليه : « والله لكأنى أرى عمرو بن الجموح يمشى بعرجته هذه سليما فى الجنة » ، ثم قال :

« ان منكم يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره ، ومنهم عمرو بن الجموح » •

وهذه أسماء بنت يزيد بن السكن ، الصحابية الجليلة ، المجاهدة البطلة ــ بنت عم معاذ بن جبل رضى الله عنهما ــ التى وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة الأولى للهجرة ، وبايعته بيعة الاسلام وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالآية الواردة فى سورة الممتحنة ، وهى : **« يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ، ان الله غفور رحيم »**[3] •

---

(١) الصف : ١٠ ــ ١٣

(٢) يقول الله تعالى فى سورة الفتح : **« ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج »** الآية : ١٧

(٣) الممتحنة : ١٢

وفى هذا تقول أسماء : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ علينا : « ... **أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن** ... » الآية .

وكانت أسماء تنوب عن نساء المسلمين فى مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بهن ، ولقد أتته ذات مرة فقالت له : يا رسول الله .. انى رسول من ورائى من جماعة نساء المسلمين ، كلهن يقلن بقولى ، وهن على مثل رأيى . ان الله تعالى بعثك الى الرجال والنساء ، فآمنا بك واتبعناك ، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات ، قواعد بيوت ، ومواضع شهوات الرجال وحاملات أولادهم ، وان الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز والجهاد واذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم ، وربينا أولادهم ، أفنشاركهم الأجر يا رسول الله ؟ فالتفت رسول الله الى أصحابه فقال : « هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه » ؟

فقالوا : بلى يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انصرفى يا أسماء ، وأعلمى من وراءك من النساء أن حسن تبعل[1] احداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته ، يعدل كل ما ذكرت للرجال » فانصرفت أسماء وهى تهلل وتكبر استبشارا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

غير أنها كانت تطوى فى صدرها التطلع الى المشاركة فى الجهاد الى أن أقبلت السنة الثالثة عشرة للهجرة — بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنوات — وأقبلت معركة « اليرموك » التى دارت رحاها على أرض العرب المغتصبة .

فى هذه المعركة اشتركت المرأة المسلمة بنصيب كبير من الجهاد ، وكما يقول ابن كثير فى الجزء السابع من « البداية والنهاية » وهو يتحدث عن المجاهدين المؤمنين فى المعركة : « فقاتلوا قتالا شديدا حتى قاتلت النساء من ورائهم أشد القتال » .

كما يقول : « واستقبل النساء من انهزم من سرعان الناس ، يضربنهم بالخشب والحجارة ، وجعلت خولة بنت ثعلبة تقول :

يا هاربا عن نسوة تقيات　　　فعن قليل ما ترى سبيات
ولا حصيات ولا رضيات

---

(١) حسن المصاحبة فى الحياة الزوجية والمعاشرة .

فتراجع الناس الى مواقفهم ، وفى هذه المعركة عندما اشتد الموقف نسيت أسماء بنت يزيد أنها أنثى ، ولم تذكر الا أنها مسلمة ومؤمنة ، تستطيع أن تجاهد بما فى وسعها وطاقتها ، ولم تجد أمامها الا عمود خيمة فحملته وانغمرت به فى الصفوف ، وأخذت تضرب به الأعداء ذات اليمين وذات الشمال ، حتى قتلت منهم تسعة من الروم ، وعاشت بعد ذلك دهرا .

فهاتان صورتان أردت بعرضهما الوقوف على المعنى الحقيقى للبطولة طمعا فى درجة المجاهدين من المؤمنين الذين اشترى الله تعالى منهم : « **أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم** »[1] .

فاحرص على أن تفوز بهذه الدرجة العظيمة حتى تكون منهم :

وادع الله تعالى بقوله : « **ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** »[2] .

* * *

* (وان أصاب الناس موت فاثبت) : فى ميدان الشرف والنضال وواجه أعداء الله وأعداءك بكل شجاعة واستبسال .

وليكن هدفك الأسمى هو اعلاء كلمة الله ولسان حالك يقول :

ولست أبالى حين أقتل مسلما ‏ ‏ ‏ على أى جنب كان فى الله مصرعى

مع ايمانك القوى بأن الجهاد فى سبيل الله هو ذروة سنام الاسلام .

وحسبى فى هذا الموقف أن أعرض عليك صورة للبطولة فى ظل العقيدة حتى ترى حلاوة الجهاد والتضحية :

عندما تأهب أبناء الخنساء الأربعة للخروج مع الجيش المتوجه الى القادسية للقتال فى سبيل الله قالت لهم أمهم : « يا بنى .. تالله انكم لبنو أب واحد ، وأم واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت أخوالكم ، قد أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين ، فاذا أتيتم الحرب فخوضوا غمارها واندفعوا فى أتونها ، وكونوا أول المبارزين وأمام الثابتين » .

---

(١) التوبة : ١١١ ‏ ‏ ‏ (٢) البقرة : ٢٥٠

وعندما التحم الجيشان وحمى الوطيس ، قال أولهم يحرض اخوته الثلاثة ويذكرهم نصيحة أمهم :

يا اخوتى ان العجوز الناصحة   قد نصحتنا اذ دعتنا البارحة
بمقالة ذات بيان واضحة   وانما تلقون عند الصابحة
من آل ساسان كلابا نابحة

ثم قال الثانى كذلك محمسا اخوته :

ان العجوز ذات حزم وجلد   قد أمرتنا بالسداد والرشد
نصيحة منها وبرا بالولد   فباكروا الحرب حماة فى العدد

ثم قال ثالثهم :

والله لا نعصى العجوز حرفا   نصحا وبرا صادقا ولطفا
فبادروا الحرب الضروس زحفا   حتى تلقوا آل كسرى لفا

كما قال رابعهم :

لست لخنساء ولا للأخرم   ولا لعمرو ذى النضال الأقدم
ان لم أره فى الجيش خنس الأعجم   ماضى على الهول خضم حضرمى

ثم اندفعوا بعد ذلك فى غمار المعركة بكل شجاعة واستبسال الى أن أكرمهم الله بالشهادة التى حرصوا عليها ، وعندما علمت أمهم بالنبأ قالت ما لم يكن متوقعا فى مثل هذا الظرف : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم فى الاسلام ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته » .

فهذه هى البطولة يا أخى ، وتلك هى الشجاعة النادرة التى تؤكد لنا أن هؤلاء كانوا لا يهابون الموت ولا يفرون منه وانما كانوا يطلبونه حبا فى لقاء الله وطمعا فى رحمته ، وهم يعتقدون اعتقادا جازما بأنه لا مفر من الموت كما يقول تبارك وتعالى : **« أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة .... »**(١) .

ولهذا نرى أن خالد بن الوليد رضى الله عنه وهو سيف الله المسلول الذى قهر الفرس والروم ، وأبلى فى الجهاد بلاءا حسنا لدرجة أنه لم يكن فى جسده موضع بدون طعنة رمح أو سيف ، لم يفز بالشهادة ، وانما مات على فراشه وهو يقول : « ... وهأنذا الآن أموت على فراشى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء » .

فكن بطلا حتى نهاية المعركة ، واثبت فى ميدان القتال كهؤلاء الرجال حتى تكون منهم أو على الأقل شبيها بهم :

---

(١) النساء : ٧٨

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالرجال فلاح
و « اطلب الموت توهب لك الحياة » .

* * *

* (وأنفق على أهلك من طولك) : وهو ثمرة كفاحك الشريف وعرقك الطاهر ، فان الله سائلك عنهم ، كما ورد فى حديث شريف قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله سائل كل راع عما استرعاه ، حفظ أم ضيع » زاد فى رواية : « حتى يسئل الرجل عن أهل بيته »[1] .

هذا بالاضافة الى أنها رسالة كبرى لها أهميتها فى بناء المجتمع السليم والا كانت هناك مشاكل أخرى يصعب حلها وقد يستحيل .

ولهذا كان لابد وأن تساهم فى بناء المجتمع السليم الذى لا يمكن أن يكون حقيقة ملموسة الا اذا كان هناك اهتمام بتربية الأبناء تربية سليمة أساسها الخلق الكريم ، والسعى الشريف ، حتى تكون قدوة صالحة لهؤلاء الأبنـاء لأنه كما يقولون : « لا يستقيم الظل والعود أعوج » فاذا كنت صاحب خلق كريم فان أبناءك سيتعودون منك هذا الخلق ، وفى هذا يقول القائل الحكيم :

وينشأ ناشىء الفتيان منا على ما كان عــوده أبوه

أما اذا كنت عكس هذا فانه سينطبق عليك قول القائل :

اذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وهذا خطأ جسيم لا فى حق نفسك أو فى حق أولادك فحسب ، ولكن فى حق مجتمعك الذى لا دوام له الا بالخلق الكريم .

وانمــا الأمم الأخــلاق ما بقيت فان هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومن أهم عناصر هذا الخلق الكريم اختيار الزوجة الصالحة التى ستكون مدرسة لأبنائك :

الأم مدرســة اذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

وقد أوصانا الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا فقال : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » .

وقال : « اياكم وخضراء الدمن » قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : « المرأة الحسناء فى المنبت السوء » وقال : « فاظفر

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه عن انس بن مالك .

بذات الدين تربت يداك »[١] • فهذا حق من أهم حقوق الأبناء عليك والا كنت سببا كبيرا فى شقائهم وتعاستهم وجلب المتاعب لهم ولا سيما بعد وفاتك •

وكذلك من حقوقهم عليك اختيار الأسماء الحسنة لهم — مثل : « عبد الله ، عبد الرحمن ، عبد الفتاح ، عبد الغفار ، محمد ، أحمد ، محمود ، ابراهيم ، واسماعيل ، وفاطمة ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم » فـ « خير الأسماء ما عبد وحمد » ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم •

أما غير هذه الأسماء الحميدة : مثل « ميمى ، حمادة ، زيزى ، شوشو ، خيشة ، فلفل ، فجلة » فهى أسماء رخيصة تجعل المسمى بها فى نظر العقلاء مدللا لا يعتمد عليه فى تحمل المسئوليات بالاضافة الى أنه سيكون مثار تهكمات وسخرية مع ملاحظة أن الاستعمار الصهيونى استغل تهاوننا بأسماء آبائنا وأمهاتنا فأخذ يعمل على الحط منها ، حتى أصبحنا نرى هذه الأسماء تطلق على الزحافات[٢] المستوردة : (مثل : زنوبة : تحقيرا لاسم زينب ، خدوجة : تحقيرا لاسم خديجة ، حسونة : تحقيرا لاسم الحسين •••) فكن منتبها لكل هذا •

وكن آكلا للحلال واياك أن تخلط مالك بمال حرام لأنه اذا اختلط بالحلال كان سببا فى ضياعه وبعثرته ، وفى ذلك يقول أحدهم :

جمع الحرام على الحلال ليكثره دخل الحرام على الحلال فبعثره

وليس هذا فحسب وانما سيكون كذلك سببا فى شقائك وتعاسة أولادك الذين حكمت عليهم بالضياع بسبب مشاركتهم لك فى أكل الحرام وتعودهم عليه ، واياك أيضا أن تميز ابنا على آخر ماديا أو عاطفيا ، والا كنت سببا فى نزاع مستمر بين الأبناء ، وقد يحدث ما حدث ليوسف عليه السلام عندما رأى اخوته حنان أبيهم عليه أكثر منهم فألقوه فى البئر •

ولا تؤثر ذكرا على أنثى فى ميراث أو غيره ، لأن هذا يعتبر ظلما واستمرار للجاهلية الأولى ، وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كان له أنثى فلم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة »[٣] •

---

(١) من حديث رواه البخارى ومسلم ، ومعنى « تربت يداك » : أى انفترتا والتصقتا بالتراب من شدة الفقر اذ لم تفعل ، وهى جملة دعائية .

(٢) اى الشباشب . (٣) رواه ابو داوود .

مع ملاحظة : أن هذه الأنثى قد تكون أنفع بكثير من هذا الابن الذى قد يكون عاقا وجاحدا وفاسقا ومتلفا لمدخراتك ، وجالبا لك اللعنات والعار بعد وفاتك ، وقبل ذلك فى حياتك •

وكن عادلا بين أولادك ، واياك أن تفعل كما فعل هذا الصحابى الذى كان يسمى « بشيرا » فقد كان يحب ولده النعمان أكثر من أولاده ، فأراد أن يؤثره بعطية فأبت زوجته الا أن يشهد على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بهذا قال له : « أكلهم أعطيت مثلما أعطيت النعمان » ؟ قال : لا ، فقال له : « لا تشهدنى على جور » •

وكذلك احذر أن تتركهم فقراء[١] فقد ثبت أن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه • وقد كانت له ابنة واحدة أراد أن يتصدق بثلثى ماله فرفض الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي بالثلث وهو يقول له : « والثلث كثير ، خير أن تدع ورثتك أغنياء من أن تدعهم عالة يتكففون النـــاس »[٢] •

واعلم أن سعيك على أولادك وأبويك يعتبر جهادا فى سبيل الله ففى الحديث عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال : مر على النبى صلى الله عليه وسلم رجل[٣] فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله •• لو كان هذا فى سبيل الله • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها[٤] فهو فى سبيل الله ، وان كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فى سبيل الشيطان »[٥] •

وحسبك ترغيبا لك فى الانفاق على أهلك من طولك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ، وما أطعمت

---

(١) أى بحرمانهم من الميراث كله .

(٢) متفق عليه .

(٣) وفى بعض الروايات : شاب .

(٤) أى يغنيها عن السؤال .

(٥) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح .

زوجتك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة »[١] وقوله : « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول : أمك وأباك ، وأختك وأخاك ، وأدناك فأدناك »[٢] .

* * *

* (ولا ترفع عنهم عصاك أدبا) :

وليس معنى هذا أن تكون وحشا كاسرا ، وانما المراد ألا تكون متساهلا فى تربيتهم بالصورة التى تفقدك مكانتك بينهم كمسئول عنهم وراع لهم ، فقد يؤدى هذا التساهل الى عصيانك وعدم الاستجابة لمطالبك واهمال أوامرك وارتكاب نواهيك ، هذا بالاضافة الى أنك ستكون صفرا على اليسار لا قيمة لك ولا معنى لوجودك ، ولهذا كان ولابد أن تنفذ قول القائل :

فقسا ليزدجروا ومن يك راحما ... فليقس أحيانا على من يرحم

« لأن كل شيء اذا زاد عن حده انقلب الى ضده » .

مع ملاحظة : أن الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يأمرك بهذا : كان أرحم الناس وأشفقهم .. يقول سيدنا أنس رضى الله عنه : ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابراهيم مسترضعا فى عوالى المدينة ، فكان ينطلق ونحن معه يدخل البيت وانه ليدخن[٣] فيأخذه فيقبله ، ثم يرجع ولقد رأيت ابراهيم وهو يكيد بنفسه[٤] بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ، فدمعت عيناه ، وقال : « تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضى ربنا .. والله يا ابراهيم انا عليك لمحزونون » .

وكان كثيرا ما يضم ابنته فاطمة الى صدره وهو يقول : « مرحبا بأم أبيها » .

ودخل الحسن رضى الله عنه والنبى يصلى فركب الحسن ظهره وهو ساجد فأبطأ فى سجوده حتى نزل فلما فرغ : قال بعض أصحابه :

---

(١) رواه أحمد باسناد جيد عن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه .

(٢) رواه الطبرانى باسناد حسن وهو فى الصحيح وغيرهما بنحو من حديث حكيم بن خزام .

(٣) لأن زوج مرضعته كان حدادا . (٤) أى يجود بروحه .

لقد أطلت سجودك • فقال : « ان ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله » •
وكان يقول للحسن والحسين عليهما رضوان الله : « أنا جملكما » •
وعندما سأله سيدنا عمر رضى الله عنه : يا رسول الله •• مالنا نرق على أولادنا ولا يرقون علينا ؟ كان جوابه صلى الله عليه وسلم : « لأننا ولدناهم ولم يلدونا » •

فلا تنس كل هذا : واذكر ما حدث عندما دخل أحد الولاة على سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يقبل أولاده ، فقال له : ان لى عشرة أولاد ما قبلت واحدا منهم ولا دنا أحد منى • فكان جواب سيدنا عمر : وما جريرتنا نحن ان كان الله عز وجل قد نزع الرحمة من قلبك ، انما يرحم الله من عباده الرحماء • ثم شطب اسمه بعد ذلك من قائمة الولاة وهو يقول : انه لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية •

واذكر أيضا قول على رضى الله عنه : « علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم ، أيها الناس •• من شب على شئ شاب عليه ، ومن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا » •

فكن مع هذه الرحمة رجلا بين أهلك حتى يطيعوك ، ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لأن يؤدب[1] الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع »[2] وقوله : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهـــم »[3] •

وانصح ولدك بهذه الوصية التى أوصى بها سيدنا على رضى الله تعالى عنه ولده الحسن عليه رضوان الله : « يا بنى •• اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن اليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك ، وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم وكل ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حـــرا •

واعلم أن حفظ ما فى يدك أحب الى من طلب ما فى يد غيرك ، ولا تأكل

---

(١) اى يربيه على الفضيلة والاخلاق الحسنة وحسن المعاملة للناس •
(٢) رواه الترمذى • (٣) رواه ابن ماجه •

من طعام ليس لك فيه حق ، فبئس الطعام الحرام ، وجد فى تحصيل معاشك ، واياك والاتكال على المنى فانها بضائع النوكى »[١] .

* * *

* (وأخفهم فى الله) :

أى لا تكن متساهلا فى تطبيق تعاليم الاسلام عليهم وليكن أهم شىء تركز عليه هو الصلاة ، فقد ورد فى الحديث الصحيح : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع »[٢] .

هذا بالاضافة الى أن الصلاة ستوفر عليك مجهودا كبيرا فى تربيتهم تربية سليمة ، لأنهم اذا تعودوا عليها فى الصغر ، حافظوا عليها فى الكبر ، فكانت وقاية لهم من الفحشاء والمنكر ، وفى ذلك يقول تعالى مؤكدا هذا المعنى : **« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »**[٣] .

مع ملاحظة أنهم اذا صلوا وقوى ارتباطهم بالله كانوا لك عونا وأثرا طيبا تستفيد به فى حياتك وبعد مماتك ، ففى الحديث الشريف : « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »[٤] .

فاحرص على أن تكون قدوة صالحة لأبنائك حتى يتشبهوا بك ، واياك أن تكون قدوة سيئة لهم فتخسر كل شىء ، وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول : يا رب .. أنى لي هذا ؟ فيقول : باستغفار ولدك »[٥] .

ومعلوم أن ولدك لن يستغفر لك ولن يدعو لك بالرحمة الا اذا كنت قد أحسنت تربيته وغرست فى قلبه بذور الايمان ، واذا كنا نوصى الرجل بهذا فان زوجته تعتبر شريكة له فى هذه المسئولية ، كما هى شريكة له فى حياته المعيشية .

وقد رأيت فى هذا العرض السريع أن أسوق الى كل أم فاضلة وصية جامعة أوصت بها أم عربية ابنتها فى ليلة زفافها — وكانت قد خلت بها قبل أن تنتقل الى بيت زوجها — حتى تقتدى بها وتوصى بناتها بهذه الوصية التى تقول فيها :

---

(١) النوكى : اى الحمقى .　(٢) رواه البخارى .　(٣) العنكبوت : ٤٥
(٤) رواه مسلم .　(٥) رواه احمد .

« بنيتى •• ان الوصية لو كانت تترك لفضل أدب أو مكرمة حسب لتركت ذلك معك ، ولكنها تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل •

بنيتى •• انك فارقت بيتك الذى منهخرجت ، وعشك الذى فيه درجت الى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، أصبح بملكه اياك عليك ملكا ، فكونى له أمة يكن لك عبدا ، وكونى له أرضا يكن لك سماء ، واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا :

أما الأولى والثانية : فصحبته بالقناعة ومعاشرته بحسن السمع له والطاعة ، فان فى القناعة راحة القلب ، وفى المعاشرة بحسن السمع والطاعة رضا الرب •

وأما الثالثة والرابعة : فالتعهد لموضع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا أطيب ريح •

وأما الخامسة والسادسة : فالتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ، فان حرارة الجو ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة •

وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله ، والرعاية لحشمه وعياله فان حفظ المـــال من حسن التقدير ، والرعاية للحشم من حسن التدبير •

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعصين له أمرا ، ولا تفشين له سرا ، فانك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وان عصيت أمره أوغرت صدره •

واياك والفرح بين يديه اذا كان فى ترح[1] والحزن أمامه اذا كان فى فرح ، فان الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير » •

فعملت البنت بوصايا أمها الرشيدة وباركها الله فأنجبت الحارث ابن عمرو جد امرىء القيس الشاعر • فكونى أيتها الأم الفاضلة كهذه الأم العربية الأصيلة واغرسى فى قلب أبنائك خصال الخير حتى يثمر غرسك ويسعد زوجك •

كما رأيت أيضا بعد هذا الايجاز السابق أن أسوق الى كل أب وكل أم يبغيان الحياة السعيدة الخالية من الخلافات الزوجية التى تؤثر على سلوك الأبناء وطباعهم ، وحتى يكونا قدوة صالحة لهم ، هذه الأحاديث الشريفة :

سألت امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حق الزوج على زوجته • فقال :

---

(١) اى حزن •

« فان حق الزوج على زوجته : ان سألها نفسها وهى على ظهر قتب لا تمنعه نفسها . ومن حق الزوج على الزوجة ألا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ، ولا يقبل منها ، ولا تخرج من بيتها الا باذنه فان فعلت لعنتها ملائكة السماء ، وملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب حتى ترجع الى بيتها »(١) .

« اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلم تأته ، فبات غضبانا عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح »(٢) .

وعن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله .. ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن تطعمها اذا طعمت ، وتكسوها اذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح(٣) ، ولا تهجر الا فى البيت »(٤) .

وفى حجة الوداع قال فى خطبته صلى الله عليه وسلم : « ألا واستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم — الى أن قال : — ألا وان لكم على نسائكم حقا »(٥) .

وتأمل قول الحكيم :

فزوجة المرء عون يستعين بها	على الحياة ونور فى دياجيها
مسلاة فكرته ان بات فى كدر	مدت له لتواسيه أياديها
فى الحزن فرحته تحنو فتجعله	ينسى بذلك آلاما يعانيها
كم زوجة ذات عقل غير مسرفة	تدبر الأمر تدبيرا ينجيها
تعامل الزوج فى أحوال عسرته	وفى اليسار بما فى النفس يشفيها
والزوج يدأب فى تحصيل عيشته	دأبا ويجهد منه النفس يشقيها
ان عاد للبيت يلقى ثغر زوجته	يفتر عما يسر النفس يحييها
هذى القرينة هذى من تحن لها	نفس الأبى ولكن أين تلفيها
وزوجها ملك والدار مملكة	والصفو والسعد يجرى فى نواحيها

* * *

---

(١) رواه الطبرانى .

(٢) رواه البخارى ومسلم وابو داوود والنسائى وأحمد والبيهقى كلهم عن أبى هريرة .

(٣) أى لا تقل لها : قبح الله وجهك .

(٤) رواه ابو داوود وابن حبان فى صحيحه .

(٥) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

الوصية الثانية عشرة

روى اسماعيل بن رافع المدنى عن ثعلبة بن صالح عن سليمان بن موسى عن معاذ قال : أخذ بيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشى قليلا ثم قال : يا معاذ :

« أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، ووفاء العهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة ، ورحم اليتيم ، وحفظ الجوار ، وكظم الغيظ ، ولين الكلام ، وبذل السلام ، ولزوم الامام ، والتفقه فى القرآن ، وحب الآخرة ، والجزع من الحساب ، وقصر الأمل ، وحسن العمل .

وأنهاك أن تشتم مسلما ، أو تصدق كاذبا ، أو تكذب صادقا ، أو تعصى اماما عادلا ، وأن تفسد فى الأرض .

يا معاذ .. اذكر الله عند كل شجر وحجر ، وأحدث لكل ذنب توبة ، السر بالسر ، والعلانية بالعلانية » .

(رواه البيهقى فى كتاب « الزهد »)

* * *

فكن أخا الاسلام :

من أهل التقوى الذين : **« لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون »**[1] وهم أولياء الله وأحباؤه الذين تولاهم الله برعايته وتوفيقه ، كما ورد فى حديث قدسى أجاب الله تعالى فيه على استفسار لسيدنا داوود عليه السلام عندما ناجاه قائلا : أى العباد أحب اليك ؟ فقال سبحانه :

« يا داوود .. أحب عبادى الى تقى القلب نقى الكفين ، لا يأتى لأحد بسوء ولا يمشى بين الناس بالنميمة ، تزول الجبال ولا يزول ، أحبنى وأحب من يحبنى وحببنى الى عبادى . قال داوود : يا رب .. وكيف يحببك الى عبادك ؟ قال : يذكرهم بنعمى وآلائى ، يا داوود .. ما من عبد يعين مظلوما أو يمشى معه فى مظلمته الا ثبت قدمه على الصراط يوم تزل الأقدام » .

---

(١) يونس : ٦٢ ، ٦٣

وحسبك أن تعلم أن التقوى هي جماع أعمال البر الذى هو من أهم نتائج الصدق ، قال تعالى : « **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذاعاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون** »(١) .

فكن منهم حتى تكون معهم « **فى جنات ونهر • فى مقعد صدق عند مليك مقتدر** »(٢) .

واعلم : أن التقوى فى القرآن تطلق على ثلاثة أشياء :

أحدها : بمعنى الخشية والهيبة ، قال تعالى : « **وإياى فاتقون** »(٣) ، وقال : « **واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله** »(٤) .

والثانى : بمعنى الطاعة والعبادة ، قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته** »(٥) يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسيرها : « أطيعوا الله حق طاعته » وكما يقول مجاهد : « أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر » .

والثالث : بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب ، وهذه حقيقة التقوى ، ألا ترى أن الله تعالى يقول : « **ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون** »(٦) .

ومن أجمل ما قرأت فى تفسير هذه الآية أن عظيما من عظماء الروم أسلم بسببها ، وعندما التقى بسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال له : لقد وجدت فى كتابكم آية جمعت كل ما فى الكتب السماوية ، فقال عمر : ما هى ؟ فتلا الآية — السابقة — ثم قال : اليك تفسيرها يا أمير المؤمنين — كما فهمتها — « ومن يطع الله فى الفرائض ، ورسوله فى السنن ، ويخشى الله فيما مضى ، ويتقه فيما هو آت فقد فاز فوزا عظيما ، والفائز من زحزح عن النار وأدخل الجنة » فقال عمر : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد قال : « أوتيت جوامع الكلم » فكن من أجل كل هذا تقيا نقيا .

---

(١) البقرة : ١٧٧
(٢) القمر : ٥٤ ، ٥٥
(٣) البقرة : ٤١
(٤) البقرة : ٢٨١
(٥) آل عمران : ١٠٢
(٦) النور : ٥٢

ولا تنس قوله تعالى : « **تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا** »[١] .

وقوله : « **وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقـون يا أولى الألبـاب** »[٢] . وتأمل قول القائل :

تزود من التقوى فانك لا تدرى ... اذا جن ليل هل تعيش الى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة ... وكم من عليل عاش حينا من الدهر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم ... وقد دخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من فتى يمسى ويصبح لاهيا ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى
وكم من عروس زينوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

* * *

* وكن صادقا فى حديثك : حتى تكون من أهل البر الذى هو من أهم نتائج الصدق وحسبك أن تقرأ قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر ، والبر يهدى الى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور ، وان الفجور يهدى الى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا »[٣] .

* * *

وحتى ترغب فى الصدق وتحذر الكذب اليك قول الله تعـالى : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم** »[٤] وقـوله : « .. **ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب** »[٥] .

« **ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة** »[٦] .
« **انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله** »[٧] .

وقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا اذا حدثتم ، وأوفوا اذا وعدتم ،

---

(١) مريم : ٦٣
(٢) البقرة : ١٩٧
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) الاحزاب : ٧٠ ، ٧١
(٥) غافر : ٢٨
(٦) الزمر : ٦٠
(٧) النحل : ١٠٥

وأدوا اذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم »[١] .

وقوله : « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا عاهد غدر »[٢] .

وقوله : « أنا زعيم ببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحا »[٣] . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيكون المؤمن جبانا ؟ قال : نعم . قيل : أفيكون بخيلا ؟ قال : نعم . قيل : أفيكون كذابا ؟ قال : لا »[٤] .



واعلم أن الصدق درجات :

الأولى : صدق اللسان . وحق على كل عبد أن يحفظ لسانه فلا يتكلم الا بالصدق : اللهم الا اذا كانت هناك مصلحة تقتضى هذا فى بعض الأحوال كتأديب الصبيان ، والنساء ومن يجرى مجراهم ، وفى الحذر من الظلمة ، وفى قتال الأعداء والاحتراز على الأسرار .

وكما يقول النووى فى « رياض الصالحين » باختصار : اعلم أن الكذب وان كان أصله محرما فيجوز فى بعض الأحوال لأن الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه ، وان لم يمكن تحصيله الا بالكذب ، جاز الكذب ، ثم ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا كان الكذب مباحا ، وان كان واجبا كان الكذب واجبـــا .

فان اختفى مسلم من ظالم يريد قتله أو أخذ ماله أو أخفى ماله وسئل عنه ، وجب الكذب باخفائه ، وكذا لو كان عنده وديعة وأراد ظالم أخذها وجب الكذب باخفائها .

واستدل العلماء بجواز الكذب فى هذا الحال بحديث أم كلثوم

---

(١) رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه عن عبادة بن الصامت .

(٢) رواه البخارى ومسلم وزاد فى رواية له : « وان صام وزعم انه مسلم » .

(٣) رواه البيهقى باسـناد حسن وابو داوود والترمذى وحسـنه وابن ماجه .

(٤) رواه مالك هكذا مرسلا .

رضى الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيرا أو يقول خيرا »[١] .

الدرجة الثانية : الصدق فى النية والارادة ، ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو ألا يكون له فى الحركات والسكنات الا الله تعالى .

الدرجة الثالثة : صدق العزم ، وهو الجزم فيه بقوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد .

الدرجة الرابعة : فى الوفاء بالعهد مهما كلفه هذا من مشقة .

الدرجة الخامسة : الصدق فى الأعمال ، وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر فى باطنه لا يتصف هو به ، والمراد استواء السريرة والعلانية بمعنى أن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا من ظـــاهره .

اذا السر والاعلان فى المؤمن استوى فقد عز فى الدارين واستوجب الثنا
فان خالف الاعــلان سرا فما له على سعيه فضل سوى الكد والعنا

* * *

* وكن وفيا لعهدك : حتى تكون من « **الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق** »[٢] ومن الذين « ... **صـدقوا ما عاهدوا الله عليه** »[٣] .

وحسبك أن تعلم أن الوفاء بالوعد من صفات الله عز وجل الذى يقول : « **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله** »[٤] ويقــول : « **وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله** »[٥] .

ومن صفات الرسل الكرام ، قال تعالى : « **أم لم ينبأ بما فى صحف موسى . وابراهيم الذى وفى** »[٦] وقال : « **واذكر فى الكتاب اسماعيل ، انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا** »[٧] .

وحتى تكون متصفا بهذه الصفة الحميدة اليك هذا الخبر الذى

---

(١) متفق عليه ، زاد مسلم فى رواية : « قالت أم كلثوم : ولم أسمعه يرخص فى شىء مما يقول الناس الا فى ثلاث ، يعنى : « الحرب ، والاصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها » .

(٢) الرعد : ٢٠ — (٣) الأحزاب : ٢٣

(٤) ابراهيم : ٤٧ — (٥) التوبة : ١١١

(٦) النجم : ٣٦ ، ٣٧ — (٧) مريم : ٥٤

يحكى : أن رجلا اقترض من غيره مالا ووعده أن يرده اليه فى ميعاد كذا ولم يحضر المستدين شاهدا وضامنا له الا الله ، ورضى صاحب المـال بالله شاهدا وضامنا ، ولحسن نية المقترض هذا فى السداد قواه الله وأغناه ، وجاء ليرد ما عليه فتعذر عليه الوصول لبلد الدائن من أجل تلف القنطرة التى يعبر الناس عليها ، ولخوفه من الله ومن خلف الوعد ، هداه تفكيره الى أن يضع المـال فى جوف خشبة ثم سدها سدا محكما وقال : اللهم أنت الشاهد والضامن فأسألك أن توصل الحق لصاحبه ، ورمى بالخشبة فى المـاء . وشاءت ارادة الله اكراما لهذا الرجل الوفى أن يخرج الدائن الى البحر مصادفة فوجد الخشبة وفتحها فوجد فيها المـال فحمد الله كثيرا وأثنى على المقترض الوفى ودعا له بخير .

ولكن المقترض لم تطب نفسه بما عمل وظن أن المـال لم يصل الى صاحبه فأحضر غيره وجاء بعد اصلاح القنطرة . فقال له الدائن : يا أخى .. بارك الله لك ، قد أدى الله عنك وأوصل المـال الى لحسن نيتك وعزمك على السداد ، فانصرف راشدا .

وهذا مصداق قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد اتلافها أتلفه الله » .

فلا تنس هذا وكن وفيا لعهدك حتى لا تقع فى شباك النفاق ففى الحديث : « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا ائتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر »[١] .

* * *

* وأد الأمانات الى أهلها : كما أمرك الله سبحانه وتعالى فى قوله : **« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها »**[٢] حتى تكون من **« ... الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيهـا خالدون »**[٣] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) النساء : ٥٨

(٣) المؤمنون : ٨ ــ ١١ بلفظ : « والذين » .

مع ملاحظة أن كل عضو من أعضاء الانسان أمانة : فأمانة اللسان ألا يستعمله فى كذب أو غيبة أو نميمة أو بدعة ، أو نحو ذلك •

وأمانة العين : ألا ينظر بها الى محرم •

وأمانة الأذن : ألا يصغى بها الى استماع محرم •

وهكذا بالنسبة لسائر الأعضاء ، فكلها أمانات مع الله تعالى •

وأما مع الناس : فرد الودائع ، وترك التطفيف فى كيل أو وزن •

وأمانة الأمراء : العدل فى الرعية •

وأمانة العلماء فى العامة : أن يحملوهم على الطاعة والأخلاق الحسنة وينهوهم عن المعاصى وسائر القبائح •

وأمانة المرأة فى حق زوجها : أن لا تخونه فى فراشه أو ماله ولا تخرج من بيته بغير اذنه •

وأمانة الزوج فى حق زوجته : أن يوفر لهـا حقوقها الشرعية ولا يلوث فراشها بفعل فاحشة والا خالفته ولوثت شرفه وعرضه[1] •

هذا بالاضافة الى أن : مراقبة الله فى السر والعلن أمانة ، وطاعة الرسول فيما تأخذ وتذر أمانة ، وهذا الدين الاسلامى بأصوله وفروعه فى عنقك أمانة تتطلب منك الدفاع عنها والدعوة اليها ، وأوطان المسلمين كلها أمانة تطالبك بالذود عنها والدفاع عن حقوقها والعمل على رفع شأنهـا •

وأولادك وزوجتك ووالداك والأسرة كلها أمانة ستسئل عنها أمام خالقك ورازقك يوم العرض عليه سبحانه ، فاذكر كل هذا ولا تنس قوله تعـالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون »**[2] •

وقوله صلى الله عليه وسلم : « أد الأمانة الى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك » •

ثم اليك فى نهاية هذا الموضوع الحيوى هاتين القصتين اللتين تأثرت بهما كثيرا : روى أن رجلا اشترى من آخر عقارا ، فوجد المشترى فى عقاره جرة ذهب ، فحملها بنفسه الى البائع ، قائلا : خذ ذهبك ، فقال البائع ــ الأمين ــ : والله ما هى لى ، وما ينبغى أن آخذ ما لا أعلم ،

---

(١) من يزن بامرأة بألفى درهم   فى بيته يزنى بغير الدرهم

(٢) الأنفال : ٢٧

فترافعا الى مؤمن ليحكم فى هذه القضية النادرة • فقال لهما الحكم : هل لكما من عيال ؟

فقال أحدهما : لى غلام ، وقال الآخر : لى جارية ، فقال : زوجا الجارية للغلام وأنفقا عليهما من جرة الذهب ، فانصرفا راضيين •

وفى معركة القادسية عثر أحد أفراد الجيش الاسلامى — وقد كان مسكينا فقيرا — على صندوق به جواهر غالية فدفعه الى قائده ، فعجب من أمانته مع فقره وقال له : ما اسمك حتى أذكرك لعمر فيعطيك ويثنى عليك أمام الناس ؟ فغضب الجندى المؤمن ، ثم قال لقائده : لو أردت عمر ما رأيته أنت ولا عمر ، فدعا له بخير وأرسل الجواهر بحقها الى عمر رضى الله عنه ، فلما وقف سيدنا عمر على الخبر قال : أشكر الله أن جعل فى جيشى مثل هذا الأمين ، فقال له أحد الحاضرين : يا أمير المؤمنين •• عففت فعفوا ولو رتعت لرتعوا •

فهل رأيت مثل هذا • وهل ستكون من الأمناء ؟

أرجو أن يكون الجواب : نعم •

* * *

* واترك الخيانة :

وحسبك تحذيرا لك قول الله تعالى :

« ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما »(١) • **« ان الله لا يحب الخائنين »**(٢) • **« وأن الله لا يهدى كيد الخائنين »**(٣) • **« ان الله لا يحب كل خوان كفور »**(٤) •

وحتى لا تقع فى هذا الشرك وتبتعد عن أسبابه وملحقاته التى من أهمها وأخطرها شهوات النفس الأمارة بالسوء اليك هذا الحديث الشريف :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ذات يوم : « أتدرون من المفلس » ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع • فقال : « المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فاذا فنيت حسناته

---

(١) النساء : ١٠٧ (٢) الأنفال : ٥٨
(٣) يوسف : ٥٢ (٤) الحج : ٣٨

قبل أن يقضى ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار »[١] • فاعمل حسابا لهذا اليوم حتى لا تكون مفلسا ولا تنس قوله تعالى : **« فمن نكث فانما ينكث على نفسه »**[٢] •

ولا تنس : **« يوم يعض الظالم على يديه »**[٣] •

واحذر كذلك **« خائنة الأعين »**[٤] واذا كان الله تعالى قد جعل لك عينين تنظر بهما ، فقد جعل لهما غطائين ، فانظر بعينيك الى ما أحل الله لك فان عرض عليك ما حرم الله عليك ـ من حبائل الشيطان ـ فأطبق عليهما غطاءهما •

وكذلك لا تخن صديقك بالتحدث عنه بما يكره أو بالاستماع الى من يغتابه ، ولا تخن زوجتك بالنظر بشهوة الى غيرها حتى لا تخونك بالنظر بشهوة الى غيرك • وقد يحدث ما هو أخطر من هذا ، ولا تخن أولادك باتلاف قوتهم فى ملذاتك وشهواتك فتحطم مستقبلهم •

ولا تخن جارك بالنظر الى زوجته بشهوة فربما أدى هذا الى ارتكاب جريمة الزنا معها • فقد ورد فى الحديث الشريف قول النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « ما تقولون فى الزنا » ؟ قالوا : حرام حرمه الله عز وجل ورسوله فهو حرام الى يوم القيامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه أن يزنى بامرأة جاره »[٥] •

كما سئل صلوات الله وسلامه عليه : أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال : « أن تجعل لله ندا ، وهو خلقك » قلت : ان ذلك لعظيم ، ثم أى ؟ قال : « أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » قلت : ثم أى ؟ قال : « أن تزانى حليلة جارك »[٦] •

فلا تخن جارك أو غيره وان خانك •

* * *

* وارحم اليتيم : وهو من مات أبوه من بنى آدم[٧] وهو دون البلوغ •

---

(١) رواه مسلم • (٢) الفتح : ١٠

(٣) الفرقان : ٢٧ بلفظ : « ويوم » (٤) غافر : ١٩

(٥) رواه احمد ورواته ثقات والطبرانى فى « الكبير » و « الأوسط » •

(٦) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى •

(٧) ومن ماتت أمه من الحيوانات .

وتذكر أنك فى الطريق الى نهاية أبيه مهما طالت اقامتك فى هذه الحياة ، فنحن كما يقول الشافعى رضى الله عنه :

نزول كما زال آباؤنا ويبقى الزمان على ما ترى
نهار يمر وليل يكر ونجم يغور ونجم يرى

فبعطفك على اليتيم تضمن عطف غيرك بعد وفاتك على ولدك .

وحسبك قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة ــ وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما ــ »[1]

وقوله عندما شكا اليه رجل قسوة قلبه : « امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين »[2] .

واحــذر أن تكون من **« الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما »** فقد قال الله تعالى فى نفس الآية : **« انما يأكلون فى بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا »**[3] .

ونفذ قوله تعالى : **« وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ، انه كان حوبا كبيرا »**[4] .

واذا كنت تخاف على ذريتك من بعدك ففى استطاعتك من الآن أن تؤمن (على حياتهم) ومستقبلهم وذلك بتقواك الله واصابتك فى القول وفى ذلك يقول تعالى : **« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا »**[5] .

* * *

* واحفظ جوارك : فقد أمرك الله تعالى بالاحسان اليهم فى قوله : **« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم »**[6] .

وهم ثلاثة كما قرأت فى هذه الآية :

الأول : القريب منك فى الجوار أو النسب .

الثانى : البعيد عنك فى الجوار أو النسب .

---

(١) رواه البخارى وأبو داوود والترمذى .

(٢) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) النساء : ١٠ (٤) النساء : ٢

(٥) النساء : ٩ (٦) النساء : ٣٦

الثالث : الرفيق فى سفر أو صناعة • وقيل الزوجة •
ومن الجيران من له ثلاثة حقوق : وهو جارك القريب المسلم •
ومن له حقان : وهو جارك المسلم •
ومن له حق واحد : وهو جارك الذمى[١] •
ومن أجمل ما قرأت فى هذا : يقول الحسن البصرى رضى الله عنه : حق الجار على الجار تسعة أشياء :

أولها : ان استقرضك أقرضته • وثانيها : وان دعاك أجبته • وثالثها : وان مرض عدته • ورابعها : وان استعان بك أعنته • وخامسها : وان أصابته مصيبة عزيته • وسادسها : وان أصابه خير هنأته • وسابعها : وان مات شيعته • وثامنها : وان مات احفظ منزله وعياله وواسهم • وتاسعها : ولا تؤذه •

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : ثلاث خصال مستحسنة كانت فى الجاهلية ، والمسلمون أولى بها :

أولها : لو نزل بهم ضيف اجتهدوا فى بره •

الثانى : لو كانت لأحدهم امرأة كبيرة عنده لا يطلقها ويمسكها مخافة أن تضيع •

والثالث : اذا لحق بجارهم دين أو أصابته شدة اجتهدوا حتى يقضوا عنه دينه وأخرجوه من تلك الشدة •

وقال سفيان الثورى رضى الله عنه :

« من الجفاء أن يشبع الرجل وجاره جوعان لا يطعمه شيئا » •

وقال آخر : تمام حسن الجوار فى أربعة أشياء :

الأول : أن يواسيه بما عنده •

الثانى : أن لا يطمع فيما عند جاره •

الثالث : أن يمنع أذاه عنه •

الرابع : أن يصبر على أذاه •

فاذكر كل هذا ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »[٢] •

---

(١) غير المسلم من اهل الكتاب وهو من أعطاه المسلمون عهدا بالاقامة بينهم آمنا .

(٢) متفق عليه .

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت »(١) .

« خير الأصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره »(٢) .

وان أساء اليك جارك فحسبك هذه الوصية المحمدية التى أوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم رجلا ذهب اليه يشكو أخلاق جاره فقال له : « كف أذاك واصبر على أذاه ، وكفى بالموت مفرقا » . « ليس حسن الجوار كف الأذى عن الجار ، ولكن حسن الجوار الصبر على أذى الجار »(٣) .

ثم اليك هذا الدعاء الذى كان سيدنا داوود عليه السلام يدعو الله تعالى به : « اللهم انى أسألك أربعا ، وأعوذ بك من أربع : أسألك لسانا صادقا ، وقلبا خاشعا ، وبدنا صابرا ، وزوجة تعيننى على أمر دنياى وأمر آخرتى .

وأعوذ بك : من ولد يكون على سيدا ، ومن زوجة تشيبنى قبل وقت المشيب ، ومن مال يكون مشبعة لغيرى بعد موتى ويكون حسابه فى قبرى ، ومن جار سوء ان رأى حسنة كتمها ، وان رأى سيئة أذاعها وأفشاها » .



* واكظم غيظك : حتى تكون من **« الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين »**(٤)

وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما شاء »(٥) . وقوله : « ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله »(٦) .

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .
(٣) من كلام الحسن البصرى رضى الله عنه .
(٤) آل عمران : ١٣٤
(٥) رواه أبو داوود والترمذى وحسنه وابن ماجه .
(٦) رواه ابن ماجه ورواته محتج بهم فى الصحيح .

وليكن مثلك الأعلى هو الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى كان كما وصفه الله تعالى فى قوله : « **وانك لعلى خلق عظيم** »[١] :

فقد روى أنه كان ذات يوم يقسم الغنائم فقال له أعرابى جلف : اعدل فان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله . فما كان منه صلى الله عليه وسلم الا أن قال له : « ويحك .. فمن يعدل ان لم أعدل ؟ خبت وخسرت ان لم أعدل » .

ونهى أصحابه أن يقتلوه حين هم بعضهم بذلك .

وعن أنس رضى الله عنه قال : « كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد[٢] نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجذبه بردائه جذبة شديدة ، فنظرت الى صفحة عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبته ، ثم قال : يا محمد .. مر لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء »[٣] .

فهذه بطولة ورجولة أكدها الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله :

« ما تعدون الصرعة فيكم » ؟ قالوا : الذى لا تصرعه الرجال . قال : « ولكنه الذى يملك نفسه عند الغضب »[٤] .

فكن بطلا حتى لا يتمكن الشيطان منك فتفقد كل شىء .

* * *

* وكن لينا فى كلامك : تنفيذا لقول الله تعالى : « **وقولوا للناس حسنا** »[٥] وقوله : « **وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن** »[٦] وقوله : « **ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم** »[٧] .

وحسبك أن تقرأ قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها » قالوا : لمن هى

---

(١) القلم : ٤ (٢) نوع من الثياب .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه .

(٥) البقرة : ٨٣ (٦) الاسراء : ٥٣

(٧) فصلت : ٣٤

يا رسول الله ؟ قال : « لمن أطعم الطعام ، وأطاب الكلام ، وصلى بالليل والناس نيام »[١] .

وقوله : « الكلمة الطيبة صدقة »[٢] . فتذكر كل هذا ، و :

خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت وأعرض عن الجاهلين
ولن فى الكلام لكل الأنام فمستحسن من ذوى الجاه لين

واذا كنت جافا فى طباعك فظا فى قولك ، فحسبك أن تدعو الله تعالى بهذا الدعاء العمرى الذى روى أن سيدنا عمر بن الخطاب دعا الله سبحانه وتعالى به عندما ولى الخلافة وكان قد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس انى داع فأمنوا : « اللهم انى غليظ فلينى لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقنى الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة[٣] والنفاق من غير ظلم منى لهم ولا اعتداء عليهم . اللهم انى شحيح[٤] فسخنى[٥] فى نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة[٦] واجعلنى أبتغى بذلك الدار الآخرة . اللهم ارزقنى خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين .

اللهم انى كثير الغفلة والنسيان فألهمنى ذكرك على كل حال وذكر الموت فى كل حين .

اللهم انى ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقنى النشاط فيها والقوة عليها بالنية الحسنة التى لا تكون الا بعزتك وتوفيقك .

اللهم ثبتنى باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك والحياء منك وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى والمحاسبة لنفسى ، واصلاح الساعات[٧] والحذر من الشبهات .

اللهم ارزقنى التفكير والتدبير لما يتلوه لسانى من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر فى عجائبه والعمل بذلك ما بقيت ، انك على كل شىء قدير .

---

(١) رواه الطبرانى والحاكم .
(٢) من حديث رواه البخارى ومسلم .
(٣) أهل الفساد والفسق .
(٤) الشح : هو البخل .
(٥) اى اجعلنى سخيا جوادا .
(٦) السمعة : اى الرياء .
(٧) اصلاح أوقاتى واستعمالها فى النافع مع المفيد .

اللهم لا تدعنى فى غمرة[١] ولا تأخذنى على غرة ، ولا تجعلنى من الغافلين »[٢] .

* * *

* واقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف :

وحسبك أن تعلم أولا : أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الاسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف »[٣] .

وأن تعلم ثانيا : أنه من موجبات الجنة كما ورد فى حديث شريف رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لأدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم »[٤] وفى رواية أخرى : « يا أيها الناس .. أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام »[٥] .

وحتى تقف على ثواب السلام بالاضافة الى ما سبق ، اليك هذا الحديث الشريف الذى يقول فيه عمران بن الحصين رضى الله عنهما : « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليكم ، فرد عليه ثم جلس فقال النبى صلى الله عليه وسلم : عشر ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه ، ثم جلس فقال النبى صلى الله عليه وسلم : عشرون ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال : ثلاثون »[٦] .

وفى رواية أخرى لأبى داوود زيادة على هذا : « ثم أتى آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ، فقال : أربعون . وقال : هكذا تكون الفضائل » .

---

(١) الانهماك فى الباطل .
(٢) ذكر فى « العقد الفريد » .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه مسلم .
(٥) روى فى مسند الدارمى وكتابى الترمذى وابن ماجه بالأسانيد الجيدة وقال الترمذى : حديث صحيح .
(٦) روى فى مسند الدارمى وسنن أبى داوود والترمذى وقال الترمذى : حديث حسن .

فاحرص على هذا الفضل وهذا الثواب •

فليس المصاب من فارق الأحباب ... ان المصـــاب من فقد الثواب

ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أشراط الساعة السلام بالمعرفة »[١] •

وكيفية السلام : أن يقول المسلم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فيأتى بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا •

ويقول المجيب : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته •

فيأتى بواو العطف فى قوله : وعليكم •

وهذا أفضل ، وان كان يجوز للمبتدىء أن يقول : السلام عليكم ، وان قال : السلام عليك ، أو سلام عليك حصل السلام أيضا •

وأما الجواب فأقله : وعليك السلام أو وعليكم السلام ، فان حذف الواو فقال : عليكم السلام • أجزأ ذلك وكان جوابا •

ولو قال فى الجواب : عليكم • لم يكن جوابا ، ولو قال : وعليكم — بالواو — ففيه وجهان ، ولو قال المبتدىء : سلام عليكم ، أو قال : السلام عليكم • فللمجيب أن يقول فى الصورتين : سلام عليكم ، وله أن يقول : السلام عليكم ، وأقل السلام الذى يصير به مسلما مؤديا للسنة أن يرفع صوته بحيث يسمع المسلم عليه ، فان لم يسمع لم يكن آتيا بالسلام ولا يجب الرد عليه •

وأقل ما يسقط به فرض السلام أن يرفع صوته بحيث يسمعه المسلم فان لم يسمعه لم يسقط عنه فرض الرد • والمستحب أن يرفع صوته رفعا يسمعه به المسلم عليه أو عليهم سماعا محققا ، واذا تشكك فى أنه يسمعهم زاد فى رفعه واحتاط واستظهر •

واذا سلم على أيقاظ عندهم نيام فالسنة أن يخفض صوته بحيث يحصل سماع الأيقاظ دون النيام •

ويشترط أن يكون الجواب على الفور فان أخره ثم رد لم يعد جوابا وكان آثما بترك الرد •

ويكره السلام : بالاشارة باليد أو بالأصابع لأن هذا يعتبر تشبها باليهود والنصارى •

ويكره السلام : على المشتغل بالبول أو الجماع أو نحوهما •

---

(١) اخرجه احمد .

ويكره السلام : على من كان نائما[١] أو ناعسا[٢] .

ويكره السلام : على من كان مصليا أو مؤذنا فى حال أذانه واقامته الصلاة .

ويكره السلام : على من كان فى حمام ، أو فى مكان لا يؤثر السلام عليه فيه ، أو كان يأكل واللقمة فى فمه .

فان سلم عليه فى هذه الأحوال لم يستحق جوابا ، أما اذا كان على الأكل وليست اللقمة فى فمه فلا بأس بالسلام ويجب الجواب ، وكذلك فى المبايعة وسائر المعاملات يسلم ويجب الجواب .

كما يكره على المشتغل بالبول ونحوه رد السلام .

وأما السلام فى حال خطبة الجمعة فقد قال العلماء : يكره الابتداء به ، لأنهم مأمورون بالانصات للخطبة ، فان خالف وسلم فهل يرد عليه ؟ فمن العلماء من قال : لا يرد عليه لتقصيره ، ومنهم من قال : ان قلنا ان الانصات واجب لا يرد عليه ، وان قلنا ان الانصات سنة رد عليه واحد من الحاضرين ولا يرد عليه أكثر من واحد على كل وجه .

وأما السلام على المشتغل بقراءة القرآن فقد قال أبو الحسن الواحدى : ترك السلام أولى لاشتغاله بالتلاوة ، فان سلم عليه كفاه الرد بالاشارة وان رد باللفظ استأنف الاستعاذة ، ثم عاد الى التلاوة .

وهذا الكلام فيه نظر ، والظاهر أنه يسلم عليه ويجب الرد باللفظ .

أما اذا كان مشتغلا بالدعاء مستغرقا فيه ، مجمع القلب عليه فيحتمل أن يقال : هو كالمشتغل بالقراءة ، يقول الامام النووى : والأظهر عندى فى هذا أنه يكره .

وأما الملبى فى الاحرام فيكره أن يسلم عليه لأنه يكره له قطع التلبية فان سلم عليه رد السلام باللفظ .

وأما المصلى فيحرم عليه أن يقول : وعليكم السلام فان فعل ذلك بطلت صلاته ان كان عالما بتحريمه ، وان كان جاهلا لم تبطل على أصح الوجهين عند النووى ، وان قال : « عليه السلام » بلفظ الغيبة لم تبطل صلاته لأنه دعاء وليس بخطاب ، والمستحب أن يرد عليه فى الصلاة باشارة ولا يتلفظ بشىء وان رد بعد الفراغ من الصلاة باللفظ فلا بأس[٣] .

---

(١) النوم : معروف . (٢) النعاس : السنة من النوم .

(٣) راجع كل هذا وما بعده فى « الأنكار » للنووى .

وأما المؤذن فلا يكره له الرد باللفظ المعتاد لأنه يسير ولا يبطل الأذان ولا يخل به ٠

فلا تنس كل هذا مع ملاحظة أن :

ابتداء السلام سنة مستحبة وليس واجبا وهو سنة على الكفاية ٠

رد السلام ان كان المسلم عليه واحدا تعين عليه الرد ، وان كانوا جماعة كان رد السلام فرض كفاية عليهم : فان رد واحد سقط الحرج عن الباقين وان تركوا كلهم أثموا جميعا ، وان ردوا كلهم فهو النهاية فى الكمال والفضيلة ، وهكذا قال العلماء ، وهو ظاهر حسن ، ولو رد غيرهم لم يسقط عنهم الرد بل يجب عليهم أن يردوا ، فان اقتصروا على رد ذلك الأجنبى أثموا ٠ ثم اليك كذلك هذه الأحكام :

اذا نادى انسان انسانا من خلف ستر أو حائط فقال : السلام عليك يا فلان ، أو السلام على فلان ، أو أرسل رسولا وقال : سلم على فلان ٠ فبلغه الكتاب أو الرسول ، وجب عليه أن يرد السلام ، كما يستحب أن يرد على المبلغ أيضا فيقول : وعليك السلام ٠ واذا سلم على أصم لا يسمع ينبغى أن يتلفظ بلفظ السلام لقدرته عليه ويشير باليد حتى يحصل الافهام ويستحق الجواب ، ولو لم يجمع بينهما لا يستحق الجواب ، وكذا لو سلم عليه أصم وأراد الرد فيتلفظ باللسان ويشير بالجواب ليحصل الافهام ويسقط الجواب ٠

ولو سلم على أخرس فأشار الأخرس باليد سقط الفرض لأن اشارته قائمة مقام العبارة ، وكذا لو سلم عليه الأخرس بالاشارة يستحق الجواب ٠

ولو سلم على صبى ، لا يجب عليه الجواب ، لأن الصبى ليس من أهل الفرض والمستحب له الجواب أدبا ٠

ولو سلم الصبى على بالغ ، قيل : يجب على البالغ الرد ، وقيل : لا يجب ، والصحيح أنه يجب لقوله تعالى : « **واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها** »(١) ٠

ولو سلم بالغ على جماعة فيهم صبى فرد صبى ولم يرد منهم غيره ٠ قيل : يسقط الفرض عنهم ، كما يصح أذانه للرجال ويسقط عنهم طلب الأذان ٠

---

(١) النساء : ٨٦

وقيل : لا يسقط لأنه ليس أهلا للفرض ، والرد فرض فلا يسقط به ، كما لا يسقط به الفرض فى الصلاة على الجنازة والصحيح الأول .

واذا سلم على انسان ثم لقيه على قرب ، يسن له أن يسلم عليه ثانيا أو ثالثا أو أكثر ، كما ورد فى حديث شريف قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه فان حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه »[١] .

اذا تلاقى رجلان فسلم كل واحد منهما على صاحبه دفعة واحدة أو أحدهما بعد الآخر ، يجب على كل واحد منهما أن يرد على صاحبه لأنه يعتبر كل واحد منهما مبتدئا بالسلام ، وان رد أحدهما بعد الآخر كان جوابا وان كان دفعة واحدة لم يكن جوابا .

ولو سلم على رجل ظنه مسلما فظهر أنه كافر يستحب أن يسترد سلامه فيقول له : رد على سلامى ، والغرض من ذلك أن يوحشه ويظهر له أنه ليس بينهما ألفة كما فعل ابن عمر رضى الله عنهما بعد أن سلم على رجل قيل له انه يهودى فتبعه وقال : رد على سلامى .

مع ملاحظة أنه لا يجوز ابتداء أهل الذمة بالسلام ، وقال آخرون : ليس هو بحرام بل هو مكروه .

فان سلموا على مسلم قال فى الرد : « وعليكم » ولا يزيد على هذا فعن أنس رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا سلم أهل الكتاب فقولوا عليكم »[٢] ولو أراد تحية أهل الكتاب فعلها بغير السلام ، واذا مر على جماعة فيهم مسلمون أو مسلم وكفار فالسنة أن يسلم عليهم ويقصد المسلمين أو المسلم ، واذا كتب كتابا الى مشرك وكتب فيه سلاما أو نحوه ينبغى أن يكتب كما يكتب الرسول صلى الله عليه وسلم : **« السلام على من اتبع الهدى »**[٣] .

واذا مر على صبيان فمن السنة أن يسلم عليهم ، فقد ورد عن أنس رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على صبيان فسلم عليهم »[٤] .

---

(١) رواه ابو داوود عن ابى هريرة .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) طه : ٤٧ بلفظ : **« والسلام »** .
(٤) رواه البخارى ومسلم .

وإذا مر على امرأة فإن كانت زوجته أو جاريته أو محرما من محارمه فهى معه كالرجل فيستحب لكل واحد منهما ابتداء الآخر بالسلام ويجب على الآخر رد السلام عليه ، وإذا كانت أجنبية : فإن كانت جميلة يخاف الافتتان بها لم يسلم الرجل عليها ، ولو سلم لم يجز لها رد الجواب ، ولم تسلم عليه هى ابتداء ، فإن سلمت لم تستحق جوابا ، فإن أجابها كره له .

وإذا كان النساء جمعا جاز للرجل أن يسلم عليهن ، وإذا كان الرجال جمعا كثيرا فسلموا على المرأة الواحدة جاز إن لم يخف عليه ولا عليهن ولا عليها أو عليهم فتنة ، فإن خيفت الفتنة فإنه يحرم سلام الرجل على جمع النساء وسلام الرجال على المرأة مع ملاحظة : أن المرأة مع المرأة كالرجل مع الرجل فى هذه الأحكام .

وإذا دخل بيته فإنه يستحب أن يسلم وإن لم يكن فيه أحد وليقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، كما يستحب أن يقول : بسم الله ، وأن يكثر من ذكر الله تعالى ثم يسلم ، ففى حديث شريف يقول أنس رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بنى .. إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك »[١] .

* * *

فاذكر كل هذا ولا تنس هذه الآيات القرآنية :

« فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة »[٢] .

« وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها »[٣] .

« وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا »[٤] .

* * *

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث صحيح .
(٢) النور : ٦١ (٣) النساء : ٨٦
(٤) الحجرات : ١٣

وهذه الأحاديث الشريفة :

« اذا انتهى أحدكم الى المجلس فليسلم فاذا أراد أن يقوم فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة »[١] .

« يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير »[٢] .

و « يسلم الصغير على الكبير »[٣] .

« ما من مسلمين يلتقيان ويتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا »[٤] .

« لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » .

« حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، واجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » .

« أفشوا السلام تسلموا » .

* * *

* والزم الامام : الذى ينطبق عليه قول الخليفة الأول — أبى بكر الصديق رضى الله عنه — فى خطبة الخلافة بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله : « أما بعد .. أيها الناس ، فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع عليه حقه ان شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله . لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا خذلهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم الا عمهم الله بالبلاء . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله »[٥] تنفيذا لأمر الله تعالى فى قوله : « **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** »[٦] والا فانه « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » .

ولعل الرسول صلى الله عليه وسلم يريد بقوله : « ولزوم الامام »

---

(١) رواه أبو داوود والترمذى وقال : حديث حسن .

(٢) رواه البخارى ومسلم . (٣) من رواية البخارى .

(٤) رواه أبو داوود والترمذى وابن ماجه .

(٥) ذكره الحافظ ابن كثير فى « البداية والنهاية » بسند صحيح .

(٦) النساء : ٥٩

المواظبة والمحافظة على صلاة الجماعة ، وذلك لأن : « صلاة الجماعة أفضل من الفذ[1] بسبع وعشرين درجة »[2] ولذلك ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر » قالوا : وما العذر ؟ قال : « خوف أو مرض ، لم تقبل منه الصلاة التى صلى »[3] .

وفى حديث آخر : عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لقد هممت أن آمر فتيتى فيجمعوا لى حزما من حطب ، ثم آتى قوما يصلون فى بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم » فقيل ليزيد بن الأصم : الجمعة عنى أو غيرها ؟ قال : صمتا أذناى ان لم أكن سمعت أبا هريرة يأثره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر جمعة ولا غيرها[4] .

فلا تنس هذه الأحاديث الشريفة حتى تحافظ على حضور صلاة الجمــاعة .



واحذر مسابقة الامام فى الصلاة فعن أنس رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال : « أيها الناس .. انى امامكم فلا تسبقونى بالركوع ، ولا بالقيام ولا بالانصراف فانى أراكم أمامى ومن خلفى ، ثم قال : والذى نفس محمد بيده ، لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قالوا : وما رأيت يا رسول الله ؟ قال : رأيت الجنة والنار »[5] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يأمن الذى يرفع رأسه فى صلاته قبل الامام أن يحول الله صورته فى صورة حمار »[6] . وعنه أيضا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الذى يرفع رأسه ويخفضه قبل الامام انما ناصيته[7] بيد شيطان »[8] وعنه أيضا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) الفذ : اى المنفرد .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه أبو داوود وابن ماجه .
(٤) رواه مسلم وأبو داوود .
(٥) رواه مسلم .
(٦) رواه مسلم .
(٧) مقدم رأسه .
(٨) أخرجه مالك .

« أما يخشى أحدكم اذا رفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الامام أن يجعل الله رأسه رأس حمار – أو صورته صورة حمار »[١] •

فلاحظ كل هذا مع مراعاة الاطمئنان فى الصلاة ، ولا تركع حتى يركع الامام تماما ، ولا ترفع حتى يرفع ، ولا تسجد حتى يسجد ، ولا تسلم الا بعد التسليمتين •

فقد روى أن رجلا من الفقهاء – عليهم جميعا رضوان الله – رأى رجلا يسابق الامام فى صلاته فقال له بعد انتهاء الصلاة : « لا وحدك صليت ولا بامامك اقتديت » •

* * *

ولعله صلى الله عليه وسلم أيضا يريد بقوله : « ولزوم الامام » مصادقته ومصاحبته لأنه لم يصل[٢] الى درجة الامامة الا بجدارة ، وحسبه جدارة وقدرا أنه من حملة القرآن ، ففى الحديث الشريف : « ليؤمكم أكثركم قرآنا » وفى حديث آخر : « اذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم وأحقهم بالامامة أقرؤهم »[٣] •

وفى حديث آخر :« خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[٤] •

فاذا كانت هذه هى درجته ومنزلته فمن الخير ملازمته ومصاحبته تنفيذا لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم التى قال فيها : « لا تصاحب الا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك الا تقى » هذا بالاضافة الى أنه مؤمن : « ••• كله منفعة ، ان شاورته نفعك ، وان شاركته نفعك ، وان ماشيته نفعك ، فأمره كله منفعة » كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم •

وأيضا : « رؤيته شفاء ، وموعظته دواء ، ينتفع برؤيته قبل روايته ، وخيره بادر ، وشره نادر » كما قال أحد الحكماء •

* * *

* وتفقه فى القرآن : وذلك لأن القرآن ملىء بالأسرار والآيات التى تحتاج الى مدارسة تتطلب من كل مسلم ومسلمة ضرورة العمل على

---

(١) اخرجه الخمسة .　　(٢) اى الاملم .

(٣) رواه احمد والنسائى ، والمراد بالاقرا : اكثرهم حفظا .

(٤) رواه البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه وغيرهم عن عثمان بن عفان .

تحصيلها والوقوف على أسرارها • وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم هذا فقال :

« ••• ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده »(١) •

وحتى تعرف قدر القرآن وتجتهد فى فهم آياته التى أنزلها الله « هدى للمتقين »(٢) اليك ما قاله عنه أعداء الاسلام :

شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

يقول الدكتور « موريس بوكاى » الفرنسى فى وصف القرآن :

« انه بمثابة ندوة علمية للعلماء ، ومعجم لغة للغويين ، ومعلم نحو لمن أراد تقويم لسانه ، وكتاب عروض لمحب الشعر وتهذيب العواطف ، ودائرة معارف للشرائع والقوانين ، وكل كتاب سماوى جاء قبله لا يساوى أدنى سورة من سوره فى حسن المعانى وانسجام الألفاظ ، ومن أجل ذلك نرى رجال الطبقة الراقية فى الأمة الاسلامية يزدادون تمسكا بهذا الكتاب واقتباسا لآياته يزينون بها كلامهم ويبنون عليها آراءهم كلما ازدادوا رفعة فى القدر ونباهة فى الفكر » •

ويقول القس « لوازون » :

« ليس فى الاكتشافات العلمية الحديثة ولا فى المسائل التى انتهى حلها ، والتى تحت الحل ما يغاير الحقائق الاسلامية الوضاءة والسهلة المأخذ ، ولهذا فان التوفيق الذى نبذل كل جهدنا معاشر المسيحيين هو سابق موجود فى الديانة الاسلامية » •

واضح أنه يعنى ما هو ثابت فى القرآن من براهين •

ويقول المؤرخ الانجليزى الشهير « ولزآن » :

« ان الديانة الحقة التى وجدتها تسير مع المدنية أنى سارت هى الديانة الاسلامية ، واذا أراد انسان أن يعرف شيئا من هذا فليقرأ القرآن وما فيه من نظريات علمية ، وقوانين وأنظمة لربط المجتمع ، فهو كتاب علمى ، دينى ، عملى ، اجتماعى ، تهذيبى ، خلقى ، تاريخى ،

---

(١) من حديث رواه مسلم • (٢) البقرة : ٢

أكثر أنظمته وقوانينه تستعمل فى وقتنا الحالى وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة » •

هذا هو القرآن نبراس الهـدى — دستورك الأسمى المنير المشرق
آياته نبع العـلوم جميعهـا — من قال : لا فهو الغبى الأخرق
علم الطبيعة والحياة وحكمة الـ — ايجاد من تبيـانه تتـدفق
وسياسة الدنيا بأقوم شرعة — بين الورى بسواه لا تتحقق
فيه القضـاء لحل كل قضية — عن حلها أهل السياسة أخفقوا

ومن أجل ذلك فـ :

نحن نبغى القرآن علما وفهما — يخلقـان الكمال فى الشبان
نحن نبغى القرآن لفظا ومعنى — فهو صقل الحجا وصقل اللسـان
نحن نبغى القرآن دينا ودنيـا — يتجلى فى هـديه الحسـنيان
نحن نبغى القرآن فى معهد الدر — س وفى كل مـنزل ومكان

فهل سنتفقه فى القرآن ؟ وهل نستعمل على حفظه ونعلمه لأولادنا ونساءنا كما كان يفعل آباؤنا وأجدادنا ؟ وهل سننفذ تعاليمه حتى نكون حقا من أهله ؟

أرجو أن يكون الجواب نعم •• وحتى تقول نعم باقتناع تأمل قوله تعالى : « **ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا** »[١] •

* * *

* وكن محبا للآخرة : واعمل ليلا ونهارا على أن تكون من أبنائها حتى تكون مشكورا فى سعيك كما جاء فى قوله تعالى : « **ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا** »[٢] •

وحسبك أن تذكر دائما وأبدا قول الله تعالى : « **وان الدار الآخرة لهى الحيوان ، لو كانوا يعلمون** »[٣] — أى لهى الحياة الحقيقية — •

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى أول خطبة له بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله : « أما بعد أيها الناس •• فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه[٤] :

---

(١) الاسراء : ٩ — (٢) الاسراء : ١٩
(٣) العنكبوت : ٦٤ — (٤) ترجمان : اى مفسر •

« ألم يأتك رسولى فبلغك ؟ وآتيتك مالا وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشيق تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »[1] .

ولا تنس قوله تعالى : **« بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى »**[2] وقوله : **« فأما من طغى . وآثر الحياة الدنيا . فان الجحيم هى المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المأوى »**[3] .

و :

تأهب للذى لابد منه فان الموت ميقات العباد
أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

* * *

* واجزع من الحساب : الذى سيكون حتما **« يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . لكل امرىء منهم يومئذ شان يغنيه »**[4] .

وحتى تعمل لهذا اليوم ألف حساب اليك هذه الأحاديث الشريفة :

« لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع خصال : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه »[5] .

« من نوقش الحساب عذب — تقول عائشة رضى الله عنها — فقلت : أليس يقول الله تعالى : **« فأما من أوتى كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيرا . وينقلب الى أهله مسرورا »**[6] ؟

فقال : « انما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة الا هلك »[7] .

---

(١) ذكرها ابن هشام فى سيرته واخرجها البيهقى .
(٢) الأعلى : ١٦ ، ١٧ (٣) النازعات : ٣٧ — ٤١
(٤) عبس : ٣٤ — ٣٧
(٥) رواه البزار والطبرانى بسند صحيح واللفظ له عن معاذ بن جبل .
(٦) الانشاق : ٧ — ٩
(٧) رواه البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى .

« لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء ، ويسئل الحجر : لم انكب على الحجر ولم نكأ[١] الرجل الرجل » قال : وكنا نسمع أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول : كنت ترانى على الخطأ وعلى المنكر ولا تنهانى[٢] .

* * *

مع ملاحظة أنه سيشهد عليك فى هذا اليوم المشهود أحد عشر شاهدا : اللسان ، واليد ، والرجل ، والسمع ، والبصر ، والجلد ، والأرض ، والليل ، والنهار ، والحفظة الكرام ، والمال .

قال تعالى تأكيدا لهذا : **« يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون »**[٣] وقال : **« ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون**[٤] **. حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون »**[٥] . وقال : **« وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد »**[٦] .

* * *

واعلم : أن الحساب لغة : العد ، واصطلاحا : توقف الخلائق على أعمالهم قبل انصرافهم من المحشر — وهو موقف الحساب الذى سيساق العباد اليه بعد بعثهم للقضاء بينهم ، وأحوال الناس فى الحشر مختلفة فمنهم الراكب وهم المتقون ، ومنهم الماشى على رجليه وهم قليلو الأعمال ، ومنهم الماشى على وجهه وهم الكفار ، ومنهم الأعمى وهو الجائر فى الحكم . ومنهم الأصم الأبكم وهو المعجب بعلمه ، ومن يمضغ لسانه ويسيل القيح من فمه وهم الوعاظ الذين تخالف أعمالهم أقوالهم .

وأول من تنشق الأرض عنه ويبعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أنه أول من يرد المحشر ، وأول من يدخل الجنة ، وقبل انصراف الناس من هذا الموقف سيقفون على جميع أعمالهم وسيكون سؤالهم عنها بكيفية يعلمها الله تعالى .

وسيكون الحساب للمؤمنين والكافرين انسا وجنا بعد أخذ العباد

---

(١) اى جرحه .
(٢) اخرجه مسلم والترمذى .
(٣) النور : ٢٤
(٤) يوزعون : اى يساقون .
(٥) فصلت : ١٩ ، ٢٠
(٦) سورة ق : ٢١ ، سائق : اى مالك يسوقها الى المحشر .

صحائف أعمالهم • ولا يكون للمعصومين ومن استثنى من الحساب وهم سبعون ألفا أفضلهم أبو كبر الصديق رضى الله عنهم •

وسيكون بصور مختلفة : فمنه السر ، ومنه العلن ، ومنه اليسير ، ومنه العسير ، ومنه ما معه الفضل ، ومنه ما معه العدل •

وحكمته مع علمه تعالى بأعمال العباد اظهار فضل المتقين ، وفضيحة الفجار على رؤوس الأشهاد ليسر الأولون ويساء الآخرون •

* * *

فاذكر كل هذا وحاسب نفسك قبل أن تحاسب[1] وقبل أن يجىء اليوم الذى سيقول الله تعالى فيه :

« اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا »[2] وقوله كما ورد فى حديث قدسى : « ألم أجعل لك سمعا ، وبصرا ، ومالا ، وولدا ، وسخرت لك الأنعام والحرث ، وتركتك ترأس وترتع ؟ أكنت تظن أنك ملاقى يومك هذا ؟ فيقول : لا • فيقول له : اليوم أنساك كما نسيتنى »[3] •

* * *

* وقصر أملك : فى هذه الحياة الأولى حتى لا تتربع على قلبك فتنسيك الآخرة التى اليها ستنتقل مهما طالت حياتك فى الدنيا كما ورد فى حديث قدسى يقول الله تبارك وتعالى فيه : « يا ابن آدم •• لا تغتر بشبابك فكم من شاب سبقك الى الموت ، يا ابن آدم •• لا تفرح بدنياك فلست بمخلد ••• » •

ولهذا قال الحكماء : العاقل المصيب : من عرف الله تعالى فأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحق فاتبعه ، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها ، العاقل المصيب : من ترك الدنيا قبل أن تتركه ، وبنى قبرا قبل أن يدخل فيه ، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه •

ومن هنا كان من الحكمة أن يضع العاقل حدا لهذه الأمانى المتعلقة بهذه الدنيا الفانية حتى لا يكون مطية لها وحتى لا يكون من أهل الشقاء ، فقد ورد : « أربعة من الشقاء : جمود العين ، وقسوة القلب ،

---

(١) بفتح السين . (٢) الاسراء : ١٤

(٣) أخرجه الترمذى وقال : صحيح غريب .

وطول الأمل ، والحرص على الدنيا »[١] كما ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه :

« اللهم انى أعوذ بك من ذنب يمنع خير الآخرة ، وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات ، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل » .

مع ملاحظة أنه ليس كل أمل مذموما . وفى ذلك يقول ابن الجوزى رحمه الله : « الأمل مذموم الا للعلماء ، فلولا أملهم لما ألفوا ولا صنعوا ، وفى الأمل سر لطيف لأنه لولا الأمل لما تهنأ أحد بعيش ولا طابت نفسه أن يشرع فى عمل من أعمال الدنيا » .

ولله در المنفلوطى رحمه الله فلقد قال فى هذا :

« لو علم الجامع أنه يجمع للوارث ، وهذا الوالد أنه يلد للموت ، وهذا البانى أنه يبنى للخراب . ما جمع الجامع ، ولا ولد الوالد ، ولا بنى البانى . انما نحن أحياء بالآمال ، وان كانت باطلة ، وسعداء بالأمانى وان كانت كاذبة » .

فليست حياة المرء الا أمانيا اذا هى ضاعت فالحياة على الأثر

ويؤكد هذا المعنى قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « انما الأمل رحمة من الله لأمتى ، ولولا الأمل ما أرضعت أم ولدها ، ولا غرس غارس شجرا »[٢] .

وحتى تدرك حقيقة الهدف بايجاز اليك ما قاله سيدنا على رضى الله عنه فى خطبة له : « ان أخوف ما أخاف عليكم : اتباع الهوى ، وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسى الآخرة .

ألا وان الدنيا قد ترحلت مدبرة . ألا وان الآخرة قد ترحلت مقبلة ، ولكل واحد منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا . فان اليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل »[٣] .

فاتق الله وقصر أمـــلا ليس فى الدنيا خلود للملا

* * *

* وأحسن عملك : حتى تكون من خير الناس وأحبهم الى الله : فقد ورد فى حديث شريف أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات

---

(١) رواه البزار عن أنس . (٢) رواه الخطيب عن أنس .

(٣) ذكره ابو نعيم فى « الحلية » .

يوم : « ألا أنبئكم بخياركم » ؟ قالوا : نعم • قال : « خياركم أطولكم أعمارا، وأحسنكم أعمالا »[١] كما ورد فى حديث آخر : « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه »[٢] •

ولهذا كان لابد أن تراقب الله تعالى فى كل أعمالك حتى يتحقق هذا الاحسان الذى أشار الرسول صلى الله عليه وسلم اليه فى قوله عندما سأله سيدنا جبريل عن الاحسان : « ••• أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك »[٣] •

والمطلوب منك : اذا كنت مدرسا ، أو موظفا ، أو تاجرا ، أو صانعا ، أو غارسا ، أو مصليا ، أو صائما ••• الخ :

أن تراقب الله تعالى فى كل هذه العبادات بمعنى أن تعتبر نفسك تحت مراقبة الله القائل : « **لا يضيع أجر من أحسن عملا** »[٤] •

انا وان كرمت أوائلنـــا   لسنا على الأحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنـــا   تبنى ونفعل مثل ما فعـــلوا

* * *

فليس الفتى من يقول كان أبى   بل الفتى من يقـــول هأنذا
مع ملاحظة أن : « ••• من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه »[٥] •

* واياك أن تشتم مسلما : وحسبك تحذيرا لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر »[٦] • ومعنى فسوق : أى خروج عن طاعة الله تعالى لأنه سبحانه نهى عن هذا فقال : « **ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الايمان** »[٧] •

وحسبك أيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يكون المؤمن لعانا »[٨] •

---

(١) رواه أحمد ورواته رواة الصحيح ، وابن حبان فى صحيحه والبيهقى •
(٢) حديث صحيح • (٣) جزء من حديث رواه مسلم •
(٤) الكهف : ٣٠ بلفظ : « **انا لا نضيع** » •
(٥) جزء من حديث صحيح رواه مسلم •
(٦) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى •
(٧) الحجرات : ١١
(٨) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب •

وقوله : « لا ينبغى لصديق أن يكون لعانا »[1] .

وتأمل معنى قول الشافعى رضى الله عنه :

اذا شئت أن تحيا سليما من الردى ودينك موفور وعرضك صين

فلا ينطقن منك اللسان بسوأة فكلك سوآت وللناس ألسن

وعينك ان أبدت اليك مساويا لقول فقل يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ودافع ولكن بالتى هى أحسن

* * *

* أو تصدق كاذبا : وذلك لأنه فاجر ففى الحديث : « اذا كذب العبد فجر[2] ، واذا فجر كفر ، واذا كفر دخل النار »[3] ، وهو منافق كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا عاهد غدر »[4] .

فاذا كان هذا هو شأن الكاذب فكيف تصدقه ؟

فكن من أجل كل هذا مبغضا له وضع اصبعيك فى أذنيك حتى لا تستمع الى حديثه أو وشايته فتقع بسبب ذلك فى شباك الشيطان وتكون شريكا له فى الاثم .

* * *

* أو تكذب صادقا : واذا كان الصادق من الذين ضمن الرسول صلى الله عليه وسلم لهم الجنة كما جاء فى الحديث الشريف الذى قرأناه سابقا فى موضوع الصدق والذى يقول فيه : « اضمنوا الى من أنفسكم ستا أضمن لكم الجنة : اصدقوا اذا حدثتم ، وأوفوا اذا وعدتم ، وأدوا اذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضو أبصاركم ، وكفوا أيديكم »[5] .

واذا كان من الصديقين « **الذين أنعم الله عليهم** »[6] فكيف نكذبه ؟

* * *

---

(١) رواه مسلم وغيره والحاكم .

(٢) اى انبعث فى المعاصى والمحرمات .

(٣) جزء من حديث رواه أحمد .

(٤) رواه البخارى ومسلم وزاد فى رواية له : « وان صام وصلى وزعم انه مسلم » .

(٥) رواه احمد وابن ابى الدنيا وابن حبان فى صحيحه .

(٦) النساء : ٦٩

* أو تعصى اماما عادلا : واذا كان الامام العادل : وهو الذى يتحرى العدل فى رعيته من السبعة الذين سيظلهم الله تعالى تحت ظله يوم لا ظل الا ظله بنص الحديث الشريف الذى يقول فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم :

«سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله[١] : امام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : انى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه »[٢] .

واذا كان من الثلاثة الذين لا ترد دعوتهم بنص الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين »[٣] .

واذا كان من أحب الناس الى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا كما جاء فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أحب الناس الى الله يوم القيامة ، وأدناهم منه مجلسا : امام عادل ، وأبعدهم منه مجلسا : امام جائر »[٤] واذا كان عدل ساعة منه أفضل من عبادة ستين سنة من غيره كما جاء فى حديث قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى هريرة : « يا أبا هريرة .. عدل ساعة أفضل من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها . ويا أبا هريرة .. جور ساعة فى حكم أشد وأعظم عند الله عز وجل من معاصى الله ستين سنة »[٥] فكيف تعصيه ؟

* * *

---

(١) أى لا ظل الا ظل عرشه سبحانه وتعالى .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه احمد والترمذى وحسنه ابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما .

(٤) رواه الترمذى والطبرانى فى « الأوسط » مختصرا .

(٥) رواه الأصبهانى .

* وأن تفسد فى الأرض : وحسبك تحذيرا لك قول الله تعالى :
« ... ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين »(١) .
وقوله : **« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم »**(٢) .
وحتى لا تقع فى هذا الذنب اليك هذا الحديث الشريف : « ما طفف قوم كيلا ، ولا بخسوا ميزانا الا منعهم الله عز وجل القطر ، وما ظهر فى قوم الزنا إلا ظهر فيهم الموت ، وما ظهر فى قوم الربا الا سلط الله عليهم الجنون ، ولا ظهر فى قوم القتل ، يقتل بعضهم بعضا الا سلط الله عليهم عدوهم ، ولا ظهر فى قوم عمل قوم لوط ، الا ظهر فيهم الخسف ، وما ترك قوم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الا لم ترفع أعمالهم ، ولم يسمع دعاؤهم »(٣) .

مع ملاحظة أن : « البدن مملكة النفس ومدينتها ، والقلب وسط المملكة ، والأعضاء كالخدم ، والقوى الباطنة كضياع المدينة ، والعقل كالوزير المشفق الناصح له ، والشهود كطالب أرزاق الخدام ، والغضب صاحب الشرطة وهو عبد مكار خبيث يتمثل بصورة الناصح ، والقوى المخيلة فى مقدم الدماغ كالخازن . والقوى المفكرة فى وسط الدماغ ، والقوى الحافظة فى آخر الدماغ ، واللسان كالترجمان ، والحواس الخمس جواسيس . وقد وكل كل واحد منهم بصنيع من الصناعات ، فوكل العين بعالم الألوان ، والسمع بعالم الأصوات ، وكذلك سائرها فانها أصحاب الاخبار .
ثم قيل : هى كالحجبة توصل الى النفس ما تدركه ، وقيل : ان السمع والبصر والشم كالطاقات تنظر منها النفس . فالقلب هو كالملك فاذا صلح الراعى صلحت الرعية ، واذا فسد فسدت الرعية ، وانما يحصل صلاحه بسلامته من الأمراض الباطنية . كالغل ، والحقد ، والحسد ، والشح ، والبخل ، والكبر ، والسخرية ، والرياء والسمعة ، والمكر والمرض والحرص ، والطمع ، وعدم الرضا بالمقدور ... الخ »(٤)

---

(١) القصص : ٧٧ (٢) المائدة : ٣٣
(٣) رواه الطبرانى وغيره من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما .
(٤) من أقوال الحكماء .

فهل سنتخلص من هذه الأمراض حتى يصفو الجو من هذه المعاصى التى أحدثت فى الأرض فسادا فى المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن فكان ما أشار الله تعالى اليه فى قوله :

« **ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون** »[1] .

أرجو أن يكون الجواب نعم ، كما أرجو أن تتأمل قول ابن المبارك :

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل ادمانها
وهل أفسد الدين الا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

* * *

* واذكر الله عند كل شجر وحجر : والمراد أن تذكر الله تعالى فى كل مكان ولا سيما عندما تتأمل فى آية من آياته الكونية التى لا حصر لها :

ففى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

وحسبك اذا أردت أن تدقق النظر فى هذا الكون العجيب الذى لا تنتهى عجائبه والذى تقف أمامه عاجزا عن مواصلة التفكير فيه ، أن تقول مع هذا الرجل الموحد[2] :

« تعاليت يا رب ما أجلك : خلقت الخلق وأجريت الرزق ، بك ينمو الزرع ، ويدر الضرع ، سبحانك اللهم ما أوسع ملكك ، وما أعظم سلطانك ، السماء والأرض لك ، والملائكة الأطهار جندك ، والملوك المتوجون عبيدك .

تباركت وتعاليت : صنعت فأعجزت ، وصورت فأحسنت ، الجن والانس خلقك ، والجسم والروح عملك : لا اله الا أنت منحتنا بصائر لا تنكرك ، وأبصارا لا تدركك ، يسبح الرعد بحمدك ، ويترنم الطائر بمجدك .

البحار لا تقر من خشيتك ، والجبال جامدة من هيبتك ، ولقد جرى النسيم بلطفك ، وتقلب كل مخلوق فى رحمتك .

تباركت تباركت : لا أول قبلك ولا آخر بعدك .

كيف تخفى والشمس بعض بيناتك ؟ وكيف تدرك والروح بعض أسرارك ، فأنت الأول والآخر والظاهر والباطن .

---

(١) الروم : ٤١

(٢) وهو الشاعر الازهرى : الشيخ محمد الأسمر رحمه الله .

تعاليت تعاليت : آمن بك المؤمن ولم يرك ، وجحدك الجاحد ووجوده شاهد بوجودك •

سبحانك •• سبحانك : بهرتنا آلاؤك ، وغاب عنا لألاؤك ، ماء وحجر ، وأرض وقمر ، وزاحف وطائر ، وصادح وباغم ، أنبت لنا من الأرض عجبا ، نخيل وأشجار وأزاهير وثمار •

رب •• من أين للورد شذاه ؟ ومن أين للغصن عوده ولحاه ؟ ومن أين للثمار طعومها المختلفة ؟ وأشكالها المتباينة ؟ وألوانها المتغايرة ؟ من أين كل هذا يا رب ؟ سائغ وغير سائغ ، وناصع وفاقع •

تبــاركت : مخرج الخضراء من الغبراء • وخالق العجب من طين وماء •

سبحانك اللهم سبحانك : جلت عظمتك ، وتعالت قدرتك ، أعجزت الانسان بالجبال والنمال ، بل أعجزت الانسان بذات الانسان •

عظم ولحم ، وعروق ودم ، وظفر وشعر ، وسمع وبصر • قلت للسان : ذق ، وهو لحمة فذاق • وقلت للعين : أبصرى ، وهى شحمة فأبصرت •

سبحانك اللهم : وهذا القلب الخافق بم يخفق ؟! أشـــهد أن لا اله الا أنت رب المشارق والمغارب والنجوم والكواكب ، تباعدت فهى منفصلة ، وتحاذيت فهى متصلة •

عجزت عقولنا عن الاحاطة ببعض ما خلقت ، فكيف تحيط بك ؟

سبحانك سبحانك : هذه دنياك فكيف آخرتك ؟ وهذا شأن آثارك فكيف شأنك ؟

تباركت من اله صادق ، وتعاليت من رب حق » •

فكن شبيها بهذا الموحد اذا أردت أن تكون من أولى الألبــاب « **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض** » ثم يقولون : « **ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** »(١) •

* * *

* وأحدث لكل ذنب توبة : وحسبك هذا الحديث الشريف الذى

---

(١) آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١

رواه أبو هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان عبدا أصاب ذنبا فقال : يا رب .. انى أذنبت ذنبا فاغفره . فقال له ربه : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، فغفر له ، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا آخر — وربما قال : ثم أذنب ذنبا آخر — فقال : يا رب .. انى أذنبت ذنبا آخر فاغفر لى . قال ربه : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، فغفر له . ثم مكث ما شاء الله ، ثم أصاب ذنبا آخر — وربما قال : ثم أذنب ذنبا آخر — فقال : يا رب .. انى أذنبت ذنبا فاغفر لى . فقال له ربه : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، فقال ربه : « غفرت لعبدى فليعمل ما شاء »[١] .

هذا اذا لم يكن مصرا على الذنب . أما اذا كان مصرا فان توبته تعتبر كاذبة ، وليس المراد بقوله تعالى : « فليعمل ما شاء » أن الله تعالى يبيح له الوقوع فى الذنب ، وانما كان هذا لأن الله علم من حال هذا الرجل أنه كلما أذنب تاب وأنه لا يصر على الذنب بل يقر به ويطلب غفرانه من الله ، فغفر له مغفرة مطلقة .

وهذا الحديث كما يقول أبو العباس فى « المبهم » : « يدل على عظم فائدة الاستغفار وكثرة فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه . ولكن هذا الاستغفار هو الذى يثبت معناه فى القلب مقارنا لتنحل به عقدة الاصرار ويحصل معه الندم لا من قال : أستغفر الله بلسانه وقلبه مصر على تلك المعصية » .

فاذكر كل هذا بالاضافة الى هذه البشرى :

قال صلى الله عليه وسلم : « اذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله عز وجل حفظته ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب »[٢] .

وفقنى الله واياك وهدانا سبل الرشاد .

* * *

(١) رواه البخارى ومسلم .

(٢) رواه الأصبهانى وكذلك ابن عساكر والحكيم الترمذى عن أنس .

الجزء الثالث

الوصية الثالثة عشرة

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال :

« يا معاذ .. والله انى لأحبك ثم أوصيك : يا معاذ .. لا تدعن فى دبر كل صلاة تقول :

اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » .

(رواه ابو داوود والنسائى باسناد صحيح) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

أهلا لهذه الوصية العظيمة التى ما فاز بها سيدنا معاذ رضى الله عنه الا لأنه كان حبيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم . مع ملاحظة أن هذا الدعاء الوارد فى هذه الوصية : من الأدعية الواردة فى ختام الصـلاة .

وحتى تقف على أصح هذه الروايات الواردة فى هذا الموضوع اليك هذه الأحاديث الشريفة :

عن ثوبان مولى النبى صلى الله عليه وسلم قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثا وقال : « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام »[1] .

وعن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ آية الكرسى فى دبر الصلاة المكتوبة كان فى ذمة الله[2] الى الصلاة الأخرى »[3] .

---

(١) اخرجه السبعة الا البخارى وزاد مسلم : قال الوليد : فقلت للأوزاعى : كيفة الاستغفار ؟ قال : يقول : استغفر الله ، أستغفر الله ، استغفر الله .

(٢) اى فى حفظه وولايته .

(٣) أخرجه الطبرانى بسند حسن .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : « أمرنى رسـول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أن أقرأ بالمعوذتين[١] دبر كل صلاة »[٢] .

يقول عقبة : بينما أسير مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين الجحفة والأبواء اذ غشيتنا ريح وظلمة شـديدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتعوذ بأعوذ برب الفلق ، وأعوذ برب الناس ويقول : « يا عقبة .. تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما »[٣] .



ما ورد فى التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد عقب الصـلاة

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، فتلك تسع وتسعون ، ثم قال فى تمام المـائة : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، غفرت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر »[٤] .

عن سمى عن أبى صالح عن أبى هريرة أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ذهب أهل الدثور[٥] بالدرجات العلا والنعيم المقيم . قال : وما ذاك ؟ قالوا : يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « تسبحون الله وتكبرون ، وتحمدون دبر[٦] كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة » فرجع فقراء المهـاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :

---

(١) وهما سورتا : الفلق والناس .
(٢) اخرجه احمد والثلاثة .
(٣) اخرجه ابو داوود والبيهقى .
(٤) اخرجه أحمد والشيخان وابو داوود .
(٥) اى الأموال الكثيرة .　　(٦) اى بعد كل صلاة .

سمع اخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » .

قال سمى : فحدثت بعض أهلى بهذا الحديث فقال : وهمت انما قال لك : « تسبح ثلاثا وثلاثين ، وتحمد ثلاثا وثلاثين ، وتكبر أربعا وثلاثين » .

فرجعت الى أبى صالح فقلت له ذلك ، فأخذ بيدى فقال : الله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله . حتى يبلغ من جميعهن ثلاثا وثلاثين[١] .

وفى رواية أخرى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« تكبر دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وتسبح ثلاثا وثلاثين ، وتحمد ثلاثا وثلاثين ، وتختمها بلا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير »[٢] .

وفى رواية أخرى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « فاذا صليتم فقولوا : سبحان الله ثلاثا وثلاثين مرة ، والله أكبر أربعا وثلاثين ، ولا اله الا الله عشر مرات »[٣] .

وفى رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : « خلتان[٤] من حافظ عليهما أدخلتاه الجنة ، وهما يسير ومن يعمل بهما قليل » قالوا : وما هما يا رسول الله ؟ قال : « أن تحمد الله وتكبره وتسبحه فى دبر كل صلاة مكتوبة عشرا عشرا ، واذا أتيت الى مضجعك تسبح الله وتكبره وتحمده مائة مرة ، فتلك خمسون ومئتان باللسان[٥] وألفان وخمسمائة فى الميزان ، فأيكم يعمل فى اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة » ؟

---

(١) اخرجه الشيخان واللفظ لمسلم .
(٢) اخرجه احمد والشيخان وابو داوود .
(٣) اخرجه الترمذى وقال : حسن غريب .
(٤) خصلتان حميدتان .
(٥) وهذا بالنسبة لجميع الصلوات المفروضة فى اليوم والليلة اى (٣٠ × ٥ + ١٠٠ × ١٠ الحسنة بعشر أمثالها) فى الميزان فيكون العدد (٢٥٠٠) .

قالوا : كيف من يعمل بها قليل ؟ قال : « يجىء أحدكم الشيطان فى صلاته فيذكره حاجة كذا وكذا فلا يقولها ، ويأتيه عند منامه فينومه فلا يقولها » قال : ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدهن بيــده[١] .

فمن هذه الروايات يتبين لك بوضوح أن التسبيح ، والتحميد ، والتكبير دبر كل صلاة وارد بأعداد مختلفة غير أن أقواها : رواية التسبيح والتحميد والتكبير ثلاثا وثلاثين . كما علم من هذه الروايات المتعددة والمختلفة أن مراعاة العدد المخصوص فى الأذكار عقب الصلوات معتبرة ، والمفروض أن لا يتعداها الذاكر والا حرم ثوابها ، لاحتمال أن يكون لتلك الأعداد حكمة وخاصية تفوت بمجاوزة ذلك العدد . وقد بالغ القرافى فقال : من البدع المكروهة الزيادة فى المندوبات المحدودة شرعا ، لأن شأن العظماء اذا حدوا شيئا أحبوا أن يوقف عنده ، ويعد الخارج عنه مسيئا للأدب . وقد مثله بعضهم بالدواء يكون فيه مثلا أوقية من السكر فلو زيد فيه أوقية أخرى لتخلف الانتفــاع به ، ولو اقتصر على الأوقية فى الدواء ثم استعمل من السكر بعد ذلك ما شاء لم يتخلف الانتفاع كما ورد جواز عد الذكر بالنوى والحصى ، وكذا بالسبحة اذ لا فارق ، فقد ورد فى حــديث شريف : « نعم المذكر السبحة »[٢] .

وعن أبى سعيد الخدرى : « أنه كان يسبح بالحصى »[٣] . وعن أبى هريرة : « أنه كان معه كيس فيه حصى أو نوى فيسبح به حتى ينفد »[٤] ومحل جواز السبحة للذكر ما لم يترتب عليه رياء وسمعة والا منع كما يمنع وضعها فى العنق وادارتها فى اليد من غير ذكر كما يفعل بعض الجهلة المرائين الدجالين .

ولهذا قال بعض العلماء : السبحة : « اما مسبحة ، أو مروحة ، أو مشبحة ، أو مقبحة » .

فلاحظ هذا المعنى ، وتعمق فى فهمه ، مع ملاحظة : أن التسبيح

---

(١) أخرجه احمد وابو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٢) أخرجه الديلمى فى مسند « الفردوس » عن على رضى الله عنه . والسبحة : خرزات منظومة للتسبيح .

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة .   (٤) أخرجه ابن أبى شيبة .

على الأنامل[١] أفضل كما ورد فى حديث ابن عمرو ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح بيمينه[٢] .

* * *

خلاصة ختام الصلاة

يسن للمصلى اذا سلم من صلاته ، وقبل أن يصافح أحدا : أن يستغفر الله ثلاثا ، ثم يقول : « اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والاكرام ، اللهم أعنى على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك » .

ثم يقرأ آية الكرسى[٣] ، وقل هو الله أحـد[٤] والمعوذتين[٥] ثم يقول : سبحان الله ثلاثا وثلاثين ، والحمد لله ثلاثا وثلاثين ، والله أكبر ثلاثا وثلاثين ، ثم يختم المـائة بقوله : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .

ثم بعد ذلك يدعو بما شاء من خيرى الدنيا والآخرة .

* * *

ولمـا كان الدعاء بالمـأثور أحب وأفضل فقد رأيت اتماما لهذا الخير أن أسوق اليك بعض هذه الأدعية المـأثورة :

كان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بهن دبر الصلاة :

« اللهم انى أعوذ بك من البخل[٦] ، وأعوذ بك من الجبن[٧] ، وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر »[٨] .

كما ورد فى حديث مسلم بن أبى بكرة عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دبر كل صلاة :

---

(١) أى أعقل الأصابع .
(٢) اخرجه ابو داوود والترمذى والنسائى والحاكم وصححه .
(٣) البقرة : ٢٥٥ (٤) سورة الاخلاص .
(٥) سورتى الفلق والناس .
(٦ ، ٧) البخل : هو الشح بالمـال ، الجبن : هو الشح بالنفس .
(٨) اخرجه البخارى والترمذى وصححه .

« اللهم عافنى فى بصرى ، اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر ، اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ، لا اله الا أنت »[١] .

كما ورد فى حديث على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم من الصلاة قال :

« اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به منى ، أنت المقـدم وأنت المؤخر ، لا اله الا أنت »[٢] .

فلا تنس كل هذا مع ملاحظة : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب وقبل ختام الصلاة الذى وقفت عليه : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » عشر مرات .

كما ورد فى حديث أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال اذا صلى الصبح : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير عشر مرات كن كعدل[٣] أربع رقاب ، وكتب له بهن عشر حسنات ، ومحى عنه عشر سيئات ، ورفع له بهن عشر درجات وكن له حرسا من الشيطان حتى يمسى . واذا قالها بعد المغرب فمثل ذلك »[٤] .

وفى حديث أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« من قال دبر كل صلاة الغداة[٥] : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير مائة مرة قبل أن يثنى رجليه[٦] كان يومئذ من أفضل أهل الأرض عملا الا من قال مثل ما قال أو زاد على ما قال »[٧] .

وأنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اذا صليت الصبح فقل قبل أن تتكلم : اللهم أجرنى من النار سبع مرات ، فانك ان مت من

---

(١) اخرجه ابو داوود والحاكم وصححه السيوطى .

(٢) اخرجه احمد ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى وصححه الترمذى .

(٣) اى مثل عتق اربع رقاب من العبيد .

(٤) اخرجه احمد .

(٥) اى صلاة الصبح .

(٦) اى وهو على هيئة التشهد فى الصلاة .

(٧) اخرجه الطبرانى فى « الكبير » و « الأوسط » .

يومك ذلك كتب الله لك جوارا من النار ، واذا صليت المغرب فقل قبل أن تتكلم : اللهم انى أسألك الجنة ، اللهم أجرنى من النار سبع مرات ، فانك ان مت من ليلتك كتب الله لك جوارا من النار »[١] .

* * *

فاحرص على ختام الصلاة حتى تفوز بهذه الجوائز الربانية ، وتكفر عن كل ما حدث فى صلاتك من وساوس شيطانية .

واياك أن ترفع صوتك أثناء ختامك للصلاة حتى لا تكون مخالفا للسنة ، هذا بالاضافة الى التشويش على مأموم مسبوق قام بعد تسليم الامام لاتمام صلاته[٢] باتيان ما فاته من ركعات .

اللهم اذا كنت اماما وتريد تعليم المأمومين ختام الصلاة الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا مانع حينئذ من رفع صوتك للتعليم[٣] دون ضجيج أو تهريج .

* * *

ثم بعد ذلك وبعد أن وقفت على أهم ما ورد بالنسبة لختام الصلاة اليك هذا المعنى الذى تحتوى عليه كلمة : « اللهم أعنى » وخلاصته : أن الدنيا كثيرا ما تكون سببا فى انشغال الانسان عن ربه وكثيرا ما تكون سببا فى ضياعه وهلاكه ، ولهذا : كان من الحكمة أن نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته حتى نكون فى حصانة من فتنتها وكيدها .

وهذا معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضى الله عنه عندما قال له : يا رسول الله .. أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار .. قال : « لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه »[٤] .

فافهم هذا المعنى وسل الله أن يعينك على ذكره حتى لا تكون من أهل الغفلة الذين **« نسوا الله فأنساهم أنفسهم »**[٥] .

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داوود والنسائى بسند جيد وابن ماجه وابن حبان وصححه .

(٢) التشويش على مثل هذا حرام لأنك قد تفسد عليه صلاته بسبب رفع صوتك .

(٣) على أن لا يستمر هذا الفعل كما يحدث الآن من المبتدعين .

(٤) من حديث حسن صحيح رواه الترمذى .

(٥) الحشر : ١٩

وحتى يكون الشيطان بعيدا عنك ، فقد قال الله تعالى : **« ومن يعش[١] عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين »[٢]** .
مع ملاحظة أن الذكر فى اللغة ضد النسيان ، وأنه لا يكون فقط باللسان وانما يجب أن يكون بجميع الجوارح ، ولهذا قال العلماء : ذكر القلب : الخوف والرجاء ، وذكر اللسان : المدح والثناء ، وذكر البدن : الوفاء ، وذكر الروح : التسليم والرضا .

واعلم أن قراءة القرآن ذكر . وهو أفضل الأذكار .. والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ذكر ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ذكر ، ومدارسة العلوم الدينية والتفقه فيها ذكر ، وكل ما يوصلك الى الله تعالى فهو ذكر .

* * *

فكن من الذاكرين لله سبحانه وتعالى بكل جوارحك حتى تكون من الذين : **« أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما »[٣]** وحسبك هذا الشرف الذى أشار الله تعالى اليه فى حديث قدسى قال فيه : « ... فاذا ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم »[٤].
وهم الملائكة الذين فازوا بشرف القرب منه سبحانه ، ثم حسبك كذلك أن تعلم أن الذكر هو طب القلوب ودواؤها . وعافية الأبدان وشفاؤها ، ونور الأبصار وضياؤها : به تطمئن القلوب ، وتنفرج الكروب ، وتغفر الخطايا والذنوب . ولهذا أمر الله تعالى به وحث عليه ، ورغب فيه ومدح أهله فقال تعالى : **« ألا بذكر الله تطمئن القلوب »[٥]**.
وقال : **« والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما »[٦]** .

* * *

أما الشكر : فهو الاقرار والاعتراف بما أنعم الله تعالى به عليك ، وهو أيضا : الثناء على المحسن بذكر احسانه ، وهو : زيادة فى النعم ، وأمان من النقم فاذا كان الله تعالى قد أنعم عليك .. وما أكثر هذه النعم التى أشار الله سبحانه وتعالى اليها فى قوله : **« وان تعدوا نعمة**

---

(١) أى يغفل .　(٢) الزخرف : ٣٦
(٣) الأحزاب : ٣٥
(٤) من حديث رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .
(٥) الرعد : ٢٨　(٦) الأحزاب: ٣٥

الله لا تحصـوها »[1] وقـوله : **« وما بكم من نعمـة فمن الله »**[2] ولا سيما نعمة الايمان والاسلام ونعمة الصحة والعافية ، ونعمة الغنى عن الناس .. الخ ، فكل هذه النعم التى لا حصر لها تحتاج منا شكرا للمنعم سبحانه الذى يقول :

« وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون »[3] .

« وترى الفـلك مواخر فيه ولتبتغـوا من فضـله ولعلـكم تشكرون »[4] .

« وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »[5] .

« ومن يشـكر فانمـا يشكر لنفسه ، ومن كفر فان الله غنى حميـد »[6] .

« لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم ان عذابى لشديد »[7] .

فتأمل هذه الآيات : **« وكن من الشاكرين »**[8] .

مع ملاحظة أن شكرك من أجرى الله الخير على يديه يعتبر شكرا لله سبحانه وتعالى كما ورد فى الحديث القدسى الذى يقول فيه سبحانه : « عبدى .. اذا لم تشكر من أجريت الخير على يديه لم تشكرنى » وفى الحديث الشريف : « ان أشكر الناس لله تبارك وتعالى أشكرهم للناس »[9] وفى حديث آخر : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس »[10] .

فلا تنس كل هذا ونفذه تنفيذا لأمر الله تعالى فى قوله : **« فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون »**[11] .

واعلم : أن الشكر كما يكون بالقلب واللسان يكون بجميع الجوارح : فشكر اليدين العطاء ، وشكر العينين أن تستر عيب أخيك المسلم وأن لا تنظر الى ما لا يحل ، وشكر الأذنين أن لا تسمع ما لا يحل ، وذكر القلب أن تعمل على تطهيره من الأحقاد والأدران .

ثم تأمل معى معانى هذه الآثار : دخل سفيان الثورى رحمه الله

---

(١) النحل : ١٨ — (٢) النحل : ٥٣
(٣) الأنفال : ٢٦ — (٤) النحل : ١٤
(٥) النحل : ٧٨ — (٦) لقمان : ١٢
(٧) ابراهيم : ٧ — (٨) الزمر : ٦٦
(٩) رواه أحمد بسند رواته ثقات .
(١٠) صححه الترمذى وغيره . — (١١) البقرة : ١٥٢

على جعفر الصادق رضى الله عنه وقال له : علمنى يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما علمك الله فقال له :

اذا تظاهرت الذنوب فعليك بالاستغفار ، واذا تظاهرت النعم فعليك بالشكر ، واذا تظاهرت الغموم ، فقل : « لا حول ولا قوة الا بالله » فخرج سفيان وهو يقول : ثلاث وأى ثلاث .

وقال بعض العارفين : من أعطى أربعا لم يمنع من أربع : من أعطى الشكر لم يمنع المزيد لقوله تعالى : **« لئن شكرتم لأزيدنكم »**[1] ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول لقوله تعالى : **« وهو الذى يقبل التوبة عن عباده »**[2] ، ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ، ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا خاب من استخار ، ولا ندم من استشار » .

كما ورد أن داوود عليه السلام ، قال : « الهى .. كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك ؟ فأوحى الله اليه : الآن شكرتنى » .

ثم تأمل قول القائل :

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة ... وان طالت الأيام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها ... وان مس بالضراء يعقبها الأجر
فما منهما الا له فيه نعمة ... تضيق بها الأوهام والسر والجهر

والقائل :

لئن شكرتم لأزيدنكم ... مقالة الله التى قالها
فالكفر بالنعمة يدعو الى ... زوالها والشكر أبقى لها

* * *

وأما حسن العمل فهو اتقانه واتمامه حتى يكون فى درجة الكمال الذى يحبه الله سبحانه وتعالى الذى يقول : **« للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون »**[3] .

فكن من هؤلاء الذين أحسنوا حتى تكون معهم فى جنة الخلد التى لا دوام للنعيم الا فيها . ولا تكن من الذين : « ... خرجوا من الدنيا

---

(١) ابراهيم : ٧ (٢) الشورى : ٢٥
(٣) يونس : ٢٦

ولا حسنة لهم ، يقولون : نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل » كما ورد فى الحديث الصحيح •

وليكن أهم شىء تحرص على اتمامه واتقانه هو الصلاة ، فقد ورد فى الحديث الشريف : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فان صلحت صلح سائر عمله ، وان فسدت فسد سائر عمله »[١] •

كما ورد : « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته » ، قالوا : يا رسول الله •• وكيف يسرق من الصلاة ؟ قال : « لا يتم ركوعها ولا سجودها ــ أو قال : لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود ــ »[٢] •

كما ورد عن أبى عبد الله الأشعرى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده وهو يصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو مات هذا على حالته هذه مات على غير ملة محمد صلى الله عليه وسلم » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل الذى لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئا »[٣] •

كما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى الصلوات لوقتها وأسبغ لها وضوءها ، وأتم لها قيامها وخشوعها وسجودها ، خرجت وهى بيضاء مسفرة[٤] تقول : حفظك الله كما حفظتنى ، ومن صلاها لغير وقتها ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها خرجت وهى سوداء مظلمة تقول : ضيعك الله كما ضيعتنى ، حتى اذا كانت حيث شاءت لفت كما يلف الثوب الخلق[٥] ثم ضرب بها وجهه »[٦] •



(١) رواه الطبرانى فى « الأوسط » باسناد لا بأس به •
(٢) رواه احمد والحاكم عن أبى قتادة رضى الله عنه •
(٣) رواه الطبرانى فى « الكبيرين » •
(٤) من سفر الصبح اى أضاء (اى مضيئة) •
(٥) اى البالى القديم •
(٦) رواه الطبرانى فى « الأوسط » •

فلاحظ كل هذا ، وكذلك بالنسبة لسائر العبادات والأعمال الشريفة المشروعة ، فقد ورد أيضا فى الحديث الشريف : عن أبى يعلى شداد ابن أوس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله كتب الاحسان على كل شىء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة[١] واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة[٢] وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته »[٣] .

وسل الله سبحانه وتعالى دائما وأبدا أن يسدد خطاك ويوفقك ويعينك على ذكره وشكره ، وحسن عبادته حتى تكون من الناجحين فى الدارين فتفوز **« ... فوزا عظيما »[٤]** .

« يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم »[٥] .

« يوم ينظر المرء ما قدمت يداه »[٦] .

« يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه »[٧] .

« يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله »[٨] .

« يوم يقوم الناس لرب العالمين »[٩] .

* * *

وتذكر دائما وأبدا قول الله تبارك وتعالى :

« وكل انسان ألزمناه طائره[١٠] فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا »[١١] .

* * *

---

(١) القتلة بكسر القاف هيئة القتل ، اى : لا تعذبوا القتيل بالتمثيل به .

(٢) الذبحة بالكسر هيئة الذبح اى لا تعذبوا ما تذبحون من الحيوانات والطيور .

(٣) رواه مسلم .

(٤) النساء : ٧٣

(٥) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩

(٦) النبأ : ٤٠

(٧) عبس : ٣٤ — ٣٧

(٨) الانفطار : ١٩

(٩) المطففين : ٦

(١٠) اى عمله .

(١١) الاسراء : ١٣ ، ١٤

الوصية الرابعة عشرة

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : يا رسول الله ..
أوصنى . قال :
« اعبد الله كانك تراه ، واعدد نفسك فى الموتى وان شئت أنبأتك بما هو أملك بك من هذا كله ... »
قال : هذا ، وأشار بيده الى لسانه » .

(رواه ابن أبى الدنيا باسناد جيد)

* * *

فكن أخا الاسلام :
متعمقا فى فهم هذه الوصية التى جمعت فأوعت ، والتى يوصيك الرسول صلى الله عليه وسلم فيها ــ فى شخص معاذ رضى الله عنه ــ بعدة أمور هامة وأساسية :

* أولها : أن تعبد الله كأنك تراه : وهذه الأولى هى أهم عنصر فى الوصية ، بل : وفى بناء العقيدة الاسلامية الراسخة ، وخلاصة هذه الأولى : أن تراقب الله سبحانه وتعالى فى جميع أعمالك الدنيوية والأخروية حتى يتحقق الاحسان الذى عناه الرسول صلى الله عليه وسلم فى اجابته عندما سأله سيدنا جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »[1] .
وهذا هو مقام المشاهدة الذى لا يصل اليه ولا يفوز به الا كل صديق .

وبيان ذلك وايضاحه كما قال العلماء : أن للعبد فى عبادته ثلاثة مقامات :

الأول : أن يفعلها على الوجه الذى يسقط معه الطلب وذلك بأن تكون مستوفية للشروط والأركان .

الثانى : أن يفعلها كذلك وقد استغرق فى بحار المكاشفة حتى كأنه

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه مسلم .

يرى الله تعالى ، وهذا هو مقامه صلى الله عليه وسلم كما جاء فى قوله : « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » .

الثالث : أن يفعلها كذلك وقد غلب عليه أن الله يشاهده ، وهذا هو مقام المراقبة :

فقوله : « فان لم تكن تراه » نزول عن مقام المكاشفة الى مقام المراقبة ، أى ان لم تعبده وأنت من أهل الرؤية فاعبده سبحانه وأنت تعتقد أنه يراك ، فكل هذه المقامات الثلاثة احسان .

* * *

فلاحظ كل هذا مع حرصك على أن تنال شرف العبودية لله رب العالمين . وحسبك شرفا بها أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى قال عن حبيبه ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه فى ليلة الاسراء : **« سبحان الذى أسرى بعبده ... »**[1] ، كما قال فى مقام الوحى : **« فأوحى الى عبده ... »**[2] وفى مقام التبليغ : **« وأنه لما قام عبد الله يدعوه »**[3] .

فتأمل هذا المعنى الكبير حتى تقول متباهيا مع العبد الفخور بعبوديته لله :

ومما زادنى شرفا وتيها ... وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك : يا عبادى ... وأن صيرت أحمد لى نبيا

واعلم : أنك بمراقبتك لله تعالى ستصل الى درجة العارفين به : التى ان وصلت اليها كنت من أسعد السعداء فى الدنيا والآخرة ، وحسبك قول القائل : الذى ذاق وعرف[4] :

من عرف الله فلم تغنه ... معرفة الله فذاك الشقى

هذا بالاضافة الى أنك ستصل معهم الى بر الأمان فى سفينة الايمان ، تحت راية الاحسان ، كما ورد فى الأثر الذى يقول :

« العلم نهر ، والحكمة بحر ، فالعلماء حول النهر يطوفون ، والحكماء وسط البحر يغوصون ، والعارفون فى سفن النجاة يسيرون » .

* * *

وحتى تعرف من هو العارف بالله : اليك هذه الصورة الحية التى

---

(١) الاسراء : ١
(٢) النجم : ١٠
(٣) الجن : ١٩
(٤) فمن ذاق عرف .

ستري من خلالها أن المعرفة من أهم أسباب الرقى والوصول الى الله تعالى : وخلاصة هذه الصورة الفريدة أن معاوية رحمه الله بعد استشهاد على بن أبى طالب رضى الله عنه ، قال لضرار الصدائى ـــ وقد كان من أحباب على ـــ : يا ضرار •• صف لى عليا • قال : أعفنى يا أمير المؤمنين • قال : لتصفنه ، قال : أما اذ لابد من وصفه ، فكان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان والله غزير العبرة[1] طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحدنا ، يجيبنا اذا سألناه ، وينبئنا اذا استنبأناه ، ونحن مع تقريبه ايانا وقربه منا : لا نكاد نكلمه لهيبته ، ولا نبتدئه لعظمته يعظم أهل الدين ، ويحب المساكين ، لا يطمع القوى فى باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه ، وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم[2] ، ويبكى بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غرى غيرى ، الى تعرضت ؟ أم الى تشوفت ، هيهات هيهات •• قد باينتك[3] ثلاثا لا رجعة فيها ، فعمرك قصير وخطرك[4] حقير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق •

فبكى معاوية ، وقال : رحم الله أبا الحسن ، فلقد كان كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح واحدها فى حجرها » •

فهذه الصورة الحية يا أخى تريك بوضوح كيف (لعبت) المعرفة فى حياة على رضى الله عنه دورا كبيرا حتى أصبح بطلا من أبطال الاسلام وعلما من أعلامه ، وحتى أصبح أهلا لمصاهرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذى زوجه ابنته الزهراء التى كان يحبها حبا جما لدرجة أنه كان يقول لها مرحبا : « مرحبا بأم أبيها » •

فاذا أردت يا أخى أن تكون من العارفين بالله فاليك هذا التعريف حتى تكون منهم عملا لا قولا : « العارف بالله : من اذا ذكر الله افتخر ، واذا ذكر نفسه احتقر ، واذا نظر فى آيات الله اعتبر ، واذا هم بمعصية ،

---

(١) اى الدموع • (٢) السليم : اللديغ •
(٣) اى طلقتك طلاقا لا رجعة بعده • (٤) الخطر : هو القدر والمنزلة •

أو شهوة انزجر ، واذا ذكر ذنوبه استغفر ، واذا ذكر عفو الله استبشر » •

فكن من هؤلاء العارفين الذين انتفعوا وكانوا هداة مهديين ببركة المراقبة لله فى الظاهر والباطن حتى أصبحت الدنيا طوع اراداتهم وتحت تصرفهم ، ودانت لهم الأمم ، وخضعت لسلطانهم الرقاب وكان فضل الله عليهم عظيما •

* * *

فلتكن من هؤلاء أو على الأقل شبيها بهم ، وتأمل قول القائل :

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ... ان التشبه بالرجال فـــلاح

* * *

وليكن تركيزك فى ميدان المراقبة على الصلاة لأنها مركز الاشعاع وجامعة الأركان التى تحمل بناء الاسلام •

ولعلك تلاحظ هذا وأنت تصلى : فأنت تحقق الركن الأول وأنت تقول فى التشهد : « أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورســـوله » •

وتحقق الركن الثانى : وهو الصلاة وأنت تقف بين يدى الله تعالى مؤديا هذه الفريضة •

وتحقق الركن الثالث : وهو الزكاة وأنت تؤدى زكاة جســدك بركوعك وسجودك ، وكذلك زكاة وقتك •

وتحقق الركن الرابع : وهو الصيام بامتناعك عن الطعام والشراب وأنت فى الصلاة والا بطلت •

وتحقق الركن الخامس : وهو الحج وأنت تتجه الى الكعبة فى صلاتك فتكون مشوقا لرؤيتها والطواف حولها •

فهذه هى أركان الاسلام التى وردت فى قوله صلى الله عليه وسلم : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »[1] ولهذا كانت الصلاة عماد الدين أو عمود الدين كما ورد فى الحديث الشريف •

* * *

وقد اتفق العلماء على أنه يطلب من المصلى أن يكون خاشــعا خاضعا مستحضرا عظمة الله تعالى وهيبته حتى يتحقق الخشوع الذى

---

(١) رواه البخارى ومسلم •

أشار الله اليه فى قوله : « **قد أفلح المؤمنون • الذين هم فى صلاتهم خاشـــعون** »[١] ذلك لأن الخشوع فى الصلاة كالروح بالنسبة للجسد • وهو قسمان : ظاهرى ، وباطنى :

فالظاهرى : ســكون الجوارح عن العبث وجعل بصره موضع سجوده •

والباطنى : خوف القلب وخضوعه ورقته وســكونه وحفظه عن الاشتغال بغير ما هو فيه من التأمل فى معانى القرآن ، فينشأ عنه سكون الجوارح ، لقوله صلى الله عليه وسلم فى العابث بلحيته : « لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه »[٢] ومن أجل ذلك فقد عد الامام الغزالى الخشوع من أركان الصلاة •

* * *

ومن أجمل ما قرأت فى هذا الموضوع : أن زين العابدين رضى الله عنه كان اذا توضأ وتهيأ للصلاة ظهر الخوف والوجل على وجهه ، وعندما كانوا يسألونه : لمــاذا يحدث لك هذا ؟ كان يقول لهم : أما تدرون أمام من سأقف ؟!

كما روى أن عصام بن يوسف رحمه الله مر بحاتم الأصم وهو يتكلم فى مجلسه فقال : يا حاتم •• تحسن تصلى ؟ قال : نعم • قال : كيف تصلى ؟ قال : أقوم بالأمر ، وأمشى بالخشية ، وأدخل بالنية ، وأكبر بالعظمة ، وأقرأ بالترتيل والتفكير ، وأركع بالخشوع ، وأسجد بالتواضع ، وأجلس للتشهد بالتمام ، وأختمها بالاخلاص لله عز وجل ، وأرجع على نفسى بالخوف أخاف أن لا يقبل منى ، وأحفظه بالجهد الى الموت • قال : تكلم •• فأنت تحسن تصلى •

* * *

كما روى أن رجلا من الصالحين قرر الأطباء قطع ساقه ــ لأنه كان مريضا بمرض خبيث ــ فقال لهم : ان كان ولابد فاقطعوها وأنا فى الصلاة ، وفعلا قطعوها وهو ساجد فلم يشعر بالألم ، وذلك لأنه كان مع الله بكل جوارحه •

أما فى زماننا هذا فكما تعلم لو مرت نملة على أقدامنا فاننا نشعر

---

(١) المؤمنون : ١ ، ٢

(٢) أخرجه الحكيم الترمذى عن ابى هريرة .

بها ، هــذا بالاضافة الى الوساوس والأفكار الدنيوية التى يحرص الشيطان على تجميعها ونحن فى الصلاة حتى لا نخرج بالثمرة المرجوة منها وهى البعد عن الفحشاء والمنكر ، ولهذا ترانا نخرج من الصلاة وكأننا لم نكن فيها ، لأنها لم تقبل ، ولو قبلت لنهتنا عن الفحشاء والمنكر كما أكد الله تعــالى هذا فى قوله : « **ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنــكر** »[1] .

فاذا كان هناك من يحتج بهذه الآية قائلا : ان الصلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر بدليل أن بعض هؤلاء المصلين يخرجون من الصلاة لكى يعودوا الى الفحشاء والمنكر كما نرى فى هذا الزمان المريض فاننا نقول له : صدق الله وكذبت صلاتهم ، لأنه لو صدقت صلاتهم بهذا المعنىمن مفهوم لنهتهم عن الفحشاء والمنكر كما قال رب العالمين .

فلا تنس كل هذا يا أخا الاسلام وكن من الصادقين مع الله فى كل حركاتك وسكناتك حتى تكون قريبا منه وسعيدا به .

وحتى تكون من الرجال الذين قال الله تعــالى فى وصفهم : « **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب** »[2] .

* * *

* وثانيها : « واعدد نفسك فى الموتى » :

وقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المعنى الكبير فى حديث صحيح قال فيه لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »[3] .

ولهذاكان ابن عمر يقول بعد هذا واعظا لغيره : « اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك »[4] .

وهذا هو المعنى الكبير الذى أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يلفت القلوب اليه حتى لا يكون هناك مكان للدنيا فيها : تلك الدنيا

---

(١) العنكبوت : ٤٥ (٢) النور : ٣٧ ، ٣٨

(٣ ، ٤) جزء من حديث صحيح رواه البخارى .

التى قال الله سبحانه وتعالى فى وصفها : « **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار[١] نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاما ، وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغـرور** »[٢] .

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يعمل دائما على التحقير من شـأنها كما ورد فى حـديث رواه جابر رضى الله عنه فيقول : « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسوق والناس كنفتيه[٣] فمر بجدى أسك[٤] ميت ، فتناوله بأذنه ثم قال : أيكم يحب أن هـذا له بدرهم ؟ فقالوا : ما نحب أنه لنا بشىء وما نصنع به ؟ قال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حيا لكان عيبا فيه لأنه أسك فكيف وهو ميت . فقال : والله للدنيا أهون على الله عز وجل من هذا عليكم »[٥] .

كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « ان الله عز وجل ليحمى عبده المؤمن الدنيا ، وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعـام والشراب »[٦] ولهذا أيضا رفضها المصطفى صلى الله عليه وسلم كما ورد فى حديث شريف قال فيه : « عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا . فقلت : لا يا رب .. ولكن أشبع يوما وأجوع يوما ، ــ أو قال : ثلاثا . أو نحو هذا ــ فاذا جعت : تضرعت اليك وذكرتك ، واذا شبعت : شكرتك ، وحمدتك »[٧] .

وحسبك فى النهاية ما قاله عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما لرجل من فقراء المهاجرين يشكو له الفقر : ألك امرأة تأوى اليها ؟ قال : نعم . قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال : نعم . قال : فأنت من الأغنياء . قال : فان لى خادما ؟ قال : فأنت من الملوك[٨] .

ثم حسبك أيضا هذا الحديث الشريف : « طوبى لمن هدى الى

---

(١) المراد بالكفار هنا فى هذه الآية : الزراع .
(٢) الحديد : ٢٠ . (٣) أى عن يمينه وشماله .
(٤) والمراد انه ليس فيه ما يرغب فيه ، أسك : أى صغير الأذن .
(٥) رواه مسلم .
(٦) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .
(٧) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .
(٨) رواه مسلم موقوفا .

الاسلام ، وكان عيشه كفافا وقنع »[١] . وهذا الحديث : « قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافا ، وقنعه الله بما آتاه »[٢] .

* * *

ومن النماذج الحية التى أرجو أن تنتفع بها ـ كما انتفعت ـ هذا الأثر الذى يحكى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس ذات يوم بين أصحابه فى جلسة نورانية أراد أن يخرج منها هؤلاء الأصحاب الفضلاء بدرس مفيد يستنيرون به فى طريق الحق تبارك وتعالى حتى يصلوا اليه .

وبطريقة تربوية رائدة نظر صلوات الله وسلامه عليه الى صاحبه الصديق رضى الله عنه ثم قال له :

« أتحب من الدنيا شيئا يا أبا بكر » ؟

قال : نعم ، أحب لأجلك ثلاثا . قال : وما هى ؟ قال : نظرى اليك ، وجلوسى بين يديك ، وانفاق مالى عليك .

ثم نظر الى عمر رضى الله عنه وقال له :

« وأنت يا عمر .. أتحب من الدنيا شيئا » .

قال : نعم ، أحب لأجلك ثلاثا . قال : وما هى ؟ قال : أمر بمعروف ولو كان سرا ، ونهى عن منكر ولو كان جهرا ، وقول الحق ولو كان مرا .

ثم نظر الى عثمان رضى الله عنه وقال له :

« وأنت يا عثمان .. أتحب من الدنيا شيئا » ؟

قال : نعم ، أحب لأجلك ثلاثا . قال : وما هى ؟ قال : اطعام الطعام ، وافشاء السلام ، وركعات بالليل والناس نيام .

ثم نظر الى على رضى الله عنه وقال له :

« وأنت يا على .. أتحب من الدنيا شيئا » ؟

قال : نعم ، أحب لأجلك ثلاثا . قال : وما هى ؟ قال : اكرام الضيف ، والصيام فى الصيف ، وضرب أعناق المشركين بالسيف .

ثم بعد ذلك ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم معلقا :

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٢) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه .

« وأنا أحب من دنياكم ثلاثا : الطيب ، والنساء[١] ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة » .

كماروى أن جبريل عليه السلام هبط بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : « ربك يقرئك السلام ويقول لك : انه يحب ثلاثا : لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وجسد على البلاء صابر » .

كما قال جبريل عليه السلام بعد هذا : « وأنا أحب من الدنيا ثلاثا : تبليغ الرسالة ، وأداء الأمانة ، والمساكين » .

* * *

وعندما علم الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم بهذه الثلاثيات المباركات ، قال أبو حنيفة : وأنا أحب من الدنيا ثلاثا : تحصيل العلم فى طول الليالى ، وترك الترفع والتعالى ، وقلب من حب الدنيا خالى .

وقال الامام مالك : وأنا أحب من الدنيا ثلاثا : مجاورة روضته صلى الله عليه وسلم ، وملازمة تربته[٢] ، واحترام أهل بيته[٣] .

وقال الشافعى : وأنا أحب من الدنيا ثلاثا : عشرة الخلق بالتلطف[٤] ، وترك ما يؤدى الى التكلف[٥] ، والاقتداء بطريق التصوف[٦] .

وقال ابن حنبل : وأنا أحب من الدنيا ثلاثا : متابعة النبى صلى الله عليه وسلم فى أخباره ، والتبرك بأنواره ، والسلوك فى طريق آثاره .

---

(١) ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب نساء الغير كما يزعم اعداء الاسلام ــ قاتلهم الله ــ وانما كان يحب نساءه هو ، لكى يكون قدوة لاصحابه فى احترام المراة الصالحة لأن بعضهم كان يحتقر المراة وكان ينظر اليها على انها جارية ، او على انها سلعة تباع وتشترى ، ولهذا كانوا يقتلون البنات مخافة الفاقة والعار .

(٢) اى التراب الذى كان يسير عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم .

(٣) عليهم رضوان الله . (٤) اى باللين .

(٥) اى ما يزيد عن حده حتى لا ينقلب الى ضده .

(٦) التصوف الذى يعنيه الشافعى عليه رضوان الله هو الذى يتفق مع الكتاب والسنة والخالى من البدع او الدجل وهو ايضا الصفاء .

ولست امنح هذا الاسم غير فتى صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

فكن منتفعا بهذه النماذج المضيئة واحرص على كل لحظة من لحظات حياتك حتى لا تندم عليها يوم لا ينفع الندم .

ولا تلهو بدار أنت فيها   تفارق منك يوما ما لهوتا
وتطعمك الطعام وعن قريب   ستطعم منك يوما ما طعمتا

و :

لا ترجو البقاء بدار لا بقاء لها   وهل سمعت بظل غير منتقل

وتأمل معى ما قاله على رضى الله عنه : اعلموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت ، وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها .

فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، فانها دار بالبلاء محفوفة ، وبالفناء معروفة ، وبالغدر موصوفة ، وكل ما فيها الى زوال ، وهى بين أهلها دول وسجال ، لا تدوم أحوالها ، ولن يسلم من شر نزالها .

وما قاله عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فى خطبة له :

« أيها الناس .. انكم لم تخلقوا عبثا ، ولم تتركوا سدى ، وان لكم معادا يجمعكم الله عز وجل فيه للحكم فيكم ، والفصل بينكم ، فخاب وشقى عبد أخرجه الله عز وجل من رحمته التى وسعت كل شئ ، وجنته التى عرضها السموات والأرض ، وانما يكون الأمان غدا لمن خاف الله تعالى واتقى ، وباع قليلا بكثير ، وفانيا بباق وشقاوة بسعادة ، ألا ترون أنكم فى كل يوم تشيعون غاديا رائحا الى الله قد قضى نحبه ، وانقطع أمله فتضعونه فى بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب » .

ولا تنس قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى خطبة له بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أيها الناس .. ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ، ان المؤمن بين مخافتين ، بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله تعالى قاض عليه فيه . فليأخذ العبد لنفسه من نفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت ، والذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار »[1] .

وحسبى بعد هذا العرض الموجز لهذه النقاط الأساسية أن أقرأ

---

(١) ذكره أبو بكر الباقلانى فى كتابه « اعجاز القرآن » .

معك هذه الموعظة التى تضع النقط على الحروف والتى تأثرت بها كثيرا :

قال سليمان بن عبد الملك لأبى حازم ـــ وقد كان من العلماء العاملين ـــ : ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمرتم دنياكم ، وخربتم آخرتكم ، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران الى الخراب ، قال : فما قدومنا على الدار الآخرة ؟

قال : يختلف باختلاف العبيد ، فالعارف بالله المخلص لمولاه ، يكون قدومه على الدار الآخرة كقدوم الطفل الوحيد على أمه يعود اليها بعد طول غياب ، وأما المفرط فى حب الله ، يكون قدومه على الدار الآخرة كما يقدم العبد الآبق[1] من سيده يجىء اليه وهو موثق بالأغلال .

قال سليمان : فما لنا عند الله ؟ قال : اعرض نفسك على كتاب الله . قال : فى أى موضع أصيب ذلك ؟

قال : اقرأ قوله تعالى : **« ان الأبرار لفى نعيم . وان الفجار لفى جحيم »**[2] .

قال سليمان : « يا أبا حازم .. أقم عندنا فنصيب منك ، قال : أخاف أن أركن الى الذين ظلموا فتمسنى النار ، قال سليمان : خذ هذا المال ، فقال أبو حازم : مالى خير من مالكم ، قال سليمان : وما مالك ؟ قال : الثقة بالله ، والاعتماد على الله ، والرضا بما عند الله » .

ثم اليك بعد ذلك هذا النداء :

ألا أيها الناسى ليوم رحيله ... أراك عن الموت المفرق لاهيا
ولا ترعوى بالظاعنين الى البلى ... وقد تركوا الدنيا جميعا كما هيا
ولم يخرجوا الا بقطن وخرقة ... وما عمروا من منزل ظل خاويا
وهم فى بطون الأرض صرعى جفا ... هموا صديق وخل كان قبل موافيا
وأنت غدا أو بعده فى جوارهم ... وحيدا فريدا فى المقابر ثاويا
جفاك الذى قد كنت ترجو وداده ... ولم تر انسانا لعهدك وافيا
فكن مستعدا للحمام[3] فانه ... قريب ودع منك المنى والأمانيا

---

(١) اى الهارب . (٢) الانفطار : ١٣ ، ١٤

(٣) الحمام ـــ بكسر الحاء : هو الموت .

وهذا النداء :

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيا والناس حولك يضحكون سرورا
فاعمل ليوم أن تكون اذا بكوا في يوم موتك ضاحكا مسرورا

وضع نصب عينيك دائما وأبدا قول الله تعالى : **« كل نفس ذائقة الموت ، وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور »**[١] .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا أراد الله بعبد خيرا استعمله » قيل : وكيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال : « يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه »[٢] .

وثالثها وأهمها تركيزا : قول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضى الله عنه بعد أن أوصاه بالأولى والثانية :

* (وان شئت أنبأتك بما هو أملك بك من هذا كله ؟ قال : هذا .. ــ وأشار بيده الى لسانه ــ) :

وذلك لأن اللسان هو أخطر عضو فى الجسد ولهذا جعله الله تعالى داخل قفصين من العظم واللحم[٣] .

ولهذا أيضا كان أفضل المسلمين : « من سلم المسلمون من لسانه ويده »[٤] كما أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن أفضلهم ، وهذا هو السر فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول : « طوبى لمن ملك لسانه ، ووسعه بيته ، وبكى على خطيئته »[٥] ويقول : « من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه[٦] دخل الجنة »[٧] أى بغير عذاب ، أو مع السابقين ، لأن معظم الذنوب انما تصدر عن الفرج واللسان .

وحسبى فى هذا العرض الموجز والمركز أن أسوق اليك هذا الحديث

---

(١) آل عمران : ١٨٥

(٢) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما وكذلك رواه أحمد والترمذى وابن حبان عن انس وقال شارح الجامع : اسناده صحيح .

(٣) الأسنان والشفتان .

(٤) رواه البخارى ومسلم والنسائى .

(٥) رواه الطبرانى فى « الأوسط » و « الصغير » باسناد حسن .

(٦) يعنى لسانه وفرجه .

(٧) رواه الترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه .

الشريف الذى يرويه معاذ بن جبل رضى الله عنه فيقول : قلت يا رسول الله .. أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار ، قال : « لقد سألت عن عظيم .. وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه :

تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت » ثم قال : « ألا أدلك على أبواب الخير[1] ؟ الصوم جنة[2] والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل ، ثم تلا : « **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**»[3] .

ثم قال : « ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه » ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : « رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد » .

ثم قال : « ألا أخبرك بملاك ذلك كله » ؟ قلت : بلى يا رسول الله . فأخذ بلسانه وقال : « كف عليك هذا » . قلت : يا نبى الله .. وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : « ثكلتك أمك[4] وهل يكب الناس فى النار على وجوههم ــ أو قال : على مناخرهم ــ الا حصائد ألسنتهم »[5] .

فلاحظ هذا المعنى الأخير : « والزم الصمت فانه يكسبك صفو المحبة ويؤمنك سوء المغبة ، ويلبسك ثوب الوقار ، ويكفيك مؤنة الاعتذار » :

« واعقل لسانك الا عن حق توضحه ، أو باطل تدحضه ، أو حكمة تنشرها ، أو نعمة تذكرها »[6] .

ففى الحديث الشريف : « كل كلام ابن آدم عليه لا له الا أمر بمعروف أو نهى عن منكر ، أو ذكر الله »[7] .

---

(١) وفى رواية أخرى : « الا ادلك على ابواب الجنة » .
(٢) اى وقاية . (٣) السجدة : ١٦ ، ١٧
(٤) اى فقدتك امك وتلك مداعبة من الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل على عادة العرب .
(٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٦) من اقوال الحكماء .
(٧) رواه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى : حديث غريب .

وفى حديث آخر : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »[١] .

واعلم : أن للكلام شروطا لا يسلم المتكلم من الزلل الا بهـا ولا يخلو من النقص الا بعد أن يستوفيها ، وهى أربعة :

الشرط الأول : أن يكون الكلام لداع يدعو اليه ، اما فى اجتلاب نفع ، أو دفع ضرر .

الشرطالثانى : أن يأتى به فى موضعه ويتوخى به اصابة فرصته .

الشرط الثالث : أن يقتصر منه على قدر حاجته .

الشرط الرابع : أن يتخير اللفظ الذى يتكلم به .

فان لم تجد قولا سديدا تقوله فصمتك عن غير السداد سداد

وفى ذلك يقول العلماء : ينبغى على كل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه فى المصلحة ، فالسنة الامساك عنه لأنه قد يجر الكلام المباح الى حرام أو مكروه . بل هذا كثير وغالب فى العادة .

ومن كلام الامام الشافعى رضى الله عنه : « اذا أراد ــ الانسان ــ أن يتكلم فعليه أن يفكر قبل كلامه ، فان ظهرت المصلحة تكلم وان شك لم يتكلم حتى تظهر » .

* * *

فاذكر كل هذا واياك وقبيح الكلام فانه ينفر عنك الكرام ويغرى عليك اللئام .

وتأمل قول سيدنا على رضى الله عنه : « المرء مخبوء تحت لسانه فاذا ما تكلم ظهر » .

وقوله : « لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحمق وراء لسانه » .

وقول القائل :

وصمتك خير من اثارة فتنة فكن صامتا تسلم وان قلت فاعدل
ولا تك فى ذم الأخـلاء مفرطا وان أنت أبغضت الصديق فأجمل
فانك لا تدرى متى أنت مبغض حبيبك أو تهوى بغيضك فاعقـل

القـائل :

فان أنت عبت الناس عابوا وأكثروا عليك وأبدوا منك ما كان يستر
اذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم فلا عيب الا دون ما منك يذكر

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

متى تلتمس للناس عيبا تجد لهم عيوبا ولكن الذى فيك أكثر
والقائل :
معيب على الانسان ينسى عيوبه ويذكر عيبا فى أخيه قد اختفى
فلو كان ذا عقل لما عاب غيره وفيه عيوب لو رآها بها اكتفى
والقائل :
لا تكشفن من مساوى الناس ما ستروا فيكشف الله سترا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ولا تعب أحدا منهم بما فيكا
والقائل :
ان رمت فى الحشر تنجو من حر نار الجحيم
وتستعز بنصر من العزيز الرحيم
فصن لسانك واردد عن عرض خل كريم
ذا لعمرك كاف طوبى[1] لقلب سليم

واحذر كذلك أن تغتاب انسانا بمعنى أن تذكره بما يكره .

فقد ورد فى الحديث الشريف : « أتدرون ما الغيبة » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « ذكرك أخاك بما يكره » قيل : أرأيت ان كان فى أخى ما أقول ؟ قال : « ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته[2] »[3] .

مع ملاحظة أن الغيبة كما تكون باللسان تكون كذلك بالكناية والاشارة اليه بالعين أو اليد ، والضابط أن كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة .

وفى سنن أبى داوود عن عائشة رضى الله عنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم : حسبك من صفية كذا وكذا ـ قال بعض الرواة : يعنى قصيرة ـ فقال : « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته ... »[4] .

وفى حديث آخر : « مررت ليلة أسرى بى على أقوام يخمشون

---

(١) طوبى لهم : أى الحسنى لهم والخير لهم . وقيل : اسم شجرة فى الجنة .

(٢) أى افتريت عليه بالكذب وتنفنته بالباطل .

(٣) رواه مسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى .

(٤) رواه أبو داوود والترمذى والبيهقى ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وجوههم بأظافرهم ، قلت : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون فى أعراضهم »[١] .

وفى رواية أخرى : « ليلة أسرى بى مررت فى السماء الدنيا بقوم يقطع اللحم من جنوبهم ثم يلقمونه فيقال لهم : كلوا ما كنتم تأكلون من لحم اخوانكم . قلت : يا جبريل .. من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الهمازون[٢] من أمتك اللمازون »[٣] .

ومن أجمل ما قرأت فى هذا الموضوع من آثار : عن خالد الربعى قال : كنت فى المسجد الجامع فاغتابوا رجلا فنهيتهم عنه فكفوا وأخذوا فى غيره ثم عادوا اليه ، فدخلت معهم فى شىء من أمره فرأيت تلك الليلة رجلا أسود وطويلا ومعه طبق عليه قطعة من لحم خنزير فقال لى : كل . فقلت والله لا آكل لحم الخنزير . فانتهرنى انتهارا شديدا وقال : قد أكلت ما هو شر منه فجعل يدسه فى فمى حتى استيقظت ، فوالله قد مكثت أربعين يوما ما أكلت طعاما الا وجدت طعم ذلك اللحم ونتنه فى فمى .

وعن حاتم الزاهد قال : ثلاثة اذا كن فى مجلس فالرحمة عنهم مصروفة : ذكر الدنيا ، والضحك ، والوقيعة فى الناس .

وذكر عن ابراهيم بن أدهم : أنه دعى الى طعام فلما جلس قالوا : ان فلانا لم يجىء فقال بعضهم : انه رجل ثقيل فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام وقال : انما فعل هذا فى بطنى حيث شهدت طعاما اغتبت فيه المؤمن .

وروى عن الحسن البصرى : بلغه أن رجلا اغتابه فبعث اليه طبقا من رطب وقال له : بلغنى أنك أهديت الى حسناتك فأردت أن أكافئك بهذا فاعذرنى فانى لا أقدر أن أكافئك بها على التمام .

وروى عن عيسى عليه السلام : أنه رأى ابليس لعنه الله فى احدى يديه عسل وفى الأخرى رماد ، فسأله عن ذلك فقال : أجعل العسل فى أفواه المغتابين والرماد فى وجوه الأيتام حتى يرمدوا فيستقذرهم الناس فلا يفعلوا بهم خيرا .

هذا وقد ذكر العلماء : أن الغيبة تباح فى ستة مواضع نظمها

---

(١) رواه أبو داوود . (٢) الهماز : الذى يعيبك بالغيب .
(٣) اللماز : الذى يعيبك فى وجهك .

الجوهرى فى قوله :

لست غيبة جوز وخذها منظمة كأمثال الجواهر
تظلم ، واستعن ، واستفت ، حذر وعرف ، واذكرن فسق المجاهر

واذا أردت ايضاحاً ، فالموضوع الأول : وهو التظلم ، أن يقول المظلوم لمن له قدرة على انصافه ممن ظلمه : ظلمنى فلان بكذا وكذا ، ولا يزيد على الحاجة •

والثانى : الاستعانة على تغيير المنكر : فتقول لمن له قدرة على ازالته : فلان يفعل المنكر ، كشرب الخمر • وتقصد بذلك أن يعينك على ازالته ، فان لم تقصد ذلك كان حراما •

والثالث : الاستفتاء فتقول للمفتى : ظلمنى فلان بكذا ، فهل له ذلك أو لا ؟

والرابع : التحذير : أى تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم من وجوه ، منها : جرح المجروحين من الرواة والشهود ، وذلك جائز بل واجب للحاجة ، ومنها المشاورة فى مصاهرة انسان أو مشاركته أو معاملته ، ويجب على المستشار أن لا يخفى شيئا من العيوب التى فيه بل يذكرها بنيةالنصيحة ، ومنها أن يكون الشخص فى ولاية لا يقوم بها لعدم صلاحه لها أو لفسقه أو لتغفله فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية ليزيله ويولى من يصلح لها أو ليحثه على الاستقامة •

والخامس : التعريف : فاذا كان الانسان معروفا بلقب : كالأعمش والأعرج ، جاز التعريف بذلك ويحرم ذكره على وجه التنقيص •

والسادس : أن يكون متجاهرا بالفسق كالمجاهر بشرب الخمر أو أخذ (الرشوة) أو أكل أموال الناس بالباطل ، أو ترك الصلاة • وفى الحديث : « اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذر الناس منه » •

فاذكر كل هذا مع ملاحظة أن سامع الغيبة : كالمغتاب تماما — اذا لم يعترض ويعلن غضبه واستنكاره — فقد ورد فى حديث شريف : « المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم » •

كما روى أن الامام الشافعى رضى الله عنه سمع رجلا يتكلم فى رجل من أهل العلم فقال لأصحابه : « نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل ، فان السفيه ينظر الى أخبث شىء فى وعائه فيحرص على أن يفرغه فى أوعيتكم » •

وسمعك صن عن سماع الخنا[١] كصون اللســـان عن النطق به
فانك عنـد سـماع الخنــا شريك لقـــــائله فانتبــه

* * *

ولا تنس قوله تعالى فى كتابه العزيز :

« ... ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم »[٢] .

* * *

واحذر أن تكون من الذين يوسوسون فى صدور الناس بهذه المفتريات التى يريدون بها الايقاع بين الأحبة .

وحسبك تحذيرا لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه ذات يوم : « ألا أخبركم بشراركم » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العنت » .

وقوله : « أيما رجل أشاع على رجل كلمة هو منها برىء ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه فى النار يوم القيامة » .

وقوله : « من مشى بالنميمة بين العباد قطع الله له نعلين من نار يغلى منهما دماغه » .

* * *

ثم اليك أيضا هذه الآثار : يقول المــأمون رحمه الله : النميمة لا تقرب مودة الا أفســدتها ، ولا عداوة الا جددتها ، ولا جمــاعة الا بددتها . ثم لابد لمن عرف بها أن يطرد ، وعن مجالس الأصدقاء يبعــد .

وقال بعضهم : لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترىء بالشتم عليك ، والمنقول عنه أولى بحلمك لأنه لم يقابلك بشتمك . وفى هذا المعنى :

من يخبرك بشتم عن أخ فهو الشـــاتم لا من شتمك
ذاك شىء لم يواجهــك به انما اللوم على من أعلمك

وقيل : جاء رجل الى وهب فقال : ان فلانا شتمك . فقال له : أما وجد الشيطان غيرك ؟

---

(١) أى الفحش فى القول .
(٢) الحجرات : ١٢ .

وقيل لعاقل : فلان يشتمك فى الغيبة . فقال : ولو ضربنى وأنا غائب لم أبال به .

وقال مصعب بن الزبير : نحن نرى أن قبول السعاية شر منها لأن السعاية دلالة ، والقبول اجازة .

وليس من دل على شيء كمن أجازه ، فاتقوا الساعى فلو كان صدقا لكان لئيما فى صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة .

وقيل لبعضهم : ان صاحبك فلانا قال فيك كذا . فقال : يا هذا .. والله ما رعيت حق مجالسته حتى نقلت الى حديثه ، ولا رعيت حقى حتى تبلغنى عن أخى ما أكره . واعلم أن الموت يعمنا ، والبعث يحشرنا ، والقيامة تجمعنا ، والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين .

وجاء رجل الى عمر بن عبد العزيز فذكر له عن رجل شيئا . فقال له : ان شئت نظرنا فى أمرك ، فان كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية : « ... ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا »[١]

وان كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية : « هماز مشاء بنميم »[٢]

وان شئت عفونا عنك . فقال : العفو يا أمير المؤمنين ولا أعود أبدا .

فلاتنس كل هذا .. و :

صن النفس واحملها على ما يزينها	تعش سالما والقول فيك جميل
ولا تولين الناس الا تجملا	نبا بك دهر أو جفاك خليل
وان ضاق رزق اليوم فاصبر الى غد	عسى نكبات الدهر عنك تزول
ولا خير فى رد امرىء متلون	اذا الريح مالت مال حيث تميل
وما أكثر الاخوان حين تعدهم	ولكنهم فى النائبات قليل

واذا كان هناك صديق :

يريك النصيحة عند اللقا	ويبريك فى السر برى القلم
فبت حبالك من وصله	ولا تكثرن عليه الندم

واحفظ ونفذ قول القائل :

يا مبتغى العز والسلامة	الزم ثلاثا تلقى الكرامة
لا تسأل المرء ما لديه	ولا ترى آكلا طعامه
ولا ترى ذاكرا بسوء	ما عشت خلقا الى القيامة
وزد لهذه الثلاثة تقوى الاله	تكمل لك السلامة

---

(١) الحجرات : ٦ (٢) القلم : ١١

الوصية الخامسة عشرة

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من يأخذ عنى هذه الكلمات فيعمل بهن ، أو يعلم من يعمل بهن » ؟

فقال أبو هريرة : قلت : أنا يا رسول الله ، فأخذ بيده فعد خمسا فقال :

« اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن الى جارك تكن مؤمنا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ، ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب » .

(رواه الترمذى)

* * *

فكن أخا الاسلام :

أهلا لهذه التوجيهات المحمدية التى ان كنت من أهلها كنت من أولى الألباب وكنت من خير البرية الذين : **« رضى الله عنهم ورضوا عنه »**(١) .

واذا كان أبو هريرة رضى الله عنه قد فاز وسعد بوضع يده فى يد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وهو يزوده بهذه النصائح الغالية التى تشد من أجلها الرحال وتنفق فى سبيلها آلاف الأموال ، وتقطع فى طلبها مئات بل آلاف الأميال .

فى استطاعتك أنت كذلك أن تتصور نفسك وقد تشرفت بوضع يدك فى يد الحبيب صلوات الله وسلامه عليه وهو يوصيك بقوله :

* (اتق المحارم تكن أعبد الناس) :

وخلاصة هذه الأولى : أنك لن تكون عبدا حقيقيا لله تعالى الا اذا اجتنبت محارمه ، وهى :

المعاصى ، والمنهيات ، وترك المأمورات . ومعنى هذا : أنه اذا كان الله تعالى قد أمرك فى كتابه العزيز وعلى لسان حبيبه صلى الله

---

(١) البينة : ٨

عليه وسلم الذى : « لا ينطق عن الهوى » بفعل شىء أو تركه فانه يحرم عليك عدم الاستجابة لأوامره ، وفعل ما نهى عنه والا كنت من العصاة المذنبين « ... **الأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** »[١] .

وحتى لا تكون من أهل الخسران ، وحتى لا أطيل عليك فى هذا التقديم اليك هذه النصوص القرآنية والنبوية التى ستقف فيها على أهم الأوامر والنواهى التى يجب عليك — كعبد من عباد الله الحقيقيين — أن تعرفها وتقف على أبعادها وأسرارها حتى تكون منفذا لما فيها وفى غيرها من أوامر ، ومجتنبا لجميع المنهيات :

يقول الله تبارك وتعالى : « **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، الا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق[٢] نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر[٣] منها وما بطن[٤] ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق[٥] ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده[٦] ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** »[٧] .

ويقول : « **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء[٨] والمنكر والبغى[٩] ، يعظكم لعلكم تذكرون** »[١٠] .

---

(١) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤ بلفظ : « **قل هل ننبئكم بالأخسرين ...** » .

(٢) اى فقر تخافونه .

(٣) كالقتل والزنا والسرقة وجميع المعاصى الظاهرية .

(٤) كالرياء ، والعجب ، والكبر ، والحسد ، وجميع المعاصى القلبية .

(٥) كالقصاص وحد الردة ورجم المحصن والمحصنة .

(٦) اى يحتلم ويصير اهلا لتحمل المسئوليات .

(٧) الأنعام : ١٥١ — ١٥٣

(٨) اى الزنا : لان فيه ضياع الأنساب والاعراض ويترتب عليه المقت والعقوبة من الله تعالى فهو القائل سبحانه : « **ولا تقربوا الزنا ، انه كان فاحشة وساء سبيلا** » (الاسراء : ٣٢) .

(٩) الظلم للناس .

(١٠) النحل : ٩٠

كما يقول صلوات الله وسلامه عليه : « اجتنبوا السبع الموبقات »[١]
قالوا : يا رسول الله .. وما هن ؟

قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات[٢] الغافلات[٣] المؤمنات »[٤] .

ويقول : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ــ ثلاثا ــ : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، ألا وشهادة الزور وقول الزور ــ وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت ــ »[٥] .

ويقول : « العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه »[٦] .

ويقول : « لا يخلون أحدكم بامرأة الا مع ذى[٧] محرم »[٨] .

وحسبى فى هذا العرض الموجز لأهم هذه النصوص أن أضيف اليها هذا النص الجامع الذى يحدثنا الله سبحانه وتعالى فيه عن عباده الذين يستحقون رحمته فيقول تشريفا لهم بانتسابهم اليه :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما[٩] . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، ان عذابها كان

---

(١) اى المهلكات .   (٢) اى المتزوجات العفيفات .

(٣) اى الغافلات عن المعصية فلا تخطر على بالهن .

(٤ ، ٥) رواه البخارى ومسلم .   (٦) رواه مسلم .

(٧) المحارم بالنسبة لك : هن المحرمات عليك فى الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها : **« حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ، فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الأختين الا ما قد سلف ، ان الله كان غفورا رحيما »** (النساء : ٢٣) . والمحارم بالنسبة للمراة عكس ما ذكرن فى الآية من الذكور ، والمراد : لا تخلو بامراة ليست من محارمك الا مع ذى محرم لها .   (٨) رواه البخارى ومسلم .

(٩) اى قالوا قولا يسلمون به من الاثم مع القدرة على الانتقام .

غراما[١] • انها ساءت مستقرا ومقاما • والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا[٢] وكان بين ذلك قواما[٣] •

والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما[٤] • يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ، الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما •

ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا • والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو[٥] مروا كراما •

والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا • والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما[٦] • أولئك يجزون الغرفة[٧] بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما • خالدين فيها ، حسنت مستقرا ومقاما »[٨] •

فاذا أردت أن تكون من عباد الرحمن الذين وقفت على أهم صفاتهم لابد وأن تكون مثلهم أو على الأقل شبيها بهم فى كل حركاتهم وسكناتهم مع الاحاطة بأن كل انسان يستطيع بتوفيق من الله سبحانه وتعالى أن يكون كهؤلاء الأبرار الذين فازوا وسعدوا برضوان الله عليهم ، وذلك بالنية الصادقة والعزيمة القوية على فعل الخيرات وترك المنكرات •

* * *

مع ضرورة الاتقــاء والابتعاد عن الشــبهات وهى أمور مشتبهة بين الحلال والحرام حتى يسلم الانسان من الشبهة ، والا تطاول عليه السفهاء واتهموه بأكل الحرام وفعله ، وقد يكون بريئا من هذا وقد لا يكون •

وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام،

---

(١) اى لازما • (٢) اى لا يضيقون على أنفسهم وأهليهم •
(٣) اى وسطا • (٤) اى عقوبة •
(٥) اللغو : الكلام الذى لا فائدة فيه وقد يطلق على كل ما لا يعتد به من قول وعمل •
(٦) اى اجعلنا هداة يقتدى بنا فى مواسم الخيرات والطاعات •
(٧) الدرجة العليا فى الجنة • (٨) الفرقان : ٦٣ — ٧٦

كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وان لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه ، ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب »(١) .

وقد اختلف العلماء أيضا فى معنى الشبهة المذكورة فى الحديث ، فمنهم من قال : انها (الحرام) بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » ومنهم من قال : انها (الحلال) بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه » .

والخلاصة التى نريد أن نخرج بها من هذا الخلاف الذى لا يستهان به هى : أنه يجب على كل مسلم يرجو البراءة لدينه وعرضه أن يبتعد عن كل شىء فيه شبهة ، لأنه اذا لم يبتعد عن الشبهة وقع فى الحرام أو قارب أن يقع فيه وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا المعنى فى قوله : « **تلك حدود الله فلا تقربوها** »(٢) وقوله : « **ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** »(٣) ففى الآية الأولى : نهى سبحانه من المقاربة حذرا من المواقعة .

وفى الثانية : أشار الى ما حدث من بنى اسرائيل الذين تدرجوا بالمعاصى الى قتلهم للأنبياء بغير حق .

وقد كان صلى الله عليه وسلم كما ورد فى الحديث الشريف يقول :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم »

كما كان يوصى فى حديث آخر بأن يدفع الانسان عن نفسه شبهة الاحداث فى الصلاة فيقول : « اذا أحدث أحدكم فى الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف »(٤) .

لله در على رضى الله عنه فلقد كان يقول فى هذا المعنى أيضا :

« اياك وما يسبق الى القلوب انكاره وان كان عندك اعتذاره ، فرب سامع نكرا لا تستطيع أن تسمعه عذرا » .

* * *

فلاحظ كل هذا ، و : « دع ما يريبك(٥) الى ما لا يريبك »(٦) .

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) البقرة : ١٨٧
(٣) البقرة : ٦١ .
(٤) رواه الترمذى .
(٥) الريبة : اى الشك .
(٦) رواه الترمذى والنسائى وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وإياك أن تحتقر ذنبا مهما كان صغيرا .

فمعظم النار من مستصغر الشرر

وفى الحديث الشريف : « إياكم ومحقرات الذنوب ، فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه »[١] وأيضا : « يا عائشة .. اياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا »[٢] .



واحذر أن تقع أيضا فى شباك الشيطان الذى حذرنا الله سبحانه وتعالى من مكايده وفتنته فقال : « ... ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين . انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون »[٣] .

وقال : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء »[٤] .

وقال : « ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا »[٥] .

وقال : « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون »[٦] . وقال : « انه عدو مضل مبين »[٧] وقال : « ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير »[٨] .



وحتى تقف على بعض مكايده وتكون حذرا منه ، اليك هذه الصور التى وردت فى كتاب « تلبيس ابليس »[٩] :

« بلغنا أن ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى عليه معاليق من كل شىء ، فقال يحيى : يا ابليس .. ما هذه المعاليق التى أرى عليك ؟ قال : هذه الشهوات التى أصيد بهن ابن آدم . قال :

---

(١) من حديث رواه احمد والطبرانى والبيهقى .

(٢) رواه النسائى واللفظ له وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .

(٣) البقرة : ١٦٨ ، ١٦٩ (٤) البقرة : ٢٦٨

(٥) النساء : ٦٠ (٦) المائدة : ٩١

(٧) القصص : ١٥ (٨) فاطر : ٦

(٩) للحافظ الامام جمال الدين ابو الفرج ابن الجوزى البغدادى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

فهل لى فيها من شىء ؟ قال : ربما شبعت فثقلناك عن الذكر ، قال : فهل غير ذلك ؟ قال : لا والله ، قال : لله على أن لا أملأ بطنى من طعام أبدا • وقال ابليس : ولله على أن لا أنصح مسلما أبدا •

وقيل : لما ركب نوح عليه السلام السفينة رأى فيها شيخا لم يعرفه ، فقال له نوح : ما أدخلك ؟ قال : دخلت لأصيب قلوب أصحابك فتكون قلوبهم معى ، وأبدانهم معك ، فقال له نوح عليه السلام : اخرج يا عدو الله ، فقال ابليس : خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك منهن بثلاث ولا أحدثك باثنتين • فأوحى الله تبارك وتعالى الى نوح عليه السلام : انه لا حاجة لك الى الثلاث ، فمره يحدثك بالاثنتين • فقال : بهما أهلك الناس وهما لا يكذبان : الحسد[١] والحرص[٢] ، فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا زجيما ، وبالحرص أبيح لآدم الجنة كلها فأصبت حاجتى منه فأخرج من الجنة •

وقيل : لقى ابليس موسى عليه السلام ، فقال : يا موسى •• أنت الذى اصطفاك الله برسالته ، وكلمك تكليما ، وأنا من خلق الله تعالى ، وأذنبت ذنبا وأريد أن أتوب فاشفع لى الى ربى عز وجل أن يتوب على ، فدعا موسى ربه ، فقال : يا موسى •• قد قضيت حاجتك ، فلقى موسى ابليس فقال : قد أمرت أن تسجد لآدم فى قبره ويتاب عليك ، فاستكبر وغضب ، وقال : لم أسجد له حيا أأسجد له ميتا ؟ ثم قال ابليس : يا موسى •• ان لك حقا بما شفعت الى ربى فاذكرنى عند ثلاث حتى لا تهلك فيهن :

اذكرنى حين تغضب فأنا وحى فى قلبك ، وعينى فى عينك ، وأجرى منك مجرى الدم •

واذكرنى حين تلقى الزحف[٣] فانى آتى ابن آدم حين يلقى

---

(١) الحسد : ان يرى الرجل لاخيه نعمة فيتمنى ان تزول وتكون له دونه ، والغبطة : ان يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه . والاول مذموم ، والثانى محمود .

(٢) الحرص : شدة الارادة والشره الى المطلوب وهو نوعان : حرص فاجع ، وحرص نافع ، فالاول : حرص المرء على الدنيا وهو مشغول معذب بها فلا يفرغ من محبتها ، والثانى : حرصه على طاعة الله املا فى رحمته سبحانه .

(٣) اى عند زحفك للقاء العدو .

الزحف فأذكره ولده ، وأهله حتى يولى ، واياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فانى رسولها اليك ورسولك اليها •

وقيل : بينما موسى عليه السلام جالس فى بعض مجالسه اذ أقبل ابليس عليه برنس[1] له يتلون فيه ألوانا فلما دنا منه خلع البرنس فوضعه ثم أتاه وقال له : السلام عليك يا موسى •• فقال له موسى عليه السلام : مَن أنت ؟ قال : أنا ابليس ، قال : فلا حياك الله ، ما جاء بك ؟ قال : جئت لأسلم عليك لمنزلتك عند الله تعالى ومكانتك منه • قال : فما الذى رأيته عليك ؟ قال : به أختطف قلوب بنى آدم ، قال : فما الذى اذا صنعه الانسان استحوذت عليه ؟ قال : اذا أعجبته نفسه ، واستكثر عمله ، ونسى ذنوبه •

واحذرك ثلاثا : لا تخلون بامرأة لا تحل[2] لك قط ، فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أفتنه •

ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ، فانه ما عاهد الله أحد الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين الوفاء به •

ولا تخرجن صدقة الا أمضيتها ، فانه ما أخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبه دون أصحابى حتى أحول بينه وبين اخراجها •

ثم ولى يقول : يا ويله ـــ ثلاثة ـــ علم موسى ما يحذر به بنى آدم •

وقيل : كان عابد فى بنى اسرائيل من أعبد أهل زمانه ، وكان فى زمانه ثلاثة اخوة لهم أخت وكانت بكرا ليس لهم أخت غيرها ، فخرج البعث[3] على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون أختهم ولا من يأمنون عليها ولا عند من يضعونها ، قال[4] : فأجمعوا رأيهم على أن يخلفوها عند عابد بنى اسرائيل ، وكان ثقة فى أنفسهم ، فأتوه فسألوه أن يخلفوها عنده فتكون فى كنفه وجواره الى أن يرجعوا من غزاتهم ، فأبى ذلك وتعوذ بالله عز وجل منهم ومن أختهم ، قال : فلم يزالوا به حتى أطاعهم ، فقال : أنزلوها فى بيت حذاء[5] صومعتى ، قال : فأنزلوها فى ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها • فمكثت فى جوار ذلك

---

(١) البرنس : هو كل ثوب راسه منه ملتزق به . وهو ما شاع استعماله فى المغرب •

(٢) اى لا يحل الخلوة بها لانها ليست من المحارم •

(٣) اى طلبوا الجهاد فى سبيل الله • (٤) اى الراوى •

(٥) اى بجوار صومعتى •

العابد زمانا ينزل اليها بالطعام من صومعته ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ما وضع لها من الطعام • قال : فتلطف له الشيطان فلم يزل به يرغبه فى الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارا ويخوفه أن يراها أحد فيعلقها ، فلو مشيت بطعامها حتى تضعه على باب بيتها كان أعظم لأجرك ، قال : فلم يزل به حتى مشى اليها بطعامها ووضعه على باب بيتها ولم يكلمها قال : فلبث على هذه الحالة زمانا •

ثم جاءه ابليس فرغبه فى الخير والأجر وحضه عليه ، وقال : لو كنت تمشى اليها بطعامها فى بيتها كان أعظم لأجرك ، قال : فلم يزل به حتى مشى اليها بالطعام ثم وضعه فى بيتها فلبث على ذلك زمانا ، ثم جاءه ابليس فرغبه الخير وحضه عليه ، فقال : لو كنت تكلمها وتحدثها فتأنس بحديثك فانها قد استوحشت وحشة شديدة ، قال : فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع اليها من فوق صومعته ، قال : ثم أتاه ابليس بعد ذلك ، فقال : لو كنت تنزل اليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد هى على باب بيتها فتحدثك كان آنس لها ، فلم يزل به حتى أنزله وأجلسه على باب صومعته يحدثها وتحدثه ، وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها ، قال : فلبثا زمانا يتحدثان ثم جاءه ابليس فرغبه فى الخير والثواب فيما يصنع بها ، وقال : لو خرجت من باب صومعتك ثم جلست قريبا من باب بيتها فحدثتها كان آنس لها فلم يزل به حتى فعل ، قال : فلبث زمانا ، ثم جاءه ابليس فرغبه فى الخير قائلا : لو دنوت منها وجلست عند باب بيتها فحدثتها ولم تخرج من بيتها ، ففعل فكان ينزل من صومعته فيقف على باب بيتها فيحدثها ، فلبثا على ذلك حينا ثم جاءه ابليس ، فقال : لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها لأحد كان أحسن بك ، فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهارها كله فاذا مضى النهار صعد الى صومعته ، قال : ثم أتاه ابليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها وقبلها •

فلم يزل ابليس يحسنها فى عينيه ويسول له حتى وقع عليها فأحبلها فولدت له غلاما فجاء ابليس فقال : أرأيت ان جاء اخوة الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع ؟

لا آمن أن تفتضح أو يفضحوك ، فاعمد الى ابنها فاذبحه وادفنه فانها ستكتم ذلك عليك مخافة اخوتها أن يطلعوا على ما صنعت بها ،

ففعل فقال له : أتراها تكتم اخوتها ما صنعت بها وقتلت ابنها ، قال : خذها واذبحها وادفنها مع ابنها ، فلم يزل به حتى ذبحها وألقاها فى الحفرة مع ابنها وأطبق عليهما صخرة عظيمة وسوى عليهما وصعد الى صومعته يتعبد فيها فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث حتى أقبل اخوتها من الغزو ، فجاءوا فسألوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها ، وقال : كانت خير امرأة وهذا قبرها فانظروا اليه ، فأتى اخوتها القبر فبكوا أختهم وترحموا عليها وأقاموا على قبرها أياما ثم انصرفوا الى أهاليهم •

فلما جن عليهم الليل وأخذوا مضاجعهم جاءهم الشيطان فى النوم على صورة رجل مسافر فبدأ بأكبرهم فسأله عن أختهم فأخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف أراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان ، وقال : لم يصدقكم أمر أختكم انه قد أحبل أختكم وولدت منه غلاما فذبحه وذبحها معه فزعا منكم وألقاهما فى حفيرة احتفرها خلف باب البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله • فانطلقوا فادخلوا البيت الذى كانت فيه عن يمين من دخله فانكم ستجدونهما كما أخبرتكم هناك جميعا •

وأتى الأوسط فى منامه فقال له مثل ذلك •

ثم أتى أصغرهم فقال له مثل ذلك ، فلما استيقظ القوم أصبحوا متعجبين مما رأى كل واحد منهم ، فأقبل بعضهم على بعض يقول لأخيه : لقد رأيت الليلة عجبا فأخبر بعضهم بعضا بما رأى ، فقال كبيرهم : هذا حلم ليس بشىء فامضوا بنا ودعوا هذا عنكم •

فقال أصغرهم : والله لأمضى حتى آتى الى هذا المكان فأنظر فيه ، قال : فانطلقوا جميعا حتى أتوا البيت الذى كانت فيه أختهم ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذى وصف لهم فى منامهم فوجدوا أختهم وابنها مذبوحين فى الحفيرة كما قيل لهم فسألوا عنهما العـــابد فصدق قول ابليس فيما صنع بهما ، فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدم ليصلب فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطان ، فقال له :

أنا صاحبك الذى فتنتك بالمرأة التى أحبلتها وذبحتها وابنها ، فان أنت أطعتنى اليوم وكفرت بالله الذى خلقك وصورك خلصت مما أنت فيه • قال : فكفر العابد • فلما كفر بالله تعالى خلى الشيطان بينه وبين أصحابه فصلبوه • قال : ففيه نزلت هذه الآية : **«كمــثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك ، انى أخاف**

الله رب العالمين • فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها ، وذلك جزاء الظالمين »[1] •

وقيل : اذا أصبح ابليس بث جنوده فى الأرض فيقول : من أضل مسلما ألبسته التاج • فيقول له القائل من جنوده الشياطين : لم أزل بفلان حتى طلق امرأته ، قال : يوشك أن يتزوج •

ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى عق • قال : يوشك أن يبر •

ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى زنى ، قال : أنت •

ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى شرب ، قال : أنت •

ويقول آخر : لم أزل بفلان حتى قتل ، فيقول : أنت أنت •

وقيل : ان الشيطان قال للمرأة : أنت نصف جندى ، وأنت سهمى الذى أرمى به فلا أخطىء ، وأنت موضع سرى ، وأنت رسولى فى حاجتى •

وقيل : لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم جعل ابليس لعنه الله يرسل شياطينه الى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيجيئون اليه بصحفهم ليس فيها شىء فيقول لهم : مالكم لا تصيبوا منهم شيئا ، فقالوا : ما صحبنا قوما مثل هؤلاء • فقال : رويدا بهم فعسى أن تفتح لهم الدنيا ، هناك تصيبون حاجتكم منهم •

* * *

فلاحظ كل هذا وجاهد شيطانك الذى يحرص دائما وأبدا على اغوائك مع ملاحظة قول الله تعالى : **« ان كيد الشيطان كان ضعيفا »**[2] واستعن عليه بالله تعالى كما جاء فى قول بعض السلف أنه قال لتلميذه : ما تصنع بالشيطان اذا سول لك الخطايا ؟ قال : أجاهده • قال : فان عاد ؟ قال : أجاهده • قال : فان عاد ؟ قال : أجاهده • قال : هذا يطول ، أرأيت ان مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع ؟ قال : أكابده وأرده جهدى • قال : هذا يطول عليك ، ولكن استعن بصاحب الغنم يكف عنك •

وقال أحدهم : واعلم أن ابليس مع المتقى والمخلط كرجل جالس وبين يديه طعام ، فمر به كلب فقال له : اخسأ ، فذهب ، فمر بآخر بين يديه طعام ولحم فكلما أعطاه لم يبرح • فالأول مثل المتقى يمر

---

(١) الحشر : ١٦ ، ١٧ (٢) النساء : ٧٦

به للشيطان فيكفيه فى طرده الذكر ، والثانى : مثل المخلط لا يفارقه الشيطان لمكان تخليطه •

« فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم »[١] و : **« قل أعوذ برب الناس • ملك الناس • اله الناس • من شر الوسواس الخناس • الذى يوسوس فى صدور الناس • من الجنة والناس »**[٢] •

وعوذ أولادك من شره فقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين عليهما رضوان الله فيقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة[٣] ، ومن كل عين لامة »[٤] ثم يقول : « وهكذا كان أبى ابراهيم صلى الله عليه وسلم يعوذ اسماعيل واسحاق »[٥] •

كما ورد عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الشيطان يأتى أحدكم فيقول : من خلقك ؟ فيقول : الله تبارك وتعالى • فيقول : فمن خلق الله ؟ فاذا وجد أحدكم ذلك فليقل : آمنت بالله ورسوله ، فان ذلك يذهب عنه » •

* * *

فلا تنس كل هذا ولا تغفل عن ذكر الله تعالى حتى لا يقترب الشيطان منك فقد قال تعالى : **« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين »**[٦] ويعش : أى يغفل •

* * *

وضع نصب عينيك دائما وأبدا خطبة الشيطان الأكبر عليه لعنة الله تعالى التى سيلقيها على منبر من نار بعد أن يقضى الأمر — أى بعد أن يؤمر بأهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار والتى يحدثنا الله سبحانه وتعالى عنها فيقول : **« وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ،**

---

(١) النحل : ٩٨ (٢) سورة الناس •
(٣) هامة : المراد بها الزواحف المؤذية •
(٤) اى حاسدة • (٥) ورد فى الصحيحين •
(٦) الزخرف : ٣٦

ما أنا بمصرخكم[1] وما أنتم بمصرخى ، انى كفرت بما أشركتمون من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب أليم »[2] .

* * *

ثم اليك فى نهاية هذا العرض السريع هذا النموذج الحى الذى أرجو أن تنتفع به :

وخلاصته أن شقيق البلخى ــ وقد كان من أساتذة العلم النافع كما كان من أطباء القلوب ــ قال ذات يوم لتلميذه حاتم الأصم ــ بعد أن تلقى العلم عليه أكثر من ثلاثين عاما ــ : ما الذى تعلمته منى منذ صحبتنى ؟ فقال : ستة أشياء :

الأول : رأيت الناس فى شك من أمر الرزق وما منهم الا وهو شحيح بما عنده حريص عليه فتوكلت على الله لقوله تبارك وتعالى : **« وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ... »**[3] لأنى من جملة الدواب فلم أشغل قلبى بما تكفل به القوى المتين ؟ فقال له : أحسنت .

الثانى : رأيت لكل انسان صديقا يفشى اليه سره ويشكو اليه أمره ولكنهم لا يكتمون الأسرار ولا يدفعون مصادمة الأقدار ، فجعلت صديقى العمل الصالح ليكون لى عونا عند الحساب ، ويثبتنى بين يدى الله عز وجل ويرافقنى فى مرورى على الصراط . فقال له : أحسنت .

الثالث : رأيت لكل واحد من الناس عدوا ، فنظرت فاذا الذى اغتابنى ليس بعدوى ، ولا من ظلمنى ، ولا من أساءنى ، لأنه انما يهادينى بحسناته ويتحمل عنى من سيئاتى ، ولكن عدوى هو الذى اذا كنت فى طاعة الله تعالى أغرانى بمعصيته ، فرأيت أن ذلك هو ابليس ، والنفس ، والدنيا ، والهوى : فاتخذتهم أعداء واحترست منهم وأعددت العدة لمحاربتهم فلا أدع واحـدا منهم يقربنى . فقال : أحسنت .

الرابع : رأيت أن كل حى مطلوب وأن ملك الموت عليه السلام هو الطالب ، ففرغت نفسى لملاقاته ، حتى اذا ما جاء بادرت معه بلا عائق . فقال له : أحسنت .

الخامس : نظرت الى الناس متحابين ومتباغضين ، ورأيت المحب لا يملك لحبيبه شيئا ، فتأملت سبب المحبة والبغضاء فعلمت أنه الجسد

---

(١) اى بمغيثكم .
(٢) ابراهيم : ٢٢
(٣) هود : ٦

فنفيته عنى بنفى العلائق التى بينى وبينه وهى الشهوات فأحببت الناس كلهم فلم أرض لهم الا ما رضيته لنفسى . فقال له : أحسنت .

السادس : رأيت أن كل ساكن لابد له من مفارقة سكنه وأن مصير كل ساكن الى القبر فأعددت كل ما قدرت عليه من الأعمال التى تسرنى فى ذلك المسكن الجديد الذى ما وراءه الا الجنة أو النار ، فقال له شقيق : يكفيك ذلك واعمل عليه الى الموت .

* * *

واذا كنت قد فرطت فى جنب الله وظلمت نفسك بفعل شيء من الموبقات فحسبك أن تقول مع القائل الراجى عفو ربه :

رب انى ظلمت نفسى بنفسى ولك الأمر فى اما واما[1]
رب لا تقنطوا[2] بروح روحى وبآى العقاب أذهب غما
رب ابليس قاد نفسى فلبته الى ما بها اليه ألما
رب أن تعف فهو فضل والا فهو عدل والفضل للعدل ينمى[3]
رب انى أبدى الصلاح وأخفى سوء صنعى لكى يقال نعما
رب أنت العليم بالسر والجهر ولم يخف عنك من ممكن مما
رب ما قدمت يداى جميلا غير ظنى بأن عفوك عما
رب ان رحمة فأنت جواد أو سواها فلست تسئل عما[4]
رب جرمى اذا تجسم جرما[5] لم يشن[6] من بحار عفوك يما[7]
رب انى أهمنى يوم يسعى حيث نورى[8] بالموبقات ادلهما
رب أبدل ظلام قلبى بنور من هداك الذى بـ (طه) استتما
واعف عنى بجاهه ان من تعلق فى جاهه يوقى المهما
وعليه وآله صل ياربـ وسلم ما لاح بدر ونما

* * *

---

(١) اما واما : اى اما الى الجنة واما الى نار .
(٢) يقصد قوم الله تعالى : « لا تقنطوا من رحمة الله » (الزمر : ٥٣) .
(٣) اى ينسب .
(٤) يعنى قول الله تعالى : « لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون » (الانبياء : ٢٣) .
(٥) اى جسما .
(٦) اى يغير .
(٧) اى بحرا .
(٨) يعنى بكلمة (نورى) قول الله تعالى : « نورهم يسعى بين ايديهم » (التحريم : ٨) .

* (وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس) :

وليس هذا معناه أن تكون منزويا فى زاوية الحرمان كالآلة المعطلة أو المكهنة :

وانما المراد من هذه النصيحة المحمدية أن تأخذ بالأسباب كما أمرك الله تعالى فى قوله : « **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور** »[١] وقوله : « **... فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** »[٢] .

ولعلك تلاحظ فى هذا قول الله تبارك وتعالى لمريم عليها السلام وهى فى حاجة الى راحة : « **وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا** »[٣] مع أنه سبحانه وتعالى كان فى مقدوره أن يرسل ملكا لهز النخلة أو يأمر النخلة فتهتز وحدها .

ولكن كما يقول القائل :

ولو شاء أدنى الجذع من غير هزه اليها ولكن كل شىء له سبب

فأنت مطالب كما رأيت تنفيذا لأمر الله تعالى بأخذ الأسباب طلبا للرزق مع تفويض الأمر اليه سبحانه .

ثم بعد ذلك لا بد أن تكون راضيا بما قسم الله تعالى لك حتى لا تكون مهموما ومنغصا فى حياتك مع أنك لو فكرت قليلا فى هذا الموضوع لتبين لك أن هذه الدنيا بكل ما فيها لا تستحق منا أدنى تفكير ، وأن كل مخلوق فى هذا الوجود قد ضمن الله رزقه وهو لا يزال فى عالم الغيب .

وحسبك تأكيدا لك أن تقرأ قول الله تعالى : « **ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين** »[٤] وقوله : « **وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها** »[٥] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم — عن أبى عبد الرحمن ابن مسعود رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه ، وأجله ،

---

(١) الملك : ١٥
(٢) الجمعة : ١٠
(٣) مريم : ٢٥
(٤) الذاريات : ٥٨
(٥) هود : ٦

وعمله ، وشقى أو سعيد ، فوالله الذى لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها »[١] •

ولهذا عندما سئل سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام : لم اختارك الله خليلا ؟ قال : لثلاث :

الأول : ما خيرت بين أمرين الا اخترت الذى لله على غيره •

الثانى : ما اهتممت بشىء ضمنه الله لى فى أمر رزقى •

الثالث : ما تغديت ولا تعشيت الا مع الضيف •

وعندما رأى ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه رجلا مهموما قال له : أيها الرجل •• انى سائلك عن ثلاث فأجبنى ، قال الرجل : نعم • فقال له ابراهيم : أيجرى فى هذا الكون شىء لا يريده الله ؟ قال : كلا •

قال : أفينقص من رزقك شىء قدره الله ؟ قال : كلا •

قال : أفينقص من أجلك لحظة كتبها الله فى الحياة ؟ قال : كلا •

فقال له ابراهيم : فعلام الهم اذن ؟

مع ملاحظة أن هذا الكلام ليس معناه كما قرأت فى أوله أن تكون متواكلا ، وانما المراد كما عرفت أن تكون آخذا بالأسباب كما أمرك الله تعالى مع اعتقادك أن ما كان لك سوف يأتيك بشرط أن لا تكسل عن طلبه والا كنت مخالفا لأوامر الله ، وبالتالى كنت صغيرا عند عقلاء الناس الذين لا يحترمون غير الانسان الايجابى الذى يثبت وجوده بين الأحياء لا بالضجيج ولكن بالعمل الجاد فى جميع ميادين العمل الشريف •

وحسبك حتى تعتز بايجابيتك أن تعلم أنه ما من نبى من الأنبياء ولا عالم من المتقدمين الا وكانت له صنعة يعملها بيده قصدا للتشريع ان كانت من نبى ، وطلبا للرزق ان كانت من غيره •

وفى هذا يقول ابن عباس رضى الله عنهما عندما سئل عن صنائع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

---

(١) رواه البخارى ومسلم •

كان آدم حراثا ، وادريس خياطا ، مع كونه ملكا عظيما وحكيما فريدا — وهو أول من خاط الثياب ولبس المخيط(١) وكان لا يغفل عن ذكر الله تعالى أثناء خياطته — وكان نوح نجارا — وهو أول من صنع الفلك — وكان هود تاجرا ، وكذلك صالح ، وكان ابراهيم زراعا ، وكان اسماعيل قناصا(٢) ، وكان اسحاق راعيا ، وكذلك يعقوب ، وشعيب ، وموسى ، وكان يوسف مشتغلا بصناعة الساعات — ويقال انه صنع ساعة من الخشب حينما كان فى السجن — وكان هارون وزيرا ، وكان الياس نساجا ، وكان داوود زرادا — أى يعمل زردا ودروع الحديد — وكان عيسى سياحا ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم تاجرا ومجاهدا فى سبيل الله ، ولهذا كان يقول : « جعل رزقى تحت ظل رمحى » كما كان يحب البكور — أى السعى أول النهار — فى طلب الرزق من حوائج الدنيا ، ويقول :

« اللهم بارك لأمتى فى بكورها »(٣) ويقول مرغبا فى السعى على الرزق : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داوود كان يأكل من عمل يده »(٤) ويقول : « لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه »(٥) .

* * *

فاذكر كل هذا بالاضافة الى ما قاله سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وان الله يرزق الناس بعضهم من بعض » .

وقوله : « يا معشر الفقراء .. ارفعوا رؤوسكم ، اتجروا فقد وضح الطريق ولا تكونوا عيالا على الناس » .

وأخرج الحاكم وابن أبى الدنيا عن معاوية بن قرة قال : لقى عمر بن الخطاب ناسا من أهل اليمن فقال : من أنتم ؟ فقالوا : متوكلون .

---

(١) كانوا قبل ذلك يلبسون جلود الحيوانات .

(٢) اى صيادا .

(٣) من حديث رواه ابو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان .

(٤ ، ٥) رواه البخارى .

قال : كذبتم ، ما أنتم متوكلون‌انما المتوكل الذى ألقى حبه فى الأرض وتوكل على الله .

وروى العوام بن حوشب عن أبى صالح مولى عمر رضى الله عنهم ، أنه قال : « كان عمر يأمرنا أن نشترك ثلاثة ، فيحلب واحد ، ويبيع الآخر ، ويغزو الثالث فى سبيل الله تعالى » .

* * *

وحتى ترضى وتشكر ربك على ما أعطاك ، اليك هذه الأحاديث الشريفة والآثار النافعة : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاثة أيام تباعا حتى قبض » وفى رواية قال أبو حازم : رأيت أبا هريرة يشـير باصبعه مرارا ويقول : « والذى نفس أبى هريرة بيده ما شبع نبى الله محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من حنطة حتى فارق الدنيا »[1] .

وعن ثوبان رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله .. ما يكفينى من الدنيا ؟ قال : « ما سد جوعتك ، ودارى عورتك ، وان كان لك بيت يظلك فذاك ، وان كان لك دابة فبخ[2] بخ »[3] .

وعن أبى عبد الرحمن الحبلى قال : سمعت عبد الله بن عمرو ابن العاص ، وسأله رجل فقال : ألست من فقراء المهاجرين ؟ فقال له عبد الله : ألك امرأة تأوى اليها ؟ قال : نعم . قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال : نعم . قال : فأنت من الأغنياء . قال : فان لى خادما . قال : فأنت من الملوك[4] .

وعن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طوبى[5] لمن هدى للاسلام ، وكان عيشه كفافا وقنع »[6] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا ، وقنعه الله بما آتاه »[7] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) كلمة تقال عند المدح والرضا .
(٣) رواه الطبرانى . (٤) رواه مسلم .
(٥) اى العاقبة الطيبة ، وقيل هى شجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة علم .
(٦) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . (٧) رواه مسلم والترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه سلم يقول : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » وفى رواية : « كفافا »[1] .

الكفاف : ما يكفى الانسان ويكفيه عن ذل السؤال على حد ما قيل :

أيها المرء ان دنياك بحر موجه طافح فلا تأمننها
وسبيل النجاة فيها منير وهو أخذ الكفاف والقوت منها

وللامام النووى :

وجدت القناعة أصل الغنى فصرت بأذيالها متمسك
فلا ذا يرانى على بابه ولا ذا يرانى به منهمك
وعشت غنيا بلا درهم أمر على النـاس شبه الملك

ولأبى العتاهية :

رغيف خـبز يابس تأكـله فى زاويـه
أو كوز مـاء بارد تشربه من سـاقيه
وغـرفة ضـيقة نفسـك فيها خاليه
أو مسجـد بمعزل عن الورى فى ناحيه
تدرس فيه دفـترا مسـتندا لسـاريه
معتـبرا بمـا مضى من القـرون الخاليه
خـير من الساعات فى فىء القصـور العاليه
فهـذه وصـيتى مخـبرة بحاليـه
طوبى لمن يسمعها تلك لعمـرى كافيه
فاسمع لنصح مشفق يدعى أبا العتـاهيه

وللامام الشافعي رضى الله عنه :

أمت مطـامعى فأرحت نفسى فان النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا ففى احيائه عرضى مصون
اذا طمع يحل بقلب عبـد علته مهـانة وعلاه هون

ويرحم الله القائل :

لا تخضعن لمخلوق على طمع فان ذلك وهن منك فى الدين
واسترزق الله مما فى خزائنه فان ذلك بين الكاف والنـون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه .

وقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى غاية من الزهد والتقلل من الدنيا حتى أن قميصه كان فيه أربع رقاع بين كتفيه ، وأبطأ يوما عن الخروج لصلاة الجمعة وهو خليفة ثم خرج فاعتذر للناس وقال : انما حبسنى عنكم ثوبى هذا ، كان يغسل وليس عندى غيره .

وكان يبرد فى الشتاء حتى ترعد مفاصله فيقال له : ألا تأخذ لك من بيت مال المسلمين كساء ، فيقول : لا أنقص المسلمين من بيت مالهم شيئا لى . وكان لا يجمع فى سماطه بين ادامين حتى أن ابنته حفصة قدمت له مرقا باردا وصبت عليه زيتا ، فقال : ادامان فى اناء واحد لا آكله حتى ألقى الله عز وجل .

وكان يقول : وددت أن أخرج من الدنيا كما دخلت ، لا أجر لى ولا وزر على . ولما مات رآه العباس رضى الله عنه فى المنام فقال له : وكيف وجدت الأمر يا أمير المؤمنين ؟ فقال : كاد عرشى يهوى بى لولا أنى وجدت ربا رحيما .

وكان الامام على رضى الله عنه يرقع قميصه ويقول : ان لبس المرقع يخشع القلب . ومما ينسب اليه كرم الله وجهه :

حقيق بالتواضع من يموت ... ويكفى المرء من دنياه قوت
فما للمرء يصبح ذا هموم ... وحرص ليس تدركه النعوت
فيا هذا سترحل عن قريب ... الى قوم كلامهم السكوت

ولما تولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الخلافة وضع ماله ومال زوجته فاطمة بنت عبد الملك فى بيت مال المسلمين وصار كآحاد الناس حتى انه لا يملك الا قميصا واحدا ، وهى كذلك ، فاذا أراد غسله مكث فى البيت حتى يجف على حد ما قيل :

قوم اذا غسلوا الثياب رأيتهم ... لبسوا البيوت وزرروا الأبوابا

ومع ما كان عليه من الورع والزهد والعدل الذى ضرب به المثل ، كان له (سرداب) ينزل فيه كل ليلة ويظل يبكى ويتضرع الى الله تعالى حتى الصباح ، وقيل له فى مرض الموت : تركت أولادك ليس لهم درهم ولا دينار . فقال : لم أمنعهم حقا لهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وانما ولدى أحد رجلين : اما مطيع لله ، فالله تعالى كافيه ، وهو يتولى الصالحين ، واما عاص لله فما أبالى بما وقع له .

ولما اجتمع هارون الرشيد بالبهلول قال له : عظنى . فقال :

بم أعظك ؟ هذه قصورهم ، وهذه قبورهم ، ثم قال : كيف بك يا أمير المؤمنين اذا أقامك الحق تعالى بين يديه وسألك عن النقير[١] والفتيل[٢] والقطمير[٣] وأنت عطشان جوعان عريان وأهل الموقف ينظرون اليك ويضحكون ؟ فخنقته العبرة[٤] وأمر له بصلة ، فقال : ردها على من أخذتها منهم قبل أن لا تجد لهم شيئا ترضيهم به .. ثم أنشد :

دع الحرص على الدنيا وفى العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال فما تدرى لمن تجمع
فان الرزق مقسوم وسوء الظن لا ينفع
فقير كل ذى حرص غنى كل من يقنع

* * *

فلا تنس كل هذا .. و :

كن عن همومك معرضا وكل الأمور الى القضا
وابشر بخير عاجل تنسى به ما قد مضى
فلرب أمر مسخط لك فى عواقبه رضا
ولربما اتسع المضيق وربما ضاق الفضا
الله يفعل ما يشاء فلا تكن متعرضا
الله عودك الجميل فقس على ما قد مضى

* * *

وتأمل كذلك قول القائل :

عزيز النفس من لزم القناعه ولم يكشف لمخلوق قناعه
أفادتنا القناعة كل عز وهل عز أعز من القناعه
فصيرها لنفسك رأس مال وصير بعدها التقوى بضاعه
لتغنى فى حياتك عن لئيم وتسعد فى الجنان بصبر ساعه

* * *

* (وأحسن الى جارك تكن مؤمنا) :

وحسبى ترغيبا لك بالاضافة الى هذه الوصية وما قرأته سابقا[٥] فى هذا الموضوع أن أقرأ معك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

---

(١) النقير : هو النقرة التى فى ظهر النواة .

(٢) الفتيل : ما فى شق النواة .

(٣) القطمير : الغشاء الرقيق الذى حول النواة والمراد ان يسأله الله تعالى عن كل شىء .

(٤) اى الدموع .

(٥) راجع هذا الموضوع فى الجزء الأول والثانى .

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله ، فليس ذلك بمؤمن ، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه ، أو تدرى ما حق الجار ؟ اذا استعانك أعنته ، واذا استقرضك أقرضته ، واذا أصابته مصيبة عزيته ، واذا مات اتبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذه بقتار[١] ريح قدرك الا أن تغرف له ، وان اشتريت فاكهة فاهد له ، فان لم تفعل فأدخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده »[٢] .

ففى هذا الحديث الشريف كما رأيت يوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بالاحسان الى الجار على هذا النحو الذى قرأته ، وذلك لأن جارك أقرب اليك من أهلك وعشيرتك وهو عونك وساعدك الأيمن فى أفراحك وأحزانك .

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يحذر دائما وأبدا من ايذاء الجار فيقول : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن » قيل : يا رسول الله .. لقد خاب وخسر ، ومن هذا ؟ قال : « من لا يأمن جاره بوائقه » قالوا : وما بوائقه ؟ قال : « شره »[٣] .

ويقول : « ما آمن بى من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم »[٤] .

ويقول : « ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع »[٥] .

ويقول : « كم من جار متعلق بجاره يقول : يا رب .. سل هذا لم أغلق عنى بابه ، ومنعنى فضله »[٦] ؟

وعندما جاءه رجل يقول له : يا رسول الله .. اكسنى[٧] أعرض

---

(١) الدخان من المطبوخ .

(٢) رواه الخرائطى من مكارم الأخلاق .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه الطبرانى والبزار واسناده حسن .

(٥) رواه الطبرانى وابو يعلى ورواته ثقات ورواه الحاكم من حديث عائشة

(٦) رواه الأصبهانى .

(٧) أى أعطنى ثوبا استر به عورتى .

عنه ، فقال : يا رسول الله .. اكسنى ، فقال : « أما لك جار له فضل[١] ثوبين » ؟ قال : بلى ، غير واحد[٢] ، قال : « فلا يجمع الله بينك وبينه فى الجنة[٣] »[٤] .

وذات يوم جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جاره ، قال : « اطرح متاعك على طريق » فطرحه ، فجعل الناس يمرون عليه ويلعنونه[٥] ، فجاء[٦] الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. لقيت من الناس ، قال : « وما لقيت منهم » ؟ قال : يلعنوننى ، قال : « لقد لعنك الله قبل الناس » فقال : انى لا أعود ، فجاء الذى شكاه الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ارفع متاعك فقد كفيت »[٧] .

رواه الطبرانى والبزار باسناد حسن بنحوه الا أنه قال : « ضع متاعك على الطريق — أو على ظهر الطريق — » فوضعه ، فكان كل من مر به قال : ما شأنك ؟ قال : جارى يؤذينى . قال : فيدعو عليه ، فجاء جاره ، فقال : رد متاعك ، فانى لا أوذيك أبدا .

وقال رجل : يا رسول الله .. ان فلانة تكثر من صلاتها وصدقاتها وصيامها[٨] غير أنهـا تؤذى جيرانها بلسانها[٩] قال : « هى فى النار » قال : يا رسول الله .. فان فلانة تذكر من قلة صيامها وصلاتها ، وأنها تتصدق بالأتوار من الأقط[١٠] ولا تؤذى جيرانها ، قال : « هى فى الجنة » رواه أحمد والبزار وابن حبان فى صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح الاسناد ، ورواه أبو بكر بن أبى شيبة باسناد صحيح أيضا ، ولفظ بعضهم :

---

(١) يعنى له أكثر من ثوبين .

(٢) اى ليس له جار واحد بل كثير .

(٣) يعنى لن يدخل معك لاخلاله بحق الجوار .

(٤) رواه الطبرانى فى « الأوسط » .

(٥) اى يدعون باللعنة على الذى آذاه وحمله على ترك داره .

(٦) اى الجار .

(٧) اى كفاك الله شر جارك .

(٨) اى تكثر من نوافل الصلاة والصيام والصدقة بعد اداء الفرائض .

(٩) اى تسبهم وتشتمهم .

(١٠) التور : اناء يشرب فيه والجمع : أتوار ، والاقط : اللبن المحمض يجمد حتى يستحجر ويطبخ ، أو يطبخ به .

قال : يا رسول الله .. فلانة تصوم النهار ، وتقوم الليل ، وتؤذى جيرانها . قال : « هى فى النار » قالوا : يا رسول الله .. فلانة تصلى المكتوبات[١] وتتصدق بالأتوار من الأقط ولا تؤذى جيرانها ، قال : « هى فى الجنة » .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته الجدعاء[٢] فى حجة الوداع[٣] يقول : « أوصيكم بالجار حتى أكثر[٤] ، فقلت : انه يورثه »[٥] .

فاذكر كل هذا حتى تحسن الى جارك فتكون مؤمنا ، وحسبك أن تصل الى هذه الدرجة العظيمة التى ان وصلت اليها كنت من المؤمنين حقا ، وهم : أولياء الله الذين : « ... لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »[٦] .

ويقول الامام الغزالى فى « احياء علوم الدين » :

واعلم : أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط ، بل احتمال الأذى ، فان الجار أيضا قد كف أذاه ، فليس فى ذلك قضاء حق ولا يكفى احتمال الأذى ، بل لابد من الرفق واسداء الخير والمعروف ، اذ يقال : ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغنى يوم القيامة ، فيقول : يا رب .. سل هذا ، لم منعنى معروفه وسد بابه دونى ؟

وبلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره فى دين ركبه ، وكان يجلس فى ظل داره ، فقال : ما قمت اذن بحرمة ظل داره ان باعها معدما ، فدفع اليه ثمن الدار ، وقال : لا تبعها .

ويروى أن رجلا جاء الى ابن مسعود رضى الله عنه فقال له : ان لى جارا يؤذينى ويشتمنى ويضيق على ، فقال : اذهب ، فان هو عصى الله فيك فأطع الله فيه .

---

(١) يعنى اقتصر على صلاة المكتوبات .

(٢) وفى بعض الأحاديث انه كان على ناقته القصواء وروى على جمل احمر .

(٣) وهى الحجة الوحيدة التى حجها فى الاسلام ولم يحج قبلها ولا بعدها .

(٤) اى بالغ فى الوصية واكد فيها .

(٥) رواه الطبرانى باسناد جيد .　(٦) يونس : ٦٢ .

وقال عبد الله : قال رجل : يا رسول الله .. كيف لى أن أعلم اذا أحسنت أو أسأت ؟ قال : « اذا سمعت جيرانك يقولون : قد أحسنت ، فقد أحسنت ، واذا سمعتهم يقولون : قد أسأت فقد أسأت »(١) .

وقال جابر رضى الله عنه : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من كان له جار له فى حائط أو شريك له فلا يبيعه حتى يعرضه عليه »(٢) .

وجملة حق الجار : أن يبدأه بالسلام ، ولا يطيل معه الكلام ، ولا يكثر عن حاله السؤال ، ويعوده فى المرض ويعزيه فى المصيبة ، ويقوم عنه فى العزاء ويهنئه فى الفرح ، ويظهر الشركة فى السرور معه ، ويصفح عن زلاته ، ولا يتطلع الى عوراته ، ولا يضايقه فى وضع الجذع على جداره ، ولا فى صب المـاء فى ميزابه ، ولا فى طرح التراب فى فنائه ، ولا يضيق طريقه الى الدار ، ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ، ويستر ما ينكشف له من عوراته ، وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة ، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ، ولا يسمع عليه كلاما ، ويغض بصره عن حرمته ، ولا يديم النظر الى خادمته ، ويتلطف بولده فى كلمته ، ويرشده الى ما يجهله من أمر دينه ودنياه .

ففى الحديث الشريف : « من أراد الله به خيرا عسله » قيل : وما عسله ؟ قال : « يحببه الى جيرانه »(٣) .

* * *

* (وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما) :

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصاك ولا زال يوصيك بهذه الوصية فى شخص أبى هريرة رضى الله عنه فالسبب فى هذا هو

---

(١) رواه أحمد والطبرانى ، وعبد الله هو ابن مسعود ، واسناده جيد .

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم دون ذكر الجار ، وقال : صحيح الاسناد وهو عند الخرائطى فى « مكارم الأخلاق » بهذا اللفظ ، ولابن ماجه فى حديث ابن عباس : « من كان له أرض فأراد بيعها فليعرضها على جاره » ورجاله رجال الصحيح .

(٣) رواه أحمد من حديث أبى عنبة الخولانى ، ورواه الخرائطى فى « مكارم الأخلاق » . ورواه البيهقى فى « الزهد » من حديث عمرو بن الحمق . زاد الخرائطى : قيل : وما عسله ؟ قال : « حببه الى جيرانه » . وقال البيهقى : يفتح له عملا صالحا قبل موته حتى يرضى عنه من حوله : واسناده جيـد .

أنه صلى الله عليه وسلم يجب أن تكون مسلما ، ويحب أن تكون مؤمنا ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »[١] .

وكيف لا وهو سيد المؤمنين ، وامام المسلمين ، وقدوة المحبين الصادقين .

ولما كان هذا الذى يوصيك به المصطفى صلى الله عليه وسلم من حقوق المسلم عليك فقد رأيت وقبل أن أدور معك حول هذا العنصر الهام الذى لا تدوم المودة والتراحم والتعاطف بين المؤمنين الا به — رأيت — أن أقف معك على أهم هذه الحقوق التى منها كما ورد فى الأخبار والآثار :

أن تسلم عليه اذا لقيته ، وتجيبه اذا دعاك ، وتشمته اذا عطس ، وتعوده اذا مرض ، وتشهد جنازته اذا مات ، وتبر قسمه اذا أقسم عليك ، وتنصح له اذا استنصحك ، وتحفظه بظهر الغيب اذا غاب عنك ، وتحب له ما تحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك . وهذا هو ما أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالحمى والسهر »[٢] ، وقوله : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »[٣] .

* * *

ومنها أن تتواضع لكل مسلم ، ولا تتكبر عليه .

وحسبك قول الله تعالى : « **ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا** »[٤] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد »[٥] وعن أبى أوفى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتواضع لكل مسلم ، ولا يتكبر أن يمشى مع الأرملة والمساكين فيقضى حاجتهم .

* * *

ومنها أن لا تسمع الى وشاية أحد عن أحد من الناس ولا تنقلها اليه حتى لا تكون فتانا ، ففى الحديث الشريف : « لا يدخل الجنة

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) متفق عليه .
(٣) متفق عليه . (٤) النساء : ٣٦
(٥) رواه ابو داوود وابن ماجه واللفظ له من حديث عياض بن حمار ورجاله رجال الصحيح .

قتات »[١] • ويقول الخليل بن أحمد رضى الله عنه : من نم لك نم عليك ، ومن أخبرك بخبر غيرك أخبر غيرك بخبرك •

ومنها أن لا يزيد هجرك لمن تعرفه على ثلاثة أيام مهما كان غضبك عليه ، ففى الحديث الشريف : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام »[٢] •

تقول عائشة رضى الله عنها : « ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط ، الا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم لله »[٣] • وفى الخبر : قال الله تعالى ليوسف عليه السلام : « بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك فى الدارين » كما يقول ابن عباس رضى الله عنهما : ما عفا رجل عن مظلمة الا زاده الله عزا •

* * *

ومنها أن تحسن الى كل مسلم ما دام هذا فى استطاعتك دون تمييز بين أهلك وغيرهم ، ففى الحديث الشريف : « رأس العقل بعد الدين التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر »[٤] •

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة »[٥] •

* * *

ومنها أن لا تدخل على أحد من المسلمين الا باذنه ، ومن السنة أن تستأذنه ثلاثا ، فان لم يؤذن لك انصرف • ففى الحديث : عن أبى سعيد الخدرى قال : أتانا أبو موسى قال : ان عمر أرسل الى أن آتيه ، فأتيت بابه فسلمت ثلاثا فلم يرد على ، فرجعت • قال : ما منعك أن تأتينا ؟ فقلت : انى أتيت فسلمت على بابك ثلاثا فلم تردوا على فرجعت ، وقد قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » فقال عمر : أقم عليه البينة • قال أبو سعيد : فقمت معه فذهبت الى عمر فشهدت[٦] •

---

(١) متفق عليه من حديث حذيفة . والقتات هو النمام .

(٢) متفق عليه . (٣) متفق عليه .

(٤) رواه الطبرانى فى « الأوسط » والخطابى فى « تاريخ الطالبين » .

(٥) متفق عليه . (٦) متفق عليه .

مع ملاحظة هذا أيضـــا مع أهلك فربما كانت الزوجة فى وضع يؤلمك رؤيته • ولهذا كان من السنة أن تطرق الباب قبل أن تدخل عليها حتى تتهيأ لاستقبالك بالصورة التى ترضيك •

وحتى مع أمك • فعن عطاء بن يسار أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أستأذن على أمى ؟ فقال : « نعم » ، فقال الرجل : انى معها فى البيت • قال : « فاستأذن عليها » •

مع ملاحظة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكره أن يقول المستأذن : أنا • فعن جابر رضى الله عنه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فى دين كان على أبى فدققت الباب فقال : « من ذا » ؟ فقلت : أنا • فقال : « أنا ، أنا » كأنه كرهها[1] •

* * *

ومنها : أن تخالق الناس بخلق حسن ، وتعاملهم بحسب طريقتهم ، فانك ان أردت لقاء الجاهل بالعلم ، والأمى بالفقه ، والعيى بالبيان ، آذيت وتأذيت • وهذا هو معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » مع ملاحظة أن المتكلم البليغ كما يقول علماء البلاغة هو الذى يراعى مقتضى الحال ، وهو كالطبيب يصف لكل مريض دواءه •

* * *

ومنها : أن توقر الكبير ، وترحم الصغير •

ففى الحديث الشريف : « ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغرنا »[2] •

وفى حديث آخر : « من اجلال الله اكرام ذى الشيبة المسلم »[3] •

* * *

ومنها أن تكون مع كافة الخلق مستبشرا ، طلق الوجه ، رفيقا : ففى الحديث الشريف : « ان الله يحب السهل الطلق الوجه »[4] •

---

(١) متفق عليه •

(٢) رواه أبو داوود والبخارى فى « الأدب » من حديث عبد الله بن عمر وبسند حسن •

(٣) رواه أبو داوود من حديث أبى موسى الأشعرى باسناد حسن •

(٤) رواه البيهقى فى « شعب الايمان » •

وأيضا : « ان من موجبات المغفرة : بذل السلام وحسن الكلام »[١] .

كما روى أن رجلا من بنى اسرائيل صام سبعين سنة ، يفطر فى كل سبعة أيام ، فسأل الله تعالى أن يريه كيف يغوى الشيطان الناس ، فلما طال عليه ذلك ولم ير هذا ، قال : لو اطلعت على خطيئتى وذنبى بينى وبين ربى لكان خيرا لى من هذا الأمر الذى طلبته . فأرسل الله اليه ملكا فقال له : ان الله أرسلنى اليك وهو يقول لك : ان كلامك هذا الذى تكلمت به أحب الى مما مضى من عبادتك ، وقد فتح الله بصرك فانظر . فنظر ، فاذا جنود ابليس قد أحاطت بالأرض ، واذا ليس أحد من الناس الا والشياطين حوله كالذئاب ، فقال : أى رب .. من ينجو من هذا ؟ قال : الورع اللين .

* * *

ومنها : أن لا تعد مسلما بوعد الا وفيت به :

ففى الحديث الشريف : « ثلاث فى المنافق : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا أؤتمن خان »[٢] .

وعن يزيد بن أرقم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن يفى له ، فلم يف ، ولم يجىء للميعاد ، فلا اثم عليه »[٣] .

وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تمار أخاك ، ولا تمازحه ، ولا تعده وعدا فتخلفه »[٤] .

* * *

ومنها : أن تنصف الناس من نفسك ، وتعاملهم بما تحب أن يعاملوك به :

فى الحديث الشريف : « لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال : الانفاق من الاقتار ، والانصاف من نفسه ، وبذل

---

(١) رواه ابن شيبة فى مصنفه والطبرانى والخرائطى فى « مكارم الاخلاق » ، والبيهقى فى « شعب الايمان » من حديث هانىء بن زيد باسناد جيد

(٢) متفق عليه من حديث ابى ابى هريرة نحوه .

(٣) رواه ابو داوود والترمذى .

(٤) رواه الترمذى وقال : حديث غريب .

السلام »[١] . وأيضا : « من سره أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وليؤت الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه »[٢] .

وقيل : « أوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام بأربع خصال وقال : فيهن جماع الأمر لك ولولدك ، واحدة لى ، وواحدة لك ، وواحدة بينى وبينك ، وواحدة بينك وبين الخلق . فأما التى لى : تعبدنى ولا تشرك بى شيئا .

وأما التى لك : فعملك أجزيك به أفقر ما تكون اليه .

وأما التى بينى وبينك : فعليك الدعاء وعلى الاجابة .

وأما التى بينك وبين الناس : فتصحبهم بالذى تحب أن يصحبوك به » .

« وسأل موسى عليه السلام ربه فقال : أى رب .. أى عبادك أعدل ؟ قال : من أنصف من نفسه » .



ومنها : أن تزيد فى توقير من تدل هيئته وثيابه على علو منزلته ، فتنزل الناس منازلهم ، فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته ، فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس وامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلى ، فلم يجد مكانا ، فقعد على الباب ، فلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه ، فألقاه اليه ، وقال له : « اجلس على هذا » فأخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكى ، ثم لفه ورمى به الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : ما كنت لأجلس على ثوبك ، أكرمك الله كما أكرمتنى . فنظر النبى صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ثم قال : « اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه »[٣] .

وروى أن عائشة رضى الله عنها كانت فى سفر ، فنزلت منزلا ، فوضعت طعامها ، فجاء سائل فقالت عائشة : ناولوا هذا المسكين قرصا ، ثم مر رجل على دابة ، فقالت : ادعوه الى الطعام . فقيل لها : تعطين المسكين وتدعين هذا الغنى ؟! فقالت : ان الله تعالى أنزل الناس

---

(١) رواه الخرائطى فى « مكارم الأخلاق » من حديث عمار بن ياسر ووافقه البخارى عليه .

(٢) رواه مسلم بنحوه والخرائطى بلفظه .

(٣) رواه الحاكم من حديث جابر وقال : صحيح الاسناد .

منازل لابد لنا أن ننزلهم تلك المنازل ، هذا المسكين يرضى بقرص ، وقبيح بنا أن نعطى هذا الغنى على هذه الهيئة قرصا .

* * *

ومنها : أن تصلح ذات البين بين المسلمين ما وجدت الى ذلك سبيلا ، ففى الحديث الشريف : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة » ؟ قالوا : بلى ، قال : « اصلاح ذات البين ، وفساد ذات البين ، هى الحالقة »(١) وأيضا : « ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا »(٢) .

* * *

ومنها : أن تستر عورات المسلمين ففى الحديث الشريف : « من ستر على مسلم ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة »(٣) وأيضا : « لا يستر عبد عبدا الا ستره الله يوم القيامة »(٤) .

ومنها : أن تتقى مواضع التهم ، صيانة لقلوب الناس عن اساءة الظن فيك ، فيغتابونك بما تكره .

وحسبك فى هذا ما روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم احدى نسائه ، فمر رجل فدعاه صلى الله عليه وسلم وقال : « يا فلان .. هذه زوجتى صفية » فقال : يا رسول الله .. من كنت أظن فيه فانى لم أكن أظن فيك فقال : « ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم »(٥) . وزاد فى رواية : « انى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا » وكانا رجلين ، فقال : « على رسلكما . انها صفية »(٦) الحديث ، وكانت قد زارته فى العشر الأواخر من رمضان .

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر برجل يكلم امرأة

---

(١) رواه أبو داوود والترمذى وصححه من حديث أبى الدرداء .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه مسلم من حديث أبى هريرة .
(٤) رواه مسلم من حديث أبى هريرة ايضا .
(٥) رواه مسلم .
(٦) متفق عليه من حديث أبى هريرة .

على ظهر الطريق ، فعلاه بالدرة[1] ، فقال : يا أمير المؤمنين .. انها امرأتى ! فقال : هلا حيث لا يراك أحد من الناس .

* * *

ومنها أن تشفع لكل من له حاجة من المسلمين ، الى من له عنده منزلة ، وتسعى فى قضاء حاجته بما تقدر عليه .

ففى الحديث الشريف : « انى أوتى وأسئل وتطلب الى الحاجة وأنتم عندى فاشفعوا لتؤجروا ويقضى الله على يدى نبيه ما أحب »[2] .

وروى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن زوج بريرة كان عبدا يقال له « مغيث » كأنى أنظر اليه خلفها وهو يبكى ودموعه تسيل على لحيته . فقال صلى الله عليه وسلم للعباس : « ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة ، وشدة بغضها له » . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لو راجعتيه فانه أبو ولدك » فقالت : يا رسول الله .. أتأمرنى فأفعل ؟ فقال : « لا ، انما أنا شافع »[3] .

* * *

ومنها : أن تبدأ كل مسلم بالسلام قبل الكلام ، وتصافحه عند السلام ، ففى الحديث الشريف : « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أدلكم على عمل اذا عملتموه تحاببتم » ؟ قالوا : بلى يا رسـول الله . قال : « أفشوا السـلام بينكم »[4] .

يقول قتادة : كانت تحية من كان قبلكم السجود فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام ، وهو تحية أهل الجنة .

والمصافحة أيضا سنة السلام : يقول سيدنا عمر رضى الله عنه : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا التقى المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه نزلت بينهما مائة رحمة ، للبادىء تسعون ، وللمصـافح عشرة »[5] . وفى الحديث أيضا : « تمـام تحياتكم

---

(١) اى بالسوط .
(٢) متفق عليه من حديث ابى موسى نحوه .
(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه مسلم من حديث ابى هريرة .
(٥) رواه البزار فى مسنده والخرائطى فى « مكارم الاخلاق » واللفظ له .

المصافحة »[١] ويقول الحسن عليه رضوان الله : المصافحة تزيد في الود .

والانحناء عند السلام منهى عنه : يقول أنس رضى الله عنه : قلنا : يا رسول الله .. أينحنى بعضنا لبعض ؟ قال : « لا » قال : فيقبل بعضنا بعضا ؟ قال : « لا » قال : فيصافح بعضنا بعضا ؟ قال : « نعم »[٢] .

والالتزام والتقبيل قد ورد به الخبر عند القدوم من السفر :

يقول أبو ذر رضى الله عنه : ما لقيته صلى الله عليه وسلم الا صافحنى ، وطلبنى يوما فلم أكن فى البيت ، فلما أخبرت جئت وهو على سريره فالترمنى فكانت أجود وأجود[٣] .

والأخذ بالركاب فى توقير العلماء ورد به الأثر : فقد فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت ، وأخذ عمر بغرز زيد حتى رفعه ، وقال : هكذا فافعلوا بزيد وأصحاب زيد . والقيام مكروه على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام .

ويقول أنس رضى الله عنه : « ما كان شخص أحب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك »[٤] .

وفى الحديث الشريف : « من سره أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار »[٥] .

وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقيمن الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا »[٦] .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قام من مجلسه ثم رجع اليه فهو أحق به »[٧] .

* * *

(١) رواه الخرائطى فى « مكارم الأخلاق » وهو عند الترمذى من حديث أمامة وضعفه .

(٢) رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه وضعفه أحمد والبيهقى .

(٣) رواه أبو داوود .

(٤) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

(٥) متفق عليه . (٦) رواه مسلم .

(٧) رواه الترمذى وحسنه .

ومنها : أن تصون عرض أخيك المسلم ، ونفسه وماله عن ظلم غيره وترد عنه وتناضل دونه ، وتنصره ، فان ذلك يجب عليك بمقتضى أخوة الاسلام .

روى أبو الدرداء رضى الله عنه أن رجلا نال من رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرد عنه رجل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار »[١] .

وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان »[٢] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » فقال رجل : يا رسول الله .. أنصره مظلوما ، فكيف أنصره ظالما ؟ قال : « تمنعنه من الظلم ، فذلك نصرك اياه »[٣] .

* * *

ومنها أن تشمت العاطس ، أى اذا قال العاطس « الحمد لله » تشمته بقولك : « يرحمك الله » ثم من السنة أن يرد العاطس قائلا : « يهديكم الله ، ويصلح بالكم ــ أو يغفر الله لى ولكم » .

فقد ورد فى الحديث الشريف أن العاطس يقول : الحمد لله على كل حال . ويقول الذى يشمته : « يرحمكم الله » ويرد العاطس فيقول : « يهديكم الله ويصلح بالكم »[٤] وعن ابن مسعود رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول : « اذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله رب العالمين ، فاذا قال ذلك فليقل من عنده : يرحمك الله فاذا قالوا ذلك فليقل : يغفر الله لى ولكم »[٥] .

وفى حديث آخر : « يشمت العاطس المسلم اذا عطس ثلاثا فان

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه مسلم .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه البخارى وابو داوود من حديث ابى هريرة ولم يقل البخارى : على كل حال .

(٥) رواه النسائى ، ورواه ايضا ابو داوود والترمذى من حديث سالم بن عبدالله واختلف فى اسناده .

زاد فهو زكام »(١) أى اذا زاد العطس على ثلاث مرات فهو مزكوم فينبغى أن تقول له : شفاك الله .

وفى الحديث الشريف : « العطاس من الله والتثاؤب من الشيطان » .

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا تثاءب أحدكم فليمسك يده على فمه ، فان الشيطان يدخل مع التثاؤب »(٢) .

ومن السنة اذا تثاءبت أن تضع يدك اليمنى ظهرا وباطنا على فمك وبالنسبة ليدك اليسرى فضع ظهرها دون باطنها(٣) .

وكذلك اذا عطست أثناء قضاء الحاجة(٤) فاحمد الله فى نفسك دون تحريك لسانك ، واذا عطست فى صلاتك فتذكر هذا الحديث :

روى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أن رجلا عطس خلف النبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة ، فقال : الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يرضى ربنا وبعد ما يرضى ، والحمد لله على كل حال . فلما سلم النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صاحب هذه الكلمات » ؟ فقال : أنا يا رسول الله .. ما أردت بهن الا خيرا . فقال : « رأيت أثنى عشر ملكا كلهم يبتدرونها أيهم يكتبها »(٥) .

* * *

ومنها : اذا بليت بانسان لا خلاق له ، فاتق شره وتحمله ، فقد ورد عن عائشة رضى الله عنها قالت : استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ائذنوا له ، فبئس رجل العشيرة هو » فلما دخل ألان له القول حتى ظننت أن له عنده منزلة . فلما خرج قلت له : لما دخل قلت الذى قلت ثم ألنت له القول ! فقال : « يا عائشة .. ان شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من تركه الناس

---

(١) حديث : « شمتوا المسلم اذا عطس ثلاثا فان زاد فهو زكام » رواه أبو داوود من حديث أبى هريرة : « شمت أخاك ثلاثة ... » الحديث ، واسناده جيد .

(٢) رواه مسلم .

(٣) تنزيها لفمك لأنك تستنجى بيدك اليسرى .

(٤) أى وانت فى دورة المياه .

(٥) رواه أبو داوود باسناد جيد .

اتقاء فحشه »[١] . وهذا هو ما أشار الله سبحانه وتعالى اليه فى قـــوله : « **ادفع بالتى هى أحسن السيئة ...** »[٢] .

ويقول ابن عباس فى معنى قوله تعـــالى : « **ويدرأون بالحسنة السيئة** »[٣] أى الفحش والأذى بالسلام والمداراة ، وقال فى قوله تعـــالى : « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض** »[٤] أى : بالرغبة والرهبة ، والحياء والمداراة . ويقول أبو الدرداء رضى الله عنه : انا لنبش فى وجوه أقوام ، وان قلوبنا لتلعنهم . وفى الأثر : خالطوا الناس بأعمالكم وزايلوهم بالقلوب .

* * *

ومنها : أن تكون ناصحا لكل مسلم ، وتعمل على أن تكون سببا فى ادخال السرور على قلبه :

فعن تميم الدارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة » ثلاثا . قلنا : لمن ؟ قال : « لله ، ولكتابه ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم »[٥] .

وعن جرير بن عبد الله قال : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم »[٦] .

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قضى لأحد من أمتى حاجة يريد أن يسره بها فقد سرنى ، ومن سرنى فقد سر الله ، ومن سر الله أدخله الله الجنة »[٧] . وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة ، واحدة فيها صلاح أمره كله ، وثنتان وسبعون له درجات يوم القيـــامة »[٨] .

وعنه وعن عبد الله قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الخلق عيال الله ، فأحب الخلق الى الله من أحسن الى عياله »[٩] .

* * *

---

(١) متفق عليه .
(٢) المؤمنون : ٩٦
(٣) الرعد : ٢٢
(٤) البقرة : ٢٥١
(٥) رواه مسلم .
(٦) متفق عليه .
(٧) رواه البيهقى .
(٨ ، ٩) رواهما البيهقى فى « شعب الايمان » ، والأحاديث الثلاثة فى « شعب الايمان » .

ومنها : أن تعود مرضى المسلمين ، مع مراعاة آداب الزيارة ، ومنها : خفة الجلسة وقلة السؤال ، واظهار الرقة ، والدعاء بالعافية ، وغض البصر عن عورات الموضع ، وعند الاستئذان لا يقابل الباب بوجهه ، ويدق برفق ، ولا يقول : « أنا » اذا قيل له : من ؟ ولا يقول : يا غلام ، ولكن يحمد ويسبح • وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من عاد مريضا قعد فى مخارف الجنة حتى اذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل »[١] وقوله : « اذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة ، فاذا قعد عنده قرت فيه »[٢] •

ثم وأنت فى عيادة المريض ، اذا رأيت عنده استعدادا لوقع كلامك يحسن أن تبشره مثلا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يصب منه »[٣] وعوذه بما عوذ به الرسول صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضى الله عنه عندما عاده وقد كان مريضا فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أعيذك بالله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد »[٤] قالها مرارا • ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو مريض ، فقال له : « قل اللهم انى أسألك تعجيل عافيتك أو صبرا على بليتك أو خروجا من الدنيا الى رحمتك ، فانك ستعطى احداهن »[٥] •

---

(١) رواه اصحاب السنن والحاكم من حديث على : « من اتى اخاه المسلم عائدا مشى فى خرافة الجنة حتى يجلس ، فاذا جلس غمرته الرحمة ، فان كان غدوة صلى عليه سبعون الف ملك حتى يمسى وان كان مساء ... » الحديث : لفظ ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الترمذى ، ولمسلم من حديث جابر وقال : « من عاد مريضا لم يزل فى خرافة الجنة » والخرافة : ما يجتنى من الفواكه فى الخريف .

(٢) رواه الحاكم والبيهقى من حديث جابر وقال : « انغمس فيها » . قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم .

(٣) رواه البخارى من حديث ابى هريرة .

(٤) رواه ابن السنى فى « اليوم والليلة » . والطبرانى والبيهقى فى « الأدعية » من حديث عثمان بن عفان باسناد حسن .

(٥) رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب « المرضى » من حديث انس بسند ضعيف ، وروى البيهقى فى « الدعوات » من حديث عائشة ان جبريل علمها للنبى صلى الله عليه وسلم وقال : « ان الله يأمرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات » .

مع ملاحظة : أن أفضل العيادة أخفها ، وأن عيادة المريض مرة سنة وما زاد فنافلة ، وأنها — أى عيادة المريض — تكون بعد ثلاث .

وأنه من جملة آداب المريض : حسن الصبر ، وقلة الشكوى والضجر ، والفزع الى الدعاء ، والتوكل بعد تعاطى الدواء على مالك الشفاء سبحانه وتعالى ، وفى هذا يقول أحدهم :

ذهبت أنادى طبيب الورى وروحى تناجى طبيب السماء
طبيبين : ذاك ليعطى الدواء وذاك ليجعل فيه الشفاء

* * *

ومنها أن تشيع جنائز المسلمين :

ففى الحديث الشريف : « من شيع جنازة فله قيراط من الأجر ، فان وقف حتى تدفن فله قيراطان »[١] وفى الخبر : « القيراط مثل أحد »[٢] وعندما روى أبو هريرة رضى الله عنه هذا الحديث ، وسمعه ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : لقد فرطنا الى الآن فى قراريط كثيرة .

والقصد من التشييع : قضاء حق المسلمين والاعتبـار وترقيق القلب مع لزوم الخشوع ، وترك الحديث ، وملاحظة الميت ، والتفكير فى الموت والاستعداد له ، والمشى أمام الجنازة وبقربها .

ومنها : أن تزور قبور المسلمين لتدعو لهم وتعتبر بمن فيها حتى يرق قلبك وتتذكر نهايتك .

ففى الحـديث الشريف : « ما رأيت منظرا الا والقبر أفظع منـه »[٣] .

ويقول سيدنا عمر رضى الله عنه : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى المقابر ، فجلس الى قبر ، وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكينا . فقال : « ما يبكيكم » ؟ قلنا : بكينا لبكائك . قال : « هذا قبر آمنة بنت وهب ، استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى ، واستأذنته فى أن أستغفر لها فأبى على ، فأدركنى ما يدرك الولد من الرقة »[٤] .

---

(١) رواه البخارى ومسلم من حديث ابى هريرة .
(٢) حديث : « القيراط مثل احد » رواه مسـلم من حديث ثوبان وابى هريرة واصله متفق عليه .
(٣) رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصحح اسناده .
(٤) رواه مسلم من حديث ابى هريرة مختصرا واحمد من حديث بريدة .

وكان سيدنا عمر رضى الله عنه ، اذا وقف على قبر يبكى حتى تبل لحيته ويقول : سمعت رسول الله يقول : « ان القبر أول منازل الآخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده أيسر وان لم ينج منه فما بعده أشـــد »[١] .

وقد ورد فى الخبر : أن أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول : أنا بيت الدود ، وبيت الوحدة ، وبيت الغربة ، وبيت الظلمة ، فهذا ما أعددت لك ، فما أعددت لى ؟

وكان أبو ذر يقول لأصحابه : ألا أخبركم بيوم فقرى ؟ يوم أوضع فى قبرى .

وكان أبو الدرداء يقعد الى القبور ، فقيل له فى ذلك ، فقال : أجلس الى قوم يذكروننى معادى ، وان قمت عنهم لم يغتابونى .

وقال حاتم الأصم : من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ، ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم .

وقال سفيان : من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من النار .

وكان الربيع بن خيثم قد حفر فى داره قبرا ، فكان اذا وجد فى قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع فيه ومكث ساعة ، ثم قال : « رب أرجعون . لعلى أعمل صالحا فيما تركت »[٢] .

ثم يقول : يا ربيع .. قد أرجعت فاعمل الآن قبل أن لا ترجع .

* * *

قال فى « الاحياء » : فهذه جملة آداب تنبه على آداب المعاشرة مع عموم الخلق ، والجملة الجامعة فيه أن لا تستصغر منهم أحدا حيا كان أو ميتا فتهلك لأنك لا تدرى لعله خير منك فانه وان كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصلاح .

ولا تنظر اليهم بعين التعظيم لهم فى حال دنياهم ، فان الدنيا صغيرة عند الله ، صغير ما فيها ، وان عظم أهل الدنيا فى نفسك ، فقد عظمت الدنيا ، فتسقط من عين الله[٣] .

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عثمان وقال : صحيح الاسناد ، وقال الترمذى : حسن غريب .

(٢) المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠ .

(٣) بسبب تكالبك على الدنيا وتعظيمك لأهلها .

ولا تبذل لهم دينك لتنـــال من دنياهم ، فتصغر فى أعينهم ، ثم تحرم دنياهم ، فان لم تحرم كنت قد استبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير •

ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة فيطول الأمر عليك فى المعاداة ، ويذهب دينك ودنياك فيهم ، ويذهب دينهم فيك ، الا اذا رأيت منكرا فى الدين ، فتعادى أفعالهم القبيحة ، وتنظر اليهم بعين الرحمة لهم ، لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم • فحسبهم جهنم يصلونها ، فمالك تحقد عليهم !

ولا تسكن اليهم فى مودتهم لك ، وثنائهم عليك فى وجهك ، وحسن بشرهم لك ، فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد فى المـــائة الا واحدا ، وربما لا تجده •

ولا تشك اليهم أحوالك ، فيكلك الله اليهم •

ولا تطمع أن يكونوا لك فى السر كما فى العلانية ، فذلك طمع كاذب ، وأنى تظفر به •

ولا تطمع فيما فى أيديهم ، فتستعجل الذل ، ولا تنال الغرض •

ولا تعل عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم ، فان الله يلجئك اليهم عقوبة على الكبر بظهور الاستغناء •

واذا سألت أخا منهم حاجة فقضاها ، فهو أخ مستفاد ، وان لم يقض فلا تعاتبه ، فيصير عدوا تطول عليك مقاساته •

ولا تشغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول ، فلا يسمع منك ويعاديك ، وليكن وعظك عرضا واسترسالا ، من غير تنصيص على الشخص •

واذا رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذى سخرهم لك ، واستعذ بالله أن يكلك اليهم •

واذا بلغك عنهم غيبة ، أو رأيت منهم شرا ، أو أصابك منهم ما يســـوءك فكل أمرهم الى الله ، واســـتعذ بالله من شرهم ، وقل : **« حسبى الله ونعم الوكيل »**[1] مع ملاحظة قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين »**[2] •

---

(١) آل عمران : ١٧٣ ــ بلفظ : **« حسبنا »** .

(٢) الحجرات : ٦

وقال أيضا فى « الاحياء » : واحذر صحبة أكثر الناس فانهم لا يقيلون عثرة ولا يغفرون زلة ، ولا يسترون عورة • ويحاسبون على النقير والقطمير ، ويحسدون على القليل والكثير ، وينتصفون ولا ينصفون ، ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفون ، ويغرون الاخوان على الاخوان بالنميمة والبهتان وصحبة أكثرهم خسران ، وقطيعتهم رجحان ، ان رضوا فظاهرهم الملق ، وان سخطوا فباطنهم الحنق ، لا يؤمنون فى حنقهم ، ولا يرجون فى ملقهم • ظاهرهم ثياب ، وباطنهم ذئاب ، يقطعون بالظنون ، ويتغامزون ورائك بالعيون ، ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون ، ويحصون عليك العثرات فى صحبتهم ليواجهوك بها فى غضبهم ووحشتهم •

ولا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة بأن تصحبه مدة فى دار أو موضع واحد ، فتخبره فى عزله وولايته ، وغناه وفقره ، أو تسافر معه ، أو تعامله فى الدينار والدرهم ، أو تقع فى شدة فتحتاج اليه ، فان رضيته فى هذه الأحوال ، فاتخذه أبا لك ان كان كبيرا ، أو ابنا لك ان كان صغيرا ، أو أخا ان كان مثلك •

فلاحظ كل هذا وكن وفيا لاخوانك ، محبا لخلانك ، واياك اياك أن تكون من اخوان السوء الذين لا يحرصون الا على مصالحهم ، ولا يحبون الا أنفسهم ولا يفكرون الا فى مشاكلهم وجلب منافعهم حتى ولو كان على حساب غيرهم •

* * *

ولما كان أصحاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه ورضى الله عنهم وأرضاهم قد ربط الرسول صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم حتى أصبحوا كما وصفهم الله تعالى فى كتابه العزيز : « ••• **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**[1] ، **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** »[2] •

فقد رأيت اتماما لهذا العرض المبارك أن أسوق اليك بعض النماذج الهامة التى أرجو أن ننتفع بها فى حياتنا الدنيوية والأخروية ، وحتى نكون من المساهمين فى بنك المحبة :

---

(١) الخصاصة : أى الفقر • (٢) الحشر : ٩

وهو بنك خزائنه فى القلوب ، وسبائكه من نور ، وشيكاته ابتسامات وعملته السهلة الصفاء ، ســنداته الاخلاص ، وضماناته المعروف ، وهو يتسع لكافة المعاملات ، لا تصدمك أرقامه ، ولا يفزعك تقلب أسعاره ، يدوم دوام المحبة • والمحبة زهرة ان ذبلت يوما عاش عطرها أبدا ، لا يفرق بين الناس وفقا لوضعهم المــادى ، بل ان أولاهم بثقته من عظمت تضحيته ، وأوفرهم رصيدا من شف قلبه حنانا ورقت روحه سلاما ، يجمع القلوب ، ولا يجمع الأرقام ، يحصى الخير ويطرح السيئات ، ولا يبالى الا بالكلمة الطيبة •• لو تعامل الناس مع هذا البنك لتناسوا أحقادهم ، وارتفع رصيد انسانية كل منهم الى ما فوق الغنى ، وغنى النفوس لا يقدر بمال ، بل هو كنز موعود لأصحاب القلوب البيضــاء •

قال صاحب « الروض الفائق » : روى أبو هريرة رضى الله عنه أن أبا بكر الصديق ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما ، قدما يوما الى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على لأبى بكر : تقدم فكن أول قارع يقرع الباب وألح عليه ، فقال أبو بكر : تقدم أنت يا على ، فقال على : ما كنت لأتقدم على رجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حقه : « ما طلعت الشمس يوما ولا غربت على أحد أفضل من أبى بكر الصديق » •

فقال أبو بكر : ما كنت بالذى يتقدم على رجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه : « أعطيت خير النساء لخير الرجال » •

فقال على : أنا لا أتقدم على رجل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه : « اذا اجتمع الناس يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة ، ينادى مناد من قبل الحق عز وجل : يا أبا بكر •• ادخل أنت ومحبوبك الجنة » •

فقال أبو بكر : أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يجىء على يوم القيامة على مركب من مراكب الجنة فينادى مناد : يا محمد •• كان لك فى الدنيا والد حسن ، وأخ حسن ، فأما الوالد الحسن فأبوك ابراهيم ، وأما الأخ الحسن فعلى ابن أبى طالب » •

فقال على : أنا لا أتقــدم على رجل قال فى حقه رســول الله

صلى الله عليه وسلم : « لو وزن ايمان الأمة فى كفة ، وايمان أبى بكر فى كفة لرجح ايمان أبى بكر » .

فقال أبو بكر : أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان عليا يجىء يوم القيامة ومعه زوجته وأولاده على مركب من البدن[1] فيقول أهل القيامة : أى نبى هذا ؟ فينادى مناد : هذا حبيب الله على بن أبى طالب » .

فقال على : أنا لا أتقدم على رجل قال الله فى حقه : **« والذى جاء بالصدق[2] وصدق به[3] أولئك هم المتقون »[4]** .

فنزل جبريل عليه السلام على الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه وقال : يا محمد .. العلى الأعلى يقرئك السلام ويقول لك : ان الملائكة لينظرون هذه الساعة الى أبى بكر وعلى ويسمعون ما يجرى بينهما فقم اليهما وكن ثالثهما فان الله قد خصهما بالرحمة والرضوان وحصنهما بحسن الأدب ، والاسلام والايمان .

فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فوجدهما كما أخبره جبريل فقبل وجه كل منهما وقال : « والذى نفس محمد بيده : لو أن البحار كانت مدادا[5] ، والأشجار أقلاما وأهل السموات والأرض كتابا لعجزوا عن فضلكما وعن وصف أجركما » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : انى مجهود . فأرسل الى بعض نسائه فقالت : والذى بعثك بالحق ما عندى الا ماء ، ثم أرسل الى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذى بعثك بالحق ما عندى الا ماء ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من يضيف هذا الليلة » ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ، فانطلق به الى رحله فقال لامرأته : أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى رواية : قال لامرأته : هل عندك شىء ؟ قالت : لا ، الا قوت صبيانى ، قال : فعلليهم بشىء واذا أرادوا العشاء فنوميهم ، واذا دخل

---

(١) اى ناقة .

(٢) هو الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) هو سيدنا ابو بكر .

(٤) الزمر : ٣٣

(٥) اى حبرا يكتب به .

ضيفنا فأطفئى السراج وأريه أنا نأكل ، فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين فلما أصبح غدا على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة »(١) .

ويوم أن انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ثائرا لدرجة أنه سل سيفه وقال : من قال بموت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سأضرب عنقه — لأنه لم يكن يتصور فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم — ويظل فى ثورته الى أن يجىء الصديق عليه رضوان الله الذى يتأكد من هذا النبأ ثم يقول معلنا بأعلى صوته :

أيها الناس .. من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ، ثم تلا قول الله تبارك وتعالى : **« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شـيئا ، وسيجزى الله الشاكرين »(٢)** وبعد استماع عمر رضى الله عنه الى هذه الآية يتأكد من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كما يتذكر قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : **« انك ميت وانهم ميتون »(٣)** فيقوم مسرعا الى أبى بكر رضى الله عنه وهو يمد يده له قائلا :

امدد يدك لأبايعك ، فيقول له الصديق : امدد يدك أنت يا عمر لأنك أقوى منى . فيقول له سيدنا عمر : ولكنك أفضل منى ، فيقول سيدنا أبو بكر : يا عمر .. ان الخلافة فى حاجة الى قوة . فيمد سيدنا عمر يده للصديق وهو يقول له : ولتكن قوتى خادمة لفضلك .

وبعد أن أصبح الصديق خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذهب اليه وفد من المؤلفة قلوبهم يطلبون نصيبهم فى الصدقة ، فكتب لهم سيدنا أبو بكر كتابا بذلك ثم قال لهم : اذهبوا الى عمر فانه سيعطيكم حقـكم .

ويذهبون بعد ذلك بكتاب الخليفة الى عمر الذى يقرأ الكتاب ثم يمزقه ، وعندما يفعل هذا يسألونه : لمـاذا فعلت هذا ؟ فيقول لهم : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيكم هذا ، يوم أن كان

---

(١) متفق عليه .
(٢) آل عمران : ١٤٤
(٣) الزمر : ٣٠

الاسلام فى حاجة اليكم ، أما اليوم فقد أعز الله الاسلام فان شئتم ثبتم عليه والا فالسيف بيننا وبينكم •

ويعودون بعد ذلك الى الخليفة رضى الله عنه ، وهناك يقولون له بعد أن أخبروه بما فعله عمر : الخليفة أنت أم عمر ؟ فيقول لهم رضوان الله عليه : هو ان أراد — أى ان أراد أن يكون هو الخليفة فهو الخليفة لا فرق بيننا وبينه •

ويكلف سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ، عمر بن الخطاب عليه رضوان الله بحل مشاكل المسلمين الداخلية حتى يتفرغ هو لمهام الخلافة ، فيمتثل سيدنا عمر للأمر ويجلس فى مجلس القضاء لمدة عام كامل فى انتظار الشاكي الذى يقول له : ان فلانا ظلمنى ، أو ضربنى ، أو أكل مالى ، ولكن كل هذا لم يحدث ، ولهذا نراه بعد ذلك يذهب الى الصديق طالبا منه اعفاءه من القضاء ، فيقول له الصديق : أمن مشقة القضاء جئت تطلب الاعفاء يا عمر ؟ فيقول سيدنا عمر : « لا يا خليفة رسول الله •• ولكن لا حاجة بى عند قوم مؤمنين : عرف كل منهم ما له من حق فلم يطلب أكثر منـــه ، وما عليه من واجب فلم يقصر فى أدائه ، أحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه ، اذا غاب أحدهم تفقدوه ، واذا مرض عادوه ، واذا افتقر أعانوه ، واذا احتاج ساعدوه ، واذا أصيب واسوه ، دينهم النصيحة ، وخلقهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ففيم يختصمون يا خليفة رسول الله » ؟

ولـــا كانت هذه النماذج العظيمة أساسها الحب لله فقد رأيت كذلك وفى ختام هذا العرض الموجز أن أسوق اليك بعض الأحاديث الشريفة التى ترغبك فى هذا الحب الخالص الذى من أهم نتائجه : « أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك » •

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله اذا أحب عبدا دعا جبرائيل[1] فقال : انى أحب فلانا فأحبه ، قال : فيحبه جبرائيل ، ثم ينادى فى السماء فيقول : ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض • واذا أبغض عبـــدا دعا جبرائيل فيقـــول : انى أبغض فلانا فابغضه ،

---

(١) اى جبريل •

قال : فيبغضه جبرائيل ، ثم ينادى فى أهل السماء : ان الله أبغض فلانا فابغضوه ، قال : فيبغضونه • ثم يوضع له البغضاء فى الأرض »[١] •

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ؟ اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى »[٢] •

وعن النبى صلى الله عليه وسلم : « أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى ، فأرسل الله له على مدرجته[٣] ملكا ، قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها[٤] ؟ قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله ، قال : فانى رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته » •

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله تعالى[٥] : وجبت محبتى للمتحابين فى ، والمتجالسين فى ، والمتزاورين فى ، والمتباذلين فى » وفى رواية الترمذى قال : يقول الله تعالى : « المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور ، يغبطهم النبيون والشهداء » •

وعن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله » •

قالوا : يا رسول الله •• تخبرنا من هم ؟ قال : « هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور ، وانهم لعلى نور ، لا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس ، وقرأ هذه الآية : **« ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »**[٦] •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه مسلم .
(٣) اى على طريقه .
(٤) اى بينك وبينه معاملة مادية . (٥) اى فى الحديث القدسى .
(٦) رواه أبو داوود ، ورواه فى « شرح السنة » عن أبى مالك بلفظ « المصابيح » مع زوائد ، وكذا فى « شعب الايمان » ، والآية الأخيرة فى يونس : ٦٢

عليه وسلم لأبى ذر : « يا أبا ذر .. أى عرى الايمان أوثق » ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « الموالاة فى الله ، والحب فى الله ، والبغض فى الله »[(١)] .

وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أتدرون أى الأعمال أحب الى الله تعالى » ؟ قال قائل : الصلاة والزكاة . وقال قائل : الجهاد ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان أحب الأعمال الى الله تعالى : الحب فى الله ، والبغض فى الله »[(٢)] .

* * *

فلا تنس كل هذا مع مراعاة هذين الحديثين :

عن المقدام بن معد يكرب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه »[(٣)] ، ويؤيده أيضا ما ورد عن أنس رضى الله عنه قال : مر رجل بالنبى صلى الله عليه وسلم وعنده ناس ، فقال رجل ممن عنده : انى لأحب هذا لله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أعلمته » ؟ قال : لا ، قال : « قم اليه فأعلمه » فقام اليه فأعلمه ، فقال : أحبك الذى أحببتنى له . قال : ثم رجع فسأله النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أنت مع من أحببت ، ولك ما احتسبت »[(٤)] .

عن يزيد بن نعامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو ، فانه أوصل للمودة »[(٥)] .

وليكن نصب عينيك وفى ذاكرتك دائما وأبدا قول الله تبارك وتعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير »[(٦)] .

حتى تتحقق الأخوة الصادقة ، والمحبة الخالصة ، وحتى لا يحدث ما عناه الشافعى رضى الله عنه فى قوله :

---

(١) رواه البيهقى فى « شعب الايمان » .
(٢) رواه أحمد .
(٣) رواه ابو داوود والترمذى .
(٤) رواه البيهقى فى « شعب الايمان » .
(٥) رواه الترمذى .
(٦) الحجرات : ١٣

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما بزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير ذنب ... ولو نطق الزمان لنا هجانا
وليس الذئب يأكل لحم ذئب ... ونأكل بعضنا بعضا عيانا

* * *

ولا تنس اخوانك الذين سبقوك بالايمان ، واذا أردت أن تكون وفيا لهم ، وبارا بهم ، فحسبك أن تدعو لهم كلما دعوت لنفسك ، بهذا الدعاء الذى أرجو الله سبحانه وتعالى أن يستجيبه منا ومنك ، وهو :

« ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم »(١) .

* * *

* (ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب) :

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهاك فى هذا العنصر الأخير عن كثرة الضحك كما حذرك فى وصية أخرى قال فيها لأبى ذر رضى الله عنه : « واياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب ويذهب بنور الوجه »(٢) .

فالسبب فى هذا النهى والتحذير الذى وجهه الينا جميعا فى شخص أبى ذر رضى الله عنه كما رأيت هو صيانة القلب وحمايته من أسباب الهلاك .

وذلك لأن القلب هو مركز الحياة بالنسبة لجميع الأعضاء كما جاء فى حديث شريف قال فيه صلوات الله وسلامه عليه : « ... ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » .

والمنهى عنه كما رأيت أيضا هو الاكثار من الضحك ، وحتى لا تفهم عكس هذا وتكون عبوسا اليك هذه الأحاديث الثلاثة :

عن جابر بن سمرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقوم من مصلاه الذى يصلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس ، فاذا

---

(١) الحشر : ١٠ .
(٢) راجع الجزء الأول من « وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم » .

طلعت الشمس قام ، وكانوا يتحدثون فيأخذون فى أمر الجاهلية فيضحكون فيبتسم صلى الله عليه وسلم[١] .

وعن قتادة قال : سئل ابن عمر ، هل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون ؟ قال : نعم ، والايمان فى قلوبهم أعظم من الجبل .

وقال بلال بن سعد : أدركتهم يشتدون بين الأغراض ، ويضحك بعضهم الى بعض ، فاذا كان الليل كانوا رهبانا[٢] .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أصحابه تبسما ، وقد ورد فى هذا :

عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال : « ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم »[٣] .

عن جرير قال : « ما حجبنى النبى صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآنى الا تبسم »[٤] .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لهواته ، انما كان يبتسم »[٥] .

كما كان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وقد ورد فى هـذا :

عن أبى هريرة قال : قالوا : يا رسول الله .. انك تداعبنا ، قال : « انى لا أقول الا حقا »[٦] .

وعن أنس قال : ان كان النبى صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لأخ لى صغير : « يا أبا عمير .. ما فعل النغير »[٧] ؟ وكان له نغير يلعب به فمات[٨] .

وعنه أن رجلا استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « انى حاملك على ولد الناقة » فقال : ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وهل تلد الابل الا النوق »[٩] .

---

(١) رواه مسلم ، وفى رواية الترمذى : « يتناشدون الشعر » .

(٢) رواه فى « شرح السنة » .

(٣) رواه الترمذى .

(٤) متفق عليه .

(٥) رواه البخارى .

(٦) رواه الترمذى .

(٧) النغير : فرخ العصفور .

(٨) متفق عليه .

(٩) رواه الترمذى وابو داوود .

وعنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له : « يا ذا الأذنين »[١] .

* * *

فلاحظ كل هذا وكن بساما ولا تكن ضحاكا وحسبك أن تعلم أن الخضر عليه السلام أوصى بهذا سيدنا موسى عليه السلام بعد انتهاء الرحلة الخالدة التى سجلها القرآن فى سورة الكهف من أول قوله تعالى : « **واذ قال موسى لفتاه ...** »[٢] الى قوله : « **... ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا** »[٣] .

« قال موسى عليه السلام بعد ذلك لسيدنا الخضر عليه السلام : أوصنى ، فقال له سيدنا الخضر موصيا : كن بساما ولا تكن ضحاكا ، ودع اللجاجة[٤] ، ولا تمش فى غير حاجة ، ولا تعب على الخطائين خطاياهم ، وابك على خطيئتك يا ابن عمران »[٥] .

* * *

وحتى لا تكون مكثرا من الضحك تذكر دائما وأبدا نهايتك وما بعدها من حساب وعقاب فقد ورد فى هذا :

عن أبى سعيد الخدرى قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم للصلاة فرأى الناس كأنهم يكتشرون ، فقال : « أما انكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم — عما أرى — الموت . فأكثروا ذكر هاذم اللذات الموت ، فانه لم يأت يوم على القبر الا تكلم فيقول : أنا بيت الغربة ، وأنا بيت الوحدة ، وأنا بيت التراب ، وأنا بيت الدود . واذا دفن العبد المؤمن قال له القبر : مرحيا وأهلا ، أما ان كنت لأحب من يمشى على ظهرى الى ، فاذ وليتك اليوم وصرت لى فسترى صنيعى بك : قال : فيتسع له مد بصره ، ويفتح له باب الى الجنة ، واذا دفن العبد الفاجر — أو الكافر — قال له القبر : لا مرحبا ولا أهلا ، أما ان كنت لأبغض من يمشى على ظهرى الى ، فاذ وليتك اليوم وصرت الى فسترى صنيعى بك . قال : فيلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه . وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأصابعه فأدخل بعضها فى جوف بعض قال : ويقيض له سبعون تنينا لو أن واحدا منها نفخ فى الأرض

---

(١) رواه ابو داوود والترمذى .
(٢) الكهف : ٦٠ .
(٣) الكهف : ٨٢ .
(٤) اى الجدل .
(٥) اقرأ هذه الوصية فى كتاب « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبى بعد تفسير هذه الآيات السابقة فى سورة الكهف .

ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا ، فينهشنه ويخدشنه حتى يفضى به الى الحساب » •

وعن أبى ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انى أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون • أطت السماء وحق لها أن تئط • والذى نفسى بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله • ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله » قال أبو ذر : يا ليتنى كنت شجرة تعضد[1] •

وعن أبى هريرة قال : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا »[2] •

وفى هذا المعنى يقول أحدهم :

أما والله لو علم الأنام ... لم خلقوا لما غفلوا وناموا
لقد خلقوا ليوم لو رأته ... عيون قلوبهم ساحوا وهاموا
ممات ثم حشر ثم نشر ... وتوبيخ وأهوال عظام
ليوم الحشر قد عملت أناس ... فصلوا من مخافته وصاموا
ونحن اذا أمرنا أو نهينا ... كأهل الكهف أيقاظ نيام

* * *

ولهذا كان من الكياسة أن يكون الانسان متصورا نهايته وما فيها من أهوال حتى لا يكون لاهيا أو غافلا :

فقد روى عن على رضى الله عنه قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال : « أرفق بصاحبى فانه مؤمن » فقال ملك الموت : أبشر يا محمد ، فانى بكل مؤمن رفيق ، والله يا محمد انى لأقبض روح ابن آدم فاذا صرخ من أهله صارخ قلت : ما هذا الصارخ ؟ والله ما ظلمناه ولا سبقنا أجله ولا استعجلنا قدره وما لنا فى قبضه من ذنب ، فان ترضوا بما صنع الله تعالى تؤجروا ، وان تسخطوا وتجزعوا تأثموا ، وما لكم عندنا من عتبة ، وان لنا عليكم لغيبة ودعوة فالحذر ثم الحذر ، وما من أهل بيت شعر ولا مدر فى بر ولا بحر الا ولنا التصفح فى وجوههم كل يوم وليلة خمس مرات حتى انى لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم ،

---

(١) رواه احمد والترمذى وابن ماجه •   (٢) رواه البخارى •

والله يا محمد لو أنى أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الذى يأمرنى بقبضها •

وروى عن الحسن بن على رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « شدة الموت وكربه على المؤمن أشد من ثلاثمائة ضربة سيف » •

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الأحبار : حدثنى عن الموت ، فقال : كأنه غصن شوك أدخل فى جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم أخذها رجل شديد الجذب فقطع منها ما قطع وأبقى ما أبقى •

وروى أن عيسى عليه السلام كان يحيى الموتى باذن الله تعالى ، فقال له بعض الكفرة : انك تحيى جديد العهد بالموت ولعله لم يكن ميتا ، فأحى لنا من مات فى الزمن الأول ، فقال لهم : اختاروا من شئتم ، فقالوا له : أحى لنا سام بن نوح ، فجاء الى قبره وصلى ركعتين ودعا الله تعالى فأحيا الله سام بن نوح واذا برأسه ولحيته قد ابيضا ، فقال : ما هذا الشيب ولم يكن فى زمانك ؟ فقال : سمعت النداء فظننت أنها القيامة ، فشاب رأسى ولحيتى من الهيبة • فقال له : منذ كم أنت ميت ؟ فقال : منذ أربعة آلاف سنة فما ذهبت عنى سكرات الموت •

ويقال : ما من ميت يموت الا وعرض عليه الحياة والرجوع الى الدنيا فيكره الرجوع اليها لما لقى من شدة الموت ، الا الشهداء فانهم لم يجدوا شدة الموت فيتمنون الرجوع لكى يقاتلوا ثانيا •

ويقول حاتم الأصم : أربعة لا يعرفها الا أربعة :

لا يعرف قدر الشباب الا الشيوخ ، ولا قدر العافية الا أهل البلاء ، ولا قدر الصحة الا المرضى ، ولا قدر الحياة الا الموتى •

ولذلك روى أنه ما من يوم الا وملك يهتف فى المقابر فينادى : يا أهل القبور •• من تحسدون اليوم ؟ فيجيبونه فيقولون : نحسد أهل المساجد فى مساجدهم ، يصلون ولا نقدر أن نصلى ، ويصومون ولا نقدر أن نصوم ، ويتصدقون ولا نقدر أن نتصدق ، ويذكرون ولا نقدر أن نذكر ، فيندمون على ما مضى من زمانهم •

كما روى أن رجلا جاء الى مقبرة فصلى ركعتين ثم اضطجع فرأى صاحب القبر يقول له : يا هذا •• انكم تعملون ولا تعلمون ، ونحن نعلم ولا نعمل ، ولأن تكون ركعتان فى صحيفتى خير من الدنيا وما فيها •

فلا تنس كل هذا واحذر أن تكون مضحكا لغيرك حتى لا تكون سببا فى غفلته فتكون من أهل الويل[١] وحسبك تحذيرا لك وتذكيرا ، هذين الحديثين الشريفين :

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال صلى الله عليه وسلم : « ويل لمن يحدث فيكذب ليضحك به القوم ، ويل له ويل له »[٢] .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان العبد ليقول الكلمة — لا يقولها الا ليضحك بها الناس — يهوى بها أبعد مما بين السماء والأرض ، انه ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدمه »[٣] .

* * *

وأخيرا .. أضف الى معلوماتك الفقهية هذه المعلومة :

القهقهة فى الصلاة : تبطلها دون الوضوء :

عند مالك ، والشافعى ، وأحمد ، واسحاق ، وداوود ، والجمهور ، واستدلوا على ذلك بقول أبى سفيان الواسطى : سئل جابر بن عبد الله عن رجل يضحك فى الصلاة ، فقال : « يعيد الصلاة ولا يعيد الوضوء »[٤] .

وقال الحسن البصرى ، وابراهيم النخعى ، وسفيان الثورى ، والحنفيون : ان الوضوء ينقضه قهقهة بالغ يقظان فى صلاة ذات ركوع وسجود : اذا سمعه جيرانه ، وان لم تبد أسنانه واستدلوا بحديث أبى العالية : « أن رجلا أعمى جاء والنبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فتردى فى بئر فضحك طوائف من الصحابة ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم من ضحك أن يعيد الوضوء والصلاة »[٥] .

ويلزم الوضوء بهذين النصين عقوبة وزجرا ، وان كان يجوز له مس المصحف بعد هذا بلا طهارة[٦] .

* * *

---

(١) وادى فى جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حره .
(٢) رواه احمد والترمذى وابو داوود والدارمى .
(٣) رواه البيهقى فى « شعب الايمان » .
(٤) اخرجه البيهقى من عدة طرق .
(٥) اخرجه الدارقطنى . (٦) اى بلا وضوء .

الجزء الرابع

الوصية السادسة عشرة

قال سلمان الفارسى رضى الله عنه : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر يوم من شعبان قال :

« يا أيها الناس .. قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيام نهاره فريضة ، وقيام ليله تطوعا ، من تقرب فيه بخصلة من الخير ، كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شىء » .

قالوا : يا رسول الله .. ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم عليه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :

« يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة ، أو على شربة ماء ، أو مذقة لبن . وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار . واستكثروا فيه من أربع خصال : خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غناء بكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم : فشهادة أن لا اله الا الله ، وتستغفرونه .

وأما اللتان لا غناء بكم عنهما : فتسألون الله الجنة ، وتعوذون به من النار . ومن سقى صائما سقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة » .

* * *

فكن أخا الاسلام :

مستجيبا لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الخطبة الجامعة التى استقبل بها شهر رمضان المبارك فى آخر يوم من شعبان.

كما يقول الصحابى الجليل سلمان الفارسى عليه وعلى رفاقه الأصحاب الأجلاء رضوان الله .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم فى أول خطبته قد تحدث أو أشار الى عظمة رمضان وبركته فانه يعنى ما أشار اليه فى حديث آخر قال فيه :

« أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ، وينظر فيه الى تنافسكم فى الخير ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فان الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل »[1] .

كما يعنى كذلك ما فيه من امتيازات أشار اليها صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر قال فيه :

« أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبى قبلى ، أما الأولى : فانه اذا كان أول ليلة منه نظر الله اليهم ، ومن نظر الله اليه لم يعذبه أبدا ، وأما الثانية : فان الملائكة تستغفر لهم كل يوم وليلة ، وأما الثالثة : فان الله يأمر جنته يقول لها : تزينى لعبادى الصائمين ، يوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا الى دارى وكرامتى ، وأما الرابعة : فان رائحة أفواههم حين يمسون تكون أطيب من ريح المسك ، وأما الخامسة : فانه اذا كان آخر ليلة منه غفر الله لهم جميعا ، فان العمال يعملون فاذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم »[2] .

وما فيه من خصوصيات أشار اليها أيضا صلوات الله وسلامه عليه فقال :

« ان فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيدخلون منه ، فاذا دخل آخرهم أغلق فلا يدخل منه أحد »[3] .

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو أصحابه الى التنافس فيه فى أعمال الخير حتى لا يحرموا من الجزاء الأوفى يوم العرض على ملك الملوك سبحانه الذى يقول فى كتابه العزيز : « **وأن ليس للانسان**

---

(١) رواه البيهقى عن جابر . (٢) رواه الطبرانى عن عبادة .

(٣) رواه البيهقى عن سهل مرفوعا .

الا ما سعى • وأن سعيه سوف يرى • ثم يجزاه الجزاء الأوفى »[1]
فتراه يقول صلوات الله وسلامه عليه كما قرأت سابقا :

« أتاكم رمضان ، شهر بركة يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، وينظر فيه الى تنافسكم فى الخير ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فان الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل »[2] •

بل وكان يرغبهم صلى الله عليه وسلم فى التقرب الى الله ويحذرهم من الوقوع فى ما يغضبه خاصة اذا ما حل شهر الصيام فيقول :

« ان الجنة لتزين من السنة الى السنة لشهر رمضان ، فاذا دخل رمضان قالت الجنة : اللهم اجعل لنا فى هذا الشهر من عبادك سكانا • ويقلن الحور العين : اللهم اجعل لنا من عبادك فى هذا الشهر أزواجا •

قال النبى صلى الله عليه سلم : فمن صان نفسه فى شهر رمضان فلم يشرب فيه مسكرا[3] ، ولم يرم فيه مؤمنا بالبهتان ولم يعمل فيه خطيئة ، زوجه الله كل ليلة مائة حوراء ، وبنى له قصرا فى الجنة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ، لو أن الدنيا جمعت فجعلت فى ذلك القصر لم تكن فيه الا كمربط عنز فى الدنيا[4] •

ومن شرب فيه مسكرا ، أو رمى مؤمنا ببهتان أو عمل فيه خطيئة أحبط الله عمله سنة ، فاتقوا شهر رمضان — فانه شهر الله أن تفرطوا فيه فقد جعل لكم أحد عشر شهرا تتنعمون فيها وجعل لنفسه شهر رمضان فاحذروا رمضان »[5] •

فكن من أهل هذا الخير الذى ستكون من أفقر الناس اليه يوم القيامة ، واغتنم كل لحظة من موسم الحصاد الذى أكرمك الله تعالى بادراكه ، واحذر الوقوع فيما حذرك الرسول صلى الله عليه وسلم منه حتى لا تحرم من الخيرات والبركات والنفحات التى وقفت على بعضها فى هذا الحديث الأخير •

---

(١) النجم : ٣٩ — ٤١ (٢) رواه الطبرانى عن عبادة •
(٣) البيرة من المسكرات وهى اخت الخمر •
(٤) وهذا دليل على حقارة الدنيا وانها لا تزن عند الله جناح بعوضة •
(٥) اخرجه الطبرانى فى « الاوسط » •

وحتى تزداد معرفة بهذا الشهر المبارك وتقف على بعض ما فيه من العظمة والبركة اليك هذه القصيدة المعبرة التى جمعت فأوعت[١] :

بدا عليه من الأنوار اكليل ... شهر تحاياه تكبير وتهليل
شهر عليه من الاجلال روعته ... له بكل بقاع الأرض تبجيل
شهر التقى والهدى والصوم حين ... بدت أنواره زهقت منه الأباطيل
شهر تفتح أبواب النعيم به ... والتوب فيه من العاصين مقبول
الله عظمه قدرا وفضله ... وليس بعد كلام الله تفضيل
فأنزل الوحى بالقرآن فيه هدى ... أتى به لرسول الله جبريل
فيه شفاء نفوس من غوايتها ... أعمى بصيرتها زيغ وتضليل
آياته بينات كلها عبر ... يروق سامعها فى النفس ترتيل
تقوم المذنب العاصى براءتها ... ان لم تقومه توراة وانجيل
ويستزيد هدى منها وموعظة ... من قلبه بالتقى والدين مشغول
شرائع الدين قد جاء النبى بها ... وليس يقبل فيها قط تأويل
شهر الصيام لقد زادتك تكرمة ... ورفعة ليلة ما مثلها جيل
تنزل الروح فيها رحمة ورضا ... وزانها من حكيم الذكر تنزيل
الله فضلها فى الذكر فاحتسبت ... عند الاله وفيها يقبل السول[٢]
شهر السعادة فيه نسك منطبع ... على القلوب وفيه العفو مكفول

ولهذا قيل : ان رمضان مشتق من الرمض ، وهو شدة الحر ، أو من الرمضاء ، كحمراء •• ومن ذلك قول الشاعر :

* كالمستجير من الرمضاء بالنار *

كما قيل : لأنه يرمض الذنوب ، أى يحرقها بالأعمال الصالحة ، من الارماض وهو الاحراق •

وقيل : لأن القلوب تأخذ من حرارة الموعظة ، والتفكير فى أمر الآخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس •

وقيل : لأنه مشتقة يذكر الصائمين بما يقاسيه أهل النار فيها •

وقيل : انه اسم من أسماء الله تعالى ، ليكون غير مشتق ــ أو يكون مشتقا راجعا الى معنى الغافر ــ أى يمحو الذنوب ويمحقها •

---

(١) من قصيدة للشاعر : نجاتى عبد الرحمن (هدية منبر الاسلام ، عدد رمضان ١٣٨٨ هـ)

(٢) اى السؤال .

ولرمضان أسماء كثيرة بلغت الستين عدا ، منها : شهر الله ، وشهر الآلاء ، وشهر القرآن ، وشهر النجاة ...

* * *

هذا بالاضافة الى أنه شهر النصر ، والفتح .

ففى يوم الجمعة لسبعة عشر خلت من رمضان من السنة الثانية للهجرة وقعت :

غزوة بدر الكبرى

التى خلد الله ذكرها فى القرآن فسمى زمنها : « **يوم الفرقان** »(١) كما امتن على المسلمين بها فى قوله تعالى : « **ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة** »(٢) .

وخلاصة ذكراها :

أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد بلغه وهو بالمدينة أن قافلة تجارية ضخمة ـــ ألف بعير تحمل من السلع ما يقدر بخمسين ألف دينار ـــ تهبط من مشارف الشام عائدة الى مكة يقودها أبو سفيان ابن حرب مع رجال لا يزيدون عن الثلاثين أو الأربعين ! فقال لأصحابه : « هذه عير قريش ، فيها أموالهم ، فاخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها » .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرجو لهم من وراء هذه الغنيمة عوضا لمـــا لحقهم من خسائر أثناء هجرتهم الأخيرة .

وترك الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر لرغبتهم المطلقة ولم يعزم على أحد بالخروج . ثم سار بمن أمكنه الخروج ، وكان عددهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا أكثرهم من المهاجرين والباقى من الأنصار ، ولم يكن معهم سوى فرسين وسبعين بعيرا كانوا يتعاقبون ركوبها .

وكان أبو سفيان قد وردت اليه أنباء الهجوم الاسلامى فخالف الطريق المعتاد وساحل بالعير الى طريق البحر على بعد ثلاثة أميال أسفل ، فاستطاع أن ينجو بالقافلة بعد أن أرسل الى مكة من يستنفر أهلها لحماية أموالهم ـــ لأن معظمهم كان له نصيب فى هذه التجارة ـــ فكانوا بين رجلين : اما مشترك بنفسه ، واما باعث مكانه رجلا ، الى أن بلغت عدتهم نحو تسعمائة وخمسين مقـــاتلا فى مائة فرس وسبعمائة بعير .

---

(١) الأنفال : ٤١ . (٢) آل عمران : ١٢٣ .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد غذ السير حتى نزل وادى زفران ، فبلغه نجاة العير وأن قريشا قد ساقت من مكة جيشا جرارا لحماية القافلة ، وأنها تتأهب للقتال مستترة خلف الكثيب الذى بالعدوة القصـــوى .

فهزت هذه المفاجأة جيش المسلمين لأنهم ما كانوا يتوقعون هذا ، ولو توقعوه لعملوا له ألف حساب غير أن النبى صلى الله عليه وسلم استطاع بكياسته وحسن قيادته أن يتغلب على هذا الفتور العارض وأن يقنعهم بضرورة تعقب المشركين مهما كان عددهم وبأسهم ، وحذرهم من عقبى العود السريع الى المدينة ، وأنه اذا لم يقبل المسلمون هذا التحدى لجاز أن يدفع الطيش القرشيين فيواصلوا زحفهم نحو المدينة .

فتحمسوا جميعا لقبول هذا التحدى ومواجهته مهما كلفهم من تضحيات .

واستمع الرسول صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر وعمر عليهما رضوان الله اللذين أشارا عليه بالتقدم وأيدهما المقداد بن عمرو ، ولفت نظر الرسول صلى الله عليه وسلم أن هؤلاء الذين أشاروا عليه بالقتال من المهاجرين فقط ، فأراد أن يستجلى موقف الأنصار الذين بايعوه فى بيعة العقبة ...

فقال : « أشيروا على أيها الناس » فلما أحس الأنصار أنه يقصدهم نهض سعد بن معاذ صاحب رايتهم وقال :

يا رسول الله .. كأنك تريدنا ؟ قال : « أجل » . فقال سعد : قد آمنا بك وصدقناك ، وأعطيناك عهودنا ، فامض يا رسول الله لمـــا أمرت فنحن معك ؛ فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر[1] فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، انا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء .. سر بنا على بركة الله .

ولم يكد سعد يتم كلامه حتى أشرق وجه النبى صلى الله عليه وسلم بشرا وقال : « سيروا وأبشروا .. هذه مكة ألقت اليكم أفلاذ كبدها ، والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم » .

ثم سار الرسول صلى الله عليه وسلم بجيشه الى الشرق من جيش المشركين فى العدوة الدنيـــا ونزل عند أقرب ماء للعدو لمشـــورة

---

(١) واشار الى البحر الاحمر .

الحباب بن المنذر ، وبنى عليه حوضا وطمس كل ما عداه من ينابيع ليتيح للمسلمين الانتفاع بالمـاء دون المشركين ، وفى نفس الوقت صنع للرسول صلى الله عليه وسلم عريشا من جريد النخل فى نفس الميدان •

وكانت قريش كما علمت سابقا بالعدوة القصوى[1] وجيش المسلمين بقيادة القائد العظيم صلوات الله وسلامه عليه بالعدوة الدنيا •

ووقف الرسول صلى الله عليه وسلم ينظم الصفوف وهو يحث أصحابه على الثبات حتى ارتفعت أرواحهم المعنوية • ثم أخذ ينادى ربه حتى سقط رداؤه وهو يقول :

« اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادك وتكذب رسولك •• اللهم نصرك الذى وعدتنى »[2] •

وكان المسلمون أسعد حظا من المشركين ، فلقد أكسبهم النوم الذى غشيهم[3] ليلة المعركة وافرا من راحة الجسم والأعصاب ، وأمطرت السماء ماءا ثبتت به الأرض تحت أقدامهم ، وسهلت تحركاتهم على سفح التلال فى حين أنها عاقت زحف المشركين وعوقت تحركاتهم ، وتسلطت أشعة الشمس فى الصباح على أعين المشركين أثناء عملية الزحف فشغلتهم عن تنظيم المعركة ، وزاد التفكك فى صفوفهم أنهم شعروا أن القتال أصبح لا ضرورة له بعد نجاة العير ، فلو بقيت العير فى الخطر لكان من المحتمل أن يستميت المشركون فى القتال •

ويبدأ الهجوم من جانب المشركين بهجوم الأسود بن عبد الأسد على الحوض الذى بناه المسلمون قائلا :

أعاهـد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه !

---

(١) العـدوة القصوى : اى البعيدة عن المدينة ، والعدوة الدنيا هى القريبة منها . وبالنسبة لبدر : فهى سهل رملى يحده من الشمال الشرقى تلال شديدة الانحدار ، ومن الغرب كثبان رملية ، ومن الجنوب منحدر صخرى منخفض ، وينساب فى الوادى جدول من المـاء ، وينقطع الجدول فيصبح آبارا وهو على بعد ١٦٠ كيلو مترا من المدينة .

(٢) يشير الى قوله تعـالى : **«ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين • انهم لهم المنصورون»** (الصافات : ١٧١ ، ١٧٢) .

(٣) وفى ذلك بقوله تعالى : **« اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام »** (الانفال : ١١) .

فيتصدى له حمزة بن عبد المطلب فيضربه ضربة تطير نصف ساقه ، ومع ذلك فقد حبا الى الحوض يبغى اقتحامه ، فتبعه حمزة يقاتله حتى قتله فيه ، الأمر الذى استشاط غضب المشركين وأثار حميتهم ، فاندفع منهم عتبة وشيبة ، ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة يطلبون المبارزة ، فبرد للقائهم فتية من الأنصار ، فقالوا : يا محمد .. أخرج الينـــا أكفاءنا من قومنا ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « قم يا عبيدة ابن الحارث ، قم يا حمزة ، قم يا على » فبارز عبيدة عتبة ، وبارز على الوليد ، وبارز حمزة شيبة . فقتل حمزة شيبة ، وقتل على الوليد ، وأما عبيدة وعتبة فقد جرح كلاهما الآخر ، فكر حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة فأجهزا عليه ثم احتملا صاحبهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أفرشه قدمه حتى أسلم الروح .

فكان هذا المشهد البطولى سببا فى انفجار الكفار الذين أخذوا بعد ذلك يمطرون المسلمين بوابل من سهامهم ، فحمى الوطيس وتهاوت السيوف وتصايح المسلمون أحد أحد. فأمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يكسروا هجمات المشركين ، وهم يرابطون فى مواقعهم ، وهو يقول لهم : « ان اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنبل . ولا تحملوا عليهم حتى تؤذنوا » .

ولهذا عندما اتسع نطاق المعركة واقتربت من قمتها كان المسلمون قد استنفدوا جهد أعدائهم وألحقوا بهم خسائر جسيمة ، والنبى فى عريشه يدعو الله ويرقب بطولة رجاله ثم يخرج اليهم محرضا فيقول :

« والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا متحسبا مقبلا غير مدبر ، الا أدخله الله الجنة » .

ومرة أخرى : يخفق فى العريش خفقة ثم ينتبه قائلا :

« أبشر يا أبا بكر .. أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع » !!

فيتحمس المسلمون ويستبشرون بنصر الله ويقاتلون بكل شجاعة واستبسال الى أن تنتهى المعركة الخالدة بهزيمة المشركين بعد أن انكسرت شوكتهم وسقطت رايتهم وهم يفرون أمام الأسود بقيـــادة زعيمهم وقائدهم صلوات الله وسلامه عليه .

وقد قتل فى هذه الغزوة من المشركين سبعون صنديدا من رؤوس الكفر بمكة منهم :

عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف ، وأبو جهل ابن هشام .

وأسر منهم كذلك سبعون ، أما الباقى بعد القتل والأسر فقد فر عائدا الى مكة ، يجر أذيال الخيبة ومتوجا بالخزى والعار .

أما المسلمون فقد استشهد منهم فى هذه الغزوة أربعة عشر رجلا .

ويعود الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه المنتصرين بعد ذلك الى المدينة يسوق أمامه الأسرى والغنائم فخورا بنصر الله وتأييده .

وقد سجل الله سبحانه وتعالى هذا فقال فى كتابه العزيز :

« اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر الا من عند الله ، ان الله عزيز حكيم »[1] .

كما عبر أحد الشعراء[2] عن هذا أيضا بقوله :

ذاك ركب به الملائكة الغـــ	ـــر وجبريل فى الغمام يكبر
والنبى الكريم يرتقب الوحـــ	ـــى بنصر من الاله مؤزر
والمقـــادير تستحث المنـــايا	ليذوق العـــدو مالا يقـــدر
أزفت ساعة الجهـــاد وراحت	كل نفس الى المنية تنظـــر
وتهـــادى النبى فى موكب النو	ر كأن الصـــباح منه تحدر
بيد تحمـــل القنـــا وبأخرى	تحمل الوحى والكتاب المطهر
وتلاقى الجيشان فى (بدر) حتى	أوشك الرمل أن يفر ويزعر
قد تلاقى الجمعان والموت مثل السيـ	ـل يهوى والهول كاليم يزخر
فاذا المسلمون فى غمرة الحر	ب يرون الجنان فى البيد تزهر
واذا الظالمون يصـــلون نارا	ليس يخبـــو لهيبهـــا المتسعر
واذا الوحى من صدى الخلـــ	ـد نجوى فى فؤاد الرسول بالنصر يشر
فجثـــا الكفر واعتلت راية الله	وصـــاح النبى : الله أكبر

* * *

فتـــح مـــكة

وفى أواخر السنة الثامنة من الهجرة كانت قريش قد نقضت عهدها فى صلح الحديبية ، فهاجمت مع حلفائها من بنى بكر قبيلة خزاعة المتحالفة مع المسلمين ، لدرجة أن بنى بكر الذين كانت تعينهم قريش

---

(١) الانفال : ٩ ، ١٠ . (٢) وهو الأستاذ على الجمبلاطى .

بالسلاح ، هاجموا خزاعة فى داخل الحرم عندما انحاذوا اليه للاحتماء به — حيث لا يجوز القتال — فأصابوا منهم رجالا .

ففزعت خزاعة لما حل بها ، وأرسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن سالم يقص عليه نبأها .

وهناك وبين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم قال عمرو شعرا بكايا ختمه بقوله مخاطبا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ان قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لى فى كداء رصدا وزعموا أن لست أدعو أحدا
وهم أذل وأقل عددا هم بيتونا بالوثير هجدا
فقتلونا ركعا وسجدا

وما كاد ينتهى من كلامه هذا حتى قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « نصرت يا عمرو بن سالم ... » .

وكانت قريش قد أحست بعد فوات الأوان بخطئها ، فأرسلت أبا سفيان الى المدينة نائبا عنها ليصلح ما أفسده قومه ، ويحاول أن يعيد الأمر الى ما كان عليه ، ولكنه عاد بعد ذلك يجر أذيال الخيبة بعد أن رفض الرسول صلى الله عليه وسلم مقابلته .

وباختصار : كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أمر الناس بأن يتجهزوا ، وأعلمهم أنه سائر الى مكة ، وهو يوصيهم بالجد والبدار داعيا الله تعالى قائلا : « اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها » .

وفى ثمان عشرة ليلة خلت من رمضان المبارك غادر الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة على رأس جيش مكون من عشرة آلاف مقاتل لنصرة المظلوم وردع الظالم ، وكله أمل فى نصر الله وتأييده .

ويمضى الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه يطوون البيداء المترامية ، وقد امتلأت قلوبهم بالعزة ، وسرت فى نفوسهم روح الاخلاص والايمان .. حتى اذا صاروا على مشارف مكة ضربوا خيامهم وأوقدوا نيرانهم ، وكانت نيرانا عظيمة لم ترها مكة فى تاريخها الطويل — الأمر الذى أزعج أهل مكة ، وأثار عجبهم وقذف الرعب فى قلوبهم .

وفى هذه اللحظات الرهيبة خرج أبو سفيان بن حرب لاستطلاع الأمر ومعرفته ، فالتقى فى طريقه بالعباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان قد أسلم قبل ذلك فسأله عن هذه النيران الهائلة ، فأخبره بأنها نيران المسلمين • فارتعدت فرائصه وصدم بصورة عنيفة بسبب هذا النبأ الذى ما كان يخطر له على بال ، ولهذا وبعد تفكير عميق وسريع وجد نفسه مضطرا الى الاذعان والاستسلام ، فأجاره العباس ، وانطلق به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعلن اسلامه ففتح لنفسه بابا من الأمن والسلام • وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يبقى كرامته بين قومه ، فمنحه منزلة لم تمنح لأحد قبله ، ولا منحت لأحد من بعده ، فقال : « من أغلق بابه دونه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن » •

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس : « خذ أبا سفيان واحبسه بمضيق الوادى حتى تمر به جنود الله فيراها » •

يقول العباس : « فخرجت به حتى حبسته بمضيق الوادى حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه ، ومرت القبائل على راياتها وكلما مرت قبيلة ، قال : يا عباس •• من هذه ؟ فأخبره عنها حتى مر الرسول صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء ، وفيها المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم وقد لبسوا عدة الحرب والقتال لا يرى منهم الا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله يا عباس •• من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما ، قال : قلت : يا أبا سفيان •• انها النبوة •

وينطلق أبو سفيان بعد ذلك مسرعا الى قومه ، قائلا بأعلى صوته : يا معشر قريش •• هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به • فقامت اليه زوجته هند بنت عتبة فأخذت بشاربه فقالت : قبحت من طليعة قوم • قال : ويلكم •• لا تغرنكم هذه من أنفسكم فانه قد جاءكم بما لا قبل لكم به • فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ، وما تغنى عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق بابه فهو آمن ،

ومن دخل المسجد فهو آمن .. فتفرق النـــاس الى دورهم والى المسجد .

ويدخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة راكبا راحلته منحنيا على رحله ، تواضعا لله وشكرا ، وأسامة بن زيد من ورائه ، وكان ذلك فى صبح الجمعة لعشرين يوما خلت من شهر رمضان . وبعد أن استراح قليلا فى قبة كانت قد نصبت له فى الحجون ، سار بعد ذلك وبجانبه أبو بكر ، يحادثه وهو يقرأ سورة الفتح حتى وصل الى البيت وطافه حوله سبعا على راحلته ، وكان حول الكعبة حينذاك ثلاثمائة وستون صنما فجعل عليه الصلاة والسلام يطعنها بعود فى يده وهو يقول :

« قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد »[1] .

ثم أمر بها فأخرجت من البيت العتيق حتى يؤدى رسالته التى من أجلها رفع ابراهيم واسماعيل عليهما السلام قواعده ، وهى عبادة الله الواحد الأحد الذى **« ... لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحــد »**[2] .

ثم بعد ذلك ــ وبعد أن دخل الكعبة وكبر فى نواحيها ، وصلى فى مقام ابراهيم عليه السلام ، وشرب من ماء زمزم ــ جلس فى المسجد فاذا بالعيون شاخصة اليه ، والناس حوله ينظرون ما هو فاعل بمشركى قريش الذين كادوا له ولأصحابه ، بعد أن مكنه الله منهم .

فكان لابد لهذا الرسول العظيم الذى أرسله الله **« رحمة للعالمين »**[3] أن يقدم الشكر لله تعالى على تمكينه منهم بالعفو عنهم عند القدرة عليهم . لقد نظر اليهم وهم يرتعدون أمامه ثم قال لهم :

« ما تظنون أنى فاعل بكم » ؟ قالوا : خيرا .. أخ كريم وابن أخ كريم . فقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء »[4] . فكان من أهم نتائج هذا العفو الكريم ، والخلق العظيم : أن دخل أكثرهم **« فى دين الله أفواجا »**[5] .

وكل هذا كان من بركات شهر رمضان العظيم ، الذى سيظل بركة وفتحا للاسلام والمسلمين الى يوم الدين .

* * *

---

(١) سبأ : ٤٩
(٢) الاخلاص : ٣ ، ٤
(٣) الأنبياء : ١٠٧
(٤) أى الأحرار .
(٥) النصر : ٢

ليلة القدر

وفى الوتر من العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك كانت ليلة القدر كما ورد فى حديث شريف رواه عبادة بن الصامت رضى الله عنه وفيه يقول : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر قال : « هى فى شهر رمضان فى العشر الأواخر ، ليلة احدى وعشرين ، أو ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، أو تسع وعشرين ، آخر ليلة من رمضان • من قامها ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وان كان هناك اختلاف بين العلماء فى أى الليالى هى ؟ :

فبعضهم يرى أنها ليلة الحادى والعشرين ، ومن العلماء من يرى أنها ليلة الثالث والعشرين ، ومنهم من ذهب الى أنها ليلة الخامس والعشرين ، ومنهم من يرى أنها ليلة التاسع والعشرين ، ومن يقول : انها تنتقل فى ليالى الوتر فى العشر الأواخر من الشهر • ولم يختلف أحد عن كونها فى رمضان لقوله تعالى : « **انا أنزلناه فى ليلة القدر** »(١) وأكثرهم على أنها ليلة السابع والعشرين •

وقد ورد فى تأكيد أنها ليلة السابع والعشرين ، عن أبى بن كعب أنه قال : « والله الذى لا اله الا هو ، انها لفى رمضان — يحلف ما يستثنى — والله انى لأعلم أى ليلة هى : هى الليلة التى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها : هى سبع وعشرين ، وأمارتها أن تطلع الشمس فى صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها »(٢) •

وتستطيع أن تلمس هذا أيضا اذا قرأت السورة الى قوله تعالى : « •• **سلام هى** ••• »(٣) فانك اذا عددت كلماتهـا الى كلمة « هى » ، ستجد أنها عبارة عن سبعة وعشرين كلمة مع ملاحظة أن كلمة « ليلة القدر » التى ذكرت فى السورة ثلاث مرات ، لو ضربت حروفها فى ثلاثة لأعطتنا نفس الرقم السابق(٤) •

والقدر فى اللغة ، يطلق على معان : منها الشرف وعظم الشأن ، ومنها تقدير الأشياء وتحديدها ، وضبط صفتها وأحوالها • فهى الليلة

---

(١) القدر : ١

(٢) رواه مسلم واحمد وأبو داوود والترمذى وصححه .

(٣) القدر : ٥ (٤) والله أعلم .

المباركة التى أنزل فيهـا القرآن « **هدى للنـاس وبينات من الهدى والفرقان** »[1] وفى ذلك يقول تعالى أيضا : « **حم • والكتاب المبين • انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين** »[2] •

وهى : التى يطلع الله فيها ملائكته على ما قدر للناس من آجال وأرزاق وما عليهم تنفيذه فى العام التالى ، من ضبط سائر أمور الكائنات ، وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا فى قوله : « **فيها يفرق كل أمر حكيم** »[3] •

وهى : سلام على المؤمنين حتى مطلع الفجر بصورة متجددة مع الأيام فى كل عام ، كما تدل صيغة المضارع فى قوله تعالى : « **تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر • سلام هى حتى مطلع الفجر** »[4] ليكون فى ذلك ارهاص لهم بأن الاسلام سلام عليهم طوال العمر ومدى الدهر ما أطاعوا الله ورسوله واتبعوا أوامره واجتنبوا نواهيه • هذا بالاضافة الى أنها : « **خير من ألف شهر** »[5] •

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم كما روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها : « اذا دخل العشر الأواخر من رمضان ، أحيا الليل ، وأيقظ أهله وشد المئزر » كناية عن الجد فى العبادة واعتزال النساء من أجلها •

وحسبك حتى تقف على جلال قدرها وتعظيم شأنها أن تلاحظ أن الله سبحانه وتعالى قد عبر عنها بالاستفهام الدال على جلالها فى قوله : «**وما أدراك ما ليلة القدر**»[6] وأن كلمة « القدر » ذكرت فى السورة ثلاث مرات •

فكن أخا الاسلام من الذين يعرفون قدر هذه الليلة المباركة حتى لا تحرم وحتى تفوز بمغفرة الله سبحانه وتعالى فيها • وحسبك ترغيبا لك فى احياء ليلتها بتلاوة القرآن الذى أنزل فيها[7] ، بالاضافة الى

---

(١) البقرة : ١٨٥ (٢) الدخان : ١ — ٣

(٣) الدخان : ٤ (٤) القدر : ٤ ، ٥

(٥) أى العمل فيها من الصلاة والتلاوة والذكر خير من العمل فى الف شهر ليس فيها ليلة القدر •

(٦) القدر : ٢

(٧) بنص الآية الكريمة « **انا انزلناه فى ليلة القدر** » وان كانت هناك آية فى القرآن تشير الى أن ليلة القدر فى السابع عشر من رمضان ، وهو يوم بدر « **وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان** » (الانفال : ٤١) •

صلاة القيام والاستغفار أن تقرأ قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من قام ليلة القــدر ايمانا[١] واحتسابا[٢] غفر له ما تقدم من ذنبه »[٣] .

وقوله : « أتاكم رمضان ، شهر مبارك ، فرض الله عز وجل عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب السماء ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتصفد فيه مردة الشياطين ، لله فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم الخير كله »[٤] .

هذا : وكما يقول الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله :

« وللناس خيالات فى ليلة القدر لا تليق بعقول الأطفال فضلا عن الراشدين من الرجال ، فكل ما حفظوه عنها أن تكون لهم ساعة سمر يتحدثون فيها بما لا ينظر الله اليه ، ويسمعون شيئا من كتاب الله لا ينظرون فيه ، ولا يعتبرون بمعانيه ، بل ان أصغوا اليه فانما يصغون لنغمة تاليه ونســوا أنها ليلة عبــادة وخشوع وتذكر لنعمة الحق والدين ... » .

فلا تكن من هؤلاء المخرفين الغافلين ، وكن من الذين وفقهم الله سبحانه وتعالى لاحياء هذه الليلة بطاعة الله .

مع ملاحظة أنه قد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قلت : يا رسول الله .. أرأيت ان علمت أى ليلة ــ ليلة لقدر ــ ما أقول فيها ؟ قال : « قولى : اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى »[٥] .

واعلم : أنه كما يسن للصائم احياء العشر الأواخر من رمضان لتحقق ليلة القدر فى واحدة منها .

كذلك : يسن له الاعتكاف فى المسجد فى العشر الأواخر منه .

والاعتكاف هو : أن يقيم فى بيت من بيوت الله بنية حبس النفس على طاعة الله وملازمة بيته ، تدريبا له على طاعته لمولاه ، وبعدا لنفسه عن الشهوات الدنيوية .

---

(١) ايمانا : اى مصدقا بوعد الله للصائمين والقائمين .
(٢) واحتسابا : اى محتسبا اجره عند الله تعالى .
(٣) رواه البخارى ومسلم عن ابى هريرة .
(٤) رواه النسائى والبيهقى عن ابى هريرة مرفوعا .
(٥) رواه احمد وابن ماجه والترمذى وصححه .

وفى هذا يقول تعـــالى : « ... **ثم أتموا الصيام الى الليل ، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد** »(١) .

كما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف فى العشر الأواخر من رمضان » .

فكن من أهل هذا الخير بقدر استطاعتك ، واذا لم تستطع فأكثر من التردد على المساجد لشهود الجمعة والجماعات ، وأطل بها المكث ناويا الاعتكاف المشروع حتى تنال الأجر على قدر جهدك .

* * *

فرضـــية الصـــيام

والصيام لغة : مطلق الامساك عن الكلام وغيره ، ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام : « **انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا** »(٢) وشرعا : الامساك بنية عن الأكل والشرب وكل مفطر من طلوع الفجر الى غروب الشمس .

وهو الركن الرابع من أركان الاسلام .

وقد فرضه الله علينا ــ فى شهر رمضان ــ كما فرضه على الذين من قبلنا ، فى يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية من الهجرة .

وهو ثابت بالكتاب والسنة واجماع الأمة . قال تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** »(٣) وقال : « **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** »(٤)

وقال صلى الله عليه وسلم : « ان الاسلام بنى على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وحج البيت »(٥) .

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد كتبه علينا كما كتبه على الذين من قبلنا كما جاء فى الآية الكريمة التى تنص على هذا ، فالتشبيه

---

(١) البقرة : ١٨٧ (٢) مريم : ٢٦

(٣) البقرة : ١٨٣ (٤) البقرة : ١٨٥

(٥) أخرجه احمد والبخـ[illegible]ـى ومسلم .

فيها تشبيه فرضية بفرضية ، وان كان فى هذا التشبيه آراء للعلماء :
قال القرطبى فى بيان معنى قوله تعالى : **« كما كتب على الذين من قبلكم »** : قال الشعبى وقتادة وغيرهما : التشبيه يرجع الى وقت الصوم ، وقدر الصوم . فان الله كتب على قوم موسى وعيسى صوم رمضان فغيروا ، وزاد أحبارهم عليه عشرة أيام ، ثم مرض بعض أحبارهم فنذر ان شفاه الله أن يزيد فى صومهم عشرة أيام ففعل . فصار صوم النصارى خمسين يوما . فصعب عليهم فى الحر فنقلوه الى الربيع . واختار هذا القول النحاس وقال : وهو الأشبه بما فى الآية ، وفيه حديث يدل على صحته أسنده عن دغفل بن حنظلة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كان على النصارى صوم شهر فمرض رجل منهم ، فقالوا : لئن شفاه الله لنزيدن عشرة ، ثم كان آخر فأكل لحما فأوجع فاه فقالوا : لئن شفاه الله لنزيدن سبعة ، ثم كان ملك آخر فقالوا : لنتمن هذه السبعة أيام ، ونجعل صومنا فى الربيع . قال : فصار خمسين »[١] .

وقال مجاهد : « كتب الله عز وجل صوم شهر رمضان على كل أمــة » .

وفى تفسير « المنار » يقول الأستاذ محمد رشيد رضا :

« وقد كتب ـ يقصد الصوم ـ على أهل الملل السابقة فكان ركنا من كل دين ، لأنه من أقوى العبادات وأعظم ذرائع التهذيب وفى اعلام الله تعالى لنا بأنه فرضه علينا كما فرضه على الذين من قبلنا اشعار بوحدة الدين فى أصوله ومقصده ، وتأكيد لأمر هذه الفرضية وترغيب فيها » .

وقال نقلا عن أستاذه الامام محمد عبده :

« أبهم الله هؤلاء الذين من قبلنا ، والمعروف أن الصوم مشروع فى جميع الملل حتى الوثنية ، فهو معروف عند قدماء المصريين فى أيام وثنيتهم .

وانتقل منهم الى اليونان فكانوا يفرضونه لاسيما على النساء ، وكذلك الرومانيون كانوا يعنون بالصيام ، ولا يزال وثنيو الهند وغيرهم يصومون الى الآن .

---

(١) « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبى ج ٢ ص ٢٧٤

وليس فى أسفار التوراة التى بين أيدينا ما يدل على فرضيته ، وانما فيها مدحه ، ومدح الصائمين • وثبت أن موسى عليه السلام صام أربعين يوما ، وهو يدل على أن الصوم كان معروفا ومشروعا ومعدودا من العبادات ، واليهود فى هذه الأزمنة يصومون أسبوعا تذكارا لخراب أورشليم ويصومون يوما من شهر آب[١] » ••• الخ[٢] •

واذا كان الله تعالى قد اختص شهر رمضان بالصيام ، فلأنه هو الشهر الذى بدىء فيه بانزال القرآن ولما كان القرآن هو معجزة الرسول الكبرى ، وحجته للناس ، وهو منهاج السماء للانسانية جمعاء ، ودستور الله الى البشر كافة ، ناسب أن يكون اختصاص فرض الصيام برمضان شكرا لله على هذا الاحسان •

* * *

أركان الصيام

وللصيام ركنان تتركب منهما حقيقته :

١ ـ الامساك عن المفطرات ، من طلوع الفجر الى غروب الشمس • لقول الله تعالى : **« فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل »**[٣] •

والمراد بالخيط الأبيض ، والخيط الأسود : بياض النهار وسواد الليل • كما ورد فى حديث شريف رواه البخارى ومسلم •

٢ ـ النية : لقول الله تعالى : **« وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين »**[٤] وقوله صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ••• »[٥] •

وهى لغة : العزم ، وشرعا : الارادة المقارنة للفعل المسبوقة بعلم المنوى • وهى : أمر قلبى[٦] •

---

(١) اغسطس .

(٢) تفسير « المنار » ج ٢ ص ١٤٣ ، ١٤٤

(٣) البقرة : ١٨٧ — (٤) البينة : ٥

(٥) أخرجه البخارى ومسلم .

(٦) ولا عبرة باللسان ان خالف القلب ويقوم مقامها التسحر . ولو قال نويت صوم غد ان شاء الله تعالى صح استحبابا .

ولابد أن تكون قبل الفجر ، من كل ليلة من ليالى شهر رمضان لحديث حفصة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من لم يجمع[١] الصيام قبل الفجر فلا صيام له »[٢] •

وتصح فى أى جزء من أجزاء الليل ، ولا يشترط التلفظ بها فمن تسحر بالليل ، قاصدا الصيام وتقربا الى الله بهذا الامساك فهو ناو ، ومن عزم على الكف عن المفطرات أثناء النهار مخلصا لله ، فهو ناو كذلك وان لم يتسحر •

وقال كثير من الفقهاء : ان نية الصيام التطوع تجزىء من النهار ، وان لم يكن قد طعم •

قالت عائشة رضى الله عنها : « دخل على النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : هل عندكم شىء ؟ قلنا : لا • قال : فانى صائم »[٣] •

واشترط الأحناف أن تقع النية قبل الزوال ، وهذا هو المشهور من قولى الشافعى ، وظاهر قول ابن مسعود وأحمد :

أنها تجزىء قبل الزوال ، وبعده على السواء •

* * *

على من يجب

وقد أجمع العلماء على أنه يجب على المسلم العاقل البالغ ، الصحيح المقيم ، والمرأة الطاهرة من الحيض والنفاس •

وهذا معناه أنه لا يجب الصيام على كافر ، ولا مجنون ، ولا صبى ، ولا مريض ، ولا مسافر ، ولا حائض ، ولا نفساء ، ولا شيخ كبير ، ولا حامل ، ولا مرضع •

وبعض هؤلاء : لا صيام عليهم مطلقا ، كالكافر والمجنون • لأن الصيام عبادة اسلامية ، فلا تجب على غير المسلمين •

والمجنون غير مكلف لأنه مسلوب العقل الذى هو مناط التكليف •

---

(١) من الاجماع ، وهو احكام النية والعزيمة .

(٢) رواه احمد واصحاب السنن ، وصححه ابن خزيمة ، وابن حبان .

(٣) رواه مسلم وابو داوود .

وقد ورد فى حديث على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم »[١] .

أما الصبى : وان كان الصيام غير واجب عليه ، فانه يطلب من ولى أمره ، بل وينبغى أن يأمره به ، ليعتـاده من الصغر ، ما دام مستطيعا له ، وقادرا عليه . فقد ثبت عن الربيع بنت معوذ أنها قالت : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صبيحة عاشوراء ، الى قرى الأنصار : « من كان صائما فليتم صومه ، ومن كان أصبح مفطرا فليصم بقية يومه » ، فكنا نصومه بعد ذلك ، ونصوم صبياننا الصغار منهم ، ونذهب الى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن[٢] ، فاذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه اياها ، حتى يكون عند الافطار[٣] .

وأما الشيخ الكبير ، والمرأة العجوز ، والمريض الذى لا يرجى برؤه ، وأصحاب الأعمال الشاقة الذين لا يجدون متسعا من الرزق غير ما يزاولونه من أعمال ، فان هؤلاء جميعا يرخص لهم فى الفطر ، اذا كان الصيام يجهدهم ، ويشق عليهم مشقة شديدة فى جميع فصول السـنة .

وعليهم أن يطعموا عن كل يوم مسكينا — ان استطاعوا — وقدر ذلك بنحو صاع[٤] أو نصف صاع ، أو مد[٥] ، على خلاف فى ذلك ، ولم يأت من السنة ما يدل على التقدير .

يقول ابن عباس : رخص للشيخ الكبير أن يفطر ، ويطعم عن كل يوم مسكينا ولا قضاء عليه[٦] .

وروى البخارى عن عطاء أنه سمع ابن عباس رضى الله عنهما يقرأ : **« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين »**[٧] قال ابن عبـاس : ليست بمنسوخة ، هى للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة ، لا يستطيعان أن يصوما ، فيطعمان[٨] مكان كل يوم مسكينا .

---

(١) رواه أحمد ، وابو داوود ، والترمذى .
(٢) العهن : أى الصوف .
(٣) رواه البخارى .
(٤) الصاع : قدح وثلث .
(٥) المد : ربع قدح من قمح .
(٦) رواه الدارقطنى والحاكم وصححاه .
(٧) البقرة : ١٨٤
(٨) مذهب مالك وابن حزم أنه لا قضاء ولا فدية .

والحبلى والمرضع : اذا خافتا على أنفسهما ، أو أولادهما أفطرتا ، وعليهما الفدية ، ولا قضاء عليهما ، عند ابن عمر ، وابن عباس[١] .

وعن نافع أن ابن عمر سئل عن المرأة الحامل اذا خافت على ولدها فقال : تفطر ، وتطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من حنطة[٢] .
وفي الحديث : « ان الله وضع عن المسافر الصوم وشطر[٣] الصلاة ، وعن الحبلى والمرضع الصوم » .

وعند الأحناف وأبى عبيد وأبى ثور : أنهما يقضيان فقط ، ولا اطعام عليهما .

وعند أحمد ، والشافعي : أنهما ان خافتا على الولد فقط وأفطرتا فعليهما القضاء والفدية ، وان خافتا على أنفسهما فقط ، أو على أنفسهما وعلى ولدهما ، فعليهما القضاء ولا غير .

أما المريض الذى يرجى برؤه ، والمسافر .
فانه يجب عليهما القضاء . وفى ذلك يقول الله تعالى :
« فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر »[٤] .

وروى أحمد ، وأبو داوود ، والبيهقى ، بسند صحيح من حديث معاذ ، قال : « ان الله تعالى فرض على النبى صلى الله عليه وسلم الصيام ، فأنزل : **« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم »**[٥] الى قوله : **« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين »**[٦] فكان من شاء صام ، ومن شاء أطعم مسكينا فأجزأ ذلك عنه . ثم ان الله تعالى أنزل الآية الأخرى : **« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن »**[٧] الى قوله : **« فمن شهد منكم الشهر فليصمه »**[٨] فأثبت صيامه على المقيم الصحيح ، ورخص فيه للمريض والمسافر ، وأثبت الاطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام » .

---

(١) معرفة ذلك بالتجربة او باخبار الطبيب الثقة ، أو غلبة الظن .
(٢) رواه مالك والبيهقى ، والحنطة هى القمح .
(٣) أى نصف الصلاة ، والمراد صلاة القصر .
(٤) البقرة : ١٨٤   (٥) البقرة : ١٨٣
(٦) البقرة : ١٨٤   (٧) البقرة : ١٨٥
(٨) البقرة : ١٨٥

والمرض المبيح للفطر هو المرض الشـديد الذى يزيد بالصوم أو يخشى تأخر برؤه ، ويعرف هذا اما بتجربة أو باخبار طبيب ثقة أو بغلبة الظن •

وقد حكى عن بعض السلف : أنه أباح الفطر بكل مرض ، حتى من وجع الاصبع والضرس ، لعموم الآية فيه ، لأن المسافر يباح له الفطر ، وان لم يحتج اليه ، فكذلك المريض[1] والصحيح الذى يخاف المرض بالصيام ، يفطر مثل المريض ، وكذلك من غلبه الجوع والعطش ، ويخاف الهلاك : لزمه الفطر وان كان صحيحا مقيما ، وعليه القضاء •

وفى ذلك يقول تعالى : **« ولا تقتلوا أنفسكم ، ان الله كان بكم رحيمـا »**[2] ويقـول : **« وما جعل عليكم فى الدين من حرج »**[3] •

واذا صام المريض ، وتحمل المشقة ، صح صومه ، الا أنه يكره له ذلك ، لاعراضه عن الرخصة التى يحبها الله[4] وقد يلحقه بذلك ضرر •

وقد كان بعض الصحابة يصوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، وبعضهم يفطر ، متابعين فى ذلك فتوى الرسـول صلى الله عليه وسلم •

قال حمزة الأسلمى : يا رسول الله •• أجد منى قوة على الصوم فى السفر ، فهل على جناح[5] ؟ فقال : « هى رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه »[6] •

وقد اختلف الفقهاء فى أيهما أفضل :

فرأى أبو حنيفة ، والشافعى ، ومالك : أن الصيام أفضل لمن قوى عليه ، والفطر لمن لا يقوى على الصيام •

وقال أحمد : الفطر أفضل •

وقال عمر بن عبد العزيز : أفضلهما أيسرهما ، فمن يسهل عليه حينئذ ، ويشق عليه قضاؤه بعد ذلك ، فالصوم فى حقه أفضل •

وحقق الشوكانى ، فرأى أن من كان يشق عليه الصوم ويضره ،

---

(١) وهذا مذهب البخارى ، وعطاء ، وأهل الظاهر .

(٢) النساء : ٢٩ (٣) الحج : ٧٨

(٤) فقد ورد فى حديث شريف : « ان الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه » .

(٥) أى اثم . (٦) رواه مسلم .

كذلك من كان معرضا عن قبول الرخصة : فالفطر له أفضل ، وكذلك من خاف على نفسه العجب أو الرياء ، اذا صام فى السفر : فالفطر فى حقه أفضل • وما كان من الصيام خاليا من هذه الأمور ، فهو أفضل من الافطار •

واذا نوى المسافر الصيام بالليل ، وشرع فيه ، جاز له الفطر أثناء النهار ، فقد روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه :

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح فسار حتى بلغ كراع الغميم[1] ، وصام الناس معه ، فقيل له : ان الناس قد شق عليهم الصيام ، وانهم ينظرون فيما فعلت ، فدعا بقدح من ماء بعد العصر ، فشرب والناس ينظرون اليه ، فأفطر بعضهم ، وصام بعضهم ، فبلغه أن ناسا صاموا ، فقال : أولئك العصاة »[2] •

وأما اذا نوى الصوم ، وهو مقيم ، ثم سافر فى أثناء النهار فقد ذهب جمهور العلماء الى عدم جواز الفطر له ، وأجازه أحمد واسحاق •

لما رواه الترمذى وحسنه عن محمد بن كعب قال :

أتيت فى رمضان أنس بن مالك ، وهو يريد سفرا ، وقد رحلت له راحلته ، ولبس ثياب السفر ، فدعا بطعام فأكل ، فقلت له : سنة ؟ فقال : سنة • ثم ركب[3] •

وعن عبيد بن جبير قال : « ركبت مع أبى بصرة الغفارى فى سفينة من الفسطاط[4] فى رمضان ، فدفع ، ثم قرب غداءه ، ثم قال : اقترب ، فقلت : ألست بين البيوت ؟ فقال أبو بصرة : أرغبت عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم »[5] ؟

يقول الشوكانى : والحديثان يدلان على أن للمسافر أن يفطر قبل خروجه من الموضع الذى أراد السفر منه •

---

(١) اسم وادى أمام عسفان •

(٢) لانه عزم عليهم فابوا وخالفوا الرخصة — رواه مسلم والنسائى والترمذى وصححه •

(٣) وهذا الحديث ضعيف لأن فى سنده عبيد بن جعفر •

(٤) الفسطاط : مصر القديمة •

(٥) رواه أحمد وابو داوود ورجاله ثقات •

ويقول ابن العربى : وأما حديث أنس ، فصحيح ، يقتضى جواز الفطر مع أهبة السفر • وقال الشوكانى : وهذا هو الحق :

والسفر المبيح للفطر ، هو السفر الذى تقصر الصلاة بسببه • ومدة الاقامة التى يجوز للمسافر أن يفطر فيها ، وهى المدة التى يجوز له أن يقصر الصلاة فيها •

وأقل مسافة يباح فيها الفطر للمسافر ثلاثة أميال ، أى فرسخ (٥٥٦٥) مترا عند الظاهرية •

ومدة فطر المسافر : هى مدة السفر ، فللمسافر الفطر حتى يرجع الى وطنه أو ينوى الاقامة خمسة عشر يوما فأكثر بموضع واحد يصلح لاقامته عند الحنفيين والثورى والمزنى والليث بن سعد •

وقال الأئمة الثلاثة : المسافر اذا نوى اقامة أقل من أربعة أيام أفطر ، وان نوى اقامة أربعة أيام غير يومى الدخول والخروج صام • وأما من لم ينو الاقامة بل عزم على الرجوع الى بلده متى قضى حاجته فانه يفطر مدة انتظاره قضاء حاجته عند الحنفيين ومالك ، وأحمد ، كما روى أيضا عن الشافعى •

وأما الحائض والنفساء :

فقد اتفق الفقهاء على أنه يجب الفطر عليهما ، ويحرم عليهما الصيام ، واذا صاما لا يصح صومهما ، ويقع باطلا ، وعليهما قضاء ما فاتهما :

روى البخارى ، ومسلم ، عن عائشة ، قالت : « كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنؤمر بقضاء الصوم ، ولا نؤمر بقضاء الصلاة » •

* * *

التفريط فى رمضان

واذا كنا قد وقفنا على الأعذار التى تبيح الفطر فهذا معناه أن من أفطر رمضان من غير عذر ولا مرض عليه اثم كبير ، هذا بالاضافة الى احباط عمله وضياع ثوابه ••• وحسبه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الاسلام

من ترك واحدة منهن فهو كافر حلال الدم : شهادة أن لا اله الا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان »[١] •

ويذكر عن أبى هريرة رفعه : « من أفطر يوما من رمضان فى غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر وان صامه »[٢] •

وقال الذهبى فى « الكبائر » : وعند المؤمنين مقرر أن من ترك صوم رمضان بلا مرض ولا عرض أنه شر من المكاس والزانى ومدمن الخمر بل يشكون فى اسلامه ويظنون به الزندقة والانحلال • واذا كنا نرى فى هذا الزمان المريض من المتمسلمين والمتمسلمات من يأكل فى رمضان جهارا نهارا فى الشوارع والأسواق ، واذا كنا نرى المقاهى والمطاعم ودور اللهو واللعب ، وحانات الخمور ••• الخ ، وقد فتحت أبوابها على مصراعيها لاستقبال الخارجين على حدود الله ، المستهترين بدينهم •

فكل هذا يؤكد شيئا واحدا وهو أن هؤلاء وهؤلاء قد خلعوا لباس الحياء ، وتجردوا من الخلق الكريم •

واذا أصيب القوم فى أخلاقهم   فأقم عليهم مأتمـا وعويلا

* * *

وقد قرأت مقالا[٣] للأستاذ على الجندى تحت عنوان :

تأديب المفطـرين

يقول فيه : هناك أسباب مسوغة للافطار فصلها الفقهاء فى مظانها ، لأن الدين يسر لا عسر ، وصحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان ، كما تقضى الأحكام الشرعية •

ولكن مما يملأ النفس أسى ولوعة ، أن نرى بعض الشباب القوى المملوء صحة وعافية ، القادر على الصوم ، يفطر جهارا نهارا بلا حياء

---

(١) اخرجه ابو يعلى والديلمى بسند حسن وقال الذهبى : حديث صحيح •

(٢) اخرجه ابو داوود وابن ماجه والدارمى والبيهقى والدارقطنى وابن خزيمة •

(٣) « الوعى الاسلامى » العدد الخامس والأربعون ص ٥٢ السنة الرابعة

ولا خجل فى شهر رمضان ، ويتحدى الصائمين المخبتين ، ينفث الدخان فى وجوههم ، بالأماكن الضيقة ، وفى المجالس والسيارات الحافلة ! فكأنه لا يكفيهم أن يظهروا فى صورة الخارج على الدين ، الفاسق عن أمر ربه ، حتى يضموا الى ذلك ، التجرد من الحيـاء ، والتخلق بأخلاق المجان والخلعاء ! السادرين فى الغواية والضـلال ! وليتهم اذ أفطروا تستروا على أنفسهم تصونا من القحة والسفه ، عملا بالأثر : « رحم الله امرءا ذب الغيبة عن نفسه » .

ومثل هذا قل : فى بعض الشواب اللاتى يزدن على ذلك ، التبرج المقيت فى المعارض القصيرة المتبذلة ، الكاشفة عن الظهور ، والبطون ، والسيقان ، بل وبعض الأفخاذ !

وقد كان أبناء الأديان الأخرى فى الزمن السالف والى وقت قريب ، يوقرون شعور اخوانهم المسلمين ، فلا يطعمون ولا يشربون أمامهم !

ويروى بعض المؤرخين : أن أحد المجوس رأى ابنه يأكل فى رمضان فضربه ، وقال له : هلا حفظت حرمة المسلمين فى رمضان ؟!

وبعض هؤلاء كان يصـوم رمضان بالفعـل ، كالأديب العظيم أبى اسحاق الصابى ، مجاملة للمسلمين ، كما كان يحفظ القرآن أحسن حفظ !

ولم يتطرق الانحلال الى هذه العبادة النبيلة ، الا بعد أن رأى غير المسلمين أن المسلمين أنفسهم ، لا يرعون حرمة الصيام ! فكيف يرجون لهم وقارا ؟! .. وصدق الشاعر حيث يقول :

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها   هوانا لها كانت على الناس أهونا

ولم يكن أسلافنا ــ رضوان الله عليهم ــ يسكتون عن مثل هذه الجرأة الصارخة على انتهاك رمضان ! يحدث الكلبى عن عوانة .. قال : خرج النجاشى الشاعر فى أول يوم من شهر رمضان ، فمر بأبى سمال الأسدى وهو قاعد بفناء داره .. فقال له : أين تريد ؟ قال : أردت الكناسة[1] .

قال : هل لك فى رؤوس واليات[2] قد وضعت فى التنور من أول الليل ، فأصبحت قد أينعت وتهرأت !

---

(١) الكناسة : بضم الكاف موضع بالكوفة .

(٢) يقصد اللحم والشحم .

قال : ويحك ! أفى أول يوم من رمضان ؟

قال : دعنا مما لا نعرف !

قال : مه !

قال : أسقيك شرابا كالورس[١] ، يطيب النفس ، ويجرى فى العرق ، ويزيد فى الطرق[٢] ويهضم الطعام ، ويسهل للفدم[٣] .

فنزل فتغديا ، ثم أتاه بنبيذ فشربا[٤] .

فلما كان آخر النهار ، فضحهما الله — تبارك وتعالى — فعلت أصواتهما ، وكان لهما جار من شيعة الامام على — كرم الله وجهه — فأتاه بخبرهما .

فأرسل الامام اليهما قوما أحاطوا بالدار .. فأما أبو سمال فوثب على دار من دور بنى أسد فأفلت ، وأخذ النجاشى .

وفى الصباح أقامه الامام فى سراويل ، وضربه ثمانين سوطا ، ثم زاده عشرين .

ونقل ابن حزم : أنه أحضره ثانى يوم ، وجلده عشرين سوطا !

فقال النجاشى : يا أمير المؤمنين .. أما الحد فقد عرفته ، فما هذه العلاوة (يعنى العشرين) ؟

فقال الامام : لجرأتك على الله ، وافطارك فى شهر رمضان !

ثم أقامه فى سراويل للناس فجعل الصبيان يصيحون به : خزى النجاشى ! خزى النجاشى !

وأتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه برجل شرب الخمر فى رمضان ، فلما رفع اليه عثر الرجل ، فقال عمر : على وجهك ، ويحك .. وصبياننا صيام ! ثم أمر به فضرب ثمانين سوطا .

ثم سيره الى الشام .

وكان رضى الله عنه اذا غضب على انسان سيره الى الشام .

وفى عهد الملك الكامل الأيوبى ، كان يأمر فى رمضان باغلاق محلات الخمور فى القاهرة ، وجميع أنحاء البلاد ، واغلاق المطاعم والمقاهى نهارا ، وامساك البغايا والقيان .

---

(١) نبات كالسمسم لا يزرع الا باليمن ، تصبغ به الثياب .

(٢) الطرق : الوقاع .

(٣) الفدم : العى من الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم ، والأحمق الغليظ الجافى .

(٤) اى خمر .

وكان يذيع هذا النداء :

« يا أهل مصر .. قد أظلكم شهر مبارك ، من لم يصمه بغير عذر شرعى ، فقد باء بغضب الله عليه ! واستحق أشد أنواع العقاب واستهدف لغضبنا عليه وانزال أشد عقوبتنا به » .

وكان عند ثبوت الرؤية ، ينزل بنفسه فى أول يوم من رمضان ، لمباشرة الأسواق ، وتفقد أحوال الرعية ، فاذا صادف مفطرا وتبين أنه أفطر تهاونا بحرمة الشهر أمر بطرحه وضربه ضربا مبرحا .

وقد نص العلماء : على أن المفطر عمدا من غير عذر مع اعترافه بأن الصوم فرض : حُكمه أن يحبس حتى يتوب أو يظهر من آثار التوبة ما يعرف عنه .. أن توبته توبة نصوح .

ونصوا كذلك ، على أن المصر على ترك الصوم يقتل وان كان منعته[1] لا يسلمونه للحبس يقاتلون كما فى ترك الصلاة[2] .

ولو أكل عمدا شهرة بلا عذر يقتل .

قال الشرنبالى : « تعمد من لا عذر له الأكل جهارا يقتل لأنه مستهزىء بالدين أو منكر لما ثبت منه بالضرورة ولا خلاف فى حل قتله والأمر به » .

ويقول الصفورى من الشافعية : لو امتنع انسان من الصوم لغير حاجة حبس ومنع من المفطرات .

وكان سعيد بن المسيب يوجب فى قضاء رمضان صوم شهر عن كل يوم !

ونقل عن الأوزاعى امام الشام : أنه يجب فى قضاء رمضان ثلاثة آلاف يوم !

وهذا كله من التغليظ على منتهك حرمة هذا الشهر الكريم بلا مقتض . والا فالكفارة الشرعية على من له عذر معروفة .. الخ المقال .

* * *

(١) اى عشيرته .

(٢) كما جاء فى « شرح الدر » على المذهب الحنفى .

حكم من يبيع الطعام والشراب للمفطرين

ثم الى هؤلاء الذين يبيعون الطعام والشراب للمفطرين فى نهار رمضان أسوق اليهم هذه الفتوى التى أجاب عليها الامام الراحل فضيلة الشيخ أمين محمود خطاب السبكى ، وكان قد وجه اليه السؤال الآتى :

ما قولكم فيمن يفتح محلا للطعام والشراب ويبيع ذلك للمفطرين فى شهر رمضان ويقدم لهم ذلك فى محله نهارا . أيجوز ذلك أم هو حرام ؟ أفيدونا مأجورين . فأجاب عليه رحمة الله بقوله :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذى فرض على عباده الصيام ، وحرم على غير ذى العذر الافطار فى رمضان ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن اهتدى بهداه .

أما بعد .. فان الله تعالى فرض صيام شهر رمضان على المكلفه القادر الصحيح المقيم . والصيام ركن من أركان الاسلام قد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة واجماع الأمة . والفطر فيه بغير عذر من الكبائر ، وتقديم الطعام أو الشراب لمن لزمه الصيام حرام ، لما فيه من التعاون على المنكر .

قال الله تعالى : « **وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** »(١) وعلى كل مسلم أن ينهى المفطر فى رمضان بغير عذر عن الفطر والا كان شريكا له فى الاثم ويوشك الله أن يعم الكل بعـذاب .

وقال الله تعالى : « **لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بمـا عصوا وكانوا يعتـدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون** »(٢) وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان »(٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم »(٤) وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) المـائدة : ٢ (٢) المـائدة : ٧٨ ، ٧٩
(٣) اخرجه احمد ومسلم عن ابى سعيد الخدرى .
(٤) اخرجه البزار والخطيب والطبرانى فى « الأوسط » عن ابى هريرة .

قال : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعون فلا يستجاب لكم » .

فعلى أرباب المطاعم والمشارب والمقاهى اغلاقها نهارا فى رمضان ، ويحرم عليهم تقديم الطعام والشراب نهارا لأى مكلف بالصيام ، لما فى ذلك من التعاون على الاثم والعدوان والتهاون بأحكام الدين وترك النهى عن المنكر وفى تركه الضرر العام وانتشار المعاصى والتظاهر بها .

وقد ذهب جمهور العلماء الى أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وأنهم سيعذبون على تركها عذابا شديدا زائدا على عذاب الكفر . قال الله تعالى فى شأن أهل النار : **« ما سلككم فى سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين[1] »**[2] .

وعليه فيحرم على المسلم تقديم الطعام والشراب فى نهار رمضان للنصارى واليهود وغيرهم من الكفار فضلا عن المسلمين . وعلى ولاة الأمور أن ينتبهوا لهذا وأن يأخذوا على أيدى العابثين بأحكام الدين المفطرين فى رمضان المتجاهرين بالفسق والفجور خشية أن يعم الله الكل بالعذاب ، وكفى ما مضى من اهمال وتفريط حتى حل بنا ما حل وسلط الله تعالى علينا من لا يرحمنا ، ولا نجاة الا بالرجوع الى حظيرة الدين والعمل بأوامره والوقوف عند حدوده .

قال الله تعالى : **« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »**[3] .

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : انكم تقرأون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها : **« يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل اذا اهتديتم »**[4] وانا سمعنا النبى صلى الله عليه وسلم يقول :

« ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب »[5] .

وذلك أن الهداية لا تتحقق الا بالقيام بما كلفنا به ، ومنه الأمر والنهى ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يفقه الأمة فى دينها ، وأن يلهم

---

(١) اليقين : المراد فى الآية : الموت .

(٢) المدثر : ٤٢ ــ ٤٧

(٣) محمد : ٧

(٤) المائدة : ١٠٥

(٥) أخرجه أبو داوود والترمذى .

الجميع الرشد والصواب ، وأن يوفق الكل لتعرف أحكام الدين واتباع طريق سيد النبيين عليه وعلى آله الصلاة والسلام ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين »[1] .

* * *

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل صيام نهار رمضان فريضة فقد جعل :

قيام ليله تطوعا

وهذا دليل على أن قيام رمضان ليس فرضا وانما هو سنة كما أشار المصطفى صلى الله عليه وسلم الى هذا فى حديث آخر قال فيه بعد قوله : « فرض صيام رمضان وسننت قيامه »[2] ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يرغب أصحابه فى قيام رمضان كما ورد فى حديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه يقول فيه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة[3] ثم يقول : « من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »[4] .

قال الشوكانى : المراد قيام لياليه مصليا ويحصل بمطلق ما يصدق عليه القيام وليس من شرطه استغراق جميع أوقات الليل ، قيل : ويكون أكثر الليل .

* * *

وقال النووى : ان قيام رمضان يحصل بصلاة التراويح . يعنى أنه يحصل بها المطلوب من القيام لأن قيام رمضان لا يكون الا بها . و :

---

(١) هذا هو نص الفتوى التى نشرت فى رمضان سنة ١٣٦٠ هـ بالعدد الرابع من السنة الثالثة من مجلة « الاعتصام » ، وثابتة بالجزء الثامن من « الدين الخالص » ص ٢٩١ هامش طبعة ١٣٧٠ هـ ، ١٩٥٠ م .

(٢) الحديث أخرجه احمد والنسائى وابن ماجه .

(٣) اى بتحتيم وايجاب . قال الشوكانى : فيه تصريح بعدم وجوب القيام ، وقد فسره بقوله : « من قام ... » الخ ، فانه يقتضى الندب دون الايجاب .

(٤) رواه البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى . وزاد النسائى فى رواية أخرى : « وما تأخر » .

صلاة التراويح

سنة مؤكدة :

وقد رأيت اتماما للفائدة أن أسجل فى هذا الموضوع بحثا عظيما فى صلاة التراويح لفضيلة العالم العظيم الشيخ على حسن حلوة ــ مفتى الجمعية الشرعية السابق ــ عليه رحمة الله ، قال فيه بالحرف الواحد[١] :

رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قيام رمضان والتعبد فى لياليه فقال : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »[٢] .

والحكمة فى الترغيب فى قيام رمضان : رياضة الأرواح فى مدارسة القرآن بعد رياضتها بالصوم والتقرب الى الله سبحانه بكثرة الركوع والسجود .

وقد كان من هدى النبى صلى الله عليه وسلم أن يصليها كل ليلة فى بيته ولكنه خرج ليلة من ليالى رمضان وصلى فى المسجد وصلى بصلاته من علم بوجوده ، فلما كان فى الليلة الثانية اجتمع ناس يرجون خروجه للصلاة خلفه فلم يخرج صلى الله عليه وسلم اليهم ، ولما سئل قال : « انى خشيت أن تفرض عليكم » .

ثم كان من أمر المسلمين أن يصلوا فى المسجد جماعات متفرقة كل جمع خلف امام واستمر الأمر حتى جمعهم أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه على امام واحد حيث جمعهم على أبى بن كعب رضى الله عنه واستحسن هذا العمل لما فيه من جمع كلمة المسلمين واعلان ترابطهم .

عدد ركعاتها : الثابت من فعله صلى الله عليه وسلم أنه ما زاد فى رمضان ولا فى غيره عن احدى عشرة ركعة ، فقد قالت عائشة رضى الله عنها : « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد فى رمضان ولا فى غيره على احدى عشرة ركعة »[٣] ، ومنها الوتر .

وهذا هو المسنون المؤكد من فعله صلى الله عليه وسلم

---

(١) كما هو ثابت فى كتاب « محمد الرسول العظيم (ﷺ) وهديه فى رمضان » ص ٤٠ سلسلة الجمعية الشرعية . (٢) متفق عليه .

(٣) رواه البخارى ومسلم واحمد وابو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه ومالك .

ومضى الأمر على هذا فى حياته وعهد أبى بكر وجزء من خلافة عمر رضى الله عنهما •

فلقد جاء أبى بن كعب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله •• انه كان من الليلة شىء — يعنى فى رمضان — قال : « وما ذاك يا أبى » ؟ قال : نسوة فى دارى قلن انا لا نقرأ القرآن فنصلى بصلاتك فصليت بهن ثمان ركعات وأوترت فكانت سنة الرضا ولم يقل شيئا[1] •

وقال السائب بن يزيد : « كنا نقوم فى زمان عمر بعشرين ركعة والوتر »[2] •

وفى رواية عنه لمالك : أنهم كانوا يقومون فى رمضان بعشرين ويقرأون بالمئين من القرآن ، وأنهم كانوا يعتمدون على العصى فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه •

وفى رواية : باحدى عشرة • قال البيهقى : يجمع بين الروايتين بأنهم كانوا يقومون باحدى عشرة ثم قاموا بعشرين وأوتروا بثلاث •

ويفهم من هذا أن القراءة كانت طويلة حيث قال السائب : ويقرأون بالمئين وأن ذلك شق عليهم حيث كانوا يعتمدون على العصى فى صلاتهم ، فأرادوا الجمع بين كثرة ما يقرأ وبين تخفيف القيام فصلوا عشرين ركعة ليتمكنوا فيها من قراءة وردهم من القرآن ولا تعارض بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعل عمر فان العلماء قرروا أن الثابت من فعله صلى الله عليه وسلم وهو صلاة الثمانية هو السنة غير الوتر والباقى مستحب :

فقد نقل الزرقانى فى شرح « الموطأ » عن ابن حبان أن التراويح كانت أولا احدى عشرة ركعة وكانوا يطيلون القراءة ، فثقل عليهم فخففوا القراءة وزادوا فى عدد الركعات فكانوا يصلون عشرين ركعة غير الشفع والوتر بقراءة متوسطة ، ثم زاد أهل المدينة الصلاة الى ست وثلاثين ركعة غير الشفع والوتر •

وأرجع النووى السبب فى زيادة صلاة أهل المدينة الى أن أهل مكة كانوا يطوفون بالكعبة بين كل ترويحتين ولا يطوفون بعد الترويحة الخامسة ، فأراد أهل المدينة مساواتهم — أى فى الأجر — فجعلوا مكان

---

(١) اخرجه ابو يعلى والطبرانى بنحوه فى « الأوسط » بسند حسن •

(٢) اخرجه البيهقى بسند صحيح •

كل طواف أربع ركعات فزادوا بذلك على العشرين ست عشرة ركعة ٠
وقال الحافظ فى « الفتح » شرح البخارى : والجمع بين الروايات يمكن باختلاف الأحوال ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها ، فحيث تطول القراءة تقل الركعات وبالعكس ، قال : وبه جزم الداودى وغيره ٠ اذا علمت هذا أيها الأخ الكريم تعلم أن الكل كان حريصا على احياء ليل رمضان بالطاعة والاستزادة من قراءة القرآن ٠
ولا شك أن الثابت من فعله صلى الله عليه وسلم هو الأولى بالاتباع فهو أدعى الى الاطمئنان وقاطع لعذر من يخففون صلاة العشرين الى حد الاستهتار بها والضياع لها بحيث ينقرونها نقر الديكة ويقطعون الآية على الركعات تقطيعا يخل بآداب التلاوة ويحرم السامع والقارىء من ثمرة التدبر والمدارسة للقرآن الكريم ويخرجون منها بوزر المخالفة لأمره وفعله صلى الله عليه وسلم حيث قال : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » وهم لم يصلوا كصلاته ولم يفعلوا فعل أصحابه ، وانما زين لهم الشيطان السرعة فيها وبغض لهم الاطمئنان ، هدى الله الجميع للخير والثواب ٠٠ آمين ٠
والأفضل فى صلاتها ختم القرآن فى الشهر حتى يخرج المصلى بدرس كامل ووعى شامل لكتاب الله تعالى ٠
ومن أراد المزيد من الخير فصلى فى بيته ما تيسر له ، أخر صلاة الوتر ليختتم به قيام الليل لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « اجعلوا آخر صلاتكم وترا » ٠
وقال العالم الفاضل الأستاذ الكبير العامل الشيخ عبد اللطيف مشتهرى فى كتابه « مدرسة الصوم » :
وكان السلف يعتمدون على العصى من طول القراءة فى التراويح وما كانوا ينصرفون الا عند الفجر ، وبعضهم كان يختم القرآن فى قيام رمضان فى كل ثلاث ليال ، وبعضهم فى كل عشر — وكانوا فى زمن التابعين يقرأون بالبقرة فى قيام رمضان فى ثمان ركعات ، ويرون أن قراءتها فى اثنتى عشرة ركعة من التخفيف ، وكان لأبى حنيفة والشافعى ستون ختمة فى رمضان فى غير الصلاة — عن أبى يوسف وعلى العبدان وعبد الله ابن أسيد قالوا : كان أبو حنيفة يختم فى رمضان ستين ختمة — ختمة بالليل وأخرى بالنهار — وكان اذا دخل رمضان تفرغ لقراءة القرآن ، فاذا كان العشر الأواخر فقلما استطاع أحد أن يكلمه ، وكان مالك

اذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم ، وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف ، وكانوا يسمونه شهر القطيعة من الخلق والاقبال على الخالق ٠

فهذا كله يدل على أن المؤمن له فى شهر رمضان عدة أمور : جهاد بالنهار على الصيام ، وجهاد بالليل على القيام ، وتهذيب للنفس بالاكثار من تلاوة القرآن ، ورياضة لها بالجود والعطاء ، فمن جمع بين هذه الخصال الحميدة ، ووفى بحقوقها وصبر عليها ، وفاه الله أجره بغير حساب ٠

ولله در المرحوم الأستاذ محمد الأسمر شاعر الأزهر فلقد قال معبرا عن هذا :

رعى الله شهر الصوم ٠ أما نهاره ... فغافٍ ٠ وأما ليله فهو ساهر
وحيا رجالا حين لاح هلاله ... مشت بينهم مشى النسيم البشائر
بطان اذا ما الشمس أرخت قناعها ... خماص اذا ما أقبلت وهى سافر
خضوعا لمن فوق السموات عرشه ... ويعلم منهم ما تكن السرائر
هو (الله) فاعبده العبادة كلها ... اذا راح يلهو بالعبادة فاجر

وقال آخر :

جاء الصوم فجاء الخير أجمعه ... ترتيل ذكر وتحميد وتسبيح
فالنفس تدأب فى قول وفى عمل ... صوم النهار ، وبالليل التراويح



موسم الطاعات

واذا كنا قد وقفنا على أهم البركات والنفحات الرمضانية فهناك بركات أخرى ونفحات لا تقل أهمية عنها ، وقد أشار الرسول صلى الله عليه وسلم اليها فى نفس الخطبة بعد قوله : « ٠٠٠ شهر جعل الله صيام نهاره فريضة ، وقيام ليله تطوعا » فقال : « ٠٠٠ من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شىء ٠٠٠ » ٠

ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يخص رمضان من الطاعات بما لا يعمله فى غيره ، يكثر فيه من القربات ، فكان جوده يتضاعف وكان أجود ما يكون فى رمضان خصوصا عند لقاء جبريل ، فقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة »[١] .

فكان النبى صلى الله عليه وسلم يعنى بمدارسة القرآن فى رمضان ، وكيف لا ، ومن أجل القرآن شرع الصيام تكريما وشكرا فكان يعارض جبريل به ــ أى يقرأ ويسمع جبريل ، ثم يسمع من جبريل[٢] .

وكان يجتهد فى العشر الأواخر من رمضان بما لا يجتهد فى غيره[٣] .

وعن عائشة رضى الله عنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان اذ دخل الثلث الأخير من رمضان شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله[٤] .

وفى رواية ابن أبى عاصم عنها : طوى فراشه ، واعتزل النساء وجعل العشاء سحورا .

وعن أبى سعيد الخدرى أنه صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر الأول من رمضان ، ثم اعتكف العشر الأوسط فى قبة تركية[٥] ثم أطلع رأسه فقال : « انى اعتكفت العشر الأول ألتمس هذه الليلة ــ يعنى ليلة القدر ــ ثم اعتكفت العشر الأوسط ، ثم أتيت فقيل لى : انها فى العشر الأواخر ، فقد رأيت هذه الليلة ثم أنسيتها ، وقد رأيتنى أسجد فى ماء وطين من صبيحتها فالتمسوها فى العشر الأواخر والتمسوها فى الوتر منه » قال : ــ فمطرت السماء تلك الليلة ــ وكان المسجد

---

(١) رواه البخارى .
(٢) كما ثبت فى الصحيح عن فاطمة كريمته رضى الله عنها .
(٣) كما روى فى حديث رواه مسلم .
(٤) رواه البخارى .
(٥) خيمة صغيرة من لبود .

على عريش ، فبصرت عيناى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى جبهته أثر المـاء والطين من صبيحة احدى وعشرين[١] .

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم واصل الصيام[٢] فأراد أصحابه أن يواصلوا مثله ، فقال : « لا ، انى لست كهيئتكم ، انى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى »[٣] .

وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رجب قال : « اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان »[٤] .

وكان اذا رأى هلال رمضان قال :

« هلال رشد وخير ، هلال رشد وخير ، آمنت بالذى خلقك »[٥] .

وقال أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند السحور : « يا أنس .. انى أريد الصيام فأطعمنى شيئا » فأتيته بتمر واناء فيه ماء ، وذلك قبل الفجر بيسير ، فقال لى : « يا أنس .. انظر رجلا يأكل معى » فدعوت زيد بن ثابت فدخل وتسحر معه ثم قام فصلى ركعتين ثم خرج الى الصلاة[٦] .

وكذلك كان أصحابه الأجلاء عليهم جميعا رضوان الله يواسون الفقراء من افطارهم ، أو يؤثرونهم على أنفسهم ، ويطوون هم على الجـوع .

فقد روى أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يصوم ولا يفطر الا مع المساكين فاذا لم يجد ، أو منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة ، وكان اذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه للسائل ، فربما رجع فوجد أهله قد أكلوا ما بقى من الطعام فيصبح صائما وما أكل شيئا .

واشتهى بعضهم طعاما ، وكان صائما ، فأحضره بين يديه ليأكله عند الافطار ، فسمع سائلا يقول : من يقرض الملىء الوفى الغنى ؟ فقال

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) اى وصل صوم النهار بامساك الليل مع صوم الذى بعده .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه الطبرانى وغيره عن أنس .
(٥) رواه النسائى .
(٦) أخرجه النسائى .

على الفور : عبده المعدم من الحسنات ، ثم قام وأخذ الصحفة وأعطى ما فيها للسائل ، وبات طاويا .

وجاء سائل الى الامام الورع التقى أحمد بن حنبل وكان صائما ، فدفع اليه رغيفين كان قد أعدهما لفطره ، ثم طوى وأصبح صائما .

وقد ورد أنه كان فى بيت على بن أبى طالب رضى الله عنه خمس من الأنفس : على ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، والحارث[1] لم يذوقوا فى ليلتهم طعاما فباتوا ليلتهم على الطوى[2] .

وما أن أصبحوا حتى دفعت فاطمة رداءها الى على ليبيعه ويقتاتون بثمنه فباعه على رضى الله عنه بستة دراهم وبينما هو فى الطريق الى بيته لقى جماعة كاد الجوع يقتلهم فآثرهم بالستة دراهم على نفسه وزوجته وأولاده وأعطاهم اياها . وما أن تجاوزهم بخطوات حتى أقبل عليه رجل فى يده ناقة فألقى عليه السلام ثم قال :

يا أبا الحسن .. ألك فى شراء هذه الناقة ؟ قال على : أجل[3] لو كان معى ثمنها . قال الرجل : خذها نسيئة[4] وأد ثمنها حين يفتح الله عليك . قال على : بكم تبيعها ؟ قال : بمائة درهم ، فاشتراها على وأخذ بزمامها وذهب ، فقابله رجل آخر فقال له : أتبيع هذه الناقة يا أبا الحسن ؟ قال : نعم . قال : بكم اشتريتها ؟ قال : بمائة درهم . فقال له الرجل : أنا أشتريها منك بربح ستين درهما . فباعها له بعد أن دفع الرجل اليه المائة والستين درهما .

ثم ذهب بعد ذلك قاصدا بيته فلقيه الرجل الأول فقال لعلى : أين الناقة يا أبا الحسن ؟ قال : قد بعتها . قال : فأعطنى حقى اذن . فدفع اليه المائة وبقى معه الستون .

ثم هرول الى بيته وصب الدراهم فى حجر السيدة فاطمة الزهراء وقص عليها القصة قائلا : تاجرت مع الله بستة دراهم فأعطانى ستين لكل درهم عشرة دراهم . قالت السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها : لا نأكل من هذا المال حتى نعرض الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه بالقصة ، فابتسم صلوات الله وسلامه عليه ثم قال : « أبشر يا على .. تاجرت

---

(١) وهو الخادم .
(٢) اى وبطونهم خاوية .
(٣) اجل : اى نعم .
(٤) نسيئة : اى بثمن مؤجل .

مع الله فأربحك ، فالبائع جبريل ، والمشترى ميكائيل ، والناقة مركب فاطمة فى الجنة » ثم قال : « يا على .. أعطيت ثلاثا لم يعطها غيرك : لك زوجة سيدة أهل الجنة ، وولدان سيدا شباب أهل الجنة ، ولك صهر هو سيد المرسلين ، فاشكر الله على ما أعطاك واحمده فيما أولاك » .

فتذكر كل هذا وكن من الذين **« يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة[1] ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »**[2] . ولا سيما فى شهر رمضان المبارك الذى عرفت عنه ما عرفت .

ولا تنس قوله تعالى فى الحديث القدسى :

« أحب ثلاثا وحبى لثلاث أشد : أحب أهل السخاء ، وحبى للفقير السخى أشد ، وأحب المتواضعين ، وحبى للغنى المتواضع أشد ، وأحب التائبين ، وحبى للشاب التائب أشد .

وأبغض ثلاثا وبغضى لثلاث أشد : أبغض البخلاء وبغضى للغنى البخيل أشد ، وأبغض المتكبرين وبغضى للفقير المتكبر أشد ، وأبغض الفساق وبغضى للشيخ[3] الفاسق أشد » .

ولا تحتقر صدقة تصدقت بها مهما قلت فقد ورد فى الحديث الشريف : « رب درهم سبق ألف درهم » وفى القرآن الكريم يقول سبحانه : **« انا لا نضيع أجر من أحسن عملا »**[4] .

ولم يقل : أكثر عملا . فقد يكون العمل كثيرا ولا ثواب له وقد يكون قليلا ويقبله الله سبحانه وتعالى . ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى .. »[5] .

وكذلك لا تستكثر عملا من الأعمال التى تتقرب بها الى الله ، فقد ورد فى حديث شريف أن المحسن سيندم يوم القيامة عندما يجد ثواب أعماله الصالحة قائلا : ليتنى أكثرت من الأعمال الصالحة حتى يكون ثوابى أكثر وأكثر وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد يموت الا ندم » قيل : وما ندامته يا رسول الله ؟ قال :

---

(١) الخصاصة : اى الفقر .
(٢) الحشر : ٩ بلفظ « ويؤثرون » .
(٣) اى الرجل المسن الذى تجاوز سن الشباب .
(٤) الكهف : ٣٠ . (٥) حديث صحيح .

« ان كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد[١] احسانا ، وان كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع[٢] عن الذنوب » .

وحتى يتضح لك هذا المعنى الأخير اليك هذا الأثر :

روى أن أحد الصحابة مرض على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فسأل عنه يوما فقيل له : انه انتقل الى رحمة الله . فقال عليه الصلاة والسلام : « ألم يقل شيئا » ؟ فقيل له : انه حين أحس بالموت قال : ليتها كانت كثيرة .. ليتها كانت الجديدة .. ليته كان كاملا . فلم ندر ماذا يعنى بذلك . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « كان هذا الصحابى يسعى ذات يوم جمعة مهرولا الى المسجد فوجد فى الطريق رجلا ضريرا وليس معه من يقوده الى المسجد فأخذ بيده . وعند الموت رأى ثواب ذلك — أى ثواب الخطوات — فقال : ليتها كانت كثيرة ، وكان يسعى لصلاة الصبح فى يوم اشتد برده ، فوجد رجلا فى الطريق كاد أن يقتله البرد ، وكان يلبس حلتين[٣] احداهما جديدة والأخرى قديمة ، فأعطى الرجل القديمة ، وعند الموت رأى ثواب ذلك فقال : ليتها كانت الجديدة ، وفى أحد الأيام رجع الى داره فسأل امرأته عما لديها من طعام فقدمت له رغيفا من خبز الشعير ، فلما هم بتناوله اذا بطارق يطرق الباب ويقول : انى جائع ، فأعطاه نصف الرغيف ، وعند الموت رأى ثواب ذلك ، فقال : ليته كان كاملا » .

فاذا كان المتصدق كما رأيت سيندم وسيتمنى أن يكون قد أكثر من الصالحات وفعل الخيرات ، فما بالك اذن بالذى لم يقدم شيئا ينفعه : **« يوم ينظر المرء ما قدمت يداه »**[٤] .

فلا تنس كل هذا وتأمل قول الشافعى رضى الله عنه :

أحب للصائم الزيادة بالجود فى شهر رمضان اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولحاجة الناس فيه الى مصالحهم ، ولتشاغل كثير منهم فيه بالعبادة عن مكاسبهم .

وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم كما قرأت فى خطبته :

« ... من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتقا لرقبته من

---

(١) ذلك بالمسىء .
(٢) اى رجع .
(٣) اى كان يلبس جلبابين .
(٤) النبأ : ٤٠ .

النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء ... » .

واجعل نصب عينيك ما قاله يوسف عليه السلام عندما سئل : لم تصوم كثيرا وأنت على خزائن الأرض ؟ فقال : أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .



ثم اليك بعد هذا العرض السريع الذى كان لابد وأن نقف عليه حتى نعرف حقيقة رمضان ونقف على سر عظمته ما يوصينا الرسول صلى الله عليه وسلم به فى نهاية الخطبة حيث يقول :

* « واستكثروا فيه من أربع خصال ، خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غناء بكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم : فشهادة أن لا اله الا الله ، وتستغفرونه . وأما اللتان لا غناء بكم عنهما : فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار . ومن سقى صائما سقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة » .

كما قرأت سابقـا فى نص الوصية التى رواها ابن خزيمة فى صحيحه والبيهقى وابن حبان :

فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الوصية الأخيرة يوصينا بهذه الخصال الأربع التى لابد وأن نحرص على تحقيقها والفوز بها . فهذا خير عظيم كلنا فى أشد الحاجة اليه اغتناما لفرصة وجودنا فى هذه الحياة ولا سيما فى شهر رمضان المبارك ، وارضاءا لربنا خالقنا ورازقنا ، والمتفضل علينا بنعمه التى لا تحصى ولا تعد القائل فى محكم كتابه : « **وان تعـدوا نعمة الله لا تحصوها** »(1) والقـائل : « **وما بكم من نعمة فمن الله** »(2) .

وحتى تقف على أهمية الشهادة والاستغفار وتكثر منهما ارضاء لربك واسعادا لنفسك ، اليك هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جلس مجلسا كثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه

---

(1) النحل : ١٨ (2) النحل : ٥٣

ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك • الا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك »[١] •

عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : سبحان الله وبحمده ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت ، أستغفرك وأتوب اليك ، فقالها فى مجلس ذكر كان كالطابع يطبع عليه ، ومن قالها فى مجلس لغو كان كفارة له »[٢] •

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم ، وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل »[٣] زاد عبادة : « من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء »[٤] •

عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعاذ رديفه على الرحل قال : « يا معاذ بن جبل » قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ــ ثلاثا ــ قال :

« ما من أحد يشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار » قال : يا رسول الله •• أفلا أخبر به الناس فيستبشروا ؟ قال : « اذن يتكلوا » وأخبر بها معاذ عند موته تأثما[٥] »[٦] •

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مفاتيح الجنة شهادة أن لا اله الا الله »[٧] •

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج عليهم وهم فى صفة بالمدينة فقص عليهم رؤيا رآها فى منامه قال فى آخرها :

---

(١) رواه ابو داوود والترمذى واللفظ له والنسائى ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم وقال الترمذى : حديث حسن صحيح غريب .

(٢) رواه النسائى والطبرانى ورجالهما رجال الصحيح ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٣) اى ادخله الله الجنة حسب عمله ، او ايا كان عمله .

(٤) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ للبخارى .

(٥) اى خروجا من اثم كتمان العلم .

(٦) رواه البخارى ومسلم .

(٧) رواه احمد والبزار .

« ••• ورأيت رجلا من أمتى انتهى الى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا اله الا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة »[١] .

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يوصى بالاكثار من شهادة أن لا اله الا الله ، فيقول فى حديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه : « أكثروا من شهادة أن لا اله الا الله قبل أن يحال بينكم وبينها »[٢] .

وذلك لأن شهادة أن لا اله الا الله هى الاقرار بوحدانية الله سبحانه وتعالى التى لا معنى للعبادة الا بها ، فهى :

كلمة التوحيد التى بعث الله من أجلها الرسل ، وأنزل الكتب وجعلها فارقة بين الايمان والكفر ، وبين أهل السعادة ، وبين أهل الشقاوة ، وهى الأساس الذى لا يقبل الله من أحد عملا الا اذا بنى عليها ، وهى القطب الذى لا تدور رحى الشريعة الا به ، وهى زبدة رسالات الرسل وخلاصة دعوتهم ، ومفتتح كلامهم ، فما أرسل أحدا منهم الى قومه الا كان التوحيد أول ما يدعوهم اليه ، وهى كلمة التقوى التى ألزمها الله حزبه وأولياءه وحرم منها أعداءه .

وقد جمعت هذه الكلمة العظيمة التى هى عنوان الاسلام بين النفى والاثبات ، فنفت بصدرها الألوهية عن كل ما سوى الله عز وجل ، وأعلنت البراءة من كل معبود بلطل ، وأثبتت بعجزها الألوهية لله وحده ، ولهذا قالوا فى تفسيرها :

لا معبود بحق فى الوجود كله الا الله . فهى فى معنى قول مؤسس الحنيفية السمحة ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لأبيه وقومه : « اننى برآء مما تعبدون . الا الذى فطرنى فانه سيهدين »[٣] .

ولهذا كان من الحكمة حتى تكون من أهلها وتكثر من قولها أن أسوق اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله •• من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك

---

(١) من حديث صحيح . (٢) رواه أبو يعلى باسناد جيد قوى .
(٣) الزخرف : ٢٦ ، ٢٧

لمــا رأيت من حرصك على الحديث : أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال : لا اله الا الله خالصا من قلبه ــ أو نفسه »[١] .

عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة » قيل : وما اخلاصها ؟ قال : « أن تحجزه عن محارم الله »[٢] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما قال عبد : لا اله الا الله قط ملخصا ، الا فتحت له أبواب السماء حتى يفضى الى العرش ، ما اجتنبت الكبائر »[٣] .

عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وســـلم قال : « أفضل لذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله » .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جددوا ايمانكم » قيل : يا رسول الله .. وكيف نجدد ايماننا ؟ قال : « أكثروا من قول : لا اله الا الله »[٤] .

عن عمرو رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انى لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه فيموت على ذلك الا حرم على النار : لا اله الا الله »[٥] .

وأما عن الاستغفار : فهو طلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى الغفور الرحيم الذى يقول فى كتابه العزيز : **« وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى »**[٦] ويقــول : **« ان الله يغفر الذنوب جميعــا »**[٧] .

وقد رأيت وقبل أن تقرأ ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم فى فضل الاستغفار أن أقرأ معك أولا هذه الرسالة القدسية التى يخاطب

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط وفى الكبير ، الا انه قال : ان تحجزه عما حرم الله عليه .

(٣) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن غريب .

(٤) رواه أحمد والطبرانى ، واسناد أحمد حسن .

(٥) رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما وروياه بنحوه .

(٦) طه : ٨٢ (٧) الزمر : ٥٣

الله سبحانه وتعالى فيها عباده الآبقين كما ورد فى صحف ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام يقول فيها سبحانه وتعالى : « من العزيز الحميد الى من أبق[1] من العبيد :

سلام عليكم .. هذه رسالتى اليكم بما اختصصتكم به من نور العلم وذكاء الفهم :

فأول ذلك أنى أخرجتكم من العدم الى الوجود ، واخترت لكم الجود ، وأنشأت لكم الأسماع فسمعتم ، والأبصار فأبصرتم ، والألسنة فنطقتم ، والقلوب فعلمتم ، والعقول ففهمتم ، وأشهدتكم على أنفسكم لى بالوحدانية فشهدتم ، وعند الاقبال أدبرتم ، وبعد الاقرار أنكرتم ، ونقضتم عهودنا ، فلا يوحشنكم ذلك منا .

فان عدتم عدنا ، وزدنا فى الكرم وجدنا ، فمن عثر أقلنا ، ومن تاب قبلنا ، ومن نسى ذكرنا ، ومن عمل قليلا شكرنا . نعطى ونمنح ، ونجود ونسمح ، ونعفو ونصفح ، كرمنا مبذول ، وسترنا مسبول .

عبدى .. انظر الى السماء وارتفاعها ، والشمس وشعاعها ، والأرض وأقطارها ، والبحار وأمواجها ، والفصول وأزمانها ، والأوقات واتيانها ، وما هو ظاهر وكامن ، ومتحرك وساكن ، ومستيقظ وراقد ، وراكع وساجد ، وما غاب وما حضر ، وما خفى وما ظهر ، الكل يشهد بجلالى ، ويقر بكمالى ، ويعلن عن ذكرى ، ولا يغفل عن شكرى .

عبدى .. أذكرك وتنسانى ، وأسترك ولا ترعانى ، لو أمرت الأرض لابتلعتك من حينها ، أو البحار لأغرقتك فى معينها ، ولكن أحميك بقدرتى وأمدك بقوتى ، وأؤجلك الى أجل أجلته ، ووقت وقته ، فوعزتى وجلالى ، لابد لك من الورود على ، والوقوف بين يدى ، أعدد عليك أعمالك ، وأذكرك أفعالك ، حتى اذا أيقنت بالبوار ، وقلت لا محالة أنك من أهل النار ، والبيتك غفرانى ، ومنحتك رضوانى ، وغفرت لك الأوزار وقلت لك لا تحزن ، فمن أجلك سميت نفسى : الغفار » .

ومن الأحاديث الشريفة التى ترغبك فى الاستغفار وسرعة العودة الى الله سبحانه وتعالى قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) الآبق : اى الهارب ، والمراد : الهارب من طاعة الله تعالى الى معصيته .

قال : « قال ابليس : وعـزتك لا أبرح أغوى عبـادك ما دامت أرواحهم فى أجسادهم . فقال : وعزتى وجلالى لا أزال أغفر لهم ما استغفرونى »[١] .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على دائكم ودوائكم ؟ ألا ان داءكم الذنوب ودواءكم الاستغفار »[٢] .

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب »[٣] .

عن عبد الله بن بسر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طوبى[٤] لمن وجـد فى صحيفته اسـتغفارا كثيرا »[٥] .

عن الزبير رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار »[٦] .

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان للقلوب صدأ كصدأ النحاس وجلاؤها الاستغفار »[٧] .



ولهذا ومن أجل كل هذا يوصينا المصطفى صلى الله عليه وسلم بالاكثار من شهادة أن لا اله الا الله ، وطلب المغفرة منه سبحانه وبصفة خاصة فى شهر رمضان المبارك الذى : « أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار » كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى نفس الخطبة التى ندور حولها .

هذا بالاضافة الى أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن أوصانا بالاكثار من هاتين الخصلتين ارضاءا لربنا ، يوصينا بعد ذلك بخصلتين

---

(١) رواه احمد والحاكم من طريق دراج ، وقال الحاكم : صحيح الاسناد .

(٢) رواه البيهقى .

(٣) رواه ابو داوود والنسائى وابن ماجه والحاكم والبيهقى ، وقال الحاكم : صحيح الاسناد .

(٤) أى العاقبة الطيبة .

(٥) رواه ابن ماجه باسناد صحيح والبيهقى .

(٦) رواه البيهقى باسناد لا بأس به .

(٧) رواه البيهقى .

لا غناء بنا عنهما وهما : « فتسألون الجنة ، وتعوذون به من النار » •

وحتى تلح فى طلب الجنة من الله سبحانه وتسأله أن يجعلك من أهلها والمتمتعين بما فيها من النعيم المقيم ، والحور العين ، والولدان ، ولحم الطير ، والفواكه والأنهار الجارية من المـاء ، واللبن ، والعسل والخمر ، والسرر ، والحرير والذهب ، ومالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، اليك ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنها :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله •• الجنة ما بناؤها ؟ قال : « لبنة من فضة ولبنة من ذهب ، وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وترابها الزعفران ، من دخلها ينعم ولا يبؤس[1] ، ويخلد ولا يمـوت ، لا تبلى ثيـابهم ، ولا يفنى شـبابهم »[2] •

عن أسامة بن زيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لأصحابه : « ألا مشمر للجنة ؟ فان الجنة لا خطر لها ، هى ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وفاكهة كثيرة نضجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة فى مقام أبدا فى حبرة[3] ونضرة[4] فى دور عالية سليمة بهية » •

قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله • قال : « قولوا ان شاء الله » ثم ذكر الجهاد وحض عليه[5] •

عن حسان بن عطية قال : حدثنى سـعيد بن المسيب أنه لقى أبا هريرة فقال أبو هريرة : أسأل الله أن يجمع بينى وبينك فى سوق الجنة • قال سعيد : أو فيها سوق ؟ قال : نعم ، أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسـلم أن أهل الجنة اذا أدخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ، فيؤذن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا ، فيزورون الله عز وجل ، ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم فى روضة من رياض الجنة ،

---

(١) اى لا يحزن •

(٢) اخرجه احمد والدارمى والبزار وابن حبان والترمذى •

(٣) الحبرة : النعمة وسعة العيش •

(٤) النضرة : البهجة والحسن •

(٥) اخرجه ابن ماجه وابن حبان •

فتوضع لهم منابر من نور ، ومنابر من لؤلؤ ، ومنابر من ياقوت ، ومنابر من زبرجد ، ومنابر من ذهب ، ومنابر من فضة ، ويجلس أدناهم — وما فيهم أدنى — على كثبان المسك والكافور ، ما يرون أن أصحاب الكراسى بأفضل منهم مجلسا ، قال أبو هريرة : قلت يا رسول الله .. هل نرى ربنا ؟ قال : نعم ، هل تتمارون[1] فى رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ؟ قلنا : لا . قال : كذلك لا تتمارون فى رؤية ربكم عز وجل . ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد الا حاضره[2] الله عز وجل محاضرة حتى انه يقول للرجل منكم : ألا تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا ؟ يذكره بعض غدراته فى الدنيـا ، فيقول : يا رب .. أفلم تغفر لى ؟ فيقول : بلى ، فبسعة مغفرتى بلغت منزلتك هذه ، فبينما هم كذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط . ثم يقـول :

قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة ، فخذوا ما اشتهيتم . قال : فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة ، فيه ما لم تنظر العيون الى مثله ، ولم تسمع الآذان ، ولم يخطر على القلوب ، قال : فيحمل لنا ما اشتهينا ، ليس يباع فيها شىء ولا يشترى .

وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا . فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه — وما فيها دنىء — فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضى آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه . وذلك أنه لا ينبغى لأحد أن يحزن فيها . ثم ننصرف الى منازلنا ، فتتلقانا أزواجنا فيقلن : مرحبا وأهلا .. لقد جئت وان بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه . فنقول : انا جالسنا ربنا الجبار عز وجل ويحقنا أن ننقلب[3] بمثل ما انقلبنا[4] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء اضاءة ، لا يبولون ، ولا يتغوطون ،

---

(١) اى هل تشكون .

(٢) المراد بالمحاضرة : كشف الحجاب عن أهل الجنة كلهم للرؤية بدون واسطة .

(٣) اى نرجع .

(٤) أخرجه ابن ماجه والترمذي وقال : غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه ، وفيه عبد الحميد كاتب الأوزاعى مختلف فيه ، وبقية رجاله ثقات .

ولا يتفلون ، ولا يتمخطون ، أمشاطهم الذهب ، ورشحهم[١] المسك ، ومجامرهم[٢] الألوة[٣] ، أزواجهم الحور العين ، على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا فى السماء »[٤] .

فهذه يا أخى هى الجنة التى : « **أعدت للمتقين** »[٥] ، ولمن : « **خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى** »[٦] فسل الله سبحانه وتعالى أن يجعلك منهم حتى تكون معهم « **فى جنات ونهر • فى مقعد صدق عند مليك مقتدر** »[٧] وحتى تكون من الذين تحدث الله عنهم فى قوله : « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا • خالدين فيها لا يبغون عنها حولا** »[٨] « **أولئك هم الوارثون • الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** »[٩] .

واحذر أن يرثك غيرك فقد ورد :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد الا له منزلان ، منزل فى الجنة ، ومنزل فى النار ، فاذا مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله تعالى : « **أولئك هم الوارثون** »[١٠] .

ولا تنس قوله تعالى : « **تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا** »[١١] وما رواه الطبرى فى تفسيره ــ عبرة الاسراء والمعراج ــ وهو : « أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر فى ليلة الاسراء والمعراج على واديين فى أحدهما الجنة بغرفها وحسنها ، وفى ثانيهما النار بشرها وحرها • وقد قالت الجنة : يا رب •• ائتنى ما وعدتنى ، فقد كثرت

---

(١) العرق .
(٢) ما يوضع فيه النار والبخور .
(٣) العود الذى يتبخر به .
(٤) اخرجه احمد والشيخان والترمذى وابن ماجه .
(٥) آل عمران : ١٣٣
(٦) النازعات : ٤٠ بلفظ « **واما من خاف مقام ربه** ••• » .
(٧) القمر : ٥٤ ، ٥٥
(٨) الكهف : ١٠٧ ، ١٠٨
(٩) المؤمنون : ١٠ ، ١١
(١٠) اخرجه ابن ماجه .
(١١) مريم : ٦٣

غرف ، وحريرى واستبرقى ، وسندسى ، وعبقريى ، ولؤلؤى ، ومرجانى ، وفضتى ، وذهبى وصحافى ، وأكوابى ، وأباريقى ، وأكؤسى ، وعسلى ، ومائى ، ولبنى ، وخمرى ، فائتنى ما وعدتنى •

فقال الله عز وجل : لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ، ومن آمن بى وبرسولى ، وعمل صالحا ولم يشرك بى شيئا ، ولم يتخذ من دونى أندادا ، ومن خشينى فهو آمن ، ومن سألنى أعطيته ، ومن أقرضنى جزيته ، ومن توكل على كفيته ، انى أنا الله لا اله الا أنا لا أخلف الميعاد ، قد أفلح المؤمنون ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، فقالت : قد رضيت •

وأما جهنم فقالت : رب ائتنى ما وعدتنى • فقد كثرت سلاسلى ، وأغلالى ، وسعيرى ، وضريعى ، وغساقى ، وقد بعد غورى واشتد حـرى •

فقال الله عز وجل : لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل خبيث وخبيثة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب • فقالت : قد رضيت » •

حتى لا تكون من هؤلاء الغافلين الذين يرجون رحمة الله تعالى بدون عمل •

وحسبك ما ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قال الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » •

قال أبو هريرة : اقرأوا ان شئتم : « **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين** »[١] •

وفى حديث قدسى أيضا ، يقول الله تعالى :

« ما أقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل ، كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى » • •

فتذكر كل هذا ولاحظه عسى أن تكون بصلاحك وتقواك من الذين « **كانت لهم جنات الفردوس نزلا** »[٢] •

---

(١) أخرجه السبعة الا ابا داوود وزاد البخارى فى رواية : وقال محمد ابن كعب : انهم أخفوا الله عملا فأخفى لهم ثوابا ، فلو قدموا عليه ، اقر تلك الأعين — (والآية من سورة السجدة : ١٧) .

(٢) الكهف : ١٠٧

واستعذ بالله سبحانه وتعالى من النار وسل الله سبحانه وتعالى أن يجيرك منها • وحتى تتصور بشاعتها اليك هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ناركم هذه التى توقدون جزء واحد من سبعين جزءا من حر جهنم » قالوا : والله ان كانت لكافية يا رسول الله • قال : « فانها فضلت بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها »(١) •

عن عتبة بن غزوان أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاما ما تفضى الى قرارها » •

وقال : وكان عمر رضى الله عنه يقول : « أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وان قعرها بعيد وان مقامعها حديد »(٢) •

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم ، فكيف بمن يكون طعامه »(٣) ؟

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول : انى وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد ، وبكل من دعا مع الله الها آخر ، وبالمصورين »(٤) •

عن النعمان بن بشير أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار ، يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وانه لأهونهم عـذابا »(٥) •

واعلم أن النار موجودة الآن •

وأنه لن يخلد فيها موحد ولو ارتكب الكبائر وفاء بوعده تعالى فى قوله :

---

(١) اخرجه أحمد والشيخان والترمذى وقال : حسن صحيح •

(٢) اخرجه الترمذى •

(٣) اخرجه أحمـد والنسائى وابن ماجه والحاكم والترمذى وقال : حسن صحيح •

(٤) اخرجه الترمذى وقال : حسن صحيح غريب •

(٥) اخرجه الشيخان والترمذى •

« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »[١]
« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره »[٢] .

وقد ورد من حديث أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيخرجون منها قد اسودوا ، فيلقون فى نهر الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل ألم تر أنها صفراء ملتوية »[٣] .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يخرج من النار من قال : لا اله الا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال : لا اله الا الله وفى قلبه وزن برة[٤] من خير ، ويخرج من النار من قال : لا اله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير »[٥] .

فلا تيأس من رحمة الله تعالى مهما كانت ذنوبك ما دمت من الموحدين الذين رسخ الايمان فى قلوبهم فكانوا من العارفين بالله .

وحسبى حتى يتضح لك هذا المعنى أن أسوق اليك هذا الحديث الشريف الذى يروى أن أبا طويل شطب المحدود أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

« أرأيت من عمل الذنوب كلها[٦] ، ولم يترك منها شيئا ، وهو فى ذلك لم يترك حاجة ولا داجة[٧] الا أتاها ، فهل لذلك من توبة[٨] ؟ قال : فهل أسلمت ؟ قال : أما أنا فأشهد أن لا اله الا الله ، وأنك رسول الله . قال : تفعل الخيرات وتترك السيئات[٩] فيجعلهن

---

(١) النساء : ٤٨ ، ١١٦ (٢) الزلزلة : ٧

(٣) اخرجه البخارى ومسلم والنسائى .

(٤) اى قمحة .

(٥) اخرجه احمد والبخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه والترمذى وقال : حسن صحيح .

(٦) يعنى زنا وسرق وقتل ... الخ .

(٧) الحاجة : اى الصغيرة ، الداجة : اى الكبيرة .

(٨) يعنى اذا تاب يقبل الله توبته .

(٩) اى افعل كل ما يحبه الله من خير واهجر السيئات التى نهى عنها .

الله لك خيرات كلهن[١] • قال : وغدراتى[٢] وفجراتى ؟ قال : نعم • قال : الله أكبر ، فما زال يكبر حتى توارى[٣] »[٤] •

وهذا الحديث الآخر :

عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار[٥] ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل[٦] حتى تطلع الشمس من مغربها[٧] »[٨] •

واعلم أنه اذا كانت التوبة واجبة فهناك ما هو أوجب منها ألا وهو الاقلاع عن الذنب ، والا « فتوبتنا تحتاج الى توبة ، واستغفارنا يحتاج الى استغفار »[٩] •

وقد قرأت أن الشافعى رضى الله عنه سئل ذات يوم عن ثمانية أمور : واجب ، وأوجب •• وعجيب ، وأعجب •• وصعب ، وأصعب •• وقريب ، وأقرب ••

فكان جوابه عليه رضوان الله :

من واجب الناس أن يتوبوا ... لكن ترك الذنوب أوجب
والدهر فى صرفه عجيب ... وغفلة الناس عنه أعجب
والصبر فى النائبات صعب ... لكن فوات الثواب أصعب
وكل ما ترتجى قريب ... والموت من دون ذاك أقرب

فتأمل ما قاله الشافعى ، وأيضا قول القائل :

عجبت من عاقل لبيب ... يذهب بالفانيات عمره
ويبذل المال فى متاع ... يفنى ويبقى عليه حسره
بين يديه الغداة نار ... ما يتقيها بشق تمره

---

(١) اى يبدل الله سيئاتك حسنات كما وعد بذلك فى كتابه العزيز .
(٢) جمع غدرة وهى الخيانة . (٣) اى اختفى عن الأنظار .
(٤) رواه البزار والطبرانى واللفظ له واسناده جيد قوى .
(٥) اى ليتمكن من أساء النهار من التوبة والرجوع الى الله فيقبل الله توبته ويغفر ذنبه .
(٦) اى يعطى الفرصة كذلك لمن أساء ليلا حتى يتوب من ذنبه .
(٧) اى حتى تجىء الآية العظيمة وهى طلوع الشمس من مغربها فحينئذ يغلق باب التوبة ولا يقبل ايمان من كافر ولا احسان من مسىء .
(٨) رواه مسلم والنسائى . (٩) كما قال احد الصالحين .

والقـــائل :

اذا مد الصراط على الجحيم تصول على العصاة وتستطيل
فقوم فى الجحيم لهم ثبور وقوم فى الجنان لهم مقيل
وبان الحق وانكشف المغطى وطال الويل واتصل العويل

واحرص على أن تكون من سكان الخلد الذين تحدث الله عنهم فى قـــوله : « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية • جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه** »[١] وإياك أن تكون من **« شر البرية »**[٢] .

وكن متضرعا الى الله سبحانه وتعالى فى شـــهر الصيام قائلا : « اللهم أسألك الجنة ، اللهم أجرنى من النار » وأكثر من هذا الدعاء المحمدى وأنت موقن بالاجابة لأنه ثبت :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين »[٣] .

وفى رواية أخرى : « ثلاثة حق على الله أن لا يرد لهم دعوة : الصائم حتى يفطر ، والمظلوم حتى ينتصر ، والمسافر حتى يرجع »[٤] فهذه بشرى أرجو أن تكون أهلا لها ، هذا بالاضافة الى أنه سيشفع لك يوم القيامة :

فقد ورد عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى عليه وسلم قال : « الصيام والقرآن يشفعان[٥] للعبد يوم القيامة ،

---

(١) البينة : ٧ ، ٨ (٢) البينة : ٦

(٣) رواه أحمد فى حديث ، والترمذى وحسنه ، واللفظ له ، وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما الا انهم قالوا : « حتى يفطر » والمعنى على هذه الرواية : أن دعوة الصائم تستجاب فى جميع لحظات صيامه حتى يفطر من الليل ولا يكون ذلك مخصوصا بوقت الافطار .

(٤) رواه البزار .

(٥) أى يطلبان من الله عز وجل أن يتجاوز عنه ويدخله الجنة .

يقول الصيام : أى رب .. منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه[١] ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه . قال : فيشفعان »[٢] أى باذن الله سبحانه وتعالى لهما أن يشفعا فيه لأن الشفاعة لا تكون الا باذن الله تعالى فهو القائل سبحانه : « **من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه** »[٣] .

وأيضا لابد وأن يكون المشفوع له أهلا للشفاعة وفى ذلك يقول سبحانه : « **ولا يشفعون الا لمن ارتضى** »[٤] .

فلاحظ كل هذا وضعه نصب عينيك حتى يكون سبيلا لك الى رحمة الله تعالى يوم العرض الأكبر .

واحرص كذلك على أن تكون من الذين سيردون حوض الرسول صلى الله عليه وسلم : وذلك باطعامك وعطفك على الصائم الفقير بحسب استطاعتك وامكانياتك ، وتستطيع ذلك كما أشار الرسول صلى الله عليه وسلم فى آخر خطبته التى بين أيدينا : ولو بشربة ماء ، أو مذقة لبن[٥] .

وهذا الحوض : طوله مسيرة شهر ، مربع الشكل ، له ميزابان يصبان فيه من الكوثر : ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، كيزانه أكثر من نجوم السماء ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا ظمأ ألم ، ولو دخل النار يعذب بغير العطش . ويكون شربه منه أو من غيره كالتسنيم[٦] بعد ذلك لمجرد اللذة . يرده الأخيار ، وهم المؤمنون بالنبى صلى الله عليه وسلم الآخذون بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، ويطرد عنه الكفار والمبتدعة الآخذون بالتحسين والتقبيح العقليين ، وكل من تعامل بالربا أو جار فى الأحكام ، أو أعان ظالما ، أو جاوز حدا من حدود الله تعالى وقد ورد فى هذا :

---

(١) يعنى أن القرآن كان سببا فى حرمانه من لذيذ الطعام وقربان النساء .

(٢) رواه احمد والطبرانى فى « الكبير » ورجاله محتج بهم فى الصحيح ، ورواه ابن ابى الدنيا فى كتاب « الجوع » وغيره باسناد حسن ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٣) البقرة : ٢٥٥ (٤) الأنبياء : ٢٨

(٥) وهو اللبن الممزوج بالماء .

(٦) قال تعالى : « **ومزاجه من تسنيم . عينا يشرب بها المقربون** » (المطففين : ٢٧ ، ٢٨)

عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لكل نبى حوضا ، وانهم يتباهون أيهم أكثر واردة ، وانى أرجو أن أكون أكثرهم واردة »(١) .

عن ابن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « حوضى مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، وماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من يشرب منه فلا يظمأ أبدا »(٢) .

عن أنس رضى الله عنه قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، اذ أغفى اغفـاءة(٣) ثم رفع رأسه ضاحكا . فقيل : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : « نزلت على سورة آنفا » فقرأ : « **بسم الله الرحمن الرحيم ، انا أعطينـاك الكوثر** » حتى ختمها . قال : « أتدرون ما الكوثر » ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « انه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير ، وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد نجوم السماء ، فيختلج العبد منهم فأقول : ربى انه من أمتى . فيقول : ما تدرى ما أحدث بعدك »(٤) .

ولهذا قيل : ان الكوثر هو الحوض ، والمشهور عند السلف والخلف أنه نهر فى الجنة أعطاه الله النبى صلى الله عليه وسلم .

وقد ورد فى هذا :

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الكوثر نهر فى الجنة ، حافتاه الذهب ، والمـاء يجرى على اللؤلؤ ، وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل »(٥) .

وقد صحح الغزالى أن الحوض قبل الصراط ، وكذلك القرطبى الذى قال : ان المعنى يقتضيه ، فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فناسب تقديمه ، وأيضا فان من جاز الصراط لا يتأتى طرده من الحوض فقد كملت نجاته .

واذا كان هناك رأى للقاضى عياض عكس هذا فانه يمكن الجمع بأن يكون الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم ، وبعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب حتى يذهبوا منها على الصراط .. فالواجب علينا

---

(١) اخرجه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .
(٢) اخرجه البخارى ومسلم . (٣) أى نام نومة .
(٤) اخرجه البخارى ومسلم .
(٥) اخرجه احمد وابن ماجه والترمذى وقال : حسن صحيح .

اعتقاد أن للنبى صلى الله عليه وسلم حوضا تعدد أو اتحد ، تقدم على الصراط أو تأخر •

فاذكر كل هذا وكن حريصا على ورود هذا الحوض والشرب منه حتى لا تحرم من الخير الكثير الذى سيكون نتيجة لما قدمته يداك من أعمال الخير ، والذى أشار الله سبحانه وتعالى اليه فى قوله :

« كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم[1] فى الأيام الخالية »[2]

وحتى تكون حريصا كل الحرص على شربك من الحوض ولا تطرد بعيدا عنه كما يذاد البعير الضال ، اليك أيضا هذا الحديث الصحيح :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، وددت لو أنا قد رأينا اخواننا • قالوا : أو لسنا اخوانك يا رسول الله ؟ قال : أنتم أصحابى ، واخواننا الذين لم يأتوا بعد •• قالوا : كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ قال : أرأيت او أن رجلا له خيل غرمحجلة بين ظهرى خيل دهم بهم[3] ألا يعرف خيله ؟ قالوا : بلى يا رسول الله • قال : فانهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم[4] على الحوض ، ألا ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال أناديهم : ألا هلم ، فيقال :

« انهم بدلوا بعدك • فأقول : سحقا[5] سحقا »[6] •

* * *

جعلنى الله تعالى واياك وجميع المسلمين والمسلمات من الصائمين القائمين الذين يعرفون قيمة هذا الشهر ويغتنمون كل لحظة فيه حتى نكون من العتقاء من النار فى أى ليلة من لياليه المباركة فقد ورد فى الحديث الشريف :

« اذا كانت أول ليلة من رمضان نادى مناد : يا باغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة »[7] •

والله ولى التوفيق •

---

(١) أى بما قدمتم من اعمال صالحة فى الأيام الماضية •

(٢) الحاقة : ٢٤

(٣) الدهم البهم أى السود ، والغر المحجلة ، أى التى بها علامات مميزة فى اليدين والرجلين •

(٤) أى أتقدمهم •

(٥) أى بعدا •

(٦) رواه مسلم •

(٧) رواه الخمسة الا أبا داوود مرفوعا •

الوصية السابعة عشرة

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به - والصيام جنة فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل فان شاتمه أحد أو قاتله فليقل :

انى امرؤ صائم ، انى امرؤ صائم . والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما : اذا أفطر فرح بفطره ، واذا لقى ربه فرح بصومه » .

(أخرجه أحمد ومسلم والنسائى)

* * *

فكن أخا الاسلام :

محيطا بهذا المعنى الكبير الذى رواه المصطفى صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل ، وهو :

* (كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به) حتى تصوم صياما مقبولا يحقق الثمرة المرجوة منه وهى التقوى . التى من أهم ثمارها أن يكون الصيام جنة .. أى وقاية لك من الوقوع فى مخالفة من المخالفات القولية والفعلية ما دمت مستشعرا لهذا المعنى الكبير الذى خلاصته أن الله وحده هو الذى يعرف حقيقة صيامك .. وهو الذى سيكافئك عليه ، ولهذا كان لابد لكى تكون بعيدا عن كل شىء يعرض صيامك للضياع ، أن تكون منفذا لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم التى يقول فيها بعد ذلك :

* (فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يصخب ، ولا يجهل . فان شاتمه أحد أو قاتله فليقل : انى امرؤ صائم ، انى امرؤ صائم ...) وخلاصة معانى هذه الكلمات الواردة فيها :

لا يرفث : أى لا يتكلم بفحش القول •
لا يصخب : أى لا يصيح ولا يخاصم •
لا يجهل : أى لا يرتكب شيئا من أفعال الجاهلية كالسفه والسخرية[١] •

شاتمه : أى شتمه متعرضا لمشاتمته •
قاتله : أى نازعه ودافعه •

انى صائم : أى يقول ذلك بلسانه ليعلم مخاطبه أنه معتصم بالصيام عن اللغو والرفث والجهل • أو يقول ذلك لنفسه منعا لها من مقابلة الجهل بالجهل • وقيل : يقول ذلك بلسانه فى الفرض ، ولنفسه فى التطوع •

فأنت مطالب اذن بكف جوارحك عما لا يرضى ربك والا فلا معنى لصيامك ولا ثمرة له غير الجوع والعطش ، ففى الحديث الشريف :

« رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع »[٢] وأيضا : « ليس الصيام من الأكل والشرب وانما الصيام من اللغو والرفث »[٣] •

ولهذا ذكر العلماء أن الصوم على ثلاث مراتب :

الأول : صوم العوام : وهو مجرد الكف عن المفطرات بصرف النظر عن البعد عن المحرمات القولية والفعلية •

الثانى : صوم الخواص : وهو صيانة الجوارح السبع وهى : (العين ، والأذن ، واللسان ، والبطن ، والفرج ، واليد ، والرجل) عن استرسالها فى المخالفات وهذا هو الصوم المشار اليه فى قوله تعالى : **« لعلكم تتقون »**[٤] •

وفى هذا يقول أحد الشعراء :

اذا لم يكن فى السمع منى تصامم وفى مقلتى غض وفى منطقى صمت
فحظى اذن من صومى الجوع والظما وان قلت انى صمت يوما فما صمت

ويقول آخر :

اذا المرء صام عن الخطايا فكل شهوره شهر الصيام

---

(١) وهذا لا يباح فى غير الصوم وانما المقصود أن المنع من ذلك يتأكد بالصوم •

(٢) أخرجه ابن ماجه . (٣) أخرجه ابن حبان والحاكم •

(٤) البقرة : ١٨٣

ويقول آخر :

اغضض الطرف واللسان اكففنه — وكذا السمع منه حين تصوم
ليس من ضيع الثلاثة عندى — بحقوق الصيام حقا يقوم

وآخر :

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة — تلهيك فيه من القبيح فنونه
واعلم بأنك لا تنال قبوله — حتى تكون تصومه وتصونه

الثالث : صوم خواص الخواص : وهو صوم القلب عن الاهتمام بشيء لا يرضى الله ، وصيانته عن الالتفات للأغيار الدنيوية ، وشغل النفس بذكر الله تعالى وبطاعته فى جميع الحالات •

* * *

ومن هنا كان من التقوى أن :

١ ــ يصوم اللسان عن فحش القول ، والكذب والبهتان والمراء والخصومة الى غير ذلك من الآثام القولية التى من أكبرها وأبشعها الغيبة والنميمة وحسبه أن يشغل بذكر الله وتلاوة القرآن ، أو ليسكت •

فقد ورد : « نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح » •

كما ورد : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه »[١] •

وورد عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان امرأتين صامتا وان رجلا قال : يا رسول الله •• ان ههنا امرأتين قد صامتا ، وانهما قد كادتا أن تموتا من العطش • فأعرض عنه ــ أى سكت ــ ثم عاد فقال : يا نبى الله •• انهما والله قد ماتتا ــ أو كادتا أن تموتا ــ قال : ادعهما ، فجاءتا فجيء بقدح ــ أو عس[٢] ــ فقال لاحداهما : قيئى ، فقاءت قيحا ودما وصديدا ولحما حتى قاءت نصف القدح • ثم قال للأخرى : قيئى ، فقاءت من قيح ودم وصديد ولحم عبيط[٣] وغيره حتى ملأت القدح • ثم قال : ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما

---

(١) حديث صحيح .
(٢) العس : هو القدح أو الاناء الكبير .
(٣) اى خالص طرى .

وأفطرتا على ما حرم الله عليهما ، جلست احداهما الى الأخرى فجعلتا تأكلان من لحوم الناس »[١] .

فاحذر الوقوع فى هذا الذنب حتى لا تحرم من ثواب صيامك وحسبك زجرا لك قول الله تعالى : « **لا يغتب بعضكم بعضا . أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ان الله تواب رحيم** »[٢] .

٢ — وأن يصوم البصر عن النظر الى ما يشغل عن ذكر الله .

وقد قرأت فى تفسير قوله تعالى : « **يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون** »[٣] أن سليمان عليه السلام عندما سمع النملة تقول لبنى جنسها هذا الكلام « ... **تبسم ضاحكا من قولهـا** »[٤] ثم أمر الجند فعسكروا بعيدا عن وادى النمل — الذى فى الطائف أو بالشام — حتى يدخل النمل مساكنه .

وبعد ذلك ذهبت هذه النملة — التى روى أنها كانت عرجاء — الى سليمان عليه السلام لتشكره فعاتبها سليمان قائلا : لم حذرت النمل ؟ أخفت من لظمى ؟ أما علمت أنى نبى عدل ؟ فقالت : أما سمعت قولى : « **وهم لا يشعرون** » ثم قالت : مع أنى لم أرد حطم النفوس ، وانما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ويفتتن بالدنيا ، ويشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح والذكر[٥] .

فغض بصرك عن المحرمات حتى لا تقع فى شباك الحرام بسبب هذه النظرات الخبيثة التى هى سهم من سهام ابليس كما ورد فى الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « النظرة سهم من سهام ابليس من تركها مخافة الله أعطاه الله ايمانا يجد حلاوته فى قلبه »[٦] .

٣ — وأن يصوم السمع عن الاصغاء لكل ما يحرم قوله أو يكره لأن كل واحد منهما يتنافى مع الكمال المطلوب التحلي به ، والذى هو من أهم صفات المؤمن الحق ، فاحذر الوقوع أيضا فى هذا الاثم وحسبك

---

(١) رواه أحمد واللفظ له وابن ابى الدنيا وابو يعلى ، وغيرهم .

(٢) الحجرات : ١٢ بلفظ « ولا يغتب ... » .

(٣) النمل : ١٨ (٤) النمل : ١٩ بلفظ « فتبسم » .

(٥) اقرأ هذا كلام فى تفسير القرطبى بسورة النمل الآية : ١٨

(٦) أخرجه الحاكم وصححه .

تحذيرا. لك أن الله سبحانه وتعالى سوى بين القول الزور والفعل المذموم فى التنفير فقال تعالى :

« سماعون للكذب أكالون للسحت »[1] •

وقد ورد فى الحديث : « المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم » •

٤ — وأن تصوم البطن عن الغذاء الحرام سواء أكان طعاما أو شرابا : بمعنى أن يكون مجدا فى أعماله التى يكلف بها ومراقبا الله سبحانه وتعالى فيها حتى يكون دخله حلالا سواء أكان موظفا أو عاملا ، وكذلك اذا كان تاجرا لابد وأن يكون أمينا فلا يطفف كيلا ولا يسرق من ميزان حتى يكون أيضا دخله لا شائبة فيه • وحتى يستجيب الله سبحانه وتعالى دعاءه فقد ورد فى الحديث الشريف : « أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة » •

٥ — وأن يصوم الفرج بصيانته من أسباب تلويثه بالحرام والوقوع فى معصية الله •

وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : **« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم »**[2] وفى الحديث الشريف : « كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه »[3] •

٦ — واليد كذلك لابد وأن تصوم عن ارتكاب ما يغضب الله تعالى وذلك بكفها عن البطش بالضعفاء الى غير ذلك من الآثام •

٧ — والرجل أيضا لابد كذلك وأن تكف وتصوم عن الذهاب الى اللهو واللعب والأماكن الرخيصة التى يعصى فيها رب العالمين ولا سيما فى شهر رمضان المبارك فضلا عن غيره من الشهور •

وحسبك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا اذا حدثتم ، وأوفوا اذا وعدتم ،

---

(١) المائدة : ٤٢ (٢) النور : ٣٠

(٣) أخرجه مسلم •

وأدوا اذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم »[١] .

فلاحظ كل هذا وجاهد نفسك وحافظ على صيامك واياك اياك أن تكون من الذين عناهم الشاعر بقوله :

يسبون دين الله فى شهر صومهم فعن دينهم صاموا وبالكفر أفطروا

* * *

واذا كنت قد فرطت أو حدث منك ما شوه صيامك ، وأفقدك جـزءا من ثوابك فاليك هذه البشرى : روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم :

زكاة الفطر

طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من أداها قبل الصلاة[٢] فهى زكاة مقبولة ، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات »[٣] .

وزكاة الفطر مشروعة بالكتاب والسنة واجماع الأمة قال الله تعالى : « **قد أفلح من تزكى** »[٤] : روى نافع عن ابن عمر أنه كان يقول : نزلت هذه الآية فى زكاة رمضان[٥] .

وقال أبو سـعيد الخدرى رضى الله عنه : كان النبى صلى الله عليه وسـلم يقول : « **قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى** » ثم يقسم الفطرة قبل أن يغدو الى المصلى يوم الفطر[٦] .

وقال البيهقى : أجمع أهل العلم على وجوب زكاة الفطر وان اختلفوا فى تسميتها فرضا ، فلا يجوز تركها .

وقد فرضت فى شعبان من السنة الثانية من الهجرة .

وهى واجبة .. عند الحنفيين لأنها ثبتت بدليل ظنى وان ورد فى الحديث بلفظ : « فرض » ، لأن معناه قدر . والراجح أنها واجبة

---

(١) أخـرجه أحمد وابن ماجه والحاكم والبيهقى فى « الشعب » بسند جيد .

(٢) اى قبل صلاة العيد .

(٣) اخرجه أبو داوود وابن ماجه والدارقطنى وقال : ليس فى رجاله مجروح ، والحاكم قال : صحيح على شرط البخارى .

(٤) الأعلى : ١٤

(٥) اخرجه البيهقى .

(٦) اخرجه ابن مردويه ــ (الأعلى : ١٤ ، ١٥) .

على الفور يوم عيد الفطر لأنهـا شرعت لاغناء الفقير عن السؤال يوم الفطر •

وهى فرض : عند مالك وأحمد والجمهور لحديث نافع عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بزكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير ، قال ابن عمر : فجعل الناس عدله مدين من حنطة[1] •

وأصل الأمر الوجوب • والواجب والفرض عندهم بمعنى ، وهو ما طلب فعله طلبا جازما بدليل قطعى أو ظنى •

واذا كان من المـالكية والشافعية وبعض الظاهرية من قال : بأن الفطر سنة ، وتأول كلمة « فرض » بمعنى « قدر » فقد رد عليهم بورود الأمر بها والأمر للوجوب •

وتجب على المسلم الحر الموسر أو من يجد ما يؤديه زيادة عن قوته وقوت من يمونه يوم العيد وليلته •

وتجب عن نفسه وعمن تلزمه نفقته ويلى أمره بسبب القرابة كطفله الفقير الذى عليه نفقته • لقـول عبد الله بن ثعلبة : خطب النبى صلى الله عليه وسلم الناس قبل الفطر بيوم أو يومين فقال : « أدوا صاعا من بر أو قمح بين اثنين أو صاعا من تمر أو شعير عن كل حر ، أو عبد صغير أو كبير »[2] •

أما الأولاد الذكور الكبار العقلاء فلا يجب على الأب أن يخرج عنهم عند الحنفيين ومالك وان كانوا فى عياله فقراء عاجزين عن الكسب لأن أحد شطرى السبب وهو الولاية منعدم فيهم • وان أخرج عنهم بلا اذنهم جاز • وقال الشافعى وأحمد : على الأب فطرة أولاده الكبار ان كان ينفق عليهم لعجزهم عن الكسب ، أو لاشتغالهم بطلب العلم •

وتجب على الرجل فطرة زوجته المدخول بها وزوجة أبيه الذى عليه نفقته ولو غنية أو مطلقة رجعيا أو دعى للدخول بها ــ عند الأئمة الثلاثة والليث ــ لأن النكاح سبب تجب به النفقة فوجبت به الفطرة • وعند الحنفيين والثورى : لا يجب عليه فطرة الزوجة لأن ولايته عليها قاصرة على حقوق الزوجية ، فان كانت غنية فعليها فطرتها من مالها •

---

(١) اخرجه البخارى ومسلم وابن ماجه .

(٢) اخرجه عبد الرزاق واحمد وابو داوود والدارقطنى بسند صحيح قـوى .

وبالنسبة للخادم فلا تلزمه فطرته عند الحنفيين وعليه فطرة نفسه ان كان غنيا ، وعنـــد غيرهم : ان التزم المخدوم بنفقة الخادم لزمه فطرته والا فلا •

وتجب زكاة الفطر بطلوع فجر يوم الفطر عند الأحناف لأنها قربة تتعلق بيوم الفطر فلا تتقدم عليه كالأضحية •

وعند الشافعى وأحمد والثورى تجب بغروب شمس آخر يوم من رمضان وهو رواية أشهب عن مالك لأنها تضاف الى الفطر فتجب به •

وثمرة هذا الخلاف تظهر فيمن ولد أو أسلم قبل الفجر من يوم العيد وبعد غروب شمس آخر يوم من رمضان ، تلزم فطرته عند الحنفيين ولا تلزم عند غيرهم ، وان حدث ما ذكر بعد الفجر فلا زكاة اتفاقا •

ومن مات أو ارتد أو أعسر[1] قبل طلوع الفجر لزمت فطرته عند الشافعى ومن وافقه ولا تلزم عند الحنفيين •

ويجوز تعجيل صدقة الفطر قبل العيد بيوم أو يومين عند جمهور الفقهـــاء :

قال ابن عمر : أمرنا رسول الله صلى الله عليه سلم بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس الى الصلاة • قال نافع : وكان ابن عمر يؤديها قبل ذلك باليوم واليومين • وعند أبى حنيفة : يجوز تقديمها على شهر رمضان • وعند الشافعى : يجوز التقديم من أول الشهر • وعند مالك ومشهور مذهب أحمد : يجوز تقديمها يوما أو يومين •

وقد اتفقوا جميعا على أنها لا تسقط بالتأخير بعد الوجوب ، وانما تصير دينا فى ذمة من لزمته حتى تؤدى ولو فى آخر العمر •

واتفقوا كذلك على أنه لا يجوز تأخيرها عن يوم العيد ، ونقل عن ابن سيرين والنخعى قالا : يجوز تأخيرها عن يوم العيد • وقال أحمد : أرجو أن لا يكون به بأس • وقال ابن رسلان : انه حرام بالاتفاق لأنها زكاة ، فوجب أن يكون فى تأخيرها اثم كما فى تأخير الصلاة عن وقتهــا •

* * *

---

(١) اى افتقر .

قـــــــدرها

والواجب فى صدقة الفطر صاع[١] من القمح ، أو الشعير ، أو التمر ، أو الزبيب ، أو الأقط[٢] ، أو الأرز ، أو الذرة ، أو نحو ذلك مما يعتبر قوتا .

يقول أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه :
كنا اذ كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نخرج زكاة الفطر عن كل صغير وكبير حر ومملوك صاعا من طعام ، أو صاعا من أقط ، أو صاعا من شعير ، أو صاعا من تمر ، أو صاعا من زبيب ، فلم نزل نخرجه حتى قدم معاوية حاجا ـ أو معتمرا ـ فكلم الناس على المنبر فكان فيما كلم به الناس أن قال : انى أرى أن مدين من سمراء[٣] الشام تعدل صاعا من تمر ، فأخذ الناس بذلك .
قال أبو سعيد : فأما أنا فلا أزال أخرجه أبدا ما عشت[٤] .

قال الترمذى : والعمل على هذا عند بعض أهل العلم يرون من كل شىء صاعا ، وهو قول الشافعى واسحاق . وقال بعض أهل العلم : من كل شىء صاعا ، الا البر فانه يجزىء نصف صاع وهو قول سفيان وابن المبارك وأهل الكوفة .
وقال مالك والشافعى : يجب فى صدقة الفطر صاع من غالب قوت البلد فى السنة .
ورجح الحطاب المـالكى اعتبار غالب القوت فى رمضان .
واستظهر الأمير غالب القوت يوم الوجوب .

وقال أحمد : يجب فى الفطر صاع من البر والشعير ودقيقهما وسويقهما والتمر والزبيب يخير فى الاخراج من أيها ان وجدت . والا أخرج من المقتات من حب وتمر ، وهو قول الشافعى ، ويخرج الأقط فى رواية عن أحمد .

---

(١) الصاع : اربعة امداد ، والمد : حفنة بكفى الرجل المعتدل الكفين ، ويساوى قدحان بالكيل المصرى .
(٢) لبن مجفف لم ينزع زبده .
(٣) المدان : نصف صاع ، وسمراء : قمح .
(٤) رواه الجماعة وقال الترمذى : حسن صحيح .

وعند الحنفيين وزيد بن على يجزىء فى زكاة الفطر نصف صاع من بر ، وصاع من غيره •

ويجوز عند الحنفيين اخراج قيمة الواجب فى زكاة الفطر :

روى عن أبى يوسف أنه قال : الدقيق أحب الى من الحنطة والدراهم أحب الى من الدقيق والحنطة لأن ذلك أقرب الى دفع حاجة الفقير ، ولأن المطلوب اغناء الفقير فى هذا اليوم والاغناء يحصل بالقيمة بل هو بها أتم وأوفر •

وقال الأئمة الثلاثة : لا يجوز دفع القيمة •

قال أبو داوود : قيل لأحمد : أعطى دراهم فى صدقة ؟ قال : أخاف أن لا تجزئه • خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم • هذا : والأفضل عند الحنفيين اخراج زكاة الفطر مما هو أعلى قيمة • وقال مالك وأحمد : الأفضل اخراج التمر •

وقال الشافعى : البر أفضل •

واختار مالك وأحمد : اخراج التمر إقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم

* * *

وتصرف الى الأصناف المذكورة فى قوله تعالى :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله »(١) •

قال ابن قدامة : ولا نعلم خلافا بين أهل العلم فى أنه لا يجوز دفع الزكاة الى غير هذه الأصناف الا ما روى عن أنس والحسن أنهما قالا : ما أعطيت للجسور والطرق فهى صدقة ماضية • والصحيح الأول لأن الله تعالى قال : **« انما الصدقات للفقراء »** •

*** الفقير والمسكين :**

عند الحنفيين : الفقير : من له شىء دون النصاب أو قدر نصاب غير نام أو مشغول بالحاجة الأصلية ــ كمسكن وملبس ومركب ــ فيصح الدفع اليه ولو كان صحيحا أو مكتسبا أو يملك نصبا كثيرة غير نامية اذا كانت مستغرقة بالحاجة الأصلية ، ولذا يصح دفعها لعالم

---

(١) التوبة : ٦٠

له كتب تساوى نصبا كثيرة لكنه محتاج اليها للدراسة والمراجعة ، وكذا آلات المحترفين والصناع والزراع والمجاهدين .

والمسكين : من لا شيء له ، ولذا يحل له السؤال لقوته أو ما يوارى جسده بخلاف الفقير ، فلا يحل له ولا لقادر على الكسب ولا من يملك خمسين درهما السؤال لحديث ابن مسعود : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته فى وجهه خموش — أو خدوش أو كدوح — » فقيل : يا رسول الله .. وما يغنيه ؟ قال : خمسون درهما أو قيمتها من الذهب »[1] .

وعند المالكية : الفقير : من لا يملك قوت عامه . والمسكين : عندهم هو المسكين عند الحنفية .

وعند الشافعية : الفقير : من لا مال له ولا كسب ، أو له مال أو كسب لا يكفيه ولا يحصل به نصف كفايته ومن تلزمه نفقته العمر الغالب — وهو ستون سنة — بحيث لو وزع ما عنده من المال فى غالب العمر لم يبلغ نصف كفايته . ولو كان يملك نصابا أو أكثر فعليه زكاته وله أن يأخذ زكاة غيره .

والمسكين : من له مال أو كسب يقع من كفايته ولا يكفيه :

بأن يحتاج فى اليوم الى عشرة دراهم مثلا وعنده كسب أو مال يبلغ خمسة فأكثر .

وعند الحنابلة : الفقير : من لا مال له ولا كسب يحصل به نصف كفايته كمن يكفيه عشرة ولا يحصل الا على ثلاثة ولا له خمسون درهما أو قيمتها من الذهب ، والمسكين : من يجد معظم كفايته أو نصفها مثل من يكفيه عشرة فيحصل على خمسة فما زاد .

* * *

*** والعامل على الزكاة :**

هو : من نصبه الامام لجمع الصدقات . ويدخل فيه الساعى والكاتب والقاسم والحاشر .. الخ .

ما دام قد فرغ نفسه لعمل من أعمال المسلمين فيستحق الأجر كالغزاة والقضاة . وكذلك أجازوا لطالب العلم أن يأخذ من الزكاة

---

(١) اخرجه احمد والاربعة وحسنه الترمذى .

ولو كان غنيا اذا فرغ نفسه لافادة العلم واستفادته ولم يكن له مرتب فى مال الدولة •

* * *

* **والمؤلفة قلوبهم** ثلاثة أقسام :

١ ــ كفار كان النبى صلى الله عليه وسلم يعطيهم تأليفا لهم ليسلموا هم وقومهم ، وهذا من الجهاد لأنه كما يكون بالسنان يكون بالاحسان •

٢ ــ وكافر كان يعطى لدفع شره •

٣ ــ من أسلم على ضعف كان يعطى ليثبت اسلامه ، وقد سقط نصيب المؤلفة عند الحنفيين من الزكاة لاجماع الصحابة على ذلك فى خلافة الصديق رضى الله عنه •

وعند الشافعية : من أسلم على ضعف فى ألفته بالمسلمين أو على ضعف فى يقينه يعطى تأليفا له وتثبيتا لاسلامه •

ويعطى مسلم ــ ذو شوكة يكفينا شر من يليه من الكفار أو مانعى الزكاة ــ ان رأى الامام الحاجة لاعطائه بأن يكون اعطاؤه أهون على المسلمين من محاربة الكفار أو مانعى الزكاة • أما المؤلف الكافر وهو من يرجى اسلامه أو يخاف شره فلا يعطى من الزكاة اتفاقا ولا من غيرها على الأصح عندهم الا لنازلة نزلت بالمسلمين كأسر بعضهم ، وهجوم الكفار على بعض بلاد الاسلام ولا يردون الأسير ولا يندفعون عن بلاد الاسلام الا ببذل مال لهم فيعطون من غير الزكاة حينئذ للضرورة ولا يعطون منها لأن الله أعز الاسلام وأهله وأغنى عن التأليف •

وعند مالك وأحمد : يعطى المؤلفة من الزكاة ولو كفارا لاطلاق قوله تعالى : «**والمؤلفة قلوبهم**»(١) •

* * *

* **والرقاب** : جمع رقبة ، والمراد بها المكاتب يعطى من الزكاة لتخليص رقبته من الرق •

* * *

* **والغارم** : هو : من استدان لاصلاح حاله ، أو لعمارة مسجد ، أو اكرام ضيف وعجز عن أداء دينه بأن كان لا يملك نصابا فاضلا عن

---

(١) التوبة : ٦٠

دينه ولو له دين على غيره لكن لا يقدر على أخذه فيعطى من الزكاة ما يفى بدينه • أو استدان لاصلاح بين متخاصمين ، أو لضمان •

* * *

* **وسبيل الله :** هو الطريق الموصل الى مرضاته من العلم والعمل ، وجمهور العلماء على أن المراد به هنا الغزو وأن سهم سبيل الله يعطى للمتطوعين من الغزاة الذين ليس لهم مرتب من الدولة ، وفى سبيل الله : يشمل سائر المصالح الشرعية العامة التى هى ملاك أمر الدين والدولة •

ويدخل فى عمومه انشاء المستشفيات العسكرية ، وكذا الخيرية العامة ، واشراع الطرق وتعبيدها ومد الخطوط الحديدية العسكرية لا التجارية ، ومنها بناء البوارج المدرعة ، والمناطيد ، والطيارات الحربية ، والحصون والخنادق •

ومن أهم ما ينفق فى سبيل الله فى زماننا هذا اعداد الدعاة للاسلام • وارسالهم الى بلاد الكفر ، وكذلك النفقة على المدارس المخصصة للعلوم الشرعية وغيرها مما تقوم به المصلحة العامة ••• الخ •

* * *

* **وابن السبيل :** هو الغريب المنقطع عن ماله ، وقد اتفق العلماء على أن المسافر المنقطع عن بلده يعطى من الصدقة ما يستعين به على تحقيق مقصده اذا لم يتيسر له شىء من ماله ، نظرا لفقره العارض • واشترطوا أن يكون سفره فى طاعة أو فى غير معصية ، وابن السبيل عند الشافعية قسمان :

١ — من ينشىء سفرا من بلد مقيم به ولو كان وطنه •

٢ — غريب مسافر يجتاز بالبلد •

وكلاهما له الحق فى الأخذ من الزكاة ولو وجد من يقرضه كفايته ، ولو ببلده ما يقضى به دينه •

وعند مالك وأحمد : ابن السبيل المستحق للزكاة يختص بالمجتاز دون المنشىء ، ولا يعطى من الزكاة اذا وجد مقرضا يقرضه وكان له من المال ببلده ما يفى بقرضه ، فان لم يجد مقرضا ، أو لم يكن له مال يقضى منه قرضه أعطى من الزكاة •

* * *

ولا تعطى للكفرة والملاحدة ، باتفاق الفقهاء لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » •

والمقصود بهم أغنياء المسلمين وفقراؤهم دون غيرهم • ويستثنى من ذلك المؤلفة قلوبهم كما قرأت سابقا •

ويجوز أن يعطوا من صدقة التطوع • ففى القرآن : « **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** »(١) •

وفى الحديث : « صلى أمك » وكانت مشركة •

* * *

*** والخــلاصة :**

ان زكاة الفطر أوجب الاسلام اخراجها عن الذكر والحر والعبد والصغير والكبير من المسلمين : ومن الأئمة من يبيح اخراجها فى أى يوم من شهر رمضان ، ومنهم من يجيز تقديمها عن العيد بيومين فقط ، والأفضل مراعاة الوقت الذى يكون أوفى لمصلحة الفقير واغنائه عن ذل السؤال يوم العيد •

ولا يجب اخراجها الا عن الشخص الذى أدرك جزءا من رمضان وجزءا من ليلة العيد حيا ، فمن مات قبل مغرب آخر يوم ، أو من ولد بعده لا زكاة عليهم لعدم جمعهم بين الصيام والفطر •

ويخرجها المرء عن نفسه ومن يعوله من زوجة وأطفــال وخادم ووالدين •

وكل من وجبت عليه نفقته وجبت عليه زكاته ، والمكلف بها من فضل عن قوته وقوت من يعولهم ليلة العيد ويومه ما يخرجه وان كان فقيرا ، ويخرجها المرء من غالب قوت المكان الذى يعيش فيه •

والمقدار الواجب عن كل شخص : صاع وهو مقدار قدحين بالكيل المصرى ، وعند الحنفية يجوز أن يخرج قيمة الصاع نقودا •

وتجزىء الكيلة عند الشافعية عن أربعة ، وعند المــالكية عن ستة •

واذا كان هناك قريب محتاج ويبعد عن البلد المزكى جاز نقلها اليه اذا لم تشتد حاجة أهل بلدته وتزيد عن حالة قريبه •

ويجوز أن يقتصر فى اعطائها على واحد أو أكثر تبعا للمصلحة •

ويجوز أن يعطيها لأخيه الفقير وأخته الفقيرة •

---

(١) الانسان : ٨

ولو كانت ابنته متزوجة شخصا فقيرا جاز أن يعطيه الزكاة لينفق منها على نفسه وأهله •

واذا بلغ ولد المرء واستقل بمعيشته لا يجب على أبيه اخراج زكاته اذ سقطت نفقته عنه ، أما اذا كان عاجزا عن الكسب فعلى أبيه زكاته •

فالزكاة مع النفقة وجودا أو عدما — وحقق بعض العلماء عدم جواز دفع الزكاة لجهات البر ومشروعات الخير كالمساجد والمستشفيات والملاجىء ••• اذ لابد فى الزكاة من التمليك لأشخاص معلومين وقصروا كلمة : « **وفى سبيل الله** » فى الآية الكريمة على المحاربين فى سبيل الله فقط :

وكما يقول أستاذنا الشيخ عبد اللطيف مشتهرى[1] : « ولو ألهم الله المسلمين رشدهم ووقاهم شح نفوسهم وعمموا اخراج هذه الزكاة ونظموها كما ينبغى لأحدثت أثرا طيبا يغتبط به كل مصلح •

ولو أن كل قرية أو مدينة ، قام منها قوم أمناء محتسبون بجمع هذه الزكاة على وجه الدقة بحيث لا يتركون انسانا عليه زكاة الا أخذوها ، ثم نظموا توزيع الاحسان حسب المصلحة العامة ، اذن لتكون من ذلك رأس مال ضخم فينفق منه على المعدومين وذوى العاهات والعجزة حتى يفد عليهم العيد وقد عمتهم رحمة الله وسرهم سخاء المؤمنين » •

ثم اذا كنا سنؤدى هذه الشعيرة بنفوس راضية وقلوب مطمئنة فنحن اذن من أهل العيد الذين سيفرحون بصومهم ويسعدون به عند فطرهم ، وعند لقاء ربهم •

ولهذا عندما دخل رجل على أمير المؤمنين على كرم الله وجهه يوم عيد الفطر فوجده يأكل خبزا فيه خشونة — فى الوقت الذى يأكل فيه غيره من رعيته ما لذ وطاب من الأطعمة — قال : يا أمير المؤمنين •• يوم عيد وخبز خشن ؟ فقال على : اليوم عيد من قبل بالأمس صيامه وقيامه ، عيد من غفر ذنبه ، وشكر سعيه ، وقبل عمله ، اليوم لنا عيد ، وغدا لنا عيد ، وكل يوم لا نعصى الله فيه فهو لنا عيد •

وذلك لأنه عليه رضوان الله — مع غيره من الأصحاب الفضلاء — كان يعرف لمن يكون هذا العيد كما كان يعرف حقيقته ، وأنه ليس الا لهؤلاء الذين صاموا وقاموا وتقربوا الى الله سبحانه وتعالى فى شهر

---

(١) فى كتابه « مدرسة الصوم » •

الصيام بالأعمال الصالحة التى تؤكد وتبرهن أنهم قد انتفعوا بصيامهم وقيامهم ولم يكونوا من هؤلاء أو كهؤلاء الذين يصومون عن الطعام والشراب فقط ، وانما كانوا ـــ عليهم رضوان الله ـــ من المغتنمين لكل لحظة من لحظات هذا الشهر المبارك حتى يفوزوا بالجائزة الكبرى التى ستوزع على الصائمين القائمين فى يوم عيد الفطر الذى يسمى فى الأرض بيوم العيد ويسمى فى السماء بيوم الجائزة •

فقد روى أن الله سبحانه وتعالى يقول لملائكته فى هذا اليوم :

« ما جزاء الأجير اذا عمل عمله ؟ فيقولون : الهنا وسيدنا •• جزاؤه أن يوفى أجره •

فيقول سبحانه : أشهدكم أنى قد جعلت ثوابهم لصيامهم وقيامهم رضائى ومغفرتى ، ثم يقول سبحانه وقد نظر الى جميع المصلين للعيد نظرة رحمة وحنان :

سلونى يا عبادى ، فوعزتى ، لا تسألونى اليوم فى جمعكم هذا لآخرتكم الا أعطيتكم ولا لدنياكم الا نظرت لكم ، قد أرضيتمونى فرضيت عنكم ، انصرفوا مغفورا لكم »[1] •

* * *

هذا •• وهناك سنن ينبغى التحلى بها فى يوم العيد وليلته • وهى :

١ ـــ احياء ليلة العيد بالطاعات ، فقد ورد فى الحديث الشريف : « من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب »[2] •

وتختص ليلة العيد بالاكثار من التكبير لورود ذلك • فان كان حاجا فليكثر من التلبية فى ليلة الأضحى •

٢ ـــ الغسل للعيدين :

فقد اتفق العلماء على أنه سنة وان كانت الأحاديث الواردة فيه ضعيفة الا أن الآثار الواردة فيه عن الصحابة جيدة • فقد روى أن عبد الله بن عمر كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو الى المصلى[3] •

---

(١) اخرجه ابن حبان والبيهقى عن ابن عباس مرفوعا .

(٢) اخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط .

(٣) اخرجه مالك والبيهقى .

٣ ــ التطيب والاستياك[١] لقول الحسن بن على : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتطيب بأجود ما نجد فى العيد[٢] .

٤ ــ لبس أحسن الثياب وأجملها : فقد روى هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم وهكذا كان يفعل أصحابه :

يقول على بن ربيعة : شهدت على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم عيد فرأيته معتما قد أرخى عمامته خلفه والناس مثل ذلك[٣] . ويقول نافع : كان ابن عمر يلبس فى العيدين أحسن ثيابه[٤] .

٥ ــ الأكل فى عيد الفطر قبل الخروج الى المصلى تمرا وترا ، وأن يؤخر الأكل عن الصلاة يوم الأضحى لقول بريدة : كان النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفطر لا يخرج حتى يطعم ، ويوم النحر لا يطعم حتى يرجع فيأكل من أضحيته[٥] .

٦ ــ وأن تؤدى زكاة الفطر قبل الخروج الى المصلى لقول ابن عمر : أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر أن نؤديها قبل خروج الناس الى الصلاة[٦] .

٧ ــ التوجه الى المصلى ماشيا بسكينة ووقار ــ لمن كان من أهل البلد ــ ويخير فى الرجوع بين المشى والركوب لقول على رضى الله عنه : من السنة أن تخرج الى العيد ماشيا ، وأن تأكل شيئا قبل أن تخرج[٧] .

قال أكثر العلماء أخذا من الأحاديث الواردة فى هذه السنة : يستحب الخروج الى صلاة العيد ماشيا ويخير بين المشى والركوب حال الرجوع . وهو مذهب الأئمة الأربعة وعمــر وعلى وابراهيم النخعى ، وعمر ابن عبد العزيز ، وسفيان الثورى .

٨ ــ التبكير بعد صلاة الصبح الى المصلى ، الا الامام فانه يتأخر الى وقت الصلاة . كما كان يفعل النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) كالجمــاعة .

(٢) اخرجه الطبرانى فى الكبير والحاكم ، وذكره ابن حبان فى الثقات .

(٣ ، ٤) أخرجه البيهقى .

(٥) اخرجه احمد والترمذى وابن ماجه وابن حبان والدارقطنى والحاكم والبيهقى .

(٦) اخرجه البخارى ومسلم .

(٧) اخرجه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن .

قال مالك : مضت السنة أن يخرج الامام من منزله قدر ما يبلغ مصلاه وقد حلت الصلاة • فأما غيره فيستحب له التبكير والدنو من الامام ليحصل له أجر ذلك •

٩ ــ التكبير جهرا حال السير الى المصلى ، وفي المصلى الى الشروع في الصلاة • فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ذلك •

وقد ورد في كيفية التكبير صيغ أصحها :

١ ــ ما ورد عن سلمان الفارسي قال : كبروا : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرا(١) •

٢ ــ وورد عن عمر وابن مسعود رضى الله عنهما : الله أكبر ، الله أكبر ، لا اله الا الله ، والله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد •

* * *

ويستحب التهنئة بالعيد :

فقد ورد عن جبير بن نفير قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض : « تقبل ــ الله ــ منا ومنك »(٢) •

* * *

وبالنسبة لصلاة العيدين :

فقد شرعت في السنة الأولى من الهجرة ، وهي سنة مؤكدة ، وواظب النبي صلى الله عليه وسلم عليها وأمر الرجال والنساء أن يخرجوا لها •

ويشرع خروج الصبيان والنساء في العيدين للمصلى من غير فرق بين البكر والثيب والشابة والعجوز والحائض ، لحديث أم عطية قالت : أمرنا أن نخرج العواتق(٣) والحيض من العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين ويعتزل الحيض المصلى(٤) •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج نساءه وبناته في العيدين(٥) •

---

(١) اخرجه عبد الرزاق بسند صحيح •

(٢) قال الحافظ : اسناده حسن •

(٣) البنات الأبكار •

(٤) متفق عليه •

(٥) رواه ابن ماجه والبيهقي •

وعنه أيضا قال : خرجت[١] مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم فطر — أو أضحى — فصلى ثم خطب ثم أتى النساء فوعظهن وذكرهن ، وأمرهن بالصدقة[٢] .

ووقت صلاة العيد من ارتفاع الشمس ثلاثة أمتار الى الزوال ، ويسن تقديم الأضحى ليتسع وقت الضحية ، وتأخير الفطر ليتسع وقت اخراج صدقة الفطر[٣] وليس لصلاة العيدين أذان ولا اقامة ولا قول : الصلاة جامعة . والسنة أن لا يفعل شيء من ذلك :

فقد ورد عن ابن عباس وجابر : لم يكن يؤذن يوم الفطر ، ولا يوم الأضحى[٤] .

ولمسلم عن عطاء قال : أخبرنى جابر : أن لا أذان لصلاة يوم الفطر حين يخرج الامام ولا بعد ما يخرج ولا نداء يومئذ ولا اقامة .

وعن سعد بن أبى وقاص : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى العيد بغير أذان ولا اقامة ، وكان يخطب خطبتين قائما يفصل بينهما بجلسة[٥] .

وصلاة العيد ركعتان يسن فيهما أن يكبر المصلى قبل القراءة فى الركعة الأولى : سبع تكبيرات بعد تكبيرة الاحرام ، وفى الثانية : خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام مع رفع اليدين مع كل تكبيرة . فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم كبر فى عيد اثنتى عشرة تكبيرة سبعا فى الأولى وخمسا فى الآخرة ، ولم يصل قبلها ولا بعدها[٦] .

ومن الاشارة الأخيرة الواردة فى الحديث ترى أنه لم يثبت أن لصلاة العيد سنة قبلها ولا بعدها ، وأنه لا صلاة فى مصلى العيد غير صلاة العيد الا لمن لم يصل الصبح فقط . فانه يجوز له أن يصلى الصبح فى مصلى العيد .

وتصح صلاة العيد من الرجال ، والنساء ، والصبيان ، مسافرين

---

(١) وكان يومئذ صغيرا .
(٢) رواه البخارى .
(٣) وهو قول ابن قدامة .
(٤) متفق عليه .
(٥) متفق عليه .
(٦) رواه احمد وابن ماجه وقال احمد : وانا اذهب الى هذا .

كانوا أو مقيمين جماعة أو منفردين فى البيت أو فى المسجد أو فى المصلى •
ومن فاتته الصلاة مع الجماعة صلى ركعتين •

والخطبة بعد صلاة العيد سنة والاستماع اليها كذلك : فقد ورد عن عبد الله بن السائب قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد فلما قضى الصلاة قال : « انا نخطب فمن أحب أن يجلس للخطبة فليجلس ومن أحب أن يذهب فليذهب »[1] •

والأفضل صلاة العيد خارج البلد ـ ما عدا مكة فان صلاة العيد فى المسجد الحرام أفضل •

واذا كان هناك مطر أو عذر يتعذر بسببه الصلاة خارج البلد فانه يجوز أن تصلى فى المسجد •

فقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى العيدين فى المصلى[2] ولم يصل العيد بمسجده الا مرة لعذر المطر •

* * *

آداب الصـــيام

وللصيام آداب منها :

١ ـ تعجيل الفطر اذا دخل وقته بتحقيق الغروب ، فقد ورد عن عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا جاء الليل من ههنا وذهب النهار من ههنا وغابت الشمس فقد أفطر الصائم »[3] •

والمعنى أنه متى تحقق الصائم الغروب فليفطر ، فهو خبر بمعنى الأمر ، أو فقد دخل وقت افطاره •

والحكمة فى طلب تعجيل الفطر بعد تحقق الغروب أن هذا أرفق بالصائم وأقوى له على العبادة •

٢ ـ ويستحب أن يكون الفطر قبل صلاة المغرب ، ليطمئن قلبه فى الصلاة وينقطع عن الشواغل والتطلع للمفطر •

وأن يكون على رطبات وترا ، وان لم يجد فتمرات وترا ، فان لم يجد حسا حسوات من ماء :

---

(١) رواه النسائى وأبو داوود وابن ماجه •
(٢) موضع بباب المدينة الشرقى •
(٣) أخرجه الدارمى والسبعة الا النسائى وقال الترمذى : حسن صحيح •

فقد ورد عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال :

« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات قبل أن يصلى ، فإن لم تكن فعلى تمرات ، فان لم تكن حسا حسوات من مـاء »[1] .

مع ملاحظة أن السنة الافطار على واحد مما ذكر مرتبا . فان بدأ بالمـاء مع وجود الرطب فاتته السنة . وقيل ان الترتيب لكمال السنة .

واذا كان قد ورد حديث فى موطأ مالك يفيد بأن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان عليهما رضوان الله كانا يصليان المغرب حين ينظران الى الليل الأسود قبل أن يفطرا ، ثم يفطران بعد الصلاة . فهو لبيان جواز تأخير الفطر عن الصلاة ، لئلا يظن وجوب التعجيل .

والحكمة فى طلب الافطار على التمر ونحوه أنه حلو والحلو يقوى البصر الذى يضعف بالصوم .

٣ — واذا لم يكن الطعام حاضرا تناول الصائم شيئا مما تقدم ثم صلى المغرب وبعده يتناول حاجته من الطعام . وان كان الطعام حاضرا تناول شيئا مما تقدم ثم أخذ حاجته من الطعام . فقد ورد عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قدم العشاء فابدأوا به قبل صلاة المغرب ولا تعجلوا عن عشائكم »[2] .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء »[3] .

٤ — ويستحب للصائم الدعاء عند فطره فانه مجاب فقد روى ابن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان للصائم عند فطره لدعوة ما ترد » وكان عبد الله بن عمرو يقول اذا أفطر : « اللهم انى أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر لى »[4] .

وقال ابن عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أفطر قال : « ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر ان شاء الله تعالى »[5] .

---

(١) أخرجه أبو داوود والحاكم والدارقطنى وقال : اسناده صحيح ، والترمذى وقال : حسن غريب .

(٢) أخرجه البخارى ومسلم .

(٣) أخرجه أحمد والبخارى ومسلم .

(٤) أخرجه ابن ماجه بسند صحيح .

(٥) أخرجه أبو داوود والبيهقى والحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين

٥ ــ ويسن لمن أفطر عند غيره أن يدعو له بما فى حديث مصعب ابن ثابت عن عبد الله بن الزبير قال : أفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند سعد بن معاذ فقال : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة »[١] .

٦ ــ وقد أجمع العلماء على استحباب السحور حتى يقوى الصائم على الصيام ، وينشط له ، وتحصل بسببه الرغبة فى الازدياد منه لخفة المشقة فيه على المتسحر ، وقيل : لأنه يتضمن الاستيقاظ والذكر والدعاء فى ذلك الوقت الشريف ، وقت تنزل الرحمة وقبل الدعاء والاستغفار .

هذا بالاضافة الى ما فيه من البركة التى أشار الرسول صلى الله عليه وسلم اليها فى قوله : « تسحروا فان فى السحور بركة »[٢] .

ويمتد وقت السحور الى طلوع الفجر الصادق حيث يجب الامساك عن كل مفطر وهو المراد بقوله تعالى : **« وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر »**[٣] .

٧ ــ ويسن تأخير السحور الى قبيل ظهور الفجر حتى يقبل النهار وفى المعدة ما يتقوى به الصائم على الطاعة فلا يجهده الصوم ولا يقعده عن الطاعة :

فقد ورد فى الحديث الشريف : « لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الفطور وأخروا السحور »[٤] .

وعن أنس عن زيد بن ثابت رضى الله عنهم قال :

« تسحرنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم قمنا الى الصلاة ، قلت : كم كان قدر ما بينهما ؟ قال : قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية »[٥] .

٨ ــ كما يطلب من العاقل : ترك الافراط فى تناول الطعام سواء أكان فى الافطار أو السحور .

فقد روى المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم

---

(١) اخرجه ابن ماجه .

(٢) اخرجه الستة الا ابا داوود ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، واخرجه أحمد والنسائى من عدة طرق عن أبى هريرة .

(٣) البقرة : ١٨٧ (٤) أخرجه أحمد .

(٥) اخرجه السبعة الا ابا داوود ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه »[١] .

وذلك حتى لا يكون هذا الافراط سببا فى تكاسله عن الطاعة ، فقد ورد : « من أكل كثيرا نام كثيرا ، وحرم من خير كثير » .

كما ورد عن سيدنا عيسى عليه السلام أنه كان يقول للحواريين : « لا تأكلوا كثيرا فتقسوا قلوبكم » .

كما كان لقمان الحكيم عليه السلام يقول لولده :

« اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة » .

ويستحب كذلك للصائم السواك أول النهار وآخره عند الحنفيين ومالك والثورى ومحققى الشافعية ، فقد ورد عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من خير خصال الصائم السواك »[٢] .

وقال الترمذى : ولم ير الشافعى بالسواك بأسا أول النهار وآخره .

هذا فى استياك الصائم بسواك يابس . وأما بالنسبة للاستياك بالعود الرطب فقد قال مالك واسحاق والشافعى : يكره .

وروى عن أحمد : خشية أن يتحلل منه فى الفم شىء ، ولما فيه من طعم .

(ورد) بأن ما يتحلل منه كماء المضمضة فاذا طرحه لا يفسده وكذا ما فيه من طعم . ولذا قال الحنفيون والثورى والأوزاعى والشافعى : لا بأس بالاستياك بالرطب اليابس . وروى عن أحمد .

قال ابن سيرين : لا بأس بالسواك الرطب . قيل : له طعم .

قال : والماء له طعم وأنت تتمضمض به[٣] .

وقال زياد بن جدير : ما رأيت أحدا كان أدوم لسواك رطب — وهو صائم — من عمر بن الخطاب .

١٠ — ويستحب للصائم الاكثار من العبادة والصدقة والاحسان الى الأقارب واليتامى والمساكين وحسبه قول الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) اخرجه الترمذى .

(٢) اخرجه ابن ماجه والبيهقى والدارقطنى .

(٣) ذكره البخارى .

الذى قرأته سابقا والذى يقول فيه وهو يحدثنا عن بركات رمضان :
« ... من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سـواه ... » .

١١ ــ كما تسن صلاة التراويح : التى تقدم بيانها سابقا .

* * *

ما يبــاح للصــائم

يباح له أمور منها :

١ ــ الاكتحال : لقول عائشة رضى الله عنهـا : « اكتحل النبى صلى الله عليه وسلم وهو صائم »[١] .

ومثله ما يقطر فى العين لأنها ليست بجوف ولا منفذ منها الى الحلق .

٢ ــ ويباح له أيضا دهن شعره بزيت ونحوه عند الجمهور ولا يفطر وان وجد أثره فى الحلق ــ ان كان لغير الزينة ، والا كان مكروها .

٣ ــ وأيضا يباح له حقن الدواء ونحوه فى العروق ، ولا يفطر به لأنه يصل الى الجوف بواسطة المسام لا من منفذ مفتوح . وكذا الحقنة فى احليل الذكر لا يفطر بها الصائم عند النعمان ومالك ومحمد ابن الحسن وأحمد .

وقال أبو يوسف والشافعى : يفطر بها ان وصلت المثانة . والخلاف فيما اذا وصل الى المثانة . أما ما دام الدواء فى القصبة فلا يفطر اتفــاقا .

أما الحقنة فى دبر الرجل وقبل المرأة فانها تفسد الصوم : اتفاقا .

٤ ــ كما يباح له أن يدفع عن نفسه الحر أو العطش بصب المـاء على رأسه أو بدنه كله أو بالمضمضة والاستنشاق بلا مبالغة فيهما عند الجمهور ومنهم أبو يوسف لقول رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يسكب على رأسه المـاء بالسقيا[٢] اما من الحر واما من العطش وهو صائم . ثم لم يزل

---

(١) اخرجه ابن ماجه والبيهقى .

(٢) موضع بمكة .

صائما حتى أتى كديدا[١] ثم دعا بماء فأفطر وأفطر الناس . وهو عام الفتح[٢] .

٥ – ويباح له مضغ طعام لابد منه لطفل بأن لم يوجد من يمضغه له غير صائم ، ولم يوجد ما يأكله الطفل بلا مضغ للضرورة .

٦ – ويباح له الاحتجام والفصد اذا لم يضعفه عن الصوم لحديث ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم واحتجم وهو صائم[٣] .

والحجامة هى أخذ الدم من الرأس ، والفصد أخذه من أى عضو فى الجسد .

٧ – ويباح له أن يصبح جنبا لحديث عائشة وأم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصبح جنبا فى رمضان من جماع غير احتلام ثم يصوم[٤] .

وعليه اذا أصبح الصائم جنبا من جماع أو احتلام صح صومه ، ولا قضاء عليه ، وسواء أكان الصوم فرضا أو نفلا ، ولو كان تأخير الغسل الى ما بعد الفجر عمدا .

وبهذا قال الجمهور والأئمة الأربعة[٥] وعلى الصائم اذا أصبح كذلك أن يعجل بالغسل حتى يؤدى الصلاة وحتى لا يحمل وزر مسيره بالجنابة لا سيما وهو صائم .

٨ – وكذلك يباح للصائم بلع ريقه أولا فأولا لأن فى اتقائه حرجا ومشقة ولا يمكن الاحتراز عنه لقوله تعالى : « **وما جعل عليكم فى الدين من حرج** »[٦] أما اذا جمع ريقه فى فمه ثم ابتلعه فانه يكره ، لما فيه من الشبهة ولا يفطر بذلك اجماعا .

أما اذا ابتلع ريق غيره فعليه القضاء اجماعا ، وكذا الكفارة عند مالك اذا ابتلعه عامدا عالما مختارا منتهكا حرمة الشهر .

---

(١) ماء على مرحلتين من مكة .

(٢) أخرجه أحمد وهذا لفظه ، وأبو داوود والنسائى والحاكم والبيهقى وصححه ابن عبد البر .

(٣) أخرجه أحمد والبخارى وهذا لفظه والبيهقى .

(٤) أخرجه أحمد والشيخان والدارمى وأبو داوود والنسائى .

(٥) وشذ من زعم أن من أخر الغسل عن الفجر عامدا لا يصح صومه .

(٦) الحج : ٧٨

وكذا عند الحنفيين اذا ابتلع ريق حبيبه لأنه مرغوب فيه طبعا يلتذ به • ولا كفارة عند الشافعية والحنابلة •

وان جمع شخص ريقه ثم ابتلعه قصدا : لم يفطره ، لأنه يصل الى جوفه من معدته فأشبه ما اذا لم يجمعه • وعن أحمد : أنه يفطره ، لأنه أمكنه التحرز منه فأشبه ما لو قصد ابتلاع غبار الطريق • والأول أصح فان الريق لا يفطر اذا لم يجمعه وان قصد ابتلاعه ، فكذلك اذا جمعه بخلاف غبار الطريق • فان خرج ريقه الى ثوبه أو بين أصابعه أو بين شفتيه ثم عاد فابتلعه أفطر ، لأنه ابتلعه من غير فمه فأشبه ما لو بلع ريق غيره •

ولو ترك فى فمه حصاة أو درهما فأخرجه وعليه بلة من الريق ثم أعاده : فيه نظر ، فان كان ما عليه من الريق كثيرا فابتلعه أفطر • وان كان يسيرا لم يفطر بابتلاع ريقه ، لأنه لا يتحقق انفصال ذلك البلل ودخوله الى حلقه فلا يفطره كالمضمضة والتسوك بالسواك الرطب والمبلول •

ولو أخرج لسانه وعليه بلة ثم عاد فأدخله وابتلع ريقه : لم يفطر ، وان ابتلع النخامة : ففيها روايتان ، احداهما : يفطر ، لأن النخامة تنزل من الرأس ، والريق من الفم ، ولو تنخم من جوفه ثم ازدرده : أفطر ، لأنه أمكنه التحرز منها فأشبه الدم ، ولأنها من غير الفم فأشبه القيء ، والرواية الثانية : لا يفطر لأنه معتاد من الفم غير واصل من خارج فأشبه الريق •

فان سال فمه دما أو خرج اليه قلس أو قيء فابتلعه أفطر وان كان يسيرا ، لأن الفم فى حكم الظاهر والأصل حصول الفطر بكل واصل منه ، لكن عفى عن الريق لعدم امكان التحرز منه • فما عداه يبقى على الأصل • وان ألقاه من فيه وبقى فمه نجسا أو تنجس فمه بشيء من خارج فابتلع فان كان معه جزء من المنجس أفطر بذلك الجزء والا فلا •

* * *

ما يكره للصائم

ويكره للصائم أمور منها ، أنه :

يكره له تحريما ذوق شئ مفطر من غذاء أو دواء بلا عذر لما فيه من تعريض الصوم للفساد ولو كان نفلا لغير عذر • ولا بأس به مع العذر كسوء خلق الزوج فحينئذ لا يكره لامرأته ذوق المرق بلسانها •

ومثل المرأة فى ذلك الطاهى ، ومن أراد شراء مأكول أو مشروب ، له أن يذوقه اذا خشى أن يغبن فيه ولا يوافقه • واذا ذاقه وجب عليه أن يمجه لئلا يصل الى حلقه منه شئ •

ومن أصبح بين أسنانه طعام فان كان يسيرا لا يمكنه لفظه فابتلعه لا يفطر به لأنه لا يمكنه التحرز منه فأشبه الريق وهذا مجمع عليه •

ويكره له مضغ العلك (اللبان) وان لم يتحلل منه شئ لما فى ذلك من الاتهام لأن من رآه يظن فطره •

وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يمضغ العلك الصائم »[1] وأيضا ورد : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم » • وفى غير الصوم يستحب مضغ العلك للنساء ، ويكره للرجال الا اذا كان فى خلوة ولعذر كتسهيل ريح وتقليل بخر بفمه لحاجـــة •

ويكره له المبالغة فى المضمضة والاستنشاق احتياطا للعبادة فانه يخشى وصول شئ من المـــاء الى الحلق • وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « فاذا استنشقت فأبلغ الا أن تكون صائما »[2] •

فاذا بالغ فى المضمضة أو الاستنشاق أو لم يبالغ ووصل الى جوفه شئ من المـــاء خطأ :

قال الحنفيون ومالك والمزنى : يفسد صومه وعليه القضاء ، وهو قول للشافعى وأحمد فيما اذا بالغ • وقال أحمد والشافعى : لا يفسد صومه كالناسى اذا لم يبالغ •

ويكره له القبلة الفاحشة ، وهى أن يتعانقا متجردين متماسى الفرجين ، فهذا مكروه مطلقا وان أمن الانزال والجماع لأن شأنه

---

(١) اخرجه البيهقى .

(٢) اخرجه احمد والأربعة وقال الترمذى : حسن صحيح .

تعريض الصوم للفساد ، وكذا يكره غير الفاحش من القبلة والمباشرة ان لم يأمن ما ذكر ولا يكرهان ان أمن ذلك : فقد ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه :

أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن المباشرة للصائم فرخص له ، وأتاه آخر فسأله فنهاه ، فاذا الذى رخص له شيخ ، والذى نهاه شاب[١] •

والمراد بالمباشرة عدم الجماع • فهى تشمل القبلة والمس باليد واتصال الجسم بالجسم •

وللمقبل والمباشر ثلاثة أحوال :

اذا لم ينزل لا يفسد صومه اتفاقا •

اذا أمنى[٢] أفطر اتفاقا • لأنه انزال بمباشرة فأشبه الانزال بالاستمتاع بغير الفرج وعليه القضاء فقط عند الحنفيين والشافعى وأحمد ، والقضاء والكفارة عند مالك واسحاق •

واذا أنزل مذيا[٣] أفطر وعليه القضاء عند مالك وأحمد[٤] • وقال الحنفيون والشافعى : لا يفطر لأن المذى خارج لا يوجب الغسل فأشبه البول •

واللمس بشهوة كالقبلة فيما ذكر •

ويكره له تكرار النظر بشهوة الى امرأته وادامة الفكر فى الجماع ولا بأس بذلك عند الحنفيين والشافعى وأحمد •

وقال مالك : النظر والفكر كالقبلة ، فان أمن على نفسه من الانزال كرها ، وان لم يأمن حرما •

هذا : ولمكرر النظر ثلاثة أحوال :

اذا لم ينزل لا يفسد صومه اتفاقا •

اذا أمنى يفسد صومه عند أحمد ومالك ، وعليه القضاء فقط عند أحمد ، والقضاء والكفارة عند مالك ان كان النظر محرما •

وقال الحنفيون : لا يفطر مطلقا لأنه لا نص فى الفطر بما ذكر ولا اجماع •

---

(١) أخرجه ابو داوود والبيهقى بسند جيد .

(٢) المنى : ما يتدفق بشهوة .   (٣) المذى : ما ينزل أثناء المداعبة .

(٤) وحجتهم فى هذا انه خارج بشهوة عن مباشرة .

وقالت الشافعية : لا يفطر الا ان اعتاد الانزال بذلك فيفطر على المعتمد .

واذا أمذى لا يفطر عند الحنفيين والشافعي وأحمد ، لأنه لا نص فى الفطر به ولا يمكن قياسه على انزال المنى لمخالفته له فى الأحكام فيبقى على الأصل ، فأما ان نظر فصرف بصره لا يفسد صومه وان أنزل عند الثلاثة .

وقالت المالكية : ان أمذى بالفكر أو النظر فعليه القضاء ، وان أمنى بادامتهما فعليه الكفارة ان كانت عادته الانزال ولو فى حين ما . فان كانت عادته عدم الانزال بادامة النظر أو الفكر فخالف عادته وأمنى فلا كفارة على ما اختاره ابن عبد السلام . وكذا لو أمنى بمجرد نظر أو فكر فلا كفارة عليه عند ابن القاسم .

وأما من فكر فأنزل فلا يفسد صومه عند الحنفيين والشافعى وهو الصحيح عن أحمد .

وقال مالك : يفسد صومه . وروى هذا عن أحمد(١) . فاحذر الوقوع فى هذا المكروه حتى لا تكون موضع خلاف بين الأئمة كما رأيت وتتحمل وحدك نتيجة ذلك .

وأيضا يكره للصائم وغيره طول الصمت لما تفوته من سماع الأجر العظيم والثواب الجزيل المترتب على خير القول من أمر بمعروف ونهى عن منكر أو تلاوة للقرآن .. الى غير ذلك من أنواع الخير القولية التى ينبغى الحرص عليها لا سيما وهو صائم . ولله در على رضى الله عنه فلقد قال :

« من أمضى يومه فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد بناه ، أو حمد حصله ، أو علم اقتبسه . فقد عق يومه ، وظلم نفسه » .

وكذلك يكره للصائم الاكثار من النوم نهارا لئلا يذهب مشقة الصوم .

وكذلك يكره له شم الروائح الزكية كالمسك والعنبر . كما يكره له مداواة أسنانه نهارا ولا شىء عليه ان سلم ، فان ابتلع منه شيئا غلبه قضى . وان تعمد كفر أيضا ، الا لضرورة فى تأخير الدواء لليل كشدة

---

(١) راجع كل هذا فى الجزء الثامن من « الدين الخالص » ص ٣٦٥

تألم ، وان لم يحدث منه مرض فلا تكره المداواة ، بل تجب ان خلف هلاكا أو شديد أذى •

كما يكره له أيضا عند أحمد أن يجامع وهو شاك فى طلوع الفجر الثانى ، ولا يكره له السحور مع الشك فى ذلك لأنه يتقوى به على الصوم بخلاف الجماع •

فلاحظ كل هذا أيضا حتى لا تتورط وحتى لا ينقص ثوابك أو يضيع •

❋ ❋ ❋

مالا يفسد الصوم

ولا يفسد صوم الصائم :

اذا أكل أو شرب أو جامع ناسيا ، عند الحنفيين والشافعى لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه فانما أطعمه الله وسقاه »(١) يعنى ما وقع منه من الأكل والشرب لا يفسد صومه لأنه لم يكن له فيه اختيار لنسيانه •

والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم وبه يقول سفيان الثورى والشافعى وأحمد واسحاق •

وقال مالك بن أنس : اذا أكل فى رمضان ناسيا فعليه القضاء • والأول أصح • لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أفطر فى رمضان ناسيا فلا قضاء عليه ولا كفارة »(٢) •

وقال أحمد : يجب القضاء والكفارة بالجماع ناسيا ولا شىء فى الأكل والشرب • وهذا القول رد عليه(٣) •

وقالت المالكية : من تعاطى أى مفطر ناسيا فى رمضان فعليه القضاء دون الكفارة قياسا للصوم على الصلاة • فكما أن ترك ركعة منها نسيانا يفسدها كذلك ترك ركن من الصوم وهو الامساك عن المفطر يفسده •

---

(١) اخرجه السبعة وهذا لفظ مسلم وقال الترمذى : حديث حسن صحيح

(٢) اخرجه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، والدارقطنى والبيهقى بسند رجاله ثقات •

(٣) لأنه استدل بحديث الرجل الذى واقع امرأته فى رمضان •• وهو يدل على أنه واقع عمدا •

ويرد على كل هذا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم السابق وهو : « من أفطر فى رمضان ناسيا فلا قضاء عليه ولا كفارة » . فهذا هو الحق وتلك رحمة من الله الرحمن الرحيم الذى يقول : « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** »[1] .

ومن احتلم نهارا وهو صائم لا يبطل صومه اجماعا .

وكذلك من احتجم فى نهار رمضان كما قرأت سابقا عند الأئمة الثلاثة خلافا للامام أحمد .

وكذلك لا يفسد الصوم بانزال منى بنظر وان أدامه عند الحنفيين والشافعى ، لأنه فى معنى الاحتلام ، وعند مالك وأحمد يفسد صومه ، وان أمذى لا يفسد صومه عند الثلاثة ، ويفسد عند مالك كما تقدم الا ان غلبه المنى أو المذى بمجرد نظر أو فكر .

وأيضا لا يفسد الصوم اذا نزل المنى بسبب ادامة الفكر عند الحنفيين والشافعى ، وهو الصحيح عن أحمد . وقال مالك : يفسد صومه ، كما تقدم .

ولا يفسد الصوم بالاكتحال ولا بما يقطر فى العين ولو وجد طعمه فى حلقه أو رأى لونه فى بزاقه عند الحنفيين والشافعى لأن الداخل من المسام الغير النافذة لا ينافى الصوم كما اذا تبرد بالماء ووجد أثره بباطنه .

وقال مالك وأحمد : يبطل الصوم بالكحل ونحوه ان وجد طعمه فى حلقه أو علم وصوله اليه .

ولا يبطل بالادهان وان وجد أثر الدهن فى الحلق عند الثلاثة . وقال مالك : هو كالكحل الا اذا وضع دهنا على جرح فى بطنه واصل لجوفه لأنه لا يصل لمحل الطعام والشراب والا لمات من ساعته .

ولا يفسد الصوم كذلك لشم الروائح العطرية كالورد والنرجس والياسمين .

وكذلك لا يفسد بتأخير غسل الجنابة حتى تطلع الشمس ولو مكث جنبا كل اليوم .

ولا يفسد بدخول غبار طريق أو غربلة دقيق أو ذباب أو بعوض الى حلقه رغما عنه .

---

(١) البقرة : ١٨٥

ولا يفسد صوم المرأة عند أحمد اذا أدخلت اصبعها أو غيره فى فرجها ولو مبتلا •

ومن غلبه القيء لا يبطل صومه ولو كان ملء الفم اذا لم يعد منه شيء اجماعا •

فقد ورد عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من ذرعه القيء وهو صائم فليس عليه قضاء ، ومن استقاء عمدا فليقض »[1] •

ويتفرع على هذا أربع مسائل :

اذا كان القيء أقل من ملء الفم وعاد أى شيء منه لم يفطر اتفاقا لعدم الفعل ، عند محمد ، ولعدم ملء الفم عند أبى يوسف •

اذا كان أقل من ملء الفم وأعاده أو شيئا منه لم يفطر عند أبى يوسف • وهو المختار لعدم ملء الفم ويفطر عند محمد للفعل •

اذا كان ملء الفم وعاد أو شيء منه لا يفطر عند محمد[2] لعدم الفعل ، وهو الصحيح ، ويفطر عند أبى يوسف ، لأنه يعتبر خارجا شرعا وقد دخل •

اذا كان ملء الفم وأعاد أو شيئا منه أفطر اتفاقا • لأنه خارج أدخله جوفه • وكذلك كل ما غلب على الانسان ودخل فمه[3] •



ما يفسد الصوم

ما يفسد الصوم قسمان :

قسم يوجب القضاء وهو :

الافطار مكرها أو خطأ ، كأن تمضمض فسبق الماء الى حلقه •

وصول ما لا نفع فيه للبدن الى الجوف من منفذ مفتوح

---

(١) اخرجه احمد والدارقطنى والحاكم وصححه والبيهقى والأربعة ، الا النسائى وقال الترمذى : حسن غريب .
واستقاء : اى اخرج القيء بمحاولة منه كهذا الذى يضع اصبعه فى فمه لاخراج القيء .

(٢) محمد تلميذ ابى حنيفة ، وكذلك أبو يوسف .

(٣) كالذباب ، والماء .

أو الى باطن الرأس عمدا ، كأن ابتلع حصاة ، أو حديدا أو ملحا كثيرا ، أو لوزة بقشرها .

صب الدواء أو المـاء فى دبر الرجل ، أو قبل المرأة .

ايصال مائع وغيره الى الجوف من الأنف .

اقطار مائع ، ولو ماء فى الأذن على الصحيح عنـد الحنفيين والشافعى وأحمد ، لأنه وصل الى الجوف بفعله ، أما ان خاض المـاء فدخل أذنه لا يفسد صومه اتفاقا .

وقالت المـالكية : يفسد الصوم بوصول مائع الى الحلق من فم أو أذن أو عين أو أنف ، سواء أكان المـائع ماء أو غيره ، وصل عمدا أو سهوا أو غلبه ، كماء غلب من المضمضة أو السواك حتى وصل الى الحلق ، أو وصل خطأ كأكله نهارا معتقدا بقاء الليل أو غروب الشمس ، والا فلا يفسد صومه .

وفى حكم المـائع : البخور وبخار القدر اذا استنشقهما فوصلا الى حلقه ، وكذلك الدخان الذى اعتاد الناس شربه ، فمجرد وصوله الى حلقه مفطر وان لم يصل الى المعدة . وأما دخان الحطب فلا أثر له كرائحة الطعام اذا استنشقها .

اذا وصل الدواء الى جرح يبلغ الجوف .

اذا وصل الدواء الى جوف الرأس عن طريق شجة تصل أم الرأس وهى الآمة — لأن بين جوف الرأس وجوف المعدة منفذا أصليا ، وهذا اذا تحقق الوصول اتفاقا ، وكذا ان شك فيه وكان الدواء رطبا عند النعمـان ومالك ، لعموم ما ورد : « الفطر مما دخل وليس مما خرج »[1] .

وقال أبو يوسف ومحمد والشافعى وأحمد : لا يفسد الصوم بالشك فى الوصول . أما اذا كان الدواء يابسا فلا فطر اتفاقا اذا شك فى وصوله الى الجوف .

القىء عمدا ولو قليلا عند الأئمة الأربعة ومحمد لعموم قول النبى صلى الله عليه وسلم : « ومن استقاء عمدا فليقض » وقد تقدم .

انزال المنى عن مباشرة بنحو قبلة أو تبطين أو مجامعة فى غير

---

(١) اخرجه البخارى وغيره عن ابن عباس مرفوعا .

سبيلى آدمى حى مشتهى ، أو بوطء بهيمة أو ميتة ، أو صغيرة لا تشتهى ، أو استمناء بالكف — وهذا حرام — وان خرج منه المنى أو المذى لمرض فلا شىء عليه لأنه خارج بغير شهوة فأشبه البول ، ولأنه خرج من غير اختيار منه ولا تسبب فيه فأشبه الاحتلام •

ولو جامع فى الليل فأنزل بعد ما أصبح لم يفطر ، لأنه لم يتسبب فيه نهارا فأشبه ما لو أكل فى الليل فذرعه القىء نهارا • عند الحنفيين والشافعى وأحمد •

وقالت المالكية : يفسد الصوم بانزال المنى أو المذى مع لذة معتادة بنظر أو فكر أو غيرهما ، كالقبلة والمباشرة فيما دون الفرج • وأما اذا خرج المنى أو المذى لمرض فلا يفسد الصوم ، كما لا يفسد بخروج أحدهما بمجرد نظر أو فكر بلا استدامة اذا كان يكثر عروضه له بأن كان حصوله مساويا لعدم حصوله فى الزمن أو زائدا ، أما اذا كان زمن عروضه أقل من زمن ارتفاعه فانه يفسد الصوم •

تناول مفطر مع ظن المبيح — عند الأئمة الأربعة والجمهور — وفيه خمس صور :

الأولى : من تسحر يظن بقاء الليل — وقد طلع الفجر — بطل صومه وعليه القضاء عند الأربعة والجمهور •

الثانية : من أفطر آخر النهار يظن غروب الشمس ولم تغرب ، بطل صومه عند الأربعة والجمهور •

الثالثة : من أكل شاكا فى طلوع الفجر ولم يتبين الأمر فليس عليه قضاء ، وله الأكل حتى يتبين طلوع الفجر عند الحنفيين ، والشافعى وأحمد ، لقوله تعالى : « **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر** »[1] •

وقال مالك : يجب القضاء لأن الأصل بقاء الصوم فى ذمته فلا يسقط بالشك ، ولأنه أكل شاكا فى النهار والليل فلزمه القضاء كما لو أكل شاكا فى غروب الشمس •

الرابعة : من أفطر شاكا فى غروب الشمس ولم يتبين الأمر ، فعليه القضاء عند الأئمة الأربعة والجمهور لأن الأصل بقاء النهار •

الخامسة : من أكل ظانا أن الشمس قد غربت أو أن الفجر لم يطلع

---

(١) البقرة : ١٨٧

ثم شك بعد الأكل ولم يتبين الأمر ، فلا قضاء عليه لأنه لم يوجد يقين يزيل ذلك الظن الذى بنى عليه فأشبه ما لو صلى بالاجتهاد ثم شك فى الاصابة بعد صلاته .



مع ملاحظة :

أن من جامع قبل طلوع الفجر ثم طلع فنزع فورا لم يفسد صومه عند الحنفيين ، والشافعى ، وهو مشهور مذهب أحمد ، لأنه ترك للجماع فلا يتعلق به حكمه .

وقال مالك : يفسد صومه ولا كفارة عليه ، لأنه لا يقدر على أكثر مما فعله فأشبه المكره .

وان لم ينزع فسد صومه وعليه القضاء اتفاقا وكذا الكفارة عند مالك والشافعى وأحمد .

وقال الحنفيون : لا كفارة عليه .

ومن جامع ظانا أن الفجر لم يطلع وتبين أنه قد طلع فسد صومه وعليه القضاء فقط عند الحنفيين ، والشافعى . وقال مالك وأحمد : عليه الكفارة أيضا .

ادخال خرقة أو خشبة أو اصبع مبلولة فى الدبر ، وقبل المرأة اذا لم يبق من المدخل شىء : يفسد الصوم .

أما اذا لم يغيبه كله لا يفسد صومه عند الحنفيين وأحمد ، ومالك . وقال الشافعى : يفسد بذلك .

اذا تعمد أثناء الاستنجاء ايصال المـــال الى داخل دبره يفسد الصـــوم .

الأكل عمدا بعد أكله ناسيا الصوم فظن أنه أفطر فيلزمه القضاء اتفاقا لوجود المفطر ولا كفارة عليه عند الحنفيين والشافعى وأحمد للشبهة . كذا لو علم أن صومه لا يفسد بالفطر ناسيا وبلغه الحديث فى ذلك فلا كفارة عليه عند النعمان والشافعى وأحمد مراعاة لخلاف الامام مالك .

وقال أبو يوسف ، ومحمد ، ومالك : عليه الكفارة لعدم الشبهة .

الحيض والنفاس اجماعا ، وعليهما القضاء .

الردة اجماعا ، وعليه قضاء ذلك اليوم اذا عاد الى الاســـلام، سواء أسلم فى أثناء اليوم أو بعد انقضائه .

اذا نوى الفطر عند الأئمة الثلاثة وهو ظاهر مذهب أحمد لأنه عبادة من شرطها النية . وان عاد فنوى الصوم قبل الزوال أجزأه عند الحنفيين لأنه يصح بنية قبل الزوال . ولا يجزىء عند من يشترط تبييت النية فى رمضان .

مع مراعاة : أن من فسد صومه بشىء مما ذكر لزمه :

أولا : امساك بقية اليوم فى غير الحيض والنفاس احتراما للوقت بالقدر الممكن .

ثانيا : قضاء ما أفسده فى أيام أخر .

مع ملاحظة : أن القضاء لا يلزم فيه التتابع عند الأئمة الأربعة والجمهور لاطلاق قوله تعالى : « **ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر** »[1] .

وأنه لا يطلب أزيد ممـــا أوجب أداؤه ــ عند الأئمة الأربعة والجمهور ــ فمن أفطر متعمدا بلا عذر يلزمه صيام يوم واحد قضاء عن اليوم الذى أفطره مع الكفارة ان لزمته .

وأن قضاء رمضان واجب على التراخى عند الجمهور لاطلاق الآية ، أى يجوز تأخير قضاء رمضان الى شعبان لعذر . وبه قال العلماء . أما تأخير القضاء لغير عذر فهو جائز عند الجمهور ان أفطر لعذر ، كمرض ، أو سفر ، أو حيض .

وروى الدارقطنى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى قضاء رمضان : « ان شاء فرق وان شاء تابع » وان أخر القضاء حتى دخل رمضان آخر ، صام رمضان الحاضر ، ثم يقضى بعده ما عليه ولا فدية عليه ، سواء أكان التأخير لعذر أو لغير عذر . عند الأحناف ، والحسن البصرى .

ووافق مالك والشافعى وأحمد واسحاق الأحناف فى أنه لا فدية عليه اذا كان التأخير بسبب العذر ، وخالفوهم فيما اذا لم يكن له عذر فى التأخير فقالوا : عليه أن يصوم رمضان الحاضر ثم يقضى ما عليه بعده ، ويفدى عما فاته عن كل يوم مدا من طعام ، وليس لهم فى ذلك

---

(١) البقرة : ١٨٥

دليل يمكن الاحتجاج به ، فالظاهر ما ذهب اليه الأحناف ، فانه لا شرع الا بنص صحيح .

ومن مات وعليه صيام وكان قد تمكن من صيامه قبل موته فقد اختلف الفقهاء فى حكمه ، فذهب جمهور العلماء ومنهم أبو حنيفة ومالك ، والمشهور عن الشافعى : أن وليه لا يصوم عنه ، ويطعم عنه مدا عن كل يوم . وعند الأحناف نصف صاع من قمح وصاعا من غيره . والمذهب المختار عند الشافعية : أنه يستحب لوليه أن يصوم عنه ، ويبرأ به الميت ، ولا يحتاج الى اطعام عنه والمراد بالولى القريب سواء أكان عصبة أو وارثا أو غيرهما ، ولو صام أجنبى عنه صح ان كان باذن الولى ، والا فانه لا يصح ، واستدلوا بما رواه أحمد والشيخان عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » زاد البزار لفظ : « ان شاء » .

وأما ما يبطل الصيام ويوجب القضاء والكفارة : فهو الجماع لا غير عند الجمهور ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يا رسول الله ، قال : « وما أهلكك » ؟ قال : وقعت على امرأتى فى رمضان . فقال : « هل تجد ما تعتق رقبة » ؟ قال : لا . قال : « فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين » ؟ قال : لا . قال : « فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا » ؟ قال : لا . قال : ثم جلس فأتى النبى صلى الله عليه وسلم بعرق[1] فيه تمر ، فقال : « تصدق بهذا » ، قال : فهل على أفقر منا ؟ فما بين لابتيها[2] أهل بيت أحوج اليه منا ، فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، وقال : « اذهب فأطعمه أهلك »[3] .

والمرأة والرجل سواء فى وجوب الكفارة عليهما — عند الجمهور — ما داما قد تعمدا الجماع مختارين فى نهار رمضان ناويين الصيام .

فان وقع الجماع نسيانا أو لم يكونا مختارين بأن أكرها عليه ،

---

(١) العرق مكيال يسع ١٥ صاعا . (٢) المراد أطراف المدينة .
(٣) رواه الجماعة .

أو لم يكونا ناويين الصيام فلا كفارة على واحد منهما • فان أكرهت المرأة من الرجل أو كانت مفطرة لعذر وجبت الكفارة عليه دونها •

ومذهب الشـــافعى : أنه لا كفارة على المرأة مطلقا لا فى حالة الاختيار ولا فى حالة الاكراه • وانما يلزم فيه القضاء فقط •

ومن جامع عامدا فى نهار رمضان ولم يكفر ، ثم جامع فى يوم آخر منه فعليه كفارة واحدة عند الأحناف ، ورواية عن أحمد ، لأنها جزاء عن جناية تكرر سـببها قبل استيفائها فتتداخل • وقال مالك والشافعى ورواية عن أحمد :

عليه كفارتان ، لأن كل يوم عبادة مستقلة ، فاذا وجبت الكفارة بافساده لم تتداخل كرمضانين • ومن جامع مرتين فى يوم واحد لم يكفر عن الأول عليه كفارة واحدة ، فان كفر عن الجماع الأول لم يكفر ثانيا عند جمهور الأئمة ، وقال أحمد : عليه كفارة ثانية • وقد أجمعوا على أن من جامع فى نهار رمضان عامدا وكفر ، ثم جامع فى يوم آخر عليه كفارة أخرى ، وترتيب الكفارة عند جمهور العلماء هو نفس الوارد فى الحديث السابق :

العتق أولا ، فان عجز صام شهرين متتابعين ليس فيهما رمضان ولا أيام العيدين والتشريق • فان عجز عنه أطعم ستين مسكينا من أوسط ما يطعم منه أهله • وقالوا : لا يصح الانتقال من حالة الى أخرى الا اذا عجز عنها • ومذهب المالكية ورواية لأحمد :

أنه مخير بين هذه الثلاثة فأيهما فعل أجزأ عنه •



الوصية الثامنة عشرة

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بثلاث : بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتى الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام .

(رواه البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى)

* * *

فكن أخا الاسلام :

أهلا لتنفيذ هذه الوصية العظيمة التى ان كنت من منفذيها كنت من أهل الخير والفلاح والنجاح ، وحشرت يوم القيامة مع الأبرار **« الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا »**(1) . وذلك بطاعتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى **« ... ما ينطق عن الهوى . أن هو الا وحى يوحى »**(2) .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصيك فى شخص أبى هريرة رضى الله عنه بصيام ثلاثة أيام من كل شهر فقد رأيت اتماما للفائدة — وفى ختام هذا العرض السريع الذى وقفت عليه فى الصفحات السابقة — أن ألخص لك أقسام الصيام .. فأقول وبالله التوفيق :

الصوم أقسام

- فرض معين .
- وفرض غير معين .
- وواجب معين .
- وواجب غير معين .
- ومنهى عنه وهو حرام .
- ومكروه تنزيها .
- وتطوع وهو سنة .

---

(1) النساء : 69

(2) النجم : 3 ، 4 — بلفظ « وما ينطق » .

وهاك بيانها بايجاز :

١ ـ الفرض المعين : هو صوم رمضان ، وقد عرفته ووقفت على أهم أحكامه •

٢ ـ الفرض غير المعين بوقت وهو : صوم الكفارات •

والفرض والواجب قسمان :

ما يلزم فيه التتابع وهو :

صوم رمضان ، وصوم الكفارات التى شرع فيها العتق ككفارة القتل والظهار ، والافطار فى رمضان ، وكذا كفارة اليمين عند الحنفيين وأحمد •

وما لا يلزم التتابع فيه وهو : قضاء رمضان ، وكل كفارة لم يشرع فيها عتق ـ كصوم التمتع والقران ـ وكفارة جزاء الحلق والصيد ، وصوم النذر المطلق ، واليمين المطلق ، كأن يقول : والله لأصومن شهرا •

٣ ـ الواجب المعين : كالنذر المعين بوقت كنذر صوم يوم الخميس •

٤ ـ وغير المعين : كالنذر المطلق ، واتمام صوم التطوع بعد الشروع فيه •

٥ ـ والمنهى عنه وهو عشرة أنواع :

يوم الشك ، وهو اليوم الذى يلى التاسع والعشرين من شعبان اذا تحدث الناس بالرؤية ولم تثبت أو شهد بهـا من ردت شهادته لفسق ونحوه • فان لم يتحدث بالرؤية أحد فليس يوم شك ولو كانت السماء مغيمة عند الحنفيين والشافعى •

صوم العيدين : وهو حرام عند مالك ، والشافعى ، وأحمد ، وبعض الحنفيين ، ومشهور مذهبهم أن صومهما مكروه تحريما لمـا فيه من الاعراض عن ضيافة الله تعالى • والثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن صومهما •

صوم أيام التشريق : وهى ثلاثة أيام بعد يوم النحر وصومها حرام ولو للمتمتع عند الليث بن سعد وهو المشهور عن الشافعى ،

والأصح عند أحمد وبه قال بعض الحنفيين ، ومشهور المذهب أن صومها مكروه تحريما لما فيه من الاعراض عن ضيافة الله تعالى .

صوم يوم الجمعة : وهو مكروه عند أبى يوسف ، والشافعى ، وأحمد ، اذا أفرده بالصوم الا أن يوافق عادة له . وفى الحديث : « لا يصم أحدكم يوم الجمعة الا أن يصوم قبله أو يصوم بعده »[1] .

افراد يوم السبت أو الأحد بصيام : فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التطوع بصوم يوم السبت ، وأباح صومه مع الجمعة ، وصامه هو مع الأحد ، مخالفة لليهود والنصارى .

صوم الدهر : فقد ورد النهى عن صومه . فيحرم صوم السنة كلها بما فيها أيام العيد ، والتشريق لحديث : « لا صام من صام الأبد »[2] .

وصال الصوم : وهو صوم يومين فأكثر بلا فطر بينهما قصدا . وهو منهى عنه فى حديث قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « اياكم والوصال » قالها ثلاث مرات ... الحديث[3] .

الصوم فى النصف الثانى من شعبان : فانه يكره عند الشافعية التطوع فى النصف الثانى من شعبان الا صوما اعتاده أو وصله بصوم فى النصف الأول .

صوم المرأة وزوجها حاضر : فانه لا يحل للزوجة أن تصوم تطوعا وزوجها حاضر الا باذنه فقد ورد فى هذا حديث قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم :

« لا تصم المرأة يوما واحدا وزوجها شاهد الا باذنه الا رمضان »[4] .

وحكمة حرمة ما ذكر على المرأة ، أن زوجها له حق الاستمتاع بها فى أى وقت ، وهو واجب على الفور فلا يفوت بالتطوع ، ولا بواجب

---

(١) اخرجه البيهقى والستة الا النسائى . وقال الترمذى : حسن صحيح
(٢) اخرجه احمد والبخارى ومسلم وابن ماجه .
(٣) اخرجه مالك واحمد والبخارى ومسلم والبيهقى .
(٤) اخرجه احمد والبخارى ومسلم وابو داوود والبيهقى والدارمى .

على التراخى كقضاء رمضان والكفارات والنذر المطلق . ولهذا قالوا :

اذا تطوعت المرأة بشىء من ذلك بلا اذن زوجها فله أن يفسده عليها بالجماع ، ويلزمها قضاؤه . وقال بعض الشافعية : يكره تطوعها بصوم وغيره بلا اذن زوجها . والصحيح الحرمة . فلو صامت بلا اذن صح صومها وان كان حراما ، لأن تحريمه لحق الزوج لا لمعنى يعود على الصوم . فهو كالصلاة فى دار مغصوبة ، فاذا صامت بلا اذن فلا ثواب لها .

كذلك يكره للضيف أن يتطوع بدون اذن رب المنزل : فقد ورد فى حديث شريف : « ... ومن نزل بقوم فلا يصومن الا باذنهم »[1] .

وكان ابن عمر اذا أراد أحد أن يصحبه فى سفر اشترط عليه ، ألا يصحبنا على تغيز خلال ، ولا ينازعنا الأذان ، ولا يصومن الا باذننا[2] .

والنهى فيما ذكر للتنزيه[3] .

٦ ـ الصوم التطوع :

صوم ستة أيام من شوال : فقد ورد فيه حديث قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال فكأنما صام الدهر »[4] .

والمعنى : أن من واظب على صيام رمضان وستة أيام من شوال فى كل سنة فكأنما صام طول حياته . أما من صام رمضان وستا من شوال سنة واحدة فكأنما صام سنة واحدة لأن الحسنة بعشر أمثالها ، ورمضان بعشرة أشهر والستة أيام بشهرين .

---

(١) من حديث اخرجه الطبرانى فى الصغير والأوسط .

(٢) اخرجه الطبرانى فى الكبير بسند رجاله رجال الصحيح .

(٣) والحكمة من هذه الكراهة هى دفع تحرج اهل المنزل صومه لتقييد الوقت واحسان الطعام للصائم بخلاف ما اذا كان مفطرا .

(٤) اخرجه احمد ومسلم والبيهقى والدارمى والأربعة الا النسائى وقال الترمذى : حسن صحيح .

والحكمة فى مشروعية صومها : أنها تجبر ما وقع فى رمضان من خلل .

والأفضل : عند الحنفيين والشافعى صومها متوالية عقب يوم الفطر لظاهر قوله صلى الله عليه وسلم : « ثم أتبعه بست من شوال » فان فرقها أو أخرها عن أول شوال فقد حصل أصل السنة .

وقال أحمد : يستوى التتابع وعدمه فى الفضل .

صوم شوال والأربعاء والخميس : فقد ورد فى هذا حديث قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان ، وشوالا ، والأربعاء ، والخميس ، والجمعة ، دخل الجنة »[1] .

والمعنى صم شوالا بعد يوم الفطر ، والأربعاء ، واليومين بعده من كل شهر .

وقد ورد فى هذا أحاديث ضعيفة يقوى بعضها بعضا .

صوم تسع ذى الحجة : فقد ورد أنه يستحب لغير الحاج صيام تسعة أيام من ذى الحجة ففى الحديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذى الحجة ، ويوم عاشوراء ، وثلاثة أيام من كل شهر أول اثنين من الشهر والخميس[2] .

صوم يوم عرفة : وهو اليوم التاسع من ذى الحجة ويتأكد صومه بغير عرفة ، ففى الحديث :

« صوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة ، وصوم عاشوراء يكفر سنة ماضية »[3] .

قال الترمذى : قد استحب أهل العلم صيام يوم عرفة الا بعرفة .

ومعنى الحديث : صيام يوم عرفة يكفر ذنوب[4] السنة الماضية ويحول بين صائمه وبين الذنب فى السنة الآتية :

صوم المحرم : أى يستحب صوم شهر الله المحرم فقد ورد فى

---

(١) اخرجه احمد وفيه من لم يسم وبقية رجاله ثقات .

(٢) اخرجه احمد وابو داوود والبيهقى بسند جيد .

(٣) اخرجه احمد والنسائى وابن ماجه والبيهقى من عدة طرق .

(٤) المراد : الذنوب الصغائر عند الجمهور ، لان الكبائر لا يكفرها الا التوبة او عفو الله ، فان لم يكن له صغائر خفف عنه الكبائر ان كانت والا رفعت درجاته .

الحديث : « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم »[١] وظاهره أن المراد صيام المحرم بتمامه .

صوم عاشوراء : وهو يوم معظم فى الجاهلية والاسلام .

فقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم : لما قدم المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء ، فسئلوا عن ذلك ، فقالوا : هو اليوم الذى أظهر الله فيه موسى على فرعون ونحن نصومه تعظيما له . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « نحن أولى بموسى منكم » فصامه وأمر بصيامه[٢] .

وقد ورد أنه من السنة صيام عاشوراء واحياؤه بالطاعة والتوسعة فيه على الأهل والأقارب والفقراء بلا تكلف ولا التزام . ففى الحديث : « من وسع على نفسه وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته »[٣]

صوم يوم الاثنين والخميس : فقد ورد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم : كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس فقيل له : فقال : « ان الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم — أو لكل مؤمن — الا المتهاجرين[٤] فيقول : أخرهما »[٥] .

صوم ثلاثة أيام من كل شهر : فقد ورد فى الحديث : « من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كله »[٦] .

وقد دل هذا الحديث مع غيره من الأحاديث الواردة فى هذا : على استحباب صيام ثلاثة أيام غير معينة من كل شهر — عربى — ويؤيده حديث معاذ عن عائشة أنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) اخرجه احمد ومسلم والأربعة والبيهقى .

(٢) اخرجه الدارمى والسبعة الا الترمذى والدارمى .

(٣) اخرجه ابن عبد البر فى « الاستذكار » والبيهقى فى « الشعب » على شرط مسلم .

(٤) من الهجر وهو ضد الوصل والمراد : العداوة والبغضاء .

(٥) اخرجه احمد وابن ماجه بسند صحيح .

(٦) اخرجه احمد وابن حبان وابن خزيمة والنسائى وابن ماجه والترمذى ، وزادوا : فانزل الله تصديق ذلك فى كتابه : « **من جاء بالحسنة فله عشر امثالها** » (الانعام : ١٦٠) — اليوم بعشرة . وحسنه الترمذى .

يصوم ثلاثة أيام من كل شهر . قالت : فقلت من أيه كان يصوم ؟ فقالت : لم يكن يبالى من أيه كان يصوم[1] .

صوم الأيام البيض : وهى الليالى المقمرة طول الليل ، فقد ورد في الحديث : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نصوم البيض : ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة . وقال : هى كصوم الدهر »[2] .

صوم ثلاثة أيام متفرقة : فقد ورد أنه يستحب صيام ثلاثة أيام من كل شهر موزعة بين الاثنين والخميس وأحدهما مكرر ، أو يصوم من كل عشرة أيام يوما . لقول حفصة رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من الشهر : الاثنين والخميس والاثنين من الجمعة الأخرى »[3] .

صيام ثلاثة أيام معينة : فقد ورد أنه يستحب صيام ثلاثة أيام معينة من كل شهر من أوله . أو السبت والأحد والاثنين من أول الشهر . ثم الثلاثاء والأربعاء والخميس من أول الشهر الذى بعده . أو الاثنين من أوله ثم الخميس والجمعة ، أو ثلاثة من آخره . لحديث ابن مسعود رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصوم ثلاثة أيام من غرة كل هلال وقلما يفطر يوم الجمعة »[4] .

صوم داوود عليه السلام : وهو صوم يوم وافطار يوم وهو أحب الصوم وأفضله لأنه أشق على النفس ، فانه لا يعتاد الصيام ولا الفطر ، وفاعله يمكنه أن يؤدى حق نفسه وأهله وزائره أيام فطره . بخلاف من يتابع الصوم فانه لا يمكنه القيام بهذه الحقوق . فقد ورد عن ابن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الصيام صيام داوود عليه السلام ، كان يصوم يوما ويفطر يوما »[5] .

* * *

---

(١) اخرجه احمد ومسلم وابو داوود وابن ماجه والبيهقى والترمذى وقال : حسن صحيح .

(٢) اخرجه احمد ابو داوود والنسائى وابن ماجه والبيهقى .

(٣) اخرجه احمد وابو داوود والنسائى والبيهقى .

(٤) اخرجه احمد والنسائى وابن ماجه والبيهقى والترمذى وقال : حسن غريب .

(٥) اخرجه البخارى والنسائى وهذا لفظه

فلا تنس كل هذا واحرص على أن تكون من أهل الخير الذى ستكون من أشد الناس حاجة الى ثوابه يوم القيامة ، ولله در أبى الدرداء رضى الله عنه ، فلقد روى أنه وقف ذات يوم أمام الكعبة ثم قال لأصحابه : أليس اذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ قالوا : نعم • قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون • فقالوا : دلنا على زاده • قال : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور •

* * *

وحسبك ترغيبا لك فى اعداد هذا الزاد قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من صام يوما فى سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفا »[1] •

* * *

ولهذا عندما دعا الحجاج أعرابيا ليأكل معه ، قال الأعرابى : دعانى من هو خير منك فلبيته • فقال الحجاج : من هو ؟ فقال الأعرابى : ربى دعانى للصوم فصمت • فقال : كل اليوم وصم غدا • فقال الأعرابى : أتضمن لى الحياة لغد ؟ فقال الحجاج : لا • فقال الأعرابى : فكيف أبيع حاضرا بآجل ؟ فقال الحجاج : انه طعام لذيذ طيب • فقال الأعرابى : والله ما طيبته أنت ، ولا طيبه طاهيك ، وانما طيبته العافية • فقال الحجاج : صدقت •• ولكن اليوم شديد الحر • فقال الأعرابى : وأنا صمت ليوم أشد منه حرا • فقال الحجاج : ان فطرك اليوم خير ، فقال الأعرابى : **« وأن تصوموا خير لكم ، ان كنتم تعلمون »**[2] فقال الحجاج : هديت يا رجل فانصرف راشدا •

* * *

ويؤيد هذا ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا موسى على سرية فى البحر ، فبينما هم كذلك قد رفعوا الشراع فى ليلة مظلمة اذا هاتف فوقهم يهتف : يا أهل السفينة •• قفوا أخبركم بقضاء الله على نفسه • فقال أبو موسى : أخبرنا ان كنت مخبرا • قال : ان الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له فى يوم حار سقاه الله يوم العطش ، وكان حقا على الله عز وجل أن يرويه يوم القيامة • قال راوى الحديث :

---

(١) اخرجه احمد والنسائى وابن ماجه . (٢) البقرة : ١٨٤

فكان أبو موسى يتوخى اليوم الشديد الحر الذى يكاد الانسان ينسلخ فيه حرا فيصومه[١] .

* * *

وربك لو أبصرت قوما تتابعت عزائمهم حتى لقد بلغوا الجهدا
لأبصرت قوما حاربوا النوم وارتدوا بأردية التسهاد والتزموا السهدا
وصاموا نهارا دائما ثم أفطروا على بلغ الأقوات واستعملوا الكدا
أولئك قوم أحسن الله فعلهم وأبدلهم من حسن فعلهم الخلدا
فياطالب الحوراء فى خدرها وطالبا ذاك على قدرها
انهض بجد لا تكن وانيا وجاهد النفس على صبرها
وقم اذا الليل بدا وجهه وصم نهارا فهو من مهرها

* * *

مع ملاحظة :

أنه لم يثبت من طريق صحيح فى صوم رجب نهى ولا ندب الا ما ورد فى الترغيب فى صوم الأشهر الحرم وهو منها .

وأن صوم نصف شعبان لعينه لم يرد به نص ثابت ولا أصل يعتمد بل يكره تخصيصه بالصوم .

وأنه يستحب صوم شعبان كله أو جله لحديث أم سلمة رضى الله عنها : أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصله برمضان[٢] .

* * *

وأما عن ركعتى الضحى فقد ورد فى فضلهما أحاديث كثيرة نذكر منها ما يلى :

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يصبح على كل سلامى[٣] من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر

---

(١) اخرجه البزار وابن ابى الدنيا .
(٢) اخرجه ابو داوود والنسائى .
(٣) عظامه ومفاصله .

بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، ويجزى[١] من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى »[٢] .

وعن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فى الانسان ستون وثلاثمائة مفصل عليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة » قالوا : فمن الذى يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال : « النخامة فى المسجد يدفنها أو الشىء الذى ينحيه عن الطريق ، فان لم يقدر فركعتا الضحى تجزى عنه »[٣] .

وهى عبادة مستحبة يبتدىء وقتها بارتفاع الشمس قدر زمح وينتهى حين الزوال ، والمستحب أن تؤخـر الى أن ترتفع الشمس ويشتد الحر .

وأقل ركعاتها اثنتان ، وأكثر ما ثبت من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ثمانى ركعات ، وأكثر ما ثبت من قوله اثنتا عشرة ركعة . وقد ذهب قوم الى أنه لا حد لأكثرها .

وعن أم هانىء : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى سبحة الضحى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين[٤] .

* * *

وأما عن الوتر :

فقد سبق الحديث عنه[٥] وحسبك أن تذكر هذا الحديث الشريف : « من ظن منكم أن لا يستيقظ آخره[٦] فليوتر أوله ، ومن ظن منكم أنه يستيقظ آخره فليوتر آخره فان صلاة الليل محضورة[٧] وهى أفضـل »[٨] .

* * *

---

(١) اى يكفى .
(٢) رواه احمد ومسلم وابو داوود .
(٣) رواه احمد وابو داوود .
(٤) رواه ابو داوود باسناد صحيح .
(٥) فى الجزء الثانى من « وصايا الرسول ﷺ » .
(٦) اى الليل .
(٧) اى تحضرها الملائكة .
(٨) رواه احمد ومسلم والترمذى وابن ماجه .

الوصية التاسعة عشرة

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« جاهدوا فى سبيل الله ، فان الجهاد فى سبيل الله باب من أبواب الجنة ينجى الله تبارك وتعالى به من الهم والغم » .

(رواه أحمد واللفظ له ، ورواته ثقات . والطبرانى فى « الكبير » و « الأوسط » والحاكم وصحح اسناده)

* * *

فكن أخا الاسلام :

من المجاهدين فى سبيل الله ، الذين تعاقدوا مع الله سبحانه وتعالى فاشترى منهم « ... **أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله** »[1] فكانوا أهلا لبشارة الله سبحانه وتعالى فى قوله بعد هذا : « **فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم** »[2] .

وحسبى ترغيبا لك فى خوض معركة الشرف والصمود فى وجه أعدائنا المعتدين أن أسوق اليك فى أول هذا العرض الموضوعى قول الله تبارك وتعالى :

« ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم »[3] .

« ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض »[4] .

---

(١) التوبة : ١١١
(٢) التوبة : ١١١
(٣) البقرة : ٢١٨
(٤) الأنفال : ٧٢

« والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا »[١] .

« الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا ، ان الله عنده أجر عظيم »[٢] .

« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو أجتباكم ... »[٣] .

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ... »[٤] .

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون »[٥] .

* * *

وقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

عن سهل بن سعد رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رباط[٦] يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة[٧] يروحها العبد فى سبيل الله ، أو الغدوة[٨] خير من الدنيا وما عليها »[٩] .

عن سلمان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وان مات فيه جرى عليه عمله الذى كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن من الفتان[١٠] »[١١] .

---

(١) الأنفال : ٧٤ (٢) التوبة : ٢٠ — ٢٢

(٣) الحج : ٧٨ (٤) العنكبوت : ٦٩

(٥) التوبة : ٤١

(٦) الرباط : مصدر بمعنى المرابطة وهى الاقامة فى الشخص تجاه العدو للحراسة .

(٧) الروحة : المرة الواحدة من المجىء .

(٨) الغدوة : هى المرة الواحدة من الذهاب .

(٩) رواه البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم .

(١٠) والمراد ان المرابط بعد الموت لا يسئل فى قبره من منكر ونكير ، او يسلم من وسوسة الشيطان واغوائه عند الموت ، ويكون المراد من الفتان الشيطان .

(١١) رواه مسلم واللفظ له ، والترمذى والنسائى والطبرانى ، وزاد : « وبعث يوم القيامة شهيدا » .

عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان صلاة المرابط تعدل خمسمائة صلاة ، ونفقة الدينار والدرهم منه أفضل من سبعمائة دينار ينفقه فى غيره »(١) .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عينان لا تمسهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله »(٢) .

عن أبى أمامة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من رجل يغبر وجهه فى سبيل الله الا آمنه الله دخان النار يوم القيامة ، وما من رجل تغبر قدماه فى سبيل الله الا آمن الله قدميه النار يوم القيـــامة »(٣) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رمى بسهم فى سبيل الله ، كان له نورا يوم القيامة »(٤) .

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله .. أى الأعمال أفضل ؟ قال : « الايمان بالله والجهاد فى سبيل الله »(٥) .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين فى سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض »(٦) .

عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل ميت يختم على عمله الا المرابط فى سبيل الله ، فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ، ويؤمن من فتنة القبر »(٧) .

عن أنس رضى الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أجر الرباط فقال : « من رابط ليلة حارسا من وراء المسلمين كان له أجر من خلفه ممن صام وصلى »(٨) .

* * *

(١) رواه البيهقى .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه الطبرانى والبيهقى .
(٤) رواه البزار باسناد حسن .
(٥) رواه البخارى ومسلم .
(٦) رواه البخارى .
(٧) رواه ابو داوود والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم ، وابن حبان فى صحيحه .
(٨) رواه الطبرانى فى « الأوسط » باسناد جيد .

فرضـــية الجهـــاد

الجهاد : مصدر جاهد جهادا ومجاهدة ، بمعنى بذل وسعه ، وهو مأخوذ من الجهد ــ بفتح الجيم ــ بمعنى المشقة ، أو بمعنى الطاقة والاستطاعة ، يقال : بذل فى الأمر جهده ، قال تعالى : « **وأقسموا بالله جهد أيمانهم** .. »[1] أى بالغوا فى اليمين واجتهدوا .

ولم يشرع الجهـــاد الا بعد الهجرة ، فقد كان المسلمون فى مكة مأمورين بأن يكفوا أيديهم ويقابلوا أذى المشركين بالعفو والصبر ، فلما هاجروا الى المدينة وانضموا الى اخوانهم الأنصار قويت شوكتهم ، واشتد جناحهم فأذن لهم حينئذ فى القتال انتقاما ممن ظلموهم بمكة ولكنه لم يفرض عليهم وفى ذلك يقول تعالى : « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير** »[2] . ثم فرض عليهم بعد ذلك قتال من قاتلهم دون من لم يقاتلهم وفى ذلك يقول تعالى : « **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم** ... »[3] ثم فرض عليهم بعد ذلك قتال المشركين كافة كما يقاتلونهم كافة ، وفى ذلك يقول تعالى : « .. **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** ... »[4] . تلك هى مراتب مشروعية الجهاد الذى كان فى أول الأمر محرما ، ثم صار مأذونا فيه ، ثم مأمورا به لجميع المشركين . والمشهور أنه فرض كفاية .

والدليل على هذا هو : أن النبى صلى الله عليه وســـلم كان يغزو بنفسه تارة ، وتارة يرسل غيره ويكتفى ببعض المسلمين ، وقد كانت سراياه وبعوثه متعاقبة والمسلمون بعضهم فى الغـــزو وبعضهم فى المدينة .

وقد ذهب الجمهور الى أنه فرض كفاية .

وقال المـــاوردى : انه كان فرض عين على المهاجرين دون غيرهم .

وقال السهيلى : كان عينا على الأنصار ، وقال ابن المسيب : انه فرض . والصحيح مذهب الجمهور ، وذهب ابن القيم الى أن جنس الجهاد فرض عين ، وأما الجهاد بالنفس ففرض كفاية .

* * *

(١) النور : ٥٣
(٢) الحج : ٣٩
(٣) البقرة : ١٩٠
(٤) التوبة : ٣٦

أقســام الجهـاد

وينقسم الجهاد من حيث المعنى العام الى ثلاثة أقسام :
الأول : جهاد النفس من الشيطان .
الثانى : جهاد أهل الفسوق والعصيان .
الثالث : جهاد الكفار .

* * *

فأما عن النفس والشيطان فهما من ألد أعداء الانسان ، وهما من أهم أسباب شقائه فى هذه الحياة الأولى وفى هذا يقول أحدهم معبرا عن هذا الشقاء الذى نلمسه جميعا ، وربما نعيش فيه :

انى ابتليت بأربع ما سلطوا   الا لشدة شقوتى وعنائى
ابليس والدنيا ، ونفسى ، والهوى   كيف الخلاص وكلهم أعدائى

وحسبنا اذا أردنا أن نعرف خطورة النفس أن نقرأ قول الله تعالى : **« وما أبرىء نفسى ، ان النفس لأمارة بالسوء »**[1] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم — ان صح هذا الحديث — بعد رجوعه من احدى غزواته[2] : « رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر » قالوا : وما الجهاد الأكبر ؟ قال : « جهاد النفس » .

ولهذا كان لابد اذا أراد الانسان أن يتغلب على عدوه ، أن يتغلب أولا على نفسه وهواه حتى اذا ما دعى داعى الجهاد لملاقاة العدو المعتدى على كرامته ووطنه كان بطلا جسورا ، وأسدا مغوارا فى وجه أعدائه .

فالبطل اذن : هو الذى يطلب الموت لتوهب له الحياة ، وهو الذى لا يبالى بكل هذه المتع الرخيصة التى تزينها له نفسه الأمارة ، فى سبيل الوصول الى الهدف الأسمى وهو الانتصار على عدوه الغادر اعلاء لكلمة الله ورفعة لوطنه ، وتأمينا له .

والصحابة الفضلاء ما انتصروا بقيادة قائدهم الأعلى صلوات الله وسلامه عليه على أعدائهم — أعداء الدين — الا بعد أن نقاهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطهر قلوبهم من الغل والحسد ، وربط بين هذه القلوب الطاهرة برباط الأخوة الخالصة التى أساسها الحب لله تحت

---

(١) يوسف : ٥٣   (٢) قيل : هى غزوة تبوك .

شعار قول الله تعالى : « **انما المؤمنون اخوة ...** »[١] ولهذا كانوا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى كتابه :

« **... ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** »[٢]

وكانوا أيضا كما وصفهم الله تعالى : « **أشداء على الكفار رحماء بينهم ...** »[٣] .

ومن هنا كان لابد اذا أردنا أن نكون كهؤلاء الرجال : أن نسير على منوالهم ونتخلق بأخلاقهم القويمة التى ما تربعت على قلوبهم الا بعد أن طهروها من حب الدنيا وكراهية الموت ، لأنهم كانوا ينشدون هدفا أسمى رغبهم الله سبحانه وتعالى فيه بعد قوله : « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب** »[٤] ثم قال : « **قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد** »[٥] .

ولهذا كانت الدنيا بكل ما فيها من شهوات لا وجود لها فى قلوبهم ، ولا بريق لها فى مخيلتهم . وما كان كل هذا الا نتيجة لما رأوه من قدوتهم الكامل صلوات الله وسلامه عليه الذى كان يزهدهم دائما وأبدا فى حب الدنيا قولا وعملا ، كما كان يرغبهم أيضا فى أعمال البر والمسارعة الى الأسباب التى تقربهم الى الله ، وتذكرهم به ، فكانوا كما تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى حديث قدسى :

« ... رهبانا[٦] بالليل ، ليوثا[٧] بالنهار ، ينادى مناديهم فى جو السماء[٨] ، لهم دوى كدوى النحل ... »[٩] .

فكانت النتيجة الحتمية لهذه النماذج الأخلاقية النادرة أن انتشر الاسلام وذاع وشاع حتى ملأ البقاع ، وحتى دانت لهم الأمم وخضعت لسلطانهم الرقاب ، وكان فضل الله عليهم عظيما .

---

(١) الحجرات : ١٠ (٢) الحشر : ٩
(٣) الفتح : ٢٩ (٤) آل عمران : ١٤
(٥) آل عمران : ١٥ (٦) اى عبادا بالليل .
(٧) اى اسودا بالنهار فى مواعيد العمل .
(٨) كناية عن الأذان . (٩) كناية عن قراءة القرآن .

فالاسلام : ما غزا شبه الجزيرة العربية وما انتصر على دولتى الفرس والروم الا بهؤلاء الرجال الذين انتصروا على أنفسهم وباعوها لله الذى تفضل عليهم بنعمة الاسلام الذى لولاه لظلوا الى ما شاء الله يتخبطون فى ظلمات الجهل ، ويعبدون الأحجار والأبقار ، ويقتلون البنات مخافة الفاقة والعار .

وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذه المنة فقال فى كتابه العزيز : **« لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين »**[١] .

ولما كان هؤلاء الرجال الأبطال قد أدوا واجبهم المقدس نحو دينهم ووطنهم وتركوا الاسلام أمانة فى أعناقهم ، كان لابد وأن نكون أهلا للمحافظة على هذه الأمانة التى تهون فى سبيلها الدنيا بأجمعها .

وذلك بالمجاهدة المستمرة مع النفس بكبح جماحها ، والسيطرة عليها حتى لا نكون مطية لها ، ونخسر كل شىء بسببها .

وحتى لا يحدث ما أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « ما ظهر الغلول[٢] فى قوم الا ألقي الله فى قلوبهم الرعب ، ولا فشا الزنا فى قوم الا كثر فيهم الموت ، ولا نقص قوم المكيال والميزان الا قطع عنهم الرزق ، ولا حكم قوم بغير حق الا فشا فيهم الدم ولا ختر[٣] قوم بالعهد الا سلط الله عليهم عدوهم »[٤] .

وقوله : « يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى الأكلة على قصعتها » فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : « بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن » قال قائل : يا رسول الله .. وما الوهن ؟ قال : « حب الدنيا وكراهية الموت »[٥] .

* * *

---

(١) آل عمران : ١٦٤

(٢) الغلول : الخيانة فى المغنم وغيره وفى التنزيل العزيز : **« ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة »** (آل عمران : ١٦١) .

(٣) ختر قوم بالعهد : اى غدروا به ونكثوا .

(٤) رواه مالك .

(٥) رواه ابو داوود والبيهقى فى « **دلائل النبوة** » .

فجاهد هواك حتى لا تقع فى هـذه المخالفات التى تغضب الله رب العالمين والتى ان حدثت كانت وبالا عليك وعلى أمتك •

مع ملاحظة أن الايمان الذى هو من أهم أسباب النصر على الأعداء كما جاء فى قوله تعالى : **« ... وكان حقا علينا نصر المؤمنين »**(١) : لن يكون حقيقة ملموسة الا بمجاهدة النفس والسيطرة عليها •

ولذا تراه سبحانه وتعالى فى حديثه عن المؤمنين يقول : **« التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ... »**(٢) •

لهذا ومن أجل هذه الصفات التى من أهمها المحافظة على حدود الله ، وعدم تعديها حتى لا يظلموا أنفسهم تنفيذا لقول الله تعالى : **« تلك حدود الله فلا تقربوها »**(٣) وهم يذكرون قوله تعالى : **« ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه »**(٤) بشرهم الله سبحانه وتعالى بقوله : **« وبشر المؤمنين »**(٥) •

* * *

وحتى تكون من هؤلاء المبشرين فى هذه الآية الكريمة ، وحتى تكون من المؤمنين حقا : اليك هذا الوصف الدقيق للمؤمن كما وصفه سيد المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه :

« المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم »(٦) •

« المؤمن كله منفعة : ان شاورته نفعك ، وان شاركته نفعك ، وان ماشيته نفعك ، فأمره كله منفعة »(٧) •

* * *

ويقول أحد المؤمنين فى وصف المؤمن :

« المؤمن رؤيته شفاء ، وموعظته دواء ، ينتفع برؤيته قبل روايته ، وخيره بادر ، وشره نادر » •

« المؤمن قليل الكلام كثير العمل ، والمنافق كثير الكلام قليل العمـل » •

« المؤمن بشره فى وجهه ، وحزنه فى قلبه ، أوسع صدرا ، وأخفى

---

(١) الروم : ٤٧
(٢) التوبة : ١١٢
(٣) البقرة : ١٨٧
(٤) الطلاق : ١
(٥) التوبة : ١١٢
(٦) حديث صحيح •
(٧) حديث صحيح •

نفسا ، زاجرا عن كل شر ، آمرا بكل خير ، لا حقود ، ولا حسود ، ولا مرتاب ، ولا سباب ، ولا غياب ، يكره الرفعة ، ويبغض السمعة ، طـويل الهم[١] كثير الغم[٢] حليف الصمت[٣] عـزيز الوقت[٤] ، لا متفاخر ، ولا متهتك ، ولا متكبر ، ضحكه تبسم ، واستفهامه تعلم ، ومراجعته تفهم ، لا يبخل ، ولا يعجل ، ولا يضجر ، ولا يجهل ، قليل المنازعة ، جميل المراجعة ، عدل ان غضب ، رفيق ان طلب ، خليص الود ، وثيق العهد ، وفى الوعد ، شفوق وصول ، حليم حمول ، قليل الفضول[٥] ، راض عن مولاه ، مخالف لهواه ، لا يغلظ على من يؤذيه ، ولا يخوض فيما لا يعنيه ، ان سب وأوذى لم يسب ، وان طلب ومنع لم يغضب ، ولا يشمت بمصيبة ، ولا يذكر أحدا بغيبة ، هشاش بشاش ، لا فحاش ولا غشاش ، كظام بسام ، دقيق النظر ، عظيم الحذر ، فهذا هو المؤمن حقا »[٦] .



فاحرص أخا الاسلام على أن تكون متمتعا بهذه الصفات الحميدة وذلك بمجاهدتك لنفسك .

واحذر أن يقودك الشيطان الرجيم الى الهاوية التى ان هويت فيها كنت مع الهالكين .

وحسبك تحذيرا لك من كيده وترغيبا لك فى مجاهدته أن تعلم أنه عدوك اللدود الذى أقسم بعزة الله سبحانه وتعالى على اغوائك فقال مخاطبا رب العزة : « ... **فبعزتك لأغوينهم أجمعين** »[٧] .

ولذلك حذرنا الله سبحانه وتعالى منه ومن كيده فقال : « **يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون** »[٨] .

---

(١) اى دائما وابدا مهموما بأمر الآخرة وما يتعلق بها .

(٢) أى فى الدنيا اذا راى ما يغضب الله سبحانه وتعالى تراه دائما وابدا متألما .

(٣) اى لا ينطق الا بالكلمة المثمرة .

(٤) اى وقته ثمين .

(٥) اى لا يتدخل فيما لا يعنيه .

(٦) لذى النون المصرى .

(٧) سورة ص : ٨٢

(٨) الاعراف : ٢٧

فجاهد هذا اللعين واحذر أن يكون وليا لك ، واذا أردت أن تتغلب عليه وتتحصن منه فعليك بالاستغفار والاكثار من ذكر الله تعالى الذى يقول : **« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين »**[1] ويعش : أى يغفل .

وقد روى أنه لما نزل قوله تعالى : **« .. وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »**[2] صاح ابليس ودعا بالويل والثبور ، فاجتمعت عليه شياطينه وقالوا له : مالك ؟ قال : نزلت آية لا يضر بعدها ذنب ، وذكرها لهم فقالوا : نفتح لهم باب الأهواء وتحسين الأعمال حتى لا يتوبوا ، ففرح بذلك .

* * *

فلاحظ كل هذا .. واياك أن تكون من الذين تحدث الله عنهم فقال : **« وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون »**[3] . وضع نصب عينيك دائما وأبدا حتى لا تضل أو تزل ، قول الله تبارك وتعالى : **« ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين »**[4] .

وحتى لا تقع فى شباك الشيطان وتغزوه قبل أن يغزوك ، لابد وأن تتحصن كذلك بالعلم النافع :

فقد ورد فى الحديث الشريف : « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد » .

لأنه بدون العلم يتخبط الانسان فى ظلمات الجهل وهو يحسب أنه يحسن صنعا ، فيكون بهذا من **« ... الأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا »**[5] وكما يقول القائل :

ولولا العلم ما سعدت نفوس   ولا عرف الحلال من الحرام

* * *

وحتى يتضح لك أهمية العلم ، اليك هذين الأثرين بالاضافة الى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الثابتة فى فضل العلم وأهله :

قال معاذ بن جبل رضى الله عنه : تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه

---

(١) الزخرف : ٣٦   (٢) الأنفال : ٣٣
(٣) النمل : ٢٤   (٤) البقرة : ١٦٨
(٥) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤ — بلفظ « بالأخسرين » .

من لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وهو الأنيس فى الوحدة ، والصاحب فى الخلوة ، والدليل على الدين ، والمصبر على السراء والضراء ، والوزير عند الأخلاء ، والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة ، ويرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم ، أدلة فى الخير ، تقتص آثارهم ، وترمق أفعالهم ، وترغب الملائكة فى خلقهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، وكل رطب ويابس لهم يستغفر ، حتى حيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، والسماء ونجومها ، لأن العلم حياة القلوب من العمى ، ونور الأبصار من الظلم ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلا ، والتفكير فيه يعدل بالصيام ، ومدارسته بالقيام ، به يطاع الله عز وجل ، وبه يعبد ، وبه يوحد ، وبه يمجد ، وبه يتورع ، وبه توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو امام والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه لكميل :

يا كميل .. العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو بالانفاق .

ولهذا كان يقول نظما :

ما الفخر الا لأهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا والناس موتى وأهل العلم أحياء

* * *

وحتى يتضح لك خطورة الجهل ، والفرق الشاسع بين الجاهل والعالم ، وتعرف معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قرأته فى السطور السابقة وهو : « فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد »[1] .

اليك هاتين القصتين الهادفتين :

روى أن عابدا من بنى اسرائيل كان يعبد الله سبحانه وتعالى فى صومعة فوق الجبل وذات يوم خرج كعادته لكى يتجول متأملا فى

---

(1) من حديث رواه الطبرانى فى « الأوسط » .

ملكوت الله تعالى حول صومعته ، وأثناء تجوله هذا رأى فى طريقه جثة آدمى تنبعث منها رائحة كريهة ، فمال العابد الى اتجاه آخر حتى يتفادى شم هذه الرائحة • عند ذلك ظهر له الشيطان فى صورة رجل من الصالحين الناصحين وقال له : لقد تبخرت حسناتك ولم يعد لك رصيد منها عند الله • فقال له العابد : ولم ؟ قال : لأنك أبيت أن تشم رائحة آدمى مثلك •

وعندما ظهر الألم على وجه العـابد ، قال له الشيطان مشفقا وناصحا : اذا أردت أن يغفر الله لك زلتك فانى ناصحك بأن تصطاد فأرا جبليا وتعلقه فى رقبتك على أن تعبد الله به طوال حياتك •

ونفذ العابد الجاهل نصيحة الشيطان الذى كان يتحين له الفرص ، فاصطاد الفأر الجبلى وظل يتعبد به حاملا النجاسة أكثر من ستين عاما الى أن مات •

وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال معلقا على هذا الخبر :

« مسألة علم — وفى رواية : مجلس علم — خير من عبادة ستين سنة » •

وقد روى أن سيدى عبد القادر الجيلانى رضى الله عنه كان يمشى ذات يوم فى الصحراء فتراءى له نور عظيم فى الأفق ، ثم سمع صوتا ينادى : يا عبد القادر •• أنا ربك ، وقد حللت لك المحرمات • فقال له : اخسأ يا لعين • فاذا بهذا النور ينقلب ظلاما ، واذا بالصوت يقول له : يا عبد القادر •• لقد نجوت منى بعلمك بأمر ربك وفقهك فى أحوال منازلتك ، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من كبار العباد ، ولولا علمك لضللت مثلهم •

ثم اليك كذلك ما جاء فى كتاب « أدب الدنيـا والدين » للحسن البصرى عليه رضوان الله حتى تتنبه أيضا لمداخل الشيطان وتعمل دائما وأبدا على مجاهدته بالعلم والعمل :

روى أن عيسى عليه السلام كان ذات يوم يقف فوق الجبـل فجاءه ابليس وقال له : ألستم تقولون ان الانسان اذا أراد الله له الموت لابد من موته ؟ قال : نعم • قال : والا ؟ قال : فلن يموت • عنده ذلك قال ابليس عليه لعنة الله لسيدنا عيسى عليه السلام : اذن فاقذف بنفسك من فوق الجبل فان كان الله قد أراد لك الموت فستموت ، والا فلا •••

فقال له سيدنا عيسى : اخسأ يا لعين ، ان لله تعالى أن يمتحن عبده ، وليس للعبد أن يمتحن ربه .

كما روى كذلك أن الشافعى عليه رضوان الله كان يجلس ذات يوم فى مجلس الدرس فاذا بابليس عليه لعنة الله يجلس بين تلاميذه فى صورة رجل منهم ثم يوجه اليه هذا السؤال الآتى :

ما قولك فيمن خلقنى كما اختار ، واستخدمنى فيمـا اختار ، وبعد ذلك ان شاء أدخلنى الجنة ، وان شاء أدخلنى النار ... أعدل فى ذلك أم جار ؟

وبنور من الله عرفه الشافعى ، ولهذا أجابه قائلا :

يا هذا .. ان كان خلقك لمـا تريد أنت فقد ظلمك ، وان كان خلقك لمـا يريد هو فلا يسئل عما يفعل .

فلاحظ كل هذا ...

وخالف النفس والشيطان واعصهما وان هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهمـا خصما ولا حكما فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

* * *

وأما عن المرتبة الثانية من مراتب الجهاد وهى :

مجاهدة أهل الفسوق والعصيان فهى أيضا من أهم واجبات المسلم نحو دينه ووطنه :

لأن الأخلاق اذا انحطت وصارت حطاما كانت سببا كبيرا فى ضياع الأمم وفى هذا يقول شاعرنا :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت فان هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

كما يقول :

واذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتمـا وعويلا

ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »[١] .

ومن هنا كان لابد وأن نحافظ على هذا الخلق الكريم الذى هو أساس نهضتنا وسعادتنا ، وهو عنوان أمتنا ، وكرامتنا ، والذى من أهمه الالتزام بمبادىء ديننا السامية الثابتة فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التى خلاصتها قول الله تعالى :

---

(١) حديث صحيح .

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون »[١] .

وقوله : **« والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »**[٢] .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وقف على ناس جلوس فقال لهم :

« ألا أخبركم بخيركم من شركم » ؟ قال أبو هريرة — راوى الحديث — : فسكتوا ، فقال ذلك ثلاث مرات ، فقال رجل : بلى يا رسول الله ، أخبرنا بخيرنا من شرنا ، فقال : « خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره ، وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره »[٣] .

وقوله : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا — ويشير الى صدره ثلاث مرات — بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه »[٤] .

وقوله : « المؤمنون كرجل واحد ، ان اشتكى عينه اشتكى كله ، وان اشتكى رأسه اشتكى كله »[٥] .

وقوله لأبى ذر رضى الله عنه : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن »[٦] .

ولهذا كانت الصلاة التى هى عماد الدين كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم أساسا لهذا الخلق الكريم ، وفى هذا يقول تعالى : **« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »**[٧] .

وكذلك الصيام ما كتبه الله علينا كما كتبه على الذين من قبلنا الا لكى نتعود عن طريقه مراقبة الله تعالى فى جميع أعمالنا الدنيوية والأخروية وفى ذلك يقول تعالى : **« كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »**[٨] .

---

(١) النحل : ٩٠ (٢) سورة العصر .

(٣) رواه الترمذى والبيهقى فى « شعب الايمان » ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) رواه مسلم . (٥) رواه مسلم .

(٦) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٧) العنكبوت : ٤٥ (٨) البقرة : ١٨٣

وأيضا الزكاة ما شرعت الا لتطهيرنا وتزكيتنا ، وفى ذلك يقول تعالى :
« **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** »(١) .

وكذلك الحج لابد وأن يكون الحاج فيه مجتنبا للرفث والفسوق والجدال .

وفى ذلك يقول تعالى : « **فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج** »(٢) .

ولهذا كانت كل هذه العبادات مرفوضة عند الله سبحانه وتعالى الذى « **يعلم السر وأخفى** »(٣) اذا لم تؤد الهدف الأسمى من مشروعيتها .

وحسبنا اذا أردنا دليلا على هذا أن نقرأ مثلا قول الله تعالى فى حديث قدسى : « انما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ، ولم يستطل على خلقى ، ولم يبت مصرا على معصيتى ، وقطع النهار فى ذكرى ، ورحم المسكين ، وابن السبيل ، والأرملة ، ورحم المصاب ، ذلك نوره كنور الشمس ، أكلؤه بعزتى ، وأستحفظه ملائكتى ، أجعل له فى الظلمة نورا ، وفى الجهالة حلما ، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة »(٤) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه »(٥) .

وقول الله تعالى : « **لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى** »(٦) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من حج ، فلم يرفث ، ولم يفسق : رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه »(٧) .

* * *

فلاحظ كل هذا مع ملاحظة قول الرسول صلى الله عليه وسلم :
« ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شىء ، وان أحسن الناس اسلاما ، أحسنهم خلقا »(٨) .

* * *

---

(١) التوبة : ١٠٣ (٢) البقرة : ١٩٧
(٣) طه : ٧ (٤) أخرجه البزار عن ابن عباس .
(٥) رواه البخارى وأحمد والترمذى وابو داوود .
(٦) البقرة : ٢٦٤
(٧) رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه الا انه قال : « غفر له ما تقدم من ذنبه » . (٨) رواه الترمذى .

وأنه ليس من الاسلام :

أن يكون المرء نماما ، أو مغتابا ، أو لعانا ، أو سبابا ، أو غاشا ، أو خائنـا •

أن يكون المرء ناقضا للعهد مخلفا للوعد ، متكبرا جبارا عنيدا مماطلا فى حقوق الناس •

وانما المسلم الحق :

من أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا •

من أسلم المسلمون من لسـانه ويده بحفظ العرض ، والدم ، والمـال •

من لا يحرف الكلم عن مواضعه ، بل يحل الحلال ويحرم الحرام •

من تراه واقفا عند حدود الشرع ممتثلا أمر ربه تعالى •

من اذا ذكر الله وجل قلبه ، وخشعت نفسه ، وفاضت عينه •

من آمن بكل ما جاء به القرآن الكريم علما وعملا •

من يعرض عن اللغو والباطل ، ويرعى العهد والميثاق •

من يرضى بحكم الله وقضائه وبحكم رسوله صلى الله عليه وسلم فى كل فعله وقوله •

من يتخذ المؤمنين أولياءه واخوانه وأعوانه •

من يمقت الذلة والمهانة ، ولا يأبى الا العزة والكرامة •

من يلتزم الصدق ولا ينكر الحق ولو على نفسه •

من لا سلطان للشيطان عليه ، بل السلطان عليه هو الضمير •

من يهجر المناهى والملاهى ، وكل مالا يرضى العاقل •

من يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكره لها •

* * *

ولا تنس قوله تعـالى : **« انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا • ومن ياته مؤمنـا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى • جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء من تزكى »**(١) •

* * *

(١) طه : ٧٤ — ٧٦

واحرص على أن تكون متخلقا بهذه الأخلاق الكريمة ، وكن قدوة صالحة لغيرك حتى تكون أهلا لاعلاء كلمة الله •

والا كان وعظك وارشادك لهم لا تأثير له ، لأنه كما يقولون : « اذا خرج الكلام من القلب وصل الى القلب ، أما اذا خرج من اللسان فلا يتجاوز الآذان » ولن يخرج الكلام من القلب الا اذا كان هذا القلب عامرا بالايمان ، ومشحونا بشحنة كبيرة من هدى القرآن ، وسنة النبى العدنان صلوات الله وسلامه عليه • وحسبك تذكيرا لك أن تقرأ قول الله تعالى :

« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم »(١) •

وقوله : **« كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون »**(٢) •

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « مررت ليلة أسرى بى بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، فقلت : من أنتم ؟ فقالوا : كنا نأمر بالخير ولا نأتيه ، وننهى عن الشر ونأتيه »(٣) •

ثم ما قاله الله سبحانه وتعالى لسيدنا عيسى عليه السلام كما ورد فى الأثر : « يا عيسى •• عظ نفسك ، فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى » •

لا تنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك اذا فعلت عظيم

ابدأ بنفسك فأنهها عن غيها ... فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

* * *

واذا كان هناك من يحيد عن هذا الخط المستقيم والخلق القويم : فهو خطر علينا وعلى أمتنا ، بل وعضو فاسد فى مجتمعنا ، من الواجب على كل مسلم أن يقاومه ويجاهده :

بيده : اذا كان حاكما ، لأنه وحده الذى يملك السلطة والقوة •

ولسانه : اذا كان عالما بالكتاب والسنة ويستطيع أن يبرهن على كلامه بالدليل العقلى والنقلى •

وقلبه : اذا لم يكن سلطانا أو عالما ، وليس فى استطاعته أن يفعل شيئا غير هز رأسه وتضرعه الى الله سبحانه وتعالى قائلا ودموعه

---

(١) البقرة : ٤٤ (٢) الصف : ٣

(٣) جزء من حديث صحيح •

تتساقط من عينيه ، وقلبه يتمزق ألما وحسرة : اللهم ان هذا عمل باطل فغيره .

وبهذا يأمرنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فيقول : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع ، فبقلبه وذلك أضعف الايمان »(١) .

فقد ورد فى هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه ولا يستجاب لكم »(٢) .

كما ورد أيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ما من رجل يكون فى قوم يعمل فيهم بالمعاصى ، ويقدرون على أن يغيروا عليه ولا يغيرون ، الا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا »(٣) .

وأيضا : « ان الله تعالى لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروا ، فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة »(٤) .



واذا كان هناك من لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر مستندا الى قول الله تبارك وتعالى : **« عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل اذا اهتديتم »**(٥) فاليه هذا الحديث : عن أبى ثعلبة فى قوله تعالى : **« عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل اذا اهتديتم »** فقال : أما والله لقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر ، حتى اذا رأيتم شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة ، واعجاب كل ذى رأى برأيه ، ورأيت أمرا لابد لك منه . فعليك نفسك ، ودع أمر العوام ، فان وراءكم أيام الصبر ، فمن صبر فيهن قبض على الجمر ، للعامل فيهن أجر خمسين منكم »(٦) .

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أوحى الله عز وجل الى جبريل عليه السلام أن اقلب مدينة كذا وكذا بأهلها ،

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الترمذى .
(٣) رواه الترمذى وابن ماجه .
(٤) رواه الترمذى .
(٥) المائدة : ١٠٥
(٦) رواه ابو داوود وابن ماجه .

فقال : يا رب .. ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين ، قال :
فقال : اقلبها عليه وعليهم ، فان وجهه لم يتمعر فى ساعة قط »[١] .

كما ورد أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يسأل العبد يوم القيامة فيقول : مالك اذا رأيت المنكر فلم تنكره ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيلقن حجته فيقول : يا رب .. خفت الناس ورجوتك »[٢] . فلاحظ كل هذا مع ملاحظة أن الله سبحانه وتعالى ما جعلنا خير أمة أخرجت للناس الا لأننا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، بعكس الذين لعنوا : **« من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون »[٣]** .

وقد قال الله تبارك وتعالى ممتنا علينا بهذه الخيرية : **« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر »[٤]** .

* * *

فكن من أهل هذه الخيرية وكن شجاعا فى رفع صوتك بكلمة الحق ولا تخش فى الله لومة لائم ، وقل الحق وان كان مرا كما أوصاك الرسول صلى الله عليه وسلم فى وصية من وصاياه : « ... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك »[٥] .

* * *

وحسبى بعد هذا العرض السريع أن أسوق اليك بعض المواقف البطولية التى سترى من خلال عرضها كيف كانت شجاعة أهل الحق وكيف كانت جرأتهم وتحديهم لقوى الظلم والطغيان حتى ارتفعت راية الحق ، وسقطت راية الباطل ، لأنه كما يقولون : « ما قام الباطل الا لغفلة أهل الحق » فمن هذه المواقف :

موقف الرسول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى وجه أعداء الدعوة الاسلامية ومواجهته لهم بكل شجاعة وثبات معلنا أنه رسول من قبل الله جاء ليخرجهم من الظلمات الى النور .

(١ ، ٢) رواهما البيهقى فى « شعب الايمان » .
(٣) البقرة : ٧٨ ، ٧٩ (٤) آل عمران : ١١٠ .
(٥) جزء من حديث شريف صحيح .

وكان هذا فى أول الدعوة بعد أن أمره الله سبحانه وتعالى بقوله : « **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين** »[١] فبدل الدعوة سرا بالدعوة جهرا ممتثلا أمر ربه واثقا بوعده ونصره •

فصعد على الصفا وجعل ينادى بطون قريش ، فلما اجتمعوا حوله دعاهم الى الاسلام بالمنطق السليم قائلا لهم : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقى » ؟

فأجابوه قائلين : نعم • ما جربنا عليك كذبا ، فقال لهم : « فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » •

ولكن هذا المنطق لم يعجب أبا لهب ، ولهذا قال له : تبا لك •• ألهذا جمعتنا ؟ فبكى الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه كان يتوقع هذا من غير أعمامه ، فرد الله على أبى لهب بقوله : « **تبت يدا أبى لهب وتب • ما أغنى عنه ماله وما كسب • سيصلى نارا ذات لهب • وامرأته حمالة الحطب • فى جيدها حبل من مسد** »[٢] •

وأخذت الدعوة بعد ذلك تسرى بين الناس سريان السحر ، لأنها منطقية وضرورية ، ولأن ظلام الشرك كان قد انتشر فى شبه الجزيرة العربية بل وفى جميع بقاع الأرض ، حتى أصبح العالم أجمع فى حاجة الى منقذ وفى حاجة الى زعيم روحى أخروى ، يزيل الباطل ، وينصر المظلوم ، ويعيد الى الدنيا أنوار الحق ، وأسباب الفلاح •

وشاء الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا المنقذ والزعيم هو : سيد السادات صلوات الله وسلامه عليه الذى لولاه لظل العالم أجمع الى يومنا هذا فى ضلال مبين ، وضياع مهين •

وكان من المفروض على أهل مكة وهم أهله وعشيرته أن يعتزوا بهذا الشرف الذى ساقه الله اليهم ، ويقفوا بجوار الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه الذى لم يجربوا عليه كذبا بشهادتهم جميعا ، حتى يتمكن من تبليغ دعوته ونشرها فى كل مكان ، ولكنهم للأسف الشديد ، رغم اقتناعهم الداخلى به وبدعوته : وقفوا له ولدعوته ، ولكل من آمن به بالمرصاد[٣] •

ومن ذلك ما رواه البخارى : عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وهو يصلى

---

(١) الحجر : ٩٤ (٢) سورة المسد .

(٣) خاصة الضعفاء منهم : كبلال ، وعمار وابيه ياسر ، وامه سمية .

فقال أبو جهل : ألا رجل يقوم الى فرث[1] جزور[2] بنى فلان فيلقيه على محمد وهو ساجد ؟ فقام عقبة بن أبى معيط ــ عليه لعنة الله ــ وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فلم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على القائه عنه لضعفهم عن مقاومة عدوهم ، ولم يزل عليه السلام ساجدا حتى جاءت فاطمة ابنته فأخذت القذر ورمته .

ويروى البخارى أيضا فى صحيحه : بينما النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط ــ عليه لعنة الله ــ فوضع ثوبه فى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقا شديدا ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال : **« أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم »**[3] .

وعندما تبين للمشركين من قريش أن محمدا ماض فى دعوته التى تنتشر رغم أنوفهم ، وأنه لا يخشى بأسهم ، ولا يخاف منهم ، ولا يهتز بتآمرهم ، فكروا فى الحيلة والترغيب . فأرسلوا اليه عتبة ابن ربيعة فى ثياب الحمل ليقول له : « يا ابن أخى .. انك منا حيث قد علمت ــ من المكان فى النسب ، وقد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، فاسمع منى أعرض عليك أمورا : ان كنت انما تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تصير أكثرنا مالا ، وان كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى يأتيك رئيا[4] تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ » فقرأ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم انذارا من الله سبحانه وتعالى يقول فيه : **« حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون »**[5] الى قوله : **« فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود »**[6] .

---

(١) الفرث : مافى كرش الناقة .

(٢) الجزور : من الابل ويطلق على الذكر والأنثى .

(٣) غافر : ٢٨

(٤) أى جنيا .

(٥) فصلت : ١ ــ ٤

(٦) فصلت : ١٣

فكان هذا الانذار ينزل على رأسه كالمطرقة ، الأمر الذى جعله يقوم مسرعا الى قومه معلنا فشله فى مهمته .

فحاولوا بعد ذلك التفريق بينه وبين عمه أبى طالب الذى كان يحميه منهم — حتى يستطيعوا أن يفتكوا به بسهولة ، ودون مقاومة من قومه — فذهبوا الى عمه مرة بعد مرة وطلبوا اليه فى النهاية أن يكف عنهم محمدا أو ينازلوه هو ومحمد حتى يهلك أحد الفريقين .

وكان أبو طالب محبا للسلام ، وغير راغب فى سفك الدماء ، فأرسل الى ابن أخيه صلوات الله وسلامه عليه فجاءه ، وعندما جاءه قال له :

« يا ابن أخى .. أبق على نفسك وعلى ، ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق » فظن النبى صلى الله عليه وسلم أن عمه سيخذله ، ولهذا أجابه اجابة تنطق بالحزم الصارم ، والايمان العميق قائلا : « والله يا عمى .. لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » ثم بكى وقام منصرفا ، فقال له عمه الذى رأى منه الرجولة الكاملة والعزيمة القوية : « أقبل يا ابن أخى » فأقبل عليه . فقال له عمه : « اذهب فقل ما أحببت ، والله لا أسلمك اليهم أبدا » .

وعندما فشلت كذلك هذه المؤامرة ، وتبين لهم أن أمر محمد صلى الله عليه وسلم يتعاظم على الرغم مما يصيبه وأصحابه الضعفاء من الأذى والألم ، قرروا محاربته بسلاح أقوى ضراوة وهو سلاح المقاطعة

فأجمعوا أمرهم على منابذة بنى هاشم وبنى المطلب ولدى عبد مناف ، واخراجهم من مكة والتضييق عليهم ، فلا يبيعون لهم شيئا ، ولا يبتاعون منهم ، ولا يزوجونهم ، ولا يتزوجون منهم ، حتى يسلموا محمدا للقتل . وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها فى جوف الكعبة .

فكانت النتيجة عكس ما يريدون ويتوقعون ، فقد وقف بنو هاشم وبنو المطلب فى هذه المحنة الى جوار محمد فلم يخذلوه ، ولم يسلموه وانحازوا جميعا — مسلمين وكفارا عدا أبى لهب — الى شعب أبى طالب ومكثوا فى هذا السجن الرهيب ثلاثة أعوام عضهم فيها الجوع حتى أكلوا ورق الأشجار ، ومع ذلك لم يفكروا فى التخلص من محمد وخذلانه ، وفى ذلك يقول قائلهم :

فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا ... لعزاء من عض الزمان ولا كرب
ولسنا نملّ الحرب حتى تملنا ... ولا نشتكى ما قد ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهى ... اذا طار أرواح الكماة من الرعب

الى أن أذن الله لهذا الليل الطويل بالانتهاء فقام خمسة نفر من قريش بالاتصال بهؤلاء الطغاة من قريش الى أن نجحوا فى استمالتهم بعد أن أقنعوهم بتمزيق تلك الصحيفة الظالمة القاطعة ، فخرج بنو هاشم وبنو المطلب الى الحياة من جديد •

وأخيرا وبعد كل هذه المؤامرات الدنيئة الفاشلة بسبب الموقف الرجولى من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين أحبوه **« ••• وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه »**(١) •

قرر الطواغيت : القضاء على محمد صلى الله عليه وسلم بأيدى شبان ــ من جميع بطون قريش ــ يضربونه ضربة رجل واحد ليتفرق دمه فى القبائل •

فيخبره الله سبحانه وتعالى بخبر هذه المؤامرة فى قوله تعالى : **« واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك(٢) أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين »**(٣) •

فكان هذا ايذانا له بالهجرة الى يثرب حيث الجو الملائم لدعوته ، وحيث الأنصار والمهاجرين الذين أذن لهم بالهجرة الى هناك حيث الأمان والايمان ، والاخاء والاخوان •

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم طوال هذه السنين العشر التى قضاها فى مكة يدعو الى الله راسخا كالجبل ، وصابرا **« كما صبر أولوا العزم من الرسل »**(٤) كما أمره الله سبحانه وتعالى على لسان سفيره جبريل عليه السلام وكما هو ثابت فى كتابه العزيز •

وكان كلما أوذى من قومه ذكره الله سبحانه وتعالى بما حدث للأنبياء السابقين قبله من ايذاء حتى يصبر كما صبروا ، وحتى يكون فى ذلك أيضا عظة وذكرى للمؤمنين • وفى ذلك يقول تعالى : **« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين »**(٥) لأن طريق الحق كما هو ثابت فى تاريخ الأمم والشعوب مفروش دائما بالأشواك ، ولهذا جعل الله تعالى التواصى بالحق مقترنا بالصبر فى قوله : **« وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »**(٦) •

وذات يوم فكر فى أن يهاجر فرارا بدعوته قبل أن يؤذن له ،

---

(١) الأعراف : ١٥٧
(٢) اى يسجنوك .
(٣) الأنفال : ٣٠
(٤) الأحقاف : ٣٥
(٥) هود : ١٢٠
(٦) العصر : ٣

فأنزل الله عليه قوله : « **فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت** »[١] وهو يونس عليه السلام الذى كان قد ترك ميدان الدعوة دون أمر من الله سبحانه وتعالى عندما وجد اعراضا من قومه ، وعدم استجابة لدعوته ، فكان أن جعله الله فى بطن الحوت الى أن ألهمه سبحانه بكلمات قالهن كانت سببا فى نجاته ونجاة كل من يتشبه به من المؤمنين ، وفى ذلك يقول تعالى :

« **وذا النون[٢] اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين • فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجى المؤمنين** »[٣] •

فكانت النتيجة الحتمية لصبر الرسول صلى الله عليه وسلم وثباته فى مواجهة الباطل وتحديه لقوى الشرك والطغيان : أن انتشر دينه وذاع وشاع حتى ملأ البقاع وحتى أنزل الله عليه قوله : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** »[٤] •

وبعدها فارق الدنيا الى جوار ربه بعد أن ترك رجالا تخرجوا من مدرسته لكى يخلفوه فى حمل الأمانة ، ونشر الرسالة •



وعلى رأس هؤلاء الخليفة الأول أبو بكر الصديق عليه رضوان الله الذى كان من أهم مواقفه : القضاء على الفتن التى اشتعلت نيرانها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم والتى منها :

المتنبئون : وهم قوم ادعوا النبوة ، ودفعهم حب الجاه والسلطان الى الكذب على الله وعلى الناس •

ومنهم : مسيلمة الحنفى (الكذاب) فى بنى حنيفة ، وسجاح بنت الحارث فى تميم ، والأسود العنسى فى اليمن ، وقد أيدتهم قبائلهم بدافع من العصبية القبلية المقوتة •

المرتدون : وهم الذين رجعوا بعد الرسول صلى الله عليه وسلم الى دينهم القديم كأنهم يظنون أن نبوة محمد مقصورة على أيام حياته أو أنه ما دام نبيا فلن يموت ، وهؤلاء كانوا فريقين : أحدهما

---

(١) القلم : ٤٨

(٢) ذا النون : أى صاحب الحوت .

(٣) الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨ — (٤) المائدة : ٣

انضم الى أتباع المتنبئين ، والآخـر : ظل مستقلا فى كفره وضلاله ، وهم سكان البحرين •

ومانعو الزكاة : وهم الذين زعموا أن الزكاة ضريبة خاصة كانوا يدفعونها لمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يرون أنه ليس هناك مبرر لدفعها بعد وفاته ، مع ارتباطهم بعقيدة التوحيد التى هى عماد الدين •

فقد أخمد أبو بكر هذه الفتن المستعرة فى حزم وصرامة ، وعقد اللواء لأحد عشر قائدا فى وقت واحد ، ووجه كل قائد الى جهة خاصة من بلاد العرب ، وأمرهم ألا يقاتلوا الا من كفر بالله ورسوله ، كما أرسل لجميع المرتدين كتابا يخبرهم فيه أن الرسول بشر يموت كما يموت كل انسان ، ويدعوهم الى الاسلام من جديد ، فمن عاد الى الاسلام عفا عنه ، ومن أبى قوتل حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله • فلم تمض سنة واحدة حتى تم له النصر ، ورجع الحق الى نصابه ، وعلت كلمة الدين من جديد •

* * *

فمن هذين الموقفين ترى بوضوح كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم يواجه قوى الشرك بكل شجاعة ، دون أن يهتز بكل هذه المؤامرات الدنيئة التى كانت تحيط به لأنه كان يهـدف الى الهدف الأسمى الذى بعث من أجله وهو تبليغ الرسالة مهما كلفه هذا من تضحيات ، فى الوقت الذى كان يتمنى فيه الهداية للجميع ، حتى لأبى جهل الذى كان يكيدا له ليلا ونهارا ، فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين ، عمرو بن هشام ، أو عمـر بن الخطاب » وكان يقول : « اللهم اهـد قومى فانهم لا يعلمون » •

ويوم أن دخل مكة فاتحا فى عشرة آلاف من جنـد الله ، عفا عن أعدائه فى الوقت الذى كان يستطيع فيه أن يفتك بهم وبسهولة •

فكانت النتيجة لهذا العفو أن دخل أكثرهم فى دين الله أفواجا •

* * *

كما ترى كيف كان الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم حازما فى مواجهة المرتدين والمتنبئين الكاذبين ومانعى الزكاة حتى أعاد كل شىء الى نصابه •

وكان سيدنا عمر قد عارضه فى قتال مانعى الزكاة قائلا : يا خليفة رسول الله .. تألف الناس وارفق بهم ، كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ، فمن قال لا اله الا الله فقد عصم منى نفسه وماله الا بحقه »[1] .

فكان جواب الصديق رضى الله عنه — الذى كان معروفا بلين الجانب عكس عمر عليه رضوان الله — : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عناقا[2] لقاتلتهم على منعها » ثم قال فى ثورة وقد تملكه الغضب : « يا ابن الخطاب .. رجوت نصرتك وجئتنى بخذلانك ؟ أجبار فى الجاهلية وخوار فى الاسلام ! انه قد انقطع الوحى وتم الدين ، أو ينقص وأنا حى » ؟ وحتى تعرف نتيجة هذه الصرامة من جانب الصديق فى مواجهة هؤلاء العصاة الذين فسقوا عن أمر ربهم ، اليك ما حدث بعد ذلك من جانب سيدنا عمر بعد أن قضى سيدنا أبو بكر على هذه الفتن التى كادت أن تقضى على الدعوة الاسلامية :

يقول أبو رجاء البصرى : « دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلا يقبل رأس رجل ويقول له : أنا فداؤك ، ولولا أنت لهلكنا . قلت : من المقبل ومن المقبل[3] ؟ قالوا : هو عمر يقبل رأس أبى بكر فى قتال أهل الردة اذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين » .

وهكذا أخا الاسلام ترى أن صاحب الحق لا يخشى فى الله لومة لائم ، ولا يتأثر بالعواصف والرياح والمؤامرات الدنيئة ما دام يؤمن بقول الله تعالى : **« لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا »**[4] .



وحتى يتبين لك بوضوح أن صوت الحق لا يعلى عليه ، اليك هذه القصة الموضوعية : جلس المأمون للمظالم يوما فكان آخر من تقدم اليه — وقد هم بالقيام — امرأة عليها هيئة السفر وعليها ثياب رثة ، فوقفت بين يديه فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ،

---

(١) رواه البخارى ومسلم بنحوه .
(٢) الأنثى من أولاد المعز .
(٣) المقبل والمقبل : الأولى بكسر الباء ، والثانية بفتحها .
(٤) التوبة : ٥١

فنظر المــأمون الى يحيى بن أكثم ، فقال لها يحيى : وعليك السلام. يا أمة الله .. تكلمي فى حاجتك ، فقالت :

يا خير منتصف يهــدى له الرشد ويا اماما به قــد أشرق البــلد
تشــكو اليك عميد القوم أرملة عدا عليهــا فلم يترك لها سبد
وابتز منى ضياعى بعد منعتها ظلمــا وفرق بين الأهل والولد

فأطرق المــأمون حينا ثم رفع رأسه وهو يقول :

فى دون ما قلت زال الصبر والجلد عنى وأقرح منى القلب والكبــد
هــذا أذان العصر فانصرفى واحضرى فى اليوم الذى أعــد
والمجلس السبت ان يقض الجلوس لنا ننصفك منه والا المجلس الأحــد

فلما كان يوم الأحد ، جلس المــأمون فكان أول من تقدم اليه تلك المرأة فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : وعليك السلام .. أين الخصم ؟ فقالت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين ، وأومأت الى العباس ابنه . فقال : يا أحمد بن أبى خالد خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم .

فجعل كلامها يعلو كلام العباس ، فقال لها أحمد بن أبى خالد : يا أمة الله .. انك بين يدى أمير المؤمنين ، وانك تكلمين الأمير فاخفضى من صوتك . فقال المــأمون : دعها يا أحمد ، فان الحق أنطقها وأخرسه ، ثم قضى لها برد ضيعتها وأمر لها بنفقة .

ويحكى أن بعض الملوك الجبارين أغار على قرية فنهبهــا وفتك بأهلها ، واغتال أموالهم ومواشيهم ودوابهم فخرجت عجوز من بعض الدور فنظرت اليه وقالت : يا ويلك من ديان يوم الدين ، اذا انشقت السماء وبرز الرب لفصل القضاء . فقال لها : يا عجوز .. أما سمعت فى القرآن : **« ان الملوك اذا دخلوا قرية أفســدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة »**(١) فقالت له : يا هذا .. حفظت شيئا وغابت عنك أشياء ، أو نسيت الآية التى بعدها فى السورة نفسها حيث يقول الله تعالى : **« فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا »**(٢) فاتعظ الملك ورد أموال الناس اليهم ، ثم قال : يا عجوز .. وكيف الخلاص ؟ قالت : **« وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات »**(٣) .

* * *

---

(١) النمل : ٣٤
(٢) النمل : ٥٢
(٣) الشورى : ٢٥

وهكذا أخا الاسلام يثبت الحق وجوده ولو على لسان امرأة .

وذلك : لأن الباطل لا أساس له ، ولهذا تراه يهتز أمام صوت الحق ، وصيحات الدعاة اليه ، وكما يقول الله تعالى : **« ان الباطل كان زهوقا »**[١] .

فكن من أهل الحق (وارفع علم الحق يتبعك أهله) و : **« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »**[٢] عسى أن يهدى الله على يديك رجلا ، فتفوز فوزا عظيما ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لأن يهدى الله على يديك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها »[٣] .

واذا رأيت ظالما — مثلا — فكن واعظا له وذكره بقول الله تعالى : **« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين »**[٤] وقوله : **« ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار »**[٥] .

وقل له : اتق الله ورد الحقوق الى أصحابها قبل فوات الأوان .

وذكره بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » واقرأ عليه قول الشافعى عليه رضوان الله :

اذا اتخذ الظلم ابن آدم مذهبا ... ولج عتوا فى قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالى فانها ... ستبدى له مالم يكن فى حسابه
فكم قد رأينا ظالما متجبرا ... يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
طغى وبغى حتى اذا غره البقا ... أناخت جميع النائبات ببابه

وقول معاوية : « انى لأستحى أن أظلم من لا يجد على ناصرا الا الله » .

وما كتبه سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى أحد عماله وكان قد أرسل اليه يستأذنه فى تحصين مدينته فكتب اليه : حصنها بالعدل ونق طريقها من الظلم » .

واختم حديثك معه بقول الله تعالى : **« ألم تر كيف فعل ربك بعاد . ارم ذات العماد . التى لم يخلق مثلها فى البلاد . وثمود الذين**

---

(١) الاسراء : ٨١
(٢) النحل : ١٢٥
(٣) حديث صحيح .
(٤) الانبياء : ٤٧
(٥) ابراهيم : ٤٢

جابوا الصخر بالواد • وفرعون ذى الأوتاد • الذين طغوا فى البلاد • فأكثروا فيهـا الفساد • فصب عليهم ربك سـوط عذاب • ان ربك لبالمرصاد »[١] •

* * *

وحسبى حتى تكون شجاعا فى وعظك وارشادك ومجاهدتك لمن فسق[٢] عن أمر ربه أن أسـوق اليك أيضا بالاضافة الى المواقف السابقة موقفا بطوليا لغلام من الخوارج ، وخلاصته أنه :

بينما الحجاج[٣] جالسا فى منظرة له وعنده وجوه أهل العراق ، أتى بصبى من الخوارج عليه ، له من العمر نحو بضع عشرة سنة ، وله ذؤابتان مرخيتان قد بلغتا خصره • فلما أدخل عليه لم يعبأ بالحجاج ولم يكترث به ، وانما صار ينظر الى بناء المنظرة ، وما فيها من العجائب ، ويلتفت يمينا وشمالا ثم اندفع يقول : « **أتبنون بكل ريع آية تعبثون • وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون** »[٤] •

وكان الحجاج متكئا فاستوى فى مقعده وقال : يا غلام •• انى أرى لك عقلا وذهنا ، أحفظت القرآن ؟

قال : أو خفت عليه من الضياع حتى أحفظه ، وقد حفظه الله تعالى •
قال : أفجمعت القرآن ؟
قال : أو كان مفرقا حتى أجمعه ؟ قال : أفأحكمت القرآن ؟
قال: أليس الله أنزله محكما ؟ قال : أفاستظهرت القرآن ؟
قال : معاذ الله أن أجعل القرآن وراء ظهرى •
فقال الحجاج وقد ثار غضبا : ويلك •• قاتلك الله ، ماذا أقول ؟
قال الغلام : الويل لك ولقومك ، قل : أوعيت القرآن فى صدرك ؟
فقال الحجاج : فاقرأ شيئا •

فاستفتح الغلام : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم • اذا جاء نصر الله والفتح • ورأيت الناس (يخرجون من دين الله) أفواجا ••• »[٥] •

---

(١) الفجر : ٦ ــ ١٤
(٢) اى خرج عن أمر ربه .
(٣) وكان معروفا بالظلم والقسوة .
(٤) الشعراء : ١٢٨ ، ١٢٩
(٥) النصر بلفظ : « **يدخلون فى دين الله** » .

فقال الحجاج : ويحك •• انهم يدخلون • فرد عليه الغلام قائلا : كانوا يدخلون ، أما اليوم فقد صاروا يخرجون •

فقال الحجاج : ولم ؟ قال الغلام : لسوء فعلك بهم •

قال الحجاج : ويلك يا غلام •• وهل تعرف من تخاطب ؟

قال الغلام : نعم ، شيطان ثقيف الحجاج • قال الحجاج : ويلك •• من رباك ؟

قال الغلام : الذى زرعنى • قال الحجاج : فمن أمك ؟

قال الغلام : التى ولدتنى • قال الحجاج : فأين ولدت ؟

قال : فى بعض الفلوات • قال الحجاج : فأين نشأت ؟

قال : فى بعض البرارى •

قال الحجاج : أمجنون أنت فأعالجك ؟

قال : لو كنت مجنونا لما وصلت اليك ووقفت بين يديك كأننى ممن يرجو فضلك أو يخاف عقابك •

قال الحجاج : فما تقول فى أمير المؤمنين ؟

قال الغلام : رحم الله أبا الحسن ، رضى الله عنه وأسكنه جنان خلده •

قال الحجاج : ليس هذا عنيت ، انما أعنى عبد الملك بن مروان •

قال الغلام : على الفاسق الفاجر لعنة الله •

قال الحجاج : ويحك •• بم استحق اللعنة أمير المؤمنين ؟

قال الغلام : أخطأ خطيئة ملأت ما بين السماء والأرض •

قال الحجاج : ما هى ؟

قال الغلام : استعماله اياك على رعيته تستبيح أموالهم وتستحل دماءهم •

فالتفت الحجاج الى جلسائه وقال : ما تشيرون فى هذا الغلام ؟

قالوا : اسفك دمه ، فقد خلع الطاعة ، وفارق الجماعة •

فقال الغلام : يا حجاج •• جلساء أخيك فرعون خير من جلسائك ، حيث قالوا لفرعون عن موسى وأخيه : « **أرجه وأخاه** »[1] وهؤلاء يأمرون بقتلى ، اذن والله تقوم عليك الحجة بين يدى الله ملك الجبارين ومذل المستكبرين •

---

(١) الأعراف : ١١١

فقال له الحجاج : هذب ألفاظك وقصر لسانك فانى أخاف عليك بادرة الأمر ، وقد أمرت لك بأربعة آلاف درهم .

فقال الغلام : لا حاجة لى بها ، بيض الله وجهك وأعلى كعبك .

فالتفت الحجاج الى جلسائه وقال : هل علمتم ما أراد بقوله : بيض الله وجهك وأعلى كعبك ؟ قالوا : الأمير أعلم .

قال : أراد بقوله : بيض الله وجهك : العمى والبرص ، وبقوله : أعلى كعبك : التعليق والصلب .

ثم التفت الى الغلام وقال له : ما تقول فيما قلت ؟

قال الغلام : قاتلك الله .. ما أفهمك .

فامترج الحجاج غضبا وأمر بضرب عنقه ، وكان الرقاشى حاضرا فقال : أصلح الله الأمير ، هبه لى ، قال : هو لك ، لا بارك الله لك فيه .

فقال الغلام : والله لا أدرى أيكما أحمق من صاحبه : الواهب أجلا قد حضر ، أم المستوهب أجلا لم يحضر ؟

فقال الرقاشى : استنقذتك من القتل وتكافئنى بهذا الكلام ؟

فقال الغلام : هنيئا لى الشهادة ان أدركتنى السعادة ، والله ان القتل — فى سبيل الله — أحب الى من أن أرجع الى أهلى صفر اليدين ، فأمر له الحجاج بجائزة وقال : يا غلام .. قد أمرنا لك بمائة ألف درهم وعفونا عنك لحداثة سنك ، وصفاء ذهنك ، وحسن توكلك على الله ، واياك والجراءة على أرباب الأمر فتقع مع من لا يعفو عنك .

فقال الغلام : العفو بيد الله لا بيدك ، والشكر له لا لك ، ولا جمع الله بينى وبينك . ثم هم بالخروج فابتدره الغلمان .

فقال الحجاج : دعوه .. فوالله ما رأيت أشجع منه قلبا ولا أفصح منه لسانا ، ولعمرى ما وجدت مثله قط ، وعسى هو لا يجد مثلى ، فان عاش هذا الغلام ليكونن أعجوبة عصر[1] .

* * *

وكذلك اذا رأيت عاصيا لله تعالى ، ووجدت الفرصة سانحة لوعظه وارشاده : كن ناصحا له ومرشدا فقد ورد فى الحديث الصحيح :

عن أبى رقية تميم بن أوس الدارى رضى الله تعالى عنه أن النبى

---

(١) وقيل : انه امر بعض رجاله بأن يدس له السم ، فقتله .

صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الدين النصيحة » قلنا : لمن ؟ قال : « لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين »[١] .

وحسبك أن تذكره مثلا بقول الله تعالى فى كتابه العزيز :

« أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ، لا يستوون . أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون . وأما الذين فسقوا فمأواهم النار ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون »[٢] .

وقوله سبحانه فى الحديث القدسى : « يا ابن آدم .. لا تغتر بشبابك فكم من شاب سبقك الى الموت ، يا ابن آدم .. لا تفرح بدنياك فلست بمخلد ، يا ابن آدم .. استح منى عند معصيتك ، أستحى منك فلا أعذبك » .

وقوله أيضا فى الحديث القدسى : « يا ابن آدم .. قد أنعمت عليك نعما عظاما لا تحصى عددها ، ولا تطيق شكرها ، وان مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما ، وجعلت لهما غطاء ، فانظر بعينيك الى ما أحللت لك ، فان رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما .

وجعلت لك لسانا ، وجعلت له غلافا ، فانطق بما أمرتك وأحللت لك . فان عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك .

وجعلت لك فرجا ، وجعلت لك سترا ، فأصب بفرجك ما أحللته لك ، فان عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك .

ابن آدم .. انك لا تحتمل سخطى ولا تطيق انتقامى » .

* * *

ورغبه كذلك فى أعمال الخير حتى يكون أداة خير لا أداة شر ، وأداة بناء لا أداة هدم ، وذكره بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا أراد الله بعبد خيرا استعمله » قيل : وكيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال : « يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه »[٣] .

وقول أحد الحكماء : « اذا أراد الله بعبد خيرا ، ألهمه الطاعة ، وألزمه القناعة ، وفقهه فى الدين ، وقواه باليقين ، فاكتفى بالكفاف ، واكتسى بالعفاف .

---

(١) رواه مسلم .　　(٢) السجدة : ١٨ — ٢٠

(٣) حديث صحيح .

واذا أراد بعبد شرا حبب اليه المال ، وبسط منه الآمال ، ورغبه فى الدنيا ، وزهده فى الآخرة ، فركب الفساد ، وظلم العباد » حتى يعمل ليوم الحساب ألف حساب .

* * *

ورغبه فى نهاية حديثك فى الرجوع الى الله سبحانه وتعالى عسى أن يكون من التائبين وحسبك أن تذكره بقول الله تعالى : « **وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** »[1] وقوله : « **استغفروا ربكم ثم توبوا اليه** »[2] .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس .. توبوا الى الله واستغفروه ، فانى أتوب فى اليوم مائة مرة »[3] .

وقوله : « ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »[4] .

ثم قل له ناصحا[5] :

اتق الله يا ابن آدم واحذر ... يوم لا يغن عنك مالك شيئا
واتبع مابه أمرت وأصلح ... واستقم واسلك الطريق السويا
واسع بالخير بين قومك دوما ... واعمل الصالحات واخش العليا
واجتنب ما نهاك عنه ولا تعص ... فويل لمن يكون عصيا
وابتعد ما استطعت عن كل اثم ... وفجور وكن عفيفا أبيا
واذا ما أصابك الدهر فاصبر ... واشكر الله بكرة وعشيا
لا يغرنك كافر فى نعيم ... فله النار يوم يبعث حيا
رب ذى فاقة يكون لدى الله ... وجيها مقربا مرضيا
كل نفس تجزى بما قدمته ... طيبا كان أو اضلالا وغيا
وعد الله من عصاه سعيرا ... وعذابا يكوى الأضالع كيا
وأعد النعيم فى جنة الخلد ... لمن خافه وكان تقيا
فاتق الله كى تفوز وتنجو ... « **انه كان وعده مأتيا** »[6]

* * *

(١) النور : ٣١
(٢) هود : ٣ ، ٥٢
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مسلم .
(٥) بقلم : الأستاذ ابراهيم عرفات بالداخلية .
(٦) مريم : ٦١

وأما المرتبة الثالثة من مراتب الجهاد وهى : مجاهدة الكفار ، والمشركين والظالمين المعتدين ، فهى واجب مقدس اعلاء لكلمة الله وانتصارا للحق على الباطل ، وردعا للظالم الغاشم حتى نضع حدا لاعتداءاته الآثمة ، ونعيد الى المظلومين حقوقهم المسلوبة .

بل وهذا فرض عين علينا ، بدونه تنتهك الحرمات ، وتداس المقدسات ، ونكون فى عداد الأموات ، وقد أمرنا الله سبحانه بقتال من نلمس منه الغدر ، ويحاول الاعتداء علينا فقال : **« فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم ، وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا »**(١) . ويقول فى آية سابقة : **« فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا »**(٢) .

ففى هاتين الآيتين وما ماثلهما من آيات قرآنية وفى جلاء ووضوح يبين الله تعالى الهدف من القتال ، وهو رد العدوان ، فاذا انتهى العدوان فلا قتال .

وهذا هو نهاية العدل الذى أرسل الله سبحانه وتعالى به رسله مصحوبا بالقوة والبأس ، وفى ذلك يقول تعالى : **« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس »**(٣) .

وذلك حتى لا يكون هناك ظلم ، وينتشر العدل والسلام ، لأن (العدل ان دام عمر ، والظلم ان دام دمر) قال تعالى : **« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض »**(٤) .

ولذلك أوجب الله الجهاد وجعله شريعة ماضية الى يوم القيامة ، وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم : « الجهاد ماض الى يوم القيامة » لأن النزاع قائم ومستمر بين الخير والشر ما دامت هناك عداوة قائمة ومستحكمة بين بنى آدم وخلفاء الشيطان منذ قال الله لأبوينا ومعهما ابليس اللعين : **« اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين »**(٥) .

---

(١) النساء : ٩١
(٢) النساء : ٩٠
(٣) الحديد : ٢٥
(٤) البقرة : ٢٥١
(٥) البقرة : ٣٦

وقد تسلح اللعين بسلاح الغواية حيث قال لرب العزة كما هو ثابت فى الكتاب العزيز : « **لأغوينهم أجمعين • الا عبادك منهم المخلصين** »[١] وفى آية أخرى : « **فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم • ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** »[٢] •

ولعلك تلاحظ فى هذه الآية الأخيرة أنه لم يقل من فوقهم ، وكذلك لم يقل من تحتهم ، وحتى تشكر ربك ولا تيأس من رحمته اليك هذا الايضاح :

لم يقل : من فوقهم ، لأنه لا يستطيع أن يمنع عنك رحمة الله التى وسعت كل شىء ، ولم يقل : من تحتهم كبرا •

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بقتال أولياء الشيطان وهم الذين لا يؤمنون ، بدليل قوله تعالى : « **انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون** »[٣] وفى ذلك يقول تعالى : « **الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا** »[٤] •

واذا كنا فى هذه الأيام المجيدة نقاتل عدوا ماكرا خبيثا أو كافرا خسيسا ، يستبيح الحرمات ، ويستحل الدماء ، ويمحو المقدسات ويهدف الى تجريد الدنيا من معتقداتها الحقة ، ليسهل عليه السيطرة عليها ، والتحكم فيها • فحسبى وقبل أن ندور حول هذا الموضوع الحيوى أن أقرأ معك ما كتبه أستاذنا الكبير فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى فى كتابه « المسجد الأقصى ومعركة النصر والفتح »[٥] حتى تعرف حقيقة هذا العدو المبين ــ بالاضافة الى ما عرفته عنه من معلومات ــ وحتى تدرك خطورته على دينك ووطنك وتقاتله بكل شجاعة واستبسال بالنفس والمال وتقضى عليه قبل أن يقضى عليك •

يقول شيخنا الفاضل تحت عنوان (اعرف عدوك) :

« هذا العدو •• الذى لا يعترف الا بمادياته وشهواته ، ويعمل ليله ونهاره فى تسخير الوجود كله لهذه الشهوات « **ولتجدنهم أحرص**

---

(١) سورة ص : ٨٢ ، ٨٣
(٢) الأعراف : ١٦ ، ١٧
(٣) الأعراف : ٢٧
(٤) النساء : ٧٦
(٥) صفحة : ١٠

الناس على حياة ، ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ، وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ، والله بصير بما يعملون »[١] .

حتى مقام الألوهية ــ سبحانه ــ تعدوا عليه ، وقالوا : **« ان الله فقير ونحن أغنياء »**[٢] بل وقالوا : **« يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا »** وقالوا لرسولهم[٣] : **« لن نؤمن لك حتى نرى الله جهـرة »**[٤] فاذا أضفنا الى ذلك ما حكاه القرآن عنهم ، من كفرهم بآيات الله ، وقتلهم الأنبياء بغير حق ، وقتلهم الذين يأمرون بالقسط من الناس ، واتخاذهم العجل الها ، وطلبهم من نبيهم أن يجعل لهم الها ماديا محسوسا حينما رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم ، وأخذهم الربا وقد نهوا عنه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، واتهامهم للرسل بأشنع الفسوق ، وقولهم على مريم بهتانا عظيما ، وتمردهم على الشريعة وامتناعهم عن قبولها حتى رفع الله عليهم الجبل **« كأنه ظلة ، وظنوا أنه واقع بهم ، خذوا ما آتيناكم بقوة »**[٥] ، **« خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ، قالوا سمعنا وعصينا »**[٦] .

اذا تتبعنا ذلك من واقع الكتب السماوية ومن واقع تاريخهم وماضيهم وحاضرهم ، الذى هو استمرار للعناد والفساد والالحاد ، وجدنا أنفسنا أمام سرطان مدمر ، يتحتم علينا كمسلمين وكعرب ، بل ويتحتم على البشرية كلها أن تقف وقفة رجل واحد ، لصد هذا السيل الجارف ، والاعصار المروع المهلك للحرث والنسل ، الكافر بالخالق والظلم للخلق » .

ثم قال بعد ذلك ما خلاصته : « ان كتاب الله (القرآن) حذر الانسـانية من شر الصهاينة الآثمين الممثلين فى اسرائيل الطاغية ، فوصفهم بالكفر والجحـود والحجاج والأنانية ، والزهو والتبجح ، والترفع عن الغير ، واعتبار أنفسهم فوق مستوى الناس ، فقالوا : **« نحن أبناء الله وأحباؤه »**[٧] وأنهـم **« أولياء الله من دون الناس »**[٨] حتى أطلقوا على أنفسهم أنهم (شعب الله المختار) .

---

(١) البقرة : ٩٦
(٢) آل عمران : ١٨١
(٣) موسى عليه السلام .
(٤) البقرة : ٥٥
(٥) الأعراف : ١٧١
(٦) البقرة : ٩٣
(٧) المـائدة : ١٨
(٨) الجمعة : ٦

وأن القرآن وصفهم كذلك بالتضليل والتدليس ، والدس والشره الشديد للناس مهما كان لديهم من نعم ، وعدم الاندماج الصادق مع أحد ... الخ ، هذه الصفات الدنيئة التى ان دلت على شىء فانما تدل على أنهم حثالة البشر .

وكذلك تحدث القرآن عن كيدهم للاسلام ذاته بصورة واضحة فقال تعالى : **« لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا »**(١) .

وقد روى الخطيب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما خلا يهودى قط بمسلم الا حدث نفسه بقتله »(٢) .

ولقد كان هذا واضحا فى علاقة اليهود بالاسلام والمسلمين بالرغم من تسامح الاسلام وأمته معهم .

فقد قابلوا الاحسان بالاساءة ، والعفو بالتآمر ، وكلما ازداد الاسلام حلما معهم وكرما ازدادوا هم لؤما وشرا حتى حقت عليهم كلمة الله وجاءهم بأسه الذى أطاح بهم وقضى عليهم .

وكان الاسلام قد اصطدم بهم فى بنى قينقاع ، وبنى النضير ، وبنى قريظة ، وخيبر ، ووادى القرى ، وفدك ، وتيماء ، وغيرها من حصونهم ومستعمراتهم ، حتى طهر الجزيرة العربية من رجسهم ، وأجلاهم عنها جزاء عادلا لما اقترفوه مع الله ورسوله وكتبه وخلقه وفى ذلك يقول تعالى : **« هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار »**(٣) .

كما كانوا يحقدون على النبى صلى الله عليه وسلم أن صار رسولا من غير جنسهم ، لأن شريعته تكشف خفاياهم ، وتفضح طواياهم .. ولهذا ناصبوه ودعوته العداء من أول لحظة ، وفى ذلك يقول تعالى : **« بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده »**(٤) ويقول : **« ود كثير من أهل الكتاب**

---

(١) المائدة : ٨٢
(٢) رواه فى الجامع الصغير .
(٣) الحشر : ٢
(٤) البقرة : ٩٠

لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق »[1] •

* * *

ولهذا كان من تآمرهم الثابت فى تاريخهم الأسود مع الاسلام ونبيه قديما وحديثا :

أنهم حاولوا :

قتل الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان هذا يوم أن ذهب اليهم ومعه عشرة من كبار المسلمين بينهم أبو بكر وعمر وكانوا قد أظهروا الغبطة بمقدمهم فى الوقت الذى كانوا قد دبروا فيه مع مجرم من مجرميهم وهو عمر بن جحاش اليهودى قتل الرسول صلى الله عليه وسلم •

كانوا قد اتفقوا معه على أن يعلو السطح الذى جلس الرسول بجوار جداره ، ثم يلقى عليه حجرا ليقتله ، ولكن الله العليم الخبير عصم نبيه منهم ومن كيدهم • فأوحى اليه بما ائتمروا عليه فقام فورا من مكانه عائدا الى المدينة قبل أن تقع الكارثة ، وتبعه أصحابه وهم فى دهشة لأنهم لم يعرفوا بعد ما حدث فأخبرهم صلى الله عليه وسلم بخبر المؤامرة الدنيئة ، ثم بعث محمد بن مسلمة ، وقال له : « اذهب الى يهود بنى النضير ، وقل لهم : ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أرسلنا اليكم ، أن اخرجوا من بلادى • ولقد نقضتم العهد الذى جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بى ، لقد أجلتكم عشرا ، فمن رئى بعد ذلك ضربت عنقه » •

فاتصلوا بعد ذلك بحلفائهم الذين حرضوهم على أن يثبتوا فى ديارهم ولا يخرجوا وان احتاجوا الى عون حربى كانوا معهم ، وطمع اليهود فى الوعد البراق الذى كان من جانب ربائب الشرك وشيخ المنافقين ابن أبى وأتباعه •

فأبوا الجلاء ، فحاصرهم الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه ، فذلوا صاغرين ، وسلموا بالجلاء ، وخذلهم منافقوهم الذين كثيرا ما حرضوهم • وفى ذلك يقول تعالى : « **الم تر الى الذين نافقوا**

---

(١) البقرة : ١٠٩

يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم ، والله يشهد انهم لكاذبون • لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون »(١) .

* * *

كما حاولوا أيضا :

سم الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان هذا بعد تمام فتح خيبر ، فقد عهدوا الى اليهودية (زينب ، امرأة سلام بن مشكم) أن تسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تضع السم فى الطعام الذى دعوه اليه فكان أن صنعت شاة وسمتها ، وحينما لاك منها مضغة لم يسغها ، وكان بشر بن البراء قد تناول منها وأساغها وازدردها فمات ، أما الرسول فكان قد لفظها ، وهو يقول : « ان العظم ليخبرنى أنه مسموم » واعترفت زينب قائلة : ان كنت ملكا استرحنا منك ، وان كنت نبيا فستخبر ، واعترف معها من اليهود من حضروا المؤامرة(٢) .

حتى روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظل طوال حياته يعانى من هذا السم حتى مات بأثره ليجمع الله له بين ثواب الشهادة والرسالة :

روى ابن السنى وأبو نعيم بسند حسن عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما زالت أكلة خيبر تعاودنى كل عام حتى كان هذا أوان قطع أبهرى »(٣) .

* * *

وعندما رأوا وحدة المسلمين وتآلفهم والتفافهم حول نبيهم أكل الغيظ قلوبهم فأخذوا يبثون الفتن ويعملون على اثارتها بين الأوس والخزرج ليعيدوهم الى جاهليتهم الحمقاء « **حمية الجاهلية** »(٤) .

---

(١) الحشر : ١١ ، ١٢

(٢) ورد فى البخارى مرفوعا عن أبى هريرة .

(٣) كما ورد هذا أيضا فى الصحيح عن عائشة مرفوعا .

(٤) الفتح : ٢٦

فكان أن جلس بينهم خبيث من خبثاء الصهاينة وهو شاس بن قيس اليهودى الحقود ، فذكرهم بمـا كان بينهم فى الجاهلية من حروب وعداوة وأخذ يذكرهم بالنعرة والعصبية — التى أماتها الاسلام — حتى أحياها فى نفوسهم بصورة جعلتهم يتنادوا بالسلاح والحرب ، وحتى قال بعضهم : ان شئتم أعدناها جذعة ، ورجعنا الى مثلها •

ولكن الله أطفأ هذه النار التى كادت أن تقضى على ما بين الأوس والخزرج من اخاء غرسه الاسلام فى قلوبهم •

فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم فى نفر من المهاجرين ، حتى حجز بينهم ، وهو يقول مذكرا : « يا معشر المسلمين •• الله ، الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ، بعد اذ هداكم الله الى الاسلام ، أكفر وأنا بين أظهركم والقرآن غض طرى يتنزل عليكم » ؟

فكانت النتيجة أن أفاقوا من غشيتهم ، وتعـانقوا وتسامحوا ، وندموا على ما كان منهم بعد أن عرفوا عدوهم وتعاهدوا على الحذر منه والقضاء على مؤامراته دائما ، يقول أنس : فما رأيت يوما شرا منه فى أوله ، وخيرا منه فى آخره •

وقـد سجل القرآن هذا الحادث اليهودى حتى يكون موعظة للمسلمين ، وتنبيها للغافلين على مر السنين ، وحتى لا يدخل الشيطان بين صفوفهم ، ويعمل على تمزيق وحدتهم فقال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين • وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم »**(١) الى أن حذرهم بعد ذلك من الانسياق وراء عصبية الاختلاف فقال : **« ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينـات ، وأولئك لهم عـذاب عظيم »**(٢) •

* * *

وحاولوا أيضا :

زحزحة الرسول صلى الله عليه وسلم عن مبدئه

فعرض عليه كبراؤهم بأن يقضى لصالحهم فى الأحكام اذا احتكموا اليه حتى يتبعوه ، ولكنه صلى الله عليه وسلم تمسك بالحق • وكان الله

---

(١) آل عمران : ١٠٠ ، ١٠١ (٢) آل عمران : ١٠٥

قد أنزل عليه يحذره من مجاملتهم بالباطل : « **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وان كثيرا من الناس لفاسقون • أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** »[١] .

***

كما تظاهروا بالاسلام :

لتشكيك المسلمين فى دينهم

بعد أن تواصى أحبار قرى (عرينة) وكانوا اثنى عشر حبرا من اليهود على أن يدخلوا فى دين محمد أول النهار ، ويرجعوا آخره الى دينهم قائلين : رجعنا الى علمائنا فحدثونا أن محمدا كاذب • وذلك حتى يفتنوا المسلمين عن دينهم • فكشف الله سوءاتهم وغدرهم وأنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : « **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعــون** »[٢] .

***

كما استغلوا :

حادث تحويل القبلة

فقاموا بحملات التشكيك فى الدين والرسول صلى الله عليه وسلم .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد هاجر الى المدينة وفيها اليهود واستمر بها نحو عام ونصف يستقبل فى صلاته بيت المقدس ، ففرح اليهود ، وقالوا : استقبل قبلتنا ، وغدا سيتبع ديننا ، فلما حوله الله الى الكعبة ، قام اليهود بحملات التشكيك فى الدين الاسلامى . وكذلك فى رسوله الذى أنزل الله عليه قوله : « **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها ، قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم** »[٣] .

***

---

(١) المـــائدة : ٤٩ ، ٥٠
(٢) آل عمران : ٧٢
(٣) البقرة : ١٤٢

وفى يوم بدر أشاعوا :

اشاعة قتل الرسول صلى الله عليه وسلم

وكانوا قد استغلوا حضور زيد بن حارثة من موقعة بدر يسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويركب ناقته حاملا البشرى بانتصار المسلمين ، فأشاعوا : أن محمدا قتل ببدر ، واستدلوا على ذلك بعودة ناقته مع غيره وصاحوا جميعا : « قتل محمد وهزم أصحابه ، ولو انتصر لبقيت عنده ناقته ، وأن كلام زيد فى البشرى ما هو الا من الرعب الذى أصابه » .

ولكن سرعان ما رد الله كيدهم ، وأعاد سهامهم الى صدورهم وتبين النصر الأكبر يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان .

وكان هذا ردا كافيا على تكذيب اشاعاتهم .



الى آخر هذه المؤامرات الدنيئة التى استمرت منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى زماننا هذا الذى رأينا فيه منهم ما رأينا من الخسة والنذالة التى كان منها :

مؤامرة قتل عثمان وعلى ، والحسين ، وسم أخيه الحسن ، ومواقع صفين والجمل ، وما جرى من تمزيق الوحدة الاسلامية وتصييرها الى دويلات وأحزاب . ثم غارات التتار والصليبيين على بلاد الاسلام ، واضاعة الأندلس وفلسطين واحتلال بعض أجزاء البلاد العربية .

هذا بالاضافة الى اشاعة التحلل ، وافساد الشباب بالميوعة ، والخمر ، والنساء ، والمال[1] ، واذاعة الالحاد والتنكر لأديان الله ، ومهما تمسحوا فى عقيدة التوراة أو انتسبوا لداوود أو سليمان ، فما ذاك الا لترويج أهدافهم البعيدة ، وخداع الجماهير والرأى العام ليعموا عن خططهم الدنيئة التى كان من أهمها اغتصاب حقوق أبناء فلسطين ، والعمل بكل ما أوتوا من مكر وخديعة على تفتيت وحدة العرب حتى يحققوا أهدافهم الاجرامية التى من أهمها التوسع الذى يجب أن يمتد فى نظرهم وأحلامهم من الفرات الى النيل .

---

(١) عن طريق المجلات الهدامة مثل « الشبكة والصياد » وغيرهما من المفاسد المستوردة .

وأملهم كذلك من وراء هذه الأهداف ـ التى لن تتحقق أبدا ما دام هناك رجال يعتزون بعروبتهم ومقدساتهم وعقيدتهم القويمة ـ أن يكون هناك وطن لهم فى هذه المنطقة المقدسة يشكل امبراطورية يهودية يجلس على عرشها زعمـاء من شعب الله المختار من نسل داوود وسليمان والأسباط ، امبراطورية مقدسة عاصمتها القدس ، ومركزها اسرائيل . التى يجب أن تمتد ـ فى نظرهم كما علمت قبل ذلك ـ من الفرات الى النيل .



وأخذوا يعملون فى كل لحظة على تحقيق هذا الهـدف الاجرامى الكبير ، وهم يرقبون الأحداث عن كثب منتظرين الفرصة السانحة ، الى أن تم لهم تنفيذ بعض هذه المخططات التى كان من أهمها وأنشطها :

احراق المسجد الأقصى

الذى بارك الله حوله ، وعلق به قلوب الملايين من المسلمين ، على مدى الدهور ، واختصه بمزايا لم يشركه فيها مقدس سواه بالاضافة الى أنه أولى القبلتين ، وثالث الحرمين التى تشد اليها الرحال[1] .

وعن ذى الأصابع ، قال : قلنا يا رسول الله .. ان ابتلينا بعدك بالبناء ، أين تأمرنا ؟ قال : « عليك ببيت المقدس ، فلعل أن ينشأ لك ذرية تغدوا الى المسجد وتروح »[2] .

وعن أنس مرفوعا : « صلاة الرجل فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى مسجدى بخمسين ألف صلاة ، وصلاته فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة »[3] .

وعن ميمونة بنت سعد قالت : يا نبى الله .. أفتنا فى بيت المقدس ، فقال لها : « أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلوا فيه فان صلاتكم فيه كألف صلاة » قالت : أرأيت ان لم يطق أن يتحمل اليه أو يأتيه ؟ قال : « فليهد اليه زيتا يسرج فيه ، فانه من أهدى كان كمن صلى »[4] .

وعن أبى ذر قال : قلت يا رسول الله .. أى مسجد وضع فى الأرض أول ؟ قال : « المسجد الحرام » قلت : ثم أى ؟ قال : « المسجد

---

(١) كما ورد فى حديث رواه الخمسة مرفوعا عن أبى هريرة .
(٢) اخرجه احمد .
(٣) اخرجه ابن ماجه .
(٤) رواه احمد .

الأقصى » قلت : كم بينهما ؟ قال : « أربعون عاما ، وحيثما أدركتك الصلاة فصل »[١] .

هذا هو بيت المقدس الذى أحرقوه ، ودنسوه بأرجاسهم فى شهر أغسطس عام ١٩٦٩ ليبنوا على أنقاضه هيكل سليمان ، ويعيدوا من ورائه : ملك داوود .. الى آخر هذه الأمانى الرخيصة التي مهدوا لها قبل ارتكابهم لهذا العمل الاجرامى الكبير الذى لن يغتفر لهم .

ولسوف يأتى اليوم الذى سننتقم فيه بعون الله وقوته للمسجد الأقصى ولجميع مقدساتنا ، وكرامتنا ، وأرضنا ، وعرضنا ، كما انتقمنا منهم فى معركتنا الأخيرة بل وأكثر . ولسوف يتحقق فيهم قول الله تعالى : « **سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر** »[٢] .



ولله در القائل الذى قال منفعلا مع الأحداث :

تطالعنا الأحداث فى كل ساعة	ونلقى من الصهيون غدرا مجسما
أأتباع طه والمسيح ابن مريم	أنترك للصهيون بيتا محرما
نسيتم رسول الله والرسل خلفه	يحيون من أضحى الامام المكرما
وانا سألنا الله تطهير أرضنا	وانا سنفدى الأرض بالروح والدما
أأتباع خير الخلق ماذا أصابنا	لنترك أرض القدس للبغى مغنما
و (سبحان من أسرى) نسيتم نزولها	نسيتم حبيبا فيه صلى وسلما
بنى العرب دين العرب عز وثورة	وكل ذليل لا أسميه مسلما
حلفت بمولانا قديرا وناصرا	بأنا سنأتى القدس وعدا محتما



واننى أستطيع الآن أن أقول لهذا الأخ الغيور ، ولا سيما بعد تلك الانتصارات العظيمة التى حققناها بكل شجاعة واستبسال فى اليوم العاشر من رمضان المبارك الذى سيظل رمزا لهذه البطولات العربية المصرية فى تاريخ أمتنا المجيدة : أبشر يا أخى فلقد اجتزنا والحمد لله

---

(١) اخرجه الشيخان .

(٢) القمر : ٤٥ ، ٤٦

أهم مرحلة فى طريق النصر على هؤلاء المجرمين الآثمين الذين صور لهم (تلمودهم)[1] :

« أن الله ليس معصوما من الطيش ، ولا من الغضب ، وأنه محتاج دائما الى حاخاماتهم » .

« وأن الله لا شغل له فى الليل غير تعلمه التلمود مع الملائكة . مع ملك الشياطين فى مدرسة السماء » .

« وأن الله لم يلعب مع الحوت بعد هدم الهيكل كما أنه من ذلك الوقت لم يمل الى الرقص مع حواء ، بعد ما زينها بملابسها ، وعقص لها شعرها » .

« وأن الله قد اعترف بخطئه فى تصريحه بتخريب الهيكل ، فصار يبكى ويمضى ثلاثة أجزاء الليل يزأر كالأسد قائلا : تبا لى ، لأنى صرحت بخراب بيتى واحراق الهيكل ! ونهب أولادى » .

« وأن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها فى السماء » .

كما جاء فى التلمود : « ان تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله ! وقد وقع يوما الاختلاف بين البارى وعلماء اليهود فى مسألة فبعد أن طال الجدال تقرر احالة فصل الخلاف الى أحد الحاخامات الرابيين واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور »[2] .

تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

* * *

بل ويعتقد المجرمون الكلاب :

« أن أرواح اليهود تتميز عن باقى الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده » .

ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقى الأرواح لأن الأرواح الغير يهودية هى أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات »[3] .

---

(١) وهو الكتاب الذى يعتبر شرحا للتوراة ، وهو من وضع علمائهم وأحبارهم ، وهم يزعمون انه الوحى الغير مكتب الذى تركه موسى عليه السلام — وهم يعتقدون انه أعظم من التوراة .

(٢) التلمود صفحة ٧٤ (٣) الكنز المرصود صفحة ٥٠ .

وأنه لا يدخل الجنة الا اليهود ، أما الجحيم ، فهو مأوى الكفار •
وبما أن اليهود جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه لذلك ذكر فى التلمـود :

« أنه اذا ضرب أممى[١] اسرائيليا ، فالأممى يستحق الموت »[٢] •

كما صور لهم التلمود غير اليهود ، بأنهم حيوانات فى صور انسان وأنهم حمير ، وكلاب وخنازير ، بل الكلب أفضل منهم ، لأنه مصرح لليهودى فى الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم الأجانب وغير مصرح له أيضا أن يعطيهم لحما ، بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم •

ولهذا جاء فى التلمود أيضا[٣] :

« وخلق الله الأجنبى على هيئة الانسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم » • ان اليهود يعتبرون أنفسهم مساوين للعزة الالهية فتكون الدنيا كلها لهم ، ولهم حق التسلط عليها • ولهذا كانت وصاياهم على الشكل الآتى :

لا تقتل : يعنى يهوديا ، لا تسرق : يعنى من يهودى •

لا تزن : يعنى بيهودية ، ولا تشهد بالزور : يعنى على يهودى •

كما جاء فى التلمود[٤] :

« ان مثل بنى اسرائيل كمثل سيدة فى منزلها ، يستحضر لها زوجها النقود وتأخذها بدون أن تشترك معه فى العمل والتعب » •

« مسموح غش الأممى وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش » •

وهذا مصداق قوله تعالى : **« ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون »**[٥] •

« ان الرابى صموئيل ــ أحد الحاخامات المهمين ــ كان رأيه أن سرقة الأجانب مباحة ، وقد اشترى هو نفسه من أجنبى آنية من الذهب كان يظنها الأجنبى نحاسا ، ودفع ثمنها أربعة دراهم فقط ، وهو ثمن بخس ، وسرق درهما أيضا من البائع » •

---

(١) الأممى فى عرف اليهود كل من ليس يهوديا .

(٢) الكنز المرصود صفحة ٥٠ — (٣) الكنز المرصود صفحة ٦٩

(٤) التلمود صفحة ٧٤ — (٥) آل عمران : ٧٥

« ان الله لا يغفر ذنبا ليهودى يرد للأممى ماله المفقود » ص ٧٧

« غير مصرح لليهودى أن يقرض الأجنبى الا بالربا » ص ٨١

« اقتل الصالح من غير الاسرائيليين ، ومحرم على اليهودى ، أن ينجى أحدا من باقى الأمم من هلاك ، أو يخرجه من حفرة يقع فيها » ص ٨٤

« اذا وقع أحد الوثنيين فى حفرة يلزمك أن تسدها بحجر » ص ٨٥

* * *

وقد اعترفوا فى كتابهم المسمى « سد حادرون » :

« أن الحاخامات ، تسببوا فى روما فى قتل جملة من النصارى » .

« وأن الامبراطور (مارك أوريل) قتل جميع النصارى بناء على ايعاذ اليهود » .

« وأنه فى سنة ٤١٢ بعد المسيح ، قتل اليهود مائتى ألف مسيحى فى روما وكل نصارى قبرص » .

« وأنه فى زمن البابا (كليمان) قتل اليهود فى روما وخارجا عنها جملة من النصارى كرمال البحر » .

« وأنه بناء على رغبة اليهود قتل الامبراطور (دبوكليسيين) جملة من المسيحيين ، ومن ضمنهم باباوات » ص ٨٨

« لقد ثار اليهود على المسيحيين فى فلسطين عام ٧٠ م وذبحوا منهم خلقا كثيرا » .

« وفى عام ١٠٥ م وفى عهد الحاخام (أكيا) ذبحوا من المسيحيين ٢٠٠ ألف فى ليبيا ، ٢٤٠ ألف فى قبرص » .

« وفى عام ١٢٤ م ذبحوا منهم وشنقوا عشرات الآلاف فى فلسطين » .

« وفى عام ١٣٥ م قتل اليهود بقيادة (باركوخيا) عشرات الآلاف من المسيحيين فى فلسطين » .

« وفى عام ١٥٥ م قتل الامبراطور جميع النصارى فى رومانيا بناء على دسائس الحاخام (يهوذا) » .

واذا أضفنا الى هذه الحروب الدينية الطاحنة التى دارت بين الكاثوليك والبروتستانت والتى كان من ورائها اليهود الذين اندسوا بين الفريقين يحرضون كلا منهما على الآخر ويزينون لكل منهما قتل أخيه ، مما سبب قتل مئات الملايين .

الوصايا الجامعة كما جاء فى كتبهم الدينية والتى منها :
« اهدم كل قائم ، لوث كل طاهر ، احرق كل أخضر ، كى تنفع يهوديا بفلس » .
« اقتلوا جميع من فى المدن : من رجل وامرأة وطفل وشيخ ، حتى البقر ، والغنم ، والحمير بحد السيف » .
« اقتل أفضل من قدرت عليه من غير اليهود » .
« العن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات فى كل يوم » .
بالاضافة الى ما أعلنه الدكتور أيدر (رئيس اللجنة الصهيونية فى عبارته الآتية) : « أهداف الصهيونية هى ابادة العرب جميعا » .
وما أعلنه وزير الحربية موشى ديان بكل وقاحة قائلا : « لقد استولينا على أورشليم ونحن فى طريقنا الى يثرب والى بابل » .

* * *

اذا عرفنا هذا .. لتبين لنا وبوضوح أنهم كلاب البشر .
ولتبين لنا أيضا أن أطماع اليهود بالنسبة للعرب تتلخص فى نقطتين :
الأولى : ابادة الشعب العربى بكامله ، واجتثاث أمة العرب من جذورها اجتثاثا تاما حتى لا يبقى أمامهم وجه عربى ولا يسمعون صوتا عربيا .
الثانية : الاستيلاء على أرض العرب جميعا من غير استثناء ليكونوا المالكين لها والمسيطرين على ثرواتها ، والمتمتعين وحدهم بخيراتها .

* * *

بل هناك حلم يراود أفكارهم ويلاعب خيالهم وهو : امتلاك العالم والسيطرة على الدنيا بقاراتها الخمس ، ومحيطاتها الخمس أيضا .
وذلك لأنهم يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار ، وأن ما سواهم ما خلق الا لخدمتهم .
ولهذا زعموا فى كتبهم : « أن اسرائيل : سأل الهه قائلا : لماذا خلقت خلقا سوى شعبك المختار ؟ فأجابه قائلا :
لتركبوا ظهورهم ، وتمتصوا دماءهم ، وتحرقوا أخضرهم ، وتلوثوا طاهرهم ، وتهدموا عامرهم » .
ولتبين لنا وبوضوح أن الصهاينة المجرمين هم جرثومة البشر ،

وأنه لابد من سحقهم بكل ما أوتينا من قوة حتى نطهر الأرض المقدسة من أرجاسهم ، ونؤمن الأمة العربية من شرورهم :

بنفس الشجاعة التى قاومناهم بها فى العاشر من رمضان[1] وما بعده من أيام ستظل خالدة فى تاريخ أمتنا المجيدة :

ففى هذا اليوم وبعد ست سنوات طوال صبرنا فيها على مضض ونحن نعد العدة ونتحين الفرصة للانقضاض عليهم حتى نثأر لكرامتنا ونسترد الأرض العزيزة المغتصبة : استطعنا بتوفيق من الله أن نعبر أصعب مانع مائى ، ونخترق (خط بارليف) المنيع الذى كان مستحيلا فى نظرهم اختراقه .



وحتى ندرك أهمية هذا العمل العظيم ونشكر الله سبحانه وتعالى على تحقيقه بهذا النجاح الباهر المنقطع النظير ، الذى سيظل موضع اعجاب العسكريين فضلا عن غيرهم فى جميع أنحاء العالم الى قيام الساعة :

فقد رأيت ومن خلال هذه السطور المضيئة أن أقرأ معك بكل اعتزاز هذا التصريح الذى نشرته جريدة الأخبار فى ٢١ نوفمبر ١٩٧٣ للسيد الفريق رئيس أركان حرب القوات المسلحة فى هذا الوقت والذى يقول فيه بعد حديثه عن صعوبة الموانع المائية : « ... أما عن قناة السويس فانها تعتبر مانعا مائيا فريدا يختلف عن جميع الأنهار والقنوات للأسباب الآتية :

ـ انحدار الشاطىء من الناحيتين وتدبيشه مما يعوق المركبات البرمائية من النزول الى المانع المائى أو الصعود منه الا بعد تجهيزات هندسية مسبقة ، وهذه الصفة لا يشترك فيها مع قناة السويس سوى قناة بنما وعدد محدود من القنوات الصناعية .

ـ قيام العدو بانشاء ساتر ترابى على الضفة الشرقية للقناة مباشرة بارتفاع ١٠ ـ ٢٠ مترا مما يجعل من المستحيل على أى مركبة برمائية العبور الا بعد ازالة هذا الساتر .

ـ انشاء خط بارليف على طول الساحل الشرقى للضرب على أى قوات تحاول العبور ، وقد انتخبت مواقع هذا الخط بعناية فائقة

---

(١) الموافق السادس من اكتوبر سنة ١٩٧٣

بحيث تتحكم فى جميع الاتجاهات وتستطيع أن تغمر بالنيران الجانبية أى قوات تعبر القناة وفى أى جزء منها .

— وجود خزانات للمواد الملتهبة يسع كل واحد منها ٢٠٠ طن من المواد الملتهبة على مسافات متقاربة بحيث يمكن للعدو أن يدفعها فوق سطح المـاء ثم يشعلها فيتحول سطح القناة الى حمم ملتهبة تحرق كل شىء فوق المـاء بل وتشوى الأسماك فى عمق القناة وتلفح حرارتها الشخص الذى يبعد عنها بمسافة ٢٠٠ متر ويستطيع العدو أن يتحكم فى استمرار هذه النيران باستمرار دفع المواد الملتهبة الى سطح المـاء .

ومع كل هذا يا أخى فقد عبرنا القناة التى كما يقول سيادته بعد ذلك : « ان قناة السويس ليست مجرد مانع مائى ، بل انه مانع فريد ليس له شبيه فى العالم وليس هناك خبرة سابقة فى التاريخ لعبور مثل هذا المـانع ... » .

فاذا كان هذا قد حدث فانه ما كان الا لأن الله قد أراد بنا خيرا والا لأننا قد تغيرنا وتحولنا تحولا ملحوظا فى أكثر أحوالنا :

فها نحن نرى الآن وبوضوح ما يثلج الصدور : كيف تحولت القلوب الى الله تعالى ، وكيف ارتفعت الأكف ضارعة اليه فى خشوع العابد وخضوع المستغيث به المقر بتقصيره فى عبادته ، أن ينصرنا على أعدائه وأعدائنا .

وها نحن نرى كذلك كيف تحولت الشعارات الجوفاء الى تكبيرات تدوى فى جميع الأرجاء والأجواء حتى أصبحت أنشودة الدنيا وهدير المقـاتلين .

حتى فى أغانينا أصبحنا نقول فيها : « بسم الله ، والله أكبر ، ولا اله الا الله ، وما رميت اذ رميت لكن الله رمى ... » .

بعكس ما كنا نسمعه فى أيام النكسة التى كنا نسمع فيها ، مثلا : « اضرب من أجل البنـات ، اضرب من أجل النسـاء ، اضرب من أجل البنات ، اضرب من أجل عشاق الحياة ... » الخ .

أما اليوم والحمد لله وكما هو واضح للقريب والبعيد فقد أصبحنا لا نعتمد الا على الله ، ولا نسأل سواه .

فقائدنا المؤمن بالله لا يبدأ خطابه الا باسم الله ، ولا يعلق شيئا الا بمشيئة الله . وهذا أيضا ما عهدناه من أكثر رجاله المخلصين وعلى رأسهم السيد رئيس أركان حرب القوات المسلحة الذى قال بالحرف

الواحد فى أول تصريحه المشار اليه سابقا : « ولكنها أولا وأخيرا رعاية الله لنا ، التى مكنتنا من تحقيق المفاجأة بالصورة التى تمت بها » •

ثم يقول بعد ذلك وفى نفس التصريح : « ••• العقيدة والاصرار التى كان يقاتل بهما جنودنا البواسل فقد كان كل ضابط وجندى يعلم جيدا أنه يدافع عن شرف مصر وشرف العروبة الذى لطخته أحداث ٥ يونيه سنة ١٩٦٧ ظلمــا بالتراب ، كان يحاول أن يسترد أرضه ويستعيد كرامته وعزته بينما كان الجندى الاسرائيلى يقاتل دون هدف واضح مقنع ، هل وضع ديان فى حسابه الأثر المعنوى الذى يحدثه عشرات الألوف وهى تعبر القناة وتصيح فى وقت واحد : الله أكبر ، الله أكبر ؟؟

لا أعتقد أنه أدخل ذلك فى حساباته » ، الى أن يقول فى ختام حديثه : « وكان كل ضابط وجندى يشارك بقدر طاقته ومسئوليته فى التجهيز والاعداد والتنفيذ حتى استطعنا فى النهــاية أن نحقق فى ٦ أكتوبر نجاحا شهد به العالم أجمع ، وسوف يبقى هذا اليوم دائما يوم فخار لمصر ولقواتها المسلحة » •



وهكذا أخا الاسلام يتحقق الأمل المنشود بفضل الله وقوته الذى أراد لأمتنا العربية أن تعود الى مجدها وعزها ، وتثأر لكرامتهـا ومقدساتها ، وهكذا لعبت العقيدة دورا كبيرا فى معركتنا الأخيرة حتى جعلت منا أبطالا لهم بأسهم وعزهم •

وما كان كل هذا الا ببركة الاتحاد الأخوى الذى ربط العربى بأخيه العربى بهذه الصورة التى جعلتهم فى وجه الأعداء « كالبنيان يشد بعضه بعضا »[1] أو : « كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[2] •

ولقد تجسم هذا فى المساندة العربية التى شكلت خطرا كبيرا على أعداء الوطن العربى ولا سيما فى هذه المقاطعة البترولية التى (عطلت) مصالحهم ، وأوقفت مصانعهم ، بل وعرضتهم لشتاء قارس كاد أن يهلكهم : الأمر الذى جعلهم يفكرون فى ضرورة الاعتراف بهذا الحق العربى ويعملون على ضرورة العمل من جانبهم على اعادة هذه الحقوق

(١ ، ٢) جزءان من حديثين شريفين .

المسلوبة الى أصحابها الشرعيين وهم أبناء فلسطين وكذلك ازالة آثار العدوان الغادر الذى كان فى سنة ١٩٦٧ .

وما كان كل هذا أيضا الا بسبب تلك البطولات العربية التى كانت مدعمة بنصر الله وقوته ، والتى أرغمت العدو على التقهقر أمام قواتنا العربية التى كانت تدك حصونه المنيعة بصورة ما كانت تخطر له ولا لأحد على بال ، تلك الحصون التى كان من أهمها كما عرفت سابقا (خط بارليف) الذى أنفقوا فى بنائه مئات الملايين من الجنيهات وهم يحسبون أنهم لن يقهروا **« وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب »**[1] وحسبى فى هذا العرض أن أقرأ معك هذه الأبيات التى استوحاها الشاعر على الجمبلاطى من معركة العبور التى يقول فيها :

عبروا بأجنحة من الأقدار ... كالسيل كالطوفان كالاعصار
يتسابقون الى الجهاد كأنهم ... جن أغار بمارج من نار
رفعوا اللواء على الرمال فكبرت ... وجرى بها نهر من الأنوار
سنوات ست لم تذق طعم السنى ... بل جللتها ظلمة الأشرار
سنوات ست غاب عن محرابها ... صوت المؤذن فى دجى ونهار
يا أرض (سينا) عانقى حرية ... جاءتك من أبنائك الأحرار
المارد المصرى هب مزمجرا ... مستهزئا بالموت والأخطار
ما المال ما الدم ما الحياة جميعها ... ان لم نعش فى عزة وفخار
كم من بيان عسكرى صوته ... فى مسمعى أحلى من الأوتار
يلقى لنا بالنصر اثر النصر ... فى أضرى معارك جيشنا الجبار
جيش يقوم الشعب حصنا خلفه ... ويقيه بالأسماع والأبصار
ما أعظم الجيش القوى اذا عدا ... وله قلوب الشعب كالأسوار

الى أن يقول :

(ديان) أية قوة تزهى بها ... ورجالك الأسرى مثال العار
التائهون بكل أرض أينما ... حلوا تحل مباءة الأقذار
بلل بدمعك (حائط المبكى) وعش ... فى مأتم واندب خراب الدار
لم يبق جيشك فى الورى أسطورة ... بل صار رمز الذل والادبار

* * *

---

(١) الحشر : ٢

وإذا كانت هذه الانتصارات قد تحققت بالنسبة للجبهة المصرية فقد تحققت كذلك بالنسبة للجبهة السورية التى كانت تحارب فى نفس الوقت الأعداء الغادرين الذين فروا أمامهم كذلك فرار (الأرانب) أذلاء صاغرين بعد أن فقدوا جزءا كبيرا من عددهم وعددهم[١] • وفى هذا يقول نفس الشاعر السابق فى نفس القصيدة مخاطبا اياهم :

يا فتية الجولان أى بطولة ... سجلتموها بالدم المدرار
ما زالت الدنيا تمجد عزمكم ... زهوا بكل مقاتل مغوار
خضتم قتالا لا سبيل لوصفه ... مهما نصغ من رائع الأشعار
الجو يمطر بالمنايا وابلا ... والبحر يقذف باللظى الموار
والأرض فيها من جهنم لفحة ... تشوى وجوه الصخر والأشجار
ماذا فعلتم بالعدو فجيشه ... قد عاد موسوما بكل صغار
مزقتم الأعداء شر ممزق ... فى كل ميدان وكل مطار

* * *

ولما كانت كل هذه الانتصارات العظيمة قد تحققت فى شهر عظيم مبارك انتصرت فيه قوى الخير على قوى الشر كما تم الفتح الأكبر ، فقد قال كذلك فى نفس القصيدة التى تعبر بحق عن انتصاراتنا الجيدة التى تعتبر امتدادا لانتصاراتنا العربية الخالدة :

انا لأوس فى القتال وخزرج ... وأعز جند الله فى الأنصار
لما لمسنا (خط بارليف) هوى ... واندك تحت سلاحنا البتار
قد كان مفخرة اليهود فأصبحت ... لبناته مبهوتة الأحجار
انا نبارك بالصيام جهادنا ... فجهادنا صوم بلا افطار
شهر يعز الله فيه جنوده ... ويمدهم بالعزم والاصرار
كم حقق الرحمن فيه أمانيا ... عليا لجند نبيه المختار
شهداء بدر لم يزل تاريخهم ... قصصا مقدسة من الاكبار

* * *

يا أمة الاسلام هبى وابعثى ... ذكرى النبى وصحبه الأبرار
من كل متقد العزيمة باسط ... كفيه نحو الموت باستكبار
قد جاهدوا فى الله حق جهاده ... وتسابقوا للبذل والايثار
فتحوا من الأمصار كل محصن ... لله ما فتحوا من الأمصار

---

(١) عددهم وعددهم : الأولى بفتح العين والثانية بضمها .

سادوا وعزوا حين كان شعارهم (الله أكبر) وهو خير شعار
أخلق بنا أن نقتفى آثارهم فخلودنا فى هذه الآثار
ماض سنربطه بأغلى حاضر مهما بذلنا غالى الأعمار

* * *

وقد رأيت ختاما لهذا العرض الضرورى الموضوعى أن أسوق اليك بعض :

البطولات الاسلامية

التى سجلها التاريخ لأمتنا العريقة منذ عهد محرر الأفكار والانسان صلوات الله وسلامه عليه ، الذى لولاه لما كانت هناك بطولات عقائدية ومفاخر انسانية نعتز بها ونفخر مدى الدهور والأزمان :

وما حرر الأفكار الا محمد فعودوا الى قرآنه وتعلموا

* * *

ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى فى الشجاعة والاقدام ، فقد رأيت وفى بداية حديثى عن البطولات الاسلامية أن يكون الحديث عن :

سيد الشجعان صلى الله عليه وسلم

فقد روى أن أهل المدينة فزعوا فى ليلة من الليالى ، عندما سمعوا صوت استغاثة مزعج ، فخرج رجالهم وشبابهم الى مصدر ذلك الصوت ، ليعرفوا سبب هذه الاستغاثة ، وكانوا جميعا حريصين على أن يذهبوا الى ذلك الخطر فيزيلوه دون أن يعلموا بذلك رسول الله ، حتى لا يقلقوا راحته ويزعجوا منامه .

وما كادوا يصلون الى مكان الخطر ، حتى وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سبقهم اليه .

وكانت نار قد شبت فى بيت من بيوتها ، فأسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها وأطفأها قبل أن يتجمع الناس ، وكان على فرس عار لا شىء عليه ، فاستقبلهم عائدا وجعل يطمئنهم قائلا لهم : « لقد أطفأتها ، ولن تراعوا » .

فعادوا وكلهم اعجاب بشجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم التى كانت موضوع أحاديثهم .

ويقول سيدنا على رضى الله عنه وهو البطل الصنديد : « كنا اذا حمي الوطيس[١] اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم — أى احتمينا به وفيه — فيكون أقربنا الى العدو » .

وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم لم يتراجع فى غزوة قط ، فى الوقت الذى كان الأبطال فيه من المهاجرين والأنصار يتراجعون أو يفرون أحيانا فقد ثبت الرسول صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد ثبات الجبال الراسيات ، ولم يتزحزح عن موقفه بينما كان المشركون يحرصون بكل ما استطاعوا من قوة أن يقضوا عليه صلوات الله وسلامه عليه ، ولكن الله القوى العزيز عصمه منهم .

وفى غزوة حنين ، وقد فر المسلمون على كثرتهم اذ ذاك ، وقف الرسول صلى الله عليه وسلم وحده على فرسه وسط الميدان ، وجعل يضرب وجوه المشركين بسيفه ، وهو يصرخ فيهم قائلا :

أنا النبى لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

ويقول البراء بن عازب رضى الله عنه :

« أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق ، فعرضت لنا صخرة فى مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول ، فشكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ثم هبط الى الصخرة ، فأخذ المعول وقال : بسم الله ، فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر ، وقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ، والله انى لأبصر قصورها الحمر من مكانى هذا ، ثم قال : بسم الله ، وضرب أخرى ، فكسر ثلث الحجر . فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله انى لأبصر المدائن ، وأبصر قصرها الأبيض من مكانى هذا . ثم قال : بسم الله ، وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر ، فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله انى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى هذا »[٢] .

فأشاع بهذه البشائر وهذا التفاؤل : الاطمئنان فى المسلمين .

كما كانت شجاعته تلك رائدة لهم فى جميع المعارك الاسلامية التى سجلوا فيها من البطولات العظيمة مالا حصر له الى أن تم الفتح المبين وهم يذكرون دائما وأبدا قول القائد الأعلى صلوات الله وسلامه

---

(١) اى الحرب .   (٢) رواه احمد .

عليه : « والذى نفس محمد بيده ، لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل »[1] وقوله : « من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » كما كان مثلا أعلى لتلاميذه الأبطال فى حياته وبعد مماته .

* * *

فمن هؤلاء الذين تأثروا به وتتلمذوا على يديه صلى الله عليه وسلم :

على بن أبى طالب كرم الله وجهه

الذى تشبع بخصال النبى صلى الله عليه وسلم وتعلم منه الكثير من المواقف البطولية منذ أن كان فى كفالة النبى صلى الله عليه وسلم الذى ضمه اليه تعاونا مع عمه أبى طالب .

وكان هذا عندما أصاب القحط قريشا ذات عام ... وناء أبو طالب بأمر أسرته فاقترح النبى صلى الله عليه وسلم على ذوى القربى أن يضم كل منهم اليه ولدا من أولاد أبى طالب وهم : جعفر ، وعقيل ، وطالب ، وعلى . فكان على من نصيب الرسول صلى الله عليه وسلم فشب على حب النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان أول من آمن به من الفتيان كما كان متحمسا لعقيدته وهو صبى .

ومن شجاعته ما حدث وهو فى العاشرة من عمره حين أحاط المشركون بالنبى قبل انتشار الدعوة الاسلامية وهم ينذرون النبى ويتوعدونه ، ويقولون له : انك وحيد ليس لك فينا نصير .

وعندما سمع ذلك على ، صاح قائلا وهو ينظر الى النبى صلى الله عليه وسلم : أنا نصيرك ، فضحك القوم من هذا الصبى الصغير .. ولكنه شد قبضته كأنه فارس مغوار ، وهو يهم بالهجوم على القوم دفاعا عن النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى ليلة الهجرة افتدى النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه عندما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يلتحف ببرده الأخضر وينام فى فراشه فقبل ذلك وهو يعلم أن قريشا تأتمر بالنبى صلى الله عليه وسلم لقتله .

وقد حدث فعلا — بعد أن خرج النبى صلى الله عليه وسلم من داره فى الطريق الى دار أبى بكر الصديق رضى الله عنه الذى صاحبه بعد ذلك الى الغار — أن هاجمه القوم فى أول الصباح ، ولما لم يجدوا الرسول

---

(١) فأقتل : بضم الهمزة وفتح التاء .

صلى الله عليه وسلم فى الدار وأن عليا هو الذى كان ينام مكانه ، أوسعوه ضربا وحبسوه فى المسجد وأقاموا عليه الحراس والأرصاد .

وقد عبر شاعر مصرى عن هذا بقوله[1] :

ولن ينسى النبي له صنيعا عشية ودع البيت الحراما
عشية سامه فى الله نفسا لغير الله تكبر أن تساما
فأرخصها فدى لأخيه لما تسجى فى حظيرته وناما
وأقبلت الصوارم والمنايا لحرب الله تنتحم انتحاما
فلم يأبه لها أنفا على ولم تقلق بجفنيه مناما
وأغشى الله أعينهم فراحت ولم تر ذلك البدر التماما

وقد عرف عنه رضى الله عنه أنه ما صارع أحدا الا صرعه ، وأنه كان جريئا على الموت .

فقد ورد أنه بارز عمرو بن ود — فارس الجزيرة العربية — وهو لا زال حدثا فى سنه :

وكان هذا أيام وقعة الخندق ، عندما برز ابن ود مزهوا بقوته ينادى فى المسلمين : من يبارز ؟

فهتف على : أنا له يا رسول الله .. فيبتسم النبى صلى الله عليه وسلم ثم يقول له : « اجلس .. انه عمرو » ، ولكن الرجل المزهو عاد يصيح : من يبارز ؟

وراح يهزأ بالمسلمين قائلا : أين جنتكم التى زعمتم أنكم داخلوها .. أجبنتم .. أفلا يبرز لى منكم رجل ؟

فكان على ينهض المرة بعد الأخرى وهو يكرر فى حماس : أنا له يا رسول الله .. والنبى صلى الله عليه وسلم يشفق عليه ويقول له : « اجلس .. انه عمرو » ولكنه ظل بالنبى صلى الله عليه وسلم حتى أذن له .. فلما تقدم نحو عمرو سخر منه وهو يكتسحه بنظرات الاستصغار، قائلا له : من أنت ؟ فيجيبه بعزة ورجولة : أنا على .

فيقول له عمرو : أنت ابن عبد مناف ؟

فيقول : على بن أبى طالب .. فأقبل عليه عمرو مشفقا وقائلا : يا ابن أخى .. من أعمامك من هو أسن منك ، وانى أكره أن أهريق دمك .

---

(١) وهو المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب .

فقال له على : ولكنى والله لا أكره أن أهريق دمك .. ولكنى أذكرك يا عمرو بما ينفعك ويعصم دمك ، انك كنت تعاهد قومك ألا يدعوك رجل من قريش الى خلتين الا أخذت منه أحسنهما . قال عمرو : أجــل .

فقال على : فانى أدعوك الى الاسلام ، أو الى النزال .

فقال عمرو مستصغرا لشأن على : ولم يا ابن أخى .. فوالله ما أحب أن أقتلك . ثم غضب وأهوى بسيفه عليه يريد أن يذهب به بضربة واحــدة .

ولكن عليا راوغه وما زال به حتى خر الرجل صريعا تحت قدميه . فكبر المسلمون تكبيرة تفيض بنشوة النصر ، ثم استقبلوا عليا مهللين مكبرين .

وعندما علمت ابنة عمرو بقتله سألت عن قاتله ، فلما علمت أنه على وجدت عزاءها فى أن الذى قتله فتى لا يشق لشجاعته غبار . وذهبت ترثيه شعرا فتقول :

لو كان قاتل عمرو غير قاتله   بكيته أبدا ما دمت فى الأبد
لكن قاتله من لا نظــير له   وكان يدعى أبوه بيضة البلد

وقد خاض على المعارك كلها الى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان على شجاعته لا يبدأ أحدا بقتال .. وكان يأمر جنده أن لا يجهزوا على جريح ولا يقتلوا رجلا استسلم أو هرب موليا ، وفى وقعة الجمل كان يصلى على الموتى من أعدائه .

* * *

ومن الأبطال العظام أيضا :

عمر بن الخطاب رضى الله عنه

الذى كان ولا يزال مضرب الأمثال فى القوة والشجاعة وقول الحق .

يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه :

ما علمت أن أحدا من المهاجرين هاجر الا متخفيا ، الا عمر بن الخطاب فانه لمـا هم بالهجرة تقـلد سيفه ، وتنكب قوسه وانتضى فى يده سهما ، واختصر عنزته ــ عصا لها زج كالرمح الصغير ــ ومضى قبل الكعبة ، والملأ من قريش بفنائها ، فطاف بالبيت سبعا متمكنا ، ثم أتى المقام فصلى ، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة يقول لهم :

شاهت الوجوه .. لا يرغم الله الا هذه المعاطس ، من أراد أن يثكل أمه ، أو ييتم ولده ، أو يرمل زوجه فليلقنى وراء هذا الوادى .

وروى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قال : استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن . فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم فدخل ، والرسول يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله . قال : عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى لما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب . قال عمر : فأنت يا رسول الله كنت أحق أن تهاب . ثم قال عمر : أى عدوات أنفسهن .. أتهبننى ولا تهبن رسول الله ؟ قلن : ان فيك غلظة . قال النبى : « يا عمر .. والذى نفسى بيده ، ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غيره » .

ولما ولى الخلافة صعد المنبر وقال :

اللهم انى غليظ فلينى لأهل طاعتك بموافقة الحق ، وارزقنى الشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق . اللهم انى شحيح فسخنى فى نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير .

بلغنى أن الناس هابوا شدتى ، وخافوا غلظتى ، وقالوا : كان عمر يشتد علينا وأبو بكر والينا دونه ، فكيف اذا صارت الأمور اليه ؟

ومن قال ذلك فقد صدق ، كنت سيفا مسلولا حتى يغمدنى أو يدعنى فأمضى ، فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله . ثم انى وليت أموركم ، فاعلموا أن تلك الشدة ضوعفت ولكنها انما تكون على أهل الظلم والتعدى ، فأما أهل السلامة والدين والفضل فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض ، فاذا غبتم فى البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا اليهم ولكم على ألا أجتنى شيئا من خراجكم الا فى جهته .

ولقد حكم (عمر) عشر سنوات كانت من أبرز سنوات الاسلام حياة وجهادا وقوة : جمع القرآن بعد أن استحر القتل فى القراء ، وفتح فى عهده العراق والشام ومصر .

فكان فعلا (فاروقا) كما سماه الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه فرق بين الحق والباطل ، وأعز الله به الاسلام تحقيقا لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم أن قال : « اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين : عمرو بن هشام ، أو عمر بن الخطاب » .

وحسبى فى نهاية الحديث عنه أن أضيف ما قاله ابن مسعود رضى الله عنه : « كان اسلام عمر فتحا ، وهجرته نصرا ، وامارته رحمة » •



ومنهم كذلك سيف الله المسلول :

خالد بن الوليد رضى الله عنه

الذى يقول عن نفسه : « لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها •• وما فى بدنى موضع شبر الا وفيه ضربة بسيف ، أو رمية بسهم ، أو طعنة رمح • ولقد طلبت الموت فى مظلنه فلم يقدر لى الا أن أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير ، ما من عمل أرجى عندى وأحب بعد أن لا اله الا الله من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين •• وما ليلة يهدى الى فيها عروس أنا لها محب ، أو أبشر فيها بغلام أحب الى من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين أصبح بهم المشركين » •

ولقد كان خالد طوال حياته البطولية فى ظل العقيدة الاسلامية سيفا مسلولا فى وجه أعداء الاسلام بصورة أذهلت الأعداء الذين بهرتهم شجاعة خالد واستبساله فى منازلة أعدائه ولا سيما فى معركة اليرموك التى ضرب فيها أروع الأمثلة فى البطولة والرجولة وحسن القيادة •

وكان هذا بعد أن دار حديث بينه وبين قائد الروم (ماهان) الذى طلب أن يبرز له خالد قبل بدء القتال ليقول له بضع كلمات •

فذهب اليه خالد ، وعندما تواجها فوق جواديهما فى الفراغ الفاصل بين الجيشين قال قائد الروم مخاطبا خالدا :

لقد علمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم الا الجهد والجوع ، فان شئتم أعطيت كل واحد منكم عشرة دنانير ، وكسوة ، وطعاما ، وترجعون الى بلادكم ؛ وفى العام القادم أبعث اليكم بمثلها •

فيرد عليه خالد بكل صرامة وقوة :

انه لم يخرجنا من بلادنا الجوع كما ذكرت ، ولكنا قوم نشرب الدماء ، وقد علمنا أنه لا دم أشهى ولا أطيب من دم الروم ، فجئنا لذلك •

ثم لوى زمام جواده عائدا الى صفوف جنده لكى يندفع بهم بعد ذلك بكل شجاعة واقدام تجاه الأعداء الذين كانوا يفرون أمام ضرباتهـم ، « **كأنهم حمـر مستنفرة • فرت من قسـورة** »[١] رغم الفارق الكبير فى العدد والعدد[٢] •

* * *

فهذا بطل من أبطال الاسلام فى هذه المعركة والقتال دائر ، يقترب من أبى عبيدة بن الجراح قائلا له :

انى قد عزمت على الشهادة ، فهل لك من حاجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبلغها له حين ألقاه ؟ فيقول له أبو عبيدة :

نعم ، قل له : يا رسول الله •• انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا •

ثم يندفع البطل بعد ذلك كالسهم المقذوف وسط الهول مشتاقا الى مصرعه ومضجعه يضرب بسيفه بكل شجاعة واستبسال حتى يفوز بالشهادة •

* * *

وهذا عكرمة (ابن أبى جهل) فى هذه المعركة أيضا ينادى فى رفاقه المسلمين حين ثقلت وطأة الروم عليهم :

لطالما قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يهدينى الله للاسلام ، أفأفر من أعداء الله اليوم ؟ ثم يصيح قائلا :

من يبايع على الموت ؟ فيبايعه على الموت كوكبة من الأبطال الذين انطلقوا معه فى ساحة الشرف حتى فازوا جميعا بالشهادة •

فى الوقت الذى كان فيه خالد ينقض على ميسرة الأعداء بمائة جندى أمام أربعين ألفا من الروم ، وهو يصيح فى جنوده الشجعان قائلا : والذى نفسى بيـده ما بقى مع الروم من الصـبر والجلد الا ما رأيتم وانى لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم •

وبالايمان الذى يصنع المعجزات تنتصر قوى الحق بقيادة سيف الله المسلول خالد بن الوليد على قوى الباطل بصورة أبهرت قواد الروم وأمراء جيشهم مما حمل أحدهم واسمه (جرجه) على أن يدعو خالدا للبروز اليه فى احدى فترات الراحة بين القتال •

---

(١) قسورة : أى الأسد ـــ والآية من سورة المدثر : ٥٠ ، ٥١

(٢) العدد والعدد : الأولى بفتح العين والثانية بضمها .

وحين يلتقيان ، يوجه القائد الرومانى حديثه الى خالد قائلا : يا خالد •• اصدقنى ولا تكذبنى ، فان الحر لا يكذب ، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاك اياه فلا تسله على أحد الا هزمته ؟

قال خالد : لا ••

قال الرجل : فبم سميت سيف الله ؟

قال خالد : ان الله بعث فينا رسوله ، فمنا من صدقه ، ومنا من كذب •• وكنت فيمن كذب حتى أخذ الله قلوبنا الى الاسلام ، وهدانا برسوله فبايعناه فدعا لي الرسول صلى الله عليه وسلم بالنصر ، وقال لي : أنت سيف من سيوف الله ، فهكذا سميت : سيف الله •

قال القائد الرومانى : والام تدعون ••• ؟

قال خالد : الى توحيد الله ، والى الاسلام •

قال القائد الرومانى : هل لمن يدخل فى الاسلام اليوم مثل ما لكم من المثوبة والأجر ؟

قال خالد : نعم ، وأفضل •

قال القائد : كيف •• وقد سبقتمونا ؟

قال خالد : لقد عشنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأينا آياته ومعجزاته • وحق لمن رأى ما رأينا ، وسمع ما سمعنا أن يسلم فى يسر •• أما أنتم يا من لم تروه ولم تسمعوه ، ثم آمنتم بالغيب ، فان أجركم أجزل وأكبر اذا صدقتم الله سرائركم ونواياكم » •

وما كاد خالد ينتهى من كلامه هذا حتى دفع القائد الرومانى جواده الى ناحية خالد ووقف بجواره • ثم قال :

« علمنى الاسلام يا خالد » •• !!

وكان فعلا أن أسلم •• وصلى ركعتين لم يصل سواهما ، ثم قاتل فى صفوف المسلمين ـــ عندما استؤنف القتال بين الجيشين ـــ واستمات فى طلب الشهادة حتى نالها وظفر بها •

وما كان كل هذا الاستبسال من جانب الجنود ، وما كانت هذه النتيجة المشرفة من جانب القائد الرومى الا نتيجة لانتصارات خالد وبطولاته التى ستظل مضرب الأمثال الى قيام الساعة ، ولله در حافظ ابراهيم فلقد قال فى مدح خالد :

سل قاهر الفرس والرومان هل شفعت ... له الفتوح وهل أغنى تواليهـا ؟
غزى فأبلى وخيل الله قد عقــدت ... باليمن والنصر والبشرى نواصيها[1]
يرمى الأعادى بآراء مســددة ... وبالفوارس قد سالت مذاكيها[2]
ما واقع الروم الا فر قارحهــا[3] ... ولا رمى الفرس الا طاش راميها
لم يجـز بلدة الا سمعت بهــا ... الله أكبر تدوى فى نواحيهــا
عشرون موقعة مرت محجلة[4] ... من بعد عشر بنـان الفتح تحصيها
وخالد فى سبـيل الله موقدها ... وخالد فى ســبيل الله صاليها[5]

* * *

وأسد الله وأسد رسوله :

حمزة بن عبد المطلب عليه رضوان الله

بطل بدر الذى برز للأسود بن عبد الأسد المخزومى وكان رجلا شرسا سيء الخلق ، عندما أراد أن يسخر من المسلمين قائلا : « أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأموتن دونه » وكان الحوض من وراء المسلمين — وكان يحسب أن أحدا من المسلمين لن يجرؤ على الوقوف فى سبيله ، وأنه سيخترق صفوفهم آمنا أو كالآمن .

وما كاد يبرز من صفوف المشركين متجها نحو الحوض حتى تقدم اليه (حمزة) وضربه بالسيف ضربة قطعت ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على الأرض تشخب ساقه دما .. وبلغ به العتو أن أراد الزحف نحو الحوض حتى يبر بيمينه .

لكن حمزة لم يمهله وانما أتبعه بضربة أجهزت عليه فى الحوض ، والمشركون ينظرون ذاهلين من جرأة هذا البطل .

وعندما تزاحف الجمعان ، واستعرت المعركة كان حمزة — الذى علم نفسه بريشة نعامة ثبتها فى صدره — طوال المعركة كالعلم الأشم والأسد الضارى لا يكاد يثبت فى مكان ، ولا يرى أحدا من كبار المشركين

---

(١) النواصى : جمع ناصية ، وهى مقدم الرأس .
(٢) الخيل التى انتشرت .
(٣) قارحها : اى القوى المكتمل منهم .
(٤) محجلة : اى واضحة مشرقة بالانتصار فيها ، ومعنى البيت ان خالدا ظفر فى ثلاثين موقعة تسجلها له يد الفتح .
(٥) صاليها : اى يقاسى حرها رشدتها .

الا انقض عليه انقضاض الصاعقة ، ولا يرى واحدا من اخوانه المسلمين الا خف لنجدته على عدوه :

فهذا على بن أبى طالب يقول : رأيت طعيمة قد علا رأس كثيب يوم (بدر) وقد ساواه (سعد بن خيثمة) فصمدت له ولم آته حتى قتل (سعد) فلما رآنى أصعد الكثيب اليه انحط على — وكان رجلا جسيما — فخشيت أن يعلو على ، فانحططت فى السهل ، فظن أنى فررت منه ، فصاح بأعلى صوته : فر على بن أبى طالب ، وكنته آخادعه لآخذه على غرة ، فلما استوت قدماى بالأرض وقفت له ، فانحدر الى وأهويت اليه ، فسمعت قائلا من خلفى يقول : طأطىء رأسك ، فجعلت رأسى فى صدر طعيمة ، واذا برقة من السيف أخذته قحف (طعيمة) فسقط ميتا ، واذا بالقاتل حمزة بن عبد المطلب .

وكان أمية بن خلف وابنه على بن أمية قد أسرهما عبد الرحمن ابن عوف واقتادهما الى صفوف المسلمين ، وانه لسائر بينهما اذ سأله أمية : من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره ؟ فقال عبد الرحمن : ذلك حمزة بن عبد المطلب ، فيقول أمية : ذلك الذى فعل بنا الأفاعيل .

وعندما عادت قريش بالخزى والعار نادى مناديهم : « لقد أذل حمزة بن عبد المطلب شرفكم ، ووضع من قدركم وجعلكم الأذلة المستبعدين فى الأرض ، مات بيديه صفوة رجالكم وأصحاب الصدارة فى منتدياتكم ، فيا لثارات قريش ، ويا للأحقاد الكامنة » .

ولهذا عندما خرج المشركون فى غزوة أحد لكى يثأروا لقتلاهم ، كان نصفهم يطلب ثأرا من هذا البطل — حمزة بن عبد المطلب — ولذا أحاطت به الأرصاد من كل ناحية .

فى الوقت الذى كان فيه حمزة أيضا فى المعركة أسدا جسورا كعادته لا يلقى مشركا الا صرعه ، فقد لقيه أرطأة بن عبد شرحبيل ابن هشام أحد كماة بنى عبد الدار ، وأحد النفر الذين يحملون لواء قريش — فقتله حمزة ، وكذلك قتل عثمان بن أبى طلحة حامل لواء قريش أيضا ، وعرض له سباع بن عبد العزى الغبشانى ، فأجهز عليه ، ومضى على عهده يضرب بسيفه يمنة ويسرة والعيون له رصد وكل مشرك موتور يتسقط لحظة يغتاله فيها .

وكان جبير بن مطعم قد دعا غلامه الحبشى وحشى — الذى كان يجيد رمى الحربة الطويلة التى قلما يخطىء بها ، شأن الأحباش —

وقال له : أخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة ابن عدي فأنت حر[١] •

وكانت هند بنت عتبة التي خرجت مع زوجها أبي سفيان بن حرب كلما مرت بالعبد الحبشي وحشي أو مر بها قالت له : « ويها أبا دسمة •• اشف واشتف » تحرضه على قتل حمزة لأن قريشا بجمعها عرفوا أنهم لن ينالوا منه منالا اذا ما واجهوه في قتال ــ اذن فليقتلوه غيلة •

ولم يكد حمزة يفرغ من سباع بن عبد العزى حتى أمكنت العبد الحبشي الفرصة ليصوب حربته نحوه •

وفي ذلك يقول وحشي : والله اني لأنظر الى حمزة يهد الناس بسيفه ثائر الرأس ما يلقى بشيء يمر به مثل الجمل الأورق ، اذ قد تقدمني اليه (سباع) وهو يقول : ألا من مبارز ؟ فقال له حمزة : هلم يا ابن ••• ــ وكانت أم (سباع) هذه ختانة بمكة ــ ثم ضربه ضربة هائلة قتلته • وكنت كامنا تحت صخرة لا يراني (حمزة) وهززت حربتي حتى اذا رضيت عنها دفعتها عليه فوقعت في ثنته ــ أسفل البطن ــ حتى خرجت من بين رجليه ، فنهض متثاقلا نحوي فغلب فوقع وتركته واياها حتى مات ثم أتيته ، فأخذت حربتي ، ثم رجعت الى المعسكر فقعدت فيه ولم يكن لي بغير (حمزة) حاجة •

وخرجت (هند بنت عتبة) تبحث عن قاتل أخيها حتى اذا عثرت على جثمان (حمزة) الطاهر مثلت به شر تمثيل ، فقد بقرت عن كبد سيد الشهداء فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها ، فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة وصرخت بأعلى صوتها قائلة :

نحن جزيناكم بيوم (بدر)	والحرب بعد الحرب ذات سعر[٢]
ما كان من (عتبة) لي من صبر	ولا أخي وعمه وبكري[٣]
شفيت نفسي وقضيت نذري	شفيت (وحشي) غليل[٤] صدري
فشكر (وحشي) على عمري	حتى ترم أعظمي في قبري

---

(١) لأن حمزة هو قاتل طعيمة يوم بدر •

(٢) السعر ــ بضمتين : الالتهاب •

(٣) كان ابوها عتبة قد قتل في معركة بدر ، وكان حمزة قاتل اخويها ، لهذا كانت اشد نساء قريش دعوة للثأر •

(٤) الغليل : العطش او حرارة الجوفة •

ثم عادت بعد ذلك تقول :

شفيت من (حمزة) نفسى بأحد حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عنى ذاك ما كنت أجــد من لذعة الحزن الشديد المعتمد

ولهذا عندما خرج الرسول صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه الشهيد ، ووجده ببطن الوادى على هذه الصورة المحزنة ، وقد بقرته بطنه ، ومثل به ــ جدع أنفه وأذناه ــ •

حزن الرسول صلى الله عليه وسلم حزنا شــديدا بلغ مداه ، ولهذا قال : « لن أصاب بمثلك أبدا ، وما وقفت موقفا أغيظ الى من هذا » ثم يعود فيقول : « قد جاءنى جبريل فأخبرنى : ان حمــزة ابن عبد المطلب مكتوب فى أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله » •

ثم يقول مخاطبا أصحابه الذين كانوا كذلك فى حزن عميق لا على استشهاد البطل حمزة ولكن لمــا فعل به من تمثيل « ولولا أن تحزن (صفية)[1] وتكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن واحد لأمثلن بثلاثين رجلا منهم » •

وعندما رأى المسلمون عميق حزن الرسول صلى الله عليه وسلم وبالغ غيظه على من فعل بعمه ما فعل قالوا : « لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب » •

فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله : **« وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين »**[2] فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصبر ونهى عن المثلة •

هذا هو حمــزة البطل الشهيد الذى قال فى حقه صلوات الله وسلامه عليه فى حديث رواه جابر : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب » والذى عاش لايمانه وفى سبيله مات ، فســلام عليه : « مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » الى يوم الدين •

* * *

(١) صفية بنت عبد المطلب ، وكان حمزة اخاها لأبيها وأمها ..
(٢) النحل : ١٢٦

و :

خبيب بن عـــدى

الذى كان قد أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم مع بعض حفظة القرآن الكريم الى (عضل) ليعلموهم كتاب الله بناء على طلبهم ، فخانوهم وقتلوهم ، أما خبيب ، وزميله زيد بن الدثنة ، فقد أسروهما ، وانتظروا عليهما ليشترك فى قتلهما كل من له ثأر عند المسلمين .

وكان خبيب قـــد أسره الحارث بن عامر وأودعه بيت ماوية بنت حجير ، التى راعها ايمانه لأنها كانت لا تراه الا مصليا أو صائما ، وشاهدته مرة يأكل قطف عنب وما بمكة عنب فسألته ، فقال : هو من عند الله . وقد أبى أن يأكل مدة الأسر مما لم يذكر اسم الله عليه ، فكان يتناول اللبن ، ويوصى صاحبه (زيدا) بالصبر والايمان ، وكان يقرأ القرآن فيجتمع عليه النساء ويبكين تأثرا ، ولم يزلزل ايمانه وانما كان متزايدا وراسخا كالجبل .

وفى الوقت الذى حان فيه موعد قتله ، حمد الله كثيرا ورضى بقضاء الله ، فأرسلوا اليه من يساومه فى ايمانه ، ان كفر بمحمد مقابل اطلاق سراحه ، فرفض بعنف وهو يقول لهم : الموت أدنى مما تتوهمون ، ثم أنشـــد :

الى الله أشكو غربتى بعد كربتى وما جمع الأحزاب لى عند مصرعى
فذو العرش صـــبرنى على ما أصابنى
فقد قطعوا لحمى وقد ضل مطمعى[1]
وقد عرضوا بالكفر والموت دونه[2] وقد ذرفت عينـــاى فى غير مدمع
وما بى حـــذار المـــوت انى لميت ولكن حذارى حـــر نار تلفع
ولست بمبـــد للعـــدو تخشعا ولا جـــزعا انى الى الله مرجعى
ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشـــأ يبـــارك على أوصال شـــلو ممزع

فأخذوه بعد ذلك الى مكان يسمى (التنعيم) ليقتلوه ، فقال لهم : دعونى أصلى ركعتين ، فصلاهما تامتين ، ثم قال لهم : والله لولا أنى أخشى أن تقولوا خائف من الموت لأطلت الصلاة . ثم صلبوه على العمود فاستقبل القبلة وقال : الحمد لله الذى جعل وجهى قبل بلدة رسوله

---

(١) اى تاه رجائى فى النجاة . (٢) اى ساوموه على الكفر .

وقبلته التى ارتضاها لعباده المؤمنين ، ثم قال : اللهم بلغ رسولك منى السلام ، وبلغه ما يصنع القوم بنا ، اللهم انى لا أرى هنا حولى الا وجه عدو ، اللهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تبق منهم أحـدا •

فسقط أبو سفيان على الأرض ، خشية أن تصيبه دعوة خبيب المظلوم ولم يكن أبو سفيان قد أسلم يومئذ ، ثم قتلوه وهو فى نشوة بلقاء الله متوجا بالشهادة التى كان ينشدها •

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يجلس بين أصحابه ، فغشى عليه ثم أفاق وهو يقول : « وعليك السلام يا خبيب ورحمة الله وبركاته » فيسأله الأصحاب : فيقول لهم : « قتلته قريش » ، ثم أرسل بعض الأبطال لاحضار جثته ، فوجدوها كما هى لم تتغير ، والدم بلونه وله رائحة المسـك ، وكان قد مضى على اسـتشهاده أربعين يوما •

وقد ثبت أنه كان كلما طعن برمح أو سيف قال : « لا اله الا الله » •

ومن اكرام الله له أن الكفار تيقظوا للفوارس حينمـا أخذوه ، فأسرعوا وراءهم ، فوضعوه على الأرض ليتخففوا ولينجوا بأنفسهم من موت محقق ، ولكن الله لم يدعه طرفة عين على ظهر الأرض ، بل ابتلعته من فورها ، ابعادا لجسده من الامتهان حتى لا يعبث به الفجرة ولذلك سمى « بليع الأرض » •

* * *

وأمـا :

زيد بن الدثنة

فقد ساوموه أيضا ـ كما ساوموا زميله خبيب ـ على ايمانه ، ولكنه رفض فصلبوه ، ثم قال له أبو سفيان : يا زيد •• أسألك بالله ، ألا تحب أن تكون أنت الآن معافى فى أهلك ، ومحمد هنا عوضا عنك ؟ فغضب (زيد) أشد الغضب ثم قال : والله يا أبا سفيان ، ما أود أن أسلم لأهلى وعيالى ونفسى ، ونبيى يصاب بعثرة فى اصبعه •

فقال أبو سفيان : ما رأيت أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا •

وكان أحد الشعراء العرب قد شاهد هذا المشهد الرائع الذى يؤكد أهمية الايمان فى مواجهة العد ، فقال مصورا هذا المشهد العظيم :

أسرت قريش مسلما فى غزوة فمضى بلا وجل الى السياف
سألوه : هل يرضيك أنك سالم ولك النبى فدى من الاتلاف
فأجاب : كلا لا نجوت من الردى ويصاب أنف محمد برعاف

* * *

و :

غسيل الملائكة

حنظلة بن عامر وهو المعروف فى كتب الحديث : (بغسيل الملائكة) •

وذلك لأنه كان قد تزوج بنت عبد الله بن أبى ، ودخل بها ليلة أن هم المسلمون بلقاء المشركين فى غزوة أحد ، وفى صبيحة هذا اليوم ، أذن مؤذن الجهاد : أن يا خيل الله اركبى •••

فما كان من حنظلة حين سمع النداء الا أن سارع بالخروج ملبيا دعوة الله ومجيبا لنداء المنادى بالجهاد دون التفكير فى عروسه •

وفى الميدان أخذ يكر على المشركين بسيفه حتى فاز بالشهادة •

وعندما تفقد الرسول صلى الله عليه وسلم القتلى وجد الملائكة تغسل حنظلة فتعجب من ذلك ، لأن الشهيد لا يغسل ، فأخبر أصحابه بذلك وقال لهم :

« ان الملائكة تغسل حنظلة بماء السحاب فى صحاف الفضة »

فيتعجب الأصحاب أيضا ، وأقبلوا على حنظلة ، فشاهدوا الماء يتقاطر منه ، فسأل الرسول صلى الله عليه وسلم زوجته فقالت : يا رسول الله •• لقد أعجله داعى الجهاد عن طهره فخرج جنبا •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لذلك غسلته الملائكة » •

* * *

وحتى يتبين لك أخا الاسلام أن الجهاد ليس قاصرا على الأبطال من الرجال فقط ، وانما تستطيع النسوة ، بل والصبية كذلك المشاركة فيه ، اليك أيضا هذه القصة : يقول أبو قدامة أحد قادة المسلمين فى غزواتهم ضد الروم اللئام :

كنت أميرا ، فدعوت الى الجهاد فى سبيل الله فجاءت امرأة بورقة وصرة ففضضت الورقة لأقرأها ، ولأنظر ما فيها فاذا فى تلك الورقة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من أمة الله المسلمة الى أمير جيش المسلمين •• سلام الله عليك ، أما بعد •• فانك قد دعوتنا الى الجهاد

فى سبيل الله ولا قوة لى على الجهاد ، ولا مقدرة على القتال ، وهذه الصرة فيها ضفيرتى ، فخذها قيدا لفرسك لعل الله يكتب لى شيئا من ثواب المجاهدين •

يقول أبو قدامة : فشكرت الله على توفيقها وعلمت أن المسلمين يشعرون بواجبهم ، ويتكتلون ضد أعدائهم ، فلما واجهنا العدو ، أبصرت صبيا حدثا ظننت أنه ليس أهلا للقتال لصغر سنه ، فزجرته رحمة به ، فقال : كيف تأمرنى بالرجوع ، وقد قال الله تعالى : « **انفروا خفافا وثقالا** »(١) • قال أبو قدامة : فتركته ثم أقبل على وقال : أقرضنى ثلاثة سهام ، فقلت له وأنا معجب به ، ومشفق عليه : انى أقرضك ما تريد بشرط أن تشفع لى ان من الله عليك بالشهادة — وكنت أشعر نحوه بمحبة وتقدير — فقال : نعم ان شاء الله • فأعطيته السهام الثلاثة ، ثم أقبل على العدو فى قوة وحماس ، وما زال ينال من أعدائه وينالون منه حتى خر صريعا فى ميدان القتال ، وكانت عينى لا تفارقه طوال المعركة اعجابا به ، واشفاقا عليه ، فلما خر صريعا أقبلت عليه ، وسألته : هل تريد طعاما أو ماء ؟ فقال : لا ، انى أحمد الله على ما صرت اليه ، ولكن لى اليك حاجة •

فقلت له : ليس أحب الى من قضائها يا بنى فمرنى بما تشاء •

فقال وهو يلفظ أنفاسه الطاهرة : أقرىء أمى منى السلام ، ثم ادفع اليها متاعى •

فقلت : ومن أمك أيها الشاب ؟

قال : أمى هى التى أعطتك شعرها ليكون قيدا لفرسك حين عجزت عن أن تقاتل بنفسها فى سبيل الله تحت لوائك •

قلت : بارك الله فيكم من آل بيت •• ثم فارق الحياة ، فقمت نحوه بما يجب فلما دفنته لفظته الأرض ، فعاودت دفنه مرة أخرى ، فلفظته الأرض أيضا ، فأعمقت له فى الحفر ثم دفنته ، فلفظته الأرض مرة ثالثة •

فقلت : لعله خرج بغير رضاء أمه ، فصليت ركعتين ، ودعوت الله أن يكشف لى عن أمر ذلك الغلام • فسمعت من يقول لى :

---

(١) التوبة : ٤١

يا أبا قدامة .. دع عنك ولى الله . فتركته وشأنه ، وعلمت أن له مع الله حال . وبينما نحن كذلك ، اذا بطير قد أقبل فأكله ، فتعجبت كثيرا ، ثم رجعت الى أمه تنفيذا لوصيته ، فلما رأتنى ، أقبلت على وقالت : ما وراءك يا أبا قدامة ؟ هل جئتنى معزيا ، أم جئتنى مهنئا ؟

فقال لها : وما معنى ذلك يا أمة الله ؟ فقالت : ان كان ابنى قد مات فقد جئتنى معزيا .. وان كان قد قتل فى سبيل الله ، وظفر بما كان يطمع فيه من الشهادة ، فقد جئتنى مهنئا .

فقصصت عليها قصته ، وأخبرتها عن الطير وما فعلت به .

فقالت : لقد استجاب الله دعاءه .

فقلت لها : وما ذاك ؟

فقالت : انه كان يدعو الله فى صلواته وخلواته ، ويقول فى صباحه ومسائه : « اللهم احشرنى فى حواصل الطير » . والحمد لله على تحقيق أمله واجابة دعائه .

قال أبو قدامة : فانصرفت عنها ، وقد علمت لماذا كتب الله لنا النصر والتأييد على الأعداء .

* * *

وحتى تكون مخلصا فى جهادك اليك أيضا هذه القصة :

روى صاحب كتاب « عيون الأخبار » عن الأصمعى قال :

حدثنا أبو عمرو الصفار قال : حاصر مسلمة حصنا فندب الناس الى نقب منه . فما دخله أحد ، فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتحه الله عليهم ، فنادى مسلمة :

أين صاحب النقب ؟ فما جاء أحد ، فنادى : انى أمرت الآذن بادخاله ساعة يأتى ، فعزمت عليه الا جاء .

فجاء رجل فقال : استأذن لى على الأمير ، فقال له : أنت صاحب النقب ؟ قال : أنا أخبركم عنه ، فأتى مسلمة فأخبره عنه ، فأذن له ، فقال له : ان صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا — أى يشترط — : ألا تسودوا اسمه فى صحيفة الى الخليفة ، ولا تأمروا له بشىء ، ولا تسألوه ممن هو ؟ قال : فذاك له . قال : أنا هو .

فكان مسلمة لا يصلى بعدها صلاة الا قال : اللهم اجعلنى مع صاحب النقب .

* * *

فكن أخا الاسلام :

شبيها بهؤلاء المجاهدين المخلصين واحرص على طلب الشهادة فى سبيل الله ، وحسبى ترغيبا لك فيها أن أسوق اليك بعض الأحاديث الصحيحة التى قالها الرسول صلى الله عليه وسلم فى فضل :

الشهـــادة

عن أنس رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وان له ما على الأرض من شىء الا الشهيد ، فانه يتمنى أن يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لمـا يرى من فضل الشهادة »[١] .

وعن أنس أيضا ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول الله له : يا ابن آدم .. كيف وجدت منزلك ؟ فيقول : أى رب .. خير منزل . فيقول : سل وتمنه . فيقول : وما أسألك وأتمنى ؟ أسألك أن تردنى الى الدنيا فأقتل فى سبيلك عشر مرات . لمـا يرى من فضل الشهادة »[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفس محمد بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل »[٣] .



كما ورد فى فضل :

الشـــهداء

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : لمـا قتل عبد الله ابن عمرو بن حرام يوم أحد ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا جابر .. ألا أخبرك ما قال الله لأبيك » ؟ قلت : بلى ، قال : « ما كلم الله أحدا الا من وراء حجاب ، وكلم أباك كفاحا[٤] فقال : يا عبد الله .. تمن على فأعطيك ، قال : يا رب .. تحيينى فأقتل فيك ثانية . قال : قد سبق منى أنهم اليها لا يرجعون .

---

(١) اخرجه البخارى ومسلم .
(٢) رواه النسائى وصححه الحاكم على شرط مسلم .
(٣) رواه البخارى ومسلم .　　(٤) اى مواجهة .

قال : يا رب .. فأبلغ من ورائى . فأنزل الله هـذه الآية : « **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سـبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون** »(١) .

وعن جابر أيضا ، قال : جئ بأبى الى النبى صلى الله عليه وسلم قد مثل به ، فوضع بين يديه فذهبت أكشف عن وجهه فنهانى قومى فسمع صوت صائحة فقيل : ابنة عمرو — أو أخت عمرو — فقال : « لم تبكى — أو لا تبكى — ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها »(٢) .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه ، قال : سمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته »(٣) .

وعن أنس رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا وقف العباد للحساب ، جاء قوم واضعى سيوفهم على رقابهم تقطر دما فازدحموا على باب الجنة . فقيل : من هؤلاء ؟ قيل : الشهداء كانوا أحياء مرزوقين »(٤) .

وعن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له فى أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين ، ويشفع فى سبعين من أقاربه »(٥) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه : « **ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله** »(٦) : من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم ؟ قال : هم شهداء الله »(٧) .

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه ، وحسنه الترمذى وصححه الحاكم ، والآية من سورة آل عمران : ١٦٩

(٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه ابو داوؤد فى سننه ، وصححه ابن حبان .

(٤) رواه الطبرانى باسناد حسن .

(٥) رواه الترمذى وابن ماجه .

(٦) الزمر : ٦٨

(٧) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .

عن راشد بن سعد رضى الله عنه ، عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال : يا رسول الله .. ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم الا الشهيد ؟ قال : « كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة »[١] .

وعن سمرة بن جندب — فى حديث الرؤيا الطويل — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت الليلة رجلين أتيانى فصعدا بى الشجرة فأدخلانى دارا هى أحسن وأفضل ، لم أر قط أحسن منها ، قالا لى : أما هذه فدار الشهداء »[٢] .

* * *

فلا تنس كل هذا مع ملاحظة أن :

الشـــهداء هم

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه يقول فيه : « ما تعـــدون الشهداء فيكم » ؟ قالوا : يا رسول الله .. من قتل فى سبيل الله فهو شهيد . قال : « ان شهداء أمتى اذن لقليل » قالوا : فمن يا رسول الله ؟ قال : « من قتل فى سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات فى الطاعون فهو شهيد ، ومن مات من البطن فهو شهيد »[٣] قال ابن مقسم : أشهد على أبيك — يعني أبا صالح — أنه قال : « والغريق شهيد » .

وعن أبى هريرة أيضا ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الشهداء خمسة : المطعون[٤] ، والمبطون[٥] ، والغريق[٦] ، وصاحب الهدم[٧] ، والشهيد فى سبيل الله »[٨] .

---

(١) رواه النسائى ، واسناده جيد .

(٢) رواه البخارى .   (٣) رواه مسلم .

(٤) اى من طعن بالرمح مثلا ، فمات من تلك الطعنة .

(٥) المبطون : هو الذى يشتكى بطنه من اسهال أو نحو ذلك .

(٦) الغريق : هو من سافر فى البحر سفرا مباحا او سفر طاعة ثم هاج البحر فغرق ، اما اذا كان قاصدا سرقة ، أو قتلا ، أو غير ذلك من المعاصى فغرق فانه لا يكون شهيدا . وقس على ذلك ما شابه فى جميع الحوادث التى يتعرض لها الانسان فى دنياه .

(٧) صاحب الهدم : هو الذى وقع عليه بيت ، أو نحوه فمات تحت الهـــدم .   (٨) رواه مالك والبخارى .

وعن أبى مالك الأشجعى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من فصل[١] فى سبيل الله فمات — أو قتل : فهو شهيد ، أو وقصه فرسه أو بعيره ، أو لدغته هامة على فراشه بأى حتف شاء الله انه شهيد وان له الجنة »[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. أرأيت ان جاء رجل يريد أخذ مالى ؟ قال : « فلا تعطه مالك » قال : أرأيت ان قاتلنى ؟ قال : « قاتله » قال : أرأيت ان قتلنى ؟ قال : « فأنت شهيد » قال : أرأيت ان قتلته ؟ قال : « فهو فى النار »[٣] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قتل دون ماله فهو شهيد »[٤] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أيضا ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يظلم مظلمة فيقاتل فيقتل الا قتل شهيدا »[٥] .

وعن سعيد بن زيد رضى الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه[٦] فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد »[٧] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « موت الغربة شهادة »[٨] .

* * *

(١) فصل : اى خرج وفى ذلك يقول تعالى : « ولما فصلت العير » « يوسف : ٩٤ » : اى خرجت من مصر .

(٢) رواه الآجرى .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه البخارى .

(٥) رواه أحمد فى المسند واسناده حسن .

(٦) يعنى فى غير الجهاد فى ميدان القتال .

(٧) رواه الاربعة ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٨) رواه ابن ماجه .

وحتى تعرف الى أين تذهب :

أرواح الشـــهداء

اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة :

عن أنس رضى الله عنه : أن أم ربيع بنت البراء رضى الله عنها ، وهى أم حارثة بن سراقة : أتت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله .. ألا تحدثنى عن حارثة ؟ — وكان قد قتل يوم بدر — فان كان فى الجنة صبرت ، وان كان غير ذلك ، اجتهدت عليه بالبكاء . فقال : « يا أم حارثة .. انها جنان فى جنة ، وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى »[1] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه سـلم : « رأيت جعفر بن أبى طالب ملكا يطـير فى الجنة ذا جناحين[2] يطير منها حيث شاء ، مضرجة قوادمه بالدماء »[3] .

وعن عبد الله بن مرة عن ابن مسعود : « أرواح الشهداء عند الله كطير خضر »[4] .

وعن ابن كعب بن مالك عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أرواح الشهداء طير خضر تتعلق فى شجرة الجنة »[5] .

والخلاصة : أن أرواح الشهداء ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها سواء أكانت فى حواصل طير خضر أم بيض ، أو كانت طيرا خضراء ، وسواء أكانت فى السماء أم فى الأرض[6] .

فهم كما قال الله تعالى فى كتابه : « **أحياء عند ربهم يرزقون** »[7] .

* * *

---

(١) رواه البخارى .

(٢) لأن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قطعت يداه فى سبيل الله يوم مؤتة ، فأبدله الله بهمـا جناحين ، وجاء فى صحيح البخارى : أنهم عندما التمسوه فى القتلى وجدوا بما اقبل من جسده بضعا وتسعين بين ضربة ورمية وطعنة .

(٣) رواه الطبرانى باسناد حسن .

(٤) فى رواية الأعمش .

(٥) رواه ابن شهاب .

(٦) فقد ورد كل هذا ، وغير هذا .. والله أعلم .

(٧) آل عمران : ١٦٩

الجهاد بالمـال

واعلم •• أنه اذا كان الجهاد يحتاج الى المجاهدين بأنفسهم فانه كذلك يحتاج الى المجاهدين بأموالهم •

وحسبى فى هذا العرض أن أسوق اليك جزءا من مقال موضوعى نشرته مجلة « الوعى الاسلامى »(١) تحت عنوان : (الجهاد بالمـال) جاء فيه :

« وأنفقوا فى سـبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة »(٢) :

أن الجهاد كما يحتاج الى الرجال يحتاج للمـال ، ولقد كان المجاهد المسلم الأول : يجهز نفسه بعدة القتال ، ومركب القتال ، وزاد القتال •• لم تكن هناك يومئذ رواتب يتناولها القادة والجند ، وانما كان هناك تطوع بالنفس ، وتطوع بالمـال ، ولكن كثيرا من فقراء المسلمين الراغبين فى الجهاد والذود عن العقيـدة والحرية والكرامة والعزة الايمانية لم يكونوا يجدون ما يزودون به أنفسهم ، ولا ما يتجهزون به من عـدة الحرب ، ومركب الحرب ، وكانوا يجيئون الى النبى صلى الله عليه وسلم يطلبون منه أن يحملهم الى ميدان المعركة ، فاذا لم يجد ما يحملهم عليه **« تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون »(٣)** •

ومن أجل هذا كانت دعوة القرآن الى الانفاق فى سبيل الله والانفاق لتجهيز الغزاة ورعاية أسرهم ، وقرر القرآن الكريم أن عدم الانفاق تهلكة ، وما أكثر ما ذكر الجهاد بالمـال فى القرآن مقترنا بالجهاد بالنفس ، بل مقدما عليه قال تعالى : **« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سـبيل الله ، أولئك هم الصادقون »(٤)** •

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم »(٥) •

والجهاد بالمـال يكون ببذله عن طيب نفس : « دعما للجيش ،

---

(١) العدد ١٠٦ ص ٨٨
(٢) البقرة : ١٩٥
(٣) التوبة : ٩٢
(٤) الحجرات : ١٥
(٥) حديث صحيح •

واعدادا للمعركة ، وتجهيزا للمجاهدين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا »[١] .

ولقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أروع الأمثلة فى المسارعة بالانفاق فى سبيل الله والجهاد بالمـال دعما لاقتصاد الدولة وبنائها العسكرى ، وتجهيز جيوش المسلمين . وفى غزوة (تبوك) كان على المسلمين أن يصدوا جموع الروم التى تجمعت فى الشام لغزوهم ، وأن يعدوا لهم ما استطاعوا من قوة ، ولم يكن لدى المسلمين آنئذ من المـال ما يكفى لتجهيز جيش قوى يرد غارة الروم ويصد عدوانهم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التطوع للجهاد ، والتبرع بالمـال ، وتسابق المسلمون فى هذا الجهاد .

فكان أبو بكر رضى الله عنه أول من قدم ماله ، جاء بكل ما يملك وقدمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له صلى الله عليه وسلم : « ماذا أبقيت لآلك » ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله .

وجاء عمـر رضى الله عنه بنصف ماله ، فقال له الرسـول صلى الله عليه وسلم : « ماذا أبقيت لآلك » ؟ فقال : أبقيت لهم نصف مالى ، فقال صلى الله عليه وسلم : « بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أبقيت » .

وتبرع العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه بتسعين ألف درهم .

وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بمائتى أوقية ذهبا .

وجهز عثمان بن عفان رضى الله عنه ثلث الجيش .

وجاء جابر بن عبد الله رضى الله عنه بحفنة من بر ، هى كل ما يملك .

والدعوة الى الانفاق فى سـبيل الله دعوة عامة لجميع المسلمين أغنيائهم وفقرائهم ، قال تعالى : **« ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سـبيل الله فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانمـا يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء ، وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم »**[٢] .

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى .

(٢) محمد : ٣٨

وقال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصدقات ظل فسطاط فى سبيل الله ، ومنحة خادم فى سبيل الله ، أو طروقة فحل[١] فى سبيل الله »[٢] .

ان المعركة التى تدور رحاها اليوم بين المسلمين وبين الصهيونية تفرض على كل مسلم ومسلمة أن يتبرع بكل ما تحتاج اليه المعركة : بالمال ، بالغذاء ، بالكساء ، بالغطاء ، بالدم ، بالأدوية ، بالخيام ، بالسيارات ...

والتبرع يجب أن يزيد كثيرا على الزكاة المفروضة على المسلمين ، يجب أن يصل الى رأس المال نفسه ، بل الايثار .

ان الحرب التى نخوضها الآن حرب طويلة الأمد ، وتضحياتها فادحة وما تحتاجه من ابذل والعطاء يقدر بالمليارات لا بالملايين ، وفى المسلمين ثراء ، وفى المسلمين كثرة ، وهم قادرون لو صدقوا الله لمولوا المعركة بكل ما تتطلبه من نفقات .

وان عدونا فى كل شبر من الأرض يتبرع بأموال طائلة لمساندة العدوان . والأرقام التى تنشر من تبرعات الصهاينة فى العالم أرقام مذهلة .

ان الدعم المالى الشعبى للمجهود الحربى يربو كثيرا على الدعم المالى الحكومى ، فأين صندوق الجهاد الذى يمول من الزكاة ومن جزء ثابت يقتطع من راتب الموظفين فى الدوائر والمؤسسات والمصارف ومن التجار وأصحاب المهن .

ان واجب المؤتمر الاسلامى أن ينهض بالدعوة الى انشاء هذا الصندوق والاشراف على جمع التبرعات لتمويل الجهود الحربية للجيوش الاسلامية .

متى تفتح هذه الخزائن المملوءة بالأموال ؟

متى تملأ هذه الصكوك البيضاء بالأرقام ؟

متى تفك الأغلال عن الأيدى المربوطة الى الأعناق ؟

متى تقسم الأطعمة والأكسية والأغطية بيننا وبين المجاهدين بالسوية ؟

---

(١) طروقة فحل : هى الناقة التى صلحت لطرق الفحل وأقلها ثلاث سنين وبعض الرابعة .

(٢) رواه الترمذى .

متى يكون الله ورسوله أحب الينا من أنفسنا وأموالنا ؟

ان تمويل الحرب وامداد المجاهدين بالمال والسلاح ، وتقديم العون الطبى والتموين الغذائى وكفالة أسر المقاتلين ومدها بما تحتاج اليه فريضة على كل مسلم ومسلمة « **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون • وجاهدوا فى الله حق جهاده ، هو اجتباكم ...** »[1] •

* * *

ولما كانت :

الحرب النفسية

من أخطر الأسلحة التى تستخدمها الصهيونية فى حربنا معها حتى تتمكن من اضعاف الثقة فى نفوسنا : فقد رأيت أيضا وفى هذا العرض السريع أن أسجل هنا مقالا ورد بنفس العدد من مجلة « الوعى الاسلامى » تحت عنوان (الحرب النفسية)[2] جاء فيه :

« الحرب النفسية من أخطر الأسلحة التى تستخدم فى الحروب لاضعاف الثقة فى نفوس المقاتلين ، ولاشاعة البلبلة ، واذاعة القلق والاضطراب فى صفوف من خلفهم من أممهم وشعوبهم ، وقد أصبحت الحرب النفسية فى عصرنا الحاضر علما كبيرا يتوفر على دراسته متخصصون كبار فى علم النفس والاجتماع وترصد له الأموال الطائلة التى تخصص لميزانية الحروب •

والقرآن الكريم تناول هذا السلاح الخطر ووضع المنهج الذى يجب على المؤمن أن ينتهجه فى مواجهة الشائعات وأخبار المعارك الحربية التى تصدر عن الأعداء والتى يرددها الناس دون تحر للحقائق أو تبصر بها •

ان القرآن الكريم عاب سلوك مرددى الاشاعات ومروجى الفتن فقال : « **واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** »[3] •

ان المؤمن الواعى لا يأخذ أنباء المعارك من بيانات العدو ، ولا من

---

(١) الحج : ٧٧ ، ٧٨

(٢) العدد ١٦٠ صفحة ١٠١

(٣) النساء : ٨٣

اذاعات العدو ، ولا من أفواه السذج والجهلة ، وانما يأخذها من قادة الأمة ومن المصادر الرسمية الموثوق بها •

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يردد المسلم كل ما يسمع دون أن يتبين الحقيقة من مصدرها الذى يطمئن اليه ويثق به ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع » •

فى غزوة « أحد » نادى أبو سفيان : أفى القوم محمد ؟ فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يجيبوه ، ثم قال : أفى القوم أبو بكر ؟ أفى القوم ابن الخطاب ؟ فلما لم يجبه أحد ظن أنهم قتلوا ، وانطلق يقول لأصحابه : قتلوا •• قد كفيتموهم • ولو صدق المسلمون هذه الشائعات وسكتوا عليها لكان لها أخطر الأثر فى معنويات المسلمين • ولكن عمر تصدى له وقال : ان الذى عددت لأحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك • وبهذا وأد عمر الشائعة فى مهدها وفوت على مروجها هدفه وقصده •

اننا يجب أن نعى وندرك أن العدو كاذب وأنه لا تهمه الحقيقة بقدر ما يهمه اثارة الشكوك •• وواجبنا أن نتصدى للحرب النفسية التى يشنها الأعداء حتى نفوت غرضهم ، ونثبت فى مواقعنا ، ونمضى فى جهادنا والله معنا •

ان اسرائيل الخبيثة التى عاشت على الغدر والخيانة تسعى بكل طاقاتها ، وتلجأ الى كل أساليب المكر والدهاء لبث الشائعات بيننا لتشكيكنا فى قدرتنا ، وتوهين قوتنا واثارة الفتن فى صفوفنا ، وادعاء انتصارات وهمية لهم •• فلنكن على حذر مما يبيتون : **« يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم »**(١) •



فضع أخا الاسلام كل هذا نصب عينيك وكن مجاهدا بنفسك ومالك حذرا من الاستماع الى اشاعات المغرضين حتى تفوت عليهم أغراضهم الخبيثة وحتى تكون من أهل الجنة ، وينجيك الله من الهم والغم اللذين أشار اليهما الرسول صلى الله عليه وسلم فى آخر وصيته التى ندور حولها •

---

(١) النساء : ٧١

ولسوف يذهب باذن الله وعونه كل هم وغم . ولسوف تذهب كذلك جميع النكسات بدون رجعة .

* * *

وأنت أخا الجهاد يا من تخوض معركة الشرف اليك فى ختام هذا الموضوع الحيوى هذه الوصايا التى أرجو أن تكون رائدا لك حتى النصر ، والتى أرجو أن تظل منتفعا بها :

يقول الله تبارك وتعالى : **« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسـوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ، ان الله مع الصابرين . ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله ، والله بما يعملون محيط »**[1] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصى أمراء السرايا والبعوث بما طبع عليه من الأخلاق السامية والآداب العالية التى تؤكد سماحة الاسلام ، ورسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه .

فعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسـول الله . ولا تقتلوا شيخا فانيا ، ولا طفلا صغيرا ، ولا امرأة ، ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا ان الله يحب المحسنين »[2] .

وعندما اعطى النبى صلى الله عليه وسلم الراية لعلى فى غزوة خيبر ، قال على : يا رسول الله .. أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم »[3] .

وعندما أرسل النبى صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل أقعده بين يديه وعممه بيده ، ثم أوصاه بقوله : « اغز باسم الله وفى سبيل الله فقاتل من كفر ولا تغل ، ولا تغدر ، ولا تقتل وليدا » . ثم قال له : « ان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم » .

---

(١) الأنفال : ٤٥ — ٤٧ (٢) رواه أبو داوود .

(٣) صحيح البخارى ، باب (غزوة خيبر) ج ٥ ص ١٧١

وعندما خرج صلى الله عليه وسلم ليودع الجيش المتجه الى مؤتة كان مما قاله لأفراده : « أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا ، اغزوا باسم الله فى سبيل الله من كفر بالله ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، ولا امرأة ولا كبيرا ، ولا فانيا ولا منعزلا فى صومعة ، ولا تقربوا نخلا ، ولا تقطعوا شجرا ، ولا تهدموا بناء » •

وبعد أن عاد النبى صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ، كانت عنايته متجهة الى ضرورة توطيد سلطان المسلمين على حدود الشام لأن دولة الروم وأتباعها من قبائل العرب كانوا ما زالوا يناوئون الدولة الاسلامية ، ولذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى أواخر صفر من السنة الحادية عشرة بالتهيئو لغزو الروم ، ثم دعا أسامة ابن زيد وقال له :

« سر الى موضع أبيك — يابنى — فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش ، فاغز صباحا على أهل « ابنى » ، وأسرع السير لتسبق الأخبار ، فان أظفرك الله بهم فأقل اللبث فيهم ، وخذ معك الأدلاء ، وقدم العيون والطلائع معك » •

ثم عقد النبى صلى الله عليه وسلم لأسامة اللواء بيده وأوصاه بقوله : « اغز باسم الله ، وفى سبيل الله ، فقاتل من كفر بالله » •

وثقل المرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فجعل يقول : « أنفذوا بعث أسامة » •

وجاء أسامة ليودع النبى صلى الله عليه وسلم قبل سيره بجيشه ، فلما دخل عليه جعل صلى الله عليه وسلم يرفع يديه الى السماء ثم يضعها على أسامة ، ثم قال له : « اغد على بركة الله » ثم قال له : « أستودع الله دينك ، وأمانتك ، وخواتيم عملك » •

وبعد أن ودع أسامة الرسول صلى الله عليه وسلم واستعد مع رجاله للرحيل ، اذا برجل يأتى ليقول له : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت ، فيعود ومعه عدد من الصحابة الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وصوله بوقت قليل يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد فارق الدنيا الى الرفيق الأعلى •

فيشترك فى تجهيزه صلى الله عليه وسلم للدفن مع الأصحاب الفضلاء وبعد مبايعة أبى بكر رضى الله عنه بالخلافة ، يتهيأ أسامة للتحرك بجيشه فيخرج أبو بكر يودعه وهو يمشى على قدميه ، وأسامة راكب على فرسه ، فيقول له أسامة : يا خليفة رسول الله .. لتركبن أو لأنزلن ، فقال أبو بكر : والله لا تنزل ولا أركب ، وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة .

ثم أوصى أبو بكر أسامة ومن معه بقوله : « لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ولا شيخا كبيرا ، ولا تعزقوا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للأكل » .

وعندما أرسل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه الى عمر بن الخطاب عليه رضوان الله طلب منه أن يمده بجند آخرين ليتمكن من قهر العدو والتغلب عليه ، أرسل اليه سيدنا عمر بهذه الوصية : « يا سعد .. أوصيك ومن معك بتقوى الله على كل حال فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وأوصيك ومن معك بأن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم ، فان استوينا فى المعصية لم تكن لنا عليهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله » .

* * *

ولما كانت هناك صلة وثيقة بين الجهاد والحج بدليل قوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل ــ كما ورد فى حديث صحيح رواه أبو هريرة رضى الله عنه ــ : أى الأعمال أفضل ؟ قال : « ايمان بالله ورسوله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « جهاد فى سبيل الله » قيل : ثم ماذا ؟ قال : « حج مبرور » .

فقد رأيت أن تكون : « الوصية العشرون » عن الحج والترغيب فيه بصورة موجزة ومؤقتة ، فاليك :

الوَصيّة العشرُون

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« يا أيها الناس .. ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا » .

فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لو قلت نعم لوجبت ولمـــا استطعتم » .

ثم قال : **« ذرونى ما تركتكم ، فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . فاذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما اســـتطعتم ، واذا نهيتكم عن شىء فدعوه » .**

(رواه مسلم)



فكن أخا الاسلام :

من هؤلاء الحريصين على أداء فريضة الحج ان استطعت الى ذلك سبيلا وحسبك ترغيبا لك قول الله تعالى : **« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »**[1] .

والبيت الذى يشير الله سبحانه وتعالى اليه فى الآية الكريمة هو :

« ... أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعـــالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا »[2] .

وهو : الكعبة التى تحدث الله تعالى عنها ، فقال : **« جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس »**[3] .

---

(١) آل عمران : ٩٧

(٢) آل عمران : ٩٦ ، ٩٧ بلفظ **« ان أول بيت ... »** .

(٣) المـــائدة : ٩٧

وهو البيت العتيق الذى تحدث الله سبحانه وتعالى عنه أيضا فقال :
« وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق »[١] .

وهذه الكعبة المشرفة هى قبلة المسلمين فى الصلاة وقد أضافها الله سبحانه وتعالى الى نفسه تشريفا لها فى قوله لسيدنا ابراهيم عليه السلام :
« وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود »[٢] .

فاذا كانت روحك ستلبى دعوة ابراهيم عليه السلام عندما أمره الله سبحانه وتعالى بقوله : **« وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »**[٣] .

فأنت اذن من الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى لزيارة بيته العتيق تحقيقا لدعوة سيدنا ابراهيم أيضا عندما دعا الله قائلا :
« فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم »[٤] .

وحتى تدرك هذه النعمة اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة التى سترى من خلالها أهمية الحج الذى هو ركن من أركان الاسلام الخمس بنص الحديث الصحيح الذى يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه :
« بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »[٥] .

عن ابن شماسة رضى الله عنه قال : حضرنا عمرو بن العاص ، وهو فى سياقة الموت[٦] فبكى طويلا ، وقال : لما جعل الله الاسلام فى قلبى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، قلت : يا رسول الله .. ابسط يمينك لأبايعك ، فبسط يده فقبضت يدى[٧] ، فقال : « مالك يا عمرو » ؟ قال : أردت أن أشترط ، قال : « تشترط ماذا » ؟ قال : أن يغفر لى[٨] ، قال : « أما علمت يا عمرو أن الاسلام يهدم ما كان

---

(١) الحج : ٢٩
(٢) الحج : ٢٦
(٣) الحج : ٢٧
(٤) ابراهيم : ٣٧
(٥) رواه البخارى ومسلم .
(٦) اى وهو فى النزع الأخير .
(٧) اى كففتها ولم أضعها فى يد الرسول صلى الله عليه وسلم .
(٨) يعنى ما فعلته فى الجاهلية من حربك وعداوتك .

قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهـدم ما كان قبـله »[١] .

وعن عبد الله بن جراد الصحابى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حجوا ، فان الحج يغسـل الذنوب كما يغسل المـاء الدرن »[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يغفر للحاج ، ولمن استغفر له الحاج »[٣] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنت جالسا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجد منى ، فأتاه رجل من الأنصار ، ورجل من ثقيف ، فسلما ثم قالا : يا رسول الله .. جئنا نسألك ، فقال : « ان شئتما أخبرتكما بما جئتما تسألانى عنه فعلت ، وان شئتما أن أمسك وتسألانى فعلت » ؟ فقالا : أخبرنا يا رسول الله ، فقال الثقفى للأنصارى : سل ، فقال : أخبرنى يا رسول الله ، فقال : « جئتنى تسألنى عن مخرجك من بيتك تؤم[٤] البيت الحرام ، وما لك فيه ، وعن ركعتيك بعد الطواف . وما لك فيهما ، وعن طوافك بين الصفا والمروة وما لك فيه ، وعن وقوفك عشية عرفة وما لك فيه ، وعن رميك الجمار وما لك فيه ، وعن نحرك وما لك فيه مع الافاضة » فقال : والذى بعثك بالحق لعن هذا جئت أسألك . قال : « فانك اذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفا ولا ترفعه الا كتب الله لك به حسنة ، ومحا عنك خطيئة ، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بنى اسماعيل عليه السلام ، وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة ، وأما وقوفك عشية عرفة ، فان الله يهبط الى السماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة يقول : عبادى جاءونى شعثا من كل فج عميق يرجون جنتى ، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل ـــ أو كقطر المطر ، أو كزبد البحر ـــ لغفرتها ، أفيضوا عبادى مغفورا لكم ، ولمن شفعتم له . وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة

---

(١) رواه ابن خزيمة فى صحيحه هكذا مختصرا ، ورواه مسلم وغيره أطول منه .

(٢) الدرن : اى الوسخ الذى يكون على الجسم او الثوب .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٤) أى تقصد وتريد .

من الموبقات ، وأما نحرك فمدخور لك عند ربك ، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ، ويمحى عنك بها خطيئة ، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك فانك تطوف ولا ذنب لك ، يأتى ملك حتى يضع يديه بين كتفيك فيقول : اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك ما مضى »[١] .

وعن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان هذا البيت دعامة من دعائم الاسلام ، فمن حج البيت أو اعتمر فهو ضامن على الله ، فان مات أدخله الجنة ، وان رده الى أهله رده بأجر وغنيمة »[٢] .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات فى طريق مكة ذاهبا ، أو راجعا ، لم يعرض ولم يحاسب — أو غفر له — »[٣] .



وحسبى أخا الاسلام اذا أردت أن تعرف :

كيف حج الرسول صلى الله عليه وسلم

أن أسوق اليك هذا العرض الموضوعى : عن جابر رضى الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث تسع سنين لم يحج ، ثم أذن فى الناس فى العاشرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج ...

فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثله . فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ثم ركب القصواء[٤] حتى اذا استوت به ناقته على البيداء ، نظرت الى مد بصرى بين يديه من راكب وماش ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك . ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله ، وما عمل به من شىء عملنا به .

فأهل بالتوحيد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ...

---

(١) رواه الطبرانى فى « الكبير » والبزار واللفظ له وقال : روى هذا الحديث من وجوه لا نعلم له أحسن من هذا الطريق .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط .   (٣) رواه الأصبهانى .

(٤) اسم ناقة الرسول ﷺ .

قال جابر : لسنا ننوى الا الحج ، ولسنا نعرف العمرة حتى اذا أتينا البيت معه استلم الركن[١] ، فرمل[٢] ثلاثا ، ومشى أربعـا ، ثم نفذ الى مقام ابراهيم عليه السلام ، فقرأ : « **واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى** »[٣] فجعل المقام بينه وبين البيت .

فكان يقرأ فى الركعتين : « **قل هو الله أحد** » و « **قل يا أيها الكافرون** » ثم رجع الى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب الى الصفا ، فلما دنا من الصفا ، قرأ : « **ان الصفا والمروة[٤] من شعائر الله** »[٥] أبدأ بما بدأ الله به ، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت . فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره ، وقال : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير . لا اله الا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » . ثم دعا بين ذلك . قال مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل الى المروة حتى اذا نصبت قدماه فى بطن الوادى سعى ، حتى اذا صعدنا مشى . حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا .. حتى اذا كان آخر طوافه على المروة ، فقال : « لو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى ، وجعلتها عمرة . فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل ، وليجعلها عمـرة » .

فقام سراقة بن مالك فقال : يا رسول الله .. ألعامنا هذا أم لأبد ؟ فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه ، واحدة فى الأخرى ، وقال : « دخلت العمرة فى الحج ـ مرتين ـ لا ... بل لأبد أبد » .

وقدم على من اليمن ببدن[٦] للنبى صلى الله عليه وسلم ، فوجد فاطمة رضى الله عنها ممن حل[٧] ، ولبست ثيابا صبيغا ، واكتحلت فأنكر ذلك عليها . فقالت : ان أبى أمرنى بهذا .

قال : فحل الناس كلهم وقصروا[٨] الا النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن كان معه هدى .

---

(١) ركن الكعبة : الذى به الحجر الاسود .

(٢) رمل : اى هرول . (٣) البقرة : ١٢٥

(٤) ربوتان بالقرب من الكعبة يكون بينهما السعى .

(٥) البقرة : ١٥٨ (٦) اى ابل .

(٧) اى حلوا احرامهم . (٨) اى قصوا شعر الراس .

فلما كان يوم التروية[١] توجهوا الى منى فأهلوا بالحج ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر . ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس . وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة[٢] .

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة ، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها ، حتى اذا زالت الشمس أمر بالقصواء فرحلت[٣] له ، فأتى بطن الوادى ، فخطب الناس وقال : « ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا . ألا كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع[٤] ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وان أول دم أضع من دمائنا : دم ابن ربيعة ابن الحارث ــ كان مسترضعا فى بنى سعد فقتلته هذيل ــ وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضع ربانا ... ربا عباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله .

أما بعد .. أيها الناس .. فان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبدا ولكنه ان يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون[٥] من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم .

أيها الناس .. « **انما النسىء[٦] زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله** » ويحرموا ما أحل الله ، وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم : ثلاثة متوالية ورجب الفرد الذى بين جمادى وشعبان .

اتقوا الله فى النساء ، فانكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ،

---

(١) الثامن من ذى الحجة ، والتروية مشتقة من الارتواء حيث يجمعون الماء بمنى فى ذلك اليوم .

(٢) مكان شرقى عرفات .

(٣) اى وضع عليها رحلها واعدت للركوب .

(٤) اى مهدر .

(٥) اى تستصغرون .

(٦) النسىء : تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر ، فقد كان المشركون ان اهل شهر حرام وهم محاربون استمروا فى حربهم وابدلوا ايامه فى شهر آخر ــ (والآية من سورة التوبة : ٣٧) .

فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ، ان اعتصمتم به : كتاب الله .

وأنتم تسئلون عنى ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت ، وأديت ونصحت . فقال وهو يرفع اصبعه السبابة الى السماء ويرددها مشيرا الى الناس : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد .. ثم أذن ، ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئا ، ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الموقف ، فجعل بطن ناقته القصواء الى الصخرات ، وجعل جبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة وظل يدعو حتى غربت الشمس .

عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أكثر دعاء من كان قبلى من الأنبياء ، ودعائى يوم عرفة أن أقول : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، اللهم اجعل فى بصرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وفى قلبى نورا .

اللهم اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، اللهم أعوذ بك من وسواس الصدر ، وشتات الأمر ، وشر فتنة القبر ، وشر ما يلج فى الليل ، وشر ما يلج فى النهار ، وشر ما تهب به الرياح ، وشر بوائق[1] الدهـــر » .

وأردف رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة خلفه ، ودفع من عرفات الى مزدلفة ، وكان يقول : أيها الناس .. السكينة ، السكينة .. حتى أتى مزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئا .

ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر ، وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان واقامة . ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره وهلله ووحده . فلم يزل واقفا حتى أسفر[2] جدا ، فدفع قبل أن تطلع الشمس : وأردف[3] الفضل بن عباس ، وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما .

---

(١) أى ملهكات .
(٢) أسفر الصبح : أى أضاء .
(٣) أى أركبه خلفه .

فلما دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت به ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق الآخر فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل ، فصرف وجهه من الشق الآخر ينظر •

حتى أتى (بطن محسر)[١] فحرك قليلا ، ثم سلك الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة فرماها بسبع حصيات ، يكبر مع كل حصاة منها ، مثل حصى الخذف ، رمى فى بطن الوادى ثم انصرف الى المنحر فنحر ثلاثا وستين بيده •

فلما أكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحره ، استدعى بالحلاق وهو معمر بن عبد الله ، وقال له وهو قائم على رأسه بالموسى : « يا معمر •• أمكنك رسول الله من شحمة أذنه وفى يدك الموسى » قال معمر : أما والله يا رسول الله ان ذلك لمن نعمة الله على ، قال : « أجل » وحلق للرسول شعر رأسه ، وحلق كثيرون من الصحابة ، وقصر بعضهم • وقد دعا صلى الله عليه وسلم للمحلقين بالمغفرة ثلاثا ، وللمقصرين مرة ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأفاض[٢] الى البيت وبعد أن طاف بالبيت طواف الافاضة شرب من ماء زمزم ، وصلى الظهر • ثم رجع الى منى فبات بها فلما أصبح انتظر زوال الشمس ، فلما زالت مشى من رحله الى الجمار ولم يركب ، فبدأ بالجمرة الأولى التى تلى مسجد الخيف فرماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة ، ويقول مع كل حصاة : « الله أكبر » ، ثم يقدم على الجمرة ، فقام مستقبل القبلة ، ثم رفع يده ودعا دعاء طويلا ••• ثم أتى الى الجمـــرة الوسطى فرماها كذلك ، ثم انحدر ذا اليسار مما يلى الوادى فوقف مستقبل القبلة رافعا يديه يدعو ، قريبا من وقوفه الأول •

ثم أتى الجمرة الثالثة ، وهى جمرة العقبة ، فاستبطن[٣] الوادى ، واستعرض الجمرة[٤] فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ، فرماها بسبع حصيات كذلك • فلما أكمل الرمى رجع من فوره •

---

(١) مكان بين منى ومزدلفة ، كان فيه هلاك اصحاب الفيل ، ولهذا أسرع الرسول ﷺ وهو يجتازه •

(٢) افاض : اى اندفع ونزل •

(٣) اى وقف ببطن الوادى •

(٤) اى استقبلها •

وخطب صلى الله عليه وسلم الناس بمنى خطبتين ، احداهما يوم النحر ، والأخرى فى اليوم التالى وهو أوسط أيام التشريق[1] •

قالت سرى بنت بنهان : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتدرون أى يوم هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم •

قال : هذا وسط أيام التشريق • قال : هل تدرون أى بلد هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم •

قال : هذا المشعر الحرام • ثم قال : انى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد هذا •••

ولما أكمل صلى الله عليه وسلم الرمى فى أيام التشريق الثلاثة ، أفاض بعد الظهر الى المحصب ، فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء • ورقد رقدة ثم نهض الى مكة فطاف للوداع ليلا سحرا ، ونادى بالرحيل فى أصحابه فارتحل الناس •



والخلاصة

اذا كنت قد نويت الحج واستطعت الى ذلك سبيلا بحيث لا يترتب على خروجك لأداء هذه الفريضة ضرر مادى أو اجتماعى بالنسبة لك ولأسرتك فانه يحسن بك •

أن تبادر بالتوبة ، ورد المظالم الى أصحابها : تنفيذا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كان عنده مظلمة لأخيه من مال أو عرض فليتحلل منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم ، ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه » •

وأن تعد المال الذى يلزم أهلك أثناء تغيبك عنهم بالقدر الذى يكفيهم حتى تعود من سفرك •

وأن تعد كذلك لنفسك ما يكفيك من مال حلال حتى تتمكن هناك من قضاء مطالب الحج ، والتصدق على الفقراء والضعفاء •

وأن تكتب وصيتك وتسدد ما عليك من ديون حان وقت سدادها

---

(١) أيام التشريق هى : يوم النحر — اى عيد الأضحى — واليومان الثانى والثالث •

وترد الودائع والحقوق الى أصحابها وكذلك تكتب ما لك من ديون وما عليك من ديون حرصا على ضمان حقك وحق الآخرين .

وأن تقصد بحجك وعمرتك وجه الله تعالى حتى لا يضيع ثوابك وتكون من هؤلاء المرائين الذين لا ثواب لهم فى الآخرة .

وأن تحسن اختيار الرفيق الذى سيصحبك فى هذه الرحلة الروحية حتى يكون لك معينا على طاعة الله .

وقبل خروجك من منزلك تصلى ركعتين عملا بوصية الرســول صلى الله عليه وسلم التى يقول فيها : « اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين تمنعانك مخرج السوء » تقرأ فى الأولى بعد فاتحة الكتاب : « **قل يا أيها الكافرون** » وفى الثانية : « الاخلاص »[١] وبعد فراغك من الصلاة سل الله بقلب خاشع ونية صادقة أن يوفقك ، ثم ودع أهلك وجيرانك واخوانك ، والتمس دعاءهم لك بالتوفيق .

وعندما تركب السيارة ، أو الباخرة ، أو الطائرة : سم الله تعالى واحمده وكبره ثلاثا ثم قل : « **سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وانا الى ربنا لمنقلبون** »[٢] اللهم انى أسألك فى سفرى هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده .. اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب فى الأهل والمـــال والولد .

مع ضرورة الحرص على صيانة لسانك وجميع جوارحك عن كل ما يغضب الله تعالى حتى يشملك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمــه »[٣] .



ثم اليك أيضا هذه التوجيهات

اذا كنت مقبلا على أداء فريضة الحج بالطائرة عليك أن تحرم فى بيتك .

---

(١) اى « **قل هو الله احد ...** » الخ .

(٢) الزخرف : ١٣ ، ١٤

(٣) حديث صحيح .

أما اذا كنت ستسافر بالباخرة فاغتسل قبل (رابغ)[١] وأزل شعرك وقلم أظافرك وشاربك ثم اغتسل وأحرم وانتعل واكشف رأسك .

وعنـــدما تصل الى مكة توضـــأ وطف مرات بالكعبة مبتدئا فى كل شوط بالحجر الأسود جاعلا الكعبة الى يسارك .. والمس الركن اليمانى فى كل مرة .. وقبل الحجر الأسود معتقدا أنه حجر لا يضر ولا ينفع .

ثم ادخل البيت العتيق من باب السلام واتجه لمقام ابراهيم وبعد أن تصلى ركعتين فى مقام ابراهيم .. تقصد الى بئر زمزم فتشرب من مائها وتقول : « اللهم انى أسألك علما نافعا ، ورزقا واسعا ، وشفاء من كل داء » ثم تسلم الحجر الأسود ثانية وردد الدعاء المـأثور : « اللهم انك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى ، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنبى .. وتعلم حاجتى فأعطنى سؤلى » .

وعندما تبدأ السعى بين الصفا والمروة بعد ذلك ، ادع بما تشاء من طيب الدعاء .. وابدأ بما بدأ به الله ورسوله : **« أن الصفا والمروة من شعائر الله ، فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ، ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم »**[٢] مع ملاحظة : أن نية السعى أن تقول : « اللهم اننى أريد أن أسعى بين الصفا والمروة سبع مرات » على أن تسرع فى كل مرة بين العمودين الأخضرين .

واذا كنت محرما للعمرة فقط فيمكنك أن تفك احرامك بأن تحلق شعر رأسك أو تقصر . ثم تذهب الى البيت المخصص لك (فى مكة) حيث تخلع ملابس الاحرام وترتدى الزى العادى .

وفى الثانى من شهر ذى الحجة عد الى الاحرام بأن تغتسل وتصلى ركعتين وتنوى الاحرام للحج قائلا : « اللهم انى أريد الحج فيسره لى وتقبله منى » الى غير ذلك من الأدعية المختارة . ثم تتجه الى (منى) وتظل هناك لفجر عرفات .

---

(١) رابغ : ميقات أهل المغرب ومصر والشام ، وأما ميقات أهل العراق : فذات عرق (قرية ذات جبل مشرف على وادى العقيق) ، وميقات أهل اليمن والهند جبل من جبال تهامة اسمه : (يلملم) أما ميقات أهل المدينة : فذو الخليفة .

(٢) البقرة : ١٥٨

وعليك عندما تطلع الشمس يوم عرفات أن تتجه الى جبل عرفات وتقول عند دخولك اليه وأنت ذاكرا الله مستغفرا ملبيا : « اللهم اجعلنى ممن تباهى به اليوم ملائكتك ، انك على كل شىء قدير » ويفضل أن تقف بالقرب من جبل الرحمة وتتلو دعاء الوقوف بعرفة • ووقت الوقوف يبدأ من وقت زوال شمس اليوم التاسع من ذى الحجة ، وينتهى بطلوع فجر يوم العيد •• ويبقى الحاج اليوم التاسع فى عرفات •

وعند أذان الظهر صل الظهر والعصر معا جمع تقديم •

وعندما ينادى بالافاضة والنزول من عرفات •• اتجه الى المزدلفة حيث يقع مسجد (المشعر الحرام) وصل المغرب والعشاء جمع تأخير •

واجمع من المزدلفة ٧٠ حصاة اذا أردت أن تمكث بمنى أربعة أيام ، أو ٢١ حصاة اذا أردت أن تمكث بها ثلاثة أيام •

وفى الفجر قف بالمشعر الحرام مستقبلا القبلة داعيا : « اللهم كما وفقتنا فيه وأريتنا اياه فوفقنا لذكرك كما هديتنا ، واغفر لنا وارحمنا كما وعدتنا ، بقولك وقولك الحق : **« فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين • ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ، ان الله غفور رحيم »**[1] وهناك أدعية أخرى كثيرة •

ثم سر عند اقتراب الشمس من الظهور الى (منى) لكى تصل اليها بعد طلوع الشمس ليوم العيد بقليل •• وهناك أسرع فى رمى جمرة العقبة ، وهى سبع من الحصوات التى جمعتها من المزدلفة ويستمر الرمى الى وقت الزوال ، ثم اذبح ما معك من الهدى ووزعه على الفقراء والمساكين •• وعليك أن تبيت ليلتين لترمى بقية الحصوات •

وعليك أن تعود الى مكة ، لكى تطوف طواف الافاضة سبع مرات ثم اسع بين الصفا والمروة سبعا •• ان كان سعيك للسابعة عن العمرة فقط • أما اذا كان سعيك الأول عن الحج وحده أو عن الحج والعمرة فلست مكلفا بالسعى ، واذا أردت الخروج من مكة فعليك أن تطوفه

---

(١) البقرة : ١٩٨ ، ١٩٩

بالكعبة طواف الوداع قائلا : « **ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معـاد** »[١] يا معيد أعذنى ، ويا سميع اسمعنى ، ويا جبار اجبرنى ، وياستار استرنى ، ويا رحمن ارحمنى ، وارددنى الى بيتك هذا ، وارزقنى اليه العود ثم العود مرات بعد مرات تائبين عابدين سائحين لربنا حامدين .

واقصد بعد ذلك الى المدينة المنورة لزيارة مثوى سيد الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا ، وشفيعنا ، وحبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول : « من حج ولم يزرنى فقد جفانى » .

وادخل على الحبيب صلوات الله وسلامه عليه من باب السلام .. وصل ركعتين ، ثم سلم عليه ، صلوات الله وسلامه عليه ، ثم اتجه بعد ذلك الى قبرى صاحبيه الكبيرين أبى بكر وعمر عليهما رضوان الله ، وسلم عليهما ، ثم اتجه بعد ذلك الى المحراب وادع دعاء القبلة .

وسل الله سبحانه وتعالى أن ينفعك بهذه الزيارة حتى تكون من أحبابه صلى الله عليه وسلم المتمسكين بسنته والعاملين بشرعه ، وحتى تكون معه فى الجنة فقد ورد فى حديث صحيح :

« من أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » .

وأخيرا أخا الاسلام : لعلك بعد أن وقفت على أهمية الجهاد فى سبيل الله تعالى ، قد عقدت العزم على أن تكون من المجاهدين بالنفس والمـال .

* * *

*** وختـاما :**

أخا الاسلام .. ولمـا كانت عادتى فى آخر كل جزء من أجزاء الوصايا أن أسوق اليك نصا من النصوص النافعة التى تنير لك الطريق الى الله ، فقد رأيت وفى ختام هذه الرسالة المتواضعة ــ التى حرصت فيها على تقديم أهم ما يجب عليك الاحاطة به ــ أن أسوق اليك وصية علوية جامعة لمكارم الأخلاق يقول فيها عليه رضوان الله لولده محمد ابن الحنفية رضى الله عنه ، موصيا :

---

(١) القصص : ٨٥

يا بنى .. أوصيك بتقوى الله عز وجل فى الغيب والشهادة ، وكلمة الحق فى الرضا والغضب ، والقصد فى الفقر والغنى ، والعدل على الصديق والعدو ، والعمل فى النشاط والكسل ، والرضا عن الله عز وجل فى الشدة والرخاء .

يا بنى .. ما شر بعده الجنة شر ، ولا خير بعده النار خير ، وكل نعيم دون الجنة حقير ، وكل بلاء دون النار عافية .

يا بنى .. ان من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ، ومن رضى بقسم الله لم يحزن على ما فاته ، ومن سل سيف البغى قتل به ، ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ، ومن هتك حجاب أخيه انكشفت عورات بنيه ، ومن نسى خطيئته استعظم خطيئة غيره ، ومن كابر الأمور عطب ، ومن اقتحم البحر غرق ، ومن أعجب برأيه ضل ، ومن استغنى بعقله زل ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن سفه عليهم شتم ، ومن سلك مسالك السوء اتهم ، ومن خالط الأنذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شىء عرف به ، ومن كثر كلامه كثر خطؤه ، ومن كثر خطؤه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار .

يا بنى .. من نظر فى عيوب الناس ثم رضيها لنفسه فذاك هو الأحمق بعينه ، ومن تفكر اعتبر ، ومن اعتبر اعتزل ، ومن اعتزل علم ، ومن ترك الشهوات كان حرا ، ومن ترك الحسد كانت له المحبة عند النـــاس .

يا بنى .. عز المؤمن غناه عن الناس ، والقناعة مال لا ينفد ، ومن أكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ، ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه . العجب ممن خاف العقاب فلم يكف ، ورجا الثواب فلم يعمل . الفكر نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ، والسعيد من وعظ بغيره . الأدب خير ميراث ، وحسن الخلق خير قرين ...

يا بنى .. ليس مع القطيعة نما ، ولا مع الفجور غنى .

يا بنى .. العافية عشرة أجزاء ، تسعة منها فى الصمت الا عن ذكر الله تعالى ، وواحد فى ترك مجالسة السفهاء .

ومن تزين بمعاصى الله فى المجالس أورثه الله ذلا ، ومن طلب العلم علم .

يا بنى .. رأس العلم الرفق ، وآفته الحـذق[1] ، ومن كنوز الايمان الصبر على المصائب ، العفاف زينة الفقراء ، والشكر زينة الأغنيـاء .

يا بنى .. أغنى الغنى العقل ، وأفقر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الحسب الخلق ، اياك ومصادقة الأحمق فانه يريد أن ينفعك فيضرك ، واياك ومصادقة الكذاب فانه يقرب اليك البعيد ، ويبعد عنك القريب ، واياك ومصادقة البخيل فانه يبعد عنك أحوج ما تكون اليه ، واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه[2] .

يا بنى .. كثرة الزيارة تورث الملال ، والطمأنينة قبل الخبرة ضد الحزم ، واعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله .

يا بنى .. كم نظرة جلبت حسرة ، وكم كلمة سلبت نعمة : لا شرف أعلى من الاسلام ، ولا كرم أعز من الزهد ، ولا معقل أحرز من الورع . ولا لباس أجمل من العـافية ، ولا مال أذهب للفاقة[3] من الرضا بالقوت ، ومن اقتصر على بلغة[4] الكفاف تعجل الراحة .

يا بنى .. الحرص مفتاح التعب ، ومطية النصب ، وداع الى اقتحام الذنوب ، والشره جامع لمساوى العيوب : وكفاك أدبا لنفسك ما كرهته لغيرك ، لأخيك عليك مثـل الذى لك عليه ، ومن تورط فى الأمور من غير تبصر فى الصواب فقد تعرض لفدحات النوائب ، التدبير قبل العمل يؤمنك الندم .

من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ .

---

(١) يقال : تحذلق الرجل ، بزيادة اللام اذا أظهر الحذق فادعى اكثر مما عنـده .

(٢) بالتافه : أى بالشىء الحقير .

(٣) أى الفقر .

(٤) أى ما يتبلغ به من العيش .

يا بنى •• البخل جلباب المسكنة ، والحرص علامة الفقر ، وصول معدم خير من جاف مكثر •

لكل شيء قوت ، وابن آدم قوت الموت •

يا بنى •• لا تؤيسن مذنبا على ذنبه ، فكم عاكف على ذنب ختم له بالخير ، وكم مقبل على عمله أفسده فى آخر عمره فصار الى النار •

يا بنى •• فى خلاف النفس رشدها ، الساعات تنقص الأعمار •



الجُزء السّادِس

الوَصيّة الحادية والعشرون

عن جابر رضى الله عنه قال :

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« يا أيها الناس ٠٠ توبوا الى الله قبل أن تموتوا ٠٠ وبادروا بالأعمـال الصالحة قبل أن تشغلوا ٠٠ وصلوا الذى بينكم وبين ربكم ، بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا ، وتنصروا ، وتجبروا » .

(رواه ابن ماجه)

* * *

فكن أخا الاسلام :

من المستجيبين لنداء الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الوصية الجامعة لأسباب الفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة :

وحسبك ترغيبا لك فى تنفيذ ما أمرك الرسول صلى الله عليه وسلم به فى هذه الوصية أنك ستفوز فى النهاية بهذه النتائج العظيمة التى أشار الرسول صلى الله عليه وسلم اليها فى نهايتها .

* * *

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصينا فى أولها بالتوبة الى الله سبحانه وتعالى قبل فوات هذه الفرصة الغالية التى لا زلنا نتمتع بها وهي تواجدنا فى هـذه الحياة ، فهذا دليل كاف على أن النبى صلى الله عليه وسلم يريد بنا خيرا ، ويؤكد هذا قوله تعالى :

« وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »(١) .

وحسبى وقبل أن أدور معك حول هذا الموضوع الحيوى أن أقف معك وقفة وجيزة أمام هذه الأقوال المـأثورة فى معنى التوبة :

قال ذو النون : حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت حتى لا يكون لك قرار ، وأن تضيق عليك نفسك . قال الله تعـالى

---

(١) النور : ٣١

فى كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية حين تخلفوا عن غزوة تبوك فهجرهم النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمون خمسين صباحا ثم جاءت توبتهم : « **وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم** »[١] الآية • فالتائب دائم التأسف ، كثير التلهف ، يعرف من بين أمثاله بذبوله ، ويستدل على حاله بنحوله •

وقال الجنيد : التوبة على ثلاثة أركان : الندم على ما فات ، والعزم على ترك المعاودة ، والسعى فى تلافى ما يمكن تلافيه من حقوق الله تعالى المفروضة وحقوق الناس ، فان لم يكن فالزم على الوفاء ، والدعاء للخصوم •

وقال سهيل بن عبد الله : التوبة تبديل الحركات المذمومة بالحركات المحمودة ، ولا يتم ذلك الا فى الخلوة ، والصمت وأكل الحلال •

ويقال : أول التوبة يقظة من الله تعالى تقع فى القلب فيتذكر العبد تفريطه ، واساءته ، وكثرة جناياته مع دوام نعم الله تعالى عليه فيعلم أن الذنوب سموم قاتلة يخاف منها حصول المكروه ، وفوات المحبوب فى الدنيا والآخرة • فاذا حصل له هذا العلم أثمر حالا وهو الندم على تضييع حق الله تعالى ، ثم يثمر الندم عملا وهو المبادرة الى الخيرات ، وقضاء الواجبات ، ورد الظلامات ، والعزم على اصلاح ما هو آت • فهذه الأمور الثلاثة اذا انتظمت فهى التوبة •

ويقال : التوبة الحياء العاصم ، والبكاء الدائم •

ويقال: التوبة الندم على ما فات ، واصلاح ما هو آت •

ويقال : التوبة قود النفس الى الطاعات بخطام الرغبة ، وردها عن المعصية بزمام الرهبة •

ويقال : التوبة أن يعلم العبد جراءته على الله تعالى ، ويرى حلم الله تعالى عليه حيث لم يأذن للأرض أن تخسف به ، أو للنار أن تحرقه بما عمل من المعاصى • ثم يتوب من الذنوب ويعزم أن لا يرجع اليه كما لا يرجع اللبن الى الضرع •

ويقال : التوبة خلع لباس الجفاء ، ونشر بساط الوفاء •

---

(١) التوبة : ١١٨

وأصل التوبة فى اللغة : الرجوع ، يقال : تاب وأناب بمعنى رجع •

فلاحظ كل هذا وتعمق فى فهمه ، واحذر الوقوع فى شباك الشيطان حتى لا تكون من حطب جهنم •

واذا أردت أن تكون حذرا منه ، ومنتصرا عليه : كن حريصا على المبادرة الى التوبة ، وعاملا فى قطع الأسباب الباعثة على الذنب ، مع هجرة من كنت تصحبه على تلك الحالة وتدارك ما أفسدته لتمحوه بصالح أعمالك •

فقد ورد فى الأثر : ان الذنب اذا أتبع بثمانية أشياء كان العفو عنه مرجوا :

أربعة فى القلب وهى : التوبة ، والعزم على أن لا يعود ، وحب الاقلاع عنه ، وخوف العقاب ورجاء المغفرة عليه •

وأربعة فى الجوارح وهى : أن يصلى أربع ركعات فى المسجد ثم يستغفر الله تعالى سبعين مرة ويقول : سبحان ربى العظيم وبحمده مائة مرة ، ويتصدق بصدقة ، ثم يصوم يوما •

قال الله تعالى : **« ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين »**(١) •

مع ضرورة اجتناب الكبائر لأن الله سبحانه وتعالى يقول : **« ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما »**(٢) •

أى : ان اجتنبتم الكبائر غفرنا لكم الصغائر ، والصغائر هى : اللمم كما قال أكثر المفسرين ، والى هذا أشار الله سبحانه وتعالى فى قوله : **« الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم »**(٣) •

وقد اختلف العلماء فى تعريف الكبيرة والصغيرة : فقالوا : كل ما نهى الله تعالى عنه فى القرآن فهو كبيرة ، وما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنه فهو صغيرة •

كما اختلف الصحابة والتابعون عليهم رضوان الله فى عدد الكبائر :

فقال ابن مسعود : أربع •

---

(١) هود : ١١٤
(٢) النساء : ٣١
(٣) النجم : ٣٢

وقال ابن عمر : سبع ٠

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : تسع ٠

وقيل : احدى عشر ٠

وقال أبو طالب المكى جمعتها من مجموع أقوال الصحابة فوجدتها : أربعة فى القلب وهى : الشرك بالله تعـالى ، والاصرار على معصية الله تعالى ، والقنوط من رحمة الله تعالى ، والأمن من مكر الله تعالى ٠

وأربعة فى اللسان وهى : شهادة الزور ، وقذف المحصنات الغافلات ، واليمين الغموس[1] ، والسحر ٠

وثلاثة فى البطن : شرب الخمر ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا وهو يعلم ٠

واثنان فى الفرج وهما : الزنا ، واللواط ٠

واثنان فى اليدين وهما : القتل ، والسرقة ٠

وواحدة فى الرجل وهى : الفرار من الزحف ٠

وواحدة فى جميع البدن وهى : عقوق الوالدين[2] ٠

ويقال : ستة أشياء اذا قاربت الصغائر ألحقتها بالكبائر واذا كانت مع الكبائر عظم وزرها ، وتزايد أمرها :

الأول : الاصرار ، وهو العود الى مثل الذنب ، ولذلك قيل : لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار ، وليس المراد به استغفار الكذابين باللسان وانما المراد التوبة والندم ، والاقلاع والالتجاء الى الله عز وجل بالقلب ٠

ويقال آفة الاصرار على الصغائر : الوقوع فى الكبائر ، وقل أن يقع العبد فى كبيرة حتى يتقدمها صغيرة ، كالزنا مثلا ، لا يتصور من غير تقدم نظر ، ولمس ، ونحوه ٠

الثانى : أن يستصغر الذنب فانه يكبر اثمه على قدر استصغاره له ، فان فى تصغير الذنب تصغير أمر الرب ، وفى تعظيم الذنب تعظيم الرب

---

(١) وهى التى يحلف بها الحالف متعمدا الكذب ، وقيل هى التى يقتطع بها مال مسلم ولو سواكا من اراك ، وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها فى النـــار ٠

(٢) وعقوقهما أن يقسما عليه فى حق فلا يبر قسمهما ، أو يسألاه حاجة فلا يقضها ، أو يسباه فيضربهما ، أو يجوعا فلا يطعمهما ٠

سبحانه وتعالى • وفى الحديث : « المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه ، والمنافق يرى ذنبه كذباب وقع على وجهه فأطاره » وقال بعضهم : أكبر من الذنب قول الانسان : ليت كل ذنب عملته كان مثل هذا • وأوحى الله تعالى الى بعض الأنبياء : « لا تنظر الى قلة الهدية ، وانظر الى عظم مهديها ، ولا تنظر الى صغر الخطيئة ، ولكن انظر الى كبرياء من واجهت بها » وقال أبو سعيد الخدرى : انكم لتعملون أشياء هى أدق عندكم من الشعر كنا نعدها فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات : وذلك لأنهم كانوا أكثر تعظيما لجلال الله تعالى •

الثالث : السرور بالذنب فان القلب يسود بقدر الفرح بالذنب ، ويروى أن رجلا من بنى اسرائيل تاب من ذنب وعبد الله تعالى سنين ، ثم سأل بعض الأنبياء أن يدعو له بالقبول فأوحى الله عز وجل اليه : « لو تشفع بأهل السموات والأرض ما قبلته وحلاوة الذنب فى قلبه » • ومثال العاصى كمثال من غلبه عدوه فأوقعه فى نار ، وما يخاف الهلاك فيه فينبغى أن يغلب عليه الأسف والحزن ففرحه من غاية الجهل ويقال : من فرح بالذنب فهو كالمريض الذى يفرح بأن ينكسر اناؤه الذى فيه دواؤه كراهة أن يستعمله ، وهذا لا يرجى شفاؤه •

الرابع : أن يتهاون بمنة الله تعالى عليه فى ستره عليه ، وحلمه عنه وامهاله حيث لم يعاجله بالعقوبة ، ويخاف أن يكون ذلك الستر مقتا من الله تعالى وامهالا ليزداد ذنوبا فيأخذه على غرة •

الخامس : اظهار الذنب بأن يفعله مجاهرا ويتحدث به ، ويفتخر به ، وفى ذلك زيادة جرأة وعدم حرمة وابطال نعمة ، فان من نعم الله تعالى اظهار الجميل وستر القبيح ، وفيه تحريك داعية من علم بذنوبه الى الوقوع فى مثله • وفى الخبر : « كل الناس معافى الا المجاهرون »[١] وقال بعضهم : لا تذنب •• فان أذنبت فلا ترغب غيرك فتكتسب ذنبين • قال الله تعالى : « **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف** »[٢] •

وقال بعض السلف : ما انتهك المؤمن من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية الله تعالى •

---

(١) حديث شريف .

(٢) التوبة : ٦٧

السادس : أن يكون المذنب عالمـا يقتدى به كما ورد فى الحديث :
« من سن سنة سيئة فعليه وزرها ؤوزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شـيئا »[١] • قال الله تعـالى : **« ونكتب ما قـدموا وآثارهم »**[٢] • وآثار العمل ما يبقى بعد العمل • وقال ابن عباس رضى الله عنهما : « ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها فى الآفاق » • ويقال : « العالم مثل السفينة اذا غرقت غرق أهلها » •

وروى : أن عالمـا من بنى اسرائيل كان على بدعة ثم رجع عنها وعمل فى الاصلاح دهرا ، فأوحى الله تعـالى الى نبى من أنبيـائهم : « قل لفلان ان ذنبك لو كان فيما بينى وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادى فأدخلتهم النار » • وكما يعظم وزر العالم فى السيئات كذلك يعظم أجره فى الطاعات •

فلا تنس أخا الاسلام كل هذا حتى لا تكون من الجاهلين الذين يتخبطون فى ظلمـات الجهل ، وحتى لا تكون من الذين : **« نسـوا الله فأنساهم أنفسهم »**[٣] فكانوا من الهالكين المطرودين من رحمة الله سبحانه وتعالى الذى يقول كما ورد فى الحديث القدسى :

« ما أقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل ، كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى » •

يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه :

من أراد غنى بلا مال ، وهيبة بلا سلطان ، وعزا بلا عشيرة :
فليتق الله فان الله يأبى أن يذل الا من عصاه •

ويقول ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه :

لأن أدخل النار وقد أطعت الله عز وجل أحب الى من أن أدخل الجنة وقد عصيت الله عز وجل •

ولهذا كان لابد ـــ اذا أردت أن تكون أهلا لرحمة الله تعـالى ـــ من الرجوع الى الله سبحانه وتعالى والمصالحة معه مهما كانت الأخطاء فانه سبحانه كما قال عن نفسه : **« غفور رحيم »**[٤] أحن على عبده

---

(١) من حديث رواه مسلم والنسائى •
(٢) يس : ١٢ (٣) الحشر : ١٣
(٤) التوبة : ٢٧ ، ٩١ ، ٩٩ ، وآيات كثيرة من القرآن الكريم •

حن الوالدة على ولدها • وذلك لا يتحقق الا بالبعد عن كل شيء نهى عنه سبحانه :

حتى تكون مطيعا له ، وأهلا لكرامته ، ودخول جنته :

فقد ورد : أن الله سبحانه وتعالى قال فى الكلمات العشر التى أنزلت على موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : « بسم الله الرحمن الرحيم • هذا كتاب من الله الملك الجبار ، العزيز القهار ، لعبده ورسوله موسى بن عمران : سبحنى وقدسنى ، لا اله الا أنا فاعبدنى ، ولا تشرك بى شيئا ، واشكر لى ولوالديك الى المصير أحييك حياة طيبة • ولا تقتل النفس التى حرم الله عليك فتضيق عليك السماء بأقطارها وتضيق عليك الأرض برحبها ، ولا تحلف باسمى كاذبا فانى لا أطهر ولا أزكى من لم يعظم اسمى ، ولا تشهد بما لا يعى سمعك ، وتحفظ عينك ولا يقف عليك قلبك ، فانى أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة فأسألهم عنها ، ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلى ورزقى فان الحاسد عدو نعمتى ، ساخط لقسمتى • ولا تزن ، ولا تسرق فأحجب عنك وجهى ، وأغلق دون دعوتك أبواب السموات ، ولا تذبح لغيرى فانه لا يصعد الى من قربان الأرض الا ما ذكر عليه اسمى ، ولا تغدرن بحليلة جارك فانه أكبر مقتا عندى • وأحب للناس ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك » •

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما :

لما سار موسى عليه الصلاة والسلام الى الميقات قال له ربه : « ما تبتغى ؟ قال : أبتغى الهدى • قال : قد وجدته يا موسى • قال : يا رب •• أى عبادك أحب اليك ؟ قال : الذى يذكرنى ولا ينسانى • قال : أى عبادك أقضى ؟ قال : الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى • قال : أى عبادك أعلم ؟ قال : الذى يبتغى علم الناس الى علمه ليسمع الكلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى » •

ويقول ابن مسعود رضى الله عنه : « رأى موسى عليه الصلاة والسلام رجلا جالسا فى ظل العرش فقال : يا رب •• ما هذا ؟ قال : هذا عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وبر بوالديه ، لا يمشى بالنميمة • قال : يارب •• أى العمل أحب اليك أن أعمل به ؟ قال : تذكرنى ولا تنسانى • قال : أى عبادك خير عملا ؟ قال : من لا يكذب لسانه ، ولا يفجر قلبه ، ولا يزنى فرجه ، مؤمن فى خلق حسن •

قال : وأى عبادك شر عملا ؟ قال : فاجر فى خلق سيء ، جيفة بالليل ، بطال بالنهار » .

وإياك أن تقنط من رحمة الله لأنه : « **لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** »[١] .

وحسبك ترغيبا لك فى التوبة وعدم القنوط من رحمة الله تعالى أن تقرأ قوله تعالى : « **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا** »[٢] وقوله سبحانه وتعالى : « **الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما** »[٣] .

وقوله المأثور : « لا تقنطوا من رحمتى ، هل رأيتم من انقطع الى ذل ؟ هل رأيتم من احتمى من أجلى اعتل ؟ هل رأيتم من تنسم رياض قربى اختل ؟ هل رأيتم من رأى أعلام نصرتى انغل ؟ هل رأيتم من وجد حلاوة ذكرى انسل ؟ يا عبدى .. لا تقنط من رحمتى ، فانك ان كنت بالغدر موصوف ، فأنا بالجود معروف ، وان كنت ذا خطايا فأنا ذو عطايا . وان كنت ذا جفاء ، فأنا ذو وفاء ، وان كنت ذا أساة ، فأنا ذو أناة . وان كنت ذا غفلة وسهوة ، فأنا ذو عفو ورحمة . وان كنت ذا خشية وانابة ، فأنا ذو قبول واجابة . لا تقنط من رحمة من جاد بالمغفرة على الألوف من السحرة ، وجعلهم من البررة » .

* * *

وحتى يتأكد لك كل هذا ، اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها »[٤] .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للجنة ثمانية أبواب : سبعة مغلقة[٥] ، وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه[٦] »[٧] .

---

(١) يوسف : ٨٧ ، والروح : اى الرحمة .

(٢) الزمر : ٥٣ (٣) الفرقان : ٧٠

(٤) رواه مسلم والنسائى .

(٥) ولا تفتح لأهل الجنة الا بشفاعة النبى ﷺ .

(٦) اى من جهته .

(٧) رواه ابو يعلى والطبرانى باسناد جيد .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون »[١] .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر »[٢] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله عز وجل حفظته ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله يوم القيامة ، وليس عليه شاهد من الله بذنب »[٣] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون ، فيستغفرون الله فيغفر لهم »[٤] .

وعن عمران بن الحصين رضى الله عنه : « أن امرأة من جهينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى حبلى من الزنا ، فقالت : يا رسول الله .. أصبت حدا[٥] فأقمه على ، فدعا نبى الله صلى الله عليه وسلم وليها[٦] ، فقال : « أحسن اليها فاذا وضعت فأتنى بها » ففعل ، فأمر نبى الله صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ، ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها . فقال له عمر : تصلى عليها يا رسول الله ، وقد زنت ؟ قال : « لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله عز وجل »[٧] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب ، فأتاه فقال : انه قتل تسعة وتسعين

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم وقال الحاكم : صحيح الاسناد .

(٢) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن .

(٣) رواه الأصبهانى وابن عساكر والحاكم والترمذى عن انس ، وقال شارح « الجامع الصغير » : قال الشيخ مدين : ضعيف .

(٤) رواه مسلم .

(٥) اى فعلة توجب اقامة الحد ، وحد الزانى المحصن هو الرجم .

(٦) اى من يلى امرها من اب أو اخ او غيرهما .

(٧) رواه مسلم .

نفسا فهل له من توبة ؟ فقال : لا . فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدل على رجل عالم ، فقال : انه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم من يحول بينه وبين التوبة ، انطلق الى أرض كذا وكذا ، فان بها أناسا يعبدون الله ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء ، فانطلق حتى نصف الطريق فأتاه ملك الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : انه لم يعمل خيرا قط . فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم فقال : قيسوا ما بين الأرضين . فالى أيتهما كان أدنى فهو له . فقاسوا فوجدوه أدنى الى الأرض التى أراد . فقبضته ملائكة الرحمة » .

وفى رواية : « فكان الى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلها » .

وفى رواية : « فأوحى الله الى هذه الأرض أن تباعدى . والى هذه أن تقربى . وقال : قيسوا بينهما . فوجدوه الى هذه أقرب بشبر فغفر له » .

وفى رواية : قال قتادة : قال الحسن : ذكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره نحوها[1] .



وهذه الآثار :

خرج عيسى عليه الصلاة والسلام يوما ومعه عابد من عباد بنى اسرائيل فتبعهما رجل عاص فمقته العابد وقال : اللهم لا تجمع بينى وبين هذا العاصى . فقال العاصى : اللهم اغفر لى . فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام : قد استجبت دعاءهما فرددت الصالح ، وغفرت للمحروم .

وكان سفيان الثورى رضى الله عنه كثير البكاء والجزع فقيل له : يا أبا عبد الله .. عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك . فقال : أو على ذنوبى أبكى ؟ .. لو علمت أنى أموت على التوحيد لم أبال بمثل الجبال من الخطايا .

وكان أبو عثمان يتكلم فى الرجاء كثيرا فرئى بعد موته فى المنام

(١) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه بنحوه .

فقيل له : كيف كان قدومك على الله تعالى ؟ فقال : أوقفنى بين يديه وقال : ما الذى حملك على ما فعلت ؟ فقلت : أردت أن أحببك الى خلقك • فقال : قد غفرت لك •

وروى أن رجلا من بنى اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله تعالى له يوم القيامة : اليوم أؤيسك من رحمتى كما كنت تقنط عبيدى منها •

وروى أن رجلين يوم القيامة يخرجان من النار فيقول الله تبارك وتعالى لهما : كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما ؟ فيقولان : شر مقيل وأسـوأ مصير • فيقول الله تبارك وتعالى : ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد • فيأمر بردهما الى النار • فأما أحدهما فيبادر اليها وأما الآخر فيتوقف • فيقول الله تعالى للذى بادر : ما حملك على ما صنعت ؟ فيقول : عصيتك فى الدنيا أفأعصيك فى الآخرة ؟ ويقول للذى توقف : ما حملك على ما صنعت ؟ فيقول : حسن ظنى بك يا رب حين أخرجتنى منها أن لا تعيدنى اليها • فيرحمهما ، ويأمر بهما الى الجنة •

وقال أبو يعقوب القارى : رأيت فى المنام أويسا القرنى فقلت : أوصنى • فقال : ابتغ من رحمة الله عند محبته ، واحذر نقمته عند معصيته ، ولا تقطع رجاءك منه فى خلال ذلك •

وقال مالك بن دينار : رأيت مسلم بن يسار بعد موته فى المنام فقلت له : ما لقيت بعد الموت ؟ فقال : لقيت والله أهوالا وزلازل عظاما شدادا • قلت : فماذا كان بعد ذلك ؟ قال : ما تراه يكون من الكريم الا الكرم ؟ قبل منا الحسنات ، وعفا عنا السيئات ، وضمن عنا التبعات •

قال : ثم شهق مالك شهقة ووقع مغشيا عليه ثم مات بعد ذلك بأيام ، وكانوا يرون أن قلبه قد انصدع •

ورئى بعضهم فى المنام فقيل له : بماذا قدمت على الله تعالى ؟ قال : بذنوب كثيرة محاها عنى حسن الظن بالله تعالى •

ونظر الفضيل الى الناس يوم عرفة وهم واقفون يبكون ويتضرعون فقال لرجل الى جانبه : أرأيت لو أن هؤلاء كلهم واقفون على باب رجل من الأغنياء يطلبون دانقا[1] أكان يردهم ؟ فقال : لا • قال : فان المغفرة عند الله تعالى أهون من دانق عند أحدكم •

---

(١) دانقا : اى شيئا قليلا من المـال •

وكان بعض الصالحين يتعلق بأستار الكعبة ويقول : ههنا وعدتنى والى هنا دعوتنى ، أفتدخلنى النار وتوحيدك فى قلبى ؟ ما أظنك تفعل ذلك ، وان فعلت فلا تجمع بينى وبين قوم عاديتهم فيك •

ونظر أعرابى الى الناس بالموقف فأنشد يقول :

برزوا لوجهك يا كريم بدعوة ألفاظها شتى بمعنى مفرد
يصفون بحرك يا عزيز وما عسى أن يبلغوا منه بوصف مجهد
فاسمح لمغفرة تكون لسفرنا زادا اليك غداة يوم المشهد

وأتى آخر الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله •• قلت فسمعنا ، وبلغت عن ربك فقبلنا • وكان فيما بلغت عن ربك أنه قال : « **ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما** »[1] • وها نحن قد ظلمنا أنفسنا ، وقد جئناك مستغفرين فاستغفر لنا •

وعن الحسن البصرى أنه قال : لما تاب الله على آدم عليه الصلاة والسلام هبط جبرائيل ، وكذلك ميكائيل ، ودريائيل ، عليهم السلام • وقالوا : يا آدم •• قرت عيناك بتوبة الله تعالى عليك • فقال آدم : يا جبرائيل •• فان كان بعد هذه التوبة السؤال فأين مقامى ؟ فأوحى الله تعالى اليه : يا آدم •• ورثت ذريتك التعب والنصب ، وورثتهم أنا التوبة ، من دعانى منهم بدعوتك تبت عليه كما تبت عليك ، ومن سألنى المغفرة لم أبخل عليه كما لم أبخل عليك لأنى قريب مجيب • يا آدم •• احشر التائبين من القبور مستبشرين ودعاؤهم مستجاب •

وروى : أن آدم عليه الصلاة والسلام لما أكل من الشجرة ونزع عنه لباس الجنة ولى هاربا وجعل يستتر بورق الجنة ، فناداه ربه : أفرارا منى يا آدم ؟ قال : بل حياء منك يا رب • فقال الله تعالى : أما خلقتك بيدى ؟ أما أسجدت لك ملائكتى ؟ أما نفخت فيك من روحى ؟ أما أسكنتك جنتى فى جوارى ؟ فلم عصيتنى ؟ اخرج من جوارى فلا يجاورنى من عصانى • فقال آدم : سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت • عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى فانك خير الغافرين • سبحانك اللهم وبحمدك • لا اله الا أنت • رب عملت سوءا وظلمت نفسى فارحمنى انك أنت أرحم الراحمين ، سبحانك اللهم وبحمدك

---

(١) النساء : ٦٤

لا اله الا أنت ، رب ظلمت نفسى وعملت سوءا فتب على انك أنت التواب الرحيم •

وقال الحسن : الكلمات قوله تعالى : « **ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** »[1] •

وقال ابن عباس وقتادة : الكلمات أنه قال : « أى رب أتتوب على ان تبت ؟ فقال تعالى : نعم • فتاب الله عليه » •

ولا تناقض بين هذه الأقوال فانه يجوز أن يكون قال ذلك كله فتاب الله عليه •

ومن عظات عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

« أيها الناس •• لا تستصغروا الذنب والتمسوا تمحيص ما سلف منها بالتوبة : « **ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين** »[2] •

وقال عز وجل : « **والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** »[3] •

ومن أروع ما قرأت :

أن الله تبارك وتعالى اذا أراد ستر عبده كان معه يوم القيامة لا يفضحه على رؤوس الأشهاد • وقد خاف العبد هذا الموقف العظيم لعلمه كثرة ذنوبه فيقرأ بعد أن يعطى كتابه بيمينه الوجه الذى فيه السيئات سرا ويقول : سبحان الله ليست حسنة واحدة ؟ وتقول الخلائق : سبحان الله ليس فى كتاب هذا العبد سيئة واحدة !! فاذا فرغ من القراءة تجلى المولى عليه ، وأسمعه قولة تشيع فى نفسه الرضا : يا عبدى •• هذه حسناتك فى ظهر كتابك أظهرتها لخلقى ، وسترت عنهم سيئاتك فى الدنيا والآخرة ، يا ملائكتى •• اذهبوا به فقد رحمته ، وأدخلوه الجنة •

وأن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

أربع آيات فى سورة النساء خير لهذه الأمة من الدنيا وما فيها :

---

(١) الأعراف : ٢٣ (٢) هود : ١١٤
(٣) آل عمران : ١٣٥

قوله عز وجل : **« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »**(١) .

وقوله تعالى : **« ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما »**(٢) .

وقوله تعالى : **« ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما »**(٣) .

وقوله تعالى : **« ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما »**(٤) .

فيا من أسا فيما مضى ثم اعترف
كن محسنا فيما بقى تلقى الشرف
واسمع كلام الله فى تنزيله
« ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف »(٥)

و :

بادر الى التوبة فى وقتها فالمرء مرهون بما قد جناه
وانتهز الفرصة ان أمكنت ما فاز بالكرم سوى من جناه

و :

لا تفكر فالرب فضلا وجودا عود العبد باصطناع الجميل
حاش لله أن تضام بنقص وتمام الاحسان بالتكميل

* * *

فهو الذى أوجد الأشيا وقدرها وهو الذى يرحم العاصى ويستره
يخفى القبيح ويبدى كل صالحة ويغمر العبد احسانا ويشكره
ومن يلوذ به فى دفع نائبة يعطيه من فضله عزا وينصره
فنسأل الله جمعا حسن خاتمة عند الممات وصفوا لا يكدره

* * *

---

(١) النساء : ٤٨
(٢) النساء : ٦٤
(٣) النساء : ٣١
(٤) النساء : ١١٠
(٥) الأنفال : ٣٨

واذا أردت أن يبارك الله سبحانه وتعالى توبتك ويغفر زلتك فحسبك أن تحرص على :

صلاة التوبة

فقد روى : عن أبى بكر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجل يذنب ذنبا ، ثم يقوم فيتطهر[١] ثم يصلى[٢] ، ثم يستغفر الله الا غفر الله له » ثم قرأ هذه الآية : **« والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله[٣] »[٤]** الى آخر الآية[٥] .

وعن الحسن ـ يعنى البصرى ـ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أذنب عبد ذنبا ، ثم توضأ فأحسن الوضوء[٦] ، ثم خرج الى براز[٧] من الأرض فصلى فيه ركعتين ، واستغفر الله من ذلك الذنب الا غفر الله له »[٨] .

وعن عبد الله بن بريدة رضى الله عنه عن أبيه قال : أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فدعا بلالا ، فقال : « يا بلال .. بم سبقتنى الى الجنة ؟ انى دخلت الجنة البارحة[٩] ، فسمعت خشخشتك[١٠] أمامى » فقال : يا رسول الله .. ما أذنبت قط الا صليت ركعتين ، وما أصابنى حدث قط الا توضأت عندها ، وصليت ركعتين »[١١] .



واعلم أن العجلة من الشيطان ، الا فى خمسة أشياء فانها من السنة :

---

(١) يعنى يتوضأ .
(٢) وفى بعض الروايات : « ثم يصلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشىء » .
(٣) أى ذكروا وعيده سبحانه وهيبته ومقامهم بين يديه .
(٤) آل عمران : ١٣٥
(٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن ، وأبو داوود ، والنسائى ، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى وقالا : « ثم يصلى ركعتين » .
(٦) يعنى أسبغه وأتمه .
(٧) البراز : الأرض الفضاء .
(٨) رواه البيهقى مرسلا .
(٩) يعنى الليلة الماضية .
(١٠) أى صوت نعليك ، وفى رواية : « دف نعليك » .
(١١) رواه ابن خزيمة فى صحيحه ، والحديث متفق عليه .

اطعام الضيف اذا دخل ، وتجهيز الميت ، وتزويج البكر ، وقضاء الدين ، والتوبة من الذنب[١] .

وأن من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء : تعجيل التوبة ، وقناعة النفس ، والنشاط فى العبادة .

ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء :

« تسويف التوبة ، والشره فى الدنيا ، والتكاسل عن الطاعة »[٢] .

واذكر دائمـا وأبدا قول الله تعالى حتى تسارع بالتوبة قبل فوات الأوان :

« وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن »[٣] .

* * *

وأما عن العمل الصالح الذى يوصينا المصطفى صلى الله عليه وسلم بالمبادرة به بعد أن أوصانا بالتوبة الى الله سبحانه وتعالى قبل أن نموت :

فهو الدليل الوحيد على صدق التوبة بدليل قوله تعالى : **« ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا »**[٤] .

هذا بالاضافة الى أن العمل الصالح هو البرهان الوحيد على صدق الايمان .

ولهذا كان مقترنا به فى كثير من الآيات القرآنية التى منها :

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار »[٥] .

« والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة ، هم فيها خالدون »[٦] .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا »[٧] .

« ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات »[٨] .

---

(١) لابن ادهم رضى الله عنه .
(٢) لمحمد بن اللقاف رحمه الله .
(٣) النساء : ١٨
(٤) الفرقان : ٧١
(٥) البقرة : ٢٥
(٦) البقرة : ٨٢
(٧) الكهف : ١٠٧
(٨) العصر : ٢ ، ٣

ولما كان العمل الصالح هو زاد الآخرة التى سيكون العبد فيها فى أشد الحاجة الى رصيد من الحسنات يغنيه عن غيره **« يوم ينظر المرء ما قدمت يداه »**[١] • **« يوم يفر المرء من أخيه • وأمه وأبيه • وصاحبته وبنيه »**[٢] •

كان لا بد وأن يغتنم العبد فى دنياه خمسا قبل خمس :

شبابه قبل هرمه ، وصحته قبل سقمه ، وغناه قبل فقره ، وفراغه قبل شغله ، وحياته قبل موته ، كما جاء فى موعظة لرسول الله صلى الله عليه وسلم •

وذلك حتى يكون فى دنياه وأخراه من الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، وحتى يكون يوم القيامة مع عباد الله الصالحين الذين أعد الله لهم فى جنة الخلد « مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » •

ولهذا كان أكيس الناس وأحزمهم « أكثرهم ذكرا للموت وأكثرهم استعدادا للموت »[٣] •

وكان أزهدهم : « من لم ينس القبر والبلى ، وترك فضل زينة الدنيا ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ، ولم يعد غدا من أيامه ، وعد نفسه من الموتى »[٤] •

وكان : « خير الناس : من طال عمره ، وحسن عمله »[٥] •

وقد ورد : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بخيركم »[٦] ؟ قالوا : نعم • قال : « خيركم أطولكم أعمارا وأحسنكم أعمالا »[٧] •

---

(١) النبأ : ٤٠ (٢) عبس : ٣٤ ـ ٣٦

(٣) من حديث رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب « الموت » والطبرانى فى الصغير باسناد حسن ، ورواه ابن ماجه مختصرا باسناد جيد ، والبيهقى فى « الزهد » .

(٤) رواه ابن أبى الدنيا ، وهو مرسل .

(٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٦) اى بأكثركم ثوابا وأرفعكم منزلة عند الله .

(٧) رواه أحمد ورواته رواة الصحيح ، وابن حبان فى صحيحه ، والبيهقى ورواه الحاكم من حديث جابر وقال : صحيح على شرطهما .

وعن أبى بكر رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله .. أى الناس خير ؟ قال : « من طال عمره وحسن عمله » قال : فأى الناس شر ؟ قال : « من طال عمره وساء عمله »[١] .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تتمنوا الموت ، فان هول المطلع شديد ، وان من السعادة أن يطول عمر العبد ، ويرزقه الله الانابة »[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يتمن أحدكم الموت ، اما محسنا فلعله يزداد ، واما مسيئا فلعله يستعتب[٣] »[٤] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يتمن أحدكم الموت لضر[٥] نزل به ، فان كان لابد فاعلا فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحيـاة خيرا لى ، وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى »[٦] .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أراد الله بعبد خيرا استعمله »[٧] قيل : كيف يستعمله ؟ قال : « يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه »[٨] .

فمن كل هذه الأحاديث يتضح لك أن العمل الصالح هو سفينة النجاة التى أشار اليها سيدنا على رضى الله عنه فى قوله :

ان لله عبـادا فطنـا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظـروا فيهـا فلما علموا أنهـا ليست لحى وطنـا
جعـلوها لجة واتخـذوا صالح الأعمـال فيها سفنا

فكن من هؤلاء الفطناء الذين عرفوا الله تعالى فأطاعوه ، وعرفوا

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، والطبرانى باسناد صحيح والحاكم والبيهقى فى « الزهد » وغيره .

(٢) رواه احمد باسناد حسن والبيهقى .

(٣) اى لعله يتوب .

(٤) رواه البخارى ، واللفظ له ومسلم .

(٥) اى الفقر والمرض .

(٦) رواه البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى .

(٧) يعنى على حال يستعمله .

(٨) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

الحق فاتبعوه ، والباطل فاجتنبوه ، والنار فهربوا منها ، والجنة فعملوا من أجلهـا .

* * *

وحسبى بعد هذا العرض السريع أن أقرأ معك هذا الحديث الشريف الذى أرجو بعد قراءتك له أن تكون من هؤلاء الحريصين على تنفيذ ما فيه حتى تكفر عن سيئاتك ، وترفع من درجاتك : عن معاذ ابن جبل رضى الله عنه أنه قال : احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غـداة فى صـلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس ، فخرج رسـول الله صلى الله عليه وسلم سريعا فثوب[1] بالصـلاة وصلى وتجوز فى صلاته فلما سلم قال : « كما أنتم على مصافكم » ثم أقبل الينا فقال : « انى سأحدثكم ما حبسنى عنكم الغداة ، انى قمت من الليل فصليت ما قدر لى فنعست فى صلاتى حتى استثقلت ، فاذا أنا بربى عز وجل فى أحسن صورة فقال : يا محمد .. أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى[2] ؟ قلت : لا أدرى رب . قال : يا محمد .. فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدرى رب . قال : يا محمد .. فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدرى رب .

فرأيته وضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله فى صدرى ، وتجلى لى كل شىء .وعرفت . فقال : يا محمد .. فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : فى الكفارات والدرجات . قال : وما الكفارات ؟ قلت : نقل الأقدام الى الجماعات[3] والجلوس فى المساجد بعد الصلوات ، واسباغ الوضوء عند الكريهات .

قال : وما الدرجات ؟ قلت : اطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة والناس نيام .

قال : سل . قلت : اللهم انى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لى وترحمنى ، واذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون ، وأسألك حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل

---

(١) المراد بالتثويب فى هذا الحديث : هو الاقامة .

(٢) وهم الملائكة .

(٣) وفى رواية : « الى الجماعات » .

يقربنى الى حبك » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انها حق فادرسوها وتعلموها »[1] .

* * *

وتذكر دائما وأبدا قول القائل :

أترضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغـــير زاد

وقول أحد الأصحاب عليهم جميعا رضوان الله يوم أن وقف أمام الكعبة ثم قال لأصحابه :

أليس اذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ قالوا : نعم . قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون ، فقالوا : دلنا على زاده . فقال :

« حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور » .

وقول ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه عندما سئل :

لم زهدت الدنيا يا ابراهيم ؟ فقال : لثلاث :

الأول : رأيت الطريق طويلا وليس معى زاد .

الثانى : رأيت القبر موحشا وليس معى مؤنس .

الثالث : رأيت الجبار قاضيا وليس معى حجة ولا من يدافع عنى .

* * *

واعلم أن الاخلاص سر العبادة وروحها وشرطها الباطن الذى لا تصح الا به .

ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجر اليـــه »[2] .

وهذا معناه : أنه لا عمل صحيح الا بالنية ، والمراد بها الأعمال

---

(١) اخرجه الامام احمد والترمذى وقال : حديث صحيح ، قال : وسالته محمد بن اسماعيل البخارى عن هذا فقال : هذا حديث حسنٌ صحيح .

(٢) رواه البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى .

الشرعية التى هى مناط التكليف سواء أكانت مقصودة لذاتها كالصلاة ، أو وسيلة لغيرها كالوضوء .

وعن أبى أمامة قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ، ماله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا شىء له » فأعادها ثلاث مرار ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا شىء له » ثم قال : « ان الله عز وجل ، لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصا ، وابتغى به وجهه »[1] .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما يبعث الناس على نياتهم »[2] .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ، ولكن ينظر الى قلوبكم »[3] .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى فراشه[4] وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كتب له ما نوى ، وكان نومه صدقة عليه من ربه »[5] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت : يا رسول الله .. أخبرنى عن الجهاد والغزو ؟ فقال : « يا عبد الله بن عمرو .. ان قاتلت صابرا محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا ، وان قاتلت مرائيا مكاثرا ، بعثك الله مرائيا مكاثرا ، يا عبد الله بن عمرو .. على أى حال قاتلت أو قتلت بعثك الله على تلك الحال »[6] .

وعن محمود بن لبيد قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم وقال : « اياكم وشرك السرائر » قالوا : يا رسول الله .. وما شرك السرائر ؟ قال : « يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس اليه ، فذلك شرك السرائر »[7] .

وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر » قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟

---

(١) رواه أبو داود والنسائى باسناد جيد .

(٢) رواه ابن ماجه باسناد حسن .

(٣) رواه مسلم . (٤) يعني نام .

(٥) رواه النسائى وابن ماجه باسناد جيد .

(٦) رواه أبو داوود . (٧) رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

قال : « الرياء ، يقول الله عز وجل اذا جزى النــاس بأعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جــزاء »(١) .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء ، فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء وهو للذى أشرك »(٢) .

ومن أقوال الحكماء : من عمل سبعة دون سبعة لم ينتفع بما يعمل : أولها : أن يعمل بالخوف دون الحذر (يعنى يقول : انى أخاف عذاب الله ولا يحذر من الذنوب ، فلا ينفعه ذلك القول شيئا) .

الثانى : أن يعمل بالرجاء دون الطلب (يعنى يقول : انى أرجو ثواب الله تعالى ولا يطلبه بالأعمال الصالحة ، لم تنفعه مقالته شيئا) .

الثالث : بالنية دون القصد (يعنى ينوى بقلبه أن يعمل بالطاعات والخيرات ولا يقصد بنفسه ، لم تنفعه نيته شيئا) .

الرابع : بالدعاء دون الجهــد (يعنى يدعو الله تعالى أن يوفقه للخير ولا يجتهد ، لم ينفعه دعاؤه شيئا وينبغى له أن يجتهد ليوفقه الله تعالى ، كما قال الله تعالى : **« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين »**(٣) (يعنى الذين جاهدوا فى طاعتنا وفى ديننا لنوفقنهم لذلك) .

الخامس : الاستغفار دون الندم (يعنى يقول : أستغفر الله ولا يندم على ما كان من الذنوب ، لم ينفعه الاستغفار ، يعنى الندامة) .

السادس : العلانية دون السريرة (يعنى يصلح أموره فى العلانية ولا يصلحها فى السر ، لم تنفعه علانيته شيئا) .

السابع : أن يعمل بالكد دون الاخلاص (يعنى يجتهد فى الطاعات ولا تكون أعماله خالصة لوجه الله تعالى ، لم تنفعه أعماله بغير اخلاص ويكون ذلك اغترارا منه بنفسه) .

---

(١) رواه احمد باسناد جيد ، وابن ابى الدنيا والبيهقى فى « الزهد » .
(٢) رواه ابن ماجه ، وابن خزيمة فى صحيحه ، والبيهقى .
(٣) العنكبوت : ٦٩

ومن أقوالهم أيضا :

مثل الذى يعمل للرياء والسمعة ، كمثل رجل خرج الى السوق وملأ كيسه حصاة ، فيقول الناس : ما أملأ كيس هذا الرجل ، ولو أراد أن يشترى به شيئا لا يعطى به شىء ، فكذلك الذى يعمل للرياء والسمعة ؛ لا منفعة له سوى مقالة الناس ولا ثواب له فى الآخرة •

للمرائى أربع علامات : يكسل اذا كان وحده ، وينشط اذا كان مع الناس ، ويزيد فى العمل اذا أثنى عليه ، وينقص اذا ذم به •

قال عمر رضى الله عنه : من أظهر للناس خشوعا فوق مافى قلبه أظهر نفاقا على نفاق •

وقال أيضا : من تخلق للناس بما ليس خلقا له شانه الله •

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل   خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله عنك بغافل   ولا أن ما تخفى عليه يغيب

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ولا تنس قول الله تعالى : « **لئن أشركت ليحبطن عملك** »[1] وضع نصب عينيك وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى ذر رضى الله عنه التى يقول فيها :

« أحكم السفينة فان البحر عميق ، واستكثر الزاد فان السفر طويل ، وخفف ظهرك فان العقبة كؤود ، وأخلص العمل فان الناقد بصـــير » •

وتأمل قول القائل :

عمـدة الدين عندنا كلمات   أربع من كلام خير البرية
اتق الشبهات ، وازهد ، ودع   ما ليس يعنيك ، واعملن بنية

* * *

وأما عن ذكر الله تعالى الذى يوصينا به المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فهو السبيل الوحيد الى توطيد الصلة بين العبد وربه ، وهو أيضا الطريق الى المغفرة والأجر العظيم بدليل قوله تبارك وتعالى فى الحديث القدسى : « أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه اذا ذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ

---

(١) الزمر : ٦٥

خير منهم ، وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا ، واذا أتانى يمشى أتيته هرولة »[١] .

وقوله تعالى فى كتابه العزيز : « **والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما** »[٢] .

وهذا هو المعنى الكبير الذى تشير اليه الآية الكريمة : « **فاذكرونى أذكركم** »[٣] أى :

اذكرونى بخدمتى .. أذكركم بنعمتى .
اذكرونى بالتوحيد .. أذكركم بالتأييد .
اذكرونى بالشكر .. أذكركم بالمزيد .
اذكرونى بالمحبة .. أذكركم بالقربة .
اذكرونى بالخوف .. أذكركم بالأمان .
اذكرونى بالرجاء .. أذكركم بتحقيق الآمال .

كما يقول الموحدون الذين عرفوا الله تعالى فعرفهم ، وذكروه فذكرهم فكانوا بذلك على صلة وثيقة به لدرجة أن أحدهم قال : « اننى أعرف متى يذكرنى ربى » وعندما تعجب القوم تلا قول الله تعالى : « **فاذكرونى أذكركم** » .

* * *

واذا كان الله سبحانه وتعالى يأمرنا فى كتابه العزيز بأن نذكره ذكرا كثيرا فى قوله تبارك وتعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا** »[٤] .

فحسبى حتى تعرف حقيقة الذكر الكثير أن أسوق اليك هذين الحديثين الشريفين :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ، أو صلى ركعتين جميعا كتبا فى الذاكرين الله كثيرا والذاكرات »[٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) الأحزاب : ٣٥
(٣) البقرة : ١٥٢ .
(٤) الأحزاب : ٤١
(٥) رواه أبو داوود والنسائى وابن ماجه فى سننهم .

قال : « سبق المفردون » ، قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : « الذاكرون الله كثيرا والذاكرات »[١] .

وهذه الأقوال المـأثورة :

قال ابن عباس رضى الله عنهما : « المراد : يذكرون الله فى أدبار الصلوات ، وغدوا ، وعشيا ، وفى المضاجع ، وكلما استيقظ من نومه ، وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله تعالى » .

وقال مجاهد : « لا يكون من الذاكرين كثيرا والذاكرات حتى يذكر الله قائما ، وقاعدا ، ومضطجعا » .

وقال عطاء : « من صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل فى قوله تعالى **« والذاكرين الله كثيرا والذاكرات »** .

وسئل الامام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله عن القدر الذى يصير به من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات فقال : « اذا واظب على الأذكار المـأثورة المثبتة صباحا ومساء فى الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهارا » .

ويكون الذكر بالقلب ، ويكون باللسان ، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعا ، فان اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل .

ومن أهم شروطه : أن يكون الذاكر حاضر القلب مع الله تعالى ، وأن لا يكون غافلا ولا ذاهلا عند ذكره :

فان القلب كما يقولون : أوعية أسرار الغيوب ، فرب ذاكر لله لحظة بقلب حاضر ، خير ممن ذكره ألف سنة بلا حضور قلب .

وثمرة حضور العبد مع الله : شهوده له تعالى فى كل شىء بحيث يعلم أنه ناظر اليه ، ومطلع عليه ، وعند ذلك يتحقق بقوله تعالى فى كتابه المجيد : **« ونحن أقرب اليه من حبل الوريد »**[٢] .

وفى هذا يقول أحدهم :

ذكرتك لا أنى نسيتك لمحة — وأيسر ما فى الذكر ذكر لسانى
وكدت بلا وجد أموت من الهوى — وهان على القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى — شـهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغـير تكلم — ولاحظت معلوما بكل عيـان

---

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة ق : ١٦

كما كان أحدهم يقول :

الأصول التى يبنى عليها المريد أمره أربعة : اشتغال اللسان مع حضور القلب بذكر الله ، وجبر القلب على مراقبته ، ومخالفة النفس والهوى من أجله ، وتصفية النية لعبوديته ، وهى القطب وبها تزكو الجوارح ويصفو القلب .

وفى الذكر فوائد كثيرة ذكرها ابن قيم الجوزية فى كتابه « الوابل الصيب من الكلم الطيب » خلاصتها باختصار وتصرف :

أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره .
وأنه يرضى الرحمن عز وجل .
وأنه يزيل الهم والغم عن القلب .
وأنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط .
وأنه يقوى القلب والبدن .
وأنه ينور الوجه والقلب .
وأنه يجلب الرزق .
وأنه يكسو الذاكرة المهابة ، والحلاوة ، والنضرة .
وأنه يورث المحبة التى هى روح الاسلام .
وأنه يورث المراقبة التى توصله الى درجة الاحسان .
وأنه يورث الانابة ، وهي الرجوع الى الله عز وجل .
وأنه يورث القرب من الله عز وجل .
وأنه يفتح للذاكر بابا عظيما من أبواب المعرفة التى تزداد بكثرة ذكره لله .
وأنه يورثه الهيبة لله عز وجل الذى تربع حبه على قلبه .
وأنه يورثه ذكر الله تعالى له .
وأنه يورثه حياة القلب .
وأنه قوت القلب والروح .
وأنه يورث جلاء القلب من صدئه .
وأنه يحط الخطايا ويذهبها لأنه من أعظم الحسنات .
وأنه يزيل الوحشة بين العبد وربه تبارك وتعالى .
وأنه يذكر العبد الذاكر عند ربه فى وقت الشدائد .
وأنه منجى من عذاب الله تعالى .

وأنه سبب تنزيل السكينة ، وغشيان الرحمة ، وحفوف الملائكة بالذاكر •

وأنه يشغل اللسان عن الغيبة ، والنميمة ، والكذب ، والفحش ، والباطل •

وأن مجالسه هى مجالس الملائكة ، بعكس مجالس اللغو والغفلة فهى مجالس الشياطين •

وأنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة •

وأنه مع البكاء والخلوة سبب لاظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر فى ظل عرشه سبحانه وتعالى •

وأنه سبب لعطاء الله سبحانه وتعالى الذاكر الذى شغله ذكره عن مسألته سبحانه •

وأنه أيسر العبادات •

وأنه غراس الجنة •

وأنه أساس العطاء والفضل الذى لم يرتب على غيره من الأعمال •

وأنه يوجب الأمان من نسيان الله سبحانه وتعالى للعبد الذاكر فى معاشه ومعاده •

وأنه نور للذاكر فى الدنيا ، وفى قبره ، وفى معاده يسعى بين يديه على الصراط •

وأنه ينبه القلب من نومه ، ويوقظه من سنته •

وأنه شجرة تثمر المعارف والأحوال التى شمر اليها السالكون •

وأنه يعدل عتق الرقاب ، ونفقة الأموال ، والحمل على الخيل فى سبيل الله عز وجل ، ويعدل الضرب بالسيف فى سبيل الله •

وأنه رأس الشكر •

وأنه شفاء القلب ودواؤه •

وأنه أصل موالاة الله عز وجل ورأسها •

وأنه يجلب نعم الله عز وجل ، ويدفع نقمه •

وأنه يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر •

وأنه من أكبر العون على طاعة الله عز وجل •

وأنه يسهل الصعب ، وييسر العسير ، ويخفف المشاق •

وأنه يذهب عن القلب مخاوفه كلها •

وأنه يعطى الذاكر قوة نورانية •

وأنه سد بين العبد وبين جهنم .
وأنه أمان من النفاق .
وأنه يكسو الوجه نضرة فى الدنيا ، ونورا فى الآخرة .

* * *

وحسبى بعد ذكر هذه الفوائد العظيمة التى أرجو أن تكون من الفائزين بها ، أن أسوق اليك هذه الأحاديث الشريفة المرغبة فى الذكر :

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من انفاق الذهب والفضة ، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « ذكر الله عز وجل »(١) .

عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت »(٢) .

عن عبد الله بن بسر رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله .. ان شرائع الاسلام قد كثرت على فأخبرنى بشىء أتشبث به ، قال : « لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله »(٣) .

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : ان آخر كلام فارقته عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قلت : أى الأعمال أحب الى الله ؟ قال : « أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله »(٤) .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « لكل شىء صقالة ، وان صقالة القلوب : ذكر الله عز وجل » قالوا : ولا الجهاد فى سبيل الله عز وجل ؟ قال : « ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع »(٥) .

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما عمل آدمى عملا قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل »(٦) .

---

(١) رواه الامام أحمد باسناد حسن ، وابن أبى الدنيا والترمذى وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الاسناد ، والبيهقى عن أبى الدرداء .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه الحاكم باسناد صحيح .

(٤) رواه الطبرانى وغيره .

(٥) رواه البيهقى مرفوعا .

(٦) رواه الامام أحمد فى مسنده .

ومن أجمل وصاياه صلوات الله وسلامه عليه تلك الوصية الجامعة التى أوصى بها أم أنس رضى الله عنها حينما قالت له : يا رسول الله .. أوصنى ، فقال لها : « اهجرى المعاصى ، فانها أفضل الهجرة ، وحافظى على الفرائض فانها أفضل الجهاد ، وأكثرى من ذكر الله فانك لا تأتين بشىء أحب اليه من كثرة ذكره » .

قال النووى فى كتابه « الأذكار » :

واعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة فى التسبيح ، والتهليل ، والتحميد ، والتكبير ، ونحوها ، بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله تعالى ، كذا قاله سعيد بن جبير رضى الله عنه وغيره من العلماء .

* * *

وأما عن مجالس الذكر وهى : مجلس الحلال والحرام ، كيف تشترى وتبيع ، وتصلى وتصوم ، وتنكح وتطلق ، وتحج ، وأشباه هذا .. كما يقول عطاء رحمه الله :

فهى : المجالس التى يذكر فيها كلام الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأخبار السلف الصالحين ، وكلام الأئمة الزهاد المتقدمين المبرأة عن التصنع والبدع ، والمنزهة عن المقاصد الردية والطمع .. كما يقول القرطبى رحمه الله .

فهى : مجالس الذكر والطاعات .. كما يقول ابن حجر رحمه الله . فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يرغب فيها ، فقد ورد :

عن معاوية رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال : « ما أجلسكم » ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للاسلام ومن به علينا . قال : « آلله ما أجلسكم الا ذلك » ؟ قالوا : آلله ما أجلسنا الا ذلك . قال : « أما انى لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة »[١] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لله ملائكة يطوفون فى الطرق — يلتمسون أهل الذكر —

---

(١) رواه مسلم .

فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا : هلموا الى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا •

قال : فيسألهم ربهم — وهو أعلم بهم — : ما يقول عبادى ؟

قال : يقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ، ويمجدونك •

قال : فيقول : هل رأونى ؟ قال : فيقولون : لا والله يا رب •

قال : فيقول : كيف لو رأونى ؟

قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد تمجيدا ، وأكثر لك تسبيحا •

قال : فيقول : فما يسألونى ؟ قال : يقولون : يسألونك الجنة •

قال : فيقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها •

قال : فيقول : فكيف بهم لو رأوها ؟ قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة •

قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : يتعوذون من النار •

قال : فيقول : وهل رأوها ؟ قال : يقولون : لا والله ما رأوها •

قال : فيقول فكيف لو رأوها ؟ قال : فيقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة •

قال : فيقول : أشهدكم أنى قد غفرت لهم •

قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، انما جاء لحاجة •

قال : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »[1] •

وفى رواية أخرى : « فيقول : وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم »[2] •

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : « حلق الذكر »[3] •

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليبعثن الله أقواما يوم القيامة فى وجوههم النور على منابر اللؤلؤ ، تغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء » قال :

---

(١) رواه البخارى . (٢) من رواية مسلم •

(٣) رواه الترمذى وحسنه .

فجثا أعرابى على ركبتيه فقال : يا رسول الله .. صفهم لنا نعرفهم . قال : « هم المتحابون فى سبيل الله من قبائل شتى يجتمعون على ذكر الله يذكرون »[١] .

وعن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى الا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله تعالى فيمن عنده »[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه الا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة »[٣] .



فاذكر كل هذا مع ملاحظة : أنه ينبغى أن يكون الذاكر على أكمل الصفات ، فان كان جالسا فى موضع استقبل القبلة وجلس متذللا متخشعا بسكينة ووقار مطرقا رأسه ، ولو ذكر على غير هذه الأحوال جاز ولا كراهة فى حقه ، لكن ان كان بغير عذر كان تاركا للأفضل . والدليل على عدم الكراهة قول الله تعالى : **« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض »**[٤] .

وينبغى أن يكون الموضع الذى يذكر فيه خاليا عن كل ما يشغل البال ويحصل من وجوده الاشتغال والوسواس ، ونظيفا[٥] فانه أعظم فى احترام الذكر والمذكور ، ولهذا مدح الذكر فى المساجد والمواضع الشريفة .

وينبغى أن يكون الذاكر فمه نظيفا ، فان كان فيه تغير[٦] أزاله بالسواك ، فان كان فيه نجاسة أزالها بالغسل بالماء ، فلو ذكر ولم يغسلها فهو مكروه ولا يحرم . ولو قرأ القرآن وفمه نجس : كره . وفى تحريمه وجهان أصحهما : لا يحرم .

---

(١) رواه الطبرانى باسناد حسن .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه فى السنن .
(٤) آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١ .
(٥) اى طاهرا .
(٦) اى تنبعث منه رائحة كريهة .

وأنه قد أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمحدث والجنب والحائض والنفساء • وذلك فى التسبيح ، والتهليل ، والتحميد ، والتكبير ، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] ، أما قراءة القرآن فانها تحرم على الجنب والحائض والنفساء سواء أكانت القراءة قليلة أو كثيرة حتى بعض آية •

ويجوز لهم اجراء القرآن على القلب من غير لفظ كما يجوز لهم النظر فى المصحف وامراره على القلب •

قال النووى فى كتابه « الأذكار » : وقال أصحابنا : ويجوز للجنب والحائض أن يقولا عند المصيبة : « **انا لله وانا اليه راجعون** »[2] •

وعند ركوب الدابة : « **سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين** »[3] •

وعند الدعاء : « **ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** »[4] •

اذا لم يقصدا به القرآن ، ولهمـا أن يقولا : « بسم الله والحمد لله » •

اذا لم يقصدا به القرآن سواء قصدا الذكر أو لم يكن لهما قصد ، ولا يأثمان الا اذا قصدا القرآن ، ويجوز لهما قراءة ما نسخت تلاوته : « كالشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما » •

* * *

هذا : وتلاوة القرآن هى أفضل الأذكار •

وقد ورد فى فضلها وفضله :

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عايه وسلم : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : « ألم » حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »[5] •

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن مسألتى ،

---

(١) والدعاء وغير ذلك •
(٢) البقرة : ١٥٦
(٣) الزخرف : ١٣
(٤) البقرة : ٢٠١
(٥) رواه الترمذى •

أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه »[١] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه[٢] له أجران » .

وفى رواية : « والذى يقرؤه وهو يشتد عليه له أجران »[٣] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يجىء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول : يا رب .. حله ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا رب .. زده ، فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول : يا رب .. ارض عنه ، فيرضى عنه ، فيقال له : اقرأ وارق ، ويزاد بكل آية حسنة »[٤] .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن ، فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى اليه .

لا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل وفى جوفه كلام الله »[٥] .

وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس والداه يوم القيامة تاجا من نور ، ضوءه مثل الشمس ، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما الدنيا ، فيقولان : بم كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن »[٦] .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[٧] .

* * *

(١) رواه الترمذى .　　(٢) أى وهو عليه شاق .
(٣) رواه البخارى ومسلم واللفظ له .
(٤) رواه الترمذى وحسنه وابن خزيمة والحاكم وقال : صحيح الاسناد .
(٥) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .
(٦) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .
(٧) رواه البخارى ومسلم .

واذا أردت أن تعرف :

أحب الكلام الى الله عز وجل بعد القرآن

فاليــك :

عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحب الكلام الى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر »(١) .

وفى وجه آخر : « أفضل الكلام بعد القرآن أربع — وهن من القرآن — : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر »(٢) .

وفى أثر آخر : « أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته : سبحان الله وبحمده » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لأن أقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، أحب الى مما طلعت عليه الشمس »(٣) .

وابدأ ذكرك بالاستغفار .

وحسبك ترغيبا لك فيه قول الله تبارك وتعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه : « **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** »(٤) وقــوله : « **ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما** »(٥) وقوله على لسان سيدنا نوح عليه السلام : « **فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا** »(٦) .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) رواه مسلم .

(٢) عزاه السيوطى فى « الجامع الصغير » الى الامام احمد عن رجل وعلم عليه بالصحة وليس فيه : « بعد القرآن » ولا « وهى من القرآن » .

(٣) رواه مسلم . (٤) الانفال : ٣٣

(٥) النساء : ١١٠ (٦) نوح : ١٠ — ١٢

وسلم : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كلّ ضيق مخرجا ، ومن كل هم فرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب »[١] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم »[٢] .

وعن عبد الله بن بسر رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طوبى لمن وجد فى صحيفته استغفارا كثيرا »[٣] .

ومن أهم صيغه :

« ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »[٤] .

« لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين »[٥] .

« اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ، ولا يغفر الذنوب الا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك ، وارحمنى ، انك أنت الغفور الرحيم »[٦] .

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد مائة مرة : « رب اغفر لي وتب على ، انك أنت التواب الرحيم »[٧] .

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ، غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف »[٨] .

وعن شداد بن أوس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار أن يقول العبد :

اللهم أنت ربى ، لا اله الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى ، فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت .

---

(١) رواه ابو داوود وابن ماجه . (٢) رواه مسلم .
(٣) رواه ابن ماجه باسناد جيد . (٤) الأعراف : ٢٣
(٥) الأنبياء : ٨٧
(٦) حديث شريف متفق عليه ، وفى رواية اخرى : « ظلما كبيرا » .
(٧) رواه ابو داوود والترمذى وابن ماجة .
(٨) رواه أبو داوود والترمذى ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط البخارى ومسلم .

من قالها بالنهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة »[(١)] .

* * *

فاذكر كل هذا مع ملاحظة ما روى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر له »[(٢)] .

وفى رواية أخرى : « ينزل الله سبحانه وتعالى الى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضى ثلث الليل الأول فيقول : أنا الملك .. أنا الملك .. من ذا الذى يدعونى فأستجيب له ، من ذا الذى يسألنى فأعطيه ، من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له ، فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر »[(٣)]

وفى رواية : « اذا مضى شطر الليل ــ أو ثلثاه ــ » .

وعن عمرو بن عبسة رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الأخير فان استطعت أن تكون ممن يذكر الله تعالى فى تلك الساعة فكن »[(٤)] .

وكن من : « **المستغفرين بالأسحار** »[(٥)] .

« ... **واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار** »[(٦)] .

« ... **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** »[(٧)] .

وحسبك : أن النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يقول :

« انه ليغان على قلبى وانى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة »[(٨)] .

---

(١) رواه البخارى ، و « أبوء » اى أعترف .

(٢) رواه البخارى ومسلم . (٣) رواه مسلم .

(٤) رواه ابو داوود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٥) آل عمران : بلفظ « ... **والمستغفرين** » .

(٦) غافر : ٥٥ (٧) محمد : ١٩

(٨) رواه مسلم .

ويقول : « والله انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة »[١] .

وأكثر من التهليل وهو الذكر : بلا اله الا الله ، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« خير ما قلته أنا والنبيون من قبلى : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير »[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أكثر من ذلك »[٣] .

مع ملاحظة أنها : كلمة التوحيد ، وكلمة الاخلاص ، وكلمة التقوى ، والكلمة الطيبة ، ودعوة الحق ، والعروة الوثقى ، وثمن الجنة .

وأن معناها : لا معبود بحق الا الله .

ولهـذا كان :

« أفضل الذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله »[٤] .

وكان أسعد الناس بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من قال :

« لا اله الا الله خالصا من قلبه ــ أو نفسه »[٥] . وجاء فى معنى اخلاصها : عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا اله الا الله مخلصا[٦] دخل الجنة ، قيل : وما اخلاصها ؟ قال : « أن تحجزه عن محارم الله »[٧] .

وأكثر كذلك من التسبيح والتحميد والتكبير والحوقلة ، تنفيذا لأمر الله سبحانه وتعالى فى قوله :

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة .

(٢) رواه الترمذى بسنده .　　(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) رواه الحاكم وقال عنه : انه صحيح الاسناد .

(٥) رواه البخارى .

(٦) اى معتقدا لمعناها ، والا كان منافقا .

(٧) رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير ، الا انه قال : « ان تحجزه عما حرم الله عليه » .

« وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب • ومن الليل فسبحه وأدبار السجود »[١] •

« وسبح بحمد ربك حين تقوم • ومن الليل فسبحه وادبار النجوم »[٢] •

« فسبح بحمد ربك واستغفره ، انه كان توابا »[٣] •

* * *

وحسبك ترغيبا لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« التسبيح نصف الميزان ، والحمد لله تملؤه ، ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص اليه »[٤] •

« لأن أقول : سبحان الله والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، أحب الى مما طلعت عليه الشمس »[٥] •

« أحب الكلام الى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، لا يضر بأيهن بدأت »[٦] •

« استكثروا من الباقيات الصالحات » قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : « التكبير ، والتهليل ، والتسبيح ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله »[٧] •

واعلم : أن كل شيء فى هذا الملكوت يسبح الله تبارك وتعالى ، وفى ذلك يقول سبحانه : **« وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم »**[٨] ويقول : **« سبح لله ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم »**[٩] •

ومن أجمل ما قرأت فى هذا الموضوع :

أن سليمان عليه السلام عندما كان على بعد ثلاثة أميال من وادى النمل سمع النملة تقول لبنى جنسها : **« يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون • فتبسم ضاحكا من قولها**

---

(١) سورة ق : ٣٩ ، ٤٠ (٢) الطور : ٤٨ ، ٤٩

(٣) النصر : ٣

(٤) رواه الترمذى عن عبد الله بن عمرو .

(٥) رواه مسلم والترمذى عن أبى هريرة .

(٦) رواه مسلم وابن ماجه عن سمرة بن جندب .

(٧) رواه احمد وابو يعلى والنسائى عن أبى سعيد الخُدرى .

(٨) الاسراء : ٤٤ (٩) الحديد : ١

وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين »[١] •

ثم أمر جنده بأن ينتظروا بعيدا عن وادى النمل الذى قيل انه بالطائف — أو بالشام — حتى يدخل النمل مساكنه •

وعندما ذهبت النملة بعد ذلك لكى تشكره عاتبها قائلا : لم حذرت النمل •• أخفت من ظلمى ؟ أما علمت أنى نبى عدل ؟ فلم قلت : « **لا يحطمنكم سليمان وجنــوده** » ؟ فقالت : أما سمعت قــولى : « **وهم لا يشعرون** » مع أنى لم أرد حطم النفوس وانما أردت حطم القلوب ، خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ويفتتن بالدنيا ويشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح والذكر •

واعلم كذلك أن معناه : تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الشريك فى الخلق ، وعن الشريك فى القدرة أو الارادة ، أو المنح ، أو المنع •

فكن من أجل كل هذا من أولى الألباب :

« **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض** »[٢] ، ثم يقولون : « **ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** »[٣] •

* * *

وتأمل كذلك هذا الأثر الذى يحكى : أن رجلا من الصالحين مر على رجل ضربه الفالج والدود يتناثر من جنبيه ، وأعمى وأصم وهو يقول : « الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من خلقه • فتعجب الرجل ثم قال له : يا أخى •• ما الذى عافاك الله منه ، لقد رأيت جميع المصائب وقد تزاحمت عليك ؟ فقال له : اليك عنى يا بطال ، فانه عافانى اذ أطلق لى لسانا يوحده ، وقلبا يعرفه ، وفى كل وقت يذكره •• ثم قال :

حمــدت الله ربى اذ هــدانى الى الاســلام والدين الحنيف
فيذكره لســانى كلّ وقتٍ ويعـــرفه فؤادى باللطيف

* * *

واذا كان الله سبحانه وتعالى يأمرنا فى كتابه العزيز بالصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بعد أن صلى عليه

---

(١) النمل : ١٨ ، ١٩
(٢) آل عمران : ١٩١
(٣) آل عمران : ١٩١

مع ملائكته ، فيقول : « ان الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما[١] »[٢] .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرغبنا فى الصلاة والسلام عليه فيقول :

« من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا »[٣] .

ويقول : « أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة »[٤] .

ويقول : « البخيل من ذكرت عنده ولم يصل على »[٥] .

فهذا معناه : أن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة باتفاق العلماء ، وان كانوا قد اختلفوا فى تعين الواجب :

فعند الامام مالك رضى الله عنه : تجب الصلاة والسلام فى العمر مرة .

وعند الامام الشافعى رضى الله عنه : تجب فى التشهد الأخير من كل فرض .

وعند غيرهما : تجب فى كل مجلس مرة .

وقيل : تجب عند ذكره صلى الله عليه وسلم .

* * *

وحتى تعرف أهميتها وتكثر من الذكر بها اليك هذين الحديثين الشريفين :

عن محمد بن يحيى بن حبان ، عن أبيه ، عن جده رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله .. أجعل ثلث صلاتى عليك ؟ قال : « نعم ، ان شئت » قال : الثلثين ؟ قال : « نعم ، ان شئت » قال : فصلاتى كلها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذن يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك »[٦] .

وعن أبى بن كعب رضى الله عنه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال : « يا أيها الناس .. اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه » قال أبى بن كعب :

---

(١) الصلاة من الله رحمة ، ومن الملائكة استغفار ، ومن المؤمنين دعاء .

(٢) الأحزاب : ٥٦   (٣) رواه مسلم .

(٤) رواه الترمذى وقال : حسن .

(٥) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

(٦) رواه الطبرانى ، والمراد الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

فقلت : يا رسول الله .. انى أكثر الصلاة ، فكم أجعل لك من صلاتى ؟
قال : « ما شئت » قال : قلت : الربع ؟
قال : « ما شئت ، وان زدت فهو خير لك » قال : فقلت : فالثلث ؟

قال : « ما شئت ، فان زدت فهو خير لك » قال : قلت : النصف ؟
قال : « ما شئت ، وان زدت فهو خير لك » قال : قلت : أجعل صلاتى كلها ؟ قال : « اذن تكفى همك ، ويغفر لك ذنبك »(١) .

والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم مطلوبة فى كل وقت ، غير أنه صلى الله عليه وسلم قد حث عليها فى يوم الجمعة بالذات لما فيه من البركة والنور .

فعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة ، وان أحدا لن يصلى على الا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها » قال : قلت : وبعد الموت ؟ قال : « ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام »(٢) .

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أفضل أيامكم يوم الجمعة : فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة على » قالوا : يا رسول الله .. وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ ــ يعنى بليت ــ فقال :

« ان الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »(٣) .

* * *

وأفضل صيغ الصلاة عليه صلوات الله وسلامه عليه ما روى :
عن أبى مسعود الأنصارى رضى الله عنه قال :
أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مجلس سعد بن عبادة فقال له ابن بسير بن سعد : أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه احمد والترمذى والحاكم وصححه وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٢) رواه ابن ماجه باسناد جيد .

(٣) رواه احمد وابو داوود وابن ماجه وابن حبان والحاكم .

حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد .. والسلام كما قد علمتم »[١] .

وعن رويفع بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قال : اللهم صل على محمد ، وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة ، وجبت له شفاعتى »[٢] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة[٣] فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه .

قال : فقالوا له : فعلمنا ، قال : قولوا :

اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين ، وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك ، امام الخير ، وقائد الخير ، ورسول الرحمة .

اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد .

اللهم بارك على محمد ، وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم ، انك حميد مجيد »[٤] .

* * *

وهناك صيغ كثيرة من المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذين عرفوا قدره ، قد لا تحصى ولا تعد ، وكلها تؤكد الصلة الوثيقة بينهم وبين هذا الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، الذى أرسله الله رحمة للعالمين والذى لولاه لما كان هناك نور ، ولظل العالم أجمع الى يومنا هذا فى ضلال مبين .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البزار والطبرانى فى الكبير والاوسط ، وبعضهم اسانيدهم حسنة ، وكذلك رواه الامام أحمد .

(٣) أى اتقنوها وجودوها واذكروه فيها بما هو أهله .

(٤) رواه ابن ماجه موقوفا باسناد حسن .

وحول هذا المعنى الكبير يقول امامنا السبكى عليه رحمة الله (فى مقاماته العلية) :

يقول طه لعموم الانس وغيرهم غراسكم من غرسى
(وهو الذى أنشأكم من نفس) لولا وجودى وطلوع شمسى
لم تبدلوا من طيكم بالنشر
يقول طه لجميع الخلق لولا وجودى وظهور برقى
(ما أنزل الله لكم من رزق) ولم يكن أمدكم بودق[1]
لكن لعين ألف عين تجرى

كما يقول عليه رحمة الله معبرا عن حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومرغبا فى الصلاة والسلام عليه صلوات الله وسلامه عليه :

طه الذى عم الأنام بفضله ساد النبيين الأولى من قبله
هو صفوة البارى وخاتم رسله يا أيها المستمسكون بحبله
ان تبتغوا أجرا يكون جزيلا صلوا عليه بكرة وأصيلا
الله أدناه اليه وقربا فعلا مقاما لم ينله أولو النبا
وله يقول : أبشر فأنت المجتبى أهلا وسهلا بالحبيب ومرحبا
أنت الذى تستوجب التفضيلا صلوا عليه بكرة وأصيلا
ملأت نبوته الوجود وأظهرا بحسامه الدين الصحيح فأسفرا
واستبشرت فرحا ببعثته الورى ومحا الضلال كما بذلك خبرا
نص الكتاب مفصلا تفصيلا صلوا عليه بكرة وأصيلا
والسحب لا تحكى عطاياه فما أنداه بحرا بالسخاء وأكرما
أنعم بمن أسنى الكمال له انتمى مولاه قد صلى عليه وسلما
من لم يصل عليه كان بخيلا صلوا عليه بكرة وأصيلا

* * *

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام واذكر الله بكرة وأصيلا . و :

ان شئت من بعد الضلالة تهتدى صل على الهادى البشير محمد
يا فوز من صلى عليه فانه يحوى الأمانى بالنعيم السرمدى

وقد قيل : ان للمصلين على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم عشر كرامات :

---

(١) الودق : اى المطر .

احداهن : صلاة الغفار ، الثانية : شفاعة النبى المختار ، الثالثة : الاقتداء بالملائكة الأبرار ، الرابعة : مخالفة المنافقين والكفار ، الخامسة : محو الخطايا والأوزار ، السادسة : قضاء الحوائج والأوطار ، السابعة : تنوير الظواهر والأسرار ، الثامنة : النجاة من النار ، التاسعة : دخول دار القرار ، العاشرة : سلام الملك لغفار •

يا قومنا صلوا عليه فتظفروا ... بالبشر والعيش الهنى الأرغد
ويخصكم رب الأنام بفضله ... بأفاضل الجنات يوم الموعد
صلى عليه الله جل جلاله ... ما لاح فى الآفاق نجم الفرقد

* * *

وتذكر :

أن فى الجنة ملائكة يغرسون الأشجار للذاكرين فاذا ترك الذاكر الذكر توقف الملك عن الغرس وقال : ترك صاحبى الذكر •

وأن بيوت الذاكرين لها نور يراه الملائكة بقدر ما فيها من الذكر كما نرى نحن النجوم فى السماء •

وأن من ذكر الله على الحقيقة نسى فى جنب ذكراه كل شىء ، وحفظ الله عليه كل شىء ، وكان له عوضا من كل شىء[1] •

وأن ذكر اللسان حسنات ، وذكر القلب قربات ودرجات •

وابحث عن قلبك فى ثلاث مواطن : عند سماع القرآن ، وفى مجالس الذكر ، وفى أوقات الخلوة •

فان لم تجده فى هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب فانه لا قلب لك[2] •

واعلم أن :

دواء قلبك خمس عند قسوته ... فدم عليها تفز بالخير والظفر
اخلاء بطن ، وقرآن تدبره ... كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه ... وأن تجالس أهل الخير والخبر

* * *

وأما عن الصدقة التى يوصينا المصطفى صلى الله عليه وسلم بالاكثار منها فهى باب من أبواب الخير بنص الحديث الشريف

---

(١) اثر لذى النون المصرى •

(٢) من كلام الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه •

الذى يقول فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضى الله عنه : « ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء المــاء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل شعار الصالحين » .

واذا كانت الصدقة تطفىء الخطيئة كما ورد فى الحديث فهى أيضا تطفىء غضب الرب سبحانه وتعــالى كما ورد فى حديث آخر قال فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم :

« ان الصدقة تطفىء غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء »(١) .

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يرغب فى الصدقة ويحث عليها فيقول :

عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان العبد ليتصدق بالكسرة(٢) تربو عند الله عز وجل حتى تكون مثل أحد »(٣) .

وعن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله ليربى لأحدكم الثمرة كما يربى أحــدكم فلوه(٤) أو فصيله(٥) حتى تكون مثل أحد »(٦) .

وعن عائشة رضى الله عنها أنهم ذبحوا شاة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما بقى منها » ؟ قالت : ما بقى منها الا كتفها . قال : « بقى كلها غير كتفها »(٧) .

وعنها رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عائشة .. استترى من النار ، ولو بشق تمرة(٨) ، فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان »(٩) .

وعن ميمونة بنت ســعد أنها قالت : يا رسول الله .. أفتنا

---

(١) رواه الترمذى فى جامعه من حديث انس بن مالك .
(٢) أى القطعة من الخبز . (٣) رواه الطبرانى فى الكبير .
(٤) هو المهر اول ما يولد .
(٥) أى ولد الناقة الى أن يفصل عن امه .
(٦) رواه الطبرانى وابن حبان فى صحيحه واللفظ له .
(٧) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٨) أى نصفها .
(٩) أى تدفع عنه بعض ما يجد من مس الجوع . رواه احمد باسناد حسن.

عن الصدقة[١] فقال : « انها حجاب من النار لمن احتسبها[٢] يبتغى بها وجه الله عز وجل »[٣] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبق درهم مائة درهم » فقال رجل : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : رجل له مال كثير أخذ من عرضه[٤] مائة درهم تصدق بها ، ورجل ليس له الا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به »[٥] .

ولا شك أنه تصدق به وهو أحوج ما يكون اليه فكان أدل على اخلاص صاحبه وشدة رغبته فى الصدقة وفى هذا يقول تعالى : **« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »**[٦] .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يرغب فى الصدقة بهذه الصورة التى وقفت عليها فقد بين فى أحاديث أخرى أفضل الصدقات التى تكون للمتصدق أكثر ثوابا ، وأعظم أجرا ، ومن هذه الأحاديث ما روى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : يا رسول الله .. أى الصدقة أفضل ؟ قال : « جهد المقل[٧] وابدأ بمن تعول »[٨] .

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله .. من أبر ؟ قال : « أمك ، ثم أمك ، ثم أمك ، ثم أباك ، ثم الأقرب فالأقرب »[٩] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يسأل رجل مولاه من فضل[١٠] هو عنده فيمنعه اياه ، الا دعى له يوم القيامة فضله الذى منعه شجاعا أقرع »[١١] .

---

(١) اى حدثنا عن اجر الصدقة وفضيلتها .
(٢) اى ادخرها عند الله . (٣) رواه الطبرانى .
(٤) اى من جانبه .
(٥) رواه النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحه واللفظ له ، والحاكم
(٦) الحشر : ٩ (٧) أى القليل المال .
(٨) رواه أبو داوود وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .
(٩) كالأخت والأخ ، ثم العمة والعم ، ثم الخال والخالة .. وهكذا .
(١٠) المراد ما زاد عن حاجته .
(١١) رواه أبو داوود واللفظ له والنسائى والترمذى وقال : حديث حسن

وعن سلمان بن عامر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذى الرحم[١] ثنتان : صدقة ، وصلة »[٢] .

فاذكر كل هذا مع ملاحظة :

قول الله تبارك وتعالى : **« أن تبدوا الصدقات فنعما هى ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم »**[٣] .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم ، عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنائع المعروف تقى مصارع السوء ، وصدقة السر تطفىء غضب الرب ، وصلة الرحم تزيد فى العمر »[٤] .

فهذا هو ما يعنيه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ... وكثرة الصدقة فى السر والعلانية » .

وذلك حتى يكون هنـاك الاخلاص الذى أشار اليه الرسـول صلى الله عليه وسلم فى حديث صحيح قال فيه : « ... ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه »[٥] .

والا رفض الله تعـالى صـدقتك كما جاء فى قوله تعـالى : **« لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس »**[٦] .

ثم اليك هذه الآثار التى أرجو أن تنتفع بها :

كان رجل من قوم صالح قد آذاهم ، فقالوا : يا نبى الله .. ادع الله عليه ، فقـال : اذهبوا فقـد كفيتموه . وكان يخـرج كل يوم يحتطب . قال : فخـرج يومئـذ ومعه رغيفـان ، فأكل أحدهما وتصـدق بالآخر . قال : فاحتطب ثم جاء بحطبه سالمـا فلم يصبه شىء ، قال : فدعاه صالح ، وقال : أى شىء صنعت اليوم ؟ قال : خرجت ومعى قرصان فتصدقت بأحدهما وأكلت الآخر . فقال صالح عليه السلام : حل حطبك ، فحله فاذا فيه ثعبان أسود مثل الجذع

---

(١) اى ذوى القربى المحتاجين .

(٢) رواه النسـائى والترمذى وحسنه وابن خزيمة وابن حبـان فى صحيحيهما ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٣) البقرة : ٢٧١

(٤) رواه الطبرانى فى الكبير باسناد حسن .

(٥) من حديث رواه البخارى ومسلم .

(٦) البقرة : ٢٦٤

عاض على جذع من الحطب ، فقال : بهذا دفع عنك • يعنى بالصدقة •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه : أن نفرا مروا على عيسى عليه السلام فقال : يموت أحد هؤلاء اليوم ان شاء الله تعالى ، فمضوا ثم رجعوا عليه سالمين بالعشى ومعهم حزم حطب • فقال : ضعوا ، وقال للذى قال انه يموت اليوم : حل حطبك ، فحله فاذا فيه حية سوداء ، فقال : ما عملت اليوم ؟ قال : ما عملت شيئا ، الا أنه كان معى فى يدى فلقة من خبز فمر بى مسكين فسألنى فأعطيته بعضها ، فقال له سيدنا عيسى عليه السلام : بها دفع عنك •

وعنه أيضا رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل أتى وكر طائر كلما أفرخ يأخذ فرخيه ، فشكا ذلك الطائر الى الله تعالى ما يفعل به ، فأوحى الله تعالى اليه : ان عاد فسأهلكه • فلما أفرخ الطائر خرج ذلك الرجل الى وكره على العادة ليأخذ أولاده ، فلما كان فى طرف القرية لقيه سائل فأعطاه رغيفا كان معه يتغذاه ، ثم مضى حتى أتى الوكر ثم وضع سلمه فأخذ الفرخين وأبواهما ينظران اليه ، فقالا : ربنا •• انك لا تخلف الميعاد ، وقد وعدتنا أنك تهلك هذا اذا عاد ، فقد أخذ فرخينا ولم تهلكه • فأوحى الله اليهما : ألم تعلما أنى لا أهلك أحدا تصدق فى يومه بميتة سوء » •

وفى الحديث ما يؤكد هذا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « باكروا بالصدقة ، فان البلاء لا يتخطى الصدقة »(١) • وباكروا : أى عجلوا ، وبادروا بالصدقة لأنها تدفع البلاء وتمنعه من نزوله •

وعن وهب بن منبه قال : بينما امرأة من بنى اسرائيل على ساحل البحر تغسل ثيابا وصبى لها يدب بين يديها اذ جاءها سائل فأعطته لقمة من رغيف كان معها فما كان بأسرع من أن جاء ذئب فالتقم الصبى ، فجعلت تعدو خلفه وهى تقول : يا ذئب •• ابنى • فبعث الله ملكا انتزع الصبى من فم الذئب ورمى به اليها وقال : لقمة بلقمة •

وقيل ان قصارا(٢) كان فى زمن سيدنا عيسى عليه السلام يهرش

---

(١) رواه البيهقى مرفوعا وموقوفا على انس •
(٢) القصار : هو الحطاب •

على الناس أقمشتهم ، فسألوا عيسى عليه السلام أن يدعو عليه ، فدعا عليه بالهلاك فبينما هم عند غروب الشمس ، واذا القصار قد دخل ورزمته على رأسه ، فعجبوا من ذلك وأتوا عيسى عليه السلام ، فطلبه فحضر برزمته فقال : افتح رزمتك ، ففتحها ، فاذا فيها ثعبان عظيم مطوق قد ألجم بلجام من حديد ، فقال له سيدنا عيسى : ما صنعت اليوم من الخير ؟ قال : ما صنعت شيئا الا أن رجلا نزل من صومعته فشكا الى جوعا فدفعت له رغيفا كان معى . فقال له عيسى عليه السلام : ان الله بعث اليك هذا العدو ، فلما تصدقت أمر الله ملكا فألجمه بهذا اللجـــام .

* * *

فتذكر كل هذا وكن من المتصدقين الشاكرين لله تعالى على ما أعطاهم بالمعنى الصحيح حتى تكون من الذين قال الله سبحانه وتعالى فى حقهم : **« ان المتقين فى جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم ، انهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليـــلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون . وفى أموالهم حق للسائل والمحروم »**[١] .

وحتى لا تكون من : **« الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون »**[٢] .

واياك اياك أن تكون من هؤلاء الذين تحدث الله عنهم فى قوله :

« ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون »[٣] .

واياك كذلك أن تكون بعيدا عن ميادين الخير حتى اذا جاءك ملك الموت قلت كما قال القائل الغافل الذى حدثنا الله سبحانه وتعالى عنه فى كتابه العزيز : **« رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين »**[٤] .

---

(١) الذاريات : ١٥ ــ ١٩

(٢) التوبة : ٣٤ ، ٣٥ بلفظ **« ... والذين »** .

(٣) التوبة : ٧٥ ــ ٧٧

(٤) المنافقون : ١٠

واعلم .. أنه من آثار الصدقة : الاستظلال بها يوم القيامة واكرام الله للمتصدق وتأمينه يوم الفزع الأكبر ، فقد ورد عن يزيد بن أبى حبيب أن أبا الخير مرثد بن عبد الله حدثه عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل امرىء فى ظل صدقته حتى يفصل بين الناس — أو يحكم بين الناس — » قال أبو زيد : وكان أبو الخير لا يخطئه يوم الا تصدق فيه بشىء ولو كعكة أو بصلة أو كذا[1] .

وأنه : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا »[2] .

وأن : « كل سلامى[3] من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس » قال : « تعدل بين اثنين صدقة ، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها — أو ترفع له عليها متاعه — صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة ، وتميط[4] الأذى عن الطريق صدقة »[5] .

وأن : « كل تسبيحة صدقة ، وتهليلة صدقة ، وتكبيرة صدقة ، وتحميدة صدقة ، وأمر بمعروف صدقة ، ونهى عن منكر صدقة ، ويجزىء أحدكم من ذلك كله ركعتان يركعهما من الضحى »[6] .

وأن : « كل معروف صدقة ، ومن المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك فى انائه »[7] .

وأن : « على كل مسلم صدقة » قيل : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : « يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق » قيل : أرأيت ان لم يستطع أن يفعل ؟ قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » قيل : أرأيت ان لم يستطع ؟

---

(١) اخرجه احمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٢) أخرجه مسلم .

(٣) اى مفصل ، وفى الانسان ٣٦٠ مفصل .

(٤) تميط الأذى ، اى تنحيه عن الطريق كالشوك والحجر .

(٥) اخرجه احمد والشيخان ، وهذا لفظ مسلم .

(٦) من حديث اخرجه احمد ومسلم وابو داوود والنسائى والبيهقى .

(٧) اخرجه احمد والحاكم والترمذى وقال : حسن صحيح ، واخرج مسلم صدره عن حذيفة ، والحديث رواه جابر .

قال : « يأمر بالمعروف أو الخير » قيل : أرأيت ان لم يفعل • قال : « يمسك عن الشر فان له صدقة »[١] •

و : « اذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا »[٢] •

قال الامام السبكى رحمه الله فى كتابه « الدين الخالص »[٣] :

(والحديث) محمول على ما اذا علمت المرأة والخادم رضا رب المال بالتصدق منه • أما ان علم عدم رضاه أو شك فيه فلا يجوز لغيره التصدق من ماله الا باذن صريح ، وفرق بعض العلماء بين الزوجة والخادم بأن الزوجة : لها النظر فى مال الزوج والتصرف فى بيته ، فلها أن تتصدق بالمعتاد بلا اسراف •

وأما الخادم : فليس له التصدق من مال سيده الا باذن صريح •

وقال أبو أمامة الباهلى : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى خطبة عام حجة الوداع : « لا تنفق المرأة شيئا من بيت زوجها الا باذن زوجها » قيل : يا رسول الله •• ولا الطعام ؟ قال : « ذاك من أفضل أموالنا »[٤] •

وأن : الصالح التقى الواقف عند الحدود القائم بحق العباد والمعبود الذى ترجى بركته وتستجاب دعوته ، أولى بالصدقة من غيره ، وفى الحديث الشريف : « لا تصاحب الا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك الا تقى »[٥] •

واذا أردت أن لا يقطع عملك الصالح بعد موتك فاليك هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »[٦] •

---

(١) اخرجه احمد والشيخان والنسائى •

(٢) اخرجه الستة وابن حبان •

(٣) الجزء الثامن ص ٢٤٦ (٤) اخرجه الترمذى وحسنه •

(٥) اخرجه احمد وأبو داوود والترمذى وابن حبان والحاكم وقال : صحيح ، واقره الذهبى •

(٦) اخرجه احمد ومسلم والثلاثة •

وعن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أربع تجرى عليهم أجورهم بعد الموت : رجل مات مرابطا فى سبيل الله ، ورجل علم علما فأجره يجرى عليه ما عمل به ، ورجل أجرى صدقة فأجرها يجرى عليه ما جرت عليه ، ورجل ترك ولدا صالحا يدعو له »[١] .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تعالى ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة فيقول : يا رب .. أنى لى هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك »[٢] .

* * *

ولله در الحافظ السيوطى عليه رحمة الله ، فلقد قال فى هذا نظما :

اذا مات ابن آدم ليس يجرى ... عليه من خصال غير عشر
علوم بثها ودعاء نجل ... وغرس النخل والصدقات تجرى
وراثة مصحف ورباط ثغر ... وحفر البئر أو اجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوى ... اليه أو بناء محل ذكر
وتعليم لقرآن كريم ... فخذها من أحاديث بحصر

* * *

فشمر يا أخى عن ساعديك ، و :

بادر الى التوبة فى وقتها ... فالمرء مرهون بما قد جناه
وانتهز الفرصة ان أمكنت ... ما فاز بالكرم[٣] سوى من جناه

و :

تبت الى الله قبل أن تموت
وبادر بالأعمال الصالحة قبل أن تشغل ،
وصل الذى بينك وبين ربك :
بكثرة ذكرك له ، وكثرة الصدقة ،
فى السر والعلانية
حتى ترزق ، وتنصر ، وتجبر ...

* * *

---

(١) اخرجه احمد والطبرانى ، وفيه ابن لهيعة ورجل لم يسم ، لكن حسنه السيوطى لثبوته بالحديث السابق .

(٢) اخرجه احمد بسند رجاله رجال الصحيح .

(٣) اى العنب .

الوصية الثانية والعشرون

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أوصنى • قال :

« لا تغضب » •

فردد مرارا • قال :

« لا تغضب » •

(رواه البخارى)

* * *

فكن أخا الاسلام :

منتفعا بهذه الوصية الجامعة لخصال الخير ، والتى تؤكد بعد نظر أستاذ الأساتذة ، ونابغة العصور ، وحسبه فخرا أن الله سبحانه وتعالى قد أدبه فأحسن تأديبه ، حتى كان أهلا لأن يتوجه الله سبحانه وتعالى بقوله : **« وانك لعلى خلق عظيم »**[1] فكان قدوة صالحة وأسوة حسنة لمن أراد الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ، وكان سيدا للأولين والآخرين •

فهو هنا فى هذه الوصية التى بين يديك يقول للرجل الذى سأله أن يوصيه : « لا تغضب » وعندما يكرر الرجل المطلب يقول له أيضا : « لا تغضب » • وذلك لأن الغضب : هو ثوران دم القلب ، وارادة الانتقام ، وفى الحديث : « اتقوا الغضب فانه جمرة توقد فى قلب ابن آدم ، ألم تروا الى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه » •

وعن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال رجل : يا رسول الله •• أوصنى • قال : « لا تغضب » قال : ففكرت حين قال النبى صلى الله عليه وسلم ما قال ، فاذا الغضب يجمع الشر كله[2] •

---

(١) القلم : ٤

(٢) رواه أحمد ورواته محتج بهم فى الصحيح •

وهذا المعنى الأخير هو ما أريد أن يفهمه كل مسلم يريد أن يقوم أخلاقه ، وينتصر على شيطانه لأن الانسان اذا غضب لا يبالى بما يرتكب من الحماقات والمخالفات والمنكرات .

ولهذا كان البطل الحقيقى كما عرفه الرسول صلى الله عليه وسلم هو : من يملك نفسه عند الغضب ، فقد روى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس الشديد بالصرعة[1] انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب »[2] .

وفى رواية أخرى : « ليس الشديد من غلب الناس ، وانما الشديد من غلب نفسه »[3] ، وغلب نفسه : أى قهرها وكسر شهوتها للانتقام وتنفيذ الغضب .

ولهذا أيضا كان النبى صلى الله عليه وسلم يشجع الانتصار على النفس والتغلب عليها :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه آواه الله فى كنفه[4] ، وستر عليه برحمته ، وأدخله فى محبته[5] : من اذا أعطى شكر ، واذا قدر غفر[6] ، واذا غضب فتر »[7] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دفع غضبه[8] دفع الله عنه عذابه ، ومن حفظ لسانه ستر الله عورته »[9] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) اى ليس القوى الذى يغلب الناس ويصرعهم بقوته .

(٢) رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

(٣) رواها ابن حبان فى صحيحه مختصرة .

(٤) اى ضمه الى حضرته وحماه بحمايته واحاطه برعايته ، والكنف : اى الجانب .

(٥) وفى رواية : « وادخله جنته » .

(٦) اى اذا قدر على الانتقام ممن آذاه صفح عنه وغفر له أساءته .

(٧) اى انكسرت حدته . رواه الحاكم من رواية عمر بن راشد وقال : صحيح الاسناد .

(٨) اى كفه وقاومه .

(٩) اى عيوبه ونقائصه . رواه الطبرانى فى الأوسط .

عليه وسلم : « ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظمها عبد ابتغاء وجه الله »[١] .

وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كظم غيظا وهو قادر على أن ينفـذه دعاه الله سبحانه على رؤوس الخلائق[٢] حتى يخيره من الحور العين ما شاء »[٣] .

بل لقد كان النبى صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى لأصحابه ولأمته الى قيام الساعة فى الحلم ، والرفق ، والأناة ، فقد روى :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط الا أخذ أيسرهما[٤] ، ما لم يكن اثما[٥] . فان كان ثم[٦] اثم كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فى شىء قط ، الا أن تنتهك حرمة الله[٧] ، فينتقم لله تعالى »[٨] .

يقول أنس رضى الله عنه : كنت أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد[٩] نجرانى غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى . فجذبه بردائه جذبة شديدة ، فنظرت الى صفحة عنق رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أثر بها حاشية الرداء من شدة جذبته ، ثم قال : يا محمد .. مر لى من مال الله الذى عندك[١٠] .

فالتفت اليه ، فضحك ثم أمر له بعطاء »[١١] .

---

(١) رواه ابن ماجه ورواته محتج بهم فى الصحيح .
(٢) يعنى على مشهد من أهل الموقف كلهم .
(٣) أى يختار منهن ما أحب . رواه أبو داوود والترمذى وحسنه ابن ماجه .
(٤) اى أسهلهما وأخفهما كلفا . (٥) يعنى معصية .
(٦) بمعنى هناك .
(٧) وفى رواية : « حرمات الله » بالجمع .
(٨) وفى رواية : « فينتقم بها الله » رواه البخارى ومسلم .
(٩) نوع من الثياب معروف .
(١٠) وفى بعض الروايات : « فانك لا تأمر لى من مالك ولا من مال أبيك » .
(١١) وفى بعض الروايات أنه قال له : « ويقاد منك يا أعرابى ؟ فقال : لا . فقال : لم ؟ فقال : لأنك لا تجزى بالسيئة السيئة ، ولكن تعفو وتصفح » . رواه البخارى ومسلم .

ويقول ابن مسعود رضى الله عنه : « كأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكى نبيا من الأنبياء ضربه قومه ، فأدموه[١] وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون »[٢] .

وذات يوم بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ، ومعه أصحابه وقع رجل بأبى بكر رضى الله عنه فآذاه[٣] ، فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثانية ، فصمت عنه أبو بكر ، ثم آذاه الثالثة فانتصر أبو بكر[٤] فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : أوجدت على يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك[٥] ، فلما انتصرت ذهب الملك ، وقعد الشيطان[٦] ، فلم أكن لأجلس اذن مع الشيطان »[٧] .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عرف الداء كما رأينا ، فقد تبين كذلك أنه قد عرف دواءه ، كما ثبت فى بعض الأحاديث الشريفة التى منها ما روى :

عن أبى ذر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فان ذهب عنه الغضب ، والا فليضطجع »[٨] .

وعن سليمان بن صرد رضى الله عنه قال : استب رجلان[٩] عند النبى صلى الله عليه وسلم فجعل أحدهما يغضب ، ويحمر وجهه وتنتفخ أوداجه ، فنظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا[١٠] : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فقام الى الرجل رجل ممن سمع النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هل تدرى

---

(١) اى اسالوا دمه . (٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) اى سبه . (٤) يعنى رد عليه .
(٥) يعنى كلما قال لك شيئا قال له الملك : كذبت .
(٦) وفى رواية : « وحضر الشيطان » .
(٧) رواه ابو داوود هكذا مرسلا ومتصلا من طريق محمد بن غيلان ، وذكر البخارى فى تاريخه ان المرسل اصح .
(٨) رواه ابو داوود وابن حبان فى صحيحه .
(٩) يعنى تشاتما وتهاجيا . (١٠) يعنى هذا الذى اعتراه .

ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفا ؟ قال : لا . قال : قال : « انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ذا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فقال له الرجل : أمجنونا ترانى[1] ؟

وعن أبى وائل القاص قال : دخلنا على عروة بن محمد السعدة فكلمه رجل فأغضبه ، فقام فتوضأ ، فقال : حدثنى أبى عن جدى عطية رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الغضب من الشيطان[2] ، وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء ، فاذا غضب أحدكم فليتوضأ »[3] .

وفى حديث طويل رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم فى آخره : « ... ألا وان الغضب جمرة فى قلب ابن آدم ، أما رأيتم الى حمرة عينيه ، وانتفاخ أوداجه[4] ، فمن أحس بشىء من ذلك فليلصق بالأرض »[5] .

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام :

ونفذ أمره تعالى فى قوله : **« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم »**[6] .

عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : **« ادفع بالتى هى أحسن »** قال : الصبر عند الغضب ، والعفو عند الاساءة ، فاذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم »[7] .

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى تفسير هذه الآية : « أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عند الاساءة ، فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولى حميم »[8] .

ومعنى ادفع : أى ادفع السيئة وقابلها بالتى هى أحسن من الصفح والعفو .

* * *

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) أى ان باعثه ومهيجه هو الشيطان . (٣) رواه أبو داوود .
(٤) هى ما يحيط بالعنق من العروق التى يقطعها الذابح .
(٥) أى فليقعد اذا كان قائما فان ذهب غضبه والا فليضطجع .
(٦) فصلت : ٣٤ (٧) ذكره البخارى تعليقا .
(٨) ذكره ابن كثير .

ومن أجمل الآثار التى قرأتها فى هذا الموضوع الحيوى :

يحكى أن رجلا من أهل الشام دخل المدينة المنورة فرأى شابا حسن الهيئة ، جميل المنظر نظيف الملابس ، راكبا دابة قوية نشيطة ، فسأل ، فقيل له : هذا الحسن بن على بن أبى طالب ، فامتلأ قلبه حسدا له ، وحقدا عليه ، وتقدم اليه وقال له : أأنت ابن أبى طالب ؟ فقال الحسن : أنا ابن ابنه • فقال الرجل : لقد قلت فيك وفى أبيك كلاما قبيحا أشتمكما به ، وذكر له ذلك الكلام • فقال الحسن : أظنك غريبا ، فقال الرجل : نعم • فقال الحسن : اذا احتجت الى منزل أسكنتك ، أو الى مال أعطيتك ، أو الى حاجة ساعدتك • فعجب الرجل من حلم الحسن رضى الله عنه ، وانصرف وهو يقول : ليس على وجه الأرض شىء أحب الى من هذا الشاب ، أسأت اليه فأحسن الى •

وشتم رجل أبا ذر رضى الله عنه ، فقال له : يا هذا •• لا تستغرق فى شتمنا ، ودع للصلح موضعا ، فانا لا نكافىء من عصى الله فينا ، بأكثر من أن نطيع الله فيه •

وقال معاوية رضى الله عنه : لا يبلغ العبد مبلغ الرأى حتى يغلب حلمه جهله ، وصبره شهوته ، ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم •

وله رضى الله عنه فى الحلم أخبار مشهورة ، منها :

أنه كتب الى عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه يعتذر اليه من شىء جرى بينهما يقول : من معاوية بن أبى سفيان الى عقيل بن أبى طالب ، أما بعد •• يا بنى عبد المطلب فأنتم والله فروع قصى ولباب مناف ، وصفوة هاشم ، فأين أخلاقكم الراسية ، وعقولكم الكاسية ، ولقد والله أساء أمير المؤمنين ما كان جرى ، ولن يعود لمثله الى أن يغيب فى الثرى •

فكتب اليه عقيل :

صدقت وقلت حقا غير أنى أرى أن لا أراك ولا ترانى

فركب اليه معاوية رضى الله عنه وناشده فى الصفح عنه واستعطفه حتى رجع •

وأنه كان له أرض وعبيد بجوار أرض عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ، فدخل فيها عبيده ، فكتب اليه يقول : أما بعد •• يا معاوية ان عبيدك دخلوا أرضى فانههم عن ذلك ، والا كان لى ولك شأن ، والسلام •

فلما وقف على الكتاب دفعه لولده يزيد ، وقال له : ما ترى ؟ قال :

أرى أن نبعث اليه جيشا يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه • فقال له : غير هذا خير ، ثم كتب كتابا يقول فيه : أما بعد •• فقد وقفت على كتاب ولد حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وساءنى ما ساءه ، والدنيا بأسرها هينة عندى فى جنب رضاه ، وقد نزلت عن أرضى لك ، فأضفها الى أرضك بما فيها من العبيد والأموال •• والسلام •

فلما وقف ابن الزبير عليه كتب اليه : قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، ولا أعدمه الرأى الذى أحله من قريش هذا المحل •• والسلام •

فلما وقف معاوية عليه رمى به الى ابنه ، فلما رآه تهلل وجهه وأسفر ، فقال له : يا بنى •• من عفا ساد ، ومن حلم عظم ، ومن تجاوز استمال عليه القلوب فاذا ابتليت بشىء من هذه الأمور فداوه بمثل هذا الدواء •

وأنه قسم قطفا فأعطى شيخا من أهل الشام قطيفة فلم تعجبه ، فحلف أن يضرب بها رأس معاوية فأتاه فأخبره • فقال له معاوية :

أوف بنذرك ، وليرفق الشيخ بالشيخ •

وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كلاما ، فقال عمر : أردت أن يستفزنى الشيطان لعزة السلطان ، فأنال منك اليوم ما تناله منى غدا ، فانصرف رحمك الله •

وقال خالد بن صفوان : شهدت عمرو بن عبيد ، ورجل يشتمه ، فما ترك عيبا الا ذكره ، فلما فرغ ، قال له عمرو : آجرك الله على ما ذكرت من صواب ، وغفر لك ما ذكرت من خطأ • قال خالد : فما حسدت أحدا حسدى لعمرو على هاتين الكلمتين •

وحكى أن رجلا قال لضرار بن القعقاع : والله لو قلت واحدة لسمعت عشرا ، فقال له ضرار : والله لو قلت عشرا لم تسمع واحدة •

وشتم رجل الشعبى الفقيه فقال له : ان كنت صادقا يغفر الله لى ، وان كنت كاذبا ، يغفر الله لك •

وحكى أن بعض ملوك الفرس كتب كتابا ودفعه الى وزير له ، وقال له : اذا غضبت فناولنيه ، وكان فيه : مالك والغضب ، انما أنت بشر ، ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء •

وكان بعض ملوك الطائف اذا غضب ألقى عنده مفاتيح مقابر الملوك ، فيزول غضبه •

هذا ولا يفوتنى بعــد أن وقفت على كل هذه الحقائق الحيوية والنماذج الموضوعية أن أشير الى حقيقة هامة ، وهى :

ان الانتصار الحقيقى على الحساد والمنافسين لا يتحقق الا بالعمل الجاد فى ميادين العلم والعمل اللذين هما أساس كل فلاح ونجاح :

فالعلم يرفع بيتا لا عماد له ... والجهل يهدم بيت العز والكرم

لهذا : كان سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول :

تعـلم فليس المرء يولد عالمـا ... وليس أخـو علم كمن هو جاهل

وان كبير القوم لا علم عنـده ... صـغير اذا التفت عليه المحافل

* * *

وحسبى بعد هذه اللفتة الهامة أن أقرأ معك قول القائل الذى عرف وانتفع :

عـداتى لهم فضـل على ومنة ... فلا أبعد الله عنى الأعاديا

هموا خبروا عن مذلتى فاجتنبتها ... وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

* * *

بل وحسبى حتى تعرف حقيقة الانتصار العلمى ، وتذوق حلاوته وتحرص على أن تكون من أهله :

أن أسوق اليك هذا الخبر الذى يحكى : أن بعض فطاحل العلماء فى العراق كانوا يحقدون على الامام الشافعى رضى الله عنه ويكيدون له : لأنه كان متفوقا عليهم فى العلم والحكمة ، وكان متربعا على قلوب أكثر طلاب العلم والمعرفة الذين أصبحوا لا يحرصون الا على مجلسه ، ولا يقتنعون الا برأيه وعلمه .

ولهذا اتفق هؤلاء العلماء الحاقدين على الامام الشافعى ، فيما بينهم على تحضير بعض الأسئلة المعقدة ، وفى أسلوب الألغاز ، حتى يختبروا بها ذكاء الشافعى ومقدار تضلعه وادراكه أمام الخليفة الرشيد الذى كان يحب الشافعى ويثنى عليه كثيرا .

وبعد أن وضعوا الأسئلة أخبروا الخليفة الذى حضر المناظرة ، واستمع الى الأسئلة التى أجاب عليها الامام الشافعى رضى الله عنه بكل ذكاء وفصاحة والتى كانت على النحو الآتى :

س ١ : ما قولك فى رجل ذبح شاة فى منزله ، ثم خرج لحاجة وعاد ، فقال لأهله ، كلوا أنتم الشاة فقد حرمت على . فقال أهله : ونحن حرمت علينا كذلك .

جـ ١ : ان هذا الرجل كان مشركا فذبح الشاة على اسم الأنصاب ، وخرج من منزله لبعض المهمات ، فهداه الله تعالى الى الاسلام وأسلم فحرمت عليه الشاة ، وعندما علم أهله باسلامه أسلموا هم أيضا فحرمت عليهم الشاة كذلك •

س ٢ : ما قولك فى رجل هرب له غلام[١] فقال : هو حر ان أكلت طعاما حتى أجده ، فكيف المخرج له عما قال ؟

جـ ٢ : يهب الغلام لبعض أولاده ، ثم يأكل ، ثم بعد ذلك يسترد ما وهب •

س ٣ : شرب مسلمان عاقلان حران الخمر يحد أحدهما ولا يحد الآخـــر ؟

جـ ٣ : ان أحدهما كان بالغا ، والآخر كان صبيا •

س ٤ : لقى امرأتان غلامين ، فقالتا : مرحبا بابنينا ، وزوجينا ، وابنى زوجينا ؟

جـ ٤ : ان الغلامين كانا ابنى المرأتين فتزوجت كل واحدة منهما بابن صاحبتها : فكان الغلامين ابنيهما ، وزوجيهما ، وابنى زوجيهما •

س ٥ : أخذ رجل قدح ماء ليشرب ، فشرب نصه حلالا ، وحرم عليه بقية ما فى القدح ؟

جـ ٥ : ان الرجل شرب نصف القدح ورعف فى المـــاء الباقى فى القدح ، فاختلط الدم بالمـــاء فصار محرما عليه •

س ٦ : زنا خمسة نفر بامرأة ، فوجب على أولهم القتل ، وثانيهم الرجم ، وثالثهم الحد ، ورابعهم نصف الحد ، وخامسهم لا شىء عليه ؟

جـ ٦ : استحل الأول الزنا فصار مرتدا فوجب عليه القتل ، والثانى كان محصنا[٢] ، والثالث كان غير محصن ، والرابع كان عبدا ، والخامس كان مجنونا •

س ٧ : رجل صلى ولمـــا سلم عن يمينه طلقت زوجته ، ولمـــا سلم عن يساره بطلت صـــلاته ، ولمـــا نظر الى السماء وجب عليه دفع ألف درهم ؟

---

(١) اى عبد مملوك .

(٢) اي متزوجا .

ج ٧ : لما سلم الرجل عن يمينه رأى شخصا تزوج هو[1] امرأته فى غيبته ، فلما رآه حضر طلقت زوجته منه ، ولما نظر عن شماله رأى نجاسة فى ثوبه فبطلت صلاته ، ولما نظر الى السماء رأى الهلال وقد ظهر فى السماء وكان عليه دين ألف درهم يستحق سداده فى أول الشهر من ظهور الهلال .

س ٨ : كان امام يصلى مع أربعة نفر فى مسجد فدخل عليهم رجل وصلى عن يمين الامام فلما سلم الامام عن يمينه ورأى ذلك الرجل وجب على الامام القتل ، وعلى المصلين الأربعة الجلد ووجب هدم المسجد الى أساسه .

ج ٨ : ان الرجل القادم كانت له زوجة وسافر وتركها فى بيت أخيه ، فقتل الامام هذا الأخ وادعى أن المرأة كانت زوجة المقتول ، فتزوج منها وشهد على ذلك الأربعة المصلون ، وأن المسجد كان بيتا للمقتول ، فجعله الامام مسجدا .

س ٩ : أعطى رجل لامرأته كيسا مملوءا مختوما وطلب اليها أن تفرغ ما فيه بشرط ألا تفتحه ، أو تفتقه ، أو تكسر ختمه ، أو تحرقه ، وهى ان فعلت شيئا من ذلك فهى طالق .

ج ٩ : ان الكيس كان مملوءا بالسكر أو الملح ، وما على المرأة الا أن تضعه فى الماء فيذوب ما فيه .

س ١٠ : رأى رجل وامرأة غلامين فى الطريق فقبلاهما ، ولما سئلا فى ذلك ؟ قال الرجل : أبى جدهما ، وأخى عمهما ، وزوجتى امرأة أبيهما ، وقالت المرأة : أمى جدتهما وأختى خالتهما .

ج ١٠ : ان الرجل كان أبا للغلامين ، والمرأة أمهما .

س ١١ : كان رجلان فوق سطح منزل فسقط أحدهما فمات ، فحرمت على الآخر امرأته .

ج ١١ : ان الرجل الذى سقط فمات كان مزوجا ابنته من عبده الذى كان معه فوق السطح ، فلما مات الرجل أصبحت البنت تملك ذلك العبد الذى هو زوجها فحرمت عليه .

الى هنا ولم يستطع الرشيد الذى كان حاضرا تلك المساجلة اخفاء اعجابه من ذكاء الشافعى ، وسرعة خاطره ، وجودة فهمه ، وحسن

---

(١) اى المصلى .

ادراكه وقال : لله در بنى عبد مناف ، فقد بينت فأحسنت ، وفسرت فابلغت ، وعبرت فأفصحت .

فقال الشافعى : أطال الله عمر أمين المؤمنين ، انى سائل هؤلاء العلماء فى مسألة ، فان أجابوا عليها فالحمد لله ، والا فأرجو أمير المؤمنين أن يكف عنى شرهم .

فقال الرشيد : لك ذلك وسلهم ما تريد يا شافعى .. فقال لهم الشـــافعى :

مات رجل عن ٦٠٠ درهم فلم تنل أخته من هذه التركة الا درهم واحد ، فكيف كان الظرف فى توزيع التركة ؟

فنظر العلماء بعضهم الى بعض طويلا ، ولم يستطع أحدهم الاجابة على السؤال ، وأخذ العرق يهطل من جباههم ، ولمــا طال بهم السكوت ، قال الخليفة : قل لهم الجواب يا شافعى .

فقال الشافعى بعد أن تورط هؤلاء الذين أرادوا أن يفقدوه مكانته عند الخليفة الذى كان يحبه حبا جما لعلمه وتقواه :

مات هذا الرجل عن ابنتين ، وأم ، وزوجة ، واثنى عشر أخا ، وأخت واحدة .

فأخذت البنتان الثلثين وهو : ٤٠٠ درهم ، وأخذت الأم السدس ، وهو : ١٠٠ درهم ، وأخذت الزوجة الثمن وهو : ٧٥ درهم ، وأخذ الاثنا عشر أخا ٢٤ درهما ، فبقى درهم واحد أخذته الأخت .

فتبسم الرشيد وقال : أكثر الله فى أهلى منك وأمر له بألفى دينار فتسلمها الشافعى ووزعها على خدم القصر وحاشيته .

* * *

وهكذا أخا الاسلام كما رأيت يستطيع الانسان بعلمه وصموده أن يتغلب على حاسديه ومنافسيه الذين ما أعلنوا الحرب عليه الا لأنه أعظم منهم .

وفى هذا يقول ايليا أبو ماضى فى قصيدة له تحت عنوان « ابتسم » :

قال السـماء كئيبة وتجهمـا ... قلت ابتسم يكفى التجهم فى السما
قال الليالى جرعتنى علقمـا ... قلت ابتسم ولئن جرعت العلقما
قال العدى حولى علت صيحاتهم ... أأسر والأعداء حولى فى الحمى
قلت ابتسـم لن يطلبوك بذمهم ... ما لم تكن منهم أجل وأعظمـا

* * *

فلاحظ يا أخي كل هذا وتعمق فى فهمه ، ولا تنس هذه الأقوال المأثورة حتى لا تغضب :

قال على رضى الله عنه لولده الحسن عليه رضوان الله : احذر الغضب ، فانه يسفه الحليم ، ويطيش العالم ، ويفقد معه العقل ، ويظهر معه الجهل •

وروى : أن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال لعلى رضى الله تعالى عنه : ما الذى يباعدنى عن غضب الله عز وجل ؟ قال : أن لا تغضب •

وحكى عن الأحنف بن قيس أنه قال :

ما عادانى أحد قط الا أخذت فى أمره باحدى ثلاث خصال :

ان كان أعلى منى عرفت له قدره ، وان كان دونى رفعت قدرى عنه ، وان كان نظيرى تفضلت عليه • فأخذه الخليل فنظمه شعرا فقال :

سألزم نفسى الصفح عن كل مذنب ... وان كثرت منه الى الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ، ومثل مقاوم
فأما الذى فوقى فأعرف قدره ... وأتبع فيه الحق والحق لازم
وأما الذى دونى فأحلم دائبا ... أصون به عرضى وان لام لائم
وأما الذى مثلى فان زل أو هفا ... تفضلت ان الفضل بالفخر حاكم

ومن أقوال الحكماء :

أحب مكارم الأخلاق جهدى ... وأكره أن أعيب وأن أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلما ... وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ... ومن حقر الرجال فلن يهابا

* من غرس شجرة الحلم اجتنى ثموة السلم •
* الحلم حجاب الآفات •
* غضب الجاهل فى قوله ، وغضب العاقل فى فعله •
* اذا سكت عن الجاهل فقد أوسعته جوابا ، وأوجعته عقابا •
* ثلاثة لا يعرفون الا فى ثلاثة مواطن :

لا يعرف الجواد الا فى العسرة ، والشجاع الا فى الحرب ، والحليم الا فى الغضب •

ليست الأحلام فى حال الرضا ... انما الأحلام فى حال الغضب

* من كثر شططه كثر غلطه •
* أقرب ما يكون العبد من غضب الله عز وجل : اذا غضب •

* في اغضائك ، راحة أعضائك .
* ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام .
* الحلم والأناة[1] توأمان نتيجتهما علو الهمة .
* ما شيء أشد على الشيطان من عالم معه حلم ، ان تكلم تكلم بعلم ، وان سكت سكت بحلم ، ويقول الشيطان : سكوته أشد على من كلامه .

وكان أبو بكر رضى الله عنه كثير العلم شديد الحلم ، قال له رجل يوما : والله لأسبنك سبا يدخل القبر معك ، فقال له : معك يدخل لا معي .

* * *

واعلم :

أن الغضب قد يكون في بعض المواضع أنفع من الحلم كما قال النابغة الجعدي :

ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولما أنشد هذا البيت للنبي صلى الله عليه وسلم قال له : لا يفضض الله فاك ، فعاش مائة وثلاثين سنة لم تنفض له ثنية .

وقال علي كرم الله وجهه : الخير بالخير والبادىء أكرم ، والشر بالشر والبادىء أظلم .

وفي هذا المعنى يقول المتنبي :

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

كما يقول أحد الحكماء :

اذا زل الكريم فكن حليما فان الحلم حينئذ مزية
وان جاء اللئيم اليك عمدا بما كسبت يداه من الأسية
ولم يخضع لعفوك باعتراف فعجل بالمكافأة القوية
فان الحر يكفيه ملام وان العبد تصلحه الأذية
فعامل كل انسان بحلم وفي هذا ترى فصل القضية

* * *

(١) تأنى في الأمر ، اى ترفق ، والاسم : الأناة .

الوصية الثالثة والعشرون

عن أبى هـريرة رضى الله عنه أن رجـلا قال :
يا رسول الله .. انى أريد السفر ، فأوصنى . قال :
« عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف » .
فلما ولى الرجل قال :
« اللهم اطو له الأرض وهون عليه السفر » .
(رواه الترمذى بسند حسن)

* * *

فكن أخا الاسلام :
متعمقا فى فهم ما عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله للرجل الذى أراد السفر فطلب منه أن يزوده بوصية من وصاياه الغالية تخفف عنه متاعب السفر الذى ورد فى الخبر أنه قطعة من العذاب[1] وتحفظه فى غدوه ورواحه من الشرور والآثام :

* (عليك بتقوى الله) :
وحسبك حتى تدرك أهمية التقوى أن تقرأ قول الله تعالى :
« وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب »[2] .
وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى ذر رضى الله عنه :
« أوصيك بتقوى الله فانها رأس الأمر كله »[3] .
وأن تعلم أنها السلاح الوحيد الذى يستطيع المؤمن به أن يواجه جميع العقبات ، وينتصر على جميع الأزمات بدليل قوله تعالى :
« ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب »[4] .
وأنها السبيل الى الفلاح بدليل قوله تعالى :
« واتقوا الله لعلكم تفلحون »[5] .

---

(١) هو بعض حديث شريف أخرجه مالك وأحمد والشيخان عن أبى هريرة .
(٢) البقرة : ١٩٧
(٣) راجع الوصية الثالثة ص ٢٢ من هذا الكتاب .
(٤) الطلاق : ٢ ، ٣ (٥) البقرة : ١٨٩

بل وهى السبيل الى الجنة والأجر العظيم وفى ذلك يقول تعالى :

« للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار »[١] .

« للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم »[٢] .

« والآخرة خير لمن اتقى »[٣] .

* * *

ولهذا أوصانا الله سبحانه وتعالى بها كما أوصى الذين أوتوا الكتاب من قبلنا كما جاء فى قوله تعالى :

« ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله »[٤] .

* * *

كما أوصى بها الأنبياء أقوامهم وفى ذلك يقول تعالى :

« اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون »[٥] .

« اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون »[٦] .

« اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون »[٧] .

« اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون »[٨] .

« اذ قال لهم شعيب ألا تتقون »[٩] .

« وان الياس لمن المرسلين . اذ قال لقومه ألا تتقون »[١٠] .

* * *

وحتى تعرف أيضا حقيقة التقوى بالاضافة الى ما قرأته سابقا اليك أيضا هذه الأقوال المأثورة :

التقوى : فى الطاعة يراد بها الاخلاص ، وفى المعصية يراد بها الترك والحذر .

وقيل : المحافظة على آداب الشريعة .

وقيل : مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى .

وقيل : أن لا ترى فى نفسك شيئا سوى الله .

وقيل : أن لا ترى نفسك خيرا من أحد .

وقيل : ترك ما دون الله .

---

(١) آل عمران : ١٥ — (٢) آل عمران : ١٧٢

(٣) النساء : ٧٧ — (٤) النساء : ١٣١

(٥ — ٩) الشعراء : ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٤٢ ، ١٦١ ، ١٧٧

(١٠) الصافات : ١٢٣ ، ١٢٤

وقيل : الاقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا •
وقيل : الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته •

* * *

ومن أجمل ما قرأت فى وصفها :

قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله ، وأداء ما افترض الله ، فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير الى خير •

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : تمام التقوى أن يتقى الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة ، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما ، ليكون حجابا بينه وبين الحرام فان الله قد بين للعباد الذى يصيرهم اليه فقال : « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** »[1] • فلا تحقرن شيئا من الخير أن تفعله ، ولا شيئا من الشر أن تتقيه •

* * *

وأما عن المتقين فمن أجمل ما قرأت فى وصفهم :

أن عابدا يقال له همام جاء الى الامام على كرم الله وجهه وقال له : صف لى المتقين حتى كأنى أنظر اليهم ؟ فقال عليه رضوان الله :

هم أهل الفضائل ، منطقهم الصواب ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع ، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم ، نزلت أنفسهم فى البلاء كالتى نزلت فى الرخاء ، ولولا الأجل الذى كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقا الى ربهم ، عظم الخالق فى أنفسهم ، فصغر ما دونه فى أعينهم • قلوبهم محزونة ، وشرورهم مأمونة ، وأجسادهم نحيفة ، وحاجاتهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة • وصبروا أياما قصيرة ، أعقبتهم راحلة طويلة ، تجارة رابحة سيرها لهم ربهم ، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها • أما الليل فصافون أقدامهم يرتلون لأجزاء القرآن ترتيلا ، فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعا وتطلعت أنفسهم اليها شوقا ، واذا مروا بآية فيها تخويف صغوا اليها بمسامع قلوبهم ، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها فى أصول آذانهم ،

---

(١) الزلزلة : ٧ ، ٨

فهم جاثون على ركبهم يطلبون من الله فكاك رقابهم ، وأما النهـار فحلماء علماء ، أبرار أتقياء قد براهم الخوف برى القداح ، ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض •

لا يرضون من أعمـالهم بالقليل ، ولا يستكثرون الكثير ، فهم لأنفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون ، اذا زكى أحدهم خاف مما يقال له ، فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى وربى أعلم بنفسى منى ، اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون ، واغفر لى مالا يعلمون ، فمن علامة أحدهم : أنك ترى له قوة فى الدين ، وحزما فى لين ، وايمانا فى يقين ، وحرصا فى علم ، وعملا فى حلم ، وقصدا فى غنى ، وخشوعا فى عبادة ، وتجملا فى فاقة ، وصبرا فى شدة ، وطلبا فى حلال ، ونشاطا فى هدى ، وتخرجا عن طمع • يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل ، يمسى وهمه الشكر ، ويصبح وهمه الذكر ، يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل ، تراه قريبا أمله ، قليلا زلله ، خاشعا قلبه ، قانعة نفسه ، مكظوما غيظه ، ميتة شهوته ، الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون ، يعفو عمن ظلمه ، ويعطى من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيدا فحشه ، لينا قوله ، غائبا منكره ، حاضرا معروفه ، فى الزلازل وقور ، وفى المكاره صبور ، وفى الرخاء شكور ، ولا يحيف على من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب ، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه ، ولا يضيع ما استحفظ ، ولا ينابز بالألقاب ، ولا يضر بالجار ، ولا يشمت بالمصائب •

ان بغى عليه صبر حتى يكون الله هو الذى ينتقم له ، نفسه منه فى عناء ، والناس منه فى راحة ، أتعب نفسه لآخرته ، وأراح الناس من نفسه ، بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ، وليس تباعده بكبر وعظمة ، ولا دنوه بمكر وخديعة •

* * *

وقال موسى بن أعين رحمه الله : المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا فى الحرام فسماهم الله المتقين •

وقال سفيان الثورى رحمه الله : انما سموا متقين لأنهم إتقوا مالا يتقى ، فهو سبحانه أهل أن يتقى ، ويخشى ، ويهاب ، ويجل ، ويعظم فى صدور عباده حتى يعبدوه ويطيعوه ، لمـا يستحقه من الاجلال والاكرام وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش وشدة البأس •

* * *

وكما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصى بالتقوى التى أوصى الله سبحانه وتعالى بها كما عرفت ، كذلك كان أصحابه عليهم جميعا رضوان الله يوصى بعضهم بعضا بالتقوى ، فقد روى :

أن الخليفة الأول أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يقول فى خطبته : « أما بعد .. فانى أوصيكم بتقوى الله ، وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تخلطوا الرغبة فى الرهبة ، وتجمعوا الالحاف فى المسألة ، فان الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : **« انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين »**[١] .

ولما حضرته الوفاة وعهد الى عمر بن الخطاب عليه رضوان الله ، دعاه فوصاه بوصية قال فى أولها : اتق الله يا عمر .

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ابنه عبد الله عليه رضوان الله : أما بعد .. فانى أوصيك بتقوى الله عز وجل ، فانه من اتقاه وقاه ، ومن أقرضه جزاه ، ومن شكره زاده ، واجعل التقوى نصب عينيك ، وجلاء قلبك .

واستعمل على بن أبى طالب رضى الله عنه رجلا على سرية فقال له : أوصيك بتقوى الله عز وجل ، لابد لك من لقاه ، ولا منتهى لك دونه ، وهو يملك الدنيا والآخرة .

ولما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الخلافة خطب فحمد الله وأثنى عليه وقال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، فان تقوى الله عز وجل خلف من كل شىء ، وليس من تقوى الله خلف .

وكتب الى رجل : أوصيك بتقوى الله عز وجل التى لا يقبل غيرها ، ولا يرحم الا أهلها ، ولا يثبت الا عليها ، فان الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل ، جعلنا الله واياك من المتقين .

وقال رجل ليونس بن عبيد : أوصنى . فقال : أوصيك بتقوى الله والاحسان ، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وقال له رجل — يريد الحج — : أوصنى . فقال له : اتق الله ، فمن اتقى الله فلا وحشة عليه .

وقيل لرجل من التابعين عند موته : أوصنا . فقال : أوصيكم بخاتمة سورة النحل : **« ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »**[٢]

---

(١) الأنبياء : ٩٠ (٢) النحل : ١٢٨

وكتب رجل من السلف الى أخ له : أوصيك بتقوى الله فانها من أكرم ما أسررت ، وأزين ما أظهرت ، وأفضل ما ادخرت ، أعاننا الله واياك عليها ، وأوجب لنا ولك ثوابها .

وكتب رجل منهم أيضاً الى أخ له : أوصيك وأنفسنا بالتقوى ، فانها خير زاد الآخرة والأولى . واجعلها الى كل خير سبيلك ، ومن كل شر مربك ، فقد تكفل الله عز وجل لأهلنا بالنجاة مما يحذرون ، والرزق من حيث لا يحتسبون .

* * *

فمن كل هذا يتضح لك أن التقوى هي خير زاد للناس عامة ، وللمسافر خاصة حتى يكون فى حفظ الله ورعايته ، وقد يكون هذا هو ما يعنيه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله فى وصية أخرى: « احفظ الله يحفظك » .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصيه كذلك بأن يكبر على كل شرف[1] فذلك حتى يكون مؤتنسا فى وحشته وغربته بالكبير المتعال ، والقوى العزيز الذى لا يقهر . والذى يقول كما جاء فى الحديث القدسى : « ... وأنا معه اذا ذكرنى » وحسبه أن الله معه .

* * *

هذا : وللسفر آداب ذكرها الامام النووى فى كتاب « الأذكار » أجملها وبايجاز فيما يلى : قال عليه رحمة الله : اذا استقر عزم المسافر على السفر اجتهد فى تحصيل أمور ، منها :

أن يوصى بما يحتاج الى الوصية به ، وليشهد على وصيته ، ويستحل كل من بينه وبينه معاملة فى شىء أو مصاحبة ويسترضى والديه ، وشيوخه ومن يندب الى بره واستعطافه ، ويتوب الى الله ويستغفره من جميع الذنوب والمخالفات ، وليطلب من الله تعالى المعونة على سفره ، وليجتهد فى تعلم ما يحتاج اليه فى سفره :

فان كان غازياً : تعلم ما يحتاج اليه الغازى من أمور القتال والدعوات وأمور الغنائم ، وتعظيم تحريم الهزيمة فى القتال ، وغير ذلك .

وان كان حاجا أو معتمرا : تعلم مناسك الحج أو استصحب معه كتابا بذلك ، ولو تعلمها واستصحب كتابا كان أفضل .

---

(١) الشرف بفتحتين : المكان المرتفع .

وان كان تاجرا : تعلم ما يحتاج اليه من أمور البيوع وما يصح منها وما يبطل ، وما يحل ويحرم ، ويستحب ويكره ويباح ، وما يرجح على غيره .

وان كان متعبدا سائحا معتزلا للناس تعلم ما يحتاج اليه فى أمور دينه ، فهذا أهم ما ينبغى له أن يطلبه .

وان كان ممن يصيد : تعلم ما يحتاج اليه أهل الصيد ، وما يحل من الحيوان وما يحرم ، وما يحل به الصيد وما يحرم ، وما يشترط ذكاته وما يكفى فيه قتل الكلب أو السهم وغير ذلك .

وان كان راعيا : تعلم ما يحتاج اليه مما قدمناه فى حق غيره ممن يعتزل الناس ، وتعلم ما يحتاج اليه من الرفق بالدواب وطلب النصيحة لها ولأهلها . والاعتناء بحفظها والتيقظ لذلك ، واستأذن أهلها فى ذبح ما يحتاج الى ذبحه فى بعض الأوقات لعارض وغير ذلك .

وان كان رسولا من سلطان الى سلطان أو نحوه : اهتم بتعلم ما يحتاج اليه من آداب مخاطبات الكبار وجوابات ما يعرض فى المحاورات ، وما يحل من الضيافات والهدايا وما لا يحل ، وما يجب عليه من مراعاة النصيحة واظهار ما يبطنه ، وعدم الغش والخداع والنفاق ، والحذر من التسبب الى مقدمات الغدر أو غيره مما يحرم وغير ذلك .

وان كان وكيلا أو عاملا فى قراض أو نحوه : تعلم ما يحتاج اليه مما يجوز أن يشتريه ومالا يجوز ، وما يجوز أن يبيع به ومالا يجوز ، وما يجوز التصرف فيه ومالا يجوز ، وما يشترط الاشهاد فيه ومالا يشترط ، وما يجوز له من الأسفار ومالا يجوز .

ويستحب أن يكون السفر يوم الخميس ، لقول كعب بن مالك : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد السفر لم يسافر الا يوم الخميس »[1] .

وفى رواية : « قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج اذا أراد سفرا الا يوم الخميس »[2] .

ومنه يعلم أن الحصر فى الرواية الأولى بالنظر الى الغالب .

---

(١) اخرجه احمد وابو داوود وفى سنده احمد بن لهيعة .

(٢) اخرجه احمد والبخارى وابو داوود بسند جيد .

وحكمة ذلك : أن الخميس يوم مبارك ترفع فيه أعمال العباد الى الله تعالى .

ويستحب لمريد السفر طلب الوصية والدعاء من أهل الخير والصلاح .

ويستحب توديع المسافر : لقول سالم بن عبد الله : « كان أبى عبد الله بن عمر اذا أتاه الرجل وهو يريد السفر قال له :

ادن أودعك الله كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يودعنا فيقول : « أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك »(١) .

ولقول أبى موسى بن وردان : قال أبو هريرة لرجل : « أودعك كما ودعنى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أو كما ودع رسول الله : أستودعك الله الذى لا يضيع ودائعه »(٢) .

ويستحب لمريد السفر أن يودع من يخلفه لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أراد أن يسافر فليقل لمن يخلف : أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه »(٣) .

وعنه رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أراد أحدكم سفرا فليسلم على اخوته فانهم يزيدونه بدعائهم الى دعائه خيرا »(٤) .

ويستحب لمريد السفر أن يصلى ركعتين قبل خروجه يقرأ فيهما بعد الفاتحة ما شاء ، لحديث المقطم بن المقدام أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرا »(٥) .

ويستحب لمريد السفر : اتخاذ رفيق يأنس به ويتعاون معه على مشاق السفر ، لحديث عمر رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الوحدة : أن يبيت الرجل وحده ، أو يسافر وحده »(٦) .

---

(١) أخرجه أحمد وأبو داوود والترمذى وقال : حسن صحيح ، والنسائى وزاد فى رواية : « واقرا عليك السلام » .

(٢) أخرجه أحمد وابن ماجه والنسائى فى « اليوم والليلة » بسند حسن

(٣) أخرجه أحمد وابن السنى ، وكذا الطبرانى بلفظ : « استودعك الله الذى لا تخيب ودائعه » .

(٤) أخرجه أحمد والشيخان والطبرانى فى الأوسط .

(٥) أخرجه الطبرانى وكذا ابن شيبة مرسلا .

(٦) أخرجه أحمد وحسنه السيوطى .

وحكمة النهى عن ذلك أن الواحد لو مات فى سفره لم يجد من يقوم بشأنه ، وكذا الاثنان اذا ماتا أو مات أحدهما لم يجد الآخر من يعينه بخلاف الثلاثة ففى الغالب أنه لا يخشى عليهم شىء من ذلك •

ولذلك ورد فى الحديث : « الراكب شيطان[١] والراكبان شيطانان والثلاثة ركب »[٢] •

ويستحب لمريد السفر : أن يستشير فيه من يعلم منه النصيحة والشفقة والصلاح والاستقامة لقوله تعالى : « **وشاورهم فى الأمر** »[٣] ثم يستخير الله فيصلى ركعتين من غير الفريضة ويدعو بدعاء الاستخارة وهو كما ورد فى الحديث : عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن ويقول :

« اذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ــ أو قال : عاجل أمرى وآجله ــ فاقدره لى ويسره لى ، ثم بارك لى فيه ، وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ــ أو قال : عاجل أمرى وآجله ــ فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضنى به » قال : ويسمى حاجته[٤] •

فان شرح الله صدره فهذا خير ينبغى أن يسير فيه وان وجد انقباضا فى صدره فهو شر ينبغى أن يبتعد عنه ، وان لم يجد شيئا كرر الصلاة والدعاء الى سبع مرات •

مع ملاحظة : أن ما ألفه الناس من الاستخارة المنامية أو الكف ، أو الفنجان ، أو السبحة ، أو الكوتشينة ، لا أصل له وهو من المنكرات والضلالات لأنه لا يعلم الغيب الا الله ، وقد ورد فى الحديث الشريف :

---

(١) المسافر وحده راكبا او ماشيا .

(٢) اخرجه مالك واحمد والأربعة بسند حسن ، وصححه ابن خزيمة والحاكم .

(٣) آل عمران : ١٥٩

(٤) رواه البخارى .

أن من جلس بين يدى كاهن أو عراف يستنبئه الغيب فقد كفر بما أنزل الله على سيد الكائنات صلوات الله وسلامه عليه .

ويستحب وصية المقيم المسافر بالدعاء له فى مواطن الخير ولو كان المقيم أفضل من المسافر ، لقول عمر : استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فى العمرة فأذن لى وقال : « لا تنسنا يا أخى من دعائك » وفى رواية : « أشركنا يا أخى فى دعائك » فقال كلمة ما يسرنى أن لى بها الدنيا[١] .

ويستحب الدعاء فى السفر فانه مستجاب : لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده »[٢] ولحديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « ثلاث دعوات لا ترد : دعوة الوالد لولده ، ودعوة الصائم ، ودعوة المسافر »[٣] .

ويستحب للمسافر أن يدعو بالأدعية الواردة عند نهوضه وخروجه وركوبه ونحوها وغير ذلك ليرضى عنه ربه ويحفظه فى سفره .

فقد ورد عن أنس رضى الله عنه أنه قال : لم يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم سفرا قط الا قال حين ينهض من جلوسه : « اللهم لك انتشرت ، واليك توجهت ، وبك اعتصمت ، اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى ، اللهم اكفنى ما أهمنى ومالا أهتم له ، وما أنت أعلم به ، اللهم زودنى التقوى ، واغفر لى ذنبى ، ووجهنى للخير أينما توجهت » ثم يخرج[٤] .

وعن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يخرج من بيته يريد سفرا أو غيره ، فقال حين يخرج : باسم الله ، آمنت بالله ، اعتصمت بالله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، الا رزق خير ذلك المخرج ، وصرف عنه شر ذلك المخرج »[٥] .

---

(١) أخرجه ابو داوود والترمذى وقال : حسن صحيح .

(٢) اخرجه احمد وابو داوود وابن ماجه والترمذى وحسنه ، والبخارى فى « الأدب » .

(٣) اخرجه الضياء المقدسى فى « المختارة » والبيهقى .

(٤) اخرجه ابن جرير .

(٥) اخرجه احمد بسند فيه رجل لم يسم وبقيته ثقات .

وعن علي رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد سفرا قال : « اللهم بك أصول ، وبك أحول ، وبك أسير »[١] .

وعن علي بن ربيعة أنه قال : رأيت عليا رضى الله عنه أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال : « بسم الله . فلما استوى عليها قال : الحمد لله ، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وانا الى ربنا لمنقلبون . ثم حمد الله ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال : سبحانك لا اله الا أنت قد ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت ، ثم ضحك ، فقلت : مم ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعل مثل مافعلت ثم ضحك فقلت : مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : يعجب الرب من عبده اذا قال رب اغفر لى ، ويقول : علم عبدى أنه لا يغفر الذنوب غيرى »[٢] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا أراد أن يخرج الى سفر قال : « اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم انى أعوذ بك من الضبنة[٣] فى السفر والكآبة فى المنقلب ، اللهم اطو لنا الأرض وهون علينا السفر » .

واذا أراد الرجوع قال : « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون » واذا دخل على أهله قال : « توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا »[٤] .

ويستحب لمن قدم من السفر أن يبدأ بالمسجد فيصلى فيه ركعتى القدوم وأن يجلس من يقصد للسلام عليه فى مكان بارز سهل على زائريه ، وألا يأتى أهله بغتة ، لقول جابر بن عبد الله رضى الله عنه :

كنت مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى سفر فلما قدمنا المدينة قال لى : « ادخل المسجد فصل ركعتين »[٥] .

ولقول كعب بن مالك رضى الله عنه : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يقدم من سفر الا نهارا[٦] فى الضحى ، فاذا قدم بدأ بالمسجد

---

(١) اخرجه البزاز بن أحمد فى زوائد المسند بسند رجاله ثقات .

(٢) اخرجه أحمد والثلاثة بأسانيد صحيحه وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

(٣) ما تحت يدك من مال وعيال .

(٤) أخرجه أحمد والطبرانى والبزار بسند رجاله رجال الصحيح .

(٥) أخرجه البخارى ومسلم .

(٦) التقيد بالنهار باعتبار الغالب .

فصلى فيه ركعتين ، ثم جلس فيأتيه الناس فيسلمون عليه »[١] .

ولقول أنس بن مالك رضى الله عنه : كان النبى صلى الله عليه وسلم، لا يطرق أهله ليلا ، كان يدخل عليهم غدوة أو عشية »[٢] . الغدوة : ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ، والعشية : ما بعد الزوال الى الغروب .

والمراد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أتى من سفره ليلا مكث بالمسجد حتى يصلى الصبح ثم يذهب الى بيته ، واذا أتى نهارا مكث به ولا يدخل بيته الا فى العشية ، والحكمة فى ذلك أن يستعد أهله له بتنظيف البيت وتغيير الملابس الغير نظيفة ، وكان هذا تعليمـا لأصحابه .

ويستحب لمن قدم من سفر ودخل بيته أن يقول : توبا توبا لربنا أوبا ، لا يغادر حوبا . لقول ابن عباس رضى الله عنهما : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رجع من سفره فدخل على أهله قال : « توبا توبا ، لربنا أوبا لا يغادر حوبا »[٣] .

ويستحب أن يقال لمن قدم من سفر : الحمـد لله الذى سلمك ، الحمد لله الذى جمع الشمل بك ، لقول عائشة رضى الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة فلما دخل استقبلته فأخذت بيده فقلت : الحمد لله الذى نصرك وأعزك وأكرمك »[٤] .

ويستحب لمن له أكثر من زوجة وأراد السفر باحداهن : أن يقرع بينهن تطييبا لخاطرهن ، فمن خرج سهمها أخذها معه لقول عائشة رضى الله عنها « ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يخرج سـفرا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه »[٥] وفى رواية أخرى : « كان اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه »[٦] .

(١ ، ٢) اخرجه احمد والبخارى ومسلم .

(٣) الأوب : من آب اذا رجع ، والحوب : الاثم . اخرجه ابن السنى . وكذا البزار وابو يعلى بلفظ آخر ، واخرجه احمد والطبرانى فى الكبير بسند رجاله رجال الصحيح .

(٤) اخرجه ابن السنى . (٥) اخرجه احمد والبخارى .

(٦) اخرجه البخارى ومسلم وابو داوود وابن ماجه .

وكيفية القرعة : أن يؤخذ خاتم هذا ، وخاتم هذا ويوضعان فى جراب أو نحوه فيخرج واحد منهما ، وقيل : يكتب اسم كل فى ورقة وتطوى ثم توضع فى جراب ونحوه ، فمن خرجت ورقته فهو صاحب القــرعة •

مع ملاحظة هذا الحكم : لا يحل للمرأة السفر ولو للحج الا مع محرم[1] لقول أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر يوما وليلة الا مع ذى محرم من أهلها »[2] •

ولمــا كانت هناك أحكام أخرى تتعلق بالسفر فقد رأيت اتماما للفائدة وباختصار أن أختم بها حديثى معك ، وحتى لا أطيل عليك فاليـــك :

اذا أردت سفرا طويلا أو قصيرا فاقصر الصلاة الرباعية لقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « صلاة السفر ركعتان ، وصلاة الأضحى ركعتان ، وصلاة الفطر ركعتان ، وصلاة الجمعة ركعتان ، تمام غير قصر على لسان نبيكم محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم »[3] •

ولم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم دليل صحيح صريح يفيد تحديد مسافة القصر ، وان كان هناك خلاف بين الأئمة فى هذا •

قال فى « الدين الخالص » : ان الأحاديث وردت مصرحة بالسفر مطلقا ، وبالسفر يوما وليلة ويومين وثلاثة أيام فصاعدا ، وأن كل ذلك يسمى سفرا •

ولظاهر الآية التى يقول تعالى فيها : « **واذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة** »[4] فظاهر الآية يتناول كل ضرب فى الأرض[5] •

---

(١) والمحرم كل من حرم عليه نكاح المرأة على التأبيد لسبب مباح لحرمتها

(٢) أخرجه ابن خزيمة والجماعة الا النسائى •

(٣) أخرجه احمد والنسائى وابن ماجه وابن حبان بسند رجاله ثقات •

(٤) النســاء : ١٠١

(٥) هناك كلام كثير بين الأئمة وخلاصته هذا ، وسوف أعود باذن الله تعالى الى هذا الموضوع بتوسع فى كتاب « من أفعال الرسول » ﷺ •

ولا يصلى مسافر خلف مقيم أو مسافر يتم الصلاة ، فان اقتدى المسافر بمن ذكر لزمه الاتمام ، ولو أدركه فى التشهد الأخير .

وتصح امامة المسافر لمسافر مثله ولمقيم ، على أن يتم المقيم الصلاة بعد سلام الامام .

والصلاة فى السفينة والقطار والطائرة جائزة ، وتتوجه الى القبلة فى أول الصلاة ، فان استدار القطار عن القبلة واستطعت أن تستدير بغير مشقة فافعل ، والا فكن على حالتك وصل ولا يضرك التحويل عن القبلة سواء أكنت جالسا أو قائما .

ويشترط مجاوزة المسافر محل اقامته من الجانب الذى خرج منه لقول ابن المنذر : ولا أعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قصر فى سفر من أسفاره الا بعد خروجه من المدينة .

ويستمر المسافر يقصر حتى يرجع الى وطنه أو ينوى الاقامة خمسة عشر يوما فأكثر بموضع واحد يصلح لاقامته لقول ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما : « اذا قدمت بلدة وأنت مسافر وفى نفسك أن تقيم خمس عشرة ليلة فأكمل الصلاة بها ، وان كنت لا تدرى متى تظعن فاقصرها »[1] حتى ترجع وان طالت المدة .

ووطنك الذى تتم فيه الصلاة هو محل اقامتك ، فاذا ولدت أو نشأت بالاسكندرية مثلا وانتقلت الى القاهرة مستوطنا أتممت بالقاهرة ، وقصرت بالاسكندرية .

والسنن القبلية والبعدية أنت مخير فى أدائها ولا تقصر ، وسنة الصبح والوتر مؤكدة فى السفر .

ويجوز الجمع : بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء جمع تقديم وتأخير عند الضرورة . فاذا صليت الظهر وأردت السفر ، وعلمت أنك لن تدرك العصر فى وقته ، ولن تستطيع أداءه فى القطار من قيام ، فصله بعد الفراغ من صلاة الظهر مباشرة جمع تقديم ، وان وصلت قبل المغرب فلا تعد صلاة العصر واذا سافرت قبل الظهر ولم تتمكن من أدائه قياما فى القطار ووصلت بعد العصر فصل الظهر ثم العصر جمع تأخير ، وكذلك اذا سافرت قبل المغرب فاجمع بينه وبين العشاء

---

(١) اخرجه الطحاوى .

جمع تأخير ، واذا لم يتيسر لك الجمع وخفت ضياع الوقت فصله في القطار أو السيارة من قيام أو جلوس ، مستقبل القبلة أو غير مستقبل لها بحسب الاستطاعة ، وان لم يتيسر لك الوضوء في مثل هذه الحالة فتيمم .

واذا جمعت بين صلاتين فأذن للأولى فقط ، وأقم للأولى والثانية .

واعلم أن العصر لا يجمع مع المغرب بحال من الأحوال ، كذلك الصبح لا يجمع مع أى صلاة .

وأن القصر في السفر أفضل من الاتمام ولو لم يكن فيه مشقة لأن الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه .

وأنه يباح السفر يوم الجمعة ، على أن يصلى بدلها الظهر ركعتين قصرا ، وان صلاها فلا حرج .

* * *

وأخيرا أخا الاسلام :

فقد رأيت وبعد هذا العرض السريع لأحكام السفر (الدنيوى) وآدابه ، أن أدور معك حول ما يذكرنى واياك بالسفر (الأخروى) الطويل الذى يجب علينا أن نعمل له ولما بعده ألف حساب قبل فوات هذه الفرصة السانحة التى لا زلنا نتمتع بها :

— ألا وهى وجودنا الى هذه اللحظة في هذه الحياة الأولى — وقبل أن نندم ونقول كما قال القائل الذى لم يغتنم فرصة وجوده في هذه الحياة حتى انتهت أيامه كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تبارك وتعالى فيها :

« رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين . ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها ، والله خبير بما تعملون »(١) .

* * *

ولهذا ومن أجل كل هذا : كان لابد وأن يستعد الانسان العاقل لهذا السفر الطويل الذى أشرت اليه — أعلاه — حتى اذا ما فارق هذه الدنيا كان سعيدا هناك — في الدار الآخرة — بما قدم من أعمال صالحة تضمن له الفوز والنجاة يوم العرض على رب الأرباب سبحانه وتعالى : **« يوم ينظر المرء ما قدمت يداه »**(٢) .

---

(١) المنافقون : ١٠ ، ١١ (٢) النبأ : ٤٠

ولله در أبى الدرداء رضى الله عنه ، فلقد روى أنه وقف ذات يوم أمام الكعبة ثم قال لأصحابه :

« أليس اذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ قالوا : نعم . قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون . فقالوا : دلنا على زاده . فقال : حجوا حجة لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور » .

* * *

وهذا هو ما أريد أن أركز عليه فى هذا التلخيص الموضوعى السريع الذى خلاصته : أن الانسان فى هذه الدنيا له أيام أو لحظات ستنتهى حتما — طالت أم قصرت — وبعدها سيفارق هذه الدنيا الى عالم الحساب الذى سيعرض عليه فيه كتابه كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها :

« وكل انسان ألزمناه طائره[1] فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا »[2] .

* * *

وحسبى وحتى لا أطيل عليك واختصارا للموضوع أن أسوق اليك هذا الحديث الشريف الذى قرأته فى كتاب « مع الله » للشيخ محمد الغزالى ، والذى أورده الامام الغزالى رحمه الله ضمن رسالة أرسلها الى أحد الملوك ليعظه ، وهاك نصه :

« يحشر الأغنياء أربع فرق :

رجل جمع مالا من حرام وأنفقه فى حرام ، فيقال : اذهبوا به الى النار . ورجل جمع مالا من حرام وأنفقه فى حلال ، فيقال : اذهبوا به الى النار . ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه فى حرام ، فيقال : اذهبوا به الى النار . ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه فى حلال ، فيقال : قفوا هذا وسلوه : لعله ضيع بسبب غناه فيما فرضناه عليه ، أو قصر فى الصلاة ، أو فى وضوئها ، أو فى ركوعها ، أو فى سجودها ، أو فى خشوعها ، أو ضيع شيئا من فرض الزكاة والحج ؟ فيقول الرجل : جمعت مالى من حلال ، وأنفقته فى حلال ، وما ضيعت شيئا من حدود الفرائض ، بل أتيت بتمامها . فيقال : لعلك باهيت بمالك ،

---

(١) اى عمله .

(٢) الاسراء : ١٣ ، ١٤ .

واختلت فى شىء من ثيابك ؟ فيقول : يا رب .. ما باهيت بمالى ، ولا اختلت فى شىء من ثيابى . فيقال: لعلك فرطت فيما أمرناك من صلة الرحم وحق الجيران والمساكين ، وقصرت فى التقديم والتأخير والتفصيل والتعديل ؟ ويحيط به هؤلاء فيقولون : ربنا أغنيته بين أظهرنا وأحوجتنا اليه فقصر فى حقنا . فان ظهر تقصيره ، ذهب الى النار ، والا قيل له : قف .. هات الآن شكر كل نعمة ، وكل شربة ، وكل أكلة ، وكل لذة ، فلا يزال يسئل ويسئل ... » .

ثم يقول الامام الغزالى بعد هذا الحديث الشريف : فهذه حال الصالحين المصلحين القائمين بحقوق الله ، فكيف حال المفرطين المنهمكين فى الحرام والشبهات ... ؟



فمن كل هذا كما رأيت يتبين لك خطورة الموقف وما بعده من أحوال ، اللهم الا اذا كانت هناك أعمال صالحة تحول بين الانسان وهذه الأحوال التى أشار الله سبحانه وتعالى اليها فى قوله :

« ان عذاب ربك لواقع . ما له من دافع . يوم تمور السماء مورا . وتسير الجبال سيرا . فويل يومئذ للمكذبين . الذين هم فى خوض يلعبون . يوم يدعون إلى نار جهنم دعا . هذه النار التى كنتم بها تكذبون »(١) .

ثم يقول الله سبحانه وتعالى بعد ذلك بآيتين :

« ان المتقين فى جنات ونعيم . فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم . كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون »(٢) .



فلا تنس كل هذا أخا الاسلام ، وقدم لنفسك خيرا ينفعك :

« يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم »(٣) .

و :

قدم لنفسك خيرا وأنت مالك مالك
من قبل تصبح فردا ولون حالك حالك
ولست والله تدرى أى المسالك سالك
اما جنة عدن أو فى المهالك هالك

---

(١) الطور : ٧ — ١٤ (٢) الطور : ١٧ — ١٩
(٣) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩

واعمل دائما وأبدا ليوم رحيلك وأنت تذكر قول القائل :

أترضى أن تكون رفيق قوم　　لهم زاد وأنت بغـير زاد

* * *

وتذكر أيضا قول على رضى الله عنه :

« من أمضى يومه فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد بناه ، أو حمد حصله ، أو علم اقتبسه : فقد عق يومه وظلم نفسه » .

* * *

وكن دائما وأبدا من الفطناء الذين تحدث عنهم القائل فى قوله :

ان لله عبـــادا فطنـــا　　طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيهـا فلمـا علموا　　أنهـا ليست لحى وطنـا
جعلوها لجة[1] واتخـذوا　　صالح الأعمـال فيها سـفنا

* * *

* وختــاما ..

اليك هذه الوصية اللقمانية التى أرجو أن تكون لك زادا فى جميع أسـفارك :

يا بنى .. اذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم ، وأكثر التبسم فى وجوههم ، وكن كريما على زادك ، واذا دعوك فأجبهم ، واذا استعانوك فأعنهم ، واذا سـألوك فأعطهم ، واذا أنزلوا بك حاجة أو كلفوك أمرا فتبرع لهم ، وقل : نعم ، ولا تقل لا ، فان (لا) عى و (لا) لؤم ، واذا استشهدت فاشهد ، واذا استشرت فلا تعجل حتى تنظر ، واسمع لمن هو أكبر منك .

واذا أراد أصحابك يمشون فامش معهم ، أو يعملون فاعمل معهم ، واحذر أن تشير برأى مالا تدرى ، واذا تحيرتم فى طريقكم فانزلوا واذا شككتم فى القصد فتآمروا ، واذا رأيتم شخصا واحدا فلا تسألوه عن الطريق ، ولا تسترشدوه ، فان الشخص الواحد فى الفلاة مريب ، ولعله يكون عينا للصوص ، أو يكون هو الشيطان الذى حيركم ، واحذروا الشخصين أيضا الا أن تروا مالا أرى ، فان العاقل اذا أبصر

---

(١) لجة : أى بحرا .

شيئا بعينه عرف الحق بقلبه والشاهد يرى مالا يرى الغائب ، واذا حضر وقت الصلاة فلا تؤخروها لشىء وصلوها فى وقتها واستريحوا منها فانها دين من ديون الله ، وصلوها فى جماعة ولو على طرف زج ، ولا تنامن على دابتك فان ذلك سريع فى دبرها ، واذا نزلت منزلا فابدأ بعلفها قبل نفسك فانها نفسك ، واذا أردتم النزول فعليكم من الأرض بأحسنها لونا وألينها تربة وأكثرها عشبا ، واذا نزلت فصل ركعتين قبل أن تقعد ، واذا استطعت أن لا تأكل طعاما حتى يبدو فتصدق منه فافعل ، وعليك بقراءة كتاب الله ما كنت راكبا ، وعليك بالتسبيح ما دمت عاملا ، وعليك بالدعاء ما كنت خاليا .

واذا أردت الحاجة فأبعد المذهب فى الأرض واستتر ما استطعت ثم استنق بالطوب ، واذا رحلت فصل ركعتين قبل أن تركب وودع الأرض التى خليتها وسلم على أهلها ، فان لكل بقعة من الأرض أهلا من الملائكة ، واياك والسير من أول الليل ، فانه مسايرة الجن ومخاطرة شرهم ، وعليك بالتعريس حينئذ وبالدلجة دون نصف الليل الى آخره .

واياكم ورفع صوتكم فى مسيركم فانكم تؤذنون بكم اللصوص وتدلون بكم السباع ، وسافر بقوسك وسيفك وعمامتك وحذائك واشفالك ومخرزك ومحذاك وملتك وابرك وخيوطك ، وتزود معك من الأدوية فتنتفع بها وتنفع بها من يليك ، وكن لأصحابك موافقا ، ولهم فى جميع الأمور مواتيا الا فى معصية الله .

اذا رافقت فى الأسفار قوما	فكن لهم كذى الرحم الشفيق
يعيب النفس ذا بصره وعلم	وأعمى العين عن عيب الرفيق
عليك معالى الأخلاق فيهــا	ولا تسفف الى الخلق الدقيق
ولا تأخــذ بعــثرة كل قوم	ولكن قل : هلم الى الطريق
فان تأخــذ بعثرتهم يقولوا	وتبقى فى الزمان بلا صــديق



الوصية الرابعة والعشرون

عن جابر رضى الله عنه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول :

« لا يموتن أحـــدكم الا وهو : يحسن الظن بالله عز وجل » .

(رواه مسلم وابو داوود)

* * *

فكن أخا الاسلام :

منتفعا بهذه الوصية العظيمة التى زود بها المصطفى صلى الله عليه وسلم كل فرد من أمته قبل انتقاله الى جوار ربه بثلاثة أيام كما يقول جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، راوى هذا الحديث .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصينا بأن لا نفارق الدنيا الا ونحن نحسن الظن بالله عز وجل الذى يقول كما ورد فى الحديث القدسى : « أنا عند ظن عبدى بى ... »[1] .

فمن الخير أن تكون حسن الظن بالله عز وجل مهما كانت أخطاؤك ما دمت قد تبت الى الله سبحانه وتعالى وندمت على ما فعلت .

وحسبك ترغيبا لك فى هذا قول الله تعالى فى كتابه العزيز :

« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم »[2] .

فقد روى أن السبب فى نزول هذه الآية : أن قوما قالوا : يا رسول الله .. يغفر لنا ربنا ان أسلمنا على ما كان منا من الكفر والقتل وغيره ؟ فنزلت هذه الآية .

---

(١) من حديث رواه البخارى ومسلم .   (٢) الزمر : ٥٣

يقول ثوبان رضى الله عنه : لما نزلت قال صلى الله عليه وسلم :
« ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية » .

ومعناها : أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب .

ويقول سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى شأنها : هى أرجى آية فى القرآن .

وقيل : أرجى آية فى القرآن : **« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »**[1] .

وقيل : أرجى آية : **« ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما »**[2] .

وقال زين العابدين رضى الله عنه : أرجى آية : **« ولسوف يعطيك ربك فترضى »**[3] فان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يرضى واحدا من أمته فى النار .

بل وحسبك أن تقرأ هذا الحديث القدسى الذى رواه ابن مسعود رضى الله عنه : « يقول الله تعالى : يا عبدى .. لم تقنط ؟ أليس أنا الذى أظهرتك ، ولأمانى طوقتك ، مالك تتجاهل على كأنك ما عرفتنى ، وتنتحى كأنك ما وافقتنى .

عبدى .. ان استقلتنا أقلناك ، وان تبت الينا قبلناك ، وان عزمت على قصدنا أدنيناك ، وان اضطرب دليلك أريناك ، وان عاديت نفسك فى حب ودنا والبناك ، وان بكيت لعوز دوائك داويناك ، وان بكيت لضرك شفيناك ، وان بكيت خشية أحضرناك ، وان بكيت خوفا أمناك ، وان بكيت أسفا على ما فاتك من حقوقنا عوضناك ... » .

فكن راجيا رحمة الله ، فهو كما رأيت صاحب الكرم والعطاء الذى يقول كما ورد أيضا فى حديث قدسى :

« ... وأنا أرحم بعبادى من الوالدة على ولدها » .

* * *

واعلم أن الرجاء هو حسن الظن بالله تعالى فى قبول طاعة وفقته لها ، أو مغفرة سيئة تبت منها .

---

(١) النساء : ٤٨ (٢) النساء : ١١٠

(٣) الضحى : ٥

وأما الطمأنينة مع ترك الطاعات والاصرار على المخالفات فأمن وغرور ، وقد نهى الله عنه فقال : « **ولا يغرنكم بالله الغرور** »(١) يعنى الشيطان ، فانه يحسن لك المعاصى وربما يجرك الى ذلك برجاء عفو الله تعالى وكرمه .

وقد وصف الله الراجين بالمعنى الحقيقى فقال متحدثا عنهم بأهم الأعمال التى يرجون رحمة الله تعالى بها : « **أن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور** »(٢) .

كما ذم الله سبحانه وتعالى من انقطع رجاؤه من فضله تعالى فقال : « **انه لا ييأس من روح(٣) الله الا القوم الكافرون** »(٤) .

* * *

وقد رأيت فى هذا العرض ــ حتى تكون من الذين يرجون تجارة لن تبور ، وحتى لا تكون من الذين ذمهم الله تعالى فى هذه الآية الأخيرة ــ أن أسوق اليك هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا وتستغفروا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم »(٥) .

وعنه أيضا رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لله مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحوش على ولدها ، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة »(٦) .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبى فاذا امرأة من السبى تسعى اذ وجدت صبيا فى السبى أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار » ؟ قلنا : لا والله ، فقال : « الله أرحم بعباده من هذه بولدها »(٧) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) لقمان : ٣٣ — (٢) فاطر : ٢٩
(٣) أى رحمته . — (٤) يوسف : ٨٧
(٥) رواه مسلم وغيره . — (٦ ــ ٧) متفق عليه .

وسلم : « لما خلق الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش : ان رحمتى تغلب غضبى » وفى رواية : « غلبت غضبى » وفى رواية : « سبقت غضبى »[١] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل فى ابراهيم عليه السلام :

« رب انهن أضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعنى فانه منى »[٢] الآية . وقول عيسى عليه السلام : **« ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم »**[٣] فرفع يديه وقال : « اللهم أمتى أمتى » وبكى ، فقال الله عز وجل : يا جبريل .. اذهب الى محمد — وربك أعلم — فسله : ما يبكيه ؟ فأتاه جبريل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم فقال الله تعالى : يا جبريل .. اذهب الى محمد فقل : انا سنرضيك فى أمتك ولا نسوءك[٤] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة نحوا من أربعين فقال :

« أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة » ؟ قلنا : نعم ، قال : « أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة » ؟ قلنا : نعم ، قال : « والذى نفس محمد بيده انى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ، وذلك أن الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة ، وما أنتم فى أهل الشرك الا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود » — أو قال : « الشعرة السوداء فى جلد الثور الأحمر — »[٥] .

وعن البراء بن عازب رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم اذا سئل فى القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى : **« يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة »**[٦] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يدنى المؤمن يوم القيامة من ربه حتى يضع كنفه[٧]

---

(١) متفق عليه .
(٢) ابراهيم : ٣٦
(٣) المائدة : ١١٨
(٤) رواه مسلم .
(٥) متفق عليه .
(٦) متفق عليه — والآية من سورة ابراهيم : ٢٧
(٧) كنفة : ستره ورحمته .

عليه فيقرره بذنوبه فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : رب .. أعرف ، قال : فانى قد سترتها عليك فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى صحيفة حسناته »[1] .

وليس هذا معناه أن نتكل على رحمة الله وكرمه دون عمل فقد ورد فى الحديث القدسى : « ما أقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل ، كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى » .

ولهذا قال الله تعالى فى كتابه العزيز فى حديثه عن الذين كتب لهم رحمته : « **ورحمتى وسعت كل شىء** »[2] ولو انتهت الآية عند هذا الحد لجاز لابليس ــ عليه لعنة الله ــ أن يطالب بدخول الجنة لأنه شىء من الأشيــاء ، ولكن الله سبحانه وتعالى وهو العليم الخبير الذى « **لا يظلم مثقال ذرة ، وان تك حسنة يضاعفها** »[3] لم يترك للأبالسة احتجاجا ، ولهذا نراه بعد قوله : « **وسعت كل شىء** » يقــول : « **فسأكتبها[4] للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجــدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهــاهم عن المنــكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم[5] والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه[6] ونصروه واتبعوا النور[7] الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون** »[8] .

فاذا كنت من هؤلاء فأنت من أهل الفلاح ، بل وأنت من أهل الرحمة الذين أعد الله لهم فى جنة الخلد « مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

وما دمت فى هذه الدنيا فأنت فى دار ابتلاء الى أن تموت ، وفى هذا يقول أحدهم :

انى ابتليت بأربع ما سلطوا　　الا لشــدة شقوتى وعنائى
ابليس والدنيا ونفسى والهوى　　كيف الخلاص وكلهم أعدائى

---

(١) متفق عليه .　　(٢) الاعراف : ١٥٦
(٣) النساء : ٤٠　　(٤) أى الرحمة .
(٥) أى التكاليف الشاقة .
(٦) أى حموه من عدوه حتى لا يناله سوء .
(٧) وهو القرآن .　　(٨) الاعراف : ١٥٦ ، ١٥٧

ولهذا كان لابد وأن تكون مع الرجاء خائفا من الله سبحانه وتعالى الى أن تموت حتى تظل مشمرا عن ساعد الجد فى طاعته سبحانه وتعالى ، فقد ورد فى الحديث الشريف :

« من خاف أدلج[1] ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا ان سلعة الله غالية ، ألا ان سلعة الله الجنة »[2] .

ولهذا كان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يسمع لقلبه أزيز اذا وقف يصلى كحس المرجل ، وكان كثير البكاء ، وفى هذا يقول تعالى : « **ان ابراهيم لحليم أواه منيب** »[3] فأتاه جبريل عليه السلام وقال له : الجبار يقرئك السلام ويقول لك : هل رأيت خليلا يخاف خليله ؟ فقال : يا جبريل .. اذا ذكرت خطيئتى نسيت خلتى .

وكان داوود عليه السلام اذا عوتب فى كثرة بكائه يقول : « دعونى أبكى قبل خروج يوم البكاء ، وقبل انحراق العظام ، واشتعال الحشا ، وقبل أن يؤمر بى ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » .

وكان محمد صلى الله عليه وسلم ــ وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ــ اذا وقف يصلى يسمع لدمعه وقع كوقع المطر .

وكان اذا تغيرت الريح تغير وجهه ويتردد خارجا وداخلا خوفا على أمته من عذاب الله تعالى .

كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما جاءنى جبريل قط الا وهو يرعد فزعا من الجبار عز وجل » .

وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ــ وهو الذى أعز الله به الاسلام تحقيقا لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم[4] ــ دائم البكاء لدرجة أنك كنت ترى على وجهه خطين أسودين من كثرة انحدار الدموع ، وكنت تشم من فمه رائحة الكبد المشوى من شدة الخوف من الله سبحانه وتعالى .

---

(١) ادلج ــ باسكان الدال ــ اى سار من أول الليل ، والمراد التشمير فى الطاعة .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن . (٣) هود : ٧٥ .

(٤) يوم ان قال : « اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين : عمرو بن هشام أو عمر بن الخطاب » .

وقرأ عليه رضوان الله : **« اذا الشمس كورت »**[١] فلما بلغ : **« واذا الصحف نشرت »**[٢] خر مغشيا عليه ، وسمع مرة أخرى قارئا يقرأ فى سورة الطور فوقف ، فلما بلغ قوله تعالى : **« ان عذاب ربك لواقع • ماله من دافع »**[٣] استند الى الحائط ساعة وذهب الى منزله فمرض شهرا والناس لا يدرون ما سبب مرضه •

وصلى زرارة بن أوفى بالناس صلاة الصبح فلما قرأ : **« فاذا نقر فى الناقور[٤] • فذلك يومئذ يوم عسير »**[٥] وقع ميتا رحمه الله تعالى •

ولما نزل قوله تعالى : **« وان جهنم لموعدهم أجمعين »**[٦] صاح سلمان الفارسى صيحة ووضع يده على رأسه وهام على وجهه ثلاثة أيام •

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول : ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ، فوالله لو يعلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته ، وصلى حتى ينكسر صلبه •

واجتمع أصحاب الحديث يوما على باب الفضيل رحمه الله تعالى فاطلع عليهم من كوة وهو يبكى ويرجف ، فقال : عليكم بالقرآن ، عليكم بالصلوات ، فهذا زمان بكاء وتضرع ودعاء كدعاء الغريق ، هذا زمان : احفظ لسانك ، وليسعك مكانك ، وعالج قلبك ، وخذ ما تعرف ، ودع ما تنكر •

وكان رحمه الله يوما ماشيا فقيل له : الى أين ؟ فقال : لا أدرى • وكان والها من الخوف •

ووقف قوم بعابد يبكى فقالوا له : ما يبكيك ؟ قال : روعة يجدها الخائفون فى قلوبهم ، قالوا : وما هى ؟ قال : روعة النداء بالعرض على الله تعالى •

وكان الخواص يبكى ويقول : الهى •• كبرت وضعف جسمى عن حدمتك فأعتقنى •

وكان طاووس يفرش فراشه ويضطجع عليه فيتقلى كما تتقلى

---

(١) التكوير : ١ (٢) التكوير : ١٠

(٣) الطور : ٧ ، ٨

(٤) المراد : نفخ فى الصور لبعث الناس من القبور •

(٥) المدثر : ٨ ، ٩ (٦) الحجر : ٤٣

الحبة فى المقلاة ثم يقوم فيطويه ويصلى الى الصبح ويقول : طير ذكر جهنم نوم الخائفين .

وكان الحسن البصرى رحمه الله اذا جلس كأنه أسير قدم ليضرب عنقـــه .

وقال رجل لبعض الصالحين : أوصنى . قال : يا أخى .. ان استطعت أن تكون كرجل احتوشته السباع والهوام فهو خائف أن يغفل فتفترسه السباع أو تنهشه الهوام ، فهو خائف حذر وجل القلب فهو فى الخوف فى ليله وان أمن المغترون ، وفى الحزن فى نهاره وان فرح البطالون . فقال : زدنى رحمك الله . قال : يا أخى .. الظمآن يجزيه من المـــاء يسيره .

وسمع يحيى البكاء رجلا يقرأ : « **ولو ترى اذ وقفوا على ربهم** »(١) فصاح صيحة مرض منها أربعة أشهر ، يعاد من أطراف البصرة .

هذا .. واعلم أن الخائفين على مراتب :

فخوف العارفين اجلال وتعظيم لمـــا غلب على قلوبهم من ذكر جلال الله تعالى وعظمته من غير فكرة فى شىء من أفعاله ، وهذا خوف الأنبياء والملائكة وخواص الأولياء .

وأما خوف أكثر المؤمنين فيذكروا الوعد والوعيد وأهوال القيامة مع فكرتهم فى الجنايات والتفريط ، واتهامهم لنفوسهم أن يكون فيها من الآفات الباطنة ما يربى على المعاصى الظاهرة كالعيب والرياء والحسد والكبر ونحوها ، وأشـــد ما يهيج خوف هؤلاء ويزعج قلوبهم خوف السابقة والخاتمة اذ العبد لا يدرى هل سبق له فى علم الله تعالى السعادة أو الشقاوة ، والخاتمة تجرى على ما جرت به السابقة . فمن سبق له فى علم الله تعالى السعادة ختم له بخاتمة الايمان ... ومن سبق له فى علم الله تعالى الشقاوة ختم له بخاتمة الخزلان ، وفى هذا يقول تبارك وتعالى : « **واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه** »(٢) ويقول صلى الله عليه وسلم : « ... يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا »(٣) وأكثر ما يمكر عند الموت بأربابه

---

(١) الأنعام : ٣٠ (٢) الأنفال : ٢٤

(٣) من حديث شريف صحيح ، رواه مسلم .

البدع وأصحاب الآفات الباطنة والظلمة والمجاهرين بالمعاصى ، فمن كان ظاهره الصلاح ومكر به فلآفات باطنة .

ولهذا روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه وهو الذى قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى شأنه : « لو وضع ايمان أبى بكر فى كفة وايمان الأمة فى كفة لرجح ايمان أبى بكر » كان يقول : « لو كانت احدى رجلى فى الجنة والأخرى على بابها ما أمنت من مكر الله »[1] .

وقيل لسفيان الثورى — وقد كان كثير البكاء والجزع — : يا أبا عبد الله .. عليك بالرجاء ، فان عفو الله أعظم من ذنوبك . فقال : أو على ذنوبى أبكى ، لو علمت أنى أموت على التوحيد لم أبال بمثل الجبال من الخطايا .

ومرض بعض العارفين فقال لبعض اخوانه : اقعد عند رأسى حتى أموت ، فان مت على التوحيد فاشتر بجميع ما أملكه لوزا وسكرا ووزعه على صبيان البلد وقل : هذا عرس فلان .

وان لم يكن كذلك فأعلم الناس حتى لا يغتروا بجنازتى ، فقعد عند رأسه حتى مات على الايمان فاشترى اللوز والسكر ووزعه على صبيان البلد .

وكان حبيب العجمى يبكى ويقول : من ختم له بـ « لا اله الا الله » دخل الجنة ، ثم يبكى ويقول : ومن لى بأن يختم لى بـ « لا اله الا الله » .

وقال سفيان الثورى : رأيت رجلا متعلقا بأستار الكعبة وهو يقول : اللهم سلم سلم . فقلت : يا أخى .. ما قضيتك ؟ فقال : كنا أربعة اخوة مسلمين فتوفى منا ثلاثة كل واحد يفتن عند موته ، ولم يبق الا أنا فما أدرى بم يختم لى .

وروى أنه اذا صعدت الملائكة بروح المؤمن تقول الملائكة : كيف سلم هذا من دار فتن فيها خيارنا ؟

وكان يحيى بن معاذ يبكى ويقول : الهى ليس يبكينى اليوم ذنب وان عظم ، وانما يبكينى حالتى التى لا أدرى كيف أنا بها عندك ، الهى .. العياذ بذكرك من مكرك ، والاستعانة على قدرك بقدرك ، لا تبل قلبى بالفراق فانه يا رب أضعف من بلى بفراق .

* * *

---

(١) اى استدراجه .

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وسل الله أن يثبتك على الحق حتى تلقاه موحدا •

وتذكر دائما وأبدا قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ••• لن يدخل أحدا الجنة عمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته »[١] •

وقوله لابنته فاطمة رضى الله عنها : « اعملى فانى لا أغنى عنك من الله شيئا » •

وقل مع الرجل الصالح :

اللهم اجعل الايمان لنا سراجا ، ولا تجعله لنا استدراجا ، اجعله لنا سلما الى جنتك ، ولا تجعله مكرا الى مشيئتك ، انك أنت الحليم الغفــور •

* * *

وحتى نعود الى موضوعنا الى ندور حوله والذى هو موضوع الوصية ، اليك ما قاله النووى فى « رياض الصالحين » :

واعلم : أن المختار للعبد فى حال صحته أن يكون خائفا راجيا ويكون خوفه ورجاؤه سواء ، وفى حال المرض بمحض الرجاء •

وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظـاهرة على ذلك •

قال الله تعالى : « **فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون** »[٢] •

وقال : « **انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** »[٣] •

وقال : « **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** »[٤] •

وقال : « **ان ربك لسريع العقاب ، وانه لغفور رحيم** »[٥] •

وقال : « **ان الأبرار لفى نعيم • وان الفجار لفى جحيم** »[٦] •

وقال : « **فأما من ثقلت موازينه • فهو فى عيشة راضية • وأما من خفت موازينه • فأمه هاوية** »[٧] •

والآيات فى هذا المعنى كثيرة ، فيجتمع الخوف والرجاء فى آيتين مقترنتين ، أو آيات ، أو آية •

---

(١) من حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وغيرهما •

(٢) الأعراف : ٩٩

(٣) يوسف : ٨٧

(٤) آل عمران : ١٠٦

(٥) الأعراف : ١٦٧

(٦) الانفطار : ١٣ ، ١٤

(٧) القارعة : ٦ — ٩

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد »[١] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا وضعت الجنازة واحتملها الناس ــ أو الرجال ــ على أعناقهم فان كانت صالحة قالت : قدمونى قدمونى ، وان كانت غير صالحة قالت : يا ويلها .. أين تذهبون بها ، يسمع صوتها كل شىء الا الانسان ولو سمعه صعق »[٢] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الجنة أقرب الى أحدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك »[٣] .

* * *

فلاحظ كل هذا ، مع الاحاطة بأن :

الخوف من مقام الله وحسابه يدعو الى المواظبة على العمل والعلم لتنال رتبة القرب من الله تعالى ، والخوف سوط الله تعالى يقوم به الشاردين عن بابه ، فمن خاف المقام بين يدى ربه يوم العرض ونهى النفس عن هواها وردها عن غيها فان الجنة هى المأوى ، وينبغى للمؤمن أن يكون كثير الفكر فيما بين يديه من الأهوال ، كثير المحاسبة لنفسه فى عد نعم الله تعالى وعد جنايات نفسه ليدوم بذلك خوفه ، فان الخوف اذا فارق القلب خرب والغالب على النفس الفتور والأمن والكسل عن الطاعات ، والميل الى الشهوات ودواء ذلك الخوف ، فأما من دام عليه الخوف حتى مال الى القنوط والاياس من رحمة الله تعالى فينبغى أن يداوى بالرجاء ويذكر سعة رحمة الله تعالى ، فمثال الخوف والرجاء كمثال الحرارة والبرودة ، فمن غلب عليه أحدهما حتى خيف عليه الانحراف والتلف يداوى بالآخر حتى يرجع الى حد الاعتدال .

وفى الحديث : « ... ولو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا » .

وفائدة الخوف : التقوى والورع والمبادرة والاجتهاد ، فان مال الى حد يخرج عن حد الاعتدال وقع فى القنوط ، وبطل العمل ، وذهبت

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى .

فائدة الخوف ، واذا دخل عليه الرجاء والطمع رده الى التقوى والورع ، والمطلوب التقوى ، وانما الخوف والرجاء طريقان .

* * *

وحتى تعرف أهمية الخوف والرجاء وثمرة كل منهما اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة :

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم هذه الآية : « **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة** »[١] تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على أصحابه فخر فتى مغشيا عليه فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده[٢] فاذا هو يتحرك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا فتى .. قل : لا اله الا الله » فقالها ، فبشره بالجنة ، فقال أصحابه : يا رسول الله .. أمن بيننا[٣] ؟ قال : أو ما سمعتم قوله تعالى : « **ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد** »[٤] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه جل وعلا أنه قال : « وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين ، اذا خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة ، واذا أمننى فى الدنيا أخفته فى الآخرة »[٥] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل[٦] : أخرجوا من النار من ذكرنى يوما ، أو خافنى فى مقام »[٧] .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان رجلا كان قبلكم رغسه[٨] الله مالا ، فقال لبنيه لما حضر[٩] : أى أب كنت لكم ؟ قالوا : خير أب ، قال : فاننى لم أعمل خيرا قط .

---

(١) التحريم : ٦
(٢) ليرى هل فارق الحياة أم لايزال حيا .
(٣) أى أتبشره من بيننا بالجنة وتخصه بذلك .
(٤) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد — والآية من سورة ابراهيم : ١٤.
(٥) رواه ابن حبان فى صحيحه . (٦) والخطاب للملائكة .
(٧) رواه الترمذى والبيهقى ، وقال الترمذى : حديث غريب .
(٨) الرغس : هو النعمة والبركة والنماء .
(٩) أى لما حضرته الوفاة ، أو حضرته الملائكة لتقبض روحه .

فاذا مت فأحرقونى ثم اسحقونى[١] ، ثم ذرونى فى ريح عاصف[٢] ، ففعلوا ، فجمعه الله ، فقال : ما حملك ؟ فقال : مخافتك ، فتلقاه برحمته »[٣] .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت[٤] فقال : « كيف تجدك »[٥] ؟ قال : أرجو الله يا رسول الله ، وانى أخاف ذنوبى[٦] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو ، وأمنه مما يخاف »[٧] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « حسن الظن[٨] من حسن العبادة »[٩] .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال :

« والذى لا اله غيره لا يحسن عبد الظن بالله الا أعطاه ظنه ، وذلك بأن الخير فى يده »[١٠] .



وهذا الحديث القدسى الذى يحدثنا الله سبحانه وتعالى فيه عن القضية الكبرى التى بينه وبين عباده من الجن والانس فيقول :

« انى والجن والانس فى نبأ عظيم : أخلق ويعبد غيرى ، وأرزق ويشكر سواى ، خيرى الى العباد نازل ، وشرهم الى صاعد ، أتقرب اليهم بنعمى وأنا الغنى عنهم ، ويتبغضون الى بالمعاصى وهم أفقر شىء الى ، من أقبل الى تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عنى ناديته من قريب ، فانى أحب التوابين وأحب المتطهرين .

---

(١) اى دقونى دقا ناعما . (٢) اى عاتية شديدة الهبوب .

(٣) رواه البخارى ومسلم . (٤) اى وهو يعالج سكرات الموت .

(٥) اى على اى حال انت اراج ام خائف ؟

(٦) اى انه جمع بين الرجاء فى رحمة الله ومغفرته وبين الخوف من المؤاخذة على الذنب .

(٧) رواه الترمذى وقال : حديث غريب ، وابن ماجه وابن ابى الدنيا كلهم من رواية جعفر بن سليمان الصيفى عن ثابت بن انس ، وقال الحافظ اسناده حسن .

(٨) اى بالله تعالى والمسلمين .

(٩) رواه ابو داوود وابن حبان فى صحيحه واللفظ لهما والترمذى والحاكم ولفظهما قال : « حسن الظن من حسن العبادة » .

(١٠) رواه الطبرانى موقوفا ورواته رواة الصحيح .

أهل ذكرى أهل مجالستى ، وأهل طاعتى أهل مغفـــرتى وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى ، فان تابوا الى فأنا حبيبهم ، وان أعرضوا وأبوا فأنا طبيبهم •

أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعائب ، الحسنة عندى بعشرة أمثالها ، والسيئة عندى بواحدة ، ومن استغفرها غفرتها له ، وأنا أرحم بعبادى من الوالدة على ولدها » •

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، وكن عبدا مطيعا لله سبحانه وتعالى الذى كما رأيت يقابل الاساءة بالاحســـان **« هل جــزاء الاحسان الا الاحسان »**(١) •

وحسبك أنه سبحانه وتعالى يفتح لك باب توبته على مصراعيه ، ويرحب بعودتك اليه مهما كنت عاصيا ما دمت لا تشرك به سبحانه وتعــالى شيئا •

واعلم أن الله سبحانه وتعالى ان عدت اليه واصطلحت معه سيغفر لك جميع ذنوبك وأخطائك بل وسيجل لك مكانها حسنات كما أشار الى هذا سبحانه وتعالى فى قوله : **« الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما »**(٢) •

وقد ورد فى الحديث الشريف : « اذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد بذنب » • فلا تنس كل هذا •

واحذر القنوط من رحمة الله تعالى •

وحسبك أن تقرأ دائما وأبدا قول الله تعالى : **« قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ••• »**(٣) •

ولا تيأس فان اليـــأس كفر   وان الله مـــولانا جميـــل
ولا تظنن بربك ظن ســـوء   فان الله أولى بالجميـــل

وتأمل كذلك هذه الآثار الموضوعية التى أرجو كذلك أن تنتفع بها :

روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، قال لطائر : ليتنى مثلك يا طائر ولم أخلق بشرا •

---

(١) الرحمن : ٦٠   (٢) الفرقان : ٧٠
(٣) الزمر : ٥٣

وقال أبو ذر رضى الله عنه : وددت لو أنى شجرة تعضد . وكذلك قال طلحة عليهما رضوان الله .

وقال عثمان رضى الله عنه : وددت أنى اذا مت لم أبعث .

وقالت عائشة رضى الله عنها : وددت أنى كنت نسيا منسيا .

ومر سيدنا عمر رضى الله عنه بدار انسان وهو يصلى ويقرأ سورة (الطور) فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى : **« ان عذاب ربك لواقع . ما له من دافع »**[1] نزل عن حماره ، واستند الى حائط ، ومكث زمانا ، ورجع الى منزله فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه .

وهكذا كما رأيت كانوا مع ايمانهم وتقواهم يرجون رحمة الله ويخشون عذابه أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ورد أنه كان يقول كما ورد فى الصحيحين : « والله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم له خشية » .

* * *

فكن من هؤلاء الذين يرجون رحمة الله عز وجل ويخشون عذابه فهو سبحانه **« غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب »**[2] .

واياك أن تكون من الذين عناهم الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله :

« ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل وان قوما ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم ، وقالوا : نحن نحسن الظن بالله تعالى ، وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل »[3] .

* * *

واذكر دائما وأبدا قول الله تبارك وتعالى : **« انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا . ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى . جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء من تزكى »**[4] .

---

(١) الطور : ٧ ، ٨ (٢) غافر : ٣
(٣) اخرجه البخارى فى « التاريخ » .
(٤) طه : ٧٤ ــ ٧٦ .

و :

ان كنت أذنبت فقم واعتذر　　الى كريم يقبل الاعتذار
وانهض الى مولى عظيم الرجا　　يغفر بالليل ذنوب النهار

وليكن نصب عينيك دائما وأبدا قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قاله فى خطبته يوما : « ألا ان الدنيا عرض حاضر ، يأكل منه البر والفاجر ، ألا وان الآخرة أجل صادق ، ويقضى فيها ملك قادر . ألا وان الخير كله بحذافيره فى الجنة ، ألا وان الشر كله بحذافيره فى النار . ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر ، واعلموا أنكم معرضون على أعمالكم :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »[1] .

* * *

مع ملاحظة هذين الحديثين الشريفين :

عن عمر بن حصين قال : قال رجل : يا رسول الله .. أيعرف أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : « نعم » قال : فلم يعمل العاملون ؟ قال : « كل يعمل لما خلق له — أو لما يسر له — »[2] .

وعن على رضى الله عنه قال : كنا جلوسا مع النبى صلى الله عليه وسلم ومعه عود ينكت به فى الأرض وقال : « ما منكم من أحد الا كتب مقعده من النار أو من الجنة » فقال رجل من القوم : ألا نتكل يا رسول الله ؟ قال : « لا ، اعملوا فكل ميسر » ثم قرأ : **« فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى »**[3] .

* * *

وتستطيع بعد وقوفك على كل هذا واقتناعك به ، وحرصك على تحقيقه وفهمه أن تقول مع القائل :

يا رب ان عظمت ذنوبى كثرة　　فلقد علمت بأن عفوك أعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن　　فمن الذى يدعو ويرجو المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعا　　فلئن رددت يدى فمن ذا يرحم
مالى اليك وسيلة الا الرجا　　وجميل عفوك ثم انى مسلم

حتى تموت وأنت تحسن الظن بالله تعالى .

---

(١) رواه الشافعى .　　(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى — والآية من سورة الليل : ٥ — ٧

الوَصِيّة الخامِسَة والعشرون

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه سلم :

« يا معشر الشباب .. من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » .

(رواه البخارى ومسلم واللفظ له)

* * *

فكن أخا الاسلام :

يا من يعنيك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ولا سيما اذا كنت من الشباب[1] الذين لا زالوا فى مقتبل العمر ، وفى كامل صحتهم وقوتهم ما دمت تستطيع القيام بواجب الزوجية من جميع الجوانب الحسية والمعنوية ، وهذا هو ما يعنيه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ... من استطاع منكم الباءة فليتزوج » .

قال النووى : « معناه من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤونته وهى مؤن النكاح فليتزوج ، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليقطع شهوته ويقطع شر منيه كما يقطعه الوجاء[2] ، وعلى هذا القول وقع الخطاب مع الشباب الذين هم مظنة شهوة النساء ولا ينفكون عنها غالبا .

والقول الثانى : أن المراد هنا بالباءة مؤن النكاح . سميت باسم ما يلازمها وتقديره : من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم .

قالوا : والعاجز عن الجماع لا يحتاج الى الصوم لدفع الشهوة فوجب تأويل الباءة بالمؤن » اهـ .

---

(١) الشباب من سن البلوغ الى الثلاثين تقريبا ، وانما خص الشباب لأن الغالب وجود قوة لدواعى فيهم الى النكاح بخلاف الشيوخ .

(٢) الوجاء : رض عروق البيضتين حتى تنفضخ فيكون شبيها بالخصاء .

وحتى لا أطيل عليك : حسبك ترغيبا لك فى الزواج الذى هو من سنن المرسلين كما جاء فى الحديث الشريف :

عن أبى أيوب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربع من سنن المرسلين[١] : الحناء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح » وقال بعض الرواة : « الحياء »[٢] .

ومن خير متاع الدنيا بنص الحديث الشريف الذى رواه :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدنيا متاع[٣] ، وخير متاعها المرأة الصالحة »[٤] .

والمرأة الصالحة هى كما ورد فى الحديث الشريف : « من اذا نظر اليها المرء سرته ، واذا أمرها أطاعته ، واذا أقسم عليها أبرته ، واذا غاب عنها حفظته فى نفسها وفى ماله » .



وحسبك ترغيبا لك فى هذا الخير الذى أنت من أفقر الناس اليه أن تقرأ قول الله تعالى :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا[٥] اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »[٦] .

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا من زوجة

---

(١) أى من طريقتهم وهديهم .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب ، رواه الامام احمد والبيهقى ، قال العلقمى : حسن .

(٣) المتاع : اسم لكل ما يتمتع به ، أى ينتفع ويتلذذ .

(٤) رواه مسلم والنسائى وابن ماجه .

(٥) بيان لحكمة الزواج .

(٦) الروم : ٢١

صالحة[١] ، ان أمرها أطاعته[٢] ، وان نظر اليها سرته[٣] ، وان أقسم عليها أبرته[٤] ، وان غاب عنها نصحته فى نفسها وماله »[٥] .

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أربع من أعطيهن ، فقد أعطى خير الدنيا والآخرة : قلبا شاكرا ، ولسانا ذاكرا ، وبدنا على البلاء صابرا ، وزوجة لا تبغيه حوبا[٦] فى نفسها[٧] وماله »[٨] .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من رزقه الله امرأة صالحة ، فقد أعانه على شطر[٩] دينه فليتق الله فى الشطر الباقى »[١٠] .



واذا أردت أن تكون موفقا فى اختيار الزوجة التى تكون عونا لك فى دينك ودنياك فاليك هذه التوجيهات المحمدية :

---

(١) اى برة تقية عفيفة نقية عاقلة مهذبة كثيرة الشكر قليلة الشكوى رحيمة القلب . . . الخ .

(٢) اى فيما لا معصية لله عز وجل فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق

(٣) يعنى لا يقع نظره عليها الا ويحس بالسرور والفرح . فهى دائمة الابتسام نظيفة البدن والثياب جميلة الحركات .

(٤) اى ابرت يمينه ولم توقعه فى الحنث .

(٥) ونصيحتها له فى نفسها أن لا تخرج من بيتها ما دام غائبا الا لضرورة وان لا تسمح لأحد من الرجال بالدخول عليها وان لا توطىء فراشه من يكره ، وان تكون على الحال التى يحبها منها ونصيحتها له فى ماله ان تجتهد فى حفظه وتنميته وان لا تنفق منه الا بقدر حاجتها بلا تبذير ولا تقتير . رواه ابن ماجه عن على بن زيد من طريق ضعيف .

(٦) اى اثما . (٧) بأن تمكن غيره من الزنا بها .

(٨) بأن تتصرف فيه بما لا يرضيه . رواه الطبرانى فى « الكبير والأوسط » واسناد احدهما جيد .

(٩) اى على نصفه .

(١٠) رواه الطبرانى فى « الأوسط » والحاكم . ومن طريقه البيهقى وقال الحاكم : صحيح الاسناد .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تنكح المرأة على احدى خصال[1] : لجمالها ، ومالها ، وخلقها ، ودينها . فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك »[2] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تنكح المرأة لأربع[3] : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين[4] تربت يداك »[5] .



مع ملاحظة هذه الأحاديث :

عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله الا ذلا ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقرا ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها الا أن يغض بصره ويحصن فرجه ، أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه »[6] .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن[7] ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأمة خرماء[8] سوداء ذات دين أفضل »[9] .

---

(١) يعنى أن التى يرغب الرجال فى نكاحها واحدة من هذه الخصال .

(٢) اى الزمها واظفر بها فهى خير لك من ذات الحسب والمال والجمال - رواه احمد باسناد صحيح ، والبزار ، وابو يعلى ، وابن حبان فى صحيحه .

(٣) اى لأجل أربع خصال حسب عادة الناس .

(٤) اى اخترها وآثرها على من سواها .

(٥) تربت يداك : اى افتقرتا والتصقتا بالتراب ان لم تفعل ، وهى جملة دعائية . رواه البخارى ومسلم وابو داوود والنسائى وابن ماجه .

(٦) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٧) اى يجلب لهن الشقاء والهلاك .

(٨) اى مثقوبة الأذن .

(٩) رواه ابن ماجه .

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. انى أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال ، الا أنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟

فنهاه ، ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك . ثم أتاه الثالثة فقال له : « تزوجوا الودود الولود[١] ، فانى مكاثر بكم الأمم »[٢] .

* * *

وحتى لا تخطب على خطبة الغير فتكون من « ... **الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا** »[٣] وتكون من المعتدين ، اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة :

عن عبد الرحمن بن شماسة : أنه سمع عقبة بن عامر على المنبر يقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤمن أخو المؤمن ، لا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر »[٤] .

وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يبيع الرجل على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه الا أن يأذن له »[٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يبيع حاضر لباد ، أو يتناجشوا ، أو يخطب الرجل على خطبة أخيه ، ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكتفىء[٦] مافى انائها ــ أو ما فى صحفتها ــ زاد عمرو فى رواية : ولا يسم الرجل على سوم أخيه[٧] .

هــذا : والزواج كما ذكر الأستاذ الشيخ محمــد أبو زهرة عليه رحمة الله فى كتابه « الأحوال الشخصية » وباختصار وتصرف : يعرفه بعض الفقهاء بأنه عقد يفيد حل استمتاع كل من العاقدين بالآخر على المشروع ؛ ويعرفه صاحب « الكنز » بأنه عقد يرد على ملك المتعة قصدا .

---

(١) الودود : أى كثيرة الود لزوجها . والولود : أى الكثيرة الولادة .

(٢) مكاثر الأمم : أى مفاخرهم ومباهيهم بكثرتكم . رواه أبو داوود والنسائى والحاكم واللفظ له وقال : صحيح الاسناد .

(٣) الأحزاب : ٥٨ (٤ ، ٥) رواه مسلم .

(٦) كناية عن أخذ ما عندها من الزوج وخيراته .

(٧) رواه مسلم .

والتعريفان ــ كما يقول ــ متقاربان فى المعنى ، وللفقهاء تعريفات أخرى كلها تدور حول هذا المعنى ، وان اختلف التعبير ، وهى تؤدى فى جملتها الى أن موضوع عقد الزواج هو : امتلاك المتعة على الوجه المشروع والى أن الغرض منه فى عرف الناس والشرع هو جعل هذه المتعة حلالا .. ولكن ليست هى كل أغراضه ، ولا أسمى أغراضه فى نظر الشارع الاسلامى بل ان غرضه الأسمى هو التناسل وحفظ النوع الانسانى ، وأن يجد كل من العاقدين فى صاحبه الأنس الروحى الذى يؤلف الله تعالى به بينهما وتكون به الراحة وسط متاعب الحياة وشدائدها ، ولذلك قال تعالى : « **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة** »[1] ولعل التعريف الموضح لذلك أن نقول : « انه عقد يفيد حل العشرة بين الرجل والمرأة ، وتعاونهما ، ويحدد ما لكليهما من حقوق وما عليه من واجبات » .

وحكمته : فى الاسلام ليس هو قضاء الوطر الجنسى ، بل الغرض أسمى من ذلك ، ولهذا اعتبره النبى صلى الله عليه وسلم سنة الاسلام فقال : « وان من سنتنا النكاح » .

وما كان الزواج سنة الاسلام ، لأن فيه قضاء الطبع الجنسى فقط بل لمعان اجتماعية ونفسية ودينية ، منها :

أن الزواج هو عماد الأسرة الثابتة التى تلتقى الحقوق والواجبات فيها بتقديس ديني ، يشعر الشخص فيه بأن الزواج رابطة مقدسة ، تعلو بها انسانيته ، وتسمو به عن دركة الحيوانية التى تكون العلاقة بين الأنثى والذكر فيها هى الشهوة البهيمية فقط .

وهو العماد الأول للأسرة التى هى الوحدة الأولى لبناء المجتمع الذى يتكون من الأسرة التى أن كانت قوية كان المجتمع بها قويا .

وهو السبيل الى حفظ النوع الانسانى الكامل الذى يسير فى مدارج الرقى والذى لا يتحقق الا بالزواج الذى يشكل الحياة الانسانية الرفيعة ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يحث على طلب النسل بالزواج كما جاء فى هذا الحديث الذى رواه معقل بن يسار ، والذى يقول فيه : ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أصبت

---

(١) الروم : ٢١

امرأة ذات حسن وجمال وحسب ومنصب ومال ، الا أنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ فنهاه ، ثم أتاه الثانية ، فقال مثل ذلك ، ثم أتاه الثالثة فقال : « تزوجوا الودود الولود ، فانى مكاثر بكم الأمم »[1] .

وهو الراحة الحقيقية للرجل والمرأة على سواء اذ أن المرأة تجد فيه من يكفل لهـا الرزق ، فتعكف على البيت ترعاه وعلى الأولاد تربيهـم .

ومن أجل كل هذه المعانى العظيمة حث رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم على الزواج ورغب فيه كما قرأت سابقا ولا سيما بالنسبة للشـباب .

كما نهى عن التبتل وهو عدم الزواج واعتبر هذا خروجا عن سـنته .

فعن أنس رضى الله عنه أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم : لا أتزوج ، وقال بعضهم : أصلى ولا أنام ، وقال بعضهم : أصوم ولا أفطر ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأنام ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتى فليس منى »[2] .

وروى قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن التبتل ثم قرأ قتـادة : **« ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية »**[3] .

والوصف الشرعى للزواج يختلف باختلاف حال المكلف من حيث قدرته على القيام بواجباته ومن حيث خشيته الوقوع فى الفاحشة .

فيكون فرضا اذا كان المكلف يتأكد الوقوع فى الزنا اذا لم يتزوج ، وهو قادر على كل نفقـات الزواج ، ويعـدل مع أهله ان تزوج .

ويكون واجبا اذا كان المكلف قادرا على تكاليف الزواج واقامة العدل مع أهله ، ويغلب على ظنه الوقوع فى الزنا ان لم يتزوج ، والالزام فى هذه الحالة دون الزام فى الحالة السابقة .

ويكون حراما اذا كان المكلف غير قادر على نفقات الزواج أو يقع فى الظلم قطعا ان تزوج .

---

(١) كما قرأت سابقا .
(٢) من حديث رواه البخارى .
(٣) الرعد : ٣٨

ويكون مكروها اذا كان المكلف يغلب على ظنه أنه يقع فى الظلم ان تزوج •

واذا كان الشخص فى حال اعتدال لا يقع فى الزنا ان لم يتزوج ولا يخشاه ، ولا يقع فى الظلم ولا يخشاه ، فان فقهاء الحنفية يرون مع جمهور الفقهاء أن الزواج فى هذه الحال يكون مندوبا ، أى أنه يكون سنة يحسن فعله ولا يأثم ان لم يفعل •

والحقيقة أن هذه الحالة هى الأصل ، وغيرها أمور عارضة ، ولذلك قرر فقهاء الحنفية أن الأصل فى النكاح أنه سنة أو مندوب أو مستحب على اختلاف العبارات الواردة فى الكتب ، وكلها بمعنى واحد تقريبا ، والفرضية والوجوب والكراهية والتحريم تجىء لأمور نفسية عارضة ترفع النكاح الى مرتبة اللزوم ، أو تنزل به الى درجة المحرم •

وقبل أن نقف على انشاء عقـد الزواج وشروطه هناك مقدمات للعقد لابد أن نقف عليها كذلك وهى ما يسمى فى لسان الشارع : بالخطبة وهى طلب الرجل يد امرأة معينة للتزوج بها ، والتقدم اليها أو الى ذويها ببيان حاله ، ومفاوضتهم فى أمر العقد ، ومطالبه ومطالبهم بشأنه ، فقـد قيل :

يجب لسلامة هذه الخطبة أن يكون كلا العاقدين على علم قاطع ، أو ظن راجح بحال العاقد الآخر وما عليه من عادات وأخلاق ، ليكون العقد على أساس صحيح ، وتكون العشرة التى يحلها مرجوة الصلاح والبقاء ، ومعرفة ذلك تكون مما يعطى علما قاطعا ، أو ظنا راجحا •

ويجب أيضـا أن يكون على علم بخلق الطرف الآخر وتكوينه الجسمى ، ويتم ذلك العلم بالرؤية ، وهى أجدى طريق للمعرفة ، ولذلك أباح الشارع الاسلامى للرجل أن ينظر الى من يريد الزواج منها ، بل حبب الى ذلك ، وندب اليه •

ويروى فى ذلك أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة ليتزوجها فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « أنظرت اليها » ؟ قال : لا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما » •

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا خطب أحدكم امرأة فان استطاع أن ينظر منها ما يدعوه الى نكاحها فليفعل » •

والقدر الذى يباح النظر اليه هو الوجه ، والكفان ، والقدمان ، ولا يتجاوز ذلك عند الحنفية ، والاقتصار عليه فيه الكفاية لمن يريد معرفة خلقها وروحها .

وقد أجاز بعض الأئمة تجاوز ذلك القدر ، ومنع بعض الأئمة النظر الى القدمين واليدين ، ومذهب الحنفية هو الوسط .

وقد اتفق الفقهاء على أن رؤية الخاطب لمخطوبته لا تكون فى خلوة ، لأن الخلوة بين الرجل والمرأة حرام ، ولم يرد من الشارع ما يبيحها لأجل الخطبة ، فبقى النهى العام قائما . فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يخلون رجل بامرأة فان ثالثهما الشيطان » والرؤية تكون عند الخطبة .

وقد روى أن الشافعى رضى الله عنه يفضل أن تكون الرؤية قبل الخطبة عند نية الزواج من هذه المرأة ، حتى اذا أنتجت الرؤية اقداما أقدم ، وان أنتجت احجاما لم يكن فى ذلك ايذاء لها ، ولا حرج لأسرتها ، والرؤية قبل الخطبة برؤيتها خفية ، أو فجأة من غير أن تعلم أو يعلم ذووها بنية الزواج التى يخفيها ، ولذلك الاستحسان مكانة من اللياقة والعرف ، والخلق الكريم يرضاه ويؤيده . وعن جابر أنه قال : « خطبت امرأة فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعانى الى نكاحها فتزوجتها » .

وهذا المنهاج الذى سنه الشارع الاسلامى هو المنهاج السليم اذ أجاز للخاطب أن يرى المخطوبة ، وفى غير خلوة ، وذلك المسلك هو الوسط بين مغالاة المتشددين فى التستر الذين حرموا على الخاطب كل سبيل لأن يلقى على مخطوبته نظرة قبل أن تزف اليه مكتفين بوصف الواصفات اللائى يبالغن فى الاستحسان أو الاستهجان ، وبين اسراف الذين تغالوا فأباحوا للرجل أن يصطحب مخطوبته فى الغدوات والروحات ، وفى الحدائق والملاهى ، فى النهار وفى طرف من الليل ، وكشفوا للخاطب كل أستار البيت ، وأزالوا من بين يديه الحجب ، فكانت النتائج خطيرة ان لم يتم الزواج .

وقد زعم هؤلاء المسرفون أن الذى يدفع الى سلوك ذلك المسلك أو قبوله هو تسهيل التعارف التام بين الخاطب والمخطوبة ، فيعرف كل واحد منهما صاحبه على حقيقته ، ويقدم على بينة ، وهذا زعم باطل ، لأن الخاطب مهما يدم اختلاطه بمخطوبته لا يستطيع أن يعرف

طباعها ، ولا تستطيع أن تعرف حقيقة طباعه ، لأن كليهما يتكلف لصاحبه ما ليس فى طبعه ، ويكسو نفسه من المظـاهر ما ليس من عاداته ، والتحرى عن الأخلاق ، والطباع والعادات بالسؤال والبحث أهدى سبيلا ، وان لكل أسرة عادات وتقاليد مشهورة معروفة تغنى معرفتها أحيانا عن غيرها من أسباب المعرفة ، وتعجبنى فى ذلك كلمة الدهلوى فى « حجة الله البالغة » : « يستحب أن تكون المرأة من كورة وقبيلة وعادات نسائها صالحة ، فان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، وعادات القوم ورسومهم غالبة على الانسان ، بمنزلة الأمر المجبول عليه »[١] •



ثم يقول عليه رحمة الله :

والخطبة كما علمنا مقدمة لعقد الزواج ، ولذلك لا تباح خطبة امرأة الا اذا كانت صالحة لأن تكون زوجة فى الحال ، حتى يمكن أن يتم العقد لأنها وسيلة لغاية هى الزواج ؛ فان كانت الغاية ممنوعة فالوسيلة غير جائزة ولذلك اشترط الفقهاء لاباحة الخطبة :

ألا تكون محرمة على الرجل حرمة مؤبدة ، ولا حرمة مؤقتة ، فلا يجوز له أن يخطب ذات زوج بحال من الأحوال ، لأنها محرمة عليه ما دامت زوجة ، ولأن خطبتها اعتداء على حق الزوج •

وتحرم خطبة المعتدة من طلاق رجعى باتفاق الفقهاء ، لا بطريق التصريح ، ولا بطريق التعريض ، لأن المطلقة طلاقا رجعيا زوجيتها قائمة • وحقوق الزوج عليها ثابتة ما دامت فى العدة ، فله مراجعتها من غير تراض فى أى وقت شاء ، فخطبتها كخطبة الزوجة تماما ، فتكون حراما من كل الوجوه •

والمعتدة من وفاة تجوز خطبتها تعريضا لا تصريحا ، لقوله تعالى :

« ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء »[٢] •

وظاهر الآية أنها للمتوفى عنها زوجها ، لأنها جاءت عقب قوله تعـالى :

« والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر

---

(١) هكذا فى كتاب « الأحوال الشخصية » للشيخ أبى زهرة ، بتصرف •

(٢) البقرة : ٢٣٥

وعشرا »[١] فكان التعريض جائزا بهذا النص الكريم والتصريح على أصل المنع •

والفرق بين التعريض والتصريح : أن التصريح أن يذكر لفظا يدل على ارادة الخطبة من غير احتمال لسواها ، والتعريض ذكر الخطبة بلفظ يحتمل الخطبة ويحتمل غيرها ، ويكون ظاهره فى سواها وان كانت رغبة الخطبة تكشف عنها اشارات القول •

ولنذكر مثلا كان لخطبة بالتعريض : فانه يروى أن سكينة بنت حنظلة قالت : استأذن على محمد بن على بن الحسين ، ولم تنقض عدتى من مهلك زوجى ، فقال : قد عرفت قرابتى من رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرابتى من على وموضعى فى العرب • قلت : غفر الله لك يا أبا جعفر ، انك رجل يؤخذ عنك ، تخطبنى فى عدتى ؟! قال : انما أخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرابتى من على •

ألا ترى من ذلك التعريض الرائق وضوح الغرض ، وهو الخطبة مع أن ظاهر اللفظ لسواها ، ولذلك استطاع رضى الله عنه أن يتنصل من تبعة القول سريعا ، خشية أن يتحول التعريض الى تصريح •

ولا تجوز خطبة المعتدة من وفاة تصريحا ، لأن الجواز الذى جاء به النص مقصور على التعريض ، فكان التصريح على أصل المنع ، لعدم امكان العقد فى الحال ، ولأن التصريح قد يوغر صدور أولياء الميت ، فلا يسوغ •

والمعتدة من طلاق بائن لا تجوز خطبتها قبل انتهـاء العدة ، لا تصريحا ولا تعريضا ، لأن جواز التعريض جاء فى المتوفى عنها زوجها ، دون سواها ، فالباقى على أصل المنع •

والفرق بين حال المعتدة من وفاة ، والمعتدة من طلاق بائن يوجب هذه التفرقة ، اذ أن المعتدة من طلاق عدتها بالحيض غالبا ، فاذا طمعت فى التعريض بالخطبة ربما دفعها الطمع الى الخيانة ، فتعلن أن العدة قد انتهت ، وهى لم تنته ، والقول قولها فى اخبارها بانتهاء العدة ، وليس لأحد سبيل الى تكذيبها ما دام فى الامكان تصديقها ، أما المعتدة

---

(١) البقرة : ٢٣٤

من وفاة ، فان عدتها بالأشهر ، وهى تعرف بالحساب والكتاب ، فلا سبيل الى الخيانة والكذب لتعجل انهائها ، والخطبة تقتضى الرؤية ، ولا سبيل الى رؤية المعتدة من طلاق بائن لالتزامها منزل الزوجية ، فهى لا تخرج ، ولا يدخل عليها أحد من غير اذن مطلقها ، والمعتدة من وفاة لا تلزم منزل الزوجية ، والمطلقة بائنا تحتمل العودة الى زوجها بعقد ومهر جديدين فى بعض الأحوال ، وعودة الزوجية فى حال الوفاة مستحيلة فلا اعتداء فى خطبتها على أحد ، بينما ثمة نوع اعتداء فى خطبة المعتدة من طلاق بائن(١) .

والخطبة ليست عقدا قد التزم فيه طرفاه التزامات لها قوة الالزام ، ولكن أقصى ما تؤديه الخطبة اذا تمت أن تكون وعدا بعقد ، وليس للوعد بعقد قوة الزام عند جمهور الفقهاء ، خلافا للامام مالك فى بعض أقواله :

فالوعد عند الامام رضى الله عنه ، فيه أربعة أقوال : (أولها) أنه لا الزام فيه ، ولا يقضى بمقتضاه بشىء ، سواء أكان الوعد سببا للدخول فى شىء أو ترك شىء ترتبت عليه التزامات أو مغارم أو لم يكن . (الثانى) أن الوعد ملزم ويقضى به فى كل الأحوال ، وهذا مقابل القول الأول . (الثالث) أنه يجب الوفاء بالوعد الذى يكون سببا لأمر لا يستطيع من بذل له الوعد القيام به ، بدون تحقيق الوعد ، كمن يعد شخصا بأن يعطيه مقدارا من المال ليسد ما عليه من دين ، فانه يقضى بالوفاء ، لأن المدين والدائن كلاهما اعتمد على بذل الوعد . (الرابع) أنه يجب الوفاء اذا كان الوعد له سببا للتصرف ، ودخل من بذل الوعد فى التصرف بسبب ذلك الوعد ، كمن يقول لشخص : اشتر هذه الأرض ، وأنا أدفع تكاليف البناء ، فانه يجب الوفاء اذا اشترى »(٢) .

واذا لم تكن فى الخطبة قوة الالزام لأحد الطرفين ، فلكل منهما أن يرجع عن قوله ، وان فعل فهو يستعمل خالص حقه ، وليس لأحد عليه من سبيل .

---

(١) ما ذكر كله مذهب الحنفية وعليه جمهور الفقهاء .
(٢) راجع الالتزامات للحطاب .

والمصلحة توجب أن يكون كلا طرفى عقد الزواج له الحرية التامة قبل ابرامه • لأنه عقد الحياة ، ومن المصلحة التروى وترديد الأمر فيه ، حتى اذا كان ذلك برضا صحيح كامل لم تتشبه شائبة[١] •

مع ملاحظة : أن هدايا الخطبة ليست من حق الخاطب اذا كان العدول من جانبه •

وله أن يرجع بما قدمه منهدايا عينا ، أو قيمتها نقدا وقت الشراء اذا هلكت أو استهلكت ، وذلك اذا كان العـــدول من الطرف الآخـــر •

واذا اشترت المرأة بالمهر جهازا أو ببعضه ، ثم عدل الخاطب فللمرأة الخيار بين رد المهر نقدا ، أو تسليم ما يساويه من الجهاز وقت الشراء •

أما بالنسبة للمهر ففى حالة العدول عن الخطبة يكون للخاطب أن يرجع بما أداه من مهر لأن المهر حكم من أحكام الزواج ، ولم يتم الزواج ، فلا يستحق ، ويرد بذاته ان كان قائما ، وبمثله أو قيمته ان هلك أو استهلك[٢] •

وأما انشاء عقد الزواج : فانه لا ينعقد عقد الزواج الا بالايجاب والقبول ، وشروط انعقاده هى الشروط التى يجب تحقيقها عند انشاء كل عقد وهى :

ألا يكون أحد العاقدين فاقد الأهلية فان كان أحد العاقدين كذلك فعبارته ملغاة لا أثر لها ، ولا ارتباط ينشأ بوجودها ، وناقص الأهلية يصح عقده الزواج بالنيابة عن غيره ، وعقده لنفسه موقوف على اجازة من له حق الاجازة ، وكامل الأهلية هنا ، ولذلك يصح وينفذ عقد زواجه ، اذ لا حجر عليه فى الزواج وآثاره •

وأن يكون الايجاب والقبول فى مجلس واحد فلو تفرقت المجالس بعد الايجاب وقبل القبول بطل الايجاب •

---

(١) راجع « الأحوال الشخصية » لأبى زهرة ص ٣٦

(٢) راجع « الأحوال الشخصية » ص ٣٨ حتى تقف على أقوال الأئمة بتوسع وكذلك نص المـــادة ١٨

وألا يرجع الموجب فى ايجابه قبل قبول الآخر لأنه اذا رجع الموجب فى ايجابه قبل القبول ألغى الايجاب ، فاذا جاء القبول بعد ذلك جاء على غير ايجاب ، ويجوز للموجب الرجوع فى الايجاب ما دام لم يرتبط بقبول ، لأن الالتزام لا يتم قبل الارتباط بين ركنى العقد • وهما الايجاب والقبول ، واذا لم يتم الالتزام فلا الزام لأحد ، فللموجب أن يرجع •

وألا يصدر عن العاقد الثانى بعد الايجاب ما يدل على الاعراض كالفصل بكلام أجنبى ، فان الفصل بكلام أجنبى اعراض عن الايجاب ورفض فان قبل بعد ذلك ، فقد ورد القبول على غير ايجاب ، فلا يلتفت اليه •

هذا ويلاحظ أن الايجاب ان كان برسالة رسول ، أو بكتاب مكتوب فالقبول مقيد بمجلس تبليغ الرسالة أو وصول الكتاب اذا كان الشهود حاضرين وقت وصول الرسالة ، فاذا انفصل عن المجلس من غير قبول ، فلا يعتبر قبوله بعد ذلك •

وموافقة القبول للايجاب ، ولو ضمنا : كأن تقول : تزوجتك على مهر قدره مائة ، فيقول : قبلت بمائتين • فان العقد يصح ، وتلزم المائة الثانية اذا قبلتها ، واذا قال : تزوجتك على مائة ، فقالت : قبلت على خمسين ، صح العقد وحط من المهر • واذا لم يرد الحط ، وذكر المهر فى العقد يجعل العقد غير صحيح اذا لم يقبل المهر ولو ضمنا ، واذا لم يذكر يصح العقد من غير بيانه •

وعقد الزواج لا ينعقد الا بالألفاظ الدالة عليه سواء أكانت حقيقة لغوية فى دلالتها عليه أم كانت مجازا مشهورا وصل الى درجة الحقيقة اللغوية ، أم كانت مجازا وضحت فيه القرينة ، واستبان المعنى بها ، حتى صار الكلام صريحا فى ارادة الزواج •

وقد اختلف العلماء فى هذا تضييقا وتوسعة ، وقد اتفقوا على أن الزواج ينعقد بلفظ النكاح ، وبلفظ الزواج ، واختلفوا فيما عدا ذلك •

واذا كان أحد العاقدين لا يستطيع الكلام فقد اتفق الفقهاء على جواز عقده بالاشارة المفهمة لمعنى الزواج اذا كان لا يحسن الكتابة ، لأن الاشارة أقصى طرق التعبير بيانا عنده •

وإذا كان يحسن الكتابة ففى المذهب الحنفى روايتان احداهما ، وهى رواية الأصل : أنه لا يصح عقده بالاشارة ، لأن الكتابة أبين دلالة من الاشارة •

ومن يستطيع الأعلى لا يقبل منه الأدنى ، فلا يقبل منه العقد بالاشارة وقد اختار هذه الرواية جمع من المحققين ، وهى معقولة فى ذاتهـا •

وعلى رواية الجامع الصغير يصح عقده بالاشارة ، لأن الأصل فى العقد أن يكون بالخطاب ، فاذا عجز عنه استعين بغيره من أنواع الدلالات ، فكانت الكتابة والاشارة سواء •

* * *

ويشترط فى صيغة الزواج أن تكون بلفظين أحدهما للماضى ، والآخر للمستقبل ، وأن تكون منجـزة ، غير معلقة ولا مضافة الى المسـتقبل •

* * *

وتنقسم شروط الزواج الى ثلاثة أقسام : شروط صحة ، وشروط نفاذ ، وشروط لزوم •

أما شروط الصحة فهى التى لا يعتبر العقد بغيرها موجودا وجودا يحترمه الشارع وتثبت فيه الأحكام التى ناطها بالعقد •

وشروط النفاذ هى الشروط التى لا تنفذ أحكام العقد على كلا عاقديه بغير وجودها ، ويستمر العقد موقوفا اذا لم تتوافر هذه الشروط ، حتى تكون الاجازة ، فيكون النفاذ •

وشروط اللزوم هى الشروط التى لا يلزم العقـد كلا طرفيه الا بوجودها وبغيرها يكون لأحد العاقدين أن يفسخ العقد •

* * *

ويشترط لصحة الزواج شرطان :

(أحدهما) حضور الشاهدين (ثانيهما) أن تكون المرأة محلا للعقد ، بأن تكون غير محرمة على الرجل مؤقتا أو مؤبدا •

أما شرط الشهادة فقد اتفق فقهاء المسلمين فى كل العصور على أن الغاية منه شهر الزواج واعلانه بين الناس • كما وردت بذلك الآثار ،

وكما تعارف الناس من وقت أن عرفوا شريعة الزواج الى الآن ، ولقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أعلنوا النكاح ، ولو بالدف » وكما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : « لا يجوز نكاح السر ، حتى يعلن ويشهد عليه » •

ولكن هل تعتبر شهادة اثنين كافية للاعلان من غير حاجة الى اعلان غيرها • ولو تواصيا بالكتمان ؟ ان الأقوال فى ذلك ثلاثة :

القول الأول : هو قول أبى حنيفة : ان الشهادة وحدها هى الاعلان ولو تواصى الشاهدان بالكتمان ، وهذا رأى بعض الفقهاء ، وحجتهم ما استفاض من الأخبار من اشتراط الشهود ، وتعينهم طريقا للاعلان وحدهم ، فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا نكاح الا بشهود » وروت عائشة أن النبى صلى الله عليه وسـلم قال : « لا نكاح الا بولى وشاهدى عدل ، فان تشاجروا فالسلطان ولى من لا ولى له » •

وذلك لأنه بحضور الشاهدين مع العاقدين يتحقق معنى الجهر والاعلان ولو تواصوا بالكتمان لأن السر لا يكون بين أربعة ، بل هو الجهر ولذلك يقول القائل :

وسرك ما كان عند امرىء   وسر الثلاثة غير الخفى

واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد نفى النكاح من غير شهود فهذا دليل على أن الشهادة أمر لابد منه وأنها كافية للاعلان •

القول الثانى : وهو المشهور عند مالك أن الشهادة ليست شرطا لانشاء العقد مطلق الاعلان • والشهادة شرط لحل الدخول ، أى أنها ليست شرطا للانعقاد ، ولكنها شرط لترتب الآثار ، والشهادة وحدها لا تكفى للاعلان وأن الشاهدين اذا تواصيا بالكتمان لا ينشأ العقد ، بل لا بد من توافر الاعلان للانعقاد ، ثم تتعين الشهادة لترتيب الآثار •

القول الثالث : أن الاعلان وحده كاف لانشاء العقـد من غير حاجة مطلقـا الى تعيين الشهادة حدا مرسوما للاعلان ، ومن غير اشتراطها لترتب الآثار ، لأن القصد هو الاعلان ، وهو فرق ما بين النكاح -

وهذا قول عند مالك رضى الله عنه ، وقول أحمد رضى الله عنه ، ولكن المشهور عن أحمد أنه مع الجمهور •

* * *

ويشترط لنفـاذ العقد أن يكون الذى تولى انشاءه له ولاية انشائه • فاذا كان الذى تولى عقد الزواج كامل الأهلية وعقد لنفسه فعقده صحيح نافذ ، وكذلك اذا عقد لمن هو فى ولايته ، أو من وكله فى انشاء العقد ففى كل هذه الأحوال كانت له ولاية الانشاء بالأصالة فى الأولى وبالولاية الشرعية فى الثانية ، وبالوكالة فى الثالثة •

واذا لم يكن للعاقد ولاية الانشاء ، اما لأنه ليس كامل الأهلية ، أو لأنه كامل الأهلية ، ولكن عقد لغيره من غير انابة بحكم الشارع أو بغير توكيل صاحب الشأن فان العقد لا يكون نافذا ، بل يكون موقوفا ، ولذلك يشترط فى النفاذ أن يكون العاقد بالغا عاقلا ، يعقد لنفسه ، ولمن هو فى ولايته أو لمن وكله ، فاذا كان العاقد ناقص الأهلية فعقـده موقوف ، وكذلك اذا عقد كامل الأهلية من غيره بغير انابة يكون فضوليا ويكون عقده موقوفا على اجازة غيره •

هذا ويلاحظ أمران : (أحدهما) أنه لا يشترط فى نفاذ العقد الرشد ، فيصح عقد الزواج وينفذ من السفيه ، ولو كان محجورا عليه ، وكذلك ذو الغفلة ، وذلك لأن موضع الحجر فى السفيه وذى الغفلة هو التصرفات المـالية •

وأما التصرفات الشخصية فليست موضع حجر ، فيجوز الزواج ، ولكن لا يثبت من المهر أكثر من مهر المثل ، اذا كان السفيه هو الزوج ، ويثبت لها مهر مثلها على الأقل اذا كان السفيه هو الزوجة •

(الأمر الثانى) أن مذهب أبى حنيفة ورواية عن أبى يوسف أن المرأة لها كامل الولاية فى شأن زواجها ، وليس لأحد عليها ولاية الأجبار ما دامت بالغة عاقلة ، كما أن العقد يصح بعبارتها وينشأ ، وان كان الأحب والأحسن أن توكل عنها وليها العاصب فى شأن زواجها •

وجمهور الفقهاء على أن المرأة ليس لها أن تزوج نفسها بنفسها ، وأن العقد لا ينشأ بعبارة النساء ، وان لم يكن للولى عليهـا ولاية الاجبار ، فهو يشترك معها فى اختيار زوجها وهو يتولى مباشرة العقد •

* * *

وعقـد الزواج عقد لازم فى أصـل حقيقته ليس لأحـد أن ينفرد بفسخه ، ونقصـد بفسخه نقض العقد من أصله ، والطلاق ليس نقضا للعقد من أصله ، بل هو انهاء لأحكامه ، وهو من الحقوق التى يملكها الزوج بمقتضى العقد لا باعتبار أن ذلك فسخ ونقض للعقـد ••• الخ •

***

والمحرمات عليك قسمان :

محرمات على وجه التأبيد لا يحل للرجل أن يتزوج بهن أبدا ، وهن اللاتى كان سبب تحريمهن وصفا غير قابل للزوال كالبنوة والأخوة ، والعمومة ••• وهكذا •

ومحرمات تحريما مؤقتا ، وهن اللاتى :

يكون سبب تحريمهن أمرا قابلا للزوال فيكون التحريم ما بقى ذلك الأمر ، ككونها زوجة للغير ، وكونها مشركة ، أو كونه غير مسلم ، فان هذه أمور قابلة للزوال ، فان زالت زال التحريم •

والمحرمات على التأبيد ثلاثة أنواع : محرمات بسبب القرابة ، ومحرمات بسبب المصاهرة ، ومحرمات بسبب الرضاعة •

فان هذه الأنواع الثلاثة تنشىء صلات غير قابلة للزوال ، فيكون التحريم أيضا غير قابل للزوال •

***

والمحرمات بسبب القرابة أربع شعب ، وهى :

(ا) فروع الرجل من النساء وان نزلن ، فتحرم عليه بنته ، وبنت بنته ، وبنت ابنه ، وهكذا كل فرع يكون جزءا منه أو جزء مما يتصل به ذلك الاتصال •

(ب) أصوله من النساء وان علون ، فأمه وجدته من جهة أبيه ، أو من جهة أمه جميعا من أصوله من النساء ، وهن حرام عليه ، اذ هو جزء منهن فكما حرم عليه جزءه ، فكذلك حرم عليه من هو جزءهن •

(جـ) فروع أبويه وان نزلن ، وفروع الأبوين هن الأخوات ، سواء أكن شقيقات ، أم لأب ، أم لأم ، وفروع الاخوة والأخوات •

فيحرم على الرجل أخواته جميعا ، وأولاد أخواته واخوته جميعا ، وفروعهم مهما تكن الدرجة •

(د) فروع الأجــداد والجدات اذا انفصلن بدرجة واحدة ، فالعمات والخالات حرام عليه ، مهما تكن درجة الجد والجدة ، ولكن بنات الأعمام والأخوال والخالات والعمات حلال ، مهما بعد الجد أو الجدة التى تفرعن منها ، اذ المحرم من فروع الأجداد والجدات من ينفصل عن الأصل بدرجة واحدة •

وقد أجمعت الشرائع المنزلة على تحريم الزواج من المذكورات •• لأنه مشتق من الفطرة الانسانية ، بل بعض الحيوان العالى لا يأخــذ أليفه من عشه أو وجاره ، انما يسعى الى عش آخر أو وجار آخر •



والمحرمات بسبب المصاهرة على التأبيد أربع شعب :

أولاها : من كانت زوجة أصله ، وان علا ذلك الأصل ، سواء أكان من العصـــبات كأبى الأب ، أم كان من ذوى الأرحام كأبى الأم وسواء أدخل بها الأصل أم لم يدخل •

الثانية : من كانت زوجة فرعه سواء أكان من العصبات كابن الابن ، أم ذوى الأرحام كابن البنت وسواء أدخل بها أم لم يدخل •

الثالثة : أصول من كانت زوجته وان علون ، سواء أدخل بزوجته أم لم يدخل •

الرابعة : فروع من كانت زوجته وان نزلن ، ولكن يشترط الدخول بزوجتـــه •

وقد وافقت الشرائع السماوية الشريعة الاسلامية فى التحريم بسبب المصاهرة فكان هذا دليلا على أن ذلك مشتق من الفطرة الانسانية • والحق أنه يتفق مع الطبع السليم ، فان المرأة اذا اقترنت بالرجل صارت قطعة من نفسه ، وصار هو قطعة منها ، قال تعالى :

« **هن لبــاس لكم وأنتم لباس لهن** »[1] • واذا صارت جزءا لا ينفصل من نفسه كان منطق الزواج أن تكون أمها كأمه ، وابنتها

---

(١) البقرة : ١٨٧

كابنته ، وتحرم هى على أبيه كما يحرم على أمها ، اذ صار أبوه أباها أيضا ، وتحرم على ابنه كما يحرم ابنها عليها ، وما باعدت الحق كثيرا الشرائع التى تسمى أبا الزوجة أبا للزوج ، وابنها ابنا له وأباه أبا لها •• وما جاوز النـــاس فى عرفهم الطبيعة والحق اذا أطلقـــوا هــذه الأسماء •• الخ •



ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب والمصاهرة • والمحرمات من الرضاع على ذلك شعب ثمان ، هى :

أمهاته اللاتى أرضعنه ، وبعبــارة عامة أصوله من الرضاعة ، سواء كن من جهة الأب أم من جهة الأم ، كأم من أرضعته ، وأم أبى من أرضعته ، وأم أبيه رضاعا • والأب الرضاعى هو زوج الأم الرضاعية الذى كان سبب اللبن الذى رضع منه الطفل ، فاذا كانت امرأة متزوجة برجل أعقبت منه نسلا فرضع طفل من لبن ذلك النسل ، فهو ابن للزوج ولو كانت وقت الارضاع ليست زوجة لصاحب اللبن •

فروعه من الرضاع ، فتحرم عليه ابنته رضاعا ، وهى التى تكون قد رضعت من لبن كان هو سبب وجوده على ما بينا ، وابنة بنته من الرضاع وهى من أرضعتها ابنته الصلبية ، أو ابنته الرضاعية •

فروع أبويه من الرضاع وان نزلن ، سواء أكانت صلتهم من جهة الأب أم جهة الأم ، فيشمل أخته الرضاعية التى أرضعتها أمه ، وفروعها ويشمل أخته التى رضعت من امرأة كانت زوجة لأبيه ، اذا رضعت من لبن كان أبوه سببه ، وفروعها كذلك •

ويحرم فروع أجداده ، اذا انفصلن بدرجة واحدة ، سواء أكن جدود من جهة الأم أم من جهة الأب كما بينا ، وسواء أكانت فروعهم طريق الاتصال بينه وبين الأب ، أم الأم •

الأصول الرضاعية لزوجته ، فأمها التى أرضعتها تحرم عليه ، وجدتها كذلك سواء أكانت أم أمها رضاعا أم أم أبيها • وسواء أدخل بزوجته أم لم يدخل ، لأن الرضاع فى المصاهرة ، كالنسب فيها •

فروع زوجته من الرضاع ان دخل بزوجته : فتحرم عليه ابنتها رضاعا ، وحفيدتها رضاعا ، سواء أكانت طريقها البنت ، أم كان طريقها الابن •

زوجة أصله الرضاعى : وأصله الرضاعي هو من كان أبا لمن أرضعته أو كان هو سبب اللبن الذى رضع منه •

زوجة فرعه : فتحرم عليه زوجة ابنه الرضاعى ، وهو الذى رضع من لبن كان هو سببه ، كما يحرم عليه زوجة ابن بنته الرضاعى ويشمل ابن بنته الصلبية التى أرضعته ، وابن بنته الرضاعية •• وفى الجملة : كل علاقة بسبب النسب أوجدت تحريما ، فمثل هذه العلاقة اذا كانت رضاعا توجب التحريم أيضا ، بخلاف هذه الصور :

أخت الابن أو البنت من الرضاع لا تحرم لعدم وجود أى علاقة ، بخلاف أخت الابن النسبى ، لأنها اما أن تكون ابنته ، أو ابنة زوجته المدخول بها وكلتاهما حرام عليه •

أم أخته أو أخيه رضاعا لا تحرم لأنه لا تربطهما به علاقة •

جدة ابنه أو بنته رضاعا لا تحرم عليه ، لعدم وجود علاقة •

وأخت أخيه رضاعا لا تحرم عليه لعدم العلاقة ، وكذلك أخت أخيه نسبا لا تحرم اذا لم تكن علاقة •



مقدار الرضاعة المحرمة ووقتها :

قال أبو حنيفة وأصحابه : ان الرضاع ليس له قدر معلوم ، فكل مقدار يحرم قليلا كان أو كثيرا ، ولو كان مصة أو مصتين ، لأن النصوص الواردة بالتحريم بسبب الرضاع لم تذكر مقدارا قليلا أو كثيرا ، فالآية : « **وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم** »[1] تشمل القليل والكثير ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » يشمل أيضا القليل والكثير ، ويروى أنه قد جاءت أمة سوداء فذكرت أنها أرضعت اثنين عقد عليهما ففرق النبى صلى الله عليه وسلم بينهما من غير أن يسأل عن عدد الرضعات • ولو كان التحريم منوطا بعدد ، ما فرق النبى بين عاقدين من غير أن يتحراه ، وأيضا فان التحريم فى النصوص سببه مجرد الارضاع ، فحيثما ثبت ذلك وجد الحكم • والحكمة فى التحريم بالارضاع أن الرضيع يصير كالجزء ممن أرضعته ، اذ يدخل لبنها فى تكوينه ، وذلك يتم بالقليل والكثير •

---

(١) النســاء : ٢٣

ومذهب الحنفية فى هذا هو مذهب مالك والأوزاعى والثورى وحماد وطائفة كبيرة من التابعين والصحابة •

وقالت طائفة أخرى : ان التحريم لا يثبت بأقل من ثلاث رضعات •

وقالت ثالثة : لا يثبت بأقل من خمس رضعات مشبعات ، وهو مذهب الشافعى •

وقيل : لا يحرم بأقل من سبع • وقيل : لا يحرم بأقل من عشر • وأساس هذا التقدير نصوص واردة فهموها ، فالذين قدروا ثلاث رضعات : ساقوا أخبارا ، منها ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تحرم الاملاجة ، والاملاجتان » وروى أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم قائلا : يا رسول الله •• هل تحرم الرضعة الواحدة ؟ قال : « لا » • واذا انتفى التحريم عن الرضعتين فقد استمر ثابتا فى الزائد ، فكان الحد الأدنى هو ثلاث رضعات فلا يحرم ما دونهـــا •

والذين حددوا بالسبع ، وكذلك من حددوا بالعشر ، تعلقوا بأخبار لم يثبت صحتها عند مخالفيهم ، أو لم يثبت تعينها للمراد •

أما الذين حددوا العدد بالخمس وهم الشافعية ، والحنابلة فى أرجح الأقوال عندهم ، فقد احتجوا :

بما روى عن مسلم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « كان فيما نزل : عشر رضعات يحرمن ، حتى صرن الى خمس » وقد صححوه •

وبأن علة التحريم كون الارضاع منبتا للحم ومنشزا للعظم ، وذلك لا يكون الا برضاع يوم كامل على الأقل ، ولا يكون بما دون خمس رضعات مشبعات •

وقد اختار ذلك الرأى ابن القيم فى « زاد المعاد » ووضحه وفسر الرضعة فقال : الرضعة فعلة من الرضاع ، فهى مرة منه ، فمن التقم الثـــدى فامتص منه ، ثم تركه باختيـــاره من غير عارض كان ذلك رضـــعة •••



ووقت الرضاعة المحرمة هو الصغر عند جمهور الفقهاء ، وخالفهم فى ذلك عدد قليل من الفقهاء ، وقد ورد من الآثار الصحاح ما يفيد تعيين

وقت الرضاع منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « انما الرضاعة من المجاعة » أى أن الرضاع المحرم هو الذى يدفع اليه الجوع ، وهذا لا يكون الا فى الصغر ، اذ لبن المرأة لا يكون غذاء دافعا للجوع كافيا فى الجملة الا فى الصغر .

وقد حدد أبو حنيفة مدة الرضاعة بسنتين ونصف ، أى بثلاثين شهرا ، وحدد الصاحبان[1] والشافعى ومالك مدة الرضاع بسنتين كاملتين ، وذلك لقوله تعالى :

« والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ، لمن أراد أن يتم الرضاعة »[2] .

واستدل أبو حنيفة بقوله تعالى : **« وحمله وفصاله ثلاثون شهرا »**[3] فكانت هذه أقل مدة يفصل بعدها الابن ، ويبتدىء يستقل بغذاء مستقل ليس من لبن أمه ، وليس المراد من الحمل ما يكون فى البطن على اليقين ، بل يحتمل بالبطن وبالذراع والحجر .

والرضاع يثبت بالبينة أو بالاقرار ، ولا توجه فيه اليمين عند أبى حنيفة ، وتوجه عند الصاحبين .

* * *

والمحرمات تحريما مؤقتا هن اللاتى كان سبب التحريم فيهن أمرا يقبل الزول فيزال التحريم بزواله ، والتحريم على التأقيت يكون فى سبع أحوال وهى :

الجمع بين المحارم .

المطلقة ثلاثا على مطلقها حتى تتزوج زوجا غيره ، ويدخل بها ، ثم يطلقها وتنتهى عدتها .

زواج خامسة ، وعنده أربع فى عصمته ، ولو حكما .

تزوج الأمة ، وعنده حرة .

زوجة غيره ، والمعتدة من غيره .

والملاعنة ممن لاعنها ، حتى يكذب نفسه .

من لا يدين بدين سماوى .

* * *

---

(١) ابو يوسف ومحمد تلميذا أبى حنيفة ، رحم الله الجميع .

(٢) البقرة : ٢٣٣ (٣) الأحقاف : ١٥

فلاحظ كل هذه الأحكام[1] التى خلاصتها اجمالا أنه :

تحرم عليك أمك وجداتك ، وبناتك وبناتهن ، وأخواتك وبناتهن ، وبنات أخيك وبناتهن ، وعماتك وخالاتك ، فان عقدت على واحدة من هؤلاء فالعقد باطل والنكاح زنا .

وتحرم عليك زوجة أبيك ، وزوجات أبنائك ، ووالدة زوجتك ولو لم تدخل بها ، وبنت زوجتك من رجل آخر بشرط دخولك على أمها ، فان لم تدخل بها أو ماتت بعد عقد العقد فالبنت حلال لك ، وتحرم عليك عمة زوجتك وخالتها وأختها وبنت أخيها وبنت أختها ما دامت الزوجة فى عصمتك ، وهى حرمة مؤقتة فلا يحل لك النظر الى واحدة منهن .

واذا علمت أن امرأة قد أرضعتك قبل فطامك خمس مرات متفرقات فهى أمك من الرضاع وأولادها أخواتك ، وأمها جدتك وأختها خالتك وبنات أولادها بنات أخواتك ، وزوجها والدك وأخته عمتك ، وأولاده من امرأة أخرى أخواتك ، وهكذا فلا يحل لك أن تتزوج واحدة منهن ، ففى الحديث : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » وهذا الحكم بالنسبة لك وحدك لأنك أنت الذى تغذيت باللبن ، أما أخوك وأختك فيباح لهما الزواج من هؤلاء .

واحذر أن ترضع امرأة أجنبية ولدك[2] الا بعد أن تدون اسمها وأسماء أقاربها الذين يرتبطون بالرضيع حتى لا تختلط الأنساب ، وحتى لا تقع فى هذا الذنب الكبير الذى وقع فيه كثير من الناس بسبب اهمالهم وجهلهم بهذه الأحكام حتى أصبح الرجل يتزوج أخته أو عمته من الرضاع ويعيش معها فى سفاح وهو لا يشعر .

وليس للأقارب من الرضاع حق فى الميراث ، واذا كنت قد علمت أن أقل من خمس رضعات لا يحرم الزواج ، فالأسلم البعد ولو عن أقل من ذلك ، ففى هذا الموضوع خلاف كبير[3] .

ويحرم على المسلم أن يتزوج المشركة لأنها لا تؤمن باليوم الآخر وتباح له اليهودية والنصرانية لأنهما أهل كتاب ويستطيع الرجل المسلم

---

(١) اذا أردت الوقوف على كل هـذا بالتفصيل فارجع الى « الأحوال الشخصية » لأبى زهرة ص ٨٨ ، لأن ما قرأته يعتبر تلخيصا لهذه الأحكام .

(٢) أى بعد أن تصير أبا ان شاء الله .

(٣) كما عرفت سابقا .

بحسن معاملته لها وبحكم أنه صاحب السلطان عليها أن يرغبها فى الاسلام فتعتنقه ، فان بقيت على دينها تحرم من ميراث زوجها بعد وفاته ، وكذلك لا يرثها زوجها ولا أولادها منه لأن الأولاد على دين أبيهـــم .

ولا تخطب امرأة سبقك بخطبتها مسلم ولو كان فاسقا حتى يتركها ، فان خالفت فالزواج صحيح وعليك الاثم .

ولا تتزوج الزانية ما لم تتب من ذنبها ويظهر منها ما يبرهن على صدقها فى توبتها ، والا فانها ستجلب لك العار وتجعلك ديوثا يسمع المنكو فى أهله ويقرهم عليه ؛ وان كان عقد الزواج بها صحيحا .

ويحرم عليك أن تخطب امرأة فى عدتها ، والعدة للمطلقة ثلاث حيضات أو وضع الحمل ، وأربعة أشهر وعشرة أيام أو وضع الحمل : لمن مات عنها زوجها ، وتشتد الحرمة اذا خطبت معتدة للمطلقة الأولى أو الثانية لأن زوجها الأول أحق بردها فى عدتها ، فان خالفت وتزوجتها فى هذه المدة فأنت آثم والزواج باطل .

ويبـــاح التعريض (أى التلميح) بالخطبة فى العـــدة لمن مات زوجها أو طلقت ثلاثا كأن تقول لها أو لوليها : « أريد الزواج وأرجو أن ييسر الله لى زوجة صالحة » أو « اذا مضت العدة فعرفونى » وهكذا ، وحكمة اباحة التعريض وحرمة التصريح لئلا تكذب المرأة فى انقضاء العدة عند تحقيق الرغبة .

ومن أشنع المنكرات زواج امرأة وهى فى عصمة رجل آخر وذلك هو أفظع أنواع الزنا ، والعقد باطل .

ومن سعى فى افساد امرأة على زوجها ليطلقها ثم يتزوجها فانه فاسق مطرود من رحمة الله ، وعقد الزواج بها صحيح .

واذا أردت الزواج فتخير زوجة صالحة من بيت طيب فالولد ينزع الى أصل أمه ، وذات الدين يحفظها دينها من الوقوع فى الفحشاء والمنكر ، ويحملها على أداء حقوقك والمحافظة على مالك وشرفك ولا تجعل كل همك فى اختيارها من أجل غناها أو جمالها أو حسبها ، ولكن ركز على ذات الدين حتى يبارك الله لك فيها ويبارك لها فيك كما ورد فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى قرأته سابقا .

وقد ورد أن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه أراد الزواج فعرض عليه أختان احداهما فى غاية الجمال ، والثانية عوراء ولكنها أعقل من الأولى ، فقال : زوجونى العوراء ، فليس هناك شىء أرجح فى ميزان المرأة من كمال عقلها •

وفى الحديث : « ••• ولأمة سوداء ذات دين أفضل » ومن وصايا لقمان لولده : « اتق المرأة السوء فانها تشيبك قبل وقت المشيب » •

والبكر أفضل من الثيب ، وكذلك تخير الولود ، ويعرف ذلك بالنظر الى حال أمها وأخواتها وأقاربها •

واذا تخيرت الزوجة فاستشر فيها مؤمنا تقيا يخلص لك النصيحة ، فان وافقك عليها فاستخر ربك ، وذلك بأن تصلى ركعتين فى غير أوقات الكراهة بنية صلاة الاستخارة ، ثم بعد الفراغ من الصلاة تقول داعيا ربك : « اللهم انى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم أن زواجى بفلانة بنت فلان خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى وآجله ، فقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وان كنت تعلم أن زواجى بها شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى وعاجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه ، واقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضنى به » • وانظر بعد ذلك فان وجدت انشراحا فى صدرك فاعلم أن زواجك بها خير وأقدم على خطبتها ، وان وجدت انقباضا فاعلم أن زواجك بها شر وابحث عن غيرها ، فان لم تجد شيئا فكرر الصلاة والدعاء الى سبع مرات وستجد الخير ان شاء الله واحرص على ذلك ففى الحديث : « لا خاب من استخار ، ولا ندم من استشار » •

واحذر الذهاب الى المنجمين وغيرهم لحساب النجم والموافقة ، وغير ذلك كما يفعل الجهلاء والسفهاء ، لأن ذلك حرام لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « من أتى كاهنا أو عرافا فقد كفر بما أنزل على محمد » ــ صلى الله عليه وسلم •

واذا اخترت الزوجة فاخطبها من ولى أمرها ، وعليه أن يرجىء الأمر حتى يستشيرها ويعلم ارادتها فذلك أدعى لهناءة حياتها وأرجى لدوام الألفة بينها وبين قرينها ، وليس لأحد أن ينفـــرد بتزويجها لمن يشاء دون رضاها الا اذا كانت صغيرة لا تدرك اختيار من يصلح لها ، وصمت البكر اذن منها بالزواج •

ومن السنة أن تنظر الى وجهها وكفيها ، فذلك أدعى لدوام العشرة بينكما ، فان وافقتك والا فاكتم ما رأيت منها ، ولا تتحدث بشيء من عيوبها ، فان لم يتيسر لك النظر اليها فأرسل امرأة تثق بها لتتأملها وتشم فمها ثم تصفها لك ، ولا بأس من أن تقدم هدية لخطيبتك اذا كانت حالتك تساعدك على ذلك فى حدود طاقتك وميزانيتك .

وعلى والد المرأة أو من يتولى أمرها أن يلاحظ أن الرجل التقى ولو كان فقيرا أفضل بكثير من غيره من الرجال الذين لا أخلاق لهم حتى ولو كانوا يملكون القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، وفى هذا يقول صلوات الله وسلامه عليه : « اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

وقد تزوج بلال ، وهو العبد الحبشى ، أخت عبد الرحمن بن عوف وهو الغنى القرشى ، ورضى الله عن سعيد بن المسيب فقد رفض أن يزوج ابنته لأمير من الأمراء وزوجها لفقير تقى لا يملك من الحياة غير درهمين دفعهما مهرا لابنته ، وما هى الا ساعات معدودة وبنت ابن المسيب فى بيت زوجها تقول له : « اجلس أعلمك علم سعيد » .

والرجل العاقل هو الذى يتذكر أن ابنته أمانة عنده فيختار لها زوجا له دين قويم ، وخلق كريم ، لأن الفخر بالأنساب من أمور الجاهلية .

فمن وضع كريمته عند فاسق حبا فى جاهه أو طمعا فى ماله فقد جنى عليها وسيسأله الله عنها .

ولقد قال رجل للحسن البصرى رحمه الله : جاءنى ناس كثيرون يخطبون ابنتى ، فأيهم أزوجها له ؟ فقال : زوجها التقى فانه ان أحبها أكرمها ، وان كرهها لم يظلمها .

ولا عيب فى أن يعرض الرجل ابنته على أهل التقوى والصلاح للتزوج ، فقد عرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابنته حفصة على أبى بكر وعثمان عليهما رضوان الله ، ثم عرضها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجها ، وذلك من تمام بره بها واحسانه اليها .

مع ملاحظة أن المرأة انسان كامل لا حق لأحد عليها فى اكراهها على مالا تحب وترضى كما كان يحدث قبل الاسلام ، فلقد كانت المرأة فى الجاهلية وضيعة الشأن لا رأى لها ولا ارادة ، وكان لوليها أن يزوجها

بمن يشاء أو يحرمها من الزواج طول حياتها ، فجاء الاسلام وفك عنها قيود العبودية وأعطاها قسط الحرية •

* * *

وأما عن المهر فهو واجب على الزوج لزوجته ، ولو كان حفنة من قمح ، ومن يمن المرأة قلة مهرها وتسهيل أمرها ، وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج السيدة عائشة رضى الله عنها على مهر قيمته ما يوازى جنيها مصريا ، وتزوج السيدة أم سلمة رضى الله عنها على مهر قدره ٢٢ قرشا صاغا ونصف قرش ، وأثاث بيت عبارة عن رحى يد وجرة ووسادة (مخدة) حشوها ليف ، وزوج ابنته السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها وهى من هى فى الفضل والشرف لعلى بن أبى طالب ، على درع (قميص حرب) وكان أثاث بيتها هينا لا عناء فيه ، فقد قالت أم سلمة والسيدة عائشة رضى الله عنهما : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجهز فاطمة حتى ندخلها على على ، فعمدنا الى بيته ففرشناه ترابا لينا من أعراض البطحاء ثم حشونا مرفقتين (مخدتين) ليفا فنفشناه بأيدينا ، ثم أطعمنا تمرا وزبيبا وسقينا ماء عذبا ، وعمدنا الى عود فعرضناه فى جانب البيت ليلقى عليه الثوب ويعلق عليه السقاء[1] ، فما رأينا عرسا أحسن من عرس فاطمة » •

فهذه صورة من الزواج النبوى تبين لك أن سعادة المرأة فى الرضا باليسير من المهر ، وأن أول شؤمها أن يكثر صداقها ، وأن يتشدد فى طلبات نفقاتها ، والمهر جميعه حق للزوجة وحدها ، فليس لزوجها ولا لأحد من أقاربها حق فيه ، ولا تكلف بشراء جهاز العروس منه فان فعلت فالجهاز ملك لها ، ومن تزوجت ولم يقدر لها مهر فلها عند زوجها مهر أمثالها من النساء ، وينبغى أن يدفع لليتيمة مهر أمثالها ، ولا ينتهز فرصة يتمها فيبخس حقها ، ومن خطب امرأة فقدم اليها هدية (كالشبكة) ثم عدل عن خطبته فليس له أن يطالب بهديته ، ففى الحديث الشريف : « العائد فى هبته كالكلب يعود فى قيئه » وان سلمت اليه بغير طلبه فله قبولها ، ومن طلقها زوجها قبل أن يدخل بها وجب عليه أن يدفع لها نصف جميع المهر مقدمه ومؤخره ، ان كان قد حدد لها مهرا ،

---

(١) السقاء : أى قربة المــاء .

أما اذا كان لم يحدد أى شيء فليس لها عنده الا نفقة تقدر بحسب حالته ، لقول الله تبارك وتعالى : « **ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف ، حقا على المحسنين** »[1] ومن طلق امرأة بعد دخوله عليها ، أو مات عنها ، ولو لم يدخل بها ، فجميع المهر حق شرعى لها .

واذا كان الناس قد اعتادوا أن يجعلوا المهر بعضه مقدما والباقى مؤخرا الى أقرب الأجلين : موت أو طلاق ، ويقولون بأن المؤخر ينفع المرأة عند موت زوجها أو طلاقها منه ، فهذا منابذ للسنة ، والأفضل لمن وجد سعة أن يعجل بدفع جميع المهر لأن المؤخر دين فى عنق الزوج لزوجته يجب سداده ، وللمرأة عند طلاقها أو موت زوجها رب يتولى أمرها ويدبر شأنها فهو القائل سبحانه : « **وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته** »[2] .

وان تنازلت المرأة عن شيء من مهرها لزوجها بغير حياء منه ولا تحت ضغط أو تأثير فهو حلال له ، لقول الله تعالى : « **فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا** »[3] .

* * *

ولا زواج الا بعقد يتكون مجلسه من ولى أمر الزوجة والزوج أو وكيله وشاهدين ، ولا يحل للمرأة أن تزوج نفسها بل لابد أن يتولى زواجها رجل من أقاربها ، وأحق الناس بالولاية عليها أقربهم اليها ، فأبوها مقدم على ابنها ، وابنها مقدم على أخيها ، وأخوها مقدم على غيره وهكذا ، ولا يجوز للقريب البعيد أن يتولى العقد عند وجود القريب الأقرب الا باذنه ، ولا يجوز لأحد من أقاربها أن يزوجها بغير توكيل منها ، فان فعل فالزواج باطل ولابد من الاعادة ، ولا يشترط الاشهاد على أنها وكلت فلانا فى زواجها ، وان لم يكن لها أقارب بالكلية أو كان لها ولكنهم يريدون الانتقام منها بعدم زواجها لأمر ما ، مع وجود الكفء ، أو كانوا جميعا فى غيبة طويلة ، فلها أن توكل عنها قاضيا من قضاة المحاكم الشرعية لأنه النائب عن السلطان ، ولا توكل أحدا غير ، والا فالزواج باطل .

---

(١) البقرة : ٢٣٦
(٢) النساء : ١٣٠
(٣) النساء : ٤

وللزوج أن يوكل عنه فى عقد الزواج من يشاء ولو كان الوكيل عنه هو الوكيل عن الزوجة •

أما الشاهدان فلابد أن يكونا رجلين مسلمين وعلى جانب من التقوى والاستقامة ، ومتى اجتمع هؤلاء وقال ولى الزوجة للزوج : « زوجتك موكلتى فلانة » وقال الزوج : « قبلت زواجها » فقد تم عقد الزواج ، ويسن أن يخطب الزوج أو رجل من أهل الفضل خطبة قبل العقد ، وهذا ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها : « الحمد لله ، نستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله : **« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا »**[1] **« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون »**[2] **« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا • يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما »**[3] •

ويسن ذكر المهر عند العقد ، فان لم يذكر فالعقد صحيح •

ويستحب دعوة الأقارب والجيران والأصدقاء لشهود هذا العقد ، وتوزيع التمر أو مافى معناه كالشربات والحلوى عليهم مع عدم التكليف وارهاق أحد الجانبين ، لأن هذا يعتبر تبذيرا له آثاره السيئة بعد الزواج ، الى جانب أنه مخالفة للسنة •

* * *

واذا تم عقد الزواج على هذا النحو الذى وقفت عليه ينبغى التعجيل بالزفاف ما لم تكن الزوجة صغيرة فينتظر حتى ينمو بدنها •

وعليها أن تزين نفسها ليلة زفافها مع البعد عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « لعن الله الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة ، والنامصة والمتنمصة ، والفالجة والمتفلجة »

---

(١) النساء : ١
(٢) آل عمران : ١٠٢
(٣) الأحزاب : ٧٠ ، ٧١

أما المستوصلة فهى التى تصل شعرها بشعر العيرة أو بصوف أو قماش ، والواصلة هى التى تفعل لها ذلك ، وأما الوشم ، فهو المعزوف بالدق الأخضر ، وهو حرام على الرجال والنساء ، ومن فعله فى الصغر ولم يستطع ازالته فى الكبر فلا شىء عليه ، ومن استعمله بدون لون لمرض فلا شىء عليه •

والنامصة : هى التى تزيل بعض الشعر من حواجب النساء •
والمتنمصة : هى التى يفعل بها ذلك •
والمتفلجة : هى التى تبرد أسنانها لتكون رفيعة مستوية •
والفالجة : هى التى تفعل لها ذلك •

فالواجب على المسلمة البعد عن كل ذلك كما يجب البعد عن صبغ الشعر بالسواد أو قص شىء منه الا لضرورة كمرض ، وعن تغيير الوجه بالبودرة وأنواع المساحيق (التواليت) •

وتمنع كذلك من الذهاب الى (الكوافير) كما يحدث فى هذا الزمان المريض ، لأنها هناك ستجلس بين يدى أجنبى عنها لا يحل له أن يخلو بها ولا يحل لها أن تخلو به ، لكى يمشط لها شعرها ويجمل وجهها ••• الخ ، وهذا كله حرام ، وكل راض عنه مشترك فى الاثم •

وعند استحمامها لا تكشف من سرتها الى ركبتيها أمام أى امرأة ولو كانت أمها •

وعند ذهابها الى بيت زوجها تكون متسترة ، وتتخير أقرب الطرق الموصلة اليه ، فاما أن تركب واما أن تمشى فى وسط جملة من النساء المحتشمات •

وحسبك وحسبها أن تستمعا الى عائشة رضى الله عنها وهى تقول متحدثة عن يوم زفافها فى حديث ما معناه : « تزوجنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست ودخل على وأنا بنت تسع ، استيقظت من نومى وخرجت ألعب مع صويحباتى على مرجيحة واذا بأمى تنادينى فجئتها مسرعة ونفسى يتتابع فمسحت وجهى ثم دخلت البيت فوجدت جملة من النساء يقلن لى : على الخير والبركة ، ثم غسلن رأسى وأصلحن أمرى ، وألبسننى أحسن ثيابى وذهبن بى وأنا فى وسطهن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدخلننى عليه وشربن لبنا ثم تركننى ورجعن الى بيوتهن ، وكان ذلك نهارا ضحى ، فى شوال » •

فاذا جاءتك زوجتك ودخلت عليها فحيها بتحية الاسلام : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » وضع يدك على جبهتها وقل :

« اللهم انى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه » •

واياك اياك : أن تزيل البكارة بالاصبع ، فهذا منكر ليس من الدين •



وقد رأيت ، والشىء بالشىء يذكر ، أن أشير الى هذه المنكرات التى تحدث فى الأفراح والتى منها :

ما يكون عند الخطوبة والعقد : وذلك باستبدال رؤية المخطوبة بتقديم صورتها الشمسية الى من جاء يخطبها وعدم سماح أهلها له برؤيتها ، ويظنون ذلك من تمام الغيرة أو الشهامة ، وهو جهل مركب نعوذ بالله منه فقد أباحوا لها بأن تكون متهتكة أمام المصور وحلاق الكوافير ، وربما كانا كافرين ، وأنفت نفوسهم أن يراها المسلم ليطمئن على رفيقة حياته •

ومن أشنع المنكرات : اختلاط من يريد الزواج بمن يخطبها بحجة أختبار أخلاقها ، وكثيرا ما نتج عن ذلك أسوأ العواقب •

وقراءة الفاتحة عند قبول الخطبة عادة لا أصل لها ولا يترتب عليها أمر شرعى ، فاذا عدل أحد الزوجين عن تنفيذ الزواج لم يكن ذلك رجوعا فى العقد بل خلفا للوعد •

ومن المحرمات : لبس الزوج دبلة من الذهب لتكون رمزا للخطوبة كما هو شائع الآن ، لأن الذهب حرام على الرجال •

ومن المنكرات : ذهاب رجلين من الأجانب الى الزوجة وقت عقد الزواج ليشهدا بأنها وكلت فلانا فى زواجها •

ووضع الوكيل عن الزوجة يده فى يد الزوج والقاء (منديل) عليهما عند اجراء صيغة العقد ، عادة لا أصل لها •

وارهاق الزوج بنفقات لا يقدر عليها ليس من شأن المؤمنين •

وكذلك تقديم العرائس والجمال من الحلوى فى المواسم والأعياد للزوجة حرام لأنها من التماثيل المنهى عنها •

وما يحدث كذلك قبل الزفاف من العادات السيئة : مثل نقل الجهاز الى بيت الزوج على عدد كثير من العربات ، وربما تكون عربة واحدة كافية فى نقله •

ومن المنكرات : شراء تماثيل لتكون فى حجرة الجلوس أو غيرها ، والتماثيل حرام ولو كانت على مقابض الدواليب وأمثالها ، وكذلك الفوط والبشاكير والستائر والخداديات ، وغير ذلك مما فيه صور على هيئة آدمى أو حيوان ، فهى من المنهيات .

وكذلك جلوس الرجل على (الكراسى) المكسوة بالحرير والتحافه بما فيه حرير ، فهو من المحرمات ، فانه كما يحرم لبس الحرير على الرجال فكذلك يحرم عليهم استعماله .

ويحرم شراء الأوانى والملاعق والمقابض الفضية والذهبية ، ففى الحديث : « ان الذى يأكل فى آنية الذهب والفضة أو يشرب فى صحافها ، انما يجرجر فى بطنه نار جهنم » .

ومن أشنع المنكرات : دخول أصدقاء الزوج ، أو بعض الحلاقين عليه أثناء استحمامه ليلة زفافه واطلاعهم على عورته ، واستحضار راقصات ، أو مغنيــات يعلمن الناس الفسق والفجور ، أو فرقة مضحكة لاحياء ليلة الحناء فى بيت الزوج والزوجة بما يغضب جبار الأرض والسماء ، ووضع الحناء فى يدى الرجل أو رجليه حرام ، فهى حلية النساء ، ولا تجوز للرجل الا للضرورة كمرض ، على ألا يتجاوز موضع الألم .

وفض البكارة بالاصبع عادة وحشية منكرة ، وجناية على الصحة قد يترتب عنها للزوجة العقم والرهقان ، هذا بالاضافة الى أنه حرام بلا خلاف .

ومن البدع المنكرة أيضا : الطواف حول القرية بقميص العروس ملوثا بدم البكارة ، بل دم الجناية على هذا العضو الرقيق من ذلك الوحش الذى لا يراقب الله تعالى فى هذه المسكينة فى أحرج الأوقات .

ومن منكرات الأفراح أيضا : زغردة النساء والموسيقى والرقص والغنــاء .

وحسبك زجرا لك وحتى لا تقع فى هذه المنكرات أو تشارك فيها أن تقرأ قول الله تبارك وتعالى : « **ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا ، أولئك لهم عذاب مهين** »[1]

---

(١) لقمان : ٦

فقد فسر ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما لهو الحديث بأنه الغناء ، كما روى عن ابن مسعود أنه قال : « الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت المـاء الزرع » وجاء عنه أيضـا : « الغناء رقية ـ مقدمة ـ الزنا ، ما عاناه صبى الا فسد ، ولا امرأة الا بغت[1] ، ولا شاب الا وقع فى محظور » •

كما روى الترمذى بسند حسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين ، صوت عند نعمة : لهو ولعب ومزامير شيطان ، وصوت عنـد مصيبة : خمش وجوه وشق جيوب ورنة » ففى الحديث يصف الرسول صلى الله عليه وسلم الغناء بأنه صوت أحمق ولم يقتصر على ذلك حتى وصفه بالفجور ، بل سماه من مزامير الشيطان ، وهذا الحديث نص فى حرمة زغردة النساء ، فما الزغردة الا رنة •

وكتب عمر بن عبد العزيز الى معلم أولاده :

« ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان ، وعاقبتها سخط الرحمن ، فانه بلغنى عن الثقات من أهل العلم أن صوت المعازف واستماع الأغانى واللهج بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت العشب على المـاء » •

وروى البخارى عن أبى مالك الأشجعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليكونن من أمتى قوم يستحلون الحر ـ الزنا ـ والحرير ، والخمر ، والمعازف » والمعازف : اسم لآلات اللهو والطرب • وحسبك ذما لها أن يذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم فى معرض الذم مقرونة بالخمر والزنا •

وروى ابن ماجه فى سننه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليشربن ناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها يعزف على رؤوسهم بالمعازف والقينات ، يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنازير » •

وروى الترمذى عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا اتخذ الفىء دولا ، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرما ،

---

(١) أى : زنت .

وتعلم العلم لغير الدين ، وأطاع الرجل امرأته وعق أمه ، وأدنى صديقه وأقصى أباه ، وظهرت الأصوات فى المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وظهرت القينات (المغنيات) والمعازف ، وشربت الخمر ، ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفا ومسخا وقذفا ، وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع » .

ورحم الله الشافعى رضى الله عنه فلقد قال : « من داوم على سماع الأغانى ردت شهادته ، وبطلت عدالته ، ومن جمع الناس على مغنية فهو ديوث » .



فهذه أخا الاسـلام بعض الأدلة التى تبرهن على أن الأغانى وآلات اللهو وزغاريد النساء المتفشية فى زماننا ، والتى تذاع على الناس فى كل صباح ومساء ، ومن الرجال والنساء فى الأفراح وغيرها ، منكرات ، من استمع اليها فقد عرض نفسه لسخط الله ، وليس له يوم القيامة الا الرصاص المذاب يصب فى أذنيه .

ورضى الله عن ابن عمر — رضى الله عنهما — فقد مر فى طريق فسمع زمارة راع فوضع أصابعه فى أذنيه وأسرع فى مشيته ، فقيل له : تفعل ذلك وهى زمارة راع ؟! فقال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك .

واذا كان قـد ورد فى السنة النبوية اباحة الضرب بالدف[1] والأغانى التى لا خنوثة فيها ولا تثير شـهوة الرجال فى الأفراح والأعيـاد .

فقد كان هذا القدر الذي أبيح لقوم فى قلوبهم ايمان ، وفى نفوسهم طهر وعفاف .

كما كان هذا النوع من الغناء يحارب المنكر فى عباراته ويوجه النفوس الى مكارم الأخلاق ، من هذه الأغانى :

نحن جوار من بنى النجار   يا حبذا محمد من جار



(١) وهو الطار الذى لا جلاجل فيه .

أتينـــاكم أتينـــاكم فحيـــونا نحييـــكم
ولولا الحبـــة الســـوداء ما سمنت عـــــذاريكم
ولولا الــذهب الأحمـــر ما حلت بواديـــكم

* * *

وها هى الربيع بنت معوذ تقول : « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عرسى وعندى جوار يغنين ويندبن آبائى الذين قتلوا ببدر » . فانظر الى قولها : يندبن آبائى ، أى يعددن محاسن آبائها لتعلم أن أغانيهم كانت دعوة للتحلى بمكارم الأخلاق ، خالية من الخلاعة والميوعة ، بعيدة عن كل ما يثير شهوة الرجال ، بخلاف أغانينا العصرية التى أغلبها يدعو الى الفسق والخنوثة والخلاعة وفساد الأخلاق .

وفى هذا يقول امامنا السبكى عليه رحمة الله فى كتابه « المقامات العلية » متحدثا عن المجون الذى قد يحدث غالبا فى الأفراح :

ويحضرون غادة النســـاء والمومســـات بغية الشقاء
يرقصن عند ساحة الغنـــاء للفـــاسقين مرتع البـــلاء
من للخنا بأمهم يميلوا

وأحضروا لتفـــرح النســـاء آلات لهـــو كلهـــا بلاء
وزغـــردوا لتفضـــح الآباء وطبـــلوا لتكثر الغـــوغاء
ويختلى بالغـــادة الخليل

ويزعمـــون أنهم أقامـــوا أفراحهم وعزهم أدامـــوا
وأنهـــم لحـــزنهم أنامـــوا وأنهم على الهـــدى استقاموا
وهم على النيران قد أحيلوا

وان رأوا من يصنع الأفراحا طبقا لشرع من أتى مصباحا
المصطفى من زين الاصـــباحا قالوا جميعا أخطـــأ الاصلاحا
وقرروا أن الفتى ثقيل

* * *

ومن منكرات الأفراح : اختلاط الرجال بالنساء الأجنبيات والنظر اليهن ، وذهاب أقارب الزوج والزوجة صبيحة زفافهما للمصافحة ودفع مبلغ من المـــال[1] ، وفيهم من لا يحل له النظـــر الى الزوجة ،

(١) وهو ما يسمى (بالنقطة) التى تعتبر دينا فى ذمة الزوج ، وقد يطلب منه فى وقت لا يملك فيه شيئا ، وهذا بالطبع ليس محمودا ، أما اذا كان هذا المـــال هدية فلا بأس ، ما دام لن يرد بعد هذا .

وهى فى ذلك الوقت فتنة للناظرين ، وهذا منكر لا يرضى به الا كل من فقد رجولته •

ومن المنكرات أيضا : اختلاط المرأة بأقارب زوجها كأخيه وابن أخيه وأقاربها كأولاد عمها وأولاد أخوالها وأولاد عمتها ، وزوج أختها ، وأولاد جيرانها ، والسقاء ، واللبان ، وبائع الفواكه ، والخضروات ، وقد تظهر أمامهم فى ثيابها الرقيقة أو القصيرة وربما تكون كاشفة صدرها ورأسها وذراعيها ، حتى نما الشر وانتشر الفساد •

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام بعد زواجك واعلم أن زوجتك من يوم مجيئها عندك تعتبر أمانة فى عنقك حتى لا يختلط بها أحد ، حتى ولو كان أخوك ، ففى الحديث الشريف : « الحمو الموت » والحمو : هو قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وابن عمه •

ولقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم مخالطته للزوجة بالموت لأنه قد يستخدم صلته بالزوج فى تنفيذ مآربه الدنيئة ولا يساء به الظن •

* * *

واعلم : أنه لا يحل لرجل أن ينظر الى امرأة الا اذا كان محرما لها ، والمحارم هم : أبوها ، وجدها ، وابنها ، وأخوها ، وعمها ، وخالها ، وابن أخيها وأولاده ، وابن أختها وأولاده ، وابن زوجها ، ووالد زوجها ، وزوج ابنتها ، وزوج أمها ، فهؤلاء هم محرمها الذين يباح لهم النظر اليها والاختلاط بها والسفر معها •

* * *

وحتى تدرك خطورة النظر الى المرأة الأجنبية والخلوة بها اليك : قول الله تبارك وتعالى : **« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصنعون • وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن »**[١] •

وقوله : **« واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن »**[٢] •

وقوله : **« ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »**[٣] •

---

(١) النور : ٣٠ ، ٣١
(٢) الأحزاب : ٥٣
(٣) الاسراء : ٣٦

وقول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى :

« يا على .. لا تتبع النظرة النظرة ، فانما لك الأولى وليست لك الآخرة »[١] .

وقوله : « العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطا ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه »[٢] .

وقوله : « اياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحم ؟ قال : « الحم الموت »[٣] .

والحم كما عرفت سابقا هو : قريب الزوج كأبيه وأخيه وعمه ، فاذا كان قريب الزوج موتا وهلاكا للمرأة فكيف بالأجنبى ؟

وقوله : « لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط[٤] من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له »[٥] .



واعلم أنه من السنة :

اذا تزوجت البكر على غيرها أن تقيم عندها سبعة أيام ، واذا تزوجت الثيب تقيم عندها ثلاثا :

وهذا لا يمنعك من أداء الصلاة مع الجماعة فى المسجد .

وأن نهنئك بالدعاء الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه : « بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير » .

وأن تصنع وليمة بقدر مايتيسر لك فى اليوم التالى لدخولك ، ويجوز تأخيرها الى سبعة أيام ، فهى بركة على الزوجين وشكر لله على نعمة الزواج وما ينفق فيها يخلفه الله ، ويجوز فعلها بعد الزواج والأفضل أن تكون بعد الدخول ، وتدعو اليهـا الأصدقاء والفقراء[٦] والأقرباء ولا تتكلف لها فوق طاقتك ، فقد فعلها الرسول صلى الله عليه وسلم مرة بلحم وثريد ، وأخرى بتوزيع اللبن ، وثالثة بتمر وطعام آخر ، ويستحب للقادر ألا يقيمها على أقل من شاة .

---

(١) رواه أبو داوود .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) كالابرة والمسلة .
(٥) رواه الطبرانى والبيهقى ورجاله رجال الصحيح .
(٦) بصفة خاصة فهم أولى من غيرهم وأحق .

والوليمة التى يدعى اليهـا الأصدقاء والأغنياء دون الفقراء ، أو التى يكون فيها طيب الطعام للأغنياء والفضلات للفقراء ، تعتبر شرا ووبالا على صاحبها .

ومن دعى لوليمة عرس يجب عليه شرعا تلبية الدعوة ولو كان صائما ، وهو مخير بين الدعاء بالبركة أو الافطـار ان كان الصوم نفلا وتألم الداعى بامتناعه عن الأكل ، ولا يجوز التخلف عن هذه الدعوة الا لأعذار قهرية ومنها وجود معاص هناك ، فقد دعى رسـول الله صلى الله عليه وسلم الى وليمة فذهب ، ولمـا رأى فى البيت تصاوير رجع ولم يدخل .

فان ذهبت فلابد من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فان استمع لقولك فاجلس ، والا فاترك المكان .

* * *

وحتى لا تسرف فى اعداد وليمة العرس وتقدم ما فى استطاعتك دون حياء ، اليك هاتين الصورتين :

عن أسماء بنت عميس قالت : « كنت صاحبة عائشة رضى الله عنها فى الليلة التى هيأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى نسوة .

قالت : فوالله ما وجدنا عنده من قرى الا قدحا من اللبن نال منه الرسول ، ثم ناوله عائشة ــ قالت أسماء ــ فاستحيت الجارية ــ تعنى عائشة ــ قالت : فقلت : لا تردى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خذى منه .. فأخذته منه على حياء ، فشربت منه ، ثم قال : ناولى صواحبك . فقلت : لا نشتهيه !!

فقال : لا تجمعن جوعا وكذبا .

قالت أسماء : فقلت : يا رسول الله .. ان قالت احدانا لشىء تشتهيه لا أشتهيه ، أيعد ذلك كذبا ؟ فقال : « ان الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة » .

ولمـا عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاطمة ابنته كان الطعام الذى أحضره النبى صلى الله عليه وسلم للمدعوين طبقا من بسر[1] .

---

(١) المراد تمر .

ففى الحديث : « وان الله أمرنى أن أزوج فاطمة من على بن أبى طالب فاشهدوا أنى قد زوجتها على أربعمائة مثقال فضة ، ان رضى بذلك على • ثم دعا بطبق من بسر ، ثم قال : انتهبوا !! فانتهبنا » •

فكهذا تزوجت امرأة نبى وابنة نبى ! فى أحفال لا كلفة فيها ولا مغـــارم •

فلاحظ هذا ، واعلم أن البساطة سنة الاسلام فى كل شىء •

فعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : نهينا عن التكلف •

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا هلك المتنطعون » ثلاث مرات •

والتنطع هو مجانبة الفطرة بالمزيد من التكلف والاستقصاء •

وروى عن أنس بن مالك وغيره من الصحابة عليهم جميعا رضوان الله : « أنهم كانوا يقدمون لاخوانهم ما حضر ، من الكسر اليابسة وحشف التمر • ويقولون : لا ندرى أيهما أعظم وزرا ؟ الذى يحتقر ما قدم اليه ، أو الذى يحتقر ما عنده أن يقدمه » ؟

فلا تنس كل هذا حتى تكون موفقا فى زواجك •

* * *

وحتى تدوم العشرة والألفة والمودة والمحبة ويدوم الصفاء الذى لا تشوبه شائبة بينك وبين زوجتك لابد وأن تعطيها حقوقها كما هى مطالبة باعطائك حقوقك •

* * *

أما حقوقها عليك :

أن تطعمها وتكسوها مما رزقك الله بلا تقتير أو اسراف كما قال الله تعـــالى : « **لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها** »(١) •

أن تسكنها فى وسط قوم صالحين لئلا تتأذى من معاشرة الأشرار والفجار •

أن تؤدى اليها ما بقى لها عندك من مهرها ــ مؤخر الصداق ــ فهو دين فى عنقك ملزم بأدائه لها •

---

(١) الطلاق : ٧

أن تعلمها أحكام دينها وتراقبها فى تنفيذها وخاصة الصلاة فى وقتها ، وحذرها من الشر حتى لا تقع فيه ، ومرها بالصبر عند نزول المصائب ، ولا تتركها ترتكب أعمال الجاهلية[1] فأنت المسئول عنها بين يدى الله عز وجل .

أن تفى لها بما وعدتها به قبل دخولك عليها ما لم يكن فى الوفاء اثم أو ضرر أو قطيعة رحم .

أن تعاشرها بالمعروف فتعاملها على أنها انسان مثلك لها عليك مثل الذى لك عليها ، فلاطفها وبالغ فى اكرامها ، وكلما دخلت عليها فحيها بتحية الاسلام : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته » فافشاء السلام سبب لدوام المحبة ، واذكر أنها آخر ما وصاك به رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال : « اتقوا الله فى الصلاة واتقوا الله فى النساء » .

ولا تدخل عليها الا بعد أن تطرق بابها حتى تتهيأ لاستقبالك بالصورة التى تحبها فربما كانت فى وضع أو فى صورة لا تسرك .

واعلم أنها خلقت من ضلع أعوج فالاعوجاج شأنها . فلا تؤاخذها على كل ما يصدر منها ما لم يكن متعلقا بأحكام الدين .

واذا ارتكبت ما يغضب الله فعظها وحذرها عاقبة أمرها ، وكرر الوعظ ، فان لم يفد فاهجرها فى البيت ، فبعض النساء يؤلمهن الهجر أكثر من الضرب ، فان لم يفد فاضربها ضربا غير مبرح ، واياك أن تكسر عظما أو تضرب الوجه فانه منهى عنه ، فان لم يفد كل ذلك فأرسل الى أقاربها عسى الله أن يوفق بينكما ، فان لم يرد الله وفاقا فلا تمسكها ضرارا لتعتدى عليها .

واياك والهجر بلا سبب ، والضرب بلا مبرر : فقد قال الله تعالى :

« فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ان الله كان عليا كبيرا »[2] .

وتذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى بيته فى خدمة أهله : يرقع الثوب ، ويخصف النعل ، ويحلب الشاة ، ويكنس البيت ، فتأس به ليرفعك الله مكانا عليا .

---

(١) كلطم الخدود وشق الجيوب ، وقولها : يا جملى ، أو يا غزالى .. عند فقد عزيز .

(٢) النساء : ٣٤

واذا أردت اتيانها[١] فلاعبها ومازحها ثم قل : « بسم الله : اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا » فانك ان قلت ذلك وقضى بينكما ولد فهو محفوظ من الشيطان .

وان أحببت أن تعود الى اتيانها مرة أخرى فيستحب الغسل بينهما أو الوضوء فذلك أنشط للأعضاء ، واتيان المرأة فى دبرها[٢] من أشنع المنكرات وأكبر المحرمات ، وفاعل ذلك مطرود من رحمة الله ، ويحرم اتيانها مدة حيضها أو نفاسها ففى ذلك اثم كبير وضرر بليغ فقد قال الله تعـالى : « **ويسألونك عن المحيض ، قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ، ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** »[٣] ويحرم على المرأة أن تمكن زوجها من نفسها فى هذه المدة فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، وان تغلبت عليك الشهوة فى هذه المدة وخفت الوقوع فى المنكر فلتستر المرأة ما بين سرتها وركبتها ثم تمتع بباقى بدنها .

ومن أكثر المحرمات أن تتحدث الى أصدقائك بما كان بينك وبين زوجتك أثناء الجماع .

فعن أبى معبد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر أحدهما سر صاحبه »[٤] .

وفى رواية : « ان من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر سرها »[٥] .

* * *

وأما حقوقك عليها فمن أهمها : أن تطيعك ولا تعصيك :

فقد روى الحاكم من حديث معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ، ولا تجد امرأة حلاوة الايمان حتى تؤدى حق زوجها ، ولو سألها نفسها وهى على ظهر قتب »[٦] .

---

(١) أى جماعها .

(٢) أى من الخلف فى غير فرجها .

(٣) البقرة : ٢٢٢

(٤) رواه مسلم وأبو داوود .

(٥) رواه مسلم وأبو داوود .

(٦) الاكاف الصغير الذى يوضع على سنام البعير .

وأن لا تتخلف عنك لحظة واحدة اذا دعوتها لفراشك ما لم يكن هناك عذر شرعى كحيض أو نفاس ، والا فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين •

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا دعا الرجل امرأته لفراشه فلم تأته فبات غضبانا عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح »[١] •

وألا تصوم نفلا الا بلذنك •

فعن أبى هريرة أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يحل لامرأة أن تصوم[٢] وزوجها شاهد الا باذنه ، ولا تأذن فى بيته الا باذنه »[٣] فربما احتجت اليها فى وسط النهار • فقد ورد فى الحديث : « ••• فاذا وقع بصر أحدكم فى الطريق على امرأة أعجبته فليرجع بيته وليأت زوجته فان البضع واحد » •

وأن تحافظ على مالك ولا تسرف فيه ؛ وتكون مدبرة ؛ ولا تعطى أحدا من مالك شيئا الا باذنك ؛ ولا تقدم طعاما لأحد أقاربها أو لسائل الا بعد وثوقها من رضاك •

وأن تحافظ على عرضك وعرض بناتك ، فلا تخرج الا باذنك ؛ ولا تطلب منك ذلك الا للضرورة القصوى على أن تكون فى غاية الأدب والاحتشام عند خروجها ، وألا تقف على باب أو تطل من نافذة ، فقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة رضى الله عنها : « يا فاطمة •• أى شىء خير للمرأة » ؟ قالت : ألا ترى رجلا ولا يراها رجل • فضمها الى صدره وقال : « ذرية بعضها من بعض » •

وعن عائشة رضى الله عنها أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « يا أسماء •• ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصح أن يرى منها الا هذا وهذا » وأشار الى وجهه وكفيه[٤] •

* * *

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) المراد صوم النفل .
(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه ابو داوود وقال : هذا مرسل .

وحتى تكون واعظا لها ذكرها بهذه الأحاديث الثلاثة :

عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل عين زانية ، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا — يعنى زانية »[1] .

وروى النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى الصحيح ولفظهم : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية ، وكل عين زانية » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت[2] المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا »[3] .

وألا تدخل أحدا بيتك الا باذنك ، وأن تصون فراشك فلا يطؤه أحد غيرك :

فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ألا أدلك على خير ما يكنز الرجل ؟ امرأة صالحة .. ان نظر اليها سرته ، وان أمرها أطاعته ، وان غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » .

وحسبك أن تقرأ عليها قول الله تبارك وتعالى : « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن[4] ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن[5] أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة[6] من الرجال أو الطفل**

---

(١) أى آخذة فى أسباب الزنا . رواه أبو داوود والترمذى وقال : حسن صحيح .

(٢) الابل الخراسانية .   (٣) رواه مسلم وغيره .

(٤) جمع جيب وهو للثوب الشق فى اعلاه .

(٥) أى أزواجهن .

(٦) الاربة : أى الحاجة الى النساء من الرجال . فأصحاب الحاجة الى النساء لا يصح لهم رؤية الزينة منهن .

الذين لم يظهــروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا الى الله جميعا أيهــا المؤمنون لعلكم تفلحون »[١] .

وليس معنى الآية الكريمة أن تبدى المرأة من الزينة لأبيهــا أو والد زوجها مثل ما تبديه لزوجها ، وانما المقصود أن تراعى المرأة فى ابداء الزينة لكل من هؤلاء ما يوافق الحياء والفطرة .

كما يلاحظ أن زوج الأخت لم يرد ذكره فى الآية مع أنه من المحارم ، والحكمة فى عدم السماح للمرأة بابداء زينتها أمامه أن تحريمه عليها تحريم وقتى ، ، أى يحرم عليه الجمع بينها وبين أختها وربما افتتن الرجل بزينة أخت زوجته فيكره امرأته ويطلقها ليتزوج أختها ، أو يخادعها فيقع فى أغلظ الفــاحشة وهى نكاح المحارم ، وكذلك ليس معنى السماح للنساء برؤية الزوجة أن تنظر المرأة الى عورة المرأة فان هذا حرام : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينظر الرجل الى عورة الرجل ، ولا تنظر المرأة الى عورة المرأة ، ولا يفضى الرجل الى الرجل فى الثوب الواحد ، ولا المرأة الى المرأة فى الثوب الواحد »[٢] .

أما الخدم والتابعون[٣] فيباح لهم رؤية زينة المرأة لأنهم من الطوافين عليهن بحكم عملهم ، ومن الضيق والحرج الذى رفعته الشريعة أن يحرم عليهم ذلك . فقــد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى ابنته فاطمة رضى الله عنها بعبد قد وهبه لها ، وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها ، واذا غطت به رجليها ، لم يبلغ رأسها . فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم ما تلقى ، قال : « انه ليس عليك بأس ، انما هو أبوك ، وغلامك »[٤] .

أى لا حرج عليك يا فاطمة ، فليس موجود يرى زينتك الا أنا ــ والدك ــ وكذلك خادمك .

---

(١) النور : ٣١

(٢) رواه احمد ومسلم وابو داوود والترمذى .

(٣) التابع : هو الذى لا شهوة له ، وقيل : الأبله . وقيل : المخنث الذى لا ينتصب ، الا اذا كان فاسقا يصف اهل البيت للناس .

(٤) رواه ابو داوود .

وإذا كان الطفل صغيرا لا يفهم أحوال النساء وعوراتهن فلا بأس بأن يدخل عليهن •

ولم يذكر الله جل شأنه — كذلك — العم والخال فى الآية ، وذلك لأنه لا يحل للمرأة أن تبدى زينتها لعمها وخالها •

قال عكرمة رضى الله عنه فى توضيح حكمة ذلك : لأنهما ينعتان لأبنائهما ، أى يصف جمال بنت أخته أو أخيه لأبنائه •

وعورة المرأة شرعا : هى جسمها خلاف الوجه والكفين على الرأى الراجح لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا » — وأشار الى وجهه وكفيه —[1] •

ومع ذلك فالأفضل أن تغطى المرأة وجهها اذا خرجت من بيتها لأن الرجال فى هذا الزمان قد أصبحوا لا يغضون أبصارهم كما أمر الله جل شأنه ، بل ذهب الحياء ولم تؤمن الفتنة •

لا تأمنن على النساء ولو لأخ ... ما فى الرجال على النساء أمين
ان الشقيق ولو تنزه جهده ... لابد أن بنظرة سيخون

ولهذا يجب أن يكون الزوج غيورا ليحمى زوجته من الدنس ، ويوجهها الى ما يحفظ عليها شرفها ، فقد تكون المرأة فى ذاتها فاضلة شريفة أمينة ، وباهمال الزوج تتجرأ على الخنا ، والنساء ناقصات عقل ودين •

وليس معنى ذلك أن يشتط الزوج فى الغيرة حتى تنقلب الى شك قاتل وريبة مدمرة ، وانما يعتدل فى غيرته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من الغيرة ما يحب الله ، وما يكره الله : فأما ما يحب الله فالغيرة فى الريبة ، وأما ما يكره الله فالغيرة فى غير ريبة »[2] •

وفى الحديث : « ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا ، الديوث ، والرجلة من النساء ، ومدمن الخمر » قالوا : يا رسول الله •• أما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث ؟ قال : « الذى لا يبالى من دخل على أهله » ، قيل : فما الرجلة من النساء ؟ قال : « التى تتشبه الرجال »[3] •

---

(١) رواه أبو داوود . (٢) رواه ابن ماجه .
(٣) رواه الطبرانى بسند قال الحافظ المنذرى : لا اعلم فيه مجروحا ، وله شواهد كثيرة .

وأن تقوم بتربية أولادك وغرس الآداب السامية فى نفوسهم وتعويدهم العمل بأحكام الدين والتحلى بمكارم الأخلاق ، وتكون لهم فى ذلك خير قدوة ٠

وأن تتجمل لك حتى لا تنظر الى غيرها ، ولا تكون من اللائى يتبذلن فى ثيابهن ما كن فى البيت فان خرجن فهن الكاسيات العاريات المـــائلات المميلات ، وليكن فى مقدمة ما تعنى به خدمة بيتك ونظافة نفسها وأولادها وطعامها وفراشها فالنظافة من الايمان ، وهى نعم المسرة للانسان ٠

وأن تعاونك على فعل الخيرات : ففى الحديث الشريف : « رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها ليصلى فان أبى نضحت فى وجهه المـــاء » ٠

وأن تعاونك على بر أبويك باحسانها اليهما ، وتحملها هفواتهما ، وألا تحملك مالا تطيق ولا ترهقك فى مطعم أو كسوة ٠



فلاحظ كل هذا اذا أردت أن تكون سعيدا فى حياتك الزوجية ، مع ملاحظة أنه قد يقوم الزوج بواجباته وتقوم الزوجة بواجباتها ولكن فى جفاء وجفاف ، يذهب حلاوة الحياة الزوجية ويجعلها كالسخرة البغيضة ٠

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مثال الرقة واللطف مع أزواجه ، يداعبهن ويدخل السرور عليهن ، تقول عائشة رضى الله عنها : « كان الحبش يلعبون بحرابهم ، فسترنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أنظر فما زلت أنظر حتى كنت أنصرف ! فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو »(١) ٠

وتقول أيضا : « كنت ألعب بالبنات ــ لعب الأطفال ــ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته ، وكان لى صواحب يلعبن معى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل ينقمعن ــ يهربن ــ فيسربهن فيلعبن معى »(٢) ٠

وكان صلى الله عليه وسلم فى غاية السماحة مع أزواجه ، فيصفح عنهن ويوسع صدره ، قال لعائشة : « انى لأعلم أن كنت عنى راضية ،

---

(١) رواه البخارى .

(٢) متفق عليه .

واذا كنت على غضبى ! قالت فقلت : من أين تعرف ذلك ؟ فقال : أما اذا كنت عنى راضية فانك تقولين : لا ورب محمد ، واذا كنت غضبى ، قلت : لا ورب ابراهيم ! قالت : قلت : أجل والله يا رسـول الله ما أهجر الا اسمك » .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى نسائه فى مرضه ، فاجتمعن . فقال : « انى لا أستطيع أن أمر عليكن فان رأيتن أن تأذن لى فأكون عند عائشة فعلتن » فأذن له[1] .

فتمعن معى فى قوله اللطيف ـ صلى الله عليه وسلم : « فان رأيتن أن تأذن لى » يطلب الاذن منهن وهو رسول الله !!

وروت كتب السنة أن نساء رسول الله كن يراجعنه ـ يناقشن أوامره ـ وتهجره الواحدة منهن اليوم الى الليل[2] .

كما ورد فى كتب السنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ كان فى خدمة أهله ـ أى يساعدهم فى أعمال البيت .

فلا تنس كل هذا وطبقه حتى تكون زوجا مثاليا وحتى تستمر سعادتك طوال حياتك الزوجية .



وحتى تدوم المودة بينكما أرجو أن تلاحظ هذه الأحاديث الشريفة :
عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكمل المؤمنين ايمـانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم »[3] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى »[4] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع ، وان أعوج ما فى الضلع أعلاه ، فاذا ذهبت تقيمه كسرته ، فان تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء »[5] .

---

(١) رواه ابو داوود .
(٢) رواه الامام احمد وغيره .
(٣) رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه .
(٤) رواه ابن حبان فى صحيحه .
(٥) رواه البخارى ومسلم .

وهذه الأحاديث :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من كان عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط »[١] .

وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل »[٢] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول : « اللهم هذا قسمى فيما أملك[٣] فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك »[٤] يعنى القلب .

* * *

واذا حدث لا قدر الله أن استطاع الشيطان أن يفرق بينكما ووقع أبغض الحلال عند الله ، وهو الطلاق النهائى :

فاياك اياك أن تقع فى هذا الاثم الذى وقع ولا زال يقع فيه كثير من الجهلاء السفهاء وهو التحليل الذى قال فيه الشيخ ابن حجر الهيثمى فى كتاب « الزواجر عن اقتراف الكبائر » ما ملخصه :

أخرج أحمد والنسائى وغيرهما بسند صحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعن المحلل والمحلل له .

وروى ابن ماجه باسناد صحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بالتيس[٥] المستعار » ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « هو المحلل .. لعن الله المحلل والمحلل له » .

وروى أبو اسحاق الجوزانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحلل فقال : « لا ، الا نكاح رغبة لا نكاح دلة[٦] ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل ، ثم تذوق العسيلة »

---

(١) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .
(٢) رواه أبو داوود .
(٣) ما يملك : هو النفقة والمبيت ، وما لا يملك : هو المحبة .
(٤) رواه أبو داوود والترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه .
(٥) الذكر من الظباء والمعز والوعل .
(٦) خديعة تدليس .

وأما عن تحريم الصحابة له :

فقد روى ابن المنذر وابن أبى شيبة وعبد الرزاق والأثرم عن عمر رضى الله عنه أنه قال :

لا أوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما • فسئل ابنه عن ذلك فقال : كلاهما زان •

وسأل رجل ابن عمر فقال : ما تقول فى امرأة تزوجتها لأحلها لزوجها لم يأمرنى ولم يعلم ؟ فقال له ابن عمر : لا ، الا نكاح رغبة ان أعجبتك أمسكتها ، وان كرهتها فارقتها ، وان كنا نعد هذا سفاحا[1] على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وسئل عن رجل طلق ابنة عمه ثم ندم ورغب فيها فأراد آخر أن يتزوجها ليحلها له ، فقال : كلاهما زان ، وان مكث عشرين سنة أو نحوها اذا كان يعلم أنه يريد أن يحلها •

وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عمن طلق امرأته ثلاثا ثم ندم • فقال : هو عصى الله فأندمه ، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا •

وأما من حرمه من فقهاء التابعين :

فقد قال الترمذى : والعمل على التحريم عند أهل العلم منهم عمرو وابنه عثمان ، وهو قول الفقهاء من التابعين •

ونقل ابن حجر عن الحسن البصرى أنه قال : اذا هم أحد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد العقد •

وعن النخعى أنه قال : اذا كانت نية أحد الثلاثة : الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل ، فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول •

وعن ابن المسيب أنه قال : من تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول لم تحل له •

وأما من حرمه من الأئمة :

فقد نقل ابن حجر التحريم عن الامام مالك والليث وسفيان الثورى وأحمد بن حنبل •

ونقل عن أحمد أنه سئل عمن تزوج امرأة وفى نفسه أن يحلها للأول ولم تعلم هى بذلك • فقال : هو محلل ، واذا أراد بذلك التحليل فهو ملعون •

---

(١) اى فجورا •

وقد أخذ المحرمون للتحليل وهم أهل العلم من الصحابة والفقهاء من التابعين والأئمة السابقين باطلاق الأحاديث السابقة •

وقال الامام الشافعى : ان التحريم محله اذا شرط التحليل فى طلب العقد[١] اهـ •

***

واذا لم تستطع الزواج ــ الذى يغض بصرك ، ويحصن فرجك[٢] ــ لعدم وجود الباءة التى هى مؤن النكاح[٣] •

فعليك بالصوم فانه لك وجاء :

أى وقاية لك من الوقوع فى جريمة الزنا الذى حرمه الله سبحانه وتعالى فقال : « **قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن** »[٤] •

كما نهاك الرسول صلى الله عليه وسلم عن الوقوع فيه فقال موجها كلامه الى كل شاب : « يا شباب قريش •• احفظوا فروجكم لا تزنوا ، ألا من حفظ فرجه فله الجنة »[٥] •

وحتى لا تقع فى هذه الفاحشة كان لابد وأن تكون بعيدا عن جميع أسبابها ، وذلك : بغض البصر عن جميع المغريات الجنسية التى يزينها لك الشيطان الرجيم •

هذا بالاضافة الى ضرورة تجنبك لمشاهدة الأفلام الماجنة ، وغشيان المسارح الفاجرة ، وقراءة الروايات والكتب الخليعة ، والائتناس بأهل الميوعة والتحلل •

وتعمل على أن تكون بعيدا عن الفراغ الذى هو كذلك من أهم أسباب الفساد وفى ذلك يقول الشاعر :

ان الشباب والفراغ والجدة[٦] مفسدة للمرء أى مفسدة

وذلك بشغل نفسك ببعض الأنشطة الدينية ، والاجتماعية ، والرياضية ، والثقافية ، حتى ييسر الله لك طريق الزواج •

---

(١) كلام ابن حجر .

(٢) كما أشار الرسول ﷺ فى وصيته .

(٣) كما عرفت سابقا .

(٤) الاعراف : ٣٣

(٥) رواه الحاكم والبيهقى وقال : صحيح على شرطهما .

(٦) اى المال .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصيك بالصيام فليس هذا معناه أن تصوم بصفة مستمرة حتى لا تقوى على العمل ، وانما المراد أن تصوم ولو يومين كل أسبوع ، كالاثنين والخميس فهما بالاضافة الى هذا الهدف المراد (وهو اضعاف الشهوة الجنسية) سنة ، وحتى يتضح لك هذا المعنى اليك هذا الحديث الشريف :

عن عبد الله بن عمرو بن العــاص رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بلغنى أنك تصوم النهار وتقوم الليل ، فلا تفعل ، فان لجسدك عليك حقا ، ولعينيك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، صم وأفطر ، صم من كل شهر ثلاثة أيام فذلك صوم الدهر » . قلت : يا رسول الله .. ان لى قوة . قال : « فصم صوم داوود عليه السلام صم يوما ، وأفطر يوما » فكان يقول : يا ليتنى أخذت بالرخصة[١] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى صوم الاثنين والخميس »[٢] .



وأخـــيرا :

ولمـــا كان كثير من الأزواج والزوجات فضلا عن غيرهم وغيرهن من المسلمين والمسلمات ، يجهل غسل الجنابة وما يتعلق به من الأحكام . فقد رأيت وفى ختام هذا الموضوع الحيوى واتماما للفائدة : أن أشير الى أحكام هذا الموضوع الهام الذى أمر الله تعالى به فى قوله : « ... **وان كنتم جنبا فاطهروا** »[٣] .

وحتى لا أطيل عليك فاليك :

الغســـل

الغسل بالفتح ، مصدر غسلَ . وبالضم اسم مصدر لاغتسلَ ، وهو تعميم الجسد بالمـــاء ، وبالكسر اسم لمـــا يغسلَ به من صابون

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) رواه النسائى وابن ماجه وقال : حسن غريب .
(٣) المـــائدة : ٦

وأشنان[١] ونحوهما . وهو لغة : الاسالة . وشرعا : ايصال المـاء الى الجسد ، ودليله ــ كما قرأت سابقا ــ قول الله تعالى :
« وان كنتم جنبا فاطهروا » .

* * *

موجبـات الغسـل

أولا : خروج المنى وبروزه من حشفة الرجل الى فرج المرأة الظاهر ولو حكما لمحتلم رأى بللا ولم يدرك الشهوة . لقول عائشة رضى الله عنها : « المنى : المـاء الأعظم الذى منه الشهوة وفيه الغسل »[٢] .

ولقول على رضى الله عنه : كنت رجلا مذاء ، فسألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « فى المذى الوضوء ، وفى المنى الغسل »[٣] .

وعن أنس : أن أم سليم سألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن امرأة ترى فى منامها ما يرى الرجل . فقال :

« من رأت ذلك منكن فأنزلت فلتغتسل » قالت أم سلمة : أو يكون ذلك يا رسول الله ؟ قال : « نعم ، ماء الرجل غليظ أبيض . وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما سبق ــ أو علا ــ أشبهه الولد »[٤] .

ثانيا : التقاء الختانين : والدليل على وجوب الغسل بالتقاء الختانين حديث عائشة رضى الله عنها الذى تقول فيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا قعد بين شعبها الأربع ثم مس الختان الختان فقد وجب الغسل »[٥] .

وقالت عائشة رضى الله عنها : « اذا التقى الختانان فقد وجب الغسل . فعلته أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واغتسلنا »[٦] .

---

(١) الأشنان : بضم الهمزة وسكون الشين المعجمة : دقاق الترمس .
(٢) اخرجه المنذرى .
(٣) أخرجه أحمد والأربعة وقال الترمذى : حسن صحيح .
(٤) أخرجه أحمد ومسلم وابن ماجه والبيهقى .
(٥) أخرجه أحمد ومسلم .
(٦) أخرجه الشافعى فى « الأم » والنسائى وصححه ابن حبان وابن القطان وأعله البخارى بأن الأوزاعى أخطأ فيه .

والمراد بالتقاء الختانين ومسهما : تغيب الحشفة فى الفرج ، وليس المراد حقيقة اللمس ولا حقيقة الملاقاة .

ثالثا : انقطاع دم الحيض والنفاس : لحديث عائشة رضى الله عنها الذى تقول فيه : ان فاطمة بنت أبى حبيش كانت تستحاض فسألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال :

« ذلك عرق وليس بالحيضة فاذا أقبلت الحيضة فدعى الصلاة ، واذا أدبرت فاغتسلى وصلى »[1] .

وعن عبادة بن نسى عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اذا مضى للنفساء سبع ثم رأت الطهر فلتغتسل ولتصل »[2] .

رابعا : الولادة بلا دم : وهو واجب عند أبى حنيفة ومالك على من ولدت ولم تر دما احتياطا ، لأنها لا تخلو من أثر دم . وقال أبو يوسف ومحمد والحنابلة : لا غسل عليها لعدم الدم ولأنه لا نص فيه ولا هو فى معنى المنصوص .

خامسا : الموت : فقد أجمع العلماء على أنه يفترض على الأحياء فرض كفاية : تغسيل الميت المسلم الذى لم يقم به ما يمنع الغسل كالشهادة فى المعركة والبغى والقتل ظلما . لقول ابن عباس رضى الله عنهما : بينما رجل واقف مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعرفة فوقصته ناقة فمات ، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « اغسلوه بماء وسدر[3] وكفنوه فى ثوبين »[4] .

وسبب لزومه عند الحنفيين : الحدث على الأصح لأن الموت سبب للاسترخاء وزوال العقل ، وهو عند الشافعية : للنظافة ، وروى عن مالك فلا تلزم فيه النية ويصح من الكافر والمجنون . وعند الحنابلة : سببه الموت تعبدا .

---

(١) اخرجه البخارى ومسلم . (٢) اخرجه البيهقى .

(٣) السدر بكسر فسكون : شجر النبق ، والمراد ورقه .

(٤) اخرجه مالك واحمد والبخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

سادسا : اسلام الكافر : وان اغتسل قبل اسلامه ، وكذلك لو كان مرتدا أسلم ولو صبيا مميزا ، لقول قيس بن عاصم : « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم أريد الاسلام فأمرنى أن أغتسل بماء وسدر »[1] .

* * *

مالا يوجب الغسل :

لا يلزم الغسل لأربعة أنواع :

لا يفترض الغسل اتفاقا : لمذى ، ولا لودى[2] ولا لاحتلام بلا بلل . لا فرق فى ذلك بين الرجل والمرأة ، فاذا احتلمت بلذة ولم يخرج ماؤها الى فرجها الظاهر ، فلا غسل عليها .

ولا يفترض بتغيب بعض الحشفة ولا بوطء فى غير قبل ودبر ، ولا بسحاق — وهو اتيان المرأة المرأة بلا انزال — ولا بالتصاق الختانين بلا ايلاج[3] .

ولا يفترض عند الشافعية بخروج منى بلا لذة ولو حكما .

ولا يجب عند المالكية : بمنى خرج بلذة غير معتادة ، كأن خرج لنزوله فى ماء حار ، ولحك جرب ، وتحريك دابة ان لم يتماد فيهما . فان تمادى بعد شعوره باللذة من حك الجرب وتحريك الدابة وجب الغسل .

* * *

أركان الغسل

النية : عند المالكية ، والشافعية .

وتعميم الجسد بالماء : عند المالكية ، وتعميم البشرة والشعر بالماء : عند الشافعية ، وتعميم سائر الجسد بالماء : عند الأحناف . وتعميم الجسد بالماء حتى داخل الفم والأنف وظاهر الشعر وباطنه وحشفة أغلف ان أمكن تشميرها بلا مشقة : عند الحنابلة .

وتخليل الشعر : عند المالكية . وعند الحنفيين : لا يجب على المرأة نقض ضفيرتها ان بل أصلها لحديث عبد الله بن رافع مولى أم سلمة

---

(١) أخرجه احمد وابو داوود والترمذى والنسائى وصححه ابن السكن .

(٢) المذى : هو الذى ينزل اثناء مداعبة الرجل لزوجته .. وليس منه الغسل . والودى : هو الذى يخرج من القبل قبل البول او بعد البول وليس منه الغسل .   (٣) اى ادخال .

أن أم سلمة قالت : يا رسول الله .. انى امرأة أشد ضفر رأسى أفأنفضه للجنابة ؟ قال :

« انما يكفيك أن تحثى عليه ثلاث حثيات من ماء ثم تفيضى على سائر جسدك ، فاذا أنت قد طهرت »[1] .

والموالاة مع الذكر والقدرة : عند المالكية .

التسمية فى أوله : بأن يقول : باسم الله والحمد لله ، عند الحنفيين والشافعى . ومندوبة عند مالك ، وواجبة على العالم الذاكر عند الحنابلة .

غسل الكفين ثلاثا فى أوله : لقول عائشة رضى الله عنها :

« كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم اذا أراد أن يغتسل من جنابة يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما فى الماء »[2] .

والحكمة فى ذلك : أنهما آلة التنظيف فيطهران أولا .

غسل القبل والدبر قبل الغسل ، وان لم يكن عليهما نجاسة ، لما فى حديث عائشة رضى الله عنها الذى تقول فيه :

« ... ثم يفرغ على شماله فيغسل فرجه »[3] .

ازالة ما على الجسد من نجاسة فى أول الغسل ، ولو قليلة ، لأنه لا يرتفع حدث ما تحتها حتى تزال هذه النجاسة .

وأن يبدأ بغسل أعضاء الوضوء .

وافاضة الماء ثلاثا وكذلك التيامن ، لأنه صلى الله عليه وسلم كما ورد : كان اذا استبرأ حفن على رأسه ثلاث حفنات ، ثم أفاض على سائر جسده . وأنه صلى الله عليه وسلم كان يحب التيامن فى شأنه كله .

تخليل اللحية والشعر : أى أنه يلزم المغتسل ايصال الماء الى أصول شعره وايصاله الى ما تحت لحيته الخفيفة ، ويسن له تخليل شعر اللحية والرأس ان وصل الماء الى أصول الشعر بلا تخليل ، والا لزم عند الحنفيين . وعند الشافعية والحنابلة : يسن تخليل الشعر ان وصل الماء الى البشرة بدونه ، والا لزم .

---

(١) اخرجه احمد ومسلم والأربعة وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٢) اخرجه السبعة . (٣) اخرجه البخارى ومسلم .

والمعتمد عند المالكية : أنه يجب تخليله مطلقا ، ولو كثيفا وصل الماء الى ما تحته لحديث : « خللوا الشعر وأنقوا البشرة ، فان تحت كل شعرة جنابة »(١) .

تخليل الأصابع : أى أنه يسن للمغتسل تخليل أصابع يديه ورجليه عند غير المالكية ، وهو فرض عند المالكية فى أصابع اليدين والرجلين ، لحديث : « خلل أصابع يديك ورجليك »(٢) .

التثليث : أى أنه يسن فى الغسل تثليث غسل الرأس اتفاقا ، وكذا باقى الجسد عند المالكية ، لحديث : « اذا اغتسل أحدكم فليغسل كل عضو ثلاثا »(٣) .

التستر حال الغسل : أى أنه يطلب من المغتسل ستر العورة حال الاغتسال ، وأن يغتسل بمكان لا يراه فيه من لا يحل له النظر الى عورته ، لحديث : « ان الله عز وجل حيى ستير يحب الحياء والستر ، فاذا أراد أحدكم أن يغتسل فليستتر »(٤) .

استعمال السدر ونحوه : أى أنه يسن فى الغسل استعمال سدر ونحوه كأشنان وصابون لحديث عائشة رضى الله عنها : أن امرأة من الأنصار قالت : يا رسول الله .. أخبرنى عن الطهور من الحيض ، فقال : « نعم .. لتأخذ احداكن ماءها وسدرتها فتطهر ... »(٥) .

* * *

اقسام الغسل

أقسام الغسل ثلاثة :

فرض ، وسنة ، ومندوب :

فيفترض لواحد من الأسباب المتقدمة :

وهى : انزال المنى بشهوة ولو حكما ، وتغيب حشفة فى قبل أو دبر

---

(١) أخرجه النسائى والترمذى .

(٢) اخرجه احمد وابن ماجه والترمذى وقال : حسن غريب .

(٣) اخرجه الديلمى .

(٤) اخرجه احمد وابو داوود والنسائى بسند صحيح .

(٥) اخرجه احمد والبخارى وابو داوود .

ولو من كافر ثم أسلم ، وانقطاع حيض أو نفاس ولو من كافرة ثم أسلمت ، وولادة ولو بلا دم ، وموت •

ويلزم الغسل لازالة نجاسة أصابت كل البدن أو بعضه وخفى مكانهـا •

ويسن لخمسة أشياء :

غسل الجمعة ممن يريد صلاة الجمعة وان لم تلزمه ، وغسل العيدين ، وغسل من غسل ميتا ، وغسل الاحرام ، وغسل الوقوف بعرفة •

ويندب الغسل لأمور ، منها :

دخول مكة ، والافاقة من جنون أو اغماء أو سكر ولم يجد بللا • وللمبيت بالمزدلفة ، ورمى الجمار ، والطواف ، والزيارة ، وطواف الوداع ، وصلاة الكسوف ، والاستسقاء ، والفزع ، وظلمة النهار ، والريح الشديدة •

لأن هذه عبادات يجتمع لها الناس مزدحمين فيعرقون فيؤذى بعضهم بعضا ، فاستحب الغسل للنظافة ودفع الأذى كالجمعة •



كيفية الغسـل الكامل

وهو المشتمل على الفرائض والسنن والمندوبات • وكيفيته : أن ينوى المغتسل بقلبه رفع الحدث الأكبر أو استباحة الصلاة ونحوها • ثم يقول : باسم الله والحمد لله ، ثم يغسل كفيه ثلاثا قبل ادخالهما الاناء ، ثم يغسل ما على فرجه وسائر بدنه من الأذى ، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ، ثم يدخل أصابعه كلها فى المـاء فيغرف غرفة يخلل بها أصول شعره من رأسه ولحيته ، ثم يحثى على رأسه ثلاث حثيات ، ثم يفيض المـاء على سائر جسده ، يبدأ بالشق الأيمن ثم الأيسر ، ويتعاهد معاطف بدنه كالابطين وداخل الأذنين والسرة وما بين الاليتين وأصابع الرجلين وعكن البطن وغير ذلك • فيوصل المـاء الى جميع ذلك ويدلك ما تصل اليه يداه من بدنه •

وان كان يغتسل فى نهر أو نحوه انغمس حتى يصل المـاء الى جميع بشرته وشعره ظاهره وباطنه وأصول منابته •

ويستحب أن ينوى الغسل من أول شروعه فيه ، ويستصحب النية الى الفراغ منه • ويكفى الظن فى تعميم الجسد بالمـاء ، ثم يتحول من مكان غسله فيغسل قدميه ان لم يكن غسلهما أولا •

ودليل ذلك حديث عائشة الذى تقول فيه : « ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يديه ثلاثا ، ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ، ثم يأخذ المـاء ويدخل أصابعه فى أصول الشعر حتى اذا رأى أن قد استبرأ[1] حفن على رأسه ثلاث حفنات ثم أفاض على سائر جسده ثم غسل رجليه » أخرجه الشيخان ، وفى رواية لهما : « ثم يخلل بيده شعره حتى اذا ظن أنه قد أروى بشرته أفاض عليه المـاء ثلاث مرات » •

وأما عن غسل الحائض والنفساء فأجمع حديث ورد فى كيفيته حديث عائشة رضى الله عنها الذى تقول فيه : ان أسماء سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن غسل المحيض فقال : « تأخذ احداكن ماءها وسدرتها فتطهر فتحسن الطهور ، ثم تصب على رأسها فتدلكه دلكا شديدا حتى يبلغ شئون رأسها ، ثم تصب عليها المـاء ، ثم تأخذ فرصة ممسكة فتتطهر بها » قالت أسماء : وكيف تتطهر بها ؟ قال : « سبحان الله •• تطهرى بها » فقالت عائشة ــ كأنها تخفى ذلك ــ : تتبعى أثر الدم[2] •

وسألته عن غسل الجنابة ، فقال : « تأخذى ماءك فتتطهرين فتحسنين الطهور ــ أو أبلغى الطهور ــ ثم تصب على رأسها فتدلكه حتى يبلغ شئون رأسها ثم تفيض عليها المـاء » •

فقالت عائشة : نعم النساء نساء الأنصار ، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين • أخرجه السبعة الا الترمذى •



ما يحرم على الجنب

يحرم على الجنب :

الصلاة والطواف ومس القرآن وحمله الا بغلاف منفصل •

ويحرم عليه أيضا قراءة شىء من القرآن بقصده ولو بعض آية •

---

(١) استبرأ : اى وصل المـاء البشرة ، وكذا (أروى) •

(٢) اخرجه أبو يعلى بسند رجاله ثقات وأخرجه احمد مطولا •

لقول على كرم الله وجهه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثم قرأ شيئا من القرآن ، ثم قال : « هكذا لمن ليس بجنب • فأما الجنب فلا ، ولا آية » •

ويحرم على الجنب : دخول المسجد ولو عبورا بلا مكث الا لضرورة ، لقول عائشة رضى الله عنها : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت أصحابه شارعة[١] فى المسجد فقال : « وجهوا هذه البيوت عن المسجد » • ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيئا رجاء أن ينزل فيهم رخصة ، فخرج اليهم فقال : « وجهوا هذه البيوت عن المسجد ، فانى لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب »[٢] •

* * *

فلاحظ كل هذا مع ملاحظة :

أنه لو أجنب فى المسجد تيمم وخرج من ساعته ان لم يقدر على استعمال المـاء • وكذا لو دخله جنبا ناسيا ثم ذكر • وان خرج مسرعا بلا تيمم جاز • وان لم يقدر على الخروج تيمم ومكث ، ولكنه لا يصلى به ولا يقرأ •

وقال ابن مسعود وابن عباس والشافعية والحنابلة : يجوز المرور للجنب فى المسجد بوضوء وبغيره ولو لغير حاجة لقوله تعـالى : « **ولا جنبا الا عابرى سـبيل** »[٣] ، والعبور بمـا يكون فى محل الصلاة ، وحملوا الأحاديث السابقة •• على منع المكث فقط ، للآية المذكورة ••

ومثال الجنب فى ذلك الحائض ان أمن التلويث بمرورها •• الخ[٤] •

* * *

---

(١) اى ابوابها مفتحة فيه •

(٢) اخرجه ابو داوود والبخارى فى « التاريخ » •

(٣) النساء : ٤٣

(٤) راجع كل هذا باطناب فى الجزء الأول من « الدين الخالص » •

الوصية السادسة والعشرون

عن أنس رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا بنى .. ان قدرت أن تصبح وتمسى ليس فى قلبك غش لأحد فافعل » .

ثم قال لى :

« يا بنى .. وذلك من سنتى ، ومن أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » .

(رواه الترمذى بسند حسن)

* * *

فكن أخا الاسلام :

فى صباحك ومسائك خالى القلب من الغش لاخوانك المسلمين فضلا عن غيرهم تنفيذا لهذه الوصية العظيمة التى أوصاك الرسول صلى الله عليه وسلم بها فى شخص سيدنا أنس رضى الله عنه ، راوى هذا الحديث الشريف .

وحسبك ترغيبا لك فى تنفيذ هذه الوصية أنك ستكون مقتديا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومتخلقا بأخلاقه ، كما أشار الى ذلك فى قوله : « ... وذلك من سنتى » ثم يرغبك فى ذلك فيقول : « ... ومن أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » .

بل وحسبك تحذيرا لك من الوقوع فى شباك هذا الداء الدفين ، ما جاء فى هذا الحديث الصحيح الذى يعلن فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم براءته من الغشاش فيقول : « من غشنا فليس منا »[1] .

واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذرنا من الغش ، فالغش : أخو الخيانة ، ومقترفه آثم يتجافاه الناس ويبغضونه ويحتقرونه ، نفوسهم منه مشمئزة ، وجلودهم لرؤيته مقشعرة ، وقلوبهم عليه ساخطة ، وألسنتهم بذكره لاعنة .

---

(١) من حديث مسلم .

والغشاش أخو الكذاب ، فكلاهما مطرود من رحمة الله تعالى ، والاسلام ينكرهما ، والرسول صلى الله عليه وسلم منهما براء •

* * *

وللغش صور متعددة :

فقد يكون — وبصورة واضحة — فى الصداقة المزيفة التى لا تعتمد الا على جاب المصالح الشخصية التى يحرصون على تحقيقها بكل ما أوتوا من نفاق حتى ولو كان هذا على حساب غيرهم •

وفى هذا المعنى يقول الشاعر المجرب :

وإخوان تخذتهموا دروعا ... فكانوها ولكن للأعادى
وخلتهموا سهاما صائبات ... فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب ... نعم صدقوا ولكن من ودادى
وقالوا قد سعينا كل سعى ... لقد صدقوا ولكن فى فسادى

ولهذا كان الصديق الوفى المخلص هو الذى أوصى به علقمة ابن لبيد ولده فى وصيته التى يقول فيها : « يا بنى •• ان احتجت الى صحبة الرجال فاصحب من ان صحبته زانك ، وان أصابتك خصاصة[1] أعانك ، وان قلت سدد قولك ، وان صلت[2] قوى صولتك ، وان بدت منك ثلمة[3] سدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وان سألته أعطاك ، وان نزلت بك احدى المهمات واساك ، من لا تأتيك منه البوائق[4] ولا تختلف عليك منه الطرائق » •

وفى هذا المعنى أيضا يقول أحدهم :

ان أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك ... شتت فيه شمله ليجمعك

فلاحظ كل هذا و :

احذر عدوك مرة ... واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق فكان أدرى بالمضرة

---

(١) اى فقر .
(٢) اى وثبت .
(٣) اى خلل .
(٤) اى الشر والمصائب .

و :

اذا الذئاب استنعجت لك مرة فحذار منها أن تعود ذئابا
فالذئب أخبث ما يكون اذا بدا متلبسا بين النعاج اهابا

* * *

وقد يكون كذلك فى اظهار الصلاح للناس والقلب منه خراب : وفى هذا يقول أحدهم :

أظهروا للناس نسكا وعلى الدينار داروا
وله صاموا وصلوا وله حجوا وزاروا
لو يرى فوق الثريا[1] ولهم ريش لطاروا

وهذا ما يعنيه سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله : « من تخلق للناس ما ليس خلقا له شانه الله » وقوله : « من أظهر للناس خشوعا فوق ما فى قلبه فانما أظهر نفاقا على نفاق » •
فاحذر الاتصاف بهذه الصفة الذميمة فانه لا عبرة بالزى الظاهر اذا تدنست القلوب والسرائر •

* * *

وقد يكون كذلك فى كتمان النصيحة ، وفى هذا يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « الدين النصيحة » قلنا : لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[2] وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : « بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على : اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم »[3] •
فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وكن ناصحا أمينا والا كنت شريكا للآثم — الذى رأيته يرتكب منكرا ولم تتطوع بتبصيره — فى الاثم لأنك ستعتبر فى هذا الوقت راضيا عنه ومشجعا له • وقد ورد فى هذا المعنى من أقوال سيدنا على رضى الله عنه : « الراضى بفعل قوم كالداخل فيه معهم ، وعلى كل داخل فيه اثمان : اثم العمل به ، واثم الرضا به » كما ورد فى الحديث الشريف : « المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم » •

---

(١) اى النجوم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) متفق عليه .

وقد يتعلق فى رقبتك يوم القيامة ويقول : يا رب .. خذ لى حقى من هذا ، لأنه رآنى أفعل المنكر ولم ينهنى .

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام واحذر الوقوع فى هذا الاثم وكن ناصحا أمينا لاخوانك المسلمين ، فقد ورد فى الحديث الشريف : « من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ، ومن لم يصبح ويمسى ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولامامه ولعامة المسلمين فليس منهم »[١] .

* * *

كما يكون الغش كذلك فى البيع والشراء : فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة[٢] طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال : « ما هذا يا صاحب الطعام » ؟ قال : أصابته السماء[٣] يا رسول الله ، قال : « أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا »[٤] . وعن أبى سباع قال : اشتريت ناقة من دار واثلة بن الأسقع ، فلما خرجت بها أدركنى يجر ازاره فقال : اشتريت ؟ قلت : نعم . قال : أبين لك ما فيها . قلت : وما فيها ؟ انهـا لسمينة ظاهرة الصحة ، قال : أردت بها سـفرا أو أردت بها لحما ؟ قلت : أردت بها الحج ، قال : فارتجعها ، فقال صاحبها : ما أردت الى هذا .. أصلحك الله ، تفسد على ؟ قال : انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحل لأحد يبيع شيئا الا يبين ما فيه ، ولا يحل لمن علم ذلك أن لا يبينه »[٥] .

وعن صفوان بن سليم : أن أبا هريرة رضى الله عنه مر بناحية الحرة[٦] فاذا انسان يحمل لبنا يبيعه ، فنظر اليه أبو هريرة فاذا هو خلطه بالمـاء ، فقال له أبو هريرة : كيف بك اذا قيل لك يوم القيامة خلص المـاء من اللبن .

* * *

وقد يكون كذلك فى الحسـد المذموم الذى أمرنا الله تعـالى بالاستعاذة منه فقال تعالى : **« قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق .**

---

(١) رواه الطبرانى من رواية عبد الله بن أبى جعفر .

(٢) اى طائفة من الطعام . (٣) اى المطر .

(٤) رواه مسلم وابن ماجه .

(٥) رواه البيهقى والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٦) بفتح الحاء وتشديد الراء : ارض بظاهر المدينة .

ومن شر غاسق اذا وقب • ومن شر النفاثات فى العقد • ومن شر حاسد اذا حسـد »[1] •

واذا كان الحسد من أمراض القلب التى كثيرا ما تقضى عليه وعلى صاحبه الذى ابتلى به :

فهو كذلك المعصية الأولى التى عصى الله تعالى بها فى السماء وفى الأرض : عندما حسد ابليس آدم فأبى أن يسجد له امتثالا لأمر الله سبحانه وتعالى ، وكان تعليله لهذا هو قوله لرب العزة سبحانه وتعالى عندما قال : « **••• ما منعك أن تسجد لمـا خلقت بيدى ، أستكبرت أم كنت من العالين • قال أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين • قال فاخرج منهـا فانك رجيم • وان عليـك لعنتى الى يوم الدين** »[2] •

وعندما قبل قربان هابيل ولم يقبل قربان قابيل ، وكانا قد : « **••• قربا قربانا فتقبل من أحدهمـا ولم يتقبل من الآخر** »[3] فقال له قابيل وهو الذى لم يقبل قربانه : « **لأقتلنك ، قال انما يتقبل الله من المتقين • لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك ، انى أخاف الله رب العالمين** »[4] • ورغم هذا التسامح الذى كان من جانب هابيل يقول القرآن بعد ذلك : « **فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين** »[5] •

ولهذا حذر المصطفى صلى الله عليه وسلم من الحسد فقال :

« اياكم والحسد ، فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »[6] •

وقال : « لا يجتمع فى جوف عبد غبار فى سبيل الله وفيح جهنم ، ولا يجتمع فى جوف عبد الايمان والحسد »[7] •

والحسد المشار اليه فى هذين الحديثين ، هو الحسد المذموم والمراد به : تمنى زوال نعمة الغير •

أما الحسد المحمود وهو : تمنى مثل النعمة حتى يتقرب الى الله تعالى بها مثل صاحبها ، فلا بأس به وقد ورد فى الحديث الشريف

---

(١) سورة الفلق .
(٢) سورة ص : ٧٥ ــ ٧٨
(٣) المائدة : ٢٧ بلفظ : « اذ ••• » .
(٤) المائدة : ٢٧ ، ٢٨
(٥) المائدة : ٣٠
(٦) رواه ابو داوود .
(٧) اخرجه البيهقى .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا حسد الا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها »[١] .

فلاحظ هذا ، واحذر أن تكون مريضا بمرض الحسد المذموم الذى وقفت عليه حتى لا تموت كمدا .

واذا أردت مزيدا فى رزقك فكن آخذا بالأسباب التى شرعها الله سبحانه وتعالى مع التوكل عليه سبحانه ، بمعنى تفويض الأمر اليه والاعتماد عليه **« ... ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، ان الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شىء قدرا »**[٢] .

ثم اليك كذلك هذه الأحاديث الشريفة التى أرجو أن تكون دائما وأبدا نصب عينيك حتى لا تصاب بداء الحقد والحسد اللذين هما أساس المصائب :

عن عبد الله بن عمرو قال : قيل : يا رسول الله .. أى الناس أفضل ؟ قال : « كل مخموم القلب صدوق اللسان » قيل : صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال : « هو التقى النقى ، لا اثم فيه ولا بغى ولا غل ولا حسد »[٣] .

« لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، ولا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله اخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث »[٤] .

« ان النميمة والحقد فى النار ، لا يجتمعان فى قلب مسلم »[٥] .

« ان الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ، ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم »[٦] .

وحسبى فى النهاية أن أذكرك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من أصحابى شيئا ، فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر »[٧] .

بل وحسبى أن أدعو معك الله سبحانه وتعالى بقوله :

« ... ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم »[٨] .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) الطلاق : ٣
(٣) اخرجه ابن ماجه .
(٤) رواه البخارى .
(٥) رواه الطبرانى .
(٦) رواه البيهقى .
(٧) رواه أبو داوود .
(٨) الحشر : ١٠

وختـــــاما :

اليك أخا الاسلام هذا الحديث الموضوعى الذى يتصل اتصالا وثيقا بموضوعنا ، والذى أرجو كذلك أن تنتفع به :

عن أنس بن مالك قال : كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « يطلع عليكم رجل من أهل الجنة » فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه ، قد علق نعليه بيده الشمال • فلما كان الغد قال النبى صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال النبى مثل مقالته أيضا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى •

فلما قام النبى تبعه عبد الله بن عمرو — تبع الرجل — فقال : انى لاحيت أبى ، فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثا ، فان رأيت أن تؤوينى اليك حتى تمضى فعلت • قال : نعم •

قال أنس : فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث ، فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه اذا تعار — تقلب فى فراشه — ذكر الله عز وجل حتى ينهض لصلاة الفجر • قال عبد الله : غير أنى لم أسمعه يقول الا خيرا •

فلما مضت الليالى الثلاث وكدت أحتقر عمله • قلت : يا عبد الله •• لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة . ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول — ثلاث مرات — : « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلعت أنت الثلاث المرات ، فأردت أن آوى اليك فأنظر ما عملك فأقتدى بك ، فلم أرك عملت كبير عمل !! فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ؟ قال : ما هو الا ما رأيت • قال عبد الله : فلما وليت دعانى فقال : ما هو الا ما رأيت •• غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشا ، ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله اياه • فقال عبد الله : هذه التى بلغت بك •• رواه أحمد •

وفى رواية : « ما هو الا ما رأيت يا ابن أخى ، الا أنى لم أبت ضاغنا على مسلم » رواه البزار •

* * *

الوصية السابعة والعشرون

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى فقال :

« كن فى الدنيا كأنك غريب — أو عابر سبيل — » •

وكان ابن عمر يقول : اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك •

(رواه البخارى)



فكن أخا الاسلام :

فى هذه الدار الفانية التى تسمى الدنيا لدنوها ، أو لقلة متاعها : كأنك غريب عنها ، أو عابر سبيل فيها •

تنفيذا لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم التى يوصينا جميعا بها فى شخص عبد الله بن عمر رضى الله عنهما[1] •

أى : كما يقول الامام النووى عليه رحمة الله فى تفسير المراد منها : « لا تركن الى الدنيا ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها ولا تتعلق منها الا بما يتعلق به الغريب فى غير وطنه » •

واذا كان الامام النووى قد وقف على هذا المعنى الكبير بما أوتى من نور ، فقد أكده الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله :

« مالى وللدنيا ، ما أنا فى الدنيا الا كراكب استظل[2] فى ظله شجرة ثم راح وتركها »[3] •

---

(١) راوى هذا الحديث •

(٢) اى استظل بها من حرارة الشمس •

(٣) من حديث رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح •

وقوله لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : « اذا أردت اللحوق بى[١] فليكفك من الدنيا كزاد الراكب[٢] ، واياك ومجالسة الأغنياء ، ولا تستخلفى[٣] ثوبا حتى ترقعيه »[٤] . يقول عروة معلقا على هذا : « فما كانت عائشة تستجد ثوبا حتى ترقع ثوبها وتنسكه[٥] ولقد جاءها يوما من معاوية ثمانون ألفا فما أمسى عندها درهم ، فقالت لها جاريتها : فهلا اشتريت لنا منه لحما بدرهم ؟ قالت : لو ذكرتينى لفعلت » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : « اشتكى سلمان[٦] ، فعاده سعد[٧] فرآه يبكى ، فقال له سعد : ما يبكيك يا أخى ، أليس قد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أليس ؟ أليس ؟

قال سلمان : ما أبكى واحدة من اثنتين ، ما أبكى ضنا[٨] على الدنيا ، ولا كراهية الآخرة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الينا عهدا ما أرانى الا وقد تعديت[٩] .

قال : وما عهد اليك ؟ قال : عهد الينا أنه يكفى أحدكم مثل زاد الراكب ، ولا أرانى الا وقد تعديت ، وأما أنت يا سعد .. فاتق الله عند حكمك اذا حكمت ، وعند قسمك اذا قسمت ، وعند همك اذا هممت .

قال ثابت : فبلغنى أنه ما ترك الا بضعة وعشرين درهما مع نفيقة[١٠] كانت عنده »[١١] .

وقال الحافظ : وقد جاء فى صحيح ابن حبان : أن مال سلمان رضى الله عنه جمع ، فبلغ خمسة عشرة درهما .

وفى الطبرانى : أن متاع سلمان بيع فبلغ أربعة عشرة درهما .

* * *

---

(١) اى مرافقتى فى الجنة .
(٢) اى ما يحتاج اليه المسافر من الزاد .
(٣) اى لا تتخذى ثوبا آخر بدلا منه .
(٤) رواه الترمذى والحاكم والبيهقى من طريقها وقال الحاكم : صحيح الاسناد .
(٥) اى تغسله بالماء وتطهره .
(٦) سلمان الفارسى .
(٧) سعد بن أبى وقاص .
(٨) اى حرصا على الدنيا وخوفا من فراقها .
(٩) اى تجاوزت العهد ولم أف به .
(١٠) تصغير نفقة ، والنفقة : اسم من الإنفاق ، او ما ينفق من الدراهم .
(١١) رواه ابن ماجه ورواته ثقات احتج بهم الشيخان .

والذى نريد أن نناقشه الآن هو : لماذا يوصينا الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا ، وما الذى يريده منا ؟

وهل يريد منا أن نكون متواكلين فى هذه الحياة بحيث نكون عالة على غيرنا من باقى الشعوب ؟ وهل الزهد فى الدنيا معناه الانقطاع لعبادة الله تعالى دون العمل من أجل الحياة الدنيا ؟

وللاجابة على هذه الأسئلة أستعين بالله تعالى قائلا :

ان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصينا بأن نعتبر أنفسنا فى هذه الدنيا غرباء ، لأنه عرفها ووقف على خطورتها من خلال وصف الله سبحانه وتعالى لها فى قوله : **« اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث[1] أعجب الكفار[2] نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ، وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور »**[3] .

ومن مخاطبة الله تعالى لها كما ورد فى صحف ابراهيم وموسى عليهما السلام : **« يا دنيا .. ما أهونك على الأبرار الذين تزينت لهم ، انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصبر عنك ، ما خلقت خلقا أهون على منك ، انى قضيت عليك يوم خلقتك : أن لا تدومى لأحد ولا يدوم لك أحد »** .

ولهذا كان صلوات الله وسلامه عليه يعمل دائما وأبدا على التحقير من شأنها ، وشأن محبيها فيقول : « لو كانت الدنيا تعدل[4] عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء »[5] .

ويقول فى حديث : روى عن الضحاك بن سفيان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « يا ضحاك .. ما طعامك » ؟

---

(١) اى المطر .

(٢) الكفار فى هذه الآية هم الزراع .

(٣) الغرور : ما اغتر به الشخص من متاع الدنيا — والآية من سورة الحديد : ٢٠ .

(٤) اى تزن وتساوى .

(٥) رواه ابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

قال : يا رسول الله .. اللحم واللبن . قال : « ثم يصير الى ماذا » ؟
قال : الى ما قد علمت[1] . قال : « فان الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا »[2] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم بشاة ميتة قد ألقاها أهلها فقال : « والذى نفسى بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها »[3] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدنيا دار من لا دار له ، ولها يجمع من لا عقل له » رواه أحمد ، وزاد : « ومال من لا مال له » .

والرسول صلى الله عليه وسلم يريد من وراء هذا التحقير لشأن الدنيا وأهلها : أن يكون هناك حب للدار الآخرة التى هى دار البقاء التى رغبنا الله سبحانه وتعالى فيها فقال :

« قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ... »[4] .

وقال : **« وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو ، وللدار الآخرة خير للذين يتقون ، أفلا تعقلون »**[5] .

وقال : **« ... أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل »**[6] .

وقال : **« ... والآخرة خير وأبقى »**[7] .

كما كان صلى الله عليه وسلم يقول مشيرا الى هذا :

« من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى »[8] .

ولهذا كان من الفطنة أن يأخذ الانسان من هذه الحياة الدنيا ما يكفيه دون طمع ، ودون تعلق بها وحرص عليها حتى لا يكون لها مكان فى قلبه .

---

(١) يعنى الى عذرات وابوال .
(٢) رواه احمد ورواته رواة الصحيح .
(٣) رواه احمد باسناد لا بأس به .
(٤) النساء : ٧٧ — (٥) الأنعام : ٣٢
(٦) التوبة : ٣٨ — (٧) الأعلى : ١٧
(٨) رواه احمد والبزار وابن حبان فى صحيحه والحاكم والبيهقى فى « الزهد » وغيره ، وقال الحاكم : صحيح على شرطهما .

وفى ذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه مبينا خطورة حب الدنيا والانشغال بها وما يتبع ذلك من نكبات :

« من أشرب[١] حب الدنيا التاط[٢] منها بثلاث : شقاء لا ينفد عناه[٣] ، وحرص لا يبلغ غناه[٤] ، وأمل لا يبلغ منتهاه[٥] ، فالدنيا طالبة ومطلوبة ، فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يدركه الموت فيأخذه ، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفى منها رزقه »[٦] .

وقوله : « من قضى نهمته[٧] فى الدنيا حيل بينه وبين شهوته فى الآخرة[٨] ، ومن مد عينيه الى زينة المترفين كان مهينا فى ملكوت السموات ، ومن صبر على القوت الشديد صبرا جميلا أسكنه الله من الفردوس حيث شاء »[٩] .

ولهذا كان العبد المؤمن خالى القلب من حب الدنيا بسبب حماية الله سبحانه وتعالى له ، وفى ذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« ان الله ليحمى عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب »[١٠] . وهذا يؤكد خطورتها .

وقد يكون هذا هو السر فى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحرص على غرس حب القناعة فى قلوب أصحابه ، الى جانب التحذير من عواقب الجشع الذى ان تربع على قلب الانسان كان سببا فى هلاكه ، وقد ورد فى هذا :

عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ينادى مناد : دعوا الدنيا لأهلها ، دعوا الدنيا لأهلها .. من أخذ من الدنيا أكثر مما يكفيه أخذ حتفه[١١] وهو لا يشعر »[١٢] .

---

(١) اى اختلط حبها بقلبه مثل الشراب .
(٢) اى التصق وتعلق .
(٣) اى لا ينتهى تعبه .
(٤) اى لا يشبع مهما أوتى من مال .
(٥) اى لا يدرك غايته ونهايته قبل الموت .
(٦) رواه الطبرانى باسناد حسن .
(٧) اى حقق رغبته وادرك شهوته .
(٨) اى حرم فى الآخرة من المشتهيات .
(٩) رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير .
(١٠) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .
(١١) اى هلاكه .
(١٢) رواه البزار .

كما ورد أن رجلا قال له : يا رسول الله .. ما يكفينى من الدنيا ؟ فقال له : « ما سد جوعتك[١] ، ووارى عورتك[٢] ، وان كان لك بيت يظلك فذاك ، وان كانت لك دابة فبخ »[٣] .

* * *

بل وقد رفض النبى صلى الله عليه وسلم أن تكون له بطحاء[٤] مكة ذهبا حتى يكون قدوة ومثلا أعلى لأصحابه ولكل فرد فى أمته الى قيام الساعة : فى الزهد ، والقناعة ، والصبر والعفة ، وفى هذا يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا ، قلت لا يارب ، ولكن أشبع يوما ، وأجوع يوما — أو قال ثلاثا ، أو نحو هذا — فاذا جعت تضرعت اليك[٥] وذكرتك ، واذا شبعت شكرتك وحمدتك »[٦] .

وهذا الحديث كما ترى هو الفيصل فى هذا الموضوع ، ولا شك أنك قد اتفقت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى الكبير الذى أشار اليه وسلط الأضواء عليه ، وقديما قالوا : « أيام وتنقضى ، ولا يغلب الأيام الا من رضى » .

واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زهد فى الدنيا ، وزهد فيها كما رأيت وكما جاء فى قوله : « ما تزين الأبرار فى الدنيا بمثل الزهد فى الدنيا »[٧] . وقوله : « اذا رأيتم من يزهد فى الدنيا فادنوا منه[٨] فانه يلقى الحكمة »[٩] .

---

(١) يعنى ما سد فراغ المعدة من الطعام .

(٢) يعنى ما ستر عورتك ، وعورة الرجل ما بين السرة الى الركبة ، وعورة المرأة جميع جسمها الا وجهها وكفيها .

(٣) بخ : كلمة تقال عند المدح والرضا . رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٤) بطحاء : أى مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى .

(٥) أى سألتك من فضلك ضارعا اليك .

(٦) أى تمت لك بحقك من الشكر . قال الترمذى : حديث حسن .

(٧) أى أن الزهد فى الدنيا هو أعظم حلية يتحلى بها الأبرار ويتجملون بها رواه ابو يعلى .

(٨) أى اقتربوا منه وجالسوه حتى تستفيدوا بحكمته .

(٩) الحكمة هى العلم النافع المؤدى الى العمل . رواه ابو يعلى .

في الوقت الذى يدعو فيه الى ضرورة العمل فى ميــادين الحياة الشريفة كما جاء فى قوله صلى الله عليه وسلم :

« من أمسى كالا[1] من عمل يده ، أمسى مغفورا له »[2] .

وقوله : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبى الله داوود كان يأكل من عمل يده »[3] .

* * *

فهذا دليل على أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يرد بزهده فى الدنيا وتزهيده فيها ، أن يكون هناك انقطاع لعبادة الله تعالى دون سعى على الأرزاق .

ولمــا كان هذا الفهم الخاطىء يتنافى مع ما جاء فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه فى الحض على المشى فى مناكب الأرض طلبا للرزق .

فقد رأيت اتماما للفائدة ، وتبصيرا للأفئدة أن أركز فى هذا العرض الموجز على توضيح معنى الزهد وحقيقة الزاهدين .

وحسبى فى بداية هذا التوضيح الحيوى أن أبدأ بحديث شريف يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ، ولا اضاعة المــال ، ولكن الزهادة فى الدنيــا : أن لا تكون بما فى يديك أوثق مما فى يد الله ، وأن تكون فى ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك »[4] .

وعن الضحاك رضى الله عنه قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يا رسول الله .. من أزهد الناس[5] ؟ قال : « من لم ينس القبر والبلى ، وترك فضــل زينة الدنيــا[6] ، وآثر ما يبقى على ما يفنى[7] ، ولم يعد غدا فى أيامه ، وعد نفسه من الموتى »[8] .

* * *

---

(١) اى متعبا . (٢) رواه الطبرانى والأصبهانى .

(٣) رواه البخارى وغيره .

(٤) اخرجه الترمذى وابن ماجه من رواية عمرو بن واقد .. كما رواه الامام احمد فى كتاب « الزهد » .

(٥) اى اكثرهم زهدا فى الدنيا .

(٦) يعنى ترك مالا يحتاج من متاع الدنيا واكتفى بالضرورى منها .

(٧) اى آثر الآخرة الباقية على الدنيا الفانية .

(٨) رواه ابن أبى الدنيا مرسلا .

ثم اليك هذه الأقوال المـــأثورة :

قال ابن الحلاء : الزهد هو النظر الى الدنيا بعين الزوال فتصغر فى عينيك فيسهل عليك الاعراض عنها •

وقال الجنيد : الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد •

وقال الامام أحمد : الزهد على ثلاثة أوجه :

الأول : ترك الحرام ، وهو زهد العوام •

والثانى : ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص •

والثالث : ترك ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين •

وقال الحفنى : الزهد لغة ترك الشىء احتقارا له سواء أكان محتاجا له أو لا •

واصطلاحا : ترك ما زاد على حاجته من الحلال ، والورع : ترك الحرام والشبهة •

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : الزهد ترك مالا ينفع فى الآخرة ، والورع : ترك ما تخاف ضرره فى الآخرة •

وقال تلميذه شمس الدين ابن قيم الجوزية فى كتابه « مدارج السالكين » : هذه العبارة من أحسن ما قيل فى الزهد والورع وأجمعها •

وقال بعض الحكماء : من استوى عنده المدح والذم فهو زاهد • وذلك لأن الزهد يكون أولا فى المـــال ، ثم فى الطعام ، ثم فى اللباس ، ثم فى الاستئناس بالناس ، ولا يزهد فى الحمد مع عدم المبالاة بالذم الا من كمل زهده فى الرياسة ، وهو أعلى المراتب • ولذا قيل : آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة •

وقال آخر : الزهد هو أن لا تطلب المفقود حتى تفقد الموجود •

وقال الفضيل بن عياض : الزهد حرفان فى كتاب الله تعـــالى : **« لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم »**[1] •

وقال ابن أدهم : على القلب ثلاثة أغطية : الفرح ، والحزن ، والسرور ، فاذا فرحت بالموجود : فأنت حريص ، والحريص محروم ، واذا حزنت على المفقود : فأنت ساخط ، والساخط معذب ، واذا سررت بالمدح : فأنت معجب ، والمعجب محبط عمله •

* * *

---

(١) الحديد : ٢٣ ــ بلفظ **« لكيلا تأسوا ... »** .

فمن كل هذا يتبين لك أن المراد ليس رفض الدنيا من الملك وانما المراد رفضها من القلب •

ولهذا قال العلماء : « ليس الزاهد من لا مال عنده ، وانما الزاهد من لم يشغل المـال قلبه وان أوتى مثل ما أوتى قارون » •

كما قالوا ان الذم الوارد فى الكتاب والسنة للدنيا ليس راجعا الى زمانها الذى هو الليل والنهار المتعاقبان الى يوم القيامة ، فان الله تعـالى جعلهما : **« خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا »**(١) •

وليس الذم راجعا الى مكان الدنيا الذى هو الأرض التى جعلها الله لبنى آدم مهادا ومسكنا ، ولا الى ما أودع الله فيها من الجبال والبحار والأنهار والمعادن ، ولا الى ما أنبته الله فيها من الزرع والشجر ، ولا الى ما بث فيها من الحيوانات وغير ذلك ، فان ذلك كله من نعم الله على عباده ، لمـا لهم فيه من المنافع ولهم به من الاعتبار والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته وعظمته ••

وانما الذم راجع الى أفعال بنى آدم الواقعة فى الدنيا لأن غالبها واقع على غير الوجه الذى تحمد عاقبته ، بل يقع على ما تضر عاقبته أو لا ينفع •

وأنشد بعضهم فى هذا :

انما الدنيـا الى الجنة والنار طريق
والليالى متجر الانسان والأيام سوق

* * *

بل واختلف العلماء فى التفضيل بين الدنيا والآخرة ، فذهب قوم الى أن الدنيا أفضل من الآخرة ، واحتجوا بأمور منها :

أن الدنيـا وسيلة والآخرة مقصـد ، وقد يوجد فى الوسائل مالا يوجد فى المقاصد •

وأن الدنيا مزرعة للآخرة وطريق موصلة اليها ، فلا ينتهى الانسان الى الآخرة الا بعد سلوكه فى دار الدنيا ، ومن زرع فيها زرعا حصده ، ومن عمل عملا وجده • قال تعـالى : **« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »**(٢) •

---

(١) الفرقان : ٦٢ — (٢) الزلزلة : ٧ ، ٨

وأن الدنيا دار تكليف وعمل ، والآخرة دار جزاء وفضل ، ولا خفاء أن العمل أفضل من الجزاء لما ورد أن أهل القبور يودون أن يرجعوا الى الدنيا ليعملوا فيها خيرا لما رأوه من ثواب الأعمال .

وأن الدنيا ورد مدحها فى حديث شريف قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن : عليها ينال الخير ، وبها ينجو من الشر »(١) وأنه اذا قال العبد : لعن الله الدنيا ، قالت الدنيا : لعن الله أعصانا لربه .

وقد حدث أن ذم رجل الدنيا عند على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : « الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، ومهبط وحى الله ، ومصلى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ، ومتجر أوليائه ، ربحوا فيها الرحمة ، واكتسبوا فيها الجنة ، فمن ذا الذى يذمها ؟ وقد آذنت ببينها ، ونادت بفراقها ، وشبهت بسرورها السرور ، وببلائها البلاء ترغيبا وترهيبا ؟! فيا أيها الذام للدنيا المعلل نفسه : متى خدعتك الدنيا ؟ أم متى استذمت اليك(٢) ؟ أبمصارع آبائك فى البلى ؟ أم بمضاجع أمهاتك فى الثرى ؟ كم مرضت بيديك ، وكم عللت بكفيك ؟ تطلب له الشفاء ، وتستوصف له الأطباء ، غداة لا يغنى عنه دواؤك ، ولا ينفعه بكاؤك » .

* * *

وذهب آخرون الى أن الآخرة أفضل من الدنيا واحتجوا بأمور منها :

أن الدنيا وان عظم أمرها وتناهى فخرها بما يوجد فيها من الأعمال الصالحات فهى آيلة الى الفناء والزوال ، ومن المعلوم أن الدائم الباقى أفضل من الزائل الفانى .

وأن الآخرة يؤول فيها أمر المؤمنين الى الخلود فى الجنان والخيرات الحسان والخير العظيم والنعيم المقيم والنظر الى وجه الله الكريم وغير ذلك مما ورد فى الخبر مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

* * *

---

(١) قيل انه اثر .

(٢) اى متى صنعت اليك ما تستحق به الذم .

فلاحظ كل هذا ، وحسبك أن تقرأ هذا الحديث الشريف الذى سترى معى أنه يعتبر فيصلا فى هذا الموضوع :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنه قال : قلنا يا رسول الله .. من خير الناس وأفضلهم ؟ قال : « كل مخموم القلب[١] صدوق اللسان » قلنا : فمن على أثره ؟ قال : « من ينشىء الدنيا ويحب الآخرة » قلنا : فمن على أثره ؟ قال : « مؤمن فى خلق حسن »[٢] .

وهذا هو أمر الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز[٣] حتى فى يوم الجمعة الذى نستريح فيه حيث قال :

« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ... »[٤] .

ويقول : **« فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور »[٥] .**

* * *

وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا فقال :

« التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء »[٦] .

وقال : « تسعة أعشار الرزق فى التجارة فعليكم بها »[٧] .

وكان سيدنا عمر رضى الله عنه يقول :

« ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب الى من موطن أتسوق فيه لأهلى أبيع وأشترى ، ولأن أموت بين شعبتى رحلى أضرب فى الأرض أبتغى من فضل الله أحب الى من أن أموت شهيدا فى سبيله لأن الله قدم ذاك على هذا فى كتابه فقال تعالى : **« ... وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ... »[٨] .**

* * *

كما كان صلى الله عليه وسلم يشجع الصناعة فيقول :

« ان الله يحب المؤمن المحترف »[٩] .

---

(١) اى الطاهر الذى لا غل فيه ولا حسد .

(٢) رواه ابن ماجه والبيهقى بسند صحيح .

(٣) كما اشرت سابقا .

(٤) الجمعة : ١٠

(٥) الملك : ١٥

(٦) اخرجه الترمذى بسند حسن .

(٧) حديث مرسل رجاله ثقات اخرجه الحربى فى « غريب الحديث » .

(٨) المزمل : ٢٠

(٩) رواه الطبرانى عن ابن عمر وكذا ابن عدى مرفوعا .

ويقول : « خير الكسب الصانع والعامل اذا نصحا »[١] .

وعندما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وحث أهلها على العمل : جاءته امرأة ببردة وقالت : نسجت هذه لك يا رسول الله لأكسوكها ، ففرح بها وقبلها تشجيعا للصناعة .

* * *

كما شجع صلى الله عليه وسلم الزراعة فقال :

« ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه انسان أو طير أو بهيمة الا كان له بها صدقة »[٢] .

وقال : « التمسوا الرزق من خبايا الأرض »[٣] .

وثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم عندما التقى بسعد بن معاذ ووجد كفيه خشنتين من آثار العمل قال له : « هذان كفان يحبهما الله ورسوله ولن تمسهما النار » ثم قبل يده تكريما للعمل والصناعة وتشجيعا للكادحين .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين »[٤] .

وحسبك بالاضافة الى ما وقفت عليه أن تقرأ هذه الوصية اللقمانية التى يوصى بها سيدنا لقمان ولده فيقول : « يا بنى .. استغن بالكسب الحلال عن الفقر ، فانه ما افتقر أحد قط الا أصابه ثلاث خصال : رقة فى دينه ، وضعف فى عقله ، وذهاب مروءته . وأدهى من هذه الثلاث : استخفاف الناس به » .

وقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « ولا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى ، وقد علم أن السماء لم تمطر ذهبا ولا فضة » .

وقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « انى أكره أن أرى الرجل

---

(١) رواه احمد عن ابى هريرة بسند حسن مرفوعا .

(٢) رواه البخارى ومسلم واحمد والترمذى عن انس مرفوعا .

(٣) رواه ابن عساكر عن عائشة مرفوعا .

(٤) القصص : ٧٧

فارغا ، لا فى أمر دينه ولا فى أمر دنياه » .

* * *

بل وحسبك تشجيعا لك على العمل أن تعلم أن جميع الأنبياء كانوا يعملون ، وعلى سبيل المثال لا الحصر :

آدم عليه السلام كان زارعا .

نوح عليه السلام كان نجارا[١] .

ادريس عليه السلام كان خياطا[٢] .

ابراهيم عليه السلام كان بزازا[٣] .

اسماعيل عيله السلام كان قناصا[٤] .

داوود عليه السلام كان يصنع العتاد[٥] .

سليمان عليه السلام كان يصنع المكاتل[٦] .

اسحاق كان راعيا وكذلك يعقوب وشعيب وموسى عليهم السلام .

الياس عليه السلام كان نساجا .

وكان محمد صلى الله عليه وسلم راعى غنم ، ثم تاجرا ، ومجاهدا فى سـبيل الله .

* * *

وكذلك كان أصحاب المصطفى صلى الله عليه وسلم يعملون ، وعلى سبيل المثال كذلك :

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه بزازا .

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه كان دلالا وكان له أرض بخيبر تدعى « تمع » .

وعثمان بن عفان رضى الله عنه كان تاجرا .

وعلى بن أبى طالب رضى الله عنه كان عاملا ، وكان يقول مفتخرا :

لحملى الصخر من قمم الجبال ... أحب الى من منن الرجال
يقول الناس لى فى الكسب عار ... فقلت العار فى ذل السؤال

وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه كان تاجرا ، وكانت ثروته من التجارة تعد بالملايين .

---

(١) وهو اول من صنع الفلك .
(٢) وهو اول من خاط الثياب ولبس المخيط .
(٣) اى تاجر أقمشة .
(٤) اى صيادا .
(٥) اى السلاح .
(٦) سلال الخوص .

وكان الزبير بن العوام رضى الله عنه خياطا .
وكان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه نبالا[١] .
وكان عمرو بن العاص رضى الله عنه جزارا .
وكان لابن مسعود والحسن وأبى هريرة عليهم رضوان الله مزارع بالسواد يزرعونها ويؤدون خراجها .

* * *

وقد سخر الله سبحانه وتعالى كل شىء فى هذا الوجود لخدمة هذا الانسان الذى جعله سبحانه خليفة فى الأرض ليعمرها حتى لا يجد عناء فى تحصيل رزقه ، وحتى يكون شاكرا له سبحانه وتعالى ، وفى ذلك يقول تعالى :

« الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ، وسخر لكم الليل والنهار »[٢] .

ويقول : **« وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون »[٣] .**

ويقول : **« الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »[٤] .**

* * *

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد نهى فى كتابه العزيز عن التلهى بالتجارة والبيع عن واجب الدين والعبادة فقال :

« يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون »[٥] .

---

(١) اى يصنع النبال .
(٢) ابراهيم : ٣٢ ، ٣٣
(٣) النحل : ١٢ — ١٤
(٤) الجاثية : ١٢ ، ١٣
(٥) المنافقون : ٩

واذا كان قد مدح المؤمنين المحافظين الذين لم تلههم التجارة ولا البيع عن ذكر الله فقال :

« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار »[١] •

واذا كان سبحانه قد عاتب قوما انصرفوا الى التجارة قبل فراغهم من واجب العبادة فقال :

« واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين »[٢] •

فهذا دليل على أن الله تعالى لن يبارك فى الأرزاق الا اذا كان هناك حرص على أداء فرائضه سبحانه وتعالى ، والا فهو الخسران المبين •

وقد ثبت أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله •• أوصنى • فقال له :

« لا تتشاغل عما فرض عليك بما ضمن لك ، فانه ليس بفائتك ما قسم لك وليس بلاحق ما زوى عنك » •

* * *

ولهذا قال الحكماء : اذا لم يكن فى التاجر ثلاث خصال افتقر فى الدارين جميعا • أولها : أن يكون لسانه نقيا من ثلاثة : الكذب ، واللغو ، والحلف • وثانيها : أن يكون صافيا من ثلاثة : الغش ، والخيانة ، والحسد • وثالثها : أن يكون محافظا على ثلاث : الجمعة ، والجماعات ، وطلب العلم فى بعض الساعات •

* * *

وقال حكيم : الناس فى الكسب على مراتب :

منهم : من يرى الرزق من الله ولا يدرى أيعطيه أم لا ، فهو منافق شـــاك •

ومنهم : من يرى الرزق من الله تعالى ويعصى الله لأجل الكسب ولا يؤدى حقه كما أمر الله تعالى فهو مؤمن مسىء •

ومنهم : من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببا ويخرج حقه ولا يعصى الله لأجل الكسب فهو مؤمن مخلص •

* * *

---

(١) النور : ٣٧ (٢) الجمعة : ١١

وقيل لبعض الحكماء : ما خير المكاسب ؟ فقال :

خير مكاسب الدنيا : طلب الحلال لزوال الحاجة ، والأخذ منه للقوة على العبادة ، وتقديم فضله لزاد يوم القيامة .

وأما خير مكاسب الآخرة : فعلم معمول به نشرته ، وعمل صالح قدمته ، وسنة حسنة أحييتها .

وأما شر مكاسب الدنيا : فحرام جمعته ، وفى المعاصى أنفقته ، ولمن لا يطيع ربه خلفته .

وأما شر مكاسب الآخرة : فحق أنكرته حسدا ، ومعصية قدمتها اصرارا ، وسنة سيئة أحييتها عدوانا .

* * *

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام مع ملاحظة قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« من اكتسب مالا من مأثم فتصدق به أو وصل به رحمه ، أو أنفقه فى سبيل الله : جمع الله ذلك كله وألقاه فى النار » .

وقد ورد عن عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه أنه قال :

« لا يقبل حج ولا عمرة ولا جهاد ولا صدقة ولا عتاق ولا نفقة : من ربا ، ولا رشوة ، ولا خيانة ، ولا غلول ، ولا سرقة » .

* * *

فاحذر الحرام حتى لا يكون سببا فى ضياع جميع أموالك ، وتأمل قول القائل :

جمع الحرام على الحلال ليكثره ‏ ‏ ‏ ‏ دخل الحرام على الحلال فبعثره

هذا الى جانب الضياع الأخروى الذى يجب أن تعمل له ألف حساب .

* * *

وحتى لا أطيل عليك فقد رأيت بعد هذا التقديم الهام أن أسوق اليك بعض الأخبار والآثار والأشعار الموضوعية التى قد تتصل اتصالا رثيقا بموضوع الوصية التى أرجو أن تنتفع بها كما انتفع بها راويها عليه رضوان الله ، فقد روى أن سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كان يقول : « الدنيا ثلاثة أيام : يوم مضى وليس بيدك منه شىء ، ويوم يأتى لا تدرى أتدركه أم لا ، ويوم أنت فيه فاغتنمه » .

وروى أن لقمان الحكيم قال لابنه : « يا بنى .. ان الدنيا بحر عميق ، وقد غرق فيها ناس كثير فاجعل سفينتك فيها تقوى الله ، والأعمال الصالحة بضاعتك التى تحمل فيها ، والحرص عليها ربحك ، والأيام موجها ، وكتاب الله دليلها ، ورد النفس عن الهوى حبالها ، والموت ساحلها ، والقيامة أرض المتجر التى تخرج اليها ، والله مالكها » .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما :

« ما اتعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل كتاب كتبه الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه : أما بعد .. فان الانسان ليسره درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه ما لم يكن ليدركه ، فلا تكن بما نلت من دنياك فرحا ، ولا لما فاتك منها ترحا ، ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخر التوبة لطول الأمل : فأن قد .. والسلام » .

وذكر أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : « يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء وأنيابها بادية ، مشوهة الخلقة لا يراها أحد الا كرهها ، فتشرف على الخلائق فيقال لهم : أتعرفون هذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه ، فيقال لهم : هذه التى تفاخرتم بها ، وتحاربتم عليها ، ثم يؤمر بها الى النار ، فتقول : يا رب .. أين أتباعى وأصحابى وأحبابى ؟ فيلحقونها » .

ومعنى القائها فى النار : لكى يراها أهلها ويرون هوانها على الله تعـالى .



ومن كلام سيدنا على رضى الله عنه : اذا أدركت الدنيا الهارب منها جرحته ، واذا أدركت الطالب لها قتلته .

وقيل لزاهد : أى خلق أصغر ؟ فقال : الدنيا لأنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ومن هوانها عند الله أنه خلقها ولم ينظر اليها ، ولا يعصى الا فيها ، ولا ينال ما عنده الا بتركها ، واذا أردت أن تزهد فيها فانظر هى عند من وفى يد من .

وفى هذا يقول أحدهم وقد تصور الدنيا أمامه :

عتبت على الدنيا لرفعة جاهل ... وخفض لذى عُلم فقالت خذ العذرا
بنو الجهل أبنائى لهذا رفعتهم ... وأهل التقى أبناء ضرتى الأخرى
أأترك أبنـائى يموتون ضيعة ... وأرضع أبناءا لضرتى الأخرى

وقال حاتم الأصم :الدنيا مثل ظلك ان تركته تراجع ، وان طلبته تباعد .

وفى هذا المعنى يقول أحدهم :

وما دنياك الا مثل ظل   أظلك ثم آذن بارتحال

وروى عن يحيى بن معاذ الرازى أنه قال : الدنيا مزرعة لرب العالمين ، والناس فيها زرعه ، وملك الموت منجله ، والمقبرة مدارسه ، والقيامة تذريته ، والجنة بيت أحبابه ، والنار بيت أعدائه ، فريق فى الجنة وفريق فى السعير .

وقال أحد الحكماء : الدنيا ساعة ، فاجعلها طاعة .

وقال آخر : الدنيا ان أقبلت بلت ، وان أدبرت برت ، وان أطنبت نبت ، وان أركبت كبت ، وان أبهجت هجت ، وان ماجنت جنت ، وان سامحت محت ، وان صالحت لحت ، وان وصلت صلت ، وان بالغت لغت .

وقال آخر : سرور الدنيا أن تقنع بما رزقت ، وغمها أن تغتم لما لم ترزق .

وكان بعض الصالحين يقول : ما أصنع بدنيا ان بقيت لم تبق لى ، وان بقيت لم أبق لها[1] .

وكان بعضهم يقول : اذا أردت أن تعرف قدر الدنيا فانظر عند من هى :

وقد شبه الحكماء حال الدنيا وأهلها والزاهدين فيها : بحال طعام صنعه صانعه من السكر وعجنه بالسم بحضور بعض الناس دون بعض ثم وضعه بين يدى من أبصره فى حال صنعه ومن لم يبصره ، فان من أبصره وعلم ما فيه من الآفات لا يقرب منه ، ومن غاب عنه ذلك اغتر بما فيه من الحلاوة وحرص عليه ولا يصبر عنه .

فحلاوة الدنيا لجاهلها   ومرارة الدنيا لمن عقلا

وفى هذا المعنى يقول أحدهم :

هى الدنيا تقول بملء فيها   حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركموا منى ابتسام   فقولى مضحك والفعل مبكى

---

(١) بقيت : الأولى بفتح القاف وتسكين الياء وضم التاء ، والثانية بكسر القاف وفتح الياء وتسكين التاء .

وحكى أن رجلا خطر بباله وهو فى الطواف طلب الدنيا فلما قام سمع هاتفا يقول :

أقسمت بالبيت العتيق وركنه والطـائفين ومنـزل الفرقان
ما العيش فى المـال الكثير وجمعه بل فى الكفاف وصحة الأبدان

وعندما اجتمع هارون الرشيد بالبهلول قال له : عظنى .. فقال : بم أعظك ؟ هذه قصورهم ، وهذه قبورهم ، ثم قال : كيف بك يا أمير المؤمنين اذا أقامك الحق تعالى بين يديه وسألك عن النقير والفتيل والقطمير ، وأنت عطشان جوعان عريان وأهل الموقف ينظرون اليك ويضحكون ؟ فخنقته العبرة وأمر له بصلة ، فقال : ردها على من أخذتها منهم قبل أن لا تجد لهم شيئا ترضهم به ، ثم أنشد :

دع الحرص على الدنيـا وفى العيش فلا تطمـع
ولا تجمـع من المـال فمـا تدرى لمن تجمـع
فان الرزق مقســوم وسـوء الظن لا ينفـع
فقير كل ذى حـرص غنى كل من يقنـــع

ودخل بعض وزراء المـأمون عليه فوجد فى يده رقعة فيها هذه الموعظـة :

انك فى دار لهـا مـدة يقبل فيهـا عمل العـامل
أما ترى الموت محيطا بهـا يقطع فيهـا أمـل الآمل
تعجل بالذنب لمـا تشتهى وتأمـل التـوبة من قابل
والموت يأتى بعد ذا بغتة ما ذاك فعل الحازم العـاقل

وقال آخر :

انمـا هذه الحيـاة متاع والغرور الغرور من يصطفيها
ما مضى فات والمـؤمل غيب ولك الساعة التى أنت فيها

وما ألطف قول بعضهم :

ألا انما الدنيـا كأحلام نائم وما خير عيش لا يكون بدائم
تأمل اذا ما نلت بالأمس لذة وأفنيتهـا هل أنت الا كحالم

* * *

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام ، و :

تأمل سـطور الكائنات فانها من الملأ الأعلى اليك رسائل
لقد خط فيها لو تأملت سطرها ألا كل شىء ما خـلا الله باطل

* * *

وانظر الى من حوى الدنيا بأجمعها　　هل راح كل منها بغير القطن والكفن

* * *

و :

كن زاهدا فيما حوته يد الورى　　تضحى الى كل الأنام حبيبـــا
أو ما ترى الخطاف حرم زادهم　　فغدا مقيمـــا فى البيوت ربيبـــا

* * *

و :

تورع عن ســؤال الخلق طرا　　وســـل ربا كريمـــا ذا هبات
ودع زهوات دنيـــاك اللواتى　　تراها لا محـــالة ذاهبـــات

* * *

وكن بعد كل هذا ومع كل هذا منفذا لهذه التوجيهات التى يوصيك بها ابن عمر ، والتى كانت بمثابة تلخيص ختامى لأبعاد هذه الوصية العظيمة التى انتفع بها ، وهى :

اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك .

وخلاصة هذا التوجيه الحيوى الذى فيه ما فيه من أبعاد : أن الأيام تمضى مسرعة الى العالم الآخر الذى فيه سيحاسب الانسان ويسئل عن كل شىء فعله فى هذه الحياة الأولى التى هى دار العمل ، وأنه اذا لم يكن هناك عمل صالح ينفع الإنسان فى هذا الموقف الكبير الذى له خطورته : سيكون هذا الانسان فى حالة لا يحسد عليها :

« يوم ينظـــر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا »[1] .

ولهذا : كان لا بد وأن تكون مستعدا للقاء الله سبحانه وتعالى فى كل لحظة ، فأنت لا تدرى متى ستموت ولا فى أى مكان ستموت كما أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا فى قوله : **« ... وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت »**[2] .

---

(١) النبـــا : ٤٠　　(٢) لقمان : ٣٤

وهذا يتطلب منك كانسان عاقل يعرف ما له وما عليه نحو دينه ودنياه : أن تأخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك . أى : اذا كنت الآن صحيحا وفى استطاعتك أن تعمل وتتحرك فى جميع ميادين الخير بنشاط واقدام ، فاعمل قبل أن يأتى اليوم الذى قد تكون فيه عاجزا عن الحركة والاقدام بسبب مرضك الذى قد يفاجئك فى أية لحظة ، وكذلك بالنسبة للموت الذى يأتى بغتة ، المفروض أن تعمل لما بعده حتى تكون من الذين أعد الله لهم فى جنة الخلد « مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » حتى تكون مع الأبرار **« الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا »**[١] .



وقد رأيت أخا الاسلام أن أسوق اليك بعض الأمثلة الحية التى تأثرت بها شخصيا والتى سترى من خلالها أنك اذا كنت قد قدمت ولا زلت تقدم فى دنياك ما ينفعك فى أخراك ، فانك ستكون فى يوم مماتك فرحا بلقاء الله تعالى :

فقد ورد أن بلالا عليه رحمة الله وهو يحتضر كانت ابنته تبكى وتقول : واأبتاه ، واكرباه ، واحزناه .. فانتبه وهى تقول هذا الكلام ، فنهرها قائلا لها : لا تقولى ذلك ، لا كرب على أبيك بعد اليوم ، اليوم نلقى الأحبة ، محمدا وحزبه .

وأن أعرابيا قيل له : انك تموت . فقال : الى أين يذهب بى ؟ قالوا : الى الله تعالى . قال : وكيف أكره أن أذهب الى من لا أرى الخير الا منه .

وأن معاذ بن جبل رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال : اللهم انى كنت أخافك ، وأنا اليوم أرجوك ، اللهم انك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا لجرى الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ، ومكابدة الساعات ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر .

فلما اشتد النزع به قال : وعزتك انك لتعلم أن قلبى يحبك ، ثم أفاق ، وكان له ولد قتل شهيدا ، فقال : أتى ولدى فأخبرنى

---

(١) النساء : ٦٩

أنه لحق بالذين أنعم الله عليهم • وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءنى فى مائة ألف من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، ومائة ألف من الملائكة المقربين يتلقون روحى ويصلون على ويشيعونى الى قبرى •

ثم جعل يصافح قوما لم نرهم ويسلم عليهم حتى طلعت روحه ، فلما مات رؤى فى المنام على فرس أبلق وخلفه زحام كزحام منى ، ورجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو يقول :

« ... يا ليت قومى يعلمون • بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين »(١) •

وقال الحريرى : حضرت الجنيد عند وفاته وهو يقرأ القرآن فختم ، فقلت : يا أبا القاسم .. فى مثل هذه الحالة ؟ فقال : ومن أولى بهذا منى ، والآن تطوى صحيفتى •

واحتضر أحد الصالحين فبكت عليه امرأته ، فقال لها : ابكى على نفسك ، فأما أنا فقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة •

* * *

وقال الجنيد : دخلت على السرى فى مرضه فقلت له : كيف تجدك ؟ فقال :

كيف أشكو الى الطبيب لما بى ... والذى قد أصابنى من طبيبى

ليس لى راحة ولا لى شفاء ... من سقامى الا بوصل حبيبى

وقيل للكسائى لما حضرته الوفاة : ما كان عملك ؟ قال : لو لم يقترب أجلى ما أخبرتكم ، وقفت على باب قلبى أربعين سنة ، كلما مر عليه غير الله تعالى رددته عنه •

ولما احتضر مكحول ضحك ، وكان الغالب عليه الحزن ، فقيل له : لم ضحكت ؟ فقال : دنا فراق من كنت أحذره ، ولقاء من كنت أرجوه •

* * *

وهكذا ترى أخا الاسلام أن المؤمن المقبل على الله تعالى ولا سيما عندما ينكشف له ثواب طاعته ، تراه فرحا مسرورا بهذا اللقاء الذى كثيرا ما تمناه وعمل من أجله •

---

(١) يس : ٢٦ ، ٢٧

بخلاف الغافل الذى كان مشتغلا بالدنيا متمتعا بزهراتها ، فانه عند الموت كما يقولون ، يكون كسارق دخل دار الملك فجعل يأكل ويشرب ويلهو ، ونسى صولة الملك وبطشه • فاذا أخذه الملك وأزعجه عن داره ، تحسر عن مفارقة ما كان فيه من اللذات ، وانكشف له عاقبة ما قدم من الجنايات •

أما المؤمن الذى كان يعتبر جسده سجنا لروحه ، وحياته طريقا الى مقصوده فانه اذا مات يعتبر نفسه قد خرج من هذا السجن •

ولهذا — كما رأيت — لم ينزعج ولم يبال بما تركه من الزاد بعد أن عاين مطلوبه ، ووصل الى محبوبه الذى كثيرا ما تنعم بذكره •

وفى ذلك يقول تبـارك وتعالى : **« أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون »**(١) • أى أن الذين آمنوا واتقوا تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند قبض أرواحهم ويقولون لهم لا تخافوا مما بين أيديكم فان مصيركم الى رحمة الله تعالى ، ولا تحزنوا على ما فارقتم من الدنيا ، فقد صرتم الى أحسن مما كنتم فيه ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون •

وقد روى أن الملائكة يقولون للمؤمن : السلام عليك يا ولى الله •• أبشر بالجنة ، فحينئذ يحب لقاء الله تعالى •

وقد ورد فى معنى قول الله تعالى : **« الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • الذين آمنوا وكانوا يتقون • لهم البشرى فى الحياة الدنيـا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفـوز العظيم »**(٢) أن أبا الدرداء رضى الله عنه قال : سألت رسـول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال : « ما سألنى عنها أحد قبلك ، هى الرؤيا الحسنة يراها المؤمن ، أو ترى له ، واعلم أن المرء لا يموت حتى يعلم مصيره » •

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام وتأمل معى قول الحكيم :

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيـا ••• والناس حولك يضحكون سرورا

فاعمل ليوم أن تكون اذا بكوا ••• فى يوم مـوتك ضاحكا مسرورا

* * *

---

(١) فصلت : ٣٠ (٢) يونس : ٦٢ — ٦٤

وكن من أكيس الناس وأحزمهم ، وحسبك فى النهاية هذا الحديث الشريف :

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أتيت النبىّ صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة ، فقام رجل من الأنصار فقال : يا نبى الله .. من أكيس[١] الناس ، وأحزم[٢] الناس ؟ قال : « أكثرهم ذكرا للموت ، وأكثرهم استعدادا للموت ، أولئك الأكياس ، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة »[٣] .

وتأمل موعظة الحسن البصرى عليه رضوان الله التى يقول فيها : يا ابن آدم .. بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا .

يا ابن آدم .. طء الأرض بقدمك فانها عن قليل قبرك ، واعلم أنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك .

وتأمل كذلك قول الشافعى عليه رحمة الله :

تالله لو عاش الفتى فى دهره	ألفا من الأعوام مالك أمره
متمتعا فيها بكل نفيسة	متلذذا فيها بنعمى عصره
لا يعتريه السقم فيها مرة	كلا ولا ترد الهموم بفكره
ما كان هذا كله فى أن يفى	بمبيت أول ليلة فى قبره

* * *

ثم قل مع الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه :

« اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى اليها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر »[٤] .

* * *

---

(١) أى أعقلهم واشدهم فطنة . (٢) أى أكثرهم حزما .

(٣) رواه ابن ابى الدنيا فى كتاب « الموت » والطبرانى فى « الصغير » باسناد حسن . ورواه ابن ماجه مختصرا باسناد جيد .

(٤) إخرجه مسلم .

الوصية الثامنة والعشرون

عن أبى العباس عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال :

« يا غلام .. انى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وأن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

(رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح)

* * *

فكن أخا الاسلام :

من المنتفعين بهـذه الوصية العظيمة الجامعة التى تؤكد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على توجيه كل فرد فى أمته ـ سواء أكان صغيرا أم كبيرا ـ الى أسباب الخير والفلاح فى الدنيا والآخرة .

وهو هنا فى هـذه الوصية ـ كما رأيت ـ يقول لابن عباس رضى الله عنهما ، وقد كان يركب خلفه صلى الله عليه وسلم على دابة :

يا غلام[1] انى أعلمك كلمات « ينفعك الله بهن »[2] .

* (احفظ الله يحفظك) :

أى احفظ الله بحفظ فرائضه وحدوده ، وملازمة تقواه ، واجتناب مالا يرضاه ، يحفظك فى نفسك وأهلك ودنياك ، ولا سيما عند الموت اذ الجزاء من جنس العمل .

* * *

أما عن الفرائض فقد ورد :

عن طلحة بن عبيد الله أن أعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثائر الشعر فقال : يا رسول الله .. أخبرنى ما فرض الله على

---

(١) الغلام هو الصبى من حين يفطم الى تسع سنين ، وكان سنه اذ ذاك تسع سنين .

(٢) كما فى رواية أخرى .

من الصلوات ؟ فقال : « الصلوات الخمس ، الا أن تطوع شيئا » فقال : أخبرنى ماذا فرض الله على من الصيام ؟ فقال : « شهر رمضان » الا أن تطوع شيئا » فقال : أخبرنى ماذا فرض الله على من الزكاة ؟ قال : فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرائع الاسلام كلها ، فقال : والذى أكرمك لا أتطوع شيئا ، ولا أنقص مما فرض الله على شيئا . فقال رســول الله صلى الله عليه وسلم : « أفلح ان صدق — أو دخل الجنة ان صدق »[١] .

ولـمـا كانت الصلاة هى أهم هذه الفرائض التى جمعها المصطفى صلى الله عليه وسلم فى قوله :

« بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »[٢] .

بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ، فان صلحت صلح سائر عمله ، وان فسدت فسد سائر عمله »[٣] .

وقوله : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة »[٤] .

ولـمـا كان الله سبحانه وتعالى قد أمر فى كتابه العزيز بالمحافظة على الصلوات فى الحضر ، والسفر ، والأمن ، والخوف ، والمرض ، فقال تعالى :

« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى[٥] وقوموا لله قانتين . فان خفتم فرجالا أو ركبانا ، فاذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون »[٦] .

ولـمـا كانت الصلاة كذلك هى : عماد الدين ، أو عموده ، كما أشار المصطفى صلى الله عليه وسلم فى قوله :

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) متفق عليه .
(٣) رواه الطبرانى .
(٤) رواه احمد ومسلم وأبو داوود والترمذى وابن ماجه .
(٥) الصلاة الوسطى هى صلاة العصر كما ورد فى أحاديث صحيحة .
(٦) البقرة : ٢٣٨ ، ٢٣٩

« ... رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد »[١] ، وهى أول ما أوجبه الله تعالى من العبادات ، وبدون واسطة كما جاء فى قول أنس رضى الله عنه :

« فرضت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به خمسين ، ثم نقصت حتى جعلت خمسا ، ثم نودى : يا محمد .. أنه لا يبدل القول لدى ، وان لك بهذه الخمس خمسين »[٢] .

فقد رأيت أن أركز فى هذا العرض الحيوى على فريضة الصلاة التى تعتبر جامعة ومذكرة بجميع الفرائض الأخرى[٣] ، حتى نحافظ على الصلاة كما أمرنا الله تعالى ، وحتى نكون من الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله :

« والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »[٤] .

وقوله : **« والذين هم على صلاتهم يحافظون . أولئك فى جنات مكرمون »**[٥] . وحتى لا أطيل عليك ، فاليك هذا الايجاز .

الصلاة لغة : الدعاء ، وشرعا : عبادة ذات أقوال وأفعال مخصوصة ، مفتتحة بالتكبير ، مختتمة بالتسليم ، وهى مشتقة من الصلة ، لأنها توصل العبد الى رحمة ربه ، وهى ثابتة بالكتاب والسنة واجماع الأمة . قال تعالى : **« وأقيموا الصلاة ... »**[٦] .

وقال : **« ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا »**[٧] أى مفروضا مقدرا وقتها فلا تؤخر عنها .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل حين أرسله الى اليمن : « انك ستأتى قوما أهل كتاب فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله ، وأنى رسول الله ، فان هم

---

(١) من حديث صحيح رواه الترمذى .

(٢) رواه احمد والنسائى والترمذى وصححه .

(٣) وقد أشرت اليه ووضحته فى الجزء الثالث من « الوصايا » انظر ص ١٩٤ وما بعدها من هذا المجلد .

(٤) المؤمنون : ٩ — ١٢

(٥) المعارج : ٣٤ ، ٣٥

(٦) البقرة : ١١٠

(٧) النساء : ١٠٣

أطاعـوك لذلك فأعلمهم أن الله تعـالى قد افترض عليهـم خمس صلوات ... »[١] .

وقد فرضت[٢] ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة ونصف ، وحكمة مشروعيتها القيام بشكر المنعم وتكفير الذنوب بأدائها ، ففى الحديث الشريف :

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ما تقولون : يبقى ذلك من درنه شيئا » ؟ قالوا : لا يبقى ذلك من درنه شيئا ؟ قال : « فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بها الخطايا »[٣] .

وثمرة أدائها : سقوط الطلب ، والبعد عن المخالفات فى الدنيا ، ونيل الثواب فى العقبى ، قال تعالى :

« وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ... »[٤] .

وقال : **« انا لا نضيع أجر من أحسن عملا »[٥] .**

وعن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اتقوا الله وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا ذا أمركم ، تدخلوا جنة ربكم »[٦] .

هذا .. ولمـا كانت الصلاة ــ كما رأيت ــ قد قدر الله سبحانه وتعالى أوقاتها ، كما جاء فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« أمنى[٧] جبريل عليه الســلام عند البيت مرتين ؛ وصلى بى الظهر حين زالت الشمس وكانت قدر الشراك[٨] ؛ وصلى بى العصر حين كان ظل كل شىء مثله ، وصلى بى المغرب حين أفطر الصائم ، وصلى بى العشاء حين غاب الشفق ، وصلى بى الفجر حين حرم

---

(١) أخرجه الستة .
(٢) اى الصلاة .
(٣) أخرجه الشيخان .
(٤) العنكبوت : ٤٥
(٥) الكهف : ٣٠
(٦) أخرجه البيهقى والترمذى وقال : حسن صحيح .
(٧) أمنى ... الخ ، اى صلى بى اماما عند الكعبة ؛ وكان ذلك صبيحة ليلة الاسراء .
(٨) الشراك بكسر أوله ؛ احد سيور النعل :

الطعام والشراب على الصائم ، فلما كان الغد صلى بى الظهر حين كان ظل كل شىء مثله ، وصلى بى العصر حين صار ظل كل شىء مثليه ، وصلى بى المغرب حين أفطر الصائم ، وصلى بى العشاء الى ثلث الليل ، وصلى بى الفجر فأسفر[1] ، ثم التفت الى وقال : يا محمد .. هذا وقت الأنبياء من قبلك ، والوقت ما بين هذين الوقتين »[2] .

كان من الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يحافظ على هذه الصلوات الخمس وفى أوقاتها ، والا كان من الذين قال الله فى شأنهم :

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا »[3] .

قال ابن كثير : قال الأوزاعى عن ابراهيم بن زيد : أن عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه قرأ هذه الآية ، ثم قال : لم تكن اضاعتهم تركها ، ولكن أضاعوا الوقت .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ، ولكن أخروها عن أوقاتها .

وقال سعيد بن المسيب ، امام التابعين رحمه الله : هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ، ولا يصلى العصر الى المغرب ، ولا يصلى المغرب الى العشاء ، ولا يصلى العشاء الى الفجر ، ولا يصلى الفجر الى طلوع الشمس . فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بـ « غى » وهو واد فى جهنم بعيد قعره ، خبيث طعمه .

وحسب هذا اللاهى الغافل عن ذكر الله أن يقرأ قول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون »[4] .

قال الذهبى فى « الكبائر » : قال المفسرون : المراد بذكر الله فى هذه الآية الصلوات الخمس ، فمن اشتغل بماله فى بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة فى وقتها كان من الخاسرين .

---

(١) اسفر : اى اخره الى وقت الاسفار وهو ظهور نور الصباح جليا .

(٢) اخرجه احمد ومسلم وابو داوود والبيهقى والترمذى وحسنه وابن حبان والحاكم بسند صحيح .

(٣) مريم : ٥٩

(٤) المنافقون : ٩

بل وحسبه كذلك أن يقرأ قوله تعالى :

« فويل للمصلين • الذين هم عن صلاتهم ساهون »[١] •

قال الشوكانى : أخرج الفريابى وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقى فى سننه ، عن مصعب بن سعيد قال : قلت لأبى : أرأيت قول الله تعالى : **« الذين هم عن صلاتهم ساهون ••• »** أينا لا يسهو ، أينا لايحدث نفسه ؟ قال : انه ليس كذلك ، انه اضاعة الوقت •

وزاد المنذر فى « الترغيب » : يلهو حتى يضيع الوقت ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الصلاة :

« تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرنى شيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا »[٢] •

كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال :

« اذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدى الله عز وجل فيأمر به الى النار ، فيقول : يا رب •• لماذا ؟ فيقول الله تعالى : لتأخيرك الصلاة عن وقتها ، وحلفك بى كاذبا » •

وقد ذكر الذهبى عن بعض السلف الصالح : أنه بعد أن دفن أختا له فى قبرها وانصرف بعد ذلك مع الناس تذكر أن كيس نقوده قد سقط فى قبرها ، فعاد فنبشه فوجد القبر يشتعل عليها نارا ، فرد التراب عليها ورجع الى أمه باكيا حزينا ، فقال : يا أماه •• أخبرينى عن أختى وما كانت تعمل ؟ قالت : وما سؤالك عنها ؟ قال : يا أمى •• رأيت قبرها يشتعل نارا • قال : فبكت الأم ، ثم قالت : يا ولدى •• كانت أختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها •

فاذا كان هذا يا أخى هو حال من يؤخر الصلاة عن وقتها فما بالك بمن لا يصليها نهائيا •••

ولهذا رأيت أن أسوق اليك بعض الأحكام المتعلقة بهذا الموضوع الذى هو مفتاح الجنة ، كما ورد فى حديث شريف يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الجنة الصلاة »[٣] ، حتى تكون دائما

---

(١) الماعون : ٤ ، ٥

(٢) متفق عليه من حديث انس •

(٣) رواه الدارمى •

وأبدا محافظا عليها ومن الحريصين على أدائها فى أوقاتها ، وحتى لا أطيل عليك فاليك :

من ترك الصلاة جحودا بها وانكارا لها • يعتبر كافرا وخارجا عن ملة الاسلام باجماع المسلمين ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم :

« بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة »[1] •

أما من تركها مع ايمانه بها واعتقاده فرضيتها ، ولكن تركها تكاسلا أو تشاغلا عنها بما لا يعد فى الشرع عذرا ، فقد صرحت الأحاديث بكفره ووجوب قتله ، من هذه الأحاديث المصرحة بقتله ما ورد :

عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثة ، عليهن أسس الاسلام ، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة أن لا اله الا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان »[2] •

وفى رواية أخرى : « من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا[3] وقد حل دمه وماله » •

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام ، وحسابهم على الله عز وجل »[4] •

واذا كانت الأحاديث المتقدمة — كما رأيت — ظاهرها يقتضى تكفير تارك الصلاة واستباحة دمه ، فقد رأى كثير من علماء السلف والخلف ، منهم أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعى : أنه لا يكفر ، بل يفسق ويستتاب ، فان لم يتب قتل حدا عند مالك والشافعى وغيرهما ، وقال أبو حنيفة : لا يقتل ، بل يعزر[5] ويحبس حتى يصلى ، وحملوا أحاديث التكفير على الجاحد ، أو المستحل للترك ، وعارضوها ببعض النصوص العامة التى منها قول الله تعالى :

« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »[6] •

---

(١) رواه احمد ومسلم وابو داوود والترمذى وابن ماجه •

(٢) رواه ابو يعلى باسناد حسن •

(٣) اى لا يقبل منه فرض ولا نفل •

(٤) رواه البخارى ومسلم •

(٥) وهو الضرب دون الحد •

(٦) النساء : ١١٦

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لكل نبى دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبى دعوته ، وانى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة — ان شاء الله — من مات لا يشرك بالله شيئا »[1] .

وحول هذا المعنى أنشد بعضهم :

خسر الذى ترك الصلاة وخابا ... وأبى معادا صالحا ومآبا
ان كان يجحدها فحسبك أنه ... أضحى بربك كافرا مرتابا
أو كان يتركها لنوع تكاسل ... غطى على وجه الصواب حجابا
فالشافعى ومالك رأيا له ... ان لم يتب حد الحسام[2] عقابا
والرأى عندى للامام[3] عذابه ... بجميع تأديب يراه صوابا

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، واحذر الوقوع فى هذا الذنب الكبير ، وهو ترك الصلاة ، أو تأخيرها عن وقتها حتى لا تكون من هؤلاء الخاسرين المضيعين الذين : « أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيا »[4] .

وحسبك حتى تحافظ على الصلوات الخمس التى فرضها الله عليك أن تقرأ معى هذه الأحاديث الشريفة :

عن حنظلة الكاتب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حافظ على الصلوات الخمس ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن ، وعلم أنهن حق من عند الله ، دخل الجنة » أو قال : « حرم على النار »[5] .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خمس من جاء بهن مع ايمان دخل الجنة : من حافظ على الصلوات الخمس ، على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن ، وصام رمضان ، وحج البيت ان استطاع اليه سبيلا ، وآتى الزكاة طيبة بها نفسه ، وأدى الأمانة » قيل : يا رسول الله .. وما أداء

---

(١) رواه احمد ومسلم عن ابى هريرة .
(٢) اى السيف .   (٣) وهو ابو حنيفة رحمه الله .
(٤) مريم : ٥٩
(٥) رواه احمد باسناد جيد ورواته رواة الصحيح .

الأمانة ؟ قال : « الغسل من الجنابة ، ان الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها »[١] .

وعن رجل من بنى عبد القيس يقال له عياض : أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « عليكم بذكر ربكم[٢] ، وصلوا صلاتكم فى أول وقتكم ، فان الله يضاعف لكم »[٣] .

* * *

واعلم : أن « صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة ، فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه ما لم يحدث : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة »[٤] .

وأن : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ[٥] بسبع وعشرين درجة »[٦] .

وأن : « من صلى لله أربعين يوما فى جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتب له براءتان : براءة من النار ، وبراءة من النفاق »[٧] .

وأن : « من صلى فى مسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقا من النار »[٨] .

وأن : « من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر — قالوا : وما العذر ؟ قال : خوف أو مرض — لم تقبل منه الصلاة التى صلى »[٩] .

وأن : « من توضأ للصلاة فأسبغ الوضوء ، ثم مشى الى الصلاة

---

(١) رواه الطبرانى باسناد جيد . (٢) اى الزموه وواظبوا عليه .
(٣) اى يضاعف لكم الأجر اذا احسنتم العمل . رواه الطبرانى فى الكبير .
(٤) رواه البخارى واللفظ له ، ومسلم وابو داوود والترمذى وابن ماجه .
(٥) اى المنفرد .
(٦) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى .
(٧) رواه الترمذى . (٨) رواه ابن ماجه واللفظ له .
(٩) رواه ابو داوود وابن حبان فى صحيحه وابن ماجه بنحوه .

المكتوبة فصلاها مع الناس ، أو مع الجماعة ، أو فى المسجد الا غفر له ذنوبه »[١] .

وأن : « من فاتته صلاة فكأنما وتر أهله وماله »[٢] .

وأن : « الجفاء كل الجفاء ، والكفر والنفاق مع من سمع منادى الله ينادى الى الصلاة فلا يجيبه »[٣] .

وأن : « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله »[٤] .

وأن : « من صلى الصبح فهو فى ذمة الله ، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء ، فانه من يطلبه من ذمته بشيء يدركه ثم يكبه على وجهه فى نار جهنم »[٥] .

وأن : « من اغتسل يوم الجمعة : غسل الجنابة ثم راح ، فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية ، فكأنما قرب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا ، ومن راح فى الساعة الرابعة ، فكأنما قرب بيضة . فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر »[٦] .

وأن : « من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ، ومن مس الحصا فقد لغا »[٧] .

وأن : « من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب — ان كان عنده — ولبس من أحسن ثيابه ، ثم خرج حتى يأتى المسجد فيركع ما بدا له ، ولم يؤذ أحدا ، ثم أنصت حتى يلى ، كان كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى »[٨] .

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه ابن حبان فى صحيحه .

(٣) رواه أحمد والطبرانى . (٤) رواه البخارى والنسائى .

(٥) رواه مسلم واللفظ له وابو داوود والترمذى وغيرهم .

(٦) رواه احمد والبخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى .

(٧) قيل معناه : خاب من الأجر ، وقيل : صارت جمعته ظهرا ، وقيل : غير ذلك . رواه مسلم وابو داوود والترمذى وابن ماجه .

(٨) رواه احمد والطبرانى وابن خزيمة فى صحيحه ورواة احمد ثقات .

وأن : « من غسل يوم الجمعة واغتسل ، وبكر وابتكر ، ومشى ولم يركب ، ودنا من الامام فاستمع ولم يلغ ، كان له بكل خطوة عمل سنة ، أجر صيامها وقيامها »[١] .

وأن : « من ترك الجمعة ثلاث مرات من غير ضرورة ، طبع الله على قلبه »[٢] .

وأن : « أثقل الصلاة على المنافقين : صلاة العشاء ، وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلا فيصلى بالناس ، ثم أنطلق معى برجال معهم حزم من الحطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار »[٣] .

وأن : « عمرو بن أم مكتوم رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله .. أنا ضرير شاسع الدار[٤] ولى قائد لا يلائمنى ، فهل تجد لى رخصة أن أصلى فى بيتى ؟ قال : « تسمع النـــداء » ؟ قال : نعم ، قال : « ما أجد لك رخصة »[٥] .

فاذكر كل هذا أخا الاسلام حتى تكون محافظا على الصلوات الخمس دون تأخير أو نقصان ، وحسبك ترغيبا لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« خمس صلوات افترضهن الله عز وجل ، من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وسجودهن وخشوعهن ، كان على الله عهد أن يغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد ، ان شاء غفر له وان شاء عذبه »[٦] .

* * *

(١) رواه أحمد وابو داوود والترمذى وقال : حديث حسن ، والنسائى وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم وصححه .

(٢) رواه أحمد باسناد حسن والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٣) أخرجه البخارى وأحمد ومسلم .

(٤) اى بعيد الدار .

(٥) رواه أحمد وابو داوود وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم .

(٦) رواه مالك وابو داوود والنسائى وابن حبان فى صحيحه .

هذا .. ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :
« لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ »[١] .
ولما كان سبب وجوب الوضوء ، وجوب الصلاة ، أو ارادة مالا يحل الا بالطهارة كصلاة ، ولو نافلة أو سجدة تلاوة .

ولما كان الوضوء الحسن كما رأيت هو الأساس فى صحة الصلاة التى ان قبلت منك كنت من الفالحين .
فقد رأيت ، وفى ختام هذا الموضوع أن أقف معك على :

كيفية الوضوء

كما هو ثابت عن المعلم الخالد صلوات الله وسلامه عليه ، فقد ورد :
عن حمران بن أبان قال : دعا عثمان رضى الله عنه بماء وهو على المقاعد ، فسكت على يمينه فغسلها ، وفى رواية : « فأفرغ على يديه ثلاثا فغسلها » ثم أدخل يمينه فى الاناء فغسل كفيه ثلاثا . ثم غسل وجهه ثلاث مرار ، ومضمض واستنشق واستنثر . وغسل ذراعيه الى المرفقين ثلاث مرات ، ثم مسح برأسه ، وأمر بيديه على ظهر أذنيه ، ثم غسل رجليه الى الكعبين ثلاث مرار . ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من توضأ نحو وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما ، غفر له ما تقدم من ذنبه » وفى رواية : « غفر له ما كان بينهما وبين صلاته بالأمس »[٢] .

وعن عبد خير قال : جلس على رضى الله عنه بعدما صلى الفجر فى الرحبة[٣] ، ثم قال لغلامه : ائتنى بطهور ، فأتاه الغلام باناء فيه ماء وطست[٤] ونحن جلوس ننظر اليه . فأخذ بيمينه الاناء فأكفأه على يده اليسرى ، ثم غسل كفيه ، فعله ثلاث مرار ، كل ذلك لا يدخل يده فى الاناء حتى يغسلها ثلاث مرات ، ثم أدخل يده اليمنى فى الاناء فمضمض واستنشق ونثر بيده اليسرى ، وفعل ذلك ثلاث مرات ، وفى رواية : فتمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا من كف واحدة ، ثم أدخل يده اليمنى فى الاناء فغسل وجهه ثلاث مرات ، ثم غسل يده اليمنى

---

(١) رواه الشيخان وابو داوود والترمذى عن أبى هريرة .
(٢) أخرجه احمد والشيخان .
(٣) موضع بالكوفة .
(٤) اناء من نحاس .

ثلاث مرات الى المرفق ، ثم غسل يده اليسرى ثلاث مرات الى المرفق ، ثم أدخل يده اليمنى فى الاناء حتى غمرها المـاء ، ثم رفعها بما حملت من المـاء ، ثم مسحها بيده اليسرى ، ثم مسح رأسه بيديه كلتيهما مرة • وفى رواية : « فبدأ بمقدم رأسه الى مؤخره » ثم صب بيده اليمنى على قدمه اليمنى ، ثم غسلها بيده اليسرى • ثم صب بيده اليمنى على قدمه اليسرى ، ثم غسلها بيده اليسرى ثلاث مرات ، ثم أدخل يده اليمنى فغرف بكفه فشرب فضل وضوئه[١] ، ثم قال : هذا طهور نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم[٢] •

* * *

ولقد كان :

من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى الوضوء

أنه كان : يتوضأ لكل صلاة فى غالب أحيانه ، وربما صلى الصلوات بوضوء واحد •

وكان : يتوضأ « بالمد »[٣] تارة ، وبثلثيه تارة ، وبأزيد منه تارة •

وكان : من أيسر الناس صبا لمـاء الوضوء •

وكان : يحذر أمته من الاسراف فى ماء الوضوء ، ومر على سعد وهو يتوضأ فقال له : « لا تسرف فى المـاء » •

وصح عنه أنه توضأ مرة ، ومرتين مرتين ، وثلاثا ثلاثا ، وفى بعض الأعضاء مرتين وبعضها ثلاثا •

وكان : يتمضمض ويستنشق تارة بغرفة ، وتارة بغرفتين ، وتارة بثـلاث •

وكان : يصل بين المضمضة والاستنشاق ، فيأخذ نصف الغرفة لفمه ، ونصفها لأنفه • ولا يمكن فى الغرفة الا هذا • وأما الغرفتان والثلاث ، فيمكن فيهما الفصل والوصل ، الا أن هديه صلى الله عليه وآله وسلم كان الوصل بينهما كما فى الصحيحين من حديث عبد الله ابن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تمضمض واستنشق من كف واحدة • فعل ذلك ثلاثا ، وفى لفظ : « تمضمض واستنثر بثلاث غرفات » • فهذا أصح ما روى فى المضمضة والاستنشاق •

---

(١) وضوء بفتح الواو ، وهو ما يتوضأ به .

(٢) اخرجه احمد وابو داوود والنسائى والدارقطنى والدارمى بسند جيد

(٣) المد : رطلان .

وكان : يستنشق بيده اليمنى ويستنثر باليسرى •

وكان : يمسح رأسه كله ، بل كان اذا كرر غسل الأعضاء أفرد مسح الرأس ، هكذا جاء عنه صريحا ، ولم يصح عنه فى حديث واحد أنه اقتصر على مسح بعض رأسه ألبتة • ولكن كان اذا مسح بناصيته كمل على العمامة •

ولم يتوضأ صلى الله عليه وسلم الا تمضمض ، ولم يحفظ عنه أنه أخل به مرة واحدة •

وكذلك كان وضوءه مرتبا متواليا لم يخل به مرة واحدة ألبتة •

وكان : يمسح على رأسه تارة ، وعلى العمامة تارة ، وعلى الناصية والعمامة تارة ، وأما اقتصاره على الناصية مجردة فلم يحفظ عنه كما تقـــدم •

وكان : يغسل رجليه اذا لم يكونا فى خفين ولا جوربين ، ويمسح عليهما اذا كانا فى الخفين •

وكان يمسح أذنيه مع رأسه ، وكان يمسح ظاهرهما مع باطنهما •

ولم يحفظ عنه أنه كان يقول على وضوئه شيئا غير التسمية فى أوله ، وقد ورد فى هذا أنه قال لأبى هريرة رضى الله عنه : « اذا توضأت فقل : بسم الله والحمد لله ، فان حفظتك لا تبرح تكتب لك الحسنات حتى تحدث من ذلك الوضوء »[1] • كما ورد أنه كان يقول فى آخره : « أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » • كما ورد أيضا أنه كان يقول : « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت ، أستغفرك وأتوب اليك » •

ولم يكن صلى الله عليه وسلم يقول فى أول الوضوء : نويت رفع الحدث ، ولا استباحة الصلاة ، لا هو ولا أحد من الصحابة عليهم جميعا رضوان الله ، ولم يرو عنه فى ذلك حرف واحد لا باسـناد صحيح ولا ضعيف •

ولم يتجاوز الثلاث قط •

* * *

---

(١) اخرجه الطبرانى فى « الصغير » بسند حسن .

واعلم أن :

السواك مستحب فى جميع الأوقات لكن فى خمسة أوقات أشد استحبابا : عند الصلاة ، عند الوضوء ، عند قراءة القرآن ، عند الاستيقاظ من النوم ، عند تغير الفم • فقد ورد :

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء »(١) •

وعنه أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة »(٢) •

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب »(٣) •

ويحصل الاستياك بكل طاهر خشن يزيل الوسخ والأفضل أن أن يكون بالأراك والزيتون لحديث أبى خيرة الصباحى ، قال : كنت فى الوفد فزودنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأراك وقال : « استاكوا بهذا »(٤) • ويسن غسله بعد الاستعمال •

ويحصل فضله بالاصبع عند فقد السواك ، أو فقد أسنانه أو ضرر بفمه ، لحديث النضر بن أنس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يجزىء من السواك الأصابع »(٥) •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « يا رسول الله •• الرجل يذهب فوه •• أيستاك ؟ قال : نعم • قلت : كيف يصنع ؟ قال : يدخل اصبعه فى فيه »(٦) •

وأنه من مستحبات الوضوء كذلك :

استقبال القبلة • لحديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خير المجالس ما استقبل به القبلة »(٧) •

---

(١) رواه مالك والشافعى والبيهقى والحاكم .
(٢) اخرجه الجماعة .
(٣) رواه احمد والنسائى والترمذى .
(٤) اخرجه البخارى فى « التاريخ » .
(٥) اخرجه البيهقى وقال : حديث ضعيف .
(٦) اخرجه الطبرانى فى « الأوسط » .
(٧) اخرجه أبو نعيم فى « الحلية » .

وتقديم الوضوء على الوقت لغير المعذور •

وترك لطم الوجه وغيره من الأعضاء ، لأن كل من وصف وضوء النبى صلى الله عليه وسلم لم يذكر أنه ضرب وجهه بالمـاء •

وعدم التكلم حال الوضوء ، الا لحاجة تفوته ، كأمر بمعروف ، ونهى عن منكر ، وارشاد ضال ، ورد سلام •

وتحريك الخاتم وما يشبهه من الأساور والخلاخل ونحوها •

والبدء بتطهير مقدم الأعضاء — أى بأعلى الوجه — وأصابع اليدين والرجلين ، ومقدم الرأس •

واطالة الغرة والتحجيل • والمراد باطالة الغرة غسل شىء من مقدم الرأس وما يجاوز الوجه زائدا على المفروض غسله • والمراد بالتحجيل غسل ما فوق المرفقين والكعبين بأن يغسل الذراعين لنصف العضدين ، والرجلين لنصف الساقين لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان أمتى يأتون يوم القيامة غرا محجلين[1] من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل »[2]

والاقتصاد فى المـاء : أى لا يقتر ولا يزيد على قدر الكفاية اقتداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فقد ورد :

عن عبيد الله بن أبى يزيد أن رجلا قال لابن عباس : كم يكفينى من الوضوء ؟ قال : مد[3] • قال : كم يكفينى للغسل ؟ قال : صاع[4] • فقال الرجل : لا يكفينى • فقال : لا أم لك ، قد كفى من هو خير منك رسول الله صلى الله عليه وسلم[5] •

ومسح الرقبة بظهر يديه : لعدم استعمال بلتهما ، فقد ورد هذا من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وان كان لم يثبت فى هذا حديث صحيح الا أن الأحاديث الواردة فى هذا لكثرتها يقوى بعضها بعضا • أما مسح الحلقوم وهو مقدم العنق فبدعة اتفاقا •

---

(١) اى على وجوههم وفى ايديهم وأرجلهم نور •

(٢) اخرجه احمد والشيخان • (٣) المد : رطلان •

(٤) الصاع : ثمانية أرطال •

(٥) اخرجه احمد والبزار والطبرانى فى « الكبير » ورجاله ثقات •

وعدم الاستعانة بالغير : فقد اتفق العلماء على أنه يستحب للقادر أن يتولى تطهير الأعضاء بنفسه من غير معاونة ، أما الاستعانة لاحضار المـاء وصبه فقد اتفق الأئمة الأربعة وغيرهم من علماء السنة على اباحتـه .

والدعاء بعد الوضوء : لحديث عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء »(١) .

ويختم الدعاء بما فى حـديث أبى سـعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« من توضأ فقال : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك ، كتب فى رق ثم طبع بطابع فلا يكسر الى يوم القيامة »(٢) .

أما ما اعتاده بعض الناس وذكره بعض الفقهاء من الدعاء عند كل عضو كقولهم عند غسل الوجه : اللهم بيض وجهى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، وعند غسل اليد اليمنى : اللهم أعطنى كتابى بيمينى ولا تعطنى كتابى بشمالى . وعنـد غسل اليد اليسرى : اللهم يسر ولا تعسر . فلم يثبت فيه شىء عن النبى صلى الله عليه وسلم .

قال النووى فى الروضة : هذا الدعاء لا أصل له ، ولم يذكره الشافعى ولا الجمهور .

وقال ابن الصلاح : لم يصح فيه حديث(٣) .

والشرب من فضل الوضوء قائما أو قاعدا مستقبلا القبلة : لأنه صلى الله عليه وسلم شرب قائما من فضل وضوئه ومن ماء زمزم .. كما ورد(٤) .

---

(١) اخرجه احمد ومسلم وابو داوود والترمذى وزاد : « اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » .

(٢) اخرجه الحاكم والنسائى وصحح وقفه .

(٣) انظر « تحفة الأحوذى » جـ ١ ص ٥٩

(٤) كما قرات سابقا .

وصلاة ركعتين بعد الوضوء : فقد ورد عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من توضأ فأسبغ الوضوء ثم صلى ركعتين أتمهما أعطاه الله ما سأل معجلا أو مؤخرا »[1] •

فلا تنس كل هذا مع ملاحظة ضرورة :

الاستبراء من البول قبل الشروع فى الوضوء ، وهو : طلب البراءة من أثر الخارج فيلزم الرجل الاستبراء حسب عادته بنحو مشى أو تنحنح أو ركض أو اضطجاع ، ولا يصح الشروع فى الوضوء حتى يطمئن بزوال الرشح لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « استنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه »[2] •

ولا تحتاج المرأة الى استبراء بل تصبر قليلا ثم تستنجى ولابد من الاستنقاء أيضا ، وهو طلب النقاوة بدلك المقعدة بالأحجار حال الاستجمار ، أو بالأصابع حال الاستنجاء بالمـاء حتى تذهب الرائحة •

* * *

وأما عن :

حفظ الحدود وملازمة التقوى واجتناب مالا يرضى الله

فالحدود جمع حد ، وهو فى اللغة المنع ، وأما فى الشرع فهى محارم الله وعقوباته التى قرنها بالذنوب • قال فى النهاية : « أصل الحد المنع والفصل بين الشيئين ، فكأن حدود الشرع فصلت بين الحلال والحرام ، فمنها مالا يقرب كالفواحش المحرمة ، ومنه قوله تعالى : « **تلك حدود الله فلا تقربوها** »[3] • ومنها مالا يتعـدى كالمواريث المعينة وتزوج الأربع • ومنه قوله تعـالى : « **تلك حـدود الله فلا تعتدوها** »[4] ، ومنه الحديث : « انى أصبت حدا فأقمه على ••• »[5] ، أى أصبت ذنبا أوجب على حدا أى عقوبة »اه •

---

(١) اخرجه أحمد .
(٢) أخرجه الدارقطنى والحاكم وصححه .
(٣) البقرة : ١٨٧ (٤) البقرة : ٢٢٩
(٥) من حديث رواه مسلم .

والمراد هنا عدم الاقتراب من محارم الله تعالى حذرا من الوقوع فيما يوجب دخول جهنم : وقد ورد فى هذا المعنى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« أنا آخذ بحجزكم[١] أقول : اياكم وجهنم[٢] ، اياكم والحدود[٣] ، اياكم وجهنم ، اياكم والحدود ، اياكم وجهنم ، اياكم والحدود ــ ثلاث مرات ــ فاذا أنا مت تركتكم وأنا فرطكم[٤] على الحوض فمن ورد أفلح »[٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يغار ، وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله عليه »[٦] .

وعن ثوبان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لأعلمن أقواما من أمتى يأتون يوم القيامة بأعمال[٧] أمثال جبال تهامة[٨] بيضاء ، فيجعلها الله هباء منثورا »[٩] . قال ثوبان : يا رسول الله .. صفهم لنا ، جلهم لنا[١٠] لا نكون منهم ونحن لا نعلم ، قال : « أما انهم اخوانكم ومن جلدتكم[١١] ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم قوم اذا خلوا بمحارم الله انتهكوها »[١٢] .

---

(١) جمع حجزة وهى مقعد الازار : اى ممسك بها .

(٢) أى احذروا ما يوجب لكم دخول جهنم من تعدى الحدود وانتهاك الحرمات .

(٣) أى لا تتعدوها ولا تقعوا فيها .

(٤) أى سابقكم ومتقدمكم .

(٥) يعنى من ورد على الحوض وشرب منه فقد فاز ، لأن ورود الحوض دليل على حسن ايمانه ومتابعته . رواه البزار من رواية ليث بن أبى سليم .

(٦) يعنى أن يفعل ما نهاه الله عز وجل عنه من الفواحش والمنكرات .. رواه البخارى ومسلم .

(٧) يعنى صالحة من صلاة وصدقة وصيام ونحوها .

(٨) أى انها تساويها فى الثقل .

(٩) اى يحبطهم ولا يثيبهم عليها .

(١٠) اى اظهرهم لنا .

(١١) اى من عشيرتكم .

(١٢) رواه ابن ماجه ورواته ثقات .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعن جنبتى[١] الصراط سوران[٢] فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة[٣] ، وعند رأس الصراط داع يقول : استقيموا على الصراط ولا تعوجوا[٤] ، وفوق ذلك داع يدعو ، كلما هم عبد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال : ويحك[٥] لا تفتحه ، فانك ان فتحته تلجه[٦] ، ثم فسره فأخبر أن الصراط هو الاسلام ، وأن الأبواب المفتحة محارم الله ، وأن الستور المرخاة حدود الله[٧] ، والداعى على رأس الصراط هو القرآن ، والداعى من فوقه هو واعظ الله فى قلب كل مؤمن »[٨] .

* * *

فمن هذه الأحاديث ترى بوضوح أن الوقوف عند حدود الشرع وعدم الاقتراب منها أو تعديها يضمن لك السلامة فى الدارين ، وأن اتقاءك للمحارم يجعلك من أعبد الناس ، كما جاء فى الحديث الشريف الذى يقول فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم : « ... اتق المحارم تكن أعبد الناس »[٩] .

* * *

غير أن كل هذا لن يتحقق الا بملازمة التقوى التى تعتبر من أهم أسباب الفلاح والنجاح ، كما جاء فى قوله تعالى : **« ... واتقوا الله لعلكم تفلحون »**[١٠] .

---

(١) تثنية جنبة وهى الناحية .
(٢) تثنية سور وهو البناء المحوط .
(٣) اى مسبلة . (٤) اى لا تميلوا .
(٥) كلمة ترحم واشفاق . (٦) اى تدخله .
(٧) التى امر بالوقوف عندها ونهى عن تعديها .
(٨) وفى رواية : « مسلم » بدل « مؤمن » .
ذكره رزين ولم أره فى اصوله ، وانما رواه احمد والبزار مختصرا بغير هذا اللفظ باسناد حسن ، وعزاه السيوطى فى « الجامع » بهذا اللفظ الى احمد والحاكم عن النواس بن سمعان وقال الحاكم : صحيح ، واقروه .
(٩) من حديث رواه الترمذى وقد سبق شرحه فى سلسلة « الوصايا » .
(١٠) آل عمران : ٢٠٠

وهذا يتطلب دوام استحضار القلب احاطة علم الله تعالى بحركاته وسكناته ، لأن الله سبحانه وتعالى كما قال عن نفسه : لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء . وهو سبحانه **« يعلم السر وأخفى »**[١] ، **« وهو معكم أين ما كنتم »**[٢] .

* * *

ولهــذا :

قال ابن عطــاء الله : أفضل الطاعات ، مراقبة الحق فى جميع الأوقات .

وقال ذو النون المصرى : علامة المراقبة ايثار ما آثر الله ، وتعظيم ما عظم الله .

وقال بعض العارفين : من راقب الله فى خواطره عصمه الله جوارحه .

* * *

ومن أجمل ما قرأت فى هذا المعنى :

كان ابن عمر فى سفر فرأى غلاما يرعى غنما فأعجبه حسن رعايته لها فى الظاهر فأراد أن يختبر باطنه ، فقال له : تبيع من هذه الغنم واحدة ؟ فقال : انها ليست لى . فقال : قل لصاحبها ان الذئب أخذ منها واحدة . فقال الغلام : فأين الله .. فأعجبه حسن مراقبته وصار يترنم بذلك ويقول : فأين الله ...

وحكى أن رجلا تعلق قلبه بامرأة بدوية ذهبت الى حاجة لها ، فتبعها ، فلما خلا بها فى البادية ، والناس نيام حولها ، راودها عن نفسها ، فقالت له : انظر .. أنام الناس جميعا ؟ ففرح الرجل وظن أنها قد أجابته ، فقام وطاف حول مضارب الحى ، فاذا الناس نيام ، فرجع اليها وأخبرها ، فقالت له : ما تقول فى الله تعالى ، أنائم هو فى هذه الساعة ؟ فقال الرجل : ان الله لا ينام ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، فقالت المرأة : ان الذى لم ينم ولا ينام يرانا وان كان الناس لا يروننا فذلك أولى أن يخاف ، فاتعظ الرجل وتركها ، وتاب خوفا من الله تعالى . ولمــا مات رئى فى المنام ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى لخوفى منه ، وتوبتى اليه .

* * *

---

(١) طه : ٧ (٢) الحديد : ٤

واعلم أخا الاسلام : أن من أطاع الله تعالى أطاعه فى كل شىء ، ومن خاف الله تعالى خافه فى كل شىء • ولما كان العلماء هم أخوف الناس من الله تعالى بدليل قوله سبحانه : « **انما يخشى الله من عباده العلماء** »[1]

فقد رأيت أن أسوق اليك بعض الأمثلة الحية التى سترى من خلالها عزة العلماء وهيبتهم وكيف كان الأمراء يعملون لهم ألف حساب ، لا لشىء الا لأنهم كانوا ينظرون اليهم نظرة تقدير واكبار بعد أن رأوا منهم الاخلاص والعزوف عن الدنيا التى ان تربعت على قلب العالم سلبته مهابته ، وأفقدته كرامته ومكانته •

* * *

ومن أجمل ما قرأت فى هذا :

أن هشام بن عبد الملك قدم حاجا الى بيت الله الحرام ، فلما دخل الحرم قال : ائتونى برجل من الصحابة ، فقيل : يا أمير المؤمنين •• ماتوا • قال : فمن التابعين ، فأتى بطاووس اليمانى ، فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بيا أمير المؤمنين ، ولم يكنه وجلس الى جانبه بغير اذن وقال : كيف أنت يا هشام ؟ فغضب من ذلك غضبا شديدا حتى هم بقتله ، فقيل له : أنت يا أمير المؤمنين فى حرم الله وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون ذلك • فقال : يا طاووس •• ما حملك على ما صنعت ؟ قال : وما صنعت ؟ قال : خلعت نعليك بحاشية بساطى ، ولم تسلم بيا أمير المؤمنين ، ولم تكننى ، وجلست بازائى بغير اذن ، وقلت : يا هشام كيف أنت •

فقال طاووس : أما خلع نعلى بحاشية بساطك ، فانى أخلعها بين يدى رب العزة فى كل يوم خمس مرات ولا يعاتبنى ولا يغضب على •

وأما قولك : لم تسلم على بامرة المؤمنين ، فليس كل المؤمنين راضيا بامرتك ، فخفت أن أكون كاذبا •

وأما قولك : لم تكننى ، فان الله عز وجل سمى أنبياءه فقال : يا داوود ، يا يحيى ، يا عيسى ، وكنى أعداءه فقال : « **تبت يدا أبى لهب** ••• »[2] •

---

(١) فاطر : ٢٨ (٢) المسد : ١

وأما قولك : جلست بازائى فانى سمعت على بن أبى طالب يقول : اذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام . فقال : عظنى . فقال : سمعت على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : ان فى جهنم حيات وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لم يعدل فى رعيته .

وأن الامام الأوزاعى دخل على المنصور — وقد كان شديد الهيبة — فقال له المنصور : عظنى . فقال : اعلم يا أمير المؤمنين .. ان الله هو الحق المبين ومن كره الحق فقد كرهه الله ، يا أمير المؤمنين .. ان الملك لا يدوم لمخلوق ، وانما الملك لله وحده ، ولو كان يدوم لأحد لما وصل اليك . يا أمير المؤمنين .. ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا للقصاص من نفسه فى خدش خدشه أعرابيا وهو غير متعمد . فقال الأعرابى : بأبى وأمى يا رسول الله .. قد أحللتك وما كنت لأفعل ذلك أبدا . يا أمير المؤمنين .. ان خير الكرم عند الله التقوى ، ومن طلب العزة بطاعة الله رفعه الله وأعزه ، ومن طلبها بمعصية الله وضعه الله وأذله . فلما انتهى من عظته أمر له المنصور بمال ، فاعتذر واستعفى من قبوله وقال : يا أمير المؤمنين .. ما كنت لأبيع نصيحتى بعرض الدنيا فأحرم ثوابها وأقلل من نفعها ، وما دام أمير المؤمنين قائما فينا بالعدل فنحن فى خير الله ثم فى خيره .

وناظر أبو جعفر المنصور الامام مالك رضى الله عنه فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الامام مالك : يا أمير المؤمنين .. لا ترفع صوتك فى هذا المسجد فان الله تعالى أدب قوما فقال تعالى : « **لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض** »[(١)] ومدح قوما فقال : « **ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة وأجر عظيم** »[(٢)] وذم قوما فقال : « **ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون** »[(٣)] وان حرمته صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا . فاستكان له أبو جعفر .

---

(١) الحجرات : ٢ — (٢) الحجرات : ٣
(٣) الحجرات : ٤

فبكل هذا أخا الاسلام تكون أهلا لرحمة الله تعالى ورعايته لك ولأهلك ومالك ودينك ودنياك ، اذ الجزاء كما عرفت سابقا من جنس العمـل ، والى هذا يشير سبحانه وتعـالى فى قوله : « **فاذكرونى أذكركم** »(١) .

وقوله : « **ان تنصروا الله ينصركم** »(٢) .

وقد مدح الله تعالى المتقين الحافظين لحدوده فقال : « **وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد . هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ . من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب** »(٣) .

* * *

وأما قوله صلى الله عليه وسلم :

* (احفظ الله تجده تجاهك) : فالمراد : احفظ الله وكن ممن « **خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب** »(٤) : تجده أمامك ، أى معك بالحفظ والاحاطة والتـأييد والاعانة حيثما كنت فتستأنس به وتستغنى به عن خلقه .

واذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

* * *

والمراد بقوله صلى الله عليه وسلم بعد هذا :

* (واذا سألت فاسأل الله) أى : اذا أردت سؤال شىء فاسأل الله أن يعطيك اياه ، ولا تسأل غيره ، لأنه لا قادر ولا متفضل غيره ، فهو أحق أن يقصد .

وقد أمر الله الناس أن يدعوه ويضرعوا اليه ووعدهم أن يستجيب لهم ويحقق لهم سؤالهم ، فقال تعالى : « ... **ادعونى أستجب لكم** »(٥)

وقال : « **ادعوا ربكم تضرعا وخفية** »(٦) .

ولهذا كان الدعاء هو العبادة كما جاء فى حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الدعاء

---

(١) البقرة : ١٥٢
(٢) محمد : ٧
(٣) سورة ق : ٣١ — ٣٣
(٤) سورة ق : ٣٣
(٥) غافر : ٦٠
(٦) الأعراف : ٥٥

هو العبادة ، ثم قرأ : « **ادعوني أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** »[١] .

وعن الحسن رضي الله عنه : أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه : أين ربنا ؟ فأنزل الله : « **واذا سألك عبادى عنى فاني قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان** »[٢] .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل قال : « أربع خصال : واحدة منهن لى ، وواحدة لك ، وواحدة فيما بينى وبينك ، وواحدة فيما بينك وبين عبادى ، فأما التى لى : لا تشرك بى شيئا . وأما التى لك : فما عملت من خير جزيتك عليه . وأما التى بينى وبينك : فمنك الدعاء وعلى الاجابة ، وأما التى بينك وبين عبادى : فارض لهم ما ترض لنفسك »[٣] .

وحتى تعرف فضل الدعاء وتكون من الحريصين عليه ، اليك أيضا هذه الأحاديث الشريفة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ليس شىء أكرم على الله من الدعاء »[٤] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يغنى حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وان البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان[٥] الى يوم القيامة »[٦] .

وعن سلمان الفارسى رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يرد القضاء الا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر الا البر »[٧] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السموات والأرض »[٨] .



(١) غافر : ٦٠
(٢) البقرة : ١٨٦
(٣) رواه ابو يعلى .
(٤) رواه الترمذى وابن ماجه .
(٥) اى يتصارعان ويتدافعان .
(٦) رواه البزار والطبرانى والحاكم وقال : صحيح الاسناد .
(٧) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .
(٨) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد ورواه ابو يعلى من حديث على

هذا وللدعاء آداب ، منها :

تحرى الحلال : وهو من أهم شرائطه ، فقد أخرج الحافظ ابن مردويه عن ابن عباس قال : تليت هذه الآية عند النبى صلى الله عليه وسلم : « **يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا** »[١] ، فقام سعد بن أبى وقاص فقال : « يا رسول الله .. ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ، فقال : « يا سعد .. أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده ان الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به » .

ــ استقبال القبلة ان أمكن ، فقد خرج النبى صلى الله عليه وسلم يستسقى فدعا واستسقى واستقبل القبلة .

ــ ملاحظة الأوقات الفاضلة ، والحالات الشريفة : كيوم عرفة ، وشهر رمضان ، ويوم الجمعة ، والثلث الأخير من الليل ، ووقت السحر ، وأثناء السجود ، ونزول الغيث ، وبين الأذان والاقامة . والتقاء الجيوش ، وعند الوجل ورقة القلب .

ــ رفع اليدين حذو المنكبين : فقد روى عن مالك بن يسار أنه صلى الله عليه وسلم قال : « اذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ، ولا تسألوه بظهورها » .

ــ البدء بحمد الله وتمجيده والثناء عليه ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو فى صلاته ولم يمجد الله تعالى ، ولم يصل على النبى فقال : « عجل هذا » ثم دعاه فقال له ــ أو لغيره ــ : « اذا صلى[٢] أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه عز وجل ، والثناء عليه ، ثم يصلى على النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم يدعو بما شاء »[٣] .

ــ حضور القلب واظهار الفاقة والضراعة الى الله جل شأنه وخفض الصوت بين المخافتة والجهر ، قال الله تعالى : « **ولا تجهر بصلاتك**

---

(١) البقرة : ١٦٨ (٢) صلى : أى دعا .

(٣) رواه أبو داوود والنسائى والترمذى وصححه .

ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا »[١] ، وقال : « **ادعوا ربكم تضرعا وخفية ، انه لا يحب المعتدين »**[٢] .

ـ الدعاء بغير اثم أو قطيعة رحم : فعن أبى سعيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث خصال : اما أن يعجل له دعوته ، واما أن يدخرها له فى الآخرة ، واما أن يصرف عنه من السوء مثلها » قالوا : اذن نكثر . قال : « الله أكثر »[٣] .

ـ عدم استبطاء الاجابة : فعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : دعوت فلم يستجب لى »[٤] .

ـ الدعاء مع الجزم بالاجابة : فعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يقولن أحدكم : اللهم اغفر لى ان شئت ، اللهم ارحمنى ان شئت ، ليعزم المسألة فانه لا مكره له »[٥] .

ـ اختيار جوامع الكلم ، مثل : « ... **ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** »[٦] .

ـ تجنب الدعاء على النفس والأهل والمال : فقد ورد عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على خدمكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء يستجاب لكم » .

ـ تكرار الدعاء ثلاثا : فقد ورد عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه أن يدعو ثلاثا ويستغفر ثلاثا[٧] .

ـ البدء بالدعاء للنفس قبل الدعاء للغير : وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى هذا فى قوله : « **ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا**

---

(١) الاسراء : ١١٠ .
(٢) الأعراف : ٥٥
(٣) رواه أحمد .
(٤) رواه مالك .
(٥) رواه ابو داوود .
(٦) البقرة : ٢٠١
(٧) رواه ابو داوود .

بالايمـــان »[١] ، وعن أبى بن كعب قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا فدعا له بدأ بنفسه »[٢] •

ـ مسح الوجه باليدين عقب الدعاء وحمد الله وتمجيده والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وقد روى مسح الوجه باليدين من عدة طرق كلها ضعيفة ، وأشار الحافظ الى أن مجموعها تبلغ به درجة الحسن •

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وكن دائما وأبدا مع الله سبحانه وتعالى حتى يكون معك •• واياك أن تسأل غيره ، وحسبك هذه الأقوال :

قال طاووس لعطاء : اياك أن تطلب حوائجك ممن يغلق بابه دونك ، وعليك بمن بابه مفتوح الى يوم القيامة وقد أمرك أن تسأله ووعدك أن يجيبك •

وقال الفضيل بن عياض : أحب الناس الى الناس من استغنى عن الناس ، وأبغض الناس الى الناس من احتاج الى الناس وسألهم ، وأحب الناس الى الله عز وجل من سأله واستغنى به عن غيره ، وأبغض الناس اليه تعالى من استغنى عنه وسأل غيره •

وقال ابن السماك : فى طلب الرجل الحاجة من أخيه فتنة ، ان هو أعطاه حمد غير الذى أعطاه وان منعه ذم غير الذى منعه ، لأنه لا معطى ولا مانع فى الحقيقة الا الله •

وقال عامر بن قيس : قرأت آيات فى كتاب الله تعالى فاستغنيت بها عن النـــاس ، قوله تعـــالى : **« وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو »**[٣] فلم أسأل غيره كشف ضرى ، وقوله تعالى : **« وان يردك بخير فلا راد لفضله »**[٤] ، فلم أرد الخير والفضل الا منه ، وقوله عز وجل : **« وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها »**[٥] ، فلم أطلب الرزق من غيره فأغنانى عن الناس بهذه الآيات •

---

(١) الحشر : ١٠
(٢) رواه الترمذى باسناد صحيح . (٣) الأنعام : ١٧ ، ويونس : ١٠٧
(٤) يونس : ١٠٧ (٥) هود : ٦

وكان بعضهم يقع سوطه فلا يســأل أحدا أن يناوله اياه لأن السؤال فيه ذل وافتقار •

وكان بعضهم يقول : من احتجت أليه هنت عليه •

* * *

واعلم أن السؤال مذموم اذا كان لآدمى وأما سؤال الله سبحانه وتعالى فينبغى للانسان أن لا يتركه فى أمر من الأمور لأنه سبحانه وتعالى أمرنا به حيث قال : « **واسألوا الله من فضله** »[1] •

وفى الحديث الشريف : « **من لم يسأل الله يغضب عليه** » •

وحول كل هذا يقول أحدهم :

لا تسألن بنى آدم حاجة وسل الذى أبوابه لا تحجب
الله يغضب ان تركت ســؤاله وبنى آدم حين يسئل يغضب

* * *

وأما المراد بقوله صلى الله عليه وسلم :

* (واذا استعنت فاستعن بالله) أى : اذا طلبت الاعانة على أمر من أمور الدنيا والآخرة فاستعن بالله تعالى لأنه القادر على كل شىء وغيره عاجز عن كل شىء حتى جلب مصالح نفسه ودفع مضارها • وقد كتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز : « لا تستعن بغير الله يكلك الله اليه » • وتأمل قول القائل :

اذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده

وحسبك هذا الحديث القدسى الذى يقول الله تعالى فيه :

« ابن آدم •• أنزلت عليك سبع آيات ، ثلاث لى ، وثلاث لك ، وواحدة بينى وبينك ، فأما التى لى : فـــ « **الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • مالك يوم الدين** » ، والتى بينى وبينك : « **اياك نعبــد واياك نســتعين** » ، منك العبــادة وعلى العــون ، وأما التى لك : « **اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** »[2] •

---

(١) النساء : ٣٢

(٢) رواه الطبرانى فى معجمه « الأوسط » عن أبى بن كعب •

واعلم أن : « من اعتمد على ماله قل ، ومن اعتمد على عقله ضل ، ومن اعتمد على جاهه ذل ، ومن اعتمد على الله لا قل ، ولا ضل ، ولا ذل »[١] .

« واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف »[٢] .

وهذا معناه أنه ليست هناك قوة على وجه الأرض تستطيع أن تنفع أو تضر الا بارادة الله سبحانه وتعالى التى قدرها أزلا فى لوحه المحفوظ .

وأن كل انسان فى هذه الحياة الأولى ميسر لما خلق له كما جاء فى الحديث الذى رواه جابر رضى الله عنه والذى يقول فيه :

جاء سراقة بن مالك بن جعشم رضى الله عنه فقال : يا رسول الله .. بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن .. فيم العمل اليوم فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ؟ قال : ففيم العمل ؟ قال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله »[٣] .

ولهذا كان من المفروض أن لا يكون هناك جبن أو خوف ، وهم أو حزن ، ما دام الله سبحانه وتعالى قد قدر كل هذا وأراده .

مع ضرورة الأخذ بالأسباب كما أمر الله سبحانه وتعالى سواء أكان هذا فى سبيل الدفاع عن الدين والوطن كما جاء فى قوله تعالى :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »[٤] .

وسواء أكان فى سبيل طلب الرزق كما جاء فى قوله تعالى : **« فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور »**[٥] فالله سبحانه وتعالى قبل أن يأمرنا باعداد العدة لملاقاة الأعداء ، والسعى فى مناكب الأرض طلبا للرزق ، كان قد قدر أزلا نتائج المعارك ، كما قسم الأرزاق ،

---

(١) من كلام سيدنا على .
(٢) من حديث رواه الترمذى .
(٣) أخرجه مسلم .
(٤) الأنفال : ٦٠
(٥) الملك : ١٥

ومع هذا كما عرفت فقد أمر باعداد العدة وطلب الرزق أخذا بالأسباب كما أشرت وفى هذا يقول أحدهم :

توكل على الرحمن فى الأمر كله	ولا ترغبن فى العجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله قال لمريم	وهزى اليك الجزع يساقط الرطب
ولو شاء أدلى الجزع من غير هزه	اليها ولكن كل شىء له سبب

* * *

واذا كانت الوصية التى وقفت على شرحها بايجاز قد رواها الترمذى عليه رحمة الله فقد رواها غيره بهذا النص الذى أرجو أن تنتفع به كذلك وهو :

* (احفظ الله تجده أمامك ، تعرف على الله فى الرخاء يعرفك فى الشـدة .

واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك .

واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا) .

* * *

الوصية التاسعة والعشرون

روى اسماعيل بن محمد عن أبيه عن جده رضى الله عنهم أجمعين : أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. أوصنى وأوجز . فقال :

« عليك باليأس مما فى أيدى الناس فانه الغنى ، واياك والطمع فانه الفقر الحاضر ، وصل صلاتك وأنت مودع ، واياك وما يعتذر منه » .

(رواه الحاكم والبيهقى فى كتاب « الزهد » وقال الحاكم : صحيح الاسـناد) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

هذا الرجل الموفق الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم — كما عرفت — أوصنى ... فقال له ولجميع أحبابه الذين يرجو لهم العزة والكرامة بين الناس حتى يتحقق الايمان فيهم ، كما جاء فى قول الله تعـالى : **« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »**[1] :

* (عليك باليأس مما فى أيدى الناس فانه الغنى) :

أى : اذا أردت أن تكون غنيا عن الناس لا تمدن عينيك الى ما فى أيديهم من حطام أو طعام ، لأن الناس عادة لا يحبون غير الذى لا ينازعهم فيما فى أيديهم ، وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسـلم هذا المعنى الواضح ى حديث شريف روى :

عن العباس سهل بن سعد الساعدى رضى الله تعالى عنه ، قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا رسول الله .. دلنى على عمل اذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ، فقال : « ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس »[2] .

---

(١) المنافقون : ٨

(٢) رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة .

فبهذا وحده تستطيع أن ترفع رأسك بين الناس بالاضافة الى حبهم لك كما عرفت .. وفى هذا المعنى يقول أحدهم :

كن زاهدا فيما حوت أيدى الورى   تضحى الى كل الأنام حبيبا

وقال الحسن البصرى رحمه الله : لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع فى دنياهم فاذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه .

وقال أعرابى لأهل البصرة : من سيدكم ؟ قالوا : الحسن . قال : بم سادكم ؟ قالوا : احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم ، فقال : ما أحسن هذا .

وسأل كعب الأحبار عبد الله بن سلام بحضرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد ما حفظوه وعقلوه ؟ فقال : يذهبه الطمع وطلب الحاجات الى الناس . فقال : صدقت .

وقال الحسن الشاذلى عليه رحمة الله : دخل على بالمغرب بعض الأكابر ، فقال : ما أرى لك كبير عمل .. فيم فقت الناس وعظموك ؟ فقلت : بخصلة واحدة وهى : الاعراض عنهم وعن دنياهم .

* * *

وحسبك توضيحا لهذا المعنى أن تقرأ قول الله تعالى :

« ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وأبقى . وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ،لا نسألك رزقا ، نحن نرزقك ، والعاقبة للتقوى »[1] .

فقد ورد فى تفسير هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بابل بنى المصطلق وقد عبست فى أبوالها وأبعارها من السمن فتقنع بثوبه ثم مضى ، لقوله عز وجل : **« ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ... »** الآية ، ثم سلاه ، فقال : **« ورزق ربك خير وأبقى »** أى ثواب الله على الصبر وقلة المبالاة بالدنيا أولى ، لأنه يبقى والدنيا تفنى . وقيل : يعنى بهذا الرزق ما يفتح الله على المؤمنين من البلاد والغنـــائم .

وأما قوله تعالى : **« وأمر أهلك بالصلاة ... »** الآية ، فهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ويدخل فى عمومه جميع أمته ، وأهل بيته

---

(١) طه : ١٣١ ، ١٣٢

على التخصيص ، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية يذهب كل صباح الى بيت فاطمة وعلى رضوان الله عنهما ، فيقول : « الصلاة » .

ويروى أن عروة بن الزبير رضى الله عنه ، كان اذا رأى شيئا عن أخبار السلاطين وأحوالهم بادر الى منزله فدخله ، وهو يقرأ : « **ولا تمدن عينيك** ... » الآية الى قوله : « **وأبقى** » ، ثم ينادى بالصلاة : الصلاة يرحمكم الله ، ويصلى .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوقظ أهل داره لصلاة الليل ويصلى وهو يتمثل بالآية .

وقال القرطبى فى قوله تعالى : « **لا نسألك رزقا** ... » الآية ، أى لا نسألك أن ترزق نفسك واياهم ، وتشتغل عن الصلاة بسبب الرزق ، بل نحن نتكفل برزقك واياهم ، فكان عليه الصلاة والسلام اذا نزل بأهله ضيق أمرهم بالصلاة ، وقد قال تعالى : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين** »(١) .

وفى قوله تعالى : « **والعاقبة للتقوى** » أى الجنة لأهل التقوى ، يعنى العاقبة المحمودة ، وقد تكون لغير التقوى عاقبة ولكنها مذمومة فهى كالمعدومة .



فلاحظ كل هذا حتى تنتفع به ، ثم اقرأ بعد ذلك قوله تعالى :

« **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ، واسألوا الله من فضله ، ان الله كان بكل شىء عليما** »(٢) .

• فقد روى الترمذى فى تفسير هذه الآية عن أم سلمة أنها قالت : يغزوا الرجال ولا يغزوا النساء ، وانما لنا نصف الميراث ، فأنزل الله تعالى : « **ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** » .

وقال مجاهد : فأنزل الله فيها : « **ان المسلمين والمسلمات** ... »(٣) وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة .

---

(١) الذاريات : ٥٦ — ٥٨ (٢) النساء : ٣٢
(٣) الأحزاب : ٣٥

وقال قتادة : كانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان فلما ورثوا وجعل للذكر مثل حظ الأنثيين تمنى النساء أن لو جعل أنصباؤهن كأنصباء الرجال ، وقال الرجال : انا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا فى الآخرة كما فضلنا عليهن فى الميراث ، فنزلت : **« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض »**(١) •

قال القرطبى : التمنى نوع من الارادة يتعلق بالمستقبل كالتلهف ونوع منها يتعلق بالماضى ، فنهى الله سبحانه المؤمنين عن التمنى ، لأن فيه تعلق البال ونسيان الأجل •

وقد اختلف العلماء : هل يدخل فى هذا النهى الغبطة وهى أن يتمنى الرجل أن يكون له حال صاحبه وان لم يتمن زوال حاله ، والجمهور على اجازة ذلك : مالك وغيره ، وهو المراد عند بعضهم فى قوله عليه الصلاة والسلام : « لا حسد الا فى اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » •

فمعنى قوله : « لا حسد » أى لا غبطة أعظم وأفضل من الغبطة فى هذين الأمرين •• وقد نبه البخارى على هذا المعنى حيث بوب على هذا الحديث : « باب الاغتباط فى العلم والحكمة » •

وقال المهلب : بين الله تعالى ما لا يجوز تمنيه ، وذلك ما كان من عرض الدنيا وأشباهها •

وقال ابن عطية : وأما التمنى فى الأعمال الصالحة فذلك هو الحسن ، وأما اذا تمنى المرء على الله من غير أن يقرن أمنيته بشىء مما قدمنا ذكره فذلك جائز ، وذلك موجود فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : « وددت أن أحيا ثم أقتل » •

ثم قال القرطبى : وهذا كله يدل على أن التمنى لا ينهى عنه اذا لم يكن داعية الى الحسد والتباغض ، والتمنى المنهى عنه فى الآية من هذا القبيل ، فيدخل فيه أن يتمنى الرجل حال الآخر من دين أو دنيا على أن يذهب ما عند الآخر ، وسواء تمنيت مع ذلك أن يعود اليك أو لا • وهذا هو الحسد بعينه ، وهو الذى ذمه الله تعالى بقوله :

« أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله •• »(٢) •

---

(١) النساء : ٣٢ (٢) النساء : ٥٤

ويدخل فيه أيضا : خطبة الرجل على خطبة أخيه ، وبيعه على بيعه ، لأنه داعية الى الحسد والمقت ، وقال الضحاك : لا يحل لأحد أن يتمنى مال أحد ، ألم تسمع الذين قالوا :

« يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون ... »(١) .

الى أن قال : **« وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون .. »**(٢) حين خسف به وبداره وأمواله : **« لولا أن من الله علينا لخسف بنا »**(٣)

وقال الكلبى : لا يتمن الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه ، ولا دابته ، ولكن ليقل : اللهم ارزقنى مثله ، وهو كذلك فى التوراة ، وكذلك قوله تعالى فى القرآن : **« واسألوا الله من فضله »**(٤) .

وقال ابن عباس : نهى الله سبحانه وتعالى أن يتمنى الرجل مال أخيه وأهله ، وأمر عباده المؤمنين أن يسألوه من فضله .

ومن الحجة للجمهور قوله صلى الله عليه وسلم : « انما الدنيا لأربعة نفر : رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ويصل به رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا أفضل المنازل . ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء ... »(٥) .

وقال الحسن : لا يتمن أحدكم المال وما يدريه لعل هلاكه فيه ، وهذا انما يصح اذا تمناه للدنيا ، وأما اذا تمناه للخير فقد جوزه الشرع . فيتمناه العبد ليصل به الى الرب ، ويفعل الله ما يشاء .

والمراد بقوله تعالى : **« للرجال نصيب مما اكتسبوا »**(٦) أى من الثواب والعقاب . وللنساء كذلك ، قاله قتادة ، فللمرأة الجزاء على الحسنة بعشر أمثالها كما للرجال .

وقال ابن عباس : المراد بذلك الميراث ، والاكتساب على هذا القول بمعنى الاصابة ، للذكر مثل حظ الأنثيين ، فنهى الله عز وجل عن التمنى على هذا الوجه لما فيه من دواعى الحسد ، ولأن الله تعالى أعلم بمصالحهم منهم ، فوضع القسمة بينهم على التفاوت على ما علم من مصالحهم .

---

(١) القصص : ٧٩ — (٢) القصص : ٨٢
(٣) القصص : ٨٢ — (٤) النساء : ٣٢
(٥) الحديث اخرجه الترمذى وصححه .
(٦) النساء : ٣٢

وأما المراد بقوله تعالى : « **واسألوا الله من فضله** » فقد روى الترمذى عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سلوا الله من فضله فانه يحب أن يسئل ، وأفضل العبادة انتظار الفرج » وخرج أيضا ابن ماجه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يسأل الله يغضب عليه » •

وهذا يدل على أن الأمر بالسؤال لله تعالى واجب ••

وقال سعيد بن جبير : « **واسألوا الله من فضله** » العبادة ، ليس من أمر الدنيا • وقيل : سلوه التوفيق للعمل بما يرضيه •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : سلوا ربكم حتى الشبع ، فانه ان لم ييسره الله عز وجل لم ييسر •

وقال سفيان بن عيينة : لم يأمرنا بالسؤال الا ليعطى •



فلا تنس كل هذا أخا الاسلام وكن دائما وأبدا معتمدا على الله تعالى وحده فهو سبحانه وتعالى المعز المذل الذى بيده الخير وهو على كل شىء قدير •

وحسبى فى نهاية هذا العنصر أن أسوق اليك هذه الآثار التى تتصل اتصالا وثيقا به والتى سترى من خلالها ضرورة الاستغناء عن النـــاس :

قال سليمان بن عبد الملك لأبى حازم — وقد كان من العلماء العاملين — بعد أن استمع الى مواعظه وتأثر بها : يا أبا حازم •• أقم عندنا فنصيب منك ، قال : أخاف أن أركن الى الذين ظلموا فتمسنى النار ، قال سليمان : خذ هذا المـــال ، قال أبو حازم : مالى خير من مالكم ، قال سليمان : وما مالك ؟ قال : الثقة بالله ، والاعتماد على الله ، والرضا بما عند الله •

وقال ابن عباد الصيرفى البغدادى : بينما أنا نائم ، اذ قيل لى فى المنام : يا عباد •• قم فأغث الملهوف ، فقلت : وأين هو ؟ فقيل لى : اركب دابتك ، فهو حيثما وقفت • قال : فانتبهت من نومى ، وركبت دابتى ، وجعلت أتخلل أزقة بغداد ، حتى انتهيت الى مسجد ، فوقفت الدابة ، ونزلت عنها ، ودخلت المسجد ، فاذا برجلَ مستقبلَ القبلة ، فسلمت عليه وقلت : ما قضيتك ؟ قالَ : انى رجلَ ذو عيالَ ، ولم يكن

عندهم الليلة شيء ، فجلست ههنا ، وطلبت من الله الفرج ، قال : فأعطيته مائة دينار ، وقلت له : أنا ابن عباد الصيرفى ، فاذا احتجت الى شيء فائتنى ، فقال : سبحان الله •• أترك الذى أقامك من فراشك ، وأتى بك الى فى ظلمة الليل ، وأذهب الى غيره ؟ فودعته وانصرفت •

وقال الأحنف بن قيس : شكوت الى عمى وجعا فى بطنى فنهرنى ثم قال : يا ابن أخى •• اذا نزل بك شيء فلا تشكه الى أحد فانما الناس رجلان : صديق تسوءه وعدو تسره ، والذى بك لا تشكه الى مخلوق مثلك لا يقدر على دفع مثله عن نفسه ، ولكن اشك لمن ابتلاك به فهو قادر على أن يفرج عليك ، يا ابن أخى •• أحدى عينى هاتين ما أبصر بها سهلا ولا جبلا من أربعين سنة وما أطلعت على ذلك امرأتى ولا أحد من أهلى •

وروى أن حاتم الأصم قال لأولاده : انى أريد الحج فبكوا وقالوا : الى من تكلنا ؟ وكان له بنت فقالت : دعوه يذهب فليس برازق فخرج فباتوا جياعا ، فجعلوا يوبخون تلك البنت ، فقالت : اللهم لا تخجلنى بينهم ، فمر بهم أمير البلد فقال لبعض أصحابه : اطلب لى ماء ، فناوله أهل حاتم (كوزا) جديدا وماء باردا فشرب ، فقال : دار من هذه ؟ فقالوا : دار حاتم الأصم فرمى فيها منطقة من ذهب وقال : من أحبنى وافقنى ، فرمى العسكر كلهم ما معهم من المـال فى هذا الاناء • فجعلت البنت تبكى ، فقالت أمها : ما يبكيك وقد وسع الله علينا ؟ فقالت : لأن مخلوقا نظر الينا فاغتنينا فكيف لو نظر الخالق الينا !!

وحكى أن ملكين تقابلا فى السماء ، فقال أحدهما للآخر : أين كنت ؟ فقال : كنت فى المشرق ، اذ أرسلنى ربى الى كنز فى بيت رجل ، فخسفت به الأرض ، ثم قال لصاحبه : وأنت أين كنت ؟ قال : كنت فى المغرب ، اذ أرسلنى ربى أن أضع الكنز الذى خسفته فى بيت رجل فقير ، فسمعمها رضوان ، خازن الجنة ، فقال : قصتى أعجب من أمركما ، لقـد أمرنى ربى أن أبنى قصرين فى الجنة لصاحب الكنز والفقير ، ثم قالوا : يا ربنا •• أطلعنا على هذه الكرامة التى أكرمت بها صاحب الكنز والفقير ، فقال سبحانه : أما صاحب الكنز ، فانه لـمـا خسف بكنزه صبر وقال : الحمد لله الذى جعلنى راضيا بقدره • وأما الفقير فلم يبطره الكنز ، بل شكر ، وقال : الحمد لله الذى أغنانى عن خلقه ، والصابر والشاكر لهما الجنة •

وكان زيد بن مسلمة يغرس فى أرضه ، فقال له عمر : أصبت ، استغن عن الناس يكن أصون لدينك ، وأكرم لك عليهم كما قال صاحبكم أحيحة :

انى أقيم على الزوراء أعمرها   ان الكريم على الاخوان ذو مال

وجاءت ريح عاصفة فى اليم ، فقال أهل السفينة لابراهيم بن أدهم وكان معهم فيها : أما ترى هذه الشدة ؟ فقال : ما هذه بشدة ، انما الشدة الحاجة الى الناس .

وسمع أحد الأدباء رجلا فى الثلث الأخير من الليل يقول :

أكرم نفسى اننى ان أهنتها   وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فأعجبه قوله فأتاه حتى وقف على رأسه فاذا به يقم الشارع (زبال) ليبيع القمامة ويمون نفسه وعياله ثمنها ، فقال له : أنت تقول : أكرم نفسى ؟ فأى اكرام أنت فيه مع ما تصنع من جمع القمامة ؟ فقال له : اليك عنى .. لقد أكرمتها بهذه الحرفة عن ذل السؤال لمثلك . فقال : صدقت وقبله بين عينيه .

* * *

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد حذرك بعد ذلك من الطمع فقال :

* (واياك والطمع فانه الفقر الحاضر) :

فحسبك هذا المعنى الكبير الذى ركز عليه الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى .

وذلك لأن الانسان اذا ابتلى بداء الطمع لا يشبع أبدا مهما أعطاه الله من خيرات ، وقد ورد فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب »[1] .

ولهذا كان لابد من كسر جماح هذه النفس الأمارة بالسوء والتى ان تركها الانسان وما تشتهى أوردته المهالك ، وعلاج هذا الداء الوبيل وهو الرضا بالقليل ومحاربة هذه الشهوات النفسية التى ترجو المزيد

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس وانس .

من حطام الدنيا ، وحسبك حتى لا أطيل عليك هذه الآثار التى أرجو أن تنتفع بها فى هذا الموضوع :

روى أن موسى عليه السلام سأل ربه تعالى فقال : أى عبادك أغنى ؟ قال : أقنعهم بما أعطيته • قال : فأيهم أعدل ؟ قال : من أنصف الناس من نفسه •

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا هريرة •• اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز من ماء وعلى الدنيا الدمار » •

وقال عمر رضى الله عنه : ان الطمع فقر ، وان اليأس غنى ، وانه من ييأس عما فى أيدى الناس استغنى عنهم •

وقيل لبعض الحكماء : ما الغنى ؟ قال : قلة تمنيك ، ورضاك بما يكفيك ، وفى ذلك قيل :

العيش ساعات تمر — وخطوب أيام تكر
اقنع بعيشك ترضه — واترك هواك تعيش حر
فلرب حتف ساقه — ذهب وياقوت ودر

وكان محمد بن واسع : يبل الخبز اليابس بالماء ويأكله ، ويقول : من قنع بهذا لم يحتج الى أحد •

وقال سفيان : خير دنياكم ما لم تبتلوا به ، وخير ما ابتليتم به ما خرج من أيديكم •

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : ما من يوم الا وملك ينادى : يا ابن آدم •• قليل يكفيك ، خير من كثير يطغيك •

وقال سميط بن عجلان : انما بطنك يا ابن آدم شبر فى شبر ، فلم يدخلك النار ؟

وقيل لحكيم : ما مالك ؟ فقال : التجمل فى الظاهر ، والقصد فى الباطن ، واليأس مما فى أيدى الناس •

وروى أن الله عز وجل ، قال : يا ابن آدم •• لو كانت الدنيا كلها لك ، لم يكن لك منها الا القوت ، واذا أنا أعطيتك منها القوت ، وجعلت حسابها على غيرك ، فأنا اليك محسن •

وقال ابن مسعود : اذا طلب أحدكم الحاجة ، فليطلبها طلبا يسيرا ، ولا يأتى الرجل فيقول : انك وانك ، فيقطع ظهره ، فانما يأتيه ما قسم من الرزق — أو ما رزق •

وكتب بعض بنى أمية الى أبى حازم ، يعزم عليه الا رفع اليه حوائجه ، فكتب اليه : قد رفعت حوائجى الى مولاى ، فما أعطانى منها قبلت ، وما أمسك عنى قنعت •

وقال عمر رضى الله عنه : ألا أخبركم بما أستحل من مال الله تعالى ؟ حلتان لشتائى وقيظى ، وما يسعفنى من الراحلة لحجى وعمرتى ، وقوتى بعد ذلك كقوت رجل من قريش ، لست بأرفعهم ولا بأوضعهم ، فوالله ما أدرى أيحل ذلك لى أم لا ؟

وقال أبو محمد البريدى : دخلت على الرشيد ، فوجدته ينظر فى ورقة مكتوب فيها بالذهب ، فلما رآنى تبسم • فقلت : فائدة •• أصلح الله أمير المؤمنين ! قال : وجدت هذين البيتين فى بعض خزائن بنى أمية فاستحسنتهما وقد أضفت اليهما ثالثا ، وأنشدنى :

اذا سد باب عنك من دون حاجة فدعه لأخرى ينفتح لك بابها
فان قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوآت الأمور اجتنابها
ولا تك مبذالا لقرضك واجتنب ركوب المعاصى يجتنبك عقابها

وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه : يا بنى •• اذا طلبت الغنى فاطلبه فى القناعة فانها مال لا ينفد ، واياك والطمع فانه فقر حاضر ، وعليك باليأس فانك لم تيأس من شىء الا أغناك الله عنه •

ودخل على بن أبى طالب رضى الله عنه المسجد وقال لرجل كان واقفا على باب المسجد : أمسك على بغلتى ، فأخذ الرجل لجامها ومضى وترك البغلة ، فخرج على وفى يده درهمان ليكافىء بهما الرجل على امساكه بغلته فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى ودفع لغلامه الدرهمين يشترى بهما لجاما ، فوجد الغلام اللجام فى السوق قد باعه السارق بدرهمين ، فقال على رضى الله عنه : ان العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدر له •

وقيل لحكيم : ما بال الشيخ أحرص على الدنيا من الشاب ؟ قال : لأنه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب •

وقيل للاسكندر : ما سرور الدنيا ؟ قال : الرضا بما رزقت منها ، قيل : فما غمها ؟ قال : الحرص عليها •

ولله در القائل :

أيا من عاش فى الدنيا طويلا وأفنى العمر فى قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى وجمع من حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا أليس مصير ذاك الى زوال

ومن أجمل ما قرأت فى هذا :

أن عيسى عليه السلام كان معه صاحب له يسيحان فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية ، فقال لصاحبه : انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية ، وقام عيسى يصلى ، فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فأبطأ عليه انصراف عيسى ، فأكل رغيفا ، فانصرف عيسى — من الصلاة — فقال : أين الرغيف الثالث ؟ فقال : ما كانا الا رغيفين ، فمرا على وجوههما حتى مرا بظباء ترعى ، فدعا عيسى عليه السلام ظبيا منها فذبحه ، ثم أكلا منه ، ثم قال عيسى للظبى : قم باذن الله فقام ، فقال الرجل : سبحان الله ! فقال عيسى : بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف ؟ قال : ما كانا الا إثنين ، فمضيا فمرا بنهر عظيم فأخذ عيسى بيده فمشى به على الماء حتى جاوزاه • فقال الرجل : سبحان الله ! فقال عيسى : بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف ؟ قال : ما كانا الا اثنين ، فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة واذا قريب منهما ثلاث أحجار كبيرة من ذهب ، فقال عيسى عليه السلام : واحدة لى ، وواحدة لك ، وواحدة لصاحب الرغيف الثالث ، فقال : أنا صاحب الرغيف الثالث ، فقال سيدنا عيسى : هى لك كلها • وفارقه ، فأقام عليها ليس معه ما يحملها عليه ، فمر به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا الذهب • فقال اثنان منهم لواحد : انطلق الى القرية فأتنا بطعام ، فذهب ، فقال أحد الباقين : نقتل هذا اذا جاء ونقسم هذا بيننا ، قال الآخر : نعم • قال الذى ذهب يشترى الطعام : أجعل فى الطعام سما فأقتلهما وآخذ الذهب وحدى ، ففعل ما أملاه عليه شيطانه • فلما عاد بالطعام المسموم أكلاه بعد أن قتلاه فماتا هما أيضا بجوار الذهب ، فمر سيدنا عيسى عليه السلام عليهم بعد ذلك وعندما رآهم صرعى أشار اليهم

والى الذهب قائلا لمن معه من الحواريين : هكذا الدنيا تفعل بأهلها فاحــذروها .

* * *

وهكذا ترى أخا الاسلام أنه لا عز الا فى القناعة ، وأنه اذا تربع الطمع على قلب العبد الغافل كان سببا فى هلاكه وحرمانه من السعادة فى الدارين .

ولهذا ــ كما رأيت ــ كان لابد وأن يكون الانسان قنوعا بما أعطاه الله تعالى دون تقصير من جانبه فى ميدان العمل ودون تبذير فى أمواله حتى يظل مستورا فى حياته الأولى الى أن يموت مرفوع الهامة موفور الكرامة .

وقد ورد فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس »[1] .

وقال : « ما عال[2] من اقتصد »[3] .

وقال : « ثلاث منجيات : خشية الله فى السر والعلانية ، والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل فى الرضا والغضب »[4] .

وقال : « من اقتصد أغناه الله ، ومن بذر أفقره الله ، ومن ذكر الله عز وجل أحبه الله »[5] .

* * *

فلا تنس كل هذا مع الاستفادة بقول القائل :

ان ضن زيد بما فى بطن راحته[6] ... فالأرض واسعة والرزق مبسوط
ان الذى قدر الأشــياء بحكمته ... لم ينسنى قاعدا والرحل محطوط

والقــائل :

لقد علمت وما الاسراف من خلقى ... أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
أســعى اليــه فيعيينى تطلبه ... ولو قعــدت أتانى ليس يعيينى

---

(١) متفق عليه من حديث ابى هريرة .

(٢) اى افتقر .   (٣) رواه احمد والطبرانى .

(٤) رواه البزار والطبرانى وابو نعيم والبيهقى فى « الشعب » من حديث انس بسند ضعيف .

(٥) رواه البزار من حديث طلحة بن عبيد الله .

(٦) يعنى بما فى يده .

والقـائل :

اذا طاوعت حرصك كنت عـ ـبدا لكل دنيئة تدعى اليها

* * *

وأما قوله صلى الله عليه وسلم :

* (وصل صلاتك وأنت مودع) :

فالمراد به كما هو واضح فى هذا التركيز المحمدى : أن يكون هناك استعداد للقاء الله سبحانه وتعالى فى كل لحظة ، وذلك حتى يظل مراقبا لله سبحانه وتعالى ومقدما لنفسه أطيب الأعمال الى أن يموت قرير العين دون غفلة أو نسيان .

* * *

وحسبنا اذا أردنا أن نقف على أبعاد هذا التركيز الحيوى أن نقرأ هذا الحديث الشريف :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : مر بى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أطين[1] حائطا لى أنا وأمى فقال : « ما هذا يا عبد الله » ؟ فقلت : يا رسول الله .. وهي[2] فنحن نصلحه ، فقـال : « الأمر أسرع من ذلك »[3] .

وفى رواية قال : مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خصا لنا وهى ، فقال : « ما هذا » ؟ فقلنا : خص لنا وهى ، فنحن نصلحه ، فقال : « ما أرى الأمر الا أعجل من ذلك »[4] .

* * *

وهذا الفهم يتطلب أن يكون الانسان ذاكرا دائما وأبدا للموت دون انهماك فى هذه الدنيا التى أولها عناء وآخرها فناء .

* * *

وحتى تقف على أهمية ذكر الموت وفوائده اليك ما قاله الامام الغزالى عليه رحمة الله فى كتابه « الاحياء » :

---

(١) طانه وطينه : اى طلاه بالطين ولطخه به .

(٢) اى ضعف وهم بالسقوط .

(٣) يعنى انك لا تبقى فى الدنيا الى أن يسقط هذا الحائط ، بل العمر اقصر واسرع من ذلك .

(٤) رواه ابو داوود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .

اعلم أن المنهمك فى الدنيا ، المكب على غرورها ، المحب لشهواتها ، يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره ، واذا ذكر به كرهه ونفر منه ، أولئك هم الذين قال الله فيهم : « **قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ، ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** »[١] .

ثم : الناس اما منهمك ، واما تائب مبتدىء ، أو غارف منته :

فأما المنهمك : فلا يذكر الموت ، وان ذكره فيذكره للتأسف على دنياه ويشتغل بمذمته ، وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا .

وأما التائب : فانه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية ، فيفى بتمام التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة ، وقبل اصلاح الزاد ، وهو معذور فى كراهة الموت . ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم : « من كره لقاء الله كره الله لقاءه »[٢] فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله ، وانما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره .

وهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه . وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له ، لا شغل له سواه ، والا التحق بالمنهمك فى الدنيا .

وأما العارف : فانه يذكر الموت دائما لأنه موعد للقائه بحبيبه ، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب . وهذا فى غالب الأمر يستبطىء مجىء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين ، وينتقل الى جوار رب العالمين ، كما روى عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال : حبيب جاء على فاقة ، لا أفلح من ندم ، اللهم ان كنت تعلم أن الفقر أحب الى من الغنى ، والسقم أحب الى من الصحة ، والموت أحب الى من العيش ، فسهل على الموت حتى ألقاك .

فاذن التائب معذور فى كراهة الموت ، وهذا معذور فى حب الموت وتمنيه ، وأعلى منهما رتبة من فوض أمره الى الله تعالى ، فصار لا يختار لنفسه موتا ولا حياة ، بل يكون أحب الأشياء اليه أحبها الى

---

(١) الجمعة : ٨

(٢) متفق عليه من حديث ابى هريرة .

مولاه ، فهذا قد انتهى بفرض الحب والولاء الى مقام التسليم والرضا ، وهو الغاية والمنتهى .

وعلى كل حال ففى ذكر الموت ثواب وفضل ، فان المنهمك أيضا يستفيد بذكر الموت : التجافى عن الدنيا ، اذ ينغص عليه نعمه ، ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات والشهوات فهو من أسباب النجاة .

* * *

ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « أكثروا من ذكر هاذم اللذات »[1] .

ويقول : « أيها النـــاس .. استحيوا من الله حق الحياء » ، فقال رجل : يا رسول الله .. انا لنستحى من الله تعـــالى ، فقال : « من كان منكم مستحييا فلا يبيتن ليلة الا وأجله بين عينيه ، وليحفظ البطن وما وعى ، والرأس وما حوى ، وليذكر الموت والبلى ، وليترك زينة الدنيا »[2] .

* * *

وحتى تذكر الموت دائما وأبدا ولا تنس ما بعده من مواقف وأهوال اليك أيضا هذه الآثار الموضوعية التى أرجو أن تكون منتفعا بها حتى تلقى الله :

قال الربيع بن خيثم : ما غائب ينتظره المؤمن خيرا له من الموت .

وكتب بعض الحكماء الى رجل من اخوانه : يا أخى .. احذر الموت فى هذه الدار قبل أن تصير الى دار تتمنى فيها الموت ولا تجده .

وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه .

* * *

وقال كعب : من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها .

وقال الحسن : ما رأيت عاقلا قط الا أصبته من الموت حذرا ، وعليه حزينا .

---

(١) رواه الترمذى وقال : حسن ، والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة .

(٢) رواه الطبرانى فى « الأوسط » .

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء : عظنى .. فقال : لست أول خليفة تموت . قال : زدنى ، قال : ليس من آبائك أحد الى آدم الا ذاق الموت ، وقد جاءت نوبتك ، فبكى عمر لذلك .

وقال عليه رحمة الله لعنبسة : أكثر ذكر الموت ، فان كنت واسع العيش ضيقه عليك ، وان كنت ضيق العيش وسعه عليك .

وكان الربيع بن خيثم قد حفر قبرا فى داره فكان ينام فيه كل يوم مرات ليستديم بذلك ذكر الموت ، وكان يقول : لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة واحدة لفسد .

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير : ان هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه .

وقال أبو سفيان الدارنى : قلت لأم هارون : أتحبين الموت ؟ قالت : لا . قلت : لم ؟ قالت : لو عصيت آدميا ما اشتهيت لقاءه ، فكيف أحب لقاءه وقد عصيته ؟

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحـــدهم .



فاذكر كل هذا أخا الاسلام وانتظر لقاء الله سبحانه وتعالى فى كل لحظة ولا تنس أن الموت يأتى بغتة ، فقد تموت وأنت فى الطريق وقد تموت وأنت فى عملك أو بين أهلك ، وقد تموت فى غربة .

وتذكر دائما وأبدا قول الله تبارك وتعالى لنبيه وحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم : « **انك ميت وانهم ميتون** »[1] .

وتأمل قول القائل :

ولو كانت الدنيا تدوم لواحد لكان رسول الله فيها مخلدا

واذا كنت تريد تذكيرا بقرب منيتك ولا سيما اذا كنت شيخا مسنا فحسبك هذا الخبر الذى يحكى :

أن يعقوب عليه السلام كان مؤاخيا لملك الموت عليه السلام الذى زاره ذات يوم فقال له سيدنا يعقوب :

انى طالب منك حاجة بحق ما بيننا من اخوة وصداقة ، فقال له ملك الموت : سل ولك منى أن أنفذ لك مطلبك ما دام فى المستطاع ،

---

(١) الزمر : ٣٠

فقال له : أريد منك أن تخبرنى اذا دنى أجلى • فقال له ملك الموت : لك منى هذا ، ولن أرسل لك رسولا واحدا وانما سأرسل اليك رسولين أو ثلاثة •

وبعد أن اتفقا على هذا انصرف ملك الموت ، ثم عاد بعد فترة من الزمن الى سيدنا يعقوب الذى قال له متسائلا : أزائرا جئت أم قابضا ؟ فقال ملك الموت : بل قابضا • فتعجب سيدنا يعقوب ، ثم قال له : وأين رسلك الثلاثة ؟ فقال ملك الموت عليه السلام مخاطبا سيدنا يعقوب عليه السلام : بياض شعرك بعد سواده ، وضعف بدنك بعد قوته ، وانحناء جسمك بعد استقامته ، هذه رسلى يا يعقوب الى بنى آدم •

أما اذا كنت شابا فحسبك أن تقرأ قول القائل :

تزود من التقوى فانك لا تدرى — اذا جن ليل هل تعيش الى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة — وكم من عليل عاش حينا من الدهر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم — وقد دخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من فتى يمسى ويصبح ساهيا — وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى
وكم من عروس زينوها لزوجها — وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

* * *

واعلم أنه ليس هناك انسان يموت الا بعد أن يستوفى أجله الذى قدره الله سبحانه وتعالى له ، ولهذا كان من الخطأ الفاحش أن تقول لمن تعزيه فى وفاة عزيز : « البقية فى حياتك » لأن الفقيد الذى تعزى فيه لم ينتقل الى الدار الآخرة تاركا بقية من حياته حتى تطلب اضافتها الى عمر من تعزيه •

وحتى تعزى كما كان يعزى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك أيضا هذين الحديثين الشريفين :

روى البخارى عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : أرسلت ابنة النبى صلى الله عليه : ان ابنا لى قبض فأتنا ، فأرسل يقرىء السلام ويقول : « ان لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شىء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ، ولتحتسب » •

وروى الطبرانى والحاكم وابن مردويه بسند فيه رجل ضعيف عن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، أنه مات ابن له فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعزيه بابنه ، فكتب اليه : « بسم الله الرحمن

الرحيم ، من محمد رسول الله الى معاذ بن جبل •• سلام عليك ، فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد •• فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر ، ورزقنا واياك الشكر فان أنفسنا وأموالنا وأهلنا من مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة ، متعك الله به فى غبطة وسرور ، وقبضه منك بأجر كثير ، الصلاة والرحمة والهدى ان احتسبته فاصبر ولا يحبط جزعك أجرك فتندم ، واعلم أن الجزع لا يرد ميتا ، ولا يدفع حزنا ، وما هو نازل فكأن قد •• والسلام » •

والتعزية تؤدى بأى لفظ يخفف المصيبة ويحمل الصبر والسلوان ، والأفضل أن يقتصر على اللفظ الوارد •

وقد قال العلماء : فان عزى مسلما بمسلم قال : أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك ، وغفر لميتك •

وان عزى مسلما بكافر قال : أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك •
وان عزى كافرا بمسلم قال : أحسن الله عزاءك وغفر لميتك •
وان عزى كافرا بكافر قال : أخلف الله عليك •
وأما جواب التعزية فيؤمن المعزى ويقول للمعزى : آجرك الله •
وعند أحمد : ان شاء صافح المعزى وان شاء لم يصافح ، واذا رأى الرجل شق ثوبه على المصيبة عزاه ولا يترك حقا لباطل ، وان نهاه فحسن •

* * *

فلاحظ كل هذا بالاضافة الى كل ما وقفت عليه بالنسبة الى موضوع ضرورة ذكر الموت والاستعداد له قبل فوات فرصة الوجود فى هذه الحياة الأولى •

* * *

وقد يكون المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « وصل صلاتك وأنت مودع » هو : أن يكون المصلى خاشعا فى صلاته بمعنى أن يكون حاضر القلب فيها ، والا كانت صلاته لا ثمرة لها ، وقد ورد فى هذا حديث شريف يقول فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم : « كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب » كما ورد أيضا أنه قال : « ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها » •

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى الصلوات لوقتها ، وأسبغ لها وضوءها ، وأتم لها قيامها وخشوعها ، وركوعها وسجودها ، خرجت وهى بيضاء مسفرة تقول : حفظك الله كما حفظتنى ، ومن صلاها لغير وقتها ، ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ، ولا ركوعها ، ولا سجودها ، خرجت وهى سوداء مظلمة ، تقول : ضيعك الله كما ضيعتنى ، حتى اذا كانت حيث شاء الله ، لفت كما يلف الثوب الخلق[١] ، ثم ضرب بها وجهه »[٢] .

وعن أبى مسعود البدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجزىء صـــلاة الرجل حتى يقيم ظهــره فى الركوع والسجود »[٣] .

وعن أبى قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته » قالوا : يا رسول الله .. كيف يسرق من الصـــلاة ؟ قال : « لا يتم ركوعها ولا سجودها ــ أو قال : لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود ــ »[٤] .

وعن أبى عبد الله الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده وهو يصلى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو مات هذا على حالته هذه مات على غير ملة محمد » ــ صلى الله عليه وسلم ــ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل الذى لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده ، مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئا »[٥] .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان العبد اذا صلى فلم يتم صلاته خشوعها ولا ركوعها ، وأكثر الالتفات لم تقبل منه ، ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه وان كان على الله كريما »[٦] .

---

(١) القديم البالى .
(٢) رواه الطبرانى فى « الأوسط » .
(٣) رواه احمد وابو داوود واللفظ له .
(٤) رواه احمد والحاكم .
(٥) رواه الطبرانى فى « الكبير » .
(٦) رواه الطبرانى .

وثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فيه ، فصلى الرجل ، ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ، فرد عليه السلام ، ثم قال : « ارجع فصل فانك لم تصل » فرجع فصلى كما صلى ، ثم جاء فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال : « ارجع فصل فانك لم تصل » ـ ثلاث مرات ـ فقال فى الثالثة : والذى بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن غيره ، فعلمنى . فقال عليه الصلاة والسلام : « اذا قمت الى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم اجلس حتى تطمئن جالسا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، وافعل ذلك فى صلاتك كلها » .

وعن أبى موسى رضى الله عنه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بأصحابه ، ثم جلس ، فدخل رجل فقام يصلى ، فجعل يركع وينقر سجوده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ترون هذا لو مات مات على غير ملة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم »[(١)] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا سجد أحدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض ، فان الله تعالى أوحى الى أن أسجد على سبعة أعضاء : الجبهة والأنف والكفين والركبتين وصدور القدمين ، وأن لا أكف شعرا ولا ثوبا ، فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو حتى يفرغ من صلاته » .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام اذا أردت أن تصلى صلاة صحيحة يقبلها الله سبحانه وتعالى منك : مع ضرورة اجتناب المنهيات التى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنها والتى منها ما ورد :

عن عبد الرحمن بن شبل قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) اخرجه ابو بكر بن خزيمة فى صحيحه .

عن نقرة الغراب ، وافتراش السبع ، وأن يوطن الرجل المكان فى المسجد كما يوطن البعير »(١) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال : « أيها الناس .. انى امامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالقيام ، ولا بالانصراف فانى أراكم أمامى ومن خلفى » ثم قال : « والذى نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا » قالوا : وما رأيت يا رسول الله ؟ قال : « رأيت الجنة والنار »(٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يأمن الذى يرفع رأسه فى صلاته قبل الامام أن يحول الله صورته فى صورة حمار »(٣) .

وعنه أيضا رضى الله عنه قال : « الذى يرفع رأسه ويخفضه قبل الامام انما ناصيته(٤) بيد شيطان »(٥) .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما يخشى أحدكم اذا رفع رأسه من ركوع أو سجود قبل الامام أن يجعل الله رأسه رأس حمار – أو صورته صورة حمار »(٦) ؟

* * *

والخلاصة كما ذكر الامام الغزالى فى كتابه « الاحياء » أن النبى صلى الله عليه وسلم : نهى عن الاقعاء فى الصلاة ، وهو عند أهل اللغة : أن يجلس على وركيه وينصب ركبتيه ويجعل يديه على الأرض كالكلب .

وعن السدل ، ومذهب أهل الحديث فيه : أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك ، وكان هذا هو فعل اليهود فى صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم .

---

(١) رواه احمد وابو داوود والنسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

(٤) اى مقدم رأسه .

(٥) اخرجه مالك .

(٦) اخرجه الخمسة .

وعن الكف ، وهو : أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه اذا أراد السجود ، وقد يكون الكف فى شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهى للرجال •• وكره أحمد بن حنبل رضى الله عنه أن يأتزر فوق القميص فى الصلاة وعده من الكف •

وعن الاختصار ، وهو : أن يضع يديه على خاصرته •

وعن الصلب ، وهو : أن يضع يديه على خاصرته فى القيام ويجافى بين عضديه فى القيام •

وعن المواصلة ، وهى خمسة : اثنان على الامام : أن لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ، ولا ركوعه بقراءته ، واثنان على المأموم : أن يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ، ولا تسليمه بتسليمه ، وواحدة بينهما : أن لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية ، وليفصل بينهما •

وعن صلاة الحاقن : أى من البول •

وعن صلاة الحاقب : أى من الغائط •

وعن صلاة الحاذق : أى صاحب الخف الضيق •

فان كل ذلك يمنع من الخشوع ، وفى معناه الجائع والمهتم ، فقد ورد فى الحديث الشريف : « اذا حضر العشاء ، وأقيمت الصلاة فابدأوا بالعشاء »[1] •

ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه فى الصلاة ، أو يفرقع أصابعه ، أو يستر وجهه ، أو يضع احدى كفيه على الأخرى ويدخلهما بين فخذيه فى الركوع ، قال بعض الصحابة رضى الله عنهم : كنا نفعل ذلك فنهينا عنه •

ويكره أيضا أن ينفخ فى الأرض عند السجود للتنظيف ، وأن يسوى الحصى بيده •

ولا يرفع احدى قدميه فيضعها على فخده ، ولا يستند فى قيامه الى حائط ، فان استند بحيث لو سل ذلك الحائط يسقط ، فالأظهر بطلان صلاته •

وقال بعض السلف : أربعة من الجفاء : الالتفات ، ومسح الوجه ، وتسوية الحصى ، وأن تصلى بطريق من يمر بين يديك •

* * *

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة .

وحتى تكون خاشعا فى صلاتك بصورة تؤكد حضور قلبك فيها اليك هذه الآثار :

روى أن الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصى ويقول : اللهم زوجنى الحور العين ، فقال له : بئس الخاطب أنت ، تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى •

وقيل لخلف بن أيوب : ألا يؤذيك الذباب فى صلاتك فتطردها ؟ قال : لا أعود نفسى شيئا يفسد على صلاتى • قيل له : وكيف تصبر على ذلك ؟ قال : بلغنى أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال فلان صبور ويفتخرون بذلك ، فأنا قائم بين يدى ربى أفأتحرك لذبابة •

ويروى عن مسلم بن يسار أنه كان اذا أراد الصلاة قال لأهله : تحدثوا أنتم فانى لست أسمعكم •

وروى عنه أنه كان يصلى يوما فى جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع النـــاس لذلك فلم يشـــعر به حتى انصرف من الصـــلاة •

وكان علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه اذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه • فقيل له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها •

ويروى عن على بن الحسين أنه كان اذا توضأ اصفر لونه ، فيقول له أهله : ما هذا الذى يعتريك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم ؟

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه •

ويروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه : أنه سئل عن صلاته فقال : اذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ، ثم أقوم الى صلاتى وأجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت ورائى أظنها آخر صلاتى ، ثم أقوم بين الرجاء والخوف ، وأكبر تكبيرا بتحقيق ، وأقرأ قراءة بترتيل ، وأركع ركوعا

بتواضع ، وأسجد سجودا بتخشع ، وأقعد على الورك الأيسر ، وأفرش ظهر قدمها ، وأنصب القدم اليمنى على الابهام ، وأتبعها الاخلاص ، ثم لا أدرى أقبلت منى أم لا ؟

* * *

فكن شبيها بهؤلاء الرجال فى صلاتك التى قد تكون آخر صلاة لك ، حتى تكون من أهل الفلاح الذين قال الله تعـالى فى شأنهم : **« قد أفلح المؤمنون • الذين هم فى صلاتهم خاشعون »**(١) •

ولا تنس أن الخشوع قسمان : ظاهرى وباطنى ، فالخشوع الظاهرى : التمسك بآداب الصلاة كعدم الالتفات والعبث وسبق الامام ، ووضع اليد فى الخاصرة ، وغير ذلك ، والخشوع الباطنى : استحضار عظمة الله وعدم التفكر الدنيوى •

* * *

وأما قوله صلى الله عليه وسلم :

* (واياك وما يعتذر منه) : فالمراد به ـ كما هو واضح ـ أن يكون الانسان حكيما فى كل تصرفاته الفعلية والقولية ولا سيما فى معاملاته مع الناس بحيث لا يقول قولا ، ولا يعمل عملا ، ولا يتصرف تصرفا مع غيره الا بعد دراسة وتفكير لكل ما يصدر منه ، وذلك حتى لا يرتكب ما يوقفه موقف اعتذار قد يقبل وقد لا يقبل ، وقد يكون سببا فى هلاكه •

وفى هذا يقول أحد الحكماء : من نظر فى العواقب سلم من النوائب ، ومن أسرع فى الجواب أخطأ فى الصواب ، ومن ركب العجل أدركه الزلل ، ومن ضعفت آراؤه قويت أعداؤه •

ولله در على رضى الله عنه فلقد قال أيضا فى هذا المعنى : اياك وما يسبق الى القلوب انكاره ، ولو كان عندك اعتذاره •

* * *

ولمـا كانت الحكمة من أكبر نعم الله تعالى على العبد ، كما جاء فى قوله تبارك وتعالى : **« ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا »**(٢) •

---

(١) المؤمنون : ١ ، ٢ .　　(٢) البقرة : ٢٦٩

فقد رأيت حتى تدرك ذلك بنفسك أن أذكرك بأن لقمان الحكيم عليه السلام ــ كما يقولون ــ خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة ، وقد روى فى هذا أنه كان نائما فى وسط النهار فنودي : « يا لقمان •• هل لك أن يجعلك الله خليفة فى الأرض فتحكم بين الناس بالحق ؟ فأجاب الصوت بقوله : ان خيرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلاء ، وان عزم على فسمعا وطاعة فاني أعلم أن الله تعالى ان فعل بى ذلك أعاننى وعصمنى • فقالت الملائكة بصوت أيضا : لم يا لقمان ؟ فقال : ان الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه المظلوم من كل مكان ، فان عدل نجا ، وان أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن فى الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ، ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة ••• » •

فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنـام نومة ، أعطى الحكمـة فيها فانتبه وهو يتكلم بها • وقد روى أن رجلا لقيه وهو يتكلم بالحكمة فقال له : ألست فلانا الراعى ؟ قال : بلى • قال : فبم بلغت ما بلغت ؟ قال : بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وترك ما لا يعنينى • ومن أجل هذا الخير الذي أكرمه الله سبحانه وتعالى به ، فقد أمره سبحانه بأن يشكره عليه فقال تعالى :

« ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ••• »[1] •

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام حتي تكون من أهل الحكمة التي تجعلك محبوبا عند الله وبين الناس •

واعلم أنه : يستدل علي عقل الرجل بقوله ، وعلي أصله بفعله •

وأن : اللسان وزير الانسان •

وأن : لسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الأحمق وراء لسانه •

وأن : المرء مخبوء تحت لسانه فاذا ما تكلم ظهر •

وحسبك بالاضافة الى هذه الحكم المـأثورة هذا الحديث الشريف الذى روى فيه أن النبي صلي الله عليه وسـلم قال لعمه العباس : « يعجبني جمالك » قال : وما جمـال الرجل يا رسول الله ؟ قال : « لســانه » •

---

(١) لقمان : ١٢

وتأمل كذلك قول القائل :

احفظ لسانك أيها الانسان   لا يلدغنك انه ثعبان
كم فى المقابر من قتيل لسانه   كانت تهاب لقاءه الشجعان

* * *

وقبل أن تقدم على فعل شىء استشر اخوانك ، وحسبك قول الله تعالى لنبيه : « وشاورهم فى الأمر »[1] .

وفى الحديث الشريف : « المشورة حصن من الندامة ، وأمان من الملامة » .

* * *

و :

اذا كنت فى حاجة مرسلا   فأرسل حكيما ولا توصه
وان بات أمر عليك التوى   فشاور لبيبا ولا تعصه

* * *

واعتصم بالنهى تفز بنعيم الدهر   غضا فالعقل خير عتاد
أن فى الحكمة البليغة للروح   غذاء كالطب للأجساد

* * *

*وختاما :

اليك أخا الاسلام هذه الوصية اللقمانية التى انتفعت بها وأرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعك بها كذلك ، والتى يقول فيها سيدنا لقمان الحكيم لولده :

يا بنى .. انى موصيك بثمانية أمور :
احفظ قلبك فى الصلاة .
واحفظ نظرك فى بيوت الناس .
واحفظ لسانك فى مجالس الناس .
واحفظ بطنك من حلقومك .
واذكر اثنين ، وانس اثنين :
اذكر الله والموت .
وانس احسانك الى الناس ، واساءتهم اليك .

* * *

---

(١) آل عمران : ١٥٩

وأيضا اليك أخا الاسلام هذا الأثر الذى نصه :

كان أبو محمد عبد الله بن يحيى المصعبى من أصحاب الشافعى ، اماما صالحا من أهل اليمن ، وقد روى : أن ناسا ضربوه بالسيوف فلم تقطع فيه ، فسئل عن ذلك ، فقال : كنت أقرأ قوله تعالى :

« ولا يؤوده حفظهما ، وهو العلى العظيم »(١) .

« ويرسل عليكم حفظة »(٢) .

« ان ربى على كل شىء حفيظ »(٣) .

« فالله خير حافظا ، وهو أرحم الراحمين »(٤) .

« له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله »(٥) .

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »(٦) .

« وحفظناها من كل شيطان رجيم »(٧) .

« وجعلنا السماء سقفا محفوظا »(٨) .

« وحفظا من كل شيطان مارد »(٩) .

« وحفظا ، ذلك تقدير العزيز العليم »(١٠) .

« وربك على كل شىء حفيظ »(١١) .

« الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل »(١٢) .

« وان عليكم لحافظين . كراما كاتبين . يعلمون ما تفعلون »(١٣) .

« ان كل نفس لما عليها حافظ »(١٤) .

« ان بطش ربك لشديد . انه هو يبدىء ويعيد . وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد . فعال لما يريد . هل أتاك حديث الجنود . فرعون وثمود . بل الذين كفروا فى تكذيب . والله من ورائهم محيط . بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ »(١٥) .

* * *

---

(١) البقرة : ٢٥٥
(٢) الانعام : ٦١
(٣) هود : ٥٧
(٤) يوسف : ٦٤
(٥) الرعد : ١١
(٦) الحجر : ٩
(٧) الحجر : ١٧
(٨) الأنبياء : ٣٢
(٩) الصافات : ٧
(١٠) فصلت : ١٢
(١١) سبأ : ٢١
(١٢) الشورى : ٦
(١٣) الانفطار : ١٠ ــ ١٢
(١٤) الطارق : ٤
(١٥) البروج : ١٢ ــ ٢٢

الجزء التاسع

الوصية الثلاثون

روى عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب :

« يا عباس .. يا عماه .. الا أعطيك ؟ الا أمنحك ؟ الا أحبوك ؟ الا أفعل بك عشر خصال اذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك : أوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطاه وعمده ، صغيره وكبيره ، سره وعلانيته .

عشر خصال : أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة ، فاذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم قلت :

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر خمس عشرة مرة ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرا . ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تهوى ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ، ثم تسجد فتقولها عشرا ، ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا .

فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة ، تفعل ذلك فى أربع ركعات ، ان استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل ، فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة ، فان لم تفعل ففى كل شهر مرة ، فان لم تفعل ففى كل سنة مرة ، فان لم تفعل ففى عمرك مرة » .

(اخرجه النسائى وابو داوود وابن ماجه والبيهقى فى « الدعوات » والدارقطنى وابن حبان والطبرانى والحاكم وابن خزيمة فى صحيحه) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

يا من ترجو سعادة الدارين وحسن الختام :

من الفائزين بهذا الخير العظيم الذى أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم عمه العباس رضى الله عنه .

وحسبك ترغيبا لك فيه : هذا التقديم الذى قدم به المصطفى صلى الله عليه وسلم وصيته ، وهو :

❋ (يا عباس .. يا عماه .. ألا أعطيك ، ألا أمنحك ، ألا أحبوك[1] ، ألا أفعل بك عشر خصال[2] ، اذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك : أوله وآخره ، قديمه وحديثه ، خطأه وعمده ، صغيره وكبيره ، سره وعلانيته ...) .

واذا كان ما أوصاه به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك هو :

صلاة التسبيح[3]

فكيفيتها : كما قرأت فى نص الوصية : أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة[4] ، فاذا فرغت من القراءة فى أول ركعة وأنت قائم قلت :

« سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، خمس عشرة مرة[5] ، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرا[6] ، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ، ثم تهوى ساجدا فتقولها وأنت ساجد عشرا ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ، ثم تسجد

---

(١) اى اخصك .

(٢) اى اعلمك ما يكفر عشرة إنواع من ذنوبك .

(٣) التسبيح : اى التنزيه ، وسبحان الله : معناه التنزيه لله — هكذا ذكر فى مختار الصحاح .

(٤) اى سورة دون تقييد .

(٥) وفى رواية الترمذى من حديث ابى رافع : « فاذا انقضت القراءة فقل : الله اكبر ، والحمد لله ، وسبحان الله ، ولا اله الا الله خمس عشرة مرة قبل أن تركع »اهـ . وفيه أن الترتيب بين هذه الكلمات غير لازم .

(٦) أى تقولها بعد تسبيح الركوع . ففى الترمذى قال أبو وهب : واخبرنى عبد العزيز بن ابى رزمة عن عبد الله (ابن المبارك) انه قال : يبدأ فى الركوع : بسبحان ربى العظيم ، وفى السجود بسبحان ربى الأعلى (ثلاثا) ثم يسبح التسبيحات اهـ . وكذا التسبيح حال الاعتدال والجلوس بين السجدتين ، يكون بعد الدعاء الوارد فيهما .

فتقولها عشرا ، ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا[١] ، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة تفعل ذلك فى أربع ركعات » .

* * *

واذا كانت هذه الرواية — كما عرفت — قد أخرجها النسائى وأبو داوود وابن ماجه والبيهقى فى « الدعوات » والدارقطنى وابن حبان والطبرانى والحاكم وابن خزيمة فى صحيحه وقال : اذا صح هذا الخبر ، فان فى القلب من هذا الاسناد شيئا اه .

فالصحيح أنه ثابت يطلب العمل به ، فقد صححه الحاكم وحسنه جمـــاعة .

قال ابن حجر : لا بأس باسناد حديث ابن عباس وهو من شرط الحسن فان له شواهد تقويه .

وقد رواه أبو داوود من حديث ابن عمرو باسناد لا بأس به . والحاكم من حديث ابن عمر .

وأما حديث ابن عمرو فلفظه :

قال لى النبى صلى الله عليه وآله وسلم : « ائتنى غدا أحبوك وأثيبك وأعطيك » حتى ظننت أنه يعطينى عطية ، قال : « اذا زال النهار فقم فصل أربع ركعات » فذكر نحوه ، قال : « ثم ترفع رأسك — يعنى من السجدة الثانية — فاستو جالسا ولا تقم حتى تسبح عشرا ، وتحمد عشرا ، وتكبر عشرا ، وتهلل عشرا ، ثم تصنع ذلك فى الأربع ركعات ، قال : فانك لو كنت أعظم أهل الأرض ذنبا غفر لك بذلك » قال : قلت : فان لم أستطع أن أصليها تلك الساعة؟ قال : « صلها من الليل والنهار »[٢] .

وأما حديث ابن عمر فلفظه :

قال : وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبى طالب الى بلاد الحبشة . فلما قدم اعتنقه وقبله بين عينيه . ثم قال : « ألا أهب لك ؟ ألا أبشرك ؟ ألا أمنحك ؟ ألا أتحفك » ؟ قال : نعم

---

(١) ترفع رأسك ، أى من السجدة الثانية فتقولها عشرا قبل قيامك كما صرح به فى رواية لابن ماجه والترمذى .

(٢) واخرجه ايضا البيهقى من طريق أبى جناب الكلبى عن أبى الجوزاء عن ابن عمرو . وقال المنذرى : رواة هذا الحديث ثقات .

يا رسول الله . قال : « تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة بالحمد وسورة . ثم تقول بعد القراءة وأنت قائم قبل الركوع : سبحان الله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، خمس عشرة مرة ، ثم ترفع فتقولهن عشرا تمام هذه الركعة . . أى وهكذا تفعل الى تمام هذه الركعة فتسبح عشرا فى الاعتدال من الركوع ، وعشرا فى السجود ، وعشرا فى الجلوس بين السجدتين ، وعشرا فى السجدة الثانية وعشرا فى جلسة الاستراحة ــ قبل أن تبتدئ بالركعة الثانية تفعل فى الثلاث ركعات كما وصفت لك حتى تتم أربع ركعات »[1] .

* * *

ولما كان حديث ابن عباس هو موضوعنا الذى ندور حوله : فقد قال ابن حجر فى « الأمالى » : لا بأس باسناد حديث ابن عباس وهو من شرط الحسن ، فان له شواهد تقويه ، قال : وممن صحح هذا الحديث وحسنه ابن منده وأبو الحسن بن الفضل والمنذرى وابن الصلاح والنووى والسبكى وآخرون .

وقال المنذرى فى « الترغيب » : وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة وعن جماعة من الصحابة . وأمثلها حديث عكرمة هذا . وقد صححه جماعة منهم : الحافظ أبو بكر الآجرى ، وشيخنا أبو محمد عبد الرحيم المصرى ، وشيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسى .

وقال أبو بكر بن أبى داوود : سمعت أبى يقول : ليس فى التسبيح حديث صحيح غير هذا .

وقال الزبيدى فى « شرح الاحياء » : هذا حديث صحيح غريب جيد الاسناد والمتن .

* * *

وقد قال الدارقطنى : أصح شىء ورد فى فضائل الصلوات : فضل صلاة التسبيح .

وقال عبد الله بن المبارك : صلاة التسبيح مرغب فيها يستحب أن يعتادها فى كل حين ولا يتغافل عنها .

---

(١) قال الحاكم : هذا اسناد صحيح لا غبار عليه ، وتعقبه الذهبى بأن فى سنده أحمد بن داوود شيخ الحاكم ، تكلم فيه غير واحد من الأئمة وكذبه الدارقطنى .

وقال الترمذي : وقد رأى ابن المبارك وغير واحد من أهل العلم صلاة التسبيح وذكروا الفضل فيه •

وقال الشوكانى فى « تحفة الذاكرين » : قال السبكي : صلاة التسبيح من مهمات مسائل الدين ، ولا تغتر بما فهم من النووي فى « الأذكار » من ردها ، فانه اقتصر على رواية الترمذى وابن ماجه •

* * *

والخلاصة : ما قاله ابن قدامة بعد أن ذكر حديث ابن عباس : ولم يثبت أحمد الحديث المروى فيها ولم يرها مستحبة ، وان فعلها انسان فلا بأس ، فان النوافل والفضائل لا يشترط صحة الحديث فيها •

* * *

واذا كان قد علم من حديث عكرمة عن ابن عباس أن التسبيح بعد القراءة لا قبلها وأنه يسبح فى جلسة الاستراحة • كما قال جمهور الفقهـاء •

فقد اختار الحنفيون وابن المبارك : التسبيح قبل القراءة وبعدها ، وترك التسبيح بعد السجدة الثانية •

وقد قال أحمد بن عبده الضبى : حدثنا أبو وهب قال : سألت عبد الله بن المبارك عن الصلاة التى يسبح فيها • قال : يكبر ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك • ثم يقول : خمس عشرة مرة : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، ثم يتعوذ ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وفاتحة الكتاب وسورة • ثم يقول عشر مرات : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر • ثم يركع فيقولها عشرا ، ثم يرفع رأسه فيقولها عشرا • ثم يسجد فيقولها عشرا • ثم يرفع رأسه فيقولها عشرا • ثم يسجد الثانية فيقولها عشرا • يصلى أربع ركعات على هذا ، فذلك خمس وسبعون تسبيحة فى كل ركعة ، يبدأ فى كل ركعة بخمس عشرة تسبيحة ثم يقرأ ثم يسبح عشرا ، فان صلى ليلا فأحب الى أن يسلم فى كل ركعتين ، وان صلى نهارا فان شاء سلم وان شاء لم يسلم •

قال أبو وهب : أخبرني عبد العزيز بن أبى رزمة عن عبد الله ابن المبارك أنه قال : يبدأ فى الركوع بسبحان ربى العظيم ، وفى السجود

بسبحان ربى الأعلى ثلاثا ، ثم يسبح التسبيحات[١] .

وقال فى « المرقاة » : قال السبكى : وجلالة ابن المبارك تمنع من مخالفته ، وانما أحب العمل بما تضمنه حديث ابن عباس ولا يمنعنى من التسبيح بعد السجدتين الفصل بين الرفع والقيام ، فان جلسة الاستراحة حينئذ مشروعة فى هذا المحل ، وينبغى للمتعبد أن يعمل بحديث ابن عباس تارة ، وبحديث ابن المبارك أخرى .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام واحرص على تنفيذ الوصية فى كل يوم مرة ، فان لم تفعل ففى كل جمعة مرة ، فان لم تفعل ففى كل شهر مرة ، فان لم تفعل ففى كل سنة مرة .. كما أوصاك المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى شخص عمه العباس رضى الله عنه .

وحسبك تشجيعا لك كما عرفت أنها ستكون سببا فى غفران ذنوبك أولها وآخرها ، قديمها وحديثها ، خطئها وعمدها ، صغيرها وكبيرها ، وسرها وعلانيتها .

* * *

واعلم أن هذا التسبيح الذى ستردده فى هذه الصلاة هو غراس الجنة فقد ورد فى حديث الاسراء والمعراج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر فى السماء السابعة على سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام فقال له : « يا محمد .. أقرىء أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة المـاء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر »[٢] .

* * *

وأن كل شىء خلقه الله سبحانه وتعالى يسبح بحمده ، وفى ذلك يقول تبارك وتعالى :

« سبح لله ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم »[٣] .

ويقول : **« تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن »**[٤] .

---

(١) أخرجه الترمذى .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٣) الحديد : ١ (٤) الاسراء : ٤٤

ويقول : « **ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته** »[1] .

ويقول : « **وإن من شىء ألا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** »[2] .

ويقول : « **يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض** »[3] .

ويقول : « **وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير** »[4] .

ويقول : « **وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم** »[5] .

ويقول : « **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم** »[6] .

ويقول : « **أن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون** »[7] .



ولهذا كان من المفروض عليك حتى تكون عبدا حقيقيا لله سبحانه وتعالى كبقية مخلوقاته الذين يسبحونه فى الأرض وفى السماء : أن تكون مسبحا له سبحانه وتعالى .

واذا كنت أقول : من المفروض عليك ، فاننى أعنى بهذا ما أمرنا الله سبحانه وتعالى به فى قوله : « **فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين** »[8] .

وقوله : « **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها** »[9] :

وقوله : « **فسبح باسم ربك العظيم** »[10] .

وقوله : « **فسبح بحمد ربك واستغفره ، انه كان توابا** »[11] .



وحسبك حتى تكون من المسبحين أن تعلم :

أن سيدنا يونس عليه السلام لم ينقذ من بطن الحوت الا لأنه

---

(١) الرعد : ١٣ (٢) الاسراء : ٤٤
(٣) الجمعة : ١ ، التغابن : ١ (٤) الأنبياء : ٧٩
(٥) الزمر : ٧٥ (٦) غافر : ٧
(٧) الأعراف : ٢٠٦ (٨) الحجر : ٩٨
(٩) طه : ١٣٠ (١٠) الواقعة : ٧٤
(١١) النصر : ٣

كان من المسبحين لله تعالى ، والى هذا يشير سبحانه وتعالى فى قوله : **« فلولا أنه كان من المسبحين . للبث فى بطنه الى يوم يبعثون »**(١) .

وكان الله سبحانه وتعالى قد أرسل يونس عليه السلام الى قومه فى « نينوى » لكى يدعوهم الى عبادة الله تعالى دون عبادة الأوثان ، ولكنه رغم ما بذله فى سبيل ذلك من اقناع لم يقابل منهم الا بالاعراض والاعتراض ، مع تحذيره لهم من انتقام الله منهم فكان أن قالوا له : **« فأتنا بما تعدنا أن كنت من الصادقين »**(٢) .

فما كان منه الا أن قرر وبدون اذن من الله أن يتركهم الى ميدان آخر راجيا أن يجد هناك من يستجيب لدعوته ويؤمن به .

وفعلا وبدون انتظار اتجه الى الشاطىء الذى وجد عنده قوما يعبرون فطلب منهم أن يأخذوه معهم الى الشاطىء الآخر ، فرحبوا به دون أن يطلبوا منه أجرا عندما لمحوا الصلاح على وجهه .

ولكنه ما كادت السفينة تتحرك متجهة الى منتصف البحر حتى تعرضت لأمواج هائجة جعلت كل ركابها يتوقعون سوء المصير ، الأمر الذى جعلهم يفكرون سريعا فى حل لهذا المأزق الذى تعرضوا له ، فكان أن قرروا بنفس السرعة التى فكروا بها : القاء أحدهم فى اليم حتى يكون فداء للباقين .

ولكى يفعلوا ذلك دون ظلم لهذا الذى سيلقى به ، اقترعوا فيما بينهم فوقع السهم على سيدنا يونس ، فقالوا : كيف نجود بهذا الرجل الذى أبينا أن نأخذ منه أجرا . ولهذا لكى تستريح ضمائرهم أعادوا القرعة مرة أخرى فوقع السهم عليه كذلك ، وأعادوها مرة ثالثة فكانت النتيجة هى الأولى والثانية .

فعند ذلك فهم سيدنا يونس أنه هو المقصود بهذا الابتلاء الذى كان نتيجة لتسرعه ، ولهذا كان لابد وأن يستسلم لقضاء الله ومشيئه ، فألقى بنفسه فى اليم لكى يكون بعد ذلك فى بطن الحوت الذى كان الله سبحانه وتعالى قد أمره بأن يتحرك ويسير بجوار السفينة حتى اذا ما ألقى بيونس عليه السلام التقمه برفق دون أن يستعمل معه أسنانه أو يهضمه ، فكان الحوت نعم المكلف .

---

(١) الصافات : ١٤٣ ، ١٤٤

(٢) الأعراف : ٧٠ .

وقد روى الطبرى فى هذا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لما أراد الله تعالى — ذكره — حبس يونس فى بطن الحوت أوحى الله الى الحوت أن خذه ولا تخدش لحما ، ولا تكسر عظما ؛ فأخذه ثم هوى به الى مسكنه من البحر ، فلما انتهى به الى أسفل البحر ، سمع يونس حسا فقال فى نفسه ما هذا ؟ فأوحى الله تبارك وتعالى اليه وهو فى بطن الحوت : ان هذا تسبيح دواب البحر ، قال : فسبح وهو فى بطن الحوت ، قال : فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا : يا ربنا .. انا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة ، قال : ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر ، قالوا : العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح ؟ فقال : نعم ، فشفعوا له عند ذلك ، فأمر الحوت بقذفه فى الساحل ... »[1] .

وقد روى أنه مكث أربعين يوما فى بطن الحوت يسبح الله تعالى الى أن ألهمه الله تعالى بكلمات قالهن كانت سببا فى نجاته ونجاة كل من يتشبه به من المؤمنين ، وفى ذلك يقول تعالى :

« وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات[2] أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجى المؤمنين »[3] .

وقد ورد فى فضل هذا الدعاء : أنه لم يدع به مسلم الا استجاب الله له .

فعن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعا بدعاء يونس ، استجيب له » قال أبو سعيد : يريد به **« وكذلك ننجى المؤمنين »** .

وعن سعيد بن المسيب قال : سمعت ابن مالك — وهو ابن أبى وقاص — يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اسم الله الأعظم الذى اذا دعى به أجاب ، واذا سئل أعطى ، دعوة يونس ابن متى » قال : قلت : يا رسول الله .. هى ليونس خاصة أم لجماعة

---

(١) راجع تفسير ابن كثير لسورة الأنبياء .

(٢) قال ابن مسعود : اى ظلمة الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل .

(٣) الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨

المسلمين ؟ قال : « هى يونس بن متى خاصة وللمؤمنين عامة ، اذا دعوا بها ، ألم تسمع قول الله عز وجل : **« فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين • فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجى المؤمنين »** فهو شرط من الله لمن دعاه به » •

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام بالاضافة الى هذه الأحاديث الشريفة :

« من قال سبحان الله وبحمده فى اليوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وان كانت مثل زبد البحر »[١] •

روى أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : تولت عنى الدنيا ، وقلت ذات يدى ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون » قال : فقلت : وماذا يا رسول الله ؟ قال : « قل : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله ، مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى أن تصلى الصبح تأتيك راغمة سافرة ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيامة لك ثوابه »[٢] •

« أحب الكلام الى الله تعالى أربع : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت »[٣] •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم »[٤] •

وعنه أيضا رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس »[٥] •

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : علمنى كلاما أقوله ، قال : « قل : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ،

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة .

(٢) رواه المستغفرى فى الدعوات من حديث ابن عمر .

(٣) رواه مسلم .　　(٤) متفق عليه .

(٥) رواه مسلم .

وسبحان الله رب العالمين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الحكيم » قال : فهؤلاء لربى فما لى ؟ قال : « قل : اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى »[١] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لى »[٢] .

وعنها أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فى ركوعه وسجوده : « سبوح قدوس رب الملائكة والروح »[٣] .

وعنها : افتقدت النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فتحسست فاذا هو راكع – أو ساجد – يقول : « سبحانك وبحمدك لا اله الا أنت » وفى رواية : فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد وهما منصوبتان وهو يقول : « اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك ، ومعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »[٤] .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة » ؟ فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب ألف حسنة ؟ قال : « يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ، أو يحط عنه ألف خطيئة »[٥] .

وعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حتى صلى الصبح وهى فى مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فقال : « ما زلت على الحال الذى فارقتك عليها » ؟ قالت : نعم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته » رواه مسلم .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه مسلم .

وفى رواية له : « سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضاء نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته » .

وفى رواية الترمذى : « ألا أعلمك كلمات تقولينها : سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله عدد خلقه ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله زنة عرشه ، سبحان الله مداد كلماته ، سبحان الله مداد كلماته ، سبحان الله مداد كلماته » .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى — أو حصى — تسبح به فقال : « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا — أو أفضل — فقال : سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض ، وسبحان الله عدد ما بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا اله الا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله مثل ذلك »[١] .

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة »[٢] .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قال نوح لابنه : انى موصيك بوصية وقاصرها لكى لا تنساها .. أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين : أما اللتان أوصيك بهما فيستبشر الله بهما وصالح خلقه ، وهما يكثران الولوج على الله سبحانه وتعالى : أوصيك بلا اله الا الله ، فان السموات والأرض لو كانتا حلقة قصمتها ، ولو كانتا فى كفة وزنتها ، وأوصيك بسبحان الله وبحمده فانها صلاة الخلق ، وتسبيح الخلق ، وبها يرزق الخلق . وأما اللتان أنهاك عنهما فيحتجب الله وصالح خلقه منهما : أنهاك عن الشرك بالله ، والكبر »[٣] .

* * *

(١ ، ٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

(٣) أخرجه النسائى والبزار والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

وهذه الآثار :

روى أن سليمان عليه السلام بينما كان يركب ذات يوم بساطه الذى كان يحمله الريح : مر فوق فلاح يحرث أرضه فقال الفلاح عندما رأى موكب سليمان وما فيه من عظمة :

سبحان من أعطاكم ملكا يا آل داوود . فنقل الريح كلمة الفلاح الى أذنى سيدنا سليمان عليه السلام الذى أمر الريح عندئذ بأن يهبط بالبساط بجوار هذا الفلاح الذى فوجىء بعد أن قال كلمته بلحظات بالموكب فى حقله وسيدنا سليمان يقول له :

ماذا قلت يا هذا ؟ فيقول الرجل وهو ترتعد فرائصه : اننى لم أقل الا خيرا ، فقال له سليمان عليه السلام بعد أن أخبره بأنه قد استمع الى ما قال ، وبعد أن هدأ من روعه : أما علمت يا هذا أن تسبيحة واحدة منك خير من ملك آل داوود ؟!

وروى أن أحد الصالحين وقد كان كثير التعبد ، بكى شوقا الى الله عز وجل ، فرأى فى منامه كأنه على ضفة نهر يجرى بالمسك حافتاه شجر لؤلؤ ونبته من قضبان الذهب ، فاذا بجوار مزينـات ينشدن بصوت واحد :

سبحان المسبح بكل لسان سبحانه ، سبحان الموحد بكل مكان سبحانه ، سبحان الدائم فى كل الأزمان سبحانه . فقال لهن : ما تصنعن هنا ؟ فقلن :

برانا اله النـاس رب محمد لقوم على الأقـدام بالليل قوم
يناجون رب العـالمين الههم وتسرى هموم القوم والناس قوم

فقال : بخ بخ لهؤلاء من هم ؟ لقد أقر الله أعينهم بكن ، فقلن : أو ما تعرفهم ؟ قال : لا ، فقلن : بلى .. هؤلاء المتهجدون أصحاب القرآن والسـهر .

وروى أن يونس بن عبيد رأى رجلا فى المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم . فقال : ما أفضل ما رأيت ثم[1] من الأعمال ؟ قال : رأيت تسبيحات ابن المعتمر من الله عز وجل بمكان وهى هـذه : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، عدد ما خلق ، وعدد ما هو خالق ، وزنة ما خلق

---

(١) أى هناك فى الجنة .

وزنة ما هو خالق ، وملء ما خلق ، وملء ما هو خالق ، وملء سمواته ، وملء أرضه ، ومثل ذلك وأضعاف ذلك ، وعدد خلقه ، وزنة عرشه ، ومنتهى رحمته ، ومداد كلماته ، ومبلغ رضاه حتى يرضى ، واذا رضى ، وعدد ما ذكره به خلقه فى جميع ما مضى ، وعدد ما هم ذاكروه فيما بقى فى : كل سنة ، وشهر ، وجمعة ، ويوم وليلة ، وساعة من الساعات وشم نفس من الأنفاس وأبد من الآباد من أبد الى أبد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقع أوله ولا ينفد آخره .

وروى أن ابراهيم بن أدهم كان يقول فى دعائه : « سبحانك يا على يا عظيم يا بارىء يا رحيم يا عزيز يا جبار ، سبحان من سبحت له السموات بأكنافهـا ، وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها ، وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها ، وسبحان من سبحت له الحيتان بلغتها ، وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراجها ، وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وثمارها ، وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن ، سبحان من سبح له كل شىء من مخلوقاته ، تباركت وتعـاليت سبحانك ، سبحانك يا حى يا قيوم يا عليم يا حليم ، سبحانك لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك تحيى وتميت وأنت حى لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شىء قدير » .

* * *

وحسبك فى النهاية أن تقول مع القائل :

فسبحان من لا قط يبلغ مدحه ... بليغ ومن عنه الثنـا متعذر
ففى الفعل فضل عن جميل صفاته ... وعن ذاته كل البرايا تحـيروا
تسبحه الحيتان فى الماء وفى الفلا ... وحوش وطير فى الهواء مسخر
وفى الفلك والأملاك كل مسبح ... نهارا وليـلا دائما ليس يفتر
تسبح كل الكائنـات بحمده ... سماء وأرض والجبـال وأبحر
جميعا ومن فيهن والكل خاضع ... لهيبتـه العظمى ولا يتكـبر
له كل ذرات الوجود شـواهد ... على أنه البـارى الاله المصور

* * *

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصانا جميعا فى شخص عمه العباس رضى الله عنه بصلاة التسبيح الجامعة لكل هذا الخير

الذى وقفت عليه ، والذى من أهمه كما عرفت : تكفير الذنوب التى كثيرا ما يقع الانسان فيها بسبب اغراء الشيطان له : فقد أوصانا كذلك بخيرات أخرى ، كلنا وبدون استثناء فى أشد الحاجة اليها . وهذه الخيرات أو الصلوات الأخرى :

صلاة الضحى[١]

وهى مشروعة مرغب فيها ، نفعها عظيم ، وفضلها عميم ، وقد ورد فى فضلها عدة أحاديث شريفة ، منها :

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يصبح على كل سلامى[٢] من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، ويجزى[٣] من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى »[٤] .

وعن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فى الانسان ستون وثلاثمائة مفصل عليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة » قالوا : فمن الذى يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال : « النخامة فى المسجد يدفنها ، أو الشىء ينحيه عن الطريق ، فان لم يقدر فركعتا الضحى تجزىء عنه »[٥] .

وقد قال الشوكانى فى تعليقه على هذين الحديثين : « والحديثان يدلان على عظم فضل الضحى وكبر موقعها وتأكد مشروعيتها ، وأن ركعتيها تجزيان عن ثلثمائة وستين صدقة ، وما كان كذلك فهو حقيق بالمواظبة والمداومة ، ويدلان أيضا على مشروعية الاستكثار من التسبيح والتحميد والتهليل ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ودفن النخامة ، وتنحية ما يؤذى المار عن الطريق وسائر أنواع الطاعات ليسقط بذلك ما على الانسان من الصدقات اللازمة فى كل يوم » .

---

(١) الضحى بالضم والقصر : وقت ارتفاع الشمس اول النهار ، وبه سميت صلاة الضحى .

(٢) عظام البدن ومفاصله .

(٣) يجزى ــ بفتح أوله ــ بمعنى يكفى ، أو بضمه ويكون من الاجزاء .

(٤) رواه أحمد ومسلم وأبو داوود .

(٥) رواه أحمد وأبو داوود .

كما روى عن النواس بن سمعان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل : ابن آدم .. لا تعجزن عن أربع ركعات فى أول النهار أكفك آخره »[١] .

وعن عبد الله بن عمرو قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية[٢] فغنموا وأسرعوا الرجعة ، فتحدث الناس بقرب مغزاهم[٣] وكثرة غنيمتهم وسرعة رجعتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على أقرب منهم مغزى وأكثر غنيمة وأوشك[٤] رجعة ؟ من توضأ ثم غدا الى المسجد لسبحة الضحى ، فهو أقرب مغزى وأكثر غنيمة وأوشك رجعة »[٥] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بثلاث : « بصيام ثلاثة أيام فى كل شهر ، وركعتى الضحى ، وأن أوتر قبل أن أنام »[٦] .

فمن هذه الأحاديث يتبين لك أنها : عبادة مستحبة ، من شاء ثوابها فليؤدها والا فلا تثريب عليه فى تركها فعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : « كان صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى حتى نقول : لا يدعها ، ويدعها حتى نقول : لا يصليها »[٧] .

ووقتها يبتدىء بارتفاع الشمس قدر رمح وينتهى حين الزوال ، ولكن المستحب أن تؤخر الى أن ترتفع الشمس ويشتد الحر .

فعن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : خرج صلى الله عليه وسلم على أهل قباء[٨] وهم يصلون الضحى فقال : « صلاة الأوابين[٩] اذا رمضت الفصال[١٠] من الضحى »[١١] .

وأقل ركعاتها اثنتان كما قرأت فى حديث أبى ذر رضى الله عنه وأكثر ما ثبت من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى ركعات ،

---

(١) رواه الحاكم والطبرانى ورجاله ثقات .

(٢) اى فرقة من الجيش . (٣) انتهاء الغزو بسرعة .

(٤) اى قرب .

(٥) رواه احمد والطبرانى وروى ابو يعلى نحوه .

(٦) رواه البخارى ومسلم . (٧) رواه الترمذى .

(٨) مكان بينه وبين المدينة نحو ميلين . (٩) اى الراجعين الى الله .

(١٠) رمضت : اى احترقت ، والفصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة ، أى اذا وجدت الفصال الشمس ، ولا يكون ذلك الا عند ارتفاعها .

(١١) رواه احمد ومسلم والترمذى .

وأكثر ما ثبت من قوله اثنتا عشرة ركعة • وقد ذهب قوم ـ منهم أبو جعفر الطبرى وبه جزم الحليمى والرويانى من الشافعية ـ الى أنه لا حد لأكثرها •

فقد روى عن أم هانئ أن النبى صلى الله عليه وسلم : « صلى سبحة الضحى ثمانى ركعات يسلم من كل ركعتين »(١) •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى أربع ركعات ويزيد ما شاء الله »(٢) •

وقد روى عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ، ومن صلى أربعا كتب من العابدين ، ومن صلى ستا كفى ذلك اليوم ، ومن صلى ثمانيا كتبه الله من القانتين ، ومن صلى اثنتى عشرة ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة ، وما من يوم وليلة الا لله من يمن به على عباده وصدقة ، وما من الله على أحد من عباده أفضل من أن يلهمه ذكره »(٣) •

هذا : وحكمة مشروعية صلاة الضحى ألا يخلو كل ربع من النهار عن عبادة الله تعالى والحكمة فى اختلاف عدد ركعاتها : التخفيف على الأمة ليفعل ما استطاع ، وحتى يتنافس فى ذلك المتنافسون •

ويقرأ فى كل ركعة منهـا بالفاتحة وسـورة والأفضل قراءة : **« والشمس وضحاها » ، « والضحى • والليل اذا سجى »(٤) •**

لقول عقبة بن عامر : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلى الضحى بسور منها : والشمس وضحاها ، والضحى »(٥) •

كما يستحب أن يقال بعدها ما فى حديث صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرك شفتيه بعد صلاة الضحى بشىء فقلت : يا رسول الله •• ما هذا الذى تقول ؟ قال : « أقول : اللهم بك أصاول

---

(١) رواه أبو داوود باسناد صحيح • (٢) رواه أحمد ومسلم وابن ماجه •

(٣) اخرجه الطبرانى فى الكبير بسند فيه موسى بن يعقوب الزامعى ، وثقه ابن معين ، وابن حبان ، وضعفه ابن المدينى وغيره وبقية رجاله ثقات ، قاله الهيثمى ، وقال المنذرى : روى عن جماعة من الصحابة ومن طرق ، وهذا احسن اسانيده فيما أعلم •

(٤) سجى : اى غطي بظلامه كل شىء ، أو سكن اهله •

(٥) اخرجه الحاكم •

وبك أحاول[١] وبك أقاتل »[٢] .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وكن من الحريصين على الفوز بصلاة الضحى حتى لا تكتب من الغافلين ، وحتى تكتب من المحسنين أو القانتين أو الفائزين ، وحتى لا يكتب لك ذنب فى ذلك اليوم ، ويبنى الله لك بيتا فى الجنة ، كما ورد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى حديث يقول فيه : لقيت أبا ذر فقلت : يا عم .. أقبسنى خيرا . فقال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتنى فقال : « ان صليت الضحى ركعتين لم تكتب من الغافلين ، وان صليتها أربعا كتبت من المحسنين ، وان صليتها ستا كتبت من القانتين ، وان صليتها ثمانيا كتبت من الفائزين ، وان صليتها عشرا لم يكتب لك ذلك اليوم ذنب ، وان صليتها اثنتى عشرة ركعة بنى الله لك بيتا فى الجنة »[٣] .

وحسبك أن تعلم أن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ان صلاة الضحى لفى القرآن وما يغوص عليها الا غواص . قال تعالى : **« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو[٤] والآصال[٥] »**[٦] .

وقال أيضا : طلبت صلاة الضحى فى القرآن فوجدتها ههنا : **« يسبحن بالعشى[٧] والاشراق »**[٨] .

بل وحسبك أن تقرأ كذلك هذا الحديث الشريف :

عن عبد الله بن جراد بن أبى جراد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « المنافق لا يصلى الضحى ، ولا يقرأ : قل يا أيها الكافرون »[٩] .

---

(١) احاول : اى اسطو واقهر ، واحاول من المحاولة وهى تطلب الشىء بحيلة ، او التحرك والتحول ، وفى حديث آخر : « وبك احول » .

(٢) اخرجه ابن السنى فى « عمل اليوم والليلة » بسند رجاله ثقات .

(٣) اخرجه البيهقى .

(٤ ، ٥) الغدو : أول النهار ، والآصال : جمع اصيل وهو آخر النهار والآية من سورة النور : ٣٦

(٦) اخرجه ابن ابى شيبة والبيهقى فى الشعب .

(٧) العشى : ما بعد الزوال ، والاشراق : طلوع الشمس وتمام ضوئها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى .

(٨) سورة ص : ١٨

(٩) اخرجه الديلمى .

وهذا الحديث القدسى الذى روى عن نعيم بن عمار الغطفانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قال ربكم عز وجل : صل لى يا ابن آدم أربعا فى أول النهار أكفك آخره »[١] •

قال فى « الدين الخالص »[٢] : وفى الباب أحاديث أخرى تدل على عظيم فضل صلاة الضحى والحث عليها وكثرة فوائدها ، وأنها أعظم غنيمة يغتنمها المسلم ، وينتصر بها على الشيطان ، ويرضى بها عنه الرحمن ، ويعمه بالاحسان •

كما قال : ومن فوائدها أن مصليها يكون فى حفظ الله ورعايته طول يومه ، ومنها أنها تكفر صغائر الذنوب ، وتحفظ مصليها من ارتكاب الكبائر ، ومنها أنها تجزىء عن ستين وثلثمائة صدقة المطلوبة على مفاصل البدن •

فعلى العاقل أن يهتم بتأديتها ويواظب عليها ، ويكثر من التسبيح والتحميد والتهليل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وسائر أنواع الطاعة ، ليؤدى بذلك ما عليه من الصدقات المطلوبة على أعضائه •

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام حتى تحرص على أداء صلاة الضحى التى وقفت عليها وعلى ما فيها من خيرات •

وحتى تعرف وقتها بسهولة ويسر فهو : (تقريبا) بعد طلوع الشمس بثلث ساعة الى ما قبل الظهر بثلث ساعة •

* * *

ومن الصلوات الأخرى التى أرجو أن لا تحرم من نتائجها :

صلاة الاستخارة[٣]

وهى مستحبة لمن أراد أمرا من الأمور المباحة المهمة كالزواج والتجارة وغيرهما مما لا يعلم فيه وجه الخير والشر[٤] • وهى : عبارة عن ركعتين من غير الفريضة ولو كانتا من السنن الراتبة أو تحية

---

(١) اخرجه احمد وابو داوود والنسائى والدارمى بسند جيد •

(٢) راجع الجزء الخامس من « الدين الخالص » ص ٢٣٠

(٣) الاستخارة : هى طلب الخير من الله تعالى فيما يقصد من الأمور • يقال : خار الله لك : اى أعطاك ما هو خير لك •

(٤) أما المعروف خيره كالعبادة وعمل المعروف فيفعل بلا استخارة • والمعروف شره كالمحرم والمكروه ، فيترك بلا استخارة •

المسجد فى أى وقت من الليل أو النهار[١] يقرأ فيهما بما شاء بعد الفاتحة ، ثم يحمد الله ويصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بالدعاء الذى رواه البخارى من حديث جابر رضى الله عنه الذى يقول فيه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها[٢] كما يعلمنا السورة من القرآن يقول :

« اذا هم[٣] أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل[٤] : اللهم انى أستخيرك[٥] بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب . اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر[٦] خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى — أو قال : عاجل أمرى وآجله[٧] — فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه . وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى — أو قال : عاجل أمرى وآجله — فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ، ثم أرضنى به — قال : ويسمى حاجته — أى يسمى حاجته عند قوله : « اللهم ان كان هذا الأمر ... » .

قال النووى : ينبغى أن يفعل بعد الاستخارة ما ينشرح له فلا ينبغى أن يعتمد على انشراح كان فيه هوى قبل الاستخارة ، بل ينبغى للمستخير ترك اختياره رأسا والا فلا يكون مستخيرا لله بل يكون غير صادق فى طلب الخيرة وفى التبرى من العلم والقدرة واثباتهما لله تعالى ، فان صدق فى ذلك تبرأ من الحول والقوة ومن اختياره لنفسه .

وحتى تعرف قيمة هذا الدعاء المحمدى الذى وقفت عليه وتدرك

---

(١) حتى فى أوقات الكراهة عند الشافعية لأنها صلاة لها سبب ، وقال الجمهور : تؤدى فى غير أوقات النهى تقديما للحاظر على المبيح .

(٢) اى صغيرها وكبيرها .

(٣) الهم بالأمر ارادته وهو ترجيح الفعل على الترك .

(٤) وهذا دليل على انه لا يضر تأخر دعاء الاستخارة عن الصلاة ، وانه لا يضر الفصل بكلام يسير ، وانه لا يجزىء الاتيان به فى اثناء الصلاة .

(٥) اى أطلب منك الخيرة او الخير .

(٦) يسمى حاجته هنا .

(٧) يجمع بينهما .

أهميته ، اليك ما ذكره امامنا الأكبر الشيخ محمود خطاب السبكى فى كتابه « الدين الخالص »[1] بالحرف الواحد :

من تأمل دعاء الاستخارة الوارد عن الرسول صلى الله عليه وسلم وجد فيه من البلاغة والأسرار والفوائد ما لا يوجد فى أى دعاء يختاره الانسان لنفسه ، ثم قال : قال ابن الحاج فى المدخل :

ثم انظر الى تلك الألفاظ الجليلة التى شرعها عليه الصلاة والسلام لأمته ليرشدهم الى مصالحهم الدنيوية والأخروية وهى : « اللهم » أى أسألك بجميع ما سئلت به ، ويؤيده ما نقل : أنه اسم الله الأعظم الذى ترجع اليه جميع الأسماء « انى أستخيرك بعلمك » : أى بعلمك القديم الكامل لا بعلمى أنا المخلوق القاصر . فمن فوض الأمر الى ربه اختار له ما يصلح « وأستقدرك بقدرتك » : أى بقدرتك القديمة الأزلية ، لا بقدرتى أنا المخلوق المحدثة القاصرة ، فمن تعرى عن قدرة نفسه وكانت قدرته منوطة بقدرة ربه عز وجل مع السكون والضراعة اليه فلا شك فى وجود الراحة له ، اما عاجلا أو آجلا أو هما معا ، وأى راحة أعظم من الانسلاخ من عناء التدبير والاختيار والخوض لفكرة عقله فيما لا يعلم عاقبته « وأسألك من فضلك العظيم » : فمن توجه بالسؤال الى مولاه دون مخلوق واستحضر سعة فضل ربه عز وجل وتوكل عليه ونزل بساحة كرمه ، فلا شك فى نجاح سعى من هذا حاله ، اذ فضل المولى سبحانه وتعالى أجل وأعظم من أن يرجع الى قانون معلوم وتقدير « فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب » : فمن تبرأ وانخلع من تدبير نفسه وحوله وقوته ورجع بالافتقار الى مولاه الكريم الذى لا يعجزه شىء فلا شك فى قضاء حاجته وبلوغ ما يؤمله ووقوع الراحة « أو قال : فى عاجل أمرى وآجله » الشك هنا من الراوى فى أيهما قال عليه الصلاة والسلام .

واذا كان كذلك فينبغى للمكلف أن يحتاط لنفسه فى تحصيل بركة لفظه عليه الصلاة والسلام على القطع فيأتى بهما معا « فأقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه » : فمن رضى بما اختاره له سيده ، العالم بعواقب الأمور كلها وبمصالح الأشياء جميعها بعلمه القديم الذى لا يتبدل ولا يتحول فقد سعد السعادة العظمى « فاصرفه عنى واصرفنى عنه

---

(١) الجزء الخامس فى باب صلاة الاستخارة .

واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به » فمن سكن الى ربه عز وجل وتضرع اليه ولجأ فى دفع جميع الشر عنه ، فلا شك فى سلامته من كل ما يتوقع من المخاوف •••

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام بالاضافة الى أن الحكمة فى تقديم الصلاة على الدعاء هو أن المراد من الاستخارة : الجمع بين خيرى الدنيا والآخرة ، لأن ذلك يحتاج الى قرع باب الملك ولا شىء لهذا أنجع من الصلاة لما فيها من تعظيم الله تعالى والثناء عليه واظهار الافتقار اليه حالا ومآلا •

واعلم أنه من السنة أن تبدأ أولا باستشارة من تعلم منه حسن النصيحة وكمال الشفقة والخبرة وتثق بدينه ومعرفته ، لقوله تعالى : « **وشاورهم فى الأمر** »[1] وقوله : « **وأمرهم شورى بينهم** »[2] أى يتشاورون بينهم فيه ، وقد ورد فى الحديث الشريف : « المشورة حصن من الندامة وأمان الملامة »[3] •

واذا شاورت وظهر أنه مصلحة استخر الله سبحانه وتعالى بهذه الاستخارة المشروعة التى وقفت عليها[4] •

واذا تعذرت صلاة الاستخارة ، فاستخر بالدعاء — الذى وقفت عليه — بعد استفتاحك بالحمد لله والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وافعل بعد ذلك ما ينشرح له صدرك ، ولا تعتمد على انشراح كان لك قبل الاستخارة ، بل ينبغى كما عرفت قبل ذلك ترك اختيارك رأسا والا فانك لن تكون مستخيرا لله ، بل مستخيرا لهواك •

فان لم تجد انشراحا لشىء فى صدرك : فقد قيل : تكرر الاستخارة ثلاثا ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان اذا دعا كرر الدعاء ثلاثا •

وقيل : تكررها سبعا لحديث أنس : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ، ثم انظر الى الذى يسبق الى قلبك فان الخير فيه »[5] •

---

(١) آل عمران : ١٥٩ (٢) الشورى : ٣٨

(٣) من كتاب « ادب الدنيا والدين » للحسن البصرى .

(٤) والجمع بين الاستخارة والاستشارة من كمال الامتثال للسنة . فينبغى للمكلف ان لا يقتصر على احداهما فان كان ولابد من الاقتصار فعلى الاستخارة .

(٥) اخرجه الديلمى فى مسند الفردوس . . وهو ضعيف .

فاحرص على هذا الخير الذى وقفت عليه وحسبك ترغيبا لك فيه حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه الذى يقول فيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من سعادة ابن آدم استخارته الله ، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله ، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله ، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضاه الله عز وجل »[1] .

واذا كنت وقفت على الاستخارة الشرعية الواردة والثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء أكانت بالصلاة أو الدعاء ، فهناك استخارات أخرى مبتدعة رأيت فى نهاية هذا العرض أن أحيطك بها علما حتى استخارة النوم لا تفعلها ، وهى :

استخارة النـــوم

التى يعملها صاحب الحاجة أو يعملها له غيره ، بأن يقرأ الشخص شيئا من القرآن ويدعو الله أن يريه فى منامه ما نواه أو يريه خضرة أو بياضا ان كان ما يقصده خيرا ، ويريه حمرة أو سوادا ان كان ما يقصده لا خير فيه .

فهذه الاستخارة لم تشرع وفيها عدول عن تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعن الدعاء الجامع لخيرى الدنيا والآخرة ، وهذا يتنافى مع كمال الايمان وحسن اليقين الذى يقتضى التخلى عن البدع ، والتحلى بالسنن .

وقد ذكر العلامة الصاوى فى تفسير آية : « **وربك يخلق ما يشاء ويختار** ... »[2] صلاة الاستخارة ودعاءها . ثم قال : فان لم يكن يحفظ هذا الدعاء فليقل : « اللهم خر لى واختر لى » كما روى عن عائشة عن أبى بكر رضى الله عنهما .

استخارة السبحة

التى يعملها صاحب الحاجة أو تعمـــل له ، وطريقتها أن يأخذ الشخص مسبحة فيتمتم عليها بحاجته ، ثم يحصر بعض حباتها بين يديه ثم يعدها فان كانت فردية عدل عما نواه ، وان كانت زوجية اعتبر ما نواه خيرا وسار فيه .

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم وأبو يعلى وابن حبان والبزار بسند جيد ، والترمذى وقال : حديث غريب .

(٢) القصص : ٦٨ .

وهذا يشبه ما كان يحدث فى الجاهلية الأولى من اطلاق الطير فى الجو وهو ما سماه الشرع الشريف : بالطيرة ، ونهى عنها .

استخارة الفنجان

ويعملها عادة غير صاحب الحاجة ويقوم بعملها رجل أو امرأة ، وطريقتها أن يشرب صاحب الحاجة القهوة المقدمة اليه ثم يكفىء الفنجان وبعد قليل يقدمه لقارئه فينظر فيه بعد أن أحدثت فضلات القهوة رسوما وأشكالا يحدثها عادة كل راسب فى اناء اذا انكفأ .

ثم يأخذ هذا الدجال فى سرد حكايات كثيرة لصاحب الحاجة الذى كثيرا ما يتأثر بهؤلاء الدجالين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل .

ومثلها : استخارة الورق (الكوتشينة) ، استخارة الرمل ، استخارة انودع ، واستخارة الكف .

فكل هذا يعتبر تضليلا يعتمد أساسا على قوة فراسة هذا الدجال الذى يستخلص كلامه من ميول الشخص وموافقته له فى بعض الأشياء .

فاحذر الوقوع فى هذا الاثم وحسبك تحذيرا لك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أتى عرافا[١] فسأله عن شىء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »[٢] .

وقوله : « من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » ــ صلى الله عليه وسلم ــ[٣] .

وقد قالت عائشة رضى الله عنها : من زعم أنه يعلم ما فى غد فقد أعظم على الله الفرية : لأن الله تعالى يقول : **« قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله »**[٤] .

فتذكر كل هذا حتى تكون بعيدا عن هذا الضلال وتكون حربا على المضلين ومنقذا للضالين ، ولا تنسى قول الله تعالى على لسان

---

(١) اى ذهب اليه .
(٢) اخرجه احمد ومسلم عن حفصة .
(٣) اخرجه احمد والحاكم عن ابى هريرة بسند صحيح .
(٤) اخرجه ابن جرير الطبرى ــ والآية من سورة النمل : ٦٥

نبيه صلى الله عليه وسلم : « **ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء** »(١) .

وعن أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انما أنا بشر مثلكم وانكم تختصمون الى ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى على ما أسمع . فمن قضيت له بحق أخيه شيئا ، فلا يأخذه ، فانما أقطع له قطعة من النار »(٢) .

فلا تنس كل هذا وحسبك ما وقفت عليه من هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى الاستخارة وتذكر كذلك قوله : « طوبى لمن وسعته السنة ولم تستهوه البدعة »(٣) .

* * *

ومن الصلوات الأخرى صلاة قد تحتاج اليها كثيرا وكثيرا فى هذه الدار التى لا تخلو من الابتلاءات ، وهذه الصلاة هى :

صلاة الحاجة

فقد ورد عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من توضأ فأسبغ الوضوء ثم صلى ركعتين يتمهما أعطاه الله ما سأل معجلا أو مؤخرا »(٤) .

وفى رواية أخرى أيضا عن أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من توضأ فأحسن الوضوء ثم قام فصلى ركعتين أو أربعا مكتوبة(٥) أو غير مكتوبة يحسن فيها الركوع والسجود ثم استغفر الله ، غفر له »(٦) .

قال فى « الدين الخالص » : يستحب لمن أهمه أمر أو كانت له حاجة الى الحق أو الخلق يريد قضاءها أن يتطهر ويصلى ركعتين ثم يدعو بدعاء الكرب أو غيره مما يأتى ... ثم ذكر أحاديث منها : حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب : « لا اله الا الله العظيم الحليم ، لا اله الا الله رب العرش العظيم ،

---

(١) الأعراف : ١٨٨ (٢) أخرجه الجماعة .

(٣) من خطبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) أخرجه أحمد بسند صحيح . (٥) أى مفروضة .

(٦) أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند حسن .

لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم[١] »[٢] .

وحديث أنس : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أكربه أمر قال : « يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث »[٣] .

وقول أنس : كان أكثر دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عــذاب النار »[٤] .

وحديث عبد الله بن أبى أوفى قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد فقال : « من كانت له حاجة الى الله تعالى أو الى أحد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ، ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله عز وجل ، وليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليقل : لا اله الا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين أسألك موجبات رحمتك[٥] وعزائم[٦] مغفرتك والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل اثم ، لا تدع لى ذنبا الا غفرته ، ولا هما الا فرجته ، ولا حاجة هى لك رضا الا قضيتها يا أرحم الراحمين »[٧] .

* * *

ومن الصلوات الأخرى التى قد تحتاج اليها كذلك :

صــلاة الضائع والآبق

فقد قال كذلك فى « الدين الخالص » :

يسن لمن ضاع له شىء أو أبق[٨] وأراد العثور عليه أن يتوضأ ويصلى ركعتين ويدعو بما ورد فى ذلك :

---

(١) العظيم والكريم بالجر صفة للعــرش . وهو الثابت فى رواية للجمهور ، أو بالرفع صفة الرب . أو خبر لمبتدا محذوف . فهو نعت للعرش قطع للمدح .

(٢) اخرجه الستة الا ابا داوود ، وفى رواية لمسلم : ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر ـــ اى نابه وألم به أمر شديد ـــ قال ذلك .

(٣) اخرجه الترمذى : وفى سنده يزيد الرقاشى ضعيف لسوء حفظه .

(٤) اخرجه الشيخان .

(٥) موجبات الرحمة : التوفيق والهداية الى الطريق المستقيم .

(٦) العزائم : جمع عزيمة بمعنى معزومة ، اى مقطوع بوقوعها ، فالمعنى : اسالك انواعا من المغفرة يتحتم حصولها بارادتك ، او تقطع عنى كل تقصير مانع من استجابة الدعاء .

(٧) اخرجه الترمذى وقال : حديث غريب وفى اسناده مقال .

(٨) المراد : ابق اى هرب له عبد .

فعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من ضاع له شىء أو أبق يتوضأ ويصلى ركعتين ويتشهد ويقول : باسم الله يا هادى الضلال ، وراد الضالة .. اردد على ضالتى بعزتك وسلطانك فانها من عطائك وفضلك »[١] .

وفى رواية أخرى بلفظ : « اللهم راد الضالة وهادى الضلالة ، أنت تهدى من الضلالة ، اردد على ضالتى بقدرتك وسلطانك ، فانها من عطائك وفضلك »[٢] .

واحذر أن تنشد الضالة فى المسجد ، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشراء والبيع فى المسجد وأن تنشد فيه الأشعار[٣] وأن تنشد فيه الضالة ، ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة »[٤] .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سمع رجلا ينشد ضالة فى المسجد فليقل : لا ردها الله عليك ، فان المساجد لم تبن لهذا »[٥] .



ومن الصلوات الأخرى التى أرجو أن تواظب عليها :

صلاة الليل

فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل »[٦] .

---

(١) اخرجه ابن ابى شيبة والحاكم وقال : رواته موثقون مدنيون لا يعرف واحد منهم بجرح .

(٢) اخرجه احمد والطبرانى .

(٣) الشعر المنهى عنه ما اشتمل على هجو مسلم او مدح ظالم او نحش ونحو ذلك ، اما ما كان حكمة او مدحا للاسلام او حثا على بر فلا بأس به .

(٤) رواه الخمسة وهم البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى وصححه الترمذى .

(٥) رواه مسلم .

(٦) قال الترمذى : هذا الحديث حسن . وهو بعض حديث اخرجه ايضا مسلم وابو داوود والنسائى وابن خزيمة عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم ، وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » .

وقد كان قيام الليل فرضا على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لقوله تعالى : « **يا أيها المزمل**[١] • **قم الليل الا قليلا • نصفه أو انقص منه قليلا** »[٢] •

ثم نسخ بقوله تعالى : « **علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ، فاقرأوا ما تيسر من القرآن** »[٣] •

قال ابن عباس فى تفسيره : قم الليل كله الا قليلا منه • فاشتد ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وقاموا الليل كله ولم يعرفوا ما حد القليل ، فأنزل الله تعالى : « **نصفه أو انقص منه قليلا** » فاشتد ذلك أيضا عليهم وقاموا حتى انتفخت أقدامهم ، ففعلوا ذلك سنة ، فأنزل الله تعالى ناسختها فقال : « **علم أن لن تحصوه** » يعنى قيام الليل من الثلث والنصف ، وكان هذا قبل فرض الصلوات الخمس •• اهـ •

وعن عكرمة أن ابن عباس قال فى المزمل : « **قم الليل الا قليلا • نصفه** » نسختها الآية التى فيها : « **علم أن لن تحصوه فتاب عليكم ، فاقرأوا ما تيسر من القرآن** »[٤] •

وعن سماك الحنفى أن ابن عباس قال : لما نزلت أول المزمل كانوا يقرأون نحوا من قيامهم فى شهر رمضان حتى نزل آخرها ، وكان بين أولها وآخرها سنة[٥] •

---

(١) أصله المتزمل أى المتلفف بثيابه وهو وصف للنبى ﷺ •

(٢) أى خفف عنكم باسقاط فرض قيام الليل ، فالمراد بالتوبة : التوبة اللغوية وهى التخفيف ـ والآية من سورة المزمل : ١ ـ ٣

(٣) أى صلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل ولو ركعتين ، وعبر عن الصلاة بالقراءة ، لأنها بعض اركانها ، والأمر للندب . ويحتمل ابقاء القراءة على حقيقتها ، أى اقرأوا فى الصلاة ، فالأمر للوجوب ، أو فى غيرها والأمر للندب وبهذه القراءة تنالون ثواب القيام . فعن ابن عمرو بن العاص : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين » . أخرجه ابو داوود ـ والآية من سورة المزمل : ٢٠

(٤) الأثر : أخرجه ابو داوود والبيهقى .

(٥) أخرجه ابو داوود والبيهقى ومحمد بن نصر .

وبهذا صار قيام الليل مندوبا فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وأمتـــه[١] .

وبهذا قال الجمهور ، وحكى عن ابن عباس ومجاهد وزيد بن أسلم ، وقال مالك : لم يزل قيام الليل فرضا فى حق النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عن ابن عباس والشافعى لظاهر قوله تعالى : « **ومن الليل فتهجد به نافلة لك** »[٢] أى فريضة زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك دون أمتك .

والمعنى كما قال الجمهور : جعل التهجـــد نفلا فى حقك زيادة لدرجاتك وشكراً منك لمولاك على ما أولاك . أما فى حق الأمة فشرع تكفيرا للسيئات .

* * *

وقد ورد فى فضل قيام الليل أحاديث شريفة منها :

حديث بلال : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة الى الله تعالى ، ومنهاة عن الاثم ، وتكفير للسيئات ، ومطردة للداء عن الجسد »[٣] .

وحديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل : أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ فقال : « الصلاة فى جوف الليل » قيل : أى الصيام أفضل بعد رمضان ؟ قال : « شهر الله المحرم »[٤] .

وحديث أبى مالك الأشعرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان فى الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وقام بالليل والناس نيام »[٥] .

---

(١) ويؤيده حديث رواه مسلم والنسائى والبيهقى ، قالت السيدة عائشة رضى الله عنها فى آخره : « ثم انزل الله التخفيف فى آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد أن كان فريضة » .

(٢) أمر للنبى صلى الله عليه وسلم بالتهجد وهو الصلاة ليلا بعد النوم . — والآية من سورة الأنفال : ٧٩

(٣) اخرجه احمـــد والبيهقى والترمذى والحاكم وقال : على شرط البخارى .

(٤) اخرجه احمد ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى .

(٥) اخرجه احمد وابن حبان والبيهقى فى الشعب والطبرانى فى الكبير بسند رجاله ثقات .

وحديث عروة بن الزبير عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام حتى تنفطر[1] رجلاه . قالت عائشة : يا رسول الله .. أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « يا عائشة .. أفلا أكون عبدا شكورا »[2] ؟

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام حتى تحافظ على قيام الليل والا كنت كهذا الرجل الذى بال الشيطان فى أذنه :

فقد روى فى حديث يونس عن الحسن عن أبى هريرة أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان فلانا نام البارحة ولم يصل شيئا حتى أصبح . فقال : « بال الشيطان فى أذنه » . قال يونس وقال الحسن : ان بوله والله ثقيل[3] .

وحسبك بالاضافة الى هذا الفضل الذى وقفت عليه أنك بقيامك الليل وصلاتك فيه ستحل عقد الشيطان الثلاث ، وستصبح نشيطا طيب النفس .

فقد روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب مكان كل عقدة : عليك ليل طويل فارقد ، فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فان توضأ انحلت عقدة ، فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطا طيب النفس ، والا أصبح خبيث النفس كسلان »[4] .

* * *

هذا .. وقد اتفق العلماء على أن كل الليل وقت للتهجد وأن أفضله الثلث الأخير لأنه وقت الغفلة ونزول الرحمة واستجابة الدعاء .

وقد اتفقوا كذلك على أنه ليس لصلاة الليل عدد مخصوص ، وأن العبد كلما زاد فيها ازداد أجره ، واختلفوا فيما فعله النبى صلى الله عليه وسلم واختاره لنفسه ، والغالب من أحواله صلى الله عليه وسلم

---

(١) أى تتشقق قدماه من طول القيام .

(٢) اخرجه احمد والشيخان .

(٣) اخرجه احمد واخرج الشيخان نحوه عن ابن مسعود .

(٤) اخرجه الشيخان وابو داوود .

أنه كان يصلى بالليل احدى عشرة ركعة ، أو ثلاث عشرة ركعة بالوتر • وقد صلى تسعا وسبعا لما كبر سنه •

فلاحظ كل هذا ، واعلم :

أن الأفضل فى صلاة الليل أن تكون مثنى ويسن أن تفتتح بركعتين خفيفتين لينشط بهما لما بعدهما ، ثم يطيل القراءة والركوع والسجود ، وهو مخير فى القراءة بين الاسرار والجهر وهو أفضل ما لم يكن فيه (تشويش) على مصل أو نائم •

* * *

وحتى تقف على هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى صلاة الليل اليك هذا الحديث :

عن كريب مولى ابن عباس أنه أخبره أنه بات عند ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم — وهى خالته — قال : فاضطجعت فى عرض الوسادة[١] واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله فى طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا انتصف الليل — أو قبله بقليل أو بعده بقليل — استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس يمسح النوم عن وجهه ثم قرأ العشر الآيات خواتيم سورة آل عمران[٢] ثم قام الى شن[٣] معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلى • قال ابن عباس : فقمت فصنعت مثل الذى صنع • ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع يده على رأسى وأخذ أذنى ففتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر • ثم اضطجع حتى أتاه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلى الصبح[٤] •

وقد ورد فى صلاة الليل أذكار وأدعية منها :

حديث طاووس عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام الى الصلاة من جوف الليل يقول : « اللهم لك الحمد

(١) الوسادة بكسر الواو : المخدة توضع تحت الرأس .

(٢) من قوله تعالى : **« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الألباب »** (الآية : ١٩٠) الى آخر السورة .

(٣) الشن بفتح الشين وشد النون : القربة الخلق .

(٤) أخرجه احمد والشيخان .

وأنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت قيام[١] السموات والأرض ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، وقولكُ الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، والنبيون حق ، ومحمد — صلى الله عليه وسلم — حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت[٢] واليك حاكمت[٣] فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى[٤] أنت المقدم وأنت المؤخر ، أنت الذى لا اله الا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بالله »[٥] .

وحديث ربيعة الجرشى قال : سألت عائشة فقلت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا قام من الليل ؟ وبم كان يستفتح ؟ قالت : كان يكبر عشرا ، ويهلل عشرا ، ويستغفر عشرا ، ويقول : « اللهم اغفر لى واهدنى وارزقنى — عشرا — ويقول : اللهم انى أعوذ بك من الضيق يوم الحساب — عشرا — »[٦] .



وكذلك يسن الاكثار من الدعاء والذكر والاستغفار فى كل ساعة من الليل ، ولا سيما النصف الأخير لقول جابر بن عبد الله : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ان فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه الله اياه وذلك فى كل ليلة »[٧] .

---

(١) قيام بالتشديد : اى قائم بشئون خلقه مدبرها ، وفى رواية : « قيوم » ، وفى اخرى : « قيم » .

(٢) بك خاصمت : اى بما وهبت من البراهين والحجج ، خاصمت من عاند وكفر بك .

(٣) واليك حاكمت : اى جعلتك الحاكم بينى وبين من جحد الحق ، او جعلت محاكمتى معه الى كتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم لا الى غيرهما .

(٤) سأل صلى الله عليه وسلم المغفرة وهو مغفور له ، تواضعا واجلالا لله تعالى ، وتعليما لأمته .

(٥) اخرجه الجماعة .

(٦) اخرجه احمد والنسائى بسند جيد وابن حبان وصححه .

(٧) اخرجه احمد ومسلم .

ولحديث عمرو بن عبسة أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الآخر[١] ، فان استطعت أن تكون ممن يذكر الله تعالى فى تلك الساعة فكن »[٢] .

* * *

وقد ورد فى أذكار الليل أحاديث منها :

حديث جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا كان جنح[٣] الليل فكفوا صبيانكم ، فان الشياطين تنتشر حينئذ ، فاذا ذهبت ساعة من العشاء فخلوهم ، وأغلق بابك واذكر اسم الله ، وأطفىء مصباحك واذكر اسم الله ، وأوك سقاءك واذكر اسم الله ، وخمر اناءك[٤] واذكر اسم الله ، ولو أن تعرض عليه شيئا »[٥] .

والمعنى كما قال فى « الدين الخالص » :

امنعوا الصبيان من الخروج فى أول الليل ، وذلك لأنهم ملوثون بالنجاسة التى يلوذ بها الشيطان ، ولأنهم لا يأتون بالذكر الذى يحفظ به الانسان من الشياطين الذين ينتشرون حين ظلمة الليل ، فاذا ذهبت ساعة من العشاء اشتغل كل منهم ومضى الى ما قدر له التشاغل به .

وحديث ابن مسعود : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة[٦] فى ليلته كفتاه[٧] »[٨] .

وحديث أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة » ؟ فشق ذلك عليهم وقالوا : أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال : « الله الواحد الصمد ثلث القرآن »[٩] .

---

(١) اى حال تكون فيه رحمة الرب قريبا من العبد آخر الليل .

(٢) اخرجه النسائى وابن خزيمة والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) يعنى طائفة من الليل . (٤) تخمير الاناء : تغطيته .

(٥) اخرجه الجماعة .

(٦) هما قوله تعالى : **« آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون »** (البقرة : ٢٨٥) الى آخر السورة .

(٧) وكفتاه بتخفيف الفاء : اى اغنتاه عن قيام تلك الليلة بالقرآن ، ووقتاه من كل سوء ومكروه . (٨) اخرجه الجماعة .

(٩) اى سورة الاخلاص ، وأخرجه مالك والشيخان والنسائى وأبو داوود .

وحديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ مائة آية كتب من القانتين »[1] .

وحديث بريدة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ عشر آيات فى ليلة لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ مائة آية كتب له قنوت ليلة ، ومن قرأ مائتى آية كتب من القانتين ، ومن قرأ أربعمائة آية كتب من العابدين ، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من الحافظين ، ومن قرأ ستمائة آية كتب من الخاشعين ، ومن قرأ ثمانمائة آية كتب من المخبتين[2] ومن قرأ ألف آية أصبح له قنطار ، والقنطار ألف ومائة أوقية ، والأوقية خير مما بين السماء والأرض — أو قال : خير مما طلعت عليه الشمس — ومن قرأ ألفى آية كان من المؤمنين »[3] .

وفى الباب أحاديث كثيرة كلها تدل على فضل قراءة القرآن فى جوف الليل ولا سيما من سورة البقرة ، وآية الكرسى ، وسورة يس ، وحم الدخان ، وألم تنزيل السجدة ، وسورة تبارك .

* * *

فلا تنس كل هذا وكن منفذا له حتى تكون من الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله :

« تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون »[4] .

* * *

ولا تنس أخا الاسلام بعد هذا العرض الحيوى الذى أرجو أن تكون قد انتفعت به :

صلاة التوبة

التى ورد فى شأنها :

عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم

---

(١) اخرجه الحاكم صححه .

(٢) المخبت : من الاخبات وهو التواضع .

(٣) اخرجه احمد والنسائى ، واخرجه الطبرانى عن ابى امامة وفيه : « ومن قرا فى ليلة الفى آية كان من الموجبين » اى الذين وجبت لهم الجنة .

(٤) السجدة : ١٦ ، ١٧

يصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر له الله . ثم قرأ : **« والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله »**[١] الآية .

وفى رواية أخرى : عن أبى بكر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من عبد يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب الا غفر الله له » .

وعن الحسن البصرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أذنب عبد ذنبا ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى براز من الأرض[٢] فصلى فيه ركعتين واستغفر الله من ذلك الذنب الا غفر الله له »[٣] .

* * *

فاذا كنت أخا الاسلام قد أذنبت ذنبا فانه يسن لك كما قرأت فى هذه النصوص الشريفة : أن تتطهر وتصلى ركعتين ثم تستغفر الله مما جنت يداك ليغفر الله لك .

وحسبك هذه الآية الكريمة التى وقفت عليها فى الحديث الأول :

فقد روى أنها نزلت لما قال المؤمنون : يا رسول الله .. كانت بنو اسرائيل أكرم على الله منا ، كان أحدهم اذا أذنب ذنبا أصبح وكفارة ذنبه مكتوبة فى عتبة بابه : اجدع أنفك أو أذنك افعل كذا أو كذا ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية[٤] .

وقال عطاء : نزلت فى أبى معبد التمار ، أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال : هذا التمر ليس بجيد ، وفى البيت أجود منه ، فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها . فقالت له : اتق الله . فتركها وندم على ذلك ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر له أمره فنزلت هذه الآية .

« والذين اذا فعلوا فاحشة » أى فعلة قبيحة لم يأذن الله بها ، والفاحشة فى الأصل تطلق على كل معصية ، والمراد بها هنا الزنا

---

(١) تمام الآية : **« .. فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون »** (آل عمران : ١٣٥) .

(٢) البراز بفتح الباء وكسرها : الفضاء الواسع ، وقيل الصحراء البارزة

(٣) أخرجه البيهقى مرسلا . (٤) قاله ابن مسعود .

« **أو ظلموا أنفسهم** » باقتراف ذنب آخر . وقيل الفاحشة : الكبيرة ، وظلم النفس : الصغيرة « **ذكروا الله** » أى تذكروا وعيده وأنه سائلهم ومحاسبهم ، أو ذكروا الله باللسان « **فاستغفروا لذنوبهم** » أى طلبوا مغفرتها من الله « **ومن يغفر الذنوب الا الله** » استفهام انكارى بمعنى النفى . أى لا يغفرها أحد سواه ، فعن الأسود بن سريع أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بأسير فقال : اللهم انى أتوب اليك ولا أتوب الى محمد . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « عرف الحق لأهله »[١] « **ولم يصروا على ما فعلوا** » أى لم يستمروا على المعصية ولم يعزموا على الرجوع الى الذنب « **وهم يعلمون** » قبحه ، وأن من تاب قبل الله توبته ، فهم كلما ارتكبوا ذنبا تابوا منه . فعن أبى نضرة سالم ابن عبيد عن مولى لأبى بكر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أصر من استغفر ان عاد فى اليوم سبعين مرة »[٢] .



فاذكر كل هذا أخا الاسلام وكن من الذاكرين الله المستغفرين لذنوبهم .

ولا تكن من المصرين على المعصية فتكون من الهالكين .

فعن عبد الله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر : « ارحموا ترحموا ، واغفروا يغفر لكم ، ويل لأقماع[٣] القول ، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون »[٤] .

---

(١) اخرجه احمد .

(٢) اخرجه ابو داوود وابو يعلى والبزار وابن جرير وابن ابى حاتم والبيهقى فى الشعب بسند حسن .

(٣) جمع قمع وهو الاناء الذى يترك فى رؤوس الظروف لتملأ بالمائعات ، وقد شبه أسماع الذين يستمعون القول ولا يعونه ويحفظونه ولا يعملون به بالأقماع التى لا تعى شيئا مما يفرغ فيها .

(٤) اخرجه احمد والبخارى فى « الأدب » والبيهقى والطبرانى بسند جيد وابن كثير .

وحسبك حتى تتوب الى الله سبحانه وتعـالى توبة نصوحا[١] وتكثر من الاستغفار أن تقرأ هذه الآيات الثلاث التى تؤكد فرضية التوبة من الذنب سواء أكان صغيرا أو كبيرا وهى :

« يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا »[٢] .

« وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »[٣] .

« وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ... »[٤] .

* * *

بل وحسبك كذلك هذه الأحاديث التى سترى من خلالها أهمية التوبة ونتائجها وضرورة التعجيل بها قبل فوات هذه الفرصة التى لا زلت تتمتع بها وهى تواجدك فى هذه الحياة الأولى .

عن أبى سعيد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قال ابليس : يا رب .. وعزتك لا أزال أغوى بنى آدم ما دامت أرواحهـم فى أجسادهم . فقال الله تعـالى : وعزتى وجلالى لا أزال أغفـر لهم ما استغفرونى »[٥] .

وعن أنس : جاء رجل فقال : يا رسول الله .. انى أذنبت ذنبا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أذنبت فاستغفر ربك — فقالها فى الرابعة — وقال : استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المحسور »[٦] .

وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها ، تاب الله عليه »[٧] .

وعن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الانابة »[٨] .

---

(١) التوبة النصوح : هى الصادقة الخالصة بان يتوب عن الذنب فلا يعود اليه ابدا . فقد قال أبى بن كعب : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التوبة النصوح فقال : « التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك منه ثم لا تعود اليه ابدا » . اخرجه ابن ابى حاتم وابن مردويه .

(٢) التحريم : ٨

(٣) النور : ٣١

(٤) هود : ٣

(٥) اخرجه احمد وابن كثير .

(٦) اخرجه البزار وابن كثير .

(٧) اخرجه مسلم .

(٨) اخرجه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .

وعن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون »[١] .

وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمستغفر من الذنب وهو مقيم كالمستهزىء بربه ، ومن آذى مسلما كان عليه من الذنوب مثل منابت النخل »[٢] .

وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر »[٣] .

وقال رجل من ملحان يقال له أيوب : سمعت عبد الله بن عمر يقول : « من تاب قبل موته بعام تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بشهر تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بجمعة تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بيوم تيب عليه ، ومن تاب قبل موته بساعة تيب عليه . فقلت له : انما قال الله : **« انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب »** فقال : انما أحدثك ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم »[٤] .

وعن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه ، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد من الله بذنب »[٥] .

فاذكر كل هذا أخا الاسلام حتى لا تيأس من رحمة الله .

وحسبك فى النهاية أن تذكر قول ابن مسعود رضى الله عنه : ان فى كتاب الله لآيتين ما أذنب عبد ذنبا فقرأهما فاستغفر الله الا غفر له : **« والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ... »** الآية وقوله : **« ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما »**[٦] .

* * *

---

(١) اخرجه احمد والترمذى وابن ماجه والحاكم .

(٢) اخرجه البيهقى وابن عساكر .

(٣) اخرجه ابن مردويه وابن كثير .

(٤) اخرجه ابو داوود والطيالسى وابن كثير — والآية من سورة النساء : ١٧

(٥) اخرجه ابن عساكر .

(٦) اخرجه سعيد بن منصور وابن ابى شيبة والطبرانى والبيهقى ، والآية الاولى من سورة آل عمران : ١٣٥ ، والثانية من سورة النساء : ١١٠ .

وحتى لا تمكن الشيطان منك وتكون فى حصانة من وسوسته وكيده ، وحتى تحمل سلاح الاستغفار ضده ، اليك أيضا هذين الحديثين :

عن عطاء بن خالد قال : بلغنى أنه لما نزل قول الله تعالى : « **ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا** »(١) صاح ابليس بجنوده وحثا على رأسه التراب ، ودعا بالويل والثبور حتى جاءته جنوده من كل بر وبحر . فقالوا : مالك يا سيدنا ؟ قال : آية نزلت فى كتاب الله لا يضر بعدها أحدا من بنى آدم ذنب . قالوا : ما هى ؟ فأخبرهم ، قالوا : نفتح لهم باب الأهواء فلا يتوبون ولا يستغفرون ولا يرون الا أنهم على الحق ، فرضى منهم بذلك(٢) .

وعن عثمان بن مطرف قال : حدثنا عبد الغفور عن أبى نضرة عن أبى رجاء عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عليكم بلا اله الا الله والاستغفار ، فأكثروا منهما ، فان ابليس قال : أهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار . فلما فعلوا ذلك أهلكتهم بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون »(٣) فـ :

ان كنت أذنبت فقم واعتذر   الى كريم يقبل الاعتذار
وانهض الى مولى عظيم الرجا   يغفر بالليل ذنوب النهار

* * *

واذا كنت يا أخا الاسلام قد وقفت على أهم وأصح ما ورد من الصلوات المشروعة التى ذكرتها لك تباعا بعد ذكر صلاة التسبيح والتى ختمتها بصلاة التوبة التى تتصل اتصالا وثيقا بصلاة التسبيح التى تكفر كما عرفت عشرة أنواع من الذنوب :

فهناك صلوات أخرى : غير مشروعة أرجو كذلك أن تقف عليها اتماما للفائدة وهى اجمالا أحدى وعشرون ، وهى :

---

(١) آل عمران : ١٣٥   (٢) اخرجه الحكيم الترمذى .
(٣) اخرجه ابو يعلى وابن كثير وقال : عثمان بن مطرف وشيخه ضعيفان .

الموضوع فى الرواتب :

ومنها : من لم يداوم على أربع قبل الظهر لم تنله شفاعتى(١) .

ومنها : من صلى ركعتين بعد ركعتى المغرب بالفاتحة والاخلاص خمس عشرة مرة فله كذا(٢) .

ومنها : وركعتان بعد المغرب فى الأولى الاخلاص خمسا وعشرين مرة وفى الثانية احدى وثلاثين مرة(٣) .

ومنها : وركعتان بعد العشاء بالاخلاص عشرين مرة(٤) .

ومنها : والوتر فى أول الليلة سخطة للشيطان ، وأكل بسحور مرضاة للرحمن(٥) .

وصلاة ليلة الجمعة ويومها :

فقد قيل فى ذلك ما لم يثبت ومنه :

من صلى ليلة الجمعة ركعتين يقرأ فى كل واحدة منهما بفاتحة الكتاب مرة ، واذا زلزلت خمس عشرة مرة ، هون الله عليه سكرات الموت ويسر الله له الجواز على الصراط يوم القيامة(٦) .

من صلى يوم الجمعة ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ فى أول ركعة بفاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة واحدة وخمسا وعشرين مرة قل أعوذ برب الفلق . وفى الركعة الثانية يقرأ بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الناس خمسا وعشرين مرة فاذا سلم قال : لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم خمسين مرة . فلا يخرج من الدنيـا حتى يرى الله عز وجل فى المنـام ، ويرى مكانه فى الجنة أو يرى له(٧) .

---

(١) قال النووى : لا اصل له .

(٢) قال ابن حجر : هذا متن موضوع .

(٣) فيه سليمان بن سلمة متهم . (٤) فيه ابو سلمان يكذب .

(٥) وضعفه ابان بن جعفر البصرى ، وقد وضع على ابى حنيفة اكثر من ثلثمائة حديث مما لم يحدث به ابو حنيفة .

(٦) قال السيوطى فى اللآلىء : أورده الحافظ ابن حجر فى أماليه وقال : غريب وسنده ضعيف فيه من لا يعرف .

(٧) قال السيوطى : موضوع وفيه مجاهيل .

وصلاة ليلة السبت ويومه :

فقد قيل فى ذلك ما لم يثبت ومنه :

من صلى ليلة السبت أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد خمسا وعشرين ، حرم الله جسده على النار[١] .

وصلاة ليلة الأحد ويومه :

وقد قيل فى ذلك ما لم يثبت ومنه :

من صلى ليلة الأحد أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وخمس عشرة مرة قل هو الله أحد ، أعطاه الله يوم القيامة ثواب من قرأ القرآن عشر مرات[٢] .

وصلاة ليلة الاثنين ويومه :

وقد قيل فى ذلك ما لم يثبت ومنه :

من صلى ليلة الاثنين ست ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وعشرين مرة قل هو الله أحد ، ويستغفر بعد ذلك سبع مرات ، أعطاه الله يوم القيامة ثواب ألف صديق وألف عابد[٣] .

وصلاة ليلة الثلاثاء ويومه :

قال فى « التذكرة » : وفى ليلة الثلاثاء ركعتان بالاخلاص والمعوذتين خمس عشرة مرة ، وروى أربع ركعات ، والكل باطل .

وفى يومه عشر ركعات بآية الكرسى مرة ، والاخلاص ثلاثا . ضعيف اهـ .

وصلاة ليلة الأربعاء ويومه :

قال فى « التذكرة » : وفى ليلة الأربعاء ست ركعات بقل اللهم[٤] ضعيف جدا . وروى أربع وثلاثين ركعة ، والكل باطل .

وفى يومه اثنتى عشرة ركعة بآية الكرسى مرة ، والاخلاص مرة ، والاخلاص والمعوذتين ثلاثا . فى سنده كذاب .

---

(١) قال السيوطى : موضوع ، وغالب رواته مجهولون .

(٢) قال السيوطى : موضوع مظلم الاسناد عامة من فيه مجهول .

(٣) قال السيوطى : موضوع .

(٤) اى بآية : « **قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ..** » .
ـــ والآية من سورة آل عمران : ٢٦

وصلاة ليلة الخميس ويومه :

قال فى « التذكرة » : وليلة الخميس ركعتان بآية الكرسى والاخلاص والمعوذتين خمسا خمسا • ضعيف جدا •

وفى يومه ركعتان بآية الكرسى مائة فى الأولى وبالاخلاص مائة فى الثانية • ضعيف •

وفى « الذيل » : ركعتان ليلة الخميس بين المغرب والعشاء بآيه الكرسى والاخلاص والكافرون والمعوذتين كل خمس مرات ، تؤديان حق الوالدين وان لم يبرهما • فيه عاصم بن مفرس متروك اه • ملخصا •

وصلاة الأوابين :

وهى عشرون ركعة بعد المغرب ، وقد ورد فى الرواتب الترغيب فى التنفل بين المغرب والعشاء •

قال فى « الدين الخالص »[(١)] :

ويندب صلاة أربع ركعات بعد صلاة المغرب تضم الى المؤكدتين لحديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة اثنتى عشرة سنة »[(٢)] •

وقد ورد الترغيب فى التنفل بعد المغرب والعشاء فى عدة أحاديث منها : حديث قتادة عن أنس بن مالك فى قوله تعالى : **« كانوا قليلا من الليل ما يهجعون »**[(٣)] قال : كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء وكذلك **« تتجافى جنوبهم عن المضاجع »**[(٤)] أخرجه أبو داوود . وأخرجه ابن مردويه فى تفسيره من رواية الحارث بن وجيه ؛ قال : سمعت مالك ابن دينار قال : سألت أنس بن مالك عن قوله : **« تتجافى جنوبهم عن المضاجع »** فقال : كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء الآخرة ؛ فأنزل الله فيهم : **« تتجافى جنوبهم عن المضاجع »** ، والحارث بن وجيه

---

(١) الجزء الثانى ص ٣٣٣

(٢) أخرجه ابن ماجه وابن خزيمة والترمذى وقال : حديث غريب لا نعرفه الا من حديث زبن بن الحباب .. قال البخارى : منكر الحديث وضعفه جدا .

(٣) الذاريات : ١٧

(٤) السجدة : ١٦

ضعيف ، ثم قال فى « الدين الخالص » : وفى المقام روايات كثيرة ، واذا كان أكثرها فيه مقال ولكن لكثرتها يقوى بعضها بعضا ولا سيما أن المقام مقام فضائل أعمال .

وأما التحديد بعشرين ركعة وترتيب ثواب خاص عليها فقد قيل به ، ولكنه لم يثبت ، ومنه :

عن يعقوب بن الوليد المدائنى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعا : من صلى بعد المغرب عشرين ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة .

ويعقوب كذبه أحمد وغيره .

وصلاة الغفلة :

وقد قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

يا سلمان .. ما من عبد يقوم فى ظلمة وغفلة الناس فيستاك ويتوضأ ويمشط رأسه ولحيته ويصلى ركعتين .. الخ ، قال السيوطى : موضوع فيه مجاهيل .

وفى قال « التذكرة » : أربع ركعات فى ظلمة الليل بأربع قلاقل[1] موضوع .

وصلاة عاشوراء :

قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

من صلى يوم عاشوراء ما بين الظهر والعصر أربعين ركعة ... الخ[2] .

وصلاة رجب :

قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

من صلى المغرب أول ليلة من رجب ، ثم صلى بعدها عشرين ركعة .. الخ[3] .

---

(١) المراد بالقلاقل : قل هو الله احد ، والمعوذتان .

(٢) قال السيوطى : موضوع ورواته مجاهيل .

(٣) قال السيوطى : موضوع واكثر رواته مجاهيل .

وصلاة نصف شعبان :

قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

يا على •• من صلى مائة ركعة فى ليلة النصف من شعبان ••• الخ[١]

وصلاة الفطر ويومه :

قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

من صلى ليلة الفطر مائة ركعة يقرأ فى كل ركعة الحمد مرة ، وقل هو الله أحد عشرا ••• الخ[٢] •

وصلاة يوم عرفة :

قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

من صلى يوم عرفة بين الظهر والعصر أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد خمسين مرة •• الخ[٣] •

وصلاة ليلة النحر ويومه :

قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

من صلى ليلة النحر ركعتين يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب خمس عشرة مرة •• الخ[٤] •

وصلاة رؤية النبى صلى الله عليه وسلم :

قيل فيها ما لم يثبت ومنه :

ما من مؤمن يصلى ليلة الجمعة ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وخمسا وعشرين مرة قل هو الله أحد ثم يسلم • ثم يقول ألف مرة صلى الله على محمد النبى الأمى فانه يرانى فى المنام ، ومن رآنى غفر الله له ذنوبه[٥] •

وصلاة حفظ القرآن :

قيل فيها ما لم يثبت من طريق صحيح ومنه :

حديث أخرجه الطبرانى عن محمد بن ابراهيم القرشى : حدثنا صالح عن عكرمة بن عباس قال : قال على بن أبى طالب : يا رسول الله ••

---

(١) قال السيوطى : ليس عليها اثارة صدق .

(٢) قال السيوطى : موضوع فيه جماعة لا يعرفون .

(٣) قال السيوطى : موضوع فيه ضعفاء ومجاهيل .

(٤) قال السيوطى : عن راويه وهو أحمد بن محمد انه غلام وضاع .

(٥) قال السيوطى : ولا يصح وفيه مجاهيل .

ان القرآن تفلت من صدرى فقال : ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع بهن من علمهن ؟ قال : بلى بأبى أنت وأمى ، قال : صل ليلة الجمعة أربع ركعات تقرأ فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب ويس ... الخ هذا الحديث الذى قال عنه السيوطى : لا يصح ، محمد بن ابراهيم مجروح ، وأبو صالح اسحاق بن نجيح متروك .

وصلاة قضاء الدين :

قال فى « التذكرة » : علمنى جبريل دعاء قضاء الدين فقال : من أصابه دين فليتوضأ وليصل اذا زالت الشمس أربع ركعات .. الخ ، هذا الحديث الذى قال فى آخره : من نسخة نبيط بن شريك كذاب .

وصلاة الهداية أو الفدية عن الميت :

وهى ركعتان تصليان فى أول ليلة بعد دفن الميت ، ثم يدعو بهذا الدعاء : اللهم انى صليت هذه الصلاة وأنت أعلم ما أريد .

اللهم ابعث ثوابها الى قبر فلان ابن فلان ، ويسمى الميت ، وهذه الصلاة لا أصل لها ولم يرد بها حديث .

وصلاة الكفاية :

وقد ورد فيها حديث موضوع ، وصفتها : أن يصلى ركعتين ، يقرأ فى كل ركعة الفاتحة وقل هو الله أحد خمس مرات ، والقدر خمس مرات ... الخ .

قال الشوكانى فى شرحه : وهو حديث مكذوب .

* * *

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام حتى لا تكون من المبتدعين الأخسرين أعمالا : **« الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا »**[١] .

* * *

وحسبك ترغيبا لك فى اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قول الله تبارك تعالى « **... واتبعوه لعلكم تهتدون** »[٢] .

---

(١) الكهف : ١٠٤ (٢) الأعراف : ١٥٨

وقوله : « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم** »[١] .

وقوله : « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب** »[٢] .

بل وحسبك كذلك هذه الأحاديث :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل أمتى يدخلون الجنة الا من أبى » قالوا : يا رسول الله .. ومن يأبى ؟ قال : « من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى »[٣] .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أكل طيبا ، وعمل فى سنة ، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة » قالوا : يا رسول الله .. ان هذا فى أمتك اليوم كثير ، قال : « وسيكون فى قوم بعدى »[٤] .

« اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم »[٥] .

وعن عباس بن ربيع قال : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقبل الحجر — يعنى الأسود — ويقول : انى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك »[٦] .

وعن طائق بن شهاب قال : قال رجل من اليهود لعمر : يا أمير المؤمنين .. لو أن علينا نزلت هذه الآية : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** »[٧] لاتخذنا ذلك اليوم عيدا ، فقال عمر : انى لأعلم أى يوم نزلت هذه الآية . نزلت يوم عرفة فى يوم الجمعة[٨] .

* * *

---

(١) آل عمران : ٣١ — (٢) الحشر : ٧

(٣) رواه البخارى . — (٤) رواه الحاكم وصححه .

(٥) اخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود .

(٦) رواه البخارى ومسلم . — (٧) المائدة : ٣

(٨) رواه البخارى ، وهذا الحديث يؤكد ان الآية نزلت فى يوم عيد فعلا من وجهين : لأنه يوم عرفة ، ويوم جمعة فقد اتخذناه عيدا . وهذا هو ما اراد سيدنا عمر ان يلفت نظر اليهودى اليه .

وكذلك اليك هذه الأقوال الموضوعية المـأثورة عن الأئمة الأعلام الذين تبرأوا من كل عقيدة فاسدة وبدعة فى العبادة :

فقالوا لأصحابهم : خذوا العلم من حيث أخذنا ــ أى من الكتاب والسنة •

وقالوا : ليس لأحد كلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لأن الله لم يجعل لأحد معه كلاما ، وجعل قوله يقطع كل قول •

وقال الامام مالك رحمه الله : من استحسن بدعة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة • وقال : ما لم يكن فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم دينا لم يكن اليوم دينا •

وقال الامام الشافعى رحمه الله فى رسالته : اذا وجدتم قولى يخالف قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فاعملوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم واضربوا بقولى عرض الحائط •

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال ، كما ورد فى الحديث الشريف : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لمـا جئت به »[1] • فحسبك هذا •

مع ملاحظة أن السنة هى : فعله وقوله وتقريره صلى الله عليه وسـلم •

فكن من أهلها تكن من الذين يحبهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما جاء فى قوله : « من أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة »[2] •



(١) روى عن ابى محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما • وهو حديث حسن صحيح •

(٢) من حديث رواه الترمذى بسند حسن •

الوصية الحادية والثلاثون

عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : أوصانى خليلى — صلى الله عليه وسلم — بأربع كلمات هن الى أحب من الدنيا وما فيها ، قال لى :

« يا أبا ذر .. أحكم السفينة فان البحر عميق ، واستكثر الزاد فان السفر طويل ، وخفف ظهرك فان العقبة كؤود ، وأخلص العمل فان الناقد بصير » .

(رواه الامام المقدسى)

* * *

فكن أخا الاسلام :

منتفعا بهذه الوصية العظيمة التى ان تعمقت فى فهمها ووقفت على ما فيهـا من أبعاد كأبى ذر رضى الله عنه ، وغيره وغيرك من العقلاء ، لتبين لك كما تبين له ولهم قبل ذلك أنها ركزت على أهم أسباب الفلاح والنجاح فى الدنيا والآخرة .

ولقد رأيتنى وأنا أقرأ فى عناصر هذه الوصية المحمدية أخاطب نفسى قائلا بعد الصلاة والسـلام على معلم البشرية جمعاء صلوات الله وسلامه عليه :

ألا يكفى أحدنا أن يعمل بوصية كهذه اذا أراد الفوز والسعادة فى عالم الدنيا والآخرة ، ويوم العرض على رب الأرباب سبحانه وتعالى .

ألا يكفى أحدنا أن يجعل من هذه الوصية بالذات سراجا منيرا يضىء له الطريق الى الله سبحانه وتعالى حتى يلقاه .

ألا يكفى أحدنا أن يعرض نفسه على كل عنصر من عناصر هذه الوصية حتى يتبين له اذا كان فى حاجة اليها أم لا ، وحتى يعمل بعد ذلك وبكل ما أوتى من اخلاص ومحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تنفيذ كل عنصر فيها وبكل صفاء ووفاء حتى يكون أهلا لهذه الوصية وأخواتها من وصايا الحبيب صلوات الله وسلامه عليه ، الذى لا **« ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى »**[1] .

* * *

---

(١) النجم : ٣ ، ٤ بلفظ : **« وما ينطق »** .

وحتى لا أطيل عليك فاليك ما استطعت بتوفيق من الله سبحانه وتعالى أن أعبر به عن فهمى المحدود لأبعاد هذه الوصية العظيمة التى يقول فيها الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى ذر رضى الله عنه كما قرأت فى نص الوصية التى يقول أبو ذر رضى الله عنه ــ راوى هذا الحديث ــ فى أولها : أوصانى خليلى صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات هن الى أحب من الدنيا وما فيها ، قال لى : يا أبا ذر ..

* (أحكم[1] السفينة فان البحر عميق) :ولعل السفينة التى يوصى الرسول صلى الله عليه وسلم باحكامها هى : العمل الصالح ، ولعل البحر الذى يشير الرسول صلى الله عليه وسلم الى عمقه هو : الدنيـــا .

* * *

وقد استنتجت هذا من قول سيدنا على رضى الله عنه :

ان لله عبـــادا فطنـــا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلمـــا علموا أنهـــا ليست لحى وطنـــا
جعلوها لجة[2] واتخـــذوا صالح الأعمال فيها سفنا

كما استنتجت ذلك كذلك من وصية لقمانية يقول فيها سـيدنا لقمان الحكيم لولده وهو يعظه :

« يا بنى .. ان الدنيا بحر عميق ، وقد غرق فيه ناس كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل ، وحشوها الايمان بالله تعالى ، وشراعها التوكل على الله عز وجل لعلك تنجو وما أراك ناجيا » .

* * *

ولمـــا كان هذا هو المعنى الذى استقر الرأى عليه ، فقد رأيت بعد استخارة الله تعالى أن أدور حوله بايجاز حتى أصل الى المعنى الكبير الذى أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يوقفنا عليه فى شخص أبى ذر رضى الله عنه ، واذا كنت سأحاول هذا مستعينا بالله تعالى فحسبى أن أقول :

اذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد شبه الدنيا فى هذه الوصية بالبحر العميق ، فهذا معناه أنها دار لا أمان فيها ولا استقرار ،

---

(١) من الاحكام وهو الاتقان . (٢) أى بحرا .

ومثلها فى ذلك كمثل البحر الذى لا أمان له ، فقد تراه تارة هادئا ، وقد تراه هائجا • وحول هذا المعنى يقول الشاعر :

* تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن *

ولهذا كان لابد وأن يقف الانسان على خطورتها حتى لا يغتر بها ويقع فى شباكها ، وقد رأيت فى أول هذا العرض أن أقف معك على بعض ما قيل فى شأنها حتى تكون على بصيرة بأمرها :

قال فى « الاحياء » :

ان الدنيا عدوة لله ، وعدوة لأولياء الله ، وعدوة لأعداء الله :

أما عداوتها لله : فانها قطعت الطريق على عباد الله ، ولذلك لم ينظر الله اليها منذ خلقها •

وأما عداوتها لأولياء الله عز وجل : فانها تزينت لهم بزينتها ، وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها •

وأما عداوتها لأعداء الله : فانها استدرجتهم بمكرها وكيدها ، فاقتنصتهم بشبكتها ، حتى وثقوا بها ، وعولوا عليها ، فخذلتهم أحوج ما كانوا اليها ، فاجتنوا منها حسرة تنقطع دونها الأكباد ، ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد ، فهم على فراقها يتحسرون ، ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون ، بل يقال لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون **« أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة ، فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون »**(١) •

ثم ذكر بعد ذلك بعض الأحاديث التى منها :

« الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »(٢) •

« الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها الا ما كان لله منها »(٣) •

« من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى »(٤) •

---

(١) البقرة : ٨٦

(٢) رواه مسلم من حديث ابى هريرة •

(٣) رواه الترمذى وحسنه ابن ماجه من حديث أبى هريرة وزاد : (الا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم) •

(٤) رواه احمد والبزار والطبرانى وابن حبان والحاكم وصححه •

« حب الدنيا رأس كل خطيئة »(١) •

« الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له ، وعليها يعادى من لا علم له ، وعليها يحسد من لا فقه له ، ولها يسعى من لا يقين له »(٢) •



ثم ذكر كذلك بعد ذلك أخبارا وآثارا منها :

قال عيسى عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا ، أكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه ، فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة ، وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة •

يا معشر الحواريين •• انى قد كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدى ، فان من خبث الدنيا أن عصى الله فيها ، وان من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك الا بتركها ، ألا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها ، واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ، ورب شهوة ساعة أورثت أهلها حزنا طويلا •

وقال أيضا : بطحت لكم الدنيا ، وجلستم على ظهرها ، فلا ينازعنكم فيها الملوك والنساء ، فأما الملوك فلا تنازعوهم الدنيا ، فانهم لن يعرضوا لكم ما تركتموهم ودنياهم ، وأما النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة •

وقال أيضا : الدنيا طالبة ومطلوبة ، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا ، حتى يستكمل رزقه • وطالب الدنيا تطلبه الآخرة ، حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه •

وقال داوود بن هلال : مكتوب فى صحف ابراهيم عليه السلام : يا دنيا •• ما أهونك على الأبرار الذين تصنعت وتزينت لهم ، انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصدود عنك ، وما خلقت خلقا أهون على منك ، كل شأنك صغير والى الفناء يصير ، قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ولا يدوم لك أحد ، وان بخل بك صاحبك وشح عليك ، طوبى للأبرار الذين أطلعونى من قلوبهم على الرضا ، ومن ضميرهم على الصدق والاستقامة طوبى لهم ، ما لهم عندى من الجزاء اذا وفدوا الى من

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى ذم الدنيا ، والبيهقى فى شعب الايمان من طريقه من رواية الحسن مرسلا •

(٢) رواه أحمد من حديث عائشة •

قبورهم الا النور يسعى أمامهم ، والملائكة حافون بهم ، حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتى •

وروى فى أخبار آدم عليه السلام :

أنه لما أكل من الشجرة ، تحركت معدته لخروج السفل ، ولم يكن ذلك مجعولا فى شىء من أطعمة الجنة الا فى هذه الشجرة فلذلك نهى عن أكلها • قال : فجعل يدور فى الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه ، فقال له : قل له أى شىء تريد ؟ قال آدم : أريد أن أضع ما فى بطنى من الأذى • فقيل للملك : قل له : فى أى مكان تريد أن تضعه ؟ على الفرش ، أم على السرر ، أم على الأنهار ، أم تحت ظلال الأشجار ، هل ترى ههنا مكانا يصلح لذلك ؟ اهبط الى الدنيا •

وروى أن جبريل عليه السلام ، قال لنوح عليه السلام : يا أطول الأنبياء عمرا •• كيف وجدت الدنيا ؟ فقال : كدار لها بابان ـ دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر •

وقيل : أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام : يا موسى •• مالك ولدار الظالمين ، انها ليست بدار ، أخرج منها همك ـ وفارقها بعقلك فبئست الدار هى ، الا لعامل يعمل فيها ، فنعمت الدار هى يا موسى ، انى مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم •

وقل : وأوحى الله تعالى اليه أيضا : يا موسى •• لا تركن الى حب الدنيا ، فلن تأتينى بكبيرة هى أشد منها •

* * *

أما الآثار فقد ذكر منها :

قال على رضى الله عنه : من جمع فيه ست خصال ، لم يدع للجنة مطلبا ، ولا عن النار مهربا :

من عرف الله فأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحق فاتبعه ، وعرف الباطل فاتقاه ، وعرف الدنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها •

وقال الحسن رحمه الله : رحم الله أقواما كانت الدنيا عندهم وديعة فأدوها الا من ائتمنهم عليها • ثم راحوا خفافا •

وقال أيضا رحمه الله : من نافسك فى دينك فنافسه ، ومن نافسك فى دنياك فألقها فى نحره •

وقال بعض الحكماء : انك لن تصبح فى شىء من الدنيا ، الا وقد كان له أهل قبلك ، وسيكون له أهل بعدك وليس لك من الدنيا ، الا عشاء ليلة وغذاء يوم فلا تهلك فى أكلة ، وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة فان رأس مال الدنيا الهوى ، وربحها النار .

وقال أبو حازم : اياكم والدنيا ، فانه بلغنى أنه يوقف العبد يوم القيامة اذا كان معظما للدنيا ، فيقال : هذا عظم ما حقره الله .

* * *

فاذا كان هذا هو شأن الدنيا فهو دليل على حقارتها وخطورتها ورحم الله القائل :

ومن يذق الدنيـا فانى طعمتها	وسـيق الينا عذبها وعذابها
فلم أرها الا غـرورا وباطلا	كما لاح فى ظهـر الفلاة سرابها
وما هى الا جيفة مستحيلة	عليها كلاب همن اجتـذابها
فان تجتنبها كنت سلما لأهلهـا	وان تجتذبها نازعتك كلابهـا
فدع عنك فضلات الأمور فانها	حـرام على نفس التقى ارتكابها

والقـائل :

ألا انمـا الدنيـا كأحلام نائم	وما خـير عيش لا يكون بدائم
تأمـل اذا ما نلت بالأمس لذة	فأفنيتهـا هل أنت الا كحـالم
فكم غافل عنه وليس بغافل	وكم نائم عنه وليس بنـائم

* * *

ولهذا : كان لابد وأن يعمـل الانسان العاقل على النجاة منها ومن شرورها حتى لا يغرق فى بحرها العميق الذى غرق فيه كثير من عبادها الذين تأثروا بها وبملذاتها وأهوائها .

* * *

واذا كان العمـل الصالح هو سفينة النجاة فيهـا ، وهو كذلك سبيل النجاة فى الدار الآخرة ، بدليل قوله تعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا »(١) .

---

(١) النور : ٥٥

وقوله : « **ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ** »(١) .

وقوله : « **فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ، ان ربك هو القوى العزيز** »(٢) .

وقوله : « **ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين** »(٣) .

وقوله : « **ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا ، كذلك حقا علينا ننج المؤمنين** »(٤) .

وقوله : « **فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجى المؤمنين** »(٥) .

وقوله : « **والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** »(٦) .

وبدليل قوله صلى الله عليه وسلم : عن أبى عبد الرحمن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا : انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم .

قال رجل منهم : اللهم .. كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمى فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه .

وقال الآخر : اللهم .. انه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس الى — وفى رواية — : كنت أحبها كأشد ما يحب الرجل النساء فأردتها

---

(١) هود : ٥٨
(٢) هود : ٦٦
(٣) هود : ٩٤
(٤) يونس : ١٠٣
(٥) الأنبياء : ٨٨
(٦) سورة العصر .

على نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها — وفى رواية — : فلما قعدت بين رجليها قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه • فانصرفت عنها وهى أحب الناس الى ، وتركت الذهب الذى أعطيتها ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج •

وقال الثالث : اللهم •• استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين فقال : يا عبد الله •• أد الى أجرى ، فقلت : كل ما ترى من أجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق ، فقال : يا عبد الله •• لا تستهزىء بى ، فقلت : لا أستهزىء بك ، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون »(١) •

وعن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة »(٢)•

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ، ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه »(٣) •

واذا كان العمل الصالح الذى هو من أهم براهين الايمان : هو سفينة النجاة كما عرفت ، فكذلك التقوى هى سفينة النجاة أيضا فى الدنيا والآخرة ، بدليل قول الله تعالى فى كتابه العزيز :

(١ ، ٢) متفق عليهما •   (٣) رواه مسلم بهذا اللفظ •

« وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا »(١) ·

« بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين »(٢) ·

« فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »(٣) ·

« ومن يتق الله يجعل له مخرجا »(٤) ·

« ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »(٥) ·

« ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا »(٦) ·

« وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون »(٧) ·

« ان المتقين فى مقام أمين · فى جنات وعيون »(٨) ·

وبدليل قوله صلى الله عليه وسلم : عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو فى الموت فقال : « كيف تجدك » ؟ قال : أرجو الله يا رسول الله وانى أخاف ذنوبى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف »(٩) ·

وقوله : « لا يلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن فى الضرع »(١٠) ·

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : ما النجاة يا رسول الله ؟ فقال : « أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك »(١١) ·

وجاء فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه : « سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله » : « ··· ورجل ذكر الله عز وجل خاليا ففاضت عيناه »(١٢) ·

---

(١) آل عمران : ١٢٠ — (٢) آل عمران : ١٢٥

(٣) الأعراف : ٣٥ — (٤) الطلاق : ٢

(٥) النحل : ١٢٨ — (٦) مريم : ٧٢

(٧) الزمر : ٦١ — (٨) الدخان : ٥١ ، ٥٢

(٩) رواه الترمذى وقال : حديث غريب · وابن ماجه وابن أبى الدنيا ·

(١٠) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح ، والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة ·

(١١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن ·

(١٢) الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة ·

ومعلوم أن الخوف من الله تعالى من أهم صفات المتقين ، كما جاء فى وصف سيدنا على رضى الله عنه للتقوى :

« التقوى : هى الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، والرضا بالقليل » ٠

وهذا لا يمنع أن يباشر الانسان أعماله الدنيوية دون مخالفة لهذا النص ، ما دام القلب عامرا بالتقوى ، فقد ورد فى هذا المعنى :

عن حنظلة قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا ، فرجعت الى أهلى ، فدنت منى المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فنسيته ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا فى الدنيا ، ثم تذكرت ما كنا فيه ، فقلت فى نفسى قد نافقت حيث تحول عنى ما كنت فيه من الخوف والرقة ، فخرجت وجعلت أنادى : نافق حنظلة ٠

فاستقبلنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال : كلا لم ينافق حنظلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول : نافق حنظلة ٠

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلا ٠٠ لم ينافق حنظلة » فقلت : يا رسول الله ٠٠ كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، وعرفنا أنفسنا ، فرجعت الى أهلى فأخذت فى حديث الدنيا ، ونسيت ما كنا عندك عليه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « يا حنظلة ٠٠ لو أنكم كنتم أبدا على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة فى الطرق وعلى فرشكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة »(١) ٠

* * *

واذا كانت السفينة كما عرفت هى الايمان وهى التقوى : فهما كذلك السبيل الى رعاية الله سبحانه وتعالى لك ، لأنك يوم أن تكون مؤمنا وتقيا ستكون من أولياء الله سبحانه وتعالى الذين تحدث عنهم فى قوله :

« ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٠ الذين آمنوا وكانوا يتقون ٠ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم »(٢) ٠

---

(١) رواه مسلم مختصرا ٠ (٢) يونس : ٦٢ ــ ٦٤

لأن الله سبحانه وتعالى عندئذ سيتولاك برعايته وتوفيقه فهو القائل سبحانه :

« الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون »(١) ٠

« ٠٠٠ والله ولى المؤمنين » (٢) ٠ « ٠٠٠ والله ولى المتقين »(٣) ٠

* * *

بل لن يتولاك الله وحدك برعايته ان كنت تقيا ، وانما سيتولى كذلك ذريتك من بعدك برعايته ، وفى ذلك يقول سبحانه :

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا »(٤) ٠

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام ، ولا تنس قول القائل المؤمن :

واذا العناية لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمان

واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد شبه الدنيا كما عرفت بالبحر العميق الذى هو فى مجموعه بلايين قطرات المـاء التى لا يعرف عددها الا الله ، فقد شبه الله سبحانه وتعالى كذلك الدنيا بالمـاء فقال :

« انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعـام حتى اذا أخذت الأرض زخرفهـا وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون »(٥) ٠

« واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فاصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شىء مقتدرا »(٦) ٠

« اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه

---

(١) البقرة : ٢٥٧ ... (٢) آل عمران : ٦٨

(٣) الجاثية : ١٩ ... (٤) النساء : ٩

(٥) يونس : ٢٤ ... (٦) الكهف : ٤٥

مصفرا ثم يكون حطاما ، وفى الآخــرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور »(١) .

*** * ***

فحسبك أن تقف على ما قاله الحكماء فى هذا(٢) : وهو أن الله تعالى انما شبه الدنيا بالمـاء ، لأن المـاء لا يستقر فى موضع ، كذلك الدنيا لا تبقى على حال واحد ، ولأن المـاء لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا ، ولأن المـاء لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى . ولأن المـاء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفتها ، ولأن المـاء اذا كان بقدر كان نافعا منبتا ، واذا جاوز المقدار كان ضارا مهلكا ، كذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر ، وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم قال له رجل : يا رسول الله .. انى أريد أن أكون من الفائزين ، فقال : « ذر الدنيا وخذ منها كالمـاء الراكد فان القليل منها يكفى والكثير منها يطغى » .

وفى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » .

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أشار فى الآية الأخيرة الى أن الدنيا : لعب ، ولهو ، وزينة ، وتفاخر ، وتكاثر فى الأموال والأولاد .

فالمعنى كما قال بعض المتأخرين(٣) : أن الدنيا « لعب » كلعب الصبيان ، « ولهو » كلهو الفتيان ، « وزينة » كزينة النساء ، « وتفاخر » كتفاخر الأقران ، « وتكاثر » كتكاثر الدهقان(٤) .

وقيل : المعنى أن الدنيا كهذه الأشياء فى الزوال والفناء .

وعن على رضى الله عنه قال لعمار : لا تحزن على الدنيا فان الدنيـا ستة أشـياء : مأكول ، ومشروب ، وملبوس ، ومشموم ، ومركوب ، ومنكوح ، فأحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة ، وأكثر شرابها المـاء ويستوى فيه جميع الحيوان ، وأفضل ملبوسها الديباج(٥)

---

(١) الحديد : ٢٠
(٢) القرطبى جـ ٥ ص ٤٠٢٩
(٣) القرطبى جـ ٧ ص ٦٤٢٥
(٤) دهقن الرجل وتدهقن أى : كثر ماله .
(٥) الديباج : أى الحرير .

وهو من نسج دودة ، وأفضل المشموم المسك وهو دم فأرة ، وأفضل المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال ، وأما المنكوح فالنساء وهو مبال فى مبال ، والله ان المرأة لتزين أحسنها يراد به أقبحها اهـ .(١) .

***

واذا كان هذا هو مثل الدنيا فقد شبهت كذلك :

بالظل المرتحل الذى لابد من زواله ، وقد ورد فى هذا المعنى عن الحسن رحمه الله أنه قال :

أحلام نوم أو كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع

كما كان الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما يتمثل كثيرا بهذا البيت :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغترار بظل زائل حمق

ويقال ان أعرابيا نزل بقوم ، فقدموا اليه طعاما ، فأكل ثم قام الى ظلل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة ، فأصابته الشمس ، فانتبه ثم قام وهو يقول :

ألا انما الدنيا كظل ثنية ولابد يوما أن ظلك زائل

وحول هذا المعنى يقول أحدهم :

وما دنياك الا مثل ظل أظلك ثم آذن بارتحال

وبخيالات المنام وأضغاث الأحلام : وقد قال فى هذا يونس بن عبيد : ما شبهت نفسى فى الدنيا الا كرجل نائم ، فرأى فى منامه ما يكره وما يحب ، فبينما هو كذلك اذ انتبه ، فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ، فاذا ليس بأيديهم شىء مما ركنوا اليه ، وفرحوا به ، وقد سئل أحدهم : أى شىء أشبه بالدنيا ؟ فقال : أحلام النائم .

وبامرأة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم .

وقد روى فى هذا : أن عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا ، فرآها فى صورة عجوز هتماء ، عليها من كل زينة ، فقال لها : كم تزوجت ؟ قالت : لا أحصيهم ، قال : فكلهم مات عنك أم كلهم طلقك ؟ قالت : بل كلهم قتلت . فقال عيسى عليه السلام : بؤسا لأزواجك الباقين ، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين ؟ كيف تهلكينهم واحدا بعد واحد ، ولا يكونون منك على حذر ؟

---

(١) القرطبى جـ ٧ ص ٦٤٢٥ .

وبالعجوز المتزينة التى تخدع الناس بظاهرها ، فاذا ما وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها ، تمثل لهم قبائحها ، فندموا على اتباعها ، وخجلوا من ضعف عقولهم فى الاغترار بظاهرها .

وقد ورد فى هذا عن العلاء بن زياد أنه قال : رأيت فى المنام عجوزا كبيرة متعصبة الجلد ، وعليها من كل زينة الدنيا ، والناس عكوف عليها معجبون ، ينظرون اليها ، فجئت ونظرت وتعجبت من نظرهم اليها ، واقبالهم عليها . فقلت لها : ويلك .. من أنت ؟ قالت : أو ما تعرفنى ؟ قلت : لا أدرى من أنت ؟ قالت : أنا الدنيا . قلت : أعوذ بالله من شرك . قالت : ان أحببت أن تعاذ من شرى فابغض الدرهم .

وقال أبو بكر بن عياش : رأيت الدنيا فى النوم عجوزا مشوهة شمطاء تصفق بيديها ، وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون ، فلما كانت بحذائى أقبلت على فقالت : لو ظفرت بك لصنعت بك مثل ما صنعت بهؤلاء ، ثم بكى أبو بكر وقال : رأيت هذا قبل أن أقدم الى بغداد .

وبالحية ، فى لين موردها ، وخشونة مصدرها :

وقد ورد فى هذا : أن عليا رضى الله عنه كتب الى سلمان الفارسى رضى الله عنه يقول له : مثل الدنيا مثل الحية ، لين مسها ، ويقتل سمها ، فأعرض عما يعجبك منها ، لقلة ما يصحبك منها ، وضع عنك همومها ، بما أيقنت من فراقها ، وكن أسر ما تكون فيها ، أحذر ما تكون لها ، فان صاحبها كلما اطمأن منها الى سرور أشخصه عنه مكروه ، والسـلام .

وبالماشى فى المـاء ، فى تعذر الخلاص من تبعتها بعد الخوض فيهـا :

وقد ورد فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « انما مثل صاحب الدنيا كالماشى فى المـاء ، هل يستطيع الذى يمشى فى المـاء أن لا تبتل قدماه »(١) .

وهذا مثل للجهلاء الذين ظنوا أنهم يخوضون فى نعيم الدنيا

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى فى الشعب من رواية الحسن .

بأيديهم ، وقلوبهم منها مطهرة ، وعلائقها عن بواطنهم منقطعة ، وذلك مكيدة من الشيطان(١) •

وبشارب ماء البحر ، فى علائق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك •

وفى هذا يقول عيسى عليه السلام : مثل طالب الدنيا ، مثل شارب ماء البحر ، كلما ازداد شربا ، ازداد عطشا حتى يقتله •

وبشهوات الأطعمة فى المعدة ، فى نضارة أوائلها ، وخبث عواقبها :

وقد ورد فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الدنيا ضربت مثلا لابن آدم فانظر الى ما يخرج من ابن آدم والى قدحه وملحه الى ما يصير »(٢) •

وقال الحسن : رأيتهم يطيبونه بالأفاويه والطيب ، ثم يرمون به حيث رأيتم • وقد قال الله عز وجل : « **فلينظر الانسان الى طعامه** »(٣). قال ابن عباس : أى الى جيفه •

وقال رجل لابن عمر : انى أريد أن أسألك وأستحى • قال : فلا تستح واسأل ، قال : اذا قضى أحدنا حاجته ، فقام ينظر الى ذلك منه ؟ قال : نعم ، ان الملك يقول له : انظر الى ما بخلت به ، انظر الى ماذا صار •

وكان بشر بن كعب يقول : انطلقوا حتى أريكم الدنيا ، فيذهب بهم الى مزبلة ، فيقول : انظروا الى ثمارهم ودجاجهم ، وعسلهم وسمنهم •



فلاحظ كل هذا أخا الاسلام حتى لا تغتر بالدنيا التى عرفت حقيقتها ، واعمل على احكام سفينتك بصورة تمكنها من مواجهة عواصف هذه الحياة بما فيها من أخطار وأوزار •

وحسبك حتى تؤسس سفينتك تأسيسا متينا كسفينة نوح عليه السلام ، حسبك أن تلتزم بنصيحة لقمان الحكيم لولده التى قال فيها ـ كما عرفت ـ بعد قوله : « يا بنى •• ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير » :

---

(١) هكذا قال صاحب « الاحياء » رحمه الله •

(٢) رواه الطبرانى وابن حبان بلفظ : (انّ مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا) ورواه عبد الله بن أحمد فى زيادته بلفظ : (جعل) •

(٣) عبس : ٢٤

قال بعد ذلك : « فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل ، وحشوها الايمان بالله تعالى ، وشراعها التوكل على الله عز وجل ، لعلك تنجو وما أراك ناجيا » •

* * *

وحتى تدرك أهمية هذا الكلام وضرورة العمل على تنفيذه بكل دقة واصرار ، اليك هذه الاشارات التى أرجو أن تكون دائما وأبدا متربعة على قلبك ، لعلك تنجو :

الايمان بالله تعالى هو : اعتقاد وجوده سبحانه وتعالى متصفا بكل كمال يليق بجلاله ، منزها عن كل نقص ، وأنه قادر على ايجاد الممكن واعدامه •

والتصديق والاذعان بأن كل ما قدره الله فى الأزل لابد من وقوعه وما لم يقدر يستحيل وقوعه ، وبأنه تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق •

وأن جميع الكائنات بقضائه وقدره •

وأنه تعالى متصف بصفات الجلال والكمال التى تليق بعظمته تعالى الوارد فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة •

وأنه تعالى منزه عن كل نقص ، وعن مشابهة الحوادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا •

وكذلك من الايمان : أن تؤمن بوجود الملائكة ، وأنهم مكرمون لا يتصفون بذكورة ولا أنوثة ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون •

وأن تصدق بأن لله كتبا أنزلها على بعض رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام ، منها :

القرآن وهو أفضلها أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والانجيل على سيدنا عيسى ، والتوراة أنزلت على سيدنا موسى ، والزبور أنزل على سيدنا داوود ، وصحف سيدنا ابراهيم وموسى عليهم جميعا الصلاة والسلام •

وأن تؤمن بأن الله تعالى أرسل رسلا من البشر مبشرين الطائعين بالجنة ، ومنذرين المخالفين بالعذاب الأليم ، متصفين بما يليق بهم من صدق وتبليغ وفطانة ، وما لا يؤدى الى نقص فى مراتبهم العلية

ولا الى نفرة الناس عنهم ، متزهين عما لا يليق بمقامهم من كذب وخيانة وكتمان وبلادة ٠

وأن تؤمن كذلك باليوم الآخر : وهو يوم القيامة الذى أوله من الموت أو البعث ، وبما اشتمل عليه من سؤال القبر وعذابه ونعيمه وبعث وحشر وميزان ونشر كتب الأعمال وتعليقها فى الأعناق وأخذها باليمين لقوم والشمال لآخرين وقراءة كل كتابه ، وما الى ذلك[١] ٠

وهذا هو ما أجاب به الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن الايمان وكان السائل هو سيدنا جبريل عليه السلام فقال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره »[٢] ٠



والذى يعنينا الآن بعد هذا ، التركيز الموضوعى عن الايمان جملة : هو الايمان بوجود الله سبحانه وتعالى ايمانا راسخا لا تزلزله الأحداث ، ولا تؤثر فيه بوادر الالحاد ، وانما يظل صامدا بكل اعتزاز وافتخار فى مواجهة الملاحدة والمنحرفين عن طريق الحق « **حتى يتبين لهم أنه الحق** » وأنه سبحانه وتعالى خالق الوجود ، والملك الحق المعبود ، الذى يقول وقوله الحق : « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** »[٣] ٠



وحسبى ونحن فى صدد الحديث عن وجود الله سبحانه وتعالى ، أن نقرأ سويا هذه الأدلة المنطقية والعقلية على وجوده سبحانه وتعالى ، التى تحكى[٤] :

أن جعفر الصادق رضى الله عنه جادله بعض الزنادقة فى وجود الله ، فقال جعفر للزنديق المجادل :

---

(١) اقرأ كل هذا تفصيلا فى الجزء الاول من « الدين الخالص » ٠

(٢) من حديث أخرجه مسلم وابو داوود والنسائى ٠

(٣) فصلت : ٥٣

(٤) التى ذكرها صاحب الفضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى فى كتاب « الايمان والمؤمنون » بتصرف ٠

هل ركبت البحر ؟ قال : نعم ، قال : هل رأيت أهواله ؟ قال : بلى .. هاجت يوما رياح هائلة فكسرت السفن وأغرقت الملاحين ، فتعلقت أنا ببعض ألواحها ، ثم ذهب عنى اللوح ، فاذا أنا مدفوع بتلاطم الأمواج حتى دفعت الى الساحل . فقال جعفر : قد كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح ، ثم على اللوح حتى ينجيك ، فلما ذهبت هذه الأشياء عنك أسلمت نفسك للهلاك ؟ أم كنت ترجو السلامة بعد ؟ قال : بل رجوت السلامة . قال جعفر : ممن كنت ترجوها ؟ فسكت الرجل .

فقال جعفر : ان الله هو الذى كنت ترجوه فى ذلك الوقت وقد أقر به قلبك عند الشدة ، وان أنكره لسانك عند النجاة ، وهو الذى أنجاك من الغرق ، قال تعالى : « **واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه ، فلما نجاكم الى البر أعرضتم ، وكان الانسان كفورا** »(١)

فأسلم الزنديق ، وحسن ايمانه بالله .

وان أبا حنيفة رضى الله عنه ، وقد كان سيفا مصلتا على على طائفة الدهرية الذى هجموا عليه ذات يوم فى المسجد على حين غفلة منه ليفتكوا به ، ويستريحوا منه ، فقال لهم فى ثبات وايمان :

أجيبونى عن مسألة ، ثم افعلوا بى ما شئتم .. قالوا : سل ، فقال : ما تقولون فى رجل يقول لكم : انى رأيت سفينة مشحونة بأحمال ، مملوءة بأثقال ، قد احتوشتها فى لجة البحر أمواج متلاطمة ، ورياح مختلفة ، وهى من بينها تجرى مستوية ، ليس لها ملاح يجريها ، ولا متعهد يدفعها ، هل يجوز ذلك فى العقل ؟ قالوا : هذا شىء لا يقبله العقل ، فقال أبو حنيفة : يا سبحان الله .. اذا لم يجز فى شرعة العقل سفينة تجرى فى البحر مستوية من غير متعهد ولا مجر ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها ، وسعة أطرافها ، وتباين أكنافها من غير صانع ولا موجد ؟

فبهتوا جميعا ، وقالوا : صدقت ، ثم أسلموا وانصرفوا تائبين .

وبمثل هذا الأسلوب المقنع المفحم يقول الدكتور دراز رحمه الله :

قدر فى ذهنك بيتا منسق البنيان فاخر الأثاث والرياش ، قائما على جبل مرتفع ، تكتنفه غابة كثيفة ، وقدر أن رجلا جاء الى هذا البيت ،

---

(١) الاسراء : ٦٧

فلم يجد فيه ولا حوله ديارا ولا نافخ نار ، فحدثته نفسه بأنه عسى أن تكون صخور الجبل قد تناثر بعضها ، ثم تجمع ما تناثر منها ليأخذ شكل هذا القصر البديع بما فيه من مخادع ومقاصير ، وأبهاء ومرافق ، وأن تكون أشجار الغابة قد تشققت بنفسها ألواحا ، وتركبت أبوابا وسورا ، ومقاعد ومناضد ثم أخذ كل منها مكانه فيه ، وأن تكون خيوط النبات وأصواف الحيوان وأوباره ، قد تحولت بنفسها أنسجة موشاة ، ثم تقطعت طنافس ووسائد وزرابى ، فانبثت فى حجراته ، واستقرت على أرائكه ، وأن المصابيح جعلت تهوى اليه بنفسها من كل مكان ، فتثبتت فى سقفه زرافات ووحدانا .

ألست تحكم بأن هذا حلم نائم ، أو حديث خرافة ، قد أصيب صاحبه باختلاط فى عقله ؟ فما ظنك بقصر : السماء سقفه والأرض قراره ، والجبال أعمدته ، والنبات زينته ، والشمس والقمر والنجوم مصابيحه ، أيكون فى حكم العقل أهون شيئا من ذلك البيت الصغير ، أو لا يكون أحق بلفت النظر الى بارىء مصور ، حى قيوم ، خلق فسوى ، وقدر فهدى ، وصدق الله القائل : « قل انظـروا ماذا فى السموات والأرض ، وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون »[١] .

وأن الامام الشافعى رضى الله عنه سئل : ما دليلك على وجود الصانع ؟ فقال : ورقة التوت طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد ، ولكن : تأكلها دودة القز فيخرج منها الابريسيم[٢] ، والنحل فيخرج منها العسـل ، والشـاة فتربى اللحم وتخرج اللبن ، وتأكلها الظباء فتغذيها وينعقد فى نوافجها المسك ، فمن الذى جعل هذه الأشياء متنوعة الافرازات ، والغذاء واحد ؟

انه الله سبحانه .

وأن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه : شبه كيفية الخلق ، بقلعة حصينة ملساء لا فرجة فيها ، ظاهرها كالفضة المذابة ، وباطنها كالذهب الابريز ، ثم انشقت الجدران وخرج من القلعة حيوان سميع بصير ، قال : أفيحدث هذا من ذاك بلا صانع ؟

وعنى بالقلعة البيضة ، وبالحيوان الفرخ ، وبالفضـة البياض ؛

(١) يونس : ١٠١ . (٢) وهو الحرير .

وبالذهب الصفار ، وكيف خلق منها حيوان (وهو الكتكوت) يسمع ويبصر ويغدو ويروح .



فاذا كان هؤلاء الأفاضل أخا الاسلام قد استطاعوا بنور من الله سبحانه وتعالى : أن يقنعوا الزنادقة بضرورة وجود الله بهذا الأسلوب الواضح الذى ليس عسيرا على أصحاب العقول السليمة التى لم (يعشش) فيها الشيطان الرجيم بأفكاره ، وأوزاره ، فانك تستطيع أنت كذلك التأكد من وجود الله بمجرد التأمل فى أصغر مخلوق من مخلوقات الله تعالى ، فضلا عن مخلوقاته العديدة التى لا تحصى ولا تعد والتى لا تبصر ولا تعرف منها أو عنها غير القليل .



وحسبك أن تتأمل مثلا فى نملة صغيرة خرجت من جحرها باحثة عن قوتها ، تأمل فيها ثم تساءل : كيف ترى هذه النملة ، وكيف تتحرك وهل لها أمعاء ؟ ثم تابعها بعد ذلك بنظراتك حتى تصل الى قوتها الذى ستحمله بعد ذلك وهو أكبر منها ربما بمرة أو مرتين ، أو أكثر . وعندما ستعجز عن حمله ستراها تعود بعد ذلك الى جحرها دون أن تضل الطريق لكى تجتمع هناك بأهلها وتخبرهم بخبر هذا القوت الذى عجزت عن حمله ، ثم ستراها تخرج بعد ذلك من جحرها وهى تقود (طابورا) طويلا من النمل الى مكان القوت الذى سيحملونه جميعا بالتناوب كما تحمل الجنازة الى أن يصلوا به الى مخازنهم .

وهناك — كما يقولون — تقوم هذه النملة قبل تخزين هذا القوت : بفلق حبة القمح فلقتين ، لأنها لو تركت كما هى لنبتت ، كما تقوم بفلق حبة الكزبرة أربع فلقات ، لأنها لو فلقت فلقتين لنبتت .

من الذى علمها كل هذا ؟ انه الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد الذى خلق كل شىء فقدره تقديرا ، و « **الذى خلق فسوى . والذى قدر فهدى . والذى أخرج المرعى . فجعله غثاء أحوى** »[1] ، والذى تتجلى عظمته فى كل شىء خلقه سواء أكان هذا فى اختلاف الليل والنهار ، والبحار والأنهار ، والجماد والحيوان ، والملائكة والجن

---

(١) الأعلى : ٢ — ٥

والانسان ، والثمار والنبات المختلفة المذاق والألوان ، وما خلق فى السماء من كواكب سيارة ، وغير سيارة ... الى آخر ذلك : من تفريق ملكه واعطاء كل ذى حق حقه دون نقص أو نسيان ، واحاطته بكل شىء علما ، واحصاءه كل شىء عددا ... سبحانه ، سبحانه



بل وحسبك كذلك أن تتأمل فى نفسك تنفيذا لاشارة الله سبحانه وتعالى فى قوله : « **وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون** »(١) ثم تتساءل مثلا وأنت تقف أمام المرآة مخاطبا نفسك ومشيرا الى جارحة من جوارحك الملموسة والتى أمامك على صفحة الوجه الذى أبدع الله صنعه وتصويره : كيف ترى هذه العين ؟ كيف تسمع هذه الأذن ؟ كيف يشم هذا الأنف ؟ كيف يتكلم هذا اللسان ، وكيف يحكم على مذاق الأطعمة مع اختلاف الأصناف والأشكال والألوان ؟ وكيف تطحن هذه الأسنان ؟ وكيف يصل الطعام الى المعدة ؟ ثم كيف تقوم المعدة بهضم هذا الطعام وتوزيع خلاصته على كل عضو من أعضاء الجسد دون جور أو تأخير ، وكيف تلفظ المعدة بعد ذلك ما تبقى من فضلات ، وكيف يحدث هذا ، وهل هناك صنبور يفتح ، وما الذى كان يحدث لو لم يحدث هذا ... ؟ ثم تذكر وأنت تفكر فى هذا الموضوع الأخير بالذات أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد خروجه من الخلاء(٢) — برجله اليمنى — : « الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى »(٣) .

« الحمد لله الذى أذاقنى لذته ، وأبقى فى قوته ، وأذهب عنى أذاه ، اللهم حصن فرجى ، وطهر قلبى ، ومحص ذنوبى »(٤) .

مع ملاحظة أنه كان قبل أن يدخل الخلاء — برجله اليسرى — يقول : « بسم الله ، اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث »(٥) .

---

(١) الذاريات : ٢١ — (٢) أى المرحاض .

(٣) روى من طرق ضعيفة تقوى بعضها بعضا .

(٤) الخبث : بضم الباء جمع خبيث ، والخبائث جمع خبيثة ، والمراد ذكران الشياطين واناثهم .

(٥) رواه مالك واحمد والبخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

ثم بعد ذلك عد الى الوجه ، وتساءل : لماذا لا يطول شعر الرمش والحاجب كما يطول شعر اللحية والشارب ؟ ولماذا ينبته الشعر فى مكان ثم لا ينبت فى مكان ؟ ولماذا لا ينبت الشعر فى داخل العينين أو فى داخل الفم ؟ وما الذى كان يحدث لو حدث هذا ... ؟

* * *

ثم قل وأنت تسجد شكرا لله الذى خلقك : « ... فى أحسن تقويم »[1] : « ... فتبارك الله أحسن الخالقين »[2] .

* * *

ثم تساءل كذلك مع هذا الرجل المفكر[3] :

يد من التى امتدت الى سنبلة القمح فغلفت حباتها حتى لا تتساقط فى ورق غضروفى لا يحمل بللا ، وحصن كل حبة بشوكة حتى لا تكون غذاء للطير ، وهى مقدرة أن تكون غذاء للانسان .. ؟ ! ولو أنصته المخلصون لسمعوا كل ذرة من دقيقها تقول : سبحان من جعلنى طعاما لفلان .

ويد من التى امتدت الى « كوز » الذرة فصفت حباته صفا متقنا ، وثبتتها فى « قولحته » وحاطتها بأغلفة متعددة تحفظها ، ومنحتها هواء بواسطة أنابيب دقيقة « الشرابة » ؟ !

ويد من التى امتدت الى عين الانسان فجعلتها فى علبة منخفضة من العظم لئلا تتعرض للتلف والمهالك ، وظللتها برموش تدفع معاكسة ضوء الشمس لها ، وحاطتها بأهداب تمنع تساقط العرق فيها ، وغطتها بأجفان ، وجعلت لها ماء ملحا « الدموع » حولها لئلا يلحقها النتن ؟

ويد من التى جعلت ماء الأذن مرا لئلا تتسرب الحشرات اليها والانسان نائم ، وجعلت ريق الفم عذبا مع أن الماء الذى نشربه واحد ؟ !

ويد من التى امتدت الى مفاصل الجسم فجعلت لكل مفصل قطعة شحم تسهل حركته بقدر معلوم ؟ !

---

(١) التين : ٤ ـ بلفظ : « لقد خلقنا الانسان ... » .
(٢) المؤمنون : ١٤
(٣) وهو صاحب كتاب « للكون أله » أثابه الله .

ويد من التى أتقنت لسان المزمار « البلعوم » بحيث يسد قصبة الهواء عند دخول الطعام والشراب ، ويسد مسلك الطعام عند دخول النفس ؟

ويد من التى جعلت اللسان عند خروج الهواء من الجوف يضغط عليه فى جوانب الفم فينتج صفيرا وهذا الصفير يكون كلاما منظما يعبر عما فى الضمير من معان وخواطر ؟

وأى جهـــاز وضع فى الأنف حتى يميز بين الرائحتين الطيبة والخبيثة ؟ !

وأى جهاز وضع فى الأذن حتى يميز بين الأصوات المتعددة وهى قطعة من اللحم ؟

* * *

نعم أخا الاسلام :

ذاك : « هو الله الذى لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم • هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس الســلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون • هو الله الخالق البارىء المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم »(١) ، « الذى خلقك فسواك فعدلك • فى أى صورة ما شاء ركبك »(٢) ، والــذى اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون »(٣) •

* * *

فكن مؤمنا به ايمــانا خالصــا حتى تكون من المؤمنين الذين : « آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون »(٤) الــذين : « رضى الله عنهم ورضوا عنه »(٥) •

* * *

---

(١) الحشر : ٢٢ ــ ٢٤ (٢) الانفطار : ٧ ، ٨
(٣) مريم : ٣٥
(٤) الحجرات : ١٥ بلفظ : « انما المؤمنون الذين ••• » •
(٥) البينة : ٨

واعلم أن ايمانك بالله على هذا النحو الذى وقفت عليه سيجعل سفينتك محصنة ضد جميع الأخطار التى كثيرا ما عصفت بآلاف السفن الضعيفة الهزيلة التي لا تحمل فى طياتها وخلف ألواحها غير الشحنات الرخيصة والخسيسة التى كانت ولا تزال موضع سخط وتحذير من جانب المؤمنين العاملين الذين أنار الله أبصارهم فعرفوا كيف يشقون البحار الى الله سبحانه بسفنهم القوية المزودة بأعظم قوة وأغلى عتاد وهو : الايمان بالله القوى العزيز الذى يقول وقوله الحق : « **ومن يؤمن بالله يهد قلبه** »(١) •

وأما عن التوكل على الله تعالى : فهو شرط من أهم شروط الايمان بالله ، بدليل قوله تعالى : « **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** »(٢) •

وقوله : « **وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين** »(٣) •

وهو بايجاز : الأخذ بالأسباب مع تفويض الأمر الى الله سبحانه وتعالى •

ولهذا كان من الايمان أن تعتمد اعتمادا كليا على الله سبحانه وتعالى مع اعتقادك الجازم بأنه ليست هناك قوة على وجه الأرض تستطيع أن تنفعك أو تضرك الا بارادة الله سبحانه وتعالى •

مع ضرورة الأخذ ــ كما عرفت ــ بالأسباب التى أمرت بها فى قول الله تبارك وتعالى : « **هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور** »(٤) •

وقوله : « **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** »(٥) •

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام واحرص على أن يكون شراع سفينتك مصنوعا من نسيج التوكل على الله تعالى لعلك تنجو •



---

(١) التغابن : ١١

(٢) آل عمران : ١٢٢ ، ١٦٠ ، المائدة : ١١ ، التوبة : ٥١ ، المجادلة : ١٠ ، التغابن : ١٣

(٣) المائدة : ٢٣

(٤) الملك : ١٥

(٥) الجمعة : ١٠

* (واستكثر الزاد فان السفر طويل) :

وحتى تدرك أهمية هذا النصح المحمدى الحيوى : حسبك أن تفكر فى هذا المعنى الكبير الذى تنطوى عليه كلمة « زاد » ، « سفر » فلسوف ترى بعد تفكير ناضج أن الزاد المشار اليه ليس هو الذى تعرفه وتتفانى فى جمعه وتحصيله دون أن تتحرى مصادره حتى أصبحنا — أو أغلبنا — من الذين : « **يأكلون فى بطونهم نـارا** ... »(١) . ثم يكون بعد ذلك خراءة(٢) .

* * *

وانما هو الزاد الحقيقى الذى قال الله سبحانه وتعالى مشيرا اليه فى كثير من آياته القرآنية التى منها : « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** »(٣) .

« **وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى** »(٤) .

« **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عمـلا** »(٥) .

« **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون** »(٦) .

* * *

فالعمل الصالح اذن هو الزاد الذى يجب على كل عاقل أن يتزود به قبل انتقاله من عالم العمل الى عالم الحساب ، وقبل أن يقول : ما أشار اليه الله سبحانه وتعالى فى قوله : «**حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون . لعلى أعمل صالحا فيما تركت ، كلا انها كلمة هو قائلها ، ومن ورائهم برزخ(٧) الى يوم يبعثون . فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . فمن ثقلت موازينه فأولئك**

---

(١) النساء : ١٠

(٢) الخراءة ، هى العذرة كما جاء فى حديث عبد الرحمن بن زيد الذى رواه مسلم وأبو داوود والترمذى .

(٣) النحل : ٩٧

(٤) الكهف : ٨٨

(٥) الكهف : ٣٠

(٦) فصلت : ٨ — وغير ممنون : أى غير مقطوع .

(٧) قال فى مختار الصحاح : البرزخ الحاجز بين الشيئين ، وهو أيضا ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى البعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ .

هم المفلحون • ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون »(١) •

* * *

وهكذا كما ترى فى هذه الآيات البينات ، سيكون الموقف حرجا جدا من أول لحظات الانتقال الى العالم الآخر اذا لم يكن هناك عمل صالح ينفعه : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا »(٢) •

* * *

ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم عندما قال له رجل من الأنصار : « يا نبى الله •• من أكيس الناس وأحزم الناس ؟ قال : « أكثرهم ذكرا للموت ، وأكثرهم استعدادا للموت ، أولئك الأكياس ، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة »(٣) •

* * *

فالعاقل اذن هو الذى يقدم لنفسه من الأعمال الصالحة ما ينفعه من أول مراحل سفره الذى يبدأ من أول لحظة يفارق فيها هذه الحياة ، ولا سيما فى حياة البرزخ التى كما عرفت هى الفترة التى بين الموت والبعث ، التى قد تطول وتطول لمئات أو آلاف أو ملايين السنين التى ستحتاج فيها الى زاد كاف ينير لك قبرك ويؤنسك فى وحدتك ، ويجعل قبرك روضة من رياض الجنة ، لا حفرة من حفر النار ، كما يشير الحديث الشريف الذى روى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة ، فجلس الى قبر منها فقال : « ما يأتى على هذا القبر يوم الا وهو ينادى بصوت ذلق(٤) طلق : يا ابن آدم •• نسيتنى ، ألم تعلم(٥) أنى بيت الوحدة ، وبيت الغربة ، وبيت الدود ،

---

(١) المؤمنون : ٩٩ ـ ١٠٣ (٢) آل عمران : ٣٠

(٣) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب « الموت » والطبرانى فى الصغير باسناد حسن ، ورواه ابن ماجه مختصرا باسناد جيد •

(٤) الذلق : الذى فيه حدة ، والطلق : الفصيح العذب المنطق •

(٥) وفى رواية : (أما تعلم)

وبيت الضيق الا من وسعنى الله عليه »(١) ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القبر اما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النــار »(٢) .



فاذا كان العمل الصالح هو الزاد الذى ستحتاج اليه فى سفرك الطويل الى الله سبحانه وتعالى ، فحسبك أن تعلم حتى تدرك أهميته : أنك تغذى جسدك الفانى ثلاث مرات(٣) ، وتغذى روحك خمس مرات(٤) يوميا . وهذا دليل على أن مدة الروح أطول من مدة الجسد فى عالم كل منهما .



ولمــا كانت الأعمال الصالحة لا حصر لها ولا حد كذلك لنتائجها من فضل الله تعالى وبركته ونفحاته ، فقد رأيت أن تقف على كل هذا بنفسك من خلال هذه الآيات القرآنية التى يقول الله سبحانه وتعالى فيها :

« ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم ، وأولئك هم المفلحون » (٥) .

« وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، ان الله بما تعملون بصير »(٦) .

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المــال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل(٧) والسائلين وفى

---

(١) وهو المؤمن لأنه يفسح له قبره ، وينور له فيه .
(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط .
(٣) أى عندما تتناول طعام الافطار والغداء والعشاء يوميا .
(٤) أى بأدائك لصلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء ، بخلاف النــوافل .
(٥) البقرة : ١ ــ ٥
(٦) البقرة : ١١٠
(٧) أى المسافر .

الرقاب[١] وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأســاء[٢] والضراء[٣] وحين البأس[٤] ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »[٥] ٠

« ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم »[٦] ٠

« لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم »[٧] ٠



وهذه الأحاديث الشريفة التى يؤكد فيها الحبيب صلوات الله وسلامه عليه أهمية الاكثار من أعمال البر المتعددة التى وقفت على أهمها فى الآيات القرآنية السابقة والتى يشير اليها المصطفى صلى الله عليه وسلم والى غيرها فيقول :

عن أبى ذر جندب بن جنادة رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله ٠٠ أى الأعمال أفضل ؟ قال : « الايمان بالله ، والجهاد فى سبيله » قلت : أى الرقاب أفضل ؟ قال : « أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمنا » قلت : فان لم أفعل ؟ قال : « تعين صانعا أو تصنع لأخرق » قلت : يا رسول الله ٠٠ أرأيت ان ضعفت عن بعض العمل ؟ قال : « تكف شرك عن الناس ، فانها صدقة منك على نفسك »[٨] ٠

وعنه أيضا رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « عرضت على أعمال أمتى حسنها وسيئها فوجدت فى محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ، ووجدت فى مساوىء أعمالها النخامة تكون فى المسجد لا تدفن »[٩] ٠

---

(١) اى فك رقاب العبيد بشرائهم وعتقهم ٠
(٢) كل ما يصيب الانسان فى غير نفسه كفقد ولد او مال ٠
(٣) ما يصيب الانسان فى نفسه كالمرض ٠
(٤) المراد به هنا شدة القتال ٠
(٥) البقرة : ١٧٧
(٦) البقرة : ٢١٨
(٧) آل عمران : ٩٢
(٨) متفق عليه ٠
(٩) رواه مسلم ٠

وعنه أيضا : أن ناسا قالوا : يا رسول الله .. ذهب أهل الدثور(١) بالأجور يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال : « أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ؟ ان بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، وفى بضع أحدكم صدقة » قالوا : يا رسول الله .. أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : « أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر ، فكذلك اذا وضعها فى الحلال كان له أجر »(٢) .

وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة فى شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذى المسلمين »(٣) .

وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « على كل مسلم صدقة » قال : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : « يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق » قال : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » قال : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : « يأمر بالمعروف — أو الخير — » قال : أرأيت ان لم يفعل ؟ قال : « يمسك عن الشر فانها صدقة »(٤) .

* * *

فسارع أخا الاسلام الى الله سبحانه وتعالى بهذه الخيرات التى وقفت عليها فى آيات الله وأحاديث رسوله ، واستكثر منها قبل فوات هذه الفرصة السانحة التى لا زلت تعيش فيها الى هذه اللحظة التى تقرأ فيها هذه السطور وهى : تواجدك فى عالم الأشباح قبل انتقالك الى عالم الأرواح .

و : « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن أن تلقى أخاك بوجه طليق »(٥) .

واعلم أنه اذا كان فعل الطاعات التى أمر الله سبحانه وتعالى بها ، والتى رغب فى فعلها حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم : هى

---

(١) الدثور : أى الأموال .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .
(٤) متفق عليه .
(٥) رواه مسلم عن ابى ذر بلفظ : (قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ..) .

الأعمال الصالحة التى يجب عليك أن تتزود بها وتكثر من فعلها والتقرب الى الله بها : فكذلك البعد عن كل شىء نهى الله سبحانه وتعالى عنه فى كتابه ، وعلى لسان حبيبه صلى الله عليه وسلم : يعتبر كذلك من الاعمال الصالحة التى ستنافا عنها يوم القيامه : « يوم ينظر المرء ما قدمت يداه »(١) ولعلك لاحظت هذا فى الحديث الذى قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى نهايته : « ••• يمسك عن الشر فانها صدقة » •



وحسبى فى نهاية هذا العنصر الحيوى الذى تبين لك من خلال عرضه ضرورة الاستكثار من الزاد الحقيقى لهذا السفر الطويل الذى قد تحتاج فيه الى القناطير المقنطرة من الحسنات التى بها تستطيع الوصول الى موقف الحساب بسلام وأمان : حسبى أن أسوق اليك هذين الأثرين اللذين سترى من خلالهما كذلك أهمية الزاد ليوم المعاد :

روى أن أبا الدرداء رضى الله عنه — وقد كان من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين تتلمذوا على يديه — : « وقف ذات يوم أمام الكعبة ، ثم قال لأصحابه : أليس اذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ قالوا : نعم ، قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون ، فقالوا : دلنا على زاده ، فقال : حجوا لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور » •

وروى أن ابراهيم بن أدهم رحمه الله — وقد كان من أساتذة العلم النافع — سئل : لم زهدت فى الدنيا يا ابراهيم ؟ فقال : لثلاث : الأول : رأيت الطريق طويلا وليس معى زاد ، والثانى : رأيت القبر موحشا وليس معى مؤنس ، والثالث : رأيت الجبار قاضيا وليس معى حجة ولا من يدافع عنى •

وتأمل قول القائل :

أترضى أن تكون رفيق قوم   لهم زاد وأنت بغير زاد



---

(١) النبأ : ٤٠

❋ (وخفف ظهرك فان العقبة(١) كؤود)(٢) :

ولعل المراد بهذا التوجيه المحمدى هو :

أن تعمل قبل رحيلك الى العالم الآخر على اعطاء كل ذى حق حقه حتى لا تتعرض للخيبة التى أشار الله سبحانه وتعالى اليها فى قوله : « **وعنت الوجوه للحى القيوم ، وقد خاب من حمل ظلما** »(٣)

وقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شىء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه »(٤) .

وعن أبى حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال : استعمل النبى صلى الله عليه وسلم رجلا من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة فلما قسم قال : هذا لكم وهذا أهدى الى ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد .. فانى أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولانى الله فيأتى فيقول : هذا لكم وهذه هدية أهديت الى ، أفلا جلس فى بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته ان كان صادقا ، والله لا يأخذ أحد منكم شيئا بغير حقه الا لقى الله تعالى يحمله يوم القيامة ، فلا أعرفن أحدا منكم لقى الله يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر — ثم رفع يديه حتى رؤى بياض ابطيه ، فقال — : اللهم هل بلغت » ؟

❋ ❋ ❋

ولعل المراد هو : أداء الفرائض التى ائتمنك الله عليها .

والى هذا يشير الله سبحانه وتعالى فى قوله : « **انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا** »(٥) .

---

(١) العقبة : المرقى الصعب ، الطريق فى أعلى الجبال .

(٢) كؤود : شاقة المصعد صعبة المرتقى .

(٣) طه : ١١١

(٤) متفق عليه .

(٥) الأحزاب : ٧٢

وقد روى عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى لآدم : يا آدم .. انى عرضت الأمانة على السموات والأرض فلم تطقها ، فهل أنت حاملها بما فيها ؟ فقال : وما فيها يا رب ؟ قال : ان حملتها أجرت ، وان ضيعتها عذبت ، فاحتملها بما فيها .. فلم يلبث فى الجنة الا قدر ما بين صلاة الأولى الى العصر حتى أخرجه الشيطان منها »(١) .

ولعل المراد هو : اذاية المؤمنين والمؤمنات بالأفعال والأقوال القبيحة ، كالبهتان والتكذيب الفاحش المختلف . والى هذا يشير الله سبحانه وتعالى فى قوله : « **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا** »(٢) .

وقوله : « **ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا** »(٣) .



وحسبى كذلك فى ختامه أن أذكرك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع : « أما بعد أيها الناس .. فانى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو .. فمن كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منه . ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منه . ألا وان الشحناء ليست من طبعى ولا من شأنى . ألا وان أحبكم الى من أخذ منى حقا ان كان له ، أو أحلنى منه فلقيت الله وأنا طيب النفس ، وقد أرى أن هذا غير مغن عنى حتى أقوم فيكم مرارا » .

قال الفضل : ثم نزل فصلى الظهر ، ثم رجع فجلس على المنبر ، فعاد لمقالته الأولى فى الشحناء وغيرها .

فقام رجل فقال : يا رسول الله .. ان لى عندك ثلاثة دراهم . فقال : أعطه يا فضل .

ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس .. من كان عنده شىء فليؤده ، ولا يقل فضوح الدنيا .. ألا وان فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة » .

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) الأحزاب : ٥٨ .
(٣) النساء : ١١٢

فقام رجل فقال : يا رسول الله .. عندى ثلاثة دراهم غللتها فى سبيل الله . قال : « ولم غللتها » ؟ قال : كنت اليها محتاجا . قال : « خذها منه يا فضل » .

ثم قال : « أيهـا الناس .. من خشى من نفسه شيئا فليقم أدع له » فقام رجل فقال : يا رسول الله .. انى لكذاب ، انى لفاحش ، انى لنؤوم .. فقال النبى : « اللهم ارزقه صدقا وايمانا وأذهب عنه النوم » .

ثم قام رجل آخر فقال : والله يا رسول الله .. انى لكذاب ، وانى لمنافق ، وما من شىء الا قد جنيته .

فقام عمر بن الخطاب فقال له : فضحت نفسك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « يا ابن الخطاب .. فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة . اللهم ارزقه صدقا وايمانا وصير أمره الى خير »(١) .



* (وأخلص العمل فان الناقد بصير) :

وحسبك اذا أردت أن تحقق هذا الذى يوصيك به الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أن تقرأ قول الله تبارك وتعالى :

« ... **والله بصير بما يعملون** »(٢) .

وقوله : « ... **ولا تطغوا ، انه بما تعملون بصير** »(٣) .

وقوله : « ... **واعملوا صالحا ، انى بما تعملون بصير** »(٤) .

وقوله : « ... **إن الله بعباده لخبير بصير** »(٥) .

وقوله : « ... **وهو معكم أين ما كنتم ، والله بما تعملون بصير** »(٦)

وذلك حتى تظل مراقبا لله سبحانه وتعالى على الدوام ، فى جميع أعمالك الدنيوية والأخروية .



---

(١) من كتاب « فقه السيرة » للشيخ محمد الغزالى (باب الرفيق الأعلى) .

(٢) البقرة : ٩٦

(٣) هود : ١١٢

(٤) سبأ : ١١

(٥) فاطر : ٣١

(٦) الحديد : ٤

وحتى يتحقق من جانبك الاحسان الذى عناه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سأله سيدنا جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال : « ... أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك »(١) .

* * *

ولكى يتحقق هذا الهدف الأسمى باخلاص : لابد وأن يكون هناك حياء من الله سبحانه وتعالى بصورة تجعلك ملتزما بالأخلاقيات الكريمة التى بعث الرسول صلى الله عليه وسلم من أجلها كما أشار الى ذلك فى قوله : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »(٢) . وحسبك حتى تدرك أهمية الحياء أن تقرأ قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الحياء خير كله »(٣) .

وقوله : « ان لكل دين خلقا ، وخلق الاسلام الحياء »(٤) .

وقوله : « الحياء والايمان قرناء جميعا ، اذا رفع أحدهما رفع الآخر »(٥) .

* * *

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه مسلم .

(٢) رواه مالك . (٣) رواه مسلم .

(٤) رواه مالك . (٥) رواه الحاكم .

الجزء العاشر

الوصية الثانية والثلاثون

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير اسراف ولا مخيلة » .

(اخرجه احمد والبخارى والنسائى والحاكم وابن ماجه)

* * *

فكن أخا الاسلام :

منفذا لهذه الوصية العظيمة التى يوصيك فيها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بما يؤهلك لشق طريقك الى الله سبحانه وتعالى قويا عزيزا موفور الصحة مستور الجسد دون اسراف ولا مخيلة[1] .

حتى اذا ما انتقلت من هذا العالم الفانى الى العالم الآخر الباقى كنت سعيدا هناك بما قدمت من أعمال صالحة تقربت بها الى الله سبحانه وتعالى فى دنياك شكرا له سبحانه وتعالى على ما أعطاك وأولاك .

وحتى يتضح لك كل هذا ، تعال معى نستعرض سويا فقرات هذه الوصية الحيوية التى يقول فيها صلوات الله وسلامه عليه حسب ترتيبها :

* (كلوا واشربوا) :

والأكل والشرب عنصران أساسيان فى تكوين الجسد الانسانى ، وفى استمرار هذا الوجود الانسانى فضلا عن غيره من الحيوانات الأخرى والطيور الى غير ذلك من المخلوقات التى لا يعلمها الا الله ، باستثناء الملائكة[2] فهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتصفون بذكورة ولا أنوثة ، وقد خلقوا من نور .

---

(١) مخيلة كعظيمة : المراد بها الكبر .

(٢) وقد تعمدت اشارة الى هذا حتى لا يقال : فلان نائم مع الملائكة ياكل ارزا كما يقول الجهلاء بهذا .

وقد ورد فى هذا :

عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الملائكة قالوا : ربنا خلقتنا وخلقت بنى آدم فجعلتهم يأكلون الطعام ، ويشربون الشراب ، ويلبسون الثياب ، ويأتون النساء ، ويركبون الدواب ، وينامون ويستريحون ، ولم تجعل لنا من ذلك شيئا فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة ، فقال عز وجل : لا أجعل من خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى كمن قلت له : كن فكان »[١] .

وعن ابن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الملائكة قالت : يا ربنا .. أعطيت بنى آدم الدنيا يأكلون ويشربون ويركبون ويلبسون . ونحن نسبح بحمدك ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو ، فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة . قال : لا أجعل صالح ذرية من خلقته بيدى كمن قلت له : كن فكان »[٢] .

وعن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج[٣] من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »[٤] .

وهم كما وصفهم الله تعالى فى قرآنه : « **عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** »[٥] .

واذا كانوا قد : « **... قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** »[٦] عندما أخبرهم الله سبحانه وتعالى بأنه سيخلق آدم عليه السلام فقال مخاطبا اياهم : « **انى جاعل فى الأرض خليفة** »[٧] فان قولهم السابق ما كان غيبة أو اعتراضا ، وانما تعجبا واستفسارا لعدم علمهم بحكمة خلقه .

وكذلك بالنسبة لهاروت وماروت وتعليمهم الناس السحر ، على القول بأنهما من الملائكة ، فقد كان هذا ابتلاء من الله عز وجل لئلا يغتر أحد بعمل المبطلين ، وذلك : لأن السحرة كثرت فى ذلك الزمان الذى ادعى فيه بعضهم النبوة ، ولهذا بعث الله هذين الملكين ليعلما الناس

---

(١) اخرجه ابن عساكر . (٢) اخرجه الطبرانى فى الكبير .
(٣) المارج : لهب النار الخالص من الدخان .
(٤) اخرجه أحمد ومسلم . (٥) الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧
(٦) البقرة : ٣٠ (٧) البقرة : ٣٠

السحر حتى يتمكنوا من معارضة الكذابين ، وفى هذا يقول تبارك وتعالى : **« وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر »**[١] .

وقد قال العلماء : من عمل منه[٢] واعتقد حقيقته كفر ، ومن توقى عن العمل به ، واتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله : بقى على الايمان ولا يكفر باعتقاد حقيقته وجواز العمل به[٣] .

* * *

واذا كان الطعام والشراب ـ كما عرفت ـ هو اكسير الحياة الأولى بنسب ومواد معينة :

كالكالسيوم والفوسفور : اللذين يدخلان فى تركيب الهيكل العظمى والأسنان .

والحديد : الذى يدخل فى تركيب الدم ، مثلا .

والبروتينات : التى تصنع منها الأنسجة الأخرى كالعضلات ، والجلد .

والفيتامينات : التى تعمل فى بناء أنسجة الجسم وتساعد على القيام بوظائفها وتعمل على سلامتها ووقايتها من الأمراض :

فقد تكفل الله سبحانه وتعالى وهو العليم بكل هذه الاحتياجات التى يتكون منها الجسم البشرى القوى ، بايجاد كل هذه المواد المشار اليها فى خمس مجموعات أساسية للغذاء الصحى ، يستطيع كل انسان أن يحصل عليها حسب قدرته المادية بالنسبة لكل نوع من الأنواع الخمس الآتية :

المجموعة الأولى

(أ) خضروات نيئة مثل : الفجل ، الجرجير ، البصل الأخضر ، الكبر[٤] ، الجعضيض ، البقدونس ، الشيكوريا ، الحلبة الخضراء ، الفلفل الأخضر ، الخس ، البنجر ، الجزر الأصفر ، الطماطم .

(ب) خضروات مطبوخة مثل : الملوخية ، الخبيزة ، السبانخ ،

---

(١) البقرة : ١٠٢ (٢) اى السحر .

(٣) راجع موضوع الملائكة بالتفصيل اذا اردت فى الجزء الأول من « الدين الخالص » صفحة ٥٦

(٤) الكبر ـ بفتح الكاف والباء ـ : نبات معمر من الفصيلة الكبرية ، ينبت طبيعيا ويزرع ، وتؤكل جذوره وسوقه مملحة ، وتستعمل جذوره فى الطب .

الكرنب ، الباذنجان ، القرنبيط ، البقول الخضراء (فاصوليا ، لوبيا خضراء) •

فهذه الخضروات بنوعيها تعتبر مصدرا عاما لفيتامين (أ) اللازم لنمو وسلامة العيون والجلد والأنسجة ، وهى غنية بالحديد اللازم لتكوين كرات الدم الحمراء ، وغنية بالكالسيوم اللازم لبناء العظام والأسنان وقوة العضلات ، والأصناف الخضراء والصفراء منها التى تؤكل نيئة تعتبر كذلك مصدرا هاما لفيتامين (جـ) اللازم لسلامة الأوعية الدموية والأنسجة الضـامة ، ونقصه فى الغـذاء يؤدى الى مرض الاسقرابوط فيحدث الضعف والهزال ، وألم وورم فى المفاصل ، وورم وادماء اللثة ، وأنزفة وادماء تحت الجلد والأنسجة المختلفة فى الجسم ، كما يسبب تأخير التآم الجروح ، وهذا الفيتامين يتلفه الطبخ والحفظ ، فيجب أن تؤكل الأطعمة طازجة ونيئة بمجرد قطفها ما أمكن •

(جـ) برتقال ، يوسفى ، ليمون ، جريب فروت ، فراولة ، توت ، جوافة ، تين شوكى ، بطيخ ، شمام ، برقوق •

وهذه الفواكه غنية جدا بفيتامين (جـ) الموجود فى الخضروات الطازجة النيئة •

فتناول من هذه المجموعة يوميا نصف كيلو على أن تأكل ربع الكمية خضروات خضراء وصفراء (سلطة) •

مع ملاحظة : أن هذه المجموعة الأولى جعلها الله سبحانه وتعالى فى متناول يدك لضمان الحصول على كمية كافية من الفيتامينات والأملاح المعدنية اللازمة لبناء الجسم ووقايته من الأمراض ، وكذلك كمية مناسبة من الألياف اللازمة لتنشيط الأمعاء ومنع الامساك ، وكذلك المواد القلوية المـانعة لحموضة الدم •

المجمـوعة الثـانية

اللبن الحليب[1] ، اللبن الزبادى ، لبن السلطة ، الجبن بأنواعه ، الجبن الجريش ، اللبن البودرة ، جيلاتى باللبن •• الخ •

هذه المجموعة : أهم مصدر للكالسيوم اللازم لبناء العظام والأسنان وقوة العضلات وهى غنية بالبروتين ذى القيمة الحيوية العالية واللازم

---

(١) الذى يكفيك منه كوب واحد ، وللأطفال والمراضع كوبان يوميا •

لبناء الأنسجة وترميمها ، وكذلك فيتامين الريبوفلافين (ب) اللازم للنمو وسلامة العيون والجلد •

فاذا تعذر الحصول عليها : فعليك بالحلاوة الطحينية والسمسم فهى غنية بالكالسيوم والبروتين •

المجموعة الثالثة

طيور الأكل واللحوم بأنواعها ، البيض ، الأسماك الطازجة والمحفوظة ، البقول : كالفول (الطعمية والبصارة) العدس ، البسلة ، اللوبيا ، الفاصوليا ، السمسم (الطحينة) ، الحمص ، اللب ، الفول السودانى ، الياميش ، واللوز ، وعين الجمل •

هذه المجموعة أهم مصدر للبروتينات اللازمة لبناء الأنسجة وترميمها ومعظمها غنى بالأملاح المعدنية مثل : الحديد اللازم لعمل الدم وبعض الفيتامينات الهامة •

ويكفيك أن تتناول من أى منها : ربع رطل يوميا •

المجموعة الرابعة

الخبز الأسمر ، الفريك ، البليلة ، الدقيق الكامل ، منتجات الدقيق الأبيض المعززة بالفيتامينات والأملاح المعدنية •

هذه المجموعة أهم مصدر لمواد الطاقة والمجهود (الكربوهيدرات) اللازمة للقيام بالعمل الجسمانى ، والخبز الكامل (الأسمر المحتوى على الردة الناعمة) غنى بالحديد ، وفيتامينات مركب (ب) بينما الدقيق الأبيض الفاخر يفتقر اليها : فعليك بالحبوب والخبز الكامل •

وتناول نصف رغيف فى كل وجبة على الأقل •

المجموعة الخامسة

الزبد ، المسلى ، القشدة ، المسلى الصناعى ، الدهون والزيوت المعززة بالفيتامينات (ا ، د) •

هذه المجموعة مصدر هام للمواد الدهنية ، وهى من مواد الطاقة المركزة التى تمد الجسم بالدفء والطاقة اللازمة للمجهود ، وتعتبر مصدرا لفيتامين (أ) أيضا اللازم للنمو وسلامة العيون والجلد والأنسجة •

تناول من هذه المجموعة ما يعادل معلقتين شوربة يوميا •

فلاحظ كل هذا ، مع ملاحظة كذلك بأنه بحسن الاختيار يمكن انقاص عدد مجموعات هذه الأطعمة الأساسية الى أربع وحتى الى ثلاث :

فالجبن الأبيض أو اللبن مثلا : يمكن أن يقوم مقام المجموعات : الثانية ، الثالثة ، الخامسة .

الطعمية : مقام المجموعة : الثالثة ، الخامسة .

والعسل بالطحينة : مقام المجموعة : الثانية ، الثالثة ، الرابعة ، الخامسة ، الى حد كبير .

* * *

وبذلك كما رأيت اذا كنت فقيرا ولا تستطيع الحصول لك ولأولادك على المجموعات الخمس السابقة : فانك تستطيع الحصول على وجبات شعبية كاملة ورخيصة مكونة من أربعة ، أو ثلاثة أصناف فقط .

* * *

فاشكر الله سبحانه وتعالى الذى يسر لك كل ما تحتاج اليه من طعام وشراب تقوى به على أداء رسالتك فى هذه الحياة من أعمال شريفة ، وعبادات مفروضة .

وحسبك حتى تقف على هذه العظمة الالهية التى أخرجت لك هذا الطعام المختلف أشكاله وألوانه ومذاقه ، والذى يسقى بماء واحد أن تقرأ قول الله تبارك وتعالى الذى يأمرك فيه حتى تكون موحدا : بأن تنظر الى طعامك نظرة عاقل ومفكر ، فيقول سبحانه :

« فلينظر الانسان الى طعامه . أنا صببنا المـاء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا . وعنبا وقضبا[١] . وزيتونا ونخلا . وحدائق غلبا[٢] . وفاكهة وأبا[٣] . متاعا لكم ولأنعامكم »[٤] .

---

(١) يطلق العرب القضب : على كل نبات يقطع بعضه وهو أخضر ليؤكل ، ويخرج مكانه غيره ، كالكرات والنبات المعروف فى مصر بالبرسيم الذى تعلف به الدواب .

(٢) غلبا : جمع غلباء بفتح فسكون : والغلباء هى الحديقة الضخمة الأشجار الملتفة الأغصان .

(٣) ابا : قيل هو المرعى الذى ينبت بدون تدخل زارع من البشر .

(٤) عبس : ٢٤ — ٣٢

ولعلك قد لاحظت فى هذه الآية الأخيرة أن الله سبحانه وتعالى ما أخرج كل هذا من باطن الأرض من أجلك وحدك ولكن من أجل دوابك كذلك .

فهى من دواب الأرض التى تكفل الله بأرزاقها كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله سبحانه وتعالى فيها :

« وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها »[١] .

* * *

وحتى الجن ودوابه : فهمـا كذلك من الدواب التى تكفل الله بأرزاقها ، وقد ورد فى هذا :

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أتانى داعى الجن فذهبت فقرأت عليهم القرآن . قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم . وسألوه الزاد : فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه ، يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحما ، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم من الجن »[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يحمل مع النبى صلى الله عليه وسلم اداوة[٣] لوضوئه وحاجته ، فبينما هو يتبعه بها قال : من هذا ؟ قال : أنا أبو هريرة ، قال : « أبغنى أحجارا أستنفض[٤] بها ولا تأتنى بعظم ولا بروثة » فأتيته بأحجار أحملها فى طرف ثوبى فوضعتها الى جنبه ثم انصرفت ، حتى اذا فرغ مشيت فقلت : ما بال العظم والروثة ؟ قال : « هما من طعام الجن ، وأنه أتانى وفد جن نصيبين — ونعم الجن — فسألونى الزاد فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة الا وجدوا عليها طعاما »[٥] .

هذا : ولمـا كان الله سبحانه وتعالى قد أمرنا فى كتابه العزيز بالأكل والشرب من رزقه سبحانه فقال : **« كلوا واشربوا من رزق الله »**[٦] .

كما أمر كذلك فى آيات أخرى بأن يكون هذا المـأكول والمشروب حلالا طيبا ، فقال : **« كلوا من طيبات ما رزقناكم »**[٧] .

---

(١) هود : ٦ (٢) اخرجه احمد ومسلم .
(٣) الاداوة : اناء صغير يحمل فيه المـاء ، الجمع : اداوى .
(٤) اى لأستنجى بها . (٥) اخرجه البخارى والبيهقى .
(٦) البقرة : ٦٠ (٧) البقرة : ٥٧

فقد رأيت حتى تعرف الحلال من الحرام أن أدور معك جول هذا العنصر الهام الذى يجب عليك كمسلم أن تكون محيطا به وعالمـا بأهم ما يتعلق به من أحكام :

ولمـا كان السبيل الى معرفة هذه الأحكام هو العلم ، أو هو معرفة ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فى شأنها : فقد رأيت أن ألخص[1] لك أهم هذه الأحكام التى ذكرها صاحب كتاب « الحلال والحرام فى الاسلام »[2] .

* * *

وحسبى أولا أن أسوق اليك هذه التعاريف التى ذكرها فى أول كتابه حتى تكون عالمـا بها ، وحتى تميز بين الحلال والحرام ، وتعرفه الفرق بينهما وبين المكروه :

ولولا العلم ما سعدت نفوس ولا عرف الحلال من الحرام

وحتى لا أطيل عليك فاليك :

الحلال : هو المباح الذى انحلت عنده عقدة الحظر ، وأذن الشارع فى فعله .

والحرام : هو الأمر الذى نهى الشارع عن فعله نهيا جازما ، بحيث يتعرض من خالف النهى لعقوبة الله فى الآخرة ، وقد يتعرض لعقوبة شرعية فى الدنيا أيضا .

والمكروه : هو ما نهى عنه ولكنه لم يشدد فى هذا النهى ، وهو أقل من الحرام فى رتبته ، وليس على مرتكبه عقوبة كعقوبة الحرام ، غير أن التمادى فيه ، والاستهتار به من شأنه أن يجرىء صاحبه على الحرام .

واذا كان الله سبحانه قد أحل لنا الطيبات وهى : الحلال ، كما تشير الآية التى يقول الله تعالى فيها : **« يسألونك ماذا أحل لهم ، قل أحل لكم الطيبات »**[3] .

والتى يقول فيها : **« اليوم أحل لكم الطيبات »**[4] .

---

(١) وهو الدكتور يوسف القرضاوى أثابه الله .

(٢) بتصرف كبير واضافات موضوعية .

(٣) المـائدة : ٤ (٤) المـائدة : ٥

فقد حرم علينا اجمالا أربعة أشياء ، وتفصيلا عشرة أشياء •

وقد جاء الاجمال فى قوله تعالى :

« قل لا أجد فى ما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس[1] أو فسقا أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم »[2] •

كما جاء التفصيل فى قوله تعالى :

« حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب[3] »[4] •

* * *

ولا تناقض بين الآيتين لأن الأصناف الخمسة وهى :

المنخنقة : وهى التى تموت اختناقا بسبب التفاف وثاقها على عنقها ، أو لسبب دخول رأسها فى مضيق أو نحو ذلك •

والموقوذة : وهى التى تضرب بالعصا ونحوها حتى تموت •

والمتردية : وهى التى تتردى من مكان عال فتموت ، ومثلها التى تتردى فى بئر •

والنطيحة : وهى التى تنطحها أخرى فتموت •

وما أكل السبع : وهى التى أكل السبع[5] جزءا منها فماتت •

فكل هذه الأصناف الخمسة تدخل فى حكم الميتة وهى :

ما مات حتف أنفه من الحيوان أو الطير ، أى مات بدون عمل من الانسان يقصد به تذكيته أو صيده •

وكذلك ما ذبح على النصب يدخل فى حكم ما أهل لغير الله به ، وهو : ما ذبح وذكر عليه اسم كالأصنام[6] •

وأما عن الدم المسفوح ـ وهو ثانى المحرمات[7] ـ فالمراد به

---

(١) اى قذر .	(٢) الأنعام : ١٤٥

(٣) النصب هو الشىء المنصوب من اصنام او حجارة تقام امارة للطاغوت وهو ما عبد من دون الله ـ وكانت حول الكعبة .

(٤) المائدة : ٣	(٥) المراد به الحيوان المفترس .

(٦) فقد كان الوثنيون اذا ذبحوا ذكروا على ذبيحتهم اسماء اصنامهم كاللات والعزى .

(٧) فى الآية الثالثة من سورة المائدة كما عرفت سابقا .

السائل ، والسر فى تحريمه أنه مستقذر يعافه الطبع الانسانى النظيف ، كما أنه مظنة للضرر كالميتة •

وقد سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن الطحال ، فقال : كلوه. فقالوا : انه دم ، فقال : انما حرم عليكم الدم المسفوح •

وأما عن ثالث المحرمات ، وهو : لحم الخنزير فحسبك أن تعلم أنه قذر ، وأن أشهر وجباته الغذائية : القاذورات والنجاسات ، وأن الطب الحديث أثبت أن أكله ضار فى جميع الأقاليم ولا سيما الحارة ، كما ثبت بالتجارب العلمية أن أكل لحمه من أسباب الدودة الوحيدة القاتلة وغيرها من الديدان •

ومن الباحثين من يقول : ان المداومة على أكل لحم الخنزير تورث ضعف الغيرة على الحرمات •

* * *

وبالنسبة للذكاة التى أشار الله سبحانه وتعـالى اليها بقوله : **« الا ما ذكيتم » :**

فالمعنى : أى ما أدركتم من هذه الحيوانات وفيه حياة فذكيتموه ، أى أحللتموه بالذبح ونحوه •• ويكفى فى صحة ادراك ما ذكر أن يكون فيه رمق من الحياة •

فقد روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : اذا أدركت ذكاة الموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وهى تحرك يدا أو رجلا فكلها •

وعن الضحاك أنه قال : كان أهل الجاهلية يأكلون هذا فحرمه الله فى الاسلام الا ما ذكى منه ، فما أدرك فتحرك منه رجل أو ذنب أو طرف[1] فذكى فهو حلال[2] •

* * *

وما أبيح أكله من الحيوانات البرية نوعان :

نوع مقدور عليه متمكن منه ، كالأنعام من ابل وبقر وغنم ، وغيرها من الحيوانات المستأنسة والدواجن والطيور التى تربى فى المنازل ونحـــوها •

---

(١) اى عين •

(٢) وقال بعض الفقهاء : لابد أن تكون فيها حياة مستقرة وعلامتها انفجار الدم والحركة العنيفة •

ونوع غير مقدور عليه ولا يتمكن منه •
وقد اشترط الاسلام لاباحة النوع الأول أن يذكى تذكية شرعية ، يشترط فيها :
أن يذبح الحيوان أو ينحر بآلة حادة مما ينهر الدم ويفرى الأوداج ولو كان حجرا أو خشبا ، فعن عدى بن حاتم الطائى قال : قلت : يا رسول الله •• اننا نصيد الصيد فلا نجد سكينا الا الظرار[١] وشقة العصا[٢] ، فقال : « أمر الدم[٣] بما شئت واذكر اسم الله عليه »[٤] •

وأن يكون الذبح فى الحلق أو اللبة[٥] ، وذلك بقطع فى الحلق يكون الموت فى أثره ، وأكمل الذبح : أن يقطع الحلقوم والمرىء[٦] والودجان[٧] ، ويسقط هـذا الشرط : اذا تعذر الذبح فى موضعه الخاص ، كأن يتردى الحيوان فى بئر من جهة رأسه بحيث لا ينال حلقه ولا لبته ، أو يند ويتمرد على طبيعته المستأنسة ، لهذا يعامل معاملة الصيد ، ويكفى أن يجرح بمحدد فى أى موضع مستطاع منه • فقد ورد فى الصحيحين عن رافع بن خديج أنه قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فند[٨] بعير من ابل القوم ، ولم يكن معهم خيل ، فرماه رجل بسهم فحبسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش فما فعل منها هذا فافعلوا به هكذا »[٩] •

وألا يذكر على الحيوان عند تذكيته اسم غير الله ، وهـذا مجمع عليه •

وأن يذكر عليه اسم الله ، ففى القرآن يقول رب العـزة : «فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين»[١٠] •

وفى الحـديث الشريف : « ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه

---

(١) اى الحجر والمدر المحدد منه •
(٢) اى من البوص • (٣) اى أرقه •
(٤) رواه أحمد وابو داوود والنسائى وابن ماجه والحاكم وابن حبان •
(٥) اى النحر •
(٦) وهو مجرى الطعام والشراب من الحلق •
(٧) وهما عرقان غليظان فى جانبى ثغرة النحر •
(٨) أى هاج ونفر • (٩) أخرجه الشيخان •
(١٠) الأنعام : ١١٨

فكلوا »[١] • وذهب بعض العلماء الى أن ذكر اسم الله لابد منه ، ولكن ليس من اللازم أن يكون ذلك عند الذبح ، بل يجزىء عنه أن يذكره عند الأكل ، فانه اذا سمى الله عند الأكل على ما يأكل لم يكن آكلا ما لم يذكر اسم الله عليه • فقد ورد فى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها : أن قوما حديثى عهد بجاهلية قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : ان قوما يأتوننا باللحمان لا ندرى أذكروا اسم الله عليها أم لم يذكروا ؟ أنأكل منها أم لا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذكروا اسم الله وكلوا » •

* * *

مع ملاحظة : أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر باحداد الشفرة واراحة الذبيحة فقال : « ان الله كتب الاحسان على كل شىء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته »[٢] •

وأمر أن توارى الشفار[٣] عن البهائم فقال : « اذا ذبح أحدكم فليجهز »[٤] ، أى فليتم •

وقد روى عن ابن عباس أن رجلا أضجع شـاة وهو يحد[٥] شفرته ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أتريد أن تموت موتات ؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها »[٦] ؟

ورأى عمر رضى الله عنه رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها ، فقال : ويلك •• قدها الى الموت قودا جميلا[٧] •

وكان أهل الجاهلية يجبون[٨] أسـنمة الابل ـ وهى حية ـ ويقطعون أليات الغنم ، وكان فى ذلك تعذيب لهذه الحيوانات ، ففوت النبى صلى الله عليه وسلم مقصودهم وحرم عليهم الانتفاع بهـذه الأجزاء فقال : « ما قطع من البهيمة وهى حية فهو ميتة »[٩] •

---

(١) رواه البخارى وغيره • (٢) رواه مسلم عن شداد بن أوس

(٣) جمع شفرة وهى السكين العظيم •

(٤) رواه ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما •

(٥) اى وهو يقوم بسن السكين •

(٦) رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري •

(٧) رواه عبد الرزاق • (٨) اى يقطعون •

(٩) رواه أحمد وأبو داوود والترمذى والحاكم •

وقد أحل الله تعالى لنا ذبائح أهل الكتاب وهم (اليهود والنصارى) كما أحل لهم ذبائحنا وفى ذلك يقول تبارك وتعالى : « **اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم** »[١] باستثناء ما كان محرما لعينه كالميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير .

وقد سئل الامام مالك فيما ذبحه أهل الكتاب لأعيادهم وكنائسهم فقال : أكرهه ولا أحرمه .

وهذه الكراهة من باب الورع خشية أن يكون داخلا فيما أهل لغير الله به ، وهذا بالنسبة لمـــا يذبحونه لآلهتهم .

وقد أفتى جماعة من المـــالكية بأنه ليس بشرط أن تكون تذكيتهم ــ للحيوان ــ مثل تذكيتنا بمحدد فى الحلق ...

وأن ما يرونه مذكى عندهم حل لنا أكله ، وان لم تكن ذكاته عندنا ذكاة صحيحة ، وما لا يرونه مذكى عندهم لا يحل لنا ، والمفهوم المشترك للذكاة : هو القصد الى ازهاق روح الحيوان بنية تحليل أكله .

وعلى ضوء هذا نعرف الحكم فى اللحوم المستوردة من عند أهل الكتاب كالدجاج ولحوم البقر المحفوظة مما قـــد تكون ذكاته بالصعق الكهربائي ونحوه ، فما داموا يعتبرون هذا حلالا مذكى فهو حل لنا ، وفق عموم الآية .

وأما ذبيحة المجوس ومن ماثلهم : فقد اختلف العلماء فيهـــا ، فالأكثرون يمنعون من أكلها لأنهم مشركون ، والبعض الآخر من العلماء يقول : هى حلال ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « سنوا بهم ســـنة أهل الكتاب »[٢] . وقد قبل الجزية من مجـــوس هجر[٣] . والصابئون عند أبى حنيفة أهل كتاب أيضا .

وليس على المسلم أن يسأل عما غاب عنه مثل : كيف كانت التذكية ؟ وهل استوفت شروطها أم لا ؟

وهل ذكر اسم الله على الذبيحة أم لم يذكر ؟ لأن كل ما غاب

---

(١) المـــائدة : ٥

(٢) رواه مالك والشافعى ، وما ورد من تتمة لهذا الحديث : « غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم » فلم يصح عند المحدثين .

(٣) روى ذلك البخارى وغيره .

عنا مما ذكاه مسلم ــ ولو كان جاهلا أو فاسقا ــ أو كتابى : حلال أكله[1] .

وقد استثنت الشريعة الاسلامية من الميتة المحرمة : السمك والحيتان ونحوها من حيوانات الماء ، وقد روى فى هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم حين سئل عن ماء البحر قال : « هو الطهور ماءه الحل ميتته » . وفى معنى الآية الكريمة : « **أحل لكم صيد البحر وطعامه** »[2] يقول سيدنا عمر رضى الله عنه : صيده ما اصطيد منه ، وطعامه ما رمى به .

ويقول ابن عباس رضى الله عنهما : طعامه ميتته .

وقد ورد فى الصحيحين : عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث سرية من أصحابه فوجدوا حوتا كبيرا قد جزر عنه البحر ــ أى ميتا ــ فأكلوا منه بضعة وعشرين يوما ، ثم قدموا الى المدينة ، فأخبروا الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « كلوا رزقا أخرجه الله لكم ، وأطعمونا ان كان معكم » فأتاه بعضهم بشىء فأكله[3] .

ومثل ميتة البحر : الجراد ، فقد رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أكله ميتا ، لأن ذكاته غير ممكنة .

يقول ابن أبى أوفى رضى الله عنه : « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات نأكل معه الجراد »[4] .

وجميع الحيوانات البحرية ــ وهى التى تسكن جوف الماء ولا تعيش الا فيه ــ أكلها حلال ، كيفما وجدت سواء أخذت من الماء حية أو ميتة ، طفت أم لم تطف ويستوى فى ذلك السمك والحيتان ، وما يسمى بكلب البحر أو خنزير البحر أو غير ذلك ، ولا عبرة بمن أخذها وصادها ، مسلما أو غير مسلم ، فقد وسع الله على عباده باباحة كل ما فى البحر ، دون أن يحرم نوعا معينا ، أو يشترط ذكاة كغيره ...

واذا كان القرآن الكريم لم يصرح بتحريم شىء من الحيوانات

---

(١) كما جاء فى نص الحديث السابق الذى قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « بسموا الله عليه انتم وكلوا » .

(٢) المائدة : ٩٦

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه الجماعة الا ابن ماجه .

البرية الا لحم الخنزير خاصة ــ والميتة والدم وما أهل لغير الله به من أى حيوان : فقد حرم الله علينا على لسان حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم جميع الخبائث ، وهى التى يستقذرها الذوق والحس العام للناس فى مجموعهم وان أساغها أفراد منهم . وفى ذلك يقول تبارك وتعالى فى كتابه العزيز عن الرســول صلى الله عليه وســلم : « **ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** »[١] فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم ــ وهو الذى لا ينطق عن الهوى :

« نهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر »[٢] ، و « نهى عن أكل كل ذى ناب من السباع[٣] وكل ذى مخلب[٤] من الطير »[٥] .

واذا كانت الشريعة قد حرمت أكل لحم الميتة : فقد أباحت الانتفاع بجلدها ، أو قرونها ، أو عظمها ، أو شعرها ، لأنه مال يمكن الاستفادة منه فلا تجوز اضاعته ، فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : تصدق على مولاة[٦] لميمونة ــ أم المؤمنين ــ بشاة فماتت ، فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هلا أخذتم اهابها ــ جلدها ــ فدبغتموه فانتفعتم به » ؟ فقالوا : انها ميتة ! فقال صلى الله عليه وسلم : « انما حرم أكلها »[٧] .

وقد بين صلى الله عليه وسلم السبيل الى تطهير جلد الميتة ، وهو الدباغ ، فقال فى حديث شريف : « دباغ الأديم[٨] ذكاته »[٩] أى : أن الدباغ فى التطهير بمنزلة الذكاة فى احلال الشاة ونحوها . وفى رواية أخرى : « دباغه يذهب نجسه »[١٠] . وفى صحيح مسلم وغيره عنه صلى الله عليه وسلم : « اذا دبغ الاهاب فقد طهر » . وهذا يشمل كل جلد ولو كان جلد كلب أو خنزير ، وبذلك قال أهل الظاهر ، وحكى عن أبى يوسف صاحب أبى حنيفة ورجحه الشوكانى .

---

(١) الأعراف : ١٥٧ (٢) رواه البخارى .

(٣) المراد بالسباع : ما يفترس الحيوان ويأكله قسرا كالأسد والنمر والذئب ونحوها .

(٤) المراد بذى المخلب من الطير : ما كان له ظفر جارح كالنسر والبازى والصقر والحداة .

(٥) رواه البخارى ومسلم .

(٦) مولاة : اى جارية كانت لها واعتقتها .

(٧) رواه الجماعة الا ابن ماجه . (٨) اى الجلد .

(٩) رواه أبو داوود والنسائى . (١٠) رواه الحاكم .

واذا كانت هناك قاعدة شرعية تقول : الضرورات تبيح المحظورات ، وقال القرآن مشيرا اليها : « **وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه** »[١] • وقال : « **فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ، ان الله غفور رحيم** »[٢] فهذه الضرورة المشار اليها فى الآيتين ، كما اتفق العلماء هى ضرورة الغذاء بأن يعضه الجوع ، وقد حدد بعض الفقهاء بأن يمر عليه يوم وليلة ولا يجد ما يأكله الا هذه الأطعمة المحرمة ، فله أن يتناول منها ما يدفع به الضرورة ويتقى الهلاك •

وقال الامام مالك : حد ذلك الشبع والتزود منها حتى يجد غيرها •

وقال غيره : لا يأكل منها الا ما يمسك الرمق ، ولعل هذا هو الظاهر من قول الله تعالى : « **غير باغ ولا عاد** » أى غير باغ (طالب) للشهوة ، ولا عاد (متجاوز) حد الضرورة • وضرورة الجوع قد نص عليها القرآن نصا صريحا بقوله : « **فمن اضطر فى مخمصة**[٣] **غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم** »[٤] •

وبالنسبة للتداوى بتناول شىء من هذه المحرمات : فقد اختلف فى اعتبارها الفقهاء : فمنهم من يعتبر التداوى ليس ضرورة قاهرة كالغذاء ، واستند الى حديث شريف يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم »[٥] •

ومنهم من اعتبر هذه الضرورة وجعل الدواء كالغذاء ، فكلاهما لازم للحياة فى أصلها أو دوامها •

وقد استدل هذا الفريق — على اباحة هذه المحرمات للتداوى — بأن النبى صلى الله عليه وسلم رخص فى لبس الحرير لعبد الرحمن ابن عوف والزبير بن العوام رضى الله عنهما لحكة[٦] كانت بهما ، مع نهيه عن لبس الحرير ووعيده عليه[٧] •

ثم يقول بعد ذلك صاحب كتاب « الحلال والحرام فى الاسلام » : وربما كان هذا القول أقرب الى روح الاسلام الذى يحافظ على الحياة

---

(١) الأنعام : ١١٩
(٢) البقرة : ١٧٣
(٣) اى مجاعة .
(٤) المائدة : ٣
(٥) رواه البخارى .
(٦) اى جرب .
(٧) رواه البخارى .

الانسانية فى كل تشريعاته ووصاياه ، ولكن الرخصة فى تناول الدواء المشتمل على المحرم مشروطة بشروط :

١ ــ أن يكون هناك خطر حقيقى على صحة الانسان اذا لم يتناول هذا الدواء .

٢ ــ ألا يوجد دواء غيره من الحلال يقوم مقامه أو يغنى عنه .

٣ ــ أن يصف ذلك طبيب مسلم ثقة فى خبرته وفى دينه معا .

ثم يقول أكرمه الله : على انا نقول مما نعرفه من الواقع التطبيقى ومن تقرير ثقات الأطباء : أن لا ضرورة طبية تحتم تناول شىء من هذه المحرمات ــ كدواء ــ ولكننا نقرر المبدأ احتياطا لمسلم قد يكون فى مكان لا يوجد فيه الا هذه المحرمات .

ثم يقول أيضا : وليس من شرط الضرورة ألا يجد الانسان طعاما فى ملكه هو فحسب ، بل لا يكون مضطرا لتناول هذه الأطعمة المحرمة اذا كان فى أفراد مجتمعه ــ مسلمهم أو ذميهم ــ من يملك من فضل الطعام ما يدفع به الضرورة عنه ، فان المجتمع الاسلامى متكامل ومتكافل كأجزاء الجسد الواحد أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

وأنا أقول : وليس هذا فحسب ، فان الاسلام هو دين الرحمة والمودة ، والمؤمنون فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كما يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم مثلهم : « ... كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[١] .

وفى الحديث الشريف : « ... من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة »[٢] .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال : « عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هى أطعمتها وسقتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض »[٣] .

فما بالك بالنسبة للانسان أيا كان شأن هذا الانسان : ان الانسانية التى تجمعنا جميعا فى أبوة وأمومة واحدة تدعونا الى ضرورة التعاطف والتراحم فضلا عن الاسلام الذى يجعل هذا أساسا فى دعوته .

(١ ، ٢ ، ٣) متفق عليه .

وأما عن الحيوانات البرية والطيور والمستطاب لحمهـا والغير مستأنسة للانسان : فقد أباح الاسلام صيدها ، ولم يشترط فى تذكيتها ما اشترط فى الحيوانات المستأنسة من الذكاة فى الحلق أو اللبة ، وانما اكتفى فى تذكيتها بما يسهل فى مثلها تخفيفا على الانسان وتوسعة عليه ، وأقر الناس فى هذا الأمر على ما هدتهم اليه الفطرة والحاجة ، غير أن الاسلام أدخل عليه تنظيمات واشتراطات تخضعه لعقيدة الاسلام ونظامه ، من هذه الاشتراطات : ما يتعلق بالصائد ، وما يتعلق بالمصيد ، وما يتعلق بما يكون به الصيد .

أما ما يتعلق بالصائد : فانه يشترط فيه ما يشترط فى الذابح بأن يكون مسلما ، أو من أهل الكتاب أو من هو فى حكم أهل الكتاب .. كما يشترط فيه أيضا : ألا يكون محرما بحج أو عمرة .

وأما ما يتعلق بالمصيد : فانه يشترط فيه أن يكون حيوانا مما لا يقدر الانسان على تذكيته فى الحلق واللبة ، فان قدر على تذكيته فى ذلك فلابد منها ولا يلجأ الى غيرها ، لأنها الأصل ، وكذلك لو رماه بسهمه أو سلط عليه كلبه ، ثم أدركه وفيه حياة مستقرة فعليه أن يحله بالذبح المعتاد فى الحلق ، فان كان به حياة غير مستقرة ، فان ذبحه فحسن ، وان تركه يموت من نفسه فلا اثم عليه ، وفى الصحيحين : « واذا أرسلت كلبك فاذكر اسم الله عليه ، فان أمسك فأدركته حيا فاذبحه » .

وأما ما يتعلق بما يكون به الصيد فهو نوعان :

(أ) الآلة الجارحة كالسهم والسيف والرمح ، كما أشارت الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها : **« تناله أيديكم ورماحكم »**[1] .

(ب) الحيوان الجارح الذى يقبل التعليم كالكلب والفهد من سباع البهائم ، والباز والصقر من سباع الطير ، قال تعالى : **« قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله »**[2] .

وبالنسبة للنوع الأول (أ) وهو الصيد بالآلة ، فانه يشترط فيها أمـران :

الأول : أن تنفذ فى الجسد بحيث يكون قتلها بالنفـاذ والخدش لا القتل . وقد سأل عدى بن حاتم النبى صلى الله عليه وسلم فقال : انى أرمى بالمعراض الصيد فأصيبه ، قال : « اذا رميت بالمعراض

---

(١) المـائدة : ٩٤ (٢) المـائدة : ٤

فخزق[١] فكل ، وما أصاب بعرضه فلا تأكل »[٢] . وقد دل الحديث على أن المعتبر هو الخزق وان كان القتل بمثقل ، وعلى هذا يحل ما صيد برصاص البنادق والمسدسات ونحوها ، فانها تنفذ فى الجسم أشد من نفاذ السهم والرمح والسيف .

أما ما رواه أحمد من حديث : « لا تأكل من البندقة الا ما ذكيت » وما رواه البخارى من قول ابن عمر فى المقتولة بالبندقة : « تلك الموقوذة » فالبندقة هنا هى التى تتخذ من طين فييبس فيرمى بها ، فهى شىء غير البندقية تماما[٣] .

ومثل البندقة ما صيد بحصى الخذق ، فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الخذق[٤] وقال : « انها لا تصيد صيدا ولا تنكأ عدوا ، ولكنها تكسر السن ، وتفقأ العين »[٥] .

الثانى : أن يذكر اسم الله على الآلة عند الرمى والضرب بها ، كما علم النبى صلى الله عليه وسلم عدى بن حاتم .

وكذلك بالنسبة للنوع الثانى (ب) وهو الصيد بالكلاب ونحوها :

فاذا كان الصيد بكلب أو باز مثلا فالمطلوب فيه :

أولا : أن يكون معلما .

ثانيا : أن يصيد الصيد لأجل صاحبه ويعتبر القرآن : أن يمسك على صاحبه لا على نفسه .

وأصل هذه الشروط هو ما نطقت به الآية الكريمة : **« يسألونك ماذا أحل لهم ، قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين[٦] تعلمونهن مما علمكم الله ، فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه »**[٧] .

وحد التعليم هو قدرة صاحب الكلب على التحكم فيه وتوجيهه بحيث يدعوه فيجيب ، ويغريه بالصيد فيندفع وراءه ، ويزجره فينزجر .. وحد الامساك على صاحبه ألا يأكل منه ، قال صلى الله عليه وسلم : « اذا أرسلت الكلب فأكل من الصيد ، فلا تأكل ، فانما أمسك على

---

(١) اى نفذ فى الجسم .
(٢) متفق عليه .
(٣) المعروفة فى عصرنا .
(٤) وهو الرمى بحصاة ونحوها .
(٥) رواه البخارى ومسلم .
(٦) اى مؤدبين ومعلمين .
(٧) المائدة : ٤

نفسه ، فاذا أرسلته فقتل ولم يأكل فكل فانما أمسكه على صاحبه »[١] .

وذكر اسم الله عند ارسال الكلب كذكره عند قذف السهم أو وخز الرمح أو ضرب السيف ، وقد أمرت الآية به ههنا : « **واذكروا اسم الله عليه** » كما جاءت به الأحاديث الصحيحة المتفق عليها ، كحديث عدى بن حاتم .

ومما يدل على أهمية هذا الشرط : أنه لو شارك كلبه كلب آخر ، فان صيدهما لا يحل . وقد ورد فى هذا أن عديا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : انى أرسل كلبى أجد معه كلبا ، لا أدرى أيهما أخذه ؟ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « فلا تأكل ، فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره » ، فاذا نسى التسمية عند الرمى أو الارسال فقد وضع الله عن هذه الأمة المؤاخذة بالنسيان والخطأ ، وحسبه أن يتدارك هذا عند الأكل ، كما مر فى الذبح .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام اذا كنت من هواة الصيد ، مع ملاحظة هذه التوجيهات الهامة التى تتعلق كذلك بهذا الموضوع ، وهى :

ألا تكون عابثا بصيدك فتزهق روحه دون قصد منك الى أكله أو الانتفاع به ، فقد ورد فى الحديث : « من قتل عصفورا عبثا عج الى الله يوم القيامة ، يقول : يا رب .. ان فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى منفعة »[٢] ، وفى حديث آخر : « ما من انسان يقتل عصفورا فما فوقها بغير حقها الا سأله الله عنها يوم القيامة » قيل : يا رسول الله .. وما حقها ؟ قال : « أن يذبحها فيأكلها ولا يقطع رأسها فيرمى به »[٣] .

واذا رميت صيدك بسهم فأصابه ، ثم غاب عنك فلم تجده بعد ذلك ، أو بعد أيام ، الا ميتا فانه فى هذه الحالة لا يكون صيدك حلالا الا بشروط :

أولها : ألا يقع صيدك فى المـاء ، فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اذا رميت سهمك فان وجدته قد قتل فكل ، الا أن تجده قد وقع فى ماء فانك لا تدرى المـاء قتله أم سهمك »[٤] .

---

(١) رواه احمد ومثله فى الصحيحين .
(٢) رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه .
(٣) رواه النسائى والحاكم وقال : صحيح الاسناد .
(٤) رواه البخارى ومسلم .

ثانيا : ألا تجد فيه أثرا لغير سهمك تعلم أنه سبب قتله ، فعن عدى بن حاتم قال : قلت : يا رسول الله .. أرمى الصيد فأجد فيه سهمى من الغد ؟ فقال : « اذا علمت أن سهمك قتله ولم تر فيه أثر سبع فكل »[١] .

ثالثها :ألا يصل صيدك الى درجة النتن ، فان الطباع السليمة تعاف ذلك وتشمئز منه ، فضلا عما يتوقع من ضرره ، ففى صحيح مسلم : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأبى ثعلبة الخشنى : « اذا رميت سهمك فغاب[٢] ثلاثة أيام وأدركته فكل ما لم ينتن » .

* * *

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام حتى تأكل حلالا طيبا كما أمرك الله ورسوله فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى وقفت عليها ، وكما ورد فى الحديث الشريف الذى يقول فيه صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى طيب[٣] لا يقبل الا طيبا[٤] ، وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : **« يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ... »**[٥] .

وقال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم »**[٦] ثم ذكر الرجل أشعث أغبر يمد يديه الى السماء : يا رب .. يا رب .. ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى[٧] بالحرام فأنى يستجاب له[٨] .

* * *

واتماما للفائدة فقد رأيت كذلك أن أسوق اليك هذه الأحكام التى تتعلق خاصة بالشراب ، والبيع والشراء ، وهى :

أن الخمر التى حرم الله شربها فى الآيتين الكريمتين اللتين يقول الله تعالى فيهما : **« يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب**

---

(١) رواه الترمذى . (٢) اى الصيد .

(٣) اى منزه عن النقائص والخبائث ، وقيل : طيب الثناء .

(٤) اى لا يتقرب اليه بصدقة حرام ، ويكره التصدق بالردىء ولا يقبل من المال الا الطيب وكذلك بالنسبة للأعمال .

(٥) المؤمنون : ٥١ (٦) البقرة : ١٧٢

(٧) اى نبت لحمه من حرام . (٨) رواه مسلم عن ابى هريرة .

والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون • انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون »[١] •

قد حرم الاسلام الاتجار بها ولو مع غير المسلمين : وعلى هذا فانه لا يحل لمسلم أن يعمل : مستوردا ، أو مصدرا للخمر ، أو صاحب محل لبيع الخمر ، أو عاملا فى هذا المحل ، ففى الحديث الشريف : « لعن النبى صلى الله عليه وسلم فى الخمر عشرة : عاصرها ، ومعتصرها[٢] ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وساقيها ، وبائعها ، وآكل ثمنها ، والمشترى لها ، والمشتراة له »[٣] •

وحرم الاسلام التداوى بالخمر وغيرها من المحرمات وقد روى فى هذا أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخمر : انما أصنعها للدواء ، فقال صلى الله عليه وسلم : « انه ليس بدواء ولكنه داء »[٤] ، كما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ، ولا تتداووا بحرام »[٥] ، كما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال فى شأن التداوى بالمنكر : « ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم »[٦] •

كما حرم الاسلام اهداء الخمر ولو لغير المسلم : فلا ينبغى للمسلم أن تكون الخمر هدية منه ، ولا هدية اليه ، فهو طيب لا يهدى الا طيبا ، ولا يقبل الا طيبا • وقد روى فى هذا أن رجلا أراد أن يهدى للنبى صلى الله عليه وسلم راوية خمر ، فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم أن الله حرمها ، فقال الرجل : أفلا أبيعها ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الذى حرم شربها حرم بيعها » فقال الرجل : أفلا أكارم بها اليهود ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الذى حرمها حرم أن يكارم بها اليهود » فقال الرجل : فكيف

---

(١) المائدة : ٩٠ ، ٩١ (٢) أى طالب عصرها •
(٣) رواه احمد وابو داوود والترمذى •
(٤) رواه مسلم واحمد وابو داوود والترمذى •
(٥) رواه ابو داوود • (٦) رواه البخارى تعليقا •

أصنع بهــا ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « شــنها[١] على البطحــاء »[٢] .

وقد أمر المسلم كذلك بمقاطعة مجالس الخمر ، ومجالسة شاربها وقد روى فى هذا عن عمر رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وســلم يقول : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يدار عليها الخمر »[٣] .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد سئل عن أشربة تصنع من العسل أو من الذرة والشعير تنبذ حتى تشتد ، فكان جوابه صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام »[٤] ، فهذا دليل على أن كل ما يحدث الاسكار فهو حرام ، وهو خمر مهما وضع الناس لها من ألقاب وأسماء ، ومهما تكن المــادة التى صنعت منها ، وعلى هذا : فالبيرة وما شابهها حرام ، سواء أكان قليلا أم كثيرا . ففى الحديث الشريف : « ما أسكر كثيره فقليله حرام »[٥] .

واذا كان ســيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أعلن على الناس من فوق منبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن : « الخمر ما خامر العقــل » .

فهذا دليل على أن كل ما لابس العقل أو أخرجه عن طبيعته المميزة المدركة الحاكمة يعتبر خمرا حرمه الله ورسوله الى يوم القيامة ، ومن ذلك : تلك المواد التى تعرف باسم « المخدرات » مثل الحشيش ، والكوكايين والأفيون ونحوها مما عرف أثرها ــ عند متعاطيها ــ على العقل ، هذا الى جانب ما تحدثه من فتور فى الجسد ، وخدر فى الأعصاب ، وهبوط فى الصحة وفوق ذلك ما تحدثه من خور فى النفس ، وتمييع الخلق ، وتحلل الارادة ، وضعف الشعور بالواجب ، مما يجعل هؤلاء المدمنين لتلك السموم أعضاء غير صالحة فى جسم المجتمع ، فضلا عما وراء ذلك كله من اتلاف للمال ، وخراب للبيوت .

واذا كانت هناك قاعدة شرعية تقول : بأنه لا يحل للمسلم أن يتناول من الأطعمة أو الأشربة شيئا يقتله بسرعة أو ببطء ــ كالسم

---

(١) اى ارقها على الأرض .
(٢) رواه الحميدى فى مسنده .
(٣) رواه احمد .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه احمد وابو داوود والترمذى .

بأنواعه ــ أو يضره ويؤذيه ، ولا أن يكثر من طعام أو شراب يمرض بالاكثار منه • وذلك لأن المسلم ليس ملك نفسه ، وانما هو ملك دينه وأمته ، وحياته وصحته وماله ، ونعم الله كلها عليه تعتبر وديعة عنده ، ولا يحل له التفريط فيها ، وفى ذلك يقول تعالى : « **ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة** »[1] ويقــول : « **ولا تقتلوا أنفسكم ، ان الله كان بكم رحيمــا** »[2] • وفى الحــديث الشريف : « لا ضرر ولا ضرار » ، فهذا دليل على أن كل ما يضر ويكون سببا فى هلاك الانسان ، وضياع ثروته : أكله أو شربه حرام ، ويدخل فى هذا بالطبع تناول التبغ (الدخان) لأنه كما هو واضح ومعترف به حتى من جانب شاربيه ضار جدا بالصحة الى جانب أنه متلف للمال الذى ربما كانت أسرهم ، فضلا عن وطنهم ، فى أشد الحاجة اليه •

* * *

واذا كان الله سبحانه وتعالى كما قال فى كتابه العزيز قد أحل البيع وحرم الربا ، فقد رأيت حتى يكون مأكولك ومشروبك من مصدر حلال أن أقف معك على أهم ما يجب علينا أن نقف عليه فى موضوع « البيع والربا » وحسبك أن تعلم وباختصار :

أن البيع فى اللغة : مصدر باع كذا بكذا ، أى دفع عوضا وأخذ معوضا ، وهو يقتضى بائعا وهو المــالك أو من ينزل منزلته ، ومبتاعا وهو الذى يبذل الثمن ، ومبيعا وهو المثمون ، وهو الذى يبذل فى مقابلته الثمن ، وعلى هذا فأركان البيع أربعة : البائع ، والمبتاع ، والثمن ، والمثمن • الى أن يقول[3] : البيع قبول وايجاب يقع باللفظ المستقبل والمــاضى ، فالمــاضى فيه حقيقة والمستقبل كناية ، ويقع بالصريح والكناية المفهوم منها نقل الملك ، فسواء قال : بعتك هذه السلعة بعشرة ، فقال : اشتريتها ، أو قال المشترى : اشتريتها ، وقال البائع : بعتكها ، أو قال البائع : أنا أبيعك بعشرة ، فقال المشترى : أنا أشترى أو قد اشتريت ، وكذلك لو قال : خذها بعشرة ، أو أعطيتكها ، أو دونكها ، أو بورك لك فيها بعشرة أو سلمتها اليك ــ وهما يريدان البيع ــ فذلك كله بيع لازم ، ولو قال البائع : بعتك بعشرة ، ثم رجع

---

(١) البقرة : ١٩٥ (٢) النساء : ٢٩

(٣) اى القرطبى •

قبل أن يقبل المشترى ، فقد قال[١] : ليس له أن يرجع حتى يسمع قبل المشترى أو رده ، لأنه قد بذل ذلك من نفسه وأوجبه عليها ، وقد قال ذلك له ، لأن العقد لم يتم عليه . ولو قال البائع : كنت لاعبا ، فقد اختلفت الرواية[٢] ، فقال مرة : يلزمه البيع ولا يلتفت الى قوله ، وقال مرة : ينظر الى قيمة السلعة فان كان الثمن يشبه قيمتها فالبيع لازم ، وان كان متفاوتا : كعبد بدرهم ، ودار بدينار ، علم أنه لم يرد البيع ، وانما كان هازلا فلم يلزمه .



فلاحظ كل هذا أخا الاسلام مع ملاحظة هذه الأحكام المتعلقة بالبيع والشراء ، وهى :

أن الاتجار بكل ما جرت العادة بأن يقتنى لمعصية حظرها الاسلام ، أو يكون الانتفاع المقصود به عند الناس نوعا من المعصية : حرام ، كالخنزير ، والخمر والأطعمة والأشربة المحرمة ، والأصنام والصلبان والتماثيل ونحوها .. فقد ورد فى الحديث الشريف : « ان الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام »[٣] .

وأيضا ورد عنه صلى الله عليه وسلم : « ان الله اذا حرم شيئا حرم ثمنه »[٤] .

وأن النبى صلى الله عليه وسلم : نهى عن بيع ما فى صلب الفحل أو بطن الناقة ، أو الطير فى الهواء أو السمك فى المـاء ، وعن كل ما فيه غرر[٥] حتى لا يؤدى الى خصومة بين الطرفين أو غبن أحدهما للآخر ، كما نهى صلى الله عليه وسلم : عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها الا أن يشترط القطع فى الحال ، ونهى عن بيع السنبل حتى يبيض ويأمن العاهة[٦] ، وقال : « أرأيت اذا منع الله الثمرة ، بم يستحل أحدكم مال أخيه »[٧] .

وأنه صلى الله عليه وسلم : نهى عن احتكار الطعام بعبارات شديدة زاجرة فقال : « من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برىء الله

(١ ، ٢) اى الامام مالك . (٣) متفق عليه .

(٤) رواه أحمد وأبو داوود .

(٥) اى جهالة وعدم تحديد للمعقود عليه .

(٦) اخرجه مسلم . (٧) رواه البخارى وغيره .

منه »[١] . وقال : « لا يحتكر الا خاطىء »[٢] . وقال : « بئس العبد المحتكر ، ان سمع برخص ساءه ، وان سمع بغلاء فرح »[٣] وقال : « الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون »[٤] .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن بيع الحاضر للبادى وصورة هذا ــ كما قال العلماء ــ أن يقدم غريب بمتاع تعم الحاجة اليه ، ليبيعه بسعر يومه ، فيأتيه ابن المدينة ، فيقول له : خل متاعك عندى حتى أبيعه لك على المهلة بثمن غال ، ولو باع البادى بنفسه لأرخص ونفع البلدين ، وانتفع هو أيضا . وقد كانت هذه الصورة شائعة فى المجتمع الجاهلى فلما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عنها ، بقول أنس : « نهينا أن يبيع حاضر لبــاد ، ولو كان أخاه لأبيه وأمــه »[٥] .

وقد سئل ابن عباس رضى الله عنهما ، عن معنى : « لا يبيع حاضر لباد » فقال : « لا يكون له سمسارا »[٦] . ومعنى هذا أنه اذا دله على السعر ونصح له وعرفه بأحوال السوق من غير أن يأخذ أجرا كشأن السماسرة ، فهذا لا بأس به .

وأما السمسرة فى غير هذا الموطن فلا حرج فيها لأنها من نوع الدلالة والتوسط بين البائع والمشترى .. ولا بأس بأن يأخذ السمسار أجره نقودا معينة أو عمولة بنسبة معينة من الربح أو ما يتفقون عليه .

قال البخارى فى صحيحه : لم ير ابن سيرين وعطاء وابراهيم والحسن بأجر السمسار بأسا ، وقال ابن عباس : لا بأس بأن يقول : بع هذا الثوب فما زاد على كذا وكذا فهو لك ، وقال ابن سيرين : اذا قال : بعه بكذا ، فما كان من ربح فهو لك ، أو بينى وبينــك فلا بأس به .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « المسلمون عند شروطهم »[٧] .

وأما عن النجش : وهو كما فسره ابن عمر : أن تعطى فى السلعة

---

(١) أخرجه أحمد والحاكم وابن ابى شيبة والبزار .

(٢) رواه مسلم .

(٣) ذكره رزين فى جامعه .

(٤) رواه ابن ماجه والحاكم .

(٥) متفق عليه .

(٦) رواه البخارى .

(٧) ذكره البخارى معلقا ، ورواه أحمد وأبو داوود والحاكم وغيرهم موصولا .

أكثر من ثمنها وليس فى نفسك اشتراء ، ليقتدى بك غيرك ، وكثيرا ما يكون عن اتفاق لخداع الآخرين ، فقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عنه[١] .

كما نهى صلى الله عليه وسلم التجار عن كثرة الحلف بعامة وعن الحلف الكاذب بخاصة ، فقال : « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة »[٢] وذلك لأن الاكثار من الحلف فى البيع ربما كان مظنة لتغرير المتعاملين الى جانب أنه قد يكون سببا كبيرا فى زوال تعظيم اسم الله تعالى من القلب .

وقد حرم الاسـلام الغش والخداع فى سائر أنواع المعاملات الانسانية ، ولا سيما فى البيع والشراء ، وقد ورد فى حديث شريف أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فان صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما »[٣] .

وقال فى حديث آخر : « لا يحل لأحد يبيع بيعا الا بين ما فيه ، ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه »[٤] .

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم : مر ذات يوم برجل يبيع طعاما[٥] فأعجبه ، فأدخل يده فيه ، فرأى بللا ، فقال : « ما هذا يا صاحب الطعام » ؟ قال : أصابته السماء[٦] . فقال صلى الله عليه وسـلم : « فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟! من غشنا فليس منا » .

وفى رواية أخرى : أنه صلى الله عليه وسلم مر بطعام وقد حسنه صاحبه ، فوضع يده فيه ، فاذا طعام ردىء فقال : « بع هذا على حدة ، وهذا على حدة ، من غشنا فليس منا »[٧] .

كما حرم التطفيف فى الكيل والسرقة من الميزان لأن فاعل هذا يعتبر سارقا ومخادعا وغشاشا وحسبه زجرا وردعا أن يقرأ قول الله تبارك وتعالى : « **ويل[٨] للمطففين . الذين اذا اكتالوا على النـاس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون . الا يظن أولئك أنهم مبعوثون . ليوم عظيم . يوم يقوم الناس لرب العالمين** »[٩] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه البخارى .

(٤) رواه الحاكم والبيهقى .

(٥) حبوبا .

(٦) اى المطر .

(٧) رواه مسلم .

(٨) الويل : هو العذاب والهلاك .

(٩) المطففين : ١ ــ ٦

واذا كان الاسلام قد حرم السرقة والخداع كما عرفت ، فقد حرم كذلك : شراء المسروق والمنهوب لأن فاعل ذلك يعتبر مشاركا للسارق والناهب ومعينا لهما على اغتصاب أموال الناس وقد ورد هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من اشترى سرقة[١] وهو يعلم أنها سرقة ، فقد اشترك فى اثمها وعارها » .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وراقب الله سبحانه وتعالى فى أداء ما تقوم به من أعمال حتى يكون أجرك الذى ستتقاضاه نظير ذلك حلالا .

* * *

واعلم : أن الاسلام حرم الاكتساب من : كل عمل رخيص مثير للغريزة الجنسية ، كالرقص والغناء الخليع ، والتمثيل الماجن ..

وكذلك حرم الاكتساب من : صناعة التماثيل ، وقد روى فى هذا عن سعيد بن أبى الحسن قال : كنت عند ابن عباس اذ جاءه رجل فقال : يا ابن عباس .. انى رجل انما معيشتى من صنعة يدى ، وانى أصنع هذه التصاوير . فقال ابن عباس : لا أحدثك الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. سمعته يقول : « من صور صورة فان الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا » فربا الرجل ربوة شديدة[٢] ، فقال ابن عباس : « ويحك .. ان أبيت الا أن تصنع ، فعليك بهذا الشجر ، وكل شىء ليس فيه روح »[٣] .

أما تصوير اللوحات والتصوير الفوتوغرافى : فهو مباح أو مكروه ، اذا لم يشتمل موضوع الصورة نفسها على محرم فى الاسلام كابراز مواضع الفتنة فى الأنثى وتصوير رجل يقبل امرأة ونحوها ، ومثل ذلك الصور التى تعظم وتقدس كصور الملائكة والأنبياء ونحوها ، فهذا كله حرام .

* * *

---

(١) اى مسروقا .
(٢) يعنى انتفخ من الغيظ والضيق .
(٣) اخرجه البخارى .

وأما عن :

الـــــــربا

- وهو[١] لغة الزيادة كما تشير الآية الكريمة : **« اهتزت وربت »**[٢] وشرعا : الزيادة على رأس المـــال ، وفى ذلك يقول تعالى : **« وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم »** وهو : حرام بالكتاب والسنة واجماع الأمة ، قال تعالى : **« وأحل الله البيع وحرم الربا »**[٣] وقال : **« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين • فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون »**[٤] وقال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه »[٥] •

وهو : من أكبر الكبائر ولم يحل فى شريعة قط لقوله تعالى : **« وأخذهم الربا وقد نهوا عنه »**[٦] • أى فى الكتب السابقة ، ولم يؤذن الله تعالى فى كتابه بالحرب سوى آكل الربا • ولذا قيل : انه يدل على سوء الخاتمة والعياذ بالله •

والربا لا يحرم الا فى الذهب والفضة والمطعومات لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تبيعوا الذهب بالذهب ، ولا الورق بالورق[٧] ، ولا البر بالبر ، ولا الشعير بالشعير ، ولا التمر بالتمر ، ولا الملح بالملح ، الا سواء بسواء عينا بعين ، يدا بيد ، ولكن بيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير ، والشعير بالبر ، والتمر بالملح والملح بالتمر كيف شئتم » ، « فمن زاد أو استزاد فقد أربى »[٨] فقد دل الحديث كما رأيت على حرمة بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة وبيع المتماثلات من الأطعمة الا بشروط ثلاثة : التماثل ، والحلول ، والقبض فى المجلس ، هذا اذا اتحد الجنس فاذا اختلف كالذهب بالفضة والبر بالشعير جاز التفاضل ، بزيادة أحدهما عن الآخر لقوله صلى الله

---

(١) كما جاء فى كتاب « الفقه الميسر » (المعاملات) لفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ احمد عيسى عاشور •

(٢) فصلت : ٣٩ (٣) البقرة : ٢٧٥

(٤) البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩

(٥) رواه أحمد والترمذى وابو داوود وابن ماجه •

(٦) النساء : ١٦١ (٧) الورق بكسر الراء : اى الفضة •

(٨) رواه الشافعى •

عليه وسلم : « اذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم اذا كان يدا بيد »[١] .

فلا يشترط الا شرطان : الحلول والتقابض . أما التفاضل فانه يجوز ، واذا اختلف الجنس والعلة كالفضة والبر والنحاس والقماش مثلا فلا تشترط هـذه الأمور فيصبح البيع حالا ومؤجلا ومتماثلا ومتفاضلا .

ثم المماثلة تعتبر فى المكيل كيلا ، وفى الموزون وزنا لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق الا وزنا بوزن »[٢] وقوله صلى الله عليه وسلم : « ما وزن مثل بمثل اذا كان نوعا واحدا ، وما كيل فمثل ذلك فاذا اختلف النوعان فلا بأس »[٣] .

وينقسم الربا الى أربعة أقسام :

الأول : ربا الفضـل وهو بيع الربوى بجنسه مع زيادة فى أحد العوضين .

الثانى :ربا اليد وهو بيع الربويين ولو مختلفى الجنس مع تأخير القبض للعرضين أو لأحدهما عن الآخر .

الثالث : ربا النسيئة وهو بيع لأجل ولو لحظة .

الرابع : ربا القرض وهو كل قرض جر نفعا للمقرض . ومنه بيع الغاروقة المعروفة وهو أن يبيع شخص لآخر سلعة لمدة سنة مثلا ثم ينتفع بها المشترى فان جاء البائع بالثمن ردها اليه والا صارت ملكا للمشترى .

وقد ذكر العلماء فى علة تحريم الربا وجوها[٤] :

أحدها : أن الربا يقتضى أخذ مال الانسان من غير عوض لأن من يبيع الدرهم بدرهمين نقدا أو نسيئة يحصل له زيادة درهم من غير مقابل ، ومال الانسان له حرمة كحرمة الدم لقوله صلى الله عليه وسلم : « حرمة مال الانســان كحرمة دمه »[٥] فوجب أن يكون أخذ ماله من غير عوض محرما .

الثانى : أن الربا يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب وذلك يؤدى

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الدارقطنى .

(٤) ذكرها الامام الرازى فى تفسيره جـ ٧ ص ٤ طبعة عبد الرحمن محمد

(٥) اخرجه ابو نعيم فى « الحلية » .

الى انقطاع منافع الخلق ، ومن المعلوم أن مصالح العباد لا تنتظم الا بالكسب من التجارة والصناعة والزراعة ، والربا : يعطل ذلك كله •

- **الثالث** : أن الربا يؤدى الى انقطاع المعروف بين الناس فلا يقرض أحد أحدا الا بالربا ولا يواسى أحد أحدا الا بالربا ، وفى ذلك ما فيه من التدابر وانقطاع المواساة والمعروف والاحسان الى المحتاجين وأرباب الحاجات ، فيحملهم ذلك الى القرض بالربا •

الرابع : أن المقرض فى الغالب يكون غنيا والمستقرض يكون فقيرا ، وفى جواز الربا تمكين للغنى من الفقير فيستذله ويستضعفه ويصير أسير الحاجة ، وهذا غير جائز برحمة الرحيم •

الخامس : أن حرمة الربا قد ثبتت بالنص فوجب القطع بحرمته •

ومن الآثار السيئة فى تعاطى الربا أن الله تعالى يمحقه ولا يبقى عليه ولا يبارك فيه لقوله تعالى : « **يمحق الله الربا** »[1] ومن آثاره الطرد من رحمة الله تعالى ، ففى الحديث الشريف يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : « لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه »[2] • ومن آثاره كذلك : أن آكله يقوم يوم القيامة مجنونا كمن أصابه الشيطان بجنون •

ويقول صاحب كتاب « الحلال والحرام فى الاسلام » :

واذا كانت هناك ضرورة ملحة اقتضت معطى الفائدة أن يلجأ الى هذا الأمر ، فان الاثم فى هذه الحالة يكون على آخذ الربا (الفائدة) وحـــده •

ثم ذكر شرطا لهذا ، وهو[3] :

أن تكون هناك ضرورة حقيقية ، لا مجرد توسع فى الحاجيات أو الكماليات • فالضرورة ما لا يمكنه الاستغناء عنه الا اذا تعرض للهلاك كالقوت والملبس الواقى ، والعلاج الذى لابد منه •

وأن يكون هذا الترخيص بقدر ما يفى بالحاجة دون أن تزيد فمتى كان يكفيه تسعة جنيهات مثلا : لا يحل له أن يستقرض عشرة •

---

(١) البقرة : ٢٧٦

(٢) رواه احمد وابو داوود والترمذى وصححه النسائى وابن ماجه .

(٣) بتصرف قليل .

وعليه أن يستنفذ — قبل استقراضه — كل طريقة للخروج من مأزقه المادى ، وعلى اخوانه المسلمين أن يعينوه على ذلك فان لم يجد وسيلة الا هذا ، فأقدم عليه غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم .

وأن يفعل ذلك ان فعله وهو له كاره وعليه ساخط ، حتي يجعل الله له مخرجا .



فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، واعلم :

أنه يجوز للمسلم أن يشترى ويدفع ثمن الشراء نقدا كما يجوز له أن يؤخره الى أجل بالتراضى ، وقد اشترى النبى صلى الله عليه وسلم طعاما من يهودى لنفقة أهله الى أجل ورهنه درعا من حديد[١] .

فاذا زاد البائع فى الثمن من أجل التأجيل ، كما يفعله معظم التجار الذين يبيعون بالتقسيط : فمن الفقهاء من حرم هذا النوع من البيع مستندا الى أنه زيادة فى المال فى مقابل الزمن فأشبه الربا ، وأجازه جمهور العلماء : لأن الأصل الاباحة ، ولم يرد نص بتحريم ، وليس مشابها للربا من جميع الوجوه ، وللبائع أن يزيد فى الثمن لاعتبارات يراها ، ما لم تصل الى حد الاستغلال الفاحش والظلم البين والا صارت حراما . قال الشوكانى : « قالت الشافعية والحنفية ، وزيد بن على ، والمؤيد بالله والجمهور : يجوز لعموم الأدلة القاضية بجوازه ، وهو الظاهر »[٢] .

ويجوز للمسلم أن يدفع مقدارا معلوما من المال حالا ليتسلم فى مقابله صفقة بعد أجل معين ، وهو المعروف فى الفقه الاسلامى « بعقد السلم »[٣] .



وفى ختام هذا العرض الموضوعى الذى كان حول أهم الأحكام التى تتعلق بالطعام والشراب ، اليك كذلك هذه الآداب المحمدية التى وردت فى نفس الموضوع والتى جاء فيها :

---

(١) رواه البخارى .

(٢) « نيل الأوطار » جـ ٥ ص ١٥٣

(٣) راجع كل هذا باطناب فى « الحلال والحرام فى الاسلام » ص ٢٨١ طبعة دار الاعتصام .

عن عمرو بن أبى سلمة رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سم الله ، وكل بيمينك وكل مما يليك »(١) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى ، فان نسى أن يذكر اسم الله تعالى فى أوله ، فليقل : بسم الله أوله وآخره »(٢) .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا رفع مائدته قال : « الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفى ولا مستغنى عنه ربنا »(٣) .

وعن معاذ بن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أكل طعاما فقال : الحمد لله الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة ، غفر له ما تقدم من ذنبه »(٤) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البركة تنزل وسط الطعام ، فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه »(٥) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها »(٦) .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من طعامه قال : « الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين »(٧) .

وعن أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل وشرب قال : « الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجا »(٨) .

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه أبو داوود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٣) رواه البخارى .
(٤) رواه أبو داوود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٥) رواه أبو داوود والترمذى وقال : حديث حسن .
(٦) رواه مسلم .
(٧) رواه أبو داوود والترمذى .
(٨) رواه أبو داوود والنسائى باسناد صحيح .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أكل أحدكم طعاما ــ وفى رواية[١] من أطعمه الله طعاما ــ فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه ، ومن سقاه الله تعالى لبنا فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فانه ليس شىء يجزىء من الطعام والشراب غير اللبن »[٢] .

وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه أنه قال : نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى فقربنا اليه طعاما ووطبة[٣] فأكل منها ، ثم أتى بتمر فكان يأكله ويلقى النوى بين اصبعيه ويجمع السبابة والوسطى ، ثم أتى بشراب فشربه ، ثم ناوله الذى عن يمينه فقال أبى : ادع الله لنا . فقال : « اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم »[٤] .

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم جاء الى سعد بن عبادة رضى الله عنه فجاء بخبز وزيت فأكل ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة »[٥] .

وعن المقداد رضى الله عنه فى حديثه الطويل المشهور قال : فرفع النبى صلى الله عليه وسلم رأسه الى السماء فقال : « اللهم أطعم من أطعمنى ، واسق من سقانى »[٦] .

وعن عمرو بن الحمق رضى الله عنه أنه سقى رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنا ، فقال : « اللهم أمتعه بشبابه » فمرت عليه ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء[٧] .

وعن عمرو بن أخطب رضى الله ــ قال : استسقى[٨] رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته بماء فى جمجمة[٩] ، وفيها شعرة

---

(١) ابن السنى .

(٢) رواه أبو داوود والترمذى وابن السنى وقال الترمذى : حديث حسن .

(٣) وهى قربة لطيفة يكون فيها اللبن .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه أبو داوود وغيره باسناد صحيح .

(٦) رواه مسلم .

(٧) رواه ابن السنى .

(٨) اى طلب الماء .

(٩) قدح من خشب .

فأخرجتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم جمله »[١] ، قال الراوى : فرأيته ابن ثلاث وتسعين أسود الرأس واللحية .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أذيبوا طعامكم بذكر الله عز وجل والصلاة والسلام ، ولا تناموا عليه فتقسوا له قلوبكم »[٢] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول فى الطعام اذا قرب اليه : « اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار ، باسم الله »[٣] .

* * *

فلاحظ كل هذا ، واعلم :

أن الأفضل أن تقول عند تناول طعامك : بسم الله الرحمن الرحيم ، فان قلت : بسم الله ، كفاك وحصلت السنة ، وسواء فى هذا الجنب والحائض وغيرهما ، وينبغى أن يسمى كل واحد من الآكلين ، فلو سمى واحد منهم أجزأ عن الباقين[٤] ، وهو شبيه برد السلام وتشميت العاطس فانه يجزىء فيه قول أحد الجماعة .

وأنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الأكل باليد اليسرى ، وقد ورد فى هذا : عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه ، أن رجلا أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال : « كل بيمينك » قال : لا أستطيع ، قال : « لا استطعت » ما منعه الا الكبر ، فما رفعها الى فيه[٥] .

ونهى عن القران بين تمرتين ونحوهما[٦] ، وقد ورد فى هذا : عن جبلة بن سحيم قال : أصابنا عام سنة مع الزبير فرزقنا تمرا ، فكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يمر بنا ونحن نأكل فيقول : لا تقارنوا ، فان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن القران ، ثم يقول : الا أن يستأذن الرجل أخاه[٧] .

---

(١) « الأذكار » للنووى .　　(٢) رواه ابن السنى .

(٣) رواه ابن السنى .

(٤) نص على ذلك الشافعى رحمه الله .

(٥) رواه مسلم .

(٦) اذا أكل جماعة الا باذن رفقته .

(٧) متفق عليه .

وكان صلى الله عليه وسلم يكره أن يأكل متكئا ، وقد ورد فى هذا :
عن أبى جحيفة وهب بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا آكل متكئا »[١] ، قال الخطابى : المتكىء ههنا هو الجالس معتمدا على وطاء تحته ، وقال : وأراد أنه لا يقعد على الوطاء والوسائد كفعل من يريد الاكثار من الطعام ، بل يقعد مستوفزا مستوطنا ، ويأكل بلغة ، وأشار غيره الى أن المتكىء هو المـائل على جنبه .. والله أعلم .

وعن أنس رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا مقعيا يأكل تمرا[٢] .

والمقعى : هو الذى يلصق اليته بالأرض وينصب ساقيه .

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاثة أصابع ... وقد ورد فى هذا عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاثة أصابع فاذا فرغ لعقها[٣] .

وكان صلى الله عليه وسلم يحب تكثير الأيدى على الطعـام وقد ورد فى هذا عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طعام الاثنين كافى الثلاثة ، والثلاثة كافى الأربعة »[٤] .

وعن جابر رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « طعام الواحد يكفى الاثنين ، وطعام الاثنين يكفى الأربعة ، وطعام الأربعة يكفى الثمانية »[٥] .

وورد عن وحشى بن حرب رضى الله عنه ، أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله .. انا نأكل ولا نشبع ، قال : « فلعلكم تفترقون » قالوا : نعم ، قال : « فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه »[٦] .

وأما عن آداب الشرب فقد ورد منها :

عن أنس رضى الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتنفس فى الشراب ثلاثا »[٧] يعنى : يتنفس خارج الاناء .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه البخارى ومسلم .
(٥) رواه مسلم .
(٦) رواه أبو داوود .
(٧) رواه البخارى ومسلم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تشربوا واحدا كشرب البعير ، ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسموا اذا أنتم شربتم ، واحمدوا اذا أنتم رفعتم »[١] .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بلبن قد شيب بماء وعن يمينه أعرابى ، وعن يساره أبو بكر رضى الله عنه فشرب ، ثم أعطى الأعـرابى ، وقال : « الأيمن فالأيمن »[٢] وشيب ، أى : خلط .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ ، فقال للغلام : « أتأذن لى أن أعطى هؤلاء » ؟ فقال الغلام : لا والله لا أوثر بنصيبى منك أحدا ، فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده »[٣] .

وتله : أى وضعه ، وهذا الغلام هو ابن عباس رضى الله عنهما .

* * *

فلاحظ كل هذا ، واعلم :

أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى فى الشرب عن أمور منها ما ورد :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : نهى رسـول الله صلى الله عليه وسلم عن اختناث الأسقية . يعنى : أن تكسر أفواهها ويشرب منها[٤] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن يشرب من السقاء أو القربة[٥] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ فى الشراب ، فقال رجل : القذاة أراها فى الاناء ، فقال : « أهرقها » قال : فانى لا أروى من نفس واحد ، قال : « فأبن القدح اذن عن فيك »[٦] .

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن .
(٢) رواه البخارى ومسلم . (٣) رواه البخارى ومسلم .
(٤) رواه البخارى ومسلم . (٥) رواه البخارى ومسلم .
(٦) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن يتنفس فى الاناء أو ينفخ فيه(١) .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه نهى أن يشرب الرجل قائما ، قال قتادة : فقلنا لأنس : فالأكل ؟ قال : ذلك أشر وأخبث(٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يشربن أحد منكم قائما ، فمن نسى فليستقىء »(٣) .

* * *

واذا كان قد ورد :

عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : سقيت النبى صلى الله عليه وسلم من زمزم فشرب وهو قائم(٤) .

وعن النزال بن سبرة أنه قال : أتى على رضى الله عنه باب الرحبة فشرب قائما وقال : انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما رأيتمونى فعلت(٥) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نأكل ونشرب ونحن قيام(٦) . فهذا : دليل الجواز لا الأفضلية .

* * *

وقد ورد جواز الشرب من جميع الأوانى الطاهرة غير الذهب والفضة وجواز الكرع وهو الشرب بالفم من النهر وغيره بغير اناء ولا يد ، وتحريم استعمال اناء الذهب والفضة فى الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمال .

واليك أهم وأصح ما جاء فى هذا من أحاديث :

عن أنس رضى الله عنه قال : « حضرت الصلاة فقام من كان قريب الدار الى أهله وبقى قوم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخضب

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه البخارى ومسلم .
(٥) رواه البخارى .
(٦) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

من حجارة فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه فتوضأ القوم كلهم . قالوا : كم كنتم ؟ قال : ثمانين وزيادة »[١] .

وعن عبد الله بن زيد رضى الله عنه قال : أتانا النبى صلى الله عليه وسلم فأخرجنا له ماء فى تور من صفر فتوضأ[٢] . المراد بالصفر : أى النحاس ، والتور كالقدح .

وعن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الأنصار ومعه صاحب له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان كان عندك ماء بات هذه الليلة فى شنة والا كرعنا »[٣] الشن : أى القربة .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : ان النبى صلى الله عليه وسلم نهانا عن الحرير والديباج والشرب فى آنية الذهب والفضة ، وقال : « هى لهم فى الدنيا ، وهى لكم فى الآخرة »[٤] .

وعن أم سلمة رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الذى يشرب فى آنية الفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم » رواه البخارى ومسلم .

وفى رواية لمسلم : « ان الذى يأكل أو يشرب فى آنية الفضة والذهب ... » .

وفى رواية له : « من شرب فى اناء من ذهب أو فضة فانما يجرجر فى بطنه نارا من جهنم » .

* * *

وأما عن :

اللبـــــاس

الذى يشـــير اليه الرســـول صلى الله عليه وســـلم فى نص الوصية بقوله :

* (والبسوا ...) : فالكلام فيه تعتريه أحكام خمسة[٥] :

فرض : وهو ما يستر العورة ويدفع الحر والبرد ، وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى : **« يا بنى آدم خـــذوا زينتكم عند كل مسجد »**[٦]

---

(١) رواه البخارى ومسلم . (٢) رواه البخارى .
(٣) رواه البخارى . (٤) رواه البخارى ومسلم .
(٥) كما جاء فى الجزء السادس من « الدين الخالص » ص ١٧٢
(٦) الاعراف : ٣١

أي ما يستر عورتكم عند الصلاة ، ويقول : « **سرابيل تقيكم الحر** »[١] أي والبرد .

ويكون من قطن أو كتان أو صوف أو غيرهما مما يحل ، وقد لبس النبي صلى الله عليه وسلم الصوف وغيره ، فعن المغيرة بن شعبة أنه قال : « وضأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه جبة من صوف شامية ضيقة الكمين »[٢] .

وعن أبي بريدة أنه قال : دخلت على عائشة فأخرجت لنا كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت : « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين »[٣] .

ومستحب : وهو ما يحصل به أصل الزينة واظهار النعمة قال تعالى : « **وأما بنعمة ربك فحدث** »[٤] .

وعن أبي الأحوص عن أبيه قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعلي ثوب دون . فقال : « ألك مال » ؟ قلت : نعم . قال : « من أي المال » ؟ قلت : من كل المال قد أعطاني الله تعالى . قال : « فاذا آتاك الله تعالى مالا فلير أثر نعمة الله عليك وكرامته »[٥] .

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله يحب اذا أنعم الله على عبده نعمة أن يرى نعمته عليه »[٦] .

ومباح : وهو الثوب الجميل للتزين ولا سيما في الجمع والأعياد ومجامع الناس : وقد ورد في اباحة هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما على أحدكم ان وجد سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبي مهنته »[٧] .

ومكروه : وهو اللبس للتكبر والخيلاء ، وقد ورد في هذا[٨] :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) النحل : ٨١ (٢) اخرجه الترمذي .

(٣) أخرجه الخمسة الا النسائي .

(٤) الضحى : ١١ (٥) اخرجه النسائي .

(٦) اخرجه البيهقي .

(٧) أخرجه ابو داوود والبيهقي واخرجه ابو داوود عن يوسف ابن عبد الله بن سلام ، واخرجه ابن ماجه عن عائشة .

(٨) بالاضافة الى نص الوصية التي ندور حولها .

« كل ما شئت والبس ما شئت ، ما أخطأتك اثنتان : سرف أو مخيلة »[١]

وحرام على الرجال والخناثى المكلفين المختارين : وهو الحرير ، فيحرم على الرجل والخنثى لا المرأة لبسه ولو بحائل بينه وبين بدنه ، وما قيل من أنه لا يحرم الا اذا مس الجلد ، فغير صحيح لا يجوز العمل ولا الفتوى به ، لأنه مخالف لعموم الأدلة ، وهى :

حديث : ابن الزبير رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة »[٢] .

وحديث : أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريرا ولا ذهبا »[٣]

وحديث : عمر رضى الله عنه الذى يقول فيه : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تلبسوا الحرير فانه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة »[٤] .

وحديث : البراء بن عازب رضى الله عنه الذى يقول فيه : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم : عن الديباج[٥] والحرير والاستبرق[٦]

وحديث : جويرية[٧] بنت الحارث رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من لبس الحرير فى الدنيا ألبسه الله يوم القيامة ثوبا من نار »[٨] .

وحديث : على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم : أخذ حريرا فجعله فى يمينه ، وذهبا فى شماله ثم رفع بهما يديه فقال : « ان هذين حرام على ذكور أمتى »[٩] .

وحديث : زيد بن أرقم وواثلة بن الأسقع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الذهب والحرير حل لاناث أمتى وحرام على ذكورها »[١٠] .



---

(١) اخرجه البخارى .

(٢) اخرجه الشيخان واخرجه احمد والنسائى عن انس .

(٣) اخرجه احمد والحاكم . (٤) اخرجه احمد والشيخان .

(٥ ، ٦) الديباج : ما سداه ولحمته من حرير ، والاستبرق : ما غلظ منه .

(٧) اخرجه ابن ماجه .

(٨) اخرجه احمد . (٩) اخرجه احمد .

(١٠) اخرجه الطبرانى فى الكبير ، وابو داوود والنسائى وابن حبان وابن ماجه .

ففى هذه الأحاديث : دلالة على حل لبس الحرير للنســاء ، وتحريمه على الرجال ، وهو متفق عليه ان كان الحــرير خالصا • وكذا اذا كان غالبا ظاهرا عند جمهور السلف والخلف ، فان الأدلة لم تفرق بين الخالص والمخلوط ، ولأن الأقل كالعدم •

وقال ابن عباس وجماعة : انما يحرم الحرير الصافى الذى لا يخالطه غيره ، فعن خصيف بن عبد الرحمن عن عكرمة عن ابن عباس قال : انما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الثوب المصمت[1] من الحرير ، وأما العــلم من الحــرير وسدى الثوب[2] فلا بأس به[3] • وعن ابن جريج عن عكرمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : انما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن المصمت اذا كان حــريرا[4] • وعن عبد الله بن سعد عن أبيه قال : رأيت رجلا ببخارى على بغلة بيضاء ، وعليه عمامة خز سوداء ، فقال : كسانيها رسول الله صلى الله عليه وســلم[5] •

قال ابن الأثير فى « النهاية » :

الخز ثياب تنسج من صوف وابزيسيم ، وهى مباحة وقد لبسها الصحابة والتابعون ، فيكون النهى عنها لأجل التشبه بالعجم وزى المــترفين •

وقال المنذرى : الخز أصله من وبر الأرنب ، ويسمي ذكوه الخزر كصرد ، وقيل : ان الخز ضرب من ثياب الابريسيم •

وقال القاضى عياض : الخز ما خلط من الحرير والوبر •

وأجاب الجمهور : عن حديث ابن عباس بأنه يحتمل أن يراد بالمصمت فيه ، الخالص أو ما غالبه حرير ، بدليل قوله : وأما العلم وسدى الثوب فلا بأس به • وعن حديث عبد الله بن سعد عن أبيه ، بأن قول الرجل فى عمامة الخز : كسانيها رسول الله صلى الله عليه

---

(١) المصمت : الخالص •

(٢) السدى : ما يمد طولا فى النسج ، واللحمة : ما ينسج عرضا .

(٣) أخرجه احمد وابو داوود والبيهقى بسند صحيح كما قال النووى ، ولكن خصيف ضعفه احمــد وقال : ليس بحجة ولا قوى اه . ووثقه ابن معين وابو زرعة •

(٤) اخرجه الطبرانى بسند حسن والحاكم بسند صحيح .

(٥) اخرجه ابو داوود والترمذى والبخارى فى « التاريخ الكبير » .

وسلم « لا يستلزم » جواز لبسـ ..ها ، لجواز أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم سلمها له ليجعلها خمارا لبعض نسائه كما وقع نظيره لعمر وعلى وأسامة بن زيد رضى الله عنهم ، ويحتمل أن تكون تلك العمامة متخذة من حرير وغيره وليس الحرير غالبا ، أو متخذة من وبر الأرنب كما قيل فى الخز •

ومن هذا : تعلم حرمة لبس القطانى والأحزمة المتخذة من الحرير الخالص أو الغالب •

قال النووى فى شرح مسلم : وأما لبس الحـــرير والاستبرق والديباج والقسى وهو نوع من الحرير ، فكله حرام على الرجال سواء لبسه للخيلاء أو غيرها الا أن يلبسه للحكة[1] فيجوز فى السفر والحضر وأما النساء فيباح لهن لبس الحرير بجميع أنواعه ، وخواتم الذهب وســائر الحلى منه ومن الفضة ، سواء المزوجة وغيرها والشـــابة والعجوز والغنية والفقيرة ، هذا مذهبنا ومذهب الجماهير •• اه •

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام مع ضرورة ملاحظة هذه الأحكام المتعلقة بهذا الموضوع ، وهى :

أنه كما يحرم على الرجال لبس الحرير ، يحرم عليهم استعماله بغيره من أنواع الاستعمال ، فيحرم جعله وسادة أو لحافا أو تكة للسراويل أو ســـترا أو ملاءة : لحديث حذيفة رضى الله عنه الذى يقول فيه : نهانا النبى صلى الله عليه وســـلم أن نشرب فى آنية الذهب وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج ، وأن نجلس عليـــه[2] •

وبهذا قالت المـــالكية والشافعية ، وأبو يوسف ومحمد ، وهو مشـــهور مذهب الحنابلة ، وروى عن عمـــر وأبى عبيدة وســـعد ابن أبى وقاص •

وأنه ان كان الحرير مساويا لغيره أو أقل كالخز ، سداه حرير ولحمته من غيره ، فعند الحنفيين يحل استعماله للرجال ولو كانت اللحمة أقل من السدى على الصحيح ، وقيل : لا يحل الا اذا غلبت اللحمة ، وهو الصحيح عند الشافعية والحنابلة •

---

(١) أى الجرب •

(٢) اخرجه البخارى •

وأنه يحل للرجال اليسير من الحرير ، بأن كان قدر أربع أصابع مضمومة فأقل كعلم[١] الثوب والطراز والقيطان والسجاف لاصلاح الثوب ، سواء أكان مركبا عليها أو منسوجا فيها أو مصنوعا بالابرة . لقول سويد بن غفلة : خطب عمر رضى الله عنه بالجابية[٢] فقال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير الا موضع اصبع أو اصبعين أو ثلاث أو أربع[٣] .

وأنه يجوز لبس الحرير لحاجة كحكة ، أو مرض ، ينفعه لبس الحرير لقول أنس رضى الله عنه : رخص النبى صلى الله عليه وسلم للزبير ، وعبد الرحمن بن عوف فى لبس الحرير لحكة بهما[٤] .

وأنه يجوز للنساء لبس الثياب المصبوغة بعصفر أو زعفران دون الرجال : لقول على رضى الله عنه : نهانى رسول الله صلى الله عليه وسلم من التختم بالذهب وعن لباس القسى ، وعن القراءة فى الركوع والسجود وعن لباس المعصفرة[٥] »[٦] .

وأنه يجوز للنساء لبس الثوب الأحمر الخالص دون الرجال ، لقول عبد الله بن عمرو : مر على النبى صلى الله عليه وسلم رجل عليه ثوبان أحمران فسلم عليه فلم يرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم[٧] . وقول البراء بن عازب : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المياثر الحمر والقسى[٨] .

أما الثوب المشرب بالأحمر وغيره كبياض وسواد وغيرهما فانه جائز للرجال والنساء وعليه يحمل حديث البراء بن عازب الذى يقول فيه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعا بعيد ما بين المنكبين[٩]

---

(١) علم الثوب : رقمه وهو الطراز كما فى القاموس .
(٢) قرية بدمشق .
(٣) اخرجه السبعة الا البخارى ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .
(٤) اخرجه احمد والشيخان .
(٥) المصبوغ بالعصفر : وهو نبت اصفر تصبغ به الثياب .
(٦) اخرجه احمد ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى .
(٧) اخرجه مالك والبزار وابو داوود والترمذى وحسنه .
(٨) اخرجه البخارى والترمذى .
(٩) اى وسطا ليس بالطويل البائن ولا القصير ، والمراد بكونه بعيد ما بين المنكبين اى عريض اعلى الظهر .

له شعر يبلغ شحمة أذنيه ، رأيته فى حلة حمراء لم أر شيئا قط أحسن منه صلى الله عليه وسلم[١] .

وأنه يستحب لبس الأبيض وتكفين الموتى فيه ، لحديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « البسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم »[٢] ، وحديث سمرة بن جندب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « البسوا ثياب البياض فانهـا أطيب وأطهر[٣] وكفنوا فيهـا موتاكم »[٤] وحديث أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان أحسن ما زرتم الله به فى قبوركم ومساجدكم البياض »[٥] .

والأمر فى هذه الأحاديث محمول على الندب . أما فى اللباس : فلما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم : أنه لبس غير الأبيض وأقر كثيرا من الصحابة على ذلك كما تقدم . وأما فى الكفن : فلقول جابر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا توفى أحدكم فوجد شيئا[٦] فليكفن فى ثوب حبرة[٧] »[٨] .

ويجوز لبس الأصفر غير المعصفر والمزعفر : لمـا فى حديث عبيد ابن جريج أنه قال لابن عمر رضى الله عنهما : رأيتك تصبغ بالصفرة ، فقال : انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ بها ، فأنا أحب أن أصبغ بها[٩] .

ويجوز لبس الأخضر : لحديث يعلى بن أمية أن رسـول الله

---

(١) اخرجه السبعة وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٢) اخرجه احمـد وابو داوود وابن ماجه والترمذى وابن حبان وصححاه ، وصححه ابن القطان واخرجه الحاكم والدارقطنى بلفظ آخر .

(٣) لأن اى نجاسة تظهر فيها فيبادر لابسها الى تطهيرها وتنظيفها .

(٤) اخرجه أحمد والنسائى وابن ماجه والترمذى وصححه والحاكم وقيل : صحيح على شرط الشيخين .

(٥) أخرجه النسائى وابن ماجه .

(٦) أى وجد أهله شيئا قليلا فى حال الضرورة .

(٧) نوع مخطط من البرود اليمانية .

(٨) اخرجه ابو داوود والبيهقى .

(٩) اخرجه البخارى مختصرا .

صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت مضطبعا[١] ببرد أخضر[٢] .

ويجوز لبس الأسود : لقول عائشة رضى الله عنها : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود[٣] .

ويجوز لبس الأسود مخطط بما لا يلهى ، لقول أنس رضى الله عنه : كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحبرة[٤] .

ويستحب لبس السراويل للرجال والنساء ، لقول القاسمى : سمعت أبا أمامة يقول : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مشيخة من الأنصار ، بيض لحاهم فقال : « يا معشر الأنصار .. حمروا وصفروا[٥] وخالفوا أهل الكتاب » فقلنا : يا رسول الله .. ان أهل الكتاب يتسرولون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسرولوا وائتزروا خالفوا أهل الكتاب .. »[٦] .

ويستحب لبس القميص[٧] ، لقول أم سلمة رضى الله عنها : كان أحب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم القميص[٨] .



وأما عن :

العمامة[٩]

فقد ورد فى فضلها عن عبد الرحمن بن عدى البهرانى عن أخيه عبد الأعلى بن عدى أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا عليا يوم غدير خم[١٠] فعممه وأرخى عذبة العمامة من خلفه وقال : « هكذا

---

(١) الاضطباع : جعل وسط الرداء تحت الابط الأيمن وطرفه على الكتف الأيسر .

(٢) اخرجه احمد والدارمى الا النسائى وقال الترمذى : حديث حسن صحيح .

(٣) أخرجه مسلم والترمذى وقال : حديث حسن صحيح غريب .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) اى غيروا الشيب بالحمرة والصفرة .

(٦) اخرجه أحمد والطبرانى بسند رجاله رجال الصحيح .

(٧) هو ما يلبس تحت الثياب .

(٨) أخرجه الحاكم والثلاثة وقال الترمذى : حسن غريب .

(٩) العمامة : بكسر العين ما يلف على الراس .

(١٠) اسم موضع .

اعتموا فان العمائم سيما الاسـلام ، وهى حاجزة بين المسـلمين والمشركين »[١] .

قال العلامة ابن حجر الهيثمى فى « در العمامة » : واستفيد من هذا الخبر تأكيد سنية العمامة .. اهـ[٢] .

وقد ورد عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يلبس القلانس تحت العمائم ، ويلبس العمائم بغير القلانس (الحديث)[٣] . ولم يرو أنه صلى الله عليه وسلم لبس القلنسوة بغير العمائم .

وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم : لبس العمامة البيضاء ، والسوداء ، والصفراء ، والمخططة . وأفضلها البيضاء : لعموم الأخبار الدالة على هذا :

قال المناوى فى شرح الشمائل : والأفضل فى لبسها البياض (وصحة لبس) المصطفى صلى الله عليه وسلم السواد ، ونزول الملائكة يوم بدر بعمائم صفراء (لا يعارضه) لأنه لمقاصد ومصالح اقتضاها خصوص ذلك المقام كما بينه بعض العلماء . فلا ينافى عموم الخبر الصحيح الأمر بلبس البياض وأنه خير الألوان فى الحياة والممات .. اهـ .

وقال فى « در العمامة » : الأفضل فى لون العمائم : البياض (وصحة) لبسه صلى الله عليه وسلم العمامة السوداء ونزول الملائكة يوم بدر بعمائم صفر (الظاهر) أنه لحكمة تختص بذلك اليوم ، وهى اظهار أمارات السرور للمسلمين بأنهم سينتصرون على عدوهم .. الخ .

ولم يثبت فى قدر عمامة النبى صلى الله عليه وسلم حديث يصح الاعتماد عليه ، فالمعول عليه فى حق كل واحد عادة أمثاله ...

قال الشهاب الخفاجى فى شرحه على الشفاء : وكانت عمامته صلى الله عليه وسلم قصيرة صغيرة .. اهـ . والمراد أنها كانت مائلة الى القصر والصغر ، فلا ينافى أنها كانت متوسطة .

وفى هذا يقول القسطلانى فى « المواهب اللدنية » : لم تكن عمامته

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى « معرفة الصحابة » والديلمى ، وكذا احمد وزاد : وقال : « ان الله أمدنى يوم بدر وحنين بملائكة يعتمون ، هذه العمامة حاجزة بين الكفر والايمان » .

(٢) والأحاديث فى هذا كثيرة وان كان فيها مقال فهى لكثرتها يقوى بعضها بعضا .

(٣) أخرجه ابن عساكر .

صلى الله عليه وسلم بالكبيرة التى تؤذى حاملها ، ولا بالصغيرة التى تقصر عن وقاية الرأس من الحر والبرد ، بل وسطا بين ذلك .. اه . ونحوه فى « زاد المعاد » .

وقد ورد فى حكم العذبة ، وهى لغة : طرف الشىء ، وشرعا : طرف العمامة المرسلة على العنق فأسفل الى نحو ذراع ، وأقلها أربعة أصابع وأوسطها شبر — .

فقد ورد فى حديث نافع عن ابن عمر قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه . قال نافع : وكان ابن عمر يسدل عمامته بين كتفيه . قال عبد الله : ورأيت القاسم وسالما يفعلان ذلك[1] .

وورد كذلك عن على رضى الله عنه أنه قال : عممنى النبى صلى الله عليه وسلم بعمامة سدل طرفها على منكبى وقال : « ان الله أمدنى يوم بدر وحنين بملائكة معتمين هذه العمامة . وقال : ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين »[2] .

والحاصل كما يقول شيخنا الأكبر[3] : أن ارسال العذبة سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتة بقوله وفعله وأمره وتقريره صلى الله عليه وسلم ، وقد وصف صلى الله عليه وسلم ارخاء العذبة بأنه أعرب وأحسن .

ولذا : اتفق السلف والخلف على أن العمامة والعذبة من السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنهم اختلفوا فى أن العذبة سنة مؤكدة أو مستحبة[4] .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، مع ملاحظة هذه الشروط التى يجب أن تلاحظ بالنسبة لزى المرأة ، وهى :

استيعاب جميع البدن الا ما استثنى : وهذا هو ما تشير اليه الآية الكريمة التى يقول الله تبارك وتعالى فيها :

---

(١) أخرجه الترمذى وقال : حسن غريب .

(٢) أخرجه ابن ابى شيبة وابو داوود الطيالسى .

(٣) فى « الدين الخالص » جـ ٦

(٤) راجع كل هذا بالاضافة الى نصوص الفقهاء فى الجزء السادس من « الدين الخالص » .

« وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها »[١] •

ففى الآية دليل على وجوب ستر الزينة كلها وعدم اظهار شىء منها أمام الأجانب الا ما ظهر بغير قصد منهن ، فلا يؤاخذن عليه اذا بادرن الى ستره •

وقد قال الحافظ ابن كثير فى تفسير هذا الجزء من الآية وهو : **« الا ما ظهر منها »** : أى لا يظهر شيئا من الزينة للأجانب الا ما لا يمكن اخفاؤه ، قال ابن مسعود : كالرداء والثياب ، يعنى على ما كان يتعاطاه نساء العرب من المقنعة التى تجلل ثيابها ، وما يبدو من أسافل الثياب فلا حرج عليها فيه لأن هذا لا يمكن اخفاؤه •

وقد اختلفت أقوال السلف فى تفسيرها : فمن قائل : انها الثياب الظاهرة ، ومن قائل : انها الكحل والخاتم والسوار والوجه وغيرها من الأقوال التى رواها ابن جرير فى تفسيره (١٨ : ٨٤) عن بعض الصحابة والتابعين ، ثم اختار هو : أن المراد بهذا الاستثناء : الوجه والكفان •

قال القرطبى : « قلت، هذا قول حسن ، الا أنه لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة وذلك فى الصلاة والحج ، فيصلح أن يكون الاستثناء راجعا اليهما ، يدل على ما رواه أبو داوود عن عائشة رضى الله عنها : أن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لها : « يا أسماء •• ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا ، وأشار الى وجهه وكفيه » ، فهذا أقوى فى جانب الاحتياط ولمراعاة فساد الناس ، فلا تبدى المرأة من زينتها الا ما ظهر من وجهها وكفيها •• والله الموفق لا رب سواه » •

أن لا يكون زينة فى نفسه :

والى هذا يشير قول الله تعالى فى آية سورة النور : **« ولا يبدين زينتهن »** •

---

(١) النور : ٣١

وسورة الأحزاب : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى »[١] .

(والتبرج) : أن تبدى المرأة من زينتها ومحاسنها ما يجب عليها ستره مما يستدعى به شهوة الرجل[٢] .

واذا كان المقصود من الأمر بالجلباب انما هو ستر زينة المرأة ، فانه لا يعقل حينئذ أن يكون الجلباب نفسه زينة .

ولذلك قال الامام الذهبى فى كتاب « الكبائر » ص ١٣١ : « ومن الأفعال التى تلعن عليها المرأة اظهـار الزينة والذهب واللؤلؤ تحت النقاب ، وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب اذا خرجت ، ولبسها الصباغات والازر الحريرية والأقبية القصار ، مع تطويل الثياب وتوسعة الأكمام وتطويلها ، وكل ذلك من التبرج الذى يمقت الله عليه ويمقت فاعله فى الدنيا والآخرة ، ولهذه الأفعال التى قد غلبت على أكثر النساء قال عنهن النبى صلى الله عليه وسلم : « اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء » .

أن يكون صفيقا[٣] لا يشف :

لأنه اذا كان يشف لا يقوم بواجب الستر ، وانما قد يزيد المرأة فتنة وزينة ، وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم : « سيكون فى آخر أمتى نساء كاسيات عاريات ، على رؤوسهن كأسنمة البخت ، العنوهن فانهن ملعونات » وزاد فى حديث آخر : « لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

قال ابن عبد البر : أراد صلى الله عليه وسلم النساء اللواتى يلبسن من الثياب الشىء الخفيف الذى يصف ولا يستر ، فهن كاسيات بالاسم عاريات فى الحقيقة[٤] .

ولهذا قال العلماء : « ويجب ستر العورة بما لا يصف لون البشرة

---

(١) الأحزاب : ٣٣

(٢) كذا فى « فتح البيان » ٧ : ٢٧٤

(٣) قال فى « لسان العرب » : وثوب صفيق متين بين الصفاقة ، وثوب صفيق : جيد النسج . وفى « القاموس » : وثوب صفيق ضد السخيف ، السخيف : هو القليل الغزل .

(٤) نقله السيوطى فى « تنوير الحوالك » ٣ : ١٠٣

من ثوب صفيق أو جلد أو ورق ، فان ستر بما يظهر فيه لون البشرة من ثوب رقيق لم يجز لأن الستر لا يحصل بذلك »(١) .

وقد عقد ابن حجر الهيثمى فى « الزواجر » ١ : ١٢٧ بابا خاصا فى لبس المرأة ثوبا رقيقا يصف بشرتها وأنه من الكبائر ، ساق فيه الحديث المتقدم ثم قال : « وذكر هذا من الكبائر ظاهر لما فيه من الوعيد الشديد . ولم أر من صرح بذلك الا أنه معلوم بالأولى مما مر فى تشبههن بالرجال » .

أن يكون فضفاضا غير ضيق يصف شيئا من جسمها :

لأنه وان ستر لون البشرة فانه يصف حجم جسمها أو بعضه ويصوره فى أعين الرجال ، وفى ذلك من الفساد والدعوة اليه مما لا يخفى فوجب أن يكون واسعا ، وقد روى فى هذا عن أسامة بن زيد رضى الله عنه أنه قال : كسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية كثيفة مما أهداها له دحية الكلبى ، فكسوتها امرأتى ، فقال : « مالك لم تلبس القبطية » ؟ قلت : كسوتها امرأتى ، فقال : « مرها فلتجعل تحتها غلالة ، فانى أخاف أن تصف حجم عظامها »(٢) .

فقد أمر صلى الله عليه وسلم بأن تجعل المرأة تحت القبطية غلالة وهى — شعار يلبس تحت الثوب — ليمنع بها وصف بدنها ، والأمر يفيد الوجوب كما تقرر فى الأصول ، ولذلك قال الشوكانى فى شرح هذا الحديث ما نصه : « والحديث يدل على أنه يجب على المرأة أن تستر بدنها بثوب لا يصفه ، وهذا شرط ساتر العورة ، وانما أمر بالثوب تحته لأن القباطى ثياب رقاق لا تستر البشرة عن رؤية الناظر بل تصفها » .

أن لا يكون مبخرا مطيبا :

وقد ورد فى هذا عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة استعطرت فمرت

---

(١) ذكره فى « المهذب » ٣ : ١٧٠ بشرح « المجموع » .

(٢) اخرجه الضياء المقدسى فى « الاحاديث المختارة » واحمد والبيهقى بسند جيد .

على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية »[١] . وعن زينب الثقفية أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا خرجت احداكن الى المسجد فلا تقربن طيبا »[٢] . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة »[٣] .

فاذا كان هذا قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما لمن تريد الخروج الى المسجد ، فما بالك بمن تريد الخروج الى السوق والأماكن العامة ، لا شك أن هذا يعتبر أشد حرمة وأكبر اثما .

وقد ذكر الهيثمى فى « الزواجر » ٢ : ٣٧ : أن خروج المرأة من بيتها متعطرة متزينة من الكبائر ولو أذن لها زوجها .

أن لا يشبه لباس الرجل :

وقد ورد فى هذا : عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجل »[٤] .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ، ولا من تشبه بالنساء من الرجال »[٥] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لعن النبى صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ، وقال : أخرجوهم من بيوتكم . قال : فأخرج النبى صلى الله عليه وسلم فلانا ، وأخرج عمر فلانا »[٦] . وفى لفظ : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال »

---

(١) اخرجه النسائى وابو داوود والترمذى والحاكم واحمد وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما كما فى « الترغيب » وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٢ ، ٣) اخرجهما مسلم وابو عوانة فى صحيحيهما ، واصحابه السنن وغيرهم .

(٤) اخرجه ابو داوود ، وابن ماجه ، والحاكم ، واحمد .

(٥) اخرجه احمد .

(٦) اخرجه البخارى وابو داوود والدارمى واحمد والترمذى .

وقد أورد الذهبى تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء فى « الكبائر »[1] وأورد بعض الأحاديث المتقدمة ثم قال : فاذا لبست المرأة زى الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة فقد شابهت الرجال فى لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ، ولزوجها اذا أمكنها من ذلك أو رضى به ولم ينهها ، لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية لقول الله تعالى : « **قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة** »[2] ولقول النبى صلى الله عليه وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الرجل راع فى أهله ومسئول عنهم يوم القيامة » .

وتبعه فى ذلك الهيثمى فى « الزواجر » ثم قال : « عد هذا من الكبائر واضح لما عرفت من هذه الأحاديث الصحيحة وما فيها من الوعيد الشديد ، والذى رأيته لأئمتنا أن ذلك التشبه فيه قولان أحدهما : أنه حرام ، وصححه النووى بل صوبه ، وثانيهما : أنه مكروه ، وصححه الرافعى فى موضع ، والصحيح بل الصواب ما قاله النووى من الحرمة ، بل ما قدمته من أن ذلك كبيرة ، ثم رأيت بعض المتكلمين على الكبائر عده منها وهو ظاهر » .

أن لا يشبه لباس الكافرات :

لما تقرر فى الشرع أنه لا يجوز للمسلمين رجالا ونساء التشبه بالكفار سواء فى عبادتهم أو أعيادهم أو أزيائهم الخاصة بهم .

واذا كان الذى يعنينا هو موضوع التشبه بهم فى اللباس ، فقد ورد فيه : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثوبين معصفرين فقال : « ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها »[3] .

وعن على — رضى الله عنه — رفعه : « اياكم ولبوس الرهبان ، فانه من تزيا بزيهم أو تشبه فليس منى »[4] .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم ، فقال : يا معشر

---

(١) صفحة ١٢٩ (٢) التحريم : ٦

(٣) اخرجه مسلم والنسائى والحاكم وأحمد وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين .

(٤) اخرجه الطبرانى فى « الأوسط » بسند لا بأس به .

الأنصار .. حمروا أو صفروا ، خالفوا أهل الكتاب . قال فقلنا : يا رسول الله .. ان أهل الكتاب يتسرولون ولا يأتزرون ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تسرولوا وائتزروا وخالفوا أهل الكتاب . قال : فقلنا : يا رسول الله .. ان أهل الكتاب يتخففون ولا ينتعلون ؟ قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : فتخففوا وانتعلوا وخالفوا أهل الكتاب . قال : فقلنا : يا رسول الله .. ان أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم ؟ قال : فقال صلى الله عليه وسلم : قصوا سبالكم ، ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب »[١] .

أن لا يكون لباس شهرة :

وقد ورد فى هذا : أن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ، ثم ألهب فيه نارا »[٢] .

قال الشوكانى : « والحديث يدل على تحريم لبس ثوب الشهرة ، وليس هذا الحديث مختصا بنفس الثياب ، بل قد يحصل ذلك لمن يلبس ثوبا يخالف ملبوس الناس من الفقراء ليراه الناس فيتجمعوا من لباسه ويعتقدوه . قاله ابن رسلان . واذا كان اللبس لقصد الاشتهار فى الناس فلا فرق بين رفيع الثياب ووضيعها ، والموافق لملبوس الناس والمخالف ، لأن التحريم يدور مع الاشتهار ، والمعتبر القصد وان لم يطابق الواقع » .



* * *

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام ، مع ملاحظة هذا الحديث الذى روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة أو قميصا أو رداء يقول : « اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه ، أسألك خيره ، وخير ما وضع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له »[٣] .

---

(١) اخرجه احمد .
(٢) اخرجه ابو داوود وابن ماجه واحمد .
(٣) رواه ابو داوود والترمذى وقال : حديث حسن .

وهذا الحديث الذى روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا لبستم واذا توضأتم فابدأوا بأيامنكم »[١] .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه التيمن فى شأنه كله : طهوره وترجله وتنعله »[٢] .

* * *

واذا رأيت من يلبس ثوبا جديدا وأردت أن تدعو له فحسبك ما ورد فى هذه الأحاديث :

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى على عمر ثوبا فقال : « البس جديدا ، وعش حميدا ، ومت شهيدا ، ويرزقك الله قرة عين فى الدنيا والآخرة »[٣] .

وعن أم خالد بنت سعيد بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بكسوة فيها خميصة[٤] صغيرة فقال : « من ترون أحق بهذه » ؟ فسكت القوم فقال : « ايتونى أم خالد » فأتى بها فألبسها اياها ، ثم قال : « أبلى وأخلقى — مرتين »[٥] .

وقال أبو نضرة المنذر بن مالك : « وكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له : تبلى ويخلف الله تعالى »[٦] .

* * *

وأما عن :

التحلى بالذهب والفضة

فالثابت أنه يحل التحلى بهما للنساء ، أما الرجال فانه لا يحل لهم غير التختم بالفضة وقد ورد فى هذا :

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داوود والترمذى باسناد صحيح .
(٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) أخرجه احمد والطبرانى والنسائى وابن ماجه وابن حبان وصححه
(٤) الخميصة : كساء أسود معلم الطرفين من خز أو صوف .
(٥) أخرجه احمد وابو داوود وكذا البخارى واخرجه الطبرانى والبغوى والحاكم عن خالد بن سعيد بن العاص .
(٦) اخرجه ابو داوود والبيهقى .

عن على رضى الله عنه أنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريرا فجعله فى يمينه وذهبا فجعله فى شماله ثم قال : « ان هذين حرام على ذكور أمتى »[١] .

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتى ، وأحل لاناثهم »[٢] .

وعن حذيفة رضى الله عنه أنه قال : نهانا النبى صلى الله عليه وسلم أن نشرب فى آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه[٣] .

وعن عمران بن حصين وأبى هريرة رضى الله عنهما أنهما قالا : نهانا النبى صلى الله عليه وسلم عن خاتم الذهب[٤] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب وجعل فصه مما يلى باطن كفه ، ونقش فيه : محمد رسول الله ، فاتخذ الناس مثله ، فلما رآهم اتخذوه رمى به وقال : « لا ألبسه أبدا »[٥] ثم اتخذ خاتما من فضة فاتخذ الناس خواتيم الفضة . قال ابن عمر : فلبس الخاتم بعد النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، حتى وقع من عثمان فى بئر أريس[٦] »[٧] .

وعن على كرم الله وجهه أنه قال : « نهانى النبى صلى الله عليه وسلم عن التختم بالذهب ، وعن لباس القسى[٨] ، وعن القراءة فى الركوع والسجود ، وعن لباس المعصفر »[٩] .

---

(١) رواه ابو داوود باسناد حسن .

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٣) رواه البخارى .

(٤) اخرجه الطحاوى وكذا الشيخان من حديث ابى هريرة والترمذى وحسنه عن عمران بن حصين .

(٥) قال ذلك لما رأى تكبرهم بلبسه أو لكونه من ذهب ، وكان وقتئذ حرم على الرجال .

(٦) اريس كعظيم : حديقة بقرب مسجد قباء .

(٧) اخرجه البخارى ومسلم وابو داوود والترمذى والنسائى .

(٨) وهو نوع من الثياب مخطط من ثياب الشهرة .

(٩) اخرجه احمد ومسلم والنسائى والترمذى وقال : حسن صحيح .

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، مع ملاحظة أن ما نراه عند المترفين من قلم الذهب ، ساعة الذهب ، قداحة (ولاعة) الذهب ، علبة الذهب للسجائر ، والفم الذهب .. الخ . حكمه كحكم الخاتم الذهب .

وأما المعادن الأخرى كالحديد وغيره فلم يرد نص صحيح يحرمها ، بل ورد فى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للرجل الذى أراد أن يتزوج المرأة الواهبة نفسها : « التمس ولو خاتما من حديد » وبه أستدل البخارى على خاتم الحديد .

* * *

وأما عن :

التصـــدق

الذى يوصينا به المصطفى صلى الله عليه وسلم فى نص الوصية بعد قوله : « كلوا واشربوا والبسوا » بقوله :

* (... وتصدقوا ...) :

فالمراد به كما هو واضح من سياق الوصية أن (نترجم) شكرنا لله سبحانه وتعالى على ما أنعم علينا من مأكل ومشرب وملبس : بالعطف والاحسان على الفقراء والمحتاجين الذين لولا فضل الله علينا لكنا أفقر منهم ، ولكن شاء الله سبحانه وتعالى وهو ذو الفضل العظيم أن يفضلنا عليهم فى الرزق ، كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تبارك وتعالى فيها : **« والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق »**[1] .

واذا كنت أقول (نترجم) فاننى أعنى بهذا أن يكون شكرنا لله سبحانه وتعالى عمليا ، لا مجرد كلام معسول ، أو تقبيل للأيادى .

وحسبك حتى تعرف فضل التصدق الذى وقفت على أهميته : أن تقرأ معى هذه الأحاديث الشريفة التى ستعرف من خلالها فضل هذا التصدق ومسالكه ودروبه التى ستوصلنا حتما ان سلكناها الى جنة الله تعالى الذى يقول : **« وما تنفقوا من خير فان الله به عليم »**[2] ، وحتى لا أطيل عليك فاليك :

عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل معروف صدقة »[3] .

---

(١) النحل : ٧١ (٢) البقرة : ٢٧٣

(٣) رواه البخارى ومسلم .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يغرس غرسا الا كان ما أكل منه له صدقة ، وما سرق منه له صدقة ، ولا يرزؤه[١] أحد الا كان له صدقة »[٢] .

وعن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « اتقوا النار ولو بشق تمرة »[٣] .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم ، وينظر أشأم منه فلا يرى الا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة »[٤] .

وعن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « على كل مسلم صدقة » قال : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : « يعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق » قال: أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » ، قال : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : « يأمر بالمعروف ــ أو الخير » ، قال : أرأيت ان لم يفعل ؟ قال : « يمسك عن الشر فانها صدقة »[٥] .

* * *

واذا كان الله سبحانه وتعالى يقول : **« وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ، وما تنفقوا الا ابتغاء وجه الله ، وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون »**[٦] .

ويقول : **« وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه »**[٧] .

فحسبك حتى يتضح لك هذا الذى أشار الله سبحانه وتعالى اليه مؤكدا اياه فى هاتين الآيتين أن تقرأ كذلك معى هذه الأحاديث الشريفة :

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله » ؟ قالوا : يا رسول الله .. ما منا أحد الا ماله أحب اليه . قال : « فان ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر »[٨] .

---

(١) يرزؤه : أى ينقصه .
(٢) رواه مسلم .
(٣ ، ٤) رواه البخارى ومسلم .
(٥) رواه البخارى ومسلم .
(٦) البقرة : ٢٧٢
(٧) سبأ : ٣٩
(٨) رواه البخارى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفـا »(١) .

وعنه أيضا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله تعالى : أنفق يا ابن آدم ينفق عليك »(٢) .

وعنه أيضا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عز وجل »(٣) .

وعن عائشة رضى الله عنها : أنهم ذبحوا شاة فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما بقى منها » ؟ قالت : ما بقى الا كتفها ، قال : « بقى كلها غير كتفها »(٤) .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب — ولا يقبل الله الا الطيب — فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه(٥) حتى تكون مثل الجبل »(٦) .

وعنه أيضا ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بينا رجل يمشى بفلاة من الأرض ، فسمع صوتا فى سحابة : أسق حديقة فلان . فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه فى حرة(٧) فاذا شرجة(٨) من تلك الشراج قد استوعبت ذلك المـاء كله ، فتتبع الماء ، فاذا رجل قائم فى حديقته يحول المـاء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله .. ما اسمك ؟ قال فلان — للاسم الذى سمع فى السحابة — فقال له : يا عبد الله .. لم تسألنى عن اسمى ؟ فقال : انى سمعت صوتا فى السحاب الذى هذا ماؤه ، اسق حديقة فلان .. لاسمك فما تصنع فيها ؟

---

(١) رواه البخارى ومسلم .   (٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح .

(٥) فلوه بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو : المهر بضم الميم .

(٦) رواه البخارى ومسلم .

(٧) الحرة : أرض ذات حجارة سوداء .

(٨) هى مسيل المـاء .

فقـــال : أما اذ قلت هذا ، فانى أنظر الى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه ، وآكل أنا وعيالى ثلثا ، وأرد فيها ثلثه »[١] .

* * *

وأما عن :

الاسراف والكبر

اللذين يحذر المصطفى صلى الله عليه وسلم منهما فى ختـــام الوصية بقوله :

* (... فى غير اسراف ولا مخيلة) :

فحسبك حتى تدرك خطورة الاسراف والكبر ، أن تقرأ أولا قول الله تبارك وتعالى :

« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين »[٢] .

« ... فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون . لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، انه لا يحب المستكبرين »[٣]

* * *

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر من الاسراف فى المـــأكل والمشرب فحسبك حتى تعرف أنه صلى الله عليه وسلم كان قدوة لأصحابه ولكل فرد فى أمته ، فى تنفيذ هذا أن تقرأ معى هذه الأحاديث الشريفة التى يحذر فيها كذلك من الاسراف :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض »[٤] .

وفى رواية : « ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض »[٥] .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن[٦]

---

(١) رواه مسلم .
(٢) الأعراف : ٣١
(٣) النحل : ٢٢ ، ٢٣
(٤ ، ٥) رواهما البخارى ومسلم ، وقبض : أى انتقل الى جوار ربه .
(٦) وفى رواية : « بطنه » .

بحسب ابن آدم أكلات[١] يقمن صلبه ، فان كان لا محالة : فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه »[٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم يأكل فى معى واحد[٣] ، والكافر فى سبعة أمعاء »[٤] .

وعن أبى جحيفة رضى الله عنه قال : أكلت ثريدة من خبز ولحم ، ثم أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فجعلت أتجشأ[٥] ، فقال : « يا هذا .. كف[٦] عنا من جشائك ، فان أكثر الناس شبعا فى الدنيا أكثرهم جوعا يوم القيامة »[٧] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أهل الشبع فى الدنيا هم أهل الجوع غدا فى الآخرة »[٨] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليؤتين يوم القيامة بالعظيم الطويل الأكول الشروب[٩] ، فلا يزن عند الله جناح بعوضة[١٠] واقرأوا ان شئتم : **« فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا[١١] »**[١٢] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من الاسراف أن تأكل ما اشتهيت »[١٣] .

---

(١) وفى رواية : « لقيمات » تصغير لقمة .
(٢) رواه الترمذى وحسنه ، وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه الا ابن ماجه قال : « فان غلبت الآدمى نفسه فثلث للطعام ... » .
(٣) اى يزهد فيها فلا يتناول منها الا قليلا بعكس الكافر .
(٤) رواه مالك والبخارى ومسلم وابن ماجه وغيرهم .
(٥) هو ريح يخرج من الفم مع صوت عند الشبع .
(٦) وفى رواية : « اكفف » اى نح وابعد .
(٧) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .
(٨) رواه الطبرانى باسناد حسن .
(٩) اى الكثير الأكل والشرب .
(١٠) وهو مثل يضرب لنهاية الصغر والهوان .
(١١) قال ابن كثير : اى تثقل موازينهم لأنها خالية من الخير — والآية من سورة الكهف : ١٠٥
(١٢) رواه البيهقى ، واللفظ له .
(١٣) رواه ابن ماجه ، وابن ابى الدنيا فى كتاب « الجوع » ، والبيهقى ، وقد صحح الحاكم اسناده لمتن غير هذا ، وحسنه غيره .

وعن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية[١] فدعوه فأبى أن يأكل ، وقال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير »[٢] .

* * *

وأما النهى عن الاسراف فى الملبس والخيلاء به فقد ورد فيه :

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء »[٣] .

وعنه أيضا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يا رسول الله .. ان ازارى يسترخى[٤] الا أن أتعاهده[٥] ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انك لست ممن يفعله خيلاء »[٦] .

وعن أنس رضى الله عنه قال : حميد[٧] ــ كأنه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ــ قال : « الازار الى نصف الساق »[٨] فشق عليهم ، فقال : « أو الى الكعبين[٩] لا خير فيما فى أسفل من ذلك[١٠] »[١١] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما أسفل من الكعبين من الازار ففى النار[١٢] »[١٣] .

---

(١) اى مشوية . (٢) رواه البخارى .

(٣) رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٤) اى يطول ويتدلى على الأرض وذلك لنحافته رضى الله عنه فكان ازاره ينزل على حقويه .

(٥) اى اداوم على رفعه المرة بعد المرة .

(٦) رواه البخارى وابو داوود والنسائى ورواه مسلم بلفظ آخر .

(٧) هو فعيل بمعنى مفعول ، اى محمود .

(٨) اى يكون طوله الى نصف الساق فهذه اكمل احواله .

(٩) يعنى لا حرج على من اطاله الى الكعبين .

(١٠) اى فيما تجاوز الكعبين بل هو فى النار .

(١١) رواه احمد ورواته رواة الصحيح .

(١٢) اى ما غطاه الازار بعد الكعبين من قدم صاحبه فهو فى النار .

(١٣) رواه البخارى .

وعنه أيضا : « ازرة المؤمن الى عضلة ساقه[١] ، ثم الى نصف ساقه ، ثم الى كعبه ، وما تحت الكعبين من الازار ففى النار »[٢] .

* * *

هذا .. ولا مانع مع مراعاة هذه القواعد الأساسية التى أشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الأحاديث التى تحدد طول الثياب الشرعى الخالى من الاسراف : أن يلبس المسلم ثوبا جديدا ونعالا حسنا وقد ورد فى هذا :

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » . فقال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة ، قال : « ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق[٣] وغمط الناس[٤] »[٥] .

ولله دز الامام مالك رضى الله عنه ، فلقد قال فى هذا :

حسن ثيابك ما استطعت فانها زين الرجال بها تعز وتكرم
ودع التخشن فى الثياب تواضعا فالله يعلم ما تكن وتكتم
فرثيث ثوبك لا يزيدك رفعة عند الاله وأنت عبد مجرم
وجديد ثوبك لا يضرك بعد أن تخشى الاله وتتقى ما يحرم

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، ولا تنس قول الله تبارك وتعالى :
« ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور »[٦] .

وحتى تكون معتدلا فى مأكلك ومشربك وملبسك . وتصدقك . اليك كذلك هذا الأثر الذى روى عن ابن عباس رضى الله عنهما والذى سئل فيه عن قول العرب : « حب التناهى شطط ، خير الأمور الوسط » ، وهل هو موجود فى القرآن ؟ فأجاب بقوله : نعم فى أربعة مواضع :

---

(١) العضلة : كل عصبة معها لحم مجتمع .
(٢) رواه النسائى .
(٣) بطر الحق : دفعه ورده على قائله .
(٤) غمط الناس : اى احتقارهم .
(٥) رواه مسلم . .
(٦) لقمان : ١٨

فى قوله تعالى فى وصف بقرة موسى : « **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ، قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك** »[١] أى : وسط بين الكبر والصغر .

وفى قوله تعالى : « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا** »[٢] أى : فتوسط بين الأمرين .

وفى قوله تعالى : « **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا** »[٣] وهذا السبيل هو الوسط .

وفى قوله تعالى فى مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين : « **والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما** »[٤] أى وسطا .

* * *

وحتى لا يتسرب الكبر الى قلبك اليك أيضا هذين الأثرين الواردين عن سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه :

« مال ابن آدم والكبر : أوله نطفة مذرة[٥] وآخره جيفة قذرة ، وهو ما بين ذا وذاك يحمل العذرة »[٦] .

« مال ابن آدم والكبر : تقتله شرقة ، وتنتنه عرقة ، وتؤلمه بقــة » .

* * *

وكذلك اليك نداء الأرض الذى روى أنها تناديك به كل يوم خمس مرات ، وهو :

يا ابن آدم .. تمشى على ظهرى ومصيرك الى بطنى .

يا ابن آدم .. تفرح على ظهرى فسوف تحزن فى بطنى .

يا ابن آدم .. تضحك على ظهرى فسوف تبكى فى بطنى .

يا ابن آدم .. تذنب على ظهرى فسوف تعذب فى بطنى .

يا ابن آدم .. تأكل الألوان على ظهــرى فسوف تأكلك الديدان فى بطنى .

* * *

---

(١) البقرة : ٦٨ (٢) الاسراء : ٢٩
(٣) الاسراء : ١١٠ (٤) الفرقان : ٦٧
(٥) مذرت البيضة والمعدة مذرا ؛ فهى مذرة من باب تعب : فسدت .
(٦) وحتى البول والغائط .

الوصية الثالثة والثلاثون

عن عثمان بن أبى العاص الثقفى أنه شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده فى جسده منذ أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ضع يدك على الذى يألم من جسدك وقل : باسم الله — ثلاثا — وقل — سبع مرات — : أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

(رواه مسلم فى الصحيح)

* * *

فكن أخا الاسلام :

منتفعا بهذا الدعاء العظيم[1] الذى عالج به المصطفى صلى الله عليه وسلم هذا الصحابى الجليل : وهو عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه الذى شكا اليه — صلوات الله وسلامه عليه — وجعا يجده فى جسده منذ أسلم[2] . فكان أن أكرمه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : « ضع يدك على الذى يألم من جسدك » أى : على موضع الألم منه « وقل : بسم الله — ثلاثا » أى : قلها ثلاث مرات « وقل : — سبع مرات — أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » أى : من شر ما أحسه من الألم ومن شر ما أخافه من المرض ونحوه .

وفى رواية أخرى رواها الامام مالك رضى الله عنه أوصاه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد البسملة — ثلاثا — أن يقول سبعا : « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد » أى : من غير قوله : وأحاذر ، ولكنها زيادة صحيحة كما عرفت فى نص الرواية السابقة ، ولذا يجب اثباتها . ثم يقول عثمان فى هذه الرواية الثانية بعد ذلك : ففعلت ذلك فأذهب

---

(١) الذى رواه كما قرأت فى نص الوصية : مسلم فى صحيحه ، ورواه أيضا مالك وأبو داوود والترمذى والنسائى وأحمد وابن ماجه .

(٢) وكان اسلامه فى السنة التاسعة حيث قدم مع وفد ثقيف بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من تبوك فى رمضان . . ومات فى خلافة معاوية .

الله ما كان بى — أى : من الألم وشفانى — فلم أزل آمر بها أهلى وغيرهم .

وفى رواية ثالثة رواها الترمذى وأبو داوود مثل ذلك وقالا فى أول حديثهما : أتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبى وجع قد كاد يهلكنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « امسح بيمينك سبع مرات ثم قل : أعوذ بعزة الله وقدرته ... » الحديث ، أى : امسح بيمينك على موضع الألم وأنت تردد هذا الدعاء . وليس المراد كما هو مفهوم من ظاهر الحديث : أن تمسح أولا سبع مرات ثم تدعو .

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام مع ملاحظة أن هذا الدعاء الذى وقفت عليه فى هذه الروايات الثلاث : يعتبر تعويذة عظيمة تقوم على الالتجاء والتحصن بصفتين من أعظم الصفات وهما عزة الله التى يذل لها كل شىء ، وقدرته التى لا يعجزها شىء : من كل ما يجده الانسان أو يخافه ويتوقعه من الآلام والأوجاع التى كثيرا ما يتعرض الانسان لها فى حياته الأولى .

* * *

ولهذا رأيت و « الدين النصيحة ... »[1] أن أنصحك : بالانتفاع بهذا العلاج المحمدى (المجرب) والذى انتفعت به شخصيا مرتين تعرضت فيهما لألم شديد كاد أن يقتلنى لولا لطف الله وبركة هذا الدعاء الذى ما كدت أردده فى كل من المرتين كما علم الرسول صلى الله عليه وسلم راويه رضى الله عنه حتى ذهب الألم وكأنه لم يكن .

وذلك لأننى كنت وأنا أردد هذا الدعاء أومن ايمانا جازما بهذه النتيجة الحتمية التى لابد منها ما دام الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا « ... ينطق عن الهوى »[2] قد أخبر بها ، ونبه عليها .

وهذا شرط أساسى فى قبول هذا الدعاء والاستفادة به وبغيره من الأدعية التى علمها الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه فى جميع المناسبات ، وعلى سبيل المثال ما حدث :

يوم أن دخل الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد فوجد أبا أمامة يجلس فيه فى غير وقت صلاة ، فقال له صلوات الله وسلامه عليه :

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه مسلم .

(٢) النجم : ٣ بلفظ : « وما ينطق عن الهوى » .

« مالى أراك جالسا فى المسجد فى غير وقت صلاة » ؟ قال : هموم لزمتنى وديون يا رسول الله • قال : « أفلا أعلمك كلاما اذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك ؟ قل اذا أصبحت واذا أمسيت : اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » يقول أبو أمامة : ففعلت ذلك فأذهب الله همى وقضى عنى دينى[1] •

ويوم أن جاء رجل الى أبى الدرداء رضى الله عنه وقال له : قد احترق بيتك • فقال : ما احترق ، لم يكن الله ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من النبى صلى الله عليه وسلم من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسى ، ومن قالها آخر النهـار لم تصبه مصيبة حتى يصبح : « اللهم أنت ربى لا اله الا أنت ، عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ، ما شاء الله كانَ وما لم يشأ لم يكن ، لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، أعلم أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما ، اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتهـا ، ان ربى على صراط مستقيم »[2] • فقد روى أنه ذهب فعلا بعد ذلك الى بيته فرأى أن جميع المنازل المحيطة ببيته قد احترقت الا بيته •

* * *

وحتى يتضح لك هـذا ، اليك هذا الحـديث الذى ورد فى الصحيحين وذكره ابن القيم فى كتاب « زاد المعاد » والذى قد يتصل اتصالا وثيقا بموضوع الوصية وما أردت الوصول اليه وهو حتمية الايمان اذا أردنا الاستفادة بمثل هذا الدعاء بصفة عامة ؛ وحتى لا أطيل عليك فاليك هذا الحديث الذى خلاصته :

أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له : ان أخى استطلق بطنه • فقال له صلوات الله وسلامه عليه : « اسقه عسلا » ؛ فذهب ثم رجع فقال : قد سقيته فلم يزده الا استطلاقا ــ مرتين أو ثلاثا ــ والرسول صلى الله عليه وسلم يقول له فى كل مرة : « اسقه عسلا » وفى المرة الثالثة ــ أو الرابعة ــ قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « صدق الله وكذب بطن أخيك » •

---

(١) أخرجه أبو داوود . (٢) أخرجه ابن السنى .

فهذا المريض كما هو واضح من سياق الحديث لو تناول العسل وهو يؤمن ايمانا جازما بأنه سيكون سببا فى ازالة ما فى بطنه من استطلاق ما دام الله سبحانه وتعالى قد أشار الى هذا فى حديثه عن النحل فقال : « **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ...** »(١) ، وما دام الرسول صلى الله عليه وسلم قد نصحه بهذا .

ولكن كما يبدو لم يتناول العسل بايمان ولهذا لم يذهب ما كان يشكو منه .

وقد حدثنى صديق لى — والشىء بالشىء يذكر — أن أحد الصالحين مرض فقال له أولاده : أنحضر لك الطبيب ؟ فقال لهم : أنا أعرف علاجى ، ثم أمرهم بعد ذلك بأن يحضروا قليلا من عسل النحل ، ثم يخلطوه بقليل من زيت الزيتون ، وقليل من الماء ، وهو يقول لهم : هذه (خلطة) مباركة أشار الله سبحانه وتعالى اليها فى كتابه العزيز فقال عن عسل النحل : « **... فيه شفاء للناس** » وقال عن الماء : « **ونزلنا من السماء ماء مباركا** »(٢) وقال عن شجرة الزيتون : « **يوقد من شجرة مباركة زيتونة** »(٣)

وفعلا تناول هذا العلاج المبارك بايمان فكان شفاء له .

* * *

هذا .. واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد عالج كما رأيت بالدعاء وحصن به ، فقد كان كذلك يعالج بالأدوية الطبيعية ، وقد ورد فى هذا :

أنه صلى الله عليه وسلم عالج الحمى بالماء ، وفى هذا يقول الامام أحمد فى مسنده : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حم دعا بقربة من ماء فأفرغها على رأسه فاغتسل » وثبت فى الترمذى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أصابت أحدكم الحمى فانما الحمى قطعة من النار فليطفئها بالماء البارد ويستقبل نهرا جاريا ، فليستقبل جرية الماء بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس وليقل : بسم الله ، اللهم اشف عبدك ، وصدق رسولك ، وينغمس فيه ثلاث

---

(١) النحل : ٦٩ — (٢) سورة ق : ٩

(٣) النور : ٣٥

غمسات ثلاثة أيام ، فان برأ والا خمسا وان لم يبرأ فى خمس فسبع ، فانها لا تكاد تجاوز السبع باذن الله » وقد اتفق أهل الحديث أن هذا الخطاب خاص بأهل الحجاز •

وأنه صلى الله عليه وسلم — كما عرفت سابقا — عالج استطلاق البطن بالعسل ، وذلك لأن العسل فيه جلاء ودفع للفضول •

وأنه صلى الله عليه وسلم عالج الجراحات برماد من حصير محروق لما جرح وجهه المبارك فى يوم أحد •

وأنه صلى الله عليه وسلم أمر فى دواء وجع العين بالسكون والراحة ، ومنع أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه من أكل الرطب فى حال الرمد ، وكان لا يقرب من بها رمد من أمهات المؤمنين الى أن يحصل لها الشفاء

وعالج صلى الله عليه وسلم بالحجامة ، يوم أن وضعت له اليهودية السم فى الشاة التى تناول منها ، فنطقت الشاة بما معناه : لا تزد على هذا فانى مسمومة • فاحتجم صلى الله عليه وسلم بين الكتفين فى ثلاثة مواضع ، وأمر من معه بذلك ، وعاش بعد ثلاث سنين •

وعالج صلى الله عليه وسلم لدغ العقرب بالماء والملح ، ففى مسند أبى بكر بن أبى شيبة روى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : « كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى — اذ سجد — فلدغه عقرب فى اصبعه المباركة فلما خرج من الصلاة قال : لعن الله العقرب ما تدع نبيا ولا غيره • ثم طلب ظرف ماء وملحا ووضع اصبعه فى الماء والملح وقرأ سورة الاخلاص والمعوذتين ولم يزل يكررهن حتى زال الألم » •

وأمر صلى الله عليه وسلم في علاج القمل بحلق الرأس لتتفتح المسام وتتصاعد الأبخرة وتضعف المادة التى يتولد منها القمل •

وعالج صلى الله عليه وسلم وجع القلب بتمر المدينة ، فقد ثبت فى سنن أبى داوود عن سعد قال : مرضت مرضا فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى فوضع يده بين ثديى حتى وجدت بردها على فؤادى وقال لى : « انك رجل مفؤود فأت الحارث بن كلدة من ثقيف فانه رجل يتطبب — ثم قال — : فليأخذ — يعني صاحب هذه العلة — سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليدلك بهن » •

وفى التمر خاصية عجيبة لهذا المرض ، وفى تخصيص السبع سر علم بالوحى وقال : « من تصبح كل يوم بسبع تمرات عجوة لم يضره فى ذلك اليوم سم ولا سحر »(١) .

وقال : « ان فى عجوة العالية شفاء وانها ترياق أول البكرة » .

وكان صلى الله عليه وسلم اذا حدث برأسه صداع وضع عليه الحناء ويقول : « هذا ينفع الصداع » ، وفى سنن ابن ماجه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أصابه صداع غلف رأسه بالحناء ويقول : انه نافع باذن الله من الصداع » .

وقال صلى الله عليه وسلم فى علاج عرق النسا : « دواء عرق النسا الية شاة أعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ، ثم تشرب على الريق فى كل يوم جزء » .

وكان صلى الله عليه وسلم يقول : « الشفاء فى ثلاثة : فى شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية بنار ، وأنا أنهى أمتى عن الكى » . قال العلماء : هذا الحديث أشار الى معالجة جميع الأمراض المادية لأن المرض اما دموى أو صفراوى أو بلغمى أو سوداوى ، فان كان دمويا فعلاجه باخراج الدم ، وان كان من الأقسام الثلاثة فعلاجها بالاسهال نبه بالعسل على ذلك ، وبالمحجم على الفصد والحجامة ، وبالكى على حالة فيها يعجز الطبيب ويعيا ، وآخر الدواء الكى .

كما أمر صلى الله عليه وسلم باجتناب معاشرة أرباب الأمراض المعدية كما فى حديث أبى هريرة مرفوعا : « فر من المجذوم كما تفر من الأسد »(٢) وصح فى حديث جابر : أنه كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « انا بايعناك فارجع »(٣) .

كما كان صلى الله عليه وسلم فى بعض الأحيان يعالج البدن بالقىء ، لأنه أحد الاستفراغات الخمس التى هى أصل أنواع الاستفراغات وهى الاسهال .

---

(١) ورد فى الصحيحين كما قال فى « زاد المعاد » .

(٢) رواه البخارى فى صحيحه تعليقا .

(٣) رواه مسلم فى صحيحه .

كما أمر صلى الله عليه وسلم أن يعالج المريض فى بعض الأحيان بالكلمات المطيبة للنفس الدافعة للحزن والغم ، فقد روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى أجله فان ذلك لا يرد شيئا ويطيب نفسه »(١) .

وأمر كذلك فى معالجة الحزن والغم (بالتلبينة) وهى طعام رقيق يصنع من دقيق الشعير غير منخول ، بشرط أن يطبخ طبخا تاما ليكون فى القوام والرقة كالحليب ، ولذا قالوا (التلبينة) وله حكم الشعير الذىعليه اعتماد الأطبـاء فى أكثر المعالجات ، وقد ورد عن عائشة رضى الله عنها : أنها كانت اذا مات الميت من أهلها واجتمع لذلك النساء ثم تفرقن الى أهلهن أمرت ببرمة تلبينة فطبخت وصنعت ثريدا ثم صبت التلبينة عليه ثم قالت : كلوا منها فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « التلبينة مجمة لفؤاد المريض وتذهب بعض الحـزن »(٢) .

وكان صلى الله عليه وسلم يعالج جميع الأمراض بهذا الدعاء الذى يقول فيه أبو الدرداء رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من اشتكى منكم شيئا فليقل : ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك ، أمرك فى السماء والأرض ، كما رحمتك فى السماء فاجعل رحمتك فى الأرض واغفر لنا حوبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين أنزل رحمـة من عنـدك وشـفاء من شـفائك على هذا الوجع ، فيبرأ باذن الله »(٣) .

وثبت فى صحيح مسلم : « أن جبريل عليه السلام جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو وجع [فقال : يا محمد .. اشتكيت ؟ قال : نعم] قال : بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ، ومن كل نفس وعين بسم الله أرقيك والله يشفيك » .

وثبت أيضا فى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : « انطلق نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حى من أحياء العرب فاستضافوهم

---

(١) رواه ابن ماجه فى سننه .
(٢) ورد فى الصحيحين .
(٣) رواه أبو داوود فى سننه .

فأبوا أن يضيفوهم فلدغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شىء فلم ينفعه فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعل أن يكون عندهم بعض شىء ، فأتوهم فقالوا : يا أيها الرهط .. ان سيدنا لدغ وسعينا له بكل شىء فلم ينفعه فهل عند أحدكم من شىء ؟ فقال بعضهم : أى والله .. انى لأرقى ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيفونا فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلا فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يتفل عليه ويقرأ : « الحمد لله رب العالمين »[1] فكأنما نشط من عقال ، فانطلق يمشى وما به قلبة[2] فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه » هذا لفظ البخارى .

وقال بعضهم : « اقتسموا ، فقال الذى رقى : لا تفعلوا حتى نأتى النبى صلى الله عليه وسلم فنذكر الذى كان فيه فننظر الذى يأمرنا به ، فقدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فذكروا له [ذلك] فقال : وما يدريك أنها رقية ؟ ثم قال : قد أصبتم .. اقسموا واضربوا لى معكم سهما » .



فاذكر كل هذا أخا الاسلام ، وكن حريصا على الانتفاع بكل ما وقفت عليه من علاج روحى أو طبيعى وأنت موقن بالاجابة وحتمية هذه النتيجة التى نبه الرسول صلى الله عليه وسلم عليها قرين كل دعاء أو علاج .



واعلم : أن الطب النبوى متيقن النجاح قطعا لأنه صادر عن الوحى الالهى ومشكاة النبوة ، وكمال العقل . وأما طب الغير غالبا فانه مأخوذ من الحدس والظن والتجربة ، وهذا مثار الخطر ؛ ومن لا ينتفع بالطب النبوى فينبغى أن يعلم يقينا أنه من نقص ايمانه ، ومن تلقاه بالقبول والصدق وحسن الاعتقاد انتفع به البتة كما أن القرآن

---

(١) أى يقرأ فاتحة الكتاب ، لانها تشتمل على جميع معانى القرآن الذى قال الرسول صلى الله عليه وسلم فى شأنه كما روى ابن ماجه فى سننه : « خير الدواء القرآن » .

(٢) اى علة والم .

الكريم شفاء لما فى الصدور والقلوب ، ومن لم يتلقه بالقبول زاد مرضه ووباله .



وهذا ليس معناه أن تقاطع الأطباء الآخرين : كلا ، وانما المراد أن تستعين بالله سبحانه وتعالى مع انتفاعك بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الوارد فى جميع مجالات المعالجات كما عرفت ، مع ذهابك الى الطبيب المعالج الذى تطمئن اليه وترى فيه خيرا ، وأنت تردد قول القائل :

ذهبت أنادى طبيب الورى وروحى تناجى طبيب السماء
طبيبين : ذاك ليعطى الدواء وذاك ليجعل فيه الشفاء

وتأمل معى قول القائل :

ان الطبيب له علم يدل به ما دام فى أجل الانسان تأخير
حتى اذا انقضت أيام مهلته حار الطبيب وخانته العقاقير

متعنى الله واياك بالصحة والعافية ، ونفعنى واياك بالقرآن الكريم وهدى الرسول الحبيب الطبيب صلوات الله وسلامه عليه ، وختم لنا جميعا بالايمان .



الوصية الرابعة والثلاثون

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تصاحب الا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك الا تقى » .

(رواه أبو داوود والترمذى باسناد لا بأس به)

* * *

فكن أخا الاسلام :

هذا الرجل الصالح الذى وجه اليه المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه الوصية الجامعة التى تعتبر أساسا لاستمرار السعادة الفردية والجماعية .

وحسبى حتى يتضح لك هذا المعنى الكبير الذى يوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم أن أدور معك بايجاز حول هذين العنصرين اللذين يتكون منهما مضمون هذه الوصية ، وحتى لا أطيل عليك فاليك :

* (لا تصاحب الا مؤمنا) :

أى : لا تصاحب الا من اجتمعت فيه خصال المؤمنين :

« الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون »[1] .

« الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون »[2] .

وذلك لأن مصاحبة هذا المؤمن الذى تجتمع فيه هذه الصفات الحميدة ، ستكون نافعة لك فى كل خير وفى ذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه كما ورد فى حديث شريف :

« المؤمن كله منفعة : ان شاورته نفعك ، وان شاركته نفعك ، وان ماشيته نفعك فأمره كله منفعة » بل وسيكون عونا لك فى كل

---

(١) الأنفال : ٢ ، ٣ بلفظ : **« انما المؤمنون ... »** .

(٢) المؤمنون : ٢ — ٩

خير ، وقد ورد فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »(١) .

وقال : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »(٢) .

واذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه كما رأيت قد نصح بمصاحبة المؤمن فالسبب فى هذا كله هو أن المؤمن ليس خائنا ولا كذابا وقد ورد فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« يطبع المؤمن على الخلال كلها ، الا الخيانة والكذب »(٣) .

وهو المؤتمن كذلك على النفس والعرض والمال وقد ورد فى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم » .

* * *

هذا بالاضافة الى أنك اذا صاحبته تخلقت بأخلاقه العظيمة التى ما كمل ايمانه الا بها كما ورد فى الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، ان الله يكره الفاحش البذىء ، وان صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة »(٤) .

* * *

فاذا كنت ستتخلق بأخلاقه الحميدة فقد أفلحت ، وحسبك هذا الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم :
« قد أفلح من أخلص قلبه للايمان ، وجعل قلبه سليما ، ولسانه ونفسه مطمئنة ، وخليقته مستقيمة »(٥) .

* * *

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصاك بمصاحبة المؤمن فانه فى نفس الوقت يحذرك من مصاحبة غيره لأن نتائج مصاحبته ستكون عكسية للنتائج التى وقفت عليها بالنسبة للمؤمن . واذا كانت الخيانة والغدر من أهم صفات المنافق فهو اذن الذى يحذرك الرسول

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه أحمد .
(٤) رواه أحمد .
(٥) رواه ابن حبان .

صلى الله عليه وسلم من مصاحبته ، وحسبك حتى تقف على خطورة المنافق أن تقرأ هذين الحديثين الشريفين :

« أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا أؤتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر »(١) .

« ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وحج واعتمر وقال انى مسلم : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا اؤتمن خان » (٢) .

* * *

هذا .. ولما كان العثور على الصديق المؤمن لم يعد ميسرا ، فقد رأيت وبعد هذا الايجاز أن أضع أمامك بعض الوصايا الواردة عن حكمائنا الأوائل فى وصف الصديق الذى يجب عليك أن تصاحبه . كما جاء فى كتاب « احياء علوم الدين » للامام الغزالى رحمه الله ، حتى تستنير بها فى الحديث عن الصاحب المؤمن :

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الحث على طلب التدين فى الصديق ، فيما رواه سعيد بن المسيب ، قال : عليك باخوان الصدق تعش فى أكنافهم فانهم زينة فى الرخاء ، وعدة فى البلاء ، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه ، واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الأمين من القوم ، ولا أمين الا من خشى الله ، فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ، ولا تطلعه على سرك ، واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى .

وقال علقمة العطاردى فى وصيته لابنه حين حضرته الوفاة : يا بنى .. اذا عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك ، وان صحبته زانك ، وان قعدت بك مؤنة مالك ، اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وان رأى سيئة سدها ، اصحب من اذا سألته أعطاك ، وان سكت ابتداك ، وان نزلت بك نازلة واساك ، اصحب من اذا قلت صدق قولك ، وان حاولتما أمرا أمرك ، وان تنازعتما آثرك .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه مسلم .

وقال بعض الأدباء : لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك ، ويستر عيبك ، فيكون معك فى النوائب ، ويؤثرك بالرغائب ، وينشر حسنتك ويطوى سيئتك ، فان لم تجده ، فلا تصحب الا نفسك .

وقال على رضى الله عنه :

ان أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك شتت فيه شمله ليجمعك

وقال بعض العلماء : لا تصحب الا أحد رجلين : رجل تتعلم منه شيئا فى أمر دينك فينفعك ، أو رجل تعلمه شيئا فى أمر دينه فيقبل منك ، والثالث فاهرب منه .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وتذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل »[1] ، وقوله : « مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك ان لم يصبك منه شىء أصابك من ريحه ، ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير ان لم يصبك من سواده أصابك من دخانه »[2] .

* * *

* (ولا يأكل طعامك الا تقى) :

أى : لا تدخل بيتك الا التقى النقى الذى يراقب الله سبحانه وتعالى فى كل أفعاله كأنه يراه ، والذى ان دخل بيتك لتناول طعامك — مثلا — الذى تدعوه اليه كان غاضا لبصره ، وبعيدا عن كل ما فيه جرح لشعورك ، وهتك لحرمتك .

ولله در على رضى الله عنه فلقد ورد أنه قال لولده الحسن رضى الله عنه : « يا بنى .. خف ثلاثا : خف الله ، وخف من لا يخافه الله ، وخف لسانك ، فانه عدوك على دينك يؤمنك الله جميع ما خفته » فمعنى خف من لا يخاف الله : أى خف من الذى لا يخاف من الله سبحانه وتعالى لأنه لن يخشى الله فيك .

* * *

(١ ، ٢) رواه ابو داوود .

فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوصيك بهذا فانه بهذا يحمى بيتك من الخراب والدمار ، لأنه اذا دخل غير التقى بيتك واختلط بأسرتك — كما يحدث الآن فى هذا الزمان المريض — كان سببا فى هدم سعادتك الزوجية والأسرية •

فكثيرا ما يحدث فى زماننا هذا أن يذهب فلان بفلان الى بيته لمجرد صداقة عابرة ، أو زمالة مصلحية وهناك يطلب من زوجته التى قد تكون شبه عارية أن تصافح صديقه أو زميله ، وقد يحدث أن يتبادل هذا الصديق — الغير مؤمن أو تقى — النظرات الغير بريئة مع هذه الزوجة التى ربما كانت تعانى من فراغ معين ، الأمر الذى قد يحدث بعده وفى غفلة من هذا الزوج الذى قد يكون مشغولا باعداد الطعام والشراب ما عناه الشاعر بقوله :

نظرة فابتسامة فسلام ... فكلام فموعــد فلقاء

وذلك لأنه كما يقول الآخر :

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام وكن غيورا على أهل بيتك ولا تدخل بيتك غير التقى الذى يحفظ مثلا قول الله تبارك وتعالى :

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، أن الله خبير بما يصنعون • وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنـائهن أو أبنـاء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »[1] •

---

(١) النور : ٣٠ ، ٣١

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« اياكم والدخول على النساء » فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحم[1] ؟ قال : « الحم الموت »[2] .

« لا يخلون أحدكم بامرأة الا مع ذى محرم[3] »[4] .

« لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له »[5] .

« العينان تزنيان ، والرجلان تزنيان ، والفرج يزنى »[6] .

لأنه اذا كان يحفظ مثل هذه النصوص القرآنية والنبوية فانه سيعمل من جانبه ما دام مؤمنا تقيا على ضرورة تطبيق هذا على نفسه وغيره ، حتى يكون من الأتقياء الأوفياء الذين يطبقون تعاليم الاسلام بكل اخلاص واتقان : وهو يحفظ ويطبق وصية الرسول صلى الله عليه وسلم التى يقول فيها : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن »[7] .



فتذكر كل هذا أخا الاسلام ، واعمل بتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم التى تعتبر أساسا للهداية والرشاد كما تعتبر سبيلا الى السعادة الدنيوية والأخروية .

---

(١) وهو والد الزوج او اخوه اللذان يعيشان معه فى بيت واحد فلا بد له من الدخول على المراة .

(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى ثم قال : ومعنى كراهية الدخول على النساء على نحو ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يخلون رجل بامراة الا كان ثالثهما الشيطان » .

(٣) ذو المحرم من المراة هو من لا يحل له نكاحها من الاقارب كالأب والابن والأخ والعم ومن يجرى مجراهم .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) رواه الطبرانى والبيهقى ورجال الطبرانى ثقات رجال الصحيح .

(٦) رواه احمد باسناد صحيح وابو يعلى .

(٧) رواه الترمذى وقال : حديث حسن ، وفى بعض النسخ : حسن صحيح

ولا تمش الا مع رجال قلوبهم تحن الى التقوى وترتاح للذكر

* * *

ولا تصحب أخا الجهل وايــاك وايــاه
فــكم من جاهل أردى حليمــا حين آخــاه
يقــاس المــرء بالمــرء اذا ما المــرء ماشــاه
وللشيء مــن الشيء مقــاييس وأشــباه
وللقــلب على القــلب دليــل حين يلقــاه

* * *

رزقني الله واياك حسن الخاتمة ، وجعلني واياك وجميع المسلمين والمسلمات من الراشدين الموفقين .. آمين .

* * *

وختــاما ..

اليك أخا الاسلام هذه الوصية التي أرجو أن تنتفع بها :

قال حكيم : اجتنب سبع خصال ، يسترح جسمك ، وقلبك ، ويسلم لك عرضك ودينك :

* لا تحزن على ما فاتك .
* ولا تحمل هم ما لم ينزل بك .
* ولا تلم الناس على ما فيك مثله .
* ولا تطلب الجزاء على ما لم تعمل .
* ولا تنظر بشهوة الى ما لم تملك .
* ولا تغضب على من لم يضره غضبك .
* ولا تمدح من لم يعلم من نفسه خلاف ذلك .

والله الموفق للصواب ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

« المـؤلف »

تم بحمد الله طبع المجلد الأول « من وصايا الرسول » للأستاذ الشيخ طه عبد الله العفيفى ، ويشمل الأجزاء من الأول حتى العاشر ، بمطابع دار التراث العربى للطباعة والنشر لصاحبها « أحمد حمدى أحمد شعبان » فى يوم الاثنين ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٤٠١ هـ الموافق ٢٠ ابريل سنة ١٩٨١ م •

وقام بمراجعة آياته وتصحيحه ، العبد الفقير الى الله تعالى راجى عفوه وغفرانه « محمد الأنور أحمد البلتاجى » سائلا المولى سبحانه وتعالى أن يجعل عمله فى ميزان حسناته •• **« يوم لا ينفع مال ولا بنون • الا من أتى الله بقلب سليم »** ••

وجزى الله صاحبه ، الذى اجتهد فأصاب •• أفضل ما جزى به عباده المؤمنين ونسأله تعالى أن ينفع به وبكتابه المسلمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

* * *

محتويات الكتاب

الجـزء الأول

(٣ - ١٠٢)

الصفحة

الجـزء الثانى

(١٠٣ ـ ١٨١)

الجزء الثـــالث

(١٨٢ ــ ٢٦٥)

الصفحة

الجـزء السادس

(٤٧١ ـ ٥٥٤)

الجـزء السابع

(٥٥٥ ـ ٦٣٧)

الصفحة

* * *

من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم

المجلد الثانى

الأجزاء من ١١ ـ ٢٠

شرح وتعليق

طه عبد الله العفيفى

دار التراث العربي

الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م

مطابع دار التراث العربي
القاهرة - ٩٣٦١١٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الى الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى قال متحدثا عن نفسه :

« أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر .. وما من نبى يومئذ : آدم فمن سواه الا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ، وأنا أول شافع وأول مشفع »[1] .

أقدم « المجلد الثانى » من وصاياه صلوات الله وسلامه عليه ..

وكلى أمل فى أن ينفع الله تعالى به .. وأن يجعله سبحانه وتعالى حجة لنا لا علينا .. آمين .

المؤلف

* * *

---

(١) أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى وقال : حسن صحيح . عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أخي المسلم .. أختي المسلمة :

والآن .. وبعد أن قرأتما « المجلد الأول » من « وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم » ، من الجزء الأول الى الجزء العاشر ، الذي هو كما علمتما من الوصية الأولى الى الوصية الرابعة والثلاثين . والذى أرجو أن تكونا قد انتفعتما ونفعتما بكل ما فيه من آثار وأخبار وأشعار موضوعيـــة ..

اليكما كذلك « المجلد الثانى » من الوصايا ، الذى هو كما ستريا ان شاء الله تعالى من الجزء الحادى عشر الى الجزء العشرين ، ومن الوصية الخامسة والثلاثين الى الوصية التاسعة والخمسين ..

ولسوف تريان ان شاء الله تعالى ، أننى قد استطعت بتوفيق من الله تعالى – فى هذا المجلد الثانى – أن أضع النقط فوق الحروف ، وذلك بتركيزى على بعض المواضيع الهامة التى كلنا كمسلمين ومسلمات فى أشد الحاجة الى معرفتها والوقوف على أبعادها .. حتى نكون من المنفذين لـمـا فيـــها من أوامر ، والمجتنبين لـمـا فيـــها من منهيات .. وذلك من خلال شرحى – السهل الميسر – لتلك الوصايا المحمدية التى أسأل الله تعالى أن ينفعنا بها كذلك حتى نكون ان شاء الله تعالى من هؤلاء الموفقين المذكرين لغيرهم بها .. فنكون بذلك من الذين قال الله تعالى فيهم :

« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين »[1] .

---

(١) فصلت : ٣٣

وحتى نكون بذلك كذلك — ان شاء الله — من المخلصين الموفقين الذين سيهدى الله تعالى على أيديهم .. كما يشير الى هذا الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه لمعاذ بن جبل رضى الله عنه : « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم »[1] .

وفى الحديث يقول صلوات الله وسلامه عليه مرغبا فى تعليم الناس الخير :

« ان الله سبحانه وملائكته وأهل سماواته وأرضه حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت فى البحر : ليصلون على معلم الناس الخير »[2] .

فليكن هذا هو هدفنا جميعا حتى نفوز بهذا الخير الذى ما مثله خير .. وحتى نكون بذلك كذلك من الأحياء المشار اليهم فى قول على كرم الله وجهه :

ما الفخر الا لأهل العلم انهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا	فالناس موتى وأهل العلم أحياء

ولهذا .. فقد قال أيضا كرم الله وجهه : « من أمضى يومه ، فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد بناه ، أو حمد حصله ، أو علم اقتبسه : فقد عق يومه ، وظلم نفسه » .



هذا .. واذا كنت أقدم اليكما الآن « المجلد الثانى » الذى أرجو أن تجدا فيه ضالتكما من الحكمة .. التى هى « ضالة المؤمن »[3] .

---

(١) أخرجه أحمد من حديث معاذ ، وفى الصحيحين من حديث سهل ابن سعد انه قال ذلك لعلى كرم الله وجهه .

(٢) أخرجه الترمذى من حديث أبى أمامة وقال : غريب . وفى نسخة حسن صحيح .

(٣) كما ورد فى نص حديث شريف .

فاننى سأقدم اليكما قريبا ان شاء الله تعالى « المجلد الثالث » ، من الجزء الحادى والعشرين الى الجزء الثلاثين ، ومن الوصية الستين الى الوصية المــائة •• والذى سيكون ان شاء الله تعالى خاتمة لهــذا الخير العظيم •• الذى أسأل الله تعالى أن يعيننى على تحقيقه حتى ينفع الله تعالى به الى أن يرث الله الأرض ومن عليها •• والذى أرجو كذلك أن يكون ثقلا فى ميزانى وميزان والدى « السيد عبد الله العفيفى » رحمه الله تعالى الذى أعدنى لهذا الخير العظيم منذ نعومة أظفارى ••

فادعوا الله تعالى لى حتى أتمم هــذا الخير •• وحتى أكون عند حسن ظنكما بى ••

والله أسأل أن يتقبل منى ومنكما هــذا الدعاء ••

انه تعالى على كل شىء قدير وبالاجابة جدير ••

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ••

المـؤلف



الجزء الحادي عشر

الوصية الخامسة والثلاثون

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وعلى آلــه وسلم ، قال :

« سافروا تصحوا ، واغزوا تستغنوا » ..

(أخرجه احمد وفى سنده ابن لهيعة ، لكن صححه المناوى ، وحسنه السيوطى) .

*** * ***

فكن أخا الاسلام :

منفذا لهذه الوصية العظيمة التى كما قرأت فى نصها ، لو نفذناها لكنـــا أصحاء فى أجسامنا وقلوبنا وعقولنا ، ولكانت النتيجة الحتمية كذلك هى الاستغناء عن غيرنا من الأعداء أو الأصدقاء .

وهذا هو ما نريد فى شرحنا لتلك الوصية المحمدية ، أن نقفه عليه ، وباقتناع منطقى يدفعنا بعد ذلك أو مع ذلك الى السفر ، والغزو .

ولكى نبدأ الشرح — بتوفيق الله تعالى — فاننى أرى أولا أن نقف ، على :

تعريف السفر :

فالسفر لغة : قطع المسافة مطلقا ، وشرعا : قطع مسافة تتغير بها الأحكام ، من : قصر الصلاة ، واباحة الفطر فى رمضان ، وامتداد مدة المسح على الخفين ، وسقوط الجمعة والعيدين والأضحية ، وحرمة الخروج على المرأة الحرة بلا محرم أو زوج .

والذى يعنينا الآن فى هذا الباب ، هو السفر اللغوى [1] ، الذى مضمونه الانتقال من بلد الى بلد ، أو من وطن الى وطن ، فاليك أولا وتمهيدا لذلك :

---

(١) أما السفر الشرعى فسندور حوله بعد ذلك .

أقسام السفر :

والسفر ثلاثة أقسام :

سفر طاعة : كالحج والجهاد •

وسفر مباح : كالتجارة •

وسفر معصية : كقطع الطريق •

وفى احياء علوم الدين قسم — الامام الغزالى رحمه الله تعالى — السفر الى أربعة أقسام :

القسم الأول : السفر فى طلب العلم ، وهو اما واجب ، واما نفل ، وذلك بحسب كون العلم واجبا أو نفلا •••

القسم الثانى : السفر للحج أو الجهاد ، وهو سفر العبادة ••

القسم الثالث : السفر للهرب من سبب مشوش للدين ••

القسم الرابع : السفر هربا مما يقدح فى البدن ، كالطاعون ، أو فى المـــال كغلاء السعر أو ما يجرى مجراه ولا حرج فى ذلك ••

ثم يقول بعد ذلك بايجاز كبير :

فهذه أقسام الأسفار ، وقد خرج منه :

أن الســفر ينقسم الى مذموم ، والى محمود ، والى مباح ، والمذموم ينقسم الى حرام ، كاباق — أى هرب — العبد ، وسفر العاق لوالديه أو لأحدهما • والى مكروه : كالخروج من بلد الطاعون • والمحمود ينقسم الى واجب : كالحج وطلب العلم الذى هو فريضة على كل مسلم[1] ، والى مندوب اليه : كزيارة العلماء وزيارة مشاهدهم •

وفى القرطبى — وحول تفسير الآية رقم ١٠٠ من سورة النساء فى المسألة الخامسة — يقول :

قسم العلماء رضى الله عنهم الذهاب فى الأرض قسمين : هربا ، وطلبا :

فالأول وهو الهرب ينقسم الى ستة أقسام :

الأول : الهجرة وهى الخروج من دار الحرب الى دار الاسلام ، وكانت فرضا فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم ، وهذه الهجرة باقية مفروضة الى يوم القيامة ، والتى انقطعت بالفتح وهى القصد الى النبى صلى الله عليه وسلم حيث كان ، فان بقى فى دار الحرب عصى ، ويختلف فى حاله •

---

(١) قال العلماء : ومسلمة •

الثـــانى : الخروج من أرض البدعة ، قال ابن القاسم : سمعت مالكا يقول : لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يسب فيها السلف :

قال ابن العربى : وهذا صحيح ، فان المنكر اذا لم تقدر أن تغيره فزل عنه ، قال الله تعالى : **« واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنـــا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين »**(١) .

الثالث : الخروج من أرض غلب عليها الحرام ، فان طلب الحلال فرض على كل مسلم .

الرابع : الفرار من الأذية فى البدن ، وذلك فضل من الله أرخص فيه ، فاذا خشى على نفسه فقد أذن الله له فى الخروج عنه والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور . وأول من فعله ابراهيم عليه السلام ، فانه لمـــا خاف من قومه ، قال : **« انى مهاجر الى ربى »**(٢) وقـــال : **« انى ذاهب الى ربى سيهدين »**(٣) وقال الله تعالى مخبرا عن موسى عليـــه الســـلام : **« فخرج منها خائفا يترقب »**(٤) .

الخامس : خوف المرض فى البلاد الوخمة(٥) والخروج منها الى الأرض النزهة(٦) ، وقد أذن النبى صلى الله عليه وسلم للرعاة حين استوخموا المدينة أن يخرجوا الى المسرح(٧) فيكونوا فيه حتى يصحوا .

وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون ، فمنع الله سبحانه وتعالى منه بالحديث الصحيح عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، الذى يقول فيـــه :

« ان هذا الوجع أو السقم رجز عذب به بعض الأمم قبلكم ، ثم بقى بعد فى الأرض فيذهب المرة ويأتى الأخرى فمن سمع به فى أرض فلا يقدمن عليه ، ومن وقع بأرض وهو بها فلا يخرجنه الفرار منه » الحديث متفق عليه واللفظ لمسلم .

السادس : الفرار خوف الأذية فى المـــال ، فان حرمة مال المسلم كحرمة دمه ، والأهل مثله وأوكد .

---

(١) الأنعام : ٦٨ — (٢) العنكبوت : ٢٦
(٣) الصافات : ٩٩ — (٤) القصص : ٢١
(٥) أى التى فيها الوباء . — (٦) أى التى لا وباء فيها .
(٧) أى الى الفضاء المتشبع بالهواء النقى .

وأما قسم الطلب ، فينقسم الى قسمين :

طلب دين ، وطلب دنيا ، فأما طلب الدين فيتعدد أنواعه الى تسعة أقسام :

الأول : سفر العبرة ، قال الله تعالى :

« أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم »(١) وهو كثير ، ويقال : ان ذا القرنين انما طاف الأرض ليرى عجائبها ، وقيل : لينفذ الحق فيها .

الثانى : سفر الحج . والأول — وهو سفر العبرة — وان كان ندبا ، فهذا فرض .

الثالث : سفر الجهاد وله أحكامه(٢) .

الرابع : سفر المعاش ، فقد يتعذر على الرجل معاشه مع الاقامة فيخرج فى طلبه لا يزيد عليه ، من صيد أو احتطاب ، أو احتشاش ، فهو فرض عليه .

الخامس : سفر التجارة والكسب الزائد على القوت وذلك جائز بفضل الله سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى : **« ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم »**(٣) يعنى التجارة ، وهى نعمة من الله بها فى سفر الحج ، فكيف اذا انفردت .

السادس : فى طلب العلم ، وهو مشهور ، — ولسوف نقف بعد ذلك على فضله — .

السابع : قصد البقاع ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجدى هـذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » .

الثامن : قصد الثغور للرباط بها وتكثير سوادها للذب عنها .

التاسع : زيارة الاخوان فى الله تعالى .

* * *

---

(١) الروم : ٩ ، فاطر : ٤٤

(٢) ويستطيع الأخ القارىء أن يقف على تلك الأحكام فى كتب التفسير والحديث .

(٣) البقرة : ١٩٨

والآن وبعد أن وقفنا على تعريف السفر وأهم أقسامه ، وقبل أن أواصل شرح المقصود من تلك الوصية العظيمة ، أرى أن أذكر الأخ القــارىء ببعض الآيات القرآنيــة ، والأحاديث الشريفة ، والآثار الموضوعية المرغبة فى أهم أنواع تلك الأسفار المحمودة التى ان كان من أهلها : صح جسده ، وكثر ماله ، ونمى عقله ، وكان محبوبا عند الله ، وعند الناس ، ولا سيما اذا كان متوجا كل هذا بالايمان القويم ، والخلق الكريم ، فاليــه :

فضل طلب العــلم النافع

قال الله تعالى : **« شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط »**(١) •

فقد بدأ الله سبحانه وتعالى بنفسه ، وثنى بالملائكة ، وثلث بأهل العلم • وناهيك بهذا شرفا وفضلا ، وجلاء ونبلا •

وقال الله تعالى : **« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العــلم درجات »**(٢) •

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ، ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام » •

وقال تعــالى : **« قال الذى عنده علم من الكتاب(٣) أنا آتيك به »** تنبيها على أنه اقتدر بقوة العلم •

وفى فضل العلم ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الأنبياء » رواه أبو داوود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى الدرداء •

« من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده » متفق عليه من حديث معاويــة دون قوله : ويلهمه رشده • وهــذه الزيادة عند الطبرانى فى الكبير •

« يستغفر للعالم ما فى السماوات والأرض » • بعض حديث أبى الدرداء المتقدم الذى رواه أبو داوود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه •

---

(١) آل عمران : ١٨   (٢) المجادلة : ١١

(٣) وهو آصف بن برخيا ، وقد كان وزيرا لسليمان عليه السلام — والآية من سورة النمل : ٤٠

وأى منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السماوات والأرض بالاستغفار له ، فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له •

« فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى » رواه الترمذى من حديث أبى أمامة وقال : حسن صحيح •

وفى الآثار :

يقول على كرم الله وجهه ورضى الله عنه لكميل : « يا كميل •• العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق » •

وقال على أيضا :

« العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد ، واذا مات العالم ثلم فى الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه » •

وقال أيضا رضى الله عنه ، نظما :

ما الفخر الا لأهل العلم انهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا ... الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود الدؤلى : ليس شىء أعز من العلم ، الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك :

ان الأكابر يحكمون على الورى ... وعلى الأكابر يحكم العلماء

وقال أيضا أبو الأسود ، نظما :

العلم زين وتشريف لصاحبه ... فاطلب هديت فنون العلم والأدبا
كم سيد بطل آباؤه نجب ... كانوا الرؤوس فأمسى بعدهم ذنبا
ومقرف خامل الآباء ذى أدب ... نال المعالى بالآداب ، والرتبا
العلم كنز وذخر لا فناء له ... نعم القرين اذا ما صاحب صحبا
قد يجمع المال شخص ثم يحرمه ... عما قليل فيلقى الذل والحوبا
وجامع المال مغبوط به أبدا ... ولا يحاذر منه الفوت والسلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه ... لا تعدلن به درا ولا ذهبا

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : خير سليمان بن داوود عليهما السلام بين العلم والمال والملك ، فاختار العلم ، فأعطى المال والملك معه[1] •

---

(١) اى مع العلم •

وسئل ابن المبارك رضى الله عنه : من الناس ؟ فقال : العلماء ، قيل : فمن الملوك ؟ قال : الزهاد ، قيل : فمن السفلة ؟ قال : الذين يأكلون الدنيا بالدين .

وقال بعضهم : ان العلم قبس من نور الله ، وقد خلق الله النور كشافا مبصرا ولادا للحرارة والقوة ، وجعل العلم مثله وضاحا للخير ، فضاحا للشر ، يولد فى النفوس حرارة وفى الرؤوس شهامة .

وقال الامام الشافعي رضى الله عنه : ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم ، فهو نور يهتدى به الحائر .

وقال الشاعر فى هذا المعنى :

بالعلم تحيا نفوس قط ما عرفت ... من قبل ما الفرق بين الصدق والمين
العلم للنفس نور يستدل به ... على الحقائق مثل النور للعين

وقال أيضا :

ولولا العلم ما سعدت نفوس ... ولا عرف الحلال من الحرام
فبالعلم النجاة من المخازى ... وبالجهل المذلة والرغام[1]
هو الهادى الدليل الى المعالى ... ومصباح يضىء به الظلام

ولهذا ، ومن أجل كل هذا ، فقد رغب سبحانه وتعالى فى طلب العلم ، فقال :

« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين »[2] .

كما رغب النبى صلى الله عليه وسلم أيضا فى طلبه ، فقال : « من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

و « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة » رواه مسلم عن أبى هريرة .

و « من سلك طريقا يبتغى فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع ، وان العالم ليستغفر له من فى السماوات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وان العلماء ورثة الأنبياء ، وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، انما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » رواه أبو داوود والترمذى .

---

(١) الرغام بالفتح : التراب ، وأرغم الله أنفه ، أى الصقه بالتراب .
(٢) التوبة : ١٢٢

وقد رحل جابر بن عبد الله من المدينة الى مصر مع عشرة من الصحابة ، فساروا شهرا فى حديث بلغهم عن عبد الله بن أنيس الأنصارى يحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه •

وكان سعيد بن المسيب يسافر الأيام فى طلب الحديث الواحد •

وكان الشعبى رحمه الله يقول : لو سافر رجل من الشام الى أقصى اليمن فى كلمة تدله على هدى ، أو ترده عن ردى ، ما كان سفره ضائعا •

فاذكر كل هذا أخا الاسلام :

واطلب العلم ولا تكسل فما	أبعد الخيرات عن أهل الكسل
لا تقل قــد ذهبت أربابه	كل من سار على الدرب وصل
فى ازدياد العلم ارغام العدا	وجمال العلم اصلاح العمل

وحسبك أنك ستكون بهــذا من هــؤلاء الموفقين الذين نفــروا :

« ••• ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليــهم لعــلهم يحذرون »[1] •

* * *

فضل الحج والجهاد

والحج والجهاد فى سبيل الله تعالى : من أفضل الأعمال التى ان تقرب بها العبد الى الله تعالى ، كان من كبار الموفقين :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل النبى صلى الله عليــه وسلم : « أى العمل أفضل ؟ قال : ايمان بالله ورسوله • قيل : ثم ماذا ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله • قيل : ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور » متفق عليه •

والحج المبرور : هو الذى لا يرتكب صاحبه فيه معصية •

قال فى احياء علوم الدين :

« ويدخل فى جملته ، زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام ، وزيارة

---

(١) التوبة : ١٢٢

قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء ، والأولياء ، وكل من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته[١] .

ويجوز شد الرحال لهذا الغرض ، ولا يمنع من هذا ، قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » .

ثم يقول فى الاحياء مواصلا كلامه :

لأن ذلك فى المساجد ، فانها متماثلة بعد هذه المساجد ، والا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء ، والأولياء ، والعلماء فى أصل الفضل ، وان كان يتفاوت فى الدرجات تفاوتا عظيما ، بحسب اختلاف درجاتهم عند الله .

ثم أيضا بعد ذلك يقول : وبالجملة زيارة الأحياء أولى من زيارة الأموات ، والفائدة من زيارة الأحياء طلب بركة الدعاء ، وبركة النظر اليهم ، فان النظر الى وجوه العلماء والصلحاء عبادة ، وفيه أيضا حركة للرغبة فى الاقتداء بهم ، والتخلق بأخلاقهم وآدابهم ، هذا سوى ما ينتظر من الفوائد العلمية المستفادة من أنفاسهم وأفعالهم ، كيف لا ومجرد زيارة الاخوان فى الله فيه فضل عظيم ، وثواب كبير :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم : « أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى فأرصد الله تعالى على مدرجته[٢] ملكا ، فلما أتى عليه ، قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القرية . قال : هل لك عليه من نعمة تربها[٣] عليه ؟ قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله تعالى ، قال : فانى رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » رواه مسلم .

وفى التوراة : « سر أربعة أميال زر أخا فى الله » .

ثم يقول فى الاحياء :

وأما البقاع فلا معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة ، وسوى

---

(١) هذا على شريطة أن تكون الزيارة زيارة شرعية : لا يطوف فيها حول القبر ، ولا يسأل صاحب القبر من دون الله ، لأن فعل هذا قد يؤدى الى الشرك بالله — والعياذ بالله — مع ملاحظة أنه لا طواف فى الشرع الا حول الكعبة فقط ، ولا تقبيل الا للحجر الأسود .

(٢) المدرجة : أى الطريق .

(٣) أى تقوم بها وتسعى لصلاحها .

الثغور للرباط بها ، فالحديث ظاهر فى أنه لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع الا الى المساجد الثلاثة ..

وقد خرج ابن عمر من المدينة قاصدا بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ، ثم كر راجعا من الغد الى المدينة ..

ومن أهم بركات الحج وأسراره ، ما أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى تلك الأحاديث الشريفة ، التى منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد ، والذهب ، والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة » أخرجه الترمذى فى سننه بسنده عن عبد الله بن مسعود .

« من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » أخرجه البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة .

« ان الحاج حين يخرج من بيته لم يخط خطوة الا كتب الله له بها حسنة ، وحط عنه بها خطيئة ، فاذا وقفوا بعرفات ، باهى الله بهم ملائكته ، يقول : انظروا الى عبادى ، أتونى شعثا غبرا ، أشهدكم أنى غفرت ذنوبهم وان كانت عدد قطر السماء ، ورمل عالج[1] .

واذا رمى الجمار لم يدر أحد ما له حتى يتوفاه الله تعالى يوم القيامة ، واذا حلق شعره فله بكل شعرة سقطت من رأسه نور يوم القيامة ، فاذا قضى آخر طوافه بالبيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » رواه ابن حبان فى صحيحه عن ابن عمر .

فاحرص أخا الاسلام على السفر الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج التى فرضها الله عليك مرة واحدة فى العمر .

وحسبك بهـذا أنك ستفوز بتلك البركات التى وقفت عليها فى الأحاديث الشريفة السابقة ، بل وحسبك أن تعلم أنك هناك ستلتقى باخوانك المسلمين من كل بقاع الأرض ، والذين تستطيع معهم — فى هـذا المؤتمر الاسلامى الكبير — بحث جميع المشاكل ، والمصالح الخاصة بهم وببلادهم .

ولو وفق رؤساء المسلمين للاجتماع كل عام هناك ، لبحث كل ما يتعلق بأوطانهم من مؤامرات ، وخلافات : لاستطاعوا — ببركة هـذا

---

(١) جمعه : « عوالج الرمال » وهو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه فى بعض .

البيت العتيق الذى « جعله الله مثابة للناس وأمنا »[١] — أن يتفقوا على حلول لتلك المشاكل ، وأن يتحدوا جميعا فى مواجهة تلك المؤامرات التى تحاك ضدهم وضد دينهم وأوطانهم ومواطنيهم ..

وأما عن الجهاد فى سبيل الله : فهو ذروة سنام الاسلام ، كما جاء فى حديث من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد أمر الله تعالى المؤمنين بأن يخرجوا فى سبيل الله لمواجهة أعدائهم ، فقال : **« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله »**[٢] .

وقال تعالى : **« لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما »**[٣] .

وفى السنة ، ورد :

عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، وروحة يروحها العبد فى سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها » متفق عليه .

وعن سلمان رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات فيه أجرى عليه عمله الذى كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان » رواه مسلم .

وعن عثمان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

فاذكر كل هذا ، وكن على أتم استعداد للخروج فى سبيل الله لرفع راية الاسلام فى أى مكان على وجه الأرض : حتى اذا ما دعا داعى الجهاد ، كنت من المؤمنين الذين اشترى الله تعالى منهم

---

(١) الآية : ١٢٥ من البقرة بلفظ : **« واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا »** .

(٢) التوبة : ٤١ (٣) النساء : ٩٥

« أنفسـهم وأموالهم بأن لهم الجنـة »[١] وكنت كذلك من الذين سيفوزون ان شاء الله تعالى باحدى الحسنيين : النصر أو الاستشهاد •

وحذار أن تكون كهذا الذى عناه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى قوله : « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق » رواه مسلم عن أبى هريرة •

* * *

فضل سفر التجارة والكسب

وحسب الأخ القارىء اذا أراد أن يقف على فضل السعى على الرزق أن يعلم أن الله تعالى قدم الذين يضربون فى الأرض ابتغاء لفضله على الذين يقاتلون فى سبيله ، فقال : **« وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله »**[٢] •

وهذا شرف عظيم للعاملين •

وقد أمر الله تبارك وتعالى بالسعى على الرزق فقال : **« فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور »**[٣] •

وفى الحديث الشريف يقول صلوات الله وسلامه عليه :

« لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق منه ويستغنى به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه » ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة •

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يقول : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللهم ارزقنى ، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة • وكان يقول : « ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب الى من موطن أتسوق فيه لأهلى أبيع وأشترى » •

ولهذا : فقد قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه مشيرا الى أهمية السفر وايجابياته :

ما فى المقـام لذى عقـل وذى أدب
من راحـة فدع الأوطـان واغترب
سـافر تجـد عوضـا عمن تفـارقه
وانصب[٤] فان لذيذ العيش فى النصب

---

(١) التوبة : ١١١ (٢) المزمل : ٢٠
(٣) الملك : ١٥ (٤) النصب : أى التعب .

انى رأيت وقوف الماء يفسده
ان سال طاب وان لم يجر لم يطب
الأسد لولا فراق الغاب[١] ما افترست[٢]
والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والشمس لو وقفت فى الفلك[٣] دائمة
لملها الناس من عجم ومن عرب
والتبر[٤] كالترب[٥] ملقى فى أماكنه
والعود فى أرضه نوع من الحطب
فان تغرب هذا عز مطلبه
وان تغرب ذاك عز كالذهب

فاذكر كل هذا أخا الاسلام ، وكن من الآخذين بأسباب طلب الرزق ، وحسبك ما أشار اليه سبحانه وتعالى ، فى قوله : **« ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة »**[٦] .

* * *

تعليق حول ما وقفنا عليه :

وما أريد أن أعلق به ، هو أننا اذا كنا قد وقفنا على تعريف السفر ، وفضل السفر فى طلب العلم النافع ، وفضل السفر الى مكة لأداء فريضة الحج ، وفضل السفر الى الثغور للرباط بها ، وفضل سفر التجارة والكسب .

فاننى أريد بعد ذلك أن أقول شيئا ، وهو أن السفر المباح هذا ، بالاضافة الى ما فيه من الفوائد الدنيوية والأخروية .

فيه كذلك من الفوائد الصحية الكثير والكثير ، لأن السفر بطبيعته مبنى على الحركة ، والحركة فى حد ذاتها من أهم الأسباب التى تعود على الانسان بالصحة والعافية .

وذلك لأن الجسم المتحرك ، هو الذى تنشط جميع أعضائه ، ويستطيع صاحبه أن يكون ايجابيا فى جميع مراحل حياته .

---

(١) جمع غابة . (٢) أى ما اصطادت .
(٣) الفلك : بتسكين اللام : جمع فلك وهو مدار النجوم .
(٤) التبر : اى الذهب فى ترب . معدنه .
(٥) اى التراب .
(٦) اى : وسعة فى الرزق ــ والآية من سورة النساء : ١٠٠

أما الجسم الخامل ، فان صاحبه سيظل طوال حياته مريضا ، ومتخلفا فى جميع دروب الحياة الدنيوية ، التى هى السبيل الى تحقيق السعادة الأخروية ، ان استطاع الانسان أن يغتنم كل لحظة فيها ، بما يقدمه من أعمال صالحة تنفعه هناك : **« يوم ينظر المرء ما قدمت يداه »**(١) .

ولله در على رضى الله عنه ، فلقد قال : « من أمضى يومه فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مسجد بناه ، أو حمد حصله ، أو علم اقتبسه : فقد عق يومه وظلم نفسه » .

وقد يكون السبب المباشر ، فى الكسل أو عدم الحركة الايجابية : هو كثرة الطعام والشراب ، الذى هو أيضا الأساس غالبا فى كثير من الأمراض :

قال : الـــداء أكثر ما تراه   يكون من الطعام أو الشراب

والى هــذا يشير الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « المعدة بيت الداء » ، وقوله : « ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن ، بحسب ابن آدم أكيلات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » . رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .

ويقول لقمان الحكيم عليه السلام ، لولده : « يا بنى اذا امتلأت المعدة ، نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة » .

ولهذا : فقد رأيت — والشىء بالشىء يذكر — أن أذكر ببعض الحقائق الطبية(٢) المتعلقة بأهمية الحركة ونتائجها الايجابية ، حتى ننشط ولا نكسل ، وحتى يتحقق المعنى المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « سافروا تصحوا » .

فقد ورد فى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أخشى ما خشيت على أمتى كبر البطن ومداومة النوم والكسل »(٣) .

* * *

---

(١) النبأ : ٤٠ .

(٢) كما فى كتاب ارشاد الانسان الى صحة الأبدان ، تأليف المتوكل على الله عابدين خير الله .

(٣) رواه الدارقطنى عن جابر رضى الله عنه .

وأول تلك الحقائق الطبية ، عن :

منشـأ الكسـل

وخلاصة ما قيل فى هـذا ، هو أن منشأ الكسل يرجع الى عدم تربية الأبناء بتحسين أحوالهم وتهذيب أخلاقهم ، وتعويدهم من الصغر على الأشغال والتجلد على المشاق وتدريبهم على اكتساب فضائل الرجال وهمة الأبطال ، وتنوير عقولهم وارشادهم لما فيه صحة أبدانهم وحفظ أمور دينهم ، خصوصا بترك محبة شهوة البطن بحيث أن الطفل لا يجعلها نهاية بغيته ومركز دائرة مرغوبه ، لأنها تدل على الدناءة وقلة العقل والطيش ولا يتمتع صاحبها بالعيش الهنيء وتكون سببا لضعف الهمة وقلة المروءة ..

ولهذا ، فان الانسان اذا كان عفيف البطن سيكون متصفا بالخصال الآتيـة :

لا يطرأ عليـه ضرر فى المعدة وفقد الصحة .

يكون بعيـدا عن الشره وارتكاب الدنـاءة .

يكون محبوبا عند الناس لقناعته وعفة نفسه .

يكون مالكا لنفسه الأمارة بالسوء ، رادعا لها عن مسيرها فى سبيل الشهوات .

يكون متمتعا بنور العقل وقوة الادراك وصفاء الذهن وحضور البرويـة .

يكون قويا على الحركة وسرعة العمل لخفة جسمه وسلامة بطنه وغير ذلك من الفوائد الصحية والخصال الحميدة .

هذا : ولا يخفى أن الكسالى قد يكونون اما نحفاء الأجسام ضعاف الأصوات . أو ضخام الأبدان متراخين تقعدهم كثرة الشحم عن المشى وسرعة الحركة ، وما أحسن قول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « اياكم والبطنة فانها ثقل فى الحياة ، نتن فى الممات » كيف لا وأكثر من يتصف بها تراهم منغصى العيش محتاجين الدواء والطبيب لأن الأمراض والآفات العادية التى يقوى عليها غيرهم من الناس تتغلب عليـهم لضعف كليتهم وفساد صحتهم .

ومن الحكمة الجزيلة الفائدة على ردع النفس الخبيثة عن تجاوزها حد الشهوة البطنية ، قول أمير المؤمنين علي رضى الله عنه : « من كانت همته فى بطنه فمقامه ما ينزل منه » .

* * *

وثانى تلك الحقائق الطبية ، عن :

مضـــار الكســـل

وخلاصة الكلام كذلك ، حول هذا الباب ، هو أن الكسل والترفه والتعود على كثرة القعود وترك العمـــل ، مضر بالجســـم ووظائف أعضائه ، ومؤد الى ضعف الأعصاب واسترخاء العضل ، لأنه موجب لضعف الحركة العضوية وانحطاط القوة الحيوية ، فيكون سببا لبلادة الذهن وخمود وظائف البدن ، وتأثره من البرد على أخف أسبابه لضعف دورة الدم المؤدى لضعف حركة الأعضاء وهبوط حرارة الجسم •

وقد تبين أن الأعمال العضوية متوقفة على قوة الدم وجريانه فى أجزاء الجسم ، اذ هو الذى يحمل الأوكسجين من الرئتين الى جميع أجزاء الجسم ويوصل الغذاء الى هـــذه الأجزاء وينقل جميع ما تحلل واستهلك من أنسجتها الى الأعضاء التى وظيفتها الافراز ، والكسل موجب لضعف هذه الأمور الثلاثة المهمة التى يتوقف عليها أعمال الأعضاء المختلفة القائمة بضروريات الحياة وخصائصها المتنوعة وأفعالها المتباينة اذ أنه كما تقدم يضعف الحركة العضوية ، فتضعف الوظائف الحيوية وأهمها الحركة النفسية التى بها يقل مقدار العنصر المقوى المتص من الهواء الجوى ، ويترتب على ذلك :

أولا : برودة الدم وانحطاط قوة حيويته التى يترتب عليها خمول الحركة العضوية لنقص القوة المنبهة لهـــا من الدم وهبوط الحرارة البدنية ، وحصول سوء التغذية العمومية •

ثانيا : عدم تطهر الدم وفساد كراته الحمراء بغاز حمض الكربونيك وغيره ، لأنه نظرا لضعف قوة الحركة النفسية يزداد مقدار هـــذا الغاز فى الدم فيثبت على كراته الحمراء ، ويضعف قوتها لامتصاص الأوكسجين وبذلك تضعف حيوية الدم •

ثالثا : حبس فضلات الجسم بسبب خمول الأعضاء وقلة الاحتراق لأن وجود مقدار غير كاف من الأوكسجين فى الدم يضعف القوة المنبهة ، وينشأ من ذلك فتور الحركة العضويـــة وقلة الاحتراق فى العضلات البدنية •

رابعا : ينبنى على ضعف الدم وتراكم غاز حمض الكربونيك على كراته الحمراء ، حصول ضعف فى المجموع العصبى والعضلى ، فتضعف ضربات القلب وجريان الدم ، وتثقل المنبهات الحيوية للدماغ والأعصاب

الحركة والحساسة بسبب نقصان خواص الدم كالأوكسجين وعناصر التغذيـــة ، وبذلك تنحط جميع الوظائف الحيوية ويحصل تكدرات فى التغذية العمومية ، واسترخاء فى جميع الأنسجة العضوية ، وخمول فى القوى البدنية العقلية .

* * *

وثالث تلك الحقائق الطبية ، عن :

فوائد الرياضة البدنيـــة

وفوائد الرياضة البدنية للصحة جليلة ونتائجها عظيمة :

ومن المعلوم أن الحياة — كما علمنا — لا تظهر الا بالحركة ، لأن كل عضو اشتمل عليه الجسم له فعل وكل فعل حيوى مفتقر الى الحركة ، ولذا جعلها الله عامة فى الأكوان وعلق عليها بقاء الحياة وبها أرزاق الحيوانات ، فقال تعالى : **« فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه »**(١) وجعل ارتباط الصحة بها فوائد عامة ومنافع خاصة ، فهى نعمة جليلة ، وحكمة بالغة جميلة .

والحركة فى علم الصحة هى الرياضة البدنية التى كما عرفهـا الأستاذ ابن سينا عبارة عن حركة ارادية يضطر فيها المرء الى التنفس القوى المتواتر ، ولذا كانت أمرا مهما فى حفظ الصحة ، وبرء المرض ، فان المداومة بالرياضة الصحية أعظم سبب لزيادة قوة المريض وانتظام حركته لأن البدن يكتسب حالة أصلح لسهولة التنقية وجودة التغذية اذ الحركة البدنية معدة لتقوية التنفس وموازنته ولا يخفى أن التنفس هو الميزان الذى به تنتظم أعمال أعضاء الجسم وأجهزته ، ويحفظ تركيب الدم ويجدد قوته .

فمما هو مقرر فى علم الصحة ، وثابت بالتجربة والبراهين القوية ، أن الرياضة البدنية موجبة لانتظام سير الدورة الدموية وتقويتها ، وبذلك تتخلص الأعضـــاء الباطنية ومراكز الأعصـــاب من كثرة الدم والاحتقانات المختلفة التى ربما أبطأت بالأعضاء عن قيامها بأعمالها أو أوقفتها عن تأدية وظائفها .

ومن أعظم الفوائد الناشئة من استعمال الرياضة البدنية تحليل فضلات الجسم النجسة واذابتها واخراجها من منافذها ومجاريها ،

---

(١) الملك : ١٥

اذ بقاؤها فيه وتغلبها على النافع موجب لاضطرابه وحرمانه من صحته ووقوعه فى الضعف والكسل المؤديين الى الخمول وعدم الحركة المفضى الى عدم القدرة عليها فى المستقبل ، فتستولى عليـــه الأمراض الجسمية والعقلية التى تكدر صفو معيشته ، وتحول بينه وبين التمتع بفوائد الحيـــاة .

فالرياضة البدنية تكسب البدن صحة ونشاطا ، والعقل قوة وذكاء ، والروح خفة وصفاء ، والنفس نزهة وانشراحا : لأنها تعين الأعضاء على أفعالها فلا تخور قواها . وبذلك تنال دوام الصحة ، وكذا تجعل فيه قدرة على تحمل التأثيرات الجوية ، وتكسب النفس سلطانا على الجسم فتجعل فيه ميلا الى العمل وترك الكسل ، وارتياحا الى الأعمال الشاقة .



ولكون استعمال الرياضة البدنية نافعا لتقوية الجسم ولمعالجة بعض الأمراض ، اضطررت لتوضيح تأثيرها فى الجسم ، فأقول تحت عنوان :

تأثير الرياضة فى النفس

الرياضة البدنية تزيد حركة التنفس زيادة عظيمة حتى انه بالجرى عند التعود عليه تصل الى سرعة عظيمة بدون تكلف ولا حصول تلهف ، وينتج عن هــذه الحركات التنفسية جملة فوائد عظيمة ونتائج مقويـــة خصوصا للصدر :

منها تجديد الهواء بسرعة فى الرئتين ، وبذلك يكون الهواء الداخل فيهما أكثر من الهواء الذى يستنشقه الواقف الساكن .

ومنها زيادة توارد الدم الوريدى الى الرئتين ، وهــذا يقتضى زيادة توارده الى البطين الأيمن ، ومن ثم تزداد حركات القلب ، ويسرع جريان الدم فى عروق الجسم ، وبناء على ذلك يحصل نشاط فى ضربات القلب وتصير أقوى وأسرع .

ولمقاومة هــذه السرعة القلبية سببان ، أحدهما : القوة العضلية القلبية . والثانى : زيادة السعة الرئوية وهما مكتسبان من ممارسة الرياضة البدنية .

ومن أهم أنواع الرياضة البدنية :

أن يسافر الانسان ، طلبا للعيش ، أو طلبا للعلم ، أو لأداء فريضة الحج ، أو لزيارة أخ فى الله .. ــ كما عرفنا قبل هذا ــ :

انه عندما سيتحرك من موطنه من أجل هذا الهدف الأسمى ، سيكون قد أخذ بالأسباب المؤدية الى قوته المادية ، والعقلية ، والروحية ، والبدنية • لأنه سيكون قد تحرك تحركا ماديا ، وعقليا وروحيا ، وبدنيا •

وسيكون بذلك كذلك ، قد استطاع أن يثبت وجوده فى تلك الحياة الأولى بصورة عملية ، وبصورة ايجابية ، أهم ما يميزها ، أنه قد عرف قيمته فى تلك الحياة كانسان عاقل يمشى على الأرض ، ويدرك تماما أهمية وجوده فى تلك الحياة التى هى دار العمل ، والتى هى مزرعة الآخرة التى هى دار الحساب الذى بعده سيتحدد مصير الانسان ، اذا كان من أهل الجنة أم من أهل النار •

ولهذا ، فاننى أريد كذلك أن أقول شيئا :

وهو أننا اذا كنا ان شاء الله تعالى من هؤلاء العقلاء الذين يعرفون تماما وباقتناع أهمية وجودهم فى تلك الحياة :

فانه لابد لكى يؤكد كل منا هذا : لابد وأن يكون صاحب منهج قويم يسير على هداه ، بمعنى أن يخطط لنفسه نظاما سليما[1] ، يستطيع من خلاله أن يرى اذا كان موفقا فى حياته أم لا •

وذلك لن يكون الا عن طريق السفر المباح الذى سيكتشف من خلاله — اذا كان مخلصا فى نيته — اذا كان من الرجال الذين عمروا الأرض وزرعوها ، أم من الذين خربوها وأفسدوا فيها •

ولذلك ، فقد قيل : وانما سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن الأخلاق •

فان النفس فى الوطن مع مواتاة الأسباب لا تظهر خبائث أخلاقها لاستئناسها بما يوافق طبعها من المألوفات المعهودة ، فاذا حملت وعثاء السفر ، وصرفت عن مألوفاتها المعتادة ، وامتحنت بمشاق الغربة ، انكشفت غوائلها ، ووقع الوقوف على عيوبها فيمكن الاشتغال بعلاجها •

وكان بشر يقول : يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا ساح طاب ، واذا طال مقامه فى موضع تغير •

وهذا هو المعنى الذى وقفنا عليه سابقا ، والذى يقول فيه الشافعى رضى الله عنه :

---

(١) على أساس من الكتاب والسنة واجماع الأمة •

انى رأيت وقوف الماء يفسده
ان سال طاب وان لم يجر لم يطب

فليذكر الأخ القارىء كل هذا •

وليفهم من خلال ما وقف عليه ، معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « سافروا تصحوا •• » •

واذا كان لنا بعد ذلك أن نقف على معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « واغزوا تستغنوا » •

فان الغزو هو الجهاد فى سبيل الله تعالى •

والجهاد فى سبيل الله تعالى ـ كما عرفنا قبل ذلك ـ هو ذروة سنام الاسلام ، كما جاء فى نص حديث شريف رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح •

والجهاد فى سبيل الله تعالى ، هو التجارة التى ستنجينا من العذاب الأليم •• كما يشير قول الله تبارك وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم • تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم • وأخرى تحبونها ، نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين »[1] •

والجهاد فى سبيل الله تعالى خير من الدنيا وما عليها :

فعن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، وروحة يروحها العبد فى سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها » متفق عليه •

والجهاد ، أربع مراتب :

جهاد النفس ، وجهاد الشيطان ، وجهاد الكفار ، وجهاد المنافقين :

---

(١) الصف : ١٠ ـ ١٣

فجهاد النفس أربع :

أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذى لا سعادة لها فى معاشها ومعادها الا به .

وأن يجاهدها على العمل به بعد علمه .

وأن يجاهدها على الدعوة اليه وتعليمه من لا يعلمه ، والا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى ولا ينفعه علمه ، ولا ينجيه من عذاب الله .

وأن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة الى الله وأذى الخلق .
فمن يستكمل هذه المراتب الأربع يكون من الربانيين .

وأما جهاد الشيطان فمرتبتان :

جهاده على دفع ما يلقى من الشبهات والشكوك القادحة فى الايمان .
وجهاده على دفع ما يلقى من الارادات والشهوات :

فأخبر أن امامة الدين انما تنال بالصبر واليقين ، فالصبر يدفع قال تعالى : « **وجعلنـــا منهم أئمة يهدون بأمرنا لمـــا صبروا ، وكانوا بآياتنـــا يوقنون** »[1] .

فأخبر أن امامة الدين انما تنال باطبر واليقين ، فالصبر يدفع الشهوات والارادات ، واليقين يدفع الشكوك والشبهات .

وأما جهاد الكفار والمنافقين ، فأربع مراتب : بالقلب ، واللسان ، والمـــال ، والنفس .

ومن مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق . كما جاء فى نص حديث شريف .

ولايتم الجهاد الا بالهجرة ، ولا الهجرة والجهاد الا بالايمان .

والراجون رحمة الله هم الذين قاموا بهذه الثلاثة ، قال تعالى : « **ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئـــك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم** »[2] .

ففرض على كل أحد هجرتان فى كل وقت :

هجرة الى الله عز وجل بالتوحيـــد والاخلاص والانابة والتوكل والخوف والرجاء والمحبة والتوبة .

---

(١) السجدة : ٢٤ (٢) البقرة : ٢١٨

وهجرة الى رسوله بالمتابعة والانقياد لأمره وتقديم خبره على خبر غيره : « .. فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه »(١) .

وفرض عليه جهاد نفسه فى ذات الله ، وجهاد شيطانه ، وكل هذا فرض عين لا ينوب فيه أحد عن أحد .



وأما جهاد الكفار والمنافقين ، فقد يكتفى به ببعض الأمة اذا حصل منهم مقصود ، وأكمل الخلق عند الله من كمل مراتب الجهاد كلها ، والخلق متفاوتون فى منازلهم عند ربهم تفاوتهم فى مراتب الجهاد .

والذى يعنينا من كل تلك الأنواع ، هو جهاد الكفار والمنافقين :

فبمجاهدة الكفار والمنافقين يتحقق الخير الكثير ، الذى من أهمه الاستغناء بالغنائم ، كما حدث مثلا فى :

غـــزوة الخنـــدق

التى كانت فى شوال سنة خمس ، والتى كان من أهم أسبابها : أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين على المؤمنين يوم أحد وعلموا بميعاد أبى سفيان ورجوعه للعام المقبل خرج أشرافهم الى قريش بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوالونهم عليه ، فأجابتهم قريش ثم خرجوا الى غطفان وطافوا فى قبائل العرب يدعونهم الى ذلك ، فاستجاب لهم من استجاب ، فخرجت قريش فى أربعة آلاف يقودهم أبو سفيان ، ووافاهم بنو سليم ، وأسد ، وفزارة ، وأشجع ، وجاءت غطفان بقيادة عيينة بن حصن ووافى الخندق من الكفار عشرة آلاف ..

فكانت النتيجة لتلك الغزوة أن أرسل الله على المشركين جندا من الريح والملائكة وكفى نبيه القتال وهزم الأحزاب وحده .

فدخل الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة ووضع السلاح ، فجاءه جبريل عليه السلام وقال له : ان الملائكة لم تضع بعد أسلحتها ، انهض الى غزوة بنى قريظة ، فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) من حديث صحيح رواه البخارى ومسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أوله : « انما الأعمال بالنيات ... » .

« من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة » ، فخرج المسلمون سراعا فقتلوا منهم من قتلوا ، وأسروا منهم من أسروا وأورثهم الله أرضهم وأموالهم ، وهاتان الغزوتان فى سورة الأحزاب ، حيث يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا . اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا »(١) .

الى قوله تعالى :

« ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم(٢) **وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها ، وكان الله على كل شىء قديرا »**(٣) .

* * *

وكما حدث فى :

غـــزوة خيبر

التى خلاصتها ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم لمــا قدم المدينة من الحديبية ، مكث بها عشرين ليلة ثم خرج غازيا الى خيبر ، وكان الله تعالى قد وعده اياها فى الحديبية ، بقوله : **« وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هــذه »**(٤) .

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم الى قصرهم ، فغلب على الزرع والنخل والأرض فصالحوه على أن يجلوا منها ولهم ما حملت ركابهم الا السلاح ، ولمــا أراد أن يجليهم ، قالوا : يا محمد .. دعنا فى هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها فنحن أعلم بها منكم .

---

(١) الأحزاب : ٩ ــ ١١

(٢) الصياصى : هى الحصون الحربية .

(٣) الأحزاب : ٢٥ ــ ٢٧ (٤) الفتح : ٢٠

ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها ، وكانوا لا يفرغون يقومون عليها ، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع وكل ثمر ما بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم ، وكان عبد الله بن رواحة يخرصه عليهم(١) .

وقد قسم الرسول صلى الله عليه وسلم نصف خيبر على أهل الخمس والغانمين ، وأبقى النصف لما ينزل به من أمور المسلمين .

والامام مخير فى الأرض المفتوحة عنوة — أى : قهرا — بين قسمها ووقفها ، وقسم بعضها ووقف البعض .

وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنواع الثلاثة ، فقسم قريظة والنضير ، ولم يقسم مكة — لأنها دار نسك لا تملك ، فهى حرم الرب الذى جعله للناس سواء العاكف فيه والباد — وقسم شطر خيبر وترك شطرها .

وفى الصحيحين وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسهم للفارس ثلاثة أسهم : سهم له ، وسهمان لفرسه ، وللراجل — أى الماشى — سهما .

وفى هذه الغزوة سبيت صفية بنت حيى بن أخطب فأسلمت واصطفاها النبى صلى الله عليه وسلم لنفسه وأعتقها وجعل عتقها صداقها ..

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر الى وادى القرى ، وكان بها جماعة من اليهود ، ففتحها عنوة ، وعاملهم على الأرض والنخيل وكذلك فدك — وهى أرض بخيبر فوق يثرب — .

قد يكون هذا هو المعنى المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « واغزوا تستغنوا » : أى بتلك الغنائم التى تعود عليكم من الغزو .



ولكننى أميل الى رأى آخر ، وهو أن المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم هذا ، قد يكون معناه ، والله أعلم :

غزو جميع ميادين العمل الشريفة ، التى لا شك أن العامل فيها — باخلاص وأمانة — سيربح منها ومن ورائها الخير الكثير .

---

(١) الخرص : حزر ما على النخل من الرطب تمرا ..

واذا كنت أستنتج هذه فلأنى أريد من خلال هذا الاستنتاج أن أذكر بأهمية تلك الأعمال الشريفة، التى منها أو من أهمها :

التجــارة

فالتجارة من الأمور الضرورية للهيئة الاجتماعية ، وعليها تتوقف حياة كل أمة ، وهى السبب فى تعليم الشعوب حب الاستقلال بالأفكار والأعمال ، وحب الاعتماد على النفس وما امتازت دولة على أخرى الا وكان للتجارة الفضل الأكبر فى سعادتها •

وهى ركن من أركان الحضارة ، وأصل من أصول التقدم وطريق الى الغنى والثراء ، وكل خير وهناء ، بها ترقى الصناعة ، وتتقدم الزراعة ، ويظهر أهل الجد والنشاط والسعى والاجتهاد : يصنع الصانع فيجد من ينتفع بمصنوعاته شرقا وغربا ، ويزرع الزارع فيرى من يستفيد من مزروعاته فى بلاده وفى غير بلاده ، فيزداد الصانع نشاطا وقوة ، والزارع جدا وسعيا ، فيعم الخير والهناء جميع الناس •

وليست كل أرض تقوم بحاجات أهلها ، وقلما تتوفر فيها موارد الحياة ، فمن الواجب أن يتبادل الناس فيأخذ كل ما يفتقر اليه من الآخر حتى يعيشوا فرحين مسرورين •



وقد قرأت الآتى تحت عنوان :

شروط التجــارة

أهم ما يلزم للتاجر معرفة الشروط الآتية :

أن يكون عنده رأس المــال الكافى لتجارتــه لا أن يستدينــه بالأرباح ، أو بالربا والعياذ بالله ••

وهذا لا شك سيكون سببا فى خسارة تلك التجارة وعدم نجاحها •

أن يكون مقتصدا وموفرا بحيث لا يمس رأس المــال ، بل يجب أن يضيف اليه قسما من الربح لأن آفة التجارة دودة الاسراف ، وسماد أرضها الاقتصاد والتوفير •

أن يكون عالمــا جيدا بأصول التجارة وخبيرا بأحوال السوق ، فعليه أن يعلم معدل الربح فى كل صنف ، ويتحقق السعر الذى يباع به عادة ليعلم السعر الذى يجب أن يشترى به • وأن يكون ماهرا فى شراء الأصناف أكثر من بيعها بحيث يشتريها بأرخص مما تباع ليكون ربحه مؤكدا ••

الى آخر تلك الشروط التي من أهمها ، أن يكون قانيا ، وقد قرأت أن لفظ « تاجر » يشتمل على أربع حروف وهي : التاء ، والألف ، والجيم ، والراء .

فالتاء : لابد وأن يكون تقيا ، والألف : لابد وأن يكون أمينا . والجيم : لابد وأن يكون جريئا . والراء : لابد وأن يكون رحيما .

ولقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، مثالا للنشاط الاسلامى ، فلم يقعده مكانه من رسول الله عن أن يضرب فى الأرض ، وينمى تجارته ، لأن فى ذلك تنمية لموارد المجتمع الذى يعيش فيه ، وقد بلغ ماله أربعين ألف دينار ، فكان يعتق من ذلك المـال المستضعفين ، وكان يعول منها فقراء المسلمين ، ولقد حفزه النشاط الاسلامى ، لأن يخرج فى تجارة الى « بصرى »[1] وهو الحريص على صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدائم المرافقة له .

أخرج ابن عساكر عن أم سلمة ، قالت : لقد خرج أبو بكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تاجرا الى « بصرى » .

حتى بعد أن ولى أمر المسلمين ، وصار خليفتهم . اندفع الى السوق ــ كعادته ــ للمتاجرة والعمل ، فصده المسلمون عن ذلك ورأوا أن مثله فى مكانته حرى بأن يفرغ نفسه لشئون أمته .

قال ابن سعد : لمـا استخلف « أبو بكر » أصبح غاديا الى السوق على رأسه أثواب يتجر بهـا ، فلقيـه عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة ابن الجراح ــ فقالا : « كيف تصنع هذا ؟ وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم عيالى ؟ قالا : نفرض لك ، ففرضوا له كل يوم شطر شاة » .

ويوم أن هاجر المسلمون تاركين ثراءهم وديارهم الى المدينة اجابة لداعى الحق ، وتعزيزا لكلمة الله : آخى الرسول صلى الله عليه وسلم ، بين المهاجرين والأنصار .

فلما آخى بين « عبد الرحمن بن عوف » وبين « سعد بن الربيع » قال سعد لعبد الرحمن بن عوف : ان مالى شطران : لى شطر ولك شطر ، وأن لى زوجتين أطلق احداهن لتتزوج منها .

---

(١) بصرى : بضم الباء : موضع بالشام تنسب اليها السيوف .
قال الشاعر : * صحائفة بصرى أخلصتها قيونها *

فقال له عبد الرحمن : لا حاجة بى الى مالك ، ولا الى أهلك ، بارك الله لك فيهما ، ولكن دلنى على السوق .

وتاجر عبد الرحمن ، فأثرى فى الاسلام ثراء ضخما ، حتى لقد قدم له مرة سبعمائة بعير تحمل البر(١) ، والدقيق ، والطعام ، فلما دخلت المدينة سمع لأهلها رجة ، فتصدق بها ، وبما تحمل فى سبيل الله .

وهكذا أخا الاسلام تستطيع بالتجارة الشريفة أن تؤدى دورا ايجابيا فى بناء المجتمع الاسلامى ، كما تستطيع كذلك الاستغناء بذلك عن الناس « واليد العليا خير من اليد السفلى » .

وقد قرأت فى أثر من الآثار ، النص الآتى : « أحب الناس الى الناس من استغنى عن الناس ، وأبغض الناس اليهم من احتاج اليهم » .

كما قرأت أيضا النص الآتى : « استغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره ، وأحسن الى من شئت تكن أميره » .

* * *

ومن أهم الأعمال الشريفة ، كذلك :

الصناعة

فالصناعة من مقتضيات الحضارة والتمدن ، وكلما ارتقى الناس فى الحضارة والمدنية تزداد حاجتهم الى المصنوعات . لذلك تعتبر الصناعة فى البلاد المتمدينة من أهم أبواب الرزق ، والسواد الأعظم من الناس يعولون فى المعيشة عليها والذى لا يجد بابا يسترزق منه يجنح الى الصناعة لأنها ملجأ لكل طالب .

وقد قرأت النص الآتى ، تحت عنوان :

اشتغال الأنبياء والعلماء بالصناعة

ما من نبى ولا عالم من المتقدمين الا وكان له صنعة يقتات منها قصدا للتشريع ان كانت من نبى ، وطلبا للرزق ان كانت من غيره :

فقد سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن صنائع الأنبياء ، قال :

« كان آدم حراثا ، وادريس خياطا مع كونه ملكا عظيما وحكيما فريدا — وهو أول من خاط الثياب ولبس المخيط ، وكان لا يغفل عن ذكر الله تعالى أثناء خياطته — ، وكان نوح عليه السلام نجارا — وهو أول من صنع الفلك — وكذلك كان هود تاجرا ، وكذلك صالح ، وكان ابراهيم زراعا ، وكان اسماعيل قناصا(٢) ، وكان اسحاق راعيا ، وكذلك يعقوب

---

(١) اى القمح .

(٢) قناصا : أى صيادا .

وشعيب وموسى ، وكان يوسف مشتغلا بصناعة الساعات ويقال انه صنع ساعة من خشب حينما كان فى السجن ، وكان هارون وزيرا ، وكان الياس نساجا ، وكان داوود زرادا — أى يعمل زرد ودروع الحديد — ، وكان عيسى سياحا ، وكان سيدنا محمد « صلى الله عليـه وعليهم أجمعين » تاجرا ومجاهدا فى سبيل الله ، ولذلك قال : « جعل رزقى تحت ظل رمحى » ، وكان عليه الصلاة والسلام يحب البكور — أى السعى فى أول النهار — فى طلب الرزق من حوائج الدنيا ، ويقول : اللهم بارك لأمتى فى بكورها .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يشجع العامل .

ولنستمع الى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وهو يحكى لنـا ما يشير الى هـذا ، فيقول : « جعت يوما فخرجت أطلب العمل فى عوالى المدينة فاذا أنا بامرأة قد جمعت مدرا — أى ترابا متلبدا — تريد بله بالمـاء ، فبادلتها كل ذنوب — دلو عظيمة من المـاء — على تمرة ، فملأت ستة عشر ذنوبا حتى مجلت يدى — أى ظهر فيها الاحمرار — ثم جئت المرأة فبسطت كفى لترى أثر العمل ، فعدت لى ست عشرة تمرة ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته فأكل معى منها » .

وقد قرأت أن حكيما كان يهذب بعض الصبيان فيقول لهم :

يا أكباد آبائكم تعلموا حرفة ولا تعتمدوا على ما لديكم من ثروة أو متاع ، لأن من اعتمد عليها وقصر فى تعليم نفسه هلك . واعلموا أن الذهب واللجين[1] منبع المتاعب ، ومصدر المصائب ، فان لم يسلبها سالب أسرف فيها صاحبها وبذرها . أما الحرفة فكالبئر البكر لا ينضب ماؤها ، أو الأرض الخصبة لا يهلك زرعها ، ولو أن صاحب فن فقد ماله فلا يحزنه ذلك ، لأن فى فنه ماله وغناه .

ولا يعزب عن أذهانكم أن الاكرام والتبجيل لا يكونان الا لذى صنعة ، أما من لا صنعة له ، فتصيبه المذلة والهوان والفقر ، وقد جاء فى الحكم : صنعة فى اليد أمان من الفقر .

* * *

---

(١) أى الفضة .

وأما عن :

الزراعــة

فهى الينبوع الأول للثروة ــ وعلى الأخص فى مصر التى هى هبة النيل[1] ــ فالبلاد الزراعية يكون أهلها فى الغالب موسرين ، لأنهم لا يحتاجون الى الواردات الأجنبية الا قليلا •

والزراعة هى الوسيلة العظمى والسبب القوى فى بقاء الانسان والحيوان وعيشتهما فى هــذه الحياة ، اذ منها يكون الغذاء والسكن واللباس والأثاث والمتاع وكل خير وهناء •

ومنهــا الأقوات والأدوية والروائح الذكيــة والعيدان العطرية والفواكه والملابس والوقود والخشب الذى نصنع منه السفن وتسقف به المساكن وتعمل منه الأبواب والنوافذ وغيرها ••

ومن أجمل ما قرأت ، تحت عنوان :

الكنز المدفون

ما خلاصته : أنه كان لرجل ثلاثة أولاد ، ولمــا قربت وفاته جمعهم ، وقال لهم : يا أولادى •• اليوم قد قرب الرحيل ، والبقاء فى هذه الدنيا مستحيل ، فافهموا ما أقوله لكم ، واحفظوه كسواد أعينكم : انى تارك لكم فى أرضى كنزا ترجعون اليه ، وتعتمدون فى الشدائد عليــه ، فعليــكم باستخراجه منها ، ثم ودعهم وودع الدنيا معهم •

وبعد دفنه واقامة مراسم المــأتم ، لازموا الأرض صباحا ومساء وأخذوا يكثرون فيها من البحث والتنقيب ــ عن هذا الكنز ــ حتى جعلوا عاليها سافلها ، وبعد أن تعبوا الليالى والأيام لم يعثروا على شىء فجلسوا باكين ساخطين ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت •

ثم اتفقوا على أن يزرعوا الأرض ، فشرعوا فى الزرع والسقى بجد ونشاط ، فكانت النتيجة لهذا الجد والنشاط أن جاءت الأرض بحاصلات كثيرة وخيرات عميمة ، فاستقامت أمورهم وانتظمت أحوالهم ، وفتح الله لهم أبواب الكسب وصاروا فى حالة حسنة وثروة مستحسنة وعلموا أن والدهم لم يرد بالكنز المــال المدفون ، ولا نفيس الجوهر المكنون ، بل أراد بالكنز الشغل والعمل بالزراعة التى هى منبع الثروة فى البلاد ، وعليها تتوقف حياة العباد •

---

(١) كما قال « هيرودوت » المؤرخ اليونانى •

والفلاح الذى يبذل عافيته لتحصيل ما يفوق كفايته من الثمرات لتغذية أبناء نوعه وغيرهم من الحيوانات : أولى من غيره بالاكرام وأحق بالاحترام •

وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « التمسوا الرزق من خبايا الأرض » رواه ابن عساكر عن عائشة مرفوعا •

« ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه انسان أو غيره من الناس : بغزوه لتلك الأعمال الشريفة وحسبه أنه بهذا الغزو والترمذى عن أنس مرفوعا •



فليذكر الأخ القارىء كل هذا ، وليعمل على أن يكون مستغنيا عن غيره من الناس : بغزوه لتلك الأعمال الشريفة وحسبه أنه بهذا الغزو سيكون غنيا بالمـال الذى سيصون عرضه ، ويؤدى فرضه ، ويستغنى عن القرض :

فقد سئل أحد الحكماء : لم تجمع المـال وأنت حكيم ؟ فقال : لأصون به العرض ، وأؤدى به الفرض ، وأستغنى به عن القرض ، وفقد المـال يصحبه قلة الاكتراث من الناس ، وتتبعة قلة الرغبة فيه والرهبة منه •

ومن لم يكن موضع رغبة أو رهبة استخف به الناس • وفى هـذا يقول الشاعر :

ان الغنى اذا تكلم بالخطـا ... قالوا صدقت وما نطقت محالا
أما الفقير اذا تكلم صـادقا ... قالـوا كذبت وأبطلوا ما قالا
ان الدراهم فى المواطن كلهـا ... تكسو الرجال مهـابة وجلالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة ... وهى السـلاح لمن أراد قتالا

وقال الشيرازى : لا تستهزىء بالمـال وتنميته ، فان المـال آلة للمكارم ، وعون على الدهر ، وقوة على الدين ، ومألفة للاخوان ، ومعين على حوادث الزمان ، وبهجة الدنيا وزينتها •



ولعلك الآن أخا الاسلام — وبعد هذا العرض السريع لأبعاد تلك الوصية — : قد اقتنعت بضرورة تنفيذها ، وبضرورة العمل على أن تكون من الحريصين على الاستفادة بالسفر المباح الذى وقفت على أهم أنواعه •

والله أسأل أن يوفقنا جميعاً للعمل بتوجيهات الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، الذى لا : **« ٠٠ ينطق عن الهوى ٠ ان هو الا وحى يوحى ٠ علمه شديد القوى »**(١) والذى أمرنا الله تبارك وتعالى باتباعه ، فقال : **« ٠٠ واتبعوه لعلكم تهتدون »**(٢) وقال : **« ٠٠٠ وان تطيعوه تهتدوا ٠٠ »**(٣) ٠



---

(١) النجم من الآية : ٣ التى اولها : **« وما ينطق ٠٠ »** الى الآية : ٥

(٢) الاعراف : ١٥٨ (٣) النور : ٥٤

الوصية السادسة والثلاثون

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال :

« السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه ، فاذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل الرجوع الى أهله » ..

(أخرجه مالك وأحمد والشيخان)

* * *

فكن أخا الاسلام :

منفذا لما جاء فى تلك الوصية المحمدية ، من توجيهات ضرورية ، خلاصتها كما قرأت أنك مطالب بالتعجيل بالرجوع من سفرك الى أهلك بعد أن تقضى نهمتك ، أى حاجتك .

وقبل أن نناقش أبعاد تلك التوجيهات : فانني أرى أولا — كمدخل لهذا الموضوع — : أن نقف على المعنى المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« السفر قطعة من العذاب » :

وحسب الانسان اذا أراد أن يقف على ضخامة هذا المعنى ، أن يقرأ ما ورد عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وهو[1] :

لولا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال : « السفر قطعة من العذاب » ، لقلت : ان العذاب قطعة من السفر .

وذلك — كما تعلم — : لأن السفر فيه من المشقة ما فيه ، وقد تكون تلك المشقة جسمانية ، أو مالية ، أو عقلية ، أو تفكيرية .

وحسبها — أى المشقة — أنها ستمنع المسافر : طعامه ، وشرابه ، ونومه :

أى أن المسافر الذى ترك أهله ، وماله ، ووطنه من أجل هدف يملك عليه كل مشاعره ، وحواسه : لن يكون متذوقا بسبب هذا ، لحلاوة أكل ، أو شرب أو نوم ..

---

(١) كما قالت ، رضى الله عنها .

وهذا هو المعنى المراد — والله أعلم — من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ... يمنع أحدكم طعامه ، وشرابه ، ونومه .. » :

ولهذا : فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى دعاء له ، بعد أن ودع رجلا مسافرا : « اللهم ازو له الأرض[1] ، وهون عليه السفر » .
من حديث أخرجه أحمد والنسائى والترمذى وحسنه عن أبى هريرة .

بل ولهذا ، ومن أجل كل هذا : فقد تفضل الله تعالى على المسافر[2] :

فى الطهارة برخصتين : مسح الخفين ، والتيمم .
وفى صلاة الفرض برخصتين : القصر ، والجمع .
وفى النفل برخصتين : أداؤه على الراحلة ، وأداؤه ماشيا .
وفى الصوم برخصة واحدة : وهى الفطر .

وقبل أن ندور حول تلك الرخص التى يحب الله تعالى أن تؤتى ، كما يحب أن تؤتى عزائمه ، كما جاء فى نص حديث شريف :

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان الله يحب أن تؤتى رخصه ، كما يحب أن تؤتى عزائمه » .
أخرجه أحمد والبيهقى وابن خزيمة وابن حبان وصححاه .

* * *

فاننى أرى أن نقف أولا ، على :

فضل السفر وآدابه

أما عن فضله بالاضافة الى فوائده الدنيوية والأخروية العظيمة والكثيرة التى وقفنا على أهمها ، فقد ورد فيه :

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ما من خارج يخرج من بيته الا ببابه رايتان ، راية بيد ملك ، وراية بيد شيطان ، فان خرج لما يحب الله عز وجل[3] اتبعه الملك برايته ، فلم يزل تحت راية الملك[4] حتى يرجع الى بيته . وان خرج لما يسخط

---

(١) اى اجمعها واطوها له وقرب له البعيد .
(٢) كما يقول فى احياء علوم الدين .
(٣) كحج وجهاد وتجارة جائزة وعيادة مريض ، وصلة رحم .
(٤) كناية عن رعاية الله له وحفظه من الشيطان .

الله[١] اتبعه الشيطان برايته ، فلم يزل تحت راية الشيطان[٢] حتى يرجع الى بيته » •

أخرجه أحمد والبيهقى والطبرانى فى الأوسط بسند جيد •

وأما عن آداب السفر ، فقد ذكر النووى فى كتاب الأذكار آدابا تطلب من المسافر قبل سفره ، فقال : اذا استقر عزمه على السفر فليجتهد فى تحصيل أمور ، منها :

أن يوصى بما يحتاج الى الوصية به ، وليشهد على وصيته ، ويستحل كل من بينه وبينه معاملة فى شيء أو مصاحبة ، ويسترضى والديه وشيوخه ومن يندب الى بره واستعطافه ، ويتوب الى الله ويستغفره من جميع الذنوب والمخالفات ، وليطلب من الله تعالى المعونة على سفره وليجتهد فى تعلم ما يحتاج اليه فى سفره :

فان كان غازيا : تعلم ما يحتاج اليه الغازى من أمور القتال ، وغير ذلك من الدعوات وأمور الغنائم ، وتعظيم تحريم الهزيمة فى القتال وما الى ذلك ••

وان كان حاجا أو معتمرا :

تعلم مناسك الحج أو استصحب معه كتابا بذلك ، ولو تعلمها واستصحب كتابا كان أفضل •

وان كان تاجرا : تعلم ما يحتاج اليه من أمور البيوع وما يصح منها وما يبطل ، وما يحل ويحرم ، ويستحب ويكره ، ويباح ، وما يرجح على غيره •

وان كان متعبدا سائحا معتزلا للناس :

تعلم ما يحتاج اليه فى أمور دينه • فهذا أهم ما ينبغى له أن يطلبه •

وان كان ممن يصيد : تعلم ما يحتاج اليه أهل الصيد وما يحل من الحيوان وما يحرم ، وما يحل به الصيد وما يحرم ، وما يشترط ذكاته ، وما يكفى فيه قتل الكلب أو السهم وغير ذلك •

وان كان راعيا : تعلم ما يحتاج اليه مما قدمناه فى حق غيره ممن يعتزل الناس ، وتعلم ما يحتاج اليه من الرفق بالدواب وطلب النصيحة

---

(١) كسرقة وقتل بلا حق وزنا وقطع طريق وتجارة فيما يحرم بيعه •

(٢) كناية عن تسلط الشيطان عليه وارتكابه ما يغضب الله تعالى •

لهـا ولأهلها والاعتناء بحفظها والتيقظ لذلك واستأذن أهلهـا فى ذبح ما يحتاج الى ذبحه فى بعض الأوقات لعارض وغير ذلك .

وان كان رسولا من سلطان الى سلطان أو نحوه : اهتم بتعلم ما يحتاج اليـه من آداب مخاطبات الكبار وجوابات ما يعرض فى المحاورات ، وما يحل له من الضيافات والهدايا وما لا يحل ، وما يجب عليه من مراعاة النصيحة واظهار ما يبطنه ، وعدم الغش والخداع والنفاق ، والحذر من التسبب الى مقدمات الغدر أو غيره مما يحرم وغير ذلك .

وان كان وكيلا أو عاملا فى قراض أو نحوه : تعلم ما يحتاج اليه مما يجوز أن يشتريه وما لا يجوز ، وما يجوز أن يبيع به وما لا يجوز ، وما يجوز التصرف فيه وما لا يجوز ، وما يشترط الاشهاد فيه وما لا يشترط ، وما يجوز له من الأسفار وما لا يجوز .

وعلى جميع المذكورين أن يتعلم من أراد منهم ركوب البحر الحال التى يجوز فيها ركوب البحر والحال التى لا يجوز . أ . هـ .

ويستحب أن يكون السفر يوم الخميس لقول كعب بن مالك : « كان رسول الله صلى الله عليـه وعلى آله وسلم اذا أراد أن يسافر لم يسافر الا يوم الخميس » .

أخرجه أحمد وأبو داوود فى سنده أحمد بن لهيعة .

وقوله : « قلما كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخرج اذا أراد سفرا الا يوم الخميس » .

أخرجه أحمد والبخارى وأبو داوود بسند جيد .

ومنه يعلم أن الحصر فى الرواية الأولى بالنظر الى الغالب . وحكمة ذلك : أن الخميس يوم مبارك ترفع فيه أعمال العباد الى الله تعالى .

ويستحب لمريد السفر طلب الوصية والدعاء من أهل الخير والصلاح .

ويستحب توديعه ، لحديث أبى هريرة : أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يريد سفرا ، فقال : يا رسول الله .. أوصنى . قال : « أوصيك بتقوى الله والتكبير على كل شرف »[1] فلما

---

(١) الشرف ، بفتحتين : المكان المرتفع .

ولى الرجل ، قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « اللهم ازو له الأرض[١] وهون عليه السفر » أخرجه أحمد والنسائى والترمذى وحسنه •

ولقول سالم بن عبد الله : كان أبى عبد الله بن عمر اذا أتاه الرجل وهو يريد السفر ، قال له : ادن أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يودعنا ، فيقول : « استودع الله دينك[٢] وأمانتك وخواتيم عملك » • أخرجه أحمد وأبو داوود والترمذى وقال حسن صحيح والنسائى وزاد فى رواية : « وأقرأ عليك السلام » • وأخرجه أحمد وأبو داوود والترمذى عن ابن عباس •

ولقول أنس بن مالك : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقال : يا رسول الله •• انى أريد سفرا فزودنى • فقال : « زودك الله التقوى • قال : زدنى • قال : وغفر ذنبك • قال : زدنى • قال : ويسر لك الخـير حيثما كنت » • أخرجه الترمذى وحسنه ، والنسائى والحاكم •

ويستحب لمريد السفر أن يودع من يخلفه :

لحديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « من أراد أن يسافر فليقل لمن يخلف : أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه » • أخرجه أحمد وابن السنى ، وكذا الطبرانى بلفظ : « أستودعك الله الذى لا تخيب ودائعه » •

وعنه أيضا : أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « اذا أراد أحدكم سفرا فليسلم على اخوانه فانهم يزيدونه بدعائهم الى دعائه خيرا » • أخرجه الشيخان وأحمد والطبرانى فى الأوسط •

ويستحب لمريد السفر أن يصلى ركعتين قبل خروجه يقرأ فيهما بعد الفاتحة ما شاء ، لحديث المقطم بن المقدام أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرا » أخرجه الطبرانى وكذا ابن أبى شيبة مرسلا •

ولقول ابن مسعود : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقال : يا رسول الله •• انى أريد الخروج الى البحرين فى

---

(١) أى اجمعها له واطوها ، وقرب له البعيد •

(٢) أى اطلب منه حفظ دينك •

تجارة . فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « صل ركعتين » أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند رجاله موثقون . قاله الهيثمى .

ويستحب لمريد السفر اتخاذ رفيق يأنس به ويتعاون معه على مشاق السفر :

لحديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم « نهى عن الوحدة أن يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده » . أخرجه أحمد وحسنه السيوطى .

وعنه ، أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « لو يعلم الناس ما فى الوحدة ما أعلم ، ما سار راكب بليل وحده » . أخرجه أحمد والبخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه .

ولحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « عبد الله بن عمرو » أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « الراكب شيطان[1] والراكبان شيطانان والثلاثة ركب »[2] . أخرجه مالك وأحمد وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه بسند حسن ، وصححه ابن خزيمة والحاكم . وأخرجه الحاكم أيضا من حديث أبى هريرة وصححه .

وحكمة النهى عن ذلك — كما يقول الامام محمود خطاب السبكى رحمه الله تعالى — : أن الواحد لو مات فى سفره لم يجد من يقوم بشأنه ، وكذا الاثنان اذا ماتا أو مات أحدهما لم يجد الآخر من يعينه بخلاف الثلاثة ، ففى الغالب أنه لا يخشى عليهم شىء من ذلك : قال الطبرى : وهذا الزجر زجر أدب وارشاد لما يخشى على الواحد من الوحشة والوحدة وليس بحرام فالسائر وحده فى فلاة وكذا البائت فى بيت وحده لا يأمن الاستيحاش لا سيما اذا كان ذا فكرة رديئة وقلب ضعيف ..

ويستحب لمريد السفر أن يستشير فيه من يعلم منه النصيحة والشفقة والصلاح والاستقامة ، لقوله تعالى : « **وشاورهم فى الأمر** »[3]

---

(١) المراد بالراكب المسافر وحده ولو ماشيا ، وسمى شيطانا ، لأنه أشبه الشيطان فى الفعل والمخالفة .

(٢) الركب ، اسم جمع ، وقيل : جمع راكب ، أى الثلاثة فأكثرهم الذين يستحقون أن يسموا ركبا لكونهم محفوظين من الشيطان .

(٣) آل عمران : ١٥٩

ثم : يستخير الله تعالى ، فيصلى ركعتين من غير الفريضة ، ويدعو بدعاء الاستخارة ، وهو :

« .. اللهم أستخيرك[١] بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب . اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر[٢] خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، أو قال : عاجل أمرى وآجله[٣] ، فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه . وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، أو قال : عاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ، ثم أرضنى به » : قال : ويسمى حاجته ، أى يسمى حاجته عند قوله : « اللهم ان كان هذا الأمر » .

رواه البخارى من حديث جابر .

وللحديث مقدمة يقول فيها الرسول صلى الله عليه وسلم : « اذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل .. » .

ويستحب وصية المقيم المسافر بالدعاء له فى مواطن الخير ، ولو كان المقيم أفضل من المسافر ، لقول عمر رضى الله عنه : استأذنت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى العمرة فأذن لى ، وقال : « لا تنسنا يا أخى من دعائك » وفى رواية : « أشركنا يا أخى فى دعائك » فقال : كلمة ما يسرنى أن لى بهاالدنيا . أخرجه أبو داوود والترمذى وقال : حسن صحيح .

ويستحب الدعاء فى السفر ، فانه مستجاب :

لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده » . أخرجه أحمد وأبو داوود وابن ماجه والترمذى وحسنه والبخارى فى الأدب .

ولحديث أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « ثلاث دعوات لا ترد : دعوة الوالد لولده ، ودعوة الصائم ، ودعوة المسافر » . أخرجه الضياء المقدسى فى المختارة والبيهقى .

---

(١) أى أطلب منك الخيرية أو الخير .

(٢) يسمى حاجته هنا . (٣) يجمع بينهما .

ولحديث أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « ثلاث دعوات مستجابات : دعوة الصائم ، ودعوة المظلوم ، ودعوة المسافر » . أخرجه البيهقى .

* * *

واذ كنا قد وقفنا على فضل السفر وأهم آدابه وأصحها ، فاننى أرى كذلك أن نقف ، على :

أذكار السـفر

التى يستحب للمسافر أن يدعو بها ، عند نهوضه ، وخروجه من بيته ، وركوبه الدابة ونحوهـا ـ كسيارة ، ودراجـة ، وسفينة ، وطائرة ـ وغير ذلك ، ليرضى عنه ربه ويحفظه فى سفره ، وقد ورد فى ذلك أحاديث كثيرة ، منها :

قول أنس رضى الله عنه : لم يرد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سفرا قط الا قال حين ينهض من جلوسه :

« اللهم لك انتشرت ، واليك توجهت ، وبك اعتصمت ، اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى . اللهم اكفنى ما أهمنى وما لا أهتم له ، وما أنت أعلم به . اللهم زودنى التقوى ، واغفر لى ذنبى ، ووجهنى للخير أينما توجهت » . ثم يخرج . أخرجه ابن جرير .

وحديث عثمان رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى وآله وسلم ، قال : « ما من مسلم يخرج من بيته يريد سفرا أو غيره ، فقال حين يخرج : بسم الله ، آمنت بالله ، اعتصمت بالله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة الا بالله ، الا رزق ذلك المخرج ، وصرف عنه شر ذلك المخرج » .

أخرجه أحمد بسند فيه رجل لم يسم وبقيته ثقات .

وحديث على رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، كان اذا أراد سفرا ، قال : « اللهم بك أصول وبك أحول ، وبك أسير » . أخرجه البزار وابن أحمد فى زوائد المسند بسند رجاله ثقات .

وقول على بن ربيعة : رأيت عليا رضى الله عنه أتى بدابة ليركبها ؛ فلما وضع رجله فى الركاب ، قال : باسم الله . فلما استوى عليها ، قال : الحمد لله ، « **سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وانا الى**

ربنا لمنقلبون »[١] ثم حمد الله ثلاثا وكبر ثلاثا ، ثم قال : سبحانك لا اله الا أنت قد ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا أنت ، ثم ضحك ، فقلت : مم ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعل مثل ما فعلت ثم ضحك ، فقلت : مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : « يعجب[٢] الرب من عبده اذا قال : رب اغفر لى ، ويقول : علم عبدى أنه لا يغفر الذنوب غيرى » أخرجه أحمد ، وأبو داوود ، والترمذى ، والنسائى بأسانيد صحيحة وابن حبان والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم •

وحديث على الأزدى أن ابن عمر علمه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان اذا استوى على بعيره خارجا الى السفر : كبر ثلاثا ، ثم قال : **« سبحان الذى سخر لنا هـذا وما كنا له مقرنين • وانا الى ربنا لمنقلبون »** اللهم : انا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى ، اللهم : هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده ، اللهم : أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم : انى أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر فى الأهل والمال » •

واذا رجع قالهن وزاد فيهن : « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون » أخرجه أحمد ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى •

وقول ابن عباس : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا أراد أن يخرج الى سفر ، قال : « اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم انى أعوذ بك من الضبنة[٣] فى السفر والكآبة فى المنقلب • اللهم اطو لنا الأرض وهون علينا السفر •

واذا أراد الرجوع ، قال : « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون » •

واذا دخل على أهله ، قال : « توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا

---

(١) اى وما كنا مطيقين قهره وركوبه لولا تسخير الله اياه ، ومنقلبون : اى صائرون الى ربنا بعد الموت ـــ والآية من سورة الزخرف : ١٣ ، ١٤

(٢) المراد : بيعجب الرب : رضاه •

(٣) الضبنة : بضم الضاد وكسرها وسكون الباء ، ما تحت يدك من مال وعيال ، والمراد التعوذ من كثرة العيال فى السفر ، او من صحبة من لا كفاية فيه من الرفاق •

حوبا »[١] . أخرجه أحمد والطبرانى والبزار بسند رجاله رجال الصحيح .

وقول عبد الله بن سرجس : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا خرج فى سفره ، قال : « اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والحور بعد الكور[٢] ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر فى المال والأهل .

واذا رجع ، قال مثلها ، الا أنه يقول : « وسوء المنظر فى الأهل والمال » . فيبدأ بالأهل .

أخرجه أحمد ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه ، وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقول ابن عمر : كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا غزا أو سافر فأدركه الليل ، قال : « يا أرض ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك ، وشر ما دب عليك . أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود[٣] وحية وعقرب ، ومن شر ساكن البلد[٤] ، ومن شر والد وما ولد » أخرجه أحمد وأبو داوود وابن النجار بسند جيد . وأخرجه أبو داوود والترمذى والحاكم عن ابن مسعود بسند صحيح .

وقول أسامة والد أبى المليح : كنت رديف[٥] النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم على حمار فعثر الحمار فقلت : تعس[٦] الشيطان . فقال لى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا تقل تعس الشيطان ، فانك اذا قلت تعس الشيطان ، تعاظم الشيطان فى نفسه ، وقال : صرعته بقوتى ، فاذا قلت : بسم الله تصاغرت اليه نفسه حتى يكون أصغر من ذباب » أخرجه أحمد وأبو داوود والطبرانى .

---

(١) الحوب بفتح الحاء وضمها وسكون الواو : أى الذنب .

(٢) الحور بفتح فسكون : أى النقصان ، والكور بفتح فسكون : أى الزيادة . وقيل : الحور الفساد ، والكور الصلاح .

(٣) الأسود : العظيم من الحيات ، خص بالذكر لخبثة ، وقيل الأسود : أى الشخص .

(٤) أى الجن ، والوالد : ابليس ، وما ولد : أى الشياطين .

(٥) أى كان يركب خلفه .

(٦) أى اكب على وجهه ، وهو دعاء بالهلاك .

وحديث خولة بنت حكيم السلمية أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « من نزل منزلا ، ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق ، لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك » • أخرجه ابن خزيمة ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وأحمد ، ومالك •

وقول جابر بن عبد الله : « كنا نسـافر مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فاذا صعدنا : كبرنا ، واذا هبطنا ، سبحنا » • أخرجه أحمد والبخارى والنسائى •

وقول ابن عمر : كنا نسافر مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فاذا رأى قرية يريد أن يدخلها ، قال : « اللهم بارك لنا فيها — ثلاث مرات — • اللهم ارزقنا جناها[1] وحببنا الى أهلها وحبب صالحى أهلها الينا » • أخرجه الطبرانى فى الأوسط بسند جيد •

قال فى الدين الخالص : ويستحب للمسافر أن يقول بعد الصلوات ما يقوله غيره[2] ، وأن يزيد بعد الصبح ما فى حديث أبى بردة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان اذا صلى الصبح فى سفر رفع صوته حتى يسمع أصحابه : « اللهم أصلح لى دينى الذى جعلته عصمة أمرى • اللهم أصلح لى دنياى التى جعلت فيها معاشى — ثلاث مرات — • اللهم أصلح لى آخرتى التى جعلت اليها مضجعى — ثلاث مرات — • اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك • اللهم انى أعوذ بك — ثلاث مرات — لا مانع لمـا أعطيت ، ولا معطى لمـا منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » أخرجه ابن السنى •



والآن وبعد هذا التقديم الهام ، حول فضل السفر ، وآدابه ، وأذكاره •• نعود الى تلك الرخص التى تفضل الله تبارك وتعالى بها على المسافر والتى أولها ، كما رتبها الامام الغزالى فى الاحياء :

المسح على الخفين

وتفصيل ذلك يتلخص فى الآتى ، وهو : أن الخف ، وهو حذاء من جلد يلبسه الرجل والمرأة ، اذا لبس على طهارة بعد الوضوء جاز

---

(١) أى ما يجتنى من الشجر ، وكأنه عبر بالجنى عن فوائد القرية المنتفع بها .

(٢) أى فى ختام الصلاة .

للمسافر أن يمسح على خفيه ثلاثة بلياليهم ، دون أن ينزعهما ما دام قد لبسهما على وضوء •

فعن شريح بن هانىء رضى الله عنه ، قال : سألت عائشة رضى الله عنها عن المسح على الخفين ، فقالت : سل عليا فانه أعلم بهذا منى ، كان يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسألته ، فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن ، وللمقيم يوم وليلة » رواه أحمد ومسلم •

وللمسح على الخفين شروط ، وهى :

أن يلبس الخف على وضوء •

أن يكون الخف طاهرا ، اذ لا يصح المسح على نجس أو متنجس •

أن يكون ساترا للقدمين ، ولا يضر ان كان به خروق يسيرة •

أن يكون قويا يمكن تتابع المشىء فيه عادة •

وقد ضعف بعض الفقهاء هذين الشرطين الأخيرين ، منهم ابن تيمية ، لعدم ورود الأحاديث بهما ، والله أعلم بالصواب •

والمسح لغة[1] : امرار اليد على الشىء ، واصطلاحا : اصابة اليد المبتلة أو ما يقوم مقامها أعلى الخف فى المدة الشرعية التى وقفنا عليها بالنسبة للمسافر والمقيم • والخف الشرعى ، هو الساتر للكعبين الممكن تتابع المشىء فيه عادة •

قال فى الدين الخالص :

قال الحنفيون : فرضه مسح قدر ثلاثة أصابع من أصغر أصابع اليد على ظاهر أعلى الخف من كل رجل • فلا يصح على أسفله وعقبه وساقه وجوانبه •

لقول على رضى الله عنه : « لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه ، وقد رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يمسح على ظاهر خفيه » • أخرجه أبو داوود والبيهقى والدارقطنى بسند صحيح •

---

(١) كما يقول فى الدين الخالص ج ١ •

وقال أيضا فى الدين الخالص ، تحت عنوان :

ما يبطل المسح على الخفين

يبطل بواحد من ثلاثة :

ما يبطل به الوضوء اتفاقا ، لأن المسح على الخف بعض الوضوء •

ويبطل عند القائلين فيه بالتوقيت بمضى المدة للمقيم والمسافر ان لم يخف بغلبة الظن تلف رجله من البرد ونحوه اذا نزعه • فان خاف ذلك لا يلزمه النزع ، ويمسح دائما بلا توقيت حتى يأمن دفعا الحرج • وحينئذ يصير الخف كالجبيرة فيستوعبه أو أكثره بالمسح •

ويبطل أيضا عند الحنفيين والشافعى والجمهور : بنزع الخف أو انتزاعه ولو بخروج أكثر القدم الى ساق الخف فى الأصح •

ولا عبرة بخروج عقبه ودخوله • وهو رواية عن أحمد • لحديث سعيد بن أبى مريم عن رجل من أصحاب النبى صلى الله علية وسلم فى الرجل يمسح على خفيه ثم يبدو له فينزعهما ، قال : يغسل قدميه • أخرجه البيهقى •

وهناك أحكام كثيرة تتعلق بالمسح على الخفين ، منها ما هو فى الاحياء حيث يقول الامام الغزالى رحمه الله :

مهما مسح مقيما ثم سافر ، أو مسافرا ثم أقام غلب حكم الاقامة فليقتصر على يوم وليلة ، وعدد الأيام الثلاثة محسوب من وقت حدثه بعد المسح على الخف ، فلو لبس الخف فى الحضر ومسح فى الحضر ، ثم خرج وأحدث فى السفر وقت الزوال مثلا ومسح ثلاثة أيام ولياليهن من وقت الزوال الى الزوال من اليوم الرابع ، فاذا زالت الشمس من اليوم الرابع لم يكن له أن يصلى الا بعد غسل الرجلين فيغسل رجليه ويعيد لبس الخف ويراعى وقت الحدث ويستأنف الحساب من وقت الحدث ، ولو أحدث بعد لبس الخف فى الحضر ، ثم خرج بعد الحدث فله أن يمسح ثلاثة أيام ، لأن العادة قد تقتضى اللبس قبل الخروج ، ثم لا يمكن الاحتراز من الحدث ، فأما اذا مسح فى الحضر ثم سافر اقتصر على مدة المقيمين •

كما يقول أيضا بعد ذلك فى الاحياء :

ويستحب لكل من يريد لبس الخف فى حضر أو سفر ، أن ينكس الخف وينفض ما فيه حذرا من حية أو عقرب ، أو شوكة •

* * *

وأما الرخصة الثانية من رخص السفر ، فهى :

التيمم بالتراب بدلا عن المـاء عند العذر

والخلاصة التى نريد أن نقف عليها كذلك ، هى :

أن التيمم طهارة ترابية ، تسد مسد الطهارة المـائية ، وضوءا كانت أو غسلا عند فقد المـاء ، أو عدم القدرة على استعماله ..

وهو عبارة عن ضربتين بالكفين ، على الصعيد الطاهر ، ضربة للوجه ، وضربة لليدين الى المرفقين .

ودليل مشروعيته ، قوله تعالى فى سورة النساء :

« وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منـكم من الغائط أو لامستم النســاء فلم تجدوا ماء فتيمموا صـعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ، ان الله كان عفوا غفورا »(١) .

وسبب مشروعيته ، ما فى حديث عائشه رضى الله عنها ، قالت : خرجنا مع النبى صلى الله عليــه وسلم فى بعض أسفاره حتى اذا كنا بالبيداء انقطع عقدى ، فأقام النبى صلى الله عليــه وسلم على التماسه ، وأقام الناس معه ، وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء ، فأتى الناس الى أبى بكر ، فقالوا : ألا ترى ما صنعت عائشة ؟ ! .. فجاء أبو بكر والنبى صلى الله عليــه وسلم واضع رأسه على فخذى ، قد نام ، فعاتبنى وقال ما شاء الله أن يقول ، وجعل يطعن بيده فى خاصرتى ، فما يمنعنى من التحرك الا مكان النبى صلى الله عليــه وسلم على فخذى ، فقام حتى أصبح على غير ماء ، فأنزل الله آية التيمم ، فقال أسيد بن حضير : ما هى أول بركتكم يا آل أبى بكر ، قالت : فبعثنا البعير الذى كنت عليه .. فوجدنا العقد تحته » . أخرجه مالك ومسلم .

والأعذار المبيحة للتيمم فى السفر يوجزها فى الاحياء ، فيقول :

وانما يتعذر بالمـاء ، بأن يكون بعيدا عن المنزل بعدا لو مشى اليه لم يلحقه غوث القافلة ، ان صاح أو استغاث ، وهو البعد الذى لا يعتاد أهل المنزل فى ترددهم لقضاء الحاجة التردد اليه ، وكذا اذا نزل على المـاء عدو أو سبع فيجوز التيمم ، وان كان المـاء قريبا ، وكذا ان احتاج اليه لعطشه فى يومه أو بعد يومه لفقد المـاء

---

(١) النساء : ٤٣

بين يديه فله التيمم ، وكذا ان احتاج اليه لعطش أحد رفقائه فلا يجوز الوضوء ويلزمه بذله اما بثمن أو بغير ثمن ، ولو كان يحتاج اليه لطبخ مرقة أو لحم أو لبل فتيت يجمعه به لم يجز له التيمم ، بل عليه أن يجتزىء بالفتيت اليابس ويترك تناول المرقة ، ومهما وهب له الماء وجب قبوله ، وان وهب له ثمنه لم يجب قبوله ، لما فيه من المنة ، وان بيع بثمن المثل لزمه الشراء ، وان بيع بغبن لم يلزمه •

فاذا لم يكن معه ماء وأراد أن يتيمم فأول ما يلزمه طلب الماء مهما جوز الوصول اليه بالطلب وذلك بالتردد حوالى المنزل ، وتفتيش الرحل ، وطلب البقايا من الأوانى والمطاهر •

فان نسى الماء فى رحله ، أو نسى بئرا بالقرب منه لزمه اعادة الصلاة لتقصيره فى الطلب •

وان علم أنه سيجد الماء فى آخر الوقت : فالأولى أن يصلى بالتيمم فى أول الوقت فان العمر لا يوثق به ، وأول الوقت رضوان الله •

تيمم ابن عمر رضى الله عنهما ، فقيل له : أتتيمم وجدران المدينة تنظر اليك ؟ فقال : أو أبقى الى أن أدخلها •

ثم يقول فى الاحياء : ومهما وجد الماء بعد الشروع فى الصلاة لم تبطل صلاته ، ولم يلزمه الوضوء •

فلاحظ أخا الاسلام كل هذا ، بالاضافة الى هذين الحكمين اللذين فى هذين الحديثين :

عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى ، قال : خرج رجلان فى سفر فحضرت الصلاة وليس معهما ماء فتيمما صعيدا طيبا ، فصليا ثم وجد الماء فى الوقت ، فأعاد أحدهما الوضوء والصلاة ولم يعد الآخر ، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرا ذلك له • فقال للذى لم يعد : « أصبت السنة وأجزأتك صلاتك » وقال للذى توضأ وأعاد : « لك الأجر مرتين » • أخرجه النسائى وأبو داوود والدارمى والحاكم والدارقطنى •

وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه : أنه لما بعث فى غزوة ذات السلاسل ، قال : احتلمت فى ليلة شديدة البرودة ، فأشفقت ان اغتسلت هلكت ، فتيممت ثم صليت بأصحابى صلاة الصبح ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ذكروا ذلك له ، فقال : « يا عمرو •• صليت بأصحابك وأنت جنب » ؟ ! فقلت : ذكرت قول الله

عز وجل : « **ولا تقتلوا أنفســكم ، أن الله كان بكم رحيما** »[1] .
فتيممت ثم صليت ، فضحك رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، ولم يقل شيئا . رواه أحمد وأبو داوود .

فمن هذين الحديثين تعــلم أنه اذا خاف خروج الوقت ، اذا توضأ ، أو اغتسل ، فله أن يتيمم ويصلى ولا يعيد ، وقيل عليه الاعادة .

كذلك لا يعيد الصلاة من تيمم وصلى ، ثم وجد المــاء .

واذا كان المــاء شديد البرودة ، ولم يقــدر على تسخينه ، بحيث لو توضأ لضره ، جاز له أن يتيمم .

وكذلك : اذا احتاج المــاء لشربه ، أو شرب حيوان محترم[2] ، جاز له أن يتيمم ، ويبقى المــاء لينتفع به :

فعن على رضى الله عنه ، قال فى الرجل يكون فى السفر ، فتصيبه الجنــابة ، ومعه قليــل من المــاء ، يخاف أن يعطش : « فيتيمم ولا يغتســل » .



واتماما للفائدة ، اليك كذلك :

مبطلات التيمم : يبطل التيمم بما يبطل به الوضوء .

ويبطل بوجود المــاء فى الوقت ، فمن تيمم ووجد المــاء قبل أن يصلى وجب عليه أن يتطهر به ولا يصلى بهــذا التيمم .

واذا وجده وهو فى الصلاة تمادى فيها لحرمتها ثم تطهر وأعادها .



وأما عن الرخصة الثالثة ، وهى :

قصر الصلاة الرباعية المفروضة فى السفر

فقد ثبت مشروعيته بالكتاب والسنة واجماع الأمة :

ففى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى :

« **واذا ضربتم فى الأرض فليس عليــكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ، ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينــا** »[3] .

---

(١) النساء : ٢٩

(٢) كشاة ، أو جمل ، أو جواد (مثلا) .

(٣) النساء : ١٠١

فمعنى تلك الآية ، هو :

« **واذا ضربتم فى الأرض** » أى : سافرتم .

« **فليس عليكم جناح** » اى : حرج واثم .

« **أن تقصروا من الصلاة** » الرباعية ، أى تصلوا الظهر ، والعصر ، والعشاء ، ركعتين .. أما صلاة الصبح فلا تقبل القصر ، لأنها قصيرة بطبيعتها ، وكذلك صلاة المغرب لا تقبل القصر لأنها وتر النهار .

وظاهر تلك الآية ، كما يقول فى التفسير الوسيط ، هو : اباحة القصر [1] لمطلق السفر ، طال أم قصر ..

ولكن الفقهاء اختلفوا فى تحديد مسافة القصر ومدته ، كما اشترط بعضهم أن يكون سفرا مباحا..

وظاهر قوله تعالى : « **أن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا** » : اشتراط الخوف فى السفر فى جواز القصر ، ولكن السنة النبوية بينت أنه يجوز القصر فى السفر مع الأمن ، كما يجوز فيه عند الخوف .

وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم جوابا لمن سأله عن القصر حالة الأمن : « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » .

وقد بين الله سبحانه وتعالى سبب الترخيص — فى القصر فى السفر — عند الخوف بقوله : « **أن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا** » أى كانوا لكم أعداء ظاهرى العداوة ، مجاهرين بها ، فتنبهوا لعداوتهم واحذروهم ، وكونوا متيقظين لهم فى الصلاة وغيرها .

فالتقييد بالخوف غير معمول به ، كما تبين لك من خلال التلخيص السابق .

وحتى يتضح لك هذا ويتأكد ، اليك هذا الحديث الذى يقول فيه يعلى بن أمية :

« قلت لعمر بن الخطاب : أرأيت [2] اقصار الناس الصلاة ، وانما قال عز وجل : « **أن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا** » فقد ذهب ذلك اليوم ؟ فقال عمر : عجبت مما عجبت منه فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا

---

(١) قصر الصلاة : اى ترك شىء منها .

(٢) اى اخبرنى عن سبب القصر وقد زال الخوف الذى هو سببه كما هو صريح الآية .

صدقته » رواه البخارى ومسلم وأبو داوود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وأحمد ، ومالك •

وأخرج ابن جرير عن أبى منيب الجرشى أنه قيل لابن عمر : قول الله تعالى : **« واذا ضربتم فى الأرض »** الآية ، فنحن آمنون لا نخاف فنقصر الصلاة ؟ فقال : **« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة .. »**(١) •

وعن عائشة ، قالت : قد فرضت الصلاة ركعتين ركعتين بمكة ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة زاد مع كل ركعتين ركعتين الا فى المغرب فانها وتر النهار ، وصلاة الفجر لطول قراءتها ، وكان اذا سافر صلى الصلاة الأولى ، أى التى فرضت بمكة •

رواه أحمد والبيهقى وابن حبان وابن خزيمة ، ورجاله ثقات •

قال ابن القيم : وكان صلى الله عليه وسلم يقصر الصلاة الرباعية ، فيصليها ركعتين من حين يخرج مسافرا الى أن يرجع الى المدينة ولم يثبت عنه أنه أتم الصلاة الرباعية ، ولم يختلف فى ذلك أحد من الأئمة ، وان كانوا قد اختلفوا فى حكم القصر :

فقال بوجوبه : عمرو ، وعلى ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وابن عمر ، وجابر :

وهو مذهب الحنفية الذين يقولون : ان قصر الصلاة واجب على المسافر ، ولا يجوز له الاتمام ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

« فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فأقرت صلاة السفر وزيد فى صلاة الحضر » •

فاذا أتم الصلاة أثم لتأخير السلام عن نهاية المفروض ، وهو القعود الأول فى هذه الحالة ، ويعتبر متنفلا بالركعتين الأخيرتين ، لأن الفرض انما هو الركعتان الأوليان ، ولذا تبطل صلاته ان ترك القعود الأول فى هذه الصورة لأنه ترك فرضا من فرائض الصلاة •

وقال المالكية : القصر سنة مؤكدة آكد من صلاة الجماعة ، فاذا لم يجد المسافر مسافرا يقتدى به ، صلى منفردا محافظة على القصر ، ويكره أن يقتدى بالمقيم ، لأنه لو اقتدى به لزمه الاتمام فتفوت سنة القصر المؤكدة •

---

(١) الأحزاب : ٢١

وقال الشافعية : القصر جائز ، وهو أفضل من الاتمام ان بلغ سفره ثلاث مراحل ولم يختلف فى جواز قصره ، فان كان السفر أقل من ثلاث فالاتمام أفضل ، وكذا لو كان ثلاثا فأكثر وكان المسافر ملاحا ، وهو : من له دخل فى تسيير السفينة ، فان الاتمام له أفضل لخلاف الامام أحمد وقوله بعدم جواز القصر له ، وقد يجب القصر فيما اذا أخر المسافر الصلاة الى آخر الوقت ، بحيث لا يسع الوقت الباقى منه الصلاة الا مقصورة ، لأنه لو أتم لزم اخراج بعض الصلاة عن وقتها مع تمكنه من ايقاعها بتمامها فى الوقت .

وقال الحنابلة : القصر جائز ، وهو أفضل من الاتمام ولا يكره الاتمام .

والخلاصة المفيدة التى نريد أن نقف عليها ، ــ بعد ذلك ــ وقبل أن نقف على شروط صحة القصر ، هى :

أن قصر الصلاة الرباعية وهى الظهر والعصر والعشاء ، سواء أكان فى حالة الخوف أم فى حالة الأمن ، قد شرع فى السنة الرابعة من الهجرة وقد ثبتت مشروعيته بالكتاب والسنة والاجماع .

وقد وقفنا قبل ذلك على الآية الكريمة ، التى شرع الله تعالى صلاة القصر فيها ، كما قرأنا كذلك بعض الأحاديث الشريفة الواردة فى هذا .

وقد روى ابن أبى شيبة ــ بالاضافة الى ما وقفنا عليه ــ أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان خيار أمتى من شهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، والذين اذا استحسنوا استبشروا ، واذا أساءوا استغفروا ، واذا سافروا قصروا » .

وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم ، صلى اماما بأهل مكة بعد الهجرة صلاة رباعية ، فسلم على رأس ركعتين ثم التفت الى القوم ، فقال : « أتموا صلاتكم فانا قوم سفر » .

وقد أجمعت الأمة على مشروعية القصر فى الصلاة الرباعية .

* * *

والآن اليك أهم شيء في هذا الموضوع ، وهو :

شروط صحة القصر

كما هو ثابت في الفقه على المذاهب الأربعة ، بتصرف وايجاز :

أولا : أن يكون السفر مسافة تبلغ ستة عشر فرسخا[1] ذهابا فقط ، والفرسخ ثلاثة أميال — الميل : ١٧٤٨ مترا — والميل ستة آلاف ذراع بذراع اليد ، وهذه المسافة تساوى ثمانين كيلو ونصف كيلو ومائة وأربعين مترا — أى مسيرة يوم وليلة بسير الابل المحملة بالأثقال سيرا معتادا — ولا يضر نقصان المسافة عن المقدار المبين بشيء قليل كميل أو ميلين ، ولا يشترط أن يقطع هذه المسافة المذكورة — يوم وليلة — فلو قطعها فى أقل منها ولو فى لحظة صح القصر .

ويقول الحنفية : المسافة مقدرة بالزمن وهو ثلاثة أيام من أقصر أيام السنة ، ويكفى أن يسافر فى كل يوم منها من الصباح الى الزوال ، والمعتبر السير الوسط ، أى سير الابل ومشى الأقدام ، فلو بكر فى اليوم الأول ومشى الى الزوال ، وبلغ المرحلة ونزل وبات فيها ، ثم بكر فى اليوم الثانى وفعل ذلك ، ثم فعل ذلك فى اليوم الثالث فقد قطع مسافة القصر ، ولا عبرة بتقديرها بالفرسخ على المعتمد ، ولا يصح القصر فى أقل من هذه المسافة .

ويقول المالكية : أن نقصت المسافة عن القدر المبين بثمانية أميال ، وقصر الصلاة صحت صلاته ولا اعادة عليه على المشهور .

ويستثنى من اشتراط المسافة : أهل مكة ، ومنى ، ومزدلفة ، والمحصب ، اذا خرجوا فى موسم الحج للوقوف بعرفة ، فانه يسن لهم القصر فى حال ذهابهم ، وكذا فى حال ايابهم اذا بقى عليهم عمل من أعمال الحج التى تؤدى فى غير وطنهم ، والا أتموا .

وثانيا :أن ينوى السفر ، ويشترط لنية السفر أمران :

احدهما : أن ينوى قطع تلك المسافة بتمامها من أول سفره ، فلو خرج هائما على وجهه لا يدرى أين يتوجه ، لا يقصر ولو طاف الأرض كلها ، لأنه لم يقصد قطع المسافة ، وكذلك لا يقصر اذا نوى قطع المسافة ولكنه نوى الاقامة أثناءها مدة قاطعة لحكم السفر .

وقد قال الحنفية فى هذا : نية اقامة المدة القاطعة لحكم السفر

(١) الفرسخ : ٥٥٤١ مترا .

لا تبطل حكم القصر الا اذا أقام بالفعل ، فلو سافر من القاهرة مثلا ناويا الاقامة بأسيوط مدة خمسة عشر يوما فأكثر ، يجب عليه القصر فى طريقه الى أن يقيم .

ثانيهما : الاستقلال بالرأى ، فلا تعتبر نية التابع بدون نية متبوعه كالزوجة مع زوجها ، والجندى مع أميره ، والخادم مع سيده .
فلو نوت الزوجة مسافة القصر دون زوجها لا يصح لها أن تقصر ، وكذلك الجندى والخادم ونحوهما .

والمالكية : لم ينصوا على هذا الشرط ، ولكن قواعد مذهبهم لا تأباه ، فان شرط النية عندهم أن تكون جازمة ، ونية التابع معلقة على نية المتبوع ضرورة أنه تابع له فى سيره وعدمه ، فما لم ينو المتبوع قطع المسافة بتمامها لا يتأتى للتابع أن يجزم النية بذلك ، فالمعتبر اذن نية المتبوع ، ونية التابع كالعدم كما هو رأى غيرهم من أهل المذاهب الثلاثة .

ولا يشترط فى نية السفر البلوغ ، فلو نوى الصبى مسافة القصر قصر الصلاة .

والحنفية يقولون فى هذا : يشترط فى نية السفر أن تكون من بالغ ، فلا تصح نية الصبى ، فشروط نية السفر عندهم ثلاثة :
١ — نية قطع المسافة بتمامها من أول السفر .
٢ — الاستقلال بالرأى .
٣ — البلوغ .

وثالثها : أن يكون السفر مباحا[1] ، فلو كان السفر حراما كأن سافر لسرقة مال أو لقطع طريق أو نحو ذلك ، فلا يقصر ، واذا قصر لم تنعقد صلاته[2] ، فان كان السفر مكروها[3] ففيه تفصيل المذاهب :
فالمالكية قالوا : يكره القصر فى السفر المكروه .
والحنفية قالوا : يجب القصر فى السفر المكروه أيضا كغيره .
والشافعية قالوا : يجوز القصر فى السفر المكروه .

---

(١) الحنفية لم يشترطوا ذلك ، فيجب القصر عندهم على كل مسافر ولو كان السفر محرما ، ويأثم بفعل المحرم .
(٢) والمالكية قالوا : اذا كان السفر محرما صح القصر مع الاثم .
(٣) أى اذا كان السفر لفعل مكروه للنهى عنه .

والحنابلة قالوا : لا يجوز القصر فى السفر المكروه ، ولو قصر لا تنعقد صلاته كالسفر المحرم .

وأما اذا كان السفر مباحا[١] ، ولكن وقعت فيه معصية[٢] فلا يمنع القصر .

ورابعا : مجاوزة محل الاقامة ، على تفصيل المذاهب ، وقد لخص الامام محمود خطاب السبكى رحمه الله تعالى ، هذا الشرط الرابع ، فى كتابه الدين الخالص ج ٤ فقال :

ويشترط مجاوزته محل اقامته من الجانب الذى خرج منه ، فلا يقصر قبل أن يفارق بيوت القرية أو المصر[٣] من الجانب الذى خرج منه حتى لو كان ثمة محلة منفصلة عن المصر ، وقد كانت متصلة به ، لا يقصر ما لم يجاوزها . ولو جاوز العمران من جهة خروجه وكان بحذائه أبنية من الجانب الآخر يقصر اذ المعتبر جانب خروجه . ويدخل فى محل الاقامة ربضه[٤] .

وكذا يشترط مجاوزة القرية المتصلة بربض المصر ، بخلاف المتصلة بفنائه ، فانه لا يشترط مجاوزتها على الصحيح . أما فناء المصر أو القرية فان كان بينه وبينها أقل من غلوة[٥] ولم يكن بينهما مزرعة ، فلابد من مجاوزته .

وان كان بينهما مزرعة أو قدر غلوة فلا يشترط مجاوزته .

ودليل هذا : قول أنس : « صليت الظهر مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالمدينة أربعا وبذى الحليفة ركعتين » أخرجه البخارى ، ومسلم ، وأبو داوود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه .

وقول على بن ربيعة : « خرجنا مع على بن أبى طالب فقصرنا الصلاة ونحن نرى البيوت » . أخرجه الحاكم ، وذكره البخارى معلقا ،

---

(١) كالتجارة ونحوها .

(٢) كأن شرب فيه مسكرا أو زنى أو قذف أو اغتاب لأنه لم يقصد السفر لهذا .

(٣) واحد الأمصار ، والمراد : المدينة التى خرج منها .

(٤) وهو ما حوله من المساكن .

(٥) الغلوة : كالمشهورة : ثلاثمائة ذراع الى أربعمائة ، أى تسعة وثلاثون ومائة متر الى ستة وثمانية ومائة متر .

قال : وخرج على رضى الله عنه فقصر وهو يرى البيوت ، فلما رجع قيل له : هذه الكوفة • قال : لا •• حتى ندخلها ••

ثم يقول فى الدين الخالص :

وبهــذا قالت الأئمة الأربعة والأوزاعى واسحاق وجماعــة من التابعين •

وروى مطرف وابن المــاجشون عن مالك أنه لا يقصر حتى يجاوز ثلاثة أميال ، لظاهر قول أنس : « كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو فراسخ يصلى ركعتين » أخرجه أحمد ومسلم وأبو داوود •

قالوا : المراد به بيان المسافة التى يبدأ منها القصر •

قال ابن المنذر : ولا أعلم أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قصر فى سفر من أسفاره الا بعد خروجه من المدينة • أ • هـ •

وخامسا : أن لا يقتدى بمقيم أو مسافر يتم الصلاة ، فان فعل ذلك وجب عليه الاتمام ، ولو دخل معه فى التشهد الأخير •

وقد قال الحنفية : لا يجوز اقتداء المسافر بالمقيم الا فى الوقت ، وعليه الاتمام حينئذ : لأن فرضه يتغير عند ذلك من اثنين لأربع : أما اذا خرج الوقت فلا يجوز له الاقتداء بالمقيم ، لأن فرضه بعد خروج الوقت لا يتغير الى أربع ، لأنه استقر فى ذمته ركعتين فقط ، فلو اقتدى به بطلت صلاته لأن القعدة الأولى حينئذ فى حق المسافر المقتدى فرض ، وهى فى حق امامه المقيم ليست كذلك ، والواجب أن يكون الامام أقوى حالا من المــأموم فى الوقت وبعده •

أما اقتداء المقيم بالمسافر فيصح مطلقا ••

وكذلك قال المــالكية : اذا لم يدرك المسافر مع الامام ركعة كاملة ، فلا يجب عليه الاتمام بل يقصر ، لأن المــأمومية لا تتحقق الا بادراك ركعة كاملة مع الامام •

وسادسا : أن ينوى القصر عند كل صلاة تقصر ••

قال المــالكية : تكفى نية القصر فى أول صلاة يقصرها فى السفر ولا يلزم تجديدها فيما بعدها من الصلوات ، فهى كنية الصوم أول ليلة من رمضان ، فانها تكفى لباقى الشهر •

وقال الحنفية : انه يلزمه نيــة السفر قبل الصــلاة ومتى نوى السفر ، كان فرضه ركعتين •• ولا يلزمه فى النيــة تعيين عدد الركعات •

وتحت عنوان : **مسافة القصر :**

قرأت تلخيصا مفيدا ، فى كتاب الفقه الواضح ، يقول فيه كاتبه :
اختلف الفقهاء فى تقدير مسافة القصر اختلافا كثيرا :

فقدرها الحنفية بثلاثة أيام ، أو ليال ، من أقصر أيام السنة ، سيرا معتادا •

واستدلوا بحديث خزيمة بن ثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قـال : « المسح على الخفين للمسافر ثلاثة أيام ، وللمقيم يوم وليلة » • أخرجه أحمد وأبو داوود •

قالوا فى الحديث اشارة الى أن السـفر التام الذى تتغير به الأحكام ــ لكونه مظنة المشقة المقتضية للتخفيف ــ هو للثلاثة ، والأخذ بها هو الأحوط ، وقد اعتبر الشرع هـذا العدد فى أحكام كثيرة •

وقدرها الشافعية ، والمـالكية ، والحنابلة بمرحلتين ، سيرا وسطا •• والمرحلتان أربعة برد ، والبريد أربعة فراسخ ، والفرسخ ثلاثة أميال ، فتكون المسافة بالأميال ثمانية وأربعين ميلا :
أى نحو تسعة وثمانين كيلو مترا •

واستدلوا على هـذا التقدير بما روى عطـاء بن أبى رباح أن ابن عمر ، وابن عباس ، كانا يصليان الرباعية ركعتين ، ويفطران فى أربعة برد[1] ، فما فوق ذلك • أخرجه البيهقى بسند صحيح •

ويقول عطاء بن أبى رباح : قلت لابن عباس : أقصر الصلاة الى عرفة ؟ فقال : لا ، ولكن الى جدة ، وعسفان ، والطائف ، وان قدمت الى أهل ، أو ماشية ، فأتم • أخرجه الشافعى والبيهقى بسند صحيح •
وهذه الأماكن الثلاثة تبعد عن مكة بنحو أربعة برد •



كما يقول تحت عنوان : **مدة القصر :**

اتفق الفقهاء على أن المسافر يقصر الصلاة ، حتى يقضى حاجته ، ويعود الى بلده ، ما لم ينو الاقامة ، ولو مكث فى سفره عدة شهور ، وذلك كأن ينتظر قضاء حاجته ، ويقول فى نفسه غدا أسافر ، غدا أسافر •

---

(١) برد : بضمتين ، جمع بريد ، فتكون المسافة بالميل ثمانية وأربعين ميلا ، وبالكيلو متر نحوا من تسعة وثمانين كيلو مترا •

فان نوى الاقامة أيام ، فان الفقهاء يختلفون فى الأيام التى يقصر فيها الصلاة :

فذهب الحنفيــة الى أنه لا يقصر الصــلاة ، ان نوى الاقامة خمسة عشر يوما فأقصر لقول[1] ابن عباس وابن عمر : اذا قدمت بلدة ، وأنت مسافر ، وفى نفسك أن تقيم خمس عشرة ليلة ، فأكمل الصلاة بها ، وان كنت لا تدرى متى تظعن[2] فأقصرها • أخرجه الطحاوي •

وذهب الشافعية : الى أنه لا يقصر الصلاة ، ان نوى الاقامة ثمانية عشر يوما ، لحديث عمر بن حصين ، قال : غزوت مع النبى صلى الله عليــه وسلم ، وشهدت معه الفتح ، فأقام بمكة ثمانى عشرة ليلة ، لا يصلى الا ركعتين ، ويقول : « يا أهل البلد صلوا أربعا ، فانا قوم سفر »[3] أخرجه الشافعى مطولا وأبو داوود •

وذهب المــالكية ، وبعض الحنابلة : الى أنه لا يقصر ان نوى الاقامة أربعة أيام فأكثر ، لقول سعيد بن المسيب : من أجمع[4] اقامة أربع ليال ، وهو مسافر ، أتم الصلاة • رواه مالك •



كما يقول تحت عنوان : **اقتداء المسافر بالمقيــم :**

ان اقتدى المسافر بالمقيم أتم صلاته ، ان أدرك معــه ركعة ، ولا يجوز له أن يقصرها ، لأن المــأموم يتبع امامه وجوبا ، فلا يخرج من الصلاة قبله ، واذا اقتدى مقيم بمسافر ، وقصر المسافر الصلاة ، بأن صلى الظهر ركعتين — مثلا — فعلى المقيم أن يتم صلاته ، ولا يسلم مع امامه ، لحديث عمر بن حصين المتقدم ، وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث بمكة ثمانى عشرة ليلة ، فكان يصلى ركعتين ، ويقول : « يا أهل البلد صلوا أربعا ، فانا قوم سفر » •

أى لا تخرجوا من الصلاة معنا ، بل أكملوها أربعا ، فأنتم مقيمون ، ونحن على سفر ، ولنا رخصة فى قصر الصلاة ، ليست لكم ، والله أعلم •



---

(١) نقله صاحب الدين الخالص عن كتاب فتح القدير لابن الهمام •
(٢) أى تسافر •
(٣) أى لستم مثلنا فأنتم مقيمون ونحن على سفر •
(٤) أى من نوى الاقامة •

وأما عن : **صلاة التطوع فى السفر :**

أى عن السنة القبلية والبعدية ، وغيرهما : فقد قال ملخصا — هذا فى فقه السنة — :

ذهب الجمهور من العلماء الى عدم كراهة النفل لمن يقصر الصلاة فى السفر لا فرق بين السنن الراتبة وغيرها • فعند البخارى ومسلم ، أن النبى صلى الله عليه وسلم اغتسل فى بيت أم هانىء يوم فتح مكة وصلى ثمانى ركعات •

وعن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم ، كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومىء برأسه •

وقال الحسن : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسافرون فيتطوعون قبل المكتوبة وبعدها •

ويرى ابن عمر وغيره ، أنه لا يشرع التطوع مع الفريضة لا قبلها ولا بعدها الا من جوف الليل ، ورأى قوما يسبحون — أى يصلون — بعد الصلاة ، فقال : لو كنت مسبحا لأتممت صلاتى ، يا ابن أخى صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يزد على ركعتين ، وذكر عمر وعثمان ، وقال : **« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة »**[1] • رواه البخارى •

وجمع ابن قدامة بين ما ذكره الحسن وبين ما ذكره ابن عمر بأن حديث الحسن يدل على أنه لا بأس بفعلها ، وحديث ابن عمر يدل على أنه لا بأس بتركها •

والمختار[2] عند الحنفيين : أن المسافر اذا كان فى حال أمن وقرار يأتى بالرواتب ، وان كان فى حال خوف وفرار لا يأتى بها • وبه يجمع بين الأحاديث •

* * *

وأما عن الرخصة الرابعة ، وهى :

الجمع بين الصلاتين فى السفر

فخلاصة القول فى هذا الموضوع ، هو : أن الفقهاء اتفقوا على أنه لا يجوز الجمع بين الصبح والظهر ، ولا بين العصر والمغرب ••

---

(١) الأحزاب : ٢١

(٢) كما يقول فى الدين الخالص ج ٤

ولكنهم اختلفوا فى الجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء فأجازه أكثر الفقهاء فى الأحاديث الآتية[1] :

بعرفة والمزدلفة :

أما بعرفة فان الحجاج يجمعون بين الظهر والعصر ، جمع تقديم فيصلون الظهر ركعتين ، ثم يؤذنون للعصر فيصلونه ركعتين ، لأنهم على سفر .

وأما بمزدلفة ، فانهم يجمعون بين المغرب والعشاء جمع تأخير ، فيصلون المغرب ثلاث ركعات ، لأنها صلاة لا تقصر ، ويصلون العشاء ركعتين ، صلاة قصر .

والجمع بعرفة والمزدلفة : سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى السفر الطويل :

فانه من نوى السفر الى مكان ، سفرا تقصر الصلاة فيه : له أن يجمع بين الظهر والعصر ، أو بين المغرب والعشاء ، جمع تقديم ، أو تأخير :

فان خرج من منزله قبل حضور وقت الظهر ، فله أن يؤخر صلاة الظهر الى العصر ، ويجمعهما جمع تأخير .

وان خرج قبل غروب الشمس : جمع المغرب والعشاء جمع تأخير .

وان خرج بعد الغروب : جمع العشاء مع المغرب جمع تقديم .

هكذا كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فعن معاذ رضى الله عنه : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى غزوة تبوك اذا زاغت[2] الشمس قبل أن يرتحل ، جمع بين الظهر والعصر ، واذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس ، أخر الظهر ، حتى ينزل للعصر ، وفى المغرب مثل ذلك ، وان غابت الشمس قبل أن يرتحل ، جمع بين المغرب والعشاء ، وان ارتحل قبل أن تغيب الشمس ، أخر المغرب ، حتى ينزل للعشاء ، ثم نزل فجمع بينهما » . رواه أبو داوود والترمذى .



---

(١) كما لخص هـذا فى الفقه الواضح ج ٢

(٢) أى زالت عن وسط السماء ناحية الغرب ، وهو وقت وجوب الظهر .

وفى حال وجود المطر أو توقعه :

جوز الحنابلة الجمع بين المغرب والعشاء جمع تقديم وتأخير ، اذا كثر الوحل ، وكثر نزول المطر ، وشق على الناس الوصول الى المسجد .

وجوز المالكية الجمع بين المغرب والعشاء جمع تقديم فقط ، بالمسجد — أيضا — لنفس العذر .

روى البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم جمع بين المغرب والعشاء فى ليلة مطيرة .



وبسبب المرض أو العذر :

ذهب الامام أحمد ، والقاضى حسين ، والخطابى ، والمتولى من الشافعية : الى جواز الجمع تقديما وتأخيرا ، بعذر المرض ، لأن المشقة فيه أشد من المطر ، قال النووى : وهو قوى فى الدليل . وفى المغنى : والمرض المبيح للجمع هو : ما يلحقه به بتأدية كل صلاة فى وقتها مشقة وضعف .

وتوسع الحنابلة ، فأجازوا الجمع تقديما وتأخيرا ، لأصحاب الأعذار ، وللخائف ، فأجازوه للمرضع التى يشق عليها غسل الثوب فى وقت كل صلاة ، وللمستحاضة ، ولمن به سلس بول ، ولعاجز عن الطهارة ، ولمن خاف على نفسه ، أو ماله ، أو عرضه ، ولمن خاف ضررا يلحقه فى معيشته بترك الجمع[1] أ . هـ .

قال ابن تيمية : وأوسع المذاهب فى الجمع مذهب أحمد ، فانه جوز الجمع اذا كان شغل كما روى النسائى ذلك مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم الى أن قال : يجوز الجمع أيضا للطباخ والخباز ونحوهما ممن يخشى فساد ماله .



فائدة هامة :

قال فى المغنى : واذا أتم الصلاتين فى وقت الأولى ثم زال العذر بعد فراغه منهما قبل دخول وقت الثانية أجزأته ولم تلزمه الثانية فى وقتها ، لأن الصلاة وقعت صحيحة مجزئة عما فى ذمته وبرئت ذمته منها ،

---

(١) انظر فقه السنة ج ٢ ص ٢٣٠

فلم تشتغل الذمة بها بعد ذلك ، ولأنه أدى فرضه حال العذر فلم يبطل بزواله بعد ذلك ، كالمتيمم اذا وجد الماء بعد فراغه من الصلاة .

* * *

وفائدة أخرى :

وهى أنه يسن لمن جمع بين الصلاتين لسفر أو غيره أن يؤذن للأولى ويقيم لكل منهما ؛ لحديث جابر بن عبد الله : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الصلاتين بعرفة بأذان واحد واقامتين ، وأتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ، ولم يسبح بينهما[١] ثم اضطجع حتى طلع الفجر . أخرجه مسلم والنسائى .

وبهذا : قالت الحنفية والشافعية والحنبلية ، وأبو ثور وعبد الملك ابن الماجشون المالكى ، وقواه الطحاوى .

وقالت المالكية : يؤذن ويقيم لكل واحدة منهما غير أنه يخفض صوته بأذان الثانية مخافة التخليط على الناس ..

وقال الثورى : يصليهما باقامة واحدة ..

قال فى الدين الخالص : والراجح القول الأول[٢] ..

* * *

وأما عن الرخصة الخامسة ، وهى :

التنفل راكبا

قال فى الاحياء : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يصلى على راحلته أينما توجهت به دابته ، وأوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الراحلة[٣] .

وليس على المتنفل الراكب فى الركوع والسجود الا الايماء ، وينبغى أن يجعل سجوده أخفض من ركوعه ، ولا يلزمه الانحناء الى حد يتعرض به لخطر بسبب الدابة ، فان كان فى مرقد فليتمم الركوع والسجود فانه قادر عليه .

وأما استقبال القبلة : فلا يجب لا فى ابتداء الصلاة ولا فى دوامها ، ولكن صوب الطريق بدل عن القبلة ، فليكن فى جميع صلاته اما مستقبلا

---

(١) لم يسبح ، أى لم يتنفل بين المغرب والعشاء .

(٢) انظر الدين الخالص ج ٤ ص ٧٩

(٣) كما جاء فى نص حديث صحيح رواه احمد والشيخان — وفيه بعد ذلك : « غير أنه لا يصلى عليها المكتوبة » : أى المفروضة .

للقبلة أو متوجها فى صوب الطريق لتكون له جهة يثبت فيها ، فلو حرف دابته عن الطريق قصدا بطلت صلاته ، الا اذا حرفها الى القبلة ، ولو حرفها ناسيا وقصر الزمان لم تبطل صلاته ، وان طال ففيه خلاف ، وان جمحت به الدابة فانحرفت لم تبطل صلاته ، لأن ذلك مما يكثر وقوعه ، وليس عليه سجود سهو ، اذ الجماح غير منسوب اليه ، بخلاف ما لو حرف ناسيا ، فانه يسجد للسهو بالايماء .

وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى على راحلته وهو مقبل من مكة الى المدينة حيثما توجهت به وفيه نزلت : « **فأينما تولوا فثم وجه الله** »[1] . رواه أحمد ومسلم والترمذى وصححه .

* * *

وأما الرخصة السادسة ، وهى :

التنفــل ماشــيا

ففى الاحياء يقول أيضا : التنفل للماشى جائز فى السفر ، ويومىء بالركوع والسجود ، ولا يقعد للتشهد ؛ لأن ذلك يبطل فائدة الرخصة ، وحكمه حكم الراكب ، لكن ينبغى أن يتحرم[2] بالصلاة مستقبلا للقبلة ، لأن الانحراف فى لحظة لا عسر عليه فيه ، بخلاف الراكب ، فان فى تحريف الدابة وان كان العنان بيده نوع عسر ، وربما تكثر الصلاة فيطول عليه ذلك ، ولا ينبغى أن يمشى فى نجاسة رطبة عمدا ، فان فعل بطلت صلاته ؛ بخلاف ما لو وطئت دابة الراكب نجاسة ، وليس عليه أن يشوش المشى على نفسه بالاحتراز من النجاسات التي لا تخلو الطريق عنها غالبا ، وكل هارب من عدو ، أو سيل ، أو سبع ، فله أن يصلى الفريضة راكبا أو ماشيا كما ذكرناه فى التنفل .

* * *

وفى فقه السنة[3] ، أشار الى حكم :

الصلاة فى السفينة والقاطرة والطائرة

فقال : تصح الصلاة فى السفينة والقاطرة والطائرة بدون كراهة حسبما تيسر للمصلى :

---

(١) البقرة : ١١٥

(٢) أى يكبر تكبيرة الاحرام وهو متوجه للقبلة ، ثم يسير بعد ذلك فى اتجاهه وهو يصلى .

(٣) وكذا فى الدين الخالص ج ٢ ص ١١٦

فعن ابن عمر ، قال : سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فى السفينة ؟ قال : « صل فيها قائما الا أن تخاف الغرق » • رواه الدارقطنى والحاكم على شرط الشيخين •

وعن عبد الله بن أبى عتبة ، قال : صحبت جابر بن عبد الله وأبا سعيد الخدرى وأبا هريرة فى سفينة ، فصلوا قياما فى جماعة ، أمهم بعضهم وهم يقدرون على الجد[1] • رواه سعيد بن منصور •

وقد اتفق الأئمة الأربعة على جواز الصلاة فرضا وغيره فى السفينة ونحوها ، فان كانت واقفة أو مستقرة على الأرض ، صحت الصلاة فيها وان أمكنه الخروج منها اتفاقا ، لأنها اذا استقرت كان حكمها حكم الأرض • ولابد من الركوع والسجود والتوجه الى القبلة فى كل الصلاة • ويلزم أيضا القيام فى الفرض للقادر عليه •

وان كانت سائرة فان لم يمكنه الخروج الى الشط وصلى قائما بركوع وسجود ، أو قاعدا لعجزه عن القيام بأن كان يعلم أنه يدور رأسه لو قام : صحت صلاته اتفاقا •

واذا دارت السفينة ونحوها فى أثناء الصلاة ، استدار الى القبلة حيث دارت ان أمكنه ، لأنه قادر على تحصيل هذا الشرط بغير مشقة ، فيلزمه تحصيله اتفاقا • فان عجز عن الاستقبال صلى الى جهة قدرته ولا اعادة عليه عند الأئمة الثلاثة •



وأما عن الرخصة السابعة ، من رخص السفر ، وهى :

الفطـر فى رمضـان

كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تبارك وتعالى فيها :

« •• فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر •• »[2] •

وقد كان بعض الصحابة يصوم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم يفطر متابعين فى ذلك فتوى رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال حمزة الأسلمى : يا رسول الله •• أجد منى قوة على الصوم فى السفر فهل على جناح ؟ فقال : « هى رخصة من الله تعالى ، فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » رواه مسلم •

---

(١) الجد بضم الجيم ، شاطىء النهر ، وكذا الجدة ، وبه سمى ثغر مكة : جدة .

(٢) البقرة : ١٨٤

وعن أبى سعيد ، قال : سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة — ونحن صيام — قال : فنزلنا منزلا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم ، فكانت رخصة فمنا من صام ، ومنا من أفطر ، ثم نزلنا منزلا آخر ، فقال : انكم مصبحوا عدوكم ، والفطر أقوى لكم ، فأفطروا ، فكانت عزمة ، فأفطرنا ، ثم رأيتنا نصوم بعد ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر » • رواه أحمد ومسلم وأبو داوود •

وقد اختلف الفقهاء فى أيهما أفضل :

فرأى أبو حنيفة والشافعى ومالك : أن الصيام أفضل لمن قوى عليه ، والفطر أفضل لمن لا يقوى على الصيام •

وقال أحمد : الفطر أفضل •

وقال عمر بن عبد العزيز : أفضلهما أيسرهما ، فمن يسهل عليه حينئذ ويشق عليه قضاؤه بعد ذلك فالصوم فى حقه أفضل •

وحقق الشوكانى : فرأى أن من كان يشق عليه الصوم ، ويضره ، وكذلك من كان معرضا عن قبول الرخصة ، فالفطر أفضل ، وكذلك من خاف على نفسه العجب أو الرياء اذا صام فى السفر فالفطر فى حقه أفضـــل •

وما كان من الصيام خاليا عن هذه الأمور فهو أفضل من الافطار •

واذا نوى المسافر الصيام بالليل وشرع فيه جاز له الفطر أثناء النهار : فعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح فصام حتى بلغ كراع الغميم[١] ، وصام الناس معه ، فقيل له : ان الناس قد شق عليهم الصيام ، وان الناس ينظرون فيما فعلت ، فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون اليه ، فأفطر بعضهم ، وصام بعضهم ، فبلغه أن ناسا صاموا ، فقال : « أولئك العصاة »[٢] • رواه مسلم والنسائى والترمذى وصححه •

والسفر المبيح للفطر ، هو السفر الذى تقصر الصلاة بسببه ، ومدة الاقامة التى يجوز للمسافر أن يفطر فيها ، هى المدة التى يجوز له أن يقصر الصلاة فيها • وقد تقدم جميع ذلك فى مبحث قصر الصلاة •

---

(١) اسم واد أمام عسفان .

(٢) لأنه عزم عليهم فأبوا وخالفوا الرخصة .

وفى الاحياء ، يقول الامام الغزالى رحمه الله تعالى ، حول تلك الرخصة السابعة :

فللمسافر أن يفطر الا اذا أصبح مقيما ثم سافر فعليه اتمام ذلك اليوم •

وان أصبح مسافرا صائما ثم أقام فعليه الاتمام •

وان أقام مفطرا فليس عليه الامساك بقية النهار •

وان أصبح مسافرا على عزم الصوم لم يلزمه ، بل له أن يفطر اذا أراد ، والصوم أفضل من الفطر ، والقصر أفضل من الاتمام ، للخروج عن شبهة الخلاف ، ولأنه ليس فى عهدة القضاء بخلاف المفطر فانه فى عهدة القضاء ، وربما يتعذر عليه ذلك بعائق فيبقى فى ذمته الا اذا كان الصوم يضر به فالافطار أفضل •

ثم يقول الامام الغزالى بعد ذلك معلقا على جميع تلك الرخص التى وقفنا عليها :

فهذه سبع رخص ، تتعلق ثلاث منها بالسفر الطويل ، وهى : القصر ، والفطر ، والمسح ثلاثة أيام •

وتتعلق اثنتان منها بالسفر طويلا كان أو قصيراً ، وهما : سقوط الجمعة ، وسقوط القضاء عند أداء الصلاة بالتيمم •

وأما صلاة النافلة ، ماشيا وراكبا ففيه خلاف والأصح جوازه فى القصير •

والجمع بين الصلاتين : فيه خلاف ، والأظهر اختصاصه بالطويل •

وأما صلاة الفرض راكبا وماشيا للخوف فلا تتعلق بالسفر ، وكذا أكل الميتة ، وكذا أداء الصلاة فى الحال بالتيمم عند فقد الماء ، بل يشترك فيها الحضر والسفر مهما وجدت أسبابها •

* * *

فليذكر الأخ القارىء كل تلك الأحكام التى وقفنا عليها ، والتى تتعلق بتلك الرخص التى شرعت كما عرفنا رحمة بالمسافر وتفضلا من الله سبحانه وتعالى عليه •

مع ملاحظة :

أن الرخصة ، معناها : تسهيل أمر صعب لضرورة شرعية ، مثل جعل الصلاة الرباعية ركعتين فى السفر •

وأن العزائم ، جمع عزيمة ، وهى : الأمر المطلوب فعله أو تركه ، على جهة الوجوب •

وهناك ملاحظة أخرى ، أو حكم آخر ، أرى ضرورة أن تقف عليه الأخت المسلمة ، وأنت كذلك كزوج ، أو محرم لها ، وهو :

حكم سفر المرأة :

وخلاصة الاجابة على هذا ، هو أنه لا يحل للمرأة السفر ولو للحج الا مع محرم أو زوج :

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرا يكون ثلاثة أيام فصاعدا الا ومعها أبوها ، أو أخوها ، أو زوجها ، أو ابنها ، أو ذو محرم منها » رواه البخارى ومسلم •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة الا مع ذى محرم منها — وفى رواية : مسيرة يوم — وفى أخرى — مسيرة ليلة الا ومعها رجل ذو محرم منها » • رواه مالك والبخارى ومسلم ، وغيرهما ، وفى رواية لأبى داوود وابن خزيمة : « أن تسافر بريدا »[1] •

فهذه الأحاديث تشمل كل سفر ومنه الحج ، ولا تعارض[2] آية :

« ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا »[3] •

لأن الأحاديث تضمنت أن المحرم فى حق المرأة من جملة الاستطاعة على السفر المطلقة فى الآية •

والمحرم : كل من حرم عليه نكاح المرأة على التأبيد لسبب مباح لحرمتها :

فبقيد التأبيد ، خرجت أخت امرأته ، وعمتها ، وخالتها ، وبنتها اذا فارق الأم قبل الدخول •

وبقيد لسبب مباح ، خرجت أم الموطوءة بشبهة وبنتها ، فانه يحرم نكاحهما على التأبيد لكن لا لسبب مباح ، فان وطء الشبهة لا يوصف بالاباحة ولا الحرمة ولا غيرهما من الأحكام الخمسة ، لأنه ليس فعلا مكلفا به •

---

(١) أى أربع فراسخ ، والفرسخ : ثلاثة أميال ، والميل : ألف باع •
(٢) كما يقول فى الدين الخالص ج ٤ (٣) آل عمران : ٩٧

وبقيد لحرمتها ، خرجت الملاعنة فانها حرام على التأبيد لا لحرمتها ، بل تغليظا على المتلاعنين •

واستثنت الحنبلية المحرم الكافر ، فانه لا يعد محرما لقريبته المسلمة عندهم ، لأنه لا يؤمن أن يفتنها عن دينها •

* * *

قال فى الدين الخالص ، تحت عنوان :

(فائــدة)

يستحب لمن له أكثر من زوجة وأراد السفر باحداهن أن يقرع بينهن تطييبا لخاطرهن ، فمن خرج سهمها أخذها معه لحديث عائشة : أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان اذا أراد أن يخرج سفرا — يعنى الى سفر — أقرع بين أزواجه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه • أخرجه أحمد والبخارى •

وفى رواية : كان اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه • أخرجه الشيخان وأبو داوود وابن ماجه •

ثم يقول فى الدين الخالص :

وكيفية القرعة أن يؤخذ خاتم هذا ، وخاتم هذا ، ويوضعان فى جراب أو نحوه فيخرج واحد منهما •

وقيل : يكتب اسم كل فى ورقة وتطوى ثم توضع فى جراب ونحوه ، فمن خرجت ورقته فهو صاحب القرعة •

* * *

وبعد ، أخا الاسلام : اذا كان لنا أن نعود الآن ، وبعد أن وقفنا على المعنى المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « السـفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه •• » • وتعرفنا من خلال هذا المعنى على فضل السفر وآدابه وأذكاره ، كما عرفنا رخص السفر ، وما يتعلق بهذا الموضوع من أدلة نقلية وعقلية ، بالاضافة الى الأحكام الموضوعية التى وقفنا عليها والتى تتعلق بكل هذا من أوله الى آخره على ضوء المراجع الصحيحة التى من أهمها : الفقه على المذاهب الأربعة ، والدين الخالص ، وفقه السنة ، والفقه الواضح ، وغير ذلك من كتب الفقه المعتمدة :

اذا كان لنا أن نعود بعد ذلك الى الوصية لكى نستكمل الجزء المتبقى منها ، وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« .. فاذا قضى أحدكم نهمتيه من سفره : فليعجل الرجوع الى أهله » :

فالمعنى الاجمالى ، هو : أنه من الواجب على رب الأسرة المسافر ، اذا قضى نهمته ـ أى حاجته ـ من سفره : أن يعجل بالرجوع الى أهله ، لأنه مسئول عنهم ولابد أن يعود سريعا اليهم ، حتى يباشر مصالحهم ، ويسهر على راحتهم :

ففى الحديث الشريف : « خيركم خيركم لأهلــه ، وأنا خيركم لأهلى »[1] .

وفى الحديث : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »[2] .

وقد وردت أحاديث كثيرة ترغب الانسان فى الانفاق على أهله ، فاليك بعضها :

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك : أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك » رواه مسلم .

وعن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهى له صدقة » متفق عليــه .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت » حديث صحيح رواه أبو داوود وغيره .

ورواه مسلم فى صحيحه بمعناه ، قال : « كفى بالمرء اثما أن يحبس عمن يملك قوته » .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى حديثه الطويل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « انك لن تنفق نفقة تبتغى

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) جزء من حديث رواه البخارى ومسلم ، عن ابن عمر .

بها وجه الله الا أجرت بها ، حتى ما تجعل فى فى امرأتك »[١] متفق عليـــه .

* * *

فاذا كان الأخ المسلم المسافر سينفذ ــ بعون الله وتوفيقه ــ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بمجرد قضاء نهمته من سفره :

فاننى أحب كذلك ، أن أزوده ببعض المستحبات ، التى ذكرها الامام محمود خطاب السبكى رحمه الله تعالى ، تحت عنوان :

آداب الرجوع من السفر

يستحب لمن قدم من السفر : أن يبدأ بالمسجد فيصلى فيه ركعتى القدوم ، وأن يجلس من يقصد للسلام عليه فى مكان بارز سهل على زائريه ، وألا يأتى أهله بغتة :

لقول جابر بن عبد الله : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى سفر فلما قدمنا المدينة ، قال لى : « ادخل المسجد فصل ركعتين » . أخرجه الشيخان .

ولقول كعب بن مالك : « كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لا يقدم من سفر الا نهارا[٢] فى الضحى ، فاذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم جلس فيه فيأتيه الناس فيسلمون عليه » أخرجه أحمد والشيخان .

ولقول أنس بن مالك : « كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يطرق أهله ليلا ، كان يدخل عليهم غدوة[٣] أو عشية »[٤] . أخرجه أحمد والشيخان .

ولحديث جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال له : « اذا دخلت ليلا : فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة[٥] وتمتشط

---

(١) فى الثانية : أى فم امرأتك .

(٢) التقييد بالنهار باعتبار الغالب ، والا ففى الحديث بعده : « كان يدخل عليهم غدوة أو عشية » .

(٣) الغدوة : ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس .

(٤) العشية : ما بعد الزوال الى الغروب .

(٥) أى من غاب عنها زوجها . والاستحداد : معناه الاستعداد . بالنظافة لتستقبله على أحسن حال .

الشعثة[١] واذا دخلت فعليك الكيس[٢] الكيس » أخرجه البخارى ، وأبو داوود ومسلم والترمذى ، والنسائى ، وأحمد .

وحديث ابن عمر : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل العقيق[٣] فنهى عن طروق النساء الليلة التى يأتى فيها ، فعصاه فتيان فكلاهما رأى ما يكره » . أخرجه أحمد بسند جيد ، وأخرجه الترمذى عن ابن عباس قال : لما نهاهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يطرقوا النساء ليلا طرق رجلان بعد النهي فوجد كل واحد منهما مع امرأته رجلا . أهـ .

فقد أفادت هذه الأحاديث : أنه يكره لمن طال سفره أن يقدم على امرأته ليلا بغتة .

فأما من كان سفره قريبا تتوقع امرأته اتيانه ليلا ، فلا بأس ، ففى رواية : « اذا أطال الرجل الغيبة » .

وكذا اذا علمت امرأته وأهله وقت قدومه فلا بأس بقدومه متى شاء ، لزوال سبب النهى وهو مفاجأة أهله قبل أن يتأهبوا لقدومه :

ويؤيده ما تقدم فى حديث جابر من قوله صلى الله عليه وسلم : « فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة » .

ويستحب لمن قدم من سفر ودخل بيته أن يقول ، ما فى حديث ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا رجع من سفره فدخل على أهله قال : « توبا توبا[٤] ، لربنا أوبا[٥] لا يغادر حوبا »[٦] . أخرجه ابن السنى ، وكذا البزار وأبو يعلى ، بلفظ : فاذا دخل على أهله ، قال : « أوبا أوبا ، لربنا توبا ، لا يغادر علينا حوبا » وأخرجه أحمد ، والطبرانى فى الكبير بسند رجاله رجال الصحيح .

* * *

ويستحب أن يقال لمن قدم من سفر : الحمد الله الذى سلمك ، الحمد لله الذى جمع الشمل بك ، ونحو ذلك :

---

(١) أى من تلبد شعرها .

(٢) الكيس : بفتح فسكون فى الأصل العقل : أريد به هنا الجماع .

(٣) العقيق : موضع قرب المدينة مما يلى الحرة الى منتهى البقيع .

(٤) توبا : مصدر تاب منصوب على تقدير : تب علينا توبا ، أو نسألك توبا .

(٥) أوبا : من آب اذا رجع . (٦) الحوب : الاثم .

فقد قالت عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ، فلما دخل استقبلته فأخذت بيده ، فقلت : الحمد لله الذى نصرك وأعزك وأكرمك • أخرجه ابن السنى •

* * *

وأخيرا أخا الاسلام :

وبعد أن وقفنا على أنواع السفر الدنيوى وآدابه ، وأذكاره ، وأحكامه :

أريد بعد ذلك ، ومع ذلك أن أذكرك ونفسى ببعض المواعظ الهامة التى تتعلق بالسفر الأخروى الطويل ، الذى أشار اليه ، أو تحدث عنه الصحابى الجليل أبو الدرداء رضى الله عنه ، يوم أن وقف أمام الكعبة قائلا لأصحابه : « أليس اذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ قالوا : نعم • قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون • فقالوا : دلنا على زاده • فقال : حجوا حجة : لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل : لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره : لطول يوم النشور » •

* * *

وأول تلك المواعظ التى أريد أن أزودك ونفسى بها لهذا السفر الطويل :

هو تلك الخطبة الجامعة التى يقول فيها أفضل الوعاظ صلوات الله وسلامه عليه : « أيها الناس •• ان لكم معالم[1] فانتهوا الى معالمكم ، وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ، ان المؤمن بين مخافتين ، بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقى لا يدرى ما الله تعالى قاض عليه فيه ، فليأخذ العبد لنفسه من نفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت • والذى نفس محمد بيده ، ما بعد الموت من مستعتب[2] ولا بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار » • ذكره أبو بكر الباقلانى فى كتابه اعجاز القرآن •

---

(١) جمع معلم ، كمذهب ، وهو فى الأصل الدليل فى الطريق ، والمراد به هنا حدود الشريعة المطهرة .

(٢) أى ليس بعد الموت استرضاء ، لأنه وقت جزاء لا وقت عمل : « فاليوم عمل ولا حساب ، وغدا حساب ولا عمل » كما جاء فى نص حديث شريف .

وثانى تلك المواعظ ، هو تلك الوصية الجامعة التى يقول فيها لقمان الحكيم لولده : « يا بنى انك منذ نزلت الى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة ، فدار أنت اليها تسير ، أقرب من دار أنت عنها ترحل » •

ومن وصاياه أيضا عليه السلام لولده :

« يا بنى انى موصيك بثمانية أمور ، ان أنت عملت بها كنت سعيدا فى الدنيا والآخرة :

احفظ قلبك فى الصلاة ، واحفظ نظرك فى بيوت الناس ، واحفظ لسانك فى مجالس الناس ، واحفظ بطنك من حلقومك •

واذكر اثنين ، وانس اثنين : اذكر الله ، والموت • وانس احسانك الى الناس ، واساءتهم اليك » •



وثالث تلك المواعظ ، هو كلام جامع لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، يقول فيه : « ان لكل سفر زادا لا محالة ، فتزودوا ــ لسفركم من الدنيا الى الآخرة ــ التقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم ، فوالله ما بسط أملا من لا يدرى لعله لا يصبح بعد مسائه ، ولا يمسى بعد صباحه ، ولربما كانت بين ذلك خطفات المنايا •• » •

ومن وصاياه أيضا رضى الله عنه : « ان الله عز وجل لم يخلقكم عبثا ، ولم يدع شيئا من أموركم سدى ، ان لكم معادا ينزل الله فيه للحكم والقضاء بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله عز وجل ، وحرم الجنة التى عرضها السموات والأرض ، فاشترى قليلا بكثير ، وفانيا بباق ، وخوفا بأمن •• » •

ومن كلامه أيضا رضى الله عنه : « •• ألا ان الدنيا بقاؤها قليل ، وعزيزها ذليل ، وغنيها فقير ، وشابها يهرم ، وحيها يموت ، فلا يغرنكم اقبالها مع معرفتكم بسرعة ادبارها ، فالمغرور من اغتر بها •

أين سكانها الذين بنوا مدائنها ، وشقوا أنهارها وغرسوا أشجارها ، وأقاموا فيها أياما يسيرة ؟ غرتهم بصحتهم فاغتروا بنشاطهم ، فركبوا المعاصى ، انهم كانوا والله فى الدنيا مغبوطين بالأموال ، على كثرة المنع عليه محسودين على جمعه ، ما صنع التراب بأبدانهم ، والرمل بأجسادهم ، والديدان بعظامهم وأوصالهم ، كانوا فى الدنيـــا على أسرة ممهدة ، وفرش منضودة ، بين خدم يخدمون ، وأهل يكرمون ، وجيران يعضدون ،

... ثم لم يلبثوا والله الا يسيرا ، حتى عادت العظام رميما ، قد فارقوا الحدائق ، وساروا بعد السعة الى المضائق ، وقد تزوجت نساؤهم وترددت فى الطرق أبناؤهم ، وتوزعت الورثة ديارهم وتراثهم ، فمنهم والله الموسع له فى قبره ، الغض الناضر فيه المتنعم بلذته .. » .

* * *

ورابع تلك المواعظ ، هو ما قاله ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه ، عندما سئل : لم زهدت فى الدنيا يا ابراهيم ؟ فقال : لثلاث :

الأول : رأيت الطريق طويلا وليس معى زاد .

الثانى : رأيت القبر موحشا وليس معى مؤنس .

الثالث : رأيت الجبار قاضيا ، وليس معى حجة ، ولا من يدافع عنى .

* * *

فمن كل تلك المواعظ ، وغيرها من المواعظ النافعة ، يتضح لنا : أننا جميعا وبدون استثناء فى سفر الى الله تبارك وتعالى مهما طالت اقامتنا فى تلك الحياة الأولى التى أولها بكاء ، وأوسطها عناء ، وآخرها فناء :

كما يقول سيدنا على رضى الله عنه ، الذى قرأت : أن رجلا اشترى بيتا ، ثم ذهب اليه رضى الله عنه ، ليكتب له حجة هذا البيت ، فكتب عليه رضوان الله ، يقول : « هذه الدار اشتراها ميت من ميت : الحد الأول : الى الموت ، والحد الثانى : الى القبر ، والحد الثالث : الى الحساب ، والحد الرابع : اما الى الجنة واما الى النار » .

فاذا كنا جميعا — كما اتفقنا — فى سفر الى الله ، واذا كنا بعد انتقالنا الى الدار الآخرة . سنحتاج — هناك — الى الزاد الحقيقى الذى سيكون عونا لنا : **« يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم »**[1] ، **« .. يوم ينظر المرء ما قدمت يداه .. »**[2] ، **« يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه »**[3] ، **« يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والأمر يومئذ لله »**[4] ، **« يوم يقوم الناس لرب العالمين »**[5] .

---

(١) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩
(٢) النبأ : ٤٠
(٣) عبس : ٣٤ — ٣٧
(٤) الانفطار : ١٩
(٥) المطففين : ٦

فلابد اذن ، وأن نعد أنفسنا لهذا اليوم ، قبل فوات الأوان ، وقبل أن نقول كما قال القائل الذى ظل نائما ، وعندما جاءه الموت قال :
« .. رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين . ولن يؤخر الله نفســا اذا جاء أجلها ، والله خبير بما تعملون »[1] .

ولابد كذلك ، وأن ننفذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم التى يقول فيها لأبى ذر رضى الله عنه : « أحكم السفينة فان البحر عميق ، واستكثر الزاد فان السفر طويل ، وخفف ظهرك فان العقبة كؤود[2] ، وأخلص العمل فان الناقد بصير » .

والله أسأل أن يبارك لنا جميعا فى أسفارنا ، وأن يختم لنا جميعا بالايمان ..

آمين .. آمين .. آمين .



(١) المنافقون : ١٠ ، ١١

(٢) العقبة : المرقى الصعب ، الطريق فى أعلى الجبال ، وكئود : اى شاقة المصعد ، صعبة المرتقى .

الجزء الثاني عشر

الوصية السابعة والثلاثون

عن أبى ذر جندب بن جنادة وأبى عبد الرحمن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :

« اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » ..

(رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن ، وفى بعض النسخ حسن صحيح) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

منفذا لهذا الحديث الجامع ، أو لتلك الوصية العظيمة الجامعة التى أوصى بها الرسول صلى الله عليه وسلم أبا ذر ومعاذا رضى الله عنهما ، والتى يحتمل أن تكون لأبى ذر وسمعها معاذ ، أو لمعاذ وسمعها أبو ذر ، أو لغيرهما وسمعاها ، وأفرد الضمير على تقدير كل ، أو لكل من يتأتى توجيه الأمر اليه ليعم كل مأمور حتى لا يختص بها مخاطب دون آخر ، من تلك الأمة المحمدية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولما كانت هذه الوصية ـ كما قرأت فى شروحها الكثيرة ـ تشتمل على ثلاثة حقوق : حق الله ، وحق المكلف ، وحق العباد :

فاننى أرى أن أقف معك من خلال شرحى لتلك الوصية ، على تلك الحقوق التى أولها وأهمها :

حق الله

وهو قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « اتق الله حيثما كنت » : أى فى الخلوة ، والجلوة ، والشدة ، والرخاء . أو فى أى زمان أو مكان كنت فيه ، حتى تكون فعلا من الذين يخشون الله .

وحسبك لكى تنفذ هذا أن تستحضر فى قلبك أن الله تعالى مطلع عليك فى جميع أحوالك ، كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تبارك وتعالى فيها : « **ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، ان الله بكل شىء عليم** »[١] .

وهذا يستلزم أن يكون هناك حياء من الله تعالى ، كما جاء فى وصية لسيدنا على كرم الله وجهه يقول فيها لولده الحسن عليه رضوان الله :

يا بنى .. استح من ثلاث : استح من مطالعة الله اياك وأنت مقيم على ما يكره ، واستح من الحفظة الكرام الكاتبين ، واستح من صالحى المؤمنين .

ويقول وهب مشيرا الى هذا : الايمان عريان ، ولباسه التقوى ، وريشه الحياء ، ورأس ماله العفة .

ومن أجمل ما قرأت فى هذا — أيضا — أن ثاران بن لقمان ، قال لأبيه ذات يوم : أى الخصال خير ؟ قال : الدين . قال : فان كانت اثنتين ؟ قال : الدين والمال . قال : فان كانت ثلاثا ؟ قال : الدين والمال والحياء . قال : فان كانت أربعا ؟ قال : فالثلاثة وحسن الخلق . قال : فان كانت خمسا ؟ قال : فالأربعة والسخاء . قال : فان كانت ستا ؟ قال : يا بنى .. اذا اجتمعت فيه الخمس خصال ، فهو تقى نقى ، ولله ولى ، ومن الشيطان برى .

وحتى تكون ان شاء الله من الأتقياء حقا ، فاننى أرى أن أقف معك كذلك على بعض ما قيل فى وصف التقوى :

فقد سئل على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن التقوى ، فقال : هى الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والقناعة بالقليل ، والاستعداد ليوم الرحيل .

وقال بعضهم : تقوى الله تعالى أن لا يراك حيث نهاك ، ولا يفقدك حيث أمرك .

والتقوى : وصية الله للأولين والآخرين ، قال الله تعالى : « **ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله** »[٢] .

---

(١) المجادلة : ٧ (٢) النساء : ١٣١

وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه : من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك ، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه •

وتارة تضاف التقوى الى اسم الله عز وجل كقوله تعالى : **« واتقوا الله الذى اليه تحشرون »**(١) وقوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ، واتقوا الله ، ان الله خبير بما تعملون »**(٢) •

فاذا أضيفت التقوى اليه سبحانه وتعالى فالمعنى اتقوا سخطه وغضبه وهو أعظم ما يتقى •

وعن ذلك ينشأ عقابه الدنيوى والأخروى : قال تعالى : **« ويحذركم الله نفسه »**(٣) وقال تعالى : **« هو أهل التقوى وأهل المغفرة »**(٤) : فهو سبحانه أهل أن يخشى ويهاب ويجل ويعظم فى صدور عباده حتى يعبدوه ويطيعوه لما يستحقه من الاجلال والاكرام وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش وشدة البأس : وفى الترمذى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية : **« هو أهل التقوى وأهل المغفرة »** : قال الله تعالى : أنا أهل التقوى ، فمن اتقانى فلم يجعل معى الها آخر فأنا أهل أن أغفر له •

وتارة تضاف التقوى ، الى عقاب الله والى مكان — عقابه — كالنار ، والى زمانه : قال تعالى : **« واتقوا النار التى أعدت للكافرين »**(٥) وقال تعالى : **« فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ، أعدت للكافرين »**(٦) ، وقال تعالى : **« واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله »**(٧) ، وقال تعالى : **« واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا »**(٨) •

ويدخل فى التقوى الكاملة : فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات ، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات ، وهى أعلى درجات التقوى ، قال الله تعالى : **« آلم • ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين • الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم**

---

(١) المائدة : ٩٦ — (٢) الحشر : ١٨
(٣) آل عمران : ٢٨ — (٤) المدثر : ٥٦
(٥) آل عمران : ١٣١ — (٦) البقرة : ٢٤
(٧) البقرة : ٢٨١ — (٨) البقرة : ٤٨

ينفقون • والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون »[١] ، وقال تعالى : « •• **ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »**[٢] •

قال معاذ بن جبل : ينادى يوم القيامة : أين المتقون ؟ فيقومون فى كنف من الرحمن لا يحتجب منهم ولا يستتر ، قالوا له : من المتقون ؟ قال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله فى العبادة •

وقال الحسن : المتقون اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض عليهم •

وقال عمر بن عبد العزيز : ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل ولا التخليط فيما بين ذلك ، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله ، فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير الى خير •

وقال طلق بن حبيب : التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله •

وقال أبو الدرداء : تمام التقوى أن يتقى الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة ، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما ، يكون حجابا بينه وبين الحرام ، فان الله قد بين للعباد الذى يصيرهم اليه ، فقال : « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** »[٣] • فلا تحقرن شيئا من الخير أن تفعله ولا شيئا من الشر أن تتقيه •

وقال الحسن : ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام •

وقال موسى بن أعين : المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا فى الحرام فسماهم الله متقين •

وقال ابن مسعود ، فى قوله تعالى : « •• **اتقوا الله حق تقاته** »[٤] ، قال : أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر •

---

(١) البقرة : ١ — ٤
(٢) البقرة : ١٧٧
(٣) الزلزلة : ٧ ، ٨
(٤) آل عمران : ١٠٢

وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات ، كما قال أبو هريرة وكان قد سئل عن التقوى ، فقال : هل أخذت طريقا ذا شوك ؟ قال : نعم ، قال : فكيف صنعت ؟ قال : اذا رأيت الشوك عزلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه ، قال : ذاك التقوى .

وأخذ هذا المعنى ابن المعتمر ، فقال :

خل الذنوب صغيرها	وكبيرها فهو التقى
واصنع كماش فوق أر	ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة	ان الجبال من الحصى

* * *

فاذا كانت تلك هى التقوى — بمعناها الكبير — فكن منفذا لها على هذا الأساس الذى وقفت عليه ، وحسبك أن تعلم بأن النبى صلى الله عليه وسلم قد أوصى بها فقال فى حديث أبى ذر الطويل الذى خرجه ابن حبان وغيره : « أوصيك بتقوى الله فانها رأس الأمر كله » .

وخرج الامام أحمد من حديث أبى سعيد الخدرى ، قال : « قلت يا رسول الله .. أوصنى ، قال : أوصيك بتقوى الله فانها رأس كل شىء ، وعليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام » وخرجه غيره ولفظه : « عليك بتقوى الله فانها جماع كل خير » .

وفى الترمذى عن يزيد بن سلمة « أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : يا رسول الله .. انى سمعت منك حديثا كثيرا فأخاف أن ينسينى أوله آخره فحدثنى بكلمة تكون جماعا ، قال : اتق الله فيما تعلم » .

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول فى خطبته : أما بعد .. فانى أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله ، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة ، وتجمعوا الالحاف بالمسألة ، فان الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته ، فقال : « **انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين** »[1] .

ولما حضرته الوفاة وعهد الى عمر دعاه فوصاه بوصيته ، وأول ما قال له : اتق الله يا عمر .

---

(١) الأنبياء : ٩٠ .

وكتب عمر الى ابنه عبد الله : أما بعد .. فانى أوصيك بتقوى الله عز وجل فانه من اتقاه وقاه ، ومن أقرضه جزاه ، ومن شكره زاده . واجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك .

واستعمل على بن أبى طالب رجلا على سرية فقال له : أوصيك بتقوى الله عز وجل الذى لابد لك من لقاه ولا منتهى لك دونه وهو يملك الدنيا والآخرة .

وكتب عمر بن عبد العزيز الى رجل : أوصيك بتقوى الله عز وجل التى لا يقبل غيرها ولا يرحم الا أهلها ولا يثيب الا عليها ، فان الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل ، جعلنا الله واياك من المتقين .

ولما ولى — عمر بن عبد العزيز — خطب فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أوصيكم بتقوى الله عز وجل ، خلف من كل شىء ، وليس من تقوى الله خلف .

وقال رجل ليونس بن عبيد : أوصنى ، فقال : أوصيك بتقوى الله والاحسان ، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وقال له رجل يريد الحج : أوصـــنى ، فقال له : اتق الله . فمن اتقى الله فلا وحشة عليه .

وقيل لرجل من التابعين عند موته : أوصنا ، فقال : أوصيكم بخاتمة سورة النحل : « **ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** »[1]

وكتب رجل من السلف الى أخ له : أوصيك بتقوى الله فانها من أكرم ما أسررت ، وأزين ما أظهرت ، وأفضل ما ادخرت ، أعاننا الله واياك عليها وأوجب لنا ولك ثوابها .

وكتب رجل منهم الى أخ له : أوصيك وأنفسنا بالتقوى ، فانها خير زاد الآخرة والأولى ، واجعلها الى كل خير سبيلك ، ومن كل شر مهربك ، فقد تكفل الله عز وجل لأهلها بالنجاة مما يحذرون ، والرزق من حيث لا يحتسبون .

وقال شعبة : كنت اذا أردت الخروج قلت للحكم : ألك حاجة ، فقال : أوصيك بما أوصى به النبى صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن » .

---

(١) النحل : ١٢٨ .

وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول فى دعائه : « اللهم انى أسألك الهدى والتقى والعفة والغنى » •

وقال أبو ذر : « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : **« ومن يتق الله يجعل له مخرجا »**[١] ثم قال : يا أبا ذر •• لو أن الناس كلهم أخذوا بها لكفتهم » •

* * *

هذا : واذا كان المعنى المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اتق الله حيثما كنت » ــ كما عرفت قبل ذلك ــ هو تقوى الله تعالى فى السر والعلانية حيث يراك الناس وحيث لا يرونك :

فقد ورد فى هذا من حديث أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال له : « أوصيك بتقوى الله فى سر أمرك وعلانيته » •

كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه : « أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة » •

والى هذا المعنى يشير الله تعالى فى قوله : **« واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا »**[٢] •

وكان بعض السلف يقول لأصحابه : زهدنا الله واياكم فى الحرام زهد من قدر عليه فى الخلوة ، فعلم أن الله يراه فتركه من خشيته •

وقال الشافعى : أعز الأشياء ثلاثة : الجود من قلة ، والورع فى خلوة ، وكلمة الحق عند من يرجى أو يخاف •

وكتب ابن السماك الواعظ الى أخ له : أما بعد •• أوصيك بتقوى الله الذى هو نجيك فى سريرتك ، ورقيبك فى علانيتك ، فاجعل الله من بالك على كل حال فى ليلك ونهارك ، وخف الله بقدر قربه منك وقدرته عليك ، وأعلم أنك بعينه ليس تخرج من سلطانه الى سلطان غيره ، ولا من ملكه الى ملك غيره ، فليعظم منه حذرك ، وليكثر منه وجلك والسلام •

وقال أبو الجلد : أوحى الله تعالى الى نبى من الأنبياء : قل لقومك : ما بالكم تسترون الذنوب من خلقى وتظهرونها لى ، ان كنتم ترون أنى لا أراكم فأنتم مشركون بى ، وان كنتم ترون أنى أراكم فلم تجعلونى أهون الناظرين اليكم •

---

(١) الطلاق : ٢ (٢) النساء : ١

وكان وهب بن الورد يقول : خف الله على قدر قدرته عليك ، واستح منه على قدر قربه منك •

وقال له رجل : عظنى ، فقال له : اتق الله آن يكون أهون الناظرين اليـك •

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، واتق الله حيثما كنت ، و :

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قـل : على رقيب

ولا تحسبن الله يغفـل ساعـة ولا آن ما يخفى عليـه يغيب

واعلم ، آن التقوى ثلاث مراتب :

الأولى : التوقى من العذاب المخلد صاحبه ، وذلك بالتبرى من الكفر ، وعليه قوله تعالى : « **وألزمهم كلمة التقوى** »[١] فان المراد بها لا اله الا الله محمد رسول الله •

والثانية : التجنب عن كل ما فيه لوم ، حتى الصغائر عند قوم ، وهذا المعنى هو المشار اليه فى قوله تعالى : « **ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم** »[٢] •

والثالثة : آن يتنزه العبد عن كل ما يشغل سره عن الحق ، وهو المعنى المراد بقوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته** »[٣] •

واعلم : أن التقوى ــ كما يقول الامام الغزالى رحمه الله تعالى ــ : كنز عزيز فان ظفرت به : فكم تجد فيه من جوهر ورزق كريم ، وملك عظيم ، لأن خيرات الدنيا والآخرة جمعت فيها •

وتأمل معى فى ختام هذا الحق قول القائل :

من عرف الله فلم تغنـه معرفة الله فذاك الشقى

ما يصنع العبد بعز الغنى والعـز كل العز للمتقى

وقول الآخر :

واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرىء الا وصل

ليس من يقطع طرقا بطلا انمـا من يتقى الله البطل

* * *

---

(١) الفتح : ٢٦ (٢) المـائدة : ٦٥

(٣) آل عمران : ١٠٢

وأما عن الحق الثانى ، وهو :

حــق المكلف

الذى أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » •

فحسبك أولا لكى تقف على أبعاد هذا الحق ، وتفهم المراد منه ؛ أن تقف على المعنى المراد من قول الله تبارك وتعالى : « **وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ، ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين** »[1] •

قال القرطبى بتصرف واختصار :

قوله تعالى : « **وأقم الصلاة طرفى النهار** » : لم يختلف أحد من أهل التأويل فى أن الصلاة فى هذه الآية يراد بها الصلاة المفروضة ، وخصها بالذكر لأنها ثانية الايمان ، واليها يفزع فى النوائب ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا حزبه[2] أمر فزع الى الصلاة ••

وقوله تعالى : « **طرفى النهار** » : قال مجاهد : الطرف الأول صلاة الصبح ، والطرف الثانى صلاة الظهر والعصر • وقيل : الطرفان الصبح والمغرب ، وقيل : الطرف الثانى العصر وحده • وقيل : الطرفان الظهر والعصر ، والزلف المغرب والعشاء والصبح • وحكى الماوردى : أن الطرف الأول صلاة الصبح باتفاق •

وقوله تعالى : « **وزلفا من الليل** » أى فى زلف الليل ، والزلفة الساعات القريبة بعضها من بعض •• وقيل : الزلفة أول ساعة من الليل بعد مغيب الشمس ، فعلى هذا يكون المراد بزلف الليل صلاة العتمة ، وهو قول ابن عباس • وقال الحسن : المغرب والعشاء ، وقيل : المغرب والعشاء والصبح •

وقوله تعالى : « **ان الحسنات يذهبن السيئات** » : ذهب جمهور من الصحابة والتابعين الى أن الحسنات ههنا هى الصلوات الخمس • وقال مجاهد : الحسنات ، قول الرجل : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر • قال ابن عطية : وهذا على جهة المثال فى الحسنات ، والذى يظهر أن اللفظ عام فى الحسنات ، خاص فى السيئات ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما اجتنبت الكبائر » •

---

(١) هود : ١١٤.

(٢) حزبه : نزل به مهم ، او اصابه غم •

ثم يقول القرطبى : سبب النزول يعضد قول الجمهور ، نزلت فى رجل من الأنصار ، قيل : هو أبو اليسر بن عمرو . وقيل : اسمه عباد ، خلا بامرأة فقبلها وتلذذ بها فيما دون الفرج .

روى الترمذى عن عبد الله ، قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : انى عالجت امرأة فى أقصى المدينة ، وانى أصبت منها ما دون أن أمسها وأنا هذا فاقض فى ما شئت ، فقال له عمر : لقد سترك الله ! لو سترت على نفسك ، فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، فانطلق الرجل فأتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فدعاه فتلا عليه : « **وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ، ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين** » . فقال رجل من القوم : هذا له خاصة ؟ قال : « لا ، بل للناس كافة » . قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وخرج أيضا عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبلة حرام ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن كفارتها ، فنزلت : « **وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات** » فقال الرجل : ألى هذه يا رسول الله ؟ فقال : « لك ولمن عمل بها من أمتى » . قال الترمذى : هذا حديث صحيح .

وروى عن أبى اليسر ، قال : أتتنى امرأة تبتاع تمرا ، فقلت : ان فى البيت تمرا أطيب من هذا ، فدخلت معى فى البيت ، فأهويت اليها فقبلتها ، فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له ، فقال : استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا ، فلم أصبر ، فأتيت عمر فذكرت ذلك له ، فقال : استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا ، فلم أصبر ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فقال : « أخلفت غازيا فى سبيل الله فى أهله بمثل هذا » ؟ ! حتى تمنى أنه لم يكن أسلم الا تلك الساعة ، حتى ظن أنه من أهل النار . قال : وأطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أوحى الله اليه : « **وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين** » . قال أبو اليسر : فأتيته فقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أصحابه : يا رسول الله .. ألهذا خاصة أم للناس عامة ؟ فقال : « بل للناس عامة » . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم أعرض عنه ، وأقيمت

صلاة العصر ، فلما فرغ منها نزل جبريل عليه السلام بالآية فدعاه فقال له : « أشهدت معنا الصلاة » ؟ قال : نعم ، قال : « اذهب فانها كفارة لما فعلت » •

وقوله تعالى : « **ذلك ذكرى للذاكرين** » : أى القرآن موعظة وتوبة لمن اتعظ وتذكر ، وخص الذاكرين بالذكر لأنهم المنتفعون بالذكرى •

* * *

فالمراد بالحسنات فى تلك الآية ، هو : الصلوات الخمس •

والمراد بالسيئات : الصغائر •

بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الصلوات الخمس ، والجمعة الى الجمعة ، كفارة لما بينهن ، ما لم تغش الكبائر » • رواه مسلم •

وقد شبه النبى صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس فى محوها للذنوب ــ الصغائر ــ بنهر جار يغتسل منه المسلم فى اليوم والليلة خمس مرات ، فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم ، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء !! قال : فكذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا » رواه البخارى ومسلم •

وقد روى مسلم ــ فى صحيحه ــ عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « ما من امرىء تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها ، وخشوعها ، وركوعها : الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم تؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله » •

وقبل أن ندور حول المعنى المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب •• » :

فاننى أرى أولا أن أركز على معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فيحسن وضوءها ، وخشوعها ، وركوعها » : لأن هذا يعتبر شرطا أساسيا فى تكفير الصلاة للذنوب الصغائر •

فمعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « فيحسن وضوءها » أى : يتوضأ وضوءا كوضوء الرسول صلى الله عليه وسلم :

فقد ورد ، عن حمران بن أبان أنه قال : دعا عثمان رضى الله عنه بماء وهو على المقاعد فسكب على يمينه فغسلها ــ وفى رواية :

« فأفرغ على يديه ثلاثا فغسلهما » ـ ثم أدخل يمينه فى الاناء فغسل كفيه ثلاثا • ثم غسل وجهه ثلاث مرار ومضمض واستنشق واستنثر • وغسل ذراعيه الى المرفقين ثلاث مرار • ثم مسح برأسه • وأمر بيديه على ظهر أذنيه • ثم غسل رجليه الى الكعبين ثلاث مرار ، ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول : « من توضأ نحو وضوئى هذا ، ثم صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهما ، غفر له ما تقدم من ذنبه » وفى رواية : « غفر له ما كان بينهما وبين صلاته بالأمس » أخرجه أحمد والشيخان •

وعن عبد خير ، قال : جلس على رضى الله عنه بعدما صلى الفجر فى الرحبة(١) ، ثم قال لغلامه : ائتنى بطهور ، فأتاه الغلام باناء فيه ماء وطست(٢) ونحن جلوس ننظر اليه • فأخذ بيمينه الاناء فأكفأه على يده اليسرى ، ثم غسل كفيه ، ثم أخذ بيده اليمنى الاناء فأفرغ على يده اليسرى ، ثم غسل كفيه فعله ثلاث مرار ، كل ذلك لا يدخل يده فى الاناء حتى يغسلها ثلاث مرات ، ثم أدخل يده اليمنى فى الاناء فمضمض واستنشق ونثر بيده اليسرى ، فعل ذلك ثلاث مرات • وفى رواية : فتمضمض ثلاثا واستنشق من كف واحدة ، ثم أدخل يده اليمنى فى الاناء فغسل وجهه ثلاث مرات ، ثم غسل يده اليمنى ثلاث مرات الى المرفق ، ثم غسل يده اليسرى ثلاث مرات الى المرفق ، ثم أدخل يده اليمنى فى الاناء حتى غمرها المــاء ، ثم رفعها بما حملت من المــاء ثم مسحها بيده اليسرى ، ثم مسح رأسه بيديه كلتيهما مرة • وفى رواية : فبدأ بمقــدم رأسه الى مؤخره ، ثم صب بيده اليمنى ثلاث مرات على قدمه اليمنى ، ثم غسلها بيده اليسرى ، ثم صب بيده اليمنى على قدمه اليسرى ، ثم غسلها بيده اليسرى ثلاث مرات ، ثم أدخل يده اليمنى فغرف بكفه فشرب فضل وضوئه(٣) • ثم قال : هذا طهور نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم • أخرجه أحمد وأبو داوود والنسائى والدارمى بسند جيد •

* * *

(١) الرحبة بفتحات : موضع بالكوفة متسع •

(٢) الطست بفتح الطاء فسكون السين : اناء من نحاس •

(٣) الوضوء بفتح الواو : هو المــاء الذى يتوضأ به ، والمراد : هو انه أخذ غرفة من فضل وضوئه فشربها •

فهذا الوضوء الحسن — كما رأيت — بالاضافة الى أنه من أهم ما يجب عليك أن تلاحظه :

ورد فى فضله أحاديث كثيرة ، منها :

حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه ، خرجت من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينه مع المـاء — أو مع آخر قطر المـاء — فاذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع المـاء — أو مع آخر قطر المـاء — فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع المـاء — أو مع آخر قطر المـاء — حتى يخرج نقيا من الذنوب » . أخرجه مالك وأحمد ومسلم والترمذى وقال : حسن صحيح .

وحديث عبد الله الصنابحى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « اذا توضأ العبد المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه . فاذا استنثر ، خرجت الخطايا من أنفه . فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه[1] فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه ، فاذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه . فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه . ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له » أخرجه مالك وأحمد ومسلم والترمذى ، وقال : حسن صحيح .

وحديث أبى سعيد الخدرى ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطـايا ويزيد به فى الحسنات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : اسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة » . أخرجه أحمد وابن حبان .

وحديث عثمان بن عفان ، أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « من توضأ فأسبغ الوضوء ثم مشى الى صلاة مكتوبة فصلاها ، غفر له ذنبه » أخرجه أحمد ومسلم وابن خزيمة .

ومعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعد قوله : « فيحسن وضوءها ، وخشوعها ، وركوعها » :

---

(١) الأشفار : جمع شفر بضم فسكون ، أصل منبت الشعر فى الجفن .

فالمراد به أن تؤدى الصلاة باحسان ، وأداء متقن لركوعها ، وسجودها : أى يؤدى الصلاة باطمئنان ويقيم ظهره فى الركوع والسجود ، والا فان صلاته لن تقبل منه :

فعن أبى يعلى شداد بن أوس رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان الله كتب الاحسان على كل شىء[1] ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » رواه مسلم •

وعن أبى قتادة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته • قالوا : يا رسول الله •• كيف يسرق من الصلاة ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها ، أو قال : لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود » رواه أحمد والحاكم •

وعن أبى عبد الله الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده وهو يصلى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو مات هذا على حالته هذه مات على غير ملة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل الذى لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده ، مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئا » رواه الطبرانى فى الكبير •

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « ان العبد اذا صلى فلم يتم صلاته خشوعها ولا ركوعها ، وأكثر الالتفات لم تقبل منه ، ومن جر ثوبه خيلاء ، لم ينظر الله اليه ، وان كان على الله كريما » رواه الطبرانى •

* * *

وقد قرأت فى هذا المعنى :

أن عصام بن يوسف رحمه الله تعالى ، مر بحاتم الأصم وهو يتكلم فى مجلسه ، فقال : يا حاتم تحسن تصلى ؟ قال : نعم • قال : كيف تصلى ؟ قال حاتم : أقوم بالأمر ، وأمشى بالخشية ، وأدخل بالنية ، وأكبر بالعظمة ، وأقرأ بالترتيل والتفكر ، وأركع بالخشوع ، وأسجد بالتواضع ، وأجلس للتشهد بالتمام ، وأسلم بالنية ، وأختمها

---

(١) ومنه الاحسان فى العبادة وأخصها الصلاة وذلك فى الخشوع فيها والاتيان بها كاملة الأركان تامة الشروط •

بالاخلاص لله عز وجل ، وأرجع على نفسى بالخوف ، أخاف أن لا يقبل منى ، وأحفظه بالجهد الى الموت •

قال : تكلم فأنت تحسن تصلى •

* * *

فتلك الصلاة الخاشعة ، التى أحسن العبد قبلها وضوءها : هى التى تكفر ما كان قبلها من الذنوب الصغائر ، التى هى اللمم ، كما جاء فى تفسير قول الله تبارك وتعالى فى سورة النجم :

« الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ••• »[1] :

فاللمم[2] : هى الصغائر التى لا يسلم من الوقوع فيها الا من عصمه الله وحفظه •

وقد اختلف فى معناها :

فقال أبو هريرة وابن عباس والشعبى : اللمم ، كل ما دون الزنا •

وقال ابن مسعود وأبو سعيد الخدرى وحذيفة ومسروق : ان اللمم ما دون الوطء من القبلة ، والغمزة ، والنظرة ، والمضاجعة ••

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : اللمم ما دون الشرك ••

وقال أبو اسحاق الزجاج : أصل اللمم والالمام ما يعمله الانسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه ، ولا يقيم عليه ••

* * *

ومن الصغائر كذلك ، كما جاء فى كتاب « الكبائر والصغائر » :

النظرة الأولى بشهوة ، والجلوس مع أجنبية ، واللعن ، وهجو المسلم : أى شتمه ، والاشراف على بيوت الناس[3] ، وهجران المسلم أكثر من ثلاثة أيام بلا عذر ، والضحك عمدا ، والجلوس قليلا مع فاسق[4] ، والصوم فى يوم منهى عنه[5] وكشف العورة بغير مرأى

---

(١) النجم : ٣٢

(٢) كما جاء فى القرطبى حول تفسير هذه الآية .

(٣) اذا وقع نظره على بيت جاره دون تعمد فلم يصرفه ، أما النظر فى داخل البيوت عمدا فهو من الكبائر .

(٤) أما اعتياد الجلوس مع الفاسق وصداقته ، فقد اعتبره بعضهم من الكبائر .

(٥) كصوم عيد الفطر ، وأربعة أيام عيد الأضحى ، والجمعة منفردا .

من الناس ، ووصال الصوم ، واستقبال القبلة واستدبارها ببول أو غائط ، وسفر المرأة وحدها ، والبيع عند آذان الجمعة ، ولعب الشطرنج اذا خلا من المقامرة ، واشتراط الأجرة على الحديث والعلم ، والبول قائما وفى المغتسل والطرق ، والأذان جنبا ، والعبث فى الصلاة ..

فكل تلك الصغائر ، مع غيرها : يكفرها — كما عرفنا — الصلوات الخمس ، وكذلك الجمعة الى الجمعة ، ورمضان الى رمضان ، واسباغ الوضوء على المكاره — أى فى البرد أو عند المرض — وتعليم القرآن ، والصدقات ، والاستغفار ، والطواف بالبيت ، وما يصيب المسلم من الآلام والأمراض مهما قل شأنها ، وغير ذلك مما هو وارد فى كتب السنة الصحيحة :

على شريطة اجتناب الكبائر كما تشير الآية التى يقول الله تعالى فيها :

« ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما »(١) .

وكما يشير الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « الصلوات الخمس ، والجمعة الى الجمعة ، ورمضان الى رمضان ، مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر » رواه مسلم عن أبى هريرة .

وكما يشير نص الحديث الذى وقفنا عليه قبل ذلك ، وهو : « ما من امرىء تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها ، وخشوعها ، وركوعها : الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم تؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله » رواه مسلم .

* * *

والكبائر ، هى : الشرك — وهو من أكبر الكبائر — والزنا ، واللواط ، وشرب الخمر ، والسرقة ، والقتل عمدا بغير حق — كالقصاص ، والردة ، ورجم الزانى المحصن ، والقذف — وهو رمى المحصنة بالفاحشة — ، وكتمان الشهادة — اذا تعين الأداء على الشاهد ، بأن لم يوجد غيره — ، وشهادة الزور ، واليمين الغموس — وهو حلف الحالف متعمدا الكذب — ، والفرار من الزحف — أى من مواجهة أعداء الله فى ميدان القتال — ، وأكل الربا — وهو كل قرض جر نفعا ، ويدخل

---

(١) النساء : ٣١

فيه الايداع في المصارف بفائدة — ، وأكل مال اليتيم ، والرشوة ، وعقوق الوالدين ، وقطيعة الرحم ، والكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم ، والافطار في رمضان عمدا ، وتطفيف الكيل والوزن ، وتقديم الصلاة المكتوبة وتأخيرها عمدا ، وترك الزكاة — أي منعها تهاونا ، أما استحلال منعها فكفر ، والسحر ، واليأس من رحمة الله ، والأمن من مكر الله ، وأكل الميتة والخنزير ، والبغى في الأرض بالفساد ، وعدول الحاكم عن الحق ، والاصرار على الصغيرة ، والاعانة على المعاصي ، وقتل الانسان نفسه ، وتصديق الكاهن والمنجم ، والطعن في الأنساب ، ورمى المسلم بالكفر ، والغش في البيع ، والكذب — وهو الاخبار بغير الواقع — ، وتبرج المرأة ، وتغيير خلق الله ، وتشبه المرأة بالرجل والرجل بالمرأة ، وصناعة التماثيل ، ولبس الحرير والذهب للرجال ..

وقد جمع أبو طالب المكى رحمه الله تعالى ، الكبائر على النحو التالى :

أربعة في القلب : وهي الشرك بالله تعالى ، والاصرار على معصية الله تعالى ، والقنوط من رحمة الله تعالى ، والأمن من مكر الله تعالى .

وأربعة في اللسان : وهي شهادة الزور ، وقذف المحصنات الغافلات ، واليمين الغموس[1] ، والسحر .

وثلاثة في البطن : وهي شرب الخمر ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا وهو يعلم .

واثنان في اليدين : وهما القتل ، والسرقة .

واثنان في الفرج : وهما الزنا ، واللواط .

وواحدة في الرجل : وهي الفرار من الزحف .

وواحدة في جميع البدن : وهي عقوق الوالدين .

* * *

وقد ورد في الكبائر ، أحاديث شريفة ، منها ما ورد عن أبى بكرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر[2] ؟ (ثلاثا) قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : الاشراك

---

(١) وهو حلف الحالف متعمدا الكذب .

(٢) أي أعظمها جرما وأشدها اثما من غيرها ، والاستفهام للتشويق والاهتمام .

بالله ، وعقوق الوالدين ــ وكان متكئا فجلس[١] ، فقال ــ : ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ، فما زال يكررها ، حتى قلنا : ليته سكت »[٢] رواه البخارى ومسلم والترمذى .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « الكبائر : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس »[٣] رواه البخارى .

وفى كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الذى كتبه الى أهل اليمن ، وبعث به مع عمرو بن حزم : « ... وان أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة : الاشراك بالله ، وقتل النفس المؤمنة بغير حق ، والفرار فى سبيل الله يوم الزحف ، وعقوق الوالدين ، ورمى المحصنة[٤] ، وتعلم السحر ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم .. » رواه ابن حبان فى صحيحه .

والذى نريد أن نعرفه الآن ، هو : أن الكبيرة ، أو الكبائر ، لا يكفرها الا التوبة ، أو فضل الله تعالى على من شاء من عباده ، بدليل قول الله تعالى : **« أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشــاء »**[٥] .

قال محمد بن جرير الطبرى : قد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففى مشيئة الله تعالى ، ان شاء عفا عن ذنبه ، وان شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركا بالله تعالى .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول : قال الله تعالى : « يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى ، غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان[٦] السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، يا ابن آدم انك

---

(١) أى اعتدل فى جلسته اهتماما بما سيقوله وتأكيدا له .

(٢) أى تمنيا أن يسكت اشفاقا عليه لمـا رأوا من أثر انزعاجه من ذلك .

(٣) أى اليمين الكاذبة الفاجرة ، وسميت غموسا لأنها تغمس صاحبها فى الاثم ، ثم فى النار .

(٤) المحصنة بفتح الصاد : أى العفيفة الحرة بكرا كانت أو ثيبا .

(٥) النساء : ٤٨

(٦) عنان : بفتح العين المهملة : قيل هو السحاب .

لو أتيتنى بقراب[1] الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

مع ملاحظة أن التوبة ، كما يقول الامام النووى فى رياض الصالحين ، لها شروط ، وهى : أنها اذا كانت تتعلق بحق الله تعالى ، فلها شروط ثلاثة :

الشرط الأول : أن يقلع عن المعصية .
الشرط الثانى : أن يندم على فعلها .
الشرط الثالث : أن يعزم أن لا يعود اليها أبدا .
ثم يقول بعد ذلك : فان فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته .

وان كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة ، هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها ، فان كان مالا أو نحوه رده اليه ، وان كان حد قذف ونحوه مكنه منه ، أو طلب عفوه ، وان كان غيبة استحله منها ، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب ، فان تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب ، وبقى عليه الباقى .

فاذكر كل هذا ، أخا الاسلام ، وتب الى الله تبارك وتعالى توبة نصوحا[2] .

ففى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى :

« ... وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون »[3] .
« يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا »[4] .

وفى السنة الشريفة ، ورد عن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » رواه مسلم .

وعن أبى سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب ، فأتاه ، فقال : انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟

---

(١) أى بما يقارب ملء الأرض خطايا .
(٢) قال قتادة : النصوح : الصادقة الناصحة ، وقيل : الخالصة .
(٣) النور : ٣١ (٤) التحريم : ٨

فقال : لا ٠ فقتله فكمل به مائة ٠ ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم ، فقال : انه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ، انطلق الى أرض كذا وكذا فان بها أناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء ، فانطلق حتى اذا كان نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : انه لم يعمل خيرا قط ، فأتاهم ملك فى صورة آدمى فجعلوه بينهم — أى حكما — فقال : قيسوا ما بين الأرضين فالى أيتهما كان أدنى فهو له ٠

فقاسوا فوجدوه أدنى الى الأرض التى أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة » متفق عليه ٠

وفى رواية فى الصحيح : « فكان الى القرية الصالحة بشبر فجعل من أهلها » ٠

وفى رواية فى الصحيح : « فأوحى الله تعالى الى هذه أن تباعدى ، والى هذه أن تقربى ، وقال : قيسوا ما بينهما ، فوجدوه الى هذه أقرب بشبر ، فغفر له » ٠

وفى رواية : « فنأى بصدره نحوها » ٠

فاذكر كل هذا ، واعلم : أن أصل التوبة فى اللغة الرجوع ، يقال : تاب وأناب بمعنى رجع ، فالتوبة الرجوع من الأوصاف المذمومة الى الأوصاف المحمودة ٠

ويقال : من رجع عن المخالفات خوفا من عذاب الله تعالى فهو تائب ، ومن رجع حياء من نظر الله تعالى فهو منيب ، ومن رجع تعظيما لجلال الله فهو أواب ٠

ويقال : أول التوبة يقظة من الله تعالى تقع فى القلب فيتذكر العبد تفريطه واساءته وكثرة جناياته مع دوام نعم الله تعالى عليه ، فيعلم أن الذنوب سموم قاتلة يخاف منها حصول المكروه وفوات المحبوب فى الدنيا والآخرة ، فاذا حصل له هذا العلم أثمر حالا وهو الندم على تضييع حق الله تعالى ، ثم يثمر الندم عملا وهو المبادرة الى الخيرات ، وقضاء الواجبات ، ورد الظلامات ، والعزم على اصلاح ما هو آت ٠٠

فهذه الأمور الثلاثة اذا انتظمت فهى التوبة ..

وقد ورد فى الآثار : أن الذنب اذا أتبع بثمانية أشياء ، كان العفو عنه مرجوا :

أربعة فى القلب ، وهى : التوبة والعزم على أن لا يعود ، وحب الاقلاع عنه ، وخوف العقاب ، ورجاء المغفرة عليه .

وأربعة فى الجوارح ، وهو : أن يصلى أربع ركعات فى المسجد ، ثم يستغفر الله تعالى سبعين مرة ، ويقول : سبحان ربى العظيم وبحمده مائة مرة ، ويتصدق بصدقة ، ثم يصوم يوما :

قال الله تعالى : « **ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين** »(١) .

* * *

فلتكن تلك هى توبتك ، وليكن هذا هو مفهومك للتوبة النصوح . وحسبك فى النهاية أن تكون من الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم واستثناهم فى قوله : « **الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما** »(٢) .

وقد وصف الله المتقين فى كتابه بمثل ما وصى به النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الوصية فى قوله عز وجل : « **وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين . والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين** »(٣) .

فوصف الله المتقين — فى هذه الآية — بمعاملة الخلق بالاحسان اليهم بالانفاق وكظم الغيظ والعفو عنهم ، فجمع بين وصفهم ببذل الندى واحتمال الأذى ، وهذا هو غاية حسن الخلق الذى وصى به النبى صلى الله عليه وسلم .. ثم وصفهم بأنهم : « **اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ..** »(٤) ثم تحدث عنهم

---

(١) هود : ١١٤
(٢) الفرقان : ٧٠
(٣) آل عمران : ١٣٣ — ١٣٦ .
(٤) آل عمران : ١٣٥

بأنهم لم يصروا عليها .. فدل على أن المتقين قد يقع منهم أحيانا كبائر وهى الفواحش ، وصغائر وهى ظلم النفس ، لكنهم لا يصرون عليها ، بل يذكرون الله عقب وقوعها ويستغفرونه ويتوبون اليه منها ، والتوبة : هى ترك الاصرار . ومعنى قوله تعـالى : **« ذكروا الله »** أى : ذكروا عظمته وشدة بطشه وانتقامه وما يوعد به على المعصية من العقاب ، فيوجب ذلك لهم الرجوع فى الحال والاستغفار وترك الاصرار . وفى القرآن الكريم يقول تعالى : **« ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون »**(١) .

وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا أذنب عبد ذنبا فقال : رب انى عملت ذنبا فاغفر لى . قال الله : علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب قد غفرت لعبدى ، ثم اذا أذنب ذنبا آخر .. الى أن قال فى الرابعة : فليعمل ما شاء » يعنى ما دام على هذه الحال كلما أذنب ذنبا استغفر منه .

وفى الترمذى من حديث أبى بكر الصديق رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ما أصر من استغفر ولو عاد فى اليوم سبعين مرة » .

وخرج الحاكم من حديث عقبة بن عامر : « أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله .. أحدنا يذنب ، قال : يكتب عليه ، قال : ثم يستغفرمنه ، قال : يغفر له ويتاب عليه ، قال : فيعود فيذنب ، قال : يكتب عليه ، قال : ثم يستغفر منه ويتوب ، قال : يغفر له ويتاب عليه ولا يمل الله حتى تملوا » .

وقيل للحسن : ألا يستحى أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود ، ثم يستغفر ثم يعود ، فقال : ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه ، فلا تملوا من الاستغفار .

* * *

ومما يكفر الخطايا : ذكر الله عز وجل .

فقد خرج الامام أحمد من حديث عن أبى ذر : « قلت يا رسول الله علمنى عملا يقربنى من الجنة ويباعدنى عن النار ، قال : اذا عملت سيئة فاعمل حسنة ، فانها عشر أمثالها ، قال : قلت : يا رسول الله أمن الحسنات لا اله الا الله ؟ قال : هى أحسن الحسنات » .

---

(١) الأعراف : ٢٠١

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « من قال سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر » •

وفيهما عنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة : كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا أحد عمل أفضل من ذلك » •

وفي المسند وكتاب ابن ماجه عن أم هانىء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا اله الا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل » •

وخرج الترمذي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مر بشجرة يابسة الورق ، فضربها بعصاه فتناثر الورق ، فقال : « ان الحمد لله ، وسبحان الله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، لتساقط من ذنوب العبد كما يتساقط ورق هذه الشجرة » •

وخرجه الامام أحمد باسناد صحيح عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر : تنفض الخطايا كما تنفض الشجرة ورقها » •

وقد سئل الحسن عن رجل لا يتحاشى عن معصية الا أن لسانه لا يفتر عن ذكر الله ، قال : ان ذلك لعون حسن •

وسئل الامام أحمد عن رجل اكتسب مالا من شبهة ، أصلاته وتسبيحه يحط عنه شيئا من ذلك ؟ فقال : ان صلى وسبح يريد به ذلك فأرجو ، قال الله تعالى : ((•• **خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم**))(١) •

وقال مالك بن دينار : البكاء على الخطيئة يحط الخطايا كما يحط الريح الورق اليابس •

وقال عطاء : من جلس مجلسا من مجالس الذكر كفر به عشرة مجالس من مجالس الباطل •

وقال شويش العدوى وكان من قدماء التابعين : ان صاحب اليمين

---

(١) التوبة : ١٠٢

أمير ، أو قال : أمين على صاحب الشمال ، فإذا عمل ابن آدم سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها ، قال له صاحب اليمين : لا تعجل لعلـــه يعمل حسنة ، فان عمل حسنة ألقى واحدة بواحدة وكتبت له تسع حسنات ، فيقول الشيطان : يا ويله من يدرك تضعيف ابن آدم .

وخرج الطبراني باسناد فيه نظر عن أبى مالك الأشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان : أعطنى صحيفتك ، فيعطيه اياها فما وجد فى صحيفته من حسنة محى بها عشر سيئات من صحيفة الشيطان وكتبهن حســـنات ، فاذا أراد أن ينام أحدكم فليكبر ثلاثا وثلاثين تكبيرة ، ويحمد أربعا وثلاثين تحميدة ، ويسبح ثلاثا وثلاثين تسبيحة ، فتلك مائة » وهذا غريب منكر .

وروى وكيع : حدثنا الأعمش عن أبى اسحاق عن أبى الأحوص ، قال : قال عبد الله ــ يعنى ابن مسعود ــ : وددت أنى صولحت على أن أعمل كل يوم تسع خطيئات وحسنة ، وهذا اشارة منه الى أن الحسنة يمحى بها التسع الخطيئات ويفضل له ضعف واحد من ثواب الحسنة فيكتفى به ، والله أعلم .



فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، وكن دائما وأبدا على صلة بالله تعـــالى بفعل الخيرات وترك المنكرات ، حتى تكون تلقائيـــا من أهل الحسنات لا من أهل السيئات .

وحسبك أن تذكر دائما وأبدا قول الله تبارك وتعالى الذى وقفت عليه قبل ذلك وهو : **« ان الحسنات يذهبن السيئات »**(١) .

وقول الله تبـــارك وتعالى : **« الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما »**(٢) .

وهناك قول أحب كذلك أن أختم به ذلك الحق ، يقول فيه أبو هريرة رضى الله عنه : « يدنى الله العبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه ، فيستره من الخلائق كلها ، ويدفع اليه كتابه فى ذلك الستر ، فيقول : اقرأ يا ابن آدم كتابك ، فيقرأ فيمر بالحسنة فيبيض لها وجهه ويسر بها قلبه ، فيقول الله : أتعرف يا عبدى ؟ فيقول : نعم ، فيقول : انى قبلتها منك ، فيسجد ، فيقول : ارفع رأسك وعد فى كتابك ، فيمر بالسيئة فيسود

---

(١) هود : ١١٤ (٢) الفرقان : ٧٠

لها وجهه ويوجل لها قلبه وترتعد منها فرائصه ويأخذه من الحياء من ربه ما لا يعلمه غيره ، فيقول الله : أتعرف يا عبدى ؟ فيقول : نعم يا رب ، فيقول : انى قد غفرتها لك ، فيسجد ، فلا يرى منه الخلائق الا السجود حتى ينادى بعضهم بعضا : طوبى لهذا العبد الذى لم يعص الله قط ولا يدرون ما قد لقى فيما بينه وبين ربه عز وجل مما قد وقفه عليه » .

ولهذا قال بلال بن سعد : ان الله يغفر الذنوب ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقفه عليها يوم القيامة وان تاب .

فيا أيهـا المغرور قم وانتبه قد فاتك المطلوب والركب سار
ان كنت أذنبت فقـم واعتذر الى كريـم يقبل الاعتذار
وانهض الى مولى عظيم الرجا يغفر بالليـل ذنوب النهـار

* * *

وأما عن :

حق العـباد

وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « وخالق الناس بخلق حسن » : فهو الحق الذى يجب على كل عبد مؤمن أن يكون مؤديا له ، ومهتما به :

وذلك لأن الأخـلاق الحسنة هى أهم صفات المؤمنين ، الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم ، فى قوله :

« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياتـه زادتهم ايمانـا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصـلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم »(١) .

والمؤمن ، كما تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم : « كله منفعة ، ان شاورته نفعك ، وان شاركته نفعك ، وان ماشيته نفعك ، فأمره كله منفعة » .

والمؤمن ، كما وصفه أحد المؤمنين :

« بشره فى وجهه ، وحزنه فى قلبه ، أوسع صدرا ، وأخفى نفسا ، زاجرا عن كل شر ، آمرا بكل خير ، لا حقود ، ولا حسود ، ولا مرتاب ، ولا سباب ، ولا عياب ، يكره الرفعة ويبغض السمعة ، طويل الهم

---

(١) الأنفال : ٢ ــ ٤

فى الآخرة[1] ، كثير الغم فى الدنيا[2] حليف الصمت ، عزيز الوقت ، لا متفاخر ، ولا متهتك ، ولا متكبر ، ضحكه تبسم ، واستفهامه تعلم ، ومراجعته تفهم ، لا يبخل ، ولا يعجل ، ولا يضجر ، ولا يجهل ، قليل المنازعة ، جميل المراجعة ، عدل ان غضب ، رفيق ان طلب ، خليص الود ، وثيق العهد ، وفى الوعد ، شفوق ، وصول ، حليم ، حمول ، قليل الفضول ، راض عن مولاه ، مخالف لهواه ، لا يغلظ على من يؤذيه ، ولا يخوض فيما لا يعنيه ، ان سب وأوذى لم يسب ، وان طلب ومنع لم يغضب ، ولا يشمت بمصيبة ، ولا يذكر أحدا بغيبة ، هشاش بشاش ، لا فحاش ولا غشاش ، كظام بسام ، دقيق النظر ، عظيم الحذر ، فهذا هو المؤمن حقا » .

نعم هذا هو المؤمن حقا ، لأنه بتلك الصفات العظيمة ، قد استطاع أن يؤكد ايمانه بتلك الصورة العملية التى أشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله : « قد أفلح من أخلص قلبه للايمان ، وجعل قلبه سليما ، ولسانه صادقا ، ونفسه مطمئنة ، وخليقته مستقيمة » رواه ابن حبان عن أبى ذر .

والمؤمن خليقته مستقيمة ، لأنه تخلق بأخلاق المثـل الأعلى ، والأسوة الحسنة ، القدوة الصالحة ، صلوات الله وسلامه عليه ، الذى أعطاه الله سبحانه وتعالى : « صفوة آدم ، ومولد شيث ، وشجاعة نوح ، وحلم ابراهيم ، ولسان اسماعيل ، ورضا اسحاق ، وفصاحة صالح ، وحكمة لقمان ، وبشرى يعقوب ، وجمال يوسف ، وصبر أيوب ، وقوة موسى ، وتسبيح يونس ، وجهاد يوشع ، ونعمة داوود ، وهيبة سليمان ، ووقار الياس ، وزهد عيسى ، وعلم الخضر » .

فكان أهلا لأن يتوجه الله سبحانه وتعالى بأعظم تاج ، وهو : **« وانك لعلى خلق عظيم »**[3] .

وكان أهلا لأن يجعله الله تعالى قدوة صالحة ، و **« أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »**[4] .

وكما يقول الشيخ محمـد الغزالى أكرمه الله فى كتابه « خلق المسلم » :

---

(١) أى دائما وأبدا مهتما بالآخرة وما فيها من حساب وعقاب .
(٢) أى كلما رأى فسادا وانحلالا تراه باكيا حزينا .
(٣) القلم : ٤ (٤) الأحزاب : ٢١

ولن تصلح تربية الا اذا اعتمدت على الأسوة الحسنة ، فالرجل السيء لا يترك في نفوس من حوله أثرا طيبا .

وانما يتوقع الأثر الطيب ممن تمتد العيون الى شخصه ، فيروعها أدبه .. وتمشي بالمحبة الخالصة في آثاره .

بل لابد — ليحصل التابع على قدر كبير من الفضل — أن يكون في متبوعه قدر أكبر ، وقسط أجل .

ثم يقول بعد ذلك :

وقد كان رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم بين أصحابه مثلا أعلى للخلق الذى يدعو اليه ، فهو يغرس بين أصحابه هـذا الخلق السامي ، بسيرته العاطرة ، قبل أن يغرسه بما يقول من حكم وعظات :

فعن عبد الله بن عمرو ، قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن فاحشا ولا متفحشا ، وكان يقول : « خياركم أحاسنكم أخلاقا » رواه البخاري .

وعن أنس ، قال : « خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، والله ما قال لي : أف قط ، ولا قال لشيء لم فعلت كذا ؟ وهلا فعلت كذا » رواه مسلم .

وعنه : « ان كانت الأمة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، فتنطلق به حيث شاءت ، وكان اذا استقبله الرجل فصافحه ، لا ينزع يده من يده ، حتى يكون الرجل ينزع يده . ولا يصرف وجهه عن وجهه ، حتى يكون الرجل هو الذى يصرفه ، ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له »[1] رواه الترمذي .

وعن عائشة ، قالت : « ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما ، فان كان اثـــما كان أبعد الناس عنه . وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفســـه فى شيء قط . الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم . وما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده ، ولا امرأة ولا خادما ، الا أن يجاهد فى سبيل الله تعالى » رواه مسلم .

وعن أنس : كنت أمشي مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وعليه برد غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى فجذبه جذبة شديدة حتى

---

(١) يعنى أنه يتحفظ مع جلسائه فلا يتكبر .

نظرت الى صفحة عاتق رسول الله وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جذبته ، ثم قال : يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك ! فالتفت اليه رسول الله ، وضحك ، وأمر له بعطاء . رواه البخارى .

وعن عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله رفيق ، يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف ، وما لا يعطى على سواه » رواه مسلم .

وسئلت عائشة : ما كان رسول الله يفعل فى بيته ؟ قالت : « كان يكون فى مهنة أهله — أى خدمتهم — فاذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج الى الصلاة » رواه مسلم .

وعن عبد الله بن الحارث : ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم .. رواه الترمذى .

وعن أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ، وكان لى أخ فطيم ، يسمى أبا عمير ، لديه عصفور مريض اسمه النغير ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلاطف الطفل الصغير ، ويقول له : يا أبا عمير ، ما فعل النغير ؟ .. رواه البخارى .

والمعروف فى شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان سمحا لا يبخل بشىء أبدا ، شجاعا لا ينكص عن حق أبدا ، عدلا لا يجور فى حكم أبدا ، صدوقا أمينا فى أطوار حياته كلها .

وقد أمر الله المسلمين أن يقتدوا به فى طيب شمائله وعريق خلاله ، فقـال : **« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »**(١) .

قال القاضى عياض : كان النبى صلى الله عليه وسلم ، أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، لقد فزع أهل المدينة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله راجعا ، قد سبقهم اليه واستبرأ الخبر ، على فرس لأبى طلحة عرى والسيف فى عنقه ، وهو يقول : لن تراعوا .

وقال على رضوان الله عليه : انا كنا — اذا حمى البأس واحمرت الحدق — نتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب الى عدو منه .

---

(١) الأحزاب : ٢١

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، قال : ما سئل النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لا .

وقد قالت خديجة : « انك تحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق » .

وحمل اليه سبعون ألف درهم ، فوضعت على حصير ، ثم قام اليها يقسمها ، فما رد سائلا ، حتى فرغ منها .

وجاءه رجل فسأله ، فقال له : ما عندى شىء ، ولكن ابتع على ، فاذا جاءنا شىء قضيناه ، فقال له عمر : ما كلفك الله ما لا تقدر عليه ! فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ، فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا ، فتبسم صلى الله عليه وسلم ، وعرف البشر فى وجهه ، وقال : بهذا أمرت .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلف أصحابه ولا ينفرهم ، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم .

وكان صلى الله عليه وسلم : يحذر الناس ويحترس منهم ، من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه .

وكان يتفقد أصحابه ويعطى كل جلسائه نصيبه ، لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه .

من جالسه ، أو قاربه لحاجة صابره ، حتى يكون هو المنصرف عنه .

ومن سأله حاجة لم يرده الا بها ، أو بميسور من القول .

قد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أبا ، وصاروا عنده فى الحق سواء .

وكان دائم البشر ، سهل الطبع ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب ، ولا فحاش ، ولا عتاب ، ولا مداح ، يتغافل عما لا يشتهى ، ولا يقنط منه .

وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويجاريهم ، ويداعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره .

ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ، ويعود المرضى فى أقصى المدينة ، ويقبل عذر المعتذر .

ويكرم من يدخل عليه ، وربما بسط له ثوبه ، ويؤثره بالوسادة التى تحته ، ويعزم عليه فى الجلوس عليها ان أبى .

وكان يصل ذوى رحمه ، من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم .

وكان كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة ، يعرض عمن تكلم بغير جميل .

وكان ضحك أصحابه عنده التبسم ، توقيرا له واقتداء به .

وكان مجلسه مجلس حلم وخير وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تخدش فيه الحرم .

وكان اذا تكلم أطرق جلساؤه ، كأنما على رؤوسهم الطير ..

فاذا كانت تلك هى أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخلاق أصحابه الفضلاء الذين تأدبوا بآدابه ، وساروا على دربه :

فكلنا كذلك كمؤمنين وكمسلمين بالمعنى الصحيح : لابد وأن نتخلق بتلك الأخلاق الحسنة التى هى أخلاق القرآن ، كما أشارت السيدة عائشة رضى الله عنها ، يوم أن سئلت عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان خلقه القــرآن ، ثم قرأت قول الله تعــالى : **« وانك لعلى خلق عظيم »**[1] .

أى أنه صلى الله عليه وسلم ، كان متخلقا بأخلاق القرآن ، بمعنى أنه كان منفذا لأوامر القرآن ، ومتجنبا لنواهيه ، وكذلك كان أصحابه عليهم جميعا رضوان الله ، الذين كثيرا ما كان النبى صلوات الله وسلامه عليه يرغبهم فى مكارم الأخلاق ، فيقول لهم مثلا : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » رواه مالك .

ويقول : « تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وارشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة ، واماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وافراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة ، وبصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة » رواه البخارى .

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » رواه البخارى .

« الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد ، والخلق السوء ، يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » رواه البيهقى .

---

(١) القلم : ٤

« ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام فى شىء ، وان أحسن الناس اسلاما ، أحسنهم خلقا » رواه أحمد .

« ألا أخبركم بأحبكم الى ، وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة ؟ ـ فأعادها مرتين أو ثلاثا ـ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : أحسنكم خلقا » رواه أحمد .

« ما من شىء أثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، ان الله يكره الفاحش البذىء ، وان صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة » رواه أحمد .

« ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة ، وأشرف المنازل ، وانه لضعيف العبادة ، وانه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة فى جهنم » رواه الطبرانى .

« ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » وفى رواية : « ان المؤمن ليدرك بحسن الخلق درجات قائم الليل وصائم النهار » رواه أبو داوود .

« ان المسلم المسدد[1] ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله ، بحسن خلقه وكرم طبيعته » رواه أحمد .

وعن أسامة بن شريك ، قال : كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم كأنما على رؤوسنا الطير ، ما يتكلم منا متكلم ، اذ جاءه أناس ، فقالوا : من أحب عباد الله الى الله تعالى ؟ قال : « أحسنهم خلقا » رواه الطبرانى .

كما كان صلى الله عليه وسلم وهو المربى الفاضل ، يرهبهم من سوء الخلق ، فيقول كذلك : « ثلاث من كن فيه فهو منافق ، وان صام وصلى وحج واعتمر ، وقال انى مسلم : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا اؤتمن خان » رواه مسلم .

وقال فى رواية أخرى : « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا عاهد غدر ، ـ وان صلى وصام وزعم أنه مسلم ـ » .

« أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كان فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا اؤتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » رواه البخارى ومسلم .

---

(١) التسديد : أى الاقتصاد فى العبادة .

وعن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حرا ثم أكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجره » رواه البخارى .

وعن أبى شريح الكلبى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن » قيل : يا رسول الله .. لقد خاب وخسر ، من هذا ؟ قال : « من لا يؤمن جاره بوائقه » قالوا : وما بوائقه ؟ قال : « شره » رواه البخارى .

وذلك لأن الأخلاق الحسنة هي الأساس فى ديننا ، ولهذا فقد قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه كما قرأنا قبل ذلك : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وحسبك أن تعلم ، مثلا : أن الصلاة قد فرضها الله تعالى لتنهى عن الفحشاء والمنكر ، قال تعالى : **« وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »**(١) .

وأن الزكاة قد شرعت لهدف أسمى يشير الله تعالى اليه فى قوله : **« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها »**(٢) .

وأن الصوم كذلك له هدف أسمى أشار اليه سبحانه وتعالى ، فى قوله : **« كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »**(٣) .

وأنه لكى تؤدى فريضة الحج ، لابد وأن تلتزم هناك بالأخلاقيات الكريمة المشار اليها فى قول الله تعالى : **« الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب »**(٤) .

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام وكن حسن الخلق مع الناس ، حتى لا يضيع ثوابك يوم القيامة ، فقد ورد فى حديث صحيح رواه مسلم ، أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل أصحابه ذات يوم السؤال الآتى : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له

---

(١) العنكبوت : ٤٥ (٢) التوبة : ١٠٣
(٣) البقرة : ١٨٣ (٤) البقرة : ١٩٧

ولا متاع ، فقال : المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا : فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح فى النار » رواه مسلم .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ونفذه ، واعلم : أن الجمع بين حقوق الله وحقوق عباده عزيز جدا لا يقوى عليه الا الكمل من الأنبياء والصديقين .

قال الحارث المحاسبى : ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة : حسن الوجه مع الصيانة ، وحسن الخلق مع الديانة ، وحسن الاخاء مع الأمانة .

وقال بعض السلف : جلس داوود عليه الصلاة والسلام خاليا ، فقال الله عز وجل : مالى أراك خاليا ؟ قال : هجرت الناس فيك يا رب العالمين ، قال : يا داوود .. ألا أدلك على ما تستبقى به وجوه الناس وتبلغ فيه رضاى ؟ خالق الناس بأخلاقهم واحتجز الايمان بينى وبينك .

وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى لداوود عليه السلام : « يا داوود .. أحب عبادى الى تقى القلب ، نقى الكفين ، لا يأتى لأحد بسوء ، ولا يمشى بين الناس بالنميمة ، تزول الجبال ولا يزول ، أحبنى وأحب من يحبنى وحببنى الى عبادى ، قال داوود : يا رب وكيف يحببك الى عبادك ؟ قال : يذكرهم بنعمي وآلائى ، يا داوود .. ما من عبد يعين مظلوما أو يمشى معه فى مظلمته الا ثبتت قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام » .

وروى ابن أبى الدنيا باسناده عن سعيد المقبرى ، قال : بلغنا أن رجلا جاء الى عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، فقال : يا معلم الخير كيف أكون تقيا لله عز وجل كما ينبغى ؟ قال : بيسير من الأمر ، تحب الله بقلبك كله ، وتعمل بكدحك وقوتك ما استطعت ، وترحم ابن جنسك كما ترحم نفسك ، قال : من بنى جنسى يا معلم الخير ؟ قال : ولد آدم كلهم ، وما لا تحب أن يؤتى اليك فلا تأته لأحد وأنت تقى لله عز وجل كما ينبغى له .

وقد روى عن السلف ، تفسير حسن الخلق :

فعن الحسن ، قال : حسن الخلق ، الكرم ، والبذلة ، والاحتمال .

وعن الشعبى ، قال : حسن الخلق : البذلة ، والعطية ، والبشر الحسن .

وعن ابن المبارك ، قال : هو بسط الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى .

وسئل سلام بن أبى مطيع عن حسن الخلق ، فأنشد شعرا ، فقال :

تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله

ولو لم يكن فى كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

هو البحر من أى النواحى أتيته فلجته المعروف والجود ساحله

وقال الامام أحمد : حسن الخلق أن لا تغضب ولا تحقد .

وعنه أنه قال : حسن الخلق أن تحتمل ما يكون من الناس .

وقال اسحاق بن راهويه : هو بسط الوجه وأن لا تغضب ونحو ذلك .

وفى مسند الامام أحمد من حديث معاذ بن أنس الجهنى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « أفضل الفضائل أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتصفح عمن شتمك » .

وخرج الحاكم من حديث عقبة بن عامر الجهنى ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة ؟ تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » .

وخرج الطبرانى من حديث « على » أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أدلكم على أكرم أخلاق أهل الدنيا والآخرة ؟ أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك » .

وروى بسند حسن : عن الحسن[١] ، عن الحسن ، عن الحسن ، عن الحسن ، عن جد الحسن : أن أحسن الحسن ، الخلق الحسن .



فاذكر كل هذا أخا الاسلام ، وأضف الى ما وقفت عليه ــ كذلك ــ تلك الأقوال المأثورة التى أرجو أن تكون سببا فى حسن خلقك .

قال الجنيد رحمه الله تعالى : أربع ترفع العبد الى أعالى الدرجات وان قل عمله وعلمه : الحلم ، والتواضع ، والسخاء ، وحسن الخلق .

---

(١) الحسن الأول : ابن سهل ، والثانى : ابن دينار ، والثالث : البصرى ، والرابع : ابن على رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : لأن يصحبنى فاجر حسن الخلق ، أحب الى من أن يصحبنى عابد سىء الخلق .

وقال أبو حازم رحمه الله تعالى : من سوء الخلق فى الرجل أن يدخل على أهله وهم سرور يضحكون فيتفرقوا خوفا منه ، وكذلك من سوء خلقه هروب القطة منه ، وصعود الكلبة الحائط خوفا منه .

وقيل لذى النون المصرى رحمه الله تعالى : من أكثر الناس هما ؟ قال : أسوأهم خلقا .

وحكى أنه كان لشقيق البلخى رحمه الله تعالى امرأة سيئة الخلق ، فقيل له : ألا تفارقها وهى تؤذيك بسوء خلقها ؟ فقال : ان كانت سيئة الخلق وأنا حسن الخلق ، ولو فارقتها صرت مثلها ومع هذا أخاف أن لا يمسكها أحد غيرى لسوء خلقها .

وحكى أن رجلا جاء الى سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه يشكو اليه سوء خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها ، فانصرف الرجل قائلا : اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته ، فكيف حالى ؟ فخرج عمر رضى الله تعالى عنه فرآه موليا فناداه : ما حاجتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين .. جئت أشكو اليك خلق زوجتى واستطالتها على ، فسمعت زوجتك كذلك ، فرجعت وقلت : اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ؟ فقال عمر رضى الله تعالى عنه :

انى احتملها لحقوق لها على : انها طباخة لطعامى ، خبازة لخبزى ، غسالة لثيابى ، مرضعة لولدى ، وليس ذلك بواجب عليها ، ويسكن قلبى بها عن الحرام ، فأنا أحتملها لذلك .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين .. وكذلك زوجتى .

فقال سيدنا عمر : فاحتملها يا أخى فانها مدة يسيرة .

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام :

وخذ العفو عن جاهل قد بغى ... عليك تفز بالمقام الأمين
وبالعرف فأمر وكن محسنا ... وواصل وأعرض عن الجاهلين

* * *

الوصية الثامنة والثلاثون

عن أبى ثعلبة الخشنى جرثوم بن ناشر رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :
« إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوهـا وحد حدودا فلا تعتدوهـا وحرم أشياء فلا تنتهكوهـا وسكت عن أشياء رحمة لـكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها » ..

(حديث حسن رواه الدارقطنى وغيره)

* * *

فكن أخا الاسلام :

منفذا لتلك الوصية العظيمة ، أو لهذا الحديث العظيم الذى قال عنه بعضهم :

ليس فى الأحاديث حديث واحد أجمع بانفراده لأصـول الدين وفروعه منه .

كما قال عنه ابن السمعانى : من عمل بهذا الحديث ، فقد حاز الثواب وأمن من العقاب ، لأن من أدى الفرائض ، واجتنب المحارم ، ووقف عند الحدود ، وترك البحث عما غاب عنه ، فقد استوفى أقسام الفضل ، وأوفى حقوق الدين ، لأن الشرائع لا تخرج عن هذه الأنواع المذكورة فى هذا الحديث .

ولهذا ، فقد حكى عن أبى واثلة المزنى ، أنه قال :

جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين فى أربع كلمات ، ثم ذكر حديث أبى ثعلبة ـ الذى ندور حوله :

وذلك لأن حديث أبى ثعلبة قسم فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه أحكام الله أربعة أقسام : فرائض ، ومحارم ، وحدود ، ومسكوت عنه ، وذلك يجمع أحكام الدين كلها .

وحسبنا ـ بعد هذا التقديم ـ لكى يتأكد لنا كل هذا ، ونقف على أهمية هـذا الحديث ، وضرورة تنفيذه ، على أساس من الفقه : أن نقف على معرفة أحكام الله الأربعة ، التى أولها :

الفــرائض

وهى جمع الفرض ، والفرض فى عرف الفقهاء : ما يجب على المكلف تحصيله بدليل شرعى صريح من الكتاب والسنة •

والفرض ـ كذلك ـ كما يعرفونه : ما يثاب المؤمن على فعله ، ويعاقب على تركه •

وينقسم الفرض الى :

فرض عين : وهو ما يجب على المكلف[1] تحصيله •

وفرض كفاية : وهو ما اذا قام به البعض ، سقط عن الباقين ، مثل صلاة الجنازة ، فانها تجب على المكلفين ، الذين يحضرونها ، لكن اذا أداها بعضهم سقط التكليف عن الآخرين •

وينقسم الفرض ـ كذلك ـ الى :

فرض مستقل بذاته : كصلاة الظهر ، وصوم رمضان •

وفرض داخل فى غيره : كتكبيرة الاحرام ، والركوع والسجود فى الصلاة •

وقد يعرف الفرض الداخل فى غيره : بأنه الذى يبطل بتركه العمل : فمن ترك النية ، أو تكبيرة الاحرام ، أو الركوع ، أو السجود ـ مثلا ـ بطلت صلاته باجماع الأمة •

هــذا[2] : والفرض ، واللازم ، والمحتم ، والركن ، والواجب ، بمعنى واحد ، عند أكثر الفقهاء ، الا فى باب الحج ، فان الفرض ما يبطل الحج بتركه ، والواجب ما لا يبطل الحج بتركه ، ولكن يجبر بفدية •

ويرى الحنفيون ، ومن نحا نحوهم ، أن هناك فرقا بين الفرض والواجب ، فالفرض عندهم : ما ثبت بدليل قطعى ، والواجب : ما ثبت بدليل ظنى ، وهو وسط بين الفرض والسنة •

واذا كان لنا الآن ـ بعد هذا التقديم حول تعريف الفرض ـ : أن نقف على أهم الفرائض المتعلقة بالعبادات ، فاليك بيانها اجمالا :

حكم الاستنجاء

الاستنجاء : واجب على المشهور ، لأنه ازالة لنجاسة حلت بعضو من أعضاء البدن :

ويشرع الاستنجاء قبل الوضوء عند جمهور الفقهاء •

---

(١) المراد بالمكلف : أي المسلم البالغ العاقل •

(٢) كما يقول الشيخ محمد بكر اسماعيل صاحب (الفقه الواضح) •

واذا لم يجد المسلم ماء يستنجى به فليستجمر بالأحجار ، والأحجار التى يستجمر بها يستحب أن تكون وترا ، ثلاثة ، أو خمسة ، أو سبعة .

* * *

وحكم الوضوء

والوضوء : ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة واجماع الأمة ، وهو شرط فى صحة الصلاة ، والطواف بالكعبة ، ومن شك فى مشروعيته فقد كفر .

قال تعالى فى سورة المائدة : **« يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فأغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين »**[1] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يقبل الله صلاة أحدكم اذا أحدث حتى يتوضأ » رواه البخارى ومسلم .

وقد أجمع المسلمون على أنه لا تصح صلاة عبد ولا يصح طوافه بالكعبة بغير وضوء .

وللوضوء فرائض أو أركان اختلف الفقهاء فى عدتها ، وهى :

النيـــة : وهى فرض عند المالكية والشافعية وشرط صحة عند الحنابلة ، وسنة مؤكدة عند الحنفية .

وغسل الوجه : وهو فرض بالاجماع ، وحده من منابت شعر الرأس المعتاد الى أسفل الذقن طولا ، ومن شحمة الأذن ، الى شحمة الأذن عرضا .

وغسل اليدين الى المرفقين : وهو فرض باتفاق العلماء ، والمرفق هو المفصل البارز فى منتصف الذراع .

ومسح الرأس : وهو فرض بالاجمـاع ، غير أنهم اختلفوا فى القدر الواجب مسحه :

فقالت المالكية : يجب مسح جميعه ، ووافقهم أحمد بن حنبل .

وقالت الشافعية : مسح البعض فرض ، ومسح الباقى سنة ، ويتحقق البعض عندهم بشعرات .

وقالت الحنفية : مسح ربع الرأس فرض ، ومسح باقيه سنة .

---

(١) المائدة : ٦

والأولى : الأخذ بقول المـالكية وأحمد ، فيمسح المتوضئ جميع رأسه احتياطا ، والاحتياط فى الدين واجب .

وغسل الرجلين : وهو فرض بالاجماع ، ويجب ادخال الكعبين[١] فى الغسل مثل ادخال المرفقين فى غسل اليدين .

والترتيب : وهو فرض عند الشافعية وأحمد ، وسنة مؤكدة عند غيرهما .. ومعناه : غسل الوجه ، ثم اليدين ، ثم مسح الرأس ، ثم غسل الرجلين ، كما جاء فى نص الآية .

والموالاة : وهى فرض عند المـالكية وبعض الحنابلة ، وسنة عند غيرهم .. ومعناها : تتابع غسل الأعضاء ، عضوا بعد عضو من غير مهلة ولا انتظار .

والتدليك : وهو فرض عند المـالكية وبعض الفقهاء ، وسنة عند غير المـالكية لعدم التصريح به فى الأحاديث الكثيرة الواردة فى الوضوء والغسل ، والله أعلم .. والمراد به : امرار اليد على العضو مع المـاء أو بعده .

وللوضوء : سنن ومستحبات نجملها ــ كذلك ــ فيما يلى :

التسمية : وصفتها أن يقول العبد عند بدء الوضوء : بسم الله والحمد لله . وغسل الكفين ثلاثا فى أول الوضوء ، والسواك ، والمضمضة ثلاثا ، والاستنشاق وهو ادخال المـاء فى الأنف ، والاستنثار وهو اخراج المـاء من الأنف ، وتخليل اللحية وهو ايصال المـاء الى منابت الشعر ، وتثليث غسل الفرائض ، وتخليل الأصابع عند غسل اليدين والرجلين ، والتيامن ، ورد مسح الرأس بحيث يرجع بيده الى حيث بدأ ، ومسح الأذنين ظاهرهما وباطنهما مرة واحدة بمـاء الرأس ، والاقتصاد فى المـاء ، والدعاء أثناء الوضوء بالدعاء الوارد ، وهو : « اللهم اغفر لى ذنبى ، ووسع لى فى دارى ، وبارك لى فى رزقى »[٢] ، والدعاء بعد الفراغ من الوضوء بالدعاء الوارد ، مثل : « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك »[٣] ، « أشهد أن

---

(١) الكعبان : هما العظمتان البارزتان عند مفصل الساق والقدم .

(٢) من حديث رواه النسائى وابن السنى باسناد صحيح .

(٣) من حديث أخرجه ابن السنى والطبرانى .

لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله »[١] ، وصلاة ركعتين بعد الوضوء ، والشرب من فضلة ماء الوضوء ..

* * *

وحكم الغسل

والغسل : وهو تعميم الجسد بالماء ، ولغة : الاسالة ، وشرعا : ايصال الماء الى جميع الجسد ، ودليله قول الله تعالى : **« وإن كنتم جنبا فاطهروا »**[٢] .

ويفترض الغسل لأمور ستة :

الأول : خروج المني وبروزه من حشفة الرجل ، والى فرج المرأة الظاهر بلذة ، ولو حكما : كمحتلم رأى بللا ولم يدرك الشهوة ، لكن اذا نزل المنى على سبيل المرض ، دون لذة فحكمه حكم البول ، لا يجب منه الغسل ، ولكن يجب منه الوضوء .

الثانى : التقاء الختانين ، فاذا التقى الختانان : ختان الرجل وختان المرأة .. وجب الغسل سواء نزل المنى أم لم ينزل ، وهذا بالنسبة للرجل والمرأة .

ويرى جمهور الفقهاء أن الرجل لو غيب حشفة ذكره فى دبر أنثى عليه وعليها الغسل .

واتيان المرأة فى دبرها حرام .

الثالث : انقطاع الحيض والنفاس ، لقول الله تعالى : **« ولا تقربوهن حتى يطهرن ، فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله »**[٣] .

الرابع : الولادة بلا دم ، احتياطا لأنها لا تخلو من آثر دم .

الخامس : الموت ، فقد أجمع العلماء على أنه يفترض على الأحياء فرض كفاية تغسيل الميت .. الا الشهيد فانه لا يغسل ، بل يكفن ويدفن فى دمائه .

السادس : اسلام الكافر ، فانه يجب عليه أن يغتسل .

وللغسل فرائض ، وهى :

١ ـ النية : وهي فرض عند المالكية والشافعية ، وشرط صحة عند الحنابلة ، وسنة مؤكدة عند الحنفية . والنية محلها القلب ، وتكون

---

(١) من حديث أخرجه أحمد ومسلم .

(٢) المائدة : ٦

(٣) البقرة : ٢٢٢

عند أول عضو يغسل ، ويقصد المغتسل بنيته رفع الحدث الأكبر ، لاباحة ما كان الحدث الأكبر مانعا منه •

٢ ــ تعميم الجسد بالمـاء : وهو فرض بالاتفاق • والاغتسال معناه ، تعميم الجسد بالمـاء ، من منابت شعر الرأس ، الى باطن القدمين •

٣ ــ الموالاة : وهو تتابع غسل الأعضاء ، عضوا بعد عضو من غير مهلة يجف فيـها العضو الذى غسل قبله •• وهى فرض عند المـالكية ، وسنة عند غيرهم •

٤ ــ التدليك : وهو فرض عند المـالكية ، وسنة عند غيرهم •

٥ ــ تخليل الشعر : لأن كل شعرة تحتها جنابة ••• وهو فرض عند المـالكية ، سنة عند غيرهم •

٦ ــ المضمضة والاستنشاق : وهما فرضان عند الحنفية وأحمد ، وسنتان عند الجمهور من الشافعية والمـالكية وغيرهم •

وللغسل ــ كذلك ــ سنن كثيرة نجملها فيما يأتى :

التسمية فى أوله بأن يقول : « بسم الله والحمد لله » ، وغسل الكفين قبل ادخالهما فى المـاء ثلاثا ، وغسل الفرج أولا قبل الوضوء للغسل ، والوضوء فى أوله ، وتخليل شعر الرأس واللحية عند غير المـالكية ، ويلحق بتخليل شعر الرأس واللحية تخيل أصابع اليدين والرجلين ، والبدء بالأعالى قبل الأسافل والميامن قبل المياسر ، وتثليث غسل الرأس وكذا سائر الجسد ، والاستتار حال الغسل ــ وهو واجب عند كثير من الفقهاء ــ والاقتصاد فى المـاء •

* * *

وحكم التيـمم

والتيمم : طهارة ترابية ، تسد مسد الطهارة المـائية ، وضوءا كانت أو غسلا عند فقد المـاء ، أو عدم القدرة على استعماله ••

وهو عبارة عن ضربتين بالكفين ، على الصعيد الطاهر ، ضربة للوجه ، وضربة لليدين الى المرفقين •

ودليل مشروعيته ، قوله تعالى : **« وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ، ان الله كان عفوا غفورا »**[1] •

---

(١) النساء : ٤٣

وللتيمم فرائض ، أو أركان نجملها فيما يلى :

١ ــ النية : وتكون عند الضرب بالكفين على الصعيد ــ أى التراب ــ الطاهر .

٢ ــ الصعيد الطاهر : وقد اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز التيمم الا على الصعيد الطاهر ، لأن الصعيد النجس ، أو المتنجس ، لا يطهر غيره ..

٣ ــ الضربة الأولى على الصعيد الطاهر : وأما الضربة الثانية فهى سنة : عند مالك وجمهور من الفقهاء ، وفرض : عند الشافعى وجمهور من الفقهاء وهو الأصح : لحديث جابر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « التيمم ضربة للوجه ، وضربة للكفين الى المرفقين » أخرجه الدارقطنى .

٤ ، ٥ ــ مسح الوجه واليدين الى المرفقين : وهما فرضان بالاتفاق ، لقوله تعالى : **« فامسحوا بوجوهكم وأيديكم »** : ويجب عند مسح اليدين نزع الخاتم ، والأساور ، أو تحريكهما ان كانا واسعين .

٦ ــ الموالاة : وهى فرض عند المالكية ، فى التيمم مطلقا ، سواء أكان التيمم لحدث أصغر ، أو لحدث أكبر ، كما فى الوضوء والغسل : وهى فرض عند الحنابلة فى التيمم لحدث أصغر ، لأن الموالاة عندهم فى الغسل غير واجبة على المشهور .

٧ ــ الترتيب : وهو فرض عند الشافعية ، قياسا على الوضوء .

ومن سنن التيمم : التسمية ، والسواك ، والنفخ فى اليدين ، قبل وضعهما على الوجه ، ان علق بهما تراب كثير ، والموالاة : خلافا للمالكية والحنابلة ، والترتيب : خلافا للشافعية .

* * *

والصــــلاة

الصلاة : عمــاد الدين ، وركنه الركين ، من أقامها فقــد أقام الدين ، ومن ضيعها فقد هدم الدين .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد » من حديث رواه الترمذى .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » رواه البخارى ومسلم .

والصلاة تنقسم الى ثلاثة أقسام :

١ – صلاة مفروضة فرض عين : وهى الصلوات الخمس .
٢ – وصلاة مفروضة فرض كفاية ، وهى : صلاة الجنازة .
٣ – وصلاة نافلة ، وهى : ما سوى ذلك ، فتشمل المسنونة ، والمستحبة .

والفرائض : كل ما أوجبه الله على عباده ، والصلاة من أعظمها .

والنوافل : ما زاد على الفرائض ، والصلاة فى بابها ، من أعظمها أيضـــا :

قال النبراوى فى شرح الأربعين النووية : « ... وأما الأفضل على الاطلاق بعد الشهادتين ، فهو الصلاة عندنا ، فنفلها أفضل النوافل ، وفرضها أفضل الفروض ، لمـــا صح من قوله صلى الله عليه وسلم : « الصلاة خير موضوع »[١] أى خير شىء وضعه الشارع .

وقد فرض الله على كل مكلف[٢] ، من هذه الأمة ، خمس صلوات فى اليوم والليلة ، وفرضيتها ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع :

قال تعالى : « **وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل** »[٣]

وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما من حديث طلحة بن عبد الله رضى الله عنه ، قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم ، من نجد ، ثائر الرأس ، يسأل عن الاسلام ، فقال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم : « خمس صلوات فى اليوم والليلة . قال : هل على غيرهن ؟ قال : لا ، الا أن تطوع .. » الحديث .

وقد فرضت الصلاة ، على هذه الأمة ، فى ليلة الاسراء والمعراج ، قبل الهجرة بنحو سنة ونصف .

وهى أول فريضة فرضت فى الاسلام .

وللصلاة شروط لا تصح الا بها :

الشرط الأول : الاســـلام ، فلا تصح الصلاة من كافر ، وكذلك سائر العبادات لا تصح منه ، ولا تقبل ، وليس له عليها فى الآخرة من ثواب .

الشرط الثانى : الطهارة من الحدث الأصغر ، ومن الحدث الأكبر .

---

(١) أخرجه ابن حبان والحاكم ، وتمامه : « فمن شاء استكثر ومن شاء استقل » .
(٢) من المسلمين والمسلمات .
(٣) هود : ١١٤ .

الشرط الثالث : الطهارة من الخبث ، فقد اتفق جمهور العلماء على أن طهارة الثوب ، والمكان ، والبدن : واجبة .

الشرط الرابع : دخول الوقت ، فلا تجب الصلاة الا اذا دخل وقتها ، ولا تصح اذا وقعت قبل دخول وقتها .

الشرط الخامس : استقبال القبلة مع الأمن والقدرة وذلك ثابت بالكتاب والسنة واجماع المسلمين .

قال الله تعالى : « **فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** »[1] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسىء صلاته : « واذا قمت الى الصلاة فأسبغ الوضوء[2] ، ثم استقبل القبلة .. » الحديث رواه البخاري ومسلم .

الشرط السادس : ستر العورة : وقد اتفق العلماء على أن ستر العورة في الصلاة شرط في صحتها ، مع القدرة والذكر ، ولابد أن يكون الساتر كثيفا ، لا يظهر لون البشرة .

ولكل من الرجل والمرأة عورتان : عورة مغلظة ، وعورة مخففة .

أما عورة الرجل المغلظة : فهى قبله ، ودبره ، وأنثياه — خصيتاه — وما حولهما .

فان صلى مكشوف القبل ، أو الدبر ، كلا أو بعضا ، بطلت صلاته .

وأما عورته المخففة : فما سوى ذلك من سائر بدنه ، فان صلى مكشوف السرة ، أو الفخذين ، أو الظهر ، أو البطن : فصلاته صحيحة ، على الأصح مع الكراهة .

أما عورة المرأة المغلظة : فهى ما بين سرتها وركبتها .

وأما عورتها المخففة : فجميع بدنها ، الا وجهها وكفيها .

فعلى المرأة اذا أرادت الصلاة ، أن تستر جميع بدنها ، من رأسها حتى ظاهر قدميها ، الا وجهها وكفيها ، حتى ولو كانت تصلى وحدها فى حجرة مظلمة .

فعن أم سلمة أنها سألت النبى صلى الله عليه وسلم : أتصلى المرأة

---

(١) البقرة : ١٥٠ .

(٢) اسباغ الوضوء : أى اتمامه على المكاره ، أى على الرغم من وجود ما يكره معه استعمال الماء كالبرد وغيره .

فى درع وخمار ، وعليها ازار ؟ فقال : « نعم .. اذا كان الدرع سابغا يغطى ظهور قدميها » رواه أبو داوود والحاكم .

والدرع : هو القميص . والخمار : هو ما يسمى بالطرحة .

وروى الطبرانى فى الأوسط عن أبى قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يقبل الله من امرأة صلاة حتى توارى زينتها ، ولا من جارية بلغت المحيض حتى تختمر » والجارية : أى الفتاة .

الشرط السابع : ترك الكلام ، وهو شرط فى صحتها ، لما رواه زيد بن أرقم ، قال : « كنا نتكلم فى الصلاة ، يكلم الرجل منا صاحبه وهو الى جنبه فى الصلاة حتى نزلت : **« وقوموا لله قانتين »**[١] فأمرنا بالسكوت ، ونهينا عن الكلام » رواه البخارى ومسلم .

فمن تكلم فى الصلاة بكلام خارج عنها ، بطلت صلاته ، سواء أكان الكلام عمدا ، أم سهوا ، على خلاف فى ذلك[٢] .

الشرط الثامن : ترك الأفعال الكثيرة المؤدية الى بطلان الصلاة[٣] .

وقد وضع المالكية والحنابلة قاعدة وهى : أنه اذا رآه الرائى ، ظن أنه فى غير صلاة .

وللصلاة أركان ، أو فرائض ، لو سقط ركن منها بطلت الصلاة :

وهى ستة عشر ركنا ، بعضها متفق على فرضيته ، وبعضها مختلف فيه ، واليك بيان ما اتفق عليه منها ، وما اختلف فيه :

١ ــ النيـــة : وهى فرض عند جمهور الفقهاء ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات » .

٢ ــ تكبيرة الاحرام : وهى فرض بالاجماع ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » أخرجه أحمد والترمذى .

ولفظها : « الله أكبر » وسميت تكبيرة الاحرام ، لأن بها يدخل العبد فى حرم الصلاة ، فلا يأتى بأقوال ينافى أقوالها ، ولا بأفعال تخالف أفعالها .

---

(١) قانتين : أى خاشعين ، والآية من سورة البقرة : ٢٣٨ .

(٢) يرى الشافعية أن من تكلم فى الصلاة ناسيا ، لا تبطل صلاته قياسا على الأكل والشرب نسيانا فى الصوم .

(٣) وقد قدرها الشافعية بثلاث حركات فى الركعة الواحدة باليد ، أو ثلاث خطوات ، أو وثبة قوية .

٣ ـ القيام لتكبيرة الاحرام مع القدرة ، أما العاجز فله أن يكبر قاعدا ، أو مضطجعا ، حسب قدرته •

والقيام فرض ، فى صلاة الفرض بالاجماع ، لقوله تعالى : « **وقوموا لله قانتين** » أى مطيعين • والمراد القيام فى الصلاة باجماع المفسرين •

أما صلاة النوافل ، فالقيام فيها مستحب ، فمن صلى قائما ، فله الثواب كله ، ومن صلى قاعدا فله نصف الثواب •

٤ ـ قراءة الفاتحة : وهى فرض فى صلاة الفرض والنفل ، على الامام والمأموم والمنفرد ، مع القدرة على قراءتها ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » أخرجه البخارى ومسلم عن عبادة بن الصامت •

وهذا مذهب الشافعية ، وجمهور آخر من الفقهاء •

ويرى المالكية ، والحنفية ، وفريق من الحنابلة أنها فرض على المنفرد والامام ، ومستحب فى حق المأموم واستدلوا بقول جابر رضى الله عنه : « من صلى ركعة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب لم يصل[1] الا أن يكون وراء الامام » أخرجه الترمذى •

وقال النووى فى شرح مسلم : واذا لحن فى الفاتحة لحنا يخل المعنى ، كضم تاء أنعمت[2] ، أو كسرها ، أو كسر كاف اياك ، بطلت صلاته ، وان لم يخل المعنى : كفتح الباء من المغضوب عليهم ونحوه ، كره ولم تبطل صلاته أ • هـ •

لهذا يجب على المصلى أن يصحح قراء الفاتحة ، حتى لا تبطل صلاته •

٥ ـ القيام لقراءة الفاتحة مع القدرة : وهو فرض بالاجماع فى صلاة الفرض ، مثل القيام لتكبيرة الاحرام لقوله تعالى : « **وقوموا لله قانتين** » •

أما النفل فالقيام فيه مستحب ، فان صلى قائما ، أو جالسا بعذر ، فله الأجر كله ، وان صلى جالسا بغير عذر ، فله نصف الأجر •• والله أعلم •

٦ ـ الركوع : وهو فرض بالاجماع فى كل صلاة ، الا صلاة الجنازة فانه ليس فيها ركوع ولا سجود •• قال الله تعالى :

---

(١) أى لم تصح صلاته .　　(٢) فى سورة الفاتحة .

« يا أيهـا الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون »[١] •

ويتحقق الركوع عند جمهور الفقهاء بالانحناء ، بحيث تصل اليدان الى الركبتين •

وأكمله عند الجميع يكون بتسوية الرأس والعجز ، والاعتماد بيديه على ركبتيه ، وتفريج أصابعه ، وبسط ظهره ، لقول أبى حميد الساعدى رضى الله عنه : « كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا ركع اعتدل ، ولم يصوب[٢] رأسه ولم يقنعه[٣] ووضع يديه على ركبتيه » أخرجه النسائى •

٧ ــ الرفع من الركوع : وهو فرض عند الجمهور ، لقوله صلى الله عليه وسلم للمسىء صلاته : « ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تطمئن قائما » •

ويتحقق باعتدال القامة ، على نفس الهيئة ، التى كان عليها قبل الركوع ، وأثناء القراءة •

٨ ــ السجود : وهو فرض بالاجماع ، لقوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا »** •

وتكريره فى كل ركعة فرض بالسنة والاجماع •

ويتحقق السجود بوضع سبعة أعضاء على الأرض ، وهى : الوجه ، والكفان ، والركبتان ، والقدمان :

فعن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب ــ أى أعضاء ــ وجهه ، وكفاه ، وركبتاه ، وقدماه » أخرجه مسلم •

فاذا لم يسجد العبد على عضو من هذه الأعضاء السبعة ، بطلت صلاته • واختلفوا فى السجود على الأنف •• فقال أكثر الفقهاء : السجود عليه واجب ، لأنه ملحق بالجبهة ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة لمن لا يصيب أنفه الأرض » أخرجه الدارقطنى •

وقال المالكية : لو سجد المصلى على وجهه دون أنفه ، صحت صلاته ، ولكن الأفضل أن يعيدها ، مادام الوقت باقيا ، مراعاة للخلاف •

٩ ــ الجلوس بين السجدتين : وهو فرض عند الأئمة ، وينبغى

---

(١) الحج : ٧٧ (٢) يميل رأسه الى أسفل •

(٣) يرفعه حتى يكون أعلى من ظهره •

أن يستقر المصلى بمقدار ما يقول : اللهم اغفر لى ، وارحمنى ، واعف عنى ، واهدنى ، وارزقنى .. ثم يسجد السجدة الثانية .

١٠ ، ١١ — الجلوس الأخير والتشهد فيه :

وهما فرضان عند الشافعية وأحمد لما رواه الطبرانى والبزار ، عن ابن مسعود ، قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد ، كما يعلمنا السورة من القرآن ، ويقول : « تعلموا ، فانه لا صلاة الا بتشهد » فدل هذا الحديث على أن التشهد فرض .

واذا كان التشهد فرضا ، فالجلوس له فرض .

ويرى المالكية : أن التشهد الثانى سنة ، كالتشهد الأول ، والجلوس له أيضا سنة ، الا الجلسة الأخيرة ، بقدر السلام ، أى بقدر ما يقول المصلى : السلام عليكم ، عن يمينه فقط بحيث لو سلم وهو واقف لا تصح صلاته ..

١٢ — الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم عقب التشهد الأخير .

وهى فرض عند الشافعية فى التشهد الأخير ، دون الأول : لحديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه والثناء عليه ، ثم يصلى على النبى — صلى الله عليه وسلم — ، ثم يدعو بما شاء » أخرجه أحمد وأبو داوود .

ويرى المالكية والحنفية وجمهور الحنابلة أنها سنة : لحديث أبى هريرة رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر ، فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر المسيح الدجال »[1] أخرجه أحمد ومسلم .

فقالوا : قد أمر بالاستعاذة عقب التشهد ، ولم يذكر الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، ولو كانت ركنا لذكرها ، ولأن الوجوب انما يكون بدليل شرعى ، ولم يرد ، وحديث فضالة لا يدل على وجوبها

---

(١) ويسمى بالمسيح لأنه يمسح الأرض ويقطعها فى أربعين يوما ، ولأنه ممسوح العين اليمنى : كما فى الدين الخالص ج ١ .

لأنه صلى الله عليه وسلم أمر فيه بالدعاء فى آخر الصلاة : وهو غير واجب اتفاقا[١] .

١٣ — السلام : وهو فرض ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « مفتاح الصلاة الطهور ، وتحريمها التكبير ، وتحليلها التسليم » . ولقوله صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتمونى أصلى »[٢] .

ولم يعرف أن النبى صلى الله عليه وسلم قد ترك السلام فى صلاة من الصلوات ، والتسليمة الأولى هى الفرض ، وينبغى أن تكون جهة اليمين .. والتسليمة الثانية سنة عند الجمهور .

ولا بد أن يكون السلام معرفا بالألف واللام عند مالك وأحمد ، ولفظه : « السلام عليكم » فلا يجزىء « سلام عليكم » خلافا للشافعية .

والأكمل فى السلام ، أن يقول المصلى : « السلام عليكم ورحمة الله » يمينا وشمالا[٣] .

١٤ ، ١٥ — الطمأنينة والاعتدال فى جميع الأركان : لقوله صلى الله عليه وسلم للمسىء فى صلاته : « .. ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تطمئن قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم قم ، فاذا أتممت صلاتك على هذا فقد أتممتها ، وما انتقصت من هذا من شىء ، فانما انتقصته من صلاتك » أخرجه أحمد .

والاعتدال معناه استواء الأعضاء ، فى الركوع والسجود والجلوس والقيام .

والطمأنينة معناها : استقرار الأعضاء ، وسكونها زمنا يسع تسبيحة على الأقل عند المالكية وبعض الشافعية ، أو ثلاث تسبيحات على الأقل عند كثير من الفقهاء . وهو الأصح .

١٦ — ترتيب الأركان : وهو ركن بالاجماع ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » .

وقد كانت صلاته صلى الله عليه وسلم ، على هذا الترتيب المنقول عنه ، ولم يثبت عن أحد من الصحابة أن النبى صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) كما يقول فى الدين الخالص ، والفقه الواضح .

(٢) رواه البخارى .

(٣) لحديث أخرجه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه والدارقطنى وابن حبان والبزار .

قد خالف هذا الترتيب ، فسجد ـ مثلا ـ قبل أن يركع : فمن خالف هذا الترتيب بطلت صلاته ان تعمد ذلك • والله أعلم •

وللصلاة كذلك سنن ومستحبات ، وهى : رفع اليدين حذو المنكبين ، أو حذو الأذنين ، عند تكبيرة الاحرام أو قبلها ، ووضع اليمين على الشمال فوق السرة ، وتحت الصدر •• وقد صح من طرق كثيرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان اذا صلى ، وضع يده اليمنى على اليسرى •

واذا كان بعض المالكية يرى أن ارسال اليدين أولى من قبضهما : فقد جاء فى الموطأ ما يخالف رأيهم هذا ، وهو أن الامام مالك رحمه الله ، لم يزل يقبض يديه فى الصلاة ، حتى لقى الله عز وجل •

والقبض هو وضع اليمين على الشمال فوق السرة •

والقبض عند جمهور الفقهاء والمحدثين ، أولى من الارسال ، للأحاديث الكثيرة التى صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتى منها :

ما رواه البخارى ، عن سهل بن سعد قال : كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى فى الصلاة •

وما رواه أحمد ، عن هلب الطائى ، قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يضع اليمنى على اليسرى على صدره فوق المفصل •

ومن السنن : دعاء الاستفتاح قبل قراءة الفاتحة ، وهو سنة عند أكثر أهل العلم •• ومن الأحاديث الواردة فى هذا ، ما رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كبر فى الصلاة سكت هنيهة ـ لحظة قصيرة ـ فقلت : يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ، ما تقول ؟ قال : « أقول : اللهم باعد بينى وبين خطاياى ، كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقنى من خطاياى ، كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس • اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والماء والبرد » : والبرد ـ بفتح الراء ـ أى الندى •

ومن السنن : الاستعاذة ، ويستحب افتتاح القراءة بها ، لقوله تعالى : **« فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم »**[1]

---

(١) النحل : ٩٨

قال ابن المنذر : جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه كان يقول قبل البدء فى القراءة : « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » .

والاستعاذة انما تستحب فى الركعة الأولى فقط ، باعتبار أن القراءة فى الصلاة قراءة واحدة ، ويستحب أن تكون سرا ، عند أكثر أهل العلم .

ومن السنن : التأمين ، فيسن للفرد ، والامام والمأموم أن يقول ، بعد قراءة الفاتحة : « آمين » .. ويرفع بها صوته ، ومعنى لفظ آمين : « اللهم استجب » .

ويستحب للمأموم ، أن يوافق تأمينه تأمين الامام ، وقد ورد أنه من وافق تأمينه تأمين الامام غفر له :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا قال الامام « **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** » فقولوا آمين ، فان من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه البخارى .

ومن السنن : القراءة بعد الفاتحة ، سورة ولو قصيرة ، من القرآن ، أو آية تعدل أقصر سورة منه ، مثل سورة الكوثر وذلك فى ركعتى الصبح ، والركعتين الأوليين فى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وفى ركعتى الجمعة ، وفى ركعات النوافل :

فعن أبى قتادة رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان يقرأ فى الظهر فى الأوليين بأم الكتاب[1] وسورتين ، وفى الركعتين الأخيرتين بأم الكتاب ، ويسمعنا الآية أحيانا ، ويطول فى الركعة الأولى ما لا يطول فى الثانية ، وهكذا فى العصر ، وهكذا فى الصبح » رواه البخارى ومسلم .

ومن السنن : السر فيما يسر فيه ، والجهر فيما يجهر فيه : فينبغى على المصلى أن يقرأ سرا فى صلاة الظهر والعصر ، والركعة الأخيرة من المغرب ، والركعتين الأخيرتين من العشاء ، وفى صلاة النفل من النهار .

وأن يقرأ جهرا فى ركعتى الصبح ، والركعتين الأوليين من المغرب ، والركعتين الأوليين من العشاء ، وركعتى الجمعة ، وركعتى العيد الأصغر والأكبر ، وفى النفل ليلا .

وأقل السر أن يسمع الانسان نفسه ، وعند مالك يكتفى بحركة

---

(١) أى سورة الفاتحة .

اللسان ، وأقل الجهر أن يسمع الانسان نفسه ومن يليه ، وأكثره لا حد له ، الا أنه ينبغى على المصلى الا يرفع صوته جدا ، والا يخفضه جدا ، بل يكون وسطا بين بين ، عملا بقوله تعالى : « .. **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا** »[1] .

ولو أسر المصلى فيما يجهر فيه ، وجهر فيما يسر فيه : فلا شيء عليه ، بل متى ذكر ذلك ، فليعمل ما هو مطلوب منه من الاسرار والجهر .

ويرى المالكية : أنه من أسر فيما يجهر فيه ، أو العكس يسجد للسهو .

ومن السنن : تكبيرات الانتقال ، فهى سنة بلا خلاف ، وذلك بأن يكبر المصلى عند الشروع فى الركوع ، وعند الشروع فى السجود ، وعند الرفع منه ، وعند القيام .

أما عند الرفع من الركوع ، فانه يقول : « سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد » وان كان مأموما وسمع الامام ، يقول : « سمع الله لمن حمده » فليقل خلفه : « ربنا ولك الحمد » .

روى أحمد والنسائى ، عن ابن مسعود ، قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكبر فى كل خفض ، ورفع ، وقيام ، وقعود .

ومن السنن : تفريج الأصابع فى الركوع ، ووضع اليدين على الركبتين ، وجعل الرأس مساويا للظهر : وذلك لما روى عن عقبة ابن عامر أنه ركع فجافى يديه على ركبتيه ، وفرج بين أصابعه من وراء ركبتيه ، وقال : « هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى » رواه أحمد وأبو داوود .

ومعنى « جافى يديه » أبعد ذراعيه قليلا عن ركبتيه ، ومعنى « تفريج الأصابع » أى تفريقها حول الركبتين .

ومن السنن : الذكر فى الركوع ، فهو سنة عند الجمهور ، وذلك بأن يقول المصلى فى ركوعه : « سبحان ربى العظيم » :

فعن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، قال : لما نزلت : « **فسبح باسم ربك العظيم** »[2] قال لنا النبى صلى الله عليه وسلم : « اجعلوها فى ركوعكم » رواه أحمد وأبو داوود .

---

(١) اى وسطا . والآية من سورة الاسراء : ١١٠ .

(٢) الحاقة : ٥٢

وعن حذيفة ، قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يقول فى ركوعه : « سبحان ربى العظيم » رواه مسلم .

وأقل التسبيح عند جمهور الفقهاء ، ثلاث تسبيحات .. وهذا هو الأصح :

لحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا ركع أحدكم فليقل ثلاث مرات : سبحان ربى العظيم ، واذا سجد فليقل : سبحان ربى الأعلى ثلاثا ، وذلك أدناه » أخرجه أبو داوود والترمذى .

ومن السنن : الذكر عند الرفع من الركوع ، فقد ورد فى حديث رواه أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « اذا قال الامام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : ربنا ولك الحمد ، فان من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » .

ويستحب الزيادة على قول : « ربنا ولك الحمد » ، مثل : « حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، ملء السموات والأرض » كما جاء فى نص حديث رواه أحمد والبخارى ، وحديث رواه أحمد ومسلم .

ومن السنن : رفع اليدين عند الركوع وعند الرفع منه ، فقد وردت أحاديث تفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم فعله فى صلاته ، منهـا :

ما رواه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنه ، قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذا قام الى الصلاة رفع يديه ، حتى يكونا حذو منكبيه ، ثم يكبر ، فاذا أراد أن يركع رفعهما مثل ذلك ، واذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك ، وقال : سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمـد » .

ومن السنن : التسبيح والدعاء فى السجود ، وهو سنة لمـا رواه عقبة بن عامر رضى الله عنه ، قال : لمـا نزلت : « **سـبح اسم ربك الأعلى** »[1] قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « اجعـلوها فى سجودكم » رواه أحمد .

وأما الدعاء فى السجود فمطلوب .. لقوله صلى الله عليه وسلم : « أقرب ما يكون أحدكم من ربه وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء » .

ومن السنن : ضم الأصابع فى السـجود وهو مستحب ، لمـا

---

(١) الأعلى : ١

رواه الحاكم وابن حبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ركع فرج بين أصابعه ، واذا سجد ضم أصابعه .

ومن السنن : الجلوس الأول وقراءة التشهد فيه ، وهما سنتان عند جمهور الفقهاء .

ومن السنن : الجلوس الثانى وقراءة التشهد فيه .. وهما سنتان . خلافا للشافعية وأحمد(١) .

ومن السنن : الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بعد التشهد الأخير ، وهى سنة عند جمهور الفقهاء ، ويرى بعض الشافعية أنها فرض .

وأفضل الصيغ الواردة فى الصلاة عليه ، ما رواه مسلم عن أبى مسعود البدرى ، قال : قال بشر بن سعد : يا رسول الله .. أمرنا الله أن نصلى عليك ، فكيف نصلى عليك ؟ فسكت ، ثم قال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين ، انك حميد مجيد ، والسلام كما علمتم » أى وبعدها تقولون : السلام عليكم كما علمتموه منى .

ومن السنن : الدعاء بعد التشهد الأخير ، وقبل السلام ، فيسن للمسلم أن يدعو بعد تشهده لنفسه وغيره ، بخيرى الدنيا والآخرة :

فعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، علمهم التشهد ، ثم قال فى آخره : « ثم ليختر من المسألة ــ أى من الدعاء ــ ما شاء » رواه مسلم .

ومن السنن : القنوت ، وهو سنة عند الشافعية فى صلاة الصبح دائما ، وفى الوتر فى النصف الأخير من رمضان ، وفى جميع الصلوات عند نزول البلاء .

وان تركه المصلى سهوا ، سجد له قبل السلام سجدتين ، ويستحب الجهر فيه ، ويستحب رفع اليدين عند الدعاء ، وقيل لا يستحب ذلك ، ويستحب مسح الوجه باليدين ، وقيل يكره ذلك ، ويجزىء فيه أى دعاء يضرع به العبد الى الله ، وذكر له دعاء

---

(١) يرى الشافعية وأحمد : انهما فرضان ، ويرى المالكية : ان التشهد الثانى سنة ، كالتشهد الأول ، والجلوس له أيضا سنة ، الا الجلسة الأخيرة بقدر السلام .. بحيث لو سلم وهو واقف لا تصح صلاته .

مخصوص : ومحله ــ عند الشافعية بعد الرفع من الركوع الأخير •

ويرى المـالكية : أن القنوت مستحب ، ان نسيه المصلى لا يسجد له بسجدتى السهو ، ويرون أنه قبل الركوع الأخير ، فى صلاة الصبح ، ويستحب أن يكون سرا للامام والمـأموم معا ، ويجزىء فيه أى دعاء ، ولهم فيه دعاء مأثور ، وهو : « اللهم انا نستعينك ، ونستهديك ، ونستغفرك ، ونتوب اليك ، ونؤمن بك ، ونتوكل عليك ، ونثنى عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ، ونخضع[1] لك ونخلع ونتـرك من يكفرك ، اللهم اياك نعبد ، ولك نصلى ونسجد ، واليك نسعى ونحفد[2] ، نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك ، ان عذابك الجد بالكافرين ملحق ، وصلى الله على النبى محمـد » •

وروى أحمد وأصحاب السنن ، عن الحسن بن على ، قـال : علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن فى الوتر : « اللهم اهـدنى فيمن هديت ، وعافنى فيمن عافيت ، وتولنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت ، وقنى شر ما قضيت ، فانك تقضى ولا يقضى عليـك ، وانه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، وصلى الله على النبى محمد » قال الترمذى : هذا حديث حسن•

ويرى الحنفية : أن القنوت سنة فى الوتر دائما ، ومحله بعد الرفع من الركوع •

ومن السنن : زيادة سجدة للتلاوة فى صبح يوم الجمعة ، وهى سنة عند الشافعية مطلقا ودائما ، فى صبح يوم الجمعة ، دون غيره من الصلوات •

وقال الحنفية وبعض الحنابلة : هى سنة بشرط ألا يداوم عليها حتى لا يعتقد العوام أنها من جملة أركان الصلاة •

وقال بعض المـالكية : تكره ان تعمدها المصلى ، بأن قـرأ آية السجدة متعمدا ليوقع السجدة •

واحتج القائلون بأنها سنة بما رواه مسلم فى صحيحه وغيره عن ابن عباس : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ يوم الجمعة ، فى صلاة الصبح ألم تنزيل[3] ، وهل أتى على الانسان » •

---

(١) أى نترك الأديان الباطلة ونرفض الشرك .

(٢) نسارع فى طاعتك .

(٣) أى سورة السجدة ، وسورة الانسان .

وبما رواه الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة : « ألم تنزيل السجدة » و« هل أتى على الانسان » يديم ذلك .

* * *

وصلاة الجمعة

وهى فرض عين على من توفرت فيه شروط الوجوب ، أى على المسلم ، العاقل ، البالغ ، الذكر ، الحر ، المقيم ، القادر على الاتيان الى المكان الذى تقام فيه الجمعة ، غير المعذور .

ودليل فرضيتها ، قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم أن كنتم تعلمون »**(١) .

وما رواه الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ان الله تعالى قد كتب عليكم الجمعة ، فى مقامى هذا ، فى ساعتى هذه ، فى شهرى هذا ، فى عامى هذا ، الى يوم القيامة ، من تركها من غير عذر ، مع امام عادل ، أو جائر ، فلا جمع الله شمله ، ولا بورك له فى أمره ، ألا ولا صلاة له ، ولا حج له ، ألا ولا بر له ، ألا ولا صدقة له » .

وروى مسلم فى صحيحه ، وأحمد فى مسنده ، عن ابن مسعود رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عن قوم يتخلفون عن صلاة الجمعة : « لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ، ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم »(٢) .

وعن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال — وهو على أعواد منبره — : « لينتهين أقوام عن ودعهم(٣) الجمعة ، أو ليختمن الله على قلوبهم ، وليكتبن من الغافلين » أخرجه أحمد والنسائى .

ويرى أكثر الفقهاء : أن خطبة الجمعة واجبة ، وهى شرط فى صحة الجمعة ، واستدلوا — على رأيهم هذا — بقول الله تعالى : **« .. فاسعوا الى ذكر الله »** : فالسعى الى الخطبة واجب ، ولا يكون

---

(١) الجمعة : ٩

(٢) ومن رحمة الله تعالى بنا أن النبى صلى الله عليه وسلم هم ولم يفعل .

(٣) أى تركهم .

السعى واجبا الا لشىء واجب فالخطبة واجبة ، وهذا بناء على أن المراد بذكر الله فى الآية الخطبة ، لاشتمالها على حمد الله ، والثناء عليه ، والتذكير بآياتـــه •

وقد نقل الشيخ منصور بن ادريس وغيره عن عمـــر وعائشـــة رضى الله عنهما ، أنهما قالا « قصرت الصـــلاة من أجل الخطبتين ، فهما بدل الركعتين ، فالاخلال باحداهما ، اخلال باحدى الركعتين » •

* * *

والصلاة على الجنـــازة

وهى فرض كفاية على من حضرها من المكلفين :

فلو حضرت جنازة وصلى عليها بعض من حضرها سقط الوجوب على من لم يصل عليها •

ودليل مشروعيتها : أن النبى صلى الله عليه وسلم قد صـــلاها وأمر بها ، ولم يثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم امتنـــع عنها فى حياته الا اذا كان الميت عليه دين ، فانه كان يأمر غيره بأن يصلى عليه اذا لم يكن للميت ما يوفى عنه دينه ، وذلك لتنفير المسلمين عن الدين ، وعن المماطلة فى سداده ••

* * *

والزكاة

وهى فى عرف الشرع : القدر الواجب اخراجه لمستحقيه فى المـــال الذى بلغ نصابا معينا بشروط مخصوصة •

وهى الركن الثالث من أركان الاسلام بعد الشهادتين والصلاة وقد قرنت بالصلاة فى القرآن الكريم فى اثنتين وثمانين آية •

وقد ثبتت فرضيتها بالكتاب والسنة واجماع الأمة : فمن أنكر وجوبها فقد كفر ، ووجب على الحاكم أن يأمره بالتوبة والرجوع عن انكاره ، ويمهله ثلاثة أيام يراجع فيها نفسه فان تاب كان بها ، والا قتله كفـــرا[1] •

* * *

---

(١) هناك أحكام كثيرة تتعلق بالزكاة وأنواعها تستطيع أن ترجع اليها فى الكتب المطولة .

وصـــوم رمضـــان

هو الركن الرابع من أركان الاسلام ، وفرضيته ثابتة بالكتاب والسنة واجماع الأمة :

قال الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا كتب**[1] **عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** » .

وفى السـنة : روى أحمد والبيهقى والنسائى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال — لما حضر رمضان — : « قد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه ، تتفتح فيه أبواب الجنة ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل[2] فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم »[3] .

* * *

والحـج[4]

وهو أحـد أركان الاسلام الخمسة ، وفرض من الفرائض التى علمت من الدين بالضرورة :

وقد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة واجماع الأمة :

قال تعالى : « ... **ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا** »[5] .

وقال تعالى : « **وأتموا الحج والعمرة لله** »[6] .

وقد أجمع العلماء على أن الحج لا يتـكرر ، وأنه لا يجب فى العمر الا مرة واحدة — الا أن ينذره فيجب الوفاء بالنذر — وما زاد فهو تطـوع :

فعن أبى هريرة ، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا أيها الناس ، ان الله كتب[7] عليكم الحج فحجوا » فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « لو قلت نعم ، لوجبت ، ولما استطعتم » ثم قال : « ذرونى ما تركتكم ، فانما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم ، واختلافهم

---

(١) أى فرض . . والآية من سورة البقرة : ١٨٣

(٢) أى تقيـد .

(٣) أى حرم الخير كله .

(٤) وهو قصد مكة ، من أجل أداء مناسك الحج ، ومن أنكر وجوبه كفر وارتد عن الاسلام .

(٥) آل عمران : ٩٧

(٦) البقرة : ١٩٦

(٧) أى فرض عليكم .

على أنبيائهم ، فاذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شىء فدعوه » رواه البخارى ومسلم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا أيها الناس كتب عليكم الحج » فقام الأقرع ابن حابس ، فقال : أفى كل عام يا رسول الله ؟ فقال : « لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ، ولم تستطيعوا ، الحج مرة ، فمن زاد فهو تطوع » رواه أحمد ، وأبو داوود ، والنسائى ، والحاكم وصححه .

وأما عن العمرة : وهى الزيارة للكعبة والطواف حولها ، والسعى بين الصفا والمروة ، والحلق ، أو التقصير :

فهى سنة : عند الأحناف ، ومالك لحديث جابر رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، سئل عن العمرة أواجبة هى ؟ قال : « لا .. وأن تعتمروا هو أفضل » رواه أحمد ، والترمذى ، وقال حديث حسن صحيح .

وهى فرض : عند الشافعية ، وأحمد لقول الله تبارك وتعالى : **« وأتموا الحج والعمرة لله »**[1] فقد عطفت على الحج ، وهو فرض ، فهى فرض كذلك ، والأول أرجح .

وقد ذهب جمهور العلماء ، الى أن وقت العمرة جميع أيام السنة ، فيجوز أداؤها فى أى يوم من أيامها ، بعكس الحج ، لأن : **« الحج أشهر معلومات »**[2] و« الحج عرفة »[3] .

* * *

والجهاد فى سبيل الله

فرض كفاية : اذا قام به البعض ، واندفع به العدو ، وحصل به الغناء ، سقط عن الباقين .

قال فى فقه السنة : ولا يكون الجهاد فرض عين الا فى الصور الآتية :

١ — أن يحضر المكلف صف القتال ، فان الجهاد يتعين فى هذه الحال ، يقول الله سبحانه : **« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا ... »**[4] .

---

(١) البقرة : ١٩٦ (٢) البقرة : ١٩٧
(٣) كما جاء فى نص حديث صحيح .
(٤) الأنفال : ٤٥

ويقول الله تبارك وتعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار** »[١] •

٢ — اذا حضر العدو المكان أو البلد الذى يقيم به المسلمون ، فانه يجب على أهل البلد جميعا أن يخرجوا لقتاله ، ولا يحل لأحد أن يتخلى عن القيام بواجبه نحو مقاتلته اذا كان لا يمكن دفعه الا بتكتلهم عامة ، ومناجزتهم اياه :

يقول الله سبحانه وتعالى : « **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار** »[٢] •

٣ — اذا استنفر الحاكم أحدا من المكلفين ، فانه لا يسعه أن يتخلى عن الاستجابة اليه :

لما رواه ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، واذا استنفرتم فانفروا » رواه البخارى •

أى : اذا طلب منكم الخروج الى الحرب فاخرجوا •

ويقول الله سبحانه : « **يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل** »[٣] •

ويجب الجهاد : على المسلم ، الذكر ، العاقل ، البالغ ، الصحيح ، الذى يجد من المال ما يكفيه ويكفى أهله حتى يفرغ من الجهاد •

* * *

والفرائض[٤]

وهى جمع فريضة ، والفريضة — هنا — مأخوذة من الفرض بمعنى التقدير ، يقول الله سبحانه : « **فنصف ما فرضتم** »[٥] أى قدرتم •

والفرض فى الشرع هو النصيب المقدر للوارث ويسمى العلم بها علم الميراث وعلم الفرائض ، الذى أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بأن نتعلمه :

فعن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله

---

(١) الأنفال : ١٥
(٢) التوبة : ١٢٣
(٣) التوبة : ٣٨
(٤) أى المواريث .
(٥) البقرة : ٢٣٧

عليه وسلم : « تعلموا القرآن وعلموه الناس ، وتعلموا الفـرائض وعلموها فانى امرىء مقبوض والعلم مرفوع ويوشك أن يختلف اثنان فى الفريضة والمسألة فلا يجدان أحدا يخبرهما » ذكره أحمد .

وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « تعلموا الفرائض وعلموها فانها نصف العلم وهو ينسى ، وهو أول شىء ينزع من أمتى » رواه ابن ماجة والدارقطنى .

وقد كان العرب فى الجاهلية قبل الاسلام يورثون الرجال دون النساء ، والكبار دون الصغار ، وكان هناك توارث بالحلف ، فأبطل الله ذلك كله وأنزل :

« يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ، فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، وان كانت واحدة فلها النصف ، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد ، فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ، فان كان له اخوة فلأمه السدس ، من بعـد وصية يوصى بها أو دين ، آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا ، فريضة من الله ، ان الله كان عليما حكيما »[1] .

وسبب نزول هذه الآية ما جاء عن جابر ، قال : جاءت امرأة سعد بن الربيع الى رسول الله صلى الله عليه وسـلم بابنتيها من سعد ، فقالت : يا رسول الله .. هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك فى أحد شهيدا ، وان عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ، ولا ينكحان الا بمال . فقال : يقضى الله فى ذلك . فنزلت آية المواريث . فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمهما ، فقال : أعط ابنتى سعد الثلثين ، وأمهما الثمن ، وما بقى فهو لك » رواه البخارى ومسـلم وأبو داوود والترمذى .

والمستحقون للتركة يرتبون على النحو التالى فى المذهب الحنفى[2] :

١ ــ أصحاب الفروض .
٢ ــ العصبة النسبية .
٣ ــ العصبة السببية .
٤ ــ الرد على ذوى الفروض .
٥ ــ ذوو الأرحام .

---

(١) النساء : ١١ (٢) كما يقول فى فقه السنة .

٦ — مولى الموالاة .
٧ — المقر له بالنسب على الغير .
٨ — الموصى له بأكثر من الثلث .
٩ — بيت المـال .

ثم يقول في فقه السنة : أما ترتيب المستحق للتركة فى قانون المواريث المعمول به فى مصر ، فعلى النحو التالى :

١ — أصحاب الفروض .
٢ — العصبة النسبية .
٣ — الرد على ذوى الفروض .
٤ — ذوو الأرحام .
٥ — الرد على أحد الزوجين .
٦ — العصبة السببية .
٧ — المقر له بالنسب على الغير .
٨ — الموصى له بجميع المـال .
٩ — بيت المـال .

وتستطيع أن تقف على تفصيل كل هذا فى كتب الفقه المطولة ، كالدين الخالص ، وفقه السنة .

* * *

وهناك فرائض أخرى ، منها :

رد السـلام

لأن الله تعالى أمر به فقال : « **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ...** »(١) .

* * *

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

وقد أمر الله تعالى به كذلك ورغب فيه فقال : « **ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون** »(٢) .

* * *

---

(١) النساء : ٨٦

(٢) آل عمران : ١٠٤

والبر بالوالدين

لأن الله تعالى أمر به ، فقال : « **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا** »[١] .

وقال تعالى : « **وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ...** »[٢] .

الى غير ذلك من الفرائض أو الواجبات التى أمرك الله تعالى بأدائها فى قرآنه الكريم ، وعلى لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، الذى يأمرنا جميعا هنا فى تلك الوصية أو فى هذا الحديث بألا نضيعها ، فيقول : « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها » أى : لا تتركوها ، ولا تتهاونوا فى أدائها ، بل قوموا بها كما فرضت عليكم ، ولا تؤخروها عن أوقاتها :

ففى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى : « **فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون** »[٣] وهم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها .

وقد صح أن النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة الاسراء والمعراج : مر على قوم ترضخ رؤوسهم وتكسر بالصخر ، وكلما رضخت عادت كما كانت ، فقال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة .

وروى الطبرانى فى الأوسط : عن أنس بن مالك رضى الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى الصلوات لوقتها وأسبغ لها وضوءها ، وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها خرجت وهى بيضاء مسفرة[٤] ، تقول : حفظك الله كما حفظتنى ، ومن صلاها لغير وقتها ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها ، خرجت وهى سوداء مظلمة ، تقول : ضيعك الله كما ضيعتنى ، حتى اذا كنت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق[٥] ثم ضرب بها وجهه » .

وهكذا ، قس على ذلك بقية الفرائض التى لا تؤدى على أساس سليم ، ــ وبدون اتقان أو خشوع ــ أو التى لا تؤدى نهائيا :

---

(١) النساء : ٣٦
(٢) الاسراء : ٢٣
(٣) الماعون : ٤ ، ٥
(٤) من أسفر الصبح : أى أضاء .
(٥) أى البالى .

قال الحافظ المنذرى[١] : قد ذهب جماعة من الصحابة ومن بعدهم الى تكفير من ترك الصلاة متعمدا حتى يخرج جميع وقتهـا ، منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ومعـاذ ابن جبل وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء ــ رضى الله عنهم ــ ومن غير الصحابة : أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعى والحكم بن عتيبة وأيوب السختيانى وأبو داوود الطيالسى وأبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب وغيرهم رحمهم الله تعالى أ • ه •

وذهب غيرهم[٢] الى فسق تارك الصلاة عمدا من غير جحود لفرضيتها :

ففريق أوجب تعزيره وحبسه الى أن يصلى حتى لا يكون قدوة سـيئة •

وأئمة المذاهب على وجوب قتله :

فمنهم ، من أوجب قتـله كفرا كأحمد واسحاق وابن المبارك •

ومنهم ، من أوجبه حدا ، وهو مذهب مالك والشافعى وأبى حنيفة وأصحابه أ • ه •

ولعـل فى ذلك عبرة لمن يتهاونون فى الصلاة ويسهون عن ذلك الركن الخطير •

وكذلك بالنسبة للزكاة ، فقد قال الله تعالى مشيرا الى عقاب الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله : **« والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم • يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون »**[٣] •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا[٤] أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيـامة ثم يأخذ بلهزمتيه ــ يعـنى شدقيه ــ ثم يقول : أنا مالك ، أنا كنزك » ثم تلا ــ أى الرسول صلى الله عليه وسلم ــ هذه الآية : **« ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم**

---

(١) كما فى الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى •

(٢) من كتاب « بداية المجتهد » • (٣) التوبة : ٣٤ ، ٣٥

(٤) الشجاع : الحية الذكر ، وقيل مطلقا ، والزبيبتـان نكتتـان سوداوان فوق عين الحية •

الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة »[١] الحديث رواه البخاري ومسلم .

وعن صيام رمضان ، يقول تبارك وتعالى فى الحديث القدسى مرغبا فيه[٢] : كل عمل إبن آدم له الا الصوم ، فانه لى وأنا أجزى به » من حديث رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل .

ويقول النبى صلى الله عليه وسلم محذرا ومرهبا : « من أفطر يوما فى رمضان فى غير رخصة رخصها الله له[٣] لم يقض عنه صيام الدهر كله وان صامه » رواه أبو داوود ، وابن ماجه ، والترمذى .

وعن الحج ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « من لم تحبسه حاجة ظاهرة ، أو مرض حابس ، أو سلطان جائر ، ولم يحج : فليمت إن شاء يهوديا ، وان شاء نصرانيا » رواه البيهقى عن أبى امامة .

وعن الحج ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد فى سبيل الله ، ورد كذلك عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « الاسلام ثمانية أسهم : الاسلام سهم[٤] ، والصلاة سهم ، والزكاة سهم ، وحج البيت سهم ، والأمر بالمعروف سهم ، والنهى عن المنكر سهم ، والجهاد فى سبيل الله سهم : وقد خاب من لا سهم له » رواه البزار .

وعن عقوق الوالدين ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم ، محذرا : « ثلاث لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف » رواه الطبرانى فى الكبير ، عن ثوبان رضى الله عنه .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ولا تضيع فرائض الله ، التى أهمها كما عرفت الصلاة :

فقد ورد : عن عبد الله بن قرط رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فان صلحت صلح سائر عمله ، وان فسدت فسد سائر عمله » رواه الطبرانى فى الأوسط .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى

---

(١) آل عمران : ١٨٠

(٢) وفى جميع أنواع الصيام .

(٣) كمرض أو سفر .

(٤) اى نصيب .

الله عليه وسلم « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » رواه أحمد ومسلم .

وحتى تكون حريصا على أداء فريضة الصلاة — بالذات — فى وقتها : فاننى أوصيك بالاكثار من النوافل التى ستكون كذلك جبرا لأى تقصير حدث وأنت فى الصلاة :

فقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن ربه عز وجل ، قال : « من عادى لى وليا ، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة الصلاة : يقول ربنا لملائكته — وهو أعلم — : انظروا فى صلاة عبدى ، أتمها ، أم نقصها ؟ فان كانت تامة كتبت له تامة ، وان كان انتقص منها شيئا ، قال : انظروا هل لعبدى من تطوع ؟ فان كان له تطوع ، قال : أتموا لعبدى فريضته من تطوعه ، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك » رواه أبو داوود .

ومعنى : ثم تؤخذ الأعمال على ذلك ، أى : وكذلك ما نقصه من صوم رمضان مثلا : يجبر بصيام يوم عاشوراء ، أو صيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وهكذا بالنسبة لبقية الفرائض ونوافلها .

مع ملاحظة : أن التطوع — شرعا — هو ما يقوم به المسلم من عمل صالح ، يتقرب به الى الله تبارك وتعالى ، زيادة على ما افترض عليه .

وأن الصلاة هى أعظم ما يتقرب به العبد الى ربه عز وجل .

* * *

وأما عن :

الحدود

التى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن تعديها ، فى قوله : « وحد حدودا فلا تعتدوها » :

فالمراد بها شرعا : العقوبة المقدرة من الشارع ، زجرا ومنعا عن المعصية .

والمعنى : أن الله تعالى جعل لكم حواجز وزواجر مقدرة تحجزكم وتمنعكم عما لا يرضاه :

روى النواس بن سمعان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعلى جنبتى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا ، وداع يدعو من جوف الصراط ، فاذا أراد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب ، قال : ويحك لا تفتحه ، فانك ان تفتحه تلجه ، والصراط : الاسلام • والسوران : حدود الله • والأبواب المفتحة : محارم الله • وذلك الداعى على الصراط : كتاب الله • والداعى من فوق : واعظ الله فى قلب كل مسلم » أخرجه الامام أحمد ، وهذا لفظه ، والنسائى فى تفسيره ، والترمذى وحسنه •

فقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم مثل الاسلام فى هذا الحديث بصراط مستقيم ، وهو الطريق السهل الواسع الموصل سالكه الى مطلوبه ، وهو مع هذا مستقيم لا عوج فيه ، فيقتضى ذلك قربه وسهولته ، وعلى جنبتى الصراط يمنة ويسرة سوران وهما حدود الله ، وكما أن السور يمنع من كان داخله من تعديه ومجاوزته ، فكذلك الاسلام يمنع من دخل فيه من الخروج عن حدوده ومجاوزتها ، وليس وراء ما حد الله من المأذون فيه الا ما نهى عنه :

ولهذا : مدح سبحانه وتعالى الحافظين لحدوده ، وذم من لا يعرف حد الحلال من الحرام فقال تعالى : « ••• **والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين** »(١) •

وقال تعالى : « **الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، والله عليم حكيم** »(٢) •

والمراد أن من لم يجاوز ما أذن له فيه الى ما نهى عنه فقد حفظ حدود الله ، ومن تعدى ذلك فقد تعدى حدود الله •

وقد تطلق الحدود ويراد بها نفس المحارم وحينئذ ، فيقال : لا تقربوا حدود الله كما قال تعالى : « **تلك حدود الله فلا تقربوها** »(٣) •

والمراد النهى عن ارتكاب ما نهى عنه فى الآية من محظورات

---

(١) التوبة : ١١٢ (٢) التوبة : ٩٧

(٣) البقرة : ١٨٧

الصيام والاعتكاف فى المساجد ، ومن هذا المعنى ، وهو تسمية المحارم حدودا ، قول النبى صلى الله عليه وسلم : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا – أى اقترعوا – على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم[1] نجوا ونجوا جميعا » رواه البخارى والترمذى .

فقد أراد بالقائم على حدود الله : المنكر للمحرمات والناهى عنها .

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « انى آخذ بحجزكم : اتقوا النار ، اتقوا الحدود ، قالها ثلاثا » أخرجه الطبرانى والبزار .

فقد أراد بالحدود محارم الله ومعاصيه .

ومنه قول الرجل الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم : « فانى أصبت حدا فأقمه على » .

وقد تسمى العقوبات المقدرة الرادعة عن المحارم المغلظة حدودا ، كما يقال : حد الزنا ، وحد السرقة ، وحد شرب الخمر . ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ، لأسامة : « أتشفع فى حد من حدود الله » ؟ يعنى فى القطع فى السرقة ، وهذا هو المعروف من أسماء الحدود فى اصطلاح الفقهاء .

واعلم أن الحدود متنوعة : منها حد الزنا ، وهو الرجم ان كان الفاعل محصنا[2] ، والجلد مائة ، والتغريب الى مسافة القصر عاما ان كان غير محصن .

ومنها : حد السرقة ، وهو قطع اليد اليمنى فى أول مرة ، والرجل اليسرى فى المرة الثانية ، واليد اليسرى فى المرة الثالثة ، والرجل اليمنى فى المرة الرابعة[3] . وقطع اليد يكون من الكوع ، والرجل من الكعب .

---

(١) من أخذت على يديه ، أى منعته عما يريد فعله كأنك أمسكت بيده .
(٢) أى متزوجا .
(٣) كما فى القرطبى فى تفسير الآية ٣٨ من سورة المائدة ، ثم يقول : « ثم ان سرق خامسة : يعزر ويحبس » .

ومنها : حد القذف بالزنا ، وهو ثمانون جلدة .

مونها : حد القذف بالزنا ، وهو ثمانون جلدة .

ومعنى : « **فلا تعتدوها** »[١] : أى لا تتركوها ، ولا تتجاوزوا القدر الذى قدره الشارع فيها ، فلا تزيدوا عليه ، ولا تنقصوا عنه .

وما ما روى من أن عمر رضى الله تعالى عنه جلد شارب الخمر ثمانين جلدة[٢] ، فهو اجتهاد منه لزيادة التنكيل[٣] حيث أكثر الناس من شرب الخمر فى زمنه .

* * *

وأما عن :

المحـــــارم

التى عناها الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى قوله : « وحـــرم أشياء فلا تنتهكوها » :

فالمراد بها المحرمات التى حرمها الله تعالى علينا ، والتى منها ، ما فى قول الله تبارك وتعالى :

« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احســانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده »[٤] .

وقول الله تبارك وتعالى : **« انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله .. »**[٥] .

وقول الله تعالى : **« ... وأحل الله البيع وحرم الربا ... »**[٦] .

وقول الله تعالى : **« قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منهـــا وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينـــزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون »**[٧] .

---

(١) البقرة : ٢٢٩

(٢) وفى القرطبى ، يقول : وقد أتى عمر بسكران فى رمضان فضربه مائة ، ثمانين حد الخمر وعشرين لهتك حرمة الشهر .

(٣) أى ليكون عبرة لغيره .

(٤) الأنعام : ١٥١ ، ١٥٢

(٥) البقرة : ١٧٣

(٦) البقرة : ٢٧٥

(٧) الأعراف : ٣٣

وقول الله تعالى : ((... **يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ...**))[1] .

الى غير ذلك من المنهيات التى نهى الله تعالى عنها فى كتابه ، وعلى لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم فى كثير من الأحاديث الشريفة التى منها :

ما أخرجه الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال : « أن تجعل لله ندا[2] وهو خلقك » قلت : ان ذلك لعظيم ، قلت : ثم أى ؟ قال : « أن تزانى حليلة جارك » .

وما رواه مالك والبخارى ومسلم ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت » .

وما رواه البخارى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بى[3] ثم غدر ، ورجل باع حرا ثم أكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجره » .

وما رواه أحمد ، عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأصحابه : « ما تقولون فى الزنا » ؟ قالوا : حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام الى يوم القيامة . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن يزنى الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزنى بامرأة جاره » قال : « فما تقولون فى السرقة » ؟ قالوا : حرام حرمها الله ورسوله فهى حرام ، قال : « لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره » .

وما رواه البخارى ومسلم ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا[4] ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، التقوى ههنا —

---

(١) الأعراف : ١٥٧ (٢) اى شريكا فى عبادتك له .

(٣) اى أعطى عهدا بى ، والغدر ترك الوفاء .

(٤) التحسس بالحاء والتجسس : البحث عن العورات .

ويشير الى صدره — بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله » واللفظ لمسلم .

وما رواه البخارى وغيره ، عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله حرم عليكم عقـوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنع وهات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المـال » .

وما رواه البخارى ومسلم ، عن أبى بكر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » ؟ ثلاثا . قلنا : بلى ، قال : « الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين » وكان متكئا فجلس فقال : « ألا وقول الزور وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت .

وما رواه البخارى ومسلم ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « من الكبائر شتم الرجل والديه » قالوا : يا رسول الله وهل يشـتم الرجل والديه ؟ قال : « نعم .. يسب أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » .



والذى نريد أن نقف عليه الآن ، هو :

ما هو الحـلال وما هو الحرام والمتشابه

ولكى نقف على التعريف بكل على حدة ، فاننى أرى أن نقف أولا على هذا الحديث الشريف الذى رواه البخارى ومسلم :

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الحلال بين ، وان الحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات ، لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ[1] لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وان لكل ملك حمى ، ألا وان حمى الله محارمه ، ألا وان فى الجسد مضغة ، اذا صلحت ، صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » .

---

(١) أى طلب البراءة من الخطأ والعار .

فهذا الحديث[١] : تتبنى عليه أحكام الاسلام كلها ، فقد قسم الرســول صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الأحــكام الى حلال بين ، بينته الشريعة فى نصوصها ، والى حــرام بين بينته الشريعة كذلك ، والى أمور أخرى اشتبه على كثير من الناس حكم الله فيها ، وهى من المتشابهات التى ينبغى على المسلم الورع اتقاؤها ، صــيانة لدينه وعرضه • وجعل النبى صلى الله عليه وسلم مدار صحة الأديان والأبدان على صلاح القلب ، وسلامته من الآفات •

قال النووى فى شرح مسلم : أجمع العلماء على عظم وقع هذا الحديث ، وكثرة فوائده ، وأنه أحد الأحاديث التى عليها مــــدار الاســـلام أ • هـ •

والحــلال ، عند جمهور الفقهاء : هو المباح الذى لم يرد دليل من الشرع يحرمه •

والحرام : هو المحظور الذى ورد دليل من الشرع يحرمه •

ثم يقول فى الجزء الأول من « الفقه الواضح » ، وتحت هذين التعريفين أربع حقائق :

الحقيقة الأولى :

أن الأصل فى الأشياء الاباحة[٢] • فكل شىء لم ينص الشـــارع على تحريمه ، فهو حلال ، لا نسأل عنه •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان ، فلا تبحثوا عنها » •

قال النبراوى فى شرح هذا الحديث : « هذا الحديث من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، الموجزة البليغة • بل قيل : ليس فى الأحاديث حديث أجمع لأصول الدين وفروعه منه ، لأنه قسم أحكام الله تعالى الى أربعة أقسام : فرائض ، ومحارم ، وحدود ، ومسكوت عنه ، وذلك يجمع أحكام الدين كلها » •

---

(١) كما يقول صاحب كتاب « الفقه الواضح » فضيلة الشيخ محمد بكر اسماعيل ــ اكرمه الله .

(٢) هذا مذهب اكثر العلماء ، ويرى بعضهم العكس .

الحقيقة الثانية :

أن الحلال ما أحله الله ورسوله ، لا ما أحله الانسان بعقله وهواه •
وأن الحرام ما حرمه الله ورسوله ، لا ما حرمه الانسان بعقله وهـــواه •

وعلى هذا : فلا يجوز لأحد كائنا من كان ، أن يقول فى دين الله ما لم يقله الله ورسوله ، وأن يفتى فى دينه بغير علم ، ولا هدى ، ولا كتاب منير ، فان القول على الله — بغير علم — افتراء عظيم ، وجرم كبير •

ولقد شدد الله النكير على كل من تسول له نفسه الأمارة بالسوء أن يتجرأ على الفتيـــا بغير علم ، طمعا فى دنيا يصيبها ، أو جاه يحصل عليه ، أو منصب يعتليه ، أو ليقال : انه عالم ، أو خوفا من أن يقال : انه جاهل •

فقال جل وعلا فى سورة الأعراف : « **قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون** »(١) •

وقال تعالى فى سورة يونس : « **قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم ، أم على الله تفترون • وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ، ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون** »(٢) •

وقال تعالى فى سورة النحل : « **ولا تقولوا لمـــا تصف ألسنتكم الكذب هـــذا حـــلال وهذا حـــرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون • متاع قليل ولهم عذاب أليم** »(٣) •

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كذب على متعمدا ، فليتبوأ مقعده من النار » رواه مسلم وغيره •

فاربأ بنفسك أيها المسلم أن تقول فى دين الله بغير علم ، مهما كان مشربك ، ومهما كان شأنك ومنصبك ، حتى ولو كنت من كبار العلماء : حتى لا تقع تحت هذا الوعيد ، ويحق عليـــك غضب الله ورسوله ، أعاذنا الله واياك منه •

---

(١) الأعراف : ٣٣   (٢) يونس : ٥٩ ، ٦٠
(٣) النحل : ١١٦ ، ١١٧

ولقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرجون من الافتاء فى دين الله أشد التحرج ، الى الحد الذى كان أحدهم اذا سأله سائل عن مسألة فى دين الله ، اهتز واضطرب ، وأحاله الى غيره ، فقال : اذهب الى فلان فانه أعلم منى •

وهكذا كان يصنع التابعون :

فقد روى أن كل فقيه من الفقهاء المشهورين ، كان يقول بعد تقرير حكم الله فى المسألة : هذا ما وصل اليه علمى ، فان وجدتم فى كتاب الله ، أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يخالف قولى ، فخذوا به ، واضربوا بقولى عرض الحائط •

وقيل : ان الامام مالكا سئل عن مائة مسألة ، فأجاب عن أربعة منها ، وقال فى الباقيات : الله أعلم ، فعوتب فى ذلك ، فقال : من قال الله أعلم ، فقد أفتى •

وهو بهذا يريد أن ينجو بنفسه من غضب الله وعذابه •

الحقيقة الثالثة :

أن الله تبارك وتعالى ما أحل لعباده الا الطيبات ، وما حرم عليهم الا الخبائث •

قال تعـالى فى سورة البقرة : « **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون** »(١) •

وقال تعالى فى سورة المـائدة : « **يسألونك ماذا أحل لهم ، قل أحل لكم الطيبات ...** »(٢) •

وقال تعالى فى سورة الأعراف : « **الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** »(٣) •

الحقيقة الرابعة :

أنه لا يجوز للعبد أن يحرم على نفسه شيئا أباحه الله له من غير ضرورة ، فان ذلك يعد اعتداء على دينه ، وتعديا لحدوده •

قال جل وعلا فى سورة المـائدة : « **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين • وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون** »(٤) •

---

(١) البقرة : ١٧٢ — (٢) المـائدة : ٤

(٣) الأعراف : ١٥٧ — (٤) المـائدة : ٨٧ ، ٨٨

وأما المتشـــابه :

فهو : ما اختلف الناس فى حله لسبب من الأسباب المنصوص عليها فى كتب الفقـــه المطولة ، كتعارض الأدلة ، وذلك كأن يكون فى المسألة دليل يفيد الحل ، ودليل يفيد الحرمة ، والدليلان متساويان فى الصحة . أى : ليس دليل أرجح من دليل ، فتظل المسألة وسطا بين الحل والتحريم .

فحينئذ يكون ترك هذا المتشابه مطلوبا شرعا ، وقاية للدين ، وحماية للعرض ، كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فى الحديث : « فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » .



وأما المسكوت عنه :

وهو الذى عناه الرسول صلى الله عليه وسلم ، بقوله : « وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان ، فلا تبحثوا عنها » .

فالمراد به : ما لم يذكر حكمه بتحليل ولا ايجاب ولا تحريم ، فيكون معفوا عنه لا حرج على فاعله ..

وفى الحديث يقول النبى صلى الله عليه وسلم ، عندما سئل عن الحج فى كل عام : « ذرونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه ، واذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » .

ومثله قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : « ان أعظم المسلمين فى المسلمين جرما من سأل عن شىء لم يحرم فحرم من أجل مسألته » .

وقد دل القرآن على مثل هذا أيضا فى مواضع كقوله تعالى : **« قل لا أجد فى ما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا »**[1] .

فهذا يدل على أن ما لم يوجد تحريمه فليس بمحرم ، وكذلك قوله تعـــالى : **« وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكل ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه »**[2] .

فعنفهم على ترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه معللا بأنه قد بين

---

(١) الأنعام : ١٤٥ (٢) الأنعام : ١١٩

لهم الحرام وليس هذا منه؛ فدل على أن الأشياء على الاباحة والا لما لحق اللوم بمن امتنع من الأكل مما لم ينص له على حكمه بمجرد كونه لم ينص على تحريمه •

وقوله صلى الله عليه وسلم : « وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان » : يعنى أنه — سبحانه — انما سكت عن ذكرها رحمة بعباده ورفقا حيث لم يحرمها عليهم حتى يعاقبهم على فعلها ، ولم يوجبها عليهم حتى يعاقبهم على تركها بل جعلها عفوا ، فان فعلوها فلا حرج عليهم ، وان تركوها فكذلك • وفى حديث أبى الدرداء ، ثم تلا : **« وما كان ربك نسيا »**[1] •

وقوله : « فلا تبحثوا عنها » : يحتمل اختصاص هذا النهى بزمن النبى صلى الله عليه وسلم لأن كثرة البحث والسؤال عما لم يذكر قد يكون سببا لنزول التشديد فيه بايجاب أو تحريم •

وقد يدخل فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « هلك المتنطعون ، قالها ثلاثا » أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود مرفوعا • والمتنطع هو المتعمق البحاث عما لا يعنيه •

ومما يدخل فى النهى عن التعمق والبحث عنه : أمور الغيب الخبرية التى أمرنا بالايمان بها ولم يبين كيفيتها ، وبعضها قد لا يكون له شاهد فى هذا العالم المحسوس ، فالبحث عن كيفية ذلك هو مما لا يعنى وهو مما ينهى عنه ، وقد يوجب الحيرة والشك ويرتقى الى التكذيب •

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يزال الناس يسألون حتى يقال : هذا خلق الله ، فمن خلق الله ، فمن وجد من ذلك شيئا فليقل : آمنت بالله » •

وخرجه البخارى أيضا ، ولفظه : « يأتى الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول : من خلق ربك ، فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته » •

قال اسحاق بن راهويه : لا يجوز التفكر فى الخالق ، ويجوز للعباد أن يتفكروا فى المخلوقين بما سمعوا فيهم ولا يزيدون على ذلك لأنهم ان فعلوا تاهوا • ثم يقول : وقال الله عز وجل : **« وان من شىء الا يسبح بحمده ... »**[2] فلا يجوز أن يقال : كيف تسبيح

---

(١) مريم : ٦٤. (٢) الاسراء : ٤٤.

القصاع[1] والأخونة والخبز المخبوز والثياب المنسوجة ؟ وكذا هـذا قد صح العلم فيهم أنهم يسبحون ، فذلك الى الله أن يجعل تسبيحهم كيف شاء وكما شاء ، وليس للناس أن يخوضوا فى ذلك الا بما علموا ولا يتكلموا فى هذا وشبهه الا بما أخبر الله ولا يزيدوا على ذلك .

* * *

ولهـذا فقد رأيت فى ختام هـذا الشرح الايجابى لتلك الوصية العظيمة أن أزودك بتلك القصيدة الروحية ، التى سترى من خلالها كيف تكون التساؤلات المفيدة التى يقول فيها كاتبها الموحد[2] :

كل العجائب صنعة العقل الذى ... هو صنعة الله الذى سـواكا
والعقل ليس بمدرك شـيئا اذا ... ما الله لـم يكتب لـه الادراكا
لله فى الآفـاق آيـات لعـ ... ـل أقـلها هـو ما اليه هـداكا
ولعـل ما فى النفس من آيـاته ... عجب عجـاب لو ترى عينـاكا
والكون مشـحون بأسرار اذا ... حاولت تـفسيرا لهـا أعيـاكا
قل للطبيب تخطفتـه يد الردى ... يا شافى الأمراض من أرداكا ؟
قل للمريض نجـا وعوفى بعدما ... عجزت فنون الطب من عافاكا ؟
قل للصحيح يموت لا من عـلة ... من بالمنايا ، يا صحيح دهاكا ؟
قل للبصير وكان يحذر حفـرة ... فهو بها من ذا الذى أهواكا ؟
بل سائل الأعمى خطا بين الزحا ... م بلا اصطدام من يقود خطاكا ؟
قل للجنـين يعيش معزولا بلا ... راع ومرعى : ما الذى يرعاكا ؟
قل للوليـد بكى وأجهش بالبكا ... ء ، لدى الولادة : ما الذى أبكاكا ؟
واذا ترى الثعبان ينفث سـمه ... فاسأله : من ذا بالسموم حشاكا ؟
واسـأله : كيف تعيـش أو ... تحيـا ، وهـذا السم يملأ فاكا ؟
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت ... شهدا ، وقل للشهد : من حلاكا ؟
بل سائل اللبن المصفى كان بـ ... ـين دم وفرث ، ما الذى صفاكا ؟
واذا رأيت الحى يخرج من حنـا ... يا ، ميت فاسأله : من أحيـاكا ؟
قل للهواء تحسه الأيدى ويخـ ... ـفى عن عيون الناس : من أخفاكا ؟
قل للنبـات يجـف بعد تعهـد ... ورعاية : من بالجفـاف رماكا ؟
واذا رأيت النبت فى الصحراء ير ... بو وحده فاسأله : من أرباكا ؟

* * *

---

(١) جمع قصعة .

(٢) وهو الشيخ ابراهيم بديوى ، من الوعى الاسلامى ــ العدد ٥٤ ــ سنة ١٩٦٩ م .

واذا رأيت البـــدر يسرى ناشرا أنواره فاســـأله : من أسراكا ؟
واسأل شعاع الشمس يدنو وهى أبـــ
ــــعد كل شىء ما الـــذى أدنـــاكا ؟
قل للمرير من الثمار من الذى بالمر من دون الثمـــار غـــذاكا ؟
واذا رأيت النخل مشقوق النوى فاسأله : من يا نخل شق نواكا ؟
واذا رأيت النـــار شب لهيبهـــا فاسأل لهيب النار : من أوراكا ؟
واذا ترى الجبل الأشم مناطحا قمم السحاب فسله : من أرساكا ؟
واذا ترى صخرا تفجـــر بالميـــا ه ، فسله : من بالماء شق صفاكا ؟
واذا رأيت النهر بالعـــذب الزلا ل جرى فسله : من الذى أجراكا ؟
واذا رأيت البحر بالمـــلح الأجا ج طغى، فسله : من الذى أطغاكا ؟
واذا رأيت الليل يغشى داجيـــا فاسأله : من ياليل حاك دجاكا ؟
واذا رأيت الصبح يسفر ضاحيا فاسأله من يا صبح صاغ ضحاكا ؟



الجزء الثالث عشر

الوصية التاسعة والثلاثون

عن محمود بن لبيد قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال :

« يا أيها النـــاس .. اياكم وشرك السرائر[1] . قالوا : يارسول الله .. وما شرك السرائر ؟ قال : يقـــوم الرجل فيصلى فيزين صلاته جاهدا[2] لمـــا يرى من نظر الناس اليه ، فذلك شرك السرائر » .

(رواه ابن خزيمة فى صحيحه)

* * *

فكن أخا الاســـلام :

منفذا لهذا التحذير المحمدى الذى يعتبر ــ لو أمعنت النظر فيه ــ أهم تحذير يجب عليك أن تحذره ، لأنه يتعلق بشرك السرائر الذى ــ للأسف الشديد ــ وقع فيه كثير منا بقصد أو بغير قصد ، وذلك بسبب الغرائز النفسية الأمارة بالسوء ، أو بسبب التزيين الشيطانى الذى أساسه أو سببه حب الشهوات ، والميل الى النزوات ، وحب الظهور ..

وحتى يتضح لنا هذا ، فاننى أحب أولا أن أقف معك على :

أنواع الشرك

وهو ثلاثة أنواع[3] : شرك أكبر ، وشرك أصغر ، وشرك خفى . والدليل على الشرك الأكبر ، قوله تعالى :

« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا »[4] .

---

(١) السرائر : جمع سريرة وهى السر الذى يكتم .

(٢) أى مجتهدا فى ذلك ومهتما به .

(٣) كما جاء فى كتب التوحيد .   (٤) النساء : ١١٦

وقوله تعالى :

« وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنـــة ومأواه النار ، وما للظالمين من أنصـــار »(١) ..

والشرك الأكبر أربعة أنواع :

النوع الأول : شرك الدعوة ، والدليل قوله تعالى :

« فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون »(٢) ..

النوع الثانى : شرك النية ، والدليل قوله تعالى :

« من كان يريد الحيـــاة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيهـــا وهم فيها لا يبخسون ٠ أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النـــار ، وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون »(٣) ..

النوع الثالث : شرك الطاعة ، والدليل قوله تعالى :

« اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمــروا الا ليعبــدوا الها واحـــدا ، لا الـــه الا هو ، ســبحانه عما يشركون »(٤) ..

وتفسيرها الذى لا اشكال فيه : طاعة العلماء والعباد فى المعصية ، لا دعاؤهم اياهم ، كما فسرها النبى صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم لمـــا سأله ، فقال : لسنا نعبدهم ، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم فى المعصية(٥) .

النوع الرابع : شرك المحبة ، والدليل قوله تعالى :

« ومن النـــاس من يتخـــذ من دون الله أنـــدادا يحبونهم كحب الله ... »(٦) ..

وأما النوع الثانى من أنواع الشرك الثلاثة ، فهو الشرك الأصغر ، أو هو الرياء ، ودليله قوله تعالى :

« فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحـــدا »(٧) .

---

(١) المائدة : ٧٢
(٢) العنكبوت : ٦٥
(٣) هود : ١٥ ، ١٦
(٤) التوبة : ٣١
(٥) كما ورد فى حديث رواه الترمذى .
(٦) البقرة : ١٦٥
(٧) الكهف : ١١٠

والنوع الثالث : هو الشرك الخفى ، والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم :

« الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء » .

وكفارته قوله صلى الله عليه وسلم :

« اللهم انى أعوذ بك أن أشرك بك شيئا وأنا أعلم ، وأستغفرك من الذنب الذى لا أعلم »[١] .

* * *

والذى يعنينا — بعد ذلك — من تلك الأنواع الثلاثة — الأكبر ، والأصغر ، والخفى — هو النوع الثانى ، الذى وضحه النبى صلى الله عليه وسلم ، فى قوله : « يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته جاهدا لما يرى من نظر الناس اليه » . وقد يكون هو النوع الثالث ، لأنه الخفى الذى وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه شرك السرائر .

وحسب الأخ المسلم اذا أراد أن يكون مجتنبا لهذا الشرك الخفى ، أن يعلم أنه محبط للأعمال ، والى هذا قد يشير الله سبحانه وتعالى فى قوله : « **وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا** »[٢] .

أى كالغبار المفرق ، أو مثله فى عدم النفع به .

قال ابن كثير : وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعى ، اما الاخلاص فيها ، واما المتابعة لشرع الله ، فكل عمل لا يكون خالصا وعلى الشريعة المرضية ، فهو باطل .

وقد أشار الله سبحانه وتعالى أيضا الى هذا محذرا من الرياء ونتائجه وعواقبه الوخيمة ، فقال :

« **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى**[٣] **كالذى**

---

(١) رواه الحاكم وابو نعيم عن عائشة .

(٢) هو شعاع الشمس اذا دخل فى الكوة .. لو ذهبت تقبض عليه لم تستطع . والآية فى سورة الفرقان : ٢٣

(٣) المن أن يعتدى على من أحسن اليه باحسانه ويرى أنه أوجب عليه حقا ، والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أسدى اليه ، ورئاء الناس ابتغاء سمعتهم ، وصفوان : حجر أملس ، والوابل : المطر الشديد ، والصلد : الصلب الأملس ، وقوله : « **لا يقدرون على شىء مما كسبوا** » أى لا يجدون له ثوابا فى الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شىء من التراب لاذهاب المطر اياه .

ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرون على شيء مما كسبوا ، والله لا يهدي القوم الكافرين »[١] .

« ان المنافقين يخادعون الله[٢] وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا . مذبذبين[٣] بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا »[٤] .

« والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا »[٥] .

« فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون . ويمنعون الماعون »[٦] .

* * *

وقد ورد فى السنة كثير من الأحاديث الشريفة المحذرة من الرياء فى الأعمال ، والمرغبة فى نفس الوقت فى الاخلاص الذى هو ضد الرياء ، فاليك بعضها :

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رجل : يا رسول الله .. انى أقف الموقف أريد وجه الله وأريد أن يرى موطنى[٧] ، فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل : **« .. فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »[٨] .**

رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .

وعن جندب بن عبد الله ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

---

(١) البقرة : ٢٦٤
(٢) المراد : عاملوه معاملة المخادع .
(٣) الذبذبة : تردد الشيء المعلق فى الهواء .
(٤) النساء : ١٤٢ ، ١٤٣ (٥) النساء : ٣٨
(٦) الماعون : أى المعاونة وقيل غير ذلك — والآية من سورة الماعون : ٤ — ٧
(٧) الموطن : المشهد من مشاهد الحرب .
(٨) الكهف : ١١٠

« من سمع سمع الله به ومن يراء يراء الله به »[١] رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى سعيد بن أبى فضالة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك فى عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عنده فان الله أغنى الشركاء عن الشرك » رواه الترمذى فى التفسير من جامعه وابن ماجه .

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « قال الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء وهو للذى أشرك »[٢] رواه ابن ماجه ورواته ثقات .

وعن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك[٣] حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال فلان جرىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمت وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك[٤] . قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار » رواه مسلم والنسائى والترمذى وحسنه وابن ماجه .

* * *

وقد ضرب العلماء العاملون على ذلك مثلا ، فقالوا : مثل الذى يعمل للرياء والسمعة كمثل رجل خرج الى السوق وملأ كيسه[٤] بقطع

---

(١) سمع وراءى به : اى فضحه .

(٢) اى ان عمله للذى اشركه مع الله ، لأن الله برىء منه .

(٣) اى فى سبيلك . (٤) اى الذى يضع فيه نقوده .

من الحصى أو ما شابه ذلك . فأخذ الناس يقولون : ما أملأ كيس هذا الرجل[١] .. ولكنه اذا أراد أن يشترى شيئا لا يعطى به شيء .. وكذلك الذى يعمل للرياء والسمعة ، لا منفعة له سوى مقالة الناس ولا ثواب له فى الآخرة .

وقد قرأت كذلك أن رجلا من العباد[٢] علم أن قوما يعبدون شجرة .. فأخذ فأسا وذهب ليقطعها ، فقابله ابليس فى الطريق اليها ، فسأله : الى أين أنت ذاهب ؟ قال : انى ذاهب الى الشجرة التى علمت أنها تعبد من دون الله لأقطعها ، فقال له ابليس : لن تقطعها .. فقال العابد : لابد من قطعها .. ثم قاتل العابد ابليس فصرعه .. فلما رأى ابليس أن العابد قد صرعه بقوة ايمانه واخلاصه ، احتال عليه فقال له : انك رجل فقير ومحتاج الى المال ، فارجع الى محرابك ودع أمر الشجرة لأحد غيرك ، ولو شاء الله تعالى قطعها لأرسل رسولا لقطعها ، ثم قال له : ولك منى مقابل هذا دينارين كل ليلة .. فاقتنع العابد بهذا ثم عاد .. ففى الليلة الأولى وجد الدينارين ، وفى الليلة الثانية وجد الدينارين ، وفى الليلة الثالثة لم يجد شيئا .. فخرج غاضبا ليقطع الشجرة .. فقابله ابليس ، فقال له : الى أين ؟ قال : انى ذاهب لأقطع الشجرة .. فقال له : لن تقطعها .. فيرد عليه العابد قائلا : لابد من قطعها .. ثم قاتله فصرعه ابليس .. فتعجب العابد ، ثم قال لابليس : لماذا غلبتك أولا ثم غلبتنى ثانيا ؟ فيقول له ابليس : لأن غضبك أولا كان لله ، وغضبك ثانيا كان للدينارين .

* * *

ومن هذا يتبين لنا أهمية الاخلاص ، الذى ورد فى وصفه أنه : سر بين العبد وربه ، وأنه : ما لا يكتبه الملكان ، ولا يفسده الشيطان ، ولا يطلع عليه الانسان .

ولهذا ، فقد قال الله تعالى :

« الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين ، وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما »[٣] .

---

(١) أى ما أكثر نقوده . (٢) وكان من بنى اسرائيل .
(٣) النساء : ١٤٦

« انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين »[١] .
« وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء[٢] ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة »[٣] .

وحتى تكون مخلصا فى نيتك ، وبعيدا عن الرياء والسمعة ، اليك كذلك هذه الأحاديث الشريفة التى أرجو أن تكون دائما نصب عينيك حتى تنتفع بها ..

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله . ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم » رواه مسلم .

« لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة[٤] لخرج عمله كائنا ما كان » رواه البخارى ومسلم .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية[٥] ويقاتل رياءا أى ذلك يكون فى سبيل الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » أخرجه البخارى ومسلم .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا أنزل الله بقوم عذابا أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم » رواه البخارى ومسلم .

---

(١) الزمر : ٢

(٢) جمع حنيف وهو المائل الى الاسلام الثابت عليه والحنيف عند العرب من كان على دين ابراهيم عليه السلام .

(٣) القيمة : الملة المستقيمة ، والدين هنا العبادة بجميع أنواعها — والآية من سورة البينة : ٥

(٤) الكوة بالفتح والضم لغة فيها : اى نقب البيت .

(٥) من حمى من الشىء كرضى حمية أنف .

وعن سعد بن أبى وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « انك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا أجرت عليها حتى ما تجعل فى فم امرأتك » رواه البخارى .

* * *

هذا .. واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أشار فى الوصية الى الرياء الذى قد يحدث غالبا فى الصلاة ، واذا كان قد حذر منه بصفة خاصة ، فان السبب فى هذا هو أن الصلاة ــ كما علمت قبل ذلك ــ هى عماد الدين ، وهى أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة :

فعن عبد الله بن قرط رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فان صلحت صلح سائر عمله ، وان فسدت فسد سائر عمله » رواه الطبرانى فى الأوسط باسناد لا بأس به .

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام واحذر أن تكون مرائيا بصلاتك أو صلاتك : حتى لا تفسد صلاتك فتفسد جميع أعمالك يوم القيامة .. وتكون مع الهالكين .

وحسبك اذا أردت أن تكون مخلصا فى صلاتك : أن تصلى كهذا الرجل الصالح ــ وهو حاتم الأصم رضى الله عنه ــ فلقد سأله عصام ابن يوسف رحمه الله يوم أن مر به وهو يتكلم فى مجلسه فقال له : يا حاتم تحسن تصلى ؟ قال : نعم . قال : كيف تصلى ؟ فقال حاتم : أقوم بالأمر ، وأمشى بالخشية ، وأدخل بالنية ، وأكبر بالعظمة ، وأقرأ بالترتيل والتفكر ، وأركع بالخشوع ، وأسجد بالتواضع ، وأجلس للتشهد بالتمام ، وأسلم بالنية ، وأختمها بالاخلاص لله عز وجل ، وأرجع على نفسى بالخوف ، أخاف أن لا يقبل منى ، وأحفظه بالجهد الى الموت .

قال : تكلم فأنت تحسن تصلى . انتهى كلام ابن رجب باختصار .

* * *

واحذر أن تترك العمل الصالح مخافة الرياء ، فقد قال العلماء : ترك العمل مخافة الرياء رياء[1] .

---

(١) أعنى مخافة أن يقال عنك أنك فعلت كذا وكذا من الأعمال الصالحة .

أى : ما دمت صادقا فى نيتك •• فلا خوف عليك وعلى عملك من كلام الناس ••

وليكن شعارك دائما وأبدا هو :

« •• ان صـــلاتى ونســكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين • لا شريك له •• »(١) •

جعلنى الله تعالى واياك من المخلصين وتقبل منا جميعا خالص الأعمال •• آمين •

* * *

---

(١) الانعام : ١٦٢ ، ١٦٣

الوصية الأربعون

عن أبى على ، رجل من بنى كاهل ، قال : خطبنا أبو موسى الأشعرى ، قال :

يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فانه أخفى من دبيب النمل . فقام اليه عبد الله بن حزن وقيس بن المضارب ، فقالا : والله لتخرجن مما قلت ، أو لتأتين عمر مأذونا لنا، أو غير مأذون . فقال : بل أخرج مما قلت :

خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : « يا أيها الناس .. اتقوا هذا الشرك فانه أخفى من دبيب النمل . فقال له من شاء الله أن يقول : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال : قولوا : اللهم انا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه » .

(رواه أحمد والطبرانى ، ورواته الى أبى على محتج بهم فى الصحيح . أبو على وثقه ابن حبان ، ولم أر أحدا جرحه ورواه أبو يعلى بنحوه من حديث حذيفة الا أنه قال فيه : يقول كل يوم ثلاث مرات) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

منتفعا ــ كذلك ــ بهذه الوصية العظيمة التى تشير ــ أيضا ــ الى خطورة الشرك الذى وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه أخفى من دبيب النمل .

والتى يوصينا فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بأن نستعيذ به ونستغفره ــ كل يوم ثلاث مرات ــ من الشرك ما نعلمه منه وما لا نعلم .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحذر من الشرك ثم يوصينا بعد ذلك بهذا الدعاء الذى نستطيع به ــ ان شاء الله ــ أن نتقى هذا الشرك الذى ــ كما عرفنا ــ هو أخفى من دبيب النمل :

فان هذا معناه أن النبى صلى الله عليه وسلم يحذرنا •• بل ويوصينا بأمر خطير لابد وأن يكون دائما وأبدا هو شاغلنا الشاغل •• لأنه يتعلق بصلب العقيدة الصحيحة التى هى الأساس فى جميع العبادات •• والتى بدونها لا تساوى تلك العبادة شيئا •

وحتى يتضح لنا هذا ، فقد رأيت أن أقف معك على المراد من قول الله تعالى :

« •• فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »(١) •

وقد ذكر القرطبى حول تفسير هذه الآية كلاما عظيما جاء فيه ما مضمونه :

« فمن كان يرجوا لقاء ربه » أى : يرجو رؤيته وثوابه ويخشى عقابه **« فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »** ، قال ابن عباس : نزلت فى جندب بن زهير العامرى ، قال : يا رسول الله •• انى أعمل العمل لله تعالى ، وأريد وجه الله تعالى ، الا أنه اذا اطلع عليه سرنى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب ولا يقبل ما شورك فيه » فنزلت الآية •

وقال طاوس ، قال رجل : يا رسول الله •• انى أحب الجهاد فى سبيل الله تعالى وأحب أن يرى مكانى •• فنزلت هذه الآية • وقال مجاهد : جاء رجل للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله •• انى أتصدق وأصل الرحم ولا أصنع ذلك الا لله تعالى ، فيذكر ذلك منى وأحمد عليه فيسرنى ذلك وأعجب به ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا ، فأنزل الله تعالى : **« فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »** •

ثم يقول القرطبى : والكل مراد ، والآية تعم ذلك كله وغيره من الأعمال ••

كما يقول : وقال الماوردى وقال جميع أهل التأويل : معنى قوله تعالى : **« ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »** أنه لا يرائى بعمله أحدا •

وروى الترمذى الحكيم رحمه الله تعالى فى « نوادر الأصول » قال : حدثنا أبى رحمه الله تعالى قال : حدثنا مكى بن ابراهيم قال :

---

(١) الكهف : ١١٠ •

حدثنا عبد الواحد بن زيد عن عبادة بن نسى قال : أتيت شداد بن أوس فى مصلاه وهو يبكى ، فقلت : ما الذى أبكاك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، اذ رأيت بوجهه أمرا ساءنى فقلت : بأبى أنت وأمى يا رسول الله .. ما الذى ارى بوجهك ؟ قال : « أمرا أتخوفه على أمتى من بعدى » قلت : ما هو يا رسول الله ؟ قال : « الشرك والشهوة الخفية » قلت : يا رسول الله .. وتشرك أمتك من بعدك ؟ قال : « يا شداد .. أما انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكنهم يراءون بأعمالهم » قلت : والرياء أشرك هو ؟ قال : « نعم » قلت : فما الشهوة الخفية ؟ قال : « يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوات الدنيا فيفطر » . قال عبد الواحد : فلقيت الحسن ، فقلت : يا أبا سعيد .. أخبرنى عن الرياء أشرك هو ؟ قال : نعم ، أما تقرأ : **« فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »** .

وروى اسماعيل بن اسحاق قال : حدثنا محمد بن أبى بكر قال : حدثنا المعتمر بن سليمان عن ليث عن شهر بن حوشب ، قال : كان عبادة بن الصامت وشداد بن أوس جالسين ، فقالا : انا نتخوف على هذه الأمة من الشرك والشهوة الخفية ، فأما الشهوة الخفية فمن قبل النساء . وقالا : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من صلى صلاة يرائى بها فقد أشرك ، ومن صام صياما يرائى به فقد أشرك » ثم تلا : **« فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »** .

وقال سهل بن عبد الله : وسئل الحسن عن الاخلاص والرياء فقال : من الاخلاص أن تحب أن تكتم حسناتك ولا تحب أن تكتم سيئاتك ، فان أظهر الله عليك حسناتك تقول : هذا من فضلك واحسانك ، وليس هذا من فعلى ولا من صنيعى ، وتذكر قوله تعالى :

« فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

« والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون »(١)

---

(١) المؤمنون : ٦٠

أى : يؤتون الاخلاص ، وهم يخافون ألا يقبل منهم ، وأما الرياء : فطلب حظ النفس من عملها فى الدنيا ، قيل له : كيف يكون هذا ؟ قال : من طلب بعمل بينه وبين الله تعالى سوى وجه الله تعالى والدار الآخرة فهو رياء . وقال علماؤنا رضى الله تعالى عنهم : وقد يفضى الرياء بصاحبه الى استهزاء الناس به ، كما يحكى أن طاهر بن الحسين قال لأبى عبد الله المروزى : منذ كم صرت الى العراق يا أبا عبد الله ؟ قال : دخلت العراق منذ عشرين سنة وأنا منذ ثلاثين سنة صائم ، فقال : يا أبا عبد الله ، سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين .

وحكى الأصمعى أن أعرابيا صلى فأطال والى جانبه قوم ، فقالوا : ما أحسن صلاتك ؟! فقال : وأنا مع ذلك صائم .

أين هذا من قول الأشعث بن قيس وقد صلى فخفف ، فقيل له : انك خففت ، فقال : انه لم يخالطها رياء ، فخلص من تنقصهم بنفى الرياء عن نفسه ، والتصنع من صلاته ..

وروى الترمذى الحكيم حدثنا أبى رحمه الله تعالى ، قال : أنبأنا الحمانى ، قال : أنبأنا جرير عن ليث عن شيخ بن معقل بن يسار قال : قال أبو بكر وشهد به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك . قال : « هو فيكم أخفى من دبيب النمل ، وسأدلك على شىء اذا فعلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره ، تقول : اللهم انى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم ، تقولها ثلاث مرات » .

وقال عمر بن قيس الكندى : سمعت معاوية تلا هذه الآية على المنبر : « **فمن كان يرجوا لقاء ربه ..** » فقال : انها لآخر آية نزلت من السماء .

وقال عمر : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أوحى الى أنه من قرأ : « **فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا** » رفع له نور ما بين عدن الى مكة حشوه الملائكة يصلون عليه ويستغفرون له » .

وقال معاذ بن جبل : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : « من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ، ومن قرأها كلها كانت له نورا من الأرض الى السماء » ا . هـ . القرطبى بتصرف .

* * *

فمن كل هذا أخا الاسلام يتبين لنا بوضوح خطورة الشرك الذى هو الرياء المحبط للأعمال :

واذا كنت أقول هذا •• فلأننى أريد أن أذكر كذلك ، ببيان :

ما يحبط العمل من الرياء الخفى والجلى وما لا يحبـــط

كما يقول الامام الغزالى رحمه الله تعالى فى كتابه « احياء علوم الدين » حيث يقول تحت هذا العنوان ، فنقول فيه :

اذا عقد العبد العبادة على الاخلاص ، ثم ورد عليه وارد الرياء ، فلا يخلو اما أن يرد عليه بعد فراغه من العمل ، أو قبل الفراغ • فان ورد بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير اظهار ، فهذا لا يفسد العمل • اذ العمل قد تم على نعت الاخلاص ، ســـالما عن الرياء ، فما يطرأ بعده فنرجو أن لا ينعطف عليه أثره ، لا ســـيما اذا لم يتكلف هو اظهاره والتحدث به ، ولم يتمن اظهاره وذكره ، ولكن اتفق ظهوره باظهار الله ، ولم يكن منه الا ما دخل من السرور والارتياح على قلبه • نعم •• لو تم العمل على الاخلاص من غير عقد رياء ، ولكن ظهرت له بعده رغبة فى الاظهار ، فتحدث به وأظهره ، فهذا مخوف •

وفى الآثار والأخبار ما يدل على أنه محبط : فقد روى عن ابن مسعود أنه سمع رجلا يقول : قرأت البارحة البقرة • فقال : ذلك حظه منها •

وروى عن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، أنه قال لرجل قال له : صمت الدهر يا رسول الله ، فقال له : « ما صمت ولا أفطرت » • فقال بعضهم : انما قال ذلك لأنه أظهره ، وقيل : هو اشارة الى كراهة صوم الدهر • وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ابن مسعود ، استدلالا على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء وقصده له ، لـــا أن ظهر منه التحدث به ، اذ يبعد أن يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل • بل الأقيس أن يقال انه مثاب على عمله الذى مضى ، ومعاقب على مراآته بطاعة الله بعد الفراغ منها ، بخلاف ما لو تغير عقده الى الرياء قبل الفراغ من الصلاة ، فان ذلك قد يبطل الصلاة ، ويحبط العمل • وأما اذا ورد وارد الرياء قبل الفراغ من الصلاة مثلا ، وكان قد عقد على الاخلاص ، ولكن ورد فى أثنائها وارد الرياء ، فلا يخلو اما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر فى العمل ، واما أن يكون رياءا باعثا على العمل ، فان كان

باعثا على العمل وختم العبادة به ، حبط أجره ، ومثاله أن يكون فى تطوع ، فتجددت له نظارة ، أو حضر ملك من الملوك ، وهو يشتهى أن ينظر اليه ، أو يذكر شيئا نسيه من ماله ، وهو يريد أن يطلبه ، ولولا الناس لقطع الصلاة ، فاستتمها خوفا من مذمة الناس ، فقد حبط أجره • وعليه الاعادة ان كان فى فريضة • وقد قال صلى الله عليه وسلم : « العمل كالوعاء اذا طاب آخره طاب أوله » أى النظر الى خاتمته • وروى أنه من راءى بعمله ساعة ، حبط عمله الذى كان قبله • وهذا منزل على الصلاة فى هذه الصورة لا على الصدقة ، ولا على القراءة • فان كل جزء من ذلك مفرد ، فما يطرأ يفسد الباقى دون الماضى ، والصوم والحج من قبيل الصلاة • وأما اذا كان وارد الرياء • بحيث لا يمنعه من قصد الاتمام لأجل الثواب ، كما لو حضر جماعة فى أثناء الصلاة ، ففرح بحضورهم وعقد الرياء ، وقصد تحسين الصلاة لأجل نظرهم ، وكان لولا حضورهم لكان يتمها أيضا : فهذا رياء قد أثر فى العمل ، وانتهى باعثا على الحركات • فان غلب حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة والثواب ، وصار قصد العبادة مغمورا ، فهذا أيضا ينبغى أن يفسد العبادة مهما مضى ركن من أركانها على هذا الوجه • لأنا نكتفى بالنية السابقة عند الاحرام ، بشرط أن لا يطرأ عليها ما يغلبها ويغمرها •

ويحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظرا الى حالة العقد ، والى بقاء قصد أصل الثواب وان ضعف بهجوم قصد هو أغلب منه •

ولقد ذهب الحارث المحاسبى رحمه الله تعالى الى الاحباط فى أمر هو أهون من هذا ، وقال : اذا لم يرد الا مجرد السرور باطلاع الناس ، – يعنى سرورا – هو كحب المنزلة والجاه ، قال : وقد اختلف الناس فى هذا ، فصارت فرقة الى أنه محبط لأنه نقض العزم الأول ، وركن الى حمد المخلوقين ، ولم يختم عمله بالاخلاص ، وانما يتم العمل بخاتمته ، ثم قال : ولا أقطع عليه بالحبط وان لم يتزيد فى العمل ، ولا آمن عليه • وقد كنت أقف فيه لاختلاف الناس ، والأغلب على قلبى أنه يحبط اذا ختم عمله بالرياء • ثم قال : فان قيل قد قال الحسن رحمه الله تعالى انهما حالتان ، فذا كانت الأولى لله لم تضره الثانية ، وقد روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله •• أسر العمل لا أحب أن يطلع عليه ، فيطلع عليه ، فيسرنى • قال :

« لك أجران .. أجر السر وأجر العلانية »[1] ثم تكلم على الخبر والأثر فقال : أما الحسن فانه أراد بقوله لايضره ، أى : لا يدع العمل ، ولا يضره الخطرة وهو يريد الله . ولم يقل اذا عقد الرياء بعد عقد الاخلاص لم يضره . وأما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل ، يرجع حاصله الى ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ ، وليس فى الحديث أنه قبل الفراغ .

الثانى : أنه أراد أن يسر به للاقتداء به أو لسرور آخر محمود مما ذكرناه قبل ، لا سرور بسبب حب المحمدة والمنزلة ، بدليل أنه جعل له به أجرا ، ولا ذاهب من الأمة الى أن السرور بالمحمدة أجرا ، وغايته أن يعفى عنه ، فكيف يكون للمخلص أجر وللمرائى أجران !

الثالث : أنه قال أكثر من يروى الحديث يرويه غير متصل الى أبى هريرة ، بل أكثرهم يوقفه على أبى صالح . ومنهم من يرفعه . فالحكم بالعمومات الواردة فى الرياء أولى .. الخ .



فاذكر أخا الاسلام كل هذا حتى لا تحبط أعمالك بسبب هذا الرياء الذى كما عرفت هو أخفى من دبيب النمل ، ولتقصد دائما وأبدا وجه الله تعالى حتى يقبل الله تعالى منك أعمالك .

واذا أردت أن تتقى الشرك هذا ، أو الرياء هذا .. فحسبك أن تستعين بالله تعالى على هذا بهذا الدعاء الذى أوصانا جميعا به فى نهاية الوصية ، وهو :

« اللهم انا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه » .

أسأل الله تعالى أن يتقبل منا جميعا هذا الدعاء .. آمين .



(١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

الوصية الواحدة والأربعون

عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة[1] والوقار[2] ، وتواضعوا[3] لمن تعلمون منه »[4] ..

(رواه الطبراني في الأوسط)

* * *

فكن أخا الاسلام :

منفذا لهذه الوصية العظيمة التي ان نفذتها كنت من الأحياء لا من الأموات ..

فالناس موتى وأهل العلم أحياء ..

وحسبك اذا أردت أن تتأكد من هذا ، أو اذا أردت أن تقف على أبعاد هذا المعنى الكبير أو المغزى الخطير ، أن تقف عن المعنى المراد من قول الله تبارك وتعالى : **« .. انما يخشى الله من عباده العلماء .. »[5]** .

فالمعنى[6] : أن خشية الله شرطها العلم والمعرفة به ـ سبحانه ـ فمن اشتدت معرفته لربه كان أخشاهم له ، ولذا ورد في الحديث : « أنا أخشاكم لله وأتقاكم له » ، ثم يقول : وقرىء شذوذا : برفع الجلالة ونصب العلماء ، والمعنى : انما يعظم الله من العباد العلماء ، وانما كان كذلك لكونهم أعرف الناس بربهم وأتقاهم له ، فالواجب على

---

(١) السكينة أصلها من السكون ، والمراد بها الهدوء والتواضع والثبات .

(٢) الوقار : أي الرزانة والحلم والهيبة .

(٣) وتواضعوا : أي أظهروا الخضوع والطاعة والانقياد .

(٤) أي تتعلمون منه ، فحذفت احدى التاءين للتخفيف .

(٥) فاطر : ٢٨ . بفتح هاء لفظ الجلالة ، وضم همزة العلماء .

(٦) كما في حاشية الصاوي على الجلالين ، وتفسير البيضاوي .

الناس تعظيمهم واحترامهم اقتداء بالله تعالى ، فان الله أخبر أنه يعظمهم ويجلهم ..

ونستطيع من خلال هذا التفسير الواضح ، أن نعرف من هم العلماء الحقيقيون الأحياء بأخلاقهم وآثارهم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. انهم العارفون بالله ، الذين ما وصلوا الى ما وصلوا اليه من العلم والمعرفة الا بالتقوى التي هي : « الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، والرضا بالقليل »[1] .

والى هذا يشير الله تعالى في قوله : « **واتقوا الله ، ويعلمكم الله ...** » .

يقول القرطبي : قوله تعالى : « **واتقوا الله ، ويعلمكم الله ، والله بكل شيء عليم** »[2] وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه ، أي يجعل في قلبه نورا يفهم به ما يلقى اليه ، وقد يجعل الله في قلبه ابتداء فرقانا ، أي فيصلا يفصل به بين الحق والباطل ، ومنه قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا أن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا** »[3] . ثم يقول — والله أعلم :

وحسبي هنا — والشيء بالشيء يذكر — أن أذكر بعالم فاضل ملأ بقاع الأرض علما — وهو الامام الشافعي رضي الله عنه — فلقد ورد في سيرته العطرة ، أنه كان من شدة ذكائه اذا أراد أن يقرأ في كتاب وضع كمه الأيسر فوق الصفحة اليسرى حتى لا يحفظها قبل اليمنى .

وورد أنه ذات يوم — وقد كان غلاما صغيرا في سن السابعة أو أكثر من ذلك بقليل — جلس في مجلس الامام مالك رضي الله عنه — بالمدينة المنورة — وكان الامام مالك يقرأ في درسه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في مسجده ، وكانت عادته اذا ذكر الحديث أن يقول : عن فلان عن فلان عن صاحب هذا المقام ، ثم يشير الى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فرأى وهو يشير الى القبر ، الشافعي يعبث بثمرة من الحصير بعد أن يبلها بريقه فوق يده .. فحزن الامام مالك .. ثم انتظر حتى أنهى درسه الذي قرأ فيه أربعين حديثا ثم ناداه ، فأقبل وجلس بين يديه ، فعاتبه قائلا له : لماذا كنت تعبث أثناء تلاوة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .. فقال : يا سيدي ما كنت أعبث وانما كنت أسجل بريقي ما تقول حتى لا أنسى .. لأنني فقير

---

(١) من كلام سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .
(٢) البقرة : ٢٨٢ (٣) الأنفال : ٢٩.

ولا أملك الدرهم الذى أشترى به القرطاس والقلم •• فتعجب الامام ثم قال له : اذا كنت صادقا فاقرأ ولو حديثا واحدا من الأحاديث الأربعين التى قرأتها فى درس الليلة •• فجلس الشافعى كما كان يجلس أستاذه الامام ، وقال : عن فلان عن فلان عن صاحب هذا المقام وأشار اليه كما أشار الامام ثم قرأ الأربعين حديثا !! ••

وفى يوم من الأيام رأى أن ذكاءه قد ضعف ولم يعد فى الدرجة التى كان عليها من قبل ، فقال مخاطبا نفسه : لابد وأن يكون هناك سبب لهذا •• فماذا فعل لكى يعرف هذا السبب ؟ •• ذهب الى أستاذه الامام وكيع وشكى له سوء حفظه ، والى هذا يشير رضى الله عنه فى قوله :

شكوت الى وكيع سوء حفظى ... فأرشدنى الى ترك المعاصى
وأخبرنى بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصى

وقد يتساءل الأخ المسلم ، وما هى المعصية التى ارتكبها الشافعى ، والتى كانت سببا فى ضعف ذكائه ؟ فأقول : قيل فى هذا أنه فى تلك الليلة التى حدث فيها هذا ، كان قد أكل كثيرا فنام قبل أن يقرأ الورد الذى اعتاد أن يقرأه قبل أن ينام •

وتلك ملاحظة هامة لابد وأن تلاحظها ـ أخا الاسلام ـ لأنه كما قال لقمان الحكيم لولده : « اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة » وكما ورد فى الأثر : « من أكل كثيرا نام كثيرا وحرم من خير كثير » •

مع ملاحظة كذلك ، ما قاله الشافعى رضى الله عنه فى ذكر الشروط التى لابد أن تكون مستوفيا لها اذا أردت أن تكون من أهل العلم النافع ، وهى :

أخى لن تنال العلم الا بستة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد ودرهم ... وصحبة أستاذ ، وطول زمان

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام ، واجعله أساسا فى طلبك للعلم النافع •

مع ضرورة تنفيذ ما أوصاك به الرسول صلى الله عليه وسلم فى تلك الوصية التى ندور حولها ، وهو أن تكون من أهل السكينة والوقار والتواضع لمن تتعلم منه •

وهذا كله لن يتحقق الا اذا علمت أولا وأخيرا أن العلم بحر لا شاطىء له ، أو كما قال الامام على كرم الله وجهه : « العلم نهر ، والحكمة بحر ، فالعلماء حول النهر يطوفون ، والحكماء وسط البحر يغوصون ، والعارفون فى سفن النجاة يسيرون » •

وهذا معناه أنك لابد وأن تفهم أنك ستظل طالبا للعلم الى آخر لحظة فى حياتك ، أو من المهد الى اللحد •

وحسبك أن تقرأ قول الله تبارك وتعالى لأعلم خلقه محمد صلوات الله وسلامه عليه : **« •• وقل رب زدنى علما »**(١) •

وقوله تعالى لجميع خلقه : **« •• وما أوتيتم من العلم الا قليلا »**(٢) •

وحسبك كذلك حتى يتضح لك هذا ، وحتى تكون متواضعا فى طلب العلم ، ولو كنت حاصلا على أعلى الشهادات العلمية •

حسبك أن تستفيد من هذا الدرس القرآنى الذى سجله الله تبارك وتعالى فى سورة الكهف(٣) ، والذى كان بين سيدنا موسى ، والعبد الصالح « الخضر » عليهما الصلاة والسلام ، لأنه يعتبر من أهم الدروس التى يجب علينا كمؤمنين أن نتعظ بها كما يشير قول الله تعالى : **« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ، وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين »**(٤) •

والخلاصة التى يحسن بنا أن نقف عليها ، هى : أن الله تعالى كان قد أمر موسى عليه الصلاة والسلام أن يقف خطيبا بين بنى اسرائيل لكى يذكرهم بأيام الله ــ وكان هذا بعد أن ظهر موسى وقومه على أرض مصر ، وبعد أن استقرت بهم الدار ــ فخطب قومه فذكرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون ، وأهلك عدوهم ، واستخلفهم فى الأرض ، ثم قال : وكلم الله نبيكم تكليما ، واصطفاه لنفسه ، وألقى عليه محبة منه ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، فجعلكم أفضل أهل الأرض(٥) ، ورزقكم العز بعد الذل ، والغنى بعد الفقر ، والتوراة بعد أن كنتم جهالا • فقال له رجل من بنى اسرائيل : عرفنا

---

(١) طه : ١١٤ — (٢) الاسراء : ٨٥

(٣) من الآية : ٦٠ ــ ٨٢ — (٤) هود : ١٢٠

(٥) أى فى زمانهم •

الذى تقول ، فهل على وجه الأرض أحد أعلم منك يا نبى الله ؟ قال : لا[١] .. فعتب الله عليه حين لم يرد العلم اليه .. فبعث الله جبريل ليقول له : أن يا موسى وما يدريك أين أضع علمى ؟ بلى .. ان لى عبدا بمجمع البحرين[٢] أعلم منك[٣] .. الحديث[٤] .

فلما سمع موسى هذا تشوفت نفسه الفاضلة ، وهمته العالية ، لتحصيل علم ما لم يعلم ، وللقاء فيه مع من قيل فيه : انه أعلم منك . فعزم فسأل سؤال الذليل بكيف السبيل ، فأمر بالارتحال على كل حال ، وقيل له : احمل معك حوتا فى مكتل[٥] فحيث يحيا وتفقده فثم السبيل ، فانطلق مع فتاه[٦] لما واتاه ، مجتهدا طلبا قائلا : ((**لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا**))[٧] . أى : سأظل أبحث عن هذا العبد الصالح حتى لو استمر البحث عنه لمدة ثمانين عاما أو أكثر من ذلك الى أن أصل اليه ان شاء الله .

وكان سيدنا موسى عليه السلام قد قال لفتاه[٨] : لا أكلفك الا أن تخبرنى بحيث يفارقك الحوت ، فقال الفتى : ما كلفت كثيرا ، ثم تناوبا أو تعاونا معا بعد ذلك فى حمل الحوت الى أن وصلا فعلا الى مجمع البحرين ، وهناك وفى ظل صخرة نام سيدنا موسى ليستريح قليلا من عناء السفر .. فحدث أثناء ذلك أن تضرب[٩] الحوت وموسى نائم ، فقال فتاه : لا أوقظه ، حتى اذا استيقظ نسى أن يخبره . وتضرب الحوت حتى دخل البحر ، فأمسك الله عنه جرية البحر حتى كأن أثره فى حجر .

وفى رواية : وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل الطاق ،

---

(١) لأنه يعرف جيدا حقيقة نفسه ، فهو نبى الله وكليمه ورسوله ، وهذا هو السبب فى قوله : لا .

(٢) أى ملتقاهما ، وقيل هو بحر فارس والروم .. وقيل موسى والخضر وقيل غير ذلك .

(٣) ارجع الى القرطبى فى تفسير سورة الكهف .

(٤) قاله ابن عباس بتصرف .

(٥) هو الزنبيل والمراد به ما يحمل فيه الحوت وهو من الخوص .. مثلا .

(٦) وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام ، ويقال : هو ابن أخت موسى عليه السلام ، وقد كان ملازما له ليتعلم منه .

(٧) الكهف : ٦٠ (٨) كما فى البخارى .

(٩) تضرب : أى اضطرب وتحرك اذا حيى فى المكتل .

فلما استيقظ ــ موسى ــ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما ، حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه : **« آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا »**[١] ، فقال له فتاه : **« أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره »**[٢] .

وقيل : ان النسيان كان منهما لقوله تعالى : **« نسيا »**[٣] . فنسب النسيان اليهما ، ولكن الفتى كان مؤدبا ، ولهذا نسب النسيان الى نفسه ولم ينسبه الى أستاذه موسى عليه السلام ، كما يشير أيضا قول الله تعالى على لسان ابراهيم الخليل عليه السلام : **« واذا مرضت فهو يشفين »**[٤] فقد نسب المرض الى نفسه والشفاء الى الله ، مع أن كليهما من الله تعالى .. ولكنه الأدب الذى لابد أن نلاحظه مع معلمينا .. فقديما قالوا : « من علمنى حرفا صرت له عبدا » .

ثم قال الفتى لسيدنا موسى : **« واتخذ سبيله فى البحر عجبا »**[٥] أى عجبا للناس ، لأن موضع العجب أن يكون حوت قد مات فأكل شقه الأيسر ثم حيى بعد ذلك .

ومن غريب ما روى فى البخارى ، عن ابن عباس من قصص هذه الآية : أن الحوت انما حيى لأنه مسه ماء عين هناك تدعى عين الحياة ما مست قط شيئا الا حيى . وفى التفسير أن العلامة كانت أن يحيا الحوت ، فقيل : لما نزل موسى بعد ما أجهده السفر على صخرة الى جنب عين الحياة أصاب الحوت شىء من ذلك الماء فحيى . وذكر صاحب كتاب « العروس » أن موسى عليه السلام توضأ من عين الحياة فقطرت من لحيته على الحوت قطرة فحيى ، والله أعلم .

ثم كان بعد أن قال الفتى لسيدنا موسى : **« واتخذ سبيله فى البحر عجبا »** أن قال له سيدنا موسى بدون غضب أو تعنيف كما يحدث من بعض المعلمين : **« ذلك ما كنا نبغ ، فارتدا على آثارهما قصصا »**[٦] . أى رجعا يقصان آثارهما لئلا يخطئا طريقهما . وفى البخارى : فوجدا

---

(١) النصب أى التعب ، وقيل أن موسى لم يجد النصب الا بعد أن جاوز المكان الذى أمر الله به ــ والآية من سورة الكهف : ٦٢

(٢) الكهف : ٦٣

(٣) كما تشير الآية : ٦١ من سورة الكهف .

(٤) الشعراء : ٨٠ . (٥) الكهف : ٦٣

(٦) الكهف : ٦٤

خضرا على طنفسة خضراء على كبد البحر مسجى بثوبه ، قد جعل طرفه تحت رجليه ، وطرفه تحت رأسه ، فسلم عليه موسى ، فكشف عن وجهه وقال : هل بأرضك من سلام ؟ ! .. من أنت ؟ قال : أنا موسى . قال : موسى بنى اسرائيل ؟ قال : نعم . قال : فما شأنك ؟ قال : جئت لتعلمنى مما علمت رشدا .. الحديث . وقال الثعلبى فى كتاب « العرائس » : ان موسى وفتاه وجدا الخضر وهو نائم على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب أخضر فسلم عليه موسى ، فكشف عن وجهه فقال : وأنى بأرضنا السلام ؟ ! ثم رفع رأسه واستوى جالسا وقال : وعليك السلام يا نبى بنى اسرائيل ، فقال له موسى : وما أدراك بى ؟ ومن أخبرك أنى نبى بنى اسرائيل ؟ قال : الذى أدراك بى ودلك على ، ثم قال : يا موسى لقد كان لك فى بنى اسرائيل شغل ، قال موسى : ان ربى أرسلنى اليك لأتبعك وأتعلم من عملك ، ثم جلسا يتحدثان ، فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء ، وذكر الحديث الذى جاء فيه : أن الخضر عليه السلام قال لموسى عليه السلام : ما علمى وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر .

والى هذا يشير الله سبحانه وتعالى فى قوله : « **فوجدا عبدا من عبادنا** »(١) وهو الخضر عليه السلام فى قول الجمهور ، وبمقتضى الأحاديث الثابتة .. « **آتيناه رحمة من عندنا** »(١) وهى النبوة ، وقيل : النعمة . « **وعلمناه من لدنا علما** »(١) أى علم الغيب . قال ابن عطية : كان علم الخضر علم معرفة بواطن قد أوحيت اليه ، لا تعطى ظواهر الأحكام أفعاله بحسبها ، وكان علم موسى علم الأحكام والفتيا بظاهر أقوال الناس وأفعالهم .

ثم يشير القرآن الى ما حدث بعد هذا فيقول : « **قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا** »(٢) أى : هل يتفق لك ويخف عليك ؟ وهذا سؤال الملاطف ، والمخاطب المستنزل المبالغ فى حسن الأدب . قال القرطبى : فى هذه الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم وان تفاوتت المراتب ، ولا يظن أن فى تعلم موسى من الخضر ما يدل على أن الخضر كان أفضل منه ، فقد يشذ عن الفاضل ما يعلمه المفضول ، والفضل لمن فضله الله ، فالخضر ان كان وليا فموسى أفضل منه ، لأنه نبى والنبى أفضل من الولى ، وان كان نبيا فموسى فضله بالرسالة ، والله أعلم .

---

(١) الكهف : ٦٥ (٢) الكهف : ٦٦

فكان جواب الخضر عليه السلام : « **انك لن تستطيع معى صبرا** »[١] أى انك يا موسى لا تطيق أن تصبر على ما تراه من علمى ، لأن الظواهر التى هى علمك لا تعطيه ، وكيف تصبر على ما تراه خطأ ولم تخبر بوجه الحكمة فيه ، ولا طريق الصواب ، وهو المعنى المراد من قوله تعالى : « **وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا** »[٢] والأنبياء لا يقرون على منكر ، ولا يجوز لهم التقرير ، أى لا يسعك السكوت جريا على عادتك وحكمك • فيكون جواب سيدنا موسى على هذا : « .. **ستجدنى ان شاء الله صابرا** »[٣] أى سأصبر بمشيئة الله « **ولا أعصى لك أمرا** »[٣] أى قد ألزمت نفسى طاعتك • فيوافق الخضر على مصاحبة موسى له ، غير أنه يشترط عليه شرطا ، وهو قوله تعالى : « **قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكرا** »[٤] أى حتى أكون أنا الذى أفسره لك ، وهذا من الخضر تأديب وارشاد لما يقتضى دوام الصحبة ، فلو صبر ودأب لرأى العجب ، لكنه أكثر من الاعتراض ، فتعين الفراق والاعراض •

ويحكى القرآن بعد ذلك بقية ما حدث فى تلك الرحلة المباركة ، فيقول :

« **فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها ، قال أخرقتها لتغرق أهلها[٥] لقد جئت شيئا امرا[٦] • قال ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا • قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا • فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس[٧] لقد جئت شيئا نكرا[٨] • قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا • قال ان سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى[٩] ، قد بلغت من لدنى عذرا[١٠]** •

---

(١) الكهف : ٦٧ — (٢) الكهف : ٦٨

(٣) الكهف : ٦٩ — (٤) الكهف : ٧٠

(٥) ولم يقل لتغرقنى لأن الذى غلب عليه فى الحال فرط الشفقة عليهم ، ومراعاة حقهم .

(٦) امرا ، معناه عجبا ، وقيل : منكرا .

(٧) أى اقتلت نفسا زكية لم تعمل الحنث ، أو الخبث ..

(٨) أى بين الفساد لأن مكروهه قد وقع .

(٩) أى تتابعنى .

(١٠) أى بلغت مبلغا تعذر به فى ترك مصاحبتى .

فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قريــة[١] استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض[٢] فأقامه ، قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا • قال هذا فراق بينى وبينك[٣] ، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا • أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها[٤] وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا • وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا • فأردنا أن يبدلهما ربهمــا[٥] خيرا منه زكاة[٦] وأقرب رحما[٧] • وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينــة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ، وما فعلته عن أمرى ، ذلك تأويل[٨] ما لم تسطع عليه صبرا »[٩] .

ثم بعد ذلك وبعد انتهاء تلك الرحلة الخالدة ، وقبل أن يفارق الخضر موسى عليهما السلام يطلب سيدنا موسى من سيدنا الخضر أن يوصيه ، فيقول له سيدنا الخضر :

« كن بساما ولا تكن ضحاكا ، ودع اللجاجة ، ولا تمش فى غير حاجة ، ولا تعب على الخطائين خطــاياهم ، وابك على خطيئتــك يا ابن عمران » .



فلتكن أخا الإسلام مستفيدا بهذا الدرس القرآنى دائما وأبدا حتى تنفذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتكون من أهل العلم المتوجين بالسكينة والوقار والتواضع ، وتكون بذلك من العلماء العاملين الذين انتفعوا ونفعوا ، وحسبك فى النهاية ترغيبا لك فى طلب العلم ونشره أن تذكر دائما وأبدا هذين الحديثين الشريفين :

---

(١) قيل هى أبلة ، وقيل أنطاكية ، وقيل هى قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة .

(٢) أى كان مائلا فأقامه الخضر بيده .

(٣) ورد فى الحديث الشريف : « يرحم الله موسى لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا من أخبارهما » .

(٤) أى أجعلها ذات عيب .

(٥) أى أن يرزقهما الله ولدا .

(٦) أى دينا وصلاحا .

(٧) أى رحمة .

(٨) أى تفسير .

(٩) الكهف : ٧١ — ٨٢

عن معاوية رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية[١] ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا جميعا من الراسخين فى العلم ، الذين تفقهوا فى دينهم وكان العلم حجة لهم لا عليهم .. آمين .



---

(١) أى لا تنقطع .

الوصية الثانية والأربعون

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اياكم والتعريس[1] على جواد[2] الطريق والصلاة عليها ، فانها مأوى الحيات ، والسباع ، وقضاء الحاجة عليها ، فانها الملاعن »[3] ..

(رواه ابن ماجه ورواته ثقات)

* * *

فكن أخا الاسلام :

منفذا لهذا التحذير المحمدى الوارد فى تلك الوصية ، والذى مضمونه كما هو واضح فى نصها : أنه ليس من الخير للانسان أن ينام أو يستريح آخر الليل[4] على جواد الطريق وهو ما اتسع منها ، وانما من الخير له أن ينام فى مكان يستره ويحميه من الحيات والسباع التى كثيرا ما تأوى الى تلك الأماكن المتسعة من الطرق ليلا لتأكل ما فيها وتلتقط ما يسقط من المارة .

والرسول صلى الله عيله وسلم فى هذا التحذير أو بهذا التوجيه يؤكد لنا نحن المؤمنين — ان شاء الله — حرصه علينا وحبه لنا ، كما يشير قول الله تعالى :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم »[5] .

ومن حرصه علينا صلوات الله وسلامه عليه : هذا الذى يحذرنا

---

(١) أى النزول للراحة آخر الليل .

(٢) أى ما اتسع منها .

(٣) أى الجالبة للعن لمن فعل ذلك .

(٤) وهو التعريس المشار اليه فى الحديث .

(٥) التوبة : ١٢٨

منه حتى لا نتعرض للتهلكة ، أو حتى لا نكون سببا فى اشغال الطريق ، واعاقة السير عليه ، أو تمكين الغير من سهولة الاهتداء اليه .

ولهذا ، فقد ورد النهى صراحة عن التعريس[١] فى طريق الدواب .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا سافرتم فى الخصب[٢] ، فأعطوا الابل حظها من الأرض[٣] ، واذا سافرتم فى الجدب[٤] ، فأسرعوا عليها السـير[٥] ، وبادروا بها نقيها[٦] ، واذا عرستم[٧] فاجتنبوا الطريق فانها طريق الدواب ، ومأوى الهوام[٨] بالليل » رواه مسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى .

ومع هذا التحذير ، فقد ورد الترغيب كذلك فى اماطة الأذى عن الطريق :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الايمان بضع[٩] وستون ــ أو سبعون ــ شعبة[١٠] : أدناها[١١] اماطة الأذى عن الطريق[١٢] وأرفعها [١٣] قـول : لا اله الا الله »[١٤] .

رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .



---

(١) يقال : عرس القوم بالتشديد ، اى نزلوا للاستراحة ثم يرتحلون .

(٢) أى فى زمن جودة المرعى وكثرته .

(٣) أى بأن تمكنوها من رعى النبات .

(٤) أى زمان يبس الأرض وقلة المرعى .

(٥) أى قبل أن ينهكها الجوع .

(٦) أى اسرعوا حتى تصلوا مقصدكم قبل أن يذهب مخها من ضنك السير والتعب .

(٧) اى نزلتم آخر الليل للاستراحة .

(٨) أى لأن الحشرات وذوات السموم والسباع وغيرها تمشى على الطريق بالليل لتأكل ما فيها وتلتقط ما يسقط من المـارة .

(٩) البضع بكسر فسكون : من الثلاثة الى التسعة .

(١٠) الشعبة بضم فسكون : الطائفة من الشىء والقطعة منه .

(١١) أى أقلها شأنا .

(١٢) أى ازاحته وازالته .

(١٣) أى أفضلها وأعظمها شأنا .

(١٤) لأنها كلمة التوحيد التى خلق الله الأشياء جميعا من أجلهـا وبعث الرسل وأنزل الكتب للدعوة اليها .

وعن أبى ذر رضى الله عنه ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « عرضت على أعمال أمتى حسنها وسيئها[١] ، فوجدت فى محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق ، ووجدت فى مساوىء أعمالها النخامة[٢] تكون فى المسجد لا تدفن »[٣] رواه مسلم وابن ماجه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « بينما رجل يمشى بطريق وجد غصن شوك فأخره[٤] ، فشكر الله له[٥] فغفر الله له »[٦] رواه البخارى ومسلم .

وفى رواية لمسلم ، قال : « لقد رأيت رجلا يتقلب فى الجنة[٧] فى شجرة قطعها من ظهر الطريق[٨] كانت تؤذى المسلمين » .

وفى أخرى له : « مر رجل بغصن شجرة على ظهر الطريق ، فقال : والله لأنحين[٩] عن المسلمين لا يؤذيهم[١٠] ، فأدخل الجنة »[١١] .

ورواه أبو داوود ، ولفظه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نزع[١٢] رجل لم يعمل خيرا قط[١٣] غصن شـوك عن الطريق : اما قال : كان فى شجرة فقطعه ، وما كان موضـوعا ، فأماطه عن الطريق ، فشكر الله ذلك له ، فأدخله الجنة » .

ولهذا كان من الخير أن لا يشغل الطريق بأى شىء يعوق السير فيه ، وكان من الخير أن ينحى كل ما يؤذى المـارة[١٤] من طريقهم .

بل ليس من الخير أن يصلى الانسان فى عرض الطريق ، وانما من الخير أن يصلى فى مكان جانبى وأن يتخذ له سترة .

---

(١) أى شريفها وقبيحها .
(٢) أى البصقة التى تخرج من أقصى الحلق .
(٣) أى لا تدفن فى الأرض وتستر حتى لا تؤذى المصلين .
(٤) أى أبعده عن الطريق .
(٥) أى رضى عمله هذا وقبله منه .
(٦) أى حط عنه ذنوبه وخطاياه .
(٧) أى يتمتع فى نعيمها .
(٨) يعنى من وسطه .
(٩) أى لأبعدنه .
(١٠) أى حتى لا يسبب لهم أذى .
(١١) يعنى كان هذا العمل القليل الذى شكره الله له سببا فى دخوله الجنـة .
(١٢) النزع هو الأخذ بشدة .
(١٣) جملة « لم يعمل » صفة لرجل .
(١٤) كالحجر والشوكة والعظم والنجاسة ونحو ذلك .

فقد ورد فى الحديث الشريف : « اذا صلى أحدكم فليصل الى سترة وليدن منها » .

والسترة[١] : هى ما يجعله المصلى بين يديه لمنع المرور ، وانما تسن للامام والمنفرد ان خشيا مرور أحد بين يديهما . وأما المأموم فسترة الامام سترة له ، ويشترط فيها أن تكون طول ذراع فأكثر ، أما غلظها فلا حد لأقله ، ويستحب أن يميل عنها : يمينا أو يسارا بحيث لا يقابلها ، وأن يكون مستويا مستقيما ، وأن يقرب منها قدر ثلاثة أذرع من ابتداء قدميه ، فان وجد ما يصلح أن يكون سترة ولكن تعسر غرزه بالأرض لصلابتها ، وضعه بين يديه عرضا ، وهو أولى من وضعه طولا ، فان لم يجد شيئا أصلا خط خطا بالأرض كالهلال ، وهو أولى من غيره من الخطوط ، ويصح الاستتار بظهر الآدمى[٢] غير الكافر والمرأة الأجنبية ، ويصح بالسترة المغصوبة[٣] وان حرم الغصب ، وكذا السترة النجسة[٤] ، ويصح اتخاذ السترة من جدار أو عصا أو أثاث أو نحو ذلك بلا ترتيب بينها ، فله أن يستتر باحداها مع وجود غيرها .

ويحرم المرور بين يدى المصلى ، ولو لم يتخذ سترة بلا عذر ، كما يحرم على المصلى أن يتعرض بصلاته لمرور الناس بين يديه ..

فعن أبى الجهم عبد الله بن الحارث بن الصمة الأنصارى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو يعلم المار بين يدى المصلى ماذا عليه[٥] لكان أن يقف أربعين[٦] خير له من أن يمر

---

(١) كما فى الفقه على المذاهب الأربعة .. فارجع اليه اذا أردت ان تقف على آراء المذاهب فى هذا الموضوع فى باب (مبحث سنن الصلاة الخارجة عنها) .

(٢) عند الشافعية : لا يصح الاستتار بالآدمى مطلقا ، وعند الحنابلة يصح الاستتار بالآدمى مطلقا بظهره أو غيره .

(٣) عند الحنابلة لا يصح الاستتار بالمغصوبة والصلاة اليها مكروهة .

(٤) عند المالكية : لا يصح الاستتار بالنجس كقصبة المرحاض .

(٥) أى من الاثم فى هذا المرور .

(٦) قوله « أن يقف » فى تأويل مصدر خبر كان مقدما ، والتقدير لكان وقوفه .

بين يديه[١] • قال أبو النضر : لا أدرى قال أربعين يوما ، أو شهرا ، أو سنة » رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه ورواه البزار ، ولفظه :

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « لو يعلم المار بين يدى المصلى[٢] ماذا عليه لكان لأن يقوم أربعين خريفا[٣] خير له من أن يمر بين يديه » ورجاله رجال الصحيح ، قال الترمذى : وقد روى عن أنس أنه قال : « لأن يقف أحدكم مائة عام خير له من أن يمرّ بين يدى أخيه وهو يصلى » •

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا كان أحدكم يصلى فلا يدع[٤] أحد يمر بين يديه ، فان أبى فليقاتله ، فان معه القرين »[٥] رواه ابن ماجه باسناد صحيح ، وابن خزيمة فى صحيحه •

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد أشار فى الوصية الى جواد الطريق — أى ما اتسع منها — على أنها مأوى الحيات والسباع ، فاننى أحب واتماما للفائدة أن أذكر ببعض الأحاديث الشريفة الواردة فى هذا الموضوع •

فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل وزغة[٦] فى أول ضربة[٧] ، فله كذا وكذا حسنة ، ومن قتلها فى الضربة الثانية فله كذا وكذا دون الحسنة الأولى[٨] ، ومن قتلها فى الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة لدون الثانية » رواه مسلم وأبو داوود والترمذى وابن ماجه •

وفى رواية لمسلم : « من قتل وزغا فى أول ضربة كتبت له مائة حسنة ، وفى الثانية دون ذلك ، وفى الثالثة دون ذلك » •

---

(١) قال النووى : معناه لو يعلم ما عليه من الاثم لاختار الوقوف اربعين على ارتكاب ذلك الاثم ، ويعنى الحديث النهى الأكيد والوعيد الشديد .

(٢) اى أمامه فى موضع سجوده .

(٣) اى سنة .

(٤) اى فلا يترك ولا يسمح .

(٥) اى الشيطان الذى يحرضه على المرور ويشجعه عليه .

(٦) الوزغة : حشرة مؤذية يقال لها : سام أبرص .

(٧) يعنى : من أول ضربة .

(٨) يعنى أقل منها ، وفى رواية « لدون الأولى » .

وفى أخرى لمسلم وأبى داوود أنه قال : « فى أول ضربة سبعين حسنة »[١] .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر ، يقول : « اقتلوا الحيات ، واقتلوا ذا الطفيتين والأبتر ، فانهما يطمسان البصر ، ويسقطان الحبل . قال عبد الله : فبينا أنا أطارد حية أقتلها نادانى أبو لبابة : لا تقتلها ، قلت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الحيات ، قال : انه نهى بعد ذلك عن ذوات البيوت ، وهن العوامر »[٢] رواه البخارى ومسلم ، ورواه مالك وأبو داوود والترمذى بألفاظ متقاربة .

وفى رواية لمسلم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بقتل الكلاب ، يقول : « اقتلوا الحيات والكلاب ، واقتلوا ذا الطفيتين والأبتر ، فانهما يلتمسان البصر ، ويستسقطان الحبالى » .

قال سالم : قال عبد الله بن عمر : فلبثت لا أترك حية أراها الا قتلتها ، فبينما أنا أطارد حية[٣] يوما من ذوات البيوت من بنى زيد ابن الخطاب وأبو لبابة ، وأنا أطاردها ، فقالا : مهلا يا عبد الله ؟ فقلت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتلهن ، قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذوات البيوت .

وفى رواية لأبى داوود ، قال : ان ابن عمر وجد بعدما حدثه أبو لبابة حية فى داره فأمر بها ، فأخرجت الى البقيع[٤] . قال نافع : فرأيتها بعد فى بيته[٥] .

وفى رواية لمالك ومسلم وأبى داوود : « ان لهذه البيوت عوامر ، فاذا رأيتم منها شيئا ، فحرجوا عليها ثلاثا[٦] ، فان ذهب ، والا فاقتلوه فانه كافر .. » .

---

(١) قال الحافظ : واسناد هذه الرواية الأخيرة منقطع لأن سهيلا قال : حدثتنى أختى عن أبى هريرة ، وفى بعض نسخ مسلم : أخى ، وعند أبى داوود : أخى او أختى على الشك ..

(٢) أى سكانا من الجن .

(٣) يعنى اجرى وراءها لأقتلها .

(٤) وهو مقبرة المدينة .

(٥) يعنى أنها عادت الى الدار ثانية .

(٦) أى شددوا عليها فى الخروج .

[توضيح]:

الطفيتان بضم الطاء المهملة واسكان الفاء : هما الخطان الأسودان فى ظهر الحية .

والأبتر : هو الأفعى ، وقيل جنس أبتر كأنه مقطوع الذنب وسمه شديد جدا وقيل : هو صنف من الحيات أزرق مقطوع الذنب اذا نظرت اليه الحامل ألقت حملها .

وقوله « يلتمسان البصر » : معناه يطمسانه بمجرد نظرهما اليه بخاصية جعلها الله فيهما .



قال الحافظ : فذهب طائفة من أهل العلم الى قتل الحيات أجمع ، فى الصحارى والبيوت بالمدينة ، وغير المدينة ، ولم يستثنوا فى ذلك نوعا ولا جنسا ولا موضعا ، واحتجوا فى ذلك بأحاديث جاءت : لحديث ابن مسعود الذى جاء فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اقتلوا الحيات كلهن ، فمن خاف ثأرهن[1] فليس منى »[2] رواه أبو داوود والنسائى والطبرانى بأسانيد رواتها ثقات ..

ولحديث أبى هريرة الذى جاء فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما سالمناهن منذ حاربناهن[3] ، — يعنى الحيات — ومن ترك قتل شىء منهن خيفة[4] فليس منا » رواه أبو داوود وابن حبان فى صحيحه .

ولحديث ابن عباس رضى الله عنهما الذى جاء فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ، ما سالمناهن منذ حاربناهن »[5] رواه أبو داوود ، ولم يجزم موسى ابن مسلم راويه بأن عكرمة رفعه الى ابن عباس .

ثم يقول الحافظ : وقالت طائفة : تقتل الحيات أجمع الا سواكن البيوت بالمدينة وغيرها فانهن لا يقتلن لما جاء فى حديث أبى لبابة وزيد بن الخطاب من النهى عن قتلهن بعد الأمر بقتل جميع الحيات .

---

(١) اى انتقامهن .

(٢) اى ليس متبعا لهديى وطريقتى .

(٣) يعنى أن الحرب بيننا وبينهم متصلة بلا هدنة .

(٤) اى خوفا من اذاها .

(٥) وهو موافق لحديث أبى هريرة .

وقالت طائفة : تنذر سواكن البيوت فى المدينة وغيرها ، فان يدين[١] بعد الانذار قتلن ، وما وجد منهن فى غير البيوت يقتل من غير انذار[٢] ، وقال مالك : يقتل ما وجد منها فى المساجد واستدل هؤلاء بقوله صلى الله عليه وسلم : « ان لهذه البيوت عوامر ، فاذا رأيتم منها شيئا فحرجوا عليها ثلاثا ، فان ذهب ، والا فاقتلوه » ، واختار بعضهم أن يقول لها ما ورد فى حديث أبى ليلى الذى جاء فيه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وكان قد سئل عن جنان البيوت ، هل يجوز قتلها أم لا ؟ :

« اذا رأيتم منهن شيئا فى مساكنكم فقولوا : أنشدكم العهد[٣] الذى أخذ عليكم نوح ، أنشدكم العهد الذى أخذ عليكم سليمان أن لا تؤذونا[٤] ، فان عدن[٥] فاقتلوهن » رواه أبو داوود والترمذى والنسائى كلهم من رواية ابن أبى ليلى عن ثابت عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن أبيه ، وقال : حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه .

وعن نافع قال : « كان ابن عمر يقتل الحيات كلهن[٦] حتى حدثنا أبو لبابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل جنان البيوت فأمسك »[٧] رواه مسلم .

وقال مالك : يكفيه أن يقول : أحرج عليك بالله واليوم الآخر أن لا تبدو لنا[٨] ولا تؤذينا ، وقال لها : أنت فى حرج ان عدت الينا ، فلا تلومينا أن نضيق عليك بالطرد والتتبع . وقالت طائفة : لا تنذر الا حيات المدينة فقط لما جاء فى حديث أبى سعيد الذى جاء فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « .. ان بالمدينة جنا قد أسلموا ، فاذا رأيتم منهم شيئا ، فآذنوه ثلاثة أيام[٩] ، فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه ، فانما هو شيطان » .

---

(١) أى ظهرن .
(٢) وهذا هو الصحيح المطابق للأحاديث .
(٣) أى نسألكم ونطلب منكم أن تفوا بالعهد الذى أخذ عليكم .
(٤) يعنى أن لا تتعرضوا لنا بأذى ومكروه .
(٥) أى رجعن الى البيت ولم ينصرفن أو عدن الى ايذائكم .
(٦) أخذا بعموم الأمر بقتلهن ولم يكن قد علم بالاستثناء .
(٧) أى كف عن قتلهن .
(٨) أى لا تظهر لنا .
(٩) يعنى اطلبوا منه الخروج والانصراف .

وأما حيات غير المدينة فى جميع الأرض والبيوت فتقتل من غير انذار لأنا لا نتحقق وجود مسلمين من الجن ثم[١] ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : « خمس من الفواسق تقتل فى الحل والحرم ، وذكر منهن الحية » .

وقالت طائفة : يقتل الأبتر وذو الطفيتين من غير انذار سواء كن بالمدينة وغيرها ، لحديث أبى لبابة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم : نهى عن قتل الجنان التى تكون فى البيوت الا الأبتر وذو الطفيتين . ولكل من هذه الأقوال وجه قوى ، ودليل ظاهر ، والله أعلم[٢] .

وأما عن قضاء الحاجة على الطريق ، فانه كما علمت فى نص الوصية من الملاعن ، أى من الأمور التى تجلب اللعن لفاعلها ، والتى منها كما عرفت « التعريس على جواد الطريق ، والصلاة عليها » الى أن يقول فى نص الوصية « وقضاء الحاجة ، فانها الملاعن » .

وقد ورد النهى عن قضاء الحاجة فى طريق الناس وظلهم ، لما فيه من أذيتهم :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اتقوا اللاعنين[٣] ، قالوا : وما اللاعنان يا رسول الله ؟ قال : الذى يتخلى[٤] فى طريق الناس أو ظلهم » أخرجه أحمد ومسلم وأبو داوود .

وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الملاعن الثلاث : البراز[٥] فى الموارد ، وقارعة الطريق[٦] ، والظل » رواه أبو داوود وابن ماجه ، وأخرجه أيضا الحاكم وصححه ، وكذلك صححه ابن السكن ، قال الحافظ ابن حجر :

---

(١) أى هناك ، ولكن يكفى احتمال أن بعضهم أسلم فتنذرهم أولا بالخروج فان أبوا قوتلوا .

(٢) ارجع الى الترغيب والترهيب للمنذرى صفحة ٨٧٤ ج ٣

(٣) أى الأمران اللذان يحملان الناس على اللعن وذلك أن من فعلهما لعن وشتم عادة .

(٤) أى يقضى حاجته ، وسمى قضاء الحاجة بالتخلى لأنه يكون عادة فى الخلاء وهو الأرض الفضاء .

(٥) هو فى الأصل اسم للفضاء الواسع وكنى به عن قضاء الحاجة .

(٦) اى وسطه وقيل أعلاه والمراد نفس الطريق .

وفيه نظر لأن أبا سعيد لم يسمع من معاذ ولا يعرف بغير هذا الاسناد قاله ابن القطان •

وعن حذيفة بن أسيد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من آذى المسلمين فى طريقهم وجبت عليه لعنتهم »[١] رواه الطبرانى فى الكبير باسناد حسن •

* * *

ومن كل هذه الأحاديث يتأكد لنا مرة أخرى حرص الرسول صلى الله عليه وسلم علينا وعلى سلامتنا وعدم تعرضنا لمجرد اللعن من غيرنا ، وذلك بهذا النهى الصريح : عن التخلى فى طريق الناس وظلهم •

* * *

فليذكر الأخ المسلم كل هذا ، وليكن متجنبا لأسباب اللعنة من الناس ، وذلك بتنفيذه لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا ينام ولا يستريح على جواد الطريق ، ولا يصلى عليها ، ولا يتخلى فى طريق الناس وظلهم •

وحسبه ان فعل ذلك أنه سيكون قد راعى حقوق الناس ومشاعرهم •

وسيكون أيضا فى نفس الوقت قد أدى للطريق حقه أو حقوقه :

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اياكم والجلوس فى الطرقات ، قالوا : يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه ، قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : غض البصر ، وكف الأذى[٢] ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » متفق عليه •

أسأل الله تعالى أن يجنبنا جميعا أسباب الطرد من رحمته •• آمــين •

* * *

---

(١) يعنى استحق منهم أن يدعوا عليه باللعنة والطرد من رحمة الله .

(٢) الذى منه ما حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم فى وصيته والذى أرجو أن تكون قد عرفناه وعقدنا العزم على كفه عن الناس .

الوصية الثالثة والأربعون

عن ثوبان رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« استقيموا ولن تحصوا[1] ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة[2] ولن يحافظ على الوضوء الا مؤمن »[3] .

(رواه ابن ماجه باسناد صحيح والحاكم وقال : صحيح على شرطهما) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

منفذا لهذه الوصية العظيمة التى بدأها الرسول صلوات الله وسلامه عليه بأهم ما يجب علينا أن نلاحظه ونحققه ، وهو الثبات على الأمر ، والمداومة على فعل ما أمرنا به من فرائض العبادات ونوافلها ، فى قصد واعتدال بلا مبالغة ولا تفريط ، لأننا لن نستطيع احصاء ذلك ولا بلوغ نهايته .

وتفصيل هذا الاجمال هو أننا كمؤمنين ، لابد وأن نثبت الحق الذى آمنا به ، بمعنى أن نكون على ثقة كاملة بأن الله تعالى واحد لا شريك له ، وأنه سبحانه وتعالى متصف بالصفات الجليلة القديمة الثابتة بالأدلة التفصيلية ، وهى ثلاث عشرة[4] :

١ ــ **الوجود** : أى أنه تعالى موجود بلا ابتداء قبل وجود جميع الحوادث من عرش وكرسى وسموات وسائر العالم « والدليل » على

---

(١) اى اثبتوا وداوموا على فعل ما أمرتم به من فرائض العبادات ونوافلهـا لكن فى قصد واعتدال بلا مبالغة ولا تفريط فانكم لن تستطيعوا احصاء ذلك ولا بلوغ نهايته .

(٢) أى انها أحب الأعمال الى الله عز وجل وأكثرها ثوابا لكم ، فعليكم بالمحافظة عليها .

(٣) أى ان اسباغ الوضوء والمحافظة عليه كلما انتقض علامة من علامات الايمان .

(٤) كما جاء فى الدين الخالص ج ١ بتصرف واختصار .

ذلك خلقه تعالى السموات وما فيها من الكواكب والملائكة ، والأرض وما فيهـا من الجبال والرمال والأشجار والأحجار والبحار والأنهار والحيوانات والجمادات ، لأن الصـنعة لابد لها من صانع موجود ، وقد قال الله تعالى : **« وخلق كل شيء فقدره تقديرا »**[١] ، ومن البدهي أن موجد الشيء لا يكون معدوما ، لأن المعدوم لا يعطى الوجود .

٢ ـ **القــدم** : أي أنه تعالى لا ابتداء لوجوده ، وأنه لم يسبقه عدم ، لقوله تعالى : **« الله خالق كل شيء ، وهو على كل شيء وكيل »**[٢] ، اذ **معناه** : أن كلّ شيء غير الله مخلوق لله ، فلا يجوز أن يكون غيره خالقا له ، لأنه لو كان مخلوقا لكان محتاجا لغيره ، كيف وهو ذو الغنى المطلق ، وفقر كل شيء اليه محقق ؟ وعن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : انى عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم اذ جاءه قوم من بنى تميم ، فقال : « اقبلوا البشرى يا بنى تميم »[٣] ، قالوا : بشرتنا فأعطنا ، فدخل ناس من أهل اليمن ، فقال : « اقبلوا البشرى يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم » قالوا : قبلنا . جئناك لنتفقه فى الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان ؟ قال : « كان[٤] الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على المـاء[٥] ، ثم خلق السموات والأرض وكتب فى الذكر كل شيء »[٦] أخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات ، والبخارى فى التوحيد ، وهذا لفظه .

٣ ـ **البقــاء** : أى أنه لا انتهاء لوجوده تعالى ، وأنه لا يلحقه عدم ، لقوله تعالى : **« كل شيء هالك الا وجهــه »**[٧] ، ولأن من ثبت قدمه استحال عدمه ، فهو الأزلى القديم بلا بدايـة ، والأبدى الباقى بلا نهاية .

٤ ـ **مخالفته تعــالى للحوادث** : ومعناها عدم مماثلته سبحانه

---

(١) الفرقان : ٢ (٢) الزمر : ٦٢

(٣) المراد بهذه البشارة أن من أسلم نجا من الخلود فى النار ثم يجازى على وفق عمله .

(٤) كان هنا بمعنى الوجود الأزلى .

(٥) اى لم يكن تحت العرش الا المـاء الذى خلق قبله ، ففى حديث أبى رزين العقيلى مرفوعا : « ان المـاء خلق قبل العرش » أخرجه أحمد والترمذى وصححه .

(٦) أى قدر كل الكائنات وأثبتها فى اللوح المحفوظ .

(٧) القصص : ٨٨

لشيء منها ، لا فى الذات ولا فى الصفات ولا فى الأفعال ، لقوله تعالى : « **ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير** »[١] ، ولأنه لو ماثل شيئا منها لكان حادثا مثلها والحدوث مستحيل فى حق الخالق عز وجل .

٥ — **قيامه تعالى بنفسه** : أي أنه تعالى موجود بلا موجد ، وغنى عن كل ما سواه ، وأنه متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص ، لقوله تعالى : « **يا أيها النـــاس أنتم الفقراء الى الله ، والله هو الغنى الحميد** »[٢] .

وقوله تعالى : « **والله الغنى وأنتم الفقراء** »[٣] ، ولأنه لو احتاج الى شيء لكان حادثا وحدوثه محال لمـــا تقدم ، فاحتياجه محال .

٦ — **الوحدانية فى الذات والصفات والأفعال** : أى أن ذاته — سبحانه وتعالى — ليست مركبة ، وليس لغيره ذات تشبه ذاته ، وأنه ليس له صفتان من جنس واحد كقدرتين وعلمين ، وليس لغيره صفة كصفته ، وأن الأفعال كلها خيرها وشرها اختياريها واضطراريها مخلوقة لله وحده بلا شريك ولا معين ، قال تعالى : « **والهكم اله واحد ، لا اله الا هو الرحمن الرحيم** »[٤] .

وقـــال : « **والله خلقكم وما تعملون** »[٥] .

٧ — **الحيـــاة** : وهى صفة قديمة قائمة بالذات العلية تصحح لموصوفها الاتصاف بالعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر ، وما الى ذلك من الصفات اللائقة به تعـــالى « وحياته » ليست بروح ، ودليلها قوله تعـــالى : « **الله لا اله الا هـــو الحى القيـــوم** »[٦] وقولـــه : « **وتوكل على الحى الذى لا يموت** »[٧] .

٨ — **العـــلم** : وهو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعـــالى تحيط بكل موجود : واجبا كان أو جائزا ، وبكل معدوم : مستحيلا كان أو ممكنا . فهو تعالى يعلم وجود ذاته وصفاته وأنها قديمة لا تقبل العدم ، ويعلم أنه لا شريك له وأن وجود الشريك محال ، ويعلم جواز حدوث الممكن وعدمه ، ويعلم فى الأزل عدد من يدخل الجنة ومن يدخل النار جملة واحدة فلا يزاد فى ذلك العدد ولا ينقص منه ، ويعلم أفعالهم

---

(١) الشورى : ١١
(٢) فاطر : ١٥
(٣) محمد : ٣٨
(٤) البقرة : ١٦٣
(٥) الصافات : ٩٦
(٦) آل عمران : ٢
(٧) الفرقان : ٥٨

وكل ما يكون منهم ، ويعلم أنه عالم بكل الأمور لا تخفى عليه خافية ، قال تعالى : « **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** »[١] وقال : « **ان الله بكل شيء عليم** »[٢] .

ولأنه تعالى لو لم يكن عالما لكان جاهلا ، ولو كان جاهلا لكان حادثا ، وحدوثه محال لما سبق ، فالجهل عليه تعالى محال .

هذا .. وعلم الله تعالى ليس كسبيا ولا يوصف بكونه ضروريا أو نظريا أو بديهيا أو يقينيا أو تصوريا أو تصديقيا لأنه صفة قديمة لا تعدد فيها ولا تكثر .

٩ ــ **الارادة** : وهى صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه كوجود المخلوق فى زمن دون غيره ، وفى مكان دون آخر ، وهكذا ، لقوله تعالى : « **وربك يخلق ما يشاء ويختار** »[٣] .

وقوله تعالى : « **فعال لما يريد** »[٤] .

١٠ ــ **القدرة** : وهى صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى يتأتى بها ايجاد كل ممكن واعدامه ، لقوله تعالى : « **وهو على كل شيء قدير** »[٥] .

وقوله : « **وكان الله على كل شيء مقتدرا** »[٦] .

ولأنه لو لم يكن قادرا لكان عاجزا ، وعجزه محال ، كيف وهو خالق كل شيء ؟ ..

١١ ــ **السمع** : وهو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تحيط بكل موجود واجبا أو ممكنا صوتا أو لونا أو ذاتا أو غيرها ، فهو يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء فى الليلة الظلماء بلا أذن ولا صماخ .

١٢ ــ **البصر** : وهو صفة وجودية قديمة قائمة بالذات العلية تحيط بكل موجود ــ واجبا أو جائزا جسما أو لونا أو صوتا أو غيرها بلا حدقة ــ احاطة غير احاطة العلم والسمع ، والدليل على أنه تعالى سميع بصير قوله تعالى : « **أن الله سميع بصير** »[٧] .

---

(١) الملك : ١٤
(٢) الأنفال : ٧٥
(٣) القصص : ٦٨
(٤) البروج : ١٦
(٥) الملك : ١
(٦) الكهف : ٤٥
(٧) الحج : ٧٥ ، ولقمان : ٢٨

ولأنه تعالى لو لم يكن سميعا بصيرا لكان أصم أعمى وهو نقص ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

١٣ — **الكلام** : وهو صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تدل على كل موجود واجبا أو جائزا ، وعلى كل معدوم محالا أو جائزا ، وليس كلامه تعالى بحرف ولا صوت ، ولا يوصف بجهر ولا سر ولا تقديم ولا تأخير ولا وقف ولا سكوت ولا وصل ولا فصل ، لأن هذا كله من صفات الحوادث ، وهى محالة عليه تعالى ودليله قوله تعالى : **« وكلم الله موسى تكليما »**[1] .

ولأنه تعالى لو كان غير متكلم لكان أبكم ، والبكم نقص محال فى حقه تعالى ، والقرآن والتوراة والانجليل والزبور وباقى الكتب المنزلة تدل على بعض ما يدل عليه الكلام القديم ، قال تعالى : **« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا »**[2] .

وقال : **« ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله »**[3] .

قال فى الدين الخالص : وله تعالى صفات غير ذلك كالجلال والجمال والعزة والعظمة والكبرياء والقوة — وهى غير القدرة — والوجه والنفس والعين واليد والأصابع والقدم والمحبة والرضا والفرح والضحك والغضب والكراهة والعجب والمكر ونحو ذلك مما ورد فى الكتاب والسنة ، فيجب الايمان به بلا كيف ، فنقول : له تعالى يد لا كالأيدى ، ونفوض معرفة ذلك وتفصيله الى الله تعالى ولا نؤول أن يده تعالى قدرته أو نعمته وأمثال ذلك ، لأن فيه ابطال الصفة التى دل عليها الكتاب والسنة ، ولكن نقول يده صفة بلا كيف ، وهكذا . وغضبه ومكره واستهزاؤه غير انتقامه وغير ارادة الانتقام . بل من صفاته بلا كيف وهذا مذهب السلف فى المتشابهات ، وبه نقول .. ثم يقول : هذا ما يلزم اعتقاده ومعرفته تفصيلا من الواجب فى حقه تعالى .

وأما الواجب معرفته اجمالا فهو أن يعتقد المكلف أن الله تعالى متصف بكمالات موجودة تليق به تعالى لا نهاية لها يعلمها الله تعالى تفصيلا ويعلم أنها لا نهاية لها ، لأنه لو انتفى عنه تعالى شىء

---

(١) النساء : ١٦٤ (٢) الكهف : ١٠٩

(٣) لقمان : ٢٧

من الكمال الذى يليق به لكان ناقصا ، والنقص محال فى حقه لاستلزامه الحدوث المحال عليه تعالى •

ويجب الايمان كذلك بأنه يستحيل فى حقه تعالى بالأدلة السابقة ثلاث عشرة صفة مقابلة للصفات الواجبة له تعالى على الترتيب السابق ، وهى : العدم والحدوث — وهو الوجود بعد عدم — والفناء ، ومماثلته تعالى للحوادث — فى الذات — بأن يكون جسما مركبا أو حالا فى مكان أو مخصوصا بزمان أو موصوفا بالكبر أو بالصغر أو يكون له شبيه •

وفى الصفات : بأن تكون حياته كحياة الحوادث وعلمه كعلمهم وهكذا •

وفى الأفعال ، بأن لا يكون مؤثرا فى شىء ، وانما له مجرد الكسب • تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فهو لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ، ولا يحده مقدار ولا تحويه الأقطار ، لقــوله تعــالى : « **ليس كمثله شىء** »[1] •

ومن المستحيل فى حقه تعالى : احتياجه لموجد أو ذات يقوم بها • والتعدد — فى الذات — بأن يكون مركبا يقبل الانقسام أو يكون هناك ذات كذاته •

وفى الصفات : بأن يكون له صفتان من جنس واحد كقدرتين وعلمين ، أو يكون لغيره صفة كصفته •

وفى الأفعال : بأن يكون لغيره تأثير فى شىء من الأشياء بطبعه أو بقوة مودعة فيه • فليست النار محرقة بطبعها ولا بقوة خلقت فيها • وانما الخالق للاحراق هو الله تعالى عند خلقه النار ، ولو شاء خلق النار دون الاحراق لكان ، كما حصل لخليله سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام • وليس المــاء مرويا بطبعه ولا بقوة خلقت فيه وانما الخالق للرى هو الله تعالى عند شرب المــاء ، وليس الملبوس ساترا وواقيا للبرد أو الحر بنفسه ولا بقوة خلقت فيه ، بل الخالق لمــا ذكر هو الله تعالى عند لبس الثياب • فمن يعتقد تأثير شىء من الأسباب فى مسببه بطبعه فهو كافر ، أو بقوة خلقها الله فيه فهو فاسق • ومن اعتقد عدم تأثيرها وأن الله هو المؤثر ولكن يستحيل خلق السبب بدون مسببه أو عكسه فهو مؤمن يخشى عليه انكار معجزات الأنبياء فيكفر ، أو انكار كرامات الأولياء فيفسق •

---

(١) الشورى : ١١

والاعتقاد الصحيح : اعتقاد أن المؤثر فى السبب والمسبب هو الله تعالى مع امكان تخلف أحدهما عن الآخر خرقا للعادة .

ومن المستحيل فى حقه تعالى : الموت وما فى معناه كالنوم والاغماء ، قال الله تعالى : « **الله لا اله الا هو ، الحى القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم** »(١) .

ومنه : الجهل وما فى معناه ، كالظن والشك والوهم والغفلة والذهول والنسيان .

ومنه : وجود شىء من الحوادث بلا ارادته تعالى بأن يكون بطريق الطبع أو العلة ، فلا يقع فى الملك والملكوت قليل أو كثير ، صغير أو كبير ، خير أو شر ، الا بقضائه وقدره .

ومنه : العجز عن ممكن ما ، والصمم وما فى معناه كسمعه الجهر دون السر ، وكاختصاصه بالأصوات دون الذوات وسائر الموجودات .

ومنه : العمى وما فى معناه كالعشا(٢) وهو عدم الابصار ليلا ، والجهر(٣) وهو عدم الابصار نهارا .

ومنه : البكم : وهو الخرس وما فى معناه كالفهاهة والعى والسكوت ، وكون كلامه تعالى بحروف وأصوات .

ثم يقول بعد ذلك فى الدين الخالص :

هذا ما دلت على استحالته فى حق الله تعالى الأدلة التفصيلية ، وهى أدلة الواجب التفصيلى ، ويجب على كل مكلف أن يعتقد بعد ذلك أن الله تعالى منزه عن كل نقص كما أنه متصف بكل كمال .

ثم يقول : ويجوز فى حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه فهو متفضل بالخلق والاختراع والتكليف والانعام والاحسان لا عن وجوب ولا ايجاب ، فلا يجب عليه شىء مما ذكر ، ولا يستحيل عليه تعالى فعل ما يضر عباده ، بل يجوز أن يفعله بهم بطريق العدل ، اذ للمالك أن يتصرف فى ملكه بما يشاء ، فهو الخالق للايمان والطاعة والسعادة والعافية ، وسائر النعم فضلا منه واحسانا كما يشير قوله تعالى : « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** »(٤) .

---

(١) البقرة : ٢٥٥

(٢) بفتحتين مقصورا .

(٣) بفتحتين .

(٤) البقرة : ١٨٥

وقولـــه : ((**وما الله يريد ظلما للعباد**))[١] .

وهو سبحانه الخالق للكفر والمعاصي والشقاوة والأمراض والفقر ونحو ذلك عدلا منه فى مملوكه ، قال تعالى : ((**والله يختص برحمته من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم**))[٢] .

وقـــال : ((**وربك يخلق ما يشاء ويختار**))[٣] .

وقـــال : ((**فعال لما يريد**))[٤] .

وقـــال : ((**من يضلل الله فلا هادى له**))[٥] .

وقـــال : ((**لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون**))[٦] .

فيجوز فى حقه تعالى عقلا تعذيب المطيع عدلا منه لأنه الخالق للطاعة مع تنزهه عن الانتفاع بها ، وانما ينتفع بها العبد الذى وفقه الله لكسبها ، واثابة العاصى فضلا منه لأنه الخالق للمعصية مع تنزهه عن التضرر بها ، وانما يتضرر بها من خذله الله باكتسابها عدلا منه ، قـــال تعـــالى : ((**ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا**))[٧] .

وقـــال : ((**من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد**))[٨] .

وقـــال : ((**ان يشـــأ يذهبكم ويأت بخلق جديد . وما ذلك على الله بعزيز**))[٩] .

ثم يقول : ومن الجائز انزال الكتب وارسال الرسل مبينين للناس ما نزل اليهم مبشرين الطائعين بالجنة والنعيـــم المقيـــم ، ومنذرين العاصين بالنار والعذاب الأليم ، ... الى أن يقول :

ومما تقدم تعلم أنه يجب على كل مكلف أن يعتقد أن الله تعالى متصف بصـــفات الجلال والكمال التى تليق بعظمته تعالى الواردة فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، وأنه تعالى منزه عن كل نقص ، وعن مشابهة الحوادث ، تعالى الله عن ذلك .



---

(١) غافر : ٣١
(٢) البقرة : ١٠٥
(٣) القصص : ٦٨
(٤) هود : ١٠٧
(٥) الأعراف : ١٨٦
(٦) الأنبياء : ٢٣
(٧) الكهف : ٤٩
(٨) فصلت : ٤٦
(٩) فاطر : ١٦ ، ١٧

هذا .. واذا كنت قد بدأت بهذا قبل التركيز على موضوع الاستقامة التى يوصينا بها الرسول صلى الله عليــه وسلم ــ فى الحديث الذى ندور حوله ــ فلأنه[1] هو الأساس الذى لابد وأن يسبق موضوع الاستقامة ، والذى على أساسه تستطيع أن تقول ربى الله ، أو أن تقول آمنت بالله على أساس من العلم والمعرفة ، كما يشير قول الله تعــالى : **« ان الذين قالوا ربنـــا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة »**[2] . أى عند الموت تبشرهم بقوله تعــالى : **« ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون »**[3] . وفى التفسير أنهم اذا بشروا بالجنة ، قالــوا : وأولادنا ماذا يأكلون وما حالهم بعدنا ؟ فيقال لهم : **« نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيــا وفى الآخرة »**[4] . وكما يشــير الحديث الصحيح الذى رواه مسلم ، والذى جاء فى نصه :

عن أبى عمرو ــ وقيل أبى عمرة ــ سفيان بن عبد الله رضى الله عنه ، قال : قلت يا رسول الله .. قل لى فى الاسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك ، قال : «قل : آمنت بالله ثم استقم » .

أى : استقم كما أمرت ونهيت ، لأن الاستقامة معناها : ملازمة الطريق بفعل الواجبات وترك المنهيات ، كما يشير قول الله تعالى لنبيه ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه ، ومن تاب معه :

« فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا ، أنه بما تعملون بصــير »[5] .

فقد قال فى « ظلال القرآن » كلاما عظيما ، جاء فى مضمونه ، ما يلى :

هذا الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن تاب معــه : **« فاستقم كما أمرت »** .. أحس ــ عليه الصلاة والسلام ــ برهبته وقوته ، حتى روى عنه أنه قال مشيرا اليه : « شيبتنى هود .. » . فالاستقامة : الاعتدال والمضى على المنهج دون انحراف ، وهو فى حاجة الى اليقظة الدائمة ، والتدبر الدائم ، والتحرى الدائم لحدود الطريق ، وضبط الانفعالات البشرية التى تميل الاتجاه قليلا أو كثيرا .. ومن ثم فهى شغل دائم فى كل حركة من حركات الحياة .

---

(١) أى الايمان بالله تعالى على الأساس الذى وقفنا عليه .

(٢) فصلت : ٣٠ (٣) فصلت : ٣٠

(٤) فصلت : ٣١ (٥) هود : ١١٢

ثم يقول : وانه لما يستحق الانتباه هنا أن النهى الذى أعقب الأمر بالاستقامة ، لم يكن نهيا عن القصور والتقصير ، انما كان نهيا عن الطغيان والمجاوزة .. وذلك أن الأمر بالاستقامة وما يتبعه فى الضمير من يقظة وتحرج قد ينتهى الى الغلو والمبالغة التى تحول هـذا الدين من يسر الى عسر ، والله يريد دينه كما أنزله ، ويريد الاستقامة على ما أمر دون افراط ولا غلو ، فالافراط والغلو يخرجان هذا الدين عن طبيعته كالتفريط والتقصير ، وهى التفاتة ذات قيمة كبيرة ، لامساك النفوس على الصراط ، بلا انحراف الى الغلو أو الاهمال على السواء .

وهذا الكلام الأخير الذى وقفنا عليه ، هو المراد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى نص الوصية : « ولن تحصوا » أى فلن تستطيعوا احصاء ذلك ولا بلوغ نهايته .

ولهذا ، فقد ورد النهى والترهيب من الغلو ـ وهو مجاوزة الحد ـ حتى بالنسبة للوضوء :

فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ـ عبد الله بن عمرو ـ قال : جاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم يسأله عن الوضوء ، فأراه ثلاثا ثلاثا وقال : « هـذا الوضوء[١] ، من زاد على هـذا فقد أساء وتعدى وظلم » أخرجه أحمد والنسائى ، وابن ماجه وابن خزيمة من طرق صحيحة ، وصححه ابن خزيمة وغيره ، وأخرجه أبو داوود بلفظ : « فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم » .

ففيه : دلالة على أن الزيادة فى الغسل عن الثـلاث اعتداء وفاعله مسىء بتركه المطلوب ، ومتعد حد السنة ، وظالم بوضع الشىء فى غير موضعه ولا خلاف فى كراهته .

وقس على ذلك جميع العبادات التى فرضها الله تعـالى عليك ، والتى أمر الله تعـالى بأدائها بكل يسر ، كما يشير قوله تعـالى : **« طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى »**[٢] .

وقولـه : **« .. يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »**[٣] .

وقد ورد فى السنة كذلك ما يرغب فى هـذا ، ويرهب من عكسه وهو الغلو :

---

(١) أى هذا هو الوضوء المشروع .

(٢) طه : ١ ، ٢ (٣) البقرة : ١٨٥

فعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم « دخل عليها وعندها امرأة ، قال : من هـذه ؟ قالت : هذه فلانة تذكر من صلاتها ، قال : مه[١] عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا . وكان أحب الدين اليه ما داوم صاحبه عليه » متفق عليه .

ومه : كلمة نهى وزجر ، ومعنى لا يمل الله ، أى : لا يقطع ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم ويعاملكم معاملة المـال حتى تملوا فتتركوا ، فينبغى لكم أن تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه ليدوم ثوابه لكم وفضله عليكم .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال : « جاء ثلاثة رهط[٢] الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، وقالوا : أين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « هلك المتنطعون » ــ قالها ثلاثا ــ رواه مسلم .

المتنطعون : أى المتعمقون المشددون فى غير موضع التشديد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان الدين يسر ولن يشاد الدين الا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة » رواه البخارى ، وفى روايه له : « سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشىء من الدلجة ، القصد القصد تبلغوا » .

قوله : « الدين » هو مرفـوع على ما لم يسم فاعله ، وروى منصوبا ، وروى : لن يشاد الدين ــ بالفتح ــ أحد ، وقوله صلى الله عليه وسلم : الا غلبه ، أى : غلبه الدين وعجز ذلك المشـاد عن مقاومة الدين لكثرة طرقه ، والغدوة سير أول النهار ، والروحة آخر النهار ،

---

(١) « مه » مبنى على السكون اسم لفعل الأمر معناه : اكفف .

(٢) الرهط : ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة .

والدلجة آخر الليل ، وهذا استعارة وتمثيل ومعناه استعينوا على طاعة الله عز وجل بالأعمال فى وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم بحيث تستلذون العبادة ولا تسأمون وتبلغون مقصودكم ، كما أن المسافر الحاذق[1] يسير فى هذه الأوقات ويستريح هو ودابته فى غيرها فيصل المقصود بغير تعب ، والله أعلم .

فليذكر الأخ المسلم كل هـذا ، وليتق الله فى نفسـه ، وأهله ، وكل عضو من أعضاء جسده ، فقد ورد فى الحديث الصحيح :

« ان لجسدك عليك حقا ، وان لعينك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لزورك عليك حقا .. » .

وذلك كذلك حتى لا يسب نفسه ، فعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه » متفق عليه .



واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال بعد ذلك فى نص الوصية ــ التى ندور حولها ــ : « واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة » :

فانه بهذا صلوات الله وسلامه عليه : يلفت قلوبنا الى أهمية الصلاة ودرجتها بالنسبة لبقية العبادات المفروضة عينا ، وذلك حتى نكون على علم بهذا ، وحتى نكون كذلك فى نفس الوقت من المحافظين عليها ، وفى أوقاتها ، كما أمرنا الله تعالى فى قوله : **« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين »**[2] .

فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين فى هذه الآية الكريمة بالمحافظة على الصلوات الخمس بوجه عام ، وعلى الصلاة الوسطى بوجه خاص .

وذلك لأن الصلوات الخمس بصفة عامة ، كما جاء فى نص الوصية ، هى أحب الأعمال الى الله تبارك وتعـالى ، بل هى خير موضوع[3] ، أى : خير شىء وضعه الشارع .

---

(١) الحاذق : اى المـاهر .   (٢) البقرة : ٢٣٨

(٣) كما جاء فى نص حديث أخرجه ابن حبان والحاكم ، ونصه : « الصلاة خير موضوع ، فمن شاء استكثر ومن شاء استقل » .

ولهذا فهى فى نظر الاسلام — بالاضافة الى أنها الركن الثانى من أركانه — هى الحد الفاصل بين المسلم والكافر ، والبار والفاجر ، وهى منه بمنزلة الرأس من الجسد ، فمن أداها كما ينبغى ، فهو مسلم بار ، ومن تركها فهو كافر فاجر .

فقد روى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له ، انما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد » .

ومن أجل ذلك وحتى نحافظ على الصلاة ، أو على ديننا[1] ، فاننى أرى — والشىء بالشىء يذكر — أن أذكر الأخ المسلم والأخت المسلمة بالأحكام الفقهية المتعلقة بترك الصلاة :

فقد قال الفقهاء[2] : من ترك الصلاة ، وهو منكر لفرضيتها ، غير معترف بوجوبها ، فهو كافر ، مرتد عن الاسلام ، لا تجرى عليه الأحكام الشرعية ، وليس له من الحقوق ما للمسلمين .

فلا يرث ولا يورث ، ولا يصح — ان كان رجلا — أن يتزوج بمسلمة ، وان كانت امرأة ، فلا يصح أن يتزوجها مسلم ، واذا مات لا يغسل ، ولا يكفن ، ولا يصلى عليه ، ولا يدفن فى مقابر المسلمين .

وعلى الحاكم أن يأمره بها ، فان صلى فبها ونعمت ، والا : قتله كفرا .

والأحاديث المصرحة بكفر تارك الصلاة كثيرة ، منها :

ما رواه جابر بن عبد الله رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » رواه مسلم .

وعن بريدة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » رواه أحمد .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما ، فقال : « من حافظ عليها كانت له نورا ، وبرهانا ، ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها : لم يكن له نور ، ولا برهان ،

---

(١) كما أشار حديث ابن عمر .
(٢) كما جاء ملخصا فى كتاب الفقه الواضح .

ولا نجـاة ، وكان يوم القيامة مع قارون ، وفرعون ، وهامـان ، وأبى بن خلف » • رواه أحمـد ، وقال معلقا عليه : من تركها بسبب الرياسة حشر مع فرعون ، ومن تركها بسبب السياسة : حشر مع هامان[1] ، ومن تركها بسبب جمع المـال : حشر مع قارون ، ومن تركها من أجل الجدال والخصام : حشر مع أبى ابن خلف[2] • أ • هـ •

وقد اختلف الفقهاء فيمن ترك الصلاة كسلا ، وهو معترف بوجوبها :

فقال الحنابلة : هو كافر •

وقال الجمهور : هو فاسق •

واستدل الحنابلة بالأحاديث المتقدمة ، فجعلوها عامة ، فى من تركها مطلقا •

وقد حمل الجمهور هذه الأحاديث على من تركها منكرا لفرضيتها ، واستدلوا على ذلك بعموم قوله تعالى : **« أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشـاء »**[3] •

وتارك الصلاة تكاسلا ليس مشركا ، وبالتالى فهو متعرض لرحمة الله عز وجل •

لكن مع حكم الجمهور عليه بالفسق — دون الكفر — يرون أن الحاكم يجب عليـه أن يحمله على الصلاة بمختلف الوسائل ، حتى يقيمها ، فقال الحنفية : يجب على الحـاكم أن يجلسه ويضربه حتى يصلى ، وقال المـالكية والشافعية وجماعة من الفقهاء : يجب على الحاكم أن يمهله ثلاثة أيام ، فان صلى فبها •• ، والا قتـله حـدا ، لا كفرا •

والفرق بين من قتل كفرا ، ومن قتل حدا ، أن الأول : لا تجرى عليه الأحكام الشرعية ، فلا يغسـل ، ولا يكفن ، ولا يصلى عليه ، ولا يدفن فى مقابر المسلمين •

وأن الثانى : تجرى عليه الأحكام الشرعية : فيغسل ، ويكفن ، ويصـلى عليه ، ويدفن فى مقابر المسلمين ، والله أعلم •

وأما عن الصلاة الوسطى التى أمرنا الله تعالى بالمحافظة عليهـا بصفة خاصة كما جاء فى نص الآية ، وهى : **« حافظوا •• »** :

---

(١) لأن هامان كان وزيرا لفرعون يدبر شئون الملك •

(٢) لأنه كان يجادل الرسول صلى الله عليه وسلم كثيرا فى شأن البعث والحياة بعد الموت •

(٣) النساء : ٤٨

فقد اختلف الفقهاء فى تعيينها على عشرة أقوال ، أو أكثر ، فقال جماعة : هى صلاة الصبح ، لما فيها من المشقة ، ولأنها صلاة تثقل على كثير من الناس ، وممن قال بهذا : عمر بن الخطاب ، ومعاذ بن جبل ، وابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، ومالك ، والشافعى ، رضى الله عنهم .

وقال جمع غفير من الفقهاء والمحدثين : هى صلاة العصر ، وقد رجح كثير من المحققين هذا الرأى الأخير ، لورود الأحاديث الصحيحة الصريحة بذلك .

فقد روى مسلم وأحمد وأبو داوود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب : « حبسونا عن الصلاة الوسطى ، صلاة العصر ، ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا » .

وروى ابن جرير من حديث أبى هريرة مرفوعا : « الصلاة الوسطى صلاة العصر » .

ولما كان أشهر الأقوال كما عرفت هو أن الصلاة الوسطى هى الصبح أو العصر ، فقد ورد الترغيب فى هذين الوقتين :

فعن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « من صلى البردين[1] دخل الجنة » رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى زهيرة عمارة بن رويبة رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس ، وقبل غروبها » يعنى الفجر والعصر ، رواه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تجتمع ملائكة الليل ، وملائكة النهار فى صلاة الفجر ، وصلاة العصر ، فيجتمعون فى صلاة الفجر ، فتصعد ملائكة الليل ، وتثبت ملائكة النهار ، ويجتمعون فى صلاة العصر ، فتصعد ملائكة النهار ، وتبيت ملائكة الليل ، فيسألهم ربهم : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون ، فاغفر لهم يوم الدين » رواه ابن خزيمة ، والبخارى ومسلم بنحوه .

فليذكر الأخ المسلم كل هذا ، وليكن من المحافظين على الصلوات والصلاة الوسطى ، وحسبه ترغيبا له فى كل هذا ، هذه الأحاديث الشريفة :

---

(١) يعنى صلاة الصبح والعصر .

عن حنظلة الكاتب رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من حافظ على الصلوات الخمس ركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وعلم أنهن حق من عند الله دخل الجنة — أو قال : وجبت له الجنة — أو قال : حرم على النار » رواه أحمد باسناد جيد .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى العمل أحب الى الله تعالى ؟ قال : « الصلاة على وقتها » قلت : ثم أى ؟ قال : « بر الوالدين » قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » قال : حدثنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادنى ، رواه البخارى ومسلم .

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى الصلوات لوقتها وأسبغ لها وضوءها وأتم لها قيامها وخشوعها وركوعها وسجودها خرجت وهى بيضاء مسفرة[1] تقول : حفظك الله كما حفظتنى ، ومن صلاها لغير وقتها ولم يسبغ لها وضوءها ولم يتم لها خشوعها ولا ركوعها ولا سجودها خرجت وهى سوداء مظلمة تقول : ضيعك الله كما ضيعتنى ، حتى اذا كانت حيث شاءت لفت كما يلف الثوب الخلق[2] ثم ضرب بها وجهه » رواه الطبرانى فى الأوسط .

وهذا الحديث الأخير يحذرنا من أمر خطير ، أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى كثير من الأحاديث التى منها :

ما ورد عن أبى قتادة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته ، قالوا : يا رسول الله كيف يسرق من الصلاة ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها ، أو قال : لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود » رواه أحمد والحاكم .

وعن أبى عبد الله الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده وهو يصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو مات هذا على حالته هذه مات على غير ملة محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال رسول الله صلى الله

---

(١) من أسفر الصبح : أى أضاء .
(٢) بفتح اللام : أى البالى .

عليه وسلم : مثل الذى لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئا » رواه الطبرانى فى الكبير .

وعن أبى مسعود البدرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجزىء صلاة الرجل حتى يقيم ظهره فى الركوع والسجود » رواه أحمد وأبو داوود واللفظ له .

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ هذا ، حتى يكون خاشعا فى صلاته ومطمئنا في كوعه وسجوده ، وليكن حريصا كذلك على صلاة الجماعة فى المساجد :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل فى جماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه اذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة : لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة ، فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه ما لم يحدث[1] : اللهم صل عليه اللهم ارحمه[2] ، ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة » رواه الشيخان .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ[3] بسبع وعشرين درجة » رواه البخارى ومسلم .

* * *

وأما عن آخر عنصر فى تلك الوصية ، وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « .. ولن يحافظ على الوضوء الا مؤمن » .

فان المراد به كما هو واضح في مضمونه : أن المؤمن هو الذى يحافظ على وضوئه ، بمعنى أنه يجدد وضوءه كلما انتقض ، مع الاسباغ والاحسان ، وهذا من المندوبات .

ولما كان كل هذا يحتاج الى توضيح ، فانني أرى واتماما للفائدة أن أذكر الأخ المسلم أولا بالمواضع التى يندب الوضوء فيها وذلك حتى يكون على علم بها ، وحتى يعرف الفرق بين المفروض والمسنون ، فاليه[4] :

---

(١) اى ما لم ينتقض وضوءه . (٢) هذا بيان لصلاة الملائكة .

(٣) الفذ : اى المنفرد .

(٤) كما جاء فى الدين الخالص ج ١ مختصرا وبتصرف .

١ ــ **الوضوء لكل صلاة** : فقد اتفق العلماء على أنه يندب تجديد الوضوء لكل صلاة لقول أنس : « كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يتوضأ عند كل صلاة ، قيل له : فأنتم كيف تصنعون ؟ قال : كنا نصلى الصلوات بوضوء واحد ما لم نحدث » أخرجه الجماعة[١] الا مسلما ، وقال الترمذى : حسن صحيح •

وعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات »[٢] أخرجه أبو داوود والترمذى وابن ماجه بسند ضعيف[٣] •

وانما يندب تجديده عند الحنفيين اذا صلى بالأول أو تبدل المجلس • وعند المالكية اذا صلى بالأول أو طاف • وعند الشافعية اذا صلى بالأول غير سنة الوضوء • ففى الحديثين دليل على استحباب الوضوء لكل صلاة ، وعليه يحمل حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم عند كل صلاة بوضوء ومع كل وضوء بسواك » أخرجه أحمد والنسائى بسند صحيح •

٢ ــ **الوضوء لذكر الله تعالى** : فقد أجمع المسلمون على أنه يجوز للمحدث أن يذكر الله تعالى بكل أنواع الذكر ، ما عدا القرآن للمحدث حدثا أكبر ، وفى كل الأماكن والأحوال ما عدا محل القاذورات وحال الجماع ، فانه يكره فيهما ، وأصل ذلك قول عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الله على كل أحيانه • أخرجه أحمد ومسلم وأبو داوود وابن ماجه والترمذى وحسنه ، وقال فى العلل : سألت عنه البخارى فقال صحيح •

وقال على رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج من الخلاء فيقرئنا القرآن ويأكل معنا اللحم ولم يكن يحجزه عن القرآن شىء ليس الجنابة • أخرجه أحمد وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه وصححه الترمذى وابن السكن •

---

(١) وهم : مالك وأحمد والبخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٢) أى كتب الله له به ثواب عشر وضوءات فان من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها . وقد وعد الله بالمضاعفة الى سبعمائة ضعف .

(٣) انظر ص ٦٣ ج ١ تحفة الأحوذى .

واتفقوا على أنه يندب الوضوء لذكر الله تعالى ، لحديث محمد ابن جعفر : أنه سئل عن رجل يسلم عليه وهو غير متوضىء ، فقال : حدثنى سعيد بن أبى عروبة عن قتادة بن دعامة عن الحسن البصرى عن الحضين بن المنذر عن المهاجر بن قنفذ : أنه سلم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو يتوضأ فلم يرد عليه حتى توضأ فرد عليه وقال : « انه لم يمنعنى أن أرد عليك الا أنى كرهت أن أذكر الله الا على طهارة » ••

قال قتادة : فكان الحسن من أجل هذا يكره أن يقرأ أو يذكر الله عز وجل حتى يتطهر • أخرجه أحمد وابن ماجه وكذا أبو داوود والنسائى بلفظ : « وهو يبول » بدل « وهو يتوضأ » •

وقال أبو جهيم بن الحارث : أقبل النبى صلى الله عليه وآله وسلم من نحو بئر جمل[1] فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد عليه حتى أقبل على جدار فمسح بوجهه ويديه[2] ثم رد عليه السلام • أخرجه أحمد والشيخان والنسائى وأبو داوود •

٣ — **الوضوء لتناول ما مسته النار** : فقد قال الأئمة الأربعة والجمهور : لا ينتقض الوضوء بتناول ما مسته النار • وعليه أجمع العلماء بعد الصدر الأول ، لقول ميمونة : أكل النبى صلى الله عليه وسلم من كتف شاة ثم قام فصلى ولم يتوضأ • أخرجه أحمد والشيخان •

وقال عمرو بن أمية الضمرى : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يأكل يحتز من كتف شاة فأكل منها ، فدعى الى الصلاة فقام وطرح السكين[3] وصلى ولم يتوضأ • أخرجه أحمد والشيخان •

وقال جابر : كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما غيرت النار • أخرجه أبو داوود والنسائى وصححه ابن خزيمة وابن حبان والنووى •

---

(١) « جمل » بفتحتين ، وفى رواية بئر الجمل وهو موضع قرب المدينة . (٢) أى تيمم صلوات الله وسلامه عليه .

(٣) فى الحديث جواز قطع اللحم بالسكين ، وذلك عند الحاجة اليه لصلابة اللحم أو كبر القطعة ، قالوا : ويكره من غير حاجة . انظر ص ٤٥ ج ٤ صحيح مسم بشرح النووى .

هذا .. وقد اتفق الأئمة الأربعة والجمهور على أنه يندب الوضوء مما مست النار ، وعليه تحمل الأحاديث الواردة بالأمر بالوضوء منه جمعا بين الآحاديث ، كحديث ابراهيم بن عبد الله بن قارظ قال : مررت بأبى هريرة وهو يتوضأ فقال : أتدرى مم أتوضأ ؟ .. من أثوار أقط[١] أكلتها ، لأنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « توضأوا مما مست النار » أخرجه أحمد ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وحديث أبى موسى الأشعرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « توضأوا مما غيرت النار لونه » أخرجه أحمد والطبرانى فى الأوسط بسند رجاله ثقات .

٤ — **الوضوء للنوم** : فانه يستحب عند الأئمة الأربعة والجمهور لمن أراد النوم أن ينام على طهارة كاملة ، لحديث البراء بن عازب أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم أسلمت نفسى اليك ، ووجهت وجهى اليك ، وفوضت أمرى اليك ، وألجأت ظهرى اليك ، رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك . اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت ، ونبيك الذى أرسلت . فان مت من ليلتك فأنت على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تتكلم به » . قال : فرددتها على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما بلغت : اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت ، قلت : ورسولك ... قال : « لا .. ونبيك الذى أرسلت » .

أخرجه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

والحديث وان كان خطابا للبراء ، فالمراد منه العموم فيشمل جميع المكلفين . فقد قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ وضوءه للصلاة . أخرجه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وعن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم سئل : أينام أحدنا وهو جنب ؟ قال : نعم .. ويتوضأ ان شاء . أخرجه ابن خزيمة وابن حبان .

---

(١) الأثوار بالثاء المثلثة جمع ثور وهو القطعة من الأقط ، بفتح فكسر وقد تسكن القاف : وهو لبن مخيض يطبخ ثم يترك حتى يجمد .

٥ ــ **وضوء الجنب للأكل أو للشرب :** فقد قالت الشافعية وجماعة : يستحب للجنب الوضوء اذا أراد أن يأكل أو يشرب ، لقول عائشة : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان جنبا فأراد أن يأكل أو ينام توضأ • أخرجه أحمد ومسلم •

وعن عمار بن ياسر أن النبى صلى الله عليــه وآله وسلم رخص للجنب اذا أراد أن يأكل أو يشرب أو ينام أن يتوضأ وضوءه للصلاة • أخرجه أحمد وأبو داوود والترمذي وصححه •

ولذا •• يكره للجنب النوم والأكل والشرب والجماع قبل الوضوء الكامل • ولا يستحب هذا الوضوء للحائض والنفساء لأنه لا يؤثر فى حدثهما ولا يصح الوضوء مع استمراره • أما اذا انقطع حيضها فتصير كالجنب يستحب لها الوضوء فى هذه المواضع(١) •

وقال الحنفيون ومالك وأحمد : لا يستحب للجنب الوضوء اذا أراد أن يأكل أو يشب وانما يغسل يديه فقط ، لقول عائشة : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم اذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه للصلاة ، واذا أراد أن يأكل أو يشرب غسل يديه ، ثم يأكل أو يشرب • أخرجه أحمد والنسائى وهو حديث صحيح رجاله ثقات •

وقالت : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم اذا أراد أن يأكل وهو جنب غسل يديه • أخرجه أبو داوود والطحاوى •

وقال سعيد بن المسيب : اذا أراد الجنب أن يأكل غسل يديه ومضمض فاه •

وأجابوا عن حديث عمار بأن فيه الترخيص بالوضوء للجنب اذا أراد الأكل ، وهو لا يفيد الاستحباب ، ويمكن الجمع بين الروايات بأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان تارة يتوضأ وضوءه للصلاة وتارة يقتصر على غسل اليدين ، ولا يخفى حسن التأسى بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم •

٦ ــ **الضوء لمعاودة الجماع :** قال الحنفيون والشافعى وأحمد والجمهور : يستحب لمن جامع أهله وأراد المعاودة أن يتوضأ ، لحديث أبى سعيد أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « اذا أتى أحدكم

---

(١) انظر ص ١٥٦ ج ٢ مجموع للنووى •

أهله[١] ثم أراد أن يعود فليتوضأ » أخرجه أحمد ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه ، وكذا ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وزادوا : « فانه أنشط للعود » وفى رواية للبيهقى وابن خزيمة : « فليتوضأ وضوءه للصلاة » .

والأمر عند الجمهور محمول على الاستحباب ، لقول عائشة : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يجامع ثم يعود ولا يتوضأ . أخرجه الطحاوى .

وقولها : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان له حاجة الى أهله آتاهم ثم يعود ولا يمس ماء . أخرجه أحمد .

وقالت الظاهرية وابن حبيب : يجب الوضوء على المعاود ابقاء للأمر على ظاهره . لكن قد علمت أنه محمول على الاستحباب ، وحمله أبو يوسف على الاباحة ، وحمله المالكية على الوضوء اللغوى وهو غسل الفرج ، والأظهر قول الجمهور .

٧ – **الوضوء قبل الغسل** : فقد اتفق العلماء على أنه يستحب الوضوء قبل الغسل ولو مسنونا ، غير أن الأفضل عند الحنفيين اكماله ان كان يغتسل فى محل لا يجتمع فيه المـاء بأن كان يغتسل على مرتفع أو بالوعة ، وعليه يحمل قول عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة . أخرجه مالك وأحمد والبخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وان كان يغتسل فى مكان يجتمع فيه المـاء كطشت فالأفضل تأخير غسل القدمين وعليه يحمل قول ميمونة : سترت النبى صلى الله عليه وآله وسلم وهو يغتسل من الجنابة فغسل يديه ثم صب بيمينه على شماله فغسل فرجه وما أصابه ثم مسح بيده على الحائط أو الأرض ثم توضأ وضوءه للصلاة غير رجليه ثم أفاض عليه المـاء ثم نحى رجليه فغسلهما . أخرجه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه والبيهقى .

وقال مالك : الأفضل تقديم غسل الرجلين الا اذا كان المكان غير نظيف فالأفضل التأخير ، وقالت الشافعية والحنابلة : الأفضل تتميم

---

(١) أى اذا جامع أحدكم زوجته ثم أراد بعد ذلك أن يجامعها مرة أخرى .

الوضوء على الأصح المختار عندهم عملا بظاهر الروايات المستفيضة عن عائشة فى تقديم وضوء الصلاة فان ظاهره كمال الوضوء • والأمر فى هذا واسع فانه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقدم غسل رجليه تارة ويؤخره أخرى •

٨ — **الوضوء من حمل الميت** : فقد قال الحنفيون والشافعى وأحمد : يندب الوضوء من حمل الميت • وقال ابن حزم بوجوبه ، لحديث عمرو ابن عمير عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « من غسل ميتا فليغتسل ، ومن حمله فليتوضأ » أخرجه أحمد وأبو داوود والترمذى والنسائى والبيهقى • وقال : عمرو بن عمير انما يعرف بهذا الحديث وليس بالمشهور • وأخرجه عن صالح مولى ابن التوءمة عن أبى هريرة • وقال : صالح مولى ابن التوءمة : ليس بالقوى ، والروايات المرفوعة فى هذا الباب عن أبى هريرة غير قوية لجهالة بعض رواتها وضعف بعضهم • والصحيح عن أبى هريرة من قوله موقوفا •

ولذا قال المزنى : الوضوء من مس الميت وحمله غير مشروع لأنه لم يصح فيهما شىء •

ورد : بأن الحديث قد روى من عدة طرق يقوى بعضها بعضا ، ولذا حسنه الترمذى وصححه ابن حبان وابن حزم ورواه الدارقطنى بسند رواته موثقون ، فانكار النووى تحسينه معترض ، قال الذهبى : هو أقوى من عدة أحاديث احتج بها الفقهاء •

٩ — **الوضوء للغضب** : فقد قال الأئمة الأربعة والجمهور : يستحب الوضوء للغضب ، لحديث عطية العوفى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار ، وانما تطفأ النار بالماء : فاذا غضب أحدكم فليتوضأ » أخرجه أحمد وأبو داوود •

وقال الحنفيون : ولو كان متوضئا واشتد غضبه ندب له الغسل •

١٠ — **الوضوء للخروج من خلاف العلماء** : يندب للحنفى أن يتوضأ اذا لمس امرأة أو مس ذكره أو أكل لحم جزور وغير ذلك مما ينقض الوضوء عند بعض العلماء ويندب للمالكى وغيره أن يتوضأ من القىء وخروج نجس من غير السبيلين ، وقهقهة فى الصلاة وغير ذلك مما ينقض الوضوء عند غيرهم •

* * *

واتماما للفائدة ، وحتى يتضح لك هذا ، اليك كذلك :

نواقض الوضوء عند الأئمة الأربعة

(أ) عند الحنفيين سبعة : كل ما خرج من أحد السبيلين حال الصحة • وكل نجس خرج من البدن ان سال الى مكان يلزم تطهيره • والقيء ملء الفم • والنوم مضطجعا أو متكئا أو مستندا الى ما لو أزيل لسقط • وغلبة العقل بالاغماء أو الجنون أو السكر • وقهقهة بالغ يقظان فى صلاة ذات ركوع وسجود • ومباشرة فاحشة •

(ب) وعند المالكية نواقضه ستة : الخارج المعتاد من أحد السبيلين حال الصحة ومن الريح والهادى[1] على المعتمد • وغيبة العقل بجنون أو اغماء أو سكر أو نوم ثقيل • ولمس مشتهاة ان قصد اللذة أو وجدها[2] • ومس الذكر[3] بشرطه • والشك فى الحدث أو سببه • والردة •

(ج) وعند الشافعية نواقضه أربعة : كل ما خرج من أحد السبيلين الا المنى[4] • وغلبة العقل بجنون أو اغماء أو سكر أو صرع أو نوم لم تتمكن فيه المقعدة • ولمس رجل يشتهى امرأة أجنبية تشتهى بلا حائل • ومس قبل أو دبر آدمى بلا حائل •

(د) وعند الحنابلة نواقضه ثمانية : كل ما خرج من أحد السبيلين • وكل نجس كثير خرج من سائر الجسد • وغلبة العقل — بجنون أو اغماء أو سكر أو صرع أو نوم لم تتمكن فيه المقعدة — ومس فرجه أو فرج آدمى بلا حائل • ولمس ذكر أو أنثى بشرة الآخر — ان كان اللمس بشهوة والا فلا — والردة • وأكل لحم الابل • وتغسيل الميت على ما تقدم بيانه •



---

(١) وهو ماء أبيض يخرج قرب الولادة .

(٢) واللامس والملموس عند مالك فى ذلك سواء .

(٣) المس الناقض عندهم يكون بباطن الكف أو جنبه أو بباطن الأصابع أو بجنبها أو برؤوسها . لا بظهر ولا بظهر كف ، ولا ذراع .

(٤) لأن خروج المنى يوجب الغسل .

هذا .. مع ملاحظة أن الوضوء ـ بصفة عامة[1] ـ يكفر الذنوب ، ويمحو الخطايا ، ويضاعف الأجر ، ويرفع الدرجات . وهو سلاح المؤمن ، يدفع به عن نفسه هواجس النفس ، ووساوس الشيطان . ويشعر المؤمن وهو متوضىء براحة نفسية ، وانشراح فى صدره ، ونشاط فى بدنه لا يجده وهو على غير وضوء .

كما أن الوضوء يطفىء جزوة الغضب ، ويسطع نوره على وجه المؤمن ، وقد ورد فى فضله أحاديث كثيرة منها :

ما رواه عبد الله الصناجي[2] رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا توضأ العبد فتمضمض : خرجت الخطايا من فيه ، فاذا استنثر : خرجت الخطايا من أنفه ، فاذا غسل وجهه : خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار[3] عينيه ، فاذا غسل يديه : خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه ، فاذا مسح رأسه : خرجت الخطـايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه ، فاذا غسل رجليه : خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفـار رجليه . ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له »[4] أخرجه مالك وأحمد والنسائى والحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وليس له عـلة .

والمراد بالخطايا ـ المشار اليها فى الحديث ـ الذنوب الصغائر ، أما الكبائر فلا تكفرها الا التوبة .

وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه : خرجت من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينه مع المـاء أو مع آخر قطر المـاء . فاذا غسل يديه : خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع المـاء أو مع آخر قطـر المـاء . فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع المـاء أو مع آخر قطر المـاء حتى يخرج نقيـا من الذنوب » أخرجه مالك وأحمد ومسلم والترمذى وقال : حسن صحيح .

---

(١) كما يقول صاحب كتاب « الفقه الواضح » ج ١ ص ٥٢ أكرمه الله .. وهو فضيلة الشيخ محمد بكر اسماعيل .

(٢) بضم الصاد وكسر الباء : نسبة الى صنابح ، بطن من مراد .

(٣) الأشفار : جمع شفر بضم فسكون : أصل منبت الشعر فى الجفن .

(٤) أى زائدة فى الآجر .

وعن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويزيد به فى الحسنات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : اسباغ الوضوء على المكاره[1] ، وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة » أخرجه أحمد وابن حبان .

وفى رواية أخرى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : اسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط »[2] رواه الترمذي ومسلم .

ومعنى ذلك أن المواظبة على الطهارة ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة يعدل الجهاد فى سبيل الله .

* * *

فليذكر الأخ المسلم كل هذا ، حتى يكون محافظا على الوضوء ، وحتى يكون بتلك المحافظة على الوضوء من المؤمنين حقا ، والله أسأل أن يوفقنى واياه للوفاء بهذا ، فهو سبحانه ولى التوفيق .. آمين .

* * *

---

(١) أى اتمامه على المكاره ، أى على الرغم من وجود ما يكره استعمال الماء كالبرد وغيره .

(٢) الرباط معناه المرابطة للجهاد فى سبيل الله .

الوصية الرابعة والأربعون

عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

« تسوكوا فان السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب ، ما جاءنى جبريل الا أوصانى بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض على وعلى أمتى ، ولولا انى أخاف أن أشق على أمتى لفرضته عليهم ، وانى لأستاك حتى خشيت أن أحفى مقادم فمى »[1] ..

(رواه ابن ماجه)



فكن أخا الاسـلام :

منتفعا بهـذه الوصـية العظيمة التى تشير الى فضل استعمال السواك الذى هو من سنن الفطرة :

فقد ورد عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « عشر من الفطرة : قص الشارب ، واعفاء اللحية ، والسواك ، والاستنشاق بالمـاء ، وقص الأظافر ، وغسل البراجم[2] ، ونتف الابط ، وحلق العانة ، وانتقاص المـاء[3] ، والمضمضة » . أخرجه أحمد ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه ، وحسنه الترمذى .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، فى قوله تعـالى : **« واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات »**[4] قال : « ابتلاه بالطهارة ، خمس فى الرأس ،

---

(١) أن أحفى مقادم فمى : أحفى من الاحفاء وهو الاستئصال ومقادم الفم هى الأسنان المتقدمة ، والمراد : أى خشيت أن أذهبها من كثرة استعمال السواك .

(٢) البراجم بفتح الموحدة وكسر الجيم : هى عقد الأصابع ومفاصلها .

(٣) يعنى الاستنجاء بالمـاء .

(٤) البقرة : ١٢٤

وخمس فى الجسد ، فى الرأس : قص الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفرق الرأس ، وفى الجسد : تقليم الأظفار ، وحلق العانة ، والختان ، ونتف الابط ، وغسل أثر الغائط والبول بالمـــاء » أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح(١) .

والسواك كما جاء فى نص الوصية « مطهرة للفم مرضاة للرب » وقد ورد بالاضافة الى هذا كذلك :

عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » أخرجه أحمد والنسائى والترمذى وابن حبان والحاكم والبيهقى والدارمى .

وهو بكسر السين يطلق على الفعل وعلى العود الذى يتسوك به .

والمراد به : استعمال عود أو نحوه فى الأسنان ، لتذهب الصفرة وغيرها عنها ، والكلام(٢) ينحصر فى ستة مباحث :

(أ) حكمه : وهو مستحب عند الوضوء والصـــلاة مطلقا فى المسجد وغيره وعند القيام من النوم ، وعند تغير الفم ، وعند دخول البيت :

لحديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » أخرجه مالك وأحمد والبخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وعنه أن النبى صلى الله عليـــه وسلم ، قال : « لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء » أخرجه مالك والشافعى والبيهقى والحاكم وصححه .

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ الا يتسوك قبل أن يتوضأ . أخرجه أحمد وأبو داوود .

وعن المقدام بن شريح عن أبيه قال : قلت لعائشة : بأى كان يبدأ النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم اذا دخل بيته ؟ قالت : بالسواك . أخرجه مسلم والنسائى وأبو داوود وابن ماجه .

والسواك مستحب فى جميع الأوقات لكن فى خمسة أوقات أشد استحبابا :

---

(١) انظر ص ١٩٧ ج ١ المنهل العذب .

(٢) كما يقول فى الدين الخالص ج ١ ص ١٧٠

- عند الصلاة سواء أكان تطهرا بماء ، أو بتراب[١] ، أو غير متطهر كمن لا يجد ماء ولا ترابا •
- عند الوضوء •
- عند قراءة القرآن •
- عند الاستيقاظ من النوم •
- عند تغير الفم • وتغيره يكون بأشياء ، منها : ترك الأكل والشرب • ومنها : أكل ما له رائحة كريهة • ومنها : طول السكوت • ومنها : كثرة الكلام[٢] • وقد قامت الأدلة على استحبابه فى جميع هذه الحالات •

(ب) آلتـــه : ويحصل الاستياك بكل طاهر خشن يزيل الوسخ والأفضل أن يكون بالأراك والزيتون :

لحديث أبى خيرة الصباحى ، قال : كنت فى الوفد فزودنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأراك ، وقال : « استاكوا بهذا » أخرجه البخارى فى التاريخ •

وقال معاذ بن جبل : سمعت النبى صلى الله عليـــه وآله وسلم يقول : « نعم السواك الزيتون من شجرة مباركة يطيب الفم ، ويذهب بالحفر[٣] • وهو سواكى وسواك الأنبياء من قبلى » أخرجه الطبرانى فى الأوسط •

ويحصل فضله بالاصبع عند فقد السواك ، أو فقد أسنانه ، أو ضرر بفمه : لحديث النضر بن أنس عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليـــه وآله وسلم ، قال : « يجزىء من السواك الأصابع » أخرجه البيهقى وقال حديث ضعيف والضياء فى المختارة وقال : اسناد لا بأس به •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : يا رسول الله •• الرجل يذهب فوه[٤] أيســـتاك ؟ قال : « نعم » قلت : كيف يصنع ؟ قال : « يدخل أصبعه فى فيه » أخرجه الطبرانى فى الأوسط •

وعن أنس رضى الله عنه أن رجلا من الأنصار قال : يا رسول الله ••

---

(١) أى عندما يتيمم بالتراب .
(٢) انظر ص ١٤٢ ج ٣ صحيح مسلم بشرح النووى .
(٣) الحفر بفتح فسكون ، أو بفتحتين : داء يفسد الأسنان .
(٤) أى تذهب أسنانه .

انك رغبتنا فى السواك فهل دون ذلك من شىء ؟ قال : « اصبعاك بسواك عند وضوئك تمرهما على أسنانك » أخرجه البيهقى .

(جـ) **كيفيته** : يستحب أن يستاك فى اللسان طولا ، وفى الأسنان عرضا : لحديث أبى بردة عن أبيه — أبى موسى — قال : « أتينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نستحمله فرأيته يستاك على لسانه وهو يقول : أه أه[1] — يعنى يتهوع » أخرجه أبو داوود وكذا البخارى بلفظ : فوجدته يستن بسواك بيده يقول : أع أع والسواك فى فيه[2] كأنه يتهوع .

وعن عطاء أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اذا شربتم فاشربوا مصا ، واذا استكتم فاستاكوا عرضا » أخرجه أبو داوود فى المراسيل .

والسنة امساك السواك باليمين وخنصرها تحت طرفه الأسفل . والثلاثة الباقية فوقه ، والابهام أسفل رأسه : كما رواه ابن مسعود .

(د) **الاستياك بسواك الغير** : اتفق العلماء على جواز الاستياك بسواك الغير باذنه : لحديث عائشة رضى الله عنها ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستن — أى يستاك — وعنده رجلان أحدهما أكبر من الآخر ، فأوحى اليه فى فضل السواك ، أن كبر .. أعط السواك أكبرهما . أخرجه أبو داوود بسند حسن .

وعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « أرانى[3] أتسوك بسواك فجاءنى رجلان أحدهما أكبر من الآخر ، فناولت السواك الأصغر منهما ، فقيل لى كبر فدفعته للأكبر منهما » أخرجه أحمد والشيخان والبيهقى .

(هـ) **تنظيفه** : يسن غسل السواك بعد استعماله : لقول عائشة رضى الله عنها : كان نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم يستاك فيعطينى السواك لأغسله ، فأبدأ به فأستاك ، ثم أغسله وأدفعه اليه . أخرجه أبو داوود والبيهقى بسند جيد .

---

(١) « أه » بضم أو فتح فسكون .

(٢) أى فى فمه .

(٣) أرانى بفتح الهمزة وفى رواية مسلم : أرانى فى المنام فهو من الرؤيا ..

(و) **السواك للصائم** : يستحب للصائم أن يستاك أول النهار وآخره : لحديث عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه ، قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم ما لا أحصى يتسوك وهو صائم • أخرجه أحمد وأبو داوود والبيهقى والدارقطنى ، وقال عاصم ابن عبد الله : غيره أثبت منه[١] ، والترمذى وقال : حسن •

والعمل على هذا عند أهل العلم لا يرون بالسواك للصائم بأسا ، الا أن بعضهم كرهوا السواك للصائم بالعود الرطب وكرهوا له السواك آخر النهار ، ولم ير الشافعى بالسواك بأسا أول النهار وآخره ، وكره أحمد واسحاق السواك آخر النهار[٢] •

وباستحبابه للصائم مطلقا قال الحنفيون ومالك والثورى ، ومشهور مذهب الشافعية وأحمد : انه يكره السواك للصائم بعد الزوال مستدلين بحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال « لخلوف[٣] فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » أخرجه مالك وأحمد والشيخان والنسائى وابن ماجه •

قالوا : وجه الاستدلال أنه اذا استاك يزول هذا الخلوف ، لكنه غير مسلم ، فان المراد من الحديث مدح الصائم من حيث صيامه ، حتى ان رائحة فمه التى من شأنها أن تكون كريهة ، مرضية عند الله عز وجل ، يثاب عليها أكثر ما يثاب من تطيب برائحة المسك المحبوبة شرعا ••

* * *

هذا •• مع ملاحظة أن الاستياك ـ بالاضافة الى ما علمت ـ سنة من سنن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فكن حريصا على استعماله على هذا الأساس الذى وقفت عليه حتى تكون من أحبابه صلوات الله وسلامه عليه •• قولا وعملا •

* * *

واذا كنا قد وقفنا من خلال تلك الأحكام على فضيلة السواك الذى ان واظب المسلم عليه فى جميع أوقاته كان محافظا على صحة أسنانه

---

(١) انظر ص ٢٤٨ الدارقطنى •

(٢) انظر ص ٤٦ ج ٢ تحفة الأحوذى •

(٣) أى تغيرت رائحته ، يقال خلف فم الصائم خلوفا من باب قعد : أى تغيرت ريحه .

التى ان مرضت كانت — غالبا — سببا فى كثير من الأمراض التى لا يحمد عقباها :

فاننى أرى بعد ذلك واتماما للفائدة : أن أذكر ببحث يتعلق بوظائف الأسنان وكونها من ضروريات صحة الانسان ، حيث يقول كاتبه[1] :

« أعلم أن الأسنان من أجل نعم الله على الانسان لأنها معينة للمعدة على جودة الهضم الذى هو من ضروريات حياته كما أنها حلية فمه وهى من بديع حلاه يكفيها شرفا أنها حاكت اللؤلؤ منظرا وأنها الواسطة الكبرى فى تحسين الألفاظ ، لأن مدار مخارج أغلب الحروف على الأسنان •

ثم هى وان اتحدت فى تحضير ما يرد عليها من الغذاء وجعله قابلا للدخول فى المعدة الا أنه اقتضت ارادة الله جعل تلك الأسنان متنوعة ووضع كل نوع منها فى المكان المخصص له حتى يتأتى له القيام بما هو مفروض عليه ، اذ خص الله سبحانه وتعالى كل نوع منها بحسب شكله وصلابته بوظيفة يقوم بها ، فجعل الثنايا أى القواطع لتقطيع الوارد عليها ، والأنياب لتمزيقه ، والأضراس لهرسه وطحنه ، ولا تتم جودة المضغ الا بمجموع تلك الأعمال لأن جميع الأسنان تكون معينة بعضها لبعض ومشتركة فى أداء هذه الوظيفة الضرورية لصيرورة الغذاء بحالة مناسبة للدخول فى القناة الهضمية وسهولة هضمه ، واجادة المضغ سنة نبوية أمر بها صلى الله عليه وسلم ، اذ ورد فى الحديث الشريف أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصغر اللقمة ويطيل المضغ •

ومن جملة نعم الله على الانسان ما أبدعه فى كيفية وضع الفكين واتقان تركيبهما ، فترك الفك الأعلى ثابتا لا يتحرك أبدا ، والأسفل يتحرك بكل سهولة ذات اليمين وذات الشمال ومن أعلى الى أسفل وبالعكس حتى بهذه الحركة يتأتى للأسنان الاشتراك فى عمل المضغ • واللسان وقتئذ يكون آلة لتقليب الغذاء داخل الفم حيث يطوف فى جوانبه ويرد الطعام من الوسط الى الأسنان بحسب الحاجة •

فانظر أيها الانسان كيف أنعم الله عليك بهذه الآلات وأودع فيها من الحكم التى لا يقدر قدرها الا مدبر الكائنات ، على أنا نرى

---

(١) الأستاذ المتوكل على الله عابدين خير الله فى كتابه « ارشاد الانسان الى صحة الأبدان » رحمه الله .

بعض الجهلاء يستعملون تلك الآلات فى غير ما خلقت لأجله ، فيكسرون بها الأجسام الصلبة ويرفعون بالقواطع أجساما كالكرسى رفعا رأسيا كما رأيتهم رأى العين ونهيتهم عن ذلك وهم يتفاخرون بذلك بين أمثالهم ولا يدرون عاقبة هذا الفعل الوخيم وما ينجم عنه من المضار كخلل أصولها أو كسر شىء من تيجانها خصوصا أصحاب البنية الضعيفة حيث تكون لثتهم ضعيفة صفراء رخوة أو محمرة مظلمة « أسكروبوطية » والداهية العظمى والطامة الكبرى اذا حصل الكسر فى الأضراس التى جعلها الله سبحانه وتعالى للانسان بمثابة رحى يطحن بها ما يتناوله من الأغذية فيسهل عليه بذلك ازدرادها وهضمها ، فسبحانه ما أشفقه على عبده ، وما أضر الانسان على نفسه بجهله .

ولأجل وقايتها وحفظها طلاها خالقها بطلاء لـــامع زجاجى صلب هو الميناً وله رونق وبهجة ، فان فقدته يبقى جزؤها العظمى عرضة للتلف حيث يصير سهل التفتت سريع السقوط ، فيتأسف الانسان عليها غاية الأسف لأنه ليس له غنى عنها اذ لا يتأتى له بدونها مضغ الطعام تماما الذى هو أول عمل هضمى ، فيقع فى سوء الهضم الذى متى أزمن كان سببا لأمراض شديدة يعسر شفاؤها ، وأخطار عظيمة معدية ومعوية تنهك جسمه وتضعف بدنه وربما لا يتخلص منها الا بالموت ، وكثيرا ما تمتد العلل الى ما سواها من الأحشاء .. فالحذر الحذر من اهمال استعمال الأسنان فى غير وظيفتها اذ اســتعمالها ضرورى فى صحة الانســان .

وليعلم أنه من الأمور التى تكون سببا فى ابتلاء الأسنان بالنوازل والالتهابات اللثوية والآلام العصبية هو كثرة التدخين فانه يؤثر على مينا الأسنان ، ويلونها ويؤثر على اللثة فيضعفها كما يضعف أعصابها .

ومما يضر بالأسنان ضررا عظيما : أكل الحلوى ، فانه اذا بقى شيء بالفم وحول الأسنان تخمر بسرعة ونشأ منه حمض يسمى بحمض اللبنيك وهو من أشد الأسباب فى اتلاف الأسنان وتسوسها .

وكذلك أكل الفواكه التى لم يتم نضجها خصوصا الحامضة منها ؛ لأنها تضر بالطلاء الواقى لها ؛ اذ أن تأثير الحوامض عليه شبيه بتأثير عصارة الليمون على قشرة رقيقة من الصدف أو الرخام .

وكذلك استعمال المشروبات الروحيــة ــ كالخمر وما كان على شاكلتها ــ وكذا الشديدة الحرارة كالقهوة ومغلى الكراوية وما أشبهه ،

أو الشديدة البرودة كالمشروبات المثلجة وأكل الدندرمة وما يماثلها .
أو ادخال البارد على الحار ، والحار على البارد فان استعمال مثل هذه
يؤثر على أصول الأسنان وطلائها لأن فى ذلك من تعاقب طبيعتين مختلفتى
الأثر فيورث ذلك تشقق مينـا الأسنان لاختلاف درجة الحرارة مرة
واحدة فتتلف ويتعرى العاج ويصير معرضا لتأثير الهواء مباشرة ،
ومن ذلك كله تتلف الأسنان ولا يدرى صاحبها كيف تلفت .

ومن هنا يعلم تأثير الجو البارد على الأسنان ومقدار ضرره بها
ضررا عظيما ، ولذا كان الأوفق عدم التنفس من الفم خصوصا فى أوقات
البرد بل ولا فى غيره » .

ثم يقول بعد ذلك باختصار وتصرف :
« وأعظم الوسائط المستعملة فى صيانة الأسنان ، فنقول : يجب أن
تغسل الأسنان بعد تناول كل طعام بماء ليس شديد البرودة ولا شديد
الحرارة ويستعاض الصابون بقليل من الدقيق ومن ملح الطعام المسحوق
جيدا لأن الصابون كثيرا ما يغش بمواد مضرة بالأسنان وان كان لابد
من استعماله فيلزم التحقق أولا من جودته ، وثانيا لا يترك شىء منه
على الأسنان ويتحقق من ذلك بملامسة الأسنان بالاصبع .

واذا كان عند الانسان استعداد الى تجمع المـادة اللزجة التى
من شأنها أن تتراكم على اللثـة والأسنان يضاف على المـاء الفاتر
المستعمل لتنظيف الأسنان قليل من الملح » .

الى أن يقول : « ومما يوقف سيرها ويمنع تجمعها ويطهر الأسنان
من الجراثيم العفنة ويمنع الرائحة الكريهة من الفم استعمال السواك ،
وكفى بالتسويك فضلا ومنفعة ورود الأحاديث النبـوية والشهادات
الصادقة من المجربين المداومين على استعماله ، فلقد قال صلى الله
عليـه وسلم ان « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » .. الـخ .
وينبغى تخلل الأسنان[1] عقب كل طعام لازالة المواد المتخللة بينها
قبل أن تتخمر وتؤثر فيها ويكون ذلك بالخلال أو نحوه لا بشىء صلب
لئلا يكسر شيئا من میناها » .



---

(١) بعود الخلة أو نحوه .

فليذكر الأخ المسلم كل هذا ، وليكن حريصا كل الحرص – للأسباب التى وقف عليها – على تنفيذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم •

وحسبه ترغيبا له فى تنفيذها – بالاضافة الى ما وقف عليه فى فضل التسوك من الأحاديث ، وما وقف عليه من اشارات فى هـذا البحث السابق – : أن يقرأ بعد ذلك بعمق ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم فى بقية الوصية : « •• ما جاءنى جبريل الا أوصانى بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض على وعلى أمتى ، ولولا أنى أخاف أن أشق على أمتى لفرضته عليهم ، وانى لأستاك حتى خشيت أن أحفى مقادم فمى » •

ففى هـذا ترغيب عظيم فى استحباب استعمال السواك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول : « من أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » •



الوصية الخامسة والأربعون

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« اذا سمعتم المؤذن ، فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على ، فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لى الوسيلة[1] فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لى الوسيلة[2] حلت له الشفاعة » •

(رواه مسلم وابو داوود والترمذى والنسائى)

* * *

فكن أخا الاســلام :

منفذا لهــذه الوصية العظيمة التى ترغبنا فى خير كبير كلنا لابد كمؤمنين : أن نعمل على تحقيقه والفوز بثوابه •

وحسبنا — كما قرأنا فى نص الوصية — أن الله تعالى سيصلى علينا — أى يرحمنا — وأننا سنكون ان شاء الله تعالى يوم القيامة بذلك ضمن هؤلاء المؤمنين الذين سيشفع لهم الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه •

حــكاية الأذان

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بدأ وصيته بقوله : « اذا سمعتم المؤذن ، فقولوا مثل ما يقول •• » فقد ورد فى هــذا :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليــه وسلم ، قال : « اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن » رواه البخارى ومسلم •

---

(١) الوسيلة : اسم لمــا يتوصل به الى المطلوب .. ومنه قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة »** (المــائدة : ٣٥) ، يعنى اطلبوا كل ما يقربكم الى الله عز وجل من الأعمال الصالحة .

(٢) فمن سأل لى الوسيلة ، أى سأل الله لى الوسيلة ، كما فى رواية أخرى **لأحمد** .

وعن عمر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا قال المؤذن : الله أكبر الله أكبر ، فقال أحدكم : الله أكبر الله أكبر ، ثم قال : أشـهد أن لا اله الا الله . قال : أشـهد أن لا اله الا الله . ثم قال : أشهد أن محمدا رسول الله . قال : أشهد أن محمدا رسول الله . ثم قال : حى على الصلاة . قال : لا حول ولا قوة الا بالله . ثم قال : حى على الفلاح . قال : لا حول ولا قوة الا بالله . ثم قال : الله أكبر الله أكبر . قال : الله أكبر الله أكبر . ثم قال : لا اله الا الله . قال : لا اله الا الله ، من قلبه دخل الجنة » رواه مسلم وأبو داوود .

قال النووى : قال أصحابنا : « وانما استحب للمتابع أن يقول مثل ما يقول المؤذن فى غير الحيعلتين ، فيدل على رضاه به ، وموافقته على ذلك . أما الحيعلة فدعاء الى الصلاة ، وهذا لا يليق بغير المؤذن ، فاستحب للمتابع ذكر آخر ، فكان لا حول ولا قوة الا بالله ، لأنه تفويض محض الى الله تعالى » . ثم يقول :

وقد ثبت فى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنـة » . قال أصحابنا : ويستحب متابعته لكل سامع ، من طاهر ، ومحدث ، وجنب ، وحائض ، وكبير ، وصغير ، لأنه ذكر ، وكل هؤلاء من أهل الذكر » انتهى كلام النووى .

ويستثنى من هذا من هو على الخـلاء[1] ، أو على الجماع ، فاذا فرغ تابعه ، واذا سمعه وهو فى قراءة ، أو ذكر ، أو درس ، أو نحو ذلك ، قطعه وتابع المؤذن ، ثم عاد الى ما كان عليه ان شاء .

وان كان فى صلاة فرض ، أو نفل ، قال الشافعى والأصحاب : لا يتابعه ، فاذا فرغ منها قاله .

وفى كتاب المغنى : « من دخل المسجد ، فسمع المؤذن استحب له انتظاره ليفرغ ويقول مثل ما يقول ، جمعا بين الفضيلتين ، وان لم يقل كقوله ، وافتتح الصلاة فلا بأس » نص عليه أحمد .

وقد روى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أن النبى صلى الله تعـالى عليـه وعلى آله وسلم ، قال : « من قال حين يسمع النداء : وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ،

---

(١) اى من يتبول فى المرحاض أو فى الفضاء ..

رضيت بالله ربا ، وبمحمد رسولا ، وبالاسلام دينا : غفر له » رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه وأبو داوود •

وظاهر هذه الرواية يدل على أنه يقول هذا الذكر حال الأذان عقب سماعه الشهادتين • ويحتمل أنه يقوله بعد تمام الأذان ، اذ لو قال ذلك حال الأذان لفاته اجابة المؤذن فى بعض كلمات الأذان •

* * *

ويستحب كذلك :

حكاية الاقامة

قال فى الدين الخالص ج ٢ تحت هذا العنوان : يستحب اجابة المقيم بأن يقول السامع كما يقول المقيم ، الا فى الحيعلتين فيقول بدلهما : لا حول ولا قوة الا بالله • والا قد قامت الصلاة ، فيقول بدلهما : أقامها الله وأدامها :

لحديث شهر بن حوشب عن أبى أمامة ، أو عن بعض أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أن بلالا أخذ فى الاقامة ، فلما أن قال : قد قامت الصلاة ، قال النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم : « أقامها الله وأدامها » وقال فى سائر الاقامة كنحو حديث عمر فى الأذان •

رواه أبو داوود والبيهقى ، وقال : وهذا ان صح شاهد لما استحسنه الشافعى رحمه الله من قولهم : « اللهم أقمها وأدمها واجعلنا من صالح أهلها عملا » أ هـ • وبهذا قال الحنفيون والشافعية والحنابلة •

وقالت المالكية : الاقامة لا تحكى • والراجح : القول الأول ، للحديث المذكور • وهو وان كان ضعيفا ، لأن فى سنده محمد بن ثابت وهو ضعيف • وشهر بن حوشب وهو مختلف فى عدالته ، فضعفه لا يضر ، فان الضعيف يعمل به فى فضائل الأعمال باتفاق العلماء •

مع ملاحظة كذلك أن تقول عند قول المؤذن فى صلاة الصبح : « الصلاة خير من النوم » : صدقت وبررت[1] • ولك أن تقول كما قال المؤذن ، لحديث عمر السابق ، وهذا أفضل •

---

(١) برر كعلم : أى صدقت فى دعوتك الى الطاعة وصرت بارا أى تقيا . وهذا قاله بعض الفقهاء ولم نقف له على دليل . قال الدميرى : وادعى ابن الرفعة أن خبرا ورد فيه ، ولا يعرف ما قاله أ . هـ .

ومع ملاحظة كذلك أنه من الخير :

الدعاء بين الاذان والاقامة

فعن أنس رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يرد الدعاء بين الأذان والاقامة » رواه أبو داوود والنسائى ، وزاد الترمذى فى روايته : قالوا : ماذا نقول يا رسول الله ؟ قال : « سلوا الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة » .

وعند عبد الله بن عمرو ، أن رجلاً قال : يا رسول الله .. ان المؤذنين يفضلوننا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قل كما يقولون ، فاذا انتهيت فسل تعطه » رواه أحمد وأبو داوود .

ويستحب أن يقال بعد أذان المغرب ، ما ورد عن أم سلمة رضى الله عنها ، قالت : علمنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم عند أذان المغرب : « اللهم ان هذا اقبال ليلك ، وادبار نهارك ، وأصوات دعاتك فاغفر لى » أخرجه أبو داوود والبيهقى والترمذى ، وقال : حديث غريب .



ثم اذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد قال بعد ذلك فى نص الوصية : « .. ثم صلوا على ، فانه من صلى على صلاة ، صلى الله عليه بها عشرا .. » : فانه بهذا صلوات الله وسلامه عليه يذكرنا بفضل وثواب الصلاة والسلام عليه .

وذلك حتى نكثر من الصلاة والسلام عليه تنفيذا لأمر الله تعالى فى قوله :

« ان الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما »[1] .

فالمقصود من هذه الآية ــ كما يقول ابن كثير ــ : أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده فى الملأ الأعلى ، بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين ، وأن الملائكة تصلى عليه ، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه[2] ، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوى والسفلى جميعا .

---

(١) الأحزاب : ٥٦

(٢) الصلاة من الله رحمة ، ومن الملائكة استغفار ومن المؤمنين دعاء .

والى هذا يشير الامام محمود خطاب السبكى رحمه الله تعالى ، مذكرا ومرغبا فى الصلاة والسلام على هذا النبى العظيم الذى كان على خلق عظيم : -

طـه الذى عـم الآنـام بفضـلـه
سـاد النبيين الأولى من قبـلـه
هو صـفوة البارى وخاتـم رسـله
يـا أيهـا المستمسكون بحبـلـه
ان تبتغـوا أجـرا يكـون جزيـلا
صـلوا عليـه بكـرة وأصـيلا

* * *

الله أدنـاه اليـه وقـربا
فعـلا مقاما لـم ينـله أولو النبـا
ولـه يقـول ابشر فأنت المجتبى
أهـلا وسـهلا بالحبيب ومرحبـا
أنت الـذى تسـتوجب التفضـيلا
صـلوا عليـه بكـرة وأصـيلا

* * *

ملأت نبـوته الوجـود وأظهـرا
بحسـامه الدين الصـحيح فأسـفرا
واسـتبشرت فرحا ببعثتـه الـورى
ومحـا الضـلال كما بذلك خبـرا
نص الكتـاب مفصـلا تفصـيلا
صـلوا عليـه بكـرة وأصـيلا

* * *

والسـحب لا تحكى عطـاياه فمـا
أنـداه بحـرا بالسـخاء وأكـرما
أنعـم بمن أسـنى الكمال لـه انتمى
مـولاه قـد صـلى عليـه وسـلما
من لـم يصـل عليـه كان بخيـلا
صـلوا عليـه بكـرة وأصـيلا

* * *

كما يقول رحمه الله تعـالى:

صلوا على من بدت فينا بشـائره الهاشمى الـذى طـابت عنـاصره

هو النبى الذى شـاعت رسـالته فى الخـلق طـرا(١) وقـد عمت مآثره

هو الرسـول الذى تسـعى الملوك لـه علـى الرؤوس فتـأتيهم مفـاخره

هـذا الطبيب لهـذا النـاس كلهـم يشـفى العليـل وللمكسـور جـابره

صـلى عليـه الـه العـرش ما طلعت شمس وما ناح فـوق الغصـن طائره

＊ ＊ ＊

وحسبنا ترغيبا لنا فى الاكثار من الصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليـه أن نقـرأ كذلك هذه الأحاديث الشريفة :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : « من صلى على صلاة صلى الله عليـه بها عشرا » رواه مسلم •

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة » رواه الترمذى وقال حديث حسن •

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا على من الصلاة فيه ، فان صلاتكم معروضة على • قالوا : يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ — قال : يقول بليت — قال : ان الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء » رواه أبو داوود باسناد صحيح •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على » رواه الترمذى وقال حديث حسن •

---

(١) أى جمعا .

وعنه رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا قبرى عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم » رواه أبو داوود باسناد صحيح •

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام » رواه أبو داوود باسناد صحيح •

وعن على كرم الله وجهه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح •

وعن فضالة بن عبيد الله رضى الله عنه ، قال : سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو فى صلاته لم يمجد الله تعالى ولم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجل هذا » ثم دعاه ، فقال له أو لغيره : « اذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه سبحانه والثناء عليه ، ثم يصلى على النبى — صلى الله عليه وسلم — ثم يدعو بعد بما شاء » رواه أبو داوود والترمذى وقال حديث صحيح •

هذا •• واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصانا فى الوصية بعد الأذان بأن نصلى عليه ، فانه من الأفضل أن تكون صلاتنا عليه بالوارد عنه صلوات الله وسلامه عليه •

فعن أبى محمد كعب بن عجرة رضى الله عنه ، قال : خرج علينا النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلنا : يا رسول الله •• قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك ؟ قال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد • اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد » متفق عليه •

وعن ابن مسعود البدرى رضى الله عنه ، قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مجلس سعد بن عبادة رضى الله عنه فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله ، فكيف نصلى عليك ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم ، وبارك على محمد

وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد • والسلام كما قد علمتم » رواه مسلم •

وعن أبى حميد الساعدى رضى الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله •• كيف نصلى عليك ؟ قال : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد » متفق عليه •



وقد أشار الشيخ على محفوظ رحمه الله تعالى فى كتابه « الابداع فى مضار الابتداع » الى البدع المتعلقة بالجهر بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الأذان فقال :

ومن البدع المختلف فى حسنها وذمها الصلاة والسلام على النبى عقب الأذان جهرا •• وكان ابتداء حدوث ذلك فى أيام السلطان الناصر صلاح الدين بن أيوب وبأمره فى مصر وأعمالها لسبب مذكور فى كتب التاريخ •• ثم يقول : ونقول : لا كلام فى أن الصلاة والسـلام على النبى صلى الله عليه وسلم عقب الأذان مطلوبان شرعا لورود الأحاديث الصحيحة بطلبها من كل من سمع الأذان لا فرق بين مؤذن وغيره ، كما فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبى صلى الله عليـه وسلم ، يقول : « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا على فان من صلى على صلاة صلى الله عليـه بها عشرا » •• الحديث • لكن لا مع الجهر ، بل بأن يسمع نفسه أو من كان قريبا منه ، انما الخلاف فى الجهر بهما على الكيفية المعروفة والصواب أنها بدعة مذمومة بهذه الكيفية التى جرت بها عادة المؤذنين من رفع الصوت بها كالأذان والتمطيط والتغنى فان ذلك احداث شعار دينى على خـلاف ما عهد عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم وأصحابه والسلف الصالح من أئمة المسلمين وليس لأحد بعدهم ذلك ، فان العبادة مقصورة على الوارد عنه صلى الله عليه وسـلم باجماع الأئمة ، فلا تثبت باستحسان أحد من غير هؤلاء ولا باحداث سلطان عادل أو جائر •

قال فى المدخل : عطس رجل بجانب سيدنا عبد الله بن سيدنا عمر ، فقال : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله • فقال سيدنا عبد الله : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ؟ ما هكذا علمنا رسول الله أن نقول اذا عطسنا ، بل علمنا أن نقول : الحمد لله رب العالمين • انتهى •

فهذا الصحابى الكبير أنكر على من صلى وسلم على النبى صلى الله عليه وسلم عقب العطاس لعدم وروده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم قال العلامة ابن حجر فى فتاويه الكبرى : من صلى على النبى صلى الله عليه وسلم قبل الأذان أو قال : محمد رسول الله بعده معتقدا سنيته فى ذلك المحل ينهى ويمنع منه لأنه تشريع بغير دليل ، ومن شرع بغير دليل يزجر ويمنع • انتهى • وهذا العلامة ابن حجر حكم على من صلى على النبى صلى الله عليه وسلم قبل الأذان أو قال محمد رسول الله بعده بأنه شرع فى دين الله تعالى وأنه يمنع من ذلك ويزجر ، وما ذاك الا لقبح ما فعلّ ، وأن الوقوف عند ما ورد به الشرع أولى •

ثم يقول فى الابداع : وبهذا ظهر لك ما يقع من كثير من المؤذنين عقب أذان الفجر من قولهم : ورضى الله تبارك وتعالى عنك يا شيخ العرب ونحو ذلك من الألفاظ — بأعلى صوت — وأنها بدعة مذمومة لم تعرف من طريق مشروع •

فلنكن ان شاء الله تعالى من أهل الاتباع لا من أهل الابتداع ، وحسبنا أن نعمل بشرع الرسول صلى الله عليه وسلم الذى تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها :

شرع النبى سره جليل ... شرع النبى نوره جميل
شرع النبى فضله جزيل ... شرع النبى ما له مثيل
شرع النبى أتى به جبريل

شرع النبى صاحب الأنوار ... شرع النبى صفوة الغفار
شرع النبى سيد الأخيار ... شرع النبى مهبط الأسرار
شرع النبى بالهدى كفيل

شرع النبى يبرىء السقيما ... شرع النبى يرأب[1] الكليما[2]
شرع النبى يكرم الكريما ... شرع النبى يضع اللئيما
شرع النبى للعلا سبيل

دين الرسول منهج شريف ... دين الرسول منهج حنيف
دين الرسول قدره منيف ... دين الرسول للتقى أليف
دين الرسول مجده أثيل[3]

---

(١) يرأب : أى يصلح . (٢) الكليم : أى الجريح .
(٣) أثيل : كعظيم وزنا ومعنى .

سن الحبيب سنة جليلة — سن الحبيب سنة جميلة
سن الحبيب سنة فضيلة — سن الحبيب سنة أصيلة
سن الحبيب ما الهدى ينيل
سن الحبيب ما بدا ضياء — سن الحبيب ما بدا شفاء
سن الحبيب ما غدا بهاء — سن الحبيب ما غدا علاء
فكل شهم نحو يميل
فيحظ بالخيرات شخص سلكا — طريق من قلوبنا قد ملكا
وليدخل النيران من تهتكا — ما دام أن لم يرضها متمسكا
شرابه وزاده التنكيل(١)



وأما عن :

الوسيلة

التى يوصينا الرسول صلى الله عليه وسلم بأن نسألها له من الله تبارك وتعالى ، فالمراد بها هنا — فى نص الوصية — : أعلى منزلة فى الجنة ، وقد ورد فى هذا فى حديث جابر :

أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته ، حلت له شفاعتى يوم القيامة » أخرجه أحمد والبخارى وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

والدعوة ، بفتح الدال : المراد بها الأذان ، سمى بذلك لاشتماله على كلمة التوحيد والدعوة الى الصلاة .

والتامة : أى التى لا يدخلها تغيير ولا تبديل الى يوم القيامة .

والوسيلة : ما يتوصل به الى الشىء ويتقرب به . وهى فى الحديث — كما عرفنا — أعلى منزلة فى الجنة .

والفضيلة : المرتبة الزائدة على سائر مراتب الخلق ، ويحتمل أن تكون مرادفة للوسيلة أو مغايرة لها .

وقوله : « مقاما محمودا » بالتنكير ، وفى رواية : « المقام

---

(١) من قصيدة للامام محمود خطاب السبكى رحمه الله من كتابه « المقامات العلية » .

المحمود » بالتعريف : أى الذى يحمده عليه الأولون والآخرون ، وهو مقام الشفاعة فى فصل القضاء المشار اليه بقوله تعالى : **« عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا »**[١] ، والحكمة فى سؤال ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم مع تحقق وقوعه : اظهار شرفه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، وبيان عظم منزلته صلى الله عليه وسلم .

وحسبنا أن نقف على هذا من خلال قول الله تبارك وتعالى لأصحابه عليهم جميعا رضوان الله :

« لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا »[٢] :

أى اذا أردتم مخاطبته لا تقولوا له يا محمد ــ مجردة هكذا ــ ولكن قولوا له : يا نبى الله ، يا رسول الله .. مع أنهم فى الأمم السابقة كانوا يخاطبون أنبياءهم بأسمائهم ولم ينهوا عن ذلك كما يشير قوله تعالى :

« يا نوح قد جادلتنا »[٣] .

« يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين »[٤] .

« قالوا يا هود ما جئتنا ببينة »[٥] .

« قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم ، لئن لم تنته لأرجمنك »[٦] .

« اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء »[٧] .

ومن خلال هذين الحديثين الشريفين :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر . وما من نبى يومئذ : آدم فمن سواه الا تحت لوائى ، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ، وأنا أول شافع وأول مشفع » أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى ، وقال : حسن صحيح .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقد سمع ناسا من أصحابه يتذاكرون فى تفاضل الأنبياء ، فقال : « قد سمعت كلامكم وعجبكم . ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك ،

---

(١) الاسراء : ٧٩ — (٢) النور : ٦٣
(٣) هود : ٣٢ — (٤) الأعراف : ٧٧
(٥) هود : ٥٣ — (٦) مريم : ٤٦
(٧) المائدة : ١١٢

وموسى نجى الله وهو كذلك ، وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك . ألا وأنا حبيب الله ولا فخر[1] ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلق الجنة ، فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر » أخرجه أفضل خلق الله على الاطلاق :

فمن هـذا نعلم أن النبى محمدا صلوات الله وسلامه عليـه هو أفضل خلق الله على الاطلاق :

وأفضل الخلق بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم : سيدنا ابراهيم ، ثم سيدنا موسى ، ثم سيدنا عيسى ، ثم سيدنا نوح ، ثم سيدنا آدم أبو البشر ، ثم باقى الرسل على تفاضل بينهم ، ثم سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ثم رؤساء الملائكة كجبريل واسرافيل ، ثم رؤساء الأمة المحمدية : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على ــ عليهم جميعا رضوان الله ــ ثم باقى العشرة ــ أى المبشرين بالجنـة ، وهم[2] : طلحة ، والزبير ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وأبو عبيدة بن الجراح . عليهم رضوان الله وقد ورد هـذا فى حديث أحمد والترمذى وابن حبان وغيرهم أنه صلى الله عليه وسلم ، قال : « أبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة ، وعثمان فى الجنة ، وعلى فى الجنة ، وطلحة فى الجنة ، والزبير فى الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة ، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة ، وسعيد بن زيد فى الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة » ــ ثم أهل بدر ، ثم أهل أحـد ، ثم أهل بيعة الرضوان ، ثم عامة الملائكة أهـ . من الدين الخالص . بتصرف واضافات .

الله زاد محمـــدا تكريـما   وحباه فضلا من لدنـه عظيما
واختصه فى المرسلين كريمـا   ذا رأفـة بالمؤمنين رحيمـا
صلوا عليـه وسلموا تسليما

جلت معانى الهاشمى المرسـل   وتجلت الأنوار منـه لمجتـلى
وسما به قدر الفخار المعتـلى   فاحتل فى أفق السماء مقيـما
صلوا عليـه وسلموا تسليما

---

(١) أى : ولا فخر فى هذا لأنه حقيقة .

(٢) بالاضافة الى الخلفاء الراشدين الأربعة السابق ذكرهم .

حاز المحامد والمدائح أحمد وزكت منابته وطاب المحتد[١]
وتأثلت[٢] علياؤه والسؤدد مجدا صميما حادثا وقديما
صلوا عليه وسلموا تسليما

شمس الهداية بدرها الملتاح[٣] قطب الجلالة نورها الوضاح
غيث السماحة للذى يرتاح يروى بكوثره الظماء الهيما[٤]
صلوا عليه وسلموا تسليما

تاج النبوة مظهر السراء عز الأنام ومركز العلياء
نجل الذبيح سلالة الكرماء بشرى المسيح دعاء ابراهيما[٥]
صلوا عليه وسلموا تسليما

أوصاف سيدنا النبى الهادى ما نالها أحد من الأمجاد
فالرسل فى هدى وفى ارشاد قد سلموا لنبينا تسليما
صلوا عليه وسلموا تسليما

آياته بهرت سنا وسناء[٦] وأفادت القمرين منه ضياء[٧]
فمحا بنور رشاده الظلماء وهدى به الله الصراط قويما
صلوا عليه وسلموا تسليما

ولهذا كان من الخير لنا : أن نسأل الله تعالى له ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الوسيلة التى لا تنبغى الا له صلوات الله وسلامه عليه ـ بلا منازع ـ حتى نفوز بشفاعته ، كما يشير قوله صلوات الله وسلامه عليه فى آخر الوصية : « فمن سأل الله لى الوسيلة حلت له الشفاعة »[٨] ، أى : وجبت له شفاعة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، واستحقها يوم القيامة ، وهى تختلف باختلاف المقامات .

---

(١) المحتد بفتح فسكون فكسر : الأصل والطبع .

(٢) تأثلت : أى تأصلت .

(٣) الملتاح : أى اللامع الواضح .

(٤) الهيم بكسر فسكون : أى العطاش .

(٥) أى أنه صلى الله عليه وسلم : « دعوة ابراهيم وبشرى عيسى » عليهما السلام كما جاء فى نص حديث أخرجه أحمد بسند حسن وله شواهد تقويه .

(٦) « آياته » : أى معجزاته ، « بهرت » : أى أظهرت حتى غلب ظهورها ، « سنا » بالقصر : أى ضوء القمر ، « وسناء » بالمد : أى رفعته .

(٧) « القمران » : أى الشمس والقمر .

(٨) الشفاعة : طلب الخير للغير .

هذا .. ويطلب كذلك ممن سمع الاقامة أن يقول : « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة : صل على محمد وآته سؤله يوم القيامة » .

فقد كان أبو هريرة رضى الله عنه يقوله اذا سمع المؤذن يقيم . أخرجه ابن السنى . وهو فى حكم المرفوع لأنه يقال من قبل الرأى .

* * *

هذا .. واذا كنا قد وقفنا على موضوع الوسيلة ، وعرفنا أن معناها بالنسبة للوصية هو أعلى منزلة فى الجنة ، وأن معناها العام ، هو : ما يتوصل به الى الشيء ويتقرب به :

فانني أحب كذلك واتماما للفائدة : أن أذكرك بموضوع :

التوسل بالصالحين

أشار اليه صاحب كتاب « الابداع فى مضار الابتداع »(١) ضمن حديثه عن آداب زيارة القبور .. حيث يقول رحمه الله :

« ومن البدع : اهمال آداب الزيارة ، فمن ذلك التسليم على صاحب القبر ، بما كان يعلمه النبى صلى الله عليه وسلم للصحابة اذا خرجوا لزيارة القبور ، بأن يقولوا : السلام عليكم يا أهل الديار من المسلمين والمؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية » ، ثم يدنو من الميت دنوه منه حيا عند زيارته ولا يستلم القبر ولا يقبله ، ثم يقوم فى قبلة الميت ويستقبله بوجهه عند السلام عليه ، وعند الدعاء له يستقبل القبلة ، وهو مخير فى أن يقوم فى ناحية رجليه الى رأسه أو اقبالة وجهه ، ثم يثنى على الله تعالى بما حضره من الثناء ، ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم يدعو للميت بما أمكنه وبالمأثور أحب ، وأن يجتهد فى الدعاء له فانه أحوج الناس اليه لانقطاع عمله » .

ثم يقول : « هذا هو المأثور عنه صلى الله عليه وسلم فى زيارته لأهل البقيع ، وكذلك يدعو الله عند هذه القبور فى نازلة نزلت به أو بالمسلمين ويتضرع الى الله تعالى فى زوالها وكشفها عنه وعنهم ، وهذه

---

(١) وهو الشيخ على محفوظ رحمه الله .. وهذا الكتاب طبق ما قرره المجلس الأعلى من مناهج التعليم فى السنة الأولى والثانية لقسم الوعظ والخطابة بالأزهر الشريف من عام ١٣٤٤ هـ .

صفة زيارة القبور عموما ، فان كان المزور ممن ترجى بركته ، فسيأتى الكلام عليه فى مقام التوسل » •

ثم يقول : خاتمة : يتصل بهذا المطلوب ثلاث مسائل ينبغى للمريد أن يكون فيها على بصيرة •

المسألة الأولى : الرحلة لزيارة مشاهد الخير وقبور الصالحين من الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء ، حرمها قوم منهم الجوينى امام الحرمين ، والقاضى حسين من الشافعية ، والقاضى عياض من المالكية ، وشيخ الاسلام ابن تيمية من الحنابلة ، واستدلوا بما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه وأبى سعيد قال صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال الا لثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصا » ، وبأن زيارة الأولياء بدعة لم تكن فى زمن السلف ، وبأن الرحلة الى الزيارة تؤدى لارتكاب كثير من المحظورات كاختلاط الرجال بالنساء وحضور أمكنة اللهو التى تقام عادة عند الولى المعتاد الرحلة اليه وسماع الغناء الممنوع سماعه •

وأجازها قوم منهم الامام الغزالى لقوله صلى الله عليه وسلم : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا »[1] وأجابوا عن أدلة المانعين بما لا ينهض — ومن علم المنكرات التى ترتكب فى موالد الأولياء لا يشك فى المنع • وحيث كان الزائر عاجزا عن تغيير المنكر فالأولى بل الواجب عليه ألا يزور فى زمن تلك المفاسد •

المسألة الثانية : الاستغاثة بالمخلوق ، وكذا الاستعانة به ، ان كان ذلك فيما يقدر عليه نحو الحيلولة بينه وبين عدوه ودفع الصائل عنه من لص أو سبع • وكأن يحمل معه متاعه أو يعلف دابته ، فلا ريب فى جوازهما اذا كان ذلك مع اعتقاد أن لا مغيث ولا معين على الاطلاق الا الله تعالى • واذا حصل شىء من ذلك على يد غيره فالحقيقة له سبحانه — أما ما لا يقدر عليه الا الله تعالى فلا يستغاث فيه الا به كغفران الذنوب ، والهداية ، وانزال المطر والرزق ، كما قال تعالى : **« ومن يغفر الذنوب الا الله »**[2] •

---

(١) اخرجه الشافعى واحمد ، واخرجه الحاكم بلفظ : « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فان فيها عبرة » وقال : حديث صحيح على شرط مسلم •

(٢) آل عمران : ١٣٥

وقال : « **أنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** »[١]
والاستغاثة طلب الغوث وهو ازالة الشدة كالاستنصار وطلب النصرة فلا يكون الا عند الشدائد بخلاف الاستعانة فانهـا طلب المعونة فى شدة أو غيرها • ومن هـذا القبيل قوله تعالى : « **.. فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه** »[٢] •
وقولـه : « **.. وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر** »[٣] •
وقوله تعـالى : « **.. وتعاونوا على البر والتقوى** »[٤] •

المسألة الثالثة : الاستشفاع وهو طلب الشفاعة من الغير بمعنى سؤال فعل الخير وترك الضر عن غير السائل الشفيع لأجل الغير على سبيل الضراعة ، فلا نزاع فيه لأحد من المسلمين الا الشفاعة من الكبائر عند المعتزلة : فانه ثبت بالسنة المتواترة واجماع الأمة أن نبينا صلى الله عليه وسلم هو الشافع المشفع • وأنه يشفع للخلائق يوم القيامة • وأن الناس يستشفعون به ويطلبون منه أن يشفع لهم الى ربه ، قال صلى الله عليـه وسلم : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر • وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى • وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل • وأعطيت الشفاعة ، وكل نبى بعث الى قومه خاصة وبعثت الى النـاس عامة » متفق عليه من حديث جابر •

وفى سنن أبى داوود أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : انا نستشفع بالله عليك ، ونستشفع بك على الله ، فقال : « شأن الله أعظم من ذلك أنه لا يستشفع به على أحد من خلقه » ، فأقره على قوله : نستشفع بك على الله ، وأنكر عليه قوله : نستشفع بالله عليك •
وأما التوسل الى الله سبحانه وتعالى بأحد من خلقه فى مطلب يطلبه العبد من ربه ، فأجازه بعضهم اذا كان بمعنى الشفاعة كما ذكره عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمـا قال : « كنا اذا أجدبنا نتوسل بنبينا اليك فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا » فلا يخفى أن توسلهم به هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه فهو شفيع لهم •
وأجازه بعضهم وان لم يكن بمعنى الشفاعة ، بل بمعنى التوصل

---

(١) القصص : ٥٦ (٢) القصص : ١٥
(٣) الأنفال : ٧٢ (٤) المـائدة : ٢

بجاه الوسيلة نحو القسم على الله بنبيه صلى الله عليه وسلم فيكون فى حياته وبعد موته وفى حضرته ومغيبه ، الا أن الشيخ ابن عبد السلام خصه به صلى الله عليه وسلم ، للحديث الصحيح أن أعمى أتى للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله .. انى أصبت فى بصرى فادع الله لى . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « توضأ وصل ركعتين ثم قل : اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد .. يا محمد انى أستشفع بك فى رد بصرى ، اللهم شفع النبى فى ، وقال : فان كان لك حاجة فمثل ذلك . فرد الله بصره » أخرجه النسائي والترمذى وصححه وابن ماجه وغيرهم .

والمختار عدم اختصاص التوسل بهذا المعنى به صلى الله عليه وسلم ، فان التوسل الى الله بأهل الفضل والعلم هو فى التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة اذ لا يكون الفاضل فاضلا الا بأعماله ، وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل الى الله تعالى بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة .

فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت الى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا : انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم .

قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق[1] قبلهما أهلا ولا مالا ، فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح[2] عليهما حتى ناما ، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا ، فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون[3] عند قدمى فاستيقظا فشربا غبوقهما . اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه .

---

(١) بفتح فسكون فكسر ، أى : ما كنت أقدم عليهما فى شرب نصيبهما من اللبن اقارب ولا رفيقا — والغبوق كصبور : ما يشرب بالعشى .

(٢) بضم الهمزة وكسر الراء : أى ارجع من أراح رباعيا .

(٣) أى يضجون من الجوع .

قال الآخر : اللهم انه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس الى ، وفى رواية : كنت أحبها كأشد ما يحب الرجل النساء ، فأردتها على نفسها[١] فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها[٢] ، ففعلت حتى اذا قدرت عليها ، وفى رواية : فلما قعدت بين رجليها ، قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم الا بحقه ، فانصرفت عنها وهى أحب الناس الى وتركت الذهب الذى أعطيتها ، اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج .

وقال الثالث : اللهم استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب ، فثمرت أجره[٣] حتى كثرت منه الأموال ، فجاءنى بعد حين ، فقال : يا عبد الله أد الى أجرى ، فقلت : كل ما ترى من أجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق . فقال : يا عبد الله لا تستهزىء بى ، فقلت لا أستهزىء بك ، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا . اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون »[٤] متفق عليه .

ثم يقول بعد ذلك : فلو كان التوسل بالأعمال غير جائز لما سكته النبى صلى الله عليه وسلم عن انكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم .

ومن هذا تعلم أن المقصود فى كل ذلك هو الله عز وجل وغيره شفيع فقط اذا أذن له الله ، وقد يغفل عن هذا العوام ، فتراهم اذا نزل بهم أمر خطير وخطب جسيم فى بر أو بحر تركوا دعاء الله تعالى

---

(١) اى اراد ان يفعل بها الفاحشة .

(٢) اى على أن تمكننى من نفسها .

(٣) اى استثمرته له فى البيع والشراء وما الى ذلك . .

(٤) وقد علق الشيخ محمد منير الدمشقى على هذا ، فقال : أقول : استدل المؤلف حفظه الله بهذا الحديث على جواز التوسل بأعمال الغير الصالحة كما ذهب اليه الشوكانى فى كتابه « الدر النضيد فى اخلاص كلمة التوحيد » وليس كذلك ، فان الحديث يدل على جواز التوسل بعمل الرجل نفسه الصالح لا بعمل غيره ، وليس فى الحديث تعرض لعمل الغير ، وقد رددنا على الشوكانى فى تعليقنا على كتاب الدر النضيد ، فراجعه انتهى . ادارة الطباعة المنيرية . . فلاحظ هذا التعليق الموضوعى .

ودعوا غيره فينادون بعض الأوليـــاء كسيدى أحمد البدوى وسيدى ابراهيم الدسوقى والسيدة زينب رضى الله عنهم ، ولا تسمع منهم احداً يخص مولاه بتضرع ودعاء ، وقد لا يخطر له على بال أنه لو دعا الله وحده ينجو من تلك الشدائد •

ولا ريب أن السبب الأعظم الذي نشأ عنه هــذا الاعتقاد وهــذه الغفلة هو ما زينه الشيطان للناس من رفع القبور وبناء القباب وصنع المقاصير وعمل التوابيت ووضع الستور عليها وتزيينها بأبلغ زينـــه وتحسينها على أكمل وجـــه ، فان الجاهل اذا وقعت عينه علي قبر من القبور قد بنيت عليه قبة ، فدخلها ونظر على القبور الستور الرائعة ، والسرج المتلألئة وقد صعدت حولها مجامير الطيب : فلا ريب أنه يمتلىء قلبه تعظيما لصاحب هــذا القبر ويضيق ذهنه عن تصور ما لهــذا الولى من المنزلة ويدخله من الروع والمهابة له ما يغرس فى قلبه من العقائد الوهمية التى هى من أعظم مكايد الشيطان للمسلمين وأشد وسائله الى اضلال العباد ما يزلزله عن الاسلام قليلا قليلا حتى يطلب من صاحب هــذا القبر ما لا يقدر عليه الا الله تعالى وهذا عين الضلال » •

ثم يقول : « وقد يجعل الشيطان طائفة من بنى آدم ــ شياطين الانس ــ يقفون على ذلك القبر يخدعون من يأتى اليه من الزائرين يهولون عليهم الأمر ويصنعون أمورا من أنفسهم وينسبونها الى صاحب الضريح على وجه يخفى على البسطاء •

وقد يختلقون من حكايات الكرامات له ما الله أعلم به ويبثونها فى الناس ويكررونها فى مجالسهم فتشيع وتستفيض ويتلقاها بقلب سليم من يحسن الظن بأصحاب الأضرحة ويقبل عقله ما يروى عنهم من الأكاذيب فيرويها كما سمعها ويتحدث بها فى مجالسه فيقع البسطاء فى بليـــة عظيمة من الاعتقاد ويزعم كثير من قصار النظر أن الأوليـــاء يتصرفون بعد وفاتهم بنحو شفاء المريض وانقاذ الغريق والنصر على الأعداء ورد الضائع وغير ذلك مما يكون فى عالم الكون والفساد على معنى أن الله تعالى فوض اليهم ذلك وتراهم لهذا يرفعون اليهم شكواهم فى عرائض مكتوبة يضعونها فى الأضرحة ، وربما كان صاحب هــذا الضريح فى حال حياته لا يستطيع الأخذ بناصر المظلوم ، ولكن الناس بعد الممات يجعلون له التصرف فى الملك والملكوت • وقد قال عيسى

عليه السلام : « .. **وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد** »[١] .

هذا .. مع ملاحظة أننا لا ننكر الكرامة لأنها من قبيل الجائز عقلا ، وقد وقعت لأناس من الصالحين ونطق بوقوعها الكتاب العزيز — فى شأن الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ، ومريم ، وأصحاب الكهف ، والذى عنده علم من الكتاب . وثبت أيضا بالآثار الصحيحة لبعض الصحابة والتابعين والسلف الصالح من بعدهم رحم الله الجميع .

وأثبتن للأوليا الكرامة
ومن نفاها فانبذن كلامه

ونحن المؤمنين نحب الصالحين ونسأل الله تعالى دائما وأبدا أن ينفعنا بهم ويحشرنا معهم ، لأنهم : « .. **أولياء الله** » الذين « .. **لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون** »[٢] .

ولكننا فى نفس الوقت نحبهم حبا ايجابيا لا سلبيا ، بمعنى أننا نتخلق بأخلاقهم ونتأدب بآدابهم ونسير على نهجهم حتى نكون أهلا للانتساب اليهم ، وحتى نحشر معهم وفى زمرتهم ان شاء الله تعالى .

انا وان كرمت أوائلنا — لسنا على الأحساب نتكل
نبنى كما كانت أوائلنا تبنى — ونفعل مثل ما فعلوا !

* * *

فليذكر الأخ المسلم كل هذا ، ولتكن وسيلته دائما وأبدا الى الله تعالى ، هى عمله الصالح ، كما يشير قول الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون** »[٣] .

وذلك لأن العمل الصالح هو السبيل الى فلاحك ونجاحك فى الدنيا والآخرة كما يشير قول الله تعالى :

« **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** »[٤] .

* * *

---

(١) المائدة : ١١٧
(٢) يونس : ٦٢ ، ٦٣
(٣) المائدة : ٣٥
(٤) النحل : ٩٧

ولا تنس فى النهاية الوصية الجامعة التى قال فيها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم لكل فرد مؤمن من أفراد أمته الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فى شخص عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما (١) :

« احفظ الله يحفظ ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ، وفى رواية غير الترمذى : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » .



مع ملاحظة أن معنى :

« احفظ الله » أى احفظ أوامره التى أوجبها ، ونواهيه التى حرمها فتقف عند أوامره بالامتثال ، وعند نواهيه بالاجتناب فلا يراك حيث نهاك : « يحفظك » فى دنياك ودينك ونفسك وأهلك .

و « تجاهك » بضم التاء وفتح الهاء : أى أمامك ، أى تجده معك بالحفظ والاحاطة والتأييد والاعانة . وخص الأمام من بين الجهات الست اشعارا بشرف المقصد ، وبأن الانسان مسافر الى الآخرة غير مقيم فى الدنيا ، والمسافر انما يطلب أمامه لا غير .

« فاسأل الله » يعطك ما سألت فهو أحق أن يقصد ، فان خزائن الجود بيده وأزمتها اليه . وكذلك لا تنسى المعنى المراد من قوله صلى الله عليه وسلم :

« فاستعن بالله » : أى اطلب المعونة فى تحصيل المؤونة الدنيوية والأخروية من الله اذ لا معين سواه والأسباب العادية هو الذى سببها فلا تعتمد بقلبك الا على الذى خلقها وسخرها .

---

(١) وقد كان خلف النبى صلى الله عليه وسلم اى على بغلته كما جاء فى نص الحديث .

وتذكر دائما وأبدا قول القائل :

اذا لم يكن عـــون من الله للفـــتى
فاول ما يجنى عليـــه اجتهـــــــاده

وقول الآخـــر :

واذا العنـــاية لاحظتـــــك عيـــونها
نـــم فالمخـــاوف كلهـــن أمـــــان

* * *

وليكن دعاءك دائما وأبدا ولا سيما عقب كل صلاة[1] ، هو :

« اللهم أعنى على ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك »[2] آمين .

* * *

(١) أى فى ختام الصلاة .
(٢) رواه أبو داوود والنسائى باسناد صحيح .

الجزء الرابع عشر

الوصية السادسة والأربعون

عن أبى قرصافة[1] أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« ابنوا المساجد ، وأخرجوا القمامة منها ، فمن بنى لله مسجدا ، بنى الله له بيتا فى الجنة ، فقال رجل : يا رسول الله .. وهذه المساجد التى تبنى فى الطريق ؟ قال : نعم .. واخراج القمامة منها مهور الحور العين »[2] .

(رواه الطبرانى فى الكبير)

* * *

فكن أخا الاسلام :

من المنفذين لما أوصاك به الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الوصية العظيمة .

وحسبك ترغيبا لك أولا فى :

فضل بناء المساجد فى الأمكنة المحتاجة اليها

أن تقرأ معى بفهم هذه الأحاديث الواردة :

عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه قال عند قول الناس فيه[3] حين بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم : انكم أكثرتم

---

(1) اسم أبى قرصافة بكسر القاف : جندرة بن خيشنة .

(2) الحور العين : الحور جمع حوراء ، وهى الشديدة بياض العين الشديدة سوادها ، والعين جمع عيناء ، وهى الواسعة العينين .

(3) أى حين أنكروا عليه ما أحدثه فى المسجد من توسيعه وتجصيصه وسقفه بخشب الساج .

على[١] وانى سمعت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم يقول : « من بنى مسجدا يبتغى به وجه الله[٢] بنى الله له بيتا فى الجنـــة ، وفى روايـــة : بنى الله له مثله فى الجنة » رواه البخارى ومسلم وغيرهما .

وعن أبى ذر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « من بنى لله مسجدا قدر مفحص قطاة[٣] بنى الله له بيتـــا فى الجنة » رواه البزار واللفظ له ، والطبرانى فى الصغير ، وابن حبان فى صحيحه .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال : سمعت رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم يقول : « من بنى لله مسجدا يذكر فيـــه[٤] بنى الله له بيتا فى الجنة » رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه .

وعن محمود بن لبيد ، عن عثمان بن عفان ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « من بنى مسجدا لله ، بنى الله له مثله[٥] فى الجنة » حديث متفق على صحته .



هذا .. واذا كان النبى صلى الله عليـــه وسلم قد أمر أو رغب فى بناء المســـاجد ، فقد نهى فى نفس الوقت عن زخرفتها :

فعن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم : « ما أمرت بتشييد المساجد » وقال ابن عباس : لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى[٦] .

---

(١) اى اكثرتم من لومى وتثريبى بسبب ذلك .

(٢) يعنى يطلب به ثواب الله ورضاه .

(٣) مفحص القطاة : هو الموضع الذى تفحص عنه التراب لتبيض فيه . والمراد انه صغير جدا .

(٤) اى باقامة الصلوات الخمس فيه ، وتلاوة القرآن ومدارسته ، وعقد مجالس العلم والحديث .

(٥) وهذا من باب التقريب ، والا فما فى الجنة لا مثيل له ، فقد أعد الله تعالى لعباده الصالحين فى الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

(٦) هو فى سنن ابى داوود ص ٤٤٨ فى الصلاة : باب فى بنـــاء المسجد ، وسنده صحيح ، واخرج البخارى فى صحيحه ١ / ٤٤٩ قول ابن عباس تعليقا .

والمراد من التشييد[١] : رفع البناء وتطويله ، ومنه قوله سبحانه وتعالى : « في بروج مشيدة »[٢] وهي التي طول بناءها ، يقال : شاد الرجل بناءه يشيده ، وشيده يشيده . وقيل : البروج المشيدة : الحصون المجصصة ، والشيد : الجص .

وأمر عمر ببناء مسجد ، وقال : أكن الناس من المطر ، واياك أن تحمر وتصفر ، فتفتن الناس[٣] .

وروى أن عثمان رأى أترجة من جص معلقة في المسجد فأمر بها فقطعت .

وقول ابن عباس : لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى ، معناه أن اليهود والنصارى انما زخرفوا المساجد عندما حرفوا وبدلوا أمر دينهم ، وأنتم تصيرون الى مثل حالهم ، وسيصير أمركم الى المراءاة بالمساجد ، والمباهاة بتشييدها وتزيينها .

قال أبو الدرداء : اذا حليتم مصاحفكم ، وزوقتم مساجدكم ، فالدمار عليكم .

وعن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد »[٤] .

وعنه أيضا ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد »[٥] .

ويقول صالح بن رستم : قال أبو قلابة :

غدونا مع أنس بن مالك الى الزاوية ، فحضرت صلاة الصبح ، فمررنا بمسجد ، فقال أنس : لو صلينا في هذا المسجد ، فقال بعض القوم : حتى نأتي المسجد الآخر ، فقال أنس : أي مسجد ؟ قالوا :

---

(١) كما جاء في شرح السنة للبغوي ج ٢

(٢) النساء : ٧٨

(٣) علقه البخاري ١ / ٤٤٨ ، قال الحافظ وهو طرف من قصة تجديد المسجد النبوي .

(٤) أبو داوود في الصلاة (٤٤٩) : باب بناء المسجد ، واسناده صحيح ، وصححه ابن حبان (٣٠٨) واخرجه ابن ماجه (٧٣٩) في المساجد : باب تشييد المساجد .

(٥) ورواه النسائي ٢ / ٣٢ في المساجد : باب المباهاة في المسجد ، والدارمي ١ / ٣٢٦ في الصلاة : باب تزويق المساجد ، واسناده صحيح .

مسجد أحدث الآن ، فقال أنس : ان رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سيأتى على أمتى زمان يتباهون فى المساجد ، ولا يعمـرونها الا قليـلا »[١] .

* * *

وهذا الجزء الأخير فى هذا الحديث الشريف ، وهو : « ولا يعمرونها الا قليـلا » هو ما أريد أن أركز عليـه ، وذلك حتى لا يكون هنـاك تركيز على زخرفة المساجد بتلك الصورة التى حولت أغلب المساجد الى شبه « متاحف » يؤمها أكثر الناس — فضلا عن غيرهم من الأجانب — من أجل السياحة لا من أجل العبادة ، بل وبتلك الصورة التى قد تفسد صلاة أكثر المتعبدين فيها عندما يشغلون بما فيها من نقوش أثناء الصلاة .

ولهـذا قال النووى فى المجموع : يكره زخرفة المسجد ونقشـه وتزيينه ، للأحاديث المشهورة ، ولئلا تشغل قلب المصلى .

وقال الأوزاعى : ينبغى أن يحرم لمـا فيه من اضاعة المـال لا سيما ان كان من مال المسجد .

وقال ابن الحاج فى المدخل : وينبغى للامام أن يغير ما أحدثوه من الزخرفة فى المحراب وغيره ، فان ذلك من البدع ومن أشراط الساعة .

وقال ابن القاسم : وسمعت مالكا يذكر مسجد المدينة وما عمـل من التزويق فى قبلته ، فقال : كره الناس ذلك حين فعل ، لأنه يشغلهم بالنظر اليه . وسئل مالك عن المساجد هل يكره أن يكتب فى قبلتهـا بالصبغ مثل آية الكرسى و« قل هو الله أحد » والمعوذتين ؟ فقال : أكره أن يكتب فى قبلة المسجد شىء من القرآن والتزويق ، وقال : ان ذلك يشغل المصـلى اهـ .

مع ملاحظة : أن أول من زخرف المساجد هو الوليد بن عبد الملك ، وسكت عليه أهل العلم خوف الفتنة .

* * *

---

(١) رجاله ثقات ، الا أن صالح بن رستم كثير الخطأ ، وقد علقه البخارى بنحوه ١ / ٢٤٩ من قول أنس ، وقال الحافظ : وهذا التعليق رويناه موصولا فى « مسند أبى يعلى » ، و « صحيح ابن خزيمة » من طريق أبى قلابة أن أنســا قال : سمعته يقول : « يأتى على أمتى زمان يتباهون بالمساجد ، ثم لا يعمرونها الا قليلا » .

فعلى الاخوة المؤمنين الذين ينوون بناء المساجد أو المشاركة فيها أن يلاحظوا كل هذا ، حتى يتقبل الله منهم بناءها أو المشاركة فى هذا البناء ، وحتى لا يكونوا سببا فى انشغال العباد أثناء الصلاة بسبب تلك الزخارف المبتدعة التى لا تمت الى الهدف من بناء المساجد بصلة ، والتى تعتبر اسرافا وتبذيرا ، وحسبهم أن يذكروا دائما وأبدا قول الله تعالى : « **ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين** »[١] .

وقوله : « .. **انه لا يحب المسرفين** »[٢] .



وليكن تركيزنا جميعا نحن المؤمنين على تعمير المساجد ، بمعنى أن نحافظ على أداء الفرائض الخمس فيها ، كلما نادى المنادى قائلا : « حى على الصلاة .. حى على الفلاح » .



وقد ورد الترغيب فى :

فضل اتيان المساجد

فعن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من غدا الى المسجد وراح ، أعد الله له نزله[٣] من الجنة كلما غدا وراح » حديث متفق على صحته[٤] .

وعن أبى موسى ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى ، والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام أعظم أجرا من الذى يصلى ثم ينام » حديث متفق على صحته[٥] .

وعن أبى سعيد الخدرى ، أو عن أبى هريرة أنه قال : قال

---

(١) الاسراء : ٢٧ (٢) الأعراف : ٣١

(٣) النزل بضم النون والزاى : المكان الذى يهيأ للنزول فيه ، وبسكون الزال : ما يهيأ للقادم من الضيافة ونحوها .

(٤) البخارى ٢ / ١٢٤ فى صلاة الجماعة : باب فضل من غدا الى المسجد ومن راح ، ومسلم (٦٦٩) فى المساجد : باب المشى الى الصلاة تمحى به الخطايا .

(٥) البخارى ٢ / ١١٦ فى صلاة الجماعة : باب فضل صلاة الفجر فى جماعة ، ومسلم (٦٦٢) فى المساجد : باب فضل كثرة الخطا الى المساجد .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سبعة يظلهم الله فى ظله[١] يوم لا ظل الا ظله : امام عادل ، وشاب نشأ بعبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال ، فقال : انى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » حديث متفق على صحته[٢] .

وعن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل فى الجماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسة وعشرين ضعفا ، وذلك أنه اذا توضأ ، فأحسن الوضوء ، ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة ، لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة ، فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام فى مصلاه : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال أحدكم فى صلاة ما انتظر الصلاة » حديث متفق على صحته[٣] .

وعن بريدة الأسلمى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « بشر المشائين فى الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيامة » حديث صحيح[٤] .



فاذا كان الترغيب المحمدى هذا سيكون سببا ان شاء الله فى حرصك على صلاة الجماعة فى المسجد ، فاننى أحب بالاضافة الى ما وقفت عليه أن أزودك كذلك ببعض المندوبات المتعلقة بهذا ، والتى منها :

---

(١) معناه : ادخاله اياهم فى رحمته ورعايته ، وقيل : المراد منه ظل العرش .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه (٦٦٥) فى المساجد : باب فضل كثرة الخطا الى المساجد .

(٣) البخارى ٢ / ١١٢ ، ١١٤ فى الجماعة : باب فضل صلاة الجماعة ، وفى البيوع : باب ما ذكر فى الأسواق ، وفى المساجد : باب الصلاة فى مسجد السوق ، ومسلم (٦٤٩) فى المساجد : باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة .

(٤) رواه أبو داوود (٥٦١) فى الصلاة : باب ما جاء فى المشى الى الصلاة فى الظلام ، والترمذى (٢٢٣) فى الصلاة : باب ما جاء فى فضل العشاء والفجر فى الجماعة .

١ — ما يقال عند الخروج الى المسجد :

فقد روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خرج من بيته الى الصلاة ، فقال : اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك[١] ، وبحق ممشاى[٢] هـذا ، فانى لم أخرج أشرا ولا بطرا[٣] ، ولا رياء ولا سمعة[٤] ، وخرجت اتقاء سخطك[٥] ، وابتغاء مرضاتك[٦] ، فأسألك أن تعيـذنى من النار ، وأن تغفر لى ذنوبى ، انه لا يغفر الذنوب الا أنت : أقبـل الله عليه بوجهه ، واستغفر له سبعون ألف ملك » رواه ابن ماجه .

٢ — ما يسن لمن أراد دخول المسجد :

يسن لمن أراد دخول المسجد أن يتفقد نعليـه ويمسح ما فيهما من أذى :

فعن أبى سعيد : أن النبى صلى الله عليـه وسلم ، قال : « اذا جاء أحدكم الى المسجد فلينظر فان رأى فى نعليـه قذرا أو أذى فليمسحه وليصل فيهما » أخرجه أبو داوود وغيره بسند صحيح وحسنه النووى .

٣ — ما يقال عند دخول المسجد والخروج منه :

ويسن لمن أراد دخول المسجد أن يدخل برجله اليمنى أولا ، وأن يدعو بما فى حديث من هذه الأحاديث الآتية :

عن أبى حميد وأبى أسيد[٧] أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم افتح لنا أبواب رحمتك . واذا خرج فليقل : اللهم انى أسألك من فضلك » أخرجه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجـه .

وكذا أبو داوود بلفظ : « اذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم ليقل : اللهم افتح لى أبواب

---

(١) اى ان يجيبهم بمقتضى وعده فى قوله : « **ادعونى استجب لكم** » (غافر : ٦٠) فهو حق أوجبه على نفسه .

(٢) اى مكان التمشى او موضع المرور .

(٣) الأشر والبطر بمعنى واحد وهو الطغيان وكفر النعمة .

(٤) السمعة : اى الشهرة وحسن الأحدوثة .

(٥) يعنى خوف الوقوع فيما يوجب سخطك ونقمتك .

(٦) اى طلبا لرضاك وحسن مثوبتك .

(٧) حميد وأسيد مصغران .

رحمتك • واذا خرج فليسلم على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وليقل : اللهم انى أسألك من فضلك » وأخرجه أحمد والنسائى وابن حبان والبيهقى بلفظ :

« اذا دخل أحدكم المسجد فليصل على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وليقل : اللهم افتح لى أبواب رحمتك • واذا خرج فليسلم على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وليقل : اللهم انى أسألك من فضلك » •

وعن أنس أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان اذا دخل المسجد ، قال : « باسم الله ، اللهم صل على محمد • واذا خرج ، قال : باسم الله ، اللهم صل على محمد » أخرجه ابن السنى •

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان اذا دخل المسجد ، قال : « أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم • قال : فاذا قال ذلك ، قال الشيطان : حفظ منى سائر اليوم » أخرجه أبو داوود بسند جيد •

وعن ابن عباس فى قوله تعالى : **« فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم »**[1] ، قال : هو المسجد اذا دخلته فقل : « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » •

أخرجه أحمد والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين •

مع ملاحظة : أن الخروج من المسجد يكون بالرجل اليسرى ، على أن تلبس النعال الأيمن قبل الأيسر •

٤ ــ تحية المسجد :

فانه يطلب ممن دخل المسجد غير المسجد الحرام ألا يجلس حتى يصلى ركعتين تحية المسجد :

فعن أبى قتادة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « اذا جاء أحدكم المسجد فليصل سجدتين[2] من قبل أن يجلس » أخرجه السبعة[3] والبيهقى •

وكذا الأثرم فى سننه بلفظ :

« أعطوا المساجد حقها • قالوا : وما حقها ؟ قال : تصلوا ركعتين

---

(١) النور : ٦١ (٢) سجدتين : يعنى ركعتين •

(٣) وهم : أحمد والبخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه •

قبل أن تجلسوا » وأخرجه ابن ماجه عن أبى هريرة بلفظ : « اذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين » .

وأخرجه البيهقى فى السنن وابن عدى فى الكامل والبيهقى فى شعب الايمان عن أبى هريرة بلفظ :

« اذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين . واذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين ، فان الله جاعل له من ركعتيه فى بيته أجرا » .

قال فى الدين الخالص ج ٣ ص ٢٨٤ :

وهذه الأحاديث تدل على مشروعية تحية المسجد فى كل وقت حتى وقت خطبة الجمعة . وبه قال الشافعية وابن عيينة وابن المنذر وداوود واسحاق بن راهويه والحسن البصرى ، لعموم هذه الأحاديث ، ولحديث جابر بن عبد الله ، قال : جاء سليك الغطفانى يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطب فجلس فقال له : « يا سليك .. قم فاركع ركعتين وتجوز فيهما ، ثم قال : اذا جاء أحدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما » أخرجه الشيخان ، وكذا الطبرانى فى الكبير بلفظ :

« صل ركعتين وتجوز فيهما . واذا جاء أحدكم والامام يخطب يوم الجمعة فليصل ركعتين وليخففهما » .

وأما أحاديث النهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب الشمس ، فمحمولة على ما لا سبب له من الصلوات لحديث أم سلمة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ينهى عنهما — أى عن الركعتين بعد العصر — ثم رأيته يصليهما . الحديث أخرجه الشيخان وأبو داوود مطولا .. فى بحث « قضاء الرواتب » .

وقالت الحنابلة : تسن وقت الخطبة وتحرم فى أوقات النهى ولا تنعقـد .

وقال الحنفيون وابن سيرين وعطاء بن أبى رباح والليث وشريح والأوزاعى : تكره تحية المسجد فى أوقات النهى وحال خطبة الجمعة .

وقالت المالكية : تكره بعد صلاة الصبح والعصر وتحرم حال الخطبة ووقت طلوع الشمس وغروبها ، لحديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « اذا دخل أحدكم المسجد والامام

على المنبر فلا صلاة ولا كلام حتى يفرغ الامام » أخرجه الطبرانى وفى سنده أيوب بن نهيك منكر الحديث ، وقالوا : أحاديث الأمر بالصلاة لدخول المسجد عامة مخصوصة بأحاديث النهى عن الصلاة فى أوقات النهى ، ودعوى أن أحاديث النهى محمولة على ما لا سبب له ، ولا دليل عليهـا ..

وصلاته ــ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ــ ركعتى الظهر بعد العصر مختصة به ، لقول أم سلمة قلت له : أفنقضيهما اذا فاتتنا ؟ قال : لا » . أخرجه أحمد والبيهقى مطولا .. ولو سلم عدم الاختصاص لـمـا كان فى ذلك الا جواز قضاء سنة الظهر لا جواز قضاء جميع ذوات الأسباب ، وأما أمره صلى الله عليه وعلى آله وسلم سليكا بصلاة الركعتين ، فأجابوا عنه بوجوه كلها ضعيفة . ويعارضها ما تقدم فى الحديث الصحيح عن جابر بن عبد الله من قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « اذا جاء أحدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما » أخرجه الدارقطنى ، وهو يرد ما قيل من أن قصة سليك واقعة عين لا عموم لها . وأقوى دليل لمن قال بعدم جواز الصلاة حال الخطبة حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والامام يخطب فقد لغوت » أخرجه الجماعة[1] ، ووجه الدلالة أنه اذا منع من هـذه الكمة مع كونها أمرا بمعروف ونهيا عن منكر فى زمن يسير وهو واجب ، فلأن يمنع من الركعتين مع كونهما مسنونتين وفى زمن طويل من باب أولى ، ورد : بأن هذا قياس فى مقابلة النص فلا يعول عليه .

فالراجح القول بمشروعية تحية المسجد حال الخطبة ، ويؤيده أن النبى صلى الله عليه وسلم قطع الخطبة وهى فرض وأمر سليكا بالصلاة ، وهذا يدل دلالة قاطعة على تأكد صلاة ركعتى التحية اذ معلوم أن الفرض وهو الخطبة لا يقطع الا لفرض مثله أو لمتأكد فعله .

هذا .. ولا تفوت التحية بالجلوس ولو طال عند الحنفية والمـالكية ، لـمـا تقدم أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر سليكا بالصلاة بعد جلوسه ، ولحديث أبى ذر أنه دخل المسجد فقال له النبى صلى

---

(١) وهم : مالك واحمد والبخارى ومسـلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

الله عليـه وعلى آله وسلم : « أركعت ركعتين ؟ قال : لا • قال : قم فاركعهما » أخرجه ابن حبان فى « باب تحية المسجد لا تفوت بالجلوس » •

ثم يقول فى « الدين الخالص » بعد أن ذكر آراء بقية الأئمة حول هذا الموضوع ، ما خلاصته :

قال فى « الهدى » : كان من هدى النبى صلى الله عليه وسلم أن الداخل الى المسجد يبتدىء بركعتين تحية للمسجد ثم يسلم على القوم ، فتكون تحية المسجد قبل تحية أهله ، فان تلك حق الله تعالى ، والسلام على الخلق حق لهم ، وحق الله تعالى فى مثل هـذا أحق بالتقديم ، بخلاف الحقوق المـالية فان فيها نزاعا معروفا عند الفقهاء ، وكانت عادة القوم معه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هكذا يدخل أحدهم المسجد فيصلى ركعتين ثم يسلم على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم •

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ هـذا ، وأن يلاحظ كذلك : أن ما تقدم من طلب صلاة تحية المسجد انما هو فى غير المسجد الحرام أما هو(١) فتحيته الطواف ، الا لمن أراد الجلوس قبل الطواف ، فانه يشرع له أن يصلى التحية •

وأنه يسن للقادم من سفر أن يبدأ بالمسجد فيصلى فيه ركعتين ، لقول كعب بن مالك : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسـلم اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين • أخرجه الشيخان ، ولقول جابر : « كنت مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى غزاة واشترى منى جملا بأوقية ثم قدم قبلى ، وقدمت بالغداة فوجدته على باب المسجد ، قال : الآن قدمت ؟ قلت : نعم • قال : فادخل فصل ركعتين » أخرجه الشيخان وأبو داوود والنسائى •

وينبغى لمن يدخل المسجد لصلاة أو غيرها أن ينوى الاعتكاف •

٥ ـ الجلوس فى المسجد للطاعة :

فقد ورد أن السعى الى المساجد والجلوس فيها للطاعة من أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة ، وذلك فى عدة أحاديث منها :

حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسـلم ، قال : « ان للمساجد أوتادا(٢) الملائكة جلساؤهم ، ان غابوا يفتقدونهم ،

---

(١) اى المسجد الحرام •

(٢) الأوتاد : جمع وتد بكسر التاء وتفتح ، والمراد بهم من يكثرون الجلوس فى المساجد للطاعة •

وان مرضوا عادوهم ، وان كانوا فى حاجة أعانوهم . قال صلى الله عليـه وعلى آله وسلم : « جليس المسجد على ثلاث خصال : أخ مستفاد ، أو كلمة محكمة ، أو رحمة منتظرة » .

أخرجه أحمد والمنذرى . وفى سنده ابن لهيمة ، متكلم فيه ، وأخرجه الحاكم دون قوله : جليس المسجد .. الـخ من حديث عبد الله ابن سلام ، وقال صحيح على شرط الشيخين .

قال فى الدين الخالص تعليقا على هذا الحديث :

فقد دل الحديث على فضل من لازم المسجد ، وأنه لا يعدم صحبة أخ صالح يستفيد منه نصيحة أو مساعدة أو بيان آية قرآنية أو مسألة علميـة ، أو رجاء رحمة من رب البرية ، فقد ثبت أن الجالس فى المسجد تدعو له الملائكة بالمغفرة والرحمة ، ودل على أن الملائكة تجالسه ، فان غاب بحثوا عنه ، وان مرض عادوه . وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

وحديث أبى هريرة ــ أيضا ــ أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟ اسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط » أخرجه مالك وأحمد والنسائى والترمذى .

واذا كان الانتظار ــ فى المسجد ــ من أجل انتظار الصلاة مع الجماعة ، فانه من الخير كذلك أن يستغل وقت الانتظار هذا فى حلقـة من حلقات العـلم النافع التى رغب النبى صلى الله عليـه وسلم فى مذاكرة العلم فيها ، فقال :

« .. ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنـة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلـون كتـاب الله ويتدارسونه[١] بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده .. » الحديث رواه مسلم .

* * *

هذا .. واذا كنت ستقيم فى المسجد من أجل انتظار الصلاة ، أو من أجل طلب العـلم ــ كما عرفنا ــ فانه ينبغى عليك أن تقف كذلك على :

---

(١) أصل الدراسة التعهد للشىء ، وذلك شـامل لجميع ما يناط بالقرآن من التعليم والتعلم .

ما تصان عنه المساجد

وذلك حتى تكون ان شاء الله تعالى من المؤمنين الذين يعملون على صيانتها من كل ما ينافى احترامها ، وما بنيت من أجله ، فاليك بعض ما أشار اليه — صاحب الدين الخالص ج ٣ — تحت هـذا العنوان الذى وقفت عليـه :

١— يطلب صيانتها من الأقذار كالبول والحجامة والفصد والبزاق وغيرها ، لحديث أنس أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « ان هـذه المساجد لا تصلح لشىء من هـذا البول ولا القذر ، انما هى لذكر الله وقراءة القرآن » أخرجه مسلم .

قال النووى فى المجموع : « ويحرم البول والفصد والحجامة فى المسجد فى غير اناء ، ويكره الفصد والحجامة فيه فى اناء . وفى تحريم البول فى اناء فى المسجد وجهان ، أصحهما يحرم ، ويحرم ادخال النجاسة الى المسجد ، فأما من على بدنه نجاسة أو به جرح ، فان خاف تلويث المسجد حرم عليه دخوله ، وان أمن لم يحرم » اهـ .

٢ — ويلزم صيانة المسجد عن الروائح الكريهة ، فيحرم على من تناول ذا رائحة كريهة كثوم وبصل دخول المسجد قبل ازالتها ، لحديث جابر أن النبى صلى الله عليـه وعلى آله وسلم ، قال : « من أكل الثوم والبصل والكراث ، فلا يقربن مسجدنا ، فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم » أخرجه الشيخان ، وكذا أحمد بلفظ : « من أكل ثوما أو بصلا فليعتزلنا ، أو قال : فليعتزل مسجدنا وليقعد فى بيته » وأخرجه النسائى والترمذى .

والمراد : تناول ما ذكر وهو نىء لأنه ذو الرائحة الخبيثة المؤذية ، بخلاف ما اذا كان مطبوخا فلا يشمله النهى ، لذهاب تلك الرائحة منه ، ولقول على رضى الله عنه : نهى عن أكل الثوم الا مطبوخا ، ولحديث معاوية بن قرة عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهى عن هاتين الشجرتين — يعنى الثوم والبصل — وقال : « من أكلهما فلا يقربن مسجدنا » . وقال : « ان كنتم لابد آكليهما فأنضجوهما طبخا » أخرجهما أبو داوود .

٣ — ويكره لمن به بخر وصنان قوى دخول المسجد وحضـور الجماعات ، لمـا يترتب على ذلك من ايذاء الناس والملائكة ، بل ينبغى

أن يحرم ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « فان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم » أخرجه الشيخان من حديث جابر .

٤ — ويكره اخراج الريح فى المسجد اختيارا ، صونا له عن الرائحة الكريهة ، ولما يترتب عليه من ايذاء من بالمسجد ، ولحديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى مصلاه الذى صلى فيه ما لم يحدث ، تقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه » أخرجه الشيخان ، وأبو داوود والنسائى ، وكذا ابن ماجه من حديث أبى صالح عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « ان أحدكم اذا دخل المسجد كان فى صلاة ما كانت الصلاة تحبسه ، والملائكة يصلون على أحدكم ما دام فى مجلسه الذى صلى فيه ، يقولون : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، اللهم تب عليه ، ما لم يحدث فيه ما لم يؤذ فيه » ، ولحديث أبى رافع عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « لا يزال العبد فى صلاة ما دام فى مصلاه ينتظر الصلاة ، تقول الملائكة : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه . حتى ينصرف أو يحدث ، فقيل : وما يحدث ؟ قال : يفسو أو يضرط »[1] أخرجه مسلم وأبو داوود .

٥ — ويكره تحريما رفع الصوت فى المسجد بنشد الضالة[2] ، لحديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « من سمع رجلا ينشد ضالة فى المسجد ، فليقل لا أداها الله اليك ، فان المساجد لم تبن لهذا » أخرجه أحمد ومسلم وأبو داوود وابن ماجه ، ولحديث بريدة الأسلمى أن رجلا نشد فى المسجد ، فقال : من دعا للجمل الأحمر بعد الفجر ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا وجدته لا وجدته ، انما بنيت هذه المساجد لما بنيت له » أخرجه أحمد ومسلم وابن ماجه .

وفى الحديثين : دلالة على جواز الدعاء على ناشد الضالة فى المسجد بعدم ردها اليه معاملة له بنقيض قصده حيث فعل ما لا يجوز فعله فى المسجد من رفع الصوت بما لم يعد له المسجد من العبادة والذكر

---

(١) مضارع ضرط من باب تعب وضرب والاسم ضرط ككتف .

(٢) الضالة ، بتشديد اللام ، الضائعة من كل ما يقتنى . يقال ضل الشىء اذا ضاع ، وضل عن الطريق اذا حاد . وانشادها ، تعريفها ، ونشدها طلبها .

والصلاة وتعليم العلم ونحو ذلك ، فعن عاصم بن عمر بن قتادة أن عمر سمع ناسا من التجار يذكرون تجارتهم والدنيا فى المسجد ، فقال : انما بنيت هــذه المساجد لذكر الله ، فاذا ذكرتم تجاراتكم ودنياكم فاخرجوا الى البقيع •

أخرجه ابن أبى شيبة بسند جيد • قال ابن رسلان : « ويلحق بذلك من رفع صوته فى المســجد بما يقتضى مصلحة ترجع للرافــع صوته » اه •

ولذا قال الحنفيون : يحرم السؤال فى المسجد مطلقا ، لأنه كنشد الضالة ، ويكره الاعطاء فيه مطلقا ، لأنه يحمل على السؤال ، وقيل ; يكره اعطاؤه ان تخطى الرقاب ، وقال أبو مطيع البلغى : لا يحل أن يعطى سؤال المساجد •

وقال الجمهور : يجوز السؤال فى المسجد واعطاء الصدقة فيه الا اذا ألح السائح وتخطى الرقاب فيحرم السؤال والاعطاء ، واختار صاحب المحيط أنه ان سأل لأمر لابد منه ولا ضرر فلا بأس والا كره •

أما الاعطاء بلا سؤال فهو جائز اتفاقا ، فقد روى البيهقى أنه صلى الله عليه وسلم أمر سليكا الغطفانى بالصلاة يوم الجمعة حال الخطبة ليراه الناس فيتصدقوا عليه ، وأنه أمرهم بالصدقة وهو على المنبر •

٦ ــ ولا يجوز رفع الصوت فى المسجد ولو بالقرآن والذكر لقول أبى سعيد الخدرى : اعتكف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال : « آلا ان كلكم مناج ربه ، فلا يؤذين بعضكم بعضا ، ولا يرفع بعضــكم على بعض فى القراءة » أخرجه أحمد وأبو داوود والنسائى والبيهقى والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين •

وعلى هذا اتفقت كلمة الفقهاء :

قال فى الدر المختار : يحرم فى المسجد رفــع الصوت بذكر الا للمتفقهة اه •

٧ ــ ويجب أن يصان المسجد عن دخول الصبيان والمجانين اذا خيف تلويثه ، لحديث واثلة بن الأسقع أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراركم » •• الحديث أخرجه ابن ماجه والمنذرى بسند ضعيف •

ولذا قال الحنفيون : يحرم ادخال الصبيان والمجانين المسجد اذا غلب تنجيسهم اياه والا فيكره .

وقال النووى فى المجموع : ويكره ادخال البهائم والمجانين والصبيان الذين لا يميزون المسجد ، لأنه يخشى تلويثهم اياه . ولا يحرم ذلك لأنه ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلى حاملا أمامة بنت زينب ، وطاف على بعيره . ولا ينفى هذا الكراهة ، لأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعله لبيان الجواز . اهـ .

٨ — ويكره الاحتراف فى المسجد بعمل دنيوى كخياطة وحياكة وغزل ونحوها .

قال القاضى عياض : والراجح منع الصنائع التى يختص بنفعها آحاد الناس ويكتسب بها . فلا يتخذ المسجد متجرا . وأما الثاقفة كاصلاح آلات الجهاد ونحوها مما لا امتهان للمسجد فى عمله فلا بأس اهـ .

وقال النووى فى المجموع : يكره أن يجعل المسجد مقعدا لحرفة كالخياطة ونحوها ، لحديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان هذه المساجد لا تصلح لشىء من هذا البول ولا القذر ، انما هى لذكر الله وقراءة القرآن » أخرجه مسلم . فأما من ينسخ فيه شيئا من العلم أو اتفق قعوده فيه فخاط ثوبا ولم يجعله مقعدا للخياطة فلا بأس به اهـ .

٩ : ١٢ — وينبغى صيانة المسجد عن البيع والشراء وانشاد الشعر والتحلق يوم الجمعة ، لحديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « اذا رأيتم من يبيع أو يبتاع فى المسجد ، فقولوا : لا أربح الله تجارتك ، واذا رأيتم من ينشد فيه ضالة ، فقولوا : لا رد الله عليك ضالتك » أخرجه النسائى فى عمل اليوم والليلة ، والترمذى وحسنه ، وابن حبان والحاكم وصححه .

ولحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده — عبد الله بن عمرو — ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشراء والبيع فى المسجد ، وأن تنشد فيه الأشعار ، وأن تنشد فيه الضالة . ونهى عن التحلق[١] قبل الصلاة يوم الجمعة .

---

(١) التحلق : جلوس الناس مستديرين على هيئة الحلقة ، ونهى عنه قبل صلاة الجمعة ، لما يترتب عليه من قطع الصفوف ..

أخرجه أحمد وأبو داوود والترمذى والنسائى • غير أن النسائى لم يذكر نشد الضالة ، وصححه الترمذى •

وقد أخذ الحنابلة بظاهر هـذا الحديث وغيره : فأفتوا بحرمة البيع والشراء فى المسجد ولا فرق عندهم بين المعتكف وغيره ولو قل البيع واحتيج اليه • قال أحمد : انما هذه بيوت الله لا يباع فيها ولا يشرى ، وفى « كشاف القناع » : ورأى عمران القصير رجلا يبيع فى المسجد فقال : يا هـذا ان هذا سوق الآخرة ، فان أردت البيع فاخرج الى سوق الدنيا اه •

هـذا واذا كان غير الحنابلة قد قالوا بكراهية البيع والشراء فى المسجد لأسباب ذكروها ، وهى اذا عم المسجد وغلب عليه عند الأحناف ، ولغير المعتكف مطلقا عند الشافعية ، واذا كانا بغير رفع صوت ، والا فهو حرام عند المالكية لجعل المسجد سوقا :

فانه من الأحوط عدم الوقوع فى هذه المخالفة لأن المساجد كما تبين لنا من خلال كل هذا ليست من أسواق الدنيا •

١٣ — وأما انشاد الشعر فى المسجد فالمنهى عنه ما كان على سبيل التفاخر والهجاء ومدح من لا يستحق المدح ، وذم من لا يستحق الذم •

أما ما فيه أمر بمعروف ونهى عن منكر وبيان لأحكام الدين وترغيب فى العمل بها ، ومدح من يستحق المدح وذم من يستحق الذم وحث على الزهد والمكارم ، فانشاده فى المسجد جائز حسن • وقد ورد ما يؤيد هـذا فى السنة ، فعن سعيد بن المسيب رضى الله عنه أنه قال : مر عمر بن الخطاب فى المسجد وحسان فيه ينشد فلحظ[1] اليه فقال : كنت أنشده فيه وفيه من هو خير منك • ثم التفت الى أبى هريرة فقال : أنشدك الله[2] أسمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « أجب عنى ، اللهم أيده بروح القدس[3] ؟ قال : نعم » أخرجه أحمد والشيخان •

ولقول عائشة : « كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ينصب لحسان منبرا فى المسجد فيقوم عليه يهجو الكفار » أخرجه الترمذى وصححه ، والحاكم وقال صحيح الاسناد •

---

(١) أى نظر اليه نظرة انكار • (٢) أى أسألك بالله •
(٣) المراد بروح القدس بضمتين : جبريل عليه السلام •

ومحل جواز انشاد الشعر فى المسجد ـ كما يقول فى « الدين الخالص »(١) ـ : ما لم يشوش على مصل أو قارىء أو ذاكر والا منع مطلقا •

١٤ ـ ويكره تحريما اقامة الحدود فى المسجد صونا له وحفظا لحرمته •

وقد ورد فى هذا عن حكيم بن حزام أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « لا تقام الحدود فى المساجد ولا يستقاد فيها »(٢) أخرجه أحمد وأبو داوود والدارقطنى والحاكم وابن السكن والبيهقى بسند لا بأس به • قاله الحافظ فى التلخيص ، وقال فى بلوغ المرام : اسناده ضعيف •

وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « لا تقام الحدود فى المساجد ، ولا يقتل الوالد بالولد » أخرجه أحمد والحاكم والترمذى •

وبهذا قالت الحنفية والشافعية : حملا للنهى على الكراهة • وحمله المالكية والحنابلة على الحرمة ، فقالوا : يحرم اقامة الحدود والتعزير الشديد فى المساجد •

١٥ ـ ويكره تحريما القاء القمل ودفنه حيا فى المسجد :

لحديث الحضرمى ابن لاحق عن رجل من الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « اذا وجد أحدكم القملة فى ثوبه فليصرها(٣) ولا يلقها فى المسجد » أخرجه أحمد بسند رجاله ثقات ، وأخرجه البيهقى بلفظ : « اذا وجد أحدكم القملة وهو يصلى فلا يقتلها ، ولكن يصرها حتى يصلى » •

أما دفنه فى المسجد بعد قتله فلا بأس به :

لقول أبى مسلم : دخلت على أبى أمامة وهو يتفلى فى المسجد ويدفن القمل فى الحصى •• الحديث أخرجه أحمد والطبرانى بسند جيد •

---

(١) ج ٣ ص ٣٢٣ الطبعة الأولى •

(٢) الاستقادة ، طلب القود وهو القصاص •

(٣) يصرها بفتح فضم فشد الراء : اى فليقبض عليها فى ثوبه حتى يخرجها من المسجد •

ولقول مالك بن يخامر : رأيت معاذ بن جبل يقتل القمل والبراغيث فى المسجد • أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند رجاله ثقات •

ولحديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « اذا وجد أحدكم القملة فى المسجد فليدفنها أو ليمطها عنه » أخرجه الطبرانى فى الأوسط •

١٦ — ويكره أن يحفر فى المسجد بئر لأنه لا يؤمن من دخـول النساء والصبيان وتقذير المسجد ، الا ان كان البئر قديما كزمزم فانه يترك •

١٧ — ويكره غرس الشجر فى المسجد لأنه تشـبيه له بالبيعـة والكنيسة وفيه شغل لمكان الصلاة الا أن تكون فيه منفعة للمسجد بأن كانت أرضة نزة[1] لا تسـتقر فيها الأعمدة فيغرس الشجر ليتحول اليه النز •

والخلاصة كما يقول فى كشاف القناع : يحرم غرس شجر فى مسجد ، لأن منفعته مستحقة للصلاة ، فتعطيلها عدوان ، فان فعل قلعت الشجرة فان لم تقلع فثمرها للمساكين اه •

١٨ — ويكره تطيين المسجد وبناؤه وتجصيصه بطين ولبـن[2] وجص نجس وتنويره بزيت نجس • والظاهر التحريم فى الكل قاله فى كشاف القناع •

١٩ — ويكره اللغط فى المسجد وحديث الدنيا ، قال ابن الحاج فى المدخل : انما يجلس فى المسجد للصلاة والتلاوة والذكر والتفكر أو تدريس العلم ، بشرط عدم رفع الصوت وعدم التشويش على المصلين والذاكرين •

وفى حديث ابن مسعود أن النبى صلى الله عليـه وعلى آله وسلم ، قال : « يأتى على النـاس زمان يحلقون فى مساجدهم وليس همهم الا الدنيا ، وليس لله فيهم حاجة فلا تجالسوهم » أخرجه ابن حبان ، وكذا الحاكم من حديث أنس وقال صحيح الاسناد •

والخلاصة كما يقول النووى فى المجموع : يجوز التحدث بالحديث

---

(١) أى رطبة ينز منها المـاء •

(٢) أى طوب اللبن الذى لم يحرق بالنار •

المباح فى المسجد وبأمور الدنيا وغيرها من المباحات ، وان حصل فيه ضحك ونحوه ما دام مباحا :

لحديث جابر بن سمرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يقوم من مصلاه الذى صلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس ، فاذا طلعت قام • قال : وكانوا يتحدثون فيأخذون فى أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم • أخرجه مسلم اه •

٢٠ — ويكره لمن بالمسجد اسناد ظهره الى القبلة ، بل السنة أن يستقبلها فى جلوسه ، لحديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : ان لكل شىء سيدا ، وان سيد المجالس قبالة القبلة » أخرجه الطبرانى بسند حسن •

وحديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « أكرم المجالس ما استقبل به القبلة » أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، وأخرجه هو وابن عدى عن ابن عباس •

وعنه أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « أشرف المجالس ما استقبل به القبلة » أخرجه الطبرانى •

٢١ — ولا يجوز أخذ شىء من أجزاء المسجد كحجر وحصاة وتراب وغيرها كالزيت والشمع الذى يسرج فيه ، لحديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « ان الحصاة لتناشد[1] الذى يخرجها من المسجد » أخرجه أبو داوود •

ولقول سعيد بن جبير : « الحصاة تسب وتلعن من يخرجها من المسجد » •

وقول سليمان بن يسار : « الحصاة اذا خرجت من المسجد تصيح حتى ترد الى موضعها » أخرجهما ابن أبى شيبة •

قال فى « الدين الخالص » معقبا على هذا :

« وفيما ذكر التنفير من اخراج الحصى من المسجد ، ومحله فى المساجد غير المفروشة • أما المفروشة فيطلب تنقيتها من الحصى ونحوه • لما يترتب على بقائه فيها من تعفيش المسجد وضرر المصلى بالسجود عليها » •

---

(١) أى تسأل وتقسم على من يخرجها من المسجد ان لا يخرجها منه لأنها لا تحب مفارقته ، لأنه محل العبادة والرحمة •

وقال فى « كشف القناع » : ويكره فى المسجد الخوض والفضول من الكلام وحديث الدنيا والارتفاق بالمسجد ، واخراج حصاه وترابه للتبرك به وغيره ، ولا يستعمل الناس حصوه وقناديله وسائر ما وقف لمصالحه فى مصالحهم كالأعراس والأعزية وغير ذلك ، لأنها لم توقف لذلك » اه • ملخصا •

وقال : « وينبغى لمن أخذ شيئا من المسجد مما يصان عنه ألا يلقيه فيه ، لأنه يطلب خلو المسجد منه بخلاف حصباء ونحوها من أجزاء وتراب المسجد وطينه ، لأن استبقاء ذلك فيه مطلوب » اه •

٢٢ — ويمنع الناس فى المساجد من استطراق[1] حلق الفقهاء والقراءة صيانة لحرمتها :

وفى الحديث : « لا حمى الا فى ثلاثة : البئر والفرس وحلقة القوم » أخرجه القاضى عياض مرسلا بسند جيد •

فأما حمى البئر فهو منتهى حريمها • وأما طول الفرس فهو ما دار عليه برسنه[2] اذا كان مربوطا • وأما حلقة القوم فهو استدارتهم فى الجلوس للتشاور •

٢٣ — ويكره لمن بالمسجد ينتظر الصلاة تشبيك أصابعه :

لقول أبى سعيد الخدرى : دخلت المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فاذا رجل وسط المسجد محتبيا مشبكا أصابعه بعضها فى بعض ، فأشار اليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلم يفطن الرجل لاشارته فالتفت صلى الله عليه وعلى آله وسلم الى أبى سعيد فقال : « اذا كان أحدكم فى المسجد فلا يشبكن فان التشبيك من الشيطان ، وان أحدكم لا يزال فى صلاة ما كان فى المسجد حتى يخرج منه » أخرجه أحمد بسند حسن •

قال فى « الدين الخالص » : وحكمة النهى عن التشبيك أنه من الشيطان ، وأنه يجلب النوم وهو من مظان الحدث ، وأن صورته تشبه صورة الاختلاف المنهى عنه بقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم للمصلين : « ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم » •

٢٤ — ويكره تحريما اتخاذ المسجد طريقا لغير عذر ، كأن لا يجد طريقا غيره أو يكون اماما به الى المسجد :

---

(١) اى المرور من وسط الحلقة التى يدرسون فيها •

(٢) الرسن بفتحتين : الحبل •

لقول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لا يبقين فى المسجد باب الا سد الا باب أبى بكر » أخرجه الشيخان(١) .

وقالت المالكية : يكره كثرة المرور فيه ان كان بناؤه سابقا على الطريق والا فلا كراهة .

وقال الحنفيون : يفسق من اعتاد المرور فيه لغير عذر بلا نية اعتكاف ، بخلاف ما لو مر فيه مرة أو مرتين أو نوى الاعتكاف فلا يفسق .

وقالت الحنابلة : يكره اتخاذه طريقا للطاهر والجنب . وكذا الحائض ان أمن تلويثه الا لحاجة . ومنها كونه طريقا قريبا .

وقالت الشافعية : يجوز المرور فيه للطاهر مطلقا وللجنب لحاجة والا كره كما يكره للحائض ولو لحاجة ان أمنت تلويث المسجد والا حرم .

* * *

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا وأن يعمل على تنفيذه حتى يكون من المؤمنين الذين يصونون المساجد ، والذين يعرفون حرمتها .

مع ملاحظة كذلك أنه يلزم تطهير المساجد من أدران المحدثات والعوائد .

ولهذا ، فاننى أريد أن أذكرك بالاضافة الى ما وقفت عليه بما ذكره الامام محمود خطاب السبكى فى الدين الخالص ج ٣ ، تحت عنوان :

بدع المساجد

وهى كثيرة كاتخاذ المحاريب فيها ، وزخرفتها ، وتعدد الجماعة فيها ، .. ثم قال : ومنها :

١ ــ **كثرتها فى البلد لغير حاجة** .. لأنه كما يقول : يجب بناء المساجد فى الأمصار والقرى وغيرها بحسب الحاجة ، وهى أحب البقاع الى الله تعالى ، وأبغضها الى الله الأسواق .

ومن المحدث : كثرة المساجد فى الجهة الواحدة لغير حاجة ، لما فيه من تفريق الجمع ، وتشتيت شمل المصلين ، وتعديد الكلمة وفوات حكمة مشروعية الجماعة . وهى اتحاد الكلمة وائتلاف القلوب والتعاون والتعاضد . قال فى « كشاف القناع » : ويحرم أن يبنى مسجد الى جنب مسجد الا لحاجة كضيق الأول وخوف فتنة باجتماعهم فى مسجد واحد . اهـ .

---

(١) هو بعض حديث لفظه عند البخارى عن أبى سعيد الخدرى .

وقال فى « المنتهى » : ويحرم بنـــاء مسجد يراد به الضرر لمسجد بقربه .. اه .

٢ ـ **غلق المساجد** : لأن المساجد بنيت للطاعة فى كل وقت ، والجلوس فيها مستحب للعبادة كاعتكاف وقراءة قرآن أو علم وسماع موعظة وانتظار صلاة .

وعليه : فالسنة فتح المساجد فى كل الأوقات الا لضرورة كما كان الحال فى عهد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم والخلفاء الراشدين والسلف الصالح ، وأما غلقها نهاراً فى غير أول الوقت فبدعة ممنوعة قد تؤدى الى تضييع الصلاة ، فانه لا يتيسر لكل واحد الذهاب الى المسجد فى أول الوقت . وفى غلقها صد عن سبيل الله وسعى فى خراب المساجد مما بنيت له ، قال تعالى : **« ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها »**(١) .

ومن التخريب : منع المصلين والمتعبدين من دخولها . وقد نشأ من ذلك بدعة أخرى مذمومة ، وهى ما اعتاده خدمة المساجد من طرد المصلين أو طلاب العلم بعد صلاة العشاء . ومن كان فى صلاة ألجأوه الى تخفيفها ، وفى هذا تهويش على المتعبدين وصد عن طاعة الله ، قال فى « البحر الرائق » : « وكره غلق باب المسجد لأنه يشبه المنع من الصلاة . وقيل : لا بأس به اذا خيف على متاع المسجد » اه .

أما غلقها لضرورة كخوف امتهانها وخشية ضياع شىء منها ، فجائز ان لم تدع حاجة الى فتحها كتعليم العلم أو وجود معتكف فيها يتأذى بغلقها ، والا حرم الا ان تيقن امتهانها أو ضياع شىء من أثاثها ، فيجوز غلقها حينئذ . فان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

قال النووى فى « المجموع » : « لا بأس باغلاق المسجد فى غير وقت الصلاة لصيانته أو لحفظ آلاته ، هكذا قالوا . وهذا اذا خيف امتهانها وضياع ما فيها ولم يدع الى فتحها حاجة . وهذا اذا لم يخف من فتحها مفسدة ، ولا انتهـــاك حرمتها وكان فى فتحها رفق بالناس فالسنة فتحها » اه .

وقال فى « كشاف القناع » : « ويباح غلق أبوابه فى غير أوقات

---

(١) البقرة : ١١٤

الصلاة ، لئـلا يدخله من يكره دخوله اليـه كمجنون وسكران وطفل لا يميز » اهـ .

٣ ـ **الرقص والغنـاء** : وفى ذلك يقول السيوطى فى كتاب الأمر بالاتباع والنهى عن الابتداع : ومن ذلك ـ يعنى المحدثات ـ : الرقص والغناء فى المساجد وضرب الدف أو الرباب وغيرهما من آلات الطرب ، فمن فعل ذلك فى المسجد فهو مبتدع ضال مستحق للطرد والضرب ، لأنه استخف بما أمر الله بتعظيمه ، قال تعالى : « **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه** »[1] أى يتلى فيها كتابه ، وبيوت الله هى المساجد .. اهـ .

٤ ـ **ومن ذلك وضع كرسى مرتفع فى المسجد** يتلى عليـه شىء من القرآن بصوت مرتفع يوم الجمعة وقبل اقامة الصلاة فى غيرها ، فيحصل من التشويش على المصلين ما لا يمكن معه أداء الصلاة على وجهها .

قال ابن الحاج فى المدخل : ومن هـذا الباب الكرسى الكبير يوضع فى الجامع لكى يقرأ القارىء عليـه ولا ضرورة تدعو لذلك لوجهين :

الأول : أنه يشغل من المسجد موضـعا كبيرا وهو وقف على المصلين .

الثانى : أنهم يقرأون عند اجتماع الناس لانتظار الصلاة ، فمنهم المصلى ، ومنهم التالى ، ومنهم الذاكر ، ومنهم المفكر . فاذا قـرأ القارىء اذ ذاك قطع عليهم ما هم فيه ، وقد نهى النبى عليه الصـلاة والسلام عن رفع الصوت بالقراءة فى المسجد بقوله : « لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن »[2] وهو نص فى عين المسألة . اهـ . بتصرف .

٥ ـ **الاحتفال فيها بالمولد وغيره :**

وذلك كما يقول فى الدين الخالص : لأنه قد جرت العادة بالاحتفال بالمولد وغيره فى المساجد ، وهو أمر محدث قبيح لم يقع من السلف ولم يستحسنوه ، وفيه عدة مفاسد :

منها : اضاعة الأموال بكثرة الوقود فى المساجد وايقاد المصابيح فى الأضرحة ، وهو من الاسراف والتبذير المنهى عنه .

---

(١) النور : ٣٦

(٢) هو بعض حديث اخرجه احمد والبزار والطبرانى بسند صحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما .

وفى الحديث : « ان الله كره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المـال » أخرجه الشيخان عن المغيرة بن شعبة •

وقد أشار النووى الى هذا كذلك فقال فى المجموع : من البدع المنكرة ما يفعل فى كثير من البلدان من ايقاد القناديل الكثيرة العظيمة السرف فى ليال معروفة من السنة كليلة نصف شعبان ، فيحصل بسبب ذلك مفاسد كثيرة •

منها : مضاهاة المجوس فى الاعتناء بالنار والاكثار منها •

ومنها : اضاعة المـال فى غير وجهه •

ومنها : ما يترتب على ذلك فى كثير من المساجد من اجتماع الصبيان وأهل البطالة ولعبهم ورفع أصواتهم وامتهانهم المساجد وانتهاك حرمتها وحصول أوساخ فيها وغير ذلك من المفاسد التى يجب صيانة المسجد من أفرادها • اهـ •

ومنها : استعمال الأغانى وآلات الطرب على الوجه المحرم بالاجماع •

ومنها : قراءة القرآن على غير الوجه المشروع فيرجعون فيه كترجيع الغناء ، ولا يراعون فيه ما يجب له من الاستماع والانصات والاحترام ، وهو مخالف لما وصف الله به المؤمنين فى قوله : **« انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا •• »**(١) •

وقوله : **« واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق •• »**(٢) •

ومنها : اقامة حلقات الذكر المحرف فى المساجد مع ارتفاع أصوات المنشدين والتصفيق الحاد من رئيس الراقصين ، وقد يضربون على البازة ونحوها أثناء الذكر وفى المسجد ، وكل هذا ممنوع باجماع العلماء ، ولم يكن فى عهد السلف الصالح •

ومنها : اتخاذ قبور الأنبياء والأولياء عيدا وهو ممنوع شرعا ، لحديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، ولا تجعلوا قبرى عيدا ، وصلوا على أينما كنتم ، فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم » أخرجه أبو داوود بسند حسن •

---

(١) الأنفال : ٢ (٢) المـائدة : ٨٣

٦ — **ومن البدع المذمومة :** زيادة النور فى المساجد والمآذن ليلة أول جمعة من رجب ، وليلة السابع والعشرين منه ، وليلة نصف شعبان ، وليالى رمضان ، وليلتى العيد وغيرها من ليالى المواسم المحدثة ، فانها اسراف وتبذير لم يكن فى زمن السلف الصالح[1] .

* * *

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا حتى لا يقع فيه ، وحتى يكون كذلك من المؤمنين المعمرين لبيوت الله المحافظين على حرمتها على أساس من هذا الفقه الذى وقفنا عليه والذى أرجو أن يكون دائما وأبدا فى ذاكرتنا ونصب أعيننا .

* * *

واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد رغبنا — كما جاء فى نص الوصية التى ندور حولها — فى اخراج القمامة من المساجد ، فقال : « واخراج القمامة منها مهور الحور العين » :

فاننى أرى الآن أن أقف معك أولا على أهم ما يتعلق بالحور العين ، وهو : ما ذكره القرطبى فى كتابه « التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة » حيث يقول ما مضمونه :

ان الآدميات فى الجنة على سن واحد وأما الحور العين فأصناف مصنفة صغار وكبار على ما اشتهت أنفس أهل الجنة .

ثم يروى بعد ذلك حديثا رواه الترمذى عن على رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان فى الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها ، قال يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكنا له » . وفى الباب : عن أبى هريرة وأبى سعيد وأنس قال أبو عيسى : حديث على حديث غريب .

وقالت عائشة رضى الله عنها : ان الحور العين اذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا : نحن المصليات وما صليتن ، ونحن الصائمات وما صمتن ، ونحن المتوضئات وما توضأتن ، ونحن المتصدقات وما تصدقتن . قالت عائشة : فغلبتهن . والله أعلم .

---

(١) وهناك بدع أخرى تستطيع أن تقف عليها وبتوسع فى الدين الخالص ج ٣ ، والابداع فى مضار الابتداع للشيخ على محفوظ رحمه الله .

وذكر ابن وهب عن محمد بن كعب القرظى أنه قال : والله الذى لا اله الا هو لو أن امرأة من الحور العين أطلعت سوارها من العرش لأطفأ سوارها نور الشمس والقمر فكيف المسورة وأن ما خلق الله شيئا تلبسه الا عليــه مثل ما عليها من ثياب وحلى •

وقال أبو هريرة : ان فى الجنة حوراء يقال لها العيناء ، اذا مشت مشى حولها سبعون ألف وصيف « عن يمينها وعن يسارها كذلك » وهى تقول : أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ؟

وقال ابن عباس : ان فى الجنة حورا ، يقال لها لعبة لو بزقت فى البحر لعذب ماء البحر كله ، مكتوب على نحرها : من أحب أن يكون له مثلى فليعمل بطاعة ربى عز وجل •

وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه وصف حوراء ليلة الاسراء فقال : ولقد رأيت جبينها كالهلال فى طول البدر منها ألف وثلاثون ذراعا ، فى رأسها مائة ضفيرة ما بين الضفيرة والضفيرة سبعون ألف ذؤابة ، والذؤابة أضوأ من البدر مكلل بالدر وصفوف الجواهر ، على جبينها سطران مكتوبان بالدر والجواهر ، فى السطر الأول : بسم الله الرحمن الرحيم • وفى السطر الثانى : من أراد مثلى فليعمل بطاعة ربى • فقال جبريل : يا محمد هــذه وأمثالها لأمتك ، فأبشر يا محمد وبشر أمتك وأمرهم بالاجتهاد •

* * *

وهذا الذى قاله جبريل عليه السلام لنبينـــا محمد صلى الله عليه وسلم هو وأمثاله من الأعمال الصالحة : مهور الحور العين والى هذا يشير الله سبحانه وتعــالى فى قوله : **« وبشر الذين آمنــوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هــذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ، ولهم فيها أزواج مطهرة ، وهم فيها خالدون »**(١) •

فـــ « مطهرة » : نعت للأزواج ، ومطهرة فى اللغة : أجمع من طاهرة وأبلغ ، ومعنى هذه الطهارة من الحيض والبصــاق وســائر أقذار الآدميات • ذكر عبد الرزاق ، قال : أخبرنى الثــورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد : مطهرة ، قال : لا يبلن ولا يتغوطن ولا يلدن ولا يحضن ولا يمنين ولا يبصقن •

---

(١) البقرة : ٢٥

وقد ذكر القرطبى فى كتابه « التذكرة » بعض الأخبار التى منها : ما روى عن ثابت أنه قال : كان أبى من القوامين لله فى سواد الليل ، قال : رأيت ذات ليلة فى منامى امرأة لا تشبه النساء ، فقلت لها : من أنت ؟ فقالت : حوراء أمة الله ، فقلت لها : زوجينى نفسك ، فقالت : اخطبنى من عند ربى وأمهرنى ، فقلت : وما مهرك ؟ فقالت : طول التهجد .

وأنشدوا فى هذا :

يا خاطب الحوراء فى خدرها	وطالبا ذاك على قدرها
انهض بجد لا تكن وانيا	وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم	وحالف الوحدة فى ذكرها
وقم اذا الليل بدا وجهه	وصم نهارا فهو من مهرها
فلو رأت عيناك اقبالها	وقد بدت رمانتا صدرها
وهى تماشى بين أترابها	وعقدها يشرق فى نحرها
لهان فى نفسك هذا الذى	تراه فى دنياك من زهرها

* * *

فلتذكر أخا الاسلام كل هذا ، ولتكن من المؤمنين عمارى المساجد الذين يحرصون على اخراج القمامة منها حتى يفوزوا بالحور العين ، اللاتى يقلن كما ورد فى حديث شريف[1] : « نحن الخالدات فلا نبيد ، ونحن الناعمات فلا نبأس ، ونحن الراضيات فلا نسخط ، ونحن المقيمات فلا نظعن ، طوبى لمن كان لنا وكنا له » .

* * *

وليذكر كذلك هذا الحديث القدسى الذى جاء فيه :

« ان بيوتى فى الأرض المساجد وزوارى فيها عمارها ، فطوبى لمن تطهر فى بيته وزارنى فى بيتى ، وحق على المزور أن يكرم زائره » .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من عباده المؤمنين المعمرين لبيوته المكرمين برحمته ومغفرته .. آمين .

* * *

---

(١) رواه أبو نعيم فى صفة أهل الجنة بسند ضعيف .

الوصية السابعة والأربعون

عن معدان بن أبي طلحة رضى الله عنه قال : لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : أخبرنى بعمل أعمله يدخلنى الجنة[1] ، أو قال قلت : بأحب الأعمال الى الله ، فسكت ، ثم سألته فسكت ، ثم سألته الثالثة ، فقال : سألت ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« عليك بكثرة السجود ، فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة ، وحط بها عنك خطيئة » ..

(رواه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه)

* * *

فكن أخا الاسلام :

كهذا الصحابى الموفق الذى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمل الذى به أو بسببه يكون أهلا لدخول الجنة التى فيها لعباد الله الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

* * *

واذا كان الصحابى الجليل قد سأل عن هذا الخير ، أو عن أحب الأعمال الى الله تبارك وتعالى ، ثم أجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بقوله : « عليك بكثرة السجود .. » :

فان المراد بالاكثار من السجود هو الصلاة التى هى خير الأعمال وأحبها الى الله :

فعن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ما أذن الله لعبد فى شىء أفضل من ركعتين يصليهما ، وان البر ليذر[2] فوق رأس العبد ما دام فى صلاته » الحديث رواه أحمد والترمذى وصححه السيوطى .

---

(١) اى يدخلنى الله به أو بسببه الجنة .

(٢) اى ينثر .

وقال مالك فى الموطأ : بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولن يحافظ على الوضوء الا مؤمن » .

* * *

واذا كان كثرة السجود فى الصلاة ـ فرضها ونفلها ـ من الأعمال الموصلة الى الجنة : فقد ورد هذا ـ بضمان الرسول صلى الله عليه وسلم ـ :

عن ربيعة بن مالك الأسلمى ، قال : قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « سل » فقلت : أسألك مرافقتك فى الجنة ، فقال : « أو غير ذلك » ؟ قلت : هو ذاك ، قال : فأعنى على نفسك بكثرة السجود » رواه مسلم .

وكلمة : « فأعنى على نفسك بكثرة السجود » : معناها أنه لابد وأن يجد ويجتهد فى تحقيقه ، وذلك بالاكثار من التقرب الى الله تعالى بالصلوات فرضها ونفلها .. ولابد وأن يستعين بالله تعالى على هذا ، لأنه كما يقول الشاعر :

اذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجنى عليه اجتهاده

روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن ربه عز وجل ، قال : « من عادى لى وليا ، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » .

والفرائض : هى كل ما أوجبه الله على عباده ، والصلاة من أعظمها .

والنوافل : ما زاد على الفرائض ، والصلاة فى بابها من أعظمها أيضا .

قال النبراوى فى شرح الأربعين النووية :

.. وأما الأفضل على الاطلاق بعد الشهادتين ، فهو الصلاة عندنا ، فنفلها أفضل النوافل ، وفرضها أفضل الفروض ، لما صح من قوله

صلى الله عليه وسلم : « الصلاة خير موضوع[1] ، فمن شاء استكثر ومن شاء استقل » أخرجه ابن حبان والحاكم .

والصلاة — فى نظر الاسلام — هى الحد الفاصل بين المسلم والكافر ، والبار والفاجر ، وانها من الاسلام بمنزلة الرأس من الجسد ، فمن أداها كما ينبغى ، فهو مسلم بار ، ومن تركها فهو كافر فاجر .

روى الطبرانى فى الأوسط بسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا ايمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طهور له ، ولا دين لمن لا صلاة له ، انما موضع الصلاة من الدين ، كموضع الرأس من الجسد » .

والصلاة نور يتلألأ فى قلب المؤمن ، ويسطع على وجهه ، وينعكس على جوارحه .. نور يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، نور يمشى به المؤمن فى الناس ، فيرى به ما لا يراه الناظرون ، نور يسعى بين يديه ، وعن يمينه يوم القيامة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الطهور[2] شطر[3] الايمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمدلله تملآن — أو تملأ — ما بين السموات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها ، أو موبقها » رواه مسلم .

وروى ابن حبان باسناد حسن ، عن أبى الدرداء رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « من مشى فى ظلمة الليل الى المساجد آتاه الله نورا يوم القيامة » .

وروى الطبرانى عن أبى الدرداء — أيضا — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « من مشى فى ظلمة الليل الى المسجد ، لقى الله عز وجل بنور يوم القيامة » .

* * *

---

(١) أى خير شىء وضعه الشارع .

(٢) الطهور — بضم الطاء — معناه : التطهر ، وأما الطهور — بفتح الطاء — فهو : ما يتطهر به من ماء أو تراب .

(٣) الشطر هو : النصف .

وأنت كمسلم[١] بالغ عاقل : مطالب شرعا ــ فقط ــ بأداء ما فرض الله عليك من الصلوات :

كالصلوات الخمس والجمعة :

لحديث طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه ، قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم من قبل نجد ثائر الرأس يسأل عن الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم : « خمس صلوات فى اليوم والليلة ، قال : هل على غيرهن ؟ قال : لا .. الا أن تطوع »[٢] الحديث أخرجه مالك والشيخان .

ولهذا .. فاننى أحب أن أذكرك اتماما للفائدة ، بأقسام الصلاة :

وهى ثلاثة عند الأحناف : فرض ، وواجب ، ونفل .. وهو يشمل المسنون والمندوب .

وعند غيرهم : فرض ونفل .

فالفرض قسمان :

(أ) عينى وهو ما يلزم بتحصيله كل من كلف به ، كالصلوات الخمس والجمعة .

(ب) وفرض كفائى وهو ما يلزم تحصيله فى ذاته ، فان آداه البعض سقط الطلب عن الجميع ، كصلاة الجنازة والا أثم الكل .

والواجب قسمان :

(أ) واجب لعينه وهو ما لا يتعلق وجوبه بعارض كالوتر وصلاة العيدين وسجدة التلاوة .

(ب) واجب لغيره وهو ما يتعلق وجوبه بعارض كسجدتى السهو وركعتى الطواف وقضاء نفل أفسده والمنذور .

والنفل قسمان : مؤكد كركعتى الفجر ، وغير مؤكد كأربع قبل العصر .

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ هــذا ، حتى يعرف الفرق بين الفرض والواجب والسنة وحتى يكون كذلك متفقها فى دينه .

* * *

---

(١) أو مسلمة بالغة عاقلة .

(٢) تطوع ، بتشديد الطاء والواو ، أصله تتطوع بتاءين أدغمت ثانيتهما فى الطاء ، ويجوز تخفيف الطاء بحذف احدى التاءين .

وعليه كذلك أن يلاحظ أنه مطالب كذلك ـ خدمة لنفسه ـ بالاضافة الى أدائه للصلوات الخمس أداء متقنا : بالاكثار من التطوع ، وذلك حتى يجبر ما عسى أن يكون قد وقع فى الفرائض من نقص :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة ، يقول ربنا لملائكته وهو أعلم : انظروا فى صلاة عبدى أتمها أم نقصها ؟ فان كانت تامة كتبت له تامة ، وان كان انتقص منها شيئا قال : انظروا هل لعبدى من تطوع ؟ فان كان له تطوع ، قال : أتموا لعبدى فريضته من تطوعه ، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك » رواه أبو داوود .

* * *

والتطوع ينقسم الى تطوع مطلق ، والى تطوع مقيد .

أما التطوع المطلق ، فانه يقتصر فيه على نية الصلاة ، قال النووى : فاذا شرع فى تطوع ولم ينو عددا فله أن يسلم من ركعة وله أن يزيد فيجعلها ركعتين أو ثلاثة أو مائة أو ألفا أو غير ذلك . ولو صلى عددا لا يعلمه ثم سلم صح بلا خلاف .. اتفق عليه أصحابنا ونص عليه الشافعى فى الاملاء .

وروى البيهقى باسناده أن أبا ذر رضى الله عنه صلى عددا كثيرا فلما سلم قال له الأحنف بن قيس رحمه الله : هل تدرى انصرفت على شفع أم على وتر ؟ قال : ان لا أكن أدرى فان الله يدرى ، انى سمعت خليلى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من عبد يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة » رواه الدارمى فى مسنده بسند صحيح الا رجلا اختلفوا فى عدالته .

وأما التطوع المقيد فانه ينقسم الى ما شرع تبعا للفرائض ويسمى السنن الراتبة ، ويشمل سنة الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء وقد ورد فى هذا عدة أحاديث ، منها ما ورد[1] :

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : حفظت من النبى صلى الله عليه وسلم عشر ركعات : « ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب فى بيته ، وركعتين بعد العشاء فى بيته ، وركعتين قبل صلاة الصبح » رواه البخارى .

---

(١) كما جاء فى فقه السنة ج ٢

وعن المغيرة بن سليمان ، قال : سمعت ابن عمر يقول : « كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يدع ركعتين قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل الصبح » رواه أحمد بسند جيد .

وعن أم حبيبة بنت أبى سفيان أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من صلى فى يوم وليلة اثنتى عشرة ركعة بنى له بيت فى الجنة : أربعاً قبل الظهر ، وركعتين بعدها ، وركعتين بعد المغرب ، وركعتين بعد العشاء ، وركعتين قبل صلاة الفجر » رواه الترمذى وقال حسن صحيح ، ورواه مسلم مختصرا .

وهذا بالنسبة للسنن المؤكدة[1] ، أما بالنسبة لغير المؤكدة[2] ، فقد ورد كذلك فيها :

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله امرءا صلى قبل العصر أربعا » رواه أحمد وأبو داوود والترمذى وحسنه وابن حبان وصححه ، وكذا صححه ابن خزيمة .

وروى البخارى عن عبد الله بن مغفل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « صلوا قبل المغرب ، صلوا قبل المغرب » ثم قال فى الثالثة : « لمن شاء » كراهية أن يتخذها الناس سنة .

وفى رواية لابن حبان : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى قبل المغرب ركعتين . وفى مسلم عن ابن عباس ، قال : كنا نصلى ركعتين قبل غروب الشمس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرانا فلم يأمرنا ولم ينهنا . قال الحافظ فى الفتح : ومجموع الأدلة يرشد الى استحباب تخفيفها كما فى ركعتى الفجر[3] .

---

(١) السنة المؤكدة : هى ما ثبتت مواظبة النبى صلى الله عليه وسلم عليها ، واشتد الحاجة فى طلبها ، ورغب فيها ، مع عدم وجود ما يدل على وجوبها .

(٢) وغير المؤكدة : هى التى تركها النبى فى بعض الأحيان ولم يرغب فيها كثيرا ، ويسميها بعض الفقهاء : مندوبا ، أو مستحبا .

(٣) فقد ورد عن عائشة أنها قالت : كان قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركعتين قبل صلاة الفجر قدر ما يقرأ فاتحة الكتاب . رواه أحمد والنسائى والبيهقى ومالك والطحاوى .

وروى الجماعة من حديث عبد الله بن مغفل أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « بين كل أذانين صلاة » ثم قال فى الثالثة « لمن شاء » •

ولابن حبان من حديث ابن الزبير أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من صلاة مفروضة الا وبين يديها ركعتان » •

وهذا يشير الى أنه من السنة أن تصلى ركعتين قبل العشاء •

مع ملاحظة كذلك أنه من السنة الفصل بين الفريضة والنافلة بمقدار ختم الصلاة :

فعن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العصر ، فقام رجل يصلى فرآه عمر فقال له : اجلس فانما هلك أهل الكتاب أنه لم يكن لصلاتهم فصل • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أحسن ابن الخطاب » رواه أحمد بسند صحيح •

* * *

وأما الوتر فانه كذلك سنة مؤكدة حث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ورغب فيه :

فعن على رضى الله عنه أنه قال : ان الوتر ليس بحتم[1] كصلاتكم المكتوبة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتر ، ثم قال : « يا أهل القرآن أوتروا ، فان الله وتر[2] يحب الوتر » رواه أحمد وأصحاب السنن وحسنه الترمذى ورواه الحاكم أيضا وصححه •

وقد أجمع العلماء على أن وقت الوتر لا يدخل الا بعد صلاة العشاء وأنه يمتد الى الفجر •

ويستحب تعجيله لمن ظن أنه لا يستيقظ آخر الليل ، وتأخيره لمن ظن أنه يستيقظ آخره •

وأما عن عدد ركعات الوتر ، فقد روى الترمذى فيه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بأن الوتر : بثلاث عشرة ركعة ، واحدى عشرة ركعة ، وتسع ، وسبع ، وخمس ، وثلاث ، وواحدة •

قال اسحاق بن ابراهيم : معنى ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوتر بثلاث عشرة ركعة أنه كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة مع الوتر ، يعنى من جملتها فنسبت صلاة الليل الى الوتر •

---

(١) حتم : أى لازم .

(٢) أى أنه تعالى واحد يحب صلاة الوتر ويثيب عليها . قال نافع : وكان ابن عمر لا يصنع شيئا الا وترا .

ويجوز أداء الوتر ركعتين ركعتين[1] ثم صلاة ركعة بتشهد وسلام ، كما يجوز صلاة الكل بتشهدين وسلام ، فيصل الركعات بعضها ببعض من غير أن يتشهد الا فى الركعة التى هى قبل الأخيرة فيتشهد فيها ثم يقوم الى الركعة الأخيرة فيصليها ويتشهد فيها ويسلم ، ويجوز أداء الكل بتشهد واحد وسلام فى الركعة الأخيرة ، كل ذلك جائز وارد عن النبى صلى الله عليه وسلم[2] .

ويجوز القراءة فى الوتر بعد الفاتحة بأى شىء من القرآن ، قال على : ليس من القرآن شىء مهجور فأوتر بما شئت ، ولكن المستحب اذا أوتر بثلاث أن يقرأ فى الأولى : بعد الفاتحة : **« سبح اسم ربك الأعلى »** وفى الثانية : **« قل يا أيها الكافرون »** وفى الثالثة : **« قل هو الله أحد »** ، والمعوذتين » :

لما رواه أحمد وأبو داوود والترمذى وحسنه عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الركعة الأولى بـ **« سبح اسم ربك الأعلى »** وفى الثانية بـ **« قل يا أيها الكافرون »** وفى الثالثة بـ **« قل هو الله أحد »** ، والمعوذتين » .

وكذلك بالنسبة لسنة الفجر ، فانه من السنة بعد الفاتحة أن تقرأ فى الركعة الأولى : **« قل يا أيها الكافرون »** وفى الثانية : **« قل هو الله أحد »** ، وبالنسبة لسنة المغرب البعدية ، فعن ابن مسعود أنه قال : ما أحصى ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الركعتين بعد المغرب وفى الركعتين قبل الفجر بـ **« قل يا أيها الكافرون »** و **« قل هو الله أحد »** رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه .

وأما عن القنوت فى الوتر ، فانه يشرع فى جميع السنة ، لما رواه أحمد وأهل السنن وغيرهم من حديث الحسن بن على رضى الله عنه قال : علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن فى الوتر : « اللهم اهدنى فيمن هديت ، وعافنى فيمن عافيت ، وتولنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت ، وقنى شر ما قضيت ، فانك تقضى ولا يقضى عليك ، وانه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، وصلى الله على النبى محمد » قال الترمذى : هذا حديث حسن . قال :

---

(١) أى يسلم على رأس كل ركعتين .

(٢) راجع الجزء الثانى من فقه السنة للوقوف على تفصيل هذا .

ولا يعرف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى القنوت شىء أحسن من هــذا(١) .



وهناك سنن أخرى من الخير كذلك أن تؤديها وتحرص على الفوز بثوابها ، وهى :

١ ــ قيــام الليــل :

وهو من أعظم القربات وأحبها الى الله تبارك وتعالى ، وقد أمر الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فقال : « **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** »(٢) .

وهذا الأمر ــ كما يقول فى فقه السنة ــ وان كان خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن عامة المسـلمين يدخلون فيه بحكم أنهم مطالبون بالاقتداء به صلى الله عليه وسلم .

وقد رغب الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين فى قيام الليل ، فقال مبينا أن المحافظين عليه هم المحسنون المستحقون لخيره ورحمته :

« **ان المتقين فى جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم ، انهـم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلا من الليل ما يهجعون(٣) . وبالأسحار هم يستغفرون** »(٤) .

وقال مادحا اياهم ومثنيا عليهم وناظما لهم فى جملة عباده الصالحين الذين يستحقون رحمته :

« **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما** »(٥) ..

الى آخر الآيات القرآنية التى شهد الله سبحانه وتعالى لهم فيها بالايمان بآياتــه ، ونفى التسوية بينهم وبين غيرهم ممن لم يتصف بوصفهم .

أما ما جاء فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيبا فيه ، فهاك بعضه :

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله .. أخبرنى

---

(١) وهناك كلام آخر من الأفضل أن ترجع اليه لتقرأه بالتفصيل فى الجزء الثانى من فقه السنة .

(٢) الاسراء : ٧٩

(٣) يهجعون : اى ينامون .

(٤) الذاريات : ١٥ ــ ١٨

(٥) الفرقان : ٦٣ ، ٦٤

بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار ، قال : « لقد سألت عن عظيم وأنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه : تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت • ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير[١] : الصوم جنة[٢] ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل ، ثم تلا : « **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون • فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** »[٣] ثم قال : ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه • قلت : بلى يا رسول الله ، قال : رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، فأخذ بلسانه وقال : كف عليك هذا • قلت : يا نبى الله •• وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك[٤] وهل يكب الناس فى النار على وجوههم — أو قال على مناخرهم — الا حصائد ألسنتهم » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح •

وقد قرأت حول قوله صلى الله عليه وسلم : « وصلاة الرجل » : انما خصه بالذكر لأن السائل كان رجلا ، أو لأن الخبر غالبا فى الرجال اذ أكثر أهل النار النساء ، فالمرأة مثل الرجل فى ذلك • وقوله : « فى جوف الليل » لأن الصلاة فيه مطلقا أفضل منها فى النهار ، لأن الخشوع والتضرع فيه أسهل وأكمل ، ومن ثم كانت بابا عظيما من أبواب الخير لأنه يتوصل بها الى صفاء السر ودوام الشهود والذكر ، ثم هى فيه بعد النوم أفضل منها فيه قبله وتحصل فضيلة قيامه بصلاة ركعتين لخبر « من قام من الليل قدر حلب شاة كتب من قوام الليل » • واختلفوا فى أفضل أجزائه ، والذى دلت عليه الأحاديث الصحيحة ما ذهب اليه امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه من أنه ان جزأه نصفين ، فالنصف الثانى أفضل ، وان جزأه أثلاثا فالثلث الأخير أفضل ، أو أسداسا فالسدس الرابع والخامس أفضل ، وهذا هو الأكمل على الاطلاق لأنه الذى واظب عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل فيه : أفضل الصلاة صلاة داوود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه • وقوله :

---

(١) وفى رواية : الا أدلك على أبواب الجنة .

(٢) أى وقاية .

(٣) السجدة : ١٦ ، ١٧

(٤) أى فقدتك أمك . .

« ثم تلا » — أى رسول الله صلى الله عليه وسلم — احتجاجا على فضل صلاة الليل : **« تتجافى جنوبهم »** أى تتنحى وترتفع **« عن المضاجع »** أى مواضع الاضطجاع للنوم •• قيل : وهذا كناية عن الصلاة بين المغرب والعشاء ، وقيل : عن انتظار العشاء لأنهم كانوا يؤخرونها الى نحو ثلث الليل • وقيل : عن صلاة العشاء والصبح فى جماعة ، والجمهور على أنه كناية عن صلاة النوافل بالليل وهو الذى دل عليه سياق الحديث والآية حيث قال : **« فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين •• »** الخ • فهو دال على أنهم أخفوا عملهم فجوزوا بما أخفى لهم من قرة الأعين ، وانما يتم اخفاؤه بالصلاة فى جوف الليل لأن المصلى حينئذ ترك نومه ولذاته وآثر ما يرجوه من ربه عليهما فحق له أن يجازى بذلك الجزاء العظيم ، وفى الصحيحين يقول الله تبارك وتعالى : « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر •• » الحديث ، وقد جاء أن الله تعالى يباهى بقوام الليل فى الظلام الملائكة ، يقول : « انظروا الى عبادى قد قاموا فى ظلمة الليل حين لا يراهم أحد غيرى أشهدكم أنى قد أبحتهم دار كرامتى » ولا شك ولا خفاء أن الليل محل الخلوة والاختصاص ، ومجالسة الأحبة ، ومطية المحبين كما قيل :

وما الليل الا للمحب مطية
وميدان سبق فاستبق تبلغ المنى

وفى رواية لمسلم : « ان فى الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمور الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه وذلك فى كل ليلة » وقيل : أوحى الله الى داوود عليه السلام : « كذب من ادعى محبتى اذا جن ليله نام عنى » وقيل : اذا جن الليل بظلامه يقول الله تعالى : « يا جبريل حرك أشجار المعاملة ، فاذا حركها قامت القلوب على باب المحبوب » وقيل :

ببابك عبد من عبيدك مذنب
كثير الخطايا جاء يسألك العفوا
فأنزل عليه العفو يا من بفضله
على قوم موسى أنزل المن والسلوى

وذكروا أن رابعة العدوية رضى الله عنها ، كانت اذا صلت العشاء قامت الى سطح لها ، وشدت عليها درعها وخمارها ، ثم تقول : الهى

غابت النجوم ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، وهذا مقامى بين يدك ، ثم تقبل على صلاتها حتى اذا طلع الفجر قالت : هذا الليـل قد أدبر ، وهذا النهـار قد أسفر ، فليت شـعرى ، أقبلت منى ليلتى فأهنى ، أم رددتها فأعزى •• وعزتك لو طردتنى عن بابك ما برحت عنه لما وقع فى قلبى من محبتك •• ثم تنشـد وتقول :

يـا سرورى ومنيتى وعمـــادى
وأنيـسى وغـايتى ومـــرادى
أنت روح الفـؤاد أنت رجـائى
أنت لى مؤنس وشـــوقك زادى
أنت لـــولاك يا حيـــاتى وأنسى
ما تشــتت فى فسيح البــلاد
لك كـم منـــة وكـم لك فضـل
من عطـــاء ونعمـــة وأيـادى
حبـــك الآن بغيـتى ونعيـمى
وجـلاء لعـين قلـبى الصـادى
ان تكن راضـــيا عـلى فـانى
يا منى القلب قـد بدا اسـعادى

* * *

فكن أخا الاسلام من الحريصين على قيام الليل ، وحسبك ترغيبا لك فيه ـــ بالاضافة الى ما وقفت عليه :

ما قاله سلمان الفارسى رضى الله عنه ، وهو قول رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : « عليكم بقيـام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم ، ومقربة الى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الاثم ، ومطردة للداء عن الجسد » •

وقال سهل بن سعد : « جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد عش ما شئت فانك ميت ، واعمل ما شئت فانك مجزى به ، وأحبب من شئت فانك مفارقه ، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس » •

وورد كذلك عن عبد الله بن سلام أن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، قال : « أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا

الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيــام : تدخلوا الجنة بسلام » رواه الحاكم وابن ماجه والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

* * *

مع ملاحظة كذلك أنه يسن لمن أراد قيام الليل :

— أن ينوى عند نومه قيام الليل :

فعن أبى الدرداء أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم فيصلى من الليل فغلبته عينه حتى يصبح كتب له ما نوى ، وكان نومه صدقة عليه من ربه » رواه النسائى وابن ماجه بسند صحيح .

— وأن يمسح النوم عن وجهه عند الاستيقاظ ويتسوك وينظر فى السماء ثم يدعو بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : « لا اله الا أنت سبحانك ، أستغفرك لذنبى وأسألك رحمتك ، اللهم زدنى علما ولا تزغ قلبى بعد اذ هديتنى وهب لى من لدنك رحمة انك أنت الوهاب . الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور » .

ثم يقرأ الآيات العشر من أواخر سورة آل عمران : **« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب »**[1] الى آخر السورة ، ثم يقول :

« اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت ، واليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت الله لا اله الا أنت » .

— وأن يفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين ، ثم يصلى بعدهما ما شــاء :

فعن عائشة قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يصلى افتتح صلاته بركعتين خفيفتين » رواه مسلم .

وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين » رواه مسلم .

---

(١) آل عمران : ١٩٠

— وأن يوقظ أهله :

فعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « رحم الله امرءا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته ، فان أبت نضح فى وجهها الماء ، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها ، فان أبى نضحت فى وجهه الماء » .

وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعا كتب فى الذاكرين والذاكرات » رواهما أبو داوود وغيره باسناد صحيح .

— وأن يترك الصلاة ويرقد اذا غلبه النعاس حتى يذهب عنه النوم :

فعن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : اذا قام أحدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع » رواه مسلم .

وقال أنس : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وحبل ممدود بين ساريتين ، فقال : « ما هذا » ؟ قالوا : لزينب تصلى ، اذا كسلت أو فترت أمسكت به . فقال : « حلوه .. ليصل أحدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر فليرقد » متفق عليه .

— وأن لا يشق على نفسه بل يقوم من الليل بقدر ما تتسع له طاقته ، ويواظب عليه ولا يتركه الا لضرورة :

فعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خذوا من الأعمال ما تطيقون ، فوالله لا يمل الله حتى تملوا »[1] رواه البخارى ومسلم .

ورويا — كذلك — عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى العمل أحب الى الله تعالى ؟ قال : « أدومه وان قل » .

— وأيضا ، لاحظ :

ان صلاة الليل تجوز فى أول الليل ووسطه وآخره ما دامت الصلاة بعد صلاة العشاء :

فعن أنس رضى الله عنه فى وصف صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما كنا نشاء أن نراه من الليل مصليا الا رأيناه ، وما كنا نشاء أن نراه نائما الا رأيناه ، وكان يصوم من الشهر حتى

---

(١) أى أن الله تعالى لا يقطع الثواب حتى تقطعوا العبادات .

نقول لا يفطر منه شيئا ، ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئا » رواه أحمد والبخاري والنسائي •

قال الحافظ : لم يكن لتهجده صلى الله عليــه وسلم وقت معين بل بحسب ما يتيسر له القيام •

ولكن الأفضل تأخيرها الى الثلث الأخير :

فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ينزل ربنا عز وجل كل ليلة الى سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » رواه الجماعة •

وقال أبو مسلم لأبي ذر : أي قيام الليل أفضل ؟ قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني فقال : « جوف الليــل الغابر [1] وقليل فاعله » رواه أحمد باسناد جيد •

وليس لصلاة الليل عدد مخصوص ولا حد معين ، فهي تتحقق ولو بركعة الوتر بعد صلاة العشاء :

فعن سمرة بن جندب رضى الله عنه ، قال : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلي من الليــل ما قل أو كثر ونجعل آخر ذلك وترا » رواه الطبراني والبزار •

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أنه قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليــه وسلم بصلاة الليــل ورغب فيها حتى قال : « عليكم بصلاة الليل ولو ركعة » رواه الطبراني في الكبير والأوسط •

والأفضل المواظبة على احدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة ، وهو مخير بين أن يصليها وبين أن يقطعها :

قالت عائشة رضى الله عنها : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا غيره عن احدى عشرة ركعة ، يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي ثلاثا ، فقلت : يا رسول الله •• أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : « يا عائشة •• ان عيني تنامان ولا ينام قلبي » رواه البخاري ومسلم •

ورويا أيضا عن القاسم بن محمد ، قال : سمعت عائشة رضى الله

---

(١) الغابر : الباقي أو نصف الليــل .

عنها ، تقول : كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل عشر ركعات ويوتر بسجدة •

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام وكن منفذا له حتى لا تحرم من هذا الخير العظيم الذى به ستحيا حياة طيبة فى الدنيا والآخرة ان شاء الله ، والذى به كذلك ستكون من عباد الرحمن : « **الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما • والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما** »[1] ، و :

اغتنم ركعتين فى ظلمة الليل اذا كنت فارغا تستريحا
واذا ما هممت بالخوض الباطل فاجعل مكانه تسبيحا
واغتنام السكوت أفضل من خوض وان كنت بالحديث فصيحا

* * *

وأما الصلاة الثانية التى أنصحك كذلك بالتقرب الى الله تعالى بها ، فهى :

صلاة الضحى

فقد ورد فى فضلها :

عن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « يصبح على كل سلامى[2] من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن المنكر صدقة ، ويجزى[3] من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » رواه أحمد ومسلم وأبو داوود •

وعن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « فى الانسان ستون وثلاثمائة مفصل عليه أن يتصدق عن كل مفصل منها صدقة ، قالوا : فمن الذى يطيق ذلك يا رسول الله ؟ قال : « النخامة فى المسجد يدفنها أو الشىء ينحيه عن الطريق ، فان لم يقدر فركعتا الضحى تجزىء عنه » •

قال الشوكانى معلقا على هذين الحديثين الشريفين : « والحديثان يدلان على عظم فضل الضحى وكبر موقعها وتأكد مشروعيتها وأن ركعتيها تجزيان عن ثلاثمائة وستين صدقة ، وما كان كذلك فهو حقيق

---

(١) الفرقان : ٦٣ ، ٦٤ (٢) أى عظام البدن ومفاصله .
(٣) يجزى — بفتح أوله — أى يكفى ، أو بضمه ويكون من الاجزاء .

بالمواظبة والمداومة . ويدلان أيضا : على مشروعية الاستكثار من التسبيح والتحميد والتهليل ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ودفن النخامة ، وتنحية ما يؤذى المـار عن الطريق وسائر أنواع الطاعات ليسقط بذلك ما على الانسان من الصدقات اللازمة فى كل يوم » .

وهى عبادة مستحبة ، فمن شاء ثوابها فليؤديها والا فلا تثريب عليه فى تركها :

فعن أبى سعيد رضى الله عنه ، قال : « كان صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى حتى نقول لا يدعها ، ويدعها حتى نقول لا يصليها » رواه الترمذى وحسنه .

ويبتدىء وقتها بارتفاع الشمس قدر رمح وينتهى حين الزوال ولكن المستحب أن تؤخر الى أن ترتفع الشمس ويشتد الحر :

فعن زيد بن أرقم رضى الله عنه ، قال : خرج النبى صلى الله عليه وسـلم على أهل قبـاء[1] وهم يصلون الضحى ، فقال : « صـلاة الأوابين[2] اذا رمضت الفصال[3] من الضحى » رواه أحمـد ومسلم والترمذى .

وأقل ركعاتها اثنتان كما تقدم فى حديث أبى ذر وأكثر ما ثبت من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى ركعات ، وأكثر ما ثبت من قوله اثنتا عشرة ركعة . وقد ذهب قوم ــ منهم أبو جعفر الطبرى وبه جزم الحليمى والرويانى من الشافعية ــ الى أنه لا حد لأكثرها . قال العراقى فى شرح الترمذى : لم أر عن أحد من الصحابة والتابعين أنه حصرها فى اثنتى عشرة ركعة ، وكذا قال السيوطى .

* * *

وكذلك أنصحك ، بـ :

صـلاة التسـبيح

فهى كما قال عبد الله بن المبارك رضى الله عنه ، صلاة مرغب فيها ، ويستحب أن يعتادها ــ العبد المؤمن ــ فى كل حين ولا يتغافل عنها .

---

(١) مكان بينه وبين المدينة نحو ميلين .

(٢) أى الراجعين الى الله .

(٣) رمضت : أى احترقت . والفصال جمع فصيل وهو ولد الناقة ، أى اذا وجدت الفصال حر الشمس ، ولا يكون ذلك الا عند ارتفاعها .

وحسب هذا العبـد الموفق ــ ان شاء الله ــ اذا أراد أن يحافظ على صلاة التسبيح أن يقرأ الحديث الآتى :

عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس ابن عبد المطلب : « يا عباس ، يا عماه ، ألا أعطيك ، ألا أمنحك ، ألا أحبوك[1] ، ألا أفعل بك عشر خصال[2] ، اذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك أوله وآخره ، وقديمه وحديثه ، وخطأه وعمده ، وصغيره وكبيره ، وسره وعلانيته ؛ عشر خصال : أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة[3] ، فاذا فرغت من القراءة فى أول ركعة فقل وأنت قائم : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر خمس عشرة ، ثم تركع فتقول وأنت راكع عشرا[4] ، ثم ترفع رأسك من الركوع ، فتقولها عشرا ، ثم تهـوى ساجدا فتقول وأنت ساجد عشرا ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا ، ثم تسجد فتقولها عشرا ، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا[5] • فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة ، تفعل ذلك فى أربع ركعات • وان استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل ، فان لـم تستطع ففى كل جمعة مرة ، فان لم تفعل ففى كل سنة مرة ، فان لم تفعل ففى عمرك مرة » رواه أبو داوود وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه والطبرانى • قال الحافظ : وقد روى هذا الحديث من طرق كثيرة ، وعن جمـاعة من الصحابة ، وأمثلها حديث عكرمة هذا ، وقد صححه جماعة منهم الحافظ أبو بكر الآجرى ؛ وشيخنا أبو محمـد عبد الرحيم المصرى ، وشيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسى رحمهم الله •

* * *

وأهم من كل هذا أخا الاسلام : أن تكون صلاتك ــ سواء أكانت فرضا أم نفلا ــ صلاة متقنة بتلك الصـورة الخاشعة التى أشار الله

---

(١) أى أخصك .

(٢) أى أعلمك ما يكفر عشرة أنواع من ذنوبك .

(٣) أى سورة دون تقييد .

(٤) أى بعد ذكر الركوع ، وهو سبحان ربى العظيم ــ ثلاثا ــ وكذلك السجود .

(٥) أى فى جلسة الاستراحة قبل القيام .

سبحانه وتعالى اليها فى قوله : « **قد أفلح المؤمنون • الذين هم فى صلاتهم خاشعون** »[١] :

والا فان الله سبحانه وتعــالى سيرفض صلاتك هذه ، وستكون كذلك كالمسىء فى صلاته :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : « دخل رجل المسجد فصلى ، ثم جاء الى النبى صلى الله عيله وسلم يسلم ، فرد عليه السلام ، وقال : ارجع فصل ، فانك لم تصل ، فرجع ففعل ذلك ثلاث مرات • قال : فقال : والذى بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمنى ؟

قال : اذا قمت الى الصلاة ، فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها » رواه البخارى ومسلم •

وعن أبى عبد الله الأشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده وهو يصلى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو مات هذا على حالته هذه مات على غــير ملة محمد صلى الله عليه وسلم » ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل الذى لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده ، مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئا » رواه الطبرانى فى الكبير •

وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليــه وســلم يقــول : « ان العبــد اذا صــلى فلم يتم صلاته خشوعها ولا ركوعها ، وأكثر الالتفات لم تقبل منه ، ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه وان كان على الله كريما » رواه الطبرانى •

وعن أبى مسعود البدرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « لا تجزىء صلاة الرجل حتى يقيم ظهره فى الركوع والسجود » رواه أحمد وأبو داوود واللفظ له •

وعن أبى قتادة رضى الله عنه ، قال : قال رســول الله صلى الله عليه وســلم : « أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته ، قالوا :

---

(١) المؤمنون : ١ ، ٢ .

يا رسول الله .. كيف يسرق من الصلاة ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها ، أو قال : لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود » رواه أحمد والحاكم .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام حتى تكون خاشعا فى صلاتك ، وحتى يقبلها الله تعالى منك كما عرفت .

* * *

وحسبك اذا أردت أن تكون موفقا فى صلاتك : أن تصلى كرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يقول فى الحديث اطحيح : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » .

فعن عبد الله بن غنم رضى الله عنه : أن أبا مالك الأشعرى جمع قومه ، فقال : يا معشر الأشعريين ، اجتمعوا واجمعوا نساءكم ، وأبناءكم ، أعلمكم صلاة النبى صلى الله عليه وسلم التى كان يصلى لنا بالمدينة ، فاجتمعوا ، وجمعوا نساءهم وأبناءهم ، فتوضأ ، وأراهم كيف يتوضأ فأحصى[1] الوضوء الى أمكانه حتى أفاء الفيء[2] ، وانكسر الظل ، قام فأذن ، فصف الرجال فى أدنى الصف ، وصف الولدان خلفهم ، وصف النساء خلف الولدان ، ثم أقام الصلاة ، فتقدم فرفع يديه فكبر ، فقرأ بفاتحة الكتاب ، وسورة يسرها ، ثم كبر فركع ، فقال : سبحان الله وبحمده — ثلاث مرات — . ثم قال : سمع الله لمن حمده ، واستوى قائما ، ثم كبر وخر ساجدا ، ثم كبر فرفع رأسه ، ثم كبر فسجد ، ثم كبر فانتهض قائما ، فكان تكبيره فى أول ركعة ست تكبيرات ، وكبر حين قام الى الركعة الثانية ، فلما قضى صلاته ، أقبل الى قومه بوجهه ، فقال : احفظوا تكبيرى ، وتعلموا ركوعى وسجودى ، فانها صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كان يصلى لنا ، كذا الساعة من النهار ، ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل الى الناس بوجهه ، فقال : يا أيها الناس ، اسمعوا واعقلوا ، واعلموا أن لله عز وجل عبادا ليسوا بأنبياء ، ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم ، وقربهم من الله ، فجاء رجل من الأعراب ، من قاصية الناس ، وألوى بيده الى نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبى الله ..

---

(١) أى أتمه وأتقنه .　　(٢) أى انتشر الظل .

ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم ، وقربهم من الله ؟ ! انعتهم لنا — أى صفهم لنا — فسر وجه النبى صلى الله عليه وسلم لسؤال الأعرابى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم ناس من أفياء الناس[1] ، ونوازع القبائل ، لم تصل بينهم أرحام متقاربة . تحابوا فى الله ، وتصافوا ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور ، فيجلسهم عليها ، فيجعل وجوههم نورا ، وثيابهم نورا ، يفزع الناس يوم القيامة ، ولا يفزعون وهم أولياء الله ، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » رواه أحمد وأبو يعلى باسناد حسن .

فاذكر كل هذا أخا الاسلام ، وكن منفذا له على أساس من الفقه ، لأن الصلاة مركبة من فرائض وسنن لابد وأن تعرف الفرق بينهما .. لأن معرفة ذلك سيجعلك على علم بما يفسد الصلاة ، وما يجعلها صحيحة .. ولا سيما بالنسبة للأحكام المتعلقة بسجود السهو وما الى ذلك من أحكام لابد وأن تقف عليها حتى تكون من الذين أراد الله بهم خيرا ، ففى الحديث الشريف : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » .

والصلاة كما ورد كذلك فى الحديث الشريف : « عماد الدين » أو « عمود الدين » .

* * *

هذا .. واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال — بعد ذلك — فى نص الوصية بعد أن أوصانا بكثرة السجود :

« .. فانك لا تسجدلله سجدة الا رفعك الله بها درجة ، وحط بها عنك خطيئة » :

ففى القرآن الكريم ، يقول تبارك وتعالى مشيرا الى هذا :

« وأقم الصلاة طرفى النهار[2] وزلفا من الليل[3] ، ان الحسنات[4] يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين »[5] .

---

(١) أى عامتهم .

(٢) طرفا النهار : أوله وآخره ، فيشمل صلاة الصبح والظهر والعصر على التحقيق .

(٣) وزلفا من الليل : اى وفى أوائله ، فيشمل المغرب والعشاء .

(٤) أى الصلوات الخمس . (٥) هود : ١١٤

وفى الحديث الشريف ورد كذلك :

عن ابن مسعود أن رجلا أصاب من امرأة قبلة ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم ، يسأل عن كفارتها ، فأنزل الله تعالى : **« وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل ، ان الحسنات يذهبن السيئات »** فقال : يا رسول الله .. ألى هذه ؟ قال : « بل لأمتى » . أخرجه الترمذى وأحمد .

وعن على قال : كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ، نفعنى الله بما شاء أن ينفعنى منه ، وحدثنى أبو بكر ، وصدق أبو بكر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يذنب ذنبا ، ثم يتوضأ فيصلى ركعتين ، ثم يستغفر الله لذلك الذنب الا غفر له » . وقرأ هاتين الآيتين : **« ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما »**[1] .

« والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم »[2] أخرجه أحمد والترمذى .

وعن عثمان عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من أتم الوضوء ، كما أمره الله فالصلوات المكتوبات كفارات لما بينهن » . أخرجه الامام أحمد فى المسند .

وعن أبان بن عثمان ، قال : قال عثمان : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « أرأيت لو أن بفناء أحدكم نهرا يجرى ، يغتسل منه كل يوم خمس مرات ما كان يبقى من درنه ؟[3] قالوا : لا شىء . قال : الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن » أخرجه أحمد وابن ماجه والشيخان .

* * *

وقد روى مسلم فى صحيحه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من امرىء تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها ، وخشوعها ، وركوعها ، الا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ، ما لم تؤت كبيرة ، وذلك الدهر كله » .

---

(١) النساء : ١١٠ (٢) آل عمران : ١٣٥

(٣) أى قذره ووسخه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « الصلوات الخمس ، والجمعة الى الجمعة ، ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر » رواه مسلم وغيره .

ففى هذين الحديثين الأخيرين يشير النبى صلى الله عليه وسلم الى ملاحظة هامة ، وهى أنه لابد لكى تكون الصلاة — بالذات — مكفرة لسيئاتك الصغائر : لابد وأن تكون أساسا مجتنبا للكبائر[1] ، وهى ما ورد ذكرها فى الأحاديث الآتية :

عن أبى بكر رضى الله عنه ، قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر — ثلاثا — : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، ألا وشهادة الزور وقول الزور . وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت » رواه البخارى ومسلم .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر ، فقال : « الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس . وقال : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر : قول الزور ، أو قال : شهاد الزور » رواه البخارى ومسلم .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن أعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله .. ما الكبائر ؟ قال : « الاشراك بالله ، قال : ثم ماذا ؟ قال : اليمين الغموس ، قلت : وما اليمين الغموس ؟ قال : الذى يقتطع مال امرىء مسلم ، يعنى بيمين هو فيها كاذب » رواه البخارى والترمذى .

* * *

وقد جمع أبو طالب المكى رحمه الله تعالى الكبائر على النحو التالى :

أربعة فى القلب ، وهى : الشرك بالله تعالى ، والاصرار على معصية الله تعالى ، والقنوط من رحمة الله تعالى ، والأمن من مكر الله تعالى .

وأربعة فى اللسان ، وهى : شهادة الزور ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، واليمين الغموس ، والسحر .

وثلاثة فى البطن ، وهى : شرب الخمر ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا وهو يعلم .

---

(١) وهى جمع كبيرة .. وهى ما ورد فيها تحذير شديد وغلظت عقوبتها .

واثنان فى اليدين ، وهما : القتل ، والسرقة .
واثنان فى الفرج ، وهما : الزنا ، واللواط .
وواحدة فى الرجل ، وهى : الفرار من الزحف .
وواحدة فى جميع البدن ، وهى : عقوق الوالدين .

* * *

فهذه الكبائر — كما قرأت قبل ذلك فى الحديثين — وكما يقول الله تعـــالى فى الآية الكريمة : **« أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما »**(١) :

لابد وأن تجتنبها اذا أردت أن يغفر الله تعالى لك الصغائر التى منهـــا : النظرة الثانية ، واللهو واللعب .. وما الى ذلك من الأمـــور التى قد تحدث كثيرا من الانسان فى غدوه ورواحه — الا من عصمه الله — .

مع ملاحظة أن الصغائر يكفرها الوضوء ، والصلوات ، والاستغفار ، وقراءة القرآن ، وذكر الله تعالى بصفة عامة ، والصدقات .. الخ كما ورد فى الأحاديث الشريفة .

أما الكبائر فلا يكفرها الا التوبة الصادقة .

وقد أجمع العلماء على أن التوبة واجبة من كل ذنب . فان كانت معصية بين العبد وربه ، ولا تتعلق بحق آدمى ، فلها شروط ثلاثة :

أن يقلع عن المعصية ، وأن يندم على فعلها ، وأن يعقد العزم على ألا يعود اليها أبدا .

أما ان كانت المعصية تتعلق بحـــق آدمى ، فلها شروط أربعة . الثلاثة المـــاضية : والرابع : أن يبرأ من حق صاحبها .

فان كان مالا أو نحوه رده اليه ، وان كان غيبة أو نميمة استحله منها — أى طلب منه المسامحة — .

وان كان حد قذف ، أو نحوه مكنه من القصاص ، أو طلب عفوه .

وقد قال العلماء كذلك : التوبة واجبة على الفور من جميع الذنوب ، فان تاب من بعضها صحت توبته مما تاب منه ، وبقى عليه ما لم يتب منه .

* * *

---

(١) النساء : ٣١

فليذكر الأخ المسلم كل هـذا ، وليكن دائـم التوبة والاستغفار كرسول الله صلى الله عليـه وسلم الذى يقول فى الحديث الصحيح :
« توبوا الى الله واستغفروه فانى أتوب فى اليوم مائة مرة » •

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد مائة مرة : « رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم » حديث صحيح •

* * *

واذا كانت الصلاة كما عرفت هى الأساس فى هـذا الخير وفى هـذا الفلاح والنجاح الذى وقفت عليه :

فاننى أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنى واياك لكثرة السجود حتى نفوز برضا الرب المعبود سبحانه وتعالى الذى يقول كما ورد فى الحديث القدسى[1] :

« •• وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه •• » فاذكر كل هـذا أخا الاسلام :

« •• واسجد واقترب »[2] •

* * *

(١) الذى رواه البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل . وقد ذكرناه قبل ذلك فى أول شرح الوصية .

(٢) العلق : ١٩

الجزء الخامس عشر

الوصية الثامنة والأربعون

عن رجل من بنى عبد القيس يقال له عياض : أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« عليكم بذكر ربكم ، وصلوا صلاتكم فى أول وقتكم : فان الله يضاعف لكم » ..

(رواه الطبرانى فى الكبير)

* * *

فكن أخا الاسلام :

منتفعا بهذه الوصية العظيمة ، ومنفذا لها ، حتى يضاعف الله لك الأجر ، وحتى تفوز بذلك كذلك فوزا عظيما فى دنياك وأخراك .

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بدأ وصيته بالترغيب فى ذكر الله تعالى ، فان هذا معناه أن ذكر الله تعالى هو من أعظم القربات الى الله تبارك وتعالى ، بل هو : طب القلوب ودواؤها ، وعافية الأبدان وشفاؤها ، ونور الأبصار وضياؤها .. به تطمئن القلوب ، وتنفرج الكروب ، وتغفر الخطايا والذنوب .

ولهذا ، فقد أوصانا النبى صلى الله عليه وسلم بالمواظبة عليه ، والاكثار منه ، فقال فى نص الوصية : « عليكم بذكر ربكم »[1] .

بل لهذا ، أمر الله تعالى به ، وحث عليه ، ورغب فيه ومدح أهله .. فقال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا . وسبحوه بكرة وأصيلا »[2] .

---

(١) الذكر : هو ما يجرى على اللسان والقلب ، من تسبيح الله تعالى وتنزيهه وحمده والثناء عليه ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال .

(٢) الأحزاب : ٤١ ، ٤٢

« ألا بذكر الله تطمئن القلوب »[١] .

« فاذكرونى أذكركم »[٢] .

كما قال تعالى فى الحديث القدسى الذى رواه البخارى ومسلم : « أنا عند ظن عبدى بى[٣] ، وأنا معه حين يذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ، وان أتانى يمشى أتيته هرولة »[٤] .

وقد ورد الترغيب فى الذكر وفضله على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فى كثير من الأحاديث الشريفة :

فعن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ما عمل آدمى عملا قط أنجى له من عذاب الله ، من ذكر الله عز وجل » رواه أحمد .

وعن عبد الله بن بسر رضى الله عنه : أن رجلا قال : يا رسول الله .. ان شرائع الاسلام قد كثرت فأخبرنى بشىء أتشبث به[٥] ؟ قال : « لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله »[٦] رواه الترمذى واللفظ له ، وقال : حديث حسن غريب ، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم ، وقال : صحيح الاسناد .

وعن أبى موسى رضى الله عنه ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « مثل الذى يذكر ربه ، والذى لا يذكر الله ، مثل الحى والميت » رواه البخارى ومسلم ، الا أنه قال : « مثل البيت الذى يذكر الله فيه .. » .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من انفاق الذهب والورق[٧] ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى

---

(١) الرعد : ٢٨ (٢) البقرة : ١٥٢

(٣) أى ان ظن أن الله يقبل دعاءه وهو يدعوه قبله ، ومن استغفره وظن أن الله يغفر له .. وهكذا .

(٤) أى أنه كلما زاد اقبال العبد على ربه كان الله له بكل خير أسرع .

(٥) أى أتمسك به .

(٦) أى لا يزال يلهج به ويردده حتى يجرى مع ريقه .

(٧) أى الدراهم المضروبة من الفضة ــ بكسر الراء ــ .

يا رسول الله .. قال : ذكر الله » رواه الترمذى وأحمد والحـاكم ، وقال : صحيح الاسناد .

وقد استشكل بعض العلماء[1] تفضيل الذكر على الجهـاد مع ورود الأدلة الصحيحة أنه أفضل الأعمال ، وقد جمع بعض أهل العلم بين ما ورد من الأحاديث المشتملة على تفضيل بعض الأعمال على بعض آخر ، وما ورد منها مما يدل على تفضيل البعض المفضل عليه : بأن ذلك باعتبار الأشخاص والأحوال ، فمن كان مطيقا للجهاد قوى الأثر فيه فأفضل أعماله الجهاد ، ومن كان كثير المـال فأفضل أعماله الصدقة ، ومن كان غير متصف باحدى الصفتين المذكورتين ، فأفضل أعماله الذكر والصلاة ونحو ذلك ، ولكنه يدفع هـذا تصريحه صلى الله عليـه وسلم بأفضلية الذكر على الجهاد نفسه فى هـذا الحديث . وفى الأحاديث الأخرى :

كحديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عند الترمذى : « أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم سئل : أى العباد أفضل درجة عنـد الله يوم القيامة ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا . قال : قلت : يا رسول الله ومن الغازى فى سبيل الله ؟ قال : لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة » قال الترمذى بعد اخراجه : حديث غريب .

وكحديث عبد الله بن عمرو مرفوعا ، وفيه : « ولا شىء أنجى من عذاب الله من ذكر الله . قالوا : ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع » أخرجه ابن أبى الدنيا والبيهقى من رواية سعيد بن سنان .

ومما يدل كذلك على أن الذكر أفضل من الصدقة ، ما أخرجه أحمد والترمذى وابن ماجه ، وقال الترمذى حديث حسن من حديث ثوبان . قال : « لـما نزلت : « **والذين يكنزون الذهب والفضة ..** » الآيـة قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره ، فقال بعض أصـحابه : أنزلت فى الذهب والفضة لو علمنا أى المـال خير

---

(١) كما جاء فى كتاب « تحفة الذاكرين » لمحمد بن على بن محمد الشوكانى اليمانى الصنعانى . طبعة الحلبى ص ١٤

فنتخذه ، فقال : أفضله لسان ذاكر ، وقلب شاكر ، وزوجة[١] مؤمنة تعينه على ايمانه » .

ومما يدل على ذلك فى الجهاد والصدقة وغير ذلك ما أخرجه أحمد والطبرانى من حديث معاذ رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن رجلا سأله : أى المجاهدين أعظم أجرا ؟ قال : أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا ، قال : فأى الصالحين أعظم أجرا ؟ قال : أكثركم لله تبارك وتعالى ذكرا ، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة ، كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكرا ، قال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما : يا أبا حفص .. ذهب الذاكرون بكل خير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل » .

وعند أحمد : أنه صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان ما تذكرون من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش ، لهن دوى كدوى النحل يذكرن بصاحبهن ، أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به » ؟

فكل هـذه الأحاديث ـ مع غيرها ـ تذكر بفضل الذكر والذاكرين كما تبشر كذلك بمستقبلهم عند الله تبارك وتعالى الذى يقول :

« والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفـرة وأجـرا عظيـما »[٢] .

وقال تعالى فى وصف أولى الألباب الذين ينتفعون بالنظر فى آياته :
« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم »[٣] :

قال : مجاهد : لا يكون من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا .

حد الذكر الكثير

وحول حد الذكر الكثير : سئل ابن الصلاح عن القدر الذى يصير به من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، فقال : اذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحا ومساء فى الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهارا : كان من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات .

---

(١) فى نسخة : وامرأة ، وفى روايـة : « تعين أحدكم على أمر الآخرة » ـ والآية من سورة التوبة : ٣٤

(٢) الأحزاب : ٣٥ (٣) آل عمران : ١٩١

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هـذه الآيات ، قال : ان الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ، وعذر أهلها فى حال العذر ، غير الذكر ، فان الله لم يجعل له حدا ينتهى اليه • ولم يعذر أحدا فى تركه الا مغلوبا على تركه ، فقال : « اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم » بالليل والنهار ، فى البر والبحر ، وفى السفر والحضر والغنى والفقر ، والسقم والصحة ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال •

وقال سعيد بن جبير : كل عامل لله بطاعة الله فهو ذاكر لله •

وقال عطاء : مجالس الذكر هى مجالس الحلال والحرام ، كيف تشترى وتبيع ، وتصلى وتصوم ، وتنكح وتطلق وتحج •• الـخ •

وقال القرطبى : مجلس ذكر يعنى مجلس علم وتذكير ، وهى المجالس التى يذكر فيها كلام الله وسنة رسوله ، وأخبار السلف الصالحين ، وكلام الأئمة الزهاد المتقدمين المبرأة عن التصنع والبدع والمنزهة عن المقاصد الردية والطمع •

ولهذا •• فقد ورد عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا • قالوا : يا رسول الله •• وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر » أخرجه الترمذى •

وأخرج الطبرانى فى الكبير ، من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عنه صـلى الله عليه وسـلم : « اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : مجالس العلم »[(١)] •

وأخرج الترمذى وقال : غريب من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : وما رياض الجنة ؟ قال : المساجد • قيل : وما الرتع ؟ قال : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » •

وأخرج ابن أبى الدنيا وأبو يعلى ، والطبرانى والبزار ، والحاكم فى المستدرك ، وقال صحيح الإسـناد ، والبيهقى من حديث جـابر ابن عبد الله رضى الله عنهما ، قال : « خرج علينا رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ، فقال : أيها الناس •• ان لله سرايا من الملائكة ، تحل وتقف على مجالس الذكر فى الأرض فارتعوا فى رياض الجنة • قالوا :

---

(١) وفى اسناده رجل مجهول •

وأين رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر ، فاغدوا وروحوا فى ذكر الله ، وذكروا أنفسكم ، من كان يريد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده ، فان الله ينزل العبد عنده حيث أنزله تعالى فى نفسه » قال المنذرى : والحديث حسن .

قال فى تحفة الذاكرين — بعد ذكر هذه الأحاديث — : ولا مخالفة بين هذه الأحاديث ، فرياض الجنة تطلق على حلق الذكر ، ومجالس العلم ، والمساجد ، ولا مانع من ذلك . انتهى .

وأما قوله فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه : « قيل : وما الرتع ؟ قال : سبحان الله .. الخ » ففيه ما يدل على أن هذا الذكر له مزيـة تشرف على سائر الأذكار . ولا ينافى ما يدل عليه قوله : حلق الذكر من العموم ، ولا ينافى أيضا ما فى الحديث الآخر حيث قال : مجالس العلم .

والحاصل أن الجماعة المشتغلين بذكر الله عز وجل أى ذكر كان ، والمشتغلين بالعلم النافع وهو علم الكتاب والسنة ، وما يتوصل به اليهما : هم يرتعون فى رياض الجنة .



فلتذكر أخا الاسلام كل هـذا ، ولتكن حريصا دائما وأبدا على طلب العلم النافع ، ومعرفة الحلال والحرام :

فلولا العـلم ما سـعدت نفـوس
ولا عـرف الحـلال من الحـرام

وحسبك ترغيبا لك فى هـذا : هذه الأحاديث الشريفة المرغبة فى طلب العلم النافع وتعليمه لطالبيه :

فعن معاوية رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » رواه البخارى ومسلم وابن ماجه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيـا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسـلما ستره الله فى الدنيـا والآخرة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت

الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا حفتهم[١] الملائكة ، ونزلت عليهم السكينة[٢] ، وغشيتهم الرحمة[٣] ، وذكرهم الله فيمن عنده[٤] ، ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » رواه مسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

وعن عمر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم[٥] يهدي صاحبه الى هدى ، أو يرده عن ردى[٦] ، وما استقام دينه حتي يستقيم عمله » رواه الطبرانى فى الكبير واللفظ له ، والصغير الا أنه قال فيه : « حتى يستقيم عقله » واسنادهما متقارب .

وعن أبى ذر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر لأن تغدو[٧] فتعلم[٨] آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلم من العلم عمل به أو لم يعمل به[٩] خير من أن تصلى ألف ركعة » رواه ابن ماجه باسناد حسن .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها[١٠] الا ذكر الله ، وما والاه[١١] ، وعالما ومتعلما » رواه الترمذى ، وابن ماجه ، والبيهقى ، وقال الترمذى : حديث حسن .

وعن أبى أمامة قال : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان :

---

(١) اى احاطت بهم وقعدت حولهم .

(٢) اي الأمن والطمانينة . (٣) اى غطتهم وغمرتهم .

(٤) يعنى فى الملأ الأعلى .

(٥) بمعنى الزيادة ، اى علم زائد على القدر الواجب الذى لا يسع احدا جهله .

(٦) اي يبعده عن أسباب الهلكة وموجبات الغواية .

(٧) اى تذهب فى وقت الغدو وهو أول النهار .

(٨) اي تتعلم فحذفت احدى التاءين للتخفيف .

(٩) ولابد وان يعمل به لأنه كما يقولون : علم بلا عمل كشجرة بلا ثمر .

(١٠) يعنى مما يلهى ويبعد عن ذكر الله من متاعها وزينتها .

(١١) من الموالاة وهى : الموافقة والطاعة .

أحدهما عابد ، والآخر عالم ، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام : « فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم » ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله وملائكته ، وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير » رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، ورواه البزار من حديث عائشة مختصرا ، قال : « معلم الخير يستغفر له كل شىء حتى الحيتان فى البحر » .



فليكن هذا الترغيب المحمدى أخا الاسلام سببا فى حبك للعلم ونشره ، وليكن كذلك ذكرا تتقرب به الى الله تعالى حتى تلقاه .

وحسبى حتى تكون من المجدين والمجتهدين فى طلب العلم أن أسوق اليك كذلك هـذه الأقوال :

يقال : من ذهب الى عالم وجلس عنده ولم يقدر على حفظ شىء مما قاله الا أعطاه الله سبع كرامات ، أولها : فضل المتعلمين ، وثانيها : اذا ما دام عنده جالسا كان محبوسا عن الذنوب والخطايا ، وثالثها : اذا خرج من منزله نزلت عليه الرحمة ، ورابعها : اذا جلس عنده نزلت الرحمة على العالم فتصيبه ببركته ، وخامسها : تكتب له الحسنات ما دام مستمعا ، وسادسها : تحفهم الملائكة بأجنحتها وهو فيهم ، وسابعها : كل قدم يرفعها ويضعها تكون كفارة للذنوب ، ورفعا للدرجات ، وزيادة فى الحسنات :

هذا لمن لم يحفظ شيئا ، وأما الذى يحفظه فله أضعاف ذلك مضاعفة .

وقال عمر رضى الله عنه : ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة ، فاذا سمع العلم خاف الله واسترجع من ذنوبه ، فينصرف الى منزله ، وليس عليه ذنب ، فلا تفارقوا مجالس العلماء ، فان الله لم يخلق على وجه الأرض أكرم من مجالسهم .

وقال بعض العلمـاء : ولو لم يكن لحضور مجلس العلم منفعة سوى النظر الى وجه العالم لكان الواجب على العاقل أن يرغب فيه ، فكيف وقد أقام النبى صلى الله عليه وسلم العلماء مقام نفسه ، فقال : « من زار عالمـا فكأنما زارنى ، ومن صافح عالمـا فكأنما صافحنى ، ومن جالس عالمـا فكأنما جالسنى ، ومن جالسنى فى الدنيـا أجلسه الله تعالى معى يوم القيامة فى الجنة » .



فاذكر كل هذا أخا الاسلام ، واذكر كذلك قول القائل :

تعلم فان العلم زين لأهله
وفضل وعنوان لكل المحامد
وكن مستفيدا كل يوم زيادة
من العلم واسبح فى بحور الفوائد
تفقه فان الفقه أفضل قائد
الى البر والتقوى وأعدل قاصد
هو العلم الهادي الى سنن الهدى
هو الحصن ينجي من جميع الشدائد
فان فقيها واحدا متورعا
أشد على الشيطان من ألف عابد

وقول القائل :

تصبر على مر الجفا من معلم ... فان رسوب العلم فى نفراته
ومن لم يذق ذل التعلم ساعة ... تجرع ذل الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه ... فكبر عليه أربعا لو فاته
حياة الفتى والله بالعلم والتقى ... اذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

* * *

وليكن مثلك فى طلب العلم والشغف به ، هو الامام الشافعى رضى الله عنه ، الذى قال عنه الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه :

ما صليت صلاة منذ أربعين سنة الا وأنا أدعو للشافعى ، فقال له ابنه : أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء ؟ فقال الامام أحمد : يا بنى ، كان الشافعى كالشمس للدنيا ، والعافية للناس ، فانظر يا بنى هل من هذين خلف ؟ ..

واذا كان الامام أحمد يقول هذا ، فلأنه كان صديقا حميما للشافعى ، كما كان كذلك يعرفه عن قرب :

وحتى يتضح لك هذا ، اليك كذلك هذا المضمون الذى سترى منه كيف كان الشافعى مشغولا بطلب العلم ليلا ونهارا :

فقد نزل الشافعى ضيفا على « أحمد بن حنبل » وكانت ابنة لأحمد ، تسمع أخبار الشافعى ، وتتشوق الى رؤية صلاحه ، وعبادته ، فرقبت عبادته بالليل وذكره فى الأسحار — أثناء استضافته فى بيتهم — لكن الشافعى أصبح مستلقيا على ظهره حتى الفجر ، وابن حنبل مشغول

بذكره وعبادته ، فلما أصبحت قالت لأبيها : رأيتك تعظم الامام الشافعى !؟ وما رأيت له فى هــذه الليلة : لا صلاة ، ولا ذكرا ، ولا وردا •

فبينما هما فى الحديث ، قام الامام الشافعى ، فقال له الامام أحمد : كيف كانت ليلتك ؟ قال : ما رأيت ليــلة أطيب منها !! ولا ابرك ولا أربح • فقال أحمد : وكيف ذلك ؟ قال : لأنى رتبت فى هــذه الليلة مائة مسألة ، وأنا مستلق على ظهرى ، كلها فى منافع المسلمين ، ثم ودعه ومضى •

فقال أحمد بن حنبل لابنته : هذا الذى عمله الليلة وهو نائم ، أفضل مما عملته وأنا قائم! ••

ولعل ما قاله الامام أحمد بن حنبل ، هو ما أريد الوصول اليه حتى ندرك أهمية العلم ، وحتى نشعر بأعظم لذة ونحن نطلبه ، كهذا الذى يقول :

سهرى لتنقيح العــلوم ألذ لى ... من وصل غانيــة وطيب عناق
وتمايلى طربا لحــل عويصــة ... أشهى وأحلى من مدامة ساقى
وصرير أقلامى على أوراقهــا ... أحلى من الدوكاة والعشــاق
أأبيت سهران الدجــا وتبيتــه ... نوما وتبغى بعد ذاك لحــاقى

*   *   *

واعلم أن قراءة القرآن ، والاستماع اليه بانصات ، والتدبر فى معانيه ، ودراسة مقاصده ، والوقوف على ما فيه من أوامر ونواهى •• الــخ : يعتبر من أعظم الأذكار ، بل هو أعظم الأذكار •

وذلك لأن القرآن العظيم[1] ، هو كلام الله •• الذى أنزله سبحانه وحيا ــ على قلب عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ــ بواسطة الروح الأمين « جبريــل » لينذر به من كان حيــا ويحق القول على الكافرين ، وليخرج به الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ، فلن يتقرب متقرب الى الله بأحب اليه من تلاوة القرآن وتدبره ومدارسته ثم تعليم ذلك لغيره •

واذا كنا قد عرفنا هــذا اجمالا •• فقد ورد ذلك تفصيلا على لسان الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه :

فعن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم :

---

(١) كما يقول فضيلة الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله فى شرحه للترغيب والترهيب (هامش كتاب قراءة القرآن) •

قال : « خيركم من تعــلم القرآن وعلمه » رواه البخارى ومسلم ، وأبو داوود والترمذى ، والنسائى وابن ماجه وغيرهم .

ففى هــذا الحديث : الحث على تعلم القرآن وتعليمه ، وقد سئل الثورى عن الجهاد واقراء القرآن فرجح الثانى واحتج بهذا الحديث .. قاله فى الفتح .

قال الشرقاوى : لا ريب أن الجامع بين تعــلم القرآن وتعليمه مكمل لنفسه ولغيره ، جامع بين النفع القاصر ، والنفع المتعدى .

وفى التعليق على هذا الحديث فى « الترغيب والترهيب » يقول الشــارح :

لا يقال ان من لازم هــذا أفضلية المقرى على الفقيــه ، لأن المخاطبين بذلك كانوا فقهاء الناس ، اذ كانوا يدرون معانى القرآن بالسليقة أكثر من دراية من بعدهم بالاكتساب . وخيركم فى الحديث أفعل تفضيل بمعنى أخيركم أى أكثركم نفعا وأرفعكم منزلة ، وتعلم القرآن يدخل فيه حفظه وتجويده واقامة حروفه واعرابها ، ويدخل فيه كذلك مدارسته وتفهم معانيه وتدبر آياته ومعرفة المقاصد الأساسية التى نزل من أجلها ، ومعرفة أحكامه وحلاله وحرامه .. الــخ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قــال : « ما اجتمع قوم[١] فى بيت من بيوت الله[٢] ، يتلون كتــاب الله[٣] ويتدارسونه[٤] فيما بينهم الا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائــكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مســلم أبو داوود وغيرهما .

قال النووى : وفى هذا دليل لفضل الاجتماع على تلاوة القرآن فى المسجد[٥] وهو مذهبنا ومذهب الجمهور ، وقال مالك : يكره ، وتأوله بعض أصحابه .

---

(١) القوم الجماعة من الناس وجمعه اقوام وأقاوم وأقاويم . وقوم الرجل أقرباؤه الذين يجتمعون معه فى جد واحد ، ولا يطلق القوم الا على الجماعة من الرجال .

(٢) وهى المساجد .

(٣) التلاوة : أى القراءة باللسان .

(٤) أى يتدبرون معانيه ويتفهمون اغراضه ومراميه .

(٥) على أن تكون القراءة للتعليم والتعلم .. واذا قرأ وحده تعبدا فان هذا يكون سرا دون التشويش على أحد من المتعبدين .

ويلحق بالمسجد فى تحصيل هـذه الفضيلة الاجتماع فى مدرسة ورباط ونحوهما ان شاء الله تعالى ويدل عليه الحديث المطلق الذى يتناول جميع المواضع : « لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل الا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم والترمذى وابن ماجه .

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة : ريحها طيب ، وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو[١] ، ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة[٢] ريحها طيب ، وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر » .

وفى رواية : مثل « الفاجر » بدل « المنافق » . رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه .

قال فى عمدة القارى : « اعلم أن هذا التشبيه والتمثيل فى الحقيقة وصف اشتمل على معنى معقول صرف لا يبرزه عن مكنونه الا تصويره بالمحسوس المشاهد ، ثم ان كلام الله المجيد له تأثير فى باطن العبد وظاهره ، وان العباد متفاوتون فى ذلك ، فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارىء ، ومنهم من لا نصيب له ألبتة وهو المنافق الحقيقى ، ومنهم من تأثر ظاهره دون باطنه وهو المرائى أو بالعكس وهو المؤمن الذى لم يقرأ .

وابراز هـذه المعـانى وتصويرها فى المحسوسات ما هو مذكور فى الحديث ، ووجه التشبيه فى المذكورات مركب منتـزع من أمرين محسوسين : طعم وريح ، وقد ضرب النبى صلى الله عليه وسلم المثل بما تنبته الأرض ويخرجه الشجر للمشابهة التى بينها وبين الأعمال ، فانها من ثمرات النفوس » الـخ .. اهـ .

والحاصل كما يقول الشارح فى الترغيب والترهيب : أن النبى صلى الله عليه وسلم يضرب المثل للمؤمن الذى يقرأ القرآن بالأترجة وهى ثمرة جمعت بين حلاوة الطعم وطيب الرائحة ، فشبه بها المؤمن

---

(١) المؤمن طيب فى نفسه بسبب ما فى قلبه من الايمان .

(٢) وهى كل نبت طيب الريح من انواع الشموم .

القارىء فى طيب مخبره وحسن مظهره وتعدى نفعه الى الغير ، وفى الفتح « خص صفة الايمان بالطعم ، وصفة التلاوة بالريح لأن الايمان ألزم للمؤمن عن القرآن اذ يمكن حصول الايمان بدون القراءة ، وكذلك الطعم ألزم للجوهر من الريح ، فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه . وقيل : ان الجن لا تقرب البيت الذى فيه الأترج فيناسب أن يمثل به القرآن الذى لا تقربه الشياطين وغلاف حبه أبيض فيناسب قلب المؤمن » ا هـ .

وأيضا قال النووى معلقا على الحديث فى شرح مسلم : « فيه فضيلة حافظ القرآن واستحباب ضرب الأمثال لايضاح المقاصد » ا هـ .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران » .

وفى رواية : « والذى يقرؤه ، وهو يشتد عليه[1] له أجران » رواه البخارى ومسلم واللفظ له ، وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

قال النووى : « السفرة جمع سافر ككاتب وكتبة ، والسافر الرسول ، والسفرة الرسل لأنهم يسفرون الى الناس برسالات الله وقيل : السفرة الكتبة ، والبررة المطيعون من البر وهو الطاعة ، والماهر الحاذق الكامل الحفظ الذى لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه واتقانه . وقال القاضى : يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أنه له فى الآخرة منازل يكون فيه رفيقا للملائكة السفرة لاتصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى . قال : ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم وسالك مسلكهم .

وأما الذى يتتعتع فيه فهو الذى يتردد فى تلاوته لضعف حفظه فله أجران : أجر بالقراءة وأجر بتعتعته فى تلاوته ومشقته .

قال القاضى وغيره من العلماء : وليس معناه أن الذى تتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به ، بل الماهر أفضل وأكثر أجرا لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة ولم يذكر هذه المنزلة لغيره . وكيف

---

(١) أى تثقل عليه القراءة لعدم حفظه واتقانه او لأن لسانه غير عربى ..

يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه واتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه والله أعلم » اه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « يجىء صاحب القرآن يوم القيامة ، فيقول القرآن : يا رب حله ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يا رب زده ، فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقول : يا رب ارض عنه ، فيرضى عنه ، فيقال له : اقرأ وارق ، ويزداد بكل آية حسنة » .

رواه الترمذى ، وحسنه ، وابن خزيمة ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارق[1] ، ورتل[2] كما كنت ترتل فى الدنيا ، فان منزلك عند آخر آية تقرؤها » رواه الترمذى ، وأبو داوود ، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى حسن صحيح .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه[3] غير أنه لا يوحى اليه[4] . لا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد[5] ، ولا يجهل مع من جهل[6] ، وفى جوفه كلام الله »[7] رواه الحاكم ، وقال : صحيح الاسناد .

وعنه رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « الصيام والقرآن يشفعان[8] للعبد ، يقوم الصيام : رب انى منعته الطعام والشراب بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : رب منعته

---

(١) أمر من الرقى وهو الصعود .

(٢) الترتيل هو القراءة بتؤدة وتمهل .

(٣) أى جعلها مندرجة وداخلة بين جنبيه .

(٤) أى لا ينقصه من النبوة الا الوحى .

(٥) يعنى يغضب مع من غضب ، يقال وجد عليه يجد وجدا وموجدة غضب .

(٦) الجهل : ضد الحلم .

(٧) أى لا ينبغى ان يفعل ذلك فى حال وجود كلام الله فى جوفه .

(٨) أى يطلبان له المغفرة ودخول الجنة .

النوم بالليل فشفعني فيه ، فيشفعان »[1] رواه أحمد وابن أبى الدنيا فى كتاب الجوع ، والطبرانى فى الكبير والحاكم واللفظ له ، وقال : صحيح على شرط مسلم • وقال شارح الجامع الصغير اسناده حسن •

* * *

ثم أختم بعد ذلك مجموعة هـذه الأحاديث الشريفة التى أرجو أن تكون سببا فى اكثارك من تلاوة القرآن والتدبر فيه : بحديث شريف أرجو كذلك أن يكون سببا فى حبك لتلاوة القرآن والاستماع اليه :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن أسيد بن حضير[2] بينما هو فى ليلة يقرأ فى مربده[3] اذ جالت[4] فرسه ، فقرأ ثم جالت أخرى ، فقرأ ثم جالت أخرى أيضاً • قال أسـيد : فخشيت أن تطأ يحيى[5] فقمت اليها ، فاذا مثل الظلة فوق رأسى فيها أمثال السرج[6] عرجت[7] فى الجو حتى ما أراها • قال : فغدوت على رسول الله صلى الله عليـه وسلم • فقلت : يا رسول الله •• بينما أنا البارحة فى جوف الليـل أقرأ فى مربدى اذ جالت فرسى[8] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ ابن حضير[9] ، قال : فانصرفت وكان يحيى قريبا منها فخشيت أن تطأه[10] ، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت فى الجو حتى ما أراها[11] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك الملائكة تستمع لك[12] ، ولو قرأت[13] لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم »[14] • رواه البخارى ومسلم ، واللفظ له •

---

(١) اى أن الله بفضله ورحمته يستجيب لهما ويقبل شفاعتهما فيه •

(٢) وهو سيد الأوس بعد سعد بن معاذ رضى الله عنهما •

(٣) المربد للتمر هو البيدر كالبيدر للحنطة • (٤) أى اضطربت • •

(٥) وهو ابن أسيد وكان نائما الى جنب الفرس •

(٦) جمع سراج وهو المصباح •

(٧) يعنى صعدت ، والعروج هو الصعود •

(٨) يعنى تحركت واضطربت لاحساسها بشىء غريب •

(٩) يعنى أنه صلى الله عليه وسلم تمنى أن يستمر فى قراءته ويتابعها ليفوز بما حصل له من استماع الملائكة لقراءته •

(١٠) أى تمشى عليه بحافرها •

(١١) يعنى ظلت تصعد حتى غابت عن نظرى •

(١٢) أى تنزلت من السماء لكى تستمع لقراءتك •

(١٣) أى : لو داومت القراءة الى الصباح •

(١٤) قال العينى : فيه جواز رؤية بنى آدم الملائكة •

ورواه الحاكم بنحوه باختصار ، وقال فيه : « فاذا أمثال المصابيح ، قال : مدلاة بين السماء والأرض ، فقال : يا رسول الله .. ما استطعت أن أمضى[1] ، قال : تلك الملائكة نزلت لقراءة القرآن ، أما انك لو مضيت لرأيت العجائب »[2] وقال : صحيح على شرط مسلم .



فهذا معناه — كما تبين لك من خلال كل هـذا الذى وقفت عليه : أن قراءة القرآن هى أقرب القربات ، وأفضل الطاعات ، وخير الأذكار .. وخير ذلك ما كان على ترتيب المصحف من أول الفاتحة والبقرة وآل عمران .. الـخ ، كلما ختم القارىء مصحفا بدأ بآخر ، وقد سماه الرسول صلى الله عليه وسلم الحال والمرتحل ، أى : كلما حل ارتحل .



هذا .. ولا تقبل العبادة والتلاوة الا اذا كانت وفق الأحكام الشرعية التى وردت لنا عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته جيلا عن جيل ، فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اقرأوا القرآن بلحون العرب » .

وورد : « جودوا القرآن » .

وورد : أن من لم يجود القرآن فهو آثم ، والتجويد هو اتقان القراءة طبقا لأحكام اللغة وآدابها ، وليس المقصود هو التمطيط والغناء واخراج الحروف عن مواضعها ، فان هذا اثم وضلال ، ولا تقبل معه عبادة ولا تلاوة .

ويجب تعلم أحكام القراءة لاحكام أداء التلاوة ، وخاصة فى الصلاة ، وخاصة للائمة : فقد قال ابن الجزرى : أجمع من تعلمه من العلماء على أنه لا تصح صلاة قارىء — أى متقن للقراءة — خلف أمى ، وهو من لا يحسن القراءة .

والتجويد حلية التلاوة ، وزينة القراء :

فادرسه أخا الاسلام ، واحفظ متونه التى منها — على سبيل المثال — : « تحفة الأطفال فى تجويد القرآن » ، « متن الجزرية فى التجويد » .



(١) يعنى أن أستمر فى قراءتى ..
(٢) يريد أن يقول له لو واصلت القراءة لرأيت خيرا كثيرا .

ولتكن قراءتك دائما وأبدا بتدبر ، حتى تفهم المراد من كلام الله تعالى فى قرآنه ، والا كنت من هؤلاء الغافلين الذين طبع الله تعالى على قلوبهم ، كما يشير الى هذا قوله تعالى :

« أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها »(١) ، أى بل على قلوب أقفال أقفلها الله عز وجل عليهم فهم لا يعقلون .

وفى حديث مرفوع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان عليها أقفالا كأقفال الحديد حتى يكون الله يفتحها » ، وأصل القفل اليبس والصلابة ..

وحسبك أن تفهم المراد من قول الشافعى رضى الله عنه : « لو تدبر الناس سورة العصر لكفتهم » .

* * *

واعلم أن أفضل الأماكن التى يتلى فيها القرآن هى :

أولا : المساجد الثلاثة التى أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بفضل الصلاة فيها على غيرها ، وهى : المسجد الحرام بمكة ، مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، المسجد الأقصى بالقدس .

ثانيا : يلى هذا فى الفضل ، جميع المساجد المنتشرة فى البلاد لقول الله تعالى : **« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار »**(٢) .

ثالثا : ويلحق بالمساجد ، مكان صلاة الشخص فى أى مكان صلى فيه اذا أراد أن يقرأ بعد الصلاة القرآن .

* * *

مع ملاحظة أنه تحرم القراءة فى أماكن قضاء الحاجة كالمراحيض والخرائب التى يتخذها الناس مباول ، وكذا ما خصص لالقاء القاذورات وخلافها .

وتحرم القراءة فى أماكن اللهو والفجور كبيوت الدعارة وحانات الخمر ...

* * *

(١) محمد : ٢٤

(٢) النور : ٣٦ ، ٣٧

وأما الأوقات التى يكون للقراءة فيها مزيد فضل :

فمنها : ما هو على مدار اليوم : وهما الفجر والعصر ، لما ورد فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر ، فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله — وهو أعلم بكم — كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون » ، فهذان الوقتان تشهدهما الملائكة ، كما يشير أيضا الى هذا قول الله تعالى : **« ان قرآن الفجر[1] كان مشهودا »**[2] أى تشهده الملائكة .

ومنها : ما كان على مدار الأسبوع :

وهى : الاثنين والخميس والجمعة :

فقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخص الاثنين والخميس بالصوم ، وعندما سئل عن ذلك ، قال : « أما يوم الاثنين فيوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه ، وأما يوم الخميس فيوم ترفع فيه أعمال العباد ، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » .

وأما عن يوم الجمعة ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم عنه : « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة الا فى يوم الجمعة »[3] .

ومنها : ما هو على مدار الشهر : وهى الليالى البيض من كل هلال — شهر عربى — وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، وكذلك أول الهلال ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصوم هذه الأيام ..

ومنها : ما هو على مدار السنة وهى كثيرة : شهر رمضان وفيه العشر الأواخر لامكان وقوع ليلة القدر فى أى ليلة منها .. وشهر رمضان هو شهر القرآن كما أخبر بذلك سبحانه وتعالى فى قوله : **« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن .. »**[4] .

ومنها العشر الأول من ذى الحجة ، لقول الرسول صلى الله عليه

---

(١) أى القرآن الذى يقرأ فى صلاة الفجر تشهده الملائكة .

(٢) الاسراء : ٧٨

(٣) رواه مسلم فى صحيحه .

(٤) البقرة : ١٨٥

وسلم : « ما العمل فى أيام أفضل من العمل فى هذا العشر » قالوا : ولا الجهاد ؟ قال : « ولا الجهاد ، الا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشىء »[1] .

ومنها : أول الشهر المحرم ، ويوم عاشوراء منه ، وشهر ربيع الأول ، وشهر رجب وفيه ليلة السابع والعشرين ، وشهر شعبان .. وذلك لفضل هذه الأيام .

وقراءة القرآن مطلوبة فى كل وقت ، باعتبارها ذكرا لله عز وجل .. وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر الله فى كل أحواله .. الا أن الأوقات المذكورة لها مزيد فضل وكرامة عند الله عز وجل يضاعف فيها الحسنات ، وقد ورد فى الحديث الشريف :

« وان لله عز وجل فى أيام دهركم نفحات فاغتنموها » أو : « ألا فتعرضوا لها » كما قال صلوات الله وسلامه عليه .



ويستحب كذلك الجلوس فى حلق الذكر التى من أهمها — كما عرفت — مجالس تعليم القرآن ، ومجالس العلم النافع ، ومجالس الذكر بصفة عامة :

فعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » قالوا : وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال : « حلق الذكر ، فان لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر ، فاذا أتوا عليهم حفوا بهم » .

وروى مسلم عن معاوية أنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على حلقة من أصحابه فقال : « ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للاسلام ومن به علينا . قال : أما انى لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله تعالى يباهى بكم الملائكة » .



---

(١) رواه البخارى عن ابن عباس .

أفضل الأذكار بعد القرآن

وهناك أذكار صحيحة وردت كذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم من الخير أن تتقرب الى الله تبارك وتعالى بها ، فاليك نصها :

عن أبى هريرة رضي الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ما قال عبد : لا اله الا الله قط مخلصا الا فتحت له أبواب السماء حتي يفضي الى العرش[١] ما اجتنبت الكبائر » رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن غريب •

وعنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « جددوا ايمانكم • قيل : يا رسول الله •• وكيف نجدد ايماننا ؟ قال : أكثروا من قول : لا اله الا الله » رواه أحمد باسناد حسن •

وعن جابر رضي الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « أفضل الذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله » رواه النسائى وابن ماجه والحاكم ، وقال : صحيح الاسناد •

* * *

وهناك كلام هام جدا ذكره ــ صاحب الدين الخالص[٢] ــ وهو فضيلة الشيخ محمود خطاب السبكى رحمه الله تعالى ، تحت عنوان :

كلمة التوحيد

رأيت كذلك أن أزودك به ــ اتماما للفائدة ــ فاليك :

كلمة التوحيد ، هى : « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » ويتعلق بها خمسة أمور :

(أ) **ضبطها** : ينبغي ترقيق حروفها ما عدا لام الله ، وأن تمد « لا » مدا طبيعيا الى ست حركات ، وتحقق همزة اله ، وتمد لامها مدا طبيعيا ، وتفتح هاؤها فتحا بينا بلا اشباع • وتحقق همزة « الا » بلا اشباع وتشدد لامها ، ويفخم لفظ الجلالة ، وتضم الهاء وصلا ، وتسكن وقفا ، وحينئذ : يجوز مد لفظ الجلالة الى ست حركات •

(ب) **فضل لا إله إلا الله** : قد ورد فى فضلها أحاديث كثيرة منها : حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « عبد الله بن عمرو »

---

(١) أى حتى يصل هذا القول الى العرش ، وهذا كقول الله تعالى : « اليه يصعد الكلم الطيب » (فاطر : ١٠) •

(٢) فى الجزء الأول صفحة ١٢٧

أن النبى صلى الله عليـــه وآله وسلم ، قال : « خير الدعاء دعاء يوم عرفـــة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبـــلى : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » أخرجه مالك والترمذى واللفظ له ، وقال : حديث غريب .

وحديث جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « أفضل الذكر : لا اله الا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله »(١) أخرجه أحمد والنســائى والترمذى وقال : حسن غريب وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه .

وحديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « قال موسى عليه الصلاة والســلام : يا رب علمنى ما أذكرك به ، وأدعوك به . فقال : يا موسى .. قل : لا اله الا الله . قال موسى عليه الصلاة والسلام : يا رب كل عبــادك يقولون هــذا . قال : قل : لا اله الا الله . قال : لا اله الا أنت . انما أريد شيئا تخصنى به . قال : يا موسى .. لو أن السموات السبع فى كفة ، ولا اله الا الله فى كفة ، لمــالت بهن لا اله الا الله » أخرجه النسائى وابن حبان .

وحديث عبد الله بن عمرو أن النبى صلى الله عليــه وآله وسلم ، قال : « التسبيح نصف الميزان ، والحمــد لله تملؤه ، ولا اله الا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص اليه »(٢) أخرجه الترمذى .

(جـ) **حكم النطق بكلمة التوحيد** : يجب على من نشـــأ مؤمنا ، أن يذكرها فى العمر مرة ناويا أداء الواجب ، والا فهـــو عاص . ثم ينبغى له الاكثار من ذكرها عارفا معناها مستحضرا ما احتوت عليه لينتفع بذكرها دنيــا وأخرى ، فتتفجر ينابيـــع الحكمة من قلبه ، ويرى لها من الأسرار والعجائب ان شاء الله تعالى ما لا يدخل تحت الحصر .

وأما الكافر الذى يريد الدخول فى الاسلام ، فذكره لها ليس شرطا فى صحة ايمانه ولا جزءا من مفهومه ، وانما جعل الشرع النطق بالشهادتين شرطا لازما لاجراء الأحكام الدنيوية على المؤمن كالصلاة خلفه ، والصلاة عليه ، ودفنه فى مقابر المسلمين ، وتزوجه مسلمة ، فاذا لم ينطق بهما

---

(١) أطلق على الحمد دعاء على سبيل التجوز ، لأن الحمد يتضمن الدعاء لقوله تعالى : « **لئن شكرتم لأزيدنكم** » (ابراهيم : ٧) أى : فمن حمد الله تعالى كأنه يقول : رب أدم على نعمتك وزدنى منها .

(٢) هذا من المتشابه المصروف عن ظاهره باتفاق السلف والخلف .

لعذر كالخرس ، أو لم يتمكن من النطق بهما ، بأن مات عقب ايمـانه بقلبه ، أو اتفق له عدم النطق بهما بعد الايمان بقلبه فهو مؤمن عند الله وناج فى الآخرة ، وأما من امتنع عن النطق بهما عنادا بعد أن عرض عليه ذلك فهو كافر والعياذ بالله تعالى ، ولا عبرة بتصديقه القلبى مع هـذا الامتناع •

(د) **تضمنها العقائد** : كل ما تقدم من العقائد يندرج فى كلمة التوحيد ، وذلك أن معنى لا اله الا الله : « لا معبود بحق الا الله » ، ويلزم ــ هذا المعنى أن يكون غنيا عن كل ما سواه ، وأن يفتقر اليـه كل ما عداه •

ويلزم كونه غنيا عن كل ما سواه :

(أ) وجوب الوجود له والقـدم والبقـاء والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس والسمع والبصر والكلام ، وعدم الغرض فى فعل ما أو حكم كذلك ، وعدم التأثير بالقوة المودعة ، وعدم وجوب فعل عليـه تعـالى •

(ب) واستحالة العدم والحدوث ، والفناء ، والمماثلة للحوادث ، والاحتياج لموجد أو ذات يقوم بها • والصمم ، والعمى ، والبـكم ، والتأثير بالقوة المودعة ، والغرض فى فعل أو حكم ما ، ووجوب فعـل عليه تعالى •

فهذه اثنتان وعشرون عقيدة • منها الواجب له تعـالى ، ومنها المستحيل فى حقه تعالى •

ويلزم كونه مفتقرا اليه كل ما عداه :

(أ) وجوب الوحدانية له تعالى فى الذات والصفات والأفعال ، والحياة والعـلم والارادة والقدرة ، وحدوث العـالم ، وعدم التأثير بالعلة والطبع والتولد •

(ب) واستحالة التعدد فى الذات والصـفات والأفعال اتصالا وانفصالا على ما تقدم ، والموت والجهل والكراهية والعجز ، وقـدم العالم والتأثير بالعلة والطبيعة والتولد •

فهذه أربع عشر عقيدة ما بين واجب له تعالى ومستحيل عليـه تعـالى •

ومعنى « محمد رسول الله » : ثبوت الرسالة له صلى الله عليـه وآله وسلم ، يندرج تحته :

(أ) وجوب الأمانة والتبليغ والصدق ، واتصافه بما لا نقص فيه ، سواء أكان واجبا كالفطانة وعدم دناءة الآباء والأمهات ، أم جائزا كالمرض والجوع •

(ب) وايماننا بجميع الأنبياء والكتب والملائكة واليوم الآخر ، والقضاء والقدر •

(جـ) واستحالة الخيانة والكتمان والكذب ، واتصافه بما فيه نقص كالبلادة والجنون والعمى •

فهذه أربع عشر عقيدة تضم لما تقدم تكون جملتها خمسين عقيدة •



ثم يقول بعد ذلك رحمه الله تعالى مشيرا الى بعض الملاحظات الهامة المتعلقة بالذكر ، تحت عنوان :

كيفيـة الذكر وفضـله

قد علمت أن هـذه الكلمة ــ وهى لا اله الا الله ــ من أفضل الأذكار وأشرفها عند الله تعالى : فينبغى للعاقل أن يعنى بها ، فيكون حالة الذكر على طهارة متطيبا متجملا مستقبلا القبلة ، ويتحرى الانفراد عن الخلق ما استطاع ، ويستحضر المعنى بقدر الامكان • ولا يترك الذكر عند عدم حضور قلبه • بل يذكر متحليا ببقية الآداب راجيا أن تغشاه نفحة الهية تنقله من الغفلة الى الحضور ، ومن الحضور الى المشاهدة • وأن لا يتصرف فى شىء من حروفها بزيادة أو نقصان • بل يقتصر على الوارد شرعا • وليحذر مما عليه غالب الناس اليوم من تحريف الذكر والالحاد فى أسمائه تعالى ، فانه حرام بالاجماع ولا سند لهم فى ذلك الا قولهم : وجدنا أشياخنا هكذا يذكرون ، وهذا لا يصدر الا من الجهلة الذين لا يميزون الغث من السمين • فعلى المؤمن أن لا يخرج فى ذكره وكل أعماله عما جاء به الكتاب العزيز ، ونطقت به السنة المطهرة •

هذا •• واعلم : أن الذكر حقيقة هو ما يجرى على اللسان والقلب ، وأكمله ما كان فيه استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفى النقائص عنه ، والمراد به ما يشتمل التسبيح والتحميد وتلاوة القرآن والاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك • قال الفخر الرازى : المراد بذكر اللسان الألفاظ الدالة

على التسبيح والتحميد والتمجيد ، والذكر بالقلب : التفكر فى أدلة الذات والصفات والتكاليف من الأمـر والنهى ، وفى أسرار مخلوقات الله ، والذكر بالجوارح : هو أن تصير مستغرقة بالطاعات ، ولذا سمى الله تعالى الصلاة ذكرا فى قوله : ((فاسعوا الى ذكر الله))[1] .

هذا .. والذكر سبعة أقسام : ذكر العينين البكاء ، وذكر الأذنين الاصغاء ، وذكر اللسان الثناء ، وذكر اليدين العطاء ، وذكر البدن الوفاء ، وذكر القلب الخوف والرجاء ، وذكر الروح التسليم والرضا .

* * *

ثم ذكر بعض الأحاديث الشريفة التى أرجو أن تنتفع بها وتجعلها وردا لك ، وهى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، فى يوم مائة مرة : كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر من ذلك » أخرجه الجماعة[2] الا النسائي وأبا داوود .

وعنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة : حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر »[3] أخرجه مالك وأحمد والشيخان والترمذى وابن ماجه .

وعن مكحول عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وآله وسـلم : « أكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله[4] ، فانهـا كنز من كنوز الجنة » قال مكحول : فمن قال لا حول ولا قوة الا بالله ولا منجى من الله الا اليه ، كشف الله عنه سبعين بابا من الضر أدناهـا الفقر .

---

(١) الجمعة : ٩ .

(٢) وهم : مالـك وأحمد والبخارى ومسـلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٣) الزبد بفتحتين من البحر وغيره كالرغوة .

(٤) عن ابن مسعود مرفوعا : « الا أخبرك بتفسير لا حول ولا قوة الا بالله ؟ لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بعون الله » أخرجه ابن النجار .

أخرجه الترمذى ، وقال اسناده ليس بمتصل لأن مكحولا لم يسمع من أبى هريرة ، وأخرجه النسائى مطولا بسند رجاله ثقات ، ورفع : ولا منجى من الله الا اليه •

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « الباقيات الصالحات : لا اله الا الله ، وسبحان الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله » أخرجه النسائى وابن حبان والحاكم وصححه •

* * *

وورد كذلك ، فى :

فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وغير ذلك

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » رواه الشيخان والترمذى •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « لأن أقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر ، أحب الى مما طلعت عليه الشمس » رواه مسلم والترمذى •

وعن أبى ذر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبرك بأحب الكلام الى الله ؟ قلت : أخبرنى يا رسول الله • قال : ان أحب الكلام الى الله : سبحان الله وبحمده » رواه مسلم والترمذى • ولفظه : « أحب الكلام الى الله عز وجل ما اصطفى الله لملائكته : سبحان ربى وبحمده ، سبحان ربى وبحمده » •

وعن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من قال : سبحان ربى العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة » رواه الترمذى وحسنه •

وعن أبى سعيد أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : استكثروا من الباقيات الصالحات » • قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : « التكبير ، والتهليل ، والتسبيح ، والحمد لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله » رواه النسائى والحاكم ، وقال : صحيح الاسناد •

وعن عبد الله رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لقيت ابراهيم ليلة أسرى بى ، فقال : يا محمد أقرىء أمتك منى السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان[١] وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » رواه الترمذى والطبرانى ، وزاد : « ولا حول ولا قوة الا بالله » .

وعند مسلم : أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « أحب الكلام الى الله أربع — لا يضرك بأيهن بدأت — : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه » رواه البخارى ومسلم .

أى : أجزأتاه عن قيام تلك الليلة ، وقيل : كفتاه ما يكون من الآفات تلك الليلة ، وقال ابن خزيمة فى صحيحه « باب ذكر أقل ما يجزىء من القراءة فى قيام الليل » ثم ذكره .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة ؟ فشق ذلك عليهم ، وقالوا : أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : الله الواحد[٢] الصمد ثلث القرآن » رواه البخارى ومسلم والنسائى .

وورد كذلك ، من :

الذكر المضاعف وجوامعه

عن جويرية رضى الله عنها ، أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ، ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة . فقال : « ما زلت على الحال التى فارقتك عليها ؟ قالت : نعم . قال النبى صلى الله عليه وسلم : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات ، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » رواه مسلم وأبو داوود .

---

(١) قيعان : جمع قاع اى أنها مستوية منبسطة واسعة .
(٢) يقصد سورة الاخلاص .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة وبين يديها نوى أو حصى ، تسبح الله به ، فقال : « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا ، أو أفضل : سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض ، وسبحان الله عدد ما خلق بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا اله الا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله مثل ذلك » رواه أصحاب السنن والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثهم أن عبدا من عباد الله قال : « يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ، ولعظيم سلطانك . فعضلت[1] بالملكين ، فلم يدريا كيف يكتبانها ، فصعدا الى السماء فقالا : يا ربنا ان عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها ؟ قال الله — وهو أعلم بما قال عبده — ماذا قال عبدى ؟ قالا : يا رب انه قد قال : يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك . فقال الله لهما : اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها » رواه أحمد وابن ماجه .

* * *

فضل الدعاء

واعلم : أن الدعاء ذكر وزيادة . وقد ورد الأمر به ، قال تعالى : « .. وقال ربكم ادعونى أستجب لكم »[2] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من لم يسأل الله يغضب عليه » أخرجه الترمذى والبخارى فى الأدب والحاكم وصححه .

وعن أنس مرفوعا : « الدعاء مخ العبادة » أخرجه الترمذى وفيه ابن لهيعة فيه مقال . وعنه مرفوعا : « لا يرد الدعاء بين الأذان والاقامة » أخرجه أحمد والثلاثة وابن حبان وصححه وحسنه الترمذى وزاد : قالوا : فما نقول يا رسول الله ؟ قال : « سلوا الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة » .

وعن شداد بن أوس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله

---

(١) فعضلت : اى اشتدت وعظمت .

(٢) غافر : ٦٠

وسلم ، قال : « سيد الاستغفار أن يقول : اللهم أنت ربى لا اله الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت . أعوذ بك من شر ما صنعت . أبوء لك[1] بنعمتك على ، وأبوء لك بذنبى ، فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت : من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى ، فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح ، فهو من أهل الجنة » رواه أحمد والبخارى والدارمى وأبو داوود والترمذى والنسائى .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يمسى وحين يصبح : « اللهم انى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة . اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى . اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى[2] واحفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى ، وأعوذ بك أن أغتال من تحتى » أخرجه النسائى وابن ماجه واللفظ له ، والحاكم وصححه .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم علمها هـذا الدعاء :

« اللهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم أعلم . اللهم انى أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيك . وأعوذ بك من شر ما عاذ به عبدك ونبيك . اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول أو عمل . وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول أو عمل . وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لى خيرا » أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححاه .

وقال طلق بن حبيب : جاء رجل الى أبى الدرداء فقال : قد احترق بيتك . فقال : ما احترق ، لم يكن الله ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسى ، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح : « اللهم أنت ربى لا اله الا أنت ، عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم

---

(١) أى اعترف .

(٢) العفو : محو الذنوب . والعافية : السلامة من الأسقام والبلايا . والعورات : العيوب . والروعات : الفزعات ، فالمعنى : ادفع عنى خوفا يقلقنى ويزعجنى وأن أغتال .

ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم • أعلم أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما • اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم » أخرجه ابن السنى •

وفى بعض الروايات أنه قال : انهضوا بنا ، فقام وقاموا معه ، فانتهوا الى داره ، وقد احترق ما حولها ، ولم يصبها شىء •

* * *

وهناك أذكار كثيرة تستطيع أخا الاسلام الوقوف عليها[1] والتقرب الى الله تبارك وتعالى بها فى جميع المناسبات والأحوال ••

* * *

وحسبى فى النهاية أن أذكرك بهذا الأثر الذى جاء فيه : أن رجلا مر على رجل أعمى وبه كثير من الأمراض فسمعه يقول : الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من خلقه •• فلما سمعه يقول هـذا ، قال له متعجبا : يا أخى ما الذى عافاك الله منه ؟ لقد رأيت جميع المصائب وقد أصابتك ! ؟ فقال له : اليك عنى يا بطال ، فانه عافانى اذ أطلق لسانا يوحده ، وقلبا يعرفه ، وفى كل وقت يذكره •• ثم قال :

حمدت الله ربى اذ هدانى   الى الاسلام والدين الحنيف
فيذكره لسـانى كل وقت   ويعرفـه فـؤادى باللطيف

فاذكر كل هـذا أخا الاسلام ، حتى تكون من الذاكرين لا من الغافلين ، و :

تمسك بحبل الشرع واضرب بسيفه
رؤوس المعاصى واتخذ منه جوشنا
وبادر الى انكار ما كان خارجا
عن الحق واحذر أن تكون مداهنا
ولا تجعل الذكر النفيس وسيلة
الى عرض الدنيا المعرض للفنـا
ولا تجعل المقصـود منه تكسبا
فتنحط قدرا من علاك وتفتتـا

---

(١) فى أمهات الكتب التى منها : « الترغيب والترهيب » ، « رياض الصالحين » ، « تحفة الذاكرين » ، « الأذكار للنووى » •

ولا تتخـذه للرياسـة سـلما
فتغضب مربوبـا وربـا مهيمنـا

* * *

ولتكن كذلك مكثرا من الصلاة على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ولا سيما فى يوم الجمعة ، فضلا عن بقية الأيام :

فقد روى أبو داوود والنسائى عن أوس رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فان صلاتكم معروضة على » فقالوا : يا رسول الله .. وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ — أى بليت — قال : « ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

وفى سنن أبى داوود عن أبى هريرة رضى الله عنه باسناد صحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ما من أحد يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام » .

* * *

وحسبك ان فعلت ذلك أنك ستكون من أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم :

فقد روى الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة » قال الترمذى : حديث حسن : أى أحقهم بشفاعته وأقربهم مجلسا منه .. صلوات الله وسلامه عليه .

* * *

بل وستكون كذلك ، قد فزت بالخير العظيم المشار اليه فى الأحاديث الشريفة الآتية :

روى الامام أحمد عن أبى طلحة الأنصارى ، قال : « أصبح رسول الله صلى الله عليـه وسلم يوما طيب النفس يرى فى وجهه البشر ، فقالوا : يا رسول الله .. أصبحت اليوم طيب النفس يرى فى وجهك البشر . قال : « أجل .. أتانى آت من ربى عز وجل ، فقال : من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، ورد عليه مثلها » قال ابن كثير : وهـذا اسناد جيد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليـه وسلم ، قال : « من سره أن يكال له بالمكيال الأوفى — اذا صلى علينا أهل

البيت ـ فليقل : اللهم صل على محمد النبى وأزواجه أمهات المؤمنين ، وذريته ، وأهل بيته : كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد » رواه أبو داوود والنسائى .

وعن أبى بن كعب رضى الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ثلثا الليل قام ، فقال : يا أيها الناس اذكروا الله ، اذكروا الله جاءت الراجفة(١) تتبعها الرادفة(٢) جاء الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه . قلت : يا رسول الله .. انى أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتى ؟ قال : ما شئت . قلت : الربع ؟ قال : ما شئت ، فان زدت فهوخيرلك . قلت : النصف ؟ قال : ما شئت ، فان زدت فهو خير لك . قلت : فالثلثين ؟ قال : ما شئت ، فان زدت فهو خير لك . قلت : أجعل لك صلاتى كلها(٣) . قال : « اذن تكفى همك ويغفر لك ذنبك » رواه الترمذى .

* * *

هذا .. واذا كان الله تبارك وتعالى قد أمرنا بهذا ، فى قوله تعالى :
« ان الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها النبى آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما »(٤) .

فان المقصود من هذه الآية ـ كما قال ابن كثير ـ : أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده فى الملأ الأعلى ، بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين ، وأن الملائكة تصلى عليه ، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين ، العلوى والسفلى .

وقال البخارى : قال أبو العالية : « صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء » .

وقال أبو عيسى الترمذى : وروى عن سفيان الثورى وغير واحد من أهل العلم ، قالوا : « صلاة الرب الرحمة ، وصلاة الملائكة الاستغفار » .

* * *

---

(١) الراجفة : النفخة الأولى .
(٢) الرادفة : النفخة الثانية .
(٣) اى اجعل مجالسى كلها فى الصلاة والسلام عليك .
(٤) الأحزاب : ٥٦

فاذكر كل هذا أخا الاسلام ، واعلم أنه من الواجب عليك أن تصلى وتسلم عليه ، كلما ذكر صلوات الله وسلامه عليه .. استنادا الى هذا الأمر الذى ينصرف الى الوجوب فى هـذه الآية الكريمة .. وقد ذهب الى وجوب هذا طائفة من العلماء ، منهم الطحاوى والحليمى واستدلوا على ذلك بما رواه الترمذي وحسنه :

عن أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « رغم أنف رجل[1] ذكرت عنده فلم يصل على ، ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة » .

ولحديث أبى ذر : أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، قال : « ان أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل على » .

* * *

وقد أشار الى هذا محيى السنة الشيخ محمود خطاب السبكى رحمه الله تعالى ، حيث يقول فى كتابه : « المقامات العلية » :

والسحب لا تحكى عطايـاه فمـا
أنداه بحرا بالسـخاء وأكرمـا

أنعم بمن أسنى الكمال له انتمى
مولاه قد صلى عليـه وسـلما

من لم يصل عليه كان بخيلا
صـلوا عليـه بكـرة وأصيـلا

* * *

وقد ذهب آخرون — من العلماء — الى وجوب الصلاة عليه فى المجلس مرة واحدة ، ثم لا تجب فى بقية ذلك المجلس ، بل تستحب :

لحديث أبى هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليـهم ترة[2] يوم القيامة ، فان شاء عذبهم ، وان شاء غفر لهم » رواه الترمذي وقال : حسن .

* * *

(١) اى ذل وانقاد .
(٢) الترة : معناها الحسرة أو النقص ، أو التبعة .

واستحب العلماء كذلك كتابة الصلاة والسلام عليه كلما ذكر اسمه صلوات الله وسلامه عليـــه ، الا أنه لم يرد فى ذلك حـــديث يصح الاحتجاج به •

وذكر الخطيب البغدادى ، قال : رأيت بخط الامام أحمد بن حنبل رحمه الله كثيرا ما يكتب اسم النبى صلى الله عليه وسلم من غير ذكر الصلاة عليه كتابة • قال : وبلغنى أنه كان يصلى عليه لفظا •

وحول الجمع بين الصلاة والتسليم :

قال النووى : اذا صلى على النبى صلى الله عليـــه وسلم فليجمع بين الصلاة والتسليم ، ولا يقتصر على أحدهما ، فلا يقل : صلى الله عليه فقط ، ولا : عليه السلام فقط •

وتستحب الصلاة على الأنبياء والملائكة استقلالا •

وأما غير الأنبياء : فانه يجوز الصلاة عليهم تبعا باتفاق العلماء • وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم صل على محمد النبى وأزواجه أمهات المؤمنين » •• الخ •

وتكره الصلاة عليهم استقلالا ، فلا يقال : عمر صلى الله عليه وسلم •



فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، ثم اليك فى ختام هذا العرض المبارك المتعلق بالصلاة والسلام على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليـــه هذين الحديثين الشريفين اللذين قرأتهما فى فقه الســـنة تحت عنوان :

صيغة الصلاة والسلام عليـــه

روى مسلم عن أبى مسعود الأنصارى أن بشير بن سعد قال : أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله ، كيف نصلى عليك ؟ قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد • والسلام كما علمتم » •

وروى ابن ماجه ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة فانكم

لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه • قالوا له : فعلمنا ، قال : قولوا : اللهم اجعل صلواتك ، ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين ، وامام المتقدمين ، وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ، وقائد الخير ، ورسول الرحمة • اللهم ابعثه مقاما يغبطه به الأولون • اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم ، انك حميد مجيد •

* * *

وهناك صيغ أخرى فى كتب السنة الصحيحة تستطيع أن ترجع اليها •• ان شئت الاستزادة من هـذا الخير الذى ما بعده خير •• ولله در القائل المحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

ان شئت من بعد الضلالة تهتدى
صل على الهادى البشير محمد
يا فوز من صـلى عليـه فانه
يحوى الأمانى بالنعيـم السرمد
يا قومنا صـلوا عليـه فتظفروا
بالبشر والعيش الهنى الأرغـد
صلوا عليـه وارفعوا أصواتـكم
يغفر لكم فى يومكم قبل الغد
ويخصـكم رب الأنـام بفضـله
بأفاضل الجنـات يوم الموعـد
صلى عليـه الله جـل جلالـه
ما لاح فى الآفاق نجم الفرقد

* * *

هـذا بالاضافة الى أنك ستفوز مع المصلين على سيد المرسلين بعشر كرامات :

احداهن : صـلاة الملك الغفـار •
الثانيـة : شفاعـة النبى المختـار •
الثالثـة : الاقتداء بالملائكة الأبرار •
الرابعـة : مخالفة المنافقين والكفار •
الخامسة : محو الخطايـا والأوزار •

السادسة : قضاء الحوائج والأوطار •
السابعة : تنوير الظواهر والأسرار •
الثامنة : النجاة من النار •
التاسعة : دخول دار القرار •
العاشرة : سلام الملك الغفار •

* * *

وأما عن العنصر الثانى والأخير من الوصية العظيمة التى ندور حولها ، وهو : « •• وصلوا صلاتكم فى أول وقتكم •• » :

فهو المشار اليه فى الآية الكريمة ، التى يقول الله تبارك وتعالى فيها : « **ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** »[١] : أى فرضا مؤقتا بوقت لا يصح أن تتقدم عليه ، أو تتأخر عنه ، الا لضرورة شرعية ، وهى :

أولا ــ النوم : فمن نام عن الصلاة ــ ولم يكن هناك من يوقظه مثلا ــ حتى خرج وقتها ، لا يكون آثما ، بل عليه أن يصلى متى استيقظ ، ما دامت نيته عند النوم كانت متجهة لادراك الصلاة ، قبل خروج وقتها •

فعن أبى قتادة رضى الله عنه ، قال : « سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليلة ، فقال بعض القوم : لو عرست بنا[٢] يا رسول الله ؟ قال : أخاف أن تناموا عن الصلاة •

فقال بلال : أنا أوقظكم • فاضطجعوا ، وأسند بلال ظهره الى راحلته فغلبته عيناه ، فنام ، فاستيقظ النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد طلع حاجب الشمس • فقال : يا بلال •• أين ما قلت ؟ فقال بلال : ما ألقيت على نومة مثلها قط ! قال[٣] : ان الله قبض أرواحكم حين شاء ، وردها عليكم حين شاء • يا بلال قم فأذن بالناس بالصلاة • فتوضأ • فلما ارتفعت الشمس ، وابيضت : قام فصلى بالناس جماعة » رواه البخارى ومسلم •

وفى رواية لأبى داوود والترمذى والنسائى : فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أما انه ليس فى النوم تفريط ، انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يدخل وقت الصلاة الأخرى » •

---

(١) النساء : ١٠٣ (٢) التعريس : هو المبيت ليلا •
(٣) أى الرسول صلى الله عليه وسلم •

وفى رواية لمسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه : « فلم يستيقظ — حتى طلعت الشمس ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ليأخذ كل رجل برأس راحلته ، فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان • قال : ففعلنا •

ثانيا — الاغماء : فمن أغمى عليه ، ولم يفق ، حتى خرج الوقت ، فليصله متى أفاق ، ولا اثم عليه •• وذلك لأن الاغماء كالنوم فى ستر العقل ، وفقد الوعى •

ثالثا — النسيان : لقوله صلى الله عليه وسلم : « من نسى صلاة فليصل اذا ذكرها ، لا كفارة لها الا ذلك » أخرجه البخارى ومسلم •

رابعا — جهاد العدو : فان شغل المسلمون بقتال العدو •• ولم يتمكنوا من أداء الصلاة على أى وجه من الوجوه — كصلاة الخوف مثلا — حتى خرج وقتها ، فليصلوها متى تمكنوا •

فعن جابر رضى الله عنه : « أن عمر رضى الله عنه • جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس ، فجعل يسب كفار قريش ، وقال : يا رسول الله •• ما كدت أصلى العصر حتى كادت الشمس تغرب • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والله ما صليتها » • فقمنا الى بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا • فصلى العصر ، بعدما غربت الشمس ، ثم صلى بعدها المغرب » • أخرجها البخارى •

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن أربع صلوات ، حتى ذهب من الليل ما شاء الله • فأمر بلالا فأذن ، ثم أقام ، فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ثم أقام فصلى المغرب ، ثم أقام فصلى العشاء •• أخرجه الترمذى والنسائى •

* * *

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ هذا ، حتى لا يؤخر الصلاة عن وقتها ، اذا لم يكن هناك عذر من هذه الأعذار •

والا كان من المشار اليهم فى الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها :

« فويل للمصلين • الذين هم عن صلاتهم ساهون »(١) :

فهم كما ذكر القرطبى : عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ،

---

(١) الماعون : ٤ ، ٥

أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال — فى تفسيرها — : « الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » .

وقد روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى الصلاة لوقتها ، وأسبغ لها وضوءها ، وأتم لها قيامها وخشوعها ، وركوعها وسجودها ، خرجت بيضاء مسفرة ، تقول : حفظك الله كما حفظتنى ، ومن صلاها لغير وقتها ، ولم يسبغ لها وضوءها ، ولم يتم لها خشوعها ، ولا ركوعها ، ولا سجودها ، خرجت وهى سوداء مظلمة ، تقول : ضيعك الله كما ضيعتنى ، حتى اذا كانت حيث شاء الله ، لفت كما يلف الثوب الخلق ثم ضرب بها وجهه » رواه الطبرانى فى الأوسط .



هذا مع ملاحظة :

أولا : أن لكل صلاة من الصلوات الخمس وقت معلوم ، تؤدى فيه ، كما أشارت الآية الكريمة التى يقول الله تبارك وتعالى فيها : **« فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ، فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ، ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا »**[1] .

وقد بينت السنة المطهرة هذه الأوقات ، ووضعت لها معالمها فى أحاديث كثيرة :

منها الحديث الذى يعرف بحديث امامة جبريل الذى قال عنه البخارى بأنه أصح شىء فى المواقيت ، وهو :

ما رواه جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جاءه جبريل ، فقال له : قم فصله ، فصلى الظهر حين زالت الشمس ، ثم جاءه العصر ، فقال : قم فصله ، فصلى العصر حين صار ظل كل شىء مثله ، ثم جاءه المغرب ، فقال : قم فصله ، فصلى المغرب حين وجبت الشمس[2] ثم جاءه العشاء ، فقال له : قم فصله ، فصلى العشاء حين غاب الشفق ، ثم جاءه الفجر حين برق الفجر ، ثم جاءه من الغد للظهر ، فقال له : قم فصله ، فصلى الظهر حين كان ظل كل شىء مثله ، ثم جاءه العصر ، فقال : قم فصله ، فصلى العصر

---

(١) النساء : ١٠٣

(٢) وجبت الشمس : أى غربت .

حين صار ظل كل شيء مثليه ، ثم جاءه المغرب وقتا واحدا لم يزل عنه[1] ، ثم جاءه العشاء حين ذهب نصف الليل ـ أو قال ثلث الليل ـ فصلى العشاء ، ثم جاءه حين أسفر جدا ، فقال : قم فصله ، فصلى الفجر ، ثم قال : « ما بين هذين الوقتين وقت » رواه أحمد والنسائى والترمذى •

وما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الصلوات ، فقال : « وقت صلاة الفجر : ما لم يطلع قرن الشمس الأول[2] ، ووقت صلاة الظهر : اذا زالت الشمس عن بطن السماء ما لم يحضر العصر ، ووقت صلاة العصر : ما لم تصفر الشمس ويسقط قرنها الأول ، ووقت صلاة المغرب : اذا غابت الشمس ، ما لم يسقط الشفق ، ووقت صلاة العشاء : الى نصف الليل » •



وتوضيحا لهذا •• فاننى أحب أن أزودك بهذا التلخيص الذى أوجزه صاحب كتاب : « الفقه الواضح » لما جاء فى هذين الحديثين الشريفين الصحيحين ، بعيدا عن الاطناب الذى لا يتسع له المقام ، فاليك :

وقت الظهر :

يبدأ وقت الظهر باتفاق الفقهاء ، اذا زالت الشمس عن وسط السماء ، أى مالت جهة الغرب كما ثبت فى حديث جبريل وغيره من الأحاديث •• ولكن الخلاف وقع فى بيان نهايته ، فقال الشافعية : ينتهى وقت الظهر بحضور وقت العصر ، لقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتقدم الذى رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص : « ووقت صلاة الظهر اذا زالت الشمس عن بطن السماء ما لم يحضر العصر » •

وقال مالك وجمهور من الفقهاء : وقت الظهر يدخل فى وقت العصر بمقدار ما يصلى المصلى أربع ركعات ، فهما وقتان مشتركان ، واستدلوا بما جاء فى حديث امامة جبريل من أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى

---

(١) أى لم يتحول عنه .
(٢) قرنها الأول : جانبها وهو أول ما يظهر منها .

وراء جبريل العصر فى اليوم الأول حين صار ظل كل شيء مثله ، وصلى وراءه الظهر فى اليوم الثانى حين صار ظل كل شيء مثله • أى : فى نفس الوقت الذى صلى فيه العصر فى اليوم الأول : وفى هذا دلالة على أن الوقتين متداخلان •

وقت العصر :

يدخل وقت العصر بصيرورة ظل الشيء مثله بعد الزوال ، لحديث جبريل السابق •

وهو مذهب مالك والشافعى وأحمد وجمهور غفير من فقهاء الحنفية ، وينتهى وقت العصر بغروب الشمس على الأصح •

لحديث أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر » أى : أدركه حاضرا • أخرجه أصحاب السنن ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح •

وقت المغرب :

ويدخل وقت المغرب بغروب الشمس باتفاق الفقهاء ، لحديث سلمة بن الأكوع : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى المغرب اذا غربت الشمس وتوارت بالحجاب » أخرجه أصحاب السنن الا النسائى •

واختلفوا فى آخره ، فمشهور مذهب المالكية أن وقتها المختار ينتهى بمضى ما يسعها بعد الأذان ، والاقامة ، وتحصيل شروطها ، وهى الطهارة من الحدث والخبث ، وستر العورة ، واستقبال القبلة ، لحديث امامة جبريل المتقدم ، وفيه أن جبريل صلى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى اليومين فى وقت واحد ، فدل هذا الحديث على أن المغرب ليس لها الا وقت واحد مختار ، وهو الوقت الذى يتهيأ فيه الانسان للصلاة بعد الأذان والاقامة من تحصيل شروطها المتقدمة •

ومشهور مذهب الشافعية والحنابلة ، وقول آخر لمالك ، أن وقتها يمتد الى قبيل مغيب الشفق الأحمر أى قبل دخول وقت العشاء بقليل ، لحديث ابن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الشفق : الحمرة ، فاذا غاب الشفق وجبت العشاء » أخرجه الدارقطنى •

وهذا الحديث يفيد أن وقت المغرب يمتد حتى حضور وقت

العشاء ، وهو مغيب الشفق الأحمر ، وينتهى وقتها الاختيارى من غروب الشمس الى قبيل وقت العشاء بمقدار ما يسع ركعة بتمامها •

وقت العشاء :

يدخل وقت العشاء اذا غاب الشفق الأحمر ، وينتهى وقتها الاختيارى ، اذا جاء ثلث الليل ، أو نصفه على خلاف فى ذلك بين الفقهاء ، تبعا لاختلاف الروايات •

ويخرج وقتها بطلوع الفجر الصادق •

وقت الصبح :

يبدأ وقت الصبح من طلوع الفجر الصادق ، وينتهى بطلوع الشمس •

وهذا باجماع جمهور الفقهاء • واختلفوا فى وقته المختار •

فقال مالك والشافعى وأحمد :

يستحب المبادرة بصلاة الصبح أول الوقت لقول عائشة رضى الله عنها : « ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى الصبح فينصرف النساء متلفعات بمروطهن لا يعرفن من الغلس » ــ أى الظلمة ــ أخرجه مسلم •

ويرى الحنفية : أن الاسفار بالصبح أفضل ، لحديث رافع ابن خديج أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « أسفروا بالفجر فانه أعظم للأجر » رواه أحمد والنسائى والترمذى •

والاسفار : هو الوضوح البين الذى يمكن فيه مشاهدة الأشياء بوضوح •

ويرى كثير من المالكية : أن التعجل أفضل اذا لم يكن المصلى ينتظر جماعة ، والتأخير الى الاسفار اذا كان الغرض منه تكثير الجماعة جمعا بين الأحاديث التى تبدو متعارضة •



وثانيا : ومن خلال ما وقفنا عليه فى الحديثين ، وفى هذا التوضيح التفصيلى لأوقات الصلاة : يتبين لنا أن لكل صلاة وقتين :

وقت أداء •• ووقت قضاء •

وأن وقت الأداء له ثلاثة أوقات :

وقت بداية ، ووقت وسط ، ووقت نهاية ، والى هذا يشير الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله :

« أول الوقت رضوان الله ، ووسط الوقت رحمة الله ، وآخر الوقت عفو الله عز وجل » أخرجه الدارقطنى .

وكما أوجز أيضا صاحب كتاب « الفقه الواضح » :

وقت البداية يسميه الفقهاء الفضيلة ، لأنه من الأفضل للعبد أن يؤدى الصلاة فيه ، حتى ينال رضوان الله عز وجل .

وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم : أى الأعمال أفضل ؟ فقال : « الصلاة لوقتها » : أى فى أول وقتها . أخرجه الحاكم والدارقطنى .

ووقت الوسط يسميه الفقهاء وقت توسعة ، أو وقت اختيارى . وهو ما يلى وقت الفضيلة . أى بعد الوقت الذى يشمل الأذان والاقامة ، وتحصيل شروط الصلاة ، من طهارة ، وستر عورة ، واستقبال قبلة .

وسماه الفقهاء بذلك لأنه وقت موسع ، يجوز للعبد أن يؤخر الصلاة عن وقت الفضيلة اليه ، دون أن يتعرض لسخط الله وغضبه .

وأما نهاية الوقت فيسميه الفقهاء وقت الضرورة . أى لا يجوز تأخير الصلاة اليه الا لضرورة شرعية ــ كتلك الأعذار التى وقفنا عليها قبل ذلك .

ووقت الضرورة ، هو الوقت الذى لا يسع الا صلاة ركعة بتمامها ، بعد تحصيل شروط الصلاة ، يقدر بربع ساعة على وجه التقريب .

هذا .. فاذا خرج الوقت ، وجاء وقت صلاة أخرى ، فقد أصبحت الصلاة التى فات وقتها قضاء ؟ أى دينا فى ذمة العبد ، يجب عليه الوفاء به ، ويعتبر بهــذا التأخير عاصيا لله عصيانا . الله أعلم بتقديره .

فليحذر الأخ المسلم الوقوع فى هــذا العصيان .. وليكن ان شاء الله تعــالى من المحافظين على الصلوات والصلاة الوسطى فى وقت الأداء لا فى وقت القضاء ، تنفيذا لأمر الله سبحانه وتعالى فى قوله :

« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين »[1] :

فقد أمرنا الله تعالى فى هــذه الآية بالمحافظة على الصلوات بوجه عام ، وعلى الصلاة الوسطى بوجه خاص .

وقد ورد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبى صلى الله عليــه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال : « من حافظ عليها كانت له نورا ، وبرهانا ، ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له

---

(١) البقرة : ٢٣٨

نور ، ولا برهان ، ولا نجاة ، وكان يوم القيامة ، مع قارون ، وفرعون ، وهامان ، وأبى بن خلف » .

رواه أحمد ، وقال معلقا عليه : من تركها بسبب الرياسة حشر مع فرعون ، ومن تركها بسبب السياسة حشر مع هامان[1] ، ومن تركها بسبب جمع المـال حشر مع قارون ، ومن تركها من أجل الجدال والخصام حشر مع أبى بن خلف[2] اهـ .

* * *

واذا أردت أن تعرف :

ما هى الصلاة الوسطى ؟

فقد اختلف الفقهاء فى تعيينها على عشرة أقوال ، أو أكثر .. فقال جماعة : هى صلاة الصبح .. لمـا فيه من المشقة ، ولأنها صلاة تثقل على كثير من الناس : وممن قال بهذا : عمر بن الخطاب ، ومعاذ ابن جبل ، وابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، ومالك والشافعى .

* * *

وقال جمع غفير من الفقهاء والمحدثين : هى صلاة العصر .. وقد رجح كثير من المحققين هــذا الرأى الأخير ، لورود الأحاديث الصحيحة الصريحة بذلك :

منها : ما رواه مسلم وأحمد وأبو داوود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يوم الأحزاب : « حبسونا عن الصلاة الوسطى ، صلاة العصر ، ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا » .

وروى ابن جرير من حديث أبى هريرة مرفوعا : « الصلاة الوسطى صلاة العصر » .

* * *

كما ورد كذلك الترغيب فى صلاة الصبح والعصر :

فعن أبى موسى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، قال : « من صلى البردين دخل الجنة » رواه البخارى ومسلم .

يعنى : صلاة الصبح والعصر .

---

(١) لأن هامان كان وزيرا لفرعون يدبر شئون الملك ، قال تعالى : « **وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا ..** » الآية (غافر : ٣٦) .

(٢) لأن أبى بن خلف كان يجادل الرسول صلى الله عليــه وسلم كثيرا فى شأن البعث والحياة بعد الموت .

وعن أبى زهيرة عمارة بن رونية رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » .

يعنى : الفجر والعصر . رواه مسلم .

وعن جندب بن عبد الله رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صلى الصبح فهو فى ذمة الله ، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشىء ، فان من يطلبه من ذمته بشىء يدركه ، ثم يكبه على وجهه فى نار جهنم » رواه مسلم .

« معناه — والله أعلم — أن الذى أدى صلاة الصبح فى أول وقته جماعة فهو فى أمان الله وعهده ، ورعايته ، وحفظه وصيانته ، والله تعالى القوى المعتمد ، ويريد النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يقصر أى مسلم فى تأدية هـذا الفرض ، خشية أن يقع تارك صلاته تحت عقاب الله ، ويكون مطالبا بالوفاء والأداء ، والله ان شاء أخذه أخذ عزيز مقتدر ، وأخرجه من كنف رحمته ، وسياج رأفته ، ورماه فى جهنم على وجهه منكسا مدحورا »[1] .

وعن أبى بصرة الغفارى رضى الله عنه ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليـه وسلم العصر بالمخمص[2] ، وقال : « ان هـذه الصلاة عرضت على من كان قبلكم فضيعوها ، ومن حافظ عليها كان له أجره مرتين » الحديث .. أخرجه مسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تجتمع ملائكة الليل ، وملائكة النهار فى صلاة الفجر ، وصلاة العصر ، فيجتمعون فى صلاة الفجر ، فتصعد ملائكة الليـل ، وتثبت ملائكة النهار ، وتجتمعون فى صلاة العصر ، فتصعد ملائكة النهار ، وتبيت ملائكة الليل ، فيسألهم ربهم : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون ، فاغفر لهم يوم الدين » رواه ابن خزيمة ، ورواه البخارى ومسلم بنحوه .

وروى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة رضى الله

---

(١) جاء هـذا الشرح بهامش الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى ج ١ ص ٢٩١ تعليق مصطفى محمد عمارة طبعة الحلبى .

(٢) اسم طريق .

عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب على كل عقدة : عليك ليل طويل ، فارقد ، فان استيقظ فذكر الله تعالى ، انحلت عقدة ، فان توضأ انحلت عقدة ، فان صلى انحلت عقده كلها : فأصبح نشيطا طيب النفس ، والا : أصبح خبيث النفس كسلان » .

وفى رواية ابن ماجه ، قال : « ... فيصبح طيب النفس ، قد أصاب خيرا ، وان لم يفعل أصبح كسلانا ، خبيث النفس لم يصب خيرا » .

* * *

فاذكر آخا الاسلام كل هـذا ، وحافظ على الصلوات الخمس ، وعلى الصلاة الوسطى .. حتى تفوز بهـذا الخير العظيم الذى وقفت عليـه ، وحتى تكون كذلك من الذين ستشهد لهم الملائكة عند ربهم ، وتطلب لهم الرحمة والمغفرة وليكن حرصك بصفة خاصة على صلاة الصبح والعصر :

فهما صلاتان ــ كما عرفت ــ تشهدهما الملائكة وفيهما من الفضل والخير ما قد علمت .

واذا أردت أخا الاسلام أن يضاعف لك الأجر .. كما رغبك الرسول صلى الله عليـه وسلم ــ وايانـا ــ فى نهاية الوصية التى ندور حولها ، فى قوله : « فان الله يضاعف لكم » .

كن حريصا ومواظبا على :

صلاة الجماعـة

فهى أولا وقبل كل شىء : سنة مؤكدة عند أكثر الفقهاء ، لا يتخلف عنها من الذكور المكلفين ــ لغير عذر قاهر[1] ــ الا منافق ، بين النفاق ، أو ضعيف الايمان .

روى مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود ، رضى الله عنه ، قال : « من سره أن يلقى الله غدا مسلما ، فليحافظ على هؤلاء الصلوات ، حيث ينادى بهن ، فان الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى[2] ، وانهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم ــ كما

---

(١) انظر بعض الأعذار القاهرة فيما سبق ص ٣٤٠ ، ٣٤١

(٢) قال النووى : روى بضم السين وفتحها ، وهما بمعنى متقارب أى طرائق الهدى ج ٥ ص ١٦٦ صحيح مسلم .

يصلى هـذا المتخلف فى بيته ــ لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور[١] ، ثم يعمد الى مسجد من هـذه المساجد ، الا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ، ويرفعه درجة ، ويحط عنه بها سيئة ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين[٢] حتى يقام فى الصف » .

وفى رواية : لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة الا منافق ، قد علم نفاقه ، أو مريض . ان كان الرجل ليمشى بين رجلين ، حتى يأتى الصلاة . وقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا سنن الهدى ، وان من سنن الهدى الصلاة فى المسجد الذى يؤذن فيه . رواه مسلم ، وأبو داوود ، والنسائى وابن ماجه .

وعن جابر رضى الله عنه ، قال : « أتى ابن أم مكتوم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله .. ان منزلى شاسع[٣] ، وأنا مكفوف البصر ، وأنا أسمع الأذان ، قال : فان سمعت الأذان فأجب ، ولو حبوا ، أو زحفا » رواه أحمد والطبرانى .

وفى رواية للطبرانى عن أبى أمامة قال : ــ يعنى ابن أم مكتوم ــ يا رسول الله .. بأمى وأمى ، أما كما ترانى قد دبرت سنى[٤] ، ورق عظمى[٥] ، وذهب بصرى ، ولى قائد ، لا يلايمنى[٦] قياده اياى ، فهل تجد لى رخصة أصلى فى بيتى الصلوات ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل تسمع المؤذن فى البيت الذى أنت فيه ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أجد لك رخصة ، ولو يعلم هـذا المتخلف عن الصلاة فى الجماعة ما لهذا المـاشى اليـها[٧] ، لأتاها ولو حبوا على يديه ورجليه » .

* * *

---

(١) الطهور بضم الطاء : القيـام بالتطهر ، أما الطهور بفتح الطاء : فهو ما يتطهر به من ماء أو تراب .

(٢) أى يمشى بين رجلين يسندانه .

(٣) أى بعيد عن المسجد .

(٤) أى كبرت سنى .

(٥) أى ضعف جدا .

(٦) أى لا يرأف بى ولا يطاوعنى .

(٧) أى من الخير والبركة .

وهذا .. معناه كما يقول معلقا على هذا ـ فى الفقه الواضح ـ : أن صلاة الجماعة مظهر من مظاهر الاسلام الحميدة ، وشعيرة من شعائره العظيمة :

وقد شرعت من أجل أن يلتقى المسلمون من أهل البلد ، أو المدينة ، فى صعيد واحد ، خمس مرات فى اليوم والليلة ، فتقوى بينهم روابط الألفة والمحبة ، وليطلع المسلم على أحوال أخيه ، ويتحسس حاجته ، فيقضيها له ان استطاع ، ولكى يأتى المسلم الى المسجد ، وهو بيت العلم والعبادة ، فيتعلم أمور دينه ودنياه ، ويمتع أذنه وقلبه بما يسمعه من القرآن والمواعظ ، فيزداد ايمانه ، ويقوى يقينه ، ولا يخفى ما لصلاة الجماعة من فضل عظيم ، فهى تزيد فى الثواب على صلاة المنفرد ، بسبع وعشرين درجة ، وان له بكل خطوة يخطوها ، الى المسجد حسنة ، ورفع درجة ، ومحو خطيئة ، وان الملائكة لتستغفر له ما دام ينتظر الصلاة :

فعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ[١] بسبع وعشرين درجة » رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل فى جماعة تضعف[٢] على صلاته فى بيته ، وفى سوقه[٣] ، خمسا وعشرين ضعفا ، وذلك أنه[٤] اذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج الى المسجد لا يخرجه الا الصلاة[٥] لم يخط خطوة الا رفعت له بها درجة[٦] ، وحط عنه بها خطيئة[٧] ، فاذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه[٨] ما دام فى مصلاه ما لم يحدث[٩] : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه[١٠] ، ولا يزال فى صلاة ما انتظر

---

(١) أى المنفرد الذى يصلى وحده .

(٢) أى تزيد أضعافا . (٣) أى محل بيعه وشرائه .

(٤) هذا بيان منه صلى الله عليه وسلم لسبب تلك المضاعفة .

(٥) يعنى لم يقصد بخروجه الا أداء الصلاة فى جماعة .

(٦) أى أعطى بها حسنة ، فان الحسنات تقتضى علو الدرجات .

(٧) الحط معناه الاسقاط أى أزيلت عنه بها خطيئة وهى الذنب .

(٨) أى تدعو له وتستغفر .

(٩) أى ينتقض وضوءه بفساء أو ضراط .

(١٠) هذا بيان لكيفية صلاة الملائكة عليه .

الصلاة » رواه البخاري واللفظ له ، ومسلم ، وأبو داوود ، والترمذى وابن ماجه •

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويكفر به الذنوب ؟ قالوا : بلى يا رسول الله • قال : اسباغ الوضوء على المكاره[1] ، وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة ، فذلكم الرباط »[2] رواه مسلم •



هذا بالاضافة الى أن اعتياد صلاة الجماعة فى المسجد دليل على الايمان الصادق :

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد[3] فاشهدوا له بالايمان[4] • قال الله عز وجل : **« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر »**[5] • رواه الترمذى واللفظ له ، وقال : حديث غريب ، وابن ماجه ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم ، كلهم من طريق دراج أبى السمح عن أبى الهيثم عن أبى سعيد ، وقال الحاكم : صحيح الاسناد •



فاذكر أخا الاسلام كل هذا ، واحرص على تعمير المساجد بالمواظبة على صلاة الجماعة فيها كلما نادى المؤذن ، قائلا : حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، ولا سيما فى صلاة العشاء والصبح :

---

(١) أى اتمام الوضوء عند البرد والالم والمرض ..

(٢) أى الوقوف على الحدود لحماية بلاد المسلمين .. وقد شبه النبى صلى الله عليه وسلم المنتظر للصلاة بالمرابط لأنه يجاهد نفسه وجهاد النفس أكبر من جهاد العدو .

(٣) يعنى يواظب على حضور الجماعات فى المساجد ، ويطيل المكث فيها ، حتى يخيل لمن رآه أنه مقيم بها .

(٤) أى : فان تلك أمارة قوية على صدق ايمانه .

(٥) هذه جملة حاصرة أفادت قصر عمارة المساجد على المؤمنين لأن غير المؤمن لا يتعلق قلبه بالمساجد ولا يحب دخولها ولا يهتم بتشييدها ولا يعنى بانارتها ولا تنظيفها ولا بعمارتها بذكر الله والصلاة فيها ــ والآية من سورة التوبة : ١٨

فعن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل[١] ، ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله »[٢] رواه مالك ومسلم واللفظ له ، وأبو داوود ولفظه :

« من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف ليلة ، ومن صلى العشاء والفجر فى جماعة كان كقيام ليلة »[٣] رواه الترمذى كرواية أبى داوود ، وقال : حديث حسن صحيح ، قال ابن خزيمة فى صحيحه :

باب فضل صلاة العشاء والفجر فى جماعة وبيان : أن صلاة الفجر فى الجماعة أفضل من صلاة العشاء فى الجماعة ، وأن فضلها فى الجماعة ضعفا فضل العشاء فى الجماعة[٤] . ثم ذكره بنحو لفظ مسلم ، ولفظ أبى داوود والترمذى يدافع ما ذهب اليه[٥] والله أعلم .

* * *

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم كما قرأنا قد رغب فى فى الجمعة أفضل من صلاة العشاء فى الجماعة ، وأن فضلها فى الجماعة صلاتهما جماعة :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر[٦] ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ، ولقد هممت[٧]

---

(١) يعنى أنه يكتب له بذلك ثواب من قام نصف الليل .

(٢) المراد أنه صلى الصبح فى جماعة وكان قد صلى العشاء فى جماعة أيضا فيكون كمن أحيا الليل كله ، يعنى يكتب له ثواب ذلك .

(٣) وهذه الرواية تعتبر مفسرة لرواية مسلم التى قبلها .

(٤) فقد فهم ابن خزيمة أن قوله : « فكأنما صلى الليل كله » مترتب على صلاة الصبح وحدها فى جماعة وهو خطأ ، فان ذلك مترتب على صلاتهما معا فى جماعة كما بينته رواية أبى داوود والترمذى .

(٥) يعنى يعارضه ويبطله .

(٦) لأنهما يكونان فى وقت الغفلة ولذة النوم .

(٧) اللام واقعة فى جواب القسم ، أى والله لقد هممت ، وجاء فى البخارى وغيره « والذى نفسى بيده لقد هممت ... » والهم قيل : العزم ، وقيل : مرتبة دونه .

أن آمر بالصلاة فتقام[1] ثم آمر رجلا فيصلى بالناس[2] ، ثم أنطلق معى برجال معهم حزم[3] من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة[4] فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » رواه البخارى ومسلم .

وفى رواية لمسلم : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ناسا فى بعض الصلوات ، فقال : لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ، ثم أخالف الى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فيحرقوا عليهم بحزم الحطب بيوتهم ، ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا لشهدها » يعنى صلاة العشاء .

وفى بعض روايات الامام أحمد لهذا الحديث : « لولا ما فى البيوت من النساء والذرية : أقمت صلاة العشاء ، وأمرت فتيانى يحرقون ما فى البيوت بالنار »[5] .

وحول هذا الحديث الذى رواه أبو هريرة بالاضافة الى رواياته الأخرى ، يقول الشوكانى معلقا فى نيل الأوطار :

« والحديث استدل به القائلون بوجوب صلاة الجماعة ، لأنها لو كانت سنة لم يهدد تاركها بالتحريق ، ولو كانت فرض كفاية لكانت قائمة بالرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه » .

والجمهور[6] على أن الجماعة سنة ، وأجابوا عن حديث الباب بأجوبة منها :

١ — أنها لو كانت شرطا أو فرضا لبين ذلك عند التوعد .

٢ — أن الحديث دل على وجود متخلفين عن الجماعة ، ولو كانت فرضا لما تخلفوا عنها .

٣ — أنه ترك تحريقهم بعد التهديد ، ولو كانت واجبة ما عفا عنهم .. ولهذا قال القاضى عياض ومن تبعه : ليس فى الحديث حجة لأنه هم ولم يفعل . وزاد النووى : ولو كانت فرض عين لما تركهم .

٤ — أن الحديث ورد فى حق المنافقين ، فلا يتم به الاستدلال ،

---

(١) بألفاظ الاقامة المعروفة .

(٢) أى الذين حضروا المسجد للصلاة .

(٣) جمع حزمة وهى مجموعة من العيدان .

(٤) أى لا يحضرونها مع الجماعة فى المسجد .

(٥) قال الشوكانى : فى اسناده أبو معشر ، وهو ضعيف .

(٦) كما يقول الشيخ خليل الهراس رحمه الله فى تعليقه على الحديث فى الترغيب والترهيب ج ١ ص ٢٥٢

لقوله فى صدر الحديث : « أثقل صلاة على المنافقين » لكن المراد نفاق المعصية لا نفاق الكفر .

* * *

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد حذر من التخلف عن الجماعة فى صلاة العشاء والفجر بصفة خاصة :

فلأنهما[١] يكونان فى وقت الغفلة ولذة النوم : فصلاة العشاء تأتى بعد عودة الانسان من عمله بالنهار وميله الى الراحة وتناول طعام العشاء ، وصلاة الصبح كذلك تكون عند لذة النوم فى آخر الليل لا سيما لمن يطول سهرهم فى أول الليل ، وكذلك كل منهما تكون فى وقت ظلمة فيشق المشى اليها .

* * *

فليكن كل هذا التذكير كذلك ترهيبا للأخ المسلم حتى لا يتخلف عن صلاة الجماعة بصفة عامة ، اللهم الا اذا كان هناك عذر كتلك الأعذار التى ذكرها الفقهاء[٢] ، والتى منها :

العاجز عن الاتيان الى المكان الذى تقام فيه ـ الصلاة ـ : بأن كان مريضا ، أو مقعدا ، أو أعمى لا يجد من يقوده ، ولا يهتدى بنفسه الى محل الجامع ..

ويلحق بالعاجز من كان له عذر يمنعه من الحضور اليها ـ فى المسجد ـ بأن كان ممرضا ، يحتاج اليه المريض ، ولو تركه يزداد مرضه ، أو يتأخر شفاؤه ، أو كان طبيبا يجرى عملية جراحية ـ مثلا ـ أو كان محبوسا لا يستطيع الخروج من حبسه ، ونحو ذلك من الأعذار الضرورية ، والدين يسر ، والطاعة على قدر الطاقة .. قال تعالى : **« وما جعل عليكم فى الدين من حرج »**[٣] .

وقال تعـالى : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »[٤] .

---

(١) كما جاء فى هامش الترغيب والترهيب تعليقـا على حـديث أبى هريرة السابق .

(٢) كما أشار الى هـذا فى « الفقه الواضح » تحت عنوان من تجب عليه الجمعة ومن لا تجب .. وقياسا عليه جميع الأوقات .

(٣) الحج : ٧٨ (٤) البقرة : ١٨٥

واحذر أن تفوتك كذلك — اذا لم يكن هناك عذر من الأعذار السابقة — : صلاة الجمعة ، والاستماع الى خطبتها :

فقد روى الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ان الله تعالى قد كتب عليكم الجمعة ، فى مقامى هذا ، فى ساعتى هذه ، فى شهرى هذا ، فى عامى هذا ، الى يوم القيامة ، من تركها من غير عذر ، مع امام عادل ، أو جائر ، فلا جمع الله شمله ، ولا بورك له فى أمره ، ألا ولا صلاة له ، ولا حج له ، ألا ولا بر له ، ولا صدقة له » .

وروى مسلم فى صحيحه ، وأحمد فى مسنده ، عن ابن مسعود رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال عن قوم يتخلفون عن صلاة الجمعة : « لقد هممت أن آمر رجلا يصلى بالناس ، ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم » .

* * *

فلنذكر جميعا كل هذا ، ولنذكر كذلك قول القائل :

ألا فى الصلاة الخير والفضل أجمع
لأن بها الأرقاب لله تخضع
وأول فرض فى شريعة ديننا
وآخر ما يبقى اذا الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة
وكان كعبد باب مولاه يقرع
وكان لرب العرش حين صلاته
نجيا فيا طوبى له حين يخشع

* * *

جعلنا الله جميعا من المكثرين من الذكر ، والمحافظين والحريصين على أداء الصلاة فى أول وقتها .. حتى يضاعف لنا سبحانه وتعالى الأجر ..

انه سبحانه وتعالى ولى التوفيق ..

* * *

الوصية التاسعة والأربعون

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

« اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها قبورا .. » .

(رواه البخارى ومسلم ، وابو داوود والترمذى والنسائى) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

من الحريصين على تنفيذ ما أوصاك به الرسول صلى الله عليه وسلم فى هذه الوصية العظيمة ، التى أوصاك فيها :

أولا : بأن تعمل من جانبك على أن يكون بيتك مباركا ، وذلك بالاكثار فيه من ذكر الله ، وأداء نوافل الصلاة فيه .. وقد ورد الترغيب فى هذا :

فعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا قضى أحدكم الصلاة[1] فى مسجده فليجعل لبيته نصيبا من صلاته ، فان الله جاعل فى بيته من صلاته خيرا »[2] رواه مسلم وغيره ، ورواه ابن خزيمة فى صحيحه من حديث أبى سعيد .

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « مثل البيت الذى يذكر الله فيه ، والبيت الذى لا يذكر الله فيه : مثل الحى والميت » رواه البخارى ومسلم .

ففى هذا الحديث الشريف : شبه النبى صلى الله عليه وسلم البيت الذى لا يذكر الله عز وجل فيه بجسد ميت لا روح فيه : لأن ذكر

---

(١) المراد بها صلاة الفريضة .

(٢) لأنه ستحصل فيه البركة بذكر الله والصلاة وتنزل عليه الرحمة وتدخله الملائكة ، وينفر منه الشيطان ، ويتعود من فيه من الخدم والأولاد على أداء الصلاة .. الخ .

الله عز وجل حياة القلوب والأرواح والبيوت أيضا ، فأيما بيت خلا من ذكر الله عز وجل فهو كالقبر المهجور ، أو كالبيت الخرب الذى خلا من ساكنيه .

قال النووى : فيه الندب الى ذكر الله تعالى فى البيت ، وأنه لا يخلى من الذكر وفيه جواز التمثيل ، وفيه أن طول العمر فى الطاعة فضيلة ، وان كان الميت ينتقل الى خير لأن الحى يستلحق به ويزيد عليه بما يفعله من الطاعات .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما أفضل : الصلاة فى بيتى ، أو الصلاة فى المسجد ؟[١] قال : ألا ترى الى بيتى ما أقربه من المسجد[٢] ؟ فلأن أصلى فى بيتى أحب الى من أن أصلى فى المسجد الا أن تكون صلاة مكتوبة »[٣] . رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة فى صحيحه .

وعن أبى موسى رضى الله عنه ، قال : خرج نفر من أهل العراق الى عمر ، فلما قدموا عليه سألوه عن صلاة الرجل فى بيته[٤] ، فقال عمر : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أما صلاة الرجل فى بيته فنور[٥] ، فنوروا بيوتكم » رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « صلوا أيها الناس فى بيوتكم[٦] ، فان أفضل صلاة المرء فى بيته[٧] الا الصلاة المكتوبة » رواه النسائى باسناد جيد ، وابن خزيمة فى صحيحه .

وعن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أراه[٨]

---

(١) والسؤال انما هو عن النافلة لأن الفريضة فى المسجد افضل باتفاق .

(٢) يعنى ما أشد قربه من المسجد اذ هو لاصق به وابوابه مفتوحة فى المسجد .

(٣) فان هذه أفضل فى المسجد بالاجماع .

(٤) يعنى هل هى أفضل أم الصلاة فى المسجد .

(٥) أى له ولأهل بيته بما يتلى فيها من القرآن وذكر الله عز وجل .

(٦) وذلك حين رآهم يصلون النافلة فى المسجد .

(٧) لأنها تكون أبعد عن الرياء وأقرب الى الخشوع والاخلاص .

(٨) يعنى أعلمه فهو من الرؤية بمعنى العلم ..

رفعه . قال : « فضل صلاة الرجل فى بيته على صلاته حيث يراه الناس[١] كفضل الفريضة على التطوع »[٢] رواه البيهقى ، واسناده جيد ان شاء الله تعالى .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكرموا بيوتكم ببعض صلاتكم » رواه ابن خزيمة فى صحيحه .

* * *

فمن هذه الأحاديث الشريفة ، يتبين لنا أفضلية صلاة التطوع فى البيت ، على المسجد ، وذلك لبعد المصلى فيها عن الرياء ، ومحبطات الأعمال :

فعن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر رضى الله عنه ، خرج الى المسجد فوجد معاذا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « اليسير من الرياء شرك[٣] ، ومن عادى أولياء الله[٤] فقد بارز الله بالمحاربة[٥] ، ان الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء[٦] الذين ان غابوا لم يفتقدوا[٧] ، وان حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى[٨] يخرجون من كل غبراء مظلمة »[٩] رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقى فى كتاب الزهد له وغيره ، وقال الحاكم : صحيح ولا علة له .

---

(١) اى فى المسجد على مرأى من الناس .

(٢) يعنى ان فضل النافلة التى يؤديها فى البيت حيث لا يراه أحد على النافلة التى تؤدى فى المسجد هو كفضل الفريضة على التطوع .. وهذا أمر لا شك فيه .

(٣) بمعنى انه شرك فى العمل لا فى الاعتقاد ، ويسمى الشرك الأصغر وهو محبط للعمل ..

(٤) وهم الذين آمنوا وكانوا يتقون .

(٥) فان حربه لأولياء الله عز وجل كأنه حرب لله اذ هم حزب الله وجنده فالمتعرض لهم بسوء مستخف بالله سبحانه .

(٦) جمع خفى ، وهو الذى يجتهد فى اخفاء عمله بعيدا عن الرياء وحب الظهور .

(٧) أى لا يسأل عنهم أحد لعدم شهرتهم .

(٨) لأن الله نور بصائرهم فانكشفت لهم مواطن الهدى .

(٩) أى ينجون ويتخلصون من كل ضلالة عمياء .

فحسب المصلى — لغير المكتوبة — فى بيته أن يكون بعيدا عن الرياء فى العمل الذى هو من أكبر محبطات الأعمال ، فقد ورد كذلك :

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « ان أول الناس يقضى[١] يوم القيامة عليه : رجل استشهد[٢] ، فأتى به فعرفه نعمته[٣] فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ [٤] قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال : هو جرىء[٥] ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار[٦] . ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك[٧] القرآن . قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال عالم[٨] ، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال ، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل[٩] تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك[١٠] . قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار » رواه مسلم والنسائى ، ورواه الترمذى وحسنه ، وابن حبان فى صحيحه كلاهما بلفظ واحد .



---

(١) أى يحكم عليه بعد الحساب والسؤال .

(٢) أى قتل فى المعركة مع الكفار .

(٣) أى حدثه الله بما أنعم به عليه فى الدنيا وذكره بها .

(٤) سؤال عن موقفه بازاء هذه النعم ، هل شكرها وأدى حقها ام جحدها وأنكرها .

(٥) أى : لتمدح ويثنى عليك الناس بالشجاعة والاقدام .

(٦) بسبب هذا الرياء ، كما يشير الى هذا قول الله تعالى : « **فسوف يعلمون . اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون . فى الحميم ثم فى النار يسجرون** » (غافر : ٧٠ — ٧٢) .

(٧) أى فى سبيلك وابتغاء وجهك .

(٨) أى : ليمدحك الناس بالعلم والمعرفة .

(٩) أى وجه وطريق .

(١٠) أى من أجلك ورغبة فيما عندك .

وصلاة التطوع فى البيت كذلك تنوره : لأن الصلاة أساسا ، نور يتلألأ فى قلب المؤمن ، ويسطع على وجهه ، وينعكس على جوارحه .. نور يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، نور يمشى به المؤمن فى الناس ، فيرى به ما لا يراه الناظرون ، نور يسعى بين يديه ، وعن يمينه يوم القيامة :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الطهور[1] شطر[2] الايمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن — أو تملأ — ما بين السموات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو ، فبائع نفسه فمعتقها ، أو موبقها » رواه مسلم .

وروى ابن حبان باسناد حسن ، عن أبى الدرداء رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « من مشى فى ظلمة الليل الى المساجد آتاه الله نورا يوم القيامة » .

فهذا النور المشار اليه فى الحديثين اذا وجد فى بيت المؤمن — بسبب الاكثار من صلاة التطوع فيه — كان سببا فى أن البيت هذا سيكون دائما وأبدا — ما دامت صلاة التطوع مقامة فيه — ممتلأ بالبركات والخيرات التى ستأتى تبعا لهذا النور الذى به سيسعد المؤمن فى دنياه وأخراه .. بل وسيسعد أهله كذلك بذلك تبعا له .

وذلك لأن أولاده ، ولا سيما — الصغار — منهم ، عندما سيرونه وهو يؤدى صلاة التطوع أمامهم سيتعلمون منه هيئة الصلاة ، ويتشربون حبها ، فينشأون على حب الدين الذى عماده الصلاة .

وهو أصلا كمؤمن مطالب : بأن يأمر بالصلاة كل من له عليه حق الولاية ، من قريب ، أو من بعيد .. كما يشير الى هذا قول الله تبارك وتعالى :

« وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ، لا نسألك رزقا ، نحن نرزقك ، والعاقبة للتقوى »[3] .

وقد قال صاحب كتاب « الفقه الواضح » معلقا على هذه الآية كلاما هاما ، وهو أن :

---

(١) الطهور — بضم الطاء — معناه : التطهر ، وأما الطهور بفتح الطاء — فهو ما يتطهر به من ماء أو تراب .

(٢) الشطر هو : النصف .

(٣) طه : ١٣٢

الأولياء كما يجب عليهم حماية من يعولون من الأخطار لوقاية أجسامهم من الأضرار ، وحفظ أموالهم من الضياع : يجب عليهم كذلك حفظ دينهم ، فهو عصمة أمرهم ، وسبيل سعادتهم ، فى الدنيا والآخرة ، وأول شىء يترتب عليه حفظ الدين : هو الصلاة ، فالصلاة ـ كما علمت ـ من الدين بمنزلة الرأس من الجسد .

والأمر فى الآية ، للنبى صلى الله عليه وسلم .. والأهل فيها هم : أمته جميعا . كما قال القرطبى فى تفسيره[1] .

غير أن لفظ الأهل يراد به ـ فى الغالب ـ الأقارب .. ويطلق كثيرا على الزوجة .

ولا بأس أن يراد بالأهل فى الآية كل مسلم تستطيع أن تأمره بالصلاة .. فالمسلمون جميعا اخوة والاخوة أهل ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب . بل هو من أهم الواجبات ، ولا ريب أن ترك الصلاة من أكبر المنكرات .. لهذا وجب على ولى أمر المسلمين ـ على الخصوص ـ أن يأمر تارك الصلاة باقامتها فان أقامها ، فبها ونعمت ، والا حمله عليها قسرا[2] ، وذلك بأن يعذب بالضرب والسجن ، ولو أدى تعذيبه وسجنه الى موته .

ويجب أن يقوم بهذا الأمر ـ أى الأمر باقامة الصلاة ـ العلماء ـ أيضا ـ فهم أولياء الأمر شرعا ، وهم شركاء الوالى فى اصلاح شئون المسلمين ، وهم المسئولون أمام الله ، عن كل انحراف ، وعن كل فريضة من فرائض الاسلام .

ثم يقول بعد ذلك ، حول أمر الزوج زوجته بالصلاة[3] :

والزوجة من الأهل ، بل يطلق لفظ الأهل عليها كثيرا ـ كما عرفت ـ لهذا يجب على الزوج أن يأمرها بالصلاة ، من أول ليلة تدخل عليه فيها ، أمرا لا هوادة فيه .

فان امتثلت لأمر الله ، فذلك توفيق من الله ، يحمد عليه .. والا : وجب عليه ـ أولا ـ أن يعظها ، ويذكرها بعذاب الله عز وجل ، ويحذرها مقته وغضبه ، فان قبلت النصح ، فذاك .. والا : وجب عليه أن يهجرها

---

(١) ص ٢٦٣ ج ١١ طبعة دار الكتب .
(٢) أى بالقوة .
(٣) كما جاء فى القرطبى .. وغيره .

فى المضجع ، فان خضعت لأمر الله وأقامت الصلاة ، فبها .. والا : وجب عليه ضربها ، حتى تفىء الى أمر الله ، وتقيم الصلاة .

فالزوجة : هى ربة البيت ، وهى مدرسة لأولادها ، وهى الأمينة على مال زوجها وعرضه .. فان أقامت الصلاة صح دينها وصلح حالها ، واقتدي بها أولادها ، فصلوا بصلاتها ، فيكون بيتها مثلا للبيوت المؤمنة .

والمرأة التى تستنكف أن تقيم الصلاة ، أو تتكاسل عن أدائها ، امرأة لا دين لها ، وبالتالى ، لا أمان ، ولا أمانة لها .

وقد أوصانا النبى صلى الله عليه وسلم : أن ننكح ذات الدين ، فقال : « .. فاظفر بذات الدين تربت يداك »[1] .

ومعنى الظفر : نهاية البغية .

أى : وليكن أسمى ما تبتغيه من الزوجة : دينها ، فان لم تفعل تربت يداك أى افتقرت حتى تلتصق يداك بالتراب ، من شدة الحاجة .

* * *

فليذكر الأخ المسلم كل هذا الذى ذكرته به ، وليكن دائما وأبدا آمرا لأهله بالصلاة ، ولا سيما أولاده الصغار ، كما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا فى قوله : « مروا أولادكم بالصلاة اذا بلغوا سبعا ، واضربوهم عليها اذا بلغوا عشرا ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » رواه أحمد وأبو داوود .

* * *

واذا كانت الزوجة الصالحة هى الساعد الأيمن للزوج المؤمن على تربية الأبناء تربية اسلامية صحيحة : فاننى أنصح الأخ المسلم بأن يدعو الله تعالى بهذا الدعاء الذى كان سيدنا داوود عليه السلام يتضرع الى الله تعالى به ، والذى أسأل الله تعالى أن يتقبله منه كذلك[2] ، وهو : « اللهم انى أسألك أربعا ، وأعوذ بك من أربع : أسألك لسانا صادقا ، وقلبا خاشعا ، وبدنا صابرا ، وزوجة تعيننى على أمر دنياى وأمر آخرتى ..

وأعوذ بك : من ولد يكون على سيدا ، ومن زوجة تشيبنى قبل وقت المشيب ، ومن مال يكون مشبعة لغيرى بعد موتى ويكون حسابه

---

(١) الحديث بتمامه أخرجه البخارى .

(٢) كما تقبله سبحانه وتعالى من عبده داوود عليه السلام .

فى قبرى ، ومن جار سوء ان رأى حسنة كتمها وان رأى سيئة أذاعها وأفشاها » •

* * *

واذا كانت صلاة – التطوع – فى البيت – فضلا عن صلاة المكتوبة اذا لم تستطع أن تذهب الى المسجد لصلاة الجماعة بسبب عذر من الأعذار الشرعية التى وقفت عليها – : اذا كانت ستكون سببا فى أن البيت سيكون منيرا أو مستنيرا بسبب أداء الصلاة فيه ، وسيكون كذلك مباركا ببركات الصلاة ورحمات الله التى ستغمره وستجعله دائما وأبدا روضة من رياض الجنة •

فكذلك الصلاة فى البيت ستكون سببا فى أن الشياطين – من الانس والجن – لن يكون لهم قرار أو استقرار فى هـذا البيت الصالح الذى يذكر فيه الله سبحانه وتعالى •

واذا كنت أقول : يذكر فيه الله •• فلأن الصلاة ذكر ، بل هى : الذكر الأكبر ، كما يشـير الى هـذا ، قـول الله تبارك وتعـالى : **« اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون »**[1] •

فقد قيل : – كما جاء فى القرطبى – ذكركم الله فى صلاتكم وفى قراءة القرآن أفضل من كل شىء • وقيل : المعنى ، ان ذكر الله أكبر مع المداومة ، من الصلاة فى النهى عن الفحشاء والمنكر •

وقيل : أى ، ذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم أكبر من ذكركم له فى عبادتكم وصلواتكم • قال معناه ابن مسعود وابن عباس وأبو الدرداء وأبو قرة وسلمان والحسن ، وهو اختيار الطبرى •

وقال ابن عباس : معناه ، ذكر الله لكم بالثناء عليكم ، والرحمة بكم ، أكبر ، أى : أعظم من ذكركم له تعالى بالطاعة :

كما يشير الى هذا ، قول الله تعالى : **« فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون »**[2] •

وهذا ، معناه – كما قلت – أن البيت الذى سيذكر فيه الله تعالى – فى الصلاة – لن يقترب الشيطان منه •

فقد قرأت فى كتاب : « الوابل الصيب من الكلم الطيب » **لابن قيم** الجوزية تحت عنوان :

---

(١) العنكبوت : ٤٥ (٢) البقرة : ١٥٢

الفصل السادس : فى أذكار الخروج من المنزل

فى السنن عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « من قال ـــ يعنى اذا خرج من بيته ـــ : بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، يقال له : كفيت ووقيت وهديت ، وتنحى عنه الشيطان ، فيقول لشيطان آخر : كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى » •

وفى مسند الامام أحمد : « بسم الله ، آمنت بالله ، اعتصمت بالله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة الا بالله » حديث حسن •

وفى السنن الأربع ، عن أم سلمة قالت : ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيتى الا رفع طرفه الى السماء ، فقال : « اللهم انى أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل على »قال الترمذى : حديث حسن صحيح •

* * *

وتحت عنوان :

الفصل الرابع : فى أذكار دخول المنزل

فى صحيح مسلم ، عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « اذا دخل الرجل بيتــه فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء •

واذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله ، قال الشيطان : أدركتم المبيت ، فاذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه ، قال : أدركتم المبيت والعشاء » •

وفى سنن أبى داوود عن أبى مالك الأشعرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا ولج[1] الرجل بيته فليقل : اللهم انى أسألك خير المولج وخير المخرج ، بسم الله ولجنا ، وبسم الله خرجنا ، وعلى الله ربنا توكلنا • ثم ليسلم على أهله » •

وفى الترمذى ، عن أنس : قال لى رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « يا بنى •• اذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهل بيتك » قال الترمذى : حديث حسن صحيح •

* * *

(١) أى دخل .

كما أشار ابن القيم أيضا الى :

الأذكار التي تطرد الشياطين

فقال ، فى « الفصل العشرون » : قد تقدم[1] : أن من قرأ آية الكرسى عند نومه لم يقربه الشيطان ، وأن من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه ، ومن قال فى يوم مائة مرة : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، كانت له حرزا من الشيطان يومه كله . وقد قال الله تعالى : **« وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون »**[2] ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه » وقال سبحانه وتعالى : **« واما ينزغنك من الشـيطان نزغ فاستعذ بالله ، انه هو السميـع العليـم »**[3] . والأذان يطرد الشيطان ، بل وقد ثبت فى الصحيح أن الشيطان يهرب من الأذان ، قال سهل بن أبى صالح : أرسلنى أبى الى بنى حارثة ومعى غلام — أو صاحب — لنا فنادى مناد من حائط باسمه ، فأشرف الذى معى على الحائط فلم ير شيئا ، فذكرت ذلك لأبى فقال : لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك ، ولكن اذا سمعت صوتا فناد بالصلاة ، فانى سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الشيطان اذا نودى بالصلاة ولى وله حصاصى » .

وفى رواية : « اذا سمع النداء ولى وله ضراط ، حتى لا يسمع التأذين » .. الحديث .

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبى رجاء عن أبى بكر الصديق ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « استكثروا من لا اله الا الله والاستغفار ، فان الشيطان قال : قد أهلكتهم بالذنوب وأهلكونى بقول لا اله الا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك منهم أهلكتهم بالأهواء حتى يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون » .

ومن أعظم ما يندفع به شره : قراءة المعوذتين وأول الصافات ، وآخر الحشر .



(١) كما يقول فى الكلم الطيب فارجع اليه .
(٢) المؤمنون : ٩٧ ، ٩٨ — (٣) فصلت : ٣٦

فليذكر الأخ المسلم كل هذا ، وليكن منفذا له حتى يكون فى حصانة هو وأهله من كيد الشيطان الرجيم الذى حذرنا الله سبحانه وتعالى من كيده ، فقال :

« يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون »[1] .

وحسبك — كما علمت — أن تكثر من صلاة التطوع فى بيتك كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد ذكر صاحب « الدين الخالص » رحمه الله فى الجزء الثانى ، تحت عنوان :

مكان التطوع

أنه يستحب تأدية النفل المطلق فى البيت اتفاقا . وكذا الرواتب عند الجمهور ، ولا فرق بين راتبة النهار والليل :

لحديث عبد الله بن شقيق قال : سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من التطوع ، فقالت : كان يصلى قبل الظهر أربعا فى بيتى ، ثم يخرج فيصلى بالناس ، ثم رجع الى بيتى فيصلى ركعتين ، وكان يصلى بالناس المغرب ثم يرجع الى بيته فيصلى ركعتين ، وكان يصلى بهم العشاء ثم يدخل بيتى فيصلى ركعتين » . الحديث .. أخرجه أحمد ، وأبو داوود والترمذى والنسائى .

وعن بعض السلف : الأفضل فعلها كلها فى المسجد .

وعن مالك والثورى : الأفضل فعل نوافل النهار فى المسجد ، وراتبة الليل فى البيت .

وعن أحمد تفصيل : قال ابن قدامة فى المغنى : قال الأثرم : سئل أحمد عن ركعتين بعد الظهر أين يصليان ؟ قال : فى المسجد ، أما الركعتان قبل الفجر وبعد المغرب فى بيته . وذكر حديث ابن اسحاق : « صلوا هاتين الركعتين فى بيوتكم » . قيل لأحمد : فان كان منزل الرجل بعيدا ؟ قال : لا أدرى ، وذلك لما روى سعد بن اسحاق عن أبيه عن جده « كعب بن عجرة » أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أتاهم فى مسجد بنى عبد الأشهل فصلى المغرب فرآهم يتطوعون بعدها .

---

(١) الأعراف : ٢٧

فقال : « هذه صلاة البيوت »[١] . أخرجه أحمد وأبو داوود والنسائى والطحاوى . وفى سنده اسحاق بن كعب وهو مجهول تفرد به .

وعن رافع بن خديج ، قال : أتانا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى بنى عبد الأشهل فصلى بنا المغرب فى مسجدنا ثم قال : « اركعوا هاتين الركعتين فى بيوتكم » رواه ابن ماجه والأثرم اهـ . بتصرف .

وحديث رافع فى سنده عبد الوهاب بن الضحاك عن اسماعيل ابن عياش ، وروايته ضعيفة عند الشاميين .

وقال ابن أبى ليلى : لا تصح راتبة المغرب البعدية الا فى البيت أخذا بظاهر الأمر فى هـذه الأحاديث واستحسنه أحمد ، فعن محمود ابن لبيـد ، قال : أتى رسول الله صلى الله عليـه وعلى آله وسـلم بنى عبد الأشهل فصلى بهم المغرب ، فلما سلم قال : « اركعوا هاتين الركعتين فى بيوتكم » . قال أبو عبد الرحمن : قلت لأبى : ان رجلا قال : من صلى ركعتين بعد المغرب فى المسجد لم تجزه الا أن يصليهما فى بيته ، لأن النبى صلى الله عليـه وعلى آله وسلم ، قال : « هذه صلاة البيوت » قال : من هـذا ؟ قلت : محمد بن عبد الرحمن ، قال : ما أحسن ما قال . أخرجه أحمد .

والظاهر ما ذهب اليه الجمهور حملا للأمر على الاستحباب .

ويؤيده حديث زيد بن ثابت أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « صلاة المرء فى بيته أفضل من صلاته فى مسجدى هذا الا المكتوبة » أخرجه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى .

وحديث عبد الله بن سعد ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أيما أفضل ، الصلاة فى بيتى أم الصلاة فى المسجد ؟ قال : « ألا ترى الى بيتى ما أقربه من المسجد ؟ فلأن أصلى فى بيتى أحب الى من أن أصلى فى المسجد الا أن تكون صلاة

---

(١) اقول : اذا كان سيجلس بعد صـلاة المغرب فى المسجد لكى يستمع الى درس دينى الى العشاء كما يحدث غالبا فى أكثر المساجد .. فانه من الجائز أن يصلى السنة فى المسجد .. أو اذا كان كذلك لن يعود الى بيته لسبب من الأسباب .. والله أعلم .

مكتوبة » أخرجه أحمد وابن خزيمة وابن ماجه والترمذى فى الشمائل ، وهـذا لفظه •

وحديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « صلوا فى بيوتـكم ولا تتخذوها قبورا » أخرجه أحمد والشيخان وأبو داوود والترمذى وقال : حسن صحيح •

وفى رواية : « اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم » وأخرجه أحمد عن زيد بن خالد الجهنى •

وحديث صهيب بن النعمان أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « فضل صلاة الرجل فى بيته على صلاته حيث يراه الناس كفضل المكتوبة على النافلـة » أخرجه البيهقى والطبرانى فى الكبير •

والمراد بالمكتوبة الواجبة بأصل الشرع وهى الصلوات الخمس دون المنذورة •

فهذه الأحاديث : تدل على أن صلاة التطوع ومنه راتبة المغرب فى البيوت أفضل من صلاته فى المسجد ، ولو كان فاضلا كالمسجد الحرام ومسجد المدينة • فلو صلى فيه نافلة كانت بألف صلاة ، ولو صلاها فى بيته كانت أفضل من ألف صلاة •

أما المكتوبة : فصلاتها فى المسجد أفضل فى حق الرجال •

أما النساء فالأفضل فى حقهن الصلاة ولو فرضا فى البيوت ، وان أبيح لهن حضور الجماعات •

فعن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : « لا تمنعوا نساءكم المساجد ، وبيوتهن خـير لهن » أخرجه أحمد وأبو داوود والبيهقى وابن خزيمة وصححه •

* * *

ثم يقول بعد ذلك فى الدين الخالص : هـذا ، والحكمة فى طلب تأدية النافلة فى البيت ـ ما أشرنا اليه قبل ذلك ، وهو ـ أنه أخفى وأبعد عن الرياء ومحبطات العمل ، ولتنزل فى البيت الرحمة والملائكة ، وينفر منه الشيطان كما جاء فى الحديث ، وهذا فى غير ما ورد الشرع بصلاته فى غير البيوت •

كركعتى الطواف والاحرام ، وتحية المسجد ، والتراويح ، وصلاة الاستسقاء ، والكسوف والعيدين •

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا ، وأن يلاحظ كذلك أنه يجوز :

صلاة التطوع جماعة

سواء أكانت الصلاة فى البيت ، أو فى المسجد :

فعن عتبان بن مالك أنه قال : يا رسول الله .. ان السيول لتحول بينى وبين مسجد قومى ، فأحب أن تأتينى فتصلى فى مكان من بيتى أتخذه مسجدا . فقال : سنفعل ، فلما دخل ، قال : أين تريد ؟ فأشرت له الى ناحية من البيت . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصففنا خلفه ، فصلى بنا ركعتين » رواه البخارى ومسلم .

وقال ابن عباس : « صليت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فقمت عن يساره ، فأخذ برأسى من ورائى ، فجعلنى عن يمينه » رواه البخارى وغيره .

والأحاديث — كما يقول فى « الفقه الواضح » — الواردة فى جواز التنفل جماعة ، واستحبابه كثيرة .

ومن المعروف شرعا ، أن ثواب الجماعة ، أكثر من ثواب الفرد .



وكذلك ، يجوز :

صلاة التطوع قائما وقاعدا

قال فى الفقه الواضح : تقدم أن قلنا فى فروض الصلاة : ان القيام ركن ، من أركان الصلاة المفروضة ، دون النافلة ، فانها تجوز من قيام ، ومن قعود ، بعذر ، أو بغير عذر ، عند جمهور الفقهاء .

الا أنه لو صلاها المسلم قاعدا ، من غير عذر ، كان له نصف الأجر :

لحديث عبد الله بن بريدة بن عمران بن حصين أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن صلاة الرجل قاعدا ؟ فقال : « صلاته قائما ، أفضل من صلاته قاعدا ، وصلاته قاعدا على النصف من صلاته قائما ، وصلاته نائما على النصف من صلاته قاعدا » أخرجه البخارى وغيره .

ثم يقول : ولا تجوز صلاة النفل للمسلم وهو نائم ، الا لعذر .

قال الخطابى : « أما قوله : وصلاته نائما على النصف من صلاته قاعدا ، فانى لا أعلم أنى سمعته الا فى هــذا الحديث . ولا أحفظ عن أحد من أهل العلم أنه رخص فى صلاة التطوع نائما — يعنى مع القدرة على القعود — كما رخص فيها قاعدا ، وان صحت هــذه اللفظة عن

النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من كلام بعض الرواة ، فان التطوع مضطجعا للقادر على القعود ، جائز بهذا الحديث » انتهى بتصرف[١] .

هذا .. ويجوز صلاة التطوع بعضه من قيام ، وبعضه من قعود ، كأن يقرأ جالسا ، ثم يقوم ، فيقرأ بعض آيات ، ثم يركع ، كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم :

قالت عائشة رضى الله عنها : « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى شىء من صلاة الليل جالسا قط ، حتى دخل فى السن[٢] ، فكان يجلس فيها ، فيقرأ حتى اذا بقى أربعون أو ثلاثون آية ، قام فقرأها ، ثم ركع » أخرجه مسلم وغيره .

قال بهذا الأئمة الأربعة ، بمقتضى هـذا الحديث وغيره .

ثم يقول تحت عنوان :

« فائدة » : اختص النبى صلى الله عليه وسلم بجواز صلاة الفرض قاعدا ، بلا عذر ، وبأن تطوعه قاعدا بلا عذر ، كتطوعه قائما فى الأجر .

لقول ابن عمر رضى الله عنهما : حدثت أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « صلاة الرجل قاعدا ، نصف الصلاة ، فأتيته فوجدته يصلى جالسا ، فوضعت يدى على رأسه ، فقال : مالك يا عبد الله ابن عمر ؟ قلت : حدثت يا رسول الله .. أنك قلت : صلاة الرجل قاعدا ، نصف الصلاة ، وأنت تصلى قاعدا !! قال : أجل .. ولكنى لست كأحد منكم » أخرجه مسلم وأبو داوود .

هذا .. مع ملاحظة أن النبى صلى الله عليه وسلم ما كان يصلى قاعدا ، الا لعذر ، كما صرحت بذلك عائشة رضى الله عنها فى الحديث السابق ، وفيه قالت : « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى شىء من الليل جالسا قط ، حتى دخل فى السن » .

* * *

---

(١) الدين الخالص ج ٥ ص ٢٧٨ .

(٢) أى : كبرت سنه .

واتماما للفائدة ، فانني أرى كذلك أن أوقفك ، على :

الأوقات المنهى عن التنفل فيها

وهي — كما لخص كذلك في الفقه الواضح — : أوقات نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التنفل فيها :

١ — ٢ : الوقت ما بين صلاة الصبح ، وطلوع الشمس . والوقت ما بين صلاة العصر ، وغروب الشمس .

وذلك ، لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : حدثنى أناس ، أحبهم الى عمر رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم ، نهى عن الصلاة بعد العصر ، حتى تغرب الشمس ، وبعد الصبح حتى تطلع الشمس .

وفى رواية للبخارى ومسلم عنه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق . وبعد العصر حتى تغرب » :

وهذا النهى لمن كان قد صلى الصبح والعصر .

أما من لم يكن قد صلى الصبح ، أو العصر ، فلا بأس أن يصلى نفلا ، مثل : سنة الفجر ، وسنة العصر . قال بذلك جمهور الفقهاء .

٣ — ٤ — ٥ : الوقت من طلوع الشمس حتى ترتفع قدر رمح ، ووقت الاستواء — وهو الوقت الذى تكون فيه الشمس فى وسط السماء — أى قبل الظهر بدقائق ، وعند غروب الشمس .

عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، قال : « ثلاث ساعات ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهانا أن نصلى فيهن ، أو نقبر موتانا : حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع ، وحين يقوم قائم الظهيرة[1] . وحين تضيف الشمس للغروب »[2] رواه مسلم .

ويجمع هذه الأوقات الخمسة ، حديث عمرو بن عنبسة رضى الله عنه ، قال : « قلت : يا نبى الله .. أخبرنى عن الصلاة . قال : صل صلاة الصبح ، ثم أقصر عن الصلاة ، حتى تطلع الشمس حتى ترتفع ، فانها تطلع ، حين تطلع بين قرنى شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار ، ثم صل ، فان الصلاة مشهودة محضورة ، حتى يستقل الظل بالرمح ، ثم أقصر عن الصلاة ، فان حينئذ تسجد جهنم ، فاذا أقبل الفىء فصل ، فان الصلاة مشهورة محضورة ، حتى تصلى العصر ، ثم أقصر عن

---

(١) أى عند الاستواء ، وهو توسط الشمس فى السماء .

(٢) أى : عندما تميل الى الغروب .

الصلاة ، حتى تغرب الشمس ، فانها تغرب بين قرنى شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار » رواه مسلم •

هـذا •• والنهى عن التنفل فى هـذه الأوقات الخمس عام ، يشمل جميع النوافل •

خلافا للشافعية ، فانهم قالوا : ان النهى منصب على النفل ، الذى ليس له سبب •

أما النفل الذى له سبب ، مثل تحية المسجد ، وسنة الوضوء ، وسجدة التلاوة ، فانه لا يكره فى هـذه الأوقات •

ووافقهم الحنابلة فى جواز صلاة تحية المسجد ، والامام على المنبر •• وخالفوهم فيما سوى ذلك •

٦ ــ التنفل عند اقامة الصلاة : وهو منهى عنه ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا أقيمت الصلاة ، فلا صلاة الا المكتوبة » رواه مسلم عن أبى هريرة •• أى : فلا تصلوا الا الصلاة المفروضة ، التى أقام لها المؤذن •

وقد اختلف الفقهاء فيمن صلى ركعتين ، عند اقامة الصلاة ، هل تنعقد صلاته ، وتكون صحيحة ، أو لا تنعقد ، ولا تصح ؟ ••

قولان :

فمن قال بصحتها ، جعل النهى على الكراهة ، ونفى الكمال •

ومن قال بعدم صحتها ، حمل النهى على التحريم ، وعدم الصحة ، أى : اذا أقيمت الصلاة ، فلا تصح صلاة ، الا الصلاة المفروضة •

واختلفوا أيضا فيمن شرع فى صلاة النافلة ، قبل الاقامة ، ولم يتم صلاته • هل يقطعها ، أو يتمها ؟ ••

قال كثير من الفقهاء : يتمها ما دام قد شرع فيها قبل الاقامة ، ولا يقطعها ، لقوله تعالى : « **ولا تبطلوا أعمالكم** »[1] ما لم يخف فوات ركعة مع الامام •

وقيل : لا يقطعها ، حتى ولو خاف فوات ركعة مع الامام ، لأنه عمل صالح ، نهانا الله عن ابطاله فى قولـه جل وعلا : « **ولا تبطلوا أعمالـكم** » •

وقال جماعة من الفقهاء : يقطع الصلاة ، ما لم يركع ، فان ركع ،

---

(١) محمد : ٣٣

فقد انعقدت الصلاة ، فلا ينبغى أن يقطعها ، بل يتمها ، ويخففها ، حتى يدرك الصلاة مع الامام ، قبل أن يركع للركعة الأولى .

هذا .. وقد استثنى بعض الفقهاء على اختلاف مذاهبهم من النهى ركعتى الفجر ، فقالوا : من سمع الاقامة لصلاة الصبح ، ولم يكن قد ركع ركعتى الفجر المسنونة ، فله أن يركعهما خارج المسجد ، أو داخله ، ما لم يخف فوات ركعة مع الامام .

واستدلوا على ذلك بفعل بعض الصحابة ، مثل عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود .

فعن زيد بن أسلم رضى الله عنه : « أن ابن عمر رضى الله عنهما ، جاء والامام يصلى الصبح ، ولم يكن صلى الركعتين قبل صلاة الصبح ، فصلاهما فى حجرة حفصة[1] وصلى مع الامام » .

وقال أبو عثمان الأنصارى : « جاء عبد الله بن عباس ، والامام فى صلاة الغداة[2] ، ولم يكن صلى الركعتين ، فصلى الركعتين خلف الامام[3] ، ثم دخل معه » .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه « أنه كان يدخل المسجد ، ثم يدخل مع القوم فى الصلاة » أخرج هذه الآثار الثلاثة الطحاوى .

وقال أبو موسى : « أقيمت الصلاة ، فتقدم عبد الله بن مسعود الى أسطوانة[4] فى المسجد ، فصلى ركعتين ، ثم دخل ، يعنى فى الصلاة » أخرجه الطبرانى فى الكبير ورجاله ثقات .

وذهب جمهور كبير من الفقهاء الى تعميم النهى ، فى كل صلاة ، لعموم قوله صلى الله عليه وسلم : « اذا أقيمت الصلاة ، فلا صلاة الا المكتوبة » .

ولقول أبى موسى رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا صلى ركعتى الغداة ، حين أخذ المؤذن يقيم ، فغمز النبى صلى الله عليه وسلم منكبه ، وقال : « ألا كان هذا قبل هذا » ؟ أخرجه الطبرانى ورجاله ثقات .

---

(١) وهى أخته ، زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورضى الله عنها .

(٢) أى صلاة الصبح .

(٣) يعنى وراءه فى آخر المسجد منفردا ثم اقتدى به فى صلاة الصبح .

(٤) أى فى مكان فى المسجد .

وهذا القول هو الأصح ، لورود الأحاديث المصرحة بنهيه صلى الله عليه وسلم عن صلاة التطوع مطلقا ، عند اقامة الصلاة ، ولا سيما حديث أبي موسى هـــذا ، فان فيه نهى الرسول صلى الله عليه وسلم الرجل عن صلاة ركعتى الغداة حين رآه قد صلاهما عند شروع المؤذن فى الاقامة ، وقال له : « ألا كان هذا قبل هذا » ؟

٧ ـــ الصلاة والامام يخطب :

فقد اتفق الأئمة على حرمة الصلاة ، والامام يخطب فى حق من كان جالسا قبل صعود الامام على المنبر ، لأن التنفل مستحب ، وسماع الخطبة فرض ، والفرض مقدم على المستحب •

واختلفوا فى من لم يكن قد صلى الصبح ، وذكره أثناء الخطبة •

فقال المـــالكية : يقوم لصلاة الصبح ، لأن صحة الجمعة تتوقف على صلاته ، بناء على أن الترتيب بين الصلوات واجب ، اذا كانت خمس صلوات فأقل • وبذلك قال الحنفيون أيضا •

واختلفوا فيمن أتى المسجد ، والامام على المنبر ، ولم يكن قد صلى تحية المسجد •

فقال المـــالكية والحنفية : يجلس لسماع الخطبة ، ولا يصلى تحية المسجد ، لأن التحية سنة ، وسماع الخطبة فرض ، والفرض مقدم على السنة • ولأن النبى صلى الله عليـــه وسلم قد نهى عن الكلام أثناء الخطبـــة ، حتى ولو كان أمرا بمعروف ، أو نهيا عن منكر[١] ، فتحية المسجد من باب أولى •

وجوز الشافعية والحنابلة ، لمن أتى المسجد ، ولم يكن قد صلى التحية أن يركع ركعتين خفيفتين ، والامام يخطب ، مستدلين بحديث سليك الغطفانى يوم الجمعة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ، فجلس ، فقال له : يا سليك •• قم فاركع ركعتين ، وتجـــوز فيهما • ثم قال : « اذا جاء أحدكم يوم الجمعة ، والامام يخطب ، فليركع ركعتين ، وليتجوز فيهما »[٢] •

ثم تساءل بعد ذلك فى « الفقه الواضح » :

هل النهى للكراهة أو للتحريم ؟ •• ثم قال :

---

(١) وقد ورد النهى عن هذا .

(٢) أى يخففهما .

اختلف الفقهاء فى هذا النهى عن الصلاة فى هذه الأوقات المتقدم ذكرها • هل هو للكراهة ، أو للتحريم •

للشافعية قولان : قول بأن النهى للكراهة التنزيهية[١] ، وقول بأنه لكراهة التحريم[٢] •

وقال المالكية : النهى عن الصلاة بعد صلاة الصبح والعصر للكراهة •

وأما النهى عن الصلاة عند طلوع الشمس ، وعند غروبها ، فللتحريم • لما فيه من التشبه بعباد الشمس • وكذلك التنفل عند اقامة الصلاة ، وعندما يكون الامام على المنبر يوم الجمعة •

* * *

هذا •• واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد قال — كما علمنا — فى نص الوصية التى ندور حولها : « اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها قبورا » :

فانه فى هذا الحديث : بعد أن رغبنا فى صلاة غير المكتوبة فى بيوتنا — باستثناء ما وقفت عليه قبل ذلك — : ينهانا كذلك عن أن نتخذها قبورا • أى : لا تجعلوها كالقبور مهجورة من الصلاة • أو كالجسد الذى لا روح فيه كما أشار النبى صلى الله عليه وسلم الى هذا •• فى حديث شريف ورد :

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « مثل البيت الذى يذكر الله فيه ، والبيت الذى لا يذكر الله فيه : مثل الحى والميت » رواه البخارى ومسلم •

قال فى الترغيب والترهيب معلقا على هذا الحديث :

فلله هذا المثل الرائع الذى يضربه لنا سيد الناطقين بالضاد[٣] ، والذى أوتى جوامع الكلم صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحبه حيث يشبه البيت الذى لا يذكر الله عز وجل فيه بجسد ميت لا روح فيه ، لأن ذكر الله عز وجل حياة للقلوب والأرواح وللبيوت أيضا ، فأيما بيت خلا من ذكر الله فهو كالقبر المهجور أو كالبيت الخرب الذى خلا من

---

(١) كراهة تنزيهية ، أى : الى الحلال أقرب •

(٢) كراهة تحريمية ، أى : هى الى الحرام أقرب •

(٣) لأن اللغة العربية هى اللغة الوحيدة التى فيها حرف الضاد •• على مستوى جميع اللغات المختلفة •

ساكنيه . قال النووى : « فيه الندب الى ذكر الله تعالى فى البيت وأنه لا يخلى من الذكر فيه ، وفيه جواز التمثيل ، وفيه أن طول العمـر فى الطاعة فضيلة وان كان الميت ينتقل الى خير لأن الحى يستلحق به ويزيد عليه بما يفعله من الطاعات » .

* * *

فمن هذا يتبين لنا المـراد من نهى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو كما علمنا أن لا نجعل بيوتنا كالقبور مهجورة من الصـلاة غير المكتوبة .

وهذا معناه كذلك أن العبد الموفق ، هو الذى يذكر نفسـه دائما وأبدا بحياة القبول التى لابد وأن يعتبر بها ، كثابت البنانى رحمه الله تعالى الذي يقول :

دخلت المقابر لأزور القبور وأعتبر بالموتى ، وأتفكر فى البعث والنشور وأعظم نفسى لعلها ترجع عن الغى والغرور ، فوجدت أهل القبور صموتا لا يتكلمون ، وفرادى لا يتزاورون ، فأيست من مقالهم ، واعتبرت بأحوالهم .. فلما أردت الخروج اذ أبصرت من يقول لى : يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها .. فكم فيها من نفس معذبة أو منعمة .

وكان يزيد الرقاشى يقول فى كلامه : أيها المقبور فى حفرته ، المتخلى فى القبر بوحدته ، المستأنس فى بطن الأرض بأعماله ، ليت شعرى بأى أعمالك استبشرت ، وبأى أحوالك اغتبطت ، ثم يبكى حتى يبل عمامته ، ويقول : استبشر — والله — بأعماله الصالحة ، واغتبط — والله — باخوانه المعاونين له على طاعة الله ، وكان اذا نظر الى القبر صرخ كما يصرخ الثـور .

* * *

وحسب الأخ المسلم أن يقرأ ويفهم هـذا الحديث الذى رواه الترمذى :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مصلاه فرأى ناسا يكشرون ، فقال : « أما أنكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات : الموت . فانه لم يأت على القبر يوم الا تكلم فيه . فيقول : أنا بيت الغربة ، وأنا بيت الوحدة ، وأنا بيت التراب ، وأنا بيت الدود . فاذا دفن العبد المؤمن . قال له القبر : مرحبا وأهلا أما ان كنت لأحب من يمشى على ظهرى الى ، فاذ وليتك اليوم وصرت

الى فسترى صنيعى بك فيتسع له مد بصره ، ويفتح له باب الى الجنة . واذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر : لا مرحبا ولا أهلا . أما ان كنت لأبغض من يمشى على ظهرى الى . فاذ وليتك اليوم وصرت الى فسترى صنيعى بك » قال : « فيلتئم عليـــه حتى يلتقى وتختلف أضلاعه » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصابعه فأدخل بعضها فى جوف بعض . قال : « ويقبض الله له تسعين تنينا أو قال تسعة وتسعين لو أن واحدا منها نفخ فى الأرض ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيـــا . فتنهشه حتى يفضى به الى الحساب » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما القبر روضة من رياض الجنة أو حفـــرة من حفر النار » . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب .

وقد روى ابن ماجه ، عن هانىء بن عثمان ، قال : كان عثمان رضى الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنـــة والنار ولا تبكى ، وتبكى من هـــذا ؟ قال : ان رسول الله صـــلى الله عليـــه وسلم ، قال : « ان القبر أول منازل الآخرة . فان نجا منه أحد ، فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد منه » .

قال : قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « ما رأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه » أخرجه الترمذى وزاد رزين قال : وسمعت عثمان ينشد على قبر شعرا :

فان تنج منها تنج من ذى عظيمـــة
والا فانى لا أخـــالك ناجيـــــا

* * *

فتذكر كل هـــذا أخا الاسلام ، و :

تزود من معاشـــك للمعـــاد — وقم لله واعمل خـــير زاد
ولا تجمع من الدنيـــا كثيرا — فان المـــال يجمـــع للنفـــاد
أترضى أن تكون رفيق قوم — لهم زاد وأنت بغـــير زاد ؟

* * *

الجزء السادس عشر

الوصية الخمسون

عن أبى عمارة البراء بن عازب رضى الله عنهما قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« يا فلان .. اذا أويت الى فراشك فقل : اللهم أسلمت نفسى اليك ، ووجهت وجهى اليك ، وفوضت أمرى اليك ، وألجأت ظهرى اليك ، رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ، وبنبيك الذى أرسلت .. فانك أن مت من ليلتك مت على الفطرة ، وان أصبحت أصبت خيراً » ..

(متفق عليه)

وفى رواية الصحيحين :
عن البراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل .. وذكر نحوه ثم قال : واجعلهن آخر ما تقول » ..

* * *

فكن أخا الاسلام :

منتفعا بهذا الدعاء المبارك الذى أوصانا به الرسول صلى الله عليه وسلم جميعا فى شخص هذا الصحابى الذى ورد ذكره فى الدعاء على أنه فلان ، اشارة الى أن الوصية هذه موجهة الى كل فلان من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وأحبابه الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

واذا كنا ان شاء الله تعالى كأحباب لرسول الله صلى الله عليه وسلم سننفذ الدعاء هذا عندما نأوى الى مضاجعنا .. حتى

ن متنا فى أى ليـلة من الليالى •• متنا على الفطرة وان أصبحنا فى أى صباح أصبنا خيرا :

فاننى أرى وقبـل أن نقف على المعنى الاجمالى لهذا الدعـاء الجامع : أن نقف أولا على المعنى المراد من كل فقرة من فقراته •• حتى نردد الدعـاء ونحن نفهمه •• وندرك أبعاده :

فقد جاء فى أول الحديث أن النبى صلى الله عليـه وسلم قال للصحابى الذى أوصاه :

اذا أويت الى فراشك ، فقل : أى : اذا أردت أن تنام وأنت طاهر كما جاء فى رواية البراء : « اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل •• » وفى رواية لأبى داوود : « اذا أويت الى فراشك وأنت طاهر فتوسد يمينك •• » •

وهكذا كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن ينام : فقد جاء فى زاد المعاد : أن النبى صلى الله عليـه وسلم « كان اذا أوى الى فراشه للنوم ، قال : باسمك اللهم أحيا وأموت • وينام على شقه الأيمن ويضع يـده اليمنى تحت خده الأيمن ، ثم يقول : اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك • واذا انتبه من نومه قال : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور • ثم يتسوك •• وكان ينـام أول الليـل ويقوم آخره ، وربما سهر أول الليل فى مصالح المسـلمين ، وكانت تنام عيناه ولا ينام قلبه ، واذا نام لم يوقظوه حتى يكون هو الذى يستيقظ » اهـ •

اللهم أسلمت نفسى اليك : أى : استسلمت لحكمك وانقدت لأمرك ، وأذعنت لمـا تجريه على من قضائك وقدرك •

ووجهت وجهى اليك :

أى : أخلصت دينى اليك ، ولم أجعل لك شريكا من خلقك •

وفوضت أمرى اليك :

أى : رددته اليـك ، فلا حول ولا قوة الا بك : فاكفنى همه ، وأصلحه بما شئت •

وألجأت ظهرى اليك :

أى : استندت اليك ، واستعنت بك فى كل ما يعجزنى •• وقيل :

اعتمدت عليك فى جميع أمورى ، وأسندتها اليك ، كما يعتمد الانسان بظهره الى ما يستند اليه[1] •

رغبة ورهبة اليك :

أى : طمعا فى رحمتك وفضلك وخوفا من عذابك •• وقيل : أى الرغبة فى ثوابك ومغفرتك ، والرهبة من عقابك وسخطك •

لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك :

أى : لا خلاص ولا مهرب من عذابك الا اليك • « ولا ملجأ » مهموز من ألجأت ، ولا منجا هو غير مهموز من النجاة •

آمنت بكتابك الذى أنزلت :

أى : بالقرآن •• وقيل : جميع الكتب المنزلة •

وبنبيك الذى أرسلت :

أى : أرسلته الى الناس كافة بشيرا ونذيرا • فصلوات الله وسلامه عليـه •

فانك ان مت من ليلتك ، مت على الفطرة :

أى : على الاسلام الصحيح الخالص من الشرك •

وان أصبحت أصبت خيرا :

أى : أصبت خيرا بترديدك لهـذا الدعاء الجامع الذى مضمونه كما هو واضح لك : التفويض الكامل لله رب العالمين •

* * *

فاذا كان هذا هو المعنى الاجمالى لفقرات هـذا الدعاء المبارك : فاننى أحب أن أذكرك وقبل التعليق كذلك عليـه : بأن هناك أدعية أخرى وردت كذلك فى « الترغيب والترهيب » تحت عنوان :

ما يقال من الذكر عند النوم

فعن فروة بن نوفل عن أبيه رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال لنوفل : « اقرأ : «**قل يا أيها الكافرون**»[2] ثم نم على خاتمتهـا ، فانها براءة من الشرك » رواه أبو داوود ، واللفـظ له ، والترمذى ، والنسائى متصلا مرسلا ، وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد :

---

(١) ولله المثل الأعلى .

(٢) أى اقرأ سورة : « **قل يا أيها الكافرون** » .. ثم نم بعد ذلك مباشرة .. حتى تنام على التوحيد الخالص لله رب العالمين .

وفى رواية عن حجاج بن أرطاة : حدثنا شريك عن أبى اسحاق عن فروة بن نوفل عن الحارث بن جبلة ، قال : قلت : يا رسول الله .. علمنى شيئا أقوله عند منامى ، فقال له .. الـخ الحديث .

* * *

والرسول صلى الله عليه وسلم يوصيه فى هذا الحديث :
بأن يقرأ عند نومه السورة التى أولها : ((**قل يا أيها الكافرون ..**)) .
وبأن لا يتكلم بعد قراءتها بأى كلام دنيوى ، أو من كلام الناس : فانها براءة : أى خلاص ونجاة ، من الشرك .. ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فى الركعة الأولى من سنة الفجر ، وسنة المغرب وركعتى الطواف ، ويقرأ فى الركعة الثانية بسورة الاخلاص : وذلك لأنهما تضمنتا نفى الالهية عن كل ما سوى الله عز وجل واثباتها لله وحده .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « خصلتان ــ أو خلتان[1] ــ لا يحافظ عليهما عبد مسلم الا دخل الجنة ، هما يسير ، ومن يعمل بهما قليل :

يسبح فى دبر كل صلاة عشرا ، ويحمد عشرا ، ويكبر عشرا ، فذلك خمسون ومائة باللسان ، وألف وخمسمائة فى الميزان .

ويكبر أربعا وثلاثين اذا أخذ مضجعه ويحمد ثلاثا وثلاثين ، ويسبح ثلاثا وثلاثين : فذلك مائة باللسان ، وألف فى الميزان[2] .

فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدها . قالوا : يا رسول الله .. كيف هما يسير ، ومن يعمل بهما قليل ؟ قال : يأتى أحدكم ــ يعنى الشيطان ــ فى منامه فينومه قبل أن يقوله ، ويأتيه فى صلاته فيذكره حاجة قبل أن يقولها » .

رواه أبو داوود واللفظ له والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، والنسائى وابن حبان فى صحيحه ، وزاد بعد قوله :

« وألف وخمسمائة فى الميزان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيكم يعمل فى اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة » .

* * *

---

(١) « أو » شك من الراوى ، والخصلة والخلة بفتح الخاء فيهما يعنى الخلق أو الصفة .

(٢) لأن الحسنة بعشر أمثالها .

ففى هـذا الحديث يوصينا النبى صلى الله عليـه وسلم كعباد مسلمين اذا أردنا أن ندخل الجنة : بأن نحافظ على خصلتين ، العمل بهما سهل وهين ، وهما :

أن يسبح عقب كل صلاة عشرا ، ويحمد عشرا ، ويكبر عشرا ٠٠ ثم يقول بعد ذلك : فذلك خمسون ومائة باللسان ، وألف وخمسمائة فى الميزان :

وذلك لأنهن ثلاثون فى كل صـلاة ، والصلوات خمس ، فيكون المجموع حينئذ مائة وخمسين ٠٠ ولأن الحسنة بعشر أمثالها ، فاذا ضرب مائة وخمسون فى عشر كان المجموع ألفا وخمسمائة ٠

وبأن يكبر أربعا وثلاثين اذا أخذ مضجعه ـ أى اذا أراد أن ينام ـ ويحمد ثلاثا وثلاثين ، ويسبح ثلاثا وثلاثين ٠٠ ثم يقول بعد ذلك : فذلك مائة باللسان ، وألف فى الميزان :

وفى نسخة : « فتلك » اشارة لمجموع التكبير ، والتحميد ، والتسبيح ٠ والحسنة كما عرفنا قبل ذلك بعشر أمثالها ٠٠

ثم اذا كان النبى صلى الله عليـه وسلم ، قد أجاب على السؤال الذى وجه اليه ، وهو : كيف هما يسـير ، ومن يعمل بهما قليل ؟ ٠ فقال : يأتى أحدكم ـ أى الشيطان ـ فى منامه فينومه قبل أن يقوله : أى يهدهده كما يهدهد الصبى ويحبب اليه النوم ٠ ويأتيه فى صلاته فيذكره حاجة قبل أن يقولها : أى : حتى تحمله الحاجة على أن ينصرف بعد السلام مباشرة قبل أن يقول تلك الكلمات ٠

واذا كان الرسول صـلى الله عليـه وسلم ، قد قال فى روايـة ابن حبان : « وأيكم يعمل فى اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة » :

فان المراد هو أن الذنوب مهما كثرت لن تبلغ عدد الحسـنات التى كسبها المصلى بقوله هـذه الكلمات ٠



فلتذكر أخا الاسـلام كل هذا حتى تحافظ على هـذا الخير وتفوز بكل هـذا الثواب ٠

وعن العرباض بن سارية رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسـلم : كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ، ويقول : « ان فيهن آية خير من ألف آية » ٠ رواه أبو داوود والترمذى واللفظ له ، وقال : حديث حسن غريب ، والنسائى ، وقال : قال معاوية يعنى ابن صالح :

« ان بعض أهل العلم كانوا يجعلون المسبحات ستا : سورة الحديد ، والحشر ، والحواريين[١] ، وسورة الجمعة ، والتغابن ، و «**سبح اسم ربك الأعلى**» •

* * *

ففى هذا الحديث — كما علمنا — : اخبار بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد •• وهى : السور المبتدأة : بسبح لله ، أو يسبح لله •• وقد علمت أن بعض أهل العلم كانوا يجعلونها ستا •• وقد ذكر فى هامش الترغيب والترغيب ، أنها : الحديد ، والحشر ، والصف ، والجمعة ، والتغابن ••

ثم اذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد قال فى نهاية الحديث عن المسبحات : « ان فيهن آية خير من ألف آية » :

فهذه الآية هى قوله تعالى فى سورة الحديد : «**هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شىء عليم**»[٢] : فان هذه الأسماء الحسنى الأربعة دلت على احاطته تعالى التامة بجميع خلقه زمانا ومكانا وعلما •

فلنفز كذلك بخيرات المسبحات •

* * *

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يأوى الى فراشه : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر : غفرت له ذنوبه ، أو خطاياه ، وان كانت مثل زبد البحر » رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه واللفظ له ، وعند النسائى :

« سبحان الله وبحمده ، وقال فى آخره : ولو كانت أكثر من زبد البحر » •

* * *

ففى هذا الحديث — كما قرأنا — : يرغبنا النبى صلى الله عليه وسلم فى أن نقول قبل أن نأوى الى مضاجعنا : لا اله الا الله وحده لا شريك له :

---

(١) يعنى السورة التى ذكر فيها الحواريون وهى : سورة الصف .
(٢) الحديد : ٣

فوحده لا شريك له ، بعد كلمة التوحيد تأكيد لما دل عليه الاستثناء من انفراده سبحانه وتعالى بالوحدانية .

له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير :

أى أن له وحده الملك التام الذى لا يغالب عليه ، وله الحمد التام الذى لا يلحقه ذم ولا نقص .. وهو قادر على كل شيء .

لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم :

فهى : كما ورد فى حديث أبى موسى الأشعرى : كنز من كنوز الجنة ، ففى الحديث قال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة » ؟ قال : بلى . قال : « قل : لا حول ولا قوة الا بالله » .

سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر :

فهو كذلك « أفضل الكلام » ، ففى الحديث : « أفضل الكلام بعد القرآن أربع لا يضرك بأيهن بدأت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر » وقد ورد : أنهن الباقيات الصالحات .

ثم اذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك فى ترغيبه :

« غفرت له ذنوبه — أو خطاياه — وان كانت مثل زبد البحر » .

أو كما جاء فى رواية النسائى :

« غفرت له ، ولو كانت أكثر من زبد البحر » :

فهذا معناه أنه من الخير أخا الاسلام أن تنفذ هذا الخير حتى يغفر الله لك ذنوبك ولو كانت مثل زبد البحر أو أكثر منه .. والله ذو الفضل العظيم

وعن شداد بن أوس رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يأخذ مضجعه[1] ، فيقرأ سورة من كتاب الله : الا وكل الله به ملكا ، فلا يقربه شيء يؤذيه ، حتى يهب من نومه متى هب »[2] رواه الترمذى ، ورواه أحمد ، الا أنه قال :

« بعث الله له ملكا يحفظه من كل شيء يؤذيه حتى يهب متى هب »

ورواة أحمد رواة الصحيح .

* * *

---

(١) يعنى يأوى الى فراشه وينام فيه .

(٢) هب : أى انتبه من نومه .

ففى هــذا الحديث يرغبك كمسلم عندما تأوى الى فراشك لتنام فيه : بأن تقرأ أى ســورة من كتاب الله تعالى •• مخبرا اياك بأنك ان فعلت ذلك : وكل الله بك ملكا يحفظك — وأنت نائم — من كل أنواع المؤذيات : أى : من شــياطين الانس والجن والوحوش والحشرات والهوام ، ونحو ذلك •• حتى تهب من نومك •

* * *

فحسبك هــذا أخا الاسلام ترغيبا لك فى هذا الخير الذى به كما عرفت فى نهاية الحديث سيظل الحفظ مستمرا لك حتى تستيقظ •

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، قال : « اذا أوى الرجل الى فراشه ابتدره ملك وشيطان ، فيقول الملك : اختم بخير ، ويقول الشيطان : اختم بشر ، فان ذكر الله ثم نام بات الملك يكلؤه ، واذا استيقظ ، قال الملك : افتح بخير ، وقال الشيطان : افتح بشر ، فان قال : الحمد لله الذى رد على نفسى ولم يمتها فى منامها ، الحمد لله الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا •• الى آخر الآية[1] ، الحمد لله الذى يمسك الســماء أن تقع على الأرض الا باذنه[2] :

فان وقع عن سريره فمات دخل الجنة » رواه أبو يعلى باســناد صحيح ، والحاكم ، وزاد فى آخره :

« الحمد لله الذى يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير » • وقال صحيح على شرط مسلم •

* * *

ففى هذا الحــديث ، يخبر النبى صــلى الله عليه وسلم : بأنه اذا أوى الرجل الى فراشه ابتدره — أى أسرع اليه — ملك وشيطان •• فيقول الملك لهذا الرجل : اختم بخير — أى اجعل خاتمة عملك قبــل النوم خيرا بذكر الله ، وتلاوة القرآن ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليــه وسلم •• ونحو ذلك — • ويقول له الشيطان : اختم بشر — أى أن الشيطان يزين له السوء والفجور لتكون خاتمة عمله شرا •• ثم يقــول الرسول صلى الله عليــه وسلم : فان ذكر الله ثم

---

(١) نص الآية فى سورة فاطر : ٤١ « **ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتــا ان أمسكهما من أحد من بعده ، انه كان حليما غفورا** ».

(٢) نص الآية فى سورة الحج : ٦٥ « **ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والفلك تجرى فى البحر بأمره ويمسك السماء ••** » الآية .

نام ، بات الملك يكلؤه — أي يحرسه ويحفظه — • واذا استيقظ ، قال الملك : افتح بخير — أي ابدأ عمل يومك — وقال الشيطان : افتح بشر •• ثم يقول الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك كذلك :

الحمد لله الذى رد على نفسى — أى : أعادها الى بعد ما قبضها — ولم يمتها فى منامها — أى : لم يمسكها عنده سبحانه بل أرسلها — •

الحمد لله الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا — أى : من أن تزولا •• فهو سبحانه بقدرته : يحفظهما من الزوال وهو العدم والسقوط •

الحمد لله الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض الا باذنه — فهو سبحانه يحمد نفسه على كمال قدرته فى حفظ السماء وامساكها حتى لا تسقط على الأرض ، ولكنه لو أذن بذلك وشاءه لوقع •

الحمد لله الذى يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير » •

* * *

ثم اذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقول بعد ذلك مرغبا فى هذا الخير : فان وقع عن سريره فمات دخل الجنة •

أى : لو قدر عليه أن يخر عن سريره فى نومه هذا ، وكان قد قال هذه الكلمات ، فانه يغفر له ويدخل الجنة •

فاننى أرجو أن يكون هذا ترغيبا لك فى تنفيذ هذا الخير •

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام ونفذه قبل أن تأوى الى فراشك ، حتى تفوز بتلك النتائج العظيمة التى من أهمها كما علمت حفظ الله تعالى ورعايته لك •• ومغفرته ورضوانه •

وحسبك كذلك اذا كنت ستنام على طهارة •• أن تقرأ معى هذه الأحاديث التى أرجو كذلك أن تكون سببا فى ترغيبك :

فعن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من بات طاهرا بات فى شعاره[1] ملك ، فلا يستيقظ الا قال الملك : اللهم اغفر لعبدك فلان فانه بات طاهرا » رواه ابن حبان فى صحيحه •

---

(١) الشعار بكسر الشين المعجمة : هو ما يلى بدن الانسان من ثوب وغيره •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « طهروا هذه الأجساد طهركم الله[1] ، فانه ليس من عبد يبيت طاهرا الا بات معه فى شعاره ملك ، لا ينقلب ساعة من الليل[2] الا قال : اللهم اغفر لعبدك فانه بات طاهرا » رواه الطبرانى فى الأوسط باسناد جيد .

وعن أبى أمامة رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أوى[3] الى فراشه طاهرا يذكر الله[4] حتى يدركه النعاس[5] لم ينقلب ساعة من ليل يسأل الله خيرا من خير الدنيا والآخرة الا أعطاه الله اياه » رواه الترمذى عن شهر بن حوشب عن أبى أمامة ، وقال : حديث حسن .

* * *

ولا تنس أخا الاسلام — فى النهاية — وبعد أن تستيقظ من نومك أن تقرأ الدعاء الوارد فى هذا الحديث الشريف حتى تفوز بالخير المشار اليه فيه :

فعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من تعار[6] من الليل ، فقال : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، الحمد لله ، وسبحان الله ولا اله الا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، ثم قال : اللهم اغفر لى ، أو دعا استجيب له ، فان توضأ ثم صلى قبلت صلاته » رواه البخارى وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

* * *

أسأل الله تعالى أن يفوقنا للفوز بهذا الخير الذى نحن فى أشد الحاجة اليه فى دنيانا وأخرانا .. كما أسأله سبحانه وتعالى أن يختم لنا به .. آمين .

* * *

---

(١) جملة دعائية .

(٢) أى لا يقوم من نومه فى أى لحظة من الليل الا قال له الملك ..

(٣) أى ذهب لينام .

(٤) قوله « طاهرا يذكر الله » : كلاهما حال من فاعل أوى .

(٥) أى يغلبه النوم .

(٦) تعار : بتشديد الراء : أى استيقظ .

الوصية الواحدة والخمسون

عن علي رضى الله عنه ، قال لابن أعبد : ألا أحدثك عنى وعن فاطمة رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت من أحب أهله اليه ، وكانت عندى ؟ قلت : بلى ، قال : انها جرت بالرحا حتى أثرت فى يدها ، واستقت بالقربة حتى أثرت فى نحرها ، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم خدم ، فقلت : لو أتيت أباك فسألته خادما ، فأتته فوجدت عنده حدثاء ، فرجعت فأتاها من الغد ، فقال : ما كان حاجتك ؟ فسكتت ، فقلت : أنا أحدثك يا رسول الله .. جرت بالرحا حتى أثرت فى يدها ، وحملت بالقربة حتى أثرت فى نحرها ، فلما ان جاء الخدم أمرتها أن تأتيك فتستخدمك خادما يقيها حر ما هى فيه . قال :

« اتقى الله يا فاطمة ، وأدى فريضة ربك ، واعملى عمل أهلك ، واذا أخذت مضجعك : فسبحى ثلاثا وثلاثين ، واحمدى ثلاثا وثلاثين ، وكبرى أربعا وثلاثين ، فتلك مائة فهو خير لك من خادم » . قالت : رضيت عن الله ورسوله » .

زاد فى رواية : « ولم يخدمها » ..

(رواه البخارى ومسلم وأبو داوود واللفظ له والترمذى مختصرا ، وقال : وفى الحديث قصة ولم يذكرها) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

دارسا لنص هذه الوصية ، أو هذا الحديث .. حتى تتعظ به كما اتعظ الآباء والأجداد من الأصحاب الفضلاء وغيرهم من التابعين والسلف الصالح الذين : تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله :

« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة

يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار · ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ·· »[١] ·

فكانوا لهذا رجالا بمعنى الكلمة وكانوا كذلك من الفطناء الذين تحدث عنهم القائل فى قوله :

ان لله عبــــادا فطنـــــا   طلقـــوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيهــا فلمــا علمـــوا   أنهــا ليست لحى وطنـــا
جعلـــوها لجـــة واتخـــذوا   صالح الأعمال فيهــا سفنا

* * *

وإذا كنت أقول هـــذا فى بداية شرحى لهذا الحديث : فان هدفى من هـــذا ، هو أن يعـــلم الأخ المسلم أن كل هـــذه الدنيا بما فيهـــا من عرض زائل لا يساوى عند الله جناح بعوضة بل ان تســـبيحة واحدة لله تعالى خير من الدنيا وما فيها ·· وقد قرأت توضيحا لهـــذا :

أن سليمان عليـــه السلام ، كان ذات يوم يركب بساطه الذى كان يحمله الريح ·· وكان حوله فى الجو عدد كبير من جنده ·· من الجن والانس والطيور على اختلاف ألوانها وأشكالها ·· فمر بموكبه هـــذا ، على فلاح يزرع فى حقله ·· فلما نظر الفلاح الى أعلى ورأى الموكب هـــذا ، قال : سبحان من أعطاكم ملكا يا آل دلوود ·· فنقل الريح الكلمة هـــذه الى أذنى سليمان عليه الســـلام ·· فأمر الريح بأن يتوقف وينزل بالبساط الى حقل هـــذا الفلاح ··

فلما فعل الريح هـــذا ، ورأى الفلاح الموكب فى حقله ·· ارتعدت فرائصه ·· فقال له سيدنا سليمان مهدئا من روعه : لا تخف يا رجل ·· وقل مرة أخرى ما قلته وأنا أمر فوق حقـــلك ·· فردد الفلاح الكلمة مرة أخرى ·

فقال له سيدنا سليمان :

أما علمت يا هـــذا ·· أن تســـبيحة واحدة منك : خير من ملك آل داوود ··

* * *

---

(١) النور : ٣٧ ، ٣٨

ولهـذا •• نرى أن فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، عندما جرت بالرحا حتى أثرت فى يدها ، واستقت بالقربة حتى أثرت فى نحرها ، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها •• فذهبت الى أبيها رسول الله صلى الله عليـه وسلم ــ بتوجيه من زوجها وابن عمها على كرم الله وجهـه ــ لتطلب منه خادما من العبيد والاماء حتى يعينها فى كل شئون البيت ••

فما كان من رسول الله صلى الله عليـه وسلم : الا أن أوصاها بأعظم الوصايا ، التى هى خير من خادم •• كما قال لهـا •• بل هى خير من الدنيا وما فيها •• لأنها أساس كل خير وفلاح ونجاح •• وهى كذلك من أهم أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة ••

فقد أوصاها :

أولا : بالتقوى •• وهى ــ كما علمنا قبل ذلك ــ وكما جاء فى نص حديث شريف : « رأس الأمر كله » ، وهى كذلك كما قال على كرم الله وجهه : الغنى بلا مال ، والهيبة بلا سلطان ، والعز بلا عشيرة •• فقد ورد أنه قال : « من أراد غنى بلا مال ، وهيبة بلا سلطان ، وعزا بلا عشيرة : فليتق الله ، فان الله يأبى أن يذل الا من عصاه » •

ولهذا عندما قيل لأحد الصالحين عند موته : أوصنا ، قال : عليكم بآخر آية من سورة النحل ، وهى : « **ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** »[1] : فمعنى اتقوا ، أى : تحرزوا وتركوا ما نهى الله عنه ، وأحسنوا : أى : أطاعوا وفعلوا ما أمر الله تعالى به •

وفى الصحيح فى سؤال جبريل عليه السـلام للنبى صلى الله عليه وسلم ، قال : يا رسول الله •• ما الاحسـان ؟ قال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » ، والله سبحانه وتعـالى مع جميع خلقه بعلمه وقدرته ، ومعناه : أنه عالم بالكل ، قادر على الكل •

فحسبنا اذن أن نكون من الأتقياء بمعنى أن نكون من الذين يتقون الله تبارك وتعالى ، على أساس هذا الوصف الدقيق الذى وصف به على كرم الله وجهه التقوى ، فقال : هى الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، والرضا بالقليل •

وحسبنا ان كنا كذلك ان شاء الله ، أن نكون من هؤلاء الذين جعل الله تعالى لهم من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، كما يشير الى

---

(١) النحل : ١٢٨

هــذا قول الله تعالى : « ٠٠ **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ٠ ويرزقه من حيث لا يحتسب** »[١] ٠

وأن نكون كذلك من الذين خاطبهم الله تعالى فى قوله :

« **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به** ٠٠ »[٢] ٠

هذا بالاضافة الى ما يشير اليه قول الله تعالى :

« ٠٠ **فان الله يحب المتقين** »[٣] ٠

وقولــه : « **الذين آمنوا وكانوا يتقون ٠ لهم البشرى فى الحيــاة الدنيا وفى الآخرة** »[٤] ٠

فاذا كانت هذه التقوى ، واذا كانت هذه هى نتائجها :

فانه من الخير لنا فى دنيانا وأخرانا أن نكون من أهل التقوى ٠

واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أوصى ابنتــه الزهــراء رضى الله عنها بهذا ٠٠ فان هــذا ولا شك كان سببا فى سعادتها وسعادة كل أفراد أسرتها ٠٠ بل وجميع أحفادها ان شاء الله تعالى الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ٠٠ ما داموا سيتقون الله تعالى مثلها ٠٠ وما داموا كذلك سينفذون :

الثانية : مثلها ، وهى : أداء فريضة الصلاة ٠٠ بل وأداء جميــع فرائض الله التى فرضها علينا ، وجعلها أساسا للاسلام ، كما يشير الى هذا الحديث الشريف :

« بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصــوم رمضان » رواه البخارى ومسلم ٠

كما روى البخارى فى صحيحه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن ربه عز وجل ، قال :

« من عادى لى وليــا ، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى مما افترضت عليــه ، ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه » ٠

---

(١) الطلاق : ٢ ، ٣ (٢) الحديد : ٢٨

(٣) آل عمران : ٧٦ (٤) يونس : ٦٣ ، ٦٤

والصلاة ــ كما عرفنا ــ هى أفضل الفروض ، لما صح من قوله صلى الله عليه وسلم : « الصلاة خير موضوع ، فمن شاء استكثر ومن شاء استقل » أخرجه ابن حبان والحاكم .

وحسب المؤدى لفريضة الصلاة ــ فضلا عن التقرب الى الله تعالى بنوافلها ــ أن يفوز بهذا الخير المشار اليه فى قول الله تعالى :

« قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون »[1] .

وقوله : **« .. وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »**[2] .

قال القرطبى : لا سيما وان أشعر نفسه أن هذا ربما يكون آخر عمله ، وهذا أبلغ فى المقصود ، وأتم فى المراد ، فان الموت ليس له سن محدود ، ولا زمن مخصوص ، ولا مرض معلوم ، وهذا مما لا خلاف فيه . وروى عن بعض السلف أنه كان اذا قام الى الصلاة ارتعد ، واصفر لونه ، فكلم فى ذلك ، فقال : انى واقف بين يدى الله تعالى ، وحق لى هذا مع ملوك الدنيا ، فكيف مع ملك الملوك ؟ .. فهذه صلاة تنهى ــ ولابد ــ عن الفحشاء والمنكر ، ومن كانت صلاته دائرة حول الاجزاء[3] لا خشوع فيها ، ولا تذكر ، ولا فضائل ، كصلاتنا ــ وليتها تجزى ــ فتلك تترك صاحبها من منزلته حيث كان ، فان كان على طريقه معاص تبعده من الله تعالى ، تركته الصلاة يتمادى على بعده ، وعلى هذا يخرج الحديث المروى عن ابن عباس ، وابن مسعود ، والحسن ، والأعمش ، قولهم : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم تزده من الله الا بعدا ، ولم يزد بها الا مقتا .. »[4] انتهى . تفسير القرطبى جـ١٣ ص ٣٤٨ طبعة دار الكتب المصرية .

وأنه سيفوز كذلك بدخول الجنة :

فعن أبى قتادة بن ربعى ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « قال الله ــ عز وجل ــ : افترضت على أمتك خمس صلوات ، وعهدت عندى عهدا : أنه من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة ، ومن لم يحافظ عليهن ، فلا عهد له عندى » أخرجه ابن ماجه جـ١ ص ٢٢١ .

---

(١) المؤمنون : ١ ، ٢ (٢) العنكبوت : ٤٥

(٣) أى يقصد منها اسقاط الفرض وكفى ، دون النظر الى مرضاة الله تعالى ، والتقرب اليه بها .

(٤) أى بغضا وسخطا .

وعن أبى قتادة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى : انى افترضت على أمتك خمس صلوات ، وعهدت عندى عهدا : أنه من جاء يحافظ عليهن ، لوقتهن ، أدخلته الجنة ، ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندى » من سنن أبى داوود ج ١ صفحة ١٢٣ .



ثم اذا كان النبى صلى الله عليه وسلم — بعد ذلك — يوصى ابنته الزهراء رضى الله عنها : بأن تعمل عمل أهلها — من ادارة الرحا ، وسقاية الماء ، وكنس البيت ، كما كانت تفعل — فانه بهذا يؤكد حبه لها ، لأنها بهذا الفعل ستكون ربة بيت بالمعنى الصحيح ، وستكون بذلك قدوة لجميع المسلمات من ربات البيوت الى أن يرث الله الأرض ومن عليها :

لأن ربة البيت المثالية هى التى تقوم بشئون بيتها ، معتمدة فى هذا على قوتها وخبرتها التى انتقلت بها من بيت أبويها : حتى لا تكون مكلفة لزوجها فوق طاقته ، وحتى لا تدخل بيتها من الخدم أو الخادمات من يعرض البيت لهزة أخلاقية أو اجتماعية ، أو أسرية .. ربما كانت سببا فى هدم هذا البيت من أساسه — ولا شك أن الزوج وزوجته قد سمعا أو قد قرآ مثل هذا فى الصحف اليومية عن الخدم والخادمات — .

ثم ان الزوجة المثالية لابد وأن تكون فاعلة كل ما يرضى زوجها ويسعده : حتى يشهد لها بهذا ويحبها .. كما أشار الى هذا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فى هذا المضمون الذى جاء فى نصه :

أن أعرابيا كان يعاتب زوجته ، فعلا صوتها صوته ، فساءه ذلك منها ، وأنكره عليها ، ثم قال : والله لأشكونك الى أمير المؤمنين .

وما أن كان بباب أمير المؤمنين ينتظر خروجه ، حتى سمع امرأته تستطيل عليه ، وتقول : اتق الله يا عمر فيما ولاك ، وهو ساكت لا يتكلم .

فقال الرجل فى نفسه وهو يهم بالانصراف : اذا كان هذا هو حال أمير المؤمنين ، فكيف حالى ؟ وفيما هو كذلك ، خرج عمر .. ولما رآه ، قال له : ما حاجتك يا أخا العرب ؟ فقال الأعرابى : يا أمير المؤمنين .. جئت اليك أشكو خلق زوجتى ، واستطالتها على ، فرأيت عندك ما زهدنى ، اذ كان ما عندك أكثر مما عندى ، فهممت بالرجوع ،

وأنا أقول : اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته ، فكيف حالى ؟ فتبسم عمر رضى الله عنه وقال : « يا أخا الاسلام •• انى احتملتها لحقوق لها على : انها طباخة لطعامى ، خبازة لخبزى ، مرضعة لأولادى ، غاسلة لثيابى ، وبقدر صبرى عليها يكون ثوابى » :

فمن هذا الكلام العمرى : نفهم أن الزوجة الصالحة بطبيعتها لابد وأن تكون عونا لزوجها لا حربا عليه •

ومن أجمل ما قرأت فى هـذا : ما أوصت به « أمامة بنت الحارث » ابنتها وهى تؤهلها لبيت الزوجية ، فقالت لها :

أى بنية •• ان الوصية لو تركت لعقل وأدب ، أو مكرمة فى حسب لتركت ذلك منك ، ولزويته عنك ، ولكن الوصية تذكرة للعاقل ، ومنبهة للغافل •

أى بنية ، انه لو استغنت المرأة بغنى أبويها وشدة حاجتهما اليها ، لكنت أغنى الناس عن الزوج ، ولكن للرجال خلق النساء ، كما لهن خلق الرجال •

أى بنيـة •• انك قد فارقت الحواء الذى منه درجت ، الى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك ملكا ــ بكسر اللام ــ فكونى له أمة يكن لك عبدا ، واحفظى عنى خلالا عشرا ، تكن لك ذركا وذكرا :

فأما الأولى والثانية : فالمعاشرة له بالقناعة ، وحسن السـمع والطاعة ، فان القناعة راحة القلب ، وحسن السمع والطاعة رأفة الرب •

وأما الثالثة والرابعة : فلا تقع عيناه منك على قبيح ، ولا يشـم أنفه منك الا طيب الريح • واعلمى ، أى بنية ، أن المـاء أطيب الطيب المفقود ، وأن الكحل أحسن الحسن الموجود •

وأما الخامسة والسادسة : فالتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عند منامه ، فان حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النومة مغضبة •

وأما السابعة والثامنة : فالاحتفاظ بماله ، والرعاية على حشمه ــ ذى قرباه ــ وعياله ، فان الاحتفاظ بالمـال من حسن التقدير ، والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير •

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تفشى له سرا ، ولا تعصى له أمرا ، فانك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره ، وان عصيت أمره أوغرت صدره •

واتقى الفرح لديه ان كان ترحا[1] ، والاكتئاب عنـده اذا كان فرحا ، فان الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير .

واعلمى أنك لن تصلى الى ذلك منه حتى تؤثرى هواه على هواك ، ورضاه على رضاك ، فيما أحببت وكرهت » :

وزوجة المـرء عون يستعين بها
علـى الحيـاة ونور فى دياجيهـا
مسـلاة فكرته ان بات فى كـدر
مـدت لـه لتواسـيه أياديهـا
فى الحـزن فرحتـه تحنو فتجعله
ينـسى بذلك الآمـا يعانيهـا
كم زوجـة ذات عقـل غير مسرفة
تدبر الـدار تدبيرا ينجيهـا
تعـامل الزوج فى أحـوال عسرته
وفى اليسـار بما فى النفس يشفيها
والزوج يدأب فى تحصيل عيشـته
دأبا ويجهـد منه النفس يشـقيها
ان عاد للبيت يلقى ثغـر زوجتـه
يفتـر عما يسر النفس يحييهـا
هذى القرينـة هذى من تحن لهـا
نفـس الأبى ولكن أين نلقيهـا
وزوجهـا مـلك والـدار مملـكة
والصفو والسعد يجرى فى نواحيها

* * *

هذا .. واذا كنا نطالب الزوجة الصالحة بأن تكون عونا لزوجها ، ومؤدية لشئون بيتها : فاننا نطالب الزوج الصالح بأن يكون كذلك عونا لهـا .. وحسبه ان فعل ذلك ان شاء الله تعالى أن يعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم ــ وهو أفضل خلق الله على الاطلاق ــ كان يتعاون مع أهل بيته فى بعض شئون البيت :

فقد سئلت عائشة رضى الله عنها : ما كان رسول الله ــ صلى الله

---

(١) أى كان حزينا .

عليــه وسلم ــ يفعل فى بيته ؟ قالت : « كان يكون فى مهنة أهله ــ أى فى خدمتهم ــ فاذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج الى الصلاة » رواه مسـلم •

* * *

وحسبه ان فعل ذلك كذلك أن يكون كهذا الحاكم المؤمن « سعيد ابن عامر » : الذى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ــ فى عهده ــ قد ولاه على أهل حمص ••

ثم حدث بعد ذلك أن أرسل أمير المؤمنين عمر ، الى أهل حمص ، ليكتبوا له أسماء الفقراء لديهم ليعطيهم •• فكتبوا فى أول القائمة اسم حاكمهم « سعيد بن عامر » •• فتعجب عمر ، ثم سـألهم عن سبب هــذا ؟ فقالوا له : انه فقير ، لأنه ينفق ما لديه على المساكين ، ويقول لهم : ماذا أصنع وقد أصبحتم فى حسـابى ؟ لقد أضاعنى عمر • فقال عمر للوفد : والله ما أضعته ، ولكنه أجهدنا معه • وكيف هو معكم ؟ فقالوا : نعيب عليه أربع خلال :

لا يخرج الينا الا ضـحى ، ولا نراه بالليل ، ويحتجب يوما فى الشهر ، ويصيبه اغماء بين حين وحين •

فعجب عمر وأعطاهم مالا حملوه اليه ليستعين به على حوائجه •• فوزعه على فقراء الجيش •• ثم أرسل له عمر وسأله عن الأربع خلال ، فأجاب :

يا أمير المؤمنين •• أما خروجى ضحى : فليس لى خادم ، وزوجتى مريضة ، فأنا أعمل لها عملها بعد الفجر حتى يضحى النهار •

وأما احتجابى بالليل : فانى جعلت النهار للناس والليل لله •

وأما اليــوم الذى أحتجب فيه فى الشهر : فليس لى الا ثوب واحــد أغسله فى هــذا اليوم حتى يجف فألبسه •

وأما الاغماء ، فكلما تذكرت الشهيد خبيب بن عدى حين قتــل وأنا يومئذ كافر وقد شهدت مقتله[1] •• ندمت أن لم أكن أسـلمت يومئذ حتى أدفع عنه السوء •

فكان عمر كلما تذكر « سعيدا » بكى وبكى وبكى •• فرحمه الله رحمة واسعة وأكثر الله من أمثاله حتى يعود للاسلام مجده التالد •

* * *

---

(١) وكان هذا قبل ان يدخل فى الاسلام •

فاذا كان الأخ الرجل سيعين زوجته •• فان هذا لن يكون عيبا فيه ، وانما هو التواضع فى أسمى معانيه :

وان شئت ، فقل هى المعاشرة الحسنة التى لابد وأن نتعلمها من المثل الأعلى صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول :

« خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » رواه ابن حبان فى صحيحه •

وقد ذكر الامام ابن القيم فى كتابه « زاد المعاد » ، تحت عنوان :

هديه صلى الله عليه وسلم فى معاشرة أهله

صح عنه من حديث أنس : « حبب الى من دنياكم : النساء ، والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة » :

واذا كان هذا قد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم كما قرأنا ، فان معناه : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب زوجاته أمهات المؤمنين ليكون قدوة لأصحابه فى حسن المعاشرة لزوجاتهم ، وذلك لأن بعضهم كان يحتقر المرأة ، وكان ينظر اليها على أنها سلعة ، أو على أنها جارية تباع وتشترى ، كأثر من آثار الجاهلية الذى يشير الله سبحانه وتعالى اليه فى قوله : **« واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم •• »**[١] الآية • فأراد النبى صلى الله عليه وسلم بقوله هذا ، أن يكون قدوة صالحة فى احترام الزوجة الصالحة ، فهو القائل صلوات الله وسلامه عليه : « الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة » •

ثم ان الاسلام لم يفرق بين الذكر وبين الأنثى فى نتائج الأعمال الصالحة •• قال تعالى : **« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »**[٢] فليلاحظ الأخ المسلم هذا ـ اهـ •

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يطوف على نسائه فى الليلة الواحدة ، وكان يقسم بينهن فى المبيت والايواء والنفقة ، وأما المحبة : فكان يقول : « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما لا أملك » :

وطلق وراجع وآلى ايلاء مؤقتا بشهر ، ولم يظاهر أبدا •

وكان مع أزواجه حسن المعاشرة وحسن الخلق وكان يسرب الى عائشة بنات الأنصار يلعبن معها ، واذا هويت شيئا لا محذور فيه

---

(١) النحل : ٥٨ (٢) النحل : ٩٧

تابعها عليـــه ، واذا شربت من الاناء أخذه فوضع فمه فى موضع فمها وشرب ، وكان يتكىء فى حجرها ويقرأ القرآن ورأسه فى حجرها ، وربما كانت حائضا ، وكان يأمرها وهي حائض فتتزر ثم يباشرها ، وكان يقبلها وهو صائم ، ويريها الحبشة وهم يلعبون فى مسجده وهى متكئة على منكبيه تنظر ، وسابقها فى السفر على الأقدام مرتين ، وتدافعا فى خروجهما من المنزل .

وكان اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه — أى أخذها معه فى سفره — وكان يقول : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » .

وكان ربما مد يده الى بعض نسائه فى حضرة باقيهن ، وكان اذا صلى العصر دار على نسائه فدنا منهن واستقرأ أحوالهن ، فاذا جاء الليل انقلب الى بيت صاحبة النوبة فخصها بالليل . قالت عائشة : كان لا يفضل بعضنا على بعض فى مكثه عندهن فى القسم ، وكان يقسم لثمان منهن دون التاسعة ، وهى « سودة » لـما كبرت وهبت نوبتها لعائشة ، وكان صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومها ويوم « سودة » .

وكان يأتى أهله آخر الليل وأوله ، واذا جامع أول الليل ، فربما اغتسل ونام وربما توضأ ونام . وكان يطوف على نسائه بغسل واحد ، وربما اغتسل عند كل واحدة .

وكان اذا سافر وقدم لم يطرق أهله ليلا وينهى عن ذلك .. اهـ .

* * *

فعلى الزوجين الصالحين أن يلاحظا هذا وينفذاه : حتى يدوم الحب والتعاون والتراحم والتعاطف .. بل والسكن بينهما .. كما يشير الى هذا قول الله تبارك وتعالى :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة .. »(١) .

* * *

وأن يلاحظا كذلك أنه لا مانع شرعا من وجود الخادم أو الخادمة فى المنزل ما دام هناك اليسر — الموافق لهذا — على أساس من الاحتياطات والتحفظات اللازمة شرعا ، والتى منها ، بل من أهمها : ما أشارت اليه الآية الكريمة :

---

(١) الروم : ٢١

« قل للمؤمنين يغضــوا من أبصــارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم ، ان الله خبير بما يصــنعون • وقل للمؤمنات يغضضن من أبصــارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهــر منهــا ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهــن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبنــاء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نســائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجــال أو الطفل الذين لم يظهــروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعــلم ما يخفين من زينتهن »[1] •

ففى الآية ٣١ ــ كما قرأت ــ ، وفى قوله تعــالى : **« ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن •• »** الــخ : توجيه يتضمن نهى النساء المؤمنــات عن كشف الزينــة الخفيــة ــ كزينة الأذن والشعر والعنق والصدر والساق ــ أمام الرجال الأجانب الذين رخص لها أمامهم فى ابداء الوجه والكفين **« ما ظهر منهــا »** •

وقد استثنى من هــذا النهى اثنا عشر صنفا من الناس ، وهم على الترتيب :

١ ــ بعولتهن : أى أزواجهن ، فللرجل أن يرى من زوجته ما يشاء ، وكذلك المرأة • وفى الحديث : « احفظ عورتك الا من زوجتك » •

٢ ــ آباؤهن : ويدخل فيهم الأجداد من قبل الأب والأم •

٣ ــ آباء أزواجهن : فقد أصبح لهم حكم الآباء بالنسبة اليهن •

٤ ــ أبناؤهن : ومثلهم أبناء ذريتهم من الذكور والاناث •

٥ ــ أبنــاء أزواجهن : لضرورة الاختلاط الحاصل ، ولأنها بمنزلة أمهم فى البيت[2] •

٦ ــ اخوانهن : سواء أكانوا أشقاء أو من الأب أو من الأم •

٧ ــ بنو اخوانهن : لمــا بين الرجل وعمته من حرمة أبدية •

٨ ــ بنو أخواتهن : لمــا بين الرجل وخالته من حرمة أبدية •

٩ ــ نساؤهن : أى النساء المتصلات بهن نسبا أو دينا • أما

---

(١) النور : ٣٠ ، ٣١

(٢) قال القرطبى : سوى بين المحارم فى ابداء الزينة ، ولكن تختلف مراتبهم بحسب ما فى نفوس البشر ، وتختلف مراتب ما يبدى لهم ، فيبدى للأب ما لا يجوز ابداؤه لوالد الزوج •

المرأة غير المسلمة فلا يجوز لها أن ترى من زينة المسلمة الا ما يراه الرجل — على الصحيح — .

١٠ — ما ملكت أيمانهن : أى عبيدهن وجواريهن لأن الاسلام جعلهم كأعضاء فى الأسرة . وخصه بعض الأئمة بالاماء دون الذكور .

١١ — التابعون غير أولى الاربة من الرجال : وهم الأجراء والأتباع الذين لا شهوة لهم فى النساء لسبب بدنى أو عقلى . المهم أن يتوافر هذان الوصفان : التبعية للبيت الذى يدخلون على نسائه ، وفقدان الشهوة الجنسية .

١٢ — الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء : وهم الصغار الذين لم يثر فى أنفسهم الشعور الجنسى ، فاذا لوحظ عليهم ظهور هذا الشعور لم يبح للمرأة أن تبدى أمامهم زينتها الخفية — وان كانوا دون البلوغ — . ولم تذكر الآية الأعمام والأخوال : لأنهم بمنزلة الآباء عرفا . وفى الحديث : « عم الرجل صنو أبيه » رواه مسلم .

* * *

وبعد ذلك يقول صاحب كتاب « الحلال والحرام فى الاسلام »[1] ، معلقا تحت عنوان :

عورة النساء

ومما تقدم نعلم أن كل ما لا يجوز للمرأة ابداؤه من جسدها : فهو عورة يجب سترها ، ويحرم كشفها .

فعورتها بالنسبة للرجال الأجانب عنها ، وكذلك النساء غير المسلمات : جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين ، على ما اخترناه ، اذ أبيح كشفهما — كما قال الرازى — للحاجة فى المعاملة والأخذ والعطاء ، فأمرن بستر ما لا تؤدى الضرورة الى كشفه ، ورخص لهن فى كشف ما اعتيد كشفه ، وأدت الضرورة الى اظهاره ، اذ كانت شرائع الاسلام حنيفية سمحة . قال الرازى : ولما كان ظهور الوجه والكفين كالضرورى ، لا جرم اتفقوا على أنهما ليسا بعورة . أما القدم : فليس ظهورها بضرورى ، فلا جرم اختلفوا ، هل هى عورة أم لا ؟ (تفسير الفخر الرازى ج ٢٣ ص ٢٠٥ — ٢٠٦) .

وعورتها بالنسبة للأصناف الاثنى عشر المذكورين فى آية النور تتحدد فيما عدا مواضع الزينة الباطنة من مثل الأذن والعنق والشعر

---

(١) وهو الدكتور يوسف القرضاوى — أكرمه الله .

والصدر والذراعين والساقين ، فان ابداء هــذه الزينــة لهؤلاء الأصناف قد أباحته الآية •

وما عدا ذلك من مثل الظهر والبطن والسوأتين والفخذين ، فلا يجوز ابداؤه لامرأة أو لرجل الا للزوج •

وهذا الذى يفهم من الآية أقرب مما ذهب اليه بعض الأئمــة ، أن عورة المرأة بالنظر الى المحارم ما بين السرة والركبة فقط • وكذلك عورتها بالنسبة الى المرأة ، بل الذى تدل عليه الآية أدنى الى ما قاله بعض العلماء : ان عورتها للمحرم ما لا يبدو منها عند المهنة • فما كان يبدو منها عند عملها فى البيت عادة فللمحارم أن ينظروا اليه •

ولهذا أمر الله نساء المؤمنين أن يستترن عند خروجهن بجلبــاب سابغ كاس ، يتميزن به عمن سواهن من الكافرات والفاجرات ، وفى هــذا أمر الله نبيه أن يؤذن فى الأمة بهذا البلاغ الالهى العام :

« يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين »[1] •

والجلابيب : جمع جلباب ، وهو ثوب واسع كالملاءة تستتر به المــرأة •

وكان بعض نساء الجاهلية اذا خرجن من بيوتهن كشفن عن بعــض محاسنهن ، من مثل النحر والعنق والشعر ، فيتبعهن الفساق والعابثون : فنزلت الآية الكريمة تأمر المرأة المؤمنة بارخاء بعض جلبابها عليــها ، حتى لا ينكشف شيء من تلك المفاتن من جســدها ، وبهذا يعرف من مظهرها أنها عفيفة مؤمنة ، فلا يتعرض لها ماجن أو منافق بايذاء ••



فعلى الزوجين الصالحين أن يلاحظا هذا ، حتى ينفذا أمر الله تعالى على أساس من المعرفة والشرع القويم •

مع ملاحظة : أنه اذا لم يكن الخادم أو الخادمة من العبيــــد والجوارى ، أو من التابعين غير أولى الاربة من الرجال ، أو من الطفل الذين لم يظهروا على عورات النســاء •• الــخ : فانه لا يجوز أن ينظر الخادم الى الزينة الخفيــة • فضلا عن الخلوة بها ، أو النظر الى

---

(١) الأحزاب : ٥٩

ما هو أكبر من هـذا .. وكذلك لا يجوز للزوج أن يخلو بخادمة تشتهى[1] .. لأن هـذا منهى عنه شرعا :

فعن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « اياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحم ؟ قال : الحم الموت » رواه البخارى ومسلم .

والحم : قريب الزوج كأبيه وأخيه وعمه ، فاذا كان قريب الزوج موتا وهلاكا للمرأة فكيف بالأجنبى عنها .

وعن ابن عباس رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يخلون أحدكم بامرأة الا مع ذى محرم » رواه البخارى ومسلم .

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط[2] من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له » . رواه الطبرانى والبيهقى ورجاله رجال الصحيح .

* * *

وأيضا أحب أن أذكر الزوجين الصالحين ببعض الأحاديث الصحيحة المتعلقة بالخادم ذكرا كان أم أنثى حتى يلاحظاها فى تعاملهما مع هذا الخادم الذى أرجو أن يعامل معاملة حسنة ترضى الله ورسوله :

فقد قرأت فى : « الأدب المفرد ـ للبخارى » ، ما نصه :

حدثنا محمد بن سلام ، قال : أخبرنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن ابراهيم التيمى ، عن أبيه ، عن أبى مسعود ، قال : كنت أضرب غلاما لى فسمعت من خلفى صوتا[3] : « اعلم أبا مسعود .. لله[4] أقدر منك عليه » فالتفت فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : يا رسول الله .. فهو حر لوجه الله ، فقال : « أما انه لو لم تفعل لمستك النار » أو « للفحتك النار » .

---

(١) وقد يحدث هذا كثيرا أثناء غياب الزوجة عن بيتها ووجود الزوج وحده فيه مع وجود الخادمة .. التى قد تكون هى الأخرى عرضة لهذا الابتلاء ..

(٢) المخيط بكسر الميم وفتح الياء : ما يخاط به كالابرة والمسلة .

(٣) لم يعرف الصوت لأجل الغضب أو لاشتغاله بالضرب .

(٤) لله بفتح اللام : لام التوكيد : أى أن قدرة الله عليك أعظم من قدرتك عليه .

وحدثنا خالد بن مخلد ، قال : حدثنا سليمان بن بلال ، قـال : حدثنى محمد بن عجلان ، قال : أخبرنى أبى سعيد ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليـه وسلم ، قال : « اذا ضرب أحدكم خادمه ، فليجتنب الوجه » .

وحدثنا محمد بن يوسف وقبيصة ، قال : حدثنا سفيان ، عن حبيب ابن أبى ثابت ، عن ميمون بن أبى شبيب ، عن عمار بن ياسر ، قال : لا يضرب أحد عبدا له وهو ظالم له ، الا أقيد منه[1] يوم القيامة .

وحدثنا أبو عمر حفص بن عمر ، قال : حدثنا شعبة قال : حدثنى أبو جعفر ، قال : سمعت أبا ليلى ، قال : خرج سلمان فاذا علف دابته يتساقط من الآرى[2] ، فقال لخادمه : لولا أنى أخاف القصـاص[3] لأوجعتـك[4] .

وحدثنا آدم ، قال : حدثنا شعبة ، قال : حدثنا واصل الأحدب ، قال : سمعت المعرور بن سويد ، يقول : رأيت أبا ذر وعليـه حلة ، وعلى غلامه حلة . فسألناه عن ذلك ، فقال : انى ساببت رجلا ، فشكانى الى النبى صلى الله عليـه وسلم ، فقال لى النبى صلى الله عليـه وسلم : « أعيرته[5] بأمه ؟ قلت : نعم . ثم قال : ان اخوانكم[6] خولكم[7] . جعلهم الله تحت أيديكم . فمن كان أخوه تحت يديـه فليطعمه مما يأكل ، وليلبسـه مما يلبس ، ولا تكلفوهم[8] ما يغلبهم[9] ، فان كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم » .

ففى هـذا الحديث : النهى عن سب الرقيق وتعييرهم ، والحث

---

(١) أقيد منه ، اى : أخذ منه القود .

(٢) الآرى بمد الهمزة وراء مكسورة وتشديد الياء : مربط الدواب أو معلفها .

(٣) القصاص : أى فى الآخرة .

(٤) أى ضربتك ضربا وجيعا .

(٥) قال له يا ابن السوداء .. وأعيرته بأمه : الاستفهام للتوبيخ .

(٦) قدم الأخوة لأنها هى الأصل من جهة آدم أو من جهة الاسلام أو من الجهتين ، والعبدية طارئة وهى فى معرض الزوال .

(٧) الخول جمع خولى وهو الراعى الحسن القيام على المـال ..

(٨) كلفه الشىء اذا أمره بما يشق عليه .

(٩) أى الأعمال التى تصير قدرتهم فيها مغلوبة ، أو لا يطيق الدوام عليـها .

على الأحسان اليهم والرفق بهم ، فاذا كان ذلك فى الرقيق فبالأولى الأجير وغيره ، وفيه ترك الترفع على المسلم والاحتقار له .

* * *

فليذكر الأخ المسلم هذا ، وليذكر كذلك ، قول أنس رضى الله عنه :

خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين . والله ما قال لى : أف قط ، ولا قال لشىء لم فعلت كذا ؟ وهلا فعلت كذا ؟ . رواه مسلم .

* * *

هذا .. واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد أوصى ابنته الزهراء رضى الله عنها فى نهاية الوصية بقوله : « واذا أخذت مضجعك : فسبحى ثلاثا وثلاثين ، واحمدى ثلاثا وثلاثين ، وكبرى أربعا وثلاثين ، فتلك مائة » : ثم قال بعد ذلك : « فهو خير لك من خادم » : ثم كان جواب الابنة المؤمنة البارة ، هو : رضيت عن الله ورسوله :

فان تعليقى على كل هذا اجمالا ، هو : أن النبى صلى الله عليه وسلم :

أولا : بعد أن أوصاها بتقوى الله ، وأداء فرائضه ، والقيام بشئون البيت : أراد أن ينبه ابنته الى خير يجب عليها أن تغتنمه ، وهو أن تختم يومها بخير .. وأن تنام على هذا الخير .. الذى هو التسبيح ، والتحميد ، والتكبير « مائة » .. ثم أخبرها بأن هذا : خير لها من خادم .. وهذا التحديد ، بكلمة « خادم » معناه أن النبى صلى الله عليه وسلم يريد أن يقول لها : ان ما أوصيتك به .. خير لك من الخادم الذى تطلبينه .. والا فان تسبيحة .. أو تهليلة .. أو تحميدة .. أو تكبيرة واحدة : خير من الدنيا وما فيها ـ كما علمنا قبل ذلك فى قصة سيدنا سليمان عليه السلام ـ .

وثانيا : اذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أوصاها ، بهذا قبل أن تنام ، وبعد أن قامت طوال اليوم بشئون بيتها : فانه بهذا كذلك قد أراد أن ينفض عنها متاعب اليوم بذكر الله تعالى الذى به تطمئن القلوب ، والذى بسببه سيذكرها الله تبارك وتعالى فى الملأ الأعلى ، وستكون فى حفظ الله تعالى ورعايته الى أن تستيقظ من نومها

على خير ان شاء الله تعالى ما دامت قد نامت على ذكره ، وشـكره ، وحسن عبادته •

وثالثـا : اذا كانت السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها ـ كما جاء في نص الوصية ـ قد قالت للرسول صـلي الله عليه وسلم بعد ذلك : رضيت عن الله ورسوله :

فتلك اجابة طبيعية لها •• لأنها : من آل بيت النبوة ، وزوجة الصحابى البطل التقى النقى على كرم الله وجهه ، ووالدة سبطى الرسول صلى الله عليـه وسلم الحسن والحسين •• وزينب البتول رضى الله عنهم أجمعين ، هـذا بالاضافة الى أنها ـ كما هو معلوم عنها ـ من أوائل الحريصين على الفوز بثواب الله الذى لن يكون الا بالرضا عن الله ورسوله •



ثم اذا كان الرسول صلى الله عليـه وسلم بعد كل هـذا ، لم يخدمها ـ أي لم يعطها خادما ـ كما جاء فى نص الرواية الزائدة :

فقد قرأت فى ذلك سـببا من أهم الأسباب الذى أرى أنه من الخير كذلك أن تقف عليـه :

وهو أن فاطمة رضى الله عنها ، عندما ذهبت الى أبيها صـلوات الله وسلامه عليـه •• تقول له : ألا ترى أثر الرحي بيدي ؟ •• كانت قد علمت أن النبى صلى الله عليـه وسلم كان قد أتى بثلاثة من السبى فأعطى •• وبقى واحد •• فطلبته منه لتستعين به على مهام أمورها ، وتتعاون معه فى تدبير بيتها •• فنظر الرسول صـلى الله عليه وسلم اليها نظرة تحمل كل معانى الرحمة والشـفقة •• ولكن ماذا يفعل •• لقد تذكر وعدا كان قد وعده لأبى الهيثم بن التيهان ، وهو أن يعطيـه خادما •• ولهذا جعل يقول لها : « كيف وعدى لأبى الهيثم » •• وفعلا آثره بالخادم برا بقوله ، ووفاءا بوعده ، مع معرفته بشدة حاجة ابنته اليه • فقد رأى ـ كما علمنا ـ أثر الرحى بيدها الكريمة •• « فما أكرمك يا رسول الله ؟ •• انه الايثار بلغ المرتبة العليـا ، وجاوز موطن الثريا • وفاق بر الأولين والآخرين » :

بل انه الدرس الكبير الذى لابد أن نتعلمه من أستاذ البشرية جمعاء •• حتى لا نؤثر أولادنا على مصالح الآخرين ما دمنا قد التزمنا بها ، وأخذنا عهدا على أنفسنا بانجازها والوفاء بها •• حتى نلقن أبناءنا

من خلال ذلك درسا ايجابيا ينفعهم فى حياتهم ، حتى يكونوا كذلك من الأوفيـاء .

لأنه كما يقول الشاعر :

وينشأ ناشىء الفتيـان منا   على ما كان عـوده أبـوه

وعندما سنعود أبناءنا على الوفاء وحب الخير بصفة عامة : فاننا بهذا سنؤكد حبنا لهم ، وحرصنا عليهم .. والله ولى التوفيق .



الجزء السابع عشر

الوصية الثانية والخمسون

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قلت يا رسول الله .. انى اذا رأيتك طابت نفسى ، وقرت عينى : أنبئنى عن كل شىء . قال : « كل شىء خلق من المــاء » .

فقلت : أخبرنى بشىء اذا عملته دخلت الجنة .

قــال : **« أطعم الطعــام ، وأفش السلام ، وصـــل الأرحام ، وصـــل بالليـــل والناس نيــام : تدخل الجنــة بســلام » ..**

(رواه أحمد وابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد ، وابن حبان فى صحيحه واللفظ له ، والحاكم وصححه) .



فكن أخا الاســلام :

متصورا معى هــذا المشهد الروحى العظيم الذى لابد وأن نتصوره ونستفيد به ونتعلم منه الحب الصادق : كأحباب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو مشهد أبى هريرة رضى الله عنه ، وهو يقف بين يدى أستاذه وحبيبه ومثله الأعلى صلوات الله وسلامه عليــه قائلا له : يا رســول الله .. انى اذا رأيتك طابت نفسى ــ أى : رضيت واطمأنت واستراحت لرؤيتك ــ ، وقرت عينى ــ أى شعرت بالبرودة[1] .

ان مشهدا كهذا ــ كما قلت ــ لابد وأن نتخيل أبعاده ، حتى نعرف كيف كان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يحبونه .. لدرجة أن أحدهم وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه كان يقول معبرا عن هــذا الحب المنقطع النظير :

---

(١) قال فى مختار الصحاح : « قرت » عينه تقر بكسر القاف وفتحها ضد سخنت .. فللسرور دمعة باردة .. بعكس الحزن .

مرض الحبيب فعدته فمرضت من أسفى عليه
شفى الحبيب فزارني فشفيت من نظري اليه

وكان النبى صلى الله عليه وسلم – كما يشير الصديق فى هذين البيتين – قد مرض ، فلما زاره الصديق مرض هو الآخر من شدة حزنه عليه صلى الله عليه وسلم ، ثم عندما شفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب لزيارة أبى بكر ، فلما رآه الصديق فرح بشفائه وشفى هو الآخر .

وكان أبو هريرة رضى الله عنه كذلك :

ففى يوم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الدرة ليضربه بها ، فقال أبو هريرة : « لأن يكون ضربني بها أحب الى من حمر النعم ، ذلك بأنى أرجو أن أكون مؤمنا ، وأن يستجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته »[1] .

وبينما كان المسلمون يحملون اللبن[2] ، الى بناء المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ، رآه أبو هريرة وهو عارض لبنة على بطنه ، فظن أنها شقت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستقبله ، قائلا : ناولنيها يا رسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « خذ غيرها يا أبا هريرة ، فانه لا عيش الا عيش الآخرة »[3] .

وكان يحب من أحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد لقى أبو هريرة الحسن بن على رضى الله عنهما ، فقال له : أرنى أقبل منك حيث رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ، فرفع القميص ، وقبل سرته[4] .

وقد كان أبو هريرة يشعر بالسعادة تخالط نفسه ، وبالايمان يملأ قلبه لملازمته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان كثيرا ما يشكر الله تعالى على هذه النعمة ، فيقول : « الحمد لله الذى هدى أبا هريرة

---

(١) البداية والنهاية : ٨ / ١٠٥ (٢) أى طوب اللبن .
(٣) مجمع الزوائد ص ٩ ج ٢ ، ورواه الامام أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .
(٤) مسند الامام أحمد ١٣ / ١٩٥ رقم ٧٤٥٥ وفيه : « فقال بالقميصة : يعنى رفع القميصة » .

للاسلام ، الحمد لله الذي علم أبا هريرة القرآن ، الحمد لله الذى من على أبى هريرة بمحمد صلى الله عليه وسلم »[١] .

وكان أبو هريرة ، يقول : ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، كأن الشمس تجرى فى وجهه[٢] :

وكان يصرح بهذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويؤكد له سروره وفرحه بحضور مجالسه صلى الله عليه وسلم :

كما جاء فى نص هـذا الحديث العظيم الذى ندور حوله ، وهو :

« قلت : يا رسول الله .. انى اذا رأيتك طابت نفسى ، وقرت عينى ، فأنبئنى عن كل شىء ؟ فقال : كل شىء خلق من المـاء ، فقلت : أخبرنى بشىء اذا عملته دخلت الجنـة ، قال : أطعم الطعام ، وأفش السلام ، وصل الأرحام ، وصل بالليل والناس نيـام : تدخل الجنة بسلام » .

* * *

ففى هـذا الحديث أجاب الرسول صلى الله عليه وسـلم على سؤال وجهه اليه أبو هريرة ، وهو : أنبئنى عن كل شىء ؟ فكان الجواب هو : « كل شىء خلق من المـاء » :

والى هـذا يشير الله سبحانه وتعالى فى قوله : **« وجعلنـا من المـاء كل شىء حى »**[٣] .

وقد أشار القرطبى فى تفسيره لهذه الآية الى ثلاث تأويلات :

أحدها : أنه خلق كل شىء من المـاء ، قاله قتادة .

الثانى : حفظ حياة كل شىء بالمـاء .

الثالث : وجعلنا من ماء الصلب كل شىء حى ، قاله قطرب .

« وجعلنـا » بمعنى : خلقنـا .

ثم ذكر القرطبى بعد ذلك الحديث الذى ندور حوله مسـتدلا به على تأكيد هـذا المعنى المشـار اليه فى الآية ، وهو : « كل شىء خلق من المـاء » ..

وقيـل : ــ كما ذكر أيضا ــ الكل قد يذكر بمعنى البعض كقوله : **« .. وأوتيت من كل شىء .. »**[٤] .

---

(١) تاريخ ابن عساكر ص ٥١١ ج ٤٧

(٢) اخرجه الترمذى فى المناقب .

(٣) الأنبياء : ٣٠ (٤) النمل : ٢٣

ولكي نفهم المراد من هــذه الآية •• لابد وأن نقرأ أولها ، وهو :
« أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ، وجعلنا من المــاء كل شيء حي ، أفلا يؤمنون »[١] •

والخلاصة ، هي ما أشار اليه القرطبي في قول ثالث ، قاله عكرمة وعطية وابن زيد وابن عباس أيضا فيما ذكر المهدوي :

ان السموات كانت رتقا لا تمطر ، والأرض كانت رتقا لا تنبت ، ففتق ــ سبحانه ــ السماء بالمطر ، والأرض بالنبات ، نظيره قوله عز وجــل : **« والسماء ذات الرجع • والأرض ذات الصدع »**[٢] • واختار هذا القول الطبري ، لأن بعده : **« وجعلنــا من المــاء كل شيء حي ، أفلا يؤمنون »** • ثم يقــول القرطبي : قلت : وبه يقع الاعتبار مشاهدة ومعاينة ، ولذلك أخبر بذلك في غير ما آية ، ليدل على كمــال قدرته ، وعلى البعث والجزاء • وقيل :

يهــون عليهم اذا يغضــبو ... ن سخط العــداة وارغامها
ورتق الفتوق وفتــق الرتو ... ق ونقض الأمور وابرامهــا

* * *

وعلى هــذا ، فاننا نستطيع من خلال تلك الاجابة الوقوف على قدرة الخالق سبحانه وتعالى وسر عظمته في هــذا المــاء الذي جعل منه ــ سبحانه ــ كل شيء حي •

وحسب الانسان بالذات اذا أراد تأكيدا لهذا ، أن يذكر أنه خلق من المــاء ، كما يشير الى هــذا ، قول الله تعالى :

« فلينظر الانسان مم خلق • خلق من ماء دافق • يخرج من بين الصلب والترائب »[٣] •

وحسبه أن يعلم كذلك أنه لولا المــاء لمــا كان هناك نبات •• كما يشير الى هذا قوله تعــالى :

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ، ان الله لطيف خبير »[٤] •

وقولــه : **« الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من الســماء مــاء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وســخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ، وسخر لكم الأنهــار • وسخر لكم الشمس والقمر دائبين ،**

---

(١) الأنبياء : ٣٠
(٢) الطارق : ١١ ، ١٢
(٣) الطارق : ٥ ــ ٧
(٤) الحج : ٦٣

وسخر لكم الليل والنهار ⋅ وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ان الانسان لظلوم كفار »[1] .

* * *

ولهـذا ⋅⋅ فانني أرى وباختصار أن نقرأ قصيدة للأستاذ الفاضل الشيخ الصاوى على شعلان رحمه الله تعالى ، تحت عنوان :

من دلائل قدرة الله

نشر الصـبح على الدنيـا سـناه
وسقى الروض رحيقـا من نـداه
واكتسى الروض من النـور حـلاه
النـدى من فيض من ؟ !   والضحى من نـور من ؟ !

□ □

أقبلت فى بسـمة الفجر الطيـور
تسكب الألحان عطـرا فى الزهـور
تصـنع العش وتسـعى فى البكور
عيشـها فى رزق من ؟ !   وهى أيضا صـنع من ؟ !

□ □

حـوت الأرض أفانـين الشـجر
بين ألـوان وطـول وقصـر
وغصـون مورقـات وثمـر
منبت الأشـجار من ؟ !   راسـم الألـوان من ؟ !

□ □

وترى الشـمس عروس المشرق
وجمـال البـدر عنـد الأفـق
سـابحا فى الطيلسـان الأزرق
الدرارى صـنع من ؟ !   والسـموات لمـن ؟ !

□ □

---

(١) ابراهيم : ٣٢ — ٣٤

داعب النحـل من الزهر شـذاه
وأحـال الورد شـهدا فى رباه
وبنـت هندسـة النمـل قـراه
مرشـد النحـلة من ؟ ! ملهـم النملـة من ؟ !

□ □

الجنـين استقبل الرزق الجـديد
وتوالى وهو فى المهـد السـعيد
قبـل أن تنبت أسـنان الوليـد
أطعمتـه يـد من ؟ ! صـورته يـد من ؟ !

□ □

لم يا مخلوق آثرت الجحـود ؟ !
كنت معدوما فمن أين الوجود ؟ !
أهى الصـدفة أم رب ودود
قبـله فى الكـون من ؟ ! بعـده فى المـلك من ؟ !

□ □

لو تناهيتـم الى سـر الحيـاة
وصـنعتم كائنـا حيـا نـراه
لـم نزد الا يقينـا بالالـه

* * *

بل وحسب الأخ المسلم كذلك أن يقرأ هـذا الحديث :

عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليـه وسلم ، قال : « مثـل ما بعثنى الله به من الهدى[١] والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضـا فكان منها نقيـة[٢] قبلت المـاء فأنبتت الكلأ[٣] والعشب[٤] الكثير وكانت منها[٥] أجادب أمسكت المـاءفنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها[٦] طائفة أخرى ، انما هى قيعان[٧] لا تمسـك

---

(١) بيان لمـا بعثنى وهو الشريعة .

(٢) أى أرض طيبة . (٣) النبات رطبا ويابسا .

(٤) أى النبات الرطب .

(٥) من الأرض أجادب : جمع جدب كحدب وهى البقعة التى لا تشرب ماء ولا تنبت نباتا . (٦) اى الأرض .

(٧) جمع قاع وهو الأرض المستوية .

ماء ولا تنبت كلأ فذلك[1] مثل من فقه[2] فى دين الله ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا[3] ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به »[4] رواه الشيخان .

ففى هـذا الحديث تشبيه للعلم بالمطر بجامع أن كلا منهما فيـه حياة ، ففى العلم حياة القلوب والأرواح ، وبالمـاء حياة الأراضى والنفوس ، وقد شبه الناس بالأرض .. لأن بعضها طيب يصيبه المطر فيفيض على الناس أنواع النبات والزروع ومن كل الثمرات ، وبعض الأرض يمسك المـاء فينتفع به العباد شربا وسقيا ، ومن الأرض بقـاع لا خير فيها فلا تنبت شيئا ولا تمسك ماء ، والناس كذلك ، فمنهم من تعلم العلم فعمل به ونفع العباد ، ومنهم من ليس كذلك .. والمراد به حث العلماء على أن يكونوا كالأرض الطيبة فينفعوا الناس فيحبهم الله ، فأحب العباد الى الله أنفعهم لعباده .. اهـ[5] .

* * *

فلتكن أخا الاسلام كالمـاء الذى خلق الله تعالى منه كل شىء حى .

وذلك بطلب العلم النافع .. لأن العلم هو الحياة الحقيقية .. ولأن العلمـاء هم الأحياء الحقيقيون .

والى هذا يشير الشاعر فى قوله :

النـاس موتـى وأهـل العلم أحيـاء

* * *

ولتكن كذلك كالأرض الطيبة التى انتفعت بالمـاء الطيب .. حتى تكون حياة للقلوب والأرواح بما أوتيت من علم نافع :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليـه وسلم ، قال : « من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » رواه مسلم وأبو داوود والترمذى .

---

(١) أى التقسيم أقسام الأرض .

(٢) بضم ثانيه صار فقيها .

(٣) لتكبره وعدم التفاته اليه .

(٤) هو الشريعة لم ينتفع بها الا بالاسلام ، أو المراد لم يدخل فى الدين ، فالحديث شبه العلم بالمطر .

(٥) تعليق على الحديث بتصرف من التاج الجامع للأصول .

وعن أبى أمامة الباهلى ، قال : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان : أحدهما عابد ، والآخر عالم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم » . ثم قال صلى الله عليه وسلم : « ان الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير »[١] :

كمعلم القرآن ، والحديث والفقه ، ومن يرشد الناس الى طاعة الله ، ولا رتبة أعلى من رتبة من يرحمه الله وتدعو له العباد .

وعن عثمان عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء »[٢] .

وقد أعجبنى تعليق على هذا الحديث الأخير فى « التاج الجامع للأصول » ، جاء فيه ما نصه :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة اذا قعد على كرسيه لفصل عباده : انى لم أجعل علمى وحلمى فيكم الا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالى »[٣] وفى رواية :

« يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول : يا معشر العلماء انى لم أضع علمى فيكم لأعذبكم ، اذهبوا فقد غفرت لكم »[٤] .

وفى رواية : « أفضل العبادة الفقه ، وأفضل الدين الورع »[٥] .

وهو أخذ الحلال الخالص وترك ما فيه شبهة .

وفى رواية : « اذا جاء الموت لطالب العلم وهو على هذه الحالة : مات وهو شهيد »[٦] .

وفى أخرى : « من جاءه أجله وهو يطلب العلم لم يكن بينه وبين النبيين الا درجة النبوة »[٧] .

وفى رواية : « ان مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم يهتدى بها

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه ابن ماجه بسند حسن .

(٣) رواه الطبرانى .

(٤) رواه الطبرانى .

(٥) رواه الطبرانى .

(٦) رواه الطبرانى .

(٧) رواه الطبرانى .

فى ظلمات البر والبحر ، فاذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة »[١] •

وفى رواية : « يبعث العالم والعابد ، فيقال للعابد :ادخل الجنة ، ويقال للعالم : اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم »[٢] •

ثم يقول : وقد اختلف العقل والعلم ، فقال العقل : أنا أفضل لأن الله عرف بى ، وقال العلم : أنا أفضل لأن الله اتصف بى فى الكتاب •• فوافقه العقل واعترف له بالفضل • ونظم بعضهم ذلك فقال :

علم العليم وعقل العاقل اختلفا
من ذا الذى منهما قد أحرز الشرفا
فالعلم قال أنا أحرزت غايته
والعقل قال أنا الرحمن بى عرفا
فأفصح العلم افصاحا وقال له
بأينا الله فى قرآنه اتصفا
فبان للعقل أن العلم سيده
فقبل العقل رأس العلم وانصرفا

* * *

ثم بعد ذلك يتحدث عن حكم تعلم العلم ، فيقول :

اعلم وفقنى الله واياك : أن العلم فرض عين على كل مكلف لقوله تعالى : **« فاعلم أنه لا اله الا الله »**[٣] :

أى اعتقد أنه لا معبود بحق الا الله ، واعرف أسماءه وصفاته التى وردت فى الكتاب والسنة ، وهذا كاف فى أصل المعرفة ، وأما كمالها فلابد فيه من الدليل العقلى لأنه هو الذى يفيد المعرفة اليقينية الثابتة ، وبسط ذلك فى علم التوحيد ، ولقوله تعالى : **« •• فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون »**[٤] •

ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وواضع العلم عند غير أهله : كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب » •

---

(١) رواه الامام أحمد • (٢) رواه البيهقى •
(٣) محمد : ١٩ (٤) التوبة : ١٢٢

ولقوله صلى الله عليه وسلم : « تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والوقار ، وتواضعوا لمن تعلمون منه » .

* * *

وتذكر فى نهاية هذا العنصر الحيوى الهام ، قول على كرم الله وجهه :

« من أمضى يومه فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد بناه ، أو حمد حصله ، أو علم اقتبسه : فقد عق يومه وظلم نفسه » .

* * *

هذا .. واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد أنبأ أبا هريرة بكل شىء ـ كما عرفنا ـ :

فقد أخبره بعد ذلك ـ كما طلب منه كذلك ـ بالعمل الذى ان عمله دخل الجنة ، وهو ، كما جاء فى نص الوصية :

اطعام الطعام

وهو خصلة من خصال المؤمنين الصادقين ، بل هو حق من حقوق الزائر على أخيه المؤمن :

فعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، قال : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ألم أخبر أنك تقوم الليل ، وتصوم النهار ؟ [1] قلت : بلى . قال : فلا تفعل ، قم ونم وصم وأفطر [2] ، فان لجسدك عليك حقا [3] ، وان لعينك حقا [4] ، وان لزورك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا » [5] .. الحديث رواه البخارى واللفظ له ، ومسلم وغيرهما .

وقوله : « وان لزورك عليك حقا » :

أى : وان لزوارك وأضيافك عليك حقا ، يقال للزائر : زور بفتح الزاى سواء فيه الواحد والجمع .

---

(١) وهذا استفهام فيه رائحة الانكار على عبد الله بن عمرو فيما جنح اليه من الغلو .

(٢) اى لا تدم على القيام والصيام ، بل قم بعض الليل ونم بعضه .

(٣) فلا يجوز أن تعذبه وتشق عليه بادامة السهر والجوع .

(٤) فأعطهما حقهما من النوم والهجوع فان مداومة السهر تصيبهما بالضعف والكلال .

(٥) ولاشك أن مداومة السهر والجوع تضعف الانسان عن القيام بحق زوجته فى الاتصال الجنسى وهو حق لها عليه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » رواه البخارى ومسلم •



ولقد كان سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام يسمى : « أبو الضيفان » • وقد قرأت أنه سئل : لم اختارك الله خليلا ؟ فقال : « لثلاث •• ما خيرت بين أمرين الا اخترت الذى لله على غيره ؛ الثانى : ما اهتممت بشىء ضمنه الله لى من أمر رزقى ، الثالث : ما تغديت ولا تعشيت الا مع الضيف » •

وحول هذا ، فقد قرأت : أن ابراهيم عليه السلام أول من أضاف الضيف ، وأول من ثرد الثريد ، وأطعم الطعام •

ويروى أن الله أوحى الى ابراهيم : يا ابراهيم •• انك لما سلمت مالك الى الضيفان ، وابنك الى القربان ، ونفسك الى النيران ، وقلبك الى الرحمن : اتخذناك خليلا •

ومن مواقف ابراهيم عليه السلام فى اكرام الضيف : أنه رأى ثلاثة رجال فى البرية ، فاستقبلهم ورحب بهم كما هى عادته ، فمالوا اليه ، فصنع لهم طعاما ، وذبح لهم عجلا سمينا وسواه على النار ، وقدمه اليهم حنيذا[1] قد أثرت فيه النار وجعلت لونه الحمرة • ودعاهم الى تناول طعامه ، فلم تمتد أيديهم اليه ، فارتاب فى أمرهم ، وأوجس فى نفسه خيفة منهم وخاطبهم فى ذلك **« قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط »**[2] ، فعلم أنهم ملائكة ، جاءوا لأمر خاص بنبى الله لوط وقومه •



ومن أجمل ما قرأت ، فى كرم سيدنا ابراهيم عليه السلام :

أن مجوسيا أراد طعاما من ابراهيم عليه السلام ، فقال له : ان آمنت بى أطعمتك •• فتركه المجوسى وانصرف ، حرصا على دينه •• فأوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام : لم لم تطعمه الا بتغيير

---

(١) قال فى مختار الصحاح : حنذ الشاة أى شواها وجعل فوقها حجارة محماة لتنضجها فهى حنيذ .

(٢) هود : ٧٠ .

دينه ، ونحن نطعمه سبعين عاما على كفره ، ماذا عليك لو أطعمته ليلة ؟ •• فأخذ ابراهيم يعدو خلفه ، ويدعوه للضيافة • فقال له المجوسى : لن أرجع معك الا بعد أن تخبرنى عن السبب فى اسراعك خلفى بعد أن رفضت اطعامى ؟ •• فأخبره سيدنا ابراهيم •• فاتعظ المجوسى ثم ندم •• وهو يقول : يا سبحان الله ، أهكذا يعاملنى ربى ، وأنا أعبد سواه •• ثم تاب وآمن وصدق فى ايمانه •



ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم ، أقوى الناس ايمانا بالله : لذلك كان أسخاهم بمال الله ، وأعطفهم على المعوزين من عباد الله ، اذ كانت ثقته بما فى يد الله أشد من ثقته بما فى يده ، فلا بدع ان كانت كفه أجرى بالخير من الريح المرسلة :

فما عرف عنه صلى الله عليه وسلم أنه رد سائلا ، فان لم يجد وجدا — أى غنا — وعد ولم يرد ، وانتظر ما يفتح الله تعالى به •

وقد حمل اليه تسعون ألف درهم ، فوضعها على حصـير ، ثم قام اليها فقسمها ، فما رد سائلا حتى فرغ منها •

وجاءه رجل فسأله ، فقال : « ما عندى شىء ولكن ابتع على ، فاذا جاء شىء قضيناه ، فقال عمر : يا رسول الله •• ما كلفك الله ما لا تقدر عليـه ! فكره النبى صلى الله عليـه وسلم ذلك ، فقال رجل : أنفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا ، فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وظهر السرور فى وجهه » •

ولما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه ، الى شجرة فخطفت رداءه ، فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : « أعطونى ردائى ، لو كان لى عدد هـذه العضاة نعما لقسمتها بينكم ، ثم لا تجدونى بخيلا ، ولا كذابا ، ولا جبانا » •

وقال صفوان بن أمية : « لقد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطانى ، وانه لمن أبغض الناس الى ، فما برح يعطينى حتى انه لأحب الناس الى ، انى أشهد ما طابت بهذا الا نفس نبى »[1] •

---

(١) انما اعطاه النبى صلى الله عليه وسلم هذا العطاء الكثير ، لانه علم أن داءه لا يزول الا بهذا الدواء ، فعالجه به حتى برىء من داء الكفر وأسلم .

وجاء فى صحيح البخارى أنه صلى الله عليه وسلم أتى بمال من البحرين ، فقال : « أنثروه » — وكان أكثر مال أتى به اليه — فخرج صلى الله عليــه وسلم الى المسجد ولم يلتفت اليه .. فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه ، فما كان يرى أحداً الا أعطاه ، وما قام عليــه الصلاة والسلام وثم منها درهم(١) .

وأتته امرأة ببردة ، فقالت : يا رسول الله .. أكسوك هذه . فأخذها صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فلبسها ، فرآها عليه رجل من الصحابة ، فقال : يا رسول الله .. ما أحسن هذه !! فأكسنيها ، فقال : نعم ، فلما قام عليه الصلاة والسلام : لام الصحابة هــذا السائل قائلين له : تعرف أن النبى صلى الله عليه وسلم محتاج اليها ، وأنه لا يسئل عن شىء فيمنعه ؟ .

وقد شكت اليه ابنته فاطمة رضى الله عنها ما تلقى من خدمة البيت ، وطلبت منه خادما يكفيها مؤونة البيت ، فأمرها صلى الله عليه وسلم أن تستعين بالتسبيح ، والتحميد ، وقال : « لا .. أعطيك وأدع أهل الصفة طوى بطونهم من الجوع » ؟

وجاء رجل اليه صلى الله عليه وسلم يسأله ، فقال : « سيرزقك الله . ثم جاء آخر ، ثم جاء آخر . فقال لهم : اجلسوا ، فجاء رجل بأربع أواق فأعطاها اياه : وقال : يا رسول الله .. ان هــذه صدقة ، فدعا الأول فأعطاه أوقية ، ثم دعا الثانى فأعطاه أوقية ، ثم دعا الثالث فأعطاه أوقية ، وبقيت معه صلى الله عليه وسلم أوقية واحدة ، فعرض بها للقوم ، فما قام أحد . فلما كان الليل وضعها تحت رأسه — وفراشه عباءة — فجعل لا يأخذه النوم ، فيرجع فيصلى ، فقالت له عائشــة رضوان الله عليــها : يا رسول الله .. هل بك شىء ؟ قال : لا . قالت : فجاءك أمر من الله ؟ قال : لا . قالت : انك صنعت الليلة شيئا لم تكن تفعله ، فأخرجها — أى أخرج الأوقية الذهبية — وقال : هذه هى التى فعلت بى ما ترين . انى خشيت أن يحدث أمر من الله ولم أمضها » .

وكان جوده عليــه الصلاة والسلام كله لله ، وفى ابتغاء مرضاة الله ، فانه كان يبذل المــال تارة لفقير أو محتاج ، وتارة ينفقه فى سبيل الله ، وتارة يتألف به على من يقوى الاسلام باسلامهم .

---

(١) أى وهناك منها درهم .

وكان صلى الله عليه وسلم يكرم ضيفه : فقد روى « أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته ، فدخل عليه أصحابه حتى اكتظ بهم المكان • فجاء جرير بن عبد الله البجلى ، فلم يجد مجلا ، فجلس عند الباب ، فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رداءه وألقاه اليه ، وقال له : اجلس على هـذا ، فأخذه جرير ووضعه على وجهه ، وجعل يقبله ويبكى ، ثم أعطاه للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقال له : ما كنت لأجلس على ثوبك ، أكرمك الله كما أكرمتنى • فنظر النبى صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا ، وقال : « اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » •

وقال ابن الطفيل : « رأيت النبى صلى الله عليـه وسلم وأنا غلام ، اذ أقبلت امرأة حتى دنت منه ، فبسط لها رداءه ، فجلست عليـه ، فقلت : من هـذه ؟ قالوا : أمه التى أرضعته » •

ووفد وفد للنجاشى ، فقام النبى صلى الله عليه وسلم يخدمهم ، فقال له أصحابه : نكفيك ، فقال : « انهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وانى أحب أن أكافئهم » •



وعلى هذا ، فاننا نستطيع أن نقرر ــ على ضوء هذا الذى وقفنا عليه ــ ما أشار اليه الأستاذ الشيخ محمد الغزالى فى كتابه : « خلق المسلم » ، تحت عنوان :

الجود والكرم

ان الاسلام دين يقوم على البذل والانفاق ، ويضيع على الشح والامساك :

ولذلك حبب الى بنيه أن تكون نفوسهم سخية ، وأكفهم ندية ، ووصاهم بالمسارعة الى دواعى الاحسان ووجوه البر ، وأن يجعلوا تقديم الخير الى الناس شغلهم الدائم ، لا ينفكون عنه فى صباح أو مساء • قال تعالى : **« الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »**[1] •

وانه من الواجب على المسلم أن يقتصد فى مطالب نفسه حتى لا تستنفد ماله كله ، فان عليـه أن يشرك غيره فيما آتاه الله من فضله ، وأن يجعل فى ثروته متسعا يسعف به المنكوبين ويريح المتعبين •

---

(١) البقرة : ٢٧٤

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا ابن ادم .. انك ان تبذل الفضل خير لك ، وان تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف . وابدأ بمن تعول ، واليد العليـــا خير من اليد السفلى » رواه مسلم .

وقد أشار القرآن الى هذا المعنى حين قرن النهى عن التبذير بأمر الانفاق على القرابة والمساكين . فان المبذر متلاف سفيه ، يضيع فى شهواته الخاصة زبدة ماله . فماذا يبقى بعد للحقوق الواجبة والمعون المفروض ؟؟

قال الله تعالى : **« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا »**(١) .

ويمضى السياق فى الايصاء بالمحتاجين وصيانة وجوههم ، فيأمر المسلم بأن يرجيهم الخير ، وأن يرد بميسور من القول اذا كان لا يملك ايتاءهم ما يبتغون ، فيقول تعالى : **« واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا »**(٢) .

وأن دعوة الاسلام الى الجود والانفاق مستفيضة مطردة ، وحربه على الكزازة والبخل موصولة متقدة :

ففى الحديث : « السخى قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيد من النار . والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس ، بعيد من الجنة ، قريب من النار . ولجاهل سخى أحب الى الله تعالى من عابد بخيل » رواه الترمذى .

انه لم يوجد فى الدنيا ــ ولن يوجد ــ نظام يستغنى البشر فيه عن التعاون والمواساة ، بل لابد لاستتباب السكينة وضمان السعادة من أن يعطف القوى على الضعيف ، وأن يرفق المكثر بالمقل . ما دامت طبيعة المجتمع البشرى أن تتجاوز فيه القوة والضعف والاكثار والاقلال ! ..

وأنه لو كان المـــال فى وفرته وقدرته يتبع ما أوتى الناس من مواهب معنوية لاكتنز البعض الكثير ، وعاش البعض على الكفاف فتلك سنن الخليقة التى لا افتعال فيها ، وانما يتسرب الشقاء الى الناس عندما يحيون متقاطعين لا يعرفون الا أنفسهم ومطالبها فحسب . مع أن الله عز وجل خلط الناس بعضهم ببعض ، وجعل اختلاطهم على

---

(١) الاسراء : ٢٦ ، ٢٧ — (٢) الاسراء : ٢٨

اختلاف أحوالهم ، أختبارا عويصا يمحص به الايمان ويوزع به الفضل . قال تعــالى : **« وجعلنا بعضــكم لبعض فتنة أتصبرون ، وكان ربك بصيرا »**(١) .

ولن تنجح أمة فى هــذا المضمار الا اذا وثقت الصلات بين أبنائها ، فلم تبق محروما يقاسي ويلات الفقر ، ولم تبق غنيا يحتكر مباهج الغنى .

وفى الاسلام شرائع محكمة لتحقيق هــذه الأهداف النبيلة ، من بينها تنشئة النفوس على فعل الخير واسداء العون وصنائع المعروف . ونتائج هــذه التنشئة السمحة لا يسعد بها الضعاف وحدهم . بل يرتد أمانها واطمئنانها الى الباذلين أنفسهم . فتقيهم زلازل الأحقاد وعواقب الأثرة العميــاء . قال تعــالي : **« ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، والله الغنى وأنتم الفقراء »**(٢) .

وان الفقر معرة اذا لصقت بالانسان أحرجته . وهبطت به دون المكانة التى كتب الله للبشر ، وانها لتوشك أن تحرمه الكرامة التى فضل الله بها الانسان على سائر الخلق ، وانه لعزيز على النفس أن ترى شخصا مشقوق الثياب ، تكاد فتوقه تكشف سوءته ، أو حافى الأقدام أبلى أديم الأرض كعوبه وأصابعه ، أو جوعان يمد عينيه الى شتى الأطعمة ثم يرده الحرمان وهو حسير .

والذين يرون هــذه الصور الفاحشة ثم لا يكترثون بها ليسوا بشرا وليسوا مؤمنين . فبين البشر عامة رحم يجب أن توصل وأن لا تمزقها الفاقة .

وقضية الايمان أن يرهب المرء ربه فى أمثال أولئك البائسين .

ولقد حدث أن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد هــذه المناظر الحزينة فشق عليه مرآها ، فجمع المسلمين ثم خطبهم ، فذكرهم بحق الانسان على الانسان وخوفهم بالله واليوم الآخر ، وما زال بهم حتى جمعوا ما أغنى وستر .

فعن جرير قال : كنا فى صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه قوم عراة ، مجتابى النمار — مشقوقى الملابس — عامتهم من مضر ، فتمعر وجه الرسول صلى الله عليه وسلم لمـا رأى بهم من

---

(١) الفرقان : ٢٠ (٢) محمد : ٣٨

الفاقة ـــ تغير وحزن ـــ فدخل ثم خرج ، فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ، ثم خطب فقال :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا »[١] .

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد .. »[٢] .

ثم قال : ليتصدق رجل من ديناره .. من درهمه .. من ثوبه .. من صاع بره[٣] .. من صاع ثمره . حتى قال : ولو بشق تمرة .

قال : فجاءه رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ، بل لقد عجزت ، ثم تتابع الناس . حتى رأيت كومين من طعام وثياب .. حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة[٤] ، فقـــال :

من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء »[٥] .

ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شىء »[٥٦] .

وهذا الكلام البليغ دعوة الى التنافس فى الخير ، والتسابق فى افتتاح مشروعاته النافعة ، كقطار الرحمة ، ومعونة الشتاء ، وأشباه ذلك ، وهو تحذير كذلك لأولئك الذين ينشئون التقاليد السمحة ويعقدون بها شئون الجماعة ، ويتركون من بعدهم يضطرب فى شرورها ومتاعبها .

الى أن يقول « فى خلق المسلم » :

والبذل الواسع عن اخلاص ورحمة يغسل الذنوب ويمسح الخطايا :

قال الله تعـــالى : **« ان تبدوا الصدقات فنعما هى[٦] ، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفر عنكم من سيئاتكم ، والله بما تعملون خبير »[٧] .**

---

(١) النساء : ١ (٢) الحشر : ١٨

(٣) المراد به الدقيق أو القمح .

(٤) مذهبة : صفحة مطلية بالذهب .

(٥) رواه مسلم . (٦) ثناء على ابداء الصدقة .

(٧) البقرة : ٢٧١

وقال تعالى : « ان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم ، والله شكور حليم • عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم »[١] •

فاذا انزلق المسلم الى ذنب وشعر بأنه باعد بينه وبين ربه ، فان الطهور الذى يعيد اليه نقاءه ويرد اليه ضياءه ويلفه فى ستار الغفران والرضا ، أن يجنح الى مال عزيز عليه فينخلع عنه للفقراء والمساكين ، زلفى يتقرب بها الى أرحم الراحمين :

عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « تعبد عابد من بنى اسرائيل فعبد الله فى صومعة ستين عاما ، فأمطرت الأرض فاخضرت ، فأشرف الراهب من صومعته ، فقال : لو نزلت فذكرت الله فازددت خيرا !! فنزل ومعه رغيف أو رغيفان ، فبينما هو فى الأرض لقيته امرأة فلم يزل يكلمها وتكلمه حتى غشيها ، ثم أغمى عليه •

فنزل الغدير يستحم ، فجاءه سائل ، فأومأ اليه أن يأخذ الرغيفين • ثم مات •• فوزنت عبادة ستين سنة بتلك الزنية فرجحت الزنية بحسناته ، ثم وضع الرضيف أو الرغيفان مع حسناته ، فرجحت حسناته ، فغفر له »[٢] •

ومن أروع الأمثلة فى بيان ما للعطاء والجود من أثر فى الغفران والنجاة ، ما أوحى الله به الى نبيه يحيى ليعلمه أمته :

« •• وآمركم بالصدقة ، ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده الى عنقه ، وقربوه ليضربوا عنقه ، فجعل يقول : هل لكم أن أفدى نفسى منكم ؟ وجعل يعطى القليل والكثير حتى فدى نفسه »[٣] •

الى أن يقول بعد ذلك « فى خلق المسلم » :

وأقرباء المسلم أجدر الناس بالافادة من فضول ماله ، ومن حقهم أن ينصرف اليهم أى عطاء تجود به يده ، وذلك أول ما يتبادر الى الفهم السليم ، فانه اذا كان الى جنب الانسان محتاج فلا معنى لمجاوزته والذهاب بالخير الى آخر قصى ، بل ان ذلك قد يزرع الضغينة فى قلوب المحرومين ، ويشعرهم بأن اهمالهم متعمد للنكاية بهم والازراء عليهم ، فاذا كان هذا التنكيل بذوى القربى ما يقصده المعطى ، فان صدقته ترد عليه وتتحول وبالا : وفى الحديث :

---

(١) التغابن : ١٧ ، ١٨

(٢) رواه ابن حبان •

(٣) رواه الحاكم •

« .. يا أمة محمــد والذى بعثنى بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون الى صلته ويصرفها الى غيرهم . والذى نفسى بيده لا ينظر الله اليه يوم القيامة »[١] .

وعن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضى الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وســلم : « تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن . قالت : فرجعت الى عبد الله بن مسعود ، فقلت له : انك رجل خفيف ذات اليد ، وان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد أمرنا بالصدقة فأته فسله . فان كان ذلك يجزى عنى والا صرفتها الى غيركم .. فقال عبد الله : بل ائته أنت !! قالت : فانطلقت فاذا امرأة من الأنصار حاجتها حاجتى ، وكان رسول الله صلى الله عليــه وسلم قد ألقيت عليه المهابة ، فخرج علينا بلال . فقلت له : ائت رسول الله فأخبره أن امرأتين بالباب يسألانك ، أتجزى الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام فى حجورهما ؟ ولا تخبره من نحن .

قالت : فدخل بلال على رسول الله فسأله . فقال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : من هما ؟ فقال : امرأة من الأنصار وزينب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى الزيانب ؟ قال : امرأة عبد الله ابن مسعود . فقال : لهما أجر القرابة وأجر الصدقة »[٢] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى القريب صدقتان : صدقة وصلة »[٣] .

* * *

فلتذكر أخا الاسلام كل هــذا ، حتى تكون من المؤمنين الأسخياء ، الذين : « **يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** »[٤] .

* * *

فقد ذكر القرطبى حول هذه الآيات الثلاث ، أقوالا ، منها :

أنها نزلت فى مطعم بن ورقاء الأنصارى نذر نذرا فوفى به .

وقيل : نزلت فيمن تكفل بأسرى بدر وهم سبعة من المهاجرين :

---

(١) رواه الطبرانى .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه الترمذى .
(٤) الانسان : ٧ ــ ٩

أبو بكر ، وعمر ، وعلى ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ، وابو عبيدة رضى الله عنهم . ذكره الماوردى .

وقال مقاتل : نزلت فى رجل من الأنصار أطعم فى يوم واحد مسكينا ويتيما وأسيرا .

وقال أبو حمزة الثمالى : بلغنى أن رجلا قال : يا رسول الله .. أطعمنى فانى والله مجهود ، فقال : « والذى نفسى بيده ما عندى ما أطعمك ولكن اطلب » فأتى رجلا من الأنصار وهو يتعشى مع امرأته فسأله وأخبره بقول النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالت المرأة : أطعمه واسقه . ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم يتيم ، فقال : يا رسول الله .. أطعمنى فانى مجهود . فقال : « ما عندى ما أطعمك ولكن اطلب » فاستطعم ذلك الأنصارى ، فقالت المرأة : أطعمه واسقه ، فأطعمه . ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم أسير ، فقال : يا رسول الله .. أطعمنى فانى مجهود . فقال : « والله ما عندى ما أطعمك ولكن اطلب » . فجاء الأنصارى فطلب ، فقالت المرأة : أطعمه واسقه . فنزلت : « **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** » . ذكره الثعلبى .

وقال أهل التفسير : نزلت فى على وفاطمة رضى الله عنهما وجارية لهما اسمها فضة .

* * *

ثم يقول القرطبى بعد ذلك : قلت : والصحيح أنها نزلت فى جميع الأبرار ، ومن فعل فعلا حسنا ، فهى عامة .

وقد ذكر النقاش والثعلبى والقشيرى وغير واحد من المفسرين فى قصة على وفاطمة وجاريتهما حديثا لا يصح ولا يثبت ، رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله عز وجل : « **يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** » ، قال : مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادهما عامة العرب ، فقالوا : يا أبا الحسن .

ورواه جابر الجعفى عن قنبر مولى على ، قال : مرض الحسن والحسين حتى عادهما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبا الحسن — رجع الحديث الى حديث ليث ابن أبى سليم — لو نذرت عن ولديك شيئا ، وكل نذر ليس له وفاء فليس بشىء . فقال — على — رضى الله عنه : إن برأ ولداى صمت لله

ثلاثة أيام شكرا • وقالت جارية لهم نوبية : ان برأ سيداى صمت لله ثلاثة أيام شكرا • وقالت فاطمة مثل ذلك •

وفى حديث الجعفى ، فقال الحسن والحسين : علينا مثل ذلك • فألبس الغلامان — الحسن والحسين — العافية ، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير ، فانطلق على الى شمعون بن حاريا الخيبرى وكان يهوديا فاستقرض منه ثلاثة أصوع من شعير ، فجاء به فوضعه ناحية البيت ، فقامت فاطمة الى صاع فطحنته واختبزته ، وصلى على مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه •

وفى حديث الجعفى : فقامت الجارية الى صاع من شعير فخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد منهم قرص ، فلما مضى صيامهم الأول وضع بين أيديهم الخبز والملح الجريش ، اذ أتاهم مسكين فوقف بالباب وقال : السلام عليكم أهل بيت محمد — فى حديث الجعفى — أنا مسكين من مساكين أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنا والله جائع ، أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنة • فسمعه على رضى الله عنه ، فأنشأ يقول :

فاطم ذات الفضل واليقين ... يا بنت خير الناس أجمعين
أما ترين البائس المسكين ... قد قام بالباب له حنين
يشكو الى الله ويستكين ... يشكو الينا جائع حزين
كل امرىء بكسبه رهين ... وفاعل الخيرات يستبين
موعدنا جنة عليين ... حرمها الله على الضنين
وللبخيل موقف مهين ... تهوى به النار الى سجين
شرابه الحميم الى غسلين ... من يفعل الخير يقم سمين
ويدخل الجنة أى حين

فأنشأت فاطمة رضى الله عنها تقول :

أمرك عندى يا ابن عم طاعه ... ما بى من لؤم ولا وضاعه
غديت فى الخبز له صناعه ... أطعمه ولا أبالى الساعه
أرجو اذا أشبعت ذا المجاعه ... أن ألحق الأخيار والجماعه
وأدخل الجنة لى شفاعه

فأطعموه الطعام ، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئا الا الماء القراح ، فلما أن كان فى اليوم الثانى قامت الى صاع فطحنته واختبزته ، وصلى على مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين أيديهم فوقف بالباب يتيم فقال : السلام عليكم أهل بيت

محمد .. يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدى يوم العقبة .. أطعمونى أطعمكم الله من موائد الجنة . فسمعه على فأنشأ يقول :

فاطم بنت السيد الكريم بنت نبى ليس بالزنيم
لقد أتى الله بذى اليتيم من يرحم اليوم يكن رحيم
ويدخل الجنة أى سليم قد حرم الخلد على اللئيم
ألا يجوز الصراط المستقيم يزل فى النار الى الجحيم
شرابه الصديد والحميم

فأنشأت فاطمة رضى الله عنها تقول :

أطعمه اليوم ولا أبالى وأوثر الله على عيالى
أمسوا جياعا وهم أشبالى أصغرهم يقتل فى القتال
بكربلاء[1] يقتل باغتيال يا ويل للقتال من وبال
تهوى به النار الى سفال وفى يديه الغل والأغلال
كبولة زادت على الأكبال

فأطعموه الطعام ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئا الا الماء القراح ، فلما كانت فى اليوم الثالث قامت الى الصاع الباقى فطحنته واختبزته ، وصلى على مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين أيديهم ، اذ أتاهم أسير فوقف بالباب ، فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد تأسروننا وتشدوننا ولا تطعموننا ! .. أطعمونى فانى أسير محمد . فسمعه على فأنشأ يقول :

فاطم يا بنت النبى أحمد بنت نبى سيد مسود
وسماه الله فهو محمد قد زانه الله بحسن أغيد
هذا أسير النبى المهتد مثقل فى غله مقيد
يشكو الينا الجوع قد تمدد من يطعم اليوم يجده فى غد
عند العلى الواحد الموحد ما يزرع الزارع سوف يحصد
أعطيه لا تجعليه أقعد

فأنشأت فاطمة رضى الله تعالى عنها تقول :

لم يبق مما جاء غير صاع قد ذهبت كفى مع الذراع
ابناى والله هما جياع يا رب لا تتركهما ضياع
أبوهما للخير ذو اصطناع يصطنع المعروف بابتداع
عبل الذراعين شديد الباع وما على رأسى من قناع
الا قناعا نسجه أنساع

---

(١) اى : بكربلاء التى قتل فيها الحسين رضى الله عنه .

فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئا الا الماء القراح ، فلما أن كان فى اليوم الرابع ، وقد قضى الله النذر أخذ بيده اليمنى الحسن وبيده اليسرى الحسين وأقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع ، فلما أبصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « يا أبا الحسن .. ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم انطلق بنا الى ابنتى فاطمة » فانطلقوا اليها وهى فى محرابها ، وقد لصق بطنها بظهرها ، وغارت عيناها من شدة الجوع ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف المجاعة فى وجهها بكى وقال : « واغوثاه يا الله أهل بيت محمد يموتون جوعا » فهبط جبريل عليه السلام ، وقال : السلام عليك .. ربك يقرئك السلام ، يا محمد .. خذ هنيئا فى أهل بيتك . قال : وما آخذ يا جبريل » ؟ فأقرأه : « **هل أتى على الانسان حين من الدهر ..** »[1] الى قوله : « .. **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** »[2] .

* * *

والذى يعنينا الآن بعد أن وقفنا على هذا المضمون الذى أورده القرطبى ضمن الأقوال التى وردت حول تفسير الآيات الثلاث : هو التعليق الذى ذكره القرطبى بعد ذكر هذا المضمون الأخير ، والذى لابد وأن نستفيد به ، وهو :

قال الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الأصول : فهذا حديث مزوق مزيف قد تطوف فيه صاحبه حتى تشبه على المستمعين ، فالجاهل بهذا الحديث يعض شفتيه تلهفا ألا يكون بهذه الصفة ، ولا يعلم أن صاحب هذا الفعل مذموم ، وقد قال الله تعالى فى تنزيله : « **ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو** »[3] :

وهو الفضل الذى يفضل عن نفسك وعيالك ، وجرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترة ، بأن : « خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى » ، « وابدأ بنفسك ثم بمن تعول » .

وافترض الله على الأزواج نفقة أهاليهم وأولادهم . وقال

---

(١) الانسان : ١ (٢) الانسان : ٨ ، ٩

(٣) البقرة : ٢١٩

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت » .

أفيحسب عاقل أن عليا جهل هذا الأمر حتى أجهد صبيانا صغارا من أبناء خمس أو ست على جوع ثلاثة أيام ولياليهن ؟ ! حتى تضوروا من الجوع ، وغارت العيون منهم لخلاء أجوافهم ، حتى أبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهم من الجهد .. الخ . هذا النقد الذى لابد كما قلت أن نستفيد منه حتى ندقق فى مثل هذه الروايات التى لا أصل لها .. والتى كان لابد أن نقف عليها حتى لا نفتتن بها .

* * *

وأنا شخصيا أستريح الى رأى القرطبى الذى قال فيه : والصحيح أنها نزلت فى جميع الأبرار ، ومن فعل فعلا حسنا ، فهى عامة .

* * *

ولهذا .. أخا الاسلام : فاننى أطالبك ونفسى بأن نكون من أهل البر المشار اليه فى قول الله تعالى :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون »[1] .

واذا كنت أخا الاسلام ستستقبل فى بيتك الأتقياء المساكين الذين ستطعمهم طعامك الحلال ، فاننى أرجو أن تلاحظ معى قول القائل :

قم اذا ما الضيف جاءك وامنح الضيف غذاءك
واجعل من وجهك مرآة يرى فيها صفاءك
ان يهن عندك ضيف يكن الهون جزاءك

* * *

(١) البقرة : ١٧٧

وأما عن العنصر الثاني ، وهو :

افشــاء السلام

فهو المشار اليه فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، الذى ورد :

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا[1] ، أفلا أدلكم على أمر اذا فعلتموه تحاببتم : أفشوا السلام بينكم » رواه أبو داوود والترمذى ومسلم .

ففى هــذا الحديث الشريف يشير النبى صلى الله عليه وسلم الى أن السلام اذا انتشر بين المؤمنين كان سببا فى انتشار المحبة بينهم ، وكان سببا فى دخول الجنة ان شاء الله :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اعبدوا الرحمن ، وأطعموا الطعام ، وأفشوا السلام : تدخلوا الجنة بسلام » رواه الترمذى بسند حسن .

هــذا بالاضافة الى الثواب المضاعف فى الدنيا :

فعن عمران بن حصين رضى الله عنه ، قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليــه وسلم ، فقال : السلام عليكم ، فرد عليه ثم جلس ، فقال النبى صلى الله عليــه وسلم : عشر[2] ، ثم جاء آخر ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه فجلس ، فقال : عشرون[3] ، ثم جاء آخر ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليــه فجلس ، فقال : ثلاثون »[4] رواه أبو داوود والترمذى .

وهو كذلك خير خصال الاسلام :

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أى الاسلام خير ؟[5] قــال :

---

(١) أى لا تؤمنوا ايمانا كاملا حتى يحب بعضكم بعضا وحتى يحب لأخيه كما يحب لنفسه .

(٢) أى له عشر حسنات على قوله : السلام عليم .

(٣) أى له عشرون حسنة لأنه زاد عن الأولى : ورحمة الله .

(٤) وهذه نهاية ألفاظ السلام وأكملها .

(٥) أى أعظم أجرا وأكثر ثوابا .

تطعم الطعام[١] ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف »[٢] رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والنسائى وابن ماجه .

* * *

ولهذا .. نرى أن الله تعالى قد أمر المؤمنين اذا حيوا بتحية أن يحيوا بأحسن منها أو يردوها ، فقال تعالى مخاطبا اياهم :

« واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ، ان الله كان على كل شىء حسيبا »[٣] .

أى : **« واذا حييتم بتحيـــة »** بأن قال لكم قائل : السلام عليكم **« فحيوا بأحسن منها »** بقولكم : عليكم السلام ورحمة الله وبركاته **« أو ردوهـــا »** بأن تقولوا كما قال ، فالواجب الرد بالمثل أو بالزيادة وهو أفضل .

* * *

هـــذا .. وقد وردت أحاديث كثيرة تتعلق بأحكام السلام .. فاليك بعض هـــذه الأحاديث الشريفة التى أرجو أن تقف من خلالهـــا على هـــذه الأحكام[٤] :

*** السلام قبل الكلام والسلام على الأهل :**

عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « السلام قبل الكلام » .

وعنه عن النبى صلى الله عليـــه وسلم ، قال : « لا تدعوا أحدا الى الطعام حتى يسلم » رواهما الترمذى بسند واحد[٥] .

لأن السلام مقدم على الكلام ، ولأنه أمان ولا كلام الا بعد الأمان ، ولأن السلام فى المرتبة الأولى من الكلام .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليـــه وسلم ، قال : « يسلم الراكب على المـــاشى ، والمـــاشى على القاعد ، والقليل

---

(١) يعنى أن تطعم الطعام ، فحذفت « ان » فارتفع الفعل ، يعنى : أن تكثر من قرى الضيوف وتقديم الطعام لكل محتاج اليه .

(٢) يعنى من المسلمين .

(٣) أى محاسبا فيجازى عليه ، ومنه السلام ورده — والآية من سورة النساء : ٨٦

(٤) كما جاء فى التاج الجامع للأصول ج ٥ ، نصا وتعليقا بتلخيص وتصرف .

(٥) وهو ضعيف .

على الكثير » رواه الأربعة ، وهم : أبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وزاد فى رواية : والصغير على الكبير ، وهذا خبر يراد به الأمر ، أى : ليسلم الصغير على الكبير لأنه من توقيره ، وليسلم القليل على الكثير لأن حقهم أعظم ، وأولى أن يبدأ بالسلام الراكب على الماشى لئلا يتكبر فيتواضع ، كما يبدأ الماشى على القاعد لشبهه بالداخل على غيره ، فالمفضول بنوع ما يبدأ الفاضل بالسلام ، أى الأولى ذلك والا فلو بدأ الفاضل لكفى .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : « يا بنى .. اذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك » رواه الترمذى بسند حسن .

فينبغى لمن دخل على أهله أن يسلم عليهم ، فان ذلك بركة عليهم ، قال الله تعالى : **« فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ، كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون »**(١) .

*** والسلام على الصبيان والنساء :**

عن سيار رضى الله عنه ، قال : كنت أمشى مع ثابت البنانى(٢) فمر بصبيان فسلم عليهم ، وقال : كنت أمشى مع أنس رضى الله عنه فمر بصبيان فسلم عليهم وحدث أنس أنه كان يمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم فمر بصبيان فسلم عليهم » رواه الخمسة ، وهم : البخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى .

وهذا دليل على مشروعية السلام على الصبيان ، وهو مطلوب لطرح رداء الكبر وللتحلى بالتواضع ولتدريب الصبيان على آداب الشريعة .

وقال أنس رضى الله عنه : انتهى الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا غلام فى الغلمان(٣) فسلم علينا ، ثم أخذ بيدى أو أذنى فأرسلنى برسالة وقعد فى ظل جدار ، أو قال : الى جدار حتى رجعت اليه » رواه أبو داوود وابن ماجه بسند صالح .

وقالت أسماء بنت يزيد رضى الله عنها : « مر علينا النبى صلى

---

(١) النور : ٦١
(٢) وهو من كبار علماء التابعين ومن خيار الزاهدين رضى الله عنه .
(٣) أى العب معهم .

الله عليــه وسلم فى المسجد يوما وعصبة[1] من النساء قعود ، فألوى بيده بالتسليم ، وأشار عبد الحميد بيده » رواه الترمذى بسند حسن : ورواه أبو داوود ، ولفظه : مر علينــا النبى صلى الله عليــه وسلم فى نسوة ، فسلم علينا ..

ففيه جواز التسليم على النساء الأجنبيات وجواز تسليمهن على الرجال بطريق القياس وهذا عند أمن الفتنة ، وقال المــالكية : يجوز على العجوز دون الشابة سدا للذريعة ، أما المحارم : فلا خلاف فى مشروعية السلام عليهن ومنهن ، والله أعلم .

*** تبليغ السلام :**

فعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عائشة .. هذا جبريل يقرأ عليــك السلام . قالت : قلت : عليك وعليه السلام ورحمة الله وبركاتــه ، ترى يا رسول الله ما لا نرى »[2] رواه الأربعة ، وهم : أبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

فهذا دليل على أنه يجب رد السلام على الغائب وينبغى أن يشرك المبلغ كقوله : عليك وعليه السلام ، ومن السلام على لسان الغير ما جاء فى مكتوب ، فيجب رده على لسان الغير أو بطريق الكتابة ، والله أعلم .

وعن غالب رضى الله عنه ، قال : انا جلوس بباب الحسن رضى الله عنه اذ جاء رجل ، فقال : حدثنى أبى عن جدى ، قال : بعثنى أبى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ايته ، فأقرئه السلام ، قال : فأتيته فقلت : ان أبى يقرئك السلام ، فقال : « عليك وعلى أبيك السلام » رواه أبو داوود .

*** بيان ما يكره فى السلام :**

عن أبى جرى الهجيمى[3] رضى الله عنه ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، فقلت : عليك السلام يا رسول الله ، فقال : « لا تقل عليك السلام ، فان عليك السلام : تحية الموتى » رواه أصحاب

---

(١) العصبة : أى الجماعة .

(٢) وهو جبريل عليه السلام ، فقد ردت عليه السلام وهى لا تراه . وكفاها ذلك .

(٣) جرى الهجيمى بالتصغير فيهما نسـبة الى الهجيــم بن عمرو ابن تميــم ، واسمه جابر بن سليم .

السنن بسند صحيح ، وزاد الترمذى : ثم أقبل على ، فقال : « اذا لقى الرجل أخاه المسلم فليقل : السلام عليكم ورحمة الله » .

وذلك لأن : عليك السلام تحية الموتى فى كلام كثير من العرب كقول بعضهم :

عليــك سلام الله قيس بن عاصم
ورحمتــه ما شــاء أن يترحمــا

وكقول من رثى عمر رضى الله عنه :

عليــك سلام الله من أمير وباركت
يد الله فى ذاك الأديــم المزق

وقال ابن عمر رضى الله عنهما : سلم رجل على النبى صلى الله عليــه وسلم ، وهو يبول ، فلم يرد عليه السلام .

رواه الترمذى بسند صحيح .. ورواه أبو داوود .

لم يرد الرسول صلى الله عليــه وسلم السلام : لأنه كان فى حال لا تسمح بالرد .. ويقاس عليه كل مشتغل بشىء كصلاة وقراءة وذكر وطهارة ومن يكلم انسانا ، ومن هو فى صنعته أو زراعته ، فلا يجب عليهم الرد لأن القاء السلام عليهم مكروه ، وكذا السلام على من يأكل مكروه الا من الجائع فانه يسلم ليطلب للأكل .

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليــه وسلم ، قال : « ليس منا من تشبه بغيرنا ، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى ، فان تسليم اليهود الاشارة بالأصابع ، وتسليم النصارى الاشارة بالأكف » رواه الترمذى بسند ضعيف .

وبيان هــذا : أنه لو سلم باللسان وقرنه باشارة اليد فلا شىء فيه لأن المكروه الاشارة فقط كعمل أهل الكتاب ، ومثلها ما جرت به عادتهم من قولهم : نهارك سعيد ، أو ليلتك سعيدة ، بخلاف صباح الخير ومساء الخير ولكنهما لا يقومان مقام السلام ، فاتضح من هــذا أن السلام بالاشارة فقط ، والسلام على المشتغل بشىء ، ولفظ عليك السلام : كلها مكروهة ، فلا يجب الرد والله أعلم وعلمه أتم وأكمل .

*** السلام على أهل الكتاب[1] :**

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

---

(١) أى ما ورد فى السلام منهم وعليهم .

« لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام ، فاذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه الى أضيقه »[١] رواه مسلم وأبو داوود .

وقال بعض أصحاب النبى له : يا رسول الله .. ان أهل الكتاب يسلمون علينا ، فكيف نرد عليهم ؟ قال : « قولوا وعليكم » رواه مسلم وابو داوود .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا سلم عليكم اليهود فانما يقول أحدهم : السام عليك ، فقل : وعليك » رواه الثلاثه ، وهم : أبو داوود والترمذى والنسائى .

وذلك لأن السام هو الموت ، فلهذا اذا علمنا أنهم يقولون : السام عليكم أو لم نعلم ما قالوا ، فنرد عليهم بقولنا : وعليكم ، أى الموت أيضا ، فانه مكتوب على الناس كلهم ، أو المراد : وعليكم ما تستحقون من الذم ، أما اذا سمعنا قولهم : السلام عليكم : وجب علينا الرد عليهم لأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : دخل رهط[٢] من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : السام عليك . ففهمتها ، فقلت : عليكم السام واللعنة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مهلا يا عائشة .. فان الله يحب الرفق فى الأمر كله . فقلت : يا رسول الله أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال : فقد قلت : وعليكم » رواه الشيخان والترمذى .

وفى رواية لمسلم : فسمعت عائشة فسبتهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه يا عائشة[٣] فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ، فأنزل الله عز وجل : **« واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله .. »**[٤] الآيـــة .

وفى رواية : قد سمعت فرددت عليهم ، وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينـــا .

ويكره القاء الســـلام عليهم للحديث الأول : لا تبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام ، ولأن السلام اعزازا للمسلم عليه ولا يجوزا

---

(١) اى اذا ازدحمت الطريق والا فلا .

(٢) الرهط ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امراة .

(٣) اى كفى عن هذا القول الشديد .

(٤) المجادلة : ٨

اعزازهم ، وقال النووى : ابتداؤهم بالسلام حرام ، وهذا ما لم تدع له ضرورة كمداراتهم ودفع شرهم والا جاز والله أعلم .

وعن أسامة بن زيد رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بمجلس وفيه أخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم » رواه البخارى والترمذى .

ومعنى هـذا : أنه يستحب القاء السلام على المجلس الذى فيه مسلم وغيره تغليبا للمسلم . والله أعلم .

* **حكم السلام ورده :**

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « خمس تجب على المسلم لأخيه : رد السلام ، وتشميت العاطس ، واجابة الدعوة ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز » رواه الخمسة ، وهم : البخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى .

وعن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « يجزىء عن الجماعة اذا مروا أن يسلم أحدهم ، ويجزىء عن الجلوس أن يرد أحدهم » رواه أبو داوود بسند صالح .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا انتهى أحدكم الى المجلس فليسلم ، فاذا أراد أن يقوم فليسـلم ، فليست الأولى بأحق من الآخرة » رواه أصحاب السنن بسند حسن .

ويؤخذ من هـذا : أن ابتداء السلام سنة عين من الواحد ، وسنة كفاية من الجماعة ، والرد فرض عين على الواحد ، وفرض كفاية على الجماعة فيسقط الطلب بالسلام والرد من واحد ، كشأن فروض الكفاية ، ولكن لا يؤجر الا من سلم وكذا من رد . كما أشار الحديث الأول .

وأن السلام من الجماعة سنة كفاية والرد من الجماعة فرض كفاية ، ولكن لو سلم الجماعة كلهم كان أفضل كما لو رد الجماعة كلهم فينالون الثواب . كما فى الحديث الثانى .

وأنه يستحب السلام على الحاضرين اذا قدم عليهم واذا أراد فراقهم . كما فى الحديث الثالث .

* **حكم السلام على أهل الأهواء :**

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليـه وسلم ، قال : « لا تسلموا على من يشرب الخمر ولا تعودوهم اذا

مرضوا ولا تصلوا عليهم اذا ماتوا »[١] رواه سعيد بن منصور هكذا ، والبخاري موقوفا ولكن وصله فى الأدب .

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه ، قال : قدمت على أهلى وقد تشققت يداى ، فخلقونى بزعفران ، فغدوت على النبى صلى الله عليه وسلم ، فسلمت عليه فلم يرد وقال : « اذهب فاغسل عنك هذا » رواه أبو داوود فى السنة بسند صالح .

ومر على النبى صلى الله عليه وسلم رجل عليه ثوبان أحمران فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم يرد عليه . رواه أبو داوود والترمذى فى اللباس بسند صالح .

ومن هذا نفهم أنه لا يشرع السلام على فاسق وفاجر ومبتدع ونحوهم ، وبالأولى الكافر فان قطع هؤلاء مطلوب وبغضهم محبوب ما داموا فى أهوائهم .. « من أحب لله وأبغض لله فقد استكمل الايمان » .

واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد قال لعمار بن ياسر — كما جاء فى الحديث الثانى — اذهب فاغسل عنك هذا : فلأنه صلى الله عليه وسلم لم يرد السلام عليه لأنه لطخ يديه بالزعفران الذى هو طيب النساء ، وقد نهينا عن التشبه بالنساء ، ولعله كان هناك غيره يقوم مقامه ، والا اذا تعين للتداوى فلا شىء عليه .

واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم كذلك لم يرد على لابس الثوبين الأحمرين — كما يشير الحديث الثالث — : فلعل لون الحمرة هذا كان من صبغ خاص بالنسبة كزعفران ونحوه .. والا فلبس الأحمر جائز للرجال .

* * *

فليذكر الأخ المسلم كل هذا ، حتى يكون مفشيا للسلام على أساس من هذا الفقه الذى وقف عليه احياء للسنة .

وحسبه ان فعل هذا ان شاء الله أن يذكر كذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يقول فيه : « دب اليكم داء الأمم قبلكم : البغضاء والحسد ، والبغضاء هى الحالقة ، ليس حالقة الشعر ، ولكن حالقة الدين ، والذى نفسى بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ،

---

(١) هذا للزجر او اذا استحلوا الخمر .

ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أنبئكم بما يثبت لكم ذلك ؟ [١] أفشوا السلام بينكم » رواه البزار باسناد جيد .

* * *

واذا كان لنا أن ننتقل الآن إلى العنصر الثالث ، وهو :

صلــة الأرحام

فهو كذلك من أهم ما يجب علينا أن نحققه كمسلمين أو كمؤمنين ، وذلك لأن الله تعالى قد أمر به ، فقال : **« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا »**[٢] .

وقــال : **« واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليــكم رقيبا »**[٣] .

وقــال : **« فهل عسيتــم[٤] ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئــك الذين لعنــهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم »**[٥] .

وقــال : **« والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه[٦] ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئــك لهم اللعنــة ولهم سوء الدار »**[٧] .

وقــال : **« الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ، أولئك هم الخاسرون »**[٨] .

ففى الآية الأولى والثانية : يرغب النبى صلى الله عليه وسلم فى صلة الرحم .

وفى الآية الثالثة والرابعة والخامسة : يرهب النبى صلى الله عليه وسلم من قطيعة الرحم .

وقد ورد مثل هــذا فى السنة الصحيحة :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) أى يحققه ويؤكده . (٢) الاسراء : ٢٦

(٣) النساء : ١

(٤) المعنى : هل المرجو منكم الافساد فى الأرض وتقطيع الأرحام اذا توليتم مصالح الناس ؟ ! لا ومن فعل ذلك فهو من الذين لعنهم الله الخ الآية .

(٥) محمد : ٢٢ ، ٢٣ (٦) أى توثيقه وتوكيده .

(٧) الرعد : ٢٥ (٨) البقرة : ٢٧

قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه[1] ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » رواه البخارى ومسلم .

وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وينسأ له فى أثره : فليصل رحمه » رواه البخارى ومسلم .

الأثر : الأجل .. والنسأ : التأخير .. ولعله كناية عن البركة فى الأجل :

قال ابن التين : « ظاهر الحديث يعارض قوله تعالى : « **فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ، ولا يستقدمون** »[2] ، والجمع بينهما من وجهين :

أحدهما : أن هـذه الزيادة عن البركة فى العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة ، وعمارة وقته بما ينفعه فى الآخرة ، وصيانته عن تضييعه فى غير ذلك ، ومن جملة ما يحصل له من التوفيق : العلم الذى ينتفع به من بعده ، والصدقة الجارية عليه ، والخلف الصالح .

ثانيهما : أن الزيادة على حقيقتهـا ، وذلك بالنسبة الى علـم الملك الموكل بالعمر :

وأما الأول الذى دلت عليه الآية ، فالبنسبة الى علم الله تعالى .. والوجه الأول أليق بلفظ حديث الباب ، فان الأثر ما يتبع الشىء ، فاذا أخر حسن أن يحمل على الذكر الحسن بعد فقد المذكور » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، يقول : « من سره أن يبسط له فى رزقه ، وأن ينسأ له فى أثره : فليصل رحمه » رواه البخارى ، والترمذى ، ولفظه :

قال : « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فان صلة الرحم محبة فى الأهل ، مثراة فى المـال ، منسأة فى الأثر » .

وقال : حديث غريب ، ومعنى : منسأة فى الأثر ، يعنى به الزيادة فى العمر ، انتهى . رواه الطبرانى من حديث العلاء بن خارجة كلفظ الترمذى باسناد لا بأس به .

---

(١) أى : فليحسن الى ذوى قرابته فيعطى محتاجهم ويزور مريضهم ويواسى منكوبهم .

(٢) النحل : ٦١

ومعنى تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم : أى : ما يعينكم على صله أرحامكم ، فان الجهل بالأنساب يؤدى الى قطع الرحم بين ذوى النسب الواحد ، وكم من قرابات قد أهملها أهلها وتقاطع أفرادها بسبب جهلهم بالنسب الذى يجمعهم .

ومعنى أن صلة الرحم محبة فى الأهل ، مثراة فى المـال ، منسأة فى الأثر : أى أن صلة الرحم تزيد فى المحبة وتوثق الألفة بين أفراد الأسرة الواحدة ، ومجلبة للمـال الكثير والخير الواسع : وسبب فى تأخير الأجل واطالته .

وعن أبى أيوب رضى الله عنه ، أن أعرابيا عرض[١] لرسول الله صلى الله عليـه وسـلم ، وهو فى سـفر ، فأخذ بخطـام ناقتـه ــ أو بزمامهـا[٢] ــ ثم قـال : يا رسول الله ــ أو يا محمـد[٣] ــ : أخبرنى بما يقربنى من الجنة ، ويباعدنى من النار ؟ قال : فكف النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم نظر فى أصحابه ، ثم قال : لقد وفق أو لقد هدى ، وقال : كيف قلت ؟ قال : فأعادها ، فقال النبى صلى الله عليـه وسلم : « تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصل الرحم . دع الناقة » .

وفى رواية : « وتصل ذا رحمك ، فلما أدبر[٤] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان تمسك بما أمرته به دخل الجنـة » رواه البخارى ومسلم واللفظ له .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى خلق الخلق[٥] حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم[٦] ، فقالت : هـذا مقام العائذ بك من القطيعة[٧] . قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ [٨] قالت :

---

(١) يعنى اعترضه ووقف فى طريقه .
(٢) ، (٣) أو فى اللفظين : شك من الراوى .
(٤) أى انصرف الرجل . (٥) أى جميع المخلوقات .
(٦) أى مثلت بين يدى الله جل شأنه .
(٧) يعنى هـذا موقف المستجير بك المحتمى بجنابك من خـوف القطيعة ، وهى الهجر وعدم الصلة .
(٨) قال ابن أبى حمزة : الوصل من الله كنايـة عن عظيم احسانه على عبده واسعافه بما يريد ومساعدته على ما يرضيه والقطع كناية عن الحرمان والاحسان .

بلى[١] • قال : فذاك لك ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأوا ان شئتم : « **فهل عسيتم إن توليتم[٢] أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم[٣] ، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم** » رواه البخارى ومسلم •

وحول كلام الرحم ، قال ابن أبى حمزة : « يحتمل أن يكون بلسان الحال ، ويحتمل أن يكون بلسان المقال ، قولان مشهوران •

والثانى أرجح ، وعلى الثانى ، فهل تتكلم كما هى أو يخلق الله لها عند كلامها حياة وعقلا •• قولان أيضا مشهوران والأول أرجح لصلاحية القدرة العامة لذلك » •

وقال فى الفتح : « قال عياض : يجوز أن يكون الذى نسب اليه القول ملكا يتكلم على لسان الرحم » وهو بعيد وأبعد منه قول القرطبى : « أى لو كانت الرحم ممن يعقل ويتكلم لقالت كذا ، فمقصود هذا الكلام الاخبار بتأكد أمر صلة الرحم ، وأنه تعالى أنزلها منزلة من استجار به فأجاره فأدخله فى حمايته » •

وحول الآية الكريمة التى ختم بها الحديث ، قال ابن كثير : « وهذا نهى عن الافساد فى الأرض عموما ، وعن قطع الأرحام خصوصا ، بل قد أمر الله تعالى بالاصلاح فى الأرض وصلة الأرحام وهو الاحسان الى الأقارب فى المقال والأفعال وبذل الأموال » •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « ان الرحم شجنة من الرحمن ، تقول : يا رب انى قطعت ، يا رب انى أسىء الى ، يا رب انى ظلمت ، يا رب ، فيجيبها : ألا ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك » رواه أحمد باسناد جيد قوى ، وابن حبان فى صحيحه •

قال القرطبى : « الرحم التى توصل عامة وخاصة :

فالعامة : رحم الدين ، وتجب مواصلتها بالتوادد والتناصح والعدل والانصاف والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة • وأما الرحم الخاصة : فتزيد النفقة على القريب ، وتفقد أحوالهم ، والتغافل عن زلاتهم » •

---

(١) يعنى رضيت بذلك •

(٢) أى أعرضتم عن الجهاد ونكلتم عنه •

(٣) أى تعودوا الى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام •

وقال ابن أبى جمرة : « تكون صلة الرحم بالمال وبالعون على الحاجه ، وبدفع الضر ، وبطلاقة الوجه ، وبالدعاء .. والمعنى الجامع : ايصال ما أمكن من الخير ، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة . وهذا انما يستمر اذا كان أهل الرحم أهل استقامة ، فان كانوا كفارا أو فجارا فمقاطعتهم فى الله هى صلتهم بشرط بذل الجهد فى وعظهم ثم اعلامهم اذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا الى الطريق المثلى » .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « الرحم حجنة[١] متمسكة بالعرش تكلم[٢] بلسان ذلق[٣] : اللهم صل من وصلنى ، واقطع من قطعنى ، فيقول الله تبارك وتعالى : أنا الرحمن الرحيم ، وانى شققت للرحم من اسمى ، فمن وصلها وصلته ، ومن بتكها بتكته »[٤] رواه البزار باسناد حسن .

وعن سعيد بن زيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ان من أربى الربا[٥] الاستطالة فى عرض المسلم بغير حق[٦] ، وان هذه الرحم شجنة[٧] من الرحمن عز وجل ، فمن قطعها حرم الله عليه الجنة »[٨] رواه أحمد والبزار ، ورواة أحمد ثقات .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ليس الواصل بالمكافىء ، ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها »[٩] رواه البخارى واللفظ له ، وأبو داوود والترمذى .

قال ابن حجر فى الفتح : « وقال شيخنا فى شرح الترمذى : المراد

---

(١) الحجنة بفتح الحاء المهملة والجيم وتخفيف النون : هى صنارة المغزل ، وهى الحديدة العقفاء التى يعلق بها الخيط ثم يفتل الغزل .

(٢) أى تتكلم فحذفت احدى التاءين تخفيفا .

(٣) أى فصيح بليغ .

(٤) أى من قطعها قطعته .

(٥) يعنى من أفحشه وأقبحه .

(٦) يعنى تناوله بالهجاء والذم على وجه الاعتداء والظلم .

(٧) شجنة ، يعنى قرابة مشتبكة كاشتباك العروق وفيها لغتان : شجنة بكسر الشين وبضمها واسكان الجيم .

(٨) يعنى لا يدخلها ابتداء أو ابدا ان استحل ذلك .

(٩) يعنى ولكن الحقيق باسم الواصل من اذا جفت رحمه وتباعدت لم يقابلها بمثل ذلك بل يصلها ويبرها .

بالواصل فى هــذا الحديث : الكامل ، فان المكافأة نوع صلة ، بخلاف من اذا وصله قريبه ولم يكافئه ، فان فيه قطعا باعراضه عن ذلك ، وهو من قبيل : ليس الشديد بالصرعة ، وليس الغنى عن كثرة العرض » .

وقال الطيبى : « المعنى ليست حقيقة الواصل ومن يعتد بصلته : من يكافىء صاحبه بمثل فعله ولكن من يتفضل على صاحبه » .



ومن الآثار العظيمة التى قرأتها فى كتاب « عيون الأخبار » ، تحت عنوان :

باب القرابات والولد[1]

حدثنى زيد بن أخزم ، قال حدثنا أبو داوود ، قال حدثنا اسحاق ابن سعيد القرشى من ولد سعيد بن العاص ، قال أخبرنى أبى ، قال : كنت عند ابن عباس ، فأتاه رجل فمت اليه برحم بعيدة ، فلان له وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم فانه لا قرب بالرحم اذا قطعت وان كانت قريبة ، ولا بعد بها اذا وصلت وان كانت بعيدة » .

حدثنى شبابة قال : حدثنى القاســم بن الحكم عن اسماعيل ابن عياش عن عبد الله بن دينار ، قال : احذروا ثلاثا ، فانهن معلقات بالعرش : النعمة تقول : يا رب كفرت ، والأمانة تقول : يا رب أكلت ، والرحم تقول : يا رب قطعت .

حدثنى أبو سفيان الغنوى عن عبد الله بن يزيد عن حيوة بن شريح عن الوليد ابن أبى الوليد عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه » .

حدثنى القومسى ، قال : حدثنا اسماعيل بن أبى أويس ، قال : حدثنا كثير بن زيد عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ابن أخت القوم من أنفسهم ، ومولى القوم من أنفسهم ، وحليف القوم من أنفسهم » .

حدثنى الزيادى قال : حدثنا حماد بن زيد عن حبيب عن ابن سيرين ، قال : قال عثمان : كان عمر يمنع أقرباءه ابتغاء وجه الله ، وأنا أعطى قراباتى لوجه الله ، ولن يرى مثل عمر .

---

(١) بتصرف واختصار موضوعى .

كتب عمر الى أبى موسى : مر ذوى القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا .

وقال أكثم بن صيفى : تباعدوا فى الديار تقاربوا فى المودة .

والعرب تقول فى العطف على القرابة وان لم يكن وادا : « أنفك منك وان ذن »[1] ، ومثله : « عيصك[2] منك وان كان أشبا » .

ويقال : القرابة محتاجة الى المودة ، والمودة أقرب الأنساب .

والبيت المشهور فى هذا :

فاذا القرابة لا تقرب قاطعا
واذا المودة أقرب الأنساب

* * *

فاذكر أخا الاسلام كل هذا ، وكن وصولا لأرحامك ، أى لذوى قرابتك الذين تجمعك واياهم رحم واحدة وذلك — كما عرفت — بأن تعين فقيرهم ، وترشد جاهلهم ، وتقضى حوائجهم ، وتتفقد غائبهم ، وتعود مريضهم ، وتشاركهم أفراحهم وأحزانهم :

حتى تفوز بهذا الخير الذى وقفت عليه ، والذى لابد وأن تفوز به كمسلم أو كمؤمن يرجو الله واليوم الآخر .

وحسبك فى نهاية هذا العنصر الحيوى الهام أن تذكر وصية الرسول صلى الله عليه وسلم التى يقول فيها : « أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها : أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكرا ، ونطقى ذكرا ، ونظرى عبرا » رواه رزين .

* * *

وأما عن العنصر الرابع ، وهو :

الصلاة بالليل والناس نيام

فقد كان فرضا على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لقوله تعالى :

---

(١) ذن : سال مخاطه ، وفى مجمع الأمثال : « وان كان أذن » .

(٢) العيص : الجماعة من السدر تجتمع فى مكان واحد . والأشب : شدة التفاف الشجر حتى لا مجاز فيه .

« **يا أيها المزمل**[١] • **قم الليـــل الا قليلا • نصفه أو انقص منه قليـــلا** »[٢] •

ثم نسخ بقوله تعـــالى : « **•• علم أن لن تحصوه فتاب عليكم**[٣] ، **فاقرأوا ما تيسر من القرآن** »[٤] :

قال ابن عباس فى تفسيره : قم الليل يعنى قم الليل كله الا قليلا منه • فاشتد ذلك على النبى صلى الله عليـــه وسلم وعلى أصحابه • وقاموا الليل كله ولم يعرفوا ما حد القليـــل ؟ فأنزل الله تعـــالى : « **نصفه أو انقص منه قليلا** » ، فاشتد ذلك أيضا عليهم وقاموا حتى انتفخت أقدامهم ، ففعلوا ذلك سنة ، فأنزل الله تعالى ناسختها ، فقال : « **علم أن لن تحصوه** » ، يعنى قيام الليل من الثلث والنصف ، وكان هـــذا قبل فرض الصلوات الخمس اه •

وعن عكرمة أن ابن عباس ، قال فى المزمل : « **قم الليل الا قليلا • نصفه ••** » نسختها الآية التى فيها : « **علم أن لن تحصوه فتاب عليـــكم ، فاقرأوا ما تيسر من القرآن** » الأثر : أخرجه أبو داوود والبيهقى •

وعن سماك الحنفى أن ابن عباس قال : لمـــا نزلت أول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم فى شهر رمضان حتى نزل آخرها • وكان بين أولها وآخرها سنة • أخرجه أبو داوود والبيهقى ومحمد بن نصر •

وبهذا •• صار قيام الليل مندوبا فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وأمته •

ويؤيده قول سعد بن هشام : انطلقت الى ابن عباس فسألته عن الوتر فقال : ألا أدلك على أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : من ؟ قال : عائشة رضى الله عنها فأتها فسلها ، ثم أعلمنى ما ترد عليك • فانطلقت اليها فأتيت على حكيم بن أفلح فاستصحبته ، فانطلقنا الى عائشة فاستأذنا فدخلنا فقالت : من هـــذا ؟ قال : حكيم بن أفلح • فقالت : من هذا معك ؟ قلت : سعد بن هشام •

---

(١) أصله المتزمل قلبت التاء زايا وادغمت ، أى المتلفف فى ثيابه ، وهو وصف للنبى صلى الله عليه وسلم •

(٢) المزمل : ١ — ٣

(٣) أى خفف عنكم باسقاط فرض قيام الليل ، فالمراد بالتوبة ، التوبة اللغوية وهى التخفيف •

(٤) المزمل : ٢٠

قالت : ومن هشام ؟ قلت ابن عامر • قالت : نعم المرء كان عامر أصيب يوم أحد • قلت : يا أم المؤمنين •• أنبئينى عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى • قالت : فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن • فهممت أن أقوم فبدا لى • فقلت : أنبئينى عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم المؤمنين • قالت : ألست تقرأ : يا أيها المزمل ؟ قلت : بلى • قالت : فان الله تعالى افترض القيام فى أول هذه السورة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم ، وأمسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرا فى السماء ، ثم أنزل الله التخفيف فى آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد أن كان فريضة • الحديث أخرجه مسلم والنسائى والبيهقى ، وهذا لفظه •

وبهذا قال الجمهور وحكى عن ابن عباس ومجاهد وزيد بن أسلم •

وقال مالك : لم يزل قيام الليل فرضا فى حق النبى صلى الله عليه وسلم •

وروى هذا أيضا عن ابن عباس والشافعى لظاهر قوله تعالى : « **ومن الليل فتهجد به نافلة لك** »[1] • أى : فريضة زائدة على الصلوات الخمس خاصة بك دون أمتك •

قال فى الدين الخالص — ج ٥ — بعد ذلك :

« ولا يقال : ان الخطاب له صلى الله عليه وسلم خطاب لأمته ، لأن محل هذا ما لم يقم دليل على الخصوصية كما هنا • فان قوله تعالى : « **نافلة لك** » بعد قوله تعالى : « **فتهجد** » دليل على أن الخطاب خاص به صلى الله عليه وسلم دون أمته • قال ابن عباس : ذلك خاصة للنبى صلى الله عليه وسلم ، أمر بقيام الليل وكتب عليه • أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه •

وأجاب الجمهور بأن المعنى : جعلْ التهجد نفلا فى حقك زيادة لدرجاتك وشكر أمتك لمولاك على ما أولاك • أما فى حق الأمة فشرع تكفيرا للسيئات •

---

(١) أمر للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالتهجد وهو الصلاة ليلا بعد النوم — والآية من سورة الاسراء : ٧٩

ثم يقول فى الدين الخالص ، تحت عنوان :

فضل قيـــام الليـــل

هو فى الفضل فى المرتبة الرابعة بعد المكتوبة والرواتب وما تشرع فيه الجماعة كالعيد والكسوف والتراويح •

وبهذا قال الجمهور ، وعن أحمد وبعض الشافعية أنه يلى المكتوبة فى الفضل •

قال ابن قدامة فى المغنى : وتطوع الليل أفضل من تطوع النهار ، قال أحمد : ليس بعد المكتوبة عندى أفضل من قيام الليل ، والنبى صلى الله عليـــه وسلم قد أمر بذلك • قال الله تعالى : **« ومن الليـــل فتهجد به نافلة لك »** •

عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم • وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليـــل » أخرجه مسلم وأبو داوود والنسائى وابن خزيمة •

وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليـــه وسلم ، قال : « أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة فى جوف الليل ، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم » أخرجه مسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه •

وقال النووى فى شرح مسلم : الحديث ــ يعنى حديث أبى هريرة الأول ــ حجة أبى اسحاق المروزى من أصحابنا ، ومن أصحابنا من وافقه على أن صلاة الليل أفضل من السنن الرواتب ، لأنهـــا تشبه الفرائض •

وقال أكثر العلماء : الرواتب أفضل ، والأول أقوى وأوفق ، لنص هـــذا الحديث •

قال الطيبى : ولعمرى ان صلاة التهجد لو لم يكن فيها فضل سوى قوله تعـــالى : **« ومن الليـــل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا »**[1] •

وقوله تعـــالى : **« تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقنـــاهم ينفقـــون • فلا تعـــلم نفس ما أخفى لهم من قـــرة أعين »**[2] وغيرهما من الآيات لكفاه مزية اهـ •

(١) الاسراء : ٧٩

(٢) السجدة : ١٦ ، ١٧

وحول هاتين الآيتين ، قال — فى الهامش — فضيلة الشيخ أمين محمود خطاب رحمه الله تعالى معلقا وشارحا :

١ — أي : تهجد لنعطيك يوم القيامة مقاما يحمدك فيه الخلائق ، وهو مقام الشفاعة فى فصل القضاء :

فقد قال أبو هريرة : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود ، فقال : « هو الشفاعة » أخرجه الترمذى ..

٢ — « **تتجافى** » أى ترتفع جنوبهم عن مواضع النوم لتهجدهم ليلا : « **يدعون ربهم** » أى يعبدونه « **خوفا** » من وبال عقابه « **وطمعا** » فى جزيل ثوابه ، ويتصدقون مما أنعم الله عليهم . وسيدهم فى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عبد الله بن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه
إذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه
إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وعن أبي هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : قال الله تعالى : « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . قال أبو هريرة : اقرأوا أن شئتم : « **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين** » .

أخرجه الشيخان والترمذى . وزاد البخارى فى رواية : وقال محمد ابن كعب : انهم أخفوا لله عملا ، فأخفى لهم ثوابا ، فلو قدموا عليه أقر تلك الأعين .

فالآية واردة فى قيام الليل وهو قول الجمهور .

* * *

وقد ورد فى فضل قيام الليل أحاديث ، منها ، ما ورد عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه أو ساقاه . فقيل له : أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبدا شكورا » ؟ أخرجه أبو يعلى والبزار والطبرانى فى الأوسط بسند رجاله رجال الصحيح .

وعن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان فى الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها ، أعدها الله لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وقام بالليل والناس نيام » أخرجه أحمد وابن حبان والبيهقى فى الشعب والطبرانى فى الكبير بسند رجاله ثقات .

وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا نام أحدكم عقد على رأسه ثلاث عقد بجرير[1] ، فان قام فذكر الله عز وجل أطلقت واحدة ، وان مضى فتوضأ أطلقت الثانية ، فان مضى فصلى أطلقت الثالثة . فان أصبح ولم يقم شيئا من الليل ولم يصل ، أصبح وهو عليه ، يعنى الجرير » أخرجه الجماعة ، وهذا لفظ أحمد .

ولفظه عند الشيخين وأبى داوود ، عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « يعقد الشيطان على قافية رأس[2] أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل[3] فارقد ، فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة . فان توضأ انحلت عقدة . فان صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطا طيب النفس ، والا أصبح خبيث النفس كسلان » .

أى : ان لم يذكر ولم يتوضأ ولم يصل ونام حتى فاته التهجد أو صلاة الصبح : أصبح محزون القلب كثير الهم متحيرا فى أمره ، غيرمنشرح الصدر متكاسلا عن تحصيل مآربه لتركه فعل الخير وتمكن الشيطان منه .

وقد اختلف فى هـــذا العقد ، فالظاهر أنه باق على حقيقته وهو الربط ، لمـــا فى رواية ابن ماجه عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم بالليل بحبل فيه ثلاث عقد » .. الحديث .

---

(١) الجرير بفتح فكسر ، الحبل من جلد كالزمام . ويطلق على كل حبل مضفور ، ومنه الحديث : « ما من عبد ينام بالليل الا على رأسه جرير معقود » ذكره فى النهاية .

(٢) القافية : مؤخر العنق ، وخص القفا بذلك ، لأنه محل القوة الواهمة ، وهى أطوع القوى للشيطان .

(٣) وفى روايـــة للبخارى : يضرب على مكان كل عقدة ، أو يضرب بيده على العقدة تأكيدا واحكاما .

وفى رواية محمد بن نصر : على قافية رأس أحدكم بالليل حبل فيه ثلاث عقد .

وفى رواية ابن حبان : ما من ذكر ولا أنثى الا ويعقد على رأسه بجرير وهو حبل من جلد . وقيل : ان العقد مجاز كأنه شبه فعل الشيطان بالنائم من منعه من الذكر والصلاة بفعل الساحر بالمسحور من منعه من مراده . فهو من عقد القلب وتصميمه ، فكأن الشيطان يوسوس فى نفس النائم بأن عليك ليلا طويلا فيتأخر عن القيام . أو المراد به تثقيل القلب فى النوم واطالته ، فكأن الشيطان قد شد عليه شدا وعقده ثلاث عقد .

والمراد بالشيطان الجنس وفاعل ذلك هو القرين أو غيره . ويحتمل أن يراد به رأس الشياطين وهو ابليس .

ولا يقال : ان الغافلين عن قيام الليل كثيرون ، فلا يستطيع أن يعقد عليهم ، لأنا نقول : لا مانع من ذلك ، لجواز أن يعطيه الله القدرة على ذلك .

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام حتى لا تكون من الغافلين الذين يعقد الشيطان على قافية رأس كل واحد منهم بحبل فيه ثلاث عقد . أو يبول الشيطان فى أذن كل واحد منهم :

ففى حديث يونس عن الحسن عن أبى هريرة أن رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ان فلانا نام البارحة ولم يصل شيئا حتى أصبح . فقال : بال الشيطان فى أذنه » . قال يونس وقال الحسن : « ان بوله والله ثقيل » أخرجه أحمد ، وأخرج الشيخان نحوه عن ابن مسعود .

* * *

واعلم أنه اذا كانت نيتك القيام ، أو كانت عادتك التهجد فغلبتك عيناك فلا لوم عليك ، بل سيكتب الله لك ثواب ما كنت تفعله من الطاعة قبل ذلك ..

فعن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ما من امرىء تكون له صلاة بليل يغلبه عليها نوم أو وجع الا كتب له أجر صلاته ، وكان نومه عليه صدقة » أخرجه مالك وأبو داوود والنسائى والبيهقى .

* * *

واعلم كذلك أنه قد اتفق العلماء على أنه ليس لصلاة الليل عدد مخصوص ، وأن العبد كلما زاد فيها زاد أجره واختلفوا فيما فعله النبى صلى الله عليه وسلم واختاره لنفسه ، والغالب من أحواله صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلى بالليـــل احدى عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة بالوتر • وقد صلى تسعا وسبعا لمـــا كبر سنه •

* * *

واعلم أن الأفضل فى صلاة الليـــل أن تكون مثنى مثنى • ويسن أن تفتتح بركعتين خفيفتين لينشط بهما لمـــا بعدهما ، ثم يطيل القراءة والركوع والسجود ، وهو مخير فى القراءة بين الاسرار والجهر وهو أفضل ما لم يهوش على مصل أو نائم •

* * *

وحسبك يا أخى أن تعلم أنك عندما ستتقرب الى الله تعالى بكل هـــذا ، وهو : « اطعام الطعام ، وافشاء السلام ، وصلة الأرحام ، والصلاة بالليـــل والناس نيام » فانك ستدخل الجنة ــ ان شاء الله تعالى ــ بسلام ••

أى : مصحوبا بالسلامة من الآفات والمكاره ، أو مسلما عليك من الله تعالى والملائكة الكرام • كما يشير الى هذا قول الله تبارك وتعالى : **« وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ، حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين • وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ، فنعم أجر العاملين »**[1] •

اللهم اجعلنا منهم ، واحشرنا فى زمرتهم •• آمين ••

* * *

---

(١) الزمر : ٧٣ ، ٧٤

الوصية الثالثة والخمسون

عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :

« عليكم بقيام الليـل ، فانه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة الى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الاثم » ..

(رواه الترمذى فى كتـاب الدعـاء من جامعـه ، وابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد ، وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم ، كلهم من رواية عبد الله بن صالح كاتب الليث رحمه الله ، وقال الحاكم : صحيح على شرط البخارى) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

من المنتفعين بهذه الوصية العظيمة التى يرغبك الرسول صلى الله عليه وسلم فيها بقيام الليـل .. لأنه كما يقول صلوات الله وسلامه عليه فى نص الوصية : دأب الصالحين قبلنا ، أى : عادتهم وشأنهم .

كما يشير الى هذا قول الله تبارك وتعالى عن عبده داوود عليه السلام :

« .. واذكر عبدنا داوود ذا الأيد انه أواب »(1) ، فقد قـال القرطبى فى تفسير معنى : **« ذا الأيد »** ، أى : ذا القوة فى العبادة ، وكان يصوم يوما ويفطر يوما ، وذلك أشد الصوم وأفضله ، وكان يصلى نصف الليل ، وكان لا يفر اذا لاقى العدو ، وكان قويا فى الدعاء الى الله تعالى . وقوله : **« عبدنـا »** اظهارا لشرفه بهذه الاضافة .. ثم ذكر معنى **« انه أواب »** فقال : قال الضحاك : أى تواب . وعن غيره أنه كلما ذكر ذنبه أو خطر على باله استغفر منه .. فكان داوود رجاعا الى طاعة الله ورضاه فى كل أمر فهو أهل لأن يقتدى به ..

وقال على بن أبى طالب : شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتى أصبح ، فأوحى الله تعالى اليه : يا يحيى

---

(1) سورة ص : ١٧

.. أوجدت دارا خيرا لك من دارى ؟ أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى ؟ فوعزتى وجلالى يا يحيى لو اطلعت الى الفردوس اطلاعه لذاب شحمك ، ولزهقت نفسك اشتياقا ، ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ، ولبكيت الصديد بعد الدموع ، ولبست الجلد بعد المسوح .

وقد قرأت كذلك أن الخبيث ابليس تبدى ليحيى بن زكريا ، فقال : انى أريد أن أنصحك ، فقال : كذبت أنت لا تنصحنى ، ولكن أخبرنى عن بنى آدم ، قال : هم عندنا على ثلاثة أصناف :

أما الصنف الأول : وهو أشد الأصناف علينا : فاننا نقبل على أحدهم حتى نفتنه ونستمكن منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شىء أدركناه منه ، ثم نعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا .

وأما الصنف الثانى : فهم فى أيدينا بمنزلة الكرة فى أيدى صبياننا نتلقفهم كيف شئنا قد كفونا أنفسهم .

وأما الصنف الثالث : فهم مثلك معصومون ولا نقدر منهم على شىء .

فقال له يحيى عليه السلام : هل قدرت منى على شىء ؟ قال : لا .. الا مرة واحدة فانك قدمت طعاما تأكله ، فلم أزل أشهيه اليك حتى أكلت أكثر مما تريد فنمت تلك الليلة ولم تقم الى الصلاة كما كنت تقوم اليها .

فقال يحيى : لا جرم لا شبعت طعاما أبدا حتى أموت ، فقال له الخبيث : لا جرم لا نصحت آدميا بعدك أبدا .

* * *

ولهذا : كان لقمان الحكيم يقول لولده : « اذا امتلأت المعدة ، نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة » .

كما ورد كذلك فى الأثر : « من أكل كثيرا نام كثيرا ، وحرم من خير كثير » .

وذلك لأن الشبع هو أوسع أبواب ابليس ، وشرك من عظيم احتباله .

ومن أجل ذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم ، يقول كذلك :

« ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه .

وان صح الحديث الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم :
« نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع » :

ففيه الكفاية التى يجب أن تكون دائما وابدا فى ذاكرتك ونصب عينيك حتى لا يضحك الشيطان عليك ، وحتى « لا تكون أعجز من الديك الذى يصوت بالأسحار وأنت نائم على فراشك » كما يقول لقمان الحكيم لولده محذرا اياه من الغفلة وعدم قيام الليل الذى هو دأب الصالحين ، كما قال صلوات الله وسلامه عليه .

وحسبك حتى تكون من أولى الألباب الذين يقومون الليل فاستحقوا بذلك رحمة الله تعالى ، كما يشير الى ذلك قوله تعالى : **« والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما »**[1] .

حسبك أن تقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى ورد فى صفة صلاته بالليل عدة أحاديث ، منها :

حديث كريب مولى ابن عباس أنه أخبره أنه بات عند ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وهى خالته ، قال : فاضطجعت فى عرض الوسادة واضطجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهله فى طولها ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ، استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر الآيات خواتيم سورة آل عمران[2] ثم قام الى شن[3] معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه ، ثم قام يصلى . قال ابن عباس : فقمت فصنعت مثل الذى صنع . ثم ذهبت فقمت الى جنبه فوضع يده على رأسى وأخذ أذنى اليمنى ففتلها[4] فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر . ثم اضطجع حتى أتاه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح » رواه أحمد والشيخان .

---

(١) الفرقان : ٦٤

(٢) العشر آيات من قوله تعالى : **« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب »** الى آخر السورة (آل عمران : ١٩٠ — ٢٠٠) .

(٣) الشن ، بفتح الشين وشد النون : القربة الخلق .

(٤) ففتلها ليذهب عنه النعاس وليتنبه الى مكان المأموم .

وحديث سلمة بن كهيل عن كريب أن ابن عباس قال : بت عند خالتي ميمونة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فأتى حاجته ثم غسل وجهه ويديه ، ثم قام فأتى القربة فأطلق شناقها[١] ثم توضأ وضوءا بين الوضوءين ، لم يكثر وقد أبلغ ، ثم قام فصلى فقمت فتمطأت[٢] كراهية أن يرى أني كنت أرتقبه ، فتوضأت فقام يصلي فقمت عن يساره فأخذ بأذني فأدارني عن يمينه • فتتامت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل ثلاث عشرة ركعة ، ثم اضطجع فنام حتى نفخ ، وكان اذا نام نفخ • فأتاه بلال فآذنه بالصلاة ، فقام فصلى ولم يتوضأ[٣] ، وكان يقول في دعائه : اللهم اجعل في قلبي نورا ، وفي بصري نورا ، وفي سمعي نورا ، وعن يميني نورا ، وعن يساري نورا ، ومن فوقي نورا ، ومن تحتي نورا ، ومن أمامي نورا ، ومن خلفي نورا ، وأعظم لي نورا • قال كريب : وسبع في التابوت[٤] • قال سلمة : فلقيت بعض ولد العباس فحدثني بهن فذكر عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري • قال : وذكر خصلتين »[٥] أخرجه السبعة وهم : أحمد والبخاري ومسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي وابن ماجه •

وقول صفوان بن المعطل السلمي : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرمقت صلاته ليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام • فلما كان نصف الليل استيقظ فتلا الآيات العشر آخر سورة آل عمران ، ثم تسوك ثم توضأ ثم قام فصلى ركعتين ، فلا أدري أقيامه أم ركوعه أم سجوده أطول ؟ ثم انصرف فنام ، ثم استيقظ فتلا الآيات ثم تسوك ، ثم توضأ ثم قام فصلى ركعتين ، لا أدري أقيامه أم ركوعه أم سجوده أطول ؟ ثم انصرف فنام ، ثم استيقظ ففعل ذلك ثم لم يزل يفعل كما

---

(١) الشناق ، بكسر ففتح ، الخيط يشد به فم القربة •

(٢) وفي رواية مسلم : فتمطيت ، أي تأخرت وتمددت من التمطي وهو مد اليدين في حال الكسل •

(٣) لأنه كان منتبها ولأن قلبه لا ينام صلى الله عليه وسلم •

(٤) أي وسبع في قلبي قد نسيتها •

(٥) أي فحدثني بهن ، أي بالخصال السبعة التي نسيها كريب (وذكر خصلتين) يعني السادسة والسابعة ولم يصرح بهما سلمة ، لاحتمال انه نسيهما •

فعل أول مرة[١] حتى صلى احدى عشرة ركعة » أخرجه ابن أحمد فى زوائد المسند .

وحديث الحسن عن سعد بن هشام ، قال : قدمت المدينــة فدخلت على عائشة ، فقلت : أخبرينى عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بالناس صلاة العشاء ثم يأوى الى فراشه فينام ، فاذا كان جوف الليل قام الى حاجته[٢] والى طهوره فتوضأ ثم دخل المسجد فصلى ثمانى ركعات ، يخيل الى أنه يسوى بينهن فى القراءة والركوع والسجود ثم يوتر بركعة . ثم يصلى ركعتين وهو جالس . ثم يضع جنبه ، فربما جاء بلال فآذنه بالصلاة ثم يغفى وربما شككت أغفى أو لا[٣] حتى يؤذنه بالصلاة ، فكانت تلك صلاته حتى أسن أو لحم[٤] . أخرجه أبو داوود والنسائى .

* * *

وحتى تكون ان شاء الله من الحريضين على قيام الليل والتهجد فيه ، حتى يكون لك زاد ينفعك فى سفرك الطويل الى الله تبارك وتعالى ، كما يشير هذا الأثر الذى جاء فى مضمونه : أن أبا ذر رضى الله عنه وقف ذات يوم أمام الكعبة ثم قال لأصحابه : أليس اذا أراد أحدكم سفرا يستعد له بزاد ؟ قالوا : نعم . قال : فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون . فقالوا : دلنا على زاده . فقال : حجوا لعظائم الأمور ، وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور ، وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور .

* * *

وحتى تفوز بهذا الخير ان شاء الله تعالى ، اليك كذلك هذه الآثار التى سترى من خلالها كيف كان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن على شاكلتهم من التابعين والسلف الصالحين ، ينشطون فى قيام

---

(١) يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم صلى خمس مرات فى كل مرة ركعتين ثم أوتر بواحدة ، ويحتمل أنه صلى أربع مرات فى كل مرة ركعتين ثم أوتر بثلاث .

(٢) المراد بالحاجة البول ونحوه .

(٣) الاغفاء : هو النوم الخفيف .

(٤) أسن : أى كبر سنه ، ولحم : أى كثر لحمه .

الليل ويحرصون عليه إقتداء بمثلهم الأعلى ، صلوات الله وسلامه عليه الذى أمرهم الله تعالى جميعا بالاقتداء به فقال : « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** »[1] :

فقد روى أنه كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم رجل اذا أخذ الناس مضاجعهم ، وهدأت العيون ، قام يصلى ويقرأ القرآن ويقول : يا رب النار أجرنى منها ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « اذا كان ذلك فآذنونى[2] » فأتاه فاستمع فلما أصبح ، قال : يا فلان .. هلا سألت الله الجنة ؟ قال : يا رسول الله .. انى لست هناك ، ولا يبلغ عملى ذلك ، فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام ، قال : « أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة » .

ويروى أن جبرائيل عليه السلام ، قال للنبى صلى الله عليه وسلم : « نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلى بالليل ، فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ، فكان يداوم بعده على قيام الليل » قال نافع : كان يصلى بالليل ، ثم يقول : يا نافع أسحرنا[3] فأقول : لا . فيقوم لصلاته ، ثم يقول : يا نافع أسحرنا ، فأقول : نعم ، فيقعد ، فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر[4] .

وروى أن عمر رضى الله عنه ، كان يمر بالآية من ورده بالليل ، فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض .

وكان ابن مسعود رضى الله عنه : اذا هدأت العيون قام فيسمع له دوى كدوى النحل حتى يصبح .

ويقال : أن سفيان الثورى رحمه الله : شبع ليلة ، فقال : ان الحمار اذا زيد فى علفه زيد فى عمله ، فقام تلك الليلة حتى أصبح .

وكان طاووس رحمه الله اذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة على المقلاة ، ثم يثب ويصلى الى الصباح ، ثم يقول : طير ذكر جهنم نوم العابدين .

---

(١) الأحزاب : ٢١ . (٢) أى أخبرونى .

(٣) أسحرنا : أى صرنا فى وقت السحر .

(٤) قال فى هامش الاحياء : الحديث متفق عليه .. وليس فيه ذكر لجبريل .

وقال الحسن رحمه الله : ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل ، ونفقة هـذا المـال ، فقيل له : ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها ؟ قال : لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره •

وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش ، فنام عليه حتى فاته ورده ، فحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبدا •

وكان عبد العزيز بن أبى داوود : اذا جن الليل يأتى فراشه فيمر يده عليـه ، ويقول : انك للين ، ووالله ان فى الجنة لألين منك ، ولا يزال يصلى الليل كله •

وقال الفضيل : انى لأستقبل الليل من أوله فيهولنى طوله فأفتتح القرآن فأصبح وما قضيت نهمتى •

وقال الحسن : ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل •

وقال الفضيل : اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار ، فاعلم أنك محروم ، وقد كثرت خطيئتك •

وكان صلة بن أشيم رحمه الله : يصلى الليل كله ، فاذا كان فى السحر ، قال : الهى ليس مثلى يطلب الجنة ، ولكن أجرنى برحمتك من النار •

وقال رجل لبعض الحكماء : انى لأضعف عن قيام الليل ، فقال له : يا أخى لا تعص الله بالنهار ولا تقم بالليل •

وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم ، فلما كان فى جوف الليل قامت الجارية ، فقالت : يا أهل الدار الصلاة الصلاة • فقالوا : أصبحنا ؟ أطلع الفجر ؟ فقالت : وما تصلون الا المكتوبة ؟ قالوا : نعم • فرجعت الى الحسن ، فقالت : يا مولاى بعتنى من قوم لا يصلون الا المكتوبة ، ردنى ، فردها •

وقال الربيع : بت فى منزل الشافعى رضى الله عنه ليالى كثيرة ، فلم يكن ينام من الليل الا يسيرا •

وقال أبو الجويرية : لقد صحبت أبا حنيفة رضى الله عنه ستة أشهر ، فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض ، وكان أبو حنيفة يحيى نصف الليل ، فمر بقوم ، فقالوا : ان هذا يحيى الليل كله ، فقال : انى أستحى أن أوصف بما لا أفعل ، فكان بعد ذلك يحيى الليل كله ، ويروى أنه ما كان له فراش بالليل •

ويقال : ان مالك بن دينار رضى الله عنه : بات يردد هـذه الآية

حتى أصبح : « **أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات** »[1] الآيــة •

وقال المغيرة بن حبيب : رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ، ثم قام الى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة ، فجعل يقول : اللهم حرم شيبة مالك على النار ، الهى قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ، فأى الرجلين مالك ؟ وأى الدارين دار مالك ؟ فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر •

وقال مالك بن دينار : سهوت ليلة عن وردي ونمت ، فاذا أنا فى المنام بجارية كأحسن ما يكون وفى يدها رقعة ، فقالت لى : أتحسن تقرأ ؟ فقلت : نعم ، فدفعت الى الرقعة فاذا فيها :

أألهتــك اللذائذ والأمــانى ... عن البيض الأوانس فى الجنان
تعيش مخلدا لا موت فيـها ... وتلهو فى الجنان مع الحسان
تنبه من منامــك ان خـيرا ... من النــوم التهجد بالقرآن

وقيل : حج مسروق فما بات ليلة الا ساجدا •

ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين ، أنه قال : رأيت فى المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا ، فقلت لها : من أنت ؟ قالت : حوراء • فقلت : زوجينى نفسك ، فقالت : أخطبنى الى سيدى وأمهرنى ، فقلت : وما مهرك ؟ قالت : طول التهجد •

وقال يوسف بن مهران : بلغنى أن تحت العرش ملكا فى صورة ديك براثنه من لؤلؤ ، وصئصئه من زبرجد أخضر ، فاذا مضى ثلث الليل الأول ضرب بجناحيه وزقى وقال : ليقم القائمون ، فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقى وقال : ليقم المتهجدون ، فاذا مضى ثلثــا الليــل ضرب بجناحيه وزقى ، وقال : ليقم المصلون ، فاذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وقال : ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم •

وقيل : ان وهب بن منبه اليمانى ما وضع جنبه الى الأرض ثلاثين سنة ، وكان يقول : لأن أرى فى بيتى شيطانا أحب الى من أن أرى فى بيتى وسادة لأنها تدعو الى النوم ، وكانت له مسورة من أدم اذا غلبه النوم وضع صدره عليها ، وخفق خفقات ، ثم يفزع الى الصلاة •

وروى فى بعض الكتب القديمة عن الله تعالى ، أنه قال : ان عبدى الذى هو عبدى حقا الذى لا ينتظر بقيامه صياح الديكة •

---

(١) الجاثية : ٢١

فاذا كنت أخا الاسلام — بعد أن وقفت على كل هـذه الآثار والأقوال — : ستعمل من جانبك على أن تكون متشبها بهؤلاء الرجال ، حتى تكون من أهل الفلاح ، كما يشير الى هذا الشاعر فى قوله :

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم
ان التشبه بالرجال فلاح

* * *

اذا كنت ستفعل هذا ان شاء الله فاننى أرى أن أزودك كذلك بعد ذلك بكلام هام ، لابد وأن تقف عليه حتى يتيسر لك هذا بعون الله تعالى وتوفيقه .. وهو ما ذكره الامام الغزالى رحمه الله تعالى فى كتابه الاحياء[1] ، تحت عنوان :

بيان الأسباب التى بها يتيسر قيام الليل

فيقول رحمه الله ورضى عنه وأرضاه :

اعلم أن قيام الليل عسير على الخلق الا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا .

فأما الظاهر : فأربعة أمور .

الأول : أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام ، كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول : معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا ، فتشربوا كثيرا ، فترقدوا كثيرا ، فتتحسروا عند الموت كثيرا ، وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام .

الثانى : أن لا يتعب نفسه بالنهار فى الأعمال التى تعيا بها الجوارح ، وتضعف بها الأعصاب ، فان ذلك أيضا مجلبة للنوم .

الثالث : أن لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة ، للاستعانة على قيام الليل .

الرابع : أن لا يحتقب الأوزار بالنهار ، فان ذلك مما يقسى القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة :

قال رجل للحسن : يا أبا سعيد .. انى أبيت معافى ، وأحب قيام الليل ، وأعد طهورى ، فما بالى لا أقوم ؟ فقال : ذنوبك قيدتك .

---

(١) باختصار وتصرف .

وكان الحسن رحمه الله : اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم ، يقول : أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون •

وقال الثورى : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته ، قيل : وما ذاك الذنب ؟ قال : رأيت رجلا يبكى ، فقلت فى نفسى : هــذا مراء •

وقال بعضهم : دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكى ، فقلت : أتاك نعى بعض أهلك ؟ فقال : أشد • فقلت : وجع يؤلمك ؟ قال : أشد • قلت : فما ذاك ؟ قال : بابى مغلق ، وسترى مسبل ، ولم أقرأ حزبى البارحة ، وما ذاك الا بذنب أحدثته ، وهذا لأن الخير يدعو الى الخير ، والشر يدعو الى الشر ، والقليل من كل واحد منهما : يجر الى الكثير •
ولذلك قال أبو سليمان الدارانى : لا تفوت أحدا صلاة الجماعة الا بذنب ، وكان يقول : الاحتلام بالليل عقوبة ، والجنابة بعد •

وقال بعض العلماء : اذا صمت يا مسكين ، فانظر عند من تفطر ، وعلى أى شىء تفطر ، فان العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ، ولا يعود الى حالته الأولى ، فالذنوب كلها تورث قساوة القلب ، وتمنع من قيام الليــل ، وأخصها بالتأثير : تناول الحرام ، وتؤثر اللقمة الحلال فى تصفية القلب وتحريكه الى الخير ما لا يؤثر غيرها ، ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له •

ولذلك قال بعضهم : كم من أكلة منعت قيام ليلة ، وكم من نظرة منعت قراءة سورة ، وان العبد ليأكل أكلة ، أو يفعل فعلة ، فيحرم بها قيام سنة ، وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات •
وقال بعض السجانين : كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة ، أسأل كل مأخوذ بالليل ، أنه هل صلى العشاء فى جماعة ، فكانوا يقولون : لا ، وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطى الفحشاء والمنكر •
وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور :
الأول : سلامة القلب عن الحقد على المسلمين ، وعن البدع ، وعن فضول هموم الدنيا ، فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام ، وان قام فلا يتفكر فى صلاته الا فى مهماته ، ولا يجول الا فى وساوسه ، وفى مثل ذلك يقال :

يخبرني البواب أنك نائم
وأنت اذا استيقظت أيضا فنائم

الثانى : خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل ، فانه اذا تفكر فى أهوال الآخرة ، ودركات جهنم طار نومه ، وعظم حذره ، كما قال طاووس : ان ذكر جهنم طير نوم العابدين •

وكما حكى : أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله ، فقالت له سيدته : ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار ، فقال : ان صهيباً اذا ذكر النار لا يأتيه النوم •

وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل ، فقال : اذا ذكرت النار اشتد خوفى ، واذا ذكرت الجنة اشتد شوقى ، فلا أقدر أن أنام •

وقال ذو النون المصرى رحمه الله :

منع القرآن بوعده ووعيده مقل العيون بليلها أن تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه فرقا بهم ذلت اليه تخضعا

وأنشدوا أيضا :

يا طويل الرقاد والغفلات كثرة النوم تورث الحسرات
ان فى القبر ان نزلت به لرقادا يطول بعد الممات
ومهادا ممهدا لك فيه بذنوب عملت أو حسنات
أأمنت البيات من ملك المو ت ، وكم نال آمنا ببيات

وقال ابن المبارك رحمه الله :

اذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن فى الدنيا هجوع

الثالث : أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والأخبار والآثار ، حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى درجات الجنان ، كما حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته ، فمهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره ، فدخل المسجد ولم يزل يصلى حتى أصبح ، فقالت له زوجته : كنا ننتظرك مدة ، فلما قدمت صليت الى الصبح •• قال : والله انى كنت أتفكر فى حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتى شوقا اليها •

الرابع : وهو أشرف البواعث : الحب لله وقوة الايمان بأنه فى قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج ربه ، وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه ، وأن تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه ، فاذا أحب الله

تعالى أحب لا محالة الخلوة به ، وتلذذ بالمناجاة ، فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام .

ولا ينبغي أن تستبعد هذه اللذة اذ يشهد لها العقل والنقل .

فأما العقل : فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله ، أو لملك بسبب انعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به فى الخلوة ومناجاته ، حتى لا يأتيه النوم طول ليله .

فان قلت : ان الجميل يتلذذ بالنظر اليه وان الله تعالى لا يرى[1] :

فاعلم أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر ، أو كان فى بيت مظلم ، لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع فى أمر آخر سواه ، وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه ، وان كان ذلك أيضا معلوما عنده .

فان قلت : انه ينتظر جوابه ، فيتلذذ بسماع جوابه ، وليس يسمع كلام الله تعالى .

فاعلم أنه كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه ، فقد بقيت له أيضا لذة فى عرض أحواله عليه ، ورفع سريرته اليه ، كيف والموقن يسمع من الله تعالى كل ما يرد على خاطره فى أثناء مناجاته ، فيتلذذ به ، وكذا الذى يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته فى جنح الليل يتلذذ به فى رجاء انعامه ، والرجاء فى حق الله تعالى أصدق ، وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما عند غيره . فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه فى الخلوات .

وأما النقل : فيشهد له أحوال قوام الليل فى تلذذهم بقيام الليل ، واستقصارهم له ، كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب ، حتى قيل لبعضهم : كيف أنت والليل ؟ قال : ما راعيته قط ، يرينى وجهه ثم ينصرف ، وما تأملته بعد .

وقال آخر : أنا والليل فرسا رهان ، مرة يسبقنى الى الفجر ، ومرة يقطعنى عن الفكر .

وقيل لبعضهم : كيف الليل عليك ؟ فقال : ساعة ، أنا فيها بين حالتين أفرح بظلمته اذا جاء ، وأغتم بفجره اذا طلع ، ما تم فرحى به قط .

---

(١) بضم الراء .. فالله تعالى : ((**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصـــار وهو اللطيف الخبير**)) (الأنعام : ١٠٣) .

وقال على بن بكار : منذ أربعين سنة ما أحزننى شىء سوى طلوع الفجر .

وقال الفضيل بن عياض : اذا غربت الشمس فرحت بالظلام ، لخلوتى بربى ، واذا طلعت حزنت لدخول الناس على .

وقال أبو سليمان : أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ، ولولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا .

وقال أيضا : لو عوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدون من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم .

وقال بعض العلماء : ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة الا ما يجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة .

وقال بعضهم : لذة المناجاة ليست من الدنيا ، نما هى من الجنة ، أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سواهم .

وقال ابن المكندر : ما بقى من لذات الدنيا الا ثلاث : قيام الليل ، ولقاء الاخوان ، والصلاة فى الجماعة .

وقال بعض العارفين : ان الله تعالى ينظر بالأسحار الى قلوب المتيقظين فيملؤها أنوارا ، فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافى الى قلوب الغافلين .

وقال بعض العلماء من القدماء : ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين : ان لى عبادا من عبادى أحبهم ويحبوننى ، ويشتاقون الى وأشتاق اليهم ، ويذكروننى وأذكرهم ، وينظرون الى وأنظر اليهم ، فان حذوت طريقهم أحببتك ، وان عدلت عنهم مقتك . قال : يا رب .. وما علامتهم ؟ قال : يراعون الظلال بالنهار ، كما يراعى الراعى غنمه ، ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى أوكارها ، فاذا جنهم الليـــل ، واختلط الظلام ، وخلا كل حبيب بحبيبه ، نصبوا الى أقدامهم ، وافترشوا الى وجوههم ، وناجونى بكلامى ، وتملقوا الى بانعامى ، فبين صارخ وباكى ، وبين متأوه وشاكى ، بعينى ما يتحملون من أجلى ، وبسمعى ما يشتكون من حبى ..

أول ما أعطيهم : أقذف من نورى فى قلوبهم ، فيخبرون عنى ، كما أخبر عنهم .

والثانيـــة : لو كانت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم .

والثالثة : أقبل بوجهي عليهم ، أفترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه ؟ ..

وقال مالك بن دينار رحمه الله : اذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار عز وجل ، وكانوا يرون ما يجدون من الرقة والحلاوة فى قلوبهم والأنوار من قرب الرب تعالى من القلب .

وفى الأخبار عن الله عز وجل : أى عبدى ، أنا الله الذى اقتربت من قلبك ، وبالغيب رأيت نورى .

وشكا بعض المريدين الى أستاذه طول سهر الليل ، وطلب حيلة يجلب بها النوم ، فقال أستاذه : يا بنى .. ان لله نفحات فى الليل والنهار ، تصيب القلوب المتيقظة ، وتخطىء القلوب النائمة ، فتعرض لتلك النفحات ، فقال : يا سيدى تركتنى لا أنام بالليل ولا بالنهار .

واعلم أن هذه النفحات بالليل أرجى لما فى قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل ، وفى الخبر الصحيح :

عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا أعطاه اياه » .

وفى رواية أخرى : « يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه » وذلك كل ليلة ، ومطلوب القائمين تلك الساعة وهى مبهمة فى جملة الليل كليلة القدر فى شهر رمضان ، وكساعة يوم الجمعة ، وهى ساعة النفحات المذكورة ، والله أعلم .

* * *

واتماما للفائدة ، فاننى أرى أن أسوق اليك كذلك ما قاله فى الاحياء بعد ذلك ، تحت عنوان :

بيان طرق القسمة لأجزاء الليل

حيث يقول رحمه الله تعالى :

اعلم أن احياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب :

الأولى : احياء كل الليل : وهذا شأن الأقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى ، وتلذذوا بمناجاته ، وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم ، فلم يتعبوا بطول القيام ، وردوا المنام الى النهار فى وقت اشتغال الناس ، وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء ، حكى أبو طالب المكى : أن ذلك حكى على سبيل

التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه أربعين سنة ، قال : منهم سعيد بن المسيب ، وصفوان بن سليم المدنيان ، وفضيل بن عياض ، ووهيب بن الورد المكيان ، وطاووس ، ووهب بن منبه اليمانيان ، والربيع بن خيثم ، والحكم الكوفيان ، وأبو سليمان الدارانى ، وعلى بن بكار الشاميان ، وأبو عبد الله الخواص وأبو عاصم العباديان ، وحبيب أبو محمد ، وأبو جابر السلمانى الفارسيان ، ومالك بن دينار ، وسليمان التيمى ، ويزيد الرقاشى ، وحبيب بن أبى ثابت ، ويحيى البكاء ، البصريون ، وكهمس بن المنهال ، وكان يختم فى الشهر تسعين ختمة ، وما لم يفهمه رجع وقرأه مرة أخرى ، وأيضا من أهل المدينة أبو حازم ، ومحمد بن المنكدر فى جماعة يكثر عددهم •

المرتبة الثانية : أن يقوم نصف الليل ، وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف ، وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأول من الليل ، والسدس الأخير منه ، حتى يقع قيامه فى جوف الليل ووسطه فهو الأفضل •

المرتبة الثالثة : أن يقوم ثلث الليل ، فينبغى أن ينام النصف الأول والسدس الأخير ، وبالجملة نوم آخر الليل محبوب ، لأنه يذهب النعاس بالغداة ، وكانوا يكرهون ذلك ، ويقلل صفرة الوجه ، والشهرة به ، فلو قام أكثر الليل ، ونام سحرا قلت صفرة وجهه ، وقل نعاسه ، وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوتر من آخر الليل ، فان كانت له حاجة الى أهله دنا منهن ، والا اضطجع فى مصلاه حتى يأتيه بلال ، فيؤذنه للصلاة ، وقالت أيضا رضى الله عنها : ما ألفيته بعد السحر الا نائما ، حتى قال بعض السلف : هذه الضجعة قبل الصبح سنة ، منهم أبو هريرة رضى الله عنه ، وكان نوم هذا الوقت سببا للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب ، وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الأول من أوراد النهار ، وقيام ثلث الليل من النصف الأخير ، ونوم السدس الأخير قيام داوود صلى الله عليه وسلم •

المرتبة الرابعة : أن يقوم سدس الليل أو خمسه ، وأفضله أن يكون فى النصف الأخير وقبل السدس الأخير منه •

المرتبة الخامسة : أن لا يراعى التقدير ، فان ذلك انما يتيسر لنبى

يوحى اليه أو لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ، ويواظبه ، ويوقظه ، ثم ربما يضطرب فى ليالى الغيم ، ولكنه يقوم من أول الليل الى أن يغلبه النوم ، فاذا انتبه قام ، فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له فى الليل نومتان ، وقومتان وهو من مكابدة الليل ، وأشد الأعمال وأفضلها وقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو طريقة ابن عمر ، وأولى العزم من الصحابة ، وجماعة من التابعين رضى الله عنهم ، وكان بعض السلف يقول : هى أول نومة ، فاذا انتبهت ثم عدت الى النوم فلا أنام الله لى عينا ، فأما قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث المقدار ، فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم نصف الليل ، أو ثلثيه ، أو ثلثه ، أو سدسه ، يختلف ذلك فى الليالى ، ودل عليه قوله تعالى فى الموضعين من سورة المزمل : **« ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه »**(١) ، فأدنى من ثلثى الليل كأنه نصفه ، ونصف سدسه ، فان كسر قوله : ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع ، وان نصب كان نصف الليل ، وقالت عائشة رضى الله عنها : كان صلى الله عليه وسلم يقوم اذا سمع الصارخ يعنى الديك ، وهذا يكون السدس فما دونه ، وروى غير واحد ، أنه قال : راعيت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر ليلا ، فنام بعد العشاء زمانا ، ثم استيقظ فنظر فى الأفق ، فقال : **« .. ربنا ما خلقت هذا باطلا .. »** حتى بلغ : **« انك لا تخلف الميعاد »**(٢) ثم استل من فراشه سواكا فاستاك به ، وتوضأ وصلى ، حتى قلت : صلى مثل الذى نام ، ثم اضطجع حتى قلت : نام مثل ما صلى ، ثم استيقظ فقال ما قال أول مرة وفعل ما فعل أول مرة .

المرتبة السادسة : وهى الأقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين ، أو تتعذر عليه الطهارة ، فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء ، فيكتب فى جملة قوام الليل برحمة الله وفضله ، وقد جاء فى الأثر : « صل من الليل ولو قدر حلب شاة » . فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما يراه أيسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام فى وسط الليل فلا ينبغى أن يهمل احياء ما بين العشاءين ، والورد

---

(١) المزمل : ٢٠ (٢) آل عمران : ١٩١ — ١٩٤

الذى بعد العشاء ، ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ، ويقوم بطرفى الليل وهذه هى الرتبة السابعة ، ومهما كان النظر الى المقدار ، فترتيب هـذه المراتب بحسب طول الوقت وقصره ؛ وأما فى الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيهما الى القدر فليس يجرى أمرهما فى التقدم والتأخر على الترتيب المذكور اذ السابعة ليست دون ما ذكرناه فى السادسة ولا الخامسة دون الرابعة .



ثم يقول الامام الغزالى رحمه الله تعالى ، تحت عنوان :

بيان الليالى والأيام الفاضلة

اعلم أن الليالى المخصوصة بمزيد الفضل التى يتأكد فيها استحباب الأحياء فى السنة خمس عشرة ليلة ، لا ينبغى أن يغفل المريد عنها ؛ فانها مواسم الخيرات ، ومظان التجارات ، ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ، ومتى غفل المريد عن فضائل الأوقات لم ينجح ، فستة من هـذه الليالى فى شهر رمضان ، خمس فى أوتار العشر الأخير ، اذ فيها تطلب ليلة القدر ، وليلة سبع عشرة من رمضان ، فهى ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، فيه كانت وقعة بدر ، وقال ابن الزبير رحمه الله : هى ليلة القدر ، وأما التسع الأخر : فأول ليلة من المحرم ، وليـلة عاشوراء ، وأول ليلة من رجب ، وليـلة النصف منه ، وليـلة سبع وعشرين منه ، وهى ليلة المعراج ، وفيها صلاة مأثورة ، فقد قال صلى الله عليـه وسلم : « للعامل فى هـذه الليلة حسنات مائة سنة ، فمن صلى فى هذه الليلة اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد فى كل ركعتين ويسلم فى آخرهن ، ثم يقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله أكبر مائة مرة ، ثم يستغفر الله مائة مرة ، ويصلى على النبى صلى الله عليـه وسلم مائـة مرة ، ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنيـاه وآخرته ، ويصبح صائما ، فان الله يستجيب دعاءه كله الا أن يدعو فى معصية »[1] ، وليلة النصف من شعبان ، ففيها مائة ركعة ، يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات ، كانوا لا يتركونها كما أوردناه فى صلاة التطوع ، وليلة عرفة ، وليلتـا العيدين ، قال صلى الله عليـه وسلم :

---

(١) جاء فى هامش الاحياء أنه ضعيف جدا بل هو منكر . وهـذا للعلم ..

« من أحيا ليلتي العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب »[١] .

وأما الأيام الفاضلة : فتسعة عشر ، يستحب مواصلة الأوراد فيها : يوم عرفة ، ويوم عاشوراء ، ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم ، وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا »[٢] ، وهو اليوم الذى أهبط الله فيه جبرائيل عليـــه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ، ويوم سبعة عشر من رمضان ، وهو يوم وقعة بدر ، ويوم النصف من شعبان ، ويوم الجمعة ، ويوما العيدين ، والأيام المعلومات ، وهى عشر من ذى الحجة ، والأيام المعدودات ، وهى أيام التشريق .

وقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام ، واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة »[٣] ، وقال بعض العلماء : من أخذ مهناة فى الأيام الخمسة فى الدنيا لم ينل مهناة فى الآخرة ، وأراد به العيدين ، والجمعة ، وعرفة ، وعاشوراء .

ومن فواضل الأيام فى الأسبوع : يوم الخميس ، والاثنين ، ترفع فيهما الأعمال الى الله تعالى ، ... والله أعلم ، وصلى الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين .



فلا تنس كل هـــذا أخا الاسلام وكن منفذا له ، حتى تكون من أولى الفضل الذين قال الله تعالى عنهم : « .. **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** »[٤] :

وحسبك أن تعلم فى النهاية أنك بقيامك الليل على هـــذا الأساس الذى وقفت عليـــه : سيكون قيامك هذا :

قربة لك الى ربك : أى سببا لقربك من الله عز وجل لمـــا فيه من هجر لذة النوم .

---

(١) ، (٢) الحديثان ضعيفان .. ولا مانع أن يعمل بهما فى فضائل الأعمال ان وافقا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم والا فلا .. والله أعلم .

(٣) وهذا الحديث كذلك ضعيف .

(٤) السجدة : ١٧

وسيكون مكفرة لسيئاتك : أى مزيلا لها ، وسيكون منهاة لك عن الاثم : أى زجرا لك عن ارتكاب المعاصى •

وفى رواية للطبرانى فى الكبير :

سيكون مطردة للداء عن الجسد : أى أن الله تعالى سيزيل به عنك ما ألم بك من أدواء وأسقام •

هــذا •• وبالله التوفيق ••



الوصية الرابعة والخمسون

عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضى الله عنها :

« ما يمنعك أن تسمعى ما أوصيك به أن تقولى اذا أصبحت واذا أمسيت : يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين » ..

(رواه النسائى والبزار باسناد صحيح ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

مستمعا معى — بروحك وبكل مشاعرك — الى هذه الوصية العظيمة التى أوصى بها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ابنته الزهراء رضى الله عنها .. وهى التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يحبها حبا شديدا .. وكان يقول : « ان فاطمة قطعة منى .. فمن أغضبها أغضبنى » ، وهى كذلك سيدة نساء أهل الجنة :

فعن حذيفة ، قال : قلت لأمى : « دعينى آتى النبى صلى الله عليه وسلم فأصلى معه المغرب وأسأله أن يستغفر لى ولك ، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فصليت معه المغرب ، فصلى حتى صلى العشاء ثم انفتل فتبعته ، فسمع صوتى ، فقال : من هذا ؟ حذيفة ؟ .. قلت : نعم . قال : ما حاجتك ، غفر الله لك ولأمك ؟ .. ان هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة ، استأذن ربه أن يسلم على ويبشرنى بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » رواه الترمذى وقال : حسن غريب .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب الحسن والحسين — حفيديه منها — حبا جما :

فعن أسامة بن زيد رضى الله عنه ، قال : « طرقت النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فى بعض الحاجة . فخرج النبى صلى الله عليه

وسلم وهو مشتمل على شيء لا أدرى ما هو ، فلما فرغت من حاجتى ، قلت : ما هــذا الذى أنت مشتمل عليــه ؟ .. فكشفه ، فاذا الحسن والحسين على وركيه ، فقال : « هذان ابناى ، وابنا ابنتى ، اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » رواه البخارى .

وعن أنس قال : « سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى أهل بيتك أحب اليك ؟ قال : الحسن والحسين ، وكان يقول لفاطمة : ادعى لى ابنى ، فيشمهما ويضمهما اليه » رواه الترمذى .

ولقد أخذ الامام الشافعى — رضى الله عنه — بوجوب الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله ، ولذلك قال فى هذا المعنى مشيرا الى وصفهم ، ومنبها على ما خصهم الله تعالى به من رعاية فضلهم ، ووجوب محبتهم ، وتحريم بغضهم الغليظ ، بقوله :

يا أهل بيت رسول الله حبكموا
فرض من الله فى القرآن أنزله
كفاكموا من عظيم الأجر أنكموا
من لم يصل عليكم لا صلاة له

* * *

فلاحظ أخا الاسلام هــذا .. مع ملاحظة أن حب أهل بيت الرسول صلى الله عليــه وسلم لابد وأن يكون صادقا ، بمعنى أنه لابد وأن يكون تخلقا بأخلاقهم وتأدبا بآدابهم ، واقتداء بحبيبهم وحبيبنا صلوات الله وسلامه عليــه ، وذلك حتى نحشر معهم ومعه صلوات الله وسلامه عليــه : **« ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئــك رفيقا »**(١) .

ولله در القائل :

انا وان كرمت أوائلنــا لسنا على الأحساب نتــكل
نبنى كما كانت أوائلنا تبنى ونفعــل مثل ما فعــلوا

* * *

ثم كن معى كذلك أخا الاسلام : منفذا لهذه الوصية العظيمة التى هى كما عرفت : من أدعية الصباح والمساء ، والتى جاء فى تفسير مضمونها ، أن :

---

(١) النساء : ٦٩

اقتران هذين الاسمين الكريمين ، وهما : يا حى يا قيوم ، معناه : هو أن الحى : متضمن لسائر الكمالات الذاتية ، والقيوم : متضمن لسائر الكمالات فى الفعل .. فمن ذكرهما معا ، فكأنما ذكر الله عز وجل بكل صفات كماله ، ولهذا كان أكثر دعائه عليه الصلاة والسلام بهما .

وقد قال ابن كثير فى معنى : « الحى القيوم » : « أى الحى فى نفسه الذى لا يموت أبدا ، القيم لغيره ، وكان عمر يقرأ « القيام » ، فجميع الموجودات مفتقرة اليه — سبحانه — وهو غنى عنها ولا قوام لها بدون أمره » .

والحياة : صفة قديمة قائمة بالذات العلية تصحح لموصوفها الاتصاف بالعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر ، وما الى ذلك من الصفات اللائقة به تعالى ، وحياته سبحانه ، ليست بروح ، ودليلها قوله تعالى : **« الله لا اله الا هو الحى القيوم »**(١) .

ومن أجمل ما قرأت حول تفسير هذا الجزء من آية الكرسى فى القرطبى ، ما نصه :

« الحى القيوم » : نعت لله عز وجل ، وان شئت كان بدلا من « هو » وان شئت كان خبرا بعد خبر ، وان شئت على اضمار مبتدأ . ويجوز فى غير القرآن النصب على المدح . و « الحى » اسم من أسمائه الحسنى يسمى به ، ويقال : انه اسم الله تعالى الأعظم . ويقال : ان عيسى ابن مريم عليه السلام كان اذا أراد أن يحيى الموتى يدعو بهذا الدعاء : « يا حى يا قيوم » .

ويقال : ان آصف بن برخيا(٢) لما أراد أن يأتى بعرش بلقيس الى سليمان دعا بقوله : « يا حى يا قيوم » .

ويقال : ان بنى اسرائيل سألوا موسى عن اسم الله الأعظم ، فقال لهم : أياهيا شراهيا ، يعنى : « يا حى يا قيوم » .

ويقال : هو دعاء أهل البحر اذا خافوا الغرق يدعون به . قال الطبرى عن قوم : انه يقال حى قيوم كما وصف نفسه ، ويسلم ذلك دون أن ينظر فيه .

وقيل : سمى نفسه حيا لصرفه الأمور مصاريفها وتقديره الأشياء مقاديرها .

---

(١) البقرة : ٢٥٥

(٢) وهو الذى عنده علم من الكتاب .

وقال قتادة : الحى الذى لا يموت •
وقال السدى : المراد الحى الباقى •
وقال لبيـد :
فاما ترينى اليوم أصبحت سالمـا
فلست بأحيـا من كلاب وجعفر

وقد قيل : ان هـذا الاسم هو اسم الله الأعظم • « القيوم » من قام ، أى القائم بتدبير ما خلق ، عن قتادة • وقال الحسن : معناه القائم على كل نفس بما كسبت حتى يجازيها بعملها ، من حيث هو عالم بما لا يخفى عليه شىء منها • وقال ابن عباس : معناه الذى لا يحول ولا يزول ، قال أمية بن أبى الصلت :

لم تخلق السماء والنجوم والشمس معهـا قمر يقوم
قـدره مهيـمن قيـوم والحشر والجنـة والنعيـم
الا لأمـر شأنـه عظيـم

قال البيهقى : ورأيت فى « عيون التفسير » لاسماعيل الضرير فى تفسير « القيوم » ، قال : ويقال : هو الذى لا ينام ، وكأنه أخذه من قوله عز وجل عقيبه فى آية الكرسى : **« لا تأخذه سنة ولا نوم »** •

وقال الكلبى : القيـوم الذى لا بدىء لـه[1] ، ذكره أبو بكر الأنبارى •• الخ[2] •

* * *

قال الامام أبى القاسم عبد الكريم القشيرى ، فى « شرح أسماء الله الحسنى »[3] :

واذا علم العبد أنه سبحانه حى وعلم أنه تعالى : حى لا يموت ، وقديم لا يجوز عليه العدم ، صح توكله عليه ، ولهذا قال تعـالى : **« وتوكل على الحى الذى لا يموت »**[4] ، أى : أن من اعتمد على مخلوق ، واتكل عليـه ليوم حاجته اختل حاله وقت حاجته اليه فيضيع رجاؤه وأمله لديـه :

وقيل : ان رجلا كتب الى آخر : ان صديقى فلانا قد مات ، فمن

---

(١) فى الأصول : « لا بديل له » والتصويب عن اللسان •
(٢) ارجع الى القرطبى ج ٨ طبعة دار الشعب ص ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ •
(٣) طبعة مجمع البحوث الاسلاميـة ، الكتاب الثالث والعشرون صفحة ٣٣٦
(٤) الفرقان : ٥٨

كثرة ما بكيت عليه ذهب بصرى ، فكتب اليه : الذنب لك حيث أحببت الذى يموت ، هلا أحببت الحى الذى لا يموت حتى لم تحتج الى البكاء عليه ؟ فمن علم أنه سبحانه حى أبدا علم أن نفسه لابد من فنائها وهلاكها وان طالت مدة بقائها وملكها .

وحكى أن المأمون لما قربت وفاته فرش الرماد ، وكان يتمرغ عليه ويقول : يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه .

ثم يقول الامام القشيرى : بل من علم أنه الباقى — الذى — لا يزول : علم أنه — سبحانه — فيه خلفا من كل تلف .

بل من علم أنه لا يصل الى مولاه الا بعد موته اشتاق الى وفاته .

قيل لبعضهم : ان الدنيا لا تساوى مع الموت شيئا ، فقال : بل الدنيا لو لم يكن الموت ما كانت تساوى شيئا .

وقيل : الموت جسر يوصل الحبيب الى الحبيب ، وأنشدوا :

أنت تبقى والفناء لنا فاذا أفنيتنا فكن



ومن أجمل ما قرأت كذلك فى هذا ، ما كتبه فضيلة الشيخ عبد اللطيف مشتهرى ، بارك الله فيه ، فى كتابه « الايمان والمؤمنون » تحت عنوان :

احياء الأموات بالايمان

ما نصه الذى أرجو أن نتعظ به :

شعر ولى الله وحجة الاسلام الامام الغزالى — رحمه الله — بدنو أجله وقرب لقائه لله وذلك بنور تقذفه الله فى قلبه ، فاغتسل وطلب ثوبا جديدا لبسه ثم تطيب بالمسك وصلى ركعتين وقال لأصحابه : انى أريد الدخول على الملك ، ثم دخل حجرته وانتظر بها طويلا ، فلما أبطأ عليهم دخلوا عليه فوجدوه مضطجعا على جنبه الأيمن مستقبل القبلة وقد فارق الحياة وعند رأسه هذه الوصية :

قل لاخوان رأونى ميتا	فبكونى ورثونى حزنا
أتظنون بأنى ميتكم	ليس ذاك الميت والله أنا
أنا فى الصور وهذا جسدى	كان بيتى وقميصى زمنا
أنا كنز وحجابى طلسم	من تراب كان ضيقا وعنا
أنا در قد حواه صدف	لامتحانى فنفيت المحنا
أنا عصفور وهذا قفصى	طرت عنه فبقى مرتهنا

أحمـد الله الذي خلصني — وبنى لي في المعالي مسكنا
كنت قبل اليوم ميتا بينكم — فحييت وخلعت الكفنـا
وأنـا اليـوم أناجي ملأ — وأرى الله جهارا علنـا
عاكف في اللوح أقرأ وأرى — كل ما كان تناآى ودنـا
وطعامي وشرابي واحـد — وهو رمز فافهموه حسنـا
ليس خمرا سائغا أو عسلا — لا ولا ماء ولكن لبنـا
فافهموا السر ففيـه نبأ — أي معنى تحت لفظي كمنا
فاهدموا بيتي ورضوا قفصي — وذروا الطلسم يعلوه الفنا
قـد ترحلت وخلفتكـم — لست أرضى داركم لي وطنا
لا تظنوا الموت موتـا انه — لحياة وهو غايات المنى
حي ذي الدار نؤوم مغرق — فاذا مات أطار الوسنا
لا ترعكم هجمة الموت فما — هو الا انتقـال من هنـا
وخذوا الزاد جميعا لا تنوا — ليس بالعاقل منا ونى
واحسنوا الظن برب راحم — شاكر للسعي وأتوا أمننـا
ما أرى نفسي الا أنتموا — واعتقادي أنكم أنتم أنا
عنصر الأنفس منا واحد — وكذا الجسم جميعا عمنـا
فارحموا وارحموا أنفسكم — واعلموا أنكم في اثرنـا
أسـأل الله لنفسي رحمـة — رحم الله كريمـا أمنـا[١]

ثم يقول امامنا المشتهري أكرمه الله وبارك فيه ، بعد ذلك معلقا :

وهكذا المؤمن الصادق المخلص ، المستنير بنور الله ، يكون فناء جسمه ، غير مانع له من استمرار حياته ، التي ينفع فيها نفسه وغيره ، وتكون آخرتـه استمرارا لجهاد دنياه ، وتبقى آثاره حيـة باقيـة ناطقة بعلو شأنه ، ومظهرا لخلوده السرمدى : **« انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم »**[٢] :

هذا في الوقت الذي يكون فيه الغافلون عن الله وهم أحياء في الدنيـا بأجسادهم أمواتـا في واقع الأمر لا ينتفعون ولا ينفعون ، ألا فلتبق حياتنا خالدة بعد الموت ، باقبالنا قبله على الله ، ولمثل هـذا فليعمل العاملون .

* * *

---

(١) يريد أن يقول : رحم الله كريما أمن على دعائي هذا .. فأنا أقول مؤمنا : آمين .. آمين .. آمين .

(٢) يس : ١٢

ثم اذا كان لنا أن نقف على المعنى المراد من الاستغاثة برحمة الله تعالى ، كما يشير قوله صلى الله عليه وسلم فى نص الوصية : « •• برحمتك أستغيث » :

فان الاستغاثة برحمته سبحانه وتعالى ليست استغاثة بمخلوق بل بصفة له غير مخلوقة •

أما الاستغاثة بالمخلوق[1] وكذا الاستعانة به ان كان ذلك فيما يقدر عليه نحو الحيلولة بينه وبين عدوه ودفع الصائل عنه من لص أو سبع • وكأن يحمل معه متاعه أو يعلف دابته فلا ريب فى جوازهما اذا كان ذلك مع اعتقاد ألا مغيث ولا معين على الاطلاق الا الله تعالى • واذا حصل شيء من ذلك على يد غيره فالحقيقة له سبحانه • أما ما لا يقدر عليه الا الله تعالى فلا يستغاث فيه الا به كغفران الذنوب ، والهداية ، وانزال المطر والرزق كما قال تعالى : **« •• ومن يغفر الذنوب الا الله »**[2] وقال : **« انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء »**[3] •

والاستغاثة طلب الغوث ، وهو ازالة الشدة ، كالاستنصار ، وهو طلب النصرة ، فلا يكون الا عند الشدائد بخلاف الاستعانة فانها طلب المعونة فى شدة أو غيرها • ومن هذا القبيل قوله تعالى : **« •• فاستغاثه الذى من شيعتـه على الذى من عدوه »**[4] •

وقوله : **« وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر »**[5] •

وقوله تعالى : **« •• وتعاونوا على البر والتقوى »**[6] •

* * *

واذا كان موضوعنا هو الاستغاثة برحمته سبحانه وتعالى :

فان الاستغاثة برحمته سبحانه وتعالى ، هى أعظم ما يستغاث به : لأن الله سبحانه وتعالى أرحم بعباده من الوالدة بولدها :

فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، قال : قدم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم بسبى ، فاذا امرأة من السبى تسعى ، اذ وجدت صبيا فى

---

(١) كما يقول الشيخ على محفوظ رحمه الله فى كتابه : « الابداع فى مضار الابتداع » صفحة ١٠١

(٢) آل عمران : ١٣٥

(٣) القصص : ٥٦

(٤) القصص : ١٥

(٥) الانفال : ٧٢

(٦) المائدة : ٢

السبى أخذته ، فألزقته ببطنها ، فأرضعته • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار » ؟ قلنا : لا والله • فقال : « لله أرحم بعباده من هذه بولدها » متفق عليه •

* * *

واذا كنا نقرر هذا كحقيقة لا ريب فيها ، فاننا نحب أن نقرر كذلك أمرا آخر لابد وأن نتفق عليه ، وهو : أن رحمة الله تعالى ليست الا لمن كتبها الله تعالى لهم ، كما تشير الآية الكريمة التى قال الله تعالى فيها : **« واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك ، قال عذابى أصيب به من أشاء ، ورحمتى وسعت كل شىء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون • الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون »**(١) •

ففى هاتين الآيتين يشير الله سبحانه وتعالى فى قوله : **« ورحمتى وسعت كل شىء »** الى العموم الذى لا نهاية له ، أى أن من دخل فيها لم تعجز عنه • وقيل : وسعت كل شىء من الخلق حتى ان البهيمة لها رحمة وعطف على ولدها • قال بعض المفسرين : طمع فى هذه الآية كل شىء حتى ابليس — عليه لعنة الله — فقال : أنا شىء ، فقال الله تعالى : **« فسأكتبها للذين يتقون »** • فقالت اليهود والنصارى : نحن متقون ، فقال الله تعالى : **« الذين يتبعون الرسول النبى الأمى •• »** الآية ، فخرجت الآية عن العموم ، والحمد لله • روى حماد بن سلمة عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : كتبها الله عز وجل لهذه الأمة •

فلابد اذن لكى نكون من هؤلاء الذين كتب الله لهم الرحمة : أن نتخلق بأخلاقهم ، التى ذكرها الله تعالى فى هاتين الآيتين الكريمتين ، والتى ذكرها الله تعالى كذلك فى سورة الفرقان فى قوله تبارك وتعالى عن عباده الذين يستحقون رحمته ، والذين سيجزون الغرفة بما صبروا :

---

(١) الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما • والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما • والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، ان عذابها كان غراما • انها ساءت مستقرا ومقاما • والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما • والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاما • يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا • الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما • ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا • والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما • والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا • والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما • أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما • خالدين فيها ، حسنت مستقرا ومقاما »(١) :

فمن هذه الآيات القرآنية : يعلم أنه لا رحمة الا لهؤلاء الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى بهذا الوصف الجامع للمؤمنين الكاملين •• الذين أضافهم الله تعالى اليه تشريفا لهم ، والا فكل المخلوقات عباد الله ، أو يقال اضافتهم اليه من حيث كونه رحمانا لكونهم مظهر الرحمة وستختص بهم فى الآخرة •

وقد ذكر القرطبى(٢) ، فى قوله تعالى : **« أولئك يجزون الغرفة بما صبروا »** : **« أولئك »** خبر **« وعباد الرحمن »** — أى : **« وعباد الرحمن »** مبتدأ وما بعده — من الموصولات الثمانية التى أولها **« الذين يمشون »** صفات له الى **« أولئك يجزون •• »** غير المعترض فيه ، وهو قوله : **« ومن يفعل ذلك يلق آثاما »** الى قوله **« متابا »** وهو ثلاث آيات ، وحاصل ما ذكره من الأوصاف أن بعضها متعلق بالخلق وبعضها متعلق بالخالق •

وهو أحسن ما قيل فى هذا • وما تخلل بين المبتدأ وخبره أوصافهم من التحلى والتخلى ، وهى احدى عشرة : التواضع ، والحلم ، والتهجد ، والخوف ، وترك الاسراف والاقتار ، والنزاهة عن الشرك ، والزنا والقتل ،

---

(١) الفرقان : ٦٣ — ٧٦

(٢) وتفسير الجلالين وحاشية الصاوى عليه •

والتوبة وتجنب الكذب ، والعفو عن المسىء ، وقبول المواعظ ، والابتهال الى الله .

و« **الغـرفة** » الدرجة الرفيعة وهو أعلى منـازل الجنة وأفضلها ؛ كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا .. حكاه ابن شجرة .

وقال الضحاك : الغرفة الجنـة : « **بما صبروا** » أى بصبرهم على أمر ربهم ، وطاعة نبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام . وقال محمد ابن على بن الحسين : « بما صبروا » على الفقر والفاقة فى الدنيا . وقال الضحاك : « **بما صبروا** » عن الشهوات .

« **ويلقون فيهـا تحية وسـلاما** » ، قيل : التحية من الله والسلام من الملائكة . وقيل : التحية البقاء الدائم والملك العظيم ، والأظهر أنهمـا بمعنى واحد ، وأنهما من قبل الله تعـالى ، ودليـله قوله تعـالى : « **تحيتهم يوم يلقونه سلام** »(١) .

« **خالدين فيهـا** » أى لا يموتون ولا يخرجون « حسنت مستقرا **ومقـاما** » أى موضع اقامة لهم ..



* فكن أخا الاسلام متذكرا لكل هـذا ومنفذا له ، حتى تكون ان شاء الله تعالى من عباد الرحمن ، أى الذين يستحقون رحمته سـبحانه وتعالى .. فى الدنيا والآخرة .. مع ملاحظة كذلك ما تشير اليه الأحاديث الشريفة الآتية :

عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صـلى الله عليـه وسلم : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » رواه البخارى ومسلم والترمذى ، ورواه أحمد وزاد : « ومن لا يغفر لا يغفر له » وهو فى السند أيضا من حديث أبى سعيد باسناد صحيح .

يعنى أن من قسا قلبه على عباد الله ، فلم يرحم من يحتـاج الى الرحمة من الضعفاء والأرامل واليتـامى والبؤسـاء والمرضى وذوى العاهات ونحوهم ، فهذا لا تناله رحمة الله يوم القيامة .

وكذلك من لا يغفر للمسىء هفوته ، ويتجاوز عن اساءته لا يغفـر الله له ذنبـه .

وعن أبى موسى رضى الله عنه أنه سـمع النبى صـلى الله عليـه

---

(١) الأحزاب : ٤٤

وسلم ، يقول : « لن تؤمنوا حتى تراحموا ، قالوا : يا رسول الله .. كلنا رحيم ؟ قال : انه ليس برحمة أحدكم صاحبه[١] ، ولكنها رحمة العامة »[٢] رواه الطبرانى ، ورواته رواة الصحيح .

يعنى : لن يكمل ايمانكم حتى يرحم بعضكم بعضا ، كما قال تعالى فى وصف أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم : « .. **أشداء على الكفار رحماء بينهم** »[٣] .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « من لم يرحم الناس لم يرحمه الله » رواه الطبرانى باسناد حسن .

وعن جرير رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « من لا يرحم من فى الأرض لا يرحمه من فى السماء » رواه الطبرانى باسناد جيد قوى .

يعنى : من لا يرحم عباد الله الذين فى الأرض لا يرحمه الله الذى فى السماء .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن[٤] ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء »[٥] رواه أبو داوود والترمذى بزيادة ، وقال : حديث حسن صحيح .

وعنه رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ارحموا ترحموا ، واغفروا يغفر لكم ، ويل لأقماع القول ، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون » رواه أحمد باسناد جيد .

قال فى النهاية : « الأقماع جمع قمع كضلع وهو الاناء الذى يترك فى رؤوس الظروف لتملأ بالمائعات من الأشربة والأدهان شبه أسماع الذين يستمعون القول ولا يعونه ويحفظونه ولا يعملون به بالأقماع

---

(١) أى قريبه وصديقه .

(٢) أى رحمة كل من يحتاج الى الرحمة من خلق الله .

(٣) الفتح : ٢٩

(٤) فانهم هم المستحقون لرحمته بسبب رحمتهم لعباده .

(٥) قوله : « يرحمكم » بالجزم جواب الأمر ، أى ان ترحموا من فى الأرض يرحمكم الله الذى فى السماء .

التي لا تعي شيئا مما يفرغ فيها فكأنه يمر عليها مجازا كما يمر الشراب في الأقماع اجتيازا » اﻫ ٠

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : سمعت الصادق المصدوق صاحب هـذه الحجرة أبا القاسم صلى الله عليه وسلم ، يقول : « لا تنزع الرحمة الا من شقى » رواه أبو دلوود واللفظ له ، والترمذى وابن حبان فى صحيحه ، وقال الترمذى : حديث حسن ، وفى بعض النسخ حسن صحيح ٠

أى : كما يقول العلقمى : « الا من قلب شقى » وهو ضد السعيد ، وهو اشارة الى الشقاء فى الآخرة ، وقد يكون فى الدنيا ، رواية الترمذى : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله ، ومن لم يرحمه فهو شقى » ٠

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قبل رسول الله صـلى الله عليـه وسلم الحسن أو الحسين بن على ، وعنده الأقرع بن حابس التيمى ، فقال الأقرع : ان لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحـدا قط ، فنظر اليه رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، ثم قال : « من لا يرحم لا يرحم » رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى ٠

وفى بعض الروايات أنه قال له : « وماذا أملك لك اذا كان الله قد نزع الرحمة من قلبك » ٠

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : جاء أعرابى(١) الى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، فقال : انكم تقبلون الصبيان وما نقبلهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك » رواه البخارى ومسلم ٠

وعن معاوية بن قرة عن أبيه رضى الله عنه أن رجـلا قـال : يا رسول الله ٠٠ انى لأرحم الشاة أن أذبحها(٢) ، فقال : « ان رحمتها رحمك الله »(٣) رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد ، والأصبهانى : ولفظه : قال : يا رسول الله ٠٠ انى آخذ شـاة وأريد أن أذبحهـا فأرحمها ، قال : « والشاة ان رحمتها رحمك الله » ٠٠

يعنى أن الله يثيب على رحمة الحيوان كما يثيب على رحمة الانسان ٠

---

(١) هو الاقرع بن حابس المذكور فى الحديث المتقدم ٠

(٢) يعنى لا أجرؤ على ذبحها رحمة بها ٠

(٣) وفى هذا دليل على وجوب رحمة الحيوان ٠

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا أضجع شاة[١] ، وهو يحد شفرته[٢] ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أتريد أن تميتها موتتين[٣] ، هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها » رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط والحاكم ، واللفظ له ، وقال : صحيح على شرط البخارى .

وفى هذا الحديث ارشاد الى وجوب الرحمة بالحيوان عند الذبح فلا يجر بعنف ولا تعرض عليه السكين فينظر اليها ولا تشحذ أمامه .. الخ .

وفى الحديث الصحيح : « ان الله كتب الاحسان على كل شىء فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه .

وفى حديث ابن عمر رضى الله عنهما : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن تحد الشفار وأن توارى عن البهائم ، وقال : اذا ذبح أحدكم فليجهز » رواه أحمد وابن ماجه .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ما من انسان يقتل عصفورا فما فوقها[٤] بغير حقها الا يسأل الله عنها يوم القيامة[٥] . قيل : يا رسول الله .. وما حقها ؟ قال : حقها أن تذبحها فتأكلها[٦] ، ولا تقطع رأسها فترمى به »[٧] رواه النسائى والحاكم ، وقال : صحيح الاسناد .

وعن الشريد رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « من قتل عصفورا عبثا[٨] عج الى الله[٩] يوم القيامة ، يقول : يا رب ان فلانا قتلنى عبثا ، ولم يقتلنى منفعة » رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه .

---

(١) أى أنامها على جنبها استعدادا لذبحها .

(٢) أى يشحذها ويرققها ، والشفرة ، أى السكين .

(٣) فانها تحس أن تلك السكين انما تحد لذبحها فتتمثل الموت فكأنها ماتت قبل موتها .

(٤) أى فما هو أكبر حجما منها كالحمامة ونحوها .

(٥) أى يسأله الله سبحانه عن سبب قتلها .

(٦) فانها انما خلقت للانتفاع بلحمها .

(٧) أى تلقيها ولا تنتفع بها .

(٨) أى بلا فائدة ولا غرض صحيح .

(٩) أى رفع صوته بالشكوى الى الله يوم القيامة .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها[١] ، فلم تطعمها ، ولم تدعها[٢] تأكل من خشاش الأرض »[٣] .

وفى رواية : « عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت ، لا هى أطعمتها وسقتها ، اذ هى حبستها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » رواه البخارى وغيره .

قيل : معناه : تدخل النار ، فعبر بصيغة الماضى لتحقق الوقوع أو المراد استحقت دخول النار ، قال بعضهم : وهذا فى حق امرأة كافرة ، فقد ورد : أن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها ، قالت لأبى هريرة : أنت الذى رويت حديث : « دخلت امرأة النار » ؟ فقال : نعم ، فقالت له : هذا وارد فى امرأة كافرة وأنت لم تبين ذلك ، ولامته ، أى لأن المؤمن لا يعذب بالنار على مثل ذلك .

وقال النووى : الذى يظهر أنها كانت مسلمة وأنها دخلت النار بهذه المعصية . وقيل : كانت حميرية ، وقيل : اسرائيلية ، قال العلقمى : ولا تضاد بينهما لأن طائفة حمير كانوا قد دخلوا فى اليهودية فنسبت الى دينها تارة والى قبيلتها أخرى .

* * *

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام وكن ملاحظا له ، ومنفذا لما جاء فيه من الجوانب الخيرية حتى تكون من أهل الرحمة ، وحتى اذا ما استغثت بالله تعالى أو برحمته ، أغاثك سبحانه وتعالى وكان عونا لك .

* * *

واياك اياك أن تيأس من رحمة الله ، لأنه كما يقرر الله تعالى فى قرآنه : « .. لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون »[٤] .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، أن نبى الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل ، قتل تسعة وتسعين نفسا[٥] ،

---

(١) أى بسبب هرة ربطتها وأرادت تعذيبها بذلك ، وفى رواية للبخارى : (حبستها) .   (٢) أى تتركها .

(٣) بفتح الخاء اشهر من كسرها ومن الضم ، أى من حشراتها ، سميت بذلك لاندساسها فى التراب من قولهم : خش فى الأرض : دخل .

(٤) يوسف : ٨٧

(٥) أى : أنه قتلها ظلما بغير حق يوجب قتلها .

فسأل عن أعلم أهل الأرض(1) فدل على راهب ، فأتاه ، فقال : انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ فقال : لا(2) . فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدل على رجل عالم ، فقال : انه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ، من يحول بينه وبين التوبة(3) ؟ .. انطلق الى أرض كذا وكذا ، فان بها أناسا يعبدون الله . فاعبد الله معهم ، ولا ترجع الى أرضك فانها أرض سوء(4) ، فانطلق حتى اذا نصف الطريق(5) ، فأتاه ملك المــوت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب(6) ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبا مقبــلا بقلبه الى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : انه لم يعمل خيرا قط . فأتاهم ملك فى صورة آدمى(7) فجعلوه بينهم ، فقال : قيسوا ما بين الأرضين ، فالى أيتهما كان أدنى(8) فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى الى الأرض التى أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة »(9) .

وفى رواية : « فكان الى القرية الصالحة أقرب بشبر فجعل من أهلهــا » .

وفى رواية : « فأوحى الله الى هذه أن تباعدى ، والى هــذه أن

---

(1) وذلك أنه أراد أن يستوثق من قبول توبتــه بعد قتل هذا العدد الكبير .

(2) وذلك من جهل هذا الراهب ، ظن أن قتله لهذا العدد الهائل مانع من قبول توبته .

(3) « من » هنا اسم استفهام انكارى معناه النفى ، أى لا يحول أحد بينه وبين التوبة .

(4) وهذا يدل على ما للبيئــة والمجتمع من تأثير على الأخــلاق بالاستقامة أو الانحراف .

(5) يعنى : صار فى نصفه .

(6) أى تنازعوا أيهم يصعد بروحه .

(7) لأن الله عز وجل أراد أن يخفى أمره عليهم فأرسـله اليهم فى صورة غير ملائكية .

(8) يعنى أقرب ، فهو من الدنو بمعنى القرب .

(9) أى صعدت بروحه الى الله عز وجل ، قال النووى : « هــذا مذهب أهل العلم واجماعهم على صحة توبة القاتل عمــدا ، ولم يخالف أحد منهم الا ابن عباس .. » .

تقربى[١] ، وقال : قيسوا بينهما[٢] ، فوجدوه الى هذه[٣] أقرب بشبر فغفر له » .

وفى رواية : قال قتادة ، قال الحسن : « ذكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره نحوها »[٤] رواه البخارى ومسلم وابن ماجه بنحوه .

* * *

وليكن شعارك ، ولسان حالك ، فى غدوك ورواحك ، وحلك وترحالك ، هو : **« وأفوض أمرى الى الله .. »**[٥] .

وذلك باعلانك هذا فى بقية الدعاء الذى ندور حوله ، بقولك مناجيا ربك ومولاك سبحانه وتعالى : « أصلح لى شأنى كله ، ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين » :

لأن هذا معناه اجمالا : غاية التفويض لله عز وجل ، ولأن الداعى به يطلب منه سبحانه وتعالى أن يتولى جميع أمره ، وأن لا يكله لحظة واحدة الى نفسه :

لأن النفس كما يقرر الله تعالى فى قرآنه على لسان سيدنا يوسف عليه السلام : **« وما أبرىء نفسى ، ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى ، ان ربى غفور رحيم »**[٦] :

ففى القرطبى ، جاء ما مضمونه :

قال الحسن : لما قال يوسف : **« ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب »**[٧] كره نبى الله أن يكون قد زكى نفسه ، فقال : **« وما أبرىء نفسى »** وتزكية النفس مذمومة ، قال الله تعالى : **« فلا تزكوا أنفسكم »**[٨] .. وقيل : هو من قول العزيز ، أى : وما أبرىء نفسى من سوء الظن بيوسف .

---

(١) ومعنى هذا انه كان أقرب الى القرية التى خرج منها ، ولكن تداركته رحمة الله ، فأمر القرية الصالحة أن تتقرب ، وأمر الأخرى أن تتباعد ليصير أقرب الى التى قصد اليها .

(٢) يعنى قيسوا ما بينه وبين كل من القريتين .

(٣) والاشارة الى القرية الصالحة .

(٤) أى مال بصدره الى جهة القرية ، فاعتبر بذلك أقرب اليها .

(٥) غافر : ٤٤ (٦) يوسف : ٥٣

(٧) يوسف : ٥٢ (٨) النجم : ٣٢

« ان النفس لأمارة بالسوء » أى : مشتهية له « الا ما رحم ربى » فى موضع نصب بالاستثناء ، و **« مـا »** بمعنى من ، أى الا من رحم ربى فعصمه ، و « مـا » بمعنى من كثير ، قال الله تعـالى : **« .. فانكحوا ما طاب لكم من النساء »**[1] وهو استثناء منقطع ، لأنه استثناء المرحوم بالعصمة من النفس الأمارة بالسوء .

وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما تقولون فى صاحب لكم ان أنتم أكرمتموه وأطعمتوه وكسوتموه أفضى بكم الى شر غاية ، وان أهنتموه وأعريتموه وأجعتموه أفضى بكم الى خير غاية » قالوا : يا رسول الله .. هذا شر صاحب فى الأرض ، قال : « فوالذى نفسى بيده انها لنفوسكم التى بين جنوبكم » .

وان صح الحديث الذى يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسـلم بعد عودته من غزوة كبيرة ضد أعداء الاسلام : « رجعنا من الجهـاد الأصغر الى الجهاد الأكبر ألا وهو جهاد النفس » .

ففيه الكفاية .. وحسبك كذلك قول سيدنا سليمان عليه السلام : « ان من يقهر نفسه كمن يفتح المدينة وحده » .

* * *

واعلم أنك عندما ستستعين بالله تعـالى على قهر نفسك سيعينك الله تعالى عليها ، فهو القائل :

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين »[2] .

* * *

واعلم كذلك : أنك عندما ستفوض أمرك الى الله ، وتحسن التوكل على الله ، وكلك ثقة فيه سبحانه : لن يضيعك الله ولن يكلك الى نفسـك طرفة عين .. ففى القرآن الكريم يقول سبحانه :

« .. ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، ان الله بالـغ أمره ، قد جعـل الله لكل شىء قدرا »[3] .

وعن عمـر رضى الله عنه ، قـال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدوا خماصا وتروح بطانا » رواه الترمذى ، وقـال : حديث حسن .

---

(١) النساء : ٣ (٢) العنكبوت : ٦٩ (٣) الطلاق : ٢ ، ٣

ومعناه : تذهب أول النهار خماصا : أى : ضامرة البطــون من الجوع ، وترجع آخر النهار بطانا : أى : ممتلئـــة البطون .

واذا كان الحديث قد ذكر أن الطير تغدوا وتروح : فان هذا معناه أننا لابد وأن نغدو ونروح طلبا للرزق كما أمر الله تعالى فى قوله : « .. **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور** »(١) .

وذلك حتى نكون من المتوكلين لا من المتواكلين :

لأن التوكل معناه : الأخذ بالأسباب مع تفويض الأمر الى الله تبارك وتعالى .. بعكس التواكل الذى هو ترك العمل بدعوى الزهد الباطل الذى لا يقره عقل ولا دين .

وقد قرأت حول هذا المعنى : أن أبا بكر الصديق أو عمر بن الخطاب رضى الله عنهما : رأى قوما من أهل اليمن .. فقال لهم : من أنتم ؟ فقالوا : متوكلون . فقال : كذبتم .. انما المتوكل الذى ألقى حبة فى الأرض وتوكل على الله .

كما قرأت كذلك : أن جماعة دخلوا على الامام الجنيد رضي الله عنه .. فقال لهم : لمــاذا جئتم ؟ قالوا : جئنا نطلب الرزق . قال : ان علمتم فى أى مكان هو فاطلبوه . قالوا : نسأل الله .. قال : ان علمتم أنه ينساكم فذكروه .. قالوا : نجلس فى البيت ونتوكل على الله وننتظر ما يكون .. قال : التوكل على التجربة شك .. قالوا : وما الحيلة ؟ قال : ترك الحيلة .. أى :

على المــرء أن يســـعى وليس عليــه ادراك النجاح

فأنت مطالب فقط بأن تأخذ بالأسباب طلبا للرزق .. أما ما بعد ذلك فعلى الله سبحانه وتعالى .. لأنه سبحانه قد تكفل بالأرزاق فقال : « **وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ..** »(٢) .

وقــال : « **ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين** »(٣) .

* * *

ومع هذا ، فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يرغب فى السعى على الرزق فيقول : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داوود ــ صلى الله عليــه وسلم ــ كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري .

---

(١) الملك : ١٥ (٢) هود : ٦

(٣) الذاريات : ٥٨

كما كان يقول صلوات الله وسلامه عليه : « ان الله يحب العبد المحترف ، ومن كد على عياله كان كالمجاهد فى سبيل الله عز وجل » رواه أحمد .

ويقـــول :

« من أمسى كالا من عمل يديـــه أمسى مغفورا له » .

« ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الصدقة ولا الحج ، ويكفرها الهم فى طلب المعيشة » ابن بابويه والطبرانى .

« طلب الحلال فريضة بعد الفريضة » الطبرانى والبيهقى .

« باكروا[1] فى طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة ونجاح » الطبرانى والبزار .

* * *

وقد ســئل أحد العلماء الحكماء : لمــاذا نعمل ما دام الله تعالى قد تكفل بأرزاقنا .. ولمــاذا لم يعطنا الله أرزاقنا بدون عمل ؟ فتلى قول الله تعــالى :

« ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض .. »[2] .

ثم فسر الآية هذه تفسيرا عظيما فقال : لو رزق الله العباد من غير كسب لتفرغوا للفساد ، ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرغوا للفساد .

* * *

فليكن هــذا هو مفهومك عن التوكل وتفويض الأمر الى الله تعالى أيها الأخ المسلم .. حتى اذا ما دعوت الله تعالى بهذا الدعاء الذى ندور حوله كان على أساس من العلم .

وادع الله تعالى معى بهذا الدعاء ، الذى ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صــلّى الله عليه وســلم ، كان يقول : « اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت[3] ، اللهم أعوذ بعزتك ، لا اله الا أنت أن تضلنى ، أنت الحى الذى لا تموت ، والجن والانس يموتون » متفق عليه .

---

(١) أى بعد أن تصلوا الفجر .. فانه وقت بركة .

(٢) الشورى : ٢٧

(٣) أى استسلمت لحـكمك وأمرك ، و « أنبت » : رجعت الى عبادتك والاقبال على ما يقرب منك ، و « بك خاصمت » أعداء الدين .

ثم اختتم بعد ذلك كذلك بالدعاء — موضوع الوصية التى درنا حولها — والذى أرجو أن نكون قد فهمناه وحفظناه[1] ، وهو :

« يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين » : آمين •• آمين •• آمين ••



(١) حتى ندعو به صباحا ومساء وحتى نعلمه لغيرنا .

الجزء الثامن عشر

الوصية الخامسة والخمسون

عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من استعاذ بالله فأعيذوه ، ومن سأل بالله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه ، فان لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » ..

(حديث صحيح : رواه أبو داوود والنسائى بأسانيد الصحيحين) .



فكن أخا الاسلام :

منفذا لهذه الوصية المحمدية العظيمة التى سنرى من خلالها ووقوفنا على أبعادها : أنها من الوصايا التربوية النادرة التى يجدر بكل مؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر أن يكون منتفعا بها ، وبكل ما فيها من توجيهات وارشادات الى أن يلقى الله تبارك وتعالى .

وذلك حتى يكون قد استفاد بحياته الأولى لصالح حياته الثانية التى هى دار القرار .

وحسب الأخ المسلم أن يعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم ، فى وصيته هـذه ، يرغب كل مسلم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فى أهم أسباب الترابط والتراحم بين المسلمين .. وذلك حتى يكونوا قوة لا يستهان بها ، وحتى يكونوا كذلك أمة واحدة .. لأنه لن يتحقق هـذا ولن يكون الا بالتعاون والاتحاد الشامل الذى به يتحقق الاعتصام بحبل الله المتين ، كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تعـالى فيها :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على

شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياتــه لعلــكم تهتدون • ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئــك هم المفلحون • ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم »[١] •

ومن أهم مظاهر هــذا الاعتصام على أساس من تلك التوجيهات القرآنية : ما أوصى به النبى صلى الله عليــه وسلم ، والذى أوله : « من اســتعاذ بالله فأعيذوه » : وهــو مظهر من مظــاهر القوة التى لابد أن يتميز بها المؤمن ولا سيما فى مواجهة أعدائه الذين هم أعداء دينه •• كما يشــير الى هذا قول الله تبــارك وتعالى : **« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »**[٢] •

وكما يشير الحديث الشريف الذى يقول فيه صلوات الله وسلامه عليــه : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله تعالى من المؤمن الضعيف » •

واذا كان المعنى المراد من قول الرسول صلى الله عليه وســلم : « من استعاذ بالله فأعيذوه » : أى من التجأ اليكم عائذا بالله وطالبا منكم الحماية والنجدة فأغيثوه •• ما دامت استغاثته هذه على أساس من العدل لا الطغيان الذى نهى الله عنه فى القرآن ، فقال :

« ان الله يأمر بالعــدل والاحسان وايتــاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون »[٣] •

وقد حدث هــذا ، فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعد الهجرة •

وقد ذكر الشيخ محمد الغزالى أكرمه الله فى كتابه « فقه السيرة » ، تحت عنوان :

الفتح الأعظم

حيث يقول مشيرا الى أسباب هذا :

شــغل المسلمون بعد عهد الحديبية بنشر الدعوة وعرض تعاليم الاسلام على كل ذى عقل ، وكان وفاؤهم لقريش أمرا مقررا فيما أحبوا وفيما كرهوا • ورأى الناس من ذلك الآيات البينات •• لكن قريشا ظلت على جمودها القديم فى ادارة سياستها غير واعية للأحداث الخطيرة

---

(١) آل عمران : ١٠٣ ــ ١٠٥ (٢) الأنفال : ٦٠
(٣) النحل : ٩٠

التى غيرت مجرى الأحوال فى الجزيرة العربية ، وتوشك أن تغيره فى العـالم كله .

وقد جرها فقدان هذا الوعى الى حماقة كبيرة أصبح بعدها عهد الحديبية لغوا . وذلك أنها مع حلفائها من بنى بكر هاجموا خزاعة ــ وهى مع المسلمين فى حلف واحد ــ وقاتلوهم فأصابوا منهم رجالا . وانحازت خزاعة الى الحرم ، اذ لم تكن متأهبة لحرب ، فتبعهم بنو بكر يقتلونهم ، وقريش تمدهم بالسلاح وتعينهم على البغى .

وأحس نفر من بنى بكر أنهم دخلوا الحرم ــ حيث لا يجوز قتال ــ فقالوا لرئيسهم نوفل بن معاوية : انا قد دخلنا الحرم ، الهك الهك . فقال نوفل : لا اله اليوم يا بنى بكر .. أصيبوا ثأركم !! ..

وفزعت خزاعة لمـا حل بها ، فبعثت الى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ عمرو بن سالم يقص عليه نبأها ، فلما قدم المدينة وقف على النبى وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس يقول :

يا رب انى ناشـد محمـدا	حلـف أبينا وأبيـه الأتلـدا
قد كنتم ولـدا وكنا والـدا	ثمت أسلمنا فلم ننـزع يـدا
فانصر هداك الله نصرا أعتـدا	وادع عبـاد الله يأتوا مـددا
فيهم رسول الله قد تجـردا	أبيض مثل البحر يسمو صعدا
ان سيم خسـفا وجهه تربدا	فى فيلق كالبحـر يجرى مزبدا
ان قريشـا أخلفوك الموعـدا	ونقضـوا ميثـاقك المؤكـدا
وجعلوا لى فى كـداء رصـدا	وزعموا أن لسـت أدعو أحدا
وهم أذل وأقـل عـــددا	هم بيتـونا بالوتيـر هجـدا

وقتلـونا ركعـا وسـجدا

فقال له رسول الله : « نصرت يا عمرو بن سالم » ..

وأحست قريش ــ بعد فوات الأوان ــ خطأها . فخرج أبو سفيان الى المدينة يصلح ما أفسده قومه ويحاول أن يعيد للعقد المهدر حرمته !

وبلغ المدينـة فذهب الى ابنته أم حبيبة ، وأراد أن يجلس على الفراش فطوته دونه . فقال : يا بنية ما أدرى أرغبت بى عن هـذا الفراش أم رغبت به عنى ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله ، وأنت مشرك نجس ! قال : والله لقد أصابك بعدى شر ! ثم خرج حتى أتى رسول الله فكلمه ، فلم يرد عليه شيئا .

واستشفع أبو سفيان بأبى بكر ليحدث النبى صـلى الله عليه

وسلم — فى هـذا الشأن فرفض • فتركه الى عمر ، فقال عمـر : أنا أشفع لكم عند رسول الله ؟ •• والله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به •

فتركهما الى على فرد عليه : والله يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، ثم نصحه أن يعود من حيث جاء •• فقفل أبو سفيان الى قومه يخبرهم بما لقى من صدود •

وأمر النبى الناس أن يتجهزوا ، وأعلمهم أنه سائر الى مكة ، وأوصاهم بالجد والبدار • وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها !

واستمع المسلمون لأمر نبيهم ، فمضوا يعبئون قواهم للقاء المنتظر ، وهم مدركون أن الساعة الفاصلة مع أهل مكة قد دنت •

* * *

وخلاصة ما حدث بعد ذلك ، كما يقول الشيخ الغزالى ، أكرمه الله ، أنه قد :

سرى القلق فى ربوع مكة عقب أوبة أبى سفيان ، ورأى العباس ابن عبد المطلب أن يسلم هو وعياله وأن يهجروا مكة الى المدينة • فقابلوا الرسول فى الطريق مقبلا بجيشه على مـكة • وخرج كذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبد الله بن أمية ، فلقيا النبى بالأبواء — وهما ابن عمه وابن عمته — وكانا من أشد الناس ايذاء له بمكة • فأعرض عنهما لمـا ذكر مساءتهما •

لكن على بن أبى طالب أشار على ابن عمه أبى سفيان بوسيلة يترضى بها رسول الله ، قال له : ائته من قبل وجهه وقل له ما قال اخوة يوسـف : ((**تالله لقد آثرك الله علينـا وان كنـا لخاطئـين**))[1] ، فانه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه جوابا • ففعل ذلك أبو سـفيان فقال له رسول الله : ((**لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين**))[2] •

والخلاصة بعد ذلك •• أنه على حين كان الجيش الزاحف يتقدم ، ورسول الله على ناقته ، تتوج هامته عمامة دسماء • ورأسه خفيض من شدة التخشع لله •• ان الموكب الفخم المهيب الذى ينساب به حثيثـا الى جوف الحرم ، والفيلق الدارع الذى يحف به ينتظر اشارة منه

---

(١) يوسف : ٩١ (٢) يوسف : ٩٢

فلا يبقى بمكة شىء آمن ، ان هذا الفتح المبين ليذكره بماضى طويل الفصول ، كيف خرج مطاردا وكيف يعود اليوم منصورا مؤيدا .. وأى كرامة عظمى حفه الله بها فى هـذا الصباح الميمون ، وكلما استشعر هـذه النعماء ازداد لله تواضعا ، وازداد على راحلته خشوعا وانحناء ، ويبدو أن هناك عواطف أخرى كانت تجيش فى بعض الصدور . فان سعد ابن عبادة زعيم الأوس ذكر ما فعل أهل مكة ، وما فرطوا فى جنب الله ، ثم شعر بزمام القوة فى يده فصاح : اليوم يوم الملحمة .. اليوم تستحل الحرمة .. اليوم أذل الله قريشا ..

وبلغت هـذه الكلمة مسامع الرسول ، فقال : بل اليوم يـوم تعظم فيه الكعبة ، اليوم يوم أعز الله فيه قريشا ، وأمر أن ينزع اللواء من سعد ويدفع الى ابنه مخافة أن تكون لسعد صولة فى الناس .

وسار رسول الله فدخل مكة من أعلاها وأمر قادة جيشه ألا يقاتلوا الا من قاتلهم فدخلت سائر الفرق من أنحاء مكة الأخرى .

ودخل خالد بن الوليد من أسفل مكة . وكان هناك نفر من قريش غاظهم هذا التسليم فتجمعوا عند الخندمة يقودهم عكرمة بن أبى جهل ، وسهيل بن عمرو ، وصفوان بن أمية ، الا أن الحقيقة الكبيرة صدمت غرورهم فبددته ! فان خالدا حصدهم حصداً حتى لاذ القوم بالفرار . ومن طريف ما وقع أن حماس بن خالد من قبيلة بنى بكر كان قـد أعد سلاحا لمقاتلة المسلمين . وكانت امرأته اذا رأته يصلحه ويتعهده تسأله : لمـاذا تعد ما أرى ؟ فيقول : لمحمد وأصحابه .. وقالت امرأته له يوما : والله ما أرى أنه يقوم لمحمد وصحبه شىء ! فقال : والله انى لأرجو أن أخدمك بعضهم .. ثم قال :

ان يقبلوا اليـوم فمالى علـة
هـذا سـلاح كامـل وألـة(١)
وذو غـرارين سريع السـلة

فلما جـاء يوم الفتح ناوش حماس هـذا شيئا من قتال مع رجال عكرمة . ثم أحس بالمشركين يتطايرون من حوله أمام جيش خالد . فخرج منهـزما حتى بلغ بيته ، فقـال لامرأته : أغلقى على الباب ! ..

---

(١) أى : حربة .

فقالت المـرأة لفارسـها المعـلم : فأين ما كنت تقول ؟ ! ..
فقال يعتـذر لها :

انك لو شـهدت يوم الخندمة	اذ فر صـفوان وكر عكرمة
وأبو يزيـد قائـم كالمؤتمـة	واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يقطعن كل سـاعد وجمجمـة	ضربا فلا يسـمع الا غمغمة
لهـم نهيت خلفنـا وهمهمـة	لم تنطقى باللوم أدنى كلمة !

وسـكنت مكة ، واستسلم سادتها وأتباعها ، وعلت كلمة الله فى جنباتها . ثم نهض رسول الله الى البيت العتيق فطوف به . وأخذ يكسر الأصنام المصفوفة حوله ، ويضربها بقوسه ظهرا لبطن فتقع على الأرض مهشمة متناثرة . كانت هذه الحجـارة ـ قبل ساعة ـ آلهة مقدسة ، وهى الآن جص وتراب وأنقاض يهدمها نبى التوحيد وهو يقول : جـاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ..

ثم أمر بالكعبة ففتحت ، فرأى الصور تملؤها ، وفيها صورتان لابراهيم واسماعيل يستقسمان بالأزلام ، فقـال ـ سـاخطا على المشركين ـ : قاتلهم الله ، والله ما استقسما بها قط . ومحا ذلك كله . حتى اذا طهر المسجد من الأوثان أقبل على قريش وهم صفوف صفوف يرقبون قضاءه فيهم . فأمسك بعضادتى الباب ـ باب الكعبة ـ وهم تحته . فقال : لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ..

ثم قال : يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالـوا : خيرا .. أخ كريم وابن أخ كريم ! قال : فانى أقول لكم ما قال يوسف لاخوته : لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء ..

وعندما كان رسول الله بالمسجد يجهز على الوثنية فى عاصـمتها الكبرى اقترب منه فضـالة بن عمير يريد أن يجد له فرصة ليقتله . فنظر اليه النبى نظرة عرف بها طويته الا أنه فى غمرة النصر الذى أكرمه الله به لم يجد فى نفسه على الرجل ، بل استدعاه ثم سأله : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شىء .. كنت أذكر الله !! فضـحك النبى ، ثم قال : استغفر الله .

وتلطف معه الرسول فوضع يده على صدره . فانصرف الرجـل وهو يقول : ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شىء أحب الى منـه .

وكان لفضالة فى جاهليته هنات ، فمر ـ وهو راجع الى أهله ـ بامرأة لها معه شأن ، فلما رأته قالت : هلم الى الحديث ، فانبعث يقــول :

قالت : هلم الى الحديث ، فقلت : لا
يأبى عليــك الله والاســـلام
لــو ما رأيت محمــدا وقبيــله
بالفتــح يــوم تكسر الأصــنام
لرأيت دين الله أضــحى بينــا
والشرك يغشى وجهــه الاظــلام

وصعد بلال فوق ظهر الكعبة فأذن للصلاة ، وأنصت أهل مكة للنداء الجديد على آذانهم كأنه حلم ، ان هــذه الكلمات تقصف فى الجــو فتقذف بالرعب فى أفــئدة الشياطين فلا يملكون أمام دويها الا أن يولوا هاربين أو يعودوا مؤمنين .

الله أكبر .. الله أكبر ..
الله أكبر .. الله أكبر ..

* * *

وهكذا أخا الاسلام : تم نصر الله والفتح .. ببركة نصرة المظلومين الذين انتهكت حرماتهم ، وسلبت أموالهم ، وقتل أكثر أفرادهم ظلما وعدوانا ، وفى داخل البيت الحرام ، الذى جعله الله تعالى مثابة للناس وأمنا .. والذى من المفروض أن : « **.. من دخله كان آمنا** »[1] .

ولهذا كان لابد ان نأخذ درسا من هــذا الدرس العملى الايجابى حتى نكون ان شاء الله تعالى من أهل القسط ، وحتى لا نكون من الظالمين ..

* * *

وحسبك أن تعلم أن الله تعالى حرم الظــلم على نفسه وجعله بيننا محرما :

فعن أبى ذر رضى الله عنــه عن النبى صلى الله عليه وســلم فيما يروى عن ربه عز وجل أنه قال[2] : « يا عبادى انى حرمت الظلم

---

(١) آل عمران : ٩٧ ـ بلفظ : « **... ومن** » .
(٢) أى : فى الحديث القدسى .

على نفسى ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا .. » الحديث رواه مسلم والترمذى وابن ماجه .

فهذا صدر حديث قدسى عظيم قال فيه أحمد بن حنبل رحمه الله : لم يرو عن الشاميين أفضل منه ، وقيل : ان أبا مسلم الخولانى رحمه الله كان اذا روى هذا الحديث جثا على ركبتيه .

ففى هذا الحديث : خطاب عام لجميع المكلفين مؤمنهم وكافرهم بل للانس والجن جميعا ، فان الخلق كلهم عباد الله بحكم ربوبيته لهم ونفوذ حكمه فيهم وتمام ملكه وسلطانه عليهم وقهره فوقهم :

فيقول سبحانه : « انى حرمت الظلم على نفسى » ، أى : تقدست عنه وتعاليت ، اذ الظلم مجاوزة الحد أو التصرف فى حق الغير بغير حق وكلاهما محال فى حقه تعالى لأنه انما يتصور فى حق من حد له حدود فان تعداها كان ظالما ، والرب جل شأنه لا حاكم فوقه ولا مانع له ولا يسئل عما يفعل لكن لما كان تحريم الشىء يقتضى التباعد عنه سمى تنزهه عن الظلم تحريما لمشابهته له فى تحقق التباعد والامتناع .

ثم يقول سبحانه : « وجعلته بينكم محرما » : أى : حكمت بتحريمه فى معاملة بعضكم لبعض ، فالمراد بالجعل الحكم « فلا تظالموا » : بتشديد الظاء كما يروى وأصله تتظالموا فأبدلت احدى التاءين ظاء وأدغمت فى الظاء الأخرى بعد تسكينها ، والمعنى : فلا يظلم بعضكم بعضا فانه لابد من اقتصاصه سبحانه وتعالى للمظلوم من ظالمه .



ولهذا ، فقد حذرنا النبى صلى الله عليه وسلم من الظلم ورهبنا منه :

فعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « اتقوا الظلم ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح[1] فان الشح أهلك من كان قبلكم[2] ، حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم »[3] رواه مسلم وغيره .

---

(١) وهو البخل والامساك ومنع الحقوق الواجبة فى المال وشدة الحرص عليه .

(٢) يعنى الأمم التى سبقتكم .

(٣) هذا بيان لكيفية اهلاك الشح لهم وهو انه هيج بينهم العداوة فتقاتلوا وجراهم على استحلال المحرمات .

فمعنى « اتقوا الظلم » : أى اجتنبوه وتباعدوا عنه ، قال ابن الجوزى : « الظلم يشتمل على معصيتين أخذ مال الغير بغير حق ومبارزة الرب بالمخالفة والمعصية فيه أشد من غيرها لأنه لا يقع غالبا الا بالضعيف الذى لا يقدر على الانتصار وانما ينشأ الظلم من ظلمة القلب لأنه لو استنار بنور الهدى لاعتبر ، فاذا سعى المتقون بنورهم الذى حصل لهم بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغنى عنه ظلمه شيئا » . « فان الظلم ظلمات يوم القيامة » : فهذه الجملة كالتعليل للأمر باتقاء الظلم ، أى اتقوه لأنه يكون ظلمات تحيط بكم وتمنعكم من الاهتداء حين يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم .



ولهذا كان من الخير كما علمنا أن نكون من أهل العدل لا من أهل الظلم وأن نكون كذلك من المعينين للمظلوم على استرداد حقه اذا ما استعاذ بنا وأن لا نخذله ، أى نتخلى عنه ونتركه :

فعن جابر وأبى طلحة رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ما من مسلم يخذل امرءا مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته[1] وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرىء ينصر مسلما فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته ، الا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته » رواه أبو داوود .

وهو حديث عظيم يحث على وجوب مناصرة المسلم والذب عن عرضه ، فان المسلم أخو المسلم ومن شأن الأخ أن يرد غيبة أخيه وأن يشد أزره وينصره فى كل موطن يحتاج فيه الى نصرته .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما[2] ، فقال رجل : يا رسول الله أنصره اذا كان مظلوما ، أفرأيت ان كان ظالما كيف أنصره ؟[3] قال : تحجزه عن الظلم ، فان ذلك نصره »[4] .

---

(١) أى تضيع وتستباح .

(٢) يعنى انصره فى كل واحدة من الحالتين فقوله « ظالما » حال من أخاك و « مظلوما » معطوف عليه .

(٣) يعنى أخبرنى اذا كان هو الظالم كيف أنصره مع أن فى ذلك اعانة له على الظلم .

(٤) يعنى ، فان ذلك هو معنى نصرك اياه اذا كان ظالما .

رواه البخارى ومسلم فى حديث عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلوما ، وان كان ظالما فلينهه فانه له نصرة ، وان كان مظلوما فلينصره » .

وفى رواية للبخارى : « قالوا : يا رسول الله .. هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ فقال : تأخذ فوق يديه » .

قال فى الفتح : « كنى به عن كفه عن الظلم بالفعل ان لم يكن بالقول ، وعبر بالفوقية اشارة الى الأخذ بالاستعلاء والقوة » .

وقال ابن بطال : « النصر عند العرب : الاعانة ، وتفسيره لنصر الظالم بمنعه من الظلم من تسمية الشيء بما يئول اليه وهو من وجيز البلاغة » .

وقال ابن المنير : « فيه اشارة الى أن الترك كالفعل فى باب الضمان » .

وقال الحافظ فى الفتح فى باب نصر المظلوم : « هو فرض كفاية وهو عام فى المظلومين وكذلك فى الناصرين بناء على أن فرض الكفاية مخاطب به الجميع ، وشرط الناصر أن يكون عالما بكون الفعل ظلما ويقع النصر مع وقوع الظلم ، وهو حينئذ حقيقة وقد يقع قبل وقوعه كمن أنقذ انسانا من يد انسان طالبه بمال ظلما وهدده ان لم يبذله وقد يقع بعد » .

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام ، واذكر كذلك هذا الحديث القدسى الذى جاء فى نصه : أن داوود عليه السلام ناجى ربه ، فقال : « يا رب .. أى العباد أحب اليك ؟ فقال الله تعالى : يا داوود ، أحب عبادى الى تقى القلب ، نقى الكفين ، لا يأتى لأحد بسوء ، ولا يمشى بين الناس بالنميمة ، تزول الجبال ولا يزول ، أحبنى وأحب من يحبنى ، وحببنى الى عبادى . قال داوود : يا رب .. وكيف يحببك الى عبادك ؟ قال : يذكرهم بنعمى وآلائى .. يا داوود .. ما من عبد يعين مظلوما أو يمشى معه فى مظلمته الا ثبت قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام » .

* * *

واذا كنت أخا الاسلام مظلوما ، وأردت أن تستعيذ بالله تعالى من شر هذا الظالم الذى تخاف الدخول عليه .. فحسبك أن تقرأ هذه الأدعية الواردة :

عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا تخوف أحدكم السلطان[١] ، فليقل : اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم[٢] كن لى جارا من شر فلان ابن فلان — يعنى الذى يريده — وشر الجن والانس وأتباعهم أن يفرط على أحد منهم[٣] ، عز جارك[٤] ، وجل ثناؤك[٥] ، ولا اله غيرك » رواه الطبرانى ، ورجاله رجال الصحيح الا جنادة بن مسلم ، وقد وثق ، ورواه الأصبهانى ، وغيره موقوفا على عبد الله لم يرفعوه .

ورواه كذلك ابن السنى من حديث ابن عمر ولفظه : « اذا خفت من سلطان أو غيره ، فقل : لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم ، لا اله الا أنت عز جاهك وجل ثناؤك » .. الخ .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : اذا أتيت سلطانا مهيبا[٦] تخاف أن يسطو بك فقل : الله أكبر[٧] . الله أعز من خلقه جميعا[٨] . الله أعز مما أخاف وأحذر[٩] . أعوذ بالله الذى لا اله الا هو الممسك السموات أن يقعن على الأرض الا باذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والانس ، اللهم كن لى جارا من شرهم . جل ثناؤك وعز جارك : وتبارك اسمك[١٠] ، ولا اله غيرك (ثلاث

---

(١) أى خاف من ظلمه وغشمه وتسلطه .

(٢) فهو يدعوه بوصف الربوبية لتلك الأجرام العظيمة العلوية لا سيما العرش الذى هو أعلاها وأشرفها وأنورها .

(٣) أى يجهل وتسبق الى بوادره .

(٤) أى امتنع من احتمى بك فلا يستطيع أحد أن يذله .

(٥) أى عظم ما تستحقه على عبادك من ثناء وحمد لعظيم صفاتك وكبير آلائك .

(٦) أى ذا هيبة وسطوة بحيث تخافه وتفرق منه .

(٧) أى أعظم وأجل من ذلك السلطان .

(٨) من ملائكة وجن وبشر بل له وحده العزة جميعا ولا عزة لأحد الا اذا أعزه هو سبحانه .

(٩) وهذا تخصيص بعد تعميم ، أى : الله أعز من هذا السلطان الذى أهابه وأخاف سطوته .

(١٠) أى تنزه وتقدس عن النقص والعيب .

مرات) . رواه ابن أبى شيبة موقوفا ، وهذا لفظه وهو أتم ، ورواه الطبرانى ، وليس عنده : ثلاث مرات ، ورجاله محتج بهم فى الصحيح[١] .

وعن أبى مجلز ، واسمه لاحق بن حميد رضى الله عنـــه ، قال : من خاف من أمير ظلما ، فقال : رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينــا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالقرآن حكما واماما نجاه الله منه .

رواه ابن أبى شيبة موقوفا عليه ، وهو تابعى ثقة .

* * *

وليكن شعارك دائما وأبدا ، هــو : « **حسبنا الله ونعم الوكيل** » ، حتى تكون كهؤلاء المشار اليهم فى قول الله تبارك وتعــالى : « **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضــل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم** »[٢] .

فمعنى : « .. **حســبنا الله ونعم الوكيل** » : أى : كافينا الله .

وحسب مأخوذ من الاحساب ، وهو الكفاية ، قال الشاعر :

فتمــلأ بيتنــا أقطــا[٣] وســمنا
وحســبك من غنى شــبع ورى

روى البخارى عن ابن عباس ، قال فى قوله تعالى : « **الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعــوا لكم** » ــ الى قوله : ــ « **وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيــل** » : قالها ابراهيم الخليل عليه السلام حين ألقى فى النار . وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس : ان الناس قد جمعوا لكم . والله أعلم .

ثم يقول القرطبى : قوله تعــالى : « **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم ســوء واتبعوا رضــوان الله ، والله ذو فضل عظيم** » : قال علمــاؤنا : لمــا فوضوا أمورهم اليه ، واعتمدوا بقلوبهم عليه ، أعطاهم من الجزاء أربعة معان : النعمة ، والفضــل ، وصرف السوء ، واتباع الرضا ، فرضاهم عنه ، ورضى عنهم .

* * *

---

(١) ويظهر أنه من كلام ابن عباس نفسه .
(٢) آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤
(٣) الأقط : شىء يتخذ من اللبن المخيض .

وفى حاشـــية الصاوى على الجلالين ، قرأت توضيحا أكثر من هذا ، فقد قال : قوله : ((**الذين قال لهم النـــاس** ••)) : شروع فى غزوة بدر الثالثة ، وتسمى بدر الصغرى وكانت فى السنة الرابعة فى شعبان وهو يوم موسم عظيم لقبائل العرب كل عام ، فخرج أبو سفيان حتى نزل مر الظهران فألقى الله الرعب فى قلبه ، فلقى نعيم بن مسعود الأشجعى ، فقال أبو سفيان : يا نعيم •• انى قد واعدت محمدا أن نلتقى بموسم بدر ، وهـــذا عام جدب فأحب أن يكون الخلف منه لا منى ، فاذهب الى المدينة فثبطهم عن الخروج ، ولك عندى عشرة من الابل •• فانطلق نعيم الى المدينة فوجد النبى وأصحابه يتجهزون ، فقال لهم : ما تريدون ؟ فقالوا : لميعاد أبى سفيان •• فقال لهم : لا تقدرون عليهم ، فانهم قد جمعوا لكم فاخشوهم •• قال النبى : لأخرجن اليهم ولو وحدى •• فخرج النبى فى ألف وخمسمائة مقاتل حتى بلغوا بدرا وكانت موضع سوق للعرب يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام فصادفوا الموسم وباعوا ما كان معهم من التجارات فربحوا فى الدرهم درهمين ولم يأتهم أحد من المشركين فرجعوا بربح وأجر عظيمين وأسلم كثير من أهل القبائل حينئـــذ •

* * *

وفى ابن كثير ــ وحول هـــذا الموضوع ــ ذكر بعض الأحاديث الشريفة والأقوال التى أرجو كذلك أن تنتفع بها ، والتى منها :

وقد قال الامام أحمد : حدثنا حيـــوة بن شريح وابراهيم بن أبى العباس قالا : حدثنا بقية ، حدثنا بحير بن ســـعد ، عن خالـــد ابن معدان ، عن سيف ، عن عوف بن مالك أنه حدثهم : أن النبى صـــلى الله عليـــه وسلم قضى بين رجلين ، فقال المقضى عليـــه لمـــا أدبر : حسبى الله ونعم الوكيل • فقال رسول الله صلى الله عليه وســـلم : ((ردوا على الرجل • فقال : ما قلت ؟ قال : قلت : حسبى الله ونعم الوكيل • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله يلوم على العجز ، ولكن عليك بالكيس[1] ، فاذا غلبك أمر فقل : حسبى الله ونعم الوكيل)) •

يريد أن يقول له : لا تكن عاجزا عن الأخذ بالأسباب •• وانما كن آخذا بها مع تفويض أمرك الى الله تعالى ولا سيما اذا غلبك أمر •• والله أعـــلم •

---

(١) الكيس بوزن الكيل : ضد الحمق •

وقال الامام أحمد : حدثنا أسباط ، حدثنا مطرف ، عن عطية ، عن ابن عباس ، فى قوله : « **فاذا نقر فى الناقور** »[1] ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ، يسمع متى يؤمر فينفخ • فقال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : فما نقول ؟ قال : قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا » • وقد روى هذا من غير وجه ، وهو حديث جيد •

وروينا عن أم المؤمنين عائشة وزينب رضى الله عنهما ، أنهما تفاخرتا ، فقالت زينب : زوجنى الله وزوجكن أهاليكن • وقالت عائشة : نزلت براءتى من السماء فى القرآن • فسلمت لها زينب ، ثم قالت : كيف قلت حين ركبت راحلة صفوان بن المعطل ؟ فقالت : قلت : حسبى الله ونعم الوكيل • فقالت زينب : قلت كلمة المؤمنين •

ولهذا قال الله تعالى : « **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء** » ، أى : لما توكلوا على الله كفاهم الله ما أهمهم ورد عنهم بأس من أراد كيدهم ، فرجعوا الى بلدهم : « **بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء** » ، مما أضمر لهم عدوهم «**واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم** » :

قال البيهقى : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، حدثنا أبو بكر بن داوود الزاهد ، حدثنا محمد بن نعيم ، حدثنا بشر بن الحكم ، حدثنا مبشر ابن عبد الله بن رزين ، حدثنا سفيان بن حسين ، عن يعلى بن مسلم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس فى قول الله تعالى : « **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل** » ، قال : النعمة أنهم سلموا ، والفضل أن عيرا مرت وكان فى أيام الموسم ، فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فربح فيها مالا ، فقسمه بين أصحابه •

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام حتى تكون :

أولا : عونا لأخيك المسلم اذا ما استعاذ بك وطلب نصرتك اذا كان مظلوما ، أو ظالما « فتحجزه عن الظلم » •

وثانيا : حتى تكون مستعينا بالله تعالى ومستعيذا به اذا كنت

---

(١) المدثر : ٨

مظلوما وتخشى بطش ظالميك .. الى آخر ما وقفنا عليه من التوجيهات الايجابية التى أرجو أن تكون حجة لنا لا علينا .

وحسبنا فى نهاية هـذا الموضوع ، حتى لا نكون من الظالمين لغيرنا ، وحتى لا يكون غيرنا ظالما لنا : أن نذكر أنفسنا وغيرنا دائما وأبدا بهذين الحديثين الشريفين ، اللذين من أهم الأحاديث التى قالها النبى صلى الله عليه وسلم لكى تكون منهجا قويما للأمة الاسلامية الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، حتى تكون بحق **« .. خير أمة أخرجت للناس »**[1] :

فعن أبى سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « لا ضرر ولا ضرار » حديث حسن . رواه ابن ماجه والدارقطنى وغيرهما مسندا ، ورواه مالك فى الموطأ مرسلا عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأسقط أبا سعيد وله طرق يقوى بعضها بعضا .

* * *

فقوله صلى الله عليه وسلم : « لا ضرر » ، أى : لا يضر أحدكم أحدا بغير حق ولا جناية سابقة . وقوله صلى الله عليه وسلم : « ولا ضرار » ، أى : لا تضر من ضرك ، واذا سابك أحد فلا تسبه ، وان ضربك فلا تضربه ، بل اطلب حقك منه عند الحاكم من غير مسابة ، واذا تساب رجلان أو تقاذفا لم يحصل التقاضى ، بل كل واحد يأخذ حقه بالحاكم . وفى الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « للمتسابين ما قالا وعلى البادى منهما الاثم ما لم يعتد المظلوم بسبب زائد »[2] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره ، التقوى ههنا ــ ويشير الى صدره ثلاث مرات ــ بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » رواه مسلم .

---

(١) آل عمران : ١١٠ .
(٢) كما يقول الامام النووى فى شرح الأربعين النووية .

فقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تحاسدوا » : الحسد كما قال الغزالى ينقسم الى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يتمنى زوال نعمة الغير وحصولها لنفسه •

الثانى : أن يتمنى زوال نعمة الغير وان لم تحصل له كما اذا كان عنده مثلها ولم يكن يحبها وهذا أشر من الأول •

الثالث : أن لا يتمنى زوال النعمة عن الغير ولكن يكره ارتفاعه عليه فى الحظ والمنزلة ويرضى بالمساواة ولا يرضى بالزيادة وهذا أيضا محرم لأنه لم يرض بقسمة الله تعالى ، قال الله تعالى : **« أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا •• »**[1] الآية ، فمن لم يرض بالقسمة فقد عارض الله تعالى فى قسمته وحكمته وعلى الانسان أن يعالج نفسه ويحملها على الرضا بالقضاء ويخالفها بالدعاء لعدوه بما يخالف النفس •

ولله در القائل :

ألا قل لمن بات لى حاسدا ... أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله فى فعله ... كأنك لم ترض لى ما وهب
فكان جزاؤك أن خصنى ... وسد عليك طريق الطلب

واذا كان هذا هو الحسد المذموم ، الذى ينبغى ألا تكون من أهله ، فاننى أرجو أن تكون من أهل الحسد المحمود المشار اليه فى الحديث الصحيح الذى يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه : « لا حسد الا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل : أعطاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها » •

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ولا تناجشوا » ، فالنجش أصله الارتفاع والزيادة وهو أن يزيد فى ثمن سلعة ليغر غيره وهو حرام لأنه غش وخديعة • « ولا تباغضوا » ، أى : لا تتعاطوا أسباب البغضاء فالبغض حرام الا فى الله تعالى فانه واجب ، ومن كمال الايمان ، ففى الحديث : « من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان » ، « ولا تدابروا » ، أى : لا يهجر أحدكم أخاه وان رآه أعطاه دبره أو ظهره ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام » •

---

(١) الزخرف : ٣٢

وهجرة المسلم أخاه المسلم فوق ثلاثة بغير سبب شرعى : مكروهة فى الثلاثة ، وفيما زاد : حرام الا لضرورة .

وحكى أن رجلا هجر أخاه فوق ثلاثة أيام فكتب اليه هذه الأبيات ، فقـــال :

يا ســيدى عندك لى مظلمـــة فاستفت فيهـــا ابن أبى خيثمة
فانه يروى لنـــا عن جـــــده ما قد روى الضحاك عن عكرمة
عن ابن عباس عن المصطفى نبينـــا المبعـــوث بالمرحمـــة
ان صـــدود الالف عن الفـــه فـــوق ثلاث ربنـــا حرمــــه

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ولا يبع بعضكم على بيع أخيه » ، فصورته أن يبيع أخوه شيئا فيأمر المشترى بالفسخ ليبيعه مثـــله وأحسن منه بأقل من ثمن ذلك ، والشراء على الشراء حرام ، بأن يأمر البـــائع بالفسخ ليشــــتريه منه بأغلى ثمن ، وكذلك يحرم السوم على ســـوم أخيــــه .. وكل هذا داخل فى الحديث لحصول المعنى وهو التباغض والتدابر ، وتقييد النهى ببيع أخيه يقتضى أنه لا يحرم على بيع الكافر ، وهو وجه لابن خالويه .. والصحيح لا فرق لأنه من باب الوفاء بالذمة والعهد .

« المسلم أخو المسلم » ، وهى أعظم أخوة .. والانتماء الى أبوة الاسلام أعظم انتماء .. كما يقول أحدهم متباهيا بهذا :

أبى الاســـلام لا أب لى ســـواه
اذا افتخـــــروا بقيس أو تمــيم

ومن حق المسلم على أخيــــه المسلم أن : « لا يظلمه » أى : يأخذ حقوقه .. أو يكون سببا فى الاضرار به وبمصالحه وما الى ذلك .

« ولا يخذله » ، أى : عند أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر أو عند مطالبته بحق من الحقوق .. بل ينصره ويعينه ويدفـــع عنه الأذى ما استطاع .

« ولا يكذبه » ، أى : لا يخبره بأمر على خلاف الواقع لأنه غش وخيانة .

« ولا يحقره » ، أى : فلا يحكم على نفسه بأنه خير من غيره ، بل يحكم على غيره بأنه خير منه ، أولا يحكم بشىء فان العاقبة منطوية ولا يدرى العبد بما يختم له ، فاذا رأى صغيرا مسلما حكم بأنه خير منه باعتبار أنه أخف ذنوبا منه وان رأى من هو أكبر سنا منه حكم

بالخيرية باعتبار أنه أقدم هجرة منه فى الاسلام •• وان رأى كافرا لم يقطع له بالنار لاحتمال أنه يسلم فيموت مسلما •

وقوله صلى الله عليه وسلم : « التقوى ههنا » ويشير الى صدره ثلاث مرات ، أى : لأن الصدر محل القلب الذى هو محل الخوف الحامل على التقوى : « **فانها من تقوى القلوب** »(١) وتكرار الاشارة « ثلاث مرات » للدلالة على عظم المشار اليه فى الحقيقة وهو القلب ••

ففى الحديث الشريف : « •• ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب »(٢) : أى فى الجسد مضغة اذا خشعت خشعت الجوارح ، واذا طمحت طمحت الجوارح ، واذا فسدت فسدت الجوارح • قال العلماء : البدن مملكة النفس ومدينتها ، والقلب وسط المملكة ، والأعضاء كالخدم ، والقوى الباطنة كضياع المدينة ، والعقل كالوزير المشفق الناصح به ، والشهوة كطالب أرزاق الخدام ، والغضب صاحب الشرطة وهو عبد مكار خبيث يتمثل بصورة الناصح ، ونصحه سم قاتل ، ودأبه أبدا منازعة الوزير الناصح ، والقوة المخيلة فى مقدم الدماغ كالخازن ، والقوة المفكرة فى وسط الدماغ ، والقوة الحافظة فى آخر الدماغ ، واللسان كالترجمان ، والحواس الخمسة جواسيس وقد وكل واحد منهم بصنيع من الصناعات ، فوكل العين بعالم الألوان ، والسمع بعالم الأصوات ، وكذلك سائرها فانها أصحاب الاخبار •• ثم قيل هى كالحجبة توصل الى النفس ما تدركه ، وقيل ان السمع والبصر والشم كالطاقات تنظر منها النفس ، فالقلب هو الملك ، فاذا صلح الراعى صلحت الرعية ، واذا فسد فسدت الرعية • وانما يحصل صلاحه بسلامته من الأمراض الباطنة كالغل والحقد والحسد والشح والبخل والكبر والسخرية والرياء والسمعة والمكر والحرص والطمع وعدم الرضا بالمقدور ، وأمراض القلب كثيرة تبلغ نحو الأربعين عافانا الله منها وجعلنا ممن يأتيه بقلب سليم : « **يوم لا ينفع مال ولا بنون • الا من أتى الله بقلب سليم** »(٣) •

وقوله صلى الله عليه وسلم : « بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم » ، أى : يكفيه منه ، وقوله « بحسب » باسكان السين ••

---

(١) الحج : ٣٢

(٢) الحديث رواه البخارى ومسلم •

(٣) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩

وفيه تحذير من الاحتقـــار ، قال الله تعالى : ((**يا أيهــا الذين آمنــوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نســاء عسى أن يكن خيرا منهن** ..))[1] ، والسخرية النظر الى المسخور منه بعين النقص ، فلا تحتقر غيرك عسى أن يكون عند الله خيرا منك وأفضل وأقرب ، وقد احتقر ابليس اللعين آدم عليه السلام فباء بالخسران الأبدى ، وفاز آدم بالعز الأبدى وشتان ما بينهما فلا تحتقر أحدا ولو كان عبدك ، فربما صار عزيزا وصرت ذليلا فينتقم منك .. تنبيه : مفهوم الخبر أن الكافر يجوز احتقاره اذ لا حرمة له بالكفر واهانته على الله : ((**ومن يهن الله فما له من مكرم**))[2] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : ((كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)) ، فقد جعل هذه الثلاثة كل المســلم وحقيقته لشدة اضطراره اليهـــا لأن الدم به حياته ، والمــال مادة الدم فهو مادة الحياة ، والعرض قيام صورته المعنوية .. واقتصر على هذه الثلاثة لأن ما سواها فرع راجع اليها ، لأنه اذا قامت البدنية والمعنوية فلا حاجة الى غير ذلك .



فحسبك أخا الاسلام كل هذا الخير الذى وقفت عليه والذى أرجو أن تكون منتفعا به .

ثم اذا كان الرسول صلى الله عليــه وسلم ، قد أوصـــانا ــ فى نص الوصية ــ بعد قوله : من استعاذ بالله فأعيذوه ــ بقوله : ((ومن سأل بالله فأعطوه)) ، أى : بعد التحقق من عجزه وحاجته ، كما فعــل الرسول صلى الله عليه وسلم :

فعن عبد الله بن عدى رضى الله عنه : ((أن رجلين أخبراه أنهما أتيا النبى صلى الله عليه وسلم يسألانه عن الصدقة ، فقلب فيهما البصر ورآهما جلدين ، فقال لهما : ان شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغنى ولا لقوى)) رواه أحمد وأبو داوود .

فاذا تبين لنا أنه فعلا عاجز عن الكسب ، ومحتاج أعطيناه والا فلا .

بل قيل ان أعطاه ان كان شابا أو قويا وليس عاجزا : سيكون حراما لأنه تعاون على الاثم لا على البر .

---

(١) الحجرات : ١١ (٢) الحج : ١٨

وأولى بنا بدل أن نعطيه لكى نشجعه على البطالة والتسول : أن نرغبه فى السعى على الرزق .. بأن نذكره مثلا بقول الله تبارك وتعالى : **« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »**(١) .

وقوله : **« .. فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور »**(٢) .

وقوله : **« .. وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله .. »**(٣) .

وبأن نذكره كذلك بالأحاديث الشريفة المرغبة فى السعى على الرزق ، والتى منها ، ما ورد فى صحيح البخارى عن المقدام بن معد يكرب الكندى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده . وان نبى الله داوود ـ عليه السلام ـ كان يأكل من عمل يده » ـ فى الدروع من الحديد ويبيعه لقومه .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « لأن يغدو أحدكم فيحتطب على ظهره فيتصدق منه ويستغنى به عن الناس خير له من أن يسأل رجلا أعطاه أو منعه » .

وكذلك نذكره بهذا الحديث الشريف الذى أرجو أن يكون سببا فى بعده عن سؤال الناس ، وحرصه على طلب الرزق :

روى أبو داوود من حديث سهل ابن الحنظلية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « من سأل وعنده ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم ، قالوا : يا رسول الله .. وما يغنيه ؟ قال : ما يغديه ويعشيه » .



ومن أجمل ما قرأت كذلك من الآثار حول هذا الموضوع(٤) ، أن : الناس ثلاثة : رجل شغله معاشه عن معاده : فهو من المفرطين الهالكين .

---

(١) الجمعة : ١٠ (٢) الملك : ١٥ (٣) المزمل : ٢٠

(٤) من كتاب هداية المرشدين للشيخ على محفوظ رحمه الله باختصار وتصرف .

ورجل شغله معاده عن معاشه : فهو من الغالبين المكروهين •

والأقرب الى الاعتدال هو الثالث الذى : شغله معاشه لمعاده : فهو من المقتصدين المحبوبين • ففى الحديث الذى رواه أحمد وغيره يقول صلوات الله وسلامه عليه : « من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى » ، أى : لأن الانهماك فيها سيشغله عن طاعة مولاه فيخسر الآخرة ، والانقطاع للآخرة يمنعه عن الكسب فيصير حملا ثقيلا على كاهل الأمة ، وفى الحكم المأثورة : « خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ، ولم يكن كلا على الناس » ، فأفضل الأمرين التزام حد الوسط • وفى القرآن الكريم يوصينا الله تعالى بهذا ، فيقول : **« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك »**[1] •

روى أن عيسى عليه السلام رأى رجلا ، فقال : ما تصنع ؟ قال : أتعبد • قال : ومن يعولك ؟ قال : أخى • قال : وأين أخوك ؟ قال : فى مزرعته • قال : أخوك أعبد منك •

وقال لقمان لابنه : يا بنى •• استغن بالكسب الحلال عن الفقر ، فانه ما افتقر أحد قط الا أصابه ثلاث خصال : « رقة فى دينه » وهو كناية عن قلته فان الفقر قد يحمله على ما يوجب ذلك « وضعف فى عقله » وذلك لكثرة ما يعتريه من الهموم والأفكار ، وهى لا شك تظلم العقل وتفسد الرأى • « وذهاب مروءته » ولا دين لمن لا مروءة له • وأعظم من هذه الثلاثة استخفاف الناس به ، واحتقارهم له ، وازدرائهم لحاله •

وقال ابن عباس رضى الله عنه : اطلبوا الغنى باصلاح ما فى أيديكم ، فان الفقر مجمع العيوب •

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى ، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة •

وكان رضى الله عنه يقول : ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب الى من موطن أتسوق فيه لأهلى أبيع وأشترى •

---

(١) القصص : ٧٧

وذات يوم : سمع عمر رضى الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب ، فقال لرجل من قومه : عش الرجل ، فعشاه ، ثم سمعه — عمر — ثانيا يسأل ، فقال : ألم أقل لك عش الرجل ؟ قال : قد عشيته • فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا ، فقال : لست سائلا لكنك تاجرا ، ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدى ابل الصدقة وضربه بالدرة ، وقال : لا تعد — ولولا أن سؤاله كان حراما ما ضربه ولا أخذ مخلاته •

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يقول : « مكسبة فى دناءة خير من سؤال الناس » •

وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه ، يقول :

لحملى الصخر من قمم الجبال ... أحب الى من منن الرجال
يقول الناس لى فى الكسب عار ... فقلت العار فى ذل السؤال

* * *

فليكن هذا مفهومك أخا الاسلام عن معنى اعطاء السائل اذا تأكد لك عجزه واحتياجه ولا سيما اذا جعل اسم الله عز وجل واسطة فى السؤال •

مع ملاحظة ما رواه الامام مالك فى الموطأ ، من أنه صلى الله عليه وسلم ، قال : « أعطوا السائل ولو جاء على فرس » •

فهذا الحديث : فيه مقال ، وعلى فرض صحته فهو محمول على تحقيق عجزه وحاجته • وهذا ما أردت أن أوقفك عليه حتى تكون من الدعاة الى العمل المحاربين للبطالة التى هى الداء الكبير الذى لابد وأن نتخلص منه حتى يعود الى الاسلام مجده وفخاره ، وحتى نفهم الاسلام فهما ايجابيا لا سلبيا :

وحسبنا ما وقفنا عليه توضيحا لكل هذا ••

* * *

ثم اذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقول بعد قوله : « ومن سأل بالله فأعطوه » •

« ومن دعاكم فأجيبوه » ، أى : من دعاكم الى وليمة أو نحوها فأجيبوه ، لأن ذلك من حق المسلم على المسلم :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ،

واتباع الجنازة ، واجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » رواه البخارى ومسلم •

وروى مسلم : « حق المسلم على المسلم ست • قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : اذا لقيته فسلم عليه ، واذا دعاك فأجبه ، واذا استنصحك فانصح له ، واذا عطس فحمد الله فشمته ، واذا مرض فعده ، واذا مات فاتبعه » ورواه الترمذى والنسائى •

فاجابة الدعوة كما رأيت حق للمسلم على أخيه المسلم •• ولكن بشروط وآداب لابد وأن نقف عليها ، تحت عنوان :

حكم اجابة الدعوة

فهى كما عرفنا فى نص الحديثين ، حق واجب على المسلم لأخيه المسلم : لأنها تحقق معنى الأخوة بينهما ، وتزيد الود ، وتضمن صفاء النفوس •

وقد حث الاسلام عليها ، واعتبر الممتنع عنها عاصيا :

فعن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ست خصال واجبة للمسلم على المسلم ، من ترك شيئا منهن فقد ترك حقا واجبا : يجيبه اذا دعاه ، واذا لقيه أن يسلم عليه ، واذا عطس أن يشمته ، واذا مرض أن يعوده ، واذا استنصحه أن ينصح له » رواه ابن حبان •

والحق السادس والله أعلم ، هو : « اذا مات أن يتبعه » كما وردت به الأحاديث الصحاح •

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا دعى أحدكم الى طعام فليجب ، فان شاء طعم وان شاء ترك » رواه مسلم وغيره •

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا دعا أحدكم أخاه فليجب : عرسا كان أو نحوه » رواه مسلم وغيره •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أنه كان يقول : « شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الأغنياء وتترك المساكين ، ومن لم يأت الدعوة فقد عصى الله ورسوله » متفق عليه •

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من دعى فلم يجب فقد عصى الله ورسوله ، ومن

دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا » — أى مختطفا — رواه أبو داوود .

* * *

وحول حكم اجابة الدعوة :

قال النووى فى شرح مسلم (ج ٩ ص ٢٣٤) : لا خلاف فى أنه مأمور به ، ولكن هل هو أمر ايجاب أو ندب ، فيه خلاف . والأصح فى مذهبنا — الشافعية — أنه فرض عين على كل من دعى لكن يسقط بأعذار .

والثانى : أنه فرض كفاية .

والثالث : أنه مندوب ، هذا مذهبنا فى وليمة العرس « الشافعية » .

وأما غيرها — أى غير وليمة العرس — ففيها وجهان لأصحابنا : أحدهما : كوليمة العرس . والثانى : أن الاجابة اليها ندب ، وان كانت فى العرس واجبة .

ونقل القاضى اتفاق العلماء على وجوب الاجابة فى وليمة العرس . قال : واختلفوا فى سواها .

فقال مالك والجمهور : لا تجب الاجابة اليها .

وقال أهل الظاهر : تجب الاجابة الى كل دعوة من عرس وغيره ، وبه قال بعض السلف .

* * *

وهناك أحكام هامة تتعلق باجابة الدعوة ، ذكرها صاحب كتاب « المجموع »[1] (ج ١٥ ص ٢٧٥) .

وقد رأيت أن أوقفك عليها بتصرف ، فاليك أهمها :

اذا دعى — المسلم — الى وليمة كتابى — وقلنا : أتجب عليه الاجابة الى وليمة الكتابى ؟ ففيه وجهان :

أحدهما : تجب عليه الاجابة لعموم الأخبار .

والثانى : لا تجب عليه الاجابة لأن النفس تعاف من أكل طعامهم ، ولأنهم يستحلون الربا ، ولأن الاجابة انما جعلت لتأكد الأخوة والموالاة ، وهذا لا يوجد فى أهل الذمة .

واذا جاء الداعى ، فقال : أمرنى فلان أن أدعوك فأجب : لزمه الاجابة . وان قال : أمرنى فلان أن أدعو من شئت أو من لقيت فاحضر : لم تلزمه الاجابة .

---

(١) وهو فضيلة الشيخ محمد نجيب المطيعى أكرمه الله وأثابه .

قال الشافعى رحمه الله : بل أستحب له أن يحضر الا من عذر :
والأعذار التى يسقط معها فرض الاجابة : أن يكون مريضا ، أو قيما بمريض ، أو بميت ، وباطفاء حريق ، أو يخاف ضياع ماله ، أو له فى طريقه من يؤذيه ، لأن هذه الأسباب أعذار فى حضور الجماعة وفى صلاة الجماعة ، ففى هذا أولى .

وان كانت الوليمة ثلاثة أيام فدعى فى اليوم الأول : وجب عليه الاجابة ، وان دعى فى اليوم الثانى : لم تجب عليه الاجابة ولكن يستحب له أن يجيب ، وان دعى فى اليوم الثالث : لم يستحب له أن يجيب بل يكره له ، لما روى : أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « الوليمة فى اليوم الأول : حق ، وفى الثانى : معروف ، وفى اليوم الثالث : رياء وسمعة » رواه أحمد وأبو داوود والترمذى .

اذا دعاه اثنان الى وليمتين — فان سبق أحدهما — قدم اجابته ، وان لم يسبق أحدهما أجاب أقربهما اليه دارا : لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا اجتمع داعيان فأجب أقربهما اليك بابا ، فان أقربهما بابا أقربهما جوارا ، فان سبق أحدهما فأجب الذى سبق » هكذا ذكر المحاملى وابن الصبغ .

وذكر الشيخ أبو اسحاق ، أنهما اذا تساويا فى السبق : أجاب أقربهما رحما .

فان استويا فى الرحم : أجاب أقربهما دارا . واذا ثبت الخبر فأقربهما أولى لأنه لم يفرق بين أن يكون أقربهما رحما أو أبعد ، فان استويا فى ذلك أقرع[1] بينهما ، لأنه لا مزية لأحدهما على الآخر .

وان دعى الى موضع فيه دف : أجاب ، لأن الدف يجوز فى الوليمة ، لما روى محمد بن حاطب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فصل ما بين الحلال والحرام الدف » .

فان دعى الى موضع فيه منكر من زمر أو خمر — فان قدر على ازالته — : لزمه أن يحضر لوجوب الاجابة لازالة المنكر ، وان لم يقدر على ازالته : لم يحضر ، لما روى :

« أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : نهى أن يجلس على مائدة تدار فيها الخمر » .

---

(١) أى اقترع بينهما .

وروى نافع ، قال : « كنت أسير مع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، فسمع زمارة راع فوضع أصبعيه فى أذنيه ، ثم عدل عن الطريق ، فلم يزل يقول : يا نافع .. أتسمع ؟ حتى قلت : لا .. فأخرج أصبعيه من أذنيه ثم رجع الى الطريق ، ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل » .

وان حضر فى موضع فيه تماثيل ــ فان كانت كالشجر ــ : جلس ، وان كانت على صورة حيوان ــ فان كانت على بساط يداس أو وسادة يتكأ عليها ــ : جلس . وان كانت على حائط أو ستر معلق : لم يجلس ، لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أتانى جبريل ، فقال : أتيتك البارحة فلم يمنعنى أن أكون دخلت الا أنه كان على الباب تماثيل ، وكان فى البيت قرام ستر فيه تماثيل ، وكان فى البيت كلب .. فمر برأس التماثيل التى كانت بالبيت تقطع فتصير كهيئة الشجرة ، ومر بالستر فليقطع منه وسادتان منبوذتان توطآن ، ومر بالكلب فليخرج . ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك » .

ولأن ما كان كالشجرة فهو كالكتابة والنقوش ، وما كان على صورة الحيوان على حائط وستر فهو كالصنم . وما يوطأ فليس كالصنم لأنه غير معظم .

ثم يقول بعد ذلك صاحب المجموع :

ومن حضر طعاما ــ فان كان مفطرا ــ ففيه وجهان : أحدهما : يلزمه أن يأكل لما روى أبو هريرة رضى الله عنه :

« أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : اذا دعى أحدكم الى طعام فليجب ، فان كان مفطرا فليأكل ، وان كان صائما فليصل »[1] .

والثانى : لا يجب ، لما روى جابر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا دعى أحدكم الى طعام فليجب ، فان شاء طعم وان شاء ترك » .

وان دعى وهو صائم لم تسقط عنه الاجابة للخبر ، ولأن القصد التكثير والتبرك بحضوره ، وذلك يحصل مع الصوم ، فان كان الصوم

---

(١) بكسر الصاد ، أى : فليصل صيامه ولا يفطر .

فرضا لم يفطر لقول النبى صلى الله عليه وسلم : « وان كان صائما فليصل » •

وان كان تطوعا فالمستحب أن يفطر ، لأنه يدخل السرور على من دعاه ، وان لم يفطر جاز لأنه قربة فلم يلزمه تركها •

والمستحب لمن فرغ من الطعام أن يدعو لصاحب الطعام ، لما روى عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ، قال : « أفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عند سعد بن معاذ رضى الله عنه ، فقال : أفطر عندكم الصائمون ، وصلت عليكم الملائكة ، وأكل طعامكم الأبرار » •

* * *

وفى كتاب : « احياء علوم الدين » للامام أبى حامد الغزالى (ج ٤) ، يقول رحمه الله تعالى ، تحت عنوان :

آداب اجابة الدعوة الى الطعام

وللاجابة خمسة آداب :

الأول : أن لا يميز الغنى بالاجابة عن الفقير ، فذلك هو التكبر المنهى عنه • ولأجل ذلك امتنع بعضهم عن أصل الاجابة ، وقال : « انتظار المرقة ذل » • وقال آخر : « اذا وضعت يدى فى قصعة غيرى فقد ذلت له رقبتى » ، ومن المتكبرين من يجيب الأغنياء دون الفقراء ، وهو خلاف السنة : كان صلى الله عليه وسلم : يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين •

ومر الحسن بن على رضى الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نشروا كسرا على الأرض فى الرمل ، وهم يأكلون ، وهو على بغلته ، فسلم عليهم ، فقالوا له : هلم الى الغداء يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال : نعم ، ان الله لا يحب المستكبرين • فنزل وقعد معهم على الأرض وأكل ، ثم سلم عليهم وركب ، وقال : قد أجبتكم فأجيبونى • قالوا : نعم • فوعدهم وقتا معلوما ، فحضروا ، فقدم اليهم فاخر الطعام ، وجلس يأكل معهم •

وأما قول القائل : ان من وضعت يدى فى قصعته ، فقد ذلت له رقبتى ، فقد قال بعضهم هذا خلاف السنة ، وليس كذلك • فانه ذلك اذا كان الداعى لا يفرح بالاجابة ، ولا يتقلد بها منة ، وكان يرى ذلك يدا له على المدعو •

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لعلمه أن الداعى له يتقلد منه ، ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه فى الدنيا والآخرة • فهذا يختلف باختلاف الحال • فمن ظن به أنه يستثقل الاطعام ، وانما يفعل ذلك مباهاة أو تكلفا[1] ، فليس من السنة اجابته • بل الأولى التعلل •

ولذلك قال بعض الصوفية : لا تجب الا دعوة من يرى أنك أكلت رزقك ، وأنه سلم لك وديعة كانت عنده ، ويرى لك الفضل عليه فى قبول تلك الوديعة منه •

والى هذا يشير أحدهم فى قوله :

من دعانا فأبينا فله الفضل علينا
واذا نحن أجبنا رجع الفضل الينا

وقال سرى السقطى رحمه الله : آه على لقمة ليس على الله فيها تبعة ، ولا لمخلوق فيها منة • فاذا علم المدعو أنه لا منة فى ذلك ، فلا ينبغى أن يرد •

وقال أبو تراب النخشبى رحمة الله عليه : عرض على طعام فامتنعت ، فابتليت بالجوع أربعة عشر يوما ، فعلمت أنه عقوبته •

وقيل لمعروف الكرخى رضى الله عنه : كل من دعاك تمر اليه ؟ فقال : أنا ضيف أنزل حيث أنزلونى •

الثانى : أنه لا ينبغى أن يمتنع عن الاجابة لبعد المسافة ، كما لا يمتنع لفقر الداعى وعدم جاهه ، بل كل مسافة يمكن احتمالها فى العادة لا ينبغى أن يمتنع •

لأجل ذلك يقال فى التوراة أو بعض الكتب : « سر ميلا عد مريضا ، سر ميلين شيع جنازة ، سر ثلاثة أميال أجب دعوة ، سر أربعة أميال زر أخا فى الله » •

وانما قدم اجابة الدعوة والزيارة ، لأن فيه قضاء حق الحى ، فهو أولى من الميت ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لو دعيت الى كراع بالغميم لأجبت » وهو موضع على أميال بالمدينة ، أفطر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان لما بلغه وقصر عنده فى سفره •

الثالث : أن لا يمتنع لكونه صائما[2] ، بل يحضر ، فان كان يسر

---

(١) ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن طعامه المتباهين والمتبارين •

(٢) صيام تطوع •

أخاه افطاره فليفطر ، وليحتسب فى افطاره بنية ادخال السرور على قلب أخيه ، ما يحتسب فى الصوم وأفضل ، وذلك فى صوم التطوع • وان لم يتحقق سرور قلبه ، فليصدقه بالظاهر ، وليفطر •

وان تحقق أنه متكلف ، فليتعال • وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم : « تكلف لك أخوك وتقول : انى صائم » • وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : من أفضل الحسنات اكرام الجلساء بالافطار •

فالافطار عبادة بهذه النية ، وحسن خلق ، فثوابه فوق ثواب الصوم •

ومهما لم يفطر ، فضيافته الطيب والمجمرة ، والحديث الطيب •

وقد قيل : الكحل والدهن أحد القراءين •

الرابع : أن يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة ، أو الموضع أو البساط المفروش من غير حلال ، أو كان يقام فى الموضع منكر ، من فرش وديباج ، أو اناء فضة أو تصوير حيوان على سقف أو حائط ، أو سماع شىء من المزامير والملاهى ، أو التشاغل بنوع من اللهو والعزف والهزل واللعب ، واستماع الغيبة والنميمة والزور والبهتان والكذب ، وشبه ذلك :

فكل ذلك مما يمنع الاجابة واستحبابها ، ويوجب تحريمها أو كراهيتها ، وكذلك اذا كان الداعى ظالما ، أو مبتدعا ، أو فاسقا ، أو شريرا ، أو متكلفا طلبا للمباهاة والفخر •

الخامس : أن لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن ، فيكون عاملا فى أبواب الدنيا • بل يحسن نيته ، ليصير بالاجابة عاملا للآخرة ، وذلك بأن تكون نيته الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله : « لو دعيت الى كراع لأجبت » •

وينوى الحذر من معصية الله لقوله صلى الله عليه وسلم : « من لم يجب الداعى فقد عصى الله ورسوله » •

وينوى اكرام أخيه المؤمن اتباعا لقوله صلى الله علية وسلم : « من أكرم أخاه المؤمن فكأنما أكرم الله » •

وينوى ادخال السرور على قلبه امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم : « من سر مؤمنا فقد سر الله » • وينوى مع ذلك زيارته ، ليكون من المتحابين فى الله اذ شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه التزاور

والتباذل لله . وقد حصل البذل من أحد الجانبين ، فتحصل الزيارة من جانبه أيضا .

وينوى صيانة نفسه عن أن يساء به الظن فى امتناعه ، ويطلق اللسان فيه ، بأن يحمل على تكبر أو سوء خلق ، أو استحقار أخ مسلم ، أو ما يجرى مجراه .

* * *

فهذه ست نيات تلحق اجابته بالقربات آحادها ، فكيف مجموعها .

وكان بعض السلف يقول : أنا أحب أن يكون لى فى كل عمل نية ، حتى فى الطعام والشراب .

وفى مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجر اليه » .

والنية انما تؤثر فى المباحات والطاعات ، أما المنهيات فلا ، فانه لو نوى أن يسر اخوانه بمساعدة على شرب الخمر ، أو حرام آخر ، لم تنفع النية . ولم يجز أن يقال : الأعمال بالنيات .

بل لو قصد بالغزو الذى هو طاعة ، المباهاة وطلب المال ، انصرف عن جهة الطاعة . وكذلك المباح المردد بين وجوه الخيرات وغيرها ، يلتحق بوجوه الخيرات بالنية . فتؤثر النية فى هذين القسمين ، لا فى القسم الثالث .

* * *

وتحت عنوان :

آداب الحضور لمنزل الداعى والجلوس فيه

يقول أيضا أبو حامد الغزالى رحمه الله تعالى فى كتابه « احياء علوم الدين » (ج ٤) ما نصه :

وأما الحضور فأدبه أن يدخل الدار ، ولا يتصدر فيأخذ أحسن الأماكن ، بل يتواضع ولا يطول الانتظار عليهم ، ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ، ولا يضيق المكان على الحاضرين بالزحمة .

بل ان أشار اليه صاحب المكان بموضع لا يخالف البتة ، فانه قد يكون رتب فى نفسه موضع كل واحد ، فمخالفته تشوش عليه ،

وان أشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما ، فليتواضع • قال صلى الله عليه وسلم : « ان من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس » •

ولا ينبغى أن يجلس فى مقابلة باب الحجرة التى للنساء وسترهم •

ولا يكثر النظر الى الموضع الذى يخرج منه الطعام ، فانه دليل على الشره •

ويخص بالتحية والسؤال من يقرب منه اذا جلس •

واذا دخل ضيف للمبيت : فليعرفه[1] صاحب المنزل عند الدخول القبلة وبيت المـاء وموضع الوضوء ، كذلك فعل مالك بالشافعى رضى الله عنهما ، وغسل مالك يده قبل الطعام قبل القوم ، وقال : الغسل قبل الطعام لرب البيت أولى ، لأنه يدعو الناس الى كرمه ، فحكمة أن يتقدم بالغسل ، وفى آخر الطعام يتأخر بالغسل ، لينتظر أن يدخل من يأكل فيأكل معه •

واذا دخل فرأى منكرا غيره ان قدر ، والا أنكر بلسانه وانصرف •

والمنـكر : فرش الديباج ، واستعمال أوانى الفضة والذهب ، والتصوير على الحيطان ، وسماع الملاهى والمزامير ، وحضور النسوة المتكشفات الوجوه ، وغير ذلك من المحرمات •

حتى قال أحمد رحمه الله : اذا رأى مكحلة رأسها مفضض ، ينبغى أن يخـرج ، فان ذلك تكلف لا فائدة فيه ، ولا تدفع حـرا ولا بردا ، ولا تستر شيئا •

وكذلك قال : يخرج اذا رأى حيطان البيت مستورة بالديباج كما تستر الكعبة ، وقال : اذا اكترى بيتا[2] فيه صورة ، أو دخل الحمام ورأى صورة ، فينبغى أن يحكها[3] ، فان لم يقدر خرج •

* * *

ثم يقول : وكل ما ذكره صحيح ، وانما النظر فى المكحلة وتزيين الحيطان بالديباج ، فان ذلك لا ينتهى الى التحريم ، اذ الحرير يحرم على الرجال • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا حرام على ذكور أمتى حل لاناثها » • وما على الحائط ليس منسوبا الى الذكور •

ولو حرم هـذا لحرم تزيين الكعبة • بل الأولى اباحته لموجب قوله تعـالى : « **قل من حرم زينـة الله ..** »[4] لا سيما فى وقت

---

(١) بضم الياء : أى فليخبره .
(٢) أى استأجر بيتا .
(٣) أى يزيلها .
(٤) الأعراف : ٣٢

الانتفاع بالنظر الى الديباج ، مهما لبسه الجوارى والنساء • والحيطان فى معنى النساء ، آذ لسن موصوفات بالذكورة •

* * *

فاذكر أخا الاسلام كل هذا حتى اذا لبيت دعوة آخيك المسلم ، كان هذا على أساس من تلك الأحكام والآداب •

وليكن كل هذا كذلك على أساس من العزة والكرامة •• وأعنى بهذا أن لا تدخل على قوم لتأكل من طعامهم الا بدعوة منهم حتى لا تكون طفيليا •• فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم ــ كما قرأت قبل ذلك ــ : « من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا ، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله » •

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عيه وسلم قال : « اذا دعى أحدكم فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن » •

وقد قال الأصمعى ــ فى تعريف الطفيلى ــ : الطفيلى الداخل على القوم من غير أن يدعى مأخوذ من الطفل وهو اقبال الليل على النهار بظلمته وأرادوا أن آمره يظلم على القوم فلا يدرون من دعاه ولا كيف دخل عليهم • قال : وقولهم طفيلى منسوب الى طفيل رجل بالكوفة من بنى غطفان ، وكان يأتى الولائم من غير أن يدعى اليها وكان يقال له طفيل الأعراس والعرائس •

فلا تكن آخا الاسلام مثل هـذا •• حتى تكون عزيزا بين قومك •

وقد قال أحدهم مشيرا الى هذا :

يا مبتغى العـز والسـلامة | الزم ثلاثـا تلقى الكـرامة
لا تسـأل المـرء ما لديـه | ولا ترى آكلا طعـامه[1]
ولا ترى ذاكـرا بسـوء | ما عشت خلقـا الى القيامة
وزد لهذى الثلاث تقـوى | الاله تكمل لك السـلامة

وكذلك كما يوصيك الشاعر ، محمد الهراوى رحمه الله فى قوله الذى أرجو أن تنفذه :

لا تكن ضـيفا ثقيـلا | يكره النـاس لقـاءك
ليـس من ذنب أنـاس | أن يكونـوا أقـرباءك

---

(١) أى بدون دعوة اليه كما عرفت .

أنت لا تـدرى الى كـم ... ترعـج الحـل ازاءك
فعسـاه مسـتمدا ... لك من قـوم عشـاءك
وعسـاه مسـتعيرا ... لك من جـار غطـاءك
وتذكـر أنت ضـيفا ... كيف ان جـاءك سـاءك
ان تزر فعليـك غبـا(١) ... ثم لا تكثـر بقـاءك
ان فى الفنـدق مـأوا ... ك وفى السـوق غـذاءك
رب من يلقـاك هشـا(٢) ... كسر « الزيـر » وراءك

* * *

ثم اذا كان الرسول صلى الله عليـه وسلم ، قد ختم وصيته التى تدور حولها ــ بعد ذلك ــ بقوله : « ومن صنع اليـكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا انكم كافأتموه » :

فان هـذا العنصر الأخير يحتاج منا الى عدة وقفات لابد منها ، حتى نفهم المعنى المراد ، من : صناعة المعروف ، والمكافأة ، والدعاء فى هـذا العنصر الأخير الذى وقفنا عليـه والذى لابد وأن نفهمه حتى ننفذه على أساس سليم ، وبصورة ايجابية يريدها الرسول صلوات الله وسلامه عليـه .

فمعنى : « من صنع اليكم معروفا » أى جميلا واحسانا :

وقد حكى أن الرشيد ، قال للأصمعى : هل تعرف كلمات جامعات لمكارم الأخلاق يقل لفظها ويسهل حفظها .. فقال : نعم يا أمير المؤمنين .. دخل أكثم بن صيفى حكيم العرب على بعض ملوكها ، فقال له : أريد أن أسألك عن أشياء لا تزال بصدرى مختلجة(٣) ، والشـكوك عليهـا والجة(٤) .. فقـال : سألت خبيرا واستنبأت(٥) بصـيرا ، والجواب يشـفعه(٦) الصـواب .. فاسـأل عما بدا لك . فقـال : ما السؤدد(٧) ؟ قال : اصطناع المعروف ، واغاثة الملهوف . قـال : فما الشرف ؟ قال : كف الأذى ، وبذل الندى(٨) . قال : فما المجد ؟

---

(١) غبا : أى زيارة متفرقة .
(٢) هشا : أى فرحا مبتسما .
(٣) أى مضطربة . (٤) أى داخلة .
(٥) أى طلبت منه النبأ وهو الخبر .
(٦) أى يكون مقارنا له . (٧) أى السيادة .
(٨) أى الفضل من المـال وأصله المطر .

قال : حمل المغـارم ، وابتناء المكارم • قال : فما الكرم ؟ قال : صدق الاخاء فى الشدة والرخاء • قال : فما العز ؟ قال : شدة القصد ، وثروة العدد[1] • قال : فما السماحة ؟ قال : بذل النائل ، واجابة السائل • قال : فما الغنى ؟ قال : الرضا بما يكفى ، وقلة التمنى • قال : فما الرأى ؟ قال : كل فكر أنتجته تجربة • قال له : قد أجبت وأجدت فاحتكم • قال : لكل كلمة هجمة[2] • قال : هى لك • قال الأصمعى : فقال لى الرشيد : ولك بكل كلمة بدرة[3] • فانصرفت بثمانين ألفا •

فمن مكارم الأخلاق ، ومن السؤدد كما عرفت : أن تكون من أهـل المعروف ، بمعنى : أن تكون من أهل البر الذين يتقربون الى الله تبارك وتعالى دائما وأبدا بكل خير يصلون به اخوانهم فى الله حتى يكون الله تعالى فى عونهم ، وحتى يسترهم فى الدنيا والآخرة :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليـه وآله وسلم ، قال : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليـه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » رواه مسلم بهذا اللفظ •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صـلى الله عليـه وآله وسلم : « كل سلامى من الناس عليه صـدقة كل يوم تطلع فيه الشمس : تعدل بين اثنين صدقة ، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة تمشيها الى الصـلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة » رواه البخارى ومسلم •

وعن أبى ذر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليـه

---

(١) أى كثرة المـال .
(٢) الهجمة من الابل أولها الأربعون الى ما زاد .
(٣) البدرة ، هى عشرة آلاف درهم .

وسلم : « لا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » رواه مسلم •

يعنى لا تستقلن أقل معروف تبذله لأحد من اخوانك ولو كان هـذا المعروف لقاءك اياه بوجه منبسط متهلل •

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « كل معروف صدقة ، وان من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق ، وأن تفرغ من دلوك فى اناء أخيك » رواه أحمد والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، وصدره فى الصحيحين من حديث حذيفة وجابر •

فمعنى ما جاء فى هـذا الحديث : أن كل ما يفعل من أعمال البـر والخير فثوابه كثواب من تصدق بالمـال •• وأنه من جملة المعروف أن تبش فى وجه أخيك اذا لقيته ، وأن تصب من دلوك المـاء فى دلـو أخيك فتقسم المـاء بينكما •

وعن أبى ذر رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر صدقة ، وارشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة ، واماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وافراغك من دلوك فى دلو أخيك لك صدقة » رواه الترمذى وحسنه ، وابن حبان فى صحيحه ، وزاد : « وبصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة » •

فمعنى ما جاء فى هذا الحديث بالاضافة الى ما عرفناه قبل ذلك : أن ارشادك لأى انسان رجلا كان أو امرأة فى أرض الضلال •• بل العمران كذلك •• ما دام فى حاجة الى هـذا الارشاد لك صدقة ، وأن ازالتك من الطريق كل ما يؤذى المـارة ويسبب لهم ضررا كقشر المـوز والقاذورات •• وما الى ذلك لك صدقة ، وأن افراغك من دلوك فى دلو أخيك اذا احتاج الى ما معك من المـاء لك صدقة •• وأن بصرك للرجل الردىء البصر بأن طلب منك أن تقرأ له كتابا ونحو ذلك لك صدقة •

وعن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليـه وسلم ، قال : « على كل مسلم صدقة • قيل : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : يعتمل بيديه ، فينفع نفسه ويتصدق • قال : أرأيت ان لم يسـتطع ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف • قال : قيل له : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال :

يأمر بالمعروف أو الخير . قال : أرأيت ان لم يفعل ؟ قال : يمسك عن الشر ، فانها صدقة » رواه البخارى ومسلم .

فمعنى ، يعتمل بيديه : أى ان لم يكن له مال يتصدق منه ، يعمل عملا بيديه يكسب به المال من أى حرفة أو مهنة .. فينفع نفسه ويتصدق .

ومعنى يعين ذا الحاجة الملهوف : أى يأخذ بيده وينقذه من شدته .

وروى عن الحسن بن على رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان من موجبات المغفرة ادخالك السرور على أخيك المسلم » رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط .

أى : من الأمور التى تقتضى المغفرة وتستوجبها ، ادخالك السرور على أخيك المسلم بالكلمة الطيبة والعدة الجميلة .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان أحب الأعمال الى الله تعالى بعد الفرائض[1] : ادخال السرور على المسلم » رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير .

وروى عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له ثوابا دون الجنة »[2] رواه الطبرانى .



ولهذا .. فقد ورد فى الآثار والأخبار والأشعار ما يرغب فى قضاء حوائج الناس :

قال خالد بن صفوان : لا تطلبوا الحوائج فى غير حينها ، ولا تطلبوها الى غير أهلها ، ولا تطلبوا ما لستم له بأهل فتكونوا للمنع خلقاء .

قال بعض الشعراء :

ان الأمور اذا انسدت مسالكها
فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

---

(١) أى بعد أداء الأعمال المفروضة فى الصلاة والصيام والصدقة .
(٢) أى أقل منها .

لا تيأسـن وان طـالت مطالبـة
اذا استعنت بصـبر أن ترى فرجا

* * *

وقال آخر :

انى رأيت ، وللأيـام تجـربة
للصـبر عاقبـة محمـودة الأثـر
وقـل من جـد فى أمـر يطـالبه
واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

وكانوا يستنجحون حوائجهم بركعتين يقولون بعدهما : اللهم انى بك أستفتح ، وبك أستنجح ، وبمحمد نبيك اليك أتوجه ، اللهم ذلل لى صعوبته ، وسهل لى حزونته ، وارزقنى من الخير أكثر مما أرجو ، واصرف عنى من الشر أكثر مما أخاف .

وكان يقال : اذا أحببت أن تطاع ، فلا تسأل ما لا يستطاع .

ويقال : الحوائج تطلب بالرجاء ، وتدرك بالقضاء .

* * *

وفى كتاب « عيون الأخبار »[1] ، يقول تحت عنوان :

من يعتمد فى الحاجة ويستسعى فيها

روى هشيم عن عبد الحميد بن جعفر عن محمد بن عبد الرحمن عن أبى مصعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « اطلبوا الحوائج الى حسان الوجوه »[2] .

وفى حديث آخر : « اعتمد لحوائجك الصباح الوجوه ، فان حسن الصورة أول نعمة تتلقاك من الرجل » .

قالت امرأة من ولد حسان بن ثابت :

سل الخير أهل الخير قدما ولا تسل
فتى ذاق طعـم العيش منـذ قريب

ومن المشهور قول بعض المحدثين :

حسـن ظن اليـك أكرمـك الله دعانى فلا عدمت الصلاحا

---

(١) فى كتاب الحوائج ج ٨ ص ١٢٣ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) فى الجامع الصغير « أطلبوا الخير الى حسان الوجوه » .

ودعانى اليـك قول رســول الله اذ قال مفصحا افصــاحا
ان أردتم حوائجــا عند قوم فتنقوا لها الوجــوه الصباحا

وقال آخر :

اذا ســألنا قومنا فخيــارهم من كان أفضــلهم أبوه الأول
أعطى الذى أعطى أبــوه قبله وتبخلت أبنــاء من يتبخـــل

وقال خالد بن صفوان :

فوت الحاجة خير من طلبها الى غير أهلها ، وأشد من المصيبة ســوء الخلف منها .

حدثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال : قال مسلم بن قتيبة : لا تطلبن حاجتك الى كذاب فانه يقربها وهى بعيد ، ويبعدها وهى قريب ، ولا الى أحمــق فانه يريد أن ينفعك فيضرك ، ولا الى رجل له عند من تســأله الحاجة مأكلة ، فانه لا يؤثرك على نفسه .

وقال ميمون بن ميمون : لا تطلبن الى لئيم حاجة ، فان طلبت فأجله حتى يروض نفسه .

قال بعض الشعراء :

لا تطلبن الى لئيــم حاجة واقعد فانك قائمــا كالقاعد
يا خادع البخلاء عن أموالهم هيهات تضرب فى حديد بارد

وحول هذا المعنى أحفظ للامام الشافعى رحمه الله تعالى ، قوله :

كن غنى القلب واقنع بالقليــل مت ولا تطلب معاشا من لئيم
لا تكن للعيش مجروح الفؤاد انمــا الرزق على الله الكريــم

* * *

كما يقول كذلك فى « عيون الأخبار » باختصار وتصرف ، تحت عنــوان :

الاجابة الى الحاجة والرد عنها

قال رجل للعباس بن محمد : انى أتيتك فى حاجة صغيرة ، قال : اطلب لها رجلا صغيرا . وهذا خلاف قول على بن عبد الله بن العباس لرجل قال له : انى أتيتك فى حاجة صغيرة ، فقال له على بن عبد الله : هاتها .. ان الرجل لا يصغر عن كبير أخيه ولا يكبر عن صغيره .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئل ما يجد أعطى ، واذا سئل ما لا يجد ، قال : « يصنع الله » .

وكان رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، لا يرد ذا حاجة الا بها أو بميسور من القول •

وقال أسماء بن خارجة : ما أحب أن أرد أحدا عن حاجة ، فانه لا يخلو من أن يكون كريما فأصونه ، أو لئيما فأصـــون منه نفسى •

سأل رجل قوما ، فقال له رجل منهم : اللهم هذا سائلنا ونحن سؤلك ، وأنت بالمغفرة أجود منا بالعطاء ، ثم أعطاه •

وسأل رجل رجلا حاجة ، فقال : اذهب بسلام ، قال السائل : أنصفنا من ردنا فى حوائجنا الى الله عز وجل •

قيل لحبى المدينية : ما الجرح الذى لا يندمل ؟ قالت : حاجة الكريم الى اللئيم ثم يرده • قيل لها : فما الذل ؟ قالت : وقـــوف الشريف بباب الدنىء ثم لا يؤذن له • قيل : فما الشرف ؟ قالت : اعتقاد المنن فى رقاب الرجال •

قال معن بن زائدة : ما سألنى قط أحد حاجة فرددته الا رأيت الغنى فى قفاه •



كما يقول أيضا باختصار وتصرف ، تحت عنوان :

الترغيب فى قضاء الحاجة واصطناع المعروف

حدثنى محمد بن داوود عن محمد بن جابر ، قال : قال ابن عينية : ليس أقول لكم الا ما سمعت : قيل لابن المكندر : أى الأعمال أفضل ؟ قال : ادخال السرور على المؤمن • وقيل : أى الدنيا أحب اليك ؟ قال : الافضال على الاخوان •

حدثنى أحمد بن الخليل عن محمد بن سعيد قال حدثنا ابن المبارك عن حميد عن الحسن قـــال : لأن أقضى حاجة لأخ أحب الى من أن أعتكف سنة •

قال ابن عائشة : كان عمرو بن معاوية العقيلى يقول : اللهم بلغنى عثرات الكرام •

وقال المـــأمون لمحمد بن عباد المهلبى : أنت متـــلاف ، فقـــال : يا أمير المؤمنين •• منـــع الجود سوء ظن بالله ، يقول الله تعـــالى : **« وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين »**[1] •

---

(١) سـبأ : ٣٩

وكان ابن عباس يقول : صاحب المعروف لا يقع ، فان وقع وجد متكأ . هذا نحو قول النبى صلى الله عليه وسلم : « المعروف يقى مصارع السوء » .

وكان ابن عباس يقول أيضا : ما رأيت رجلا أوليته معروفا الا أضاء ما بينى وبينه ، ولا رأيت رجلا أوليته سوءا الا أظلم ما بينى وبينه .

وقال جعفر بن محمد : ان الحاجة تعرض للرجل قبلى فأبادر بقضائها مخافة أن يستغنى عنها ، أو تأتيه وقد استبطأها فلا يكون لها عنده موقع .

وقرأت فى كتاب للهند : من صنع المعروف لعاجل الجزاء ، فهو كملقى الحب ليصيد به الطير لا لينفعه .

قال ابن عباس : ثلاثة لا أكافئهم : رجل بدأنى بالسلام ، ورجل وسع لى فى المجلس ، ورجل اغبرت قدماه فى المشى الى ارادة التسليم على ، فأما الرابع فلا يكافئه عنى الا الله جل وعز ، قيل : ومن هو ؟ قال : رجل نزل به أمر فبات ليلته يفكر بمن ينزله ، ثم رآنى أهلا لحاجته فأنزلها بى .

قيل لبزرجمهر : هل يستطيع أحد أن يفعل المعروف من غير أن يرزأ شيئا ؟ قال : نعم ، من أحببت له الخير وبذلت له الود ، فقد أصاب نصيبا من معروفك .

قام رجل من مجلس خالد بن عبد الله القسرى ، فقال خالد : انى لأبغض هذا الرجل وما له الى ذنب ، فقال رجل من القوم : أوله أيها الأمير معروفا ففعل ، فما لبث أن خف على قلبه وصار أحد جلسائه .

قال ابن عباس : لا يتم المعروف الا بثلاث : تعجيله وتصغيره وستره ، فانه اذا عجله هنأه ، واذا صغره عظمه ، واذا ستره تممه .

وقال الخزيمى فى نحو هذا :

زاد معروفك عندى عظما ... أنه عندك محقور صغير
تتناساه كأن لم تأته ... وهو عند الناس مشهور كبير

وفى بعض الحديث : « كل معروف صدقة ، وما أنفق الرجل على

أهله ونفسه وولده صدقة ، وما وقى المرء فى عرضه فهو صدقة ، وكل نفقة أنفقها فعلى الله خلفها مثلها الا فى معصية أو بنيان »[١] .

وفى الحديث المرفوع : « فضل جاهك تعود به على أخيك صدقة منك عليه ، ولسانك تعبر به عن أخيك صدقة منك عليه ، واماطتك الأذى عن الطريق صدقة منك على أهله » .

وقال حماد عجرد :

ان الكريم ليخفى عنك عسرته
حتى تراه غنيا وهو مجهود
اذا تكرمت أن تعطى القليل ولم
تقدر على سعة لم يظهر الجود
وللبخيل على أمواله علل
زرق العيون عليها أوجه سود
أورق بخير ترجى للنوال فما
ترجى الثمار اذا لم يورق العود
بث النوال ولا تمنعك قلته
فكل ما سد فقرا فهو محمود

والعرب تقول : « من حقر حرم » .

وفى الحديث المرفوع : « أفضل الصدقة جهد المقل » .

وكان خالد بن عبد الله يقول على المنبر : أيها الناس .. عليكم بالمعروف ، فان فاعل المعروف لا يعدم جوازيه ، وما ضعف الناس عن أدائه قوى الله على جوازيه ، والبيت المشهور فى هذا قول الحطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لا يذهب العرف بين الله والناس

وقال وهب بن منبه : ان أحسن الناس عيشا من حسن عيش الناس فى عيشه ، وان من ألذ اللذة الافضال على الاخوان .

وفى الحديث المرفوع : « انما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت ، وما سوى ذلك فهو ملك الوارث » .

* * *

---

(١) قال العزيزى فى شرحه لهذا الحديث : انه البنيان الذى لم يقصد به وجه الله تعالى .

فاذكر كل هـــذا أخا الاسلام حتى تكون من أهل اصطناع المعروف ، وحتى تكون كذلك ان شاء الله تعـــالى من الذين قدموا لأنفسهم خيرا ينفعهم هناك :

« .. **يوم ينظر المرء ما قدمت يداه** .. »[١] .

مع ملاحظة أن العطاء هــذا ، أو المعروف الذى ستصل به أخاك ــ لكى يكون مقبولا عند الله ــ لابد أن يكون بعيـــدا عن المن والأذى ، كما يشير الى هذا قول الله تعالى لعباده المؤمنين :

« **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئـــاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ، لا يقدرون على شىء مما كسبوا ، والله لا يهدى القوم الكافرين** »[٢] :

فالمن هو أن يعتد على من أحسن اليه باحسانه ، ويرى أنه أوجب عليـــه حقا ، والأذى أن يتطاول عليه بسبب ما أســـدى اليه ، ورئاء الناس : أى ابتغاء سمعتهم ، وصفوان : حجر أملس ، والوابل : المطر الشديد ، والصلد : الصلب الأملس ، وقوله : « **لا يقدرون على شىء** » أى لا يجدون له ثوابا فى الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شىء من التراب لاذهاب المطر اياه .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : قال رجل : يا رسول الله .. انى أقف الموقف أريد وجــه الله وأريد أن يرى موطنى[٣] ، فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل : « .. **فمن كان يرجوا لقـــاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبـــادة ربه أحـــدا** »[٤] رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين .

وعن جندب بن عبد الله ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من سمع سمع الله به ، ومن يراء يراء الله به »[٥] رواه البخـــارى ومسلم .

وعن أبى سعيد بن أبى فضالة ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، يقول : « اذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة

---

(١) النبأ : ٤٠ (٢) البقرة : ٢٦٤

(٣) الموطن المشهد من مشاهد الحرب .

(٤) الكهف : ١١٠ .

(٥) سمع وراءى به : أى فضحه .

ليوم لا ريب فيه نادى مناد : من كان أشرك فى عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عنده فان الله أغنى الشركاء عن الشرك » رواه الترمذى فى التفسير من جامعه وابن ماجه •

وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل لى عملا أشرك فيه غيرى فأنا منه برىء وهو للذى أشرك »[١] رواه ابن ماجه ورواته ثقات •

* * *

فلتكن أخا الاسلام مخلصا فى عطائك حتى يكون ثوابك مستمرا ، وحتى يدوم اتصالك لله وفى الله ، لأنه ما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل[٢] •

* * *

ولتكن فى عونك لاخوانك الفقراء والمساكين ، فى اخفائك للعطاء ، مثل : « جابر عثرات الكرام » وهو عكرمة الفياض والى الجزيرة العراقية ، الذى سمع أن خزيمة بن بشر وهو سيد من سادات العراق •• وكان قد أسرف فى النفقة فأصابه الفقر فلزم داره لا يبرحها •

فلما علم خزيمة بحاله ، أسف له •• ثم فى ليلة ذهب اليه متنكرا ، وأعطاه مالا كثيرا أصلح به حاله ، ولم يعرفه بنفسه ، سوى أنه : « جابر عثرات الكرام » •

وهذه القصة تاريخية واقعية حدثت فى أيام الدولة الأموية •

وقد صاغها الشاعر الأستاذ محمود غنيم رحمه الله ، فى قالب شعرى جميل رأيت من الخير أن أعرضه بنصه :

والمشهد : فى منزل خزيمة ، وقد ظهر عليه الفقر والكآبة ، وخزيمة راقد على حصير بال ، وليس بجانبه الا خادمه عمرو ، الذى يناجى نفسه قائلا :

ويحى وويح سيدى أزرى به ضيق اليد[٣]
أطال من رقاده لكنه لم يرقد[٤]

---

(١) أى ان عمله للذى أشركه مع الله لأن الله برىء منه •

(٢) كما ورد فى الأثر •

(٣) ويحى : رحمة لى • وويح سيدى : رحمة له •• وضيق اليد : الفقر •

(٤) تناوم ولكنه لجوعه لم ينم •

كيف ينـــام وهو طـا وى البطـن لـم يزود(١)
قـد لـزم البيت ، لـزو م راهـب لمعبـــد(٢)

* * *

يا قصـر كنت ملجـأ رحبـا لـكل مجتـدى
لقـد هـوى الفقـر بعـا لى ركنـك المشـيد
لو لاح لى الفقـر بوجـ ـهه الكئيب الأسـود
اذن أطحـت رأسـه بصـارم مهنـد
كى يسـتريح النـاس من هـذا الشـقاء السرمدى !

(صوت من مخدع خزيمة) : يا عمرو
عمرو : لبيك يا مولاى !
خزيمة : خذ بيدى .. ويحى ! صروف الليـالى أوهنت جلدى
عمرو وهو ينهضه :
يا سـيدي اننى من كل نازلـة
أفديك بالنفس قبل الأهـل والولد

خزيمة ، وهو داخل المسرح :
لم يبق لى غير عمـرو هـو الجـدير بشـكرى
باق على العهـد واف فى حـال يسر وعسـر
فوجهـه وجـه عبـد وفعـله فعـل حـر
كـم من صـديق وفى قـد صـد عنى لفقـرى

عمرو يوجه كلامه الى سيده خزيمة :
مولاى انـك فى ضـيق ومتربة
لكن صحبك فى النعمـاء يلهونا
امـدد اليهم يدا ، كم فاض نائلها
كم يا خزيمـة واسيت المسـاكينا !

خزيمة فى غضب :
حاشا يمد ابن بشر للسـؤال يدا
ولـو تنـاول زقـوما وغسـلينا

---

(١) طاوى البطن : جائع ، لم يزود : ليس لديه زاد .
(٢) الراهب : الزاهد العابد من النصارى . المعبد : مكان العبادة .

عمرو ، وقد بدا عليه النـــدم :

عفـــوا خزيمة ، اشفاقى عليك محا
رشدى ، فأصبحت يا مولاى مجنونا !

خزيمـــة :

يا عمرو ويحك ! هل أصبحت تمقتنا
فى الضيق ، هل أنت أيضا زاهد فينا ؟

عمرو :

كلا لعمرك ، لم أقصــد ، يلوح على
ملامحى أننى ما زلت مجنـــونا !

خزيمـــة :

يا عمـــرو لا تذكـــر لنـــا الجنـــونا
هـــون عليـــك الأمـــر كى يهـــونا
ماذا لديـــك اليـــوم من عشـــاء
لى مـــدة ما اقتت غـــير المـــاء

عمـــرو :

أعـــددت زادا طيبـــا شـــهيا
هيـــا بنـــا الى العشـــاء هيـــا

خزيمـــة :

وما الذى أعـــدته يا عمـــرو ؟

عمـــرو :

خبـــز ، وزيت دســم وتمـــر !

خزيمـــة :

من أين يا عمرو اشـــتريت الزيتا ؟
والتمـــر من أين بـــه آتيتـــا ؟

عمـــرو :

بعت السراج ســـيدى بدرهـــم
وقلت : يكفينـــا ضـــياء الأنجـــم
ثـــم اشـــتريت ذلك الطعـــاما
ألســـت عبـــدا حاذقـــا همـــاما ؟

(يهمان بتناول الطعام، فيسمع طرق على الباب)

خزيمـــة : طارق بالباب !

عمرو وهو يفتتح : من ذا يطرق ؟

سائل :

أنا مســـتجد فقـــير مملقـــا

جئت أســتجدى ابن بشر درهمـا

انـــه بحـــر العطـــايا

عمـــرو :

ترزق !

السائل :

لا تكن لحزا شحيحا يا فتى   ان مولاك غمـام مغـــدق

عمـــرو :

سيدى ليس هنا

خزيمـــة :   لا بل هنا

حاضر، ويحـك هـلا تصـــدق !

اعطــه الــزاد الذى هيـــأته ..

عمرو فى دهشـــة :

ســـيدى نحن اليــه أشـــوق

الســائل :

لك شـــكرى يا بن بشر انمـــا

أنت فى الرقـــة بـــدر مشرق

وبعد أن ينصرف السائل شاكرا يقول خزيمة مخاطبا عمرو :

ذاك يا عمـــرو فقـــير جائـــع   فـــاذا لم يعـــط زادا يسرق

ما تعـــودت قديمـــا أن أرى   منـــزلى فى وجـــه عاف يغلق

يا الـــهى لك أشـــكو علـــتى   همـــة عليـــا، وعيش ضيق !

(ثم يخاطب عمرو) :

أيـــا عمـــرو ويحـــك لا تعـــذل

متى ضـــاق عن طـــارق منـــزلى

سأصبر صـــبر الجـــواد الكريـــم

الى أن أرى غمـــرتى تنجـــلى

أرى الحـــر مثل الحســـام اذا لم

يقلب على النـــار لـــم يصـــقل

لئن أك أصبحت من غـير مـال
فانى بمـالى لـم أبخـل !
اذا ساء يومى صبرت وطاب
رجائى فى الزمن المقبـل
اذا صد عنى الأخـلاء فالأر
ض لـم تخل من ماجـد مفضـل
(يسمع طرقا على الباب ، عمرو يفتح ويقول) :
عمـرو :
من يدق الباب ؟ من ؟ ماذا جرى ؟
سـائل ! أم شـاعر يا هل ترى ؟
(يرى عكرمة متنكرا)
من أنت يا مولاى ؟
عكرمة (وهو متنكر مقنع) :
لست أدرى
أين الفـتى خزيمـة بن بشر ؟
عمرو ، يلتفت الى سيده ويقول :
مولاى •• زائر مخيـف منظـره
أخـوف ما أخـافنى تنـكره
خزيمة يسير نحو عكرمة :
هل لك حاجـة فأقضـيها لـكا ؟
عكرمة يمد يده اليه بصرة مال :
خـذ هـذه أصـلح بها أحوالكا
خزيمة مندهشا ، لا يصدق ما يرى :
من أنت أيهـا الكريـم المجـزل ؟
عكرمة :
آسـف ، لا جـواب عمـا تسأل
خزيمـة :
أقسـمت لا قبـلت ما منحتـا
الا اذا عرفتنى من أنتـا !
عكرمة :
خزيمـة خطبـك عـز[1] عـلى
وذاد[2] عن العـين طيب المنـام

---

(١) عز : صعب .
(٢) ذاد : أى منع .

بربك لا تفسدن صنيعي[١]
بهتك الحجاب وكشف اللثام
إذا رمت أن تعرف اسمي فاني
أنا جابر عثرات الكرام[٢]

خزيمة :

بربك يا صاح زدني بيانا

عكرمة :

محال ، ومني عليك السلام

خزيمة لعمرو بعد انصراف عكرمة :

يا عمرو أوقد السراج حالا
حتى نعد هذه الأموالا

عمرو :

أين السراج هل نسيت أننا
بعناه عصرا واشترينا قوتنا

ثم يأخذ عمرو الصرة ويقول :

أنا أعد المال في الظلام
عمرو غدا أبصر من حذام[٣]
ان بريق الذهب الوهاج
يشق جوف كل ليل داج[٤]

ويعد المال ويقول :

ألف وألف ، ثم ألف متبعه
من الدنانير بألف أربعه

فيقول خزيمة متعجبا :

من ذا الذي جاد بها ! يا للعجب
ما سمعت بمثل ذاك العرب

□ □

فهذه القصة كما قرأنا : تصور شهامة العرب ، وحب الجود ،

---

(١) صنيعي : جميلي ومعروفي .
(٢) أي أنا المنقذ للكرام المفتقرين ، والآخذ بأيديهم ليصلحوا أحوالهم .
(٣) حذام : اسم امرأة تلقب بزرقاء اليمامة ، يضرب بها المثل في حدة البصر .
(٤) الوهاج : أي الساطع ، وليل داج : أي مظلم .

والكرم المطبوع فيهم ، واقالتهم لمن يعثر منهم ، ولا سيما من اشتهروا بينهم بالشهامة والنجدة ، ليبقوا لهم شهامتهم وكرامتهم .

* * *

وكان حاتم الطائى من كبار المشهورين بالكرم فى الجاهلية .. لدرجة — كما قيل عنه — أنه كان يوقد النار فوق الجبل ليراها الجائع ، وكان يقول لعبده : اذهب فان أتيتنى بضيف فأنت حر .

وحتى يتضح لنا من هو هذا الرجل العربى الأصيل فاننى أحب — هنا — أن أذكر بما ذكره الأصبهانى فى الأغانى حيث يقول[1] :

حدث الامام على كرم الله وجهه ، قال : لما أتينا بسبايا طيىء ، كانت فى النساء جارية جميلة — وهى سفانة[2] بنت حاتم — فلما رأيتها أعجبت بها ، فقلت لأطلبنها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجعلها من فيئى ، فلما تكلمت آنسيت جمالها ، لما سمعت من فصاحتها ، فقالت :

« يا محمد .. هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فان رأيت أن تخلى عنى ، فلا تشمت بى أحياء العرب ، فانى بنت سيد قومى[3] . كان أبى يفك العانى[4] ، ويحمى الذمار ، ويقرى الضيف ، ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، أنا بنت حاتم طيىء » .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا جارية .. هذه صفة المؤمن ، لو كان أبوك اسلاميا لترحمنا عليه ، خلوا عنها ، فان أباها كان يحب مكارم الأخلاق والله يحب مكارم الأخلاق »[5] .

وقيل : انها قبل أن تنصرف عائدة الى قومها طلبت من النبى صلى الله عليه وسلم أن يأذن لها بأن تدعو له بثلاث دعوات .. فلما آذن لها .. قالت :

١ — ملكتك يد افتقرت بعد غنى .
٢ — ولا ملكتك يد غنيت بعد فقر .
٣ — لا جعل الله لك الى لئيم حاجة .

---

(١) كما جاء كذلك فى جمهرة خطب العرب ج ١ ص ١٦٩
(٢) السفانة فى الأصل : اللؤلؤة .
(٣) جواب الشرط محذوف وهذا تعليل له ، أى افعل فانى ..
(٤) العانى : أى الأسير . (٥) الأغانى ج ١٦ ص ٩٣

ثم عادت بعد ذلك الى أخيها عدى بن حاتم ، وقالت له : جئتك من عند خير الناس .. ثم عادت ـ كما قيل ـ بعد ذلك معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلنا اسلامهما .

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام ، حتى تكون ان شاء الله من آهل المعروف الذين يزرعون الجميل فى كل مكان يقيمون فيه ، ولا سيما بين الأقرباء والأصدقاء الذين قد يكونون فى أشد الحاجة الى معروفك ، والذين لن يتأكد وفاؤك لهم الا بمثل هـذا .. كما يقول الامام الشافعى رحمه الله :

جزى الله الشدائد كل خير
عرفت بها عدوى من صديقى

وتلك هى الأخوة الصادقة المشار اليها فى قول القائل :

ان أخاك الحق من كان معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان[1] صدعك
شتت فيك شمله ليجمعك

ولهذا قال علقمة بن لبيد يوصى ولده :

يا بنى .. ان احتجت الى صحبة الرجال ، فاصحب من ان صحبته زانك ، وان أصابتك خصاصة[2] أعانك ، وان قلت سدد[3] قولك ، وان صلت[4] قوى صولتك ، وان بدت منك ثلمة[5] سدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وان سألته أعطاك ، وان نزلت بك احدى المهمات واساك[6] ، من لا تأتيك منه البوائق[7] ، ولا تختلف عليك منه الطرائق .

* * *

(١) ريب الزمان أى أهواله ، وصدعك : أى شققك .
(٢) خصاصة : أى فقر . (٣) سدد قولك : أى وجهه .
(٤) صلت : أى وثبت .
(٥) ثلمة : هى الخلل فى الحائط وغيره ، والجمع ثلم مثل غرفة وغرف . (٦) واساك : أى عاونك .
(٧) البوائق : جمع بائقة وهى الداهية والشر الشديد .

ولما كان الزمان لا أمان له ، فاننى أحب أن ننتقل معا الآن الى صلب الموضوع الذى ندور حوله ، والذى كان ما وقفنا عليه تمهيدا له •• وهو أنه اذا كان العكس هو الصحيح ، وأعنى بهذا •• أنك اذا كنت فى ضيق أو كرب •• أو كنت فى حاجة الى وقفة انسانية أخوية من جانب انسان تعرفه أو لا تعرفه •• فكان كما رجوت منه ، أو أملت فيه •• فانه ينبغى عليك أن تقابل الاحسان بالاحسان و **« هل جزاء الاحسان الا الاحسان »**[1] .

وذلك بأن تشكره على هذا الصنيع الجميل ، شكرا ايجابيا •• بمعنى : أن تكافئه عليه •• وهذا أمر طبيعى •• حدث على سبيل المثال من جانب النمل عندما أراد أن يشكر سيدنا سليمان عليه السلام •

وخلاصة ما أريد التذكير به ، حول هذا الموضوع ، هو ما ذكره القرطبى حول قوله تعالى ، فى سورة النمل :

« حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون • فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين »[2] :

فقد قال القرطبى حول تفسير هاتين الآيتين ما خلاصته :

أن سليمان عليه السلام مر على وادى النمل بوادى السدير من أودية الطائف ، وقيل : بأرض الشام ، فقامت نملة تمشى وهى عرجاء تتكاوس مثل الذئب فى العظم ، فنادت : **« يا أيها النمل •• »** فسمعها سليمان عليه السلام من على بعد ثلاثة أميال •• قال وهب : أمر الله الريح ألا يتكلم أحد بشىء الا طرحته فى سمع سليمان ، بسبب أن الشياطين أرادت كيده •• فلما سمعها سليمان عليه السلام : تبسم ضاحكا من قولها •• ثم أمر الجند بأن يعسكروا بعيدا عن وادى النمل حتى يدخل مساكنه •• فلما فعل الجند هذا ، ذهبت النملة هذه ، لتشكره ، فقال لها معاتبا : لم حذرت النمل ؟ أخفت ظلمى ؟ أما علمت أنى نبى عدل ؟ فلم قلت : **« يحطمنكم سليمان وجنوده »** ؟ فقالت النملة : أما سمعت قولى : **« وهم لا يشعرون »** ، مع أنى لم أرد

---

(١) الرحمن : ٦٠ (٢) النمل : ١٨ ، ١٩

حطم النفوس ، وانما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ، أو يفتتن بالدنيا ، ويشتغلن بالنظر الى ملكك عن التسبيح والذكر • فقال لها سليمان : عظينى • فقالت النملة : أما علمت لم سمى أبوك داوود ؟ قال : لا • قالت : لأنه داوى جراحة فؤاده ، هل علمت لم سميت سليمان ؟ قال : لا • قالت : لأنك سليم الناحية على ما أوتيته بسلامة صدرك ، وان لك أن تلحق بأبيك • ثم قالت : أتدرى لم سخر الله لك الريح ؟ قال : لا • قالت : أخبرك أن الدنيا كلها ريح • **« فتبسم ضاحكا من قولها »** متعجبا ••

ثم مضت مسرعة الى قومها ، فقالت : هل عندكم من شيء نهديه الى نبى الله ؟ قالوا : وما قدر ما نهدى له ! والله ما عندنا الا نبقة واحدة • قالت : حسنة ، ايتونى بها • فأتوها بها ، فحملتها بفيها[1] فانطلقت تجرها ، فأمر الله الريح فحملتها ، وأقبلت تشق الانس والجن والعلماء والأنبياء على البساط ، حتى وقعت بين يديه ، ثم وضعت تلك النبقة من فيها فى كفه ، وأنشأت تقول :

ألم ترنا نهدى الى الله ماله
وان كان عنا ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهدى للجليل بقدره
لقصر عنه البحر يوما وساحله
ولكننا نهدى الى من نحبه
فيرضى به عنا ويشكر فاعله
وما ذاك الا من كريم فعاله
والا فما فى ملكنا ما يشاكله

فقال لها : بارك الله فيكم ، فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله وأكثر خلق الله •

ولهذا ، قال ابن عباس رضى الله عنه : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب : « الهدهد ، والصرد ، والنملة ، والنحلة » أخرجه أبو داوود وصححه أبو محمد عبد الحق •

فالنملة : أثنت على سليمان وأخبرت بأحسن ما تقدر عليه بأنهم

---

(١) أى بفمها .

لا يشعرون ان حطموكم ، ولا يفعلون ذلك عن عمد منهم ، فنفت عنهم الجور ، ولذلك نهى عن قتلها •

وعن قتل الهدهد : لأنه كان دليل سليمان على المـاء ورسوله الى بلقيس •

وقال عكرمة : انما صرف الله شر سليمان عن الهدهد لأنه كان بارا بوالديه •

والصرد يقال له الصوام • وروى عن أبى هريرة قال : أول من صام الصرد ، ولمـا خرج ابراهيم عليه السلام من الشام الى الحرم فى بناء البيت كانت السكينة معه والصرد ، فكان الصرد دليله على الموضع والسكينة مقداره •• الـخ •

* * *

فالهدية ، كما عرفنا مشروعة :

فقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية ، وفيـه الأسوة الحسنة • ومن فضل الهدية مع اتباع السنة أنها تزيل حزازات النفوس ، وتكسب المهدى والمهدى اليه رنـة فى اللقـاء والجلوس ، ولقد أحسن من قال :

هـدايا النـاس بعضـهم لبعض
تولـد فى قلوبهـم الوصـالا
وتزرع فى الضـمير هـوى وودا
وتكسـبهم اذا حضروا جمـالا

وقال آخر :

ان الهـدايا لهـا حظ اذا وردت
أحـظى من الابن عند الوالد الحـدب

* * *

وقد أورد القرطبى ست مسائل فى موضوع الهدية ، حول قوله تعـالى :

« وانى مرسلة اليهم بهـدية فناظرة بم يرجع المرسلون »[1] ، اليك تلخيصها :

الأولى : أنها عندما قالت هـذا ، كان من حسن نظرها وتدبيرها ••

---

(١) النمل : ٣٥

لأنها أرادت أن تجربه بهـا •• فان كان ملكا دنيويا أرضـاه المـال وعملت معه بحسب ذلك ، وان كان نبيا لم يرضه المـال ولازمنا فى أمر الدين •• فينبغى لنا أن نؤمن به ونتبعه على دينـه •• فبعثت اليه بهـدية عظيمة أكثر الناس فى تفصيلها :

فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : أرسلت اليه بلبنة[1] من ذهب ، فرأت الرسل الحيطان من ذهب فصغر عندهم ما جاءوا به •

وقال مجاهد : أرسلت اليه بمائتى غلام ومائتى جاريـة •

وروى عن ابن عباس : باثنتى عشرة وصيفة مذكرين قد ألبستهم زى الغلمان ، واثنى عشر غلاما مؤنثين قد ألبستهم زى النساء ، وعلى يد الوصائف أطباق مسك وعنبر ، وباثنتى عشرة نجيبة تحمل لبن[2] الذهب ، وبخرزتين احداهما مثقوبة ، والأخرى مثقوبة ثقبا معوجا ، وبقدح لا شىء فيه ، وبعصا كان يتوارثها ملوك حمير ، وأنفذت الهدية مع جماعة من قومها • وقيل : كان الرسول واحدا ولكن كان فى صحبته أتباع وخدم • وقيل : أرسلت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر ابن عمرو ، وضمت اليه رجالا ذوى رأى وعقل • والهدية مائة وصيفـه ومائة وصيفة ، قد خولف بينهم فى اللباس ، وقالت للغلمان : اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث يشبه كلام النساء ، وقالت للجوارى : كلمنه بكلام فيه غلظ يشبه كلام الرجال ، فيقال : ان الهدهد جاء وأخبر سليمان بذلك كله ، وقيل : ان الله أخبر سليمان بذلك ، فأمر سليمان عليـه السلام أن يبسط من موضعه الى تسع فراسخ بلبنات الذهب والفضة ، ثم قال : أى الدواب رأيتم أحسن فى البر والبحر ؟ قالوا : يا نبى الله •• رأينا فى بحر كذا دواب منقطة مختلفة ألوانها ، لهـا أجنحة وأعراف ونواصى ، فأمر بها فجاءت فشدت على يمين الميدان وعلى يساره ، وعلى لبنات الذهب والفضة ، وألقوا لهـا علوفاتها ، ثم قال للجن : على بأولادكم ، فأقمهم — أحسن ما يكون من الشباب — عن يمين الميدان ويساره •

ثم قعد سليمان عليـه السلام على كرسيه فى مجلسه ، ووضع له أربعة آلاف كرسى من ذهب عن يمينه ومثلها عن يساره ، وأجلس عليهـا الأنبياء والعلماء ، وأمر الشياطين والجن والانس أن يصطفوا

---

(١) المراد قالب من الذهب . (٢) أى قوالب الذهب .

صفوفا فراسخ ، وأمر السباع والوحوش والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله ، فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان، ورأوا الدواب التى لم تر أعينهم أحسن منها تروث على لبنات الذهب والفضة ، تقاصرت اليهم أنفسهم، ورموا ما معهم من الهدايا٠٠

وكانت قد عمدت الى حقة من ذهب فجعلت فيها درة يتيمية غير مثقوبة ، وخرزة معوجة الثقب ، وكتبت كتابا مع رسولها تقول فيه : ان كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصائف ، وأخبر بما فى الحقة ، وعرفنى رأس العصا من أسفلها ، واثقب الدرة ثقبا مستويا ، وأدخل خيط الخرزة ، واملأ القدح ماء من ندى ليس من الأرض ولا من السماء ، فلما وصل الرسول ووقف بين يدى سليمان أعطاه كتاب الملكة فنظر فيه ، وقال : أين الحقة ؟ فأتى بها فحركها ، فأخبره جبريل بما فيها ، ثم أخبرهم سليمان ٠ فقال له الرسول : صدقت ، فاثقب الدرة ، وأدخل الخيط فى الخرزة ، فسأل سليمان الجن والانس عن ثقبها فعجزوا ، فقال للشياطين : ما الرأى فيها ؟ فقالوا : ترسل الى الأرضة ، فجاءت الأرضة فأخذت شعرة فى فيها حتى خرجت من الجانب الآخر ، فقال لها سليمان : ما حاجتك ؟ قالت : تصير رزقى فى الشجر ، فقال لها : لك ذلك ٠ ثم قال سليمان : من لهذه الخرزة يسلكها الخيط ؟ فقالت دودة بيضاء : أنا لها يا نبى الله ، فأخذت الدودة الخيط فى فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر ، فقال لها سليمان : ما حاجتك ؟ قالت : تجعل رزقى فى الفواكه ، قال : ذلك لك ، ثم ميز بين الغلمان والجوارى ٠ قال السدى : أمرهم بالوضوء ، فجعل الرجل يحدر الماء على اليد والرجل حدرا ، وجعل الجوارى يصببن من اليد اليسرى على اليد اليمنى ، ومن اليمنى على اليسرى ، فميز بينهم بهذا ٠٠ ثم أرسل العصا الى الهواء ، فقال : أى الرأسين سبق الى الأرض فهو أصلها ، وأمر بالخيل فأجريت حتى عرقت وملأ القدح من عرقها ، ثم رد سليمان الهدية ٠٠ فروى أنه لما صرف الهدية اليها وأخبرها رسولها بما شاهد ، قالت لقومها : هذا أمر من السماء ٠

المسألة الثانية : كان النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ولا يقبل الصدقة ، وكذلك كان سليمان عليه السلام وسائر الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ٠ وانما جعلت بلقيس قبول الهدية أو ردها علامة على ما فى نفسها ، على ما ذكرناه من كون سليمان ملكا

أو نبيا ، لأنه قال لها فى كتابه : **« ألا تعلوا على وأتونى مسلمين »**(١) وهـذا لا تقبل فيه فدية ، ولا يؤخذ عنه هدية ، وليس هذا من الباب الذى تقرر فى الشريعة عن قبول الهدية بسبيل ، وانما هى رشوة وبيع الحق بالباطل ، وهى الرشوة التى لا تحل . وأما الهدية المطلقة للتحبب والتواصل فانها جائزة من كل أحد وعلى كل حال ، وهذا ما لم يكن من مشرك .

المسألة الثالثة : فان كانت من مشرك ، ففى الحديث : « نهيت عن زبد المشركين » ، يعنى رفدهم وعطاياهم . وروى عنه عليه السلام أنه قبلها كما فى حديث مالك عن ثور بن زيد الديلى وغيره ، فقال جماعة من العلماء بالنسخ فيهما ، وقال آخرون : ليس فيها ناسخ ولا منسوخ ، والمعنى فيها :

أنه كان لا يقبل هدية من يطمع بالظهور عليـه وأخذ بلده ودخوله فى الاسلام ، وبهذه الصفة كانت حالة سليمان عليه السلام ، فعن مثل هذا نهى أن تقبل هديته حملا على الكف عنـه ، وهذا أحسن تأويل للعلماء فى هـذا ، فانه جمع بين الأحاديث ، وقيل غير هذا .

المسألة الرابعة : الهـدية مندوب اليها ، وهى مما تورث المـودة وتذهب العداوة ، روى مالك عن عطاء بن عبد الله الخراسانى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء » وروى معاوية بن الحـكم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـول : « تهادوا فانه يضعف الـود ويذهب بغوائل الصدر » وقال الدارقطنى : تفرد به ابن بجير عن أبيه عن مالك ، ولم يكن بالرضى ، ولا يصح عن مالك ولا عن الزهرى . وعن ابن شهاب قال : بلغنا أن رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ، قال : « تهـادوا بينكم فان الهـدية تذهب السـخيمة » قال ابن وهب : سألت يونس عن السخيمة ما هى ؟ فقال : الغل . وهذا الحديث وصله الوقاصى عثمان عن الزهرى وهو ضعيف ..

المسألة الخامسة : روى عن النبى صلى الله عليـه وسلم أنه قال : « جلساؤكم شركاؤكم فى الهدية » واختلف فى معناه ، فقيل : هو محمول على ظاهره . وقيل : يشاركهم على وجه الكرم والمروءة ، فان لم يفعل

---

(١) النمل : ٣١

فلا يجبر عليه • وقال أبو يوسف : ذلك فى الفواكه ونحوها • وقال بعضهم : هم شركاء فى السرور لا فى الهدية • والخبر محمول فى أمثال أصحاب الصفة والخوانق والرباطات ، أما اذا كان فقيها من الفقهاء اختص بها فلا شركة فيها لأصحابه ، فان أشركهم فذلك كرم وجود منه •

المسألة السادسة : قوله تعالى : « **فناظرة** » أى منتظرة « **بم يرجع المرسلون** »(١) قال قتادة : يرحمها الله ان كانت لعاقلة فى اسلامها وشركها ، قد علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس ••

وهذا المعنى الأخير ــ الوارد فى نهاية المسألة السادسة ــ هو المراد من الهدية حتى يشعر المهدى اليه أن المهدى قريب من قلبه ، وأنه قد رضى بصنيعه فيه بتلك الصورة التى عبر عنها بتلك الهدية ــ التى لا يشترط أن تكون غالية الثمن ، وانما بما يستطيع التعبير به عن شكره لهذا الذى قدم له تلك الخدمات المصلحية أو الاجتماعية أو الأسرية التى ربما كلفه تحقيقها الكثير من الوقت والنفقات التى قد لا يستطيع لضيق وقته أو كبر سنه ، أو قلة المال فى يده : أن يحققها بسهولة ويسر وبدون عقبات •• الخ •

على شريطة أن لا تكون الهدية هذه رشوة مقنعة ، أو على حساب مصالح الآخرين ••

ان فعلا مشينا كهذا لا يمكن أبدا أن يكون حلالا ، وانما هو حرام حرام حرام •

قال الله تعالى : « **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون** »(٢) •

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما :

هذا فى الرجل يكون عليه مال ، وليس عليه فيه بينة ، فيجحد المال ، ويخاصم الى الحكام ، وهو يعرف أن الحق عليه ، وهو يعلم أنه آثم آكل الحرام •

وقال غيره : لا تخاصم وأنت تعلم أنك ظالم •

وعلى هذا ، فلو ذهب فلان هذا الذى يريد أن يأكل أموال الناس بالباطل ــ وهو يعلم هذا ــ الى فلان من الناس يعمل فى نفس الحقل الذى فيه مستندات القضية ، وأعطاه هدية ــ مقنعة ــ لكى يساعده

---

(١) النمل : ٣٥ (٢) البقرة : ١٨٨

فى تحقيق مطلبه أو بغيته الآثمة : فان الهدية هذه ستكون رشوة يحرم أخذها كما يحرم اعطاؤها •

وقد أعجبنى كلام كتبه صاحب كتاب « صوت المنبر » وهو الشيخ محمد الحجار من علماء حلب ، حيث يقول حول هذا الموضوع :

فالذى يقبل الرشوة من الموظفين العاملين على خدمة الجمهور ، يكون قد أخل بالأمن وأفسد نظام الحكم •

الراشى والمرتشى مجرمان أثيمان ، يدفع الأول أجرا على فساد العدل ، ويأخذ الثانى أجرا على الاخلال بالأمن •

والمـــال الذى يأخذه المرتشى سحت ونار يعاقب عليه عقابا أليما ، لأنه يهدم شريعة قام عليها ركن العدل بين الأمم •

ثم يضرب بعد ذلك الأمثال ، فيقول :

أضرب لك مثلا : وظيفة خلت فى أعمال الدولة وتقدم اليها الطالبون الذين يرون فى أنفسهم الأهلية والكفاءة ، فاذا ساعد رئيس من رؤساء العمل الحكومى أحد المتقدمين : اما لقرابته ، أو لمـــال أخذه منه ، أو لقضاء مصلحة تعود عليـــه ، فهو ملعون آثم يحاسب على اثمه فى الدنيا والآخرة •

كذلك اذا قبل موظف الاهمال فى عمل من الأعمال ، أو غض بصره عن أمر من الأمور ، مقابل هدية[1] أو مال أخذه ، فهو آثم خائن ، لأنه باهماله أضر بمصلحة عمله ، وخان أمته وضميره •

ثم يقول : وعلى هذا القياس كل من يقبل مالا ، أو يأخذ هدية ، لقاء تفريط فى عمل وجب عليه عمله ، أو لقاء نفع أحد لا يســـتحق النفع ، أو لقاء شفاعة من يستحق العقوبة ، فذلك كله من باب الرشوة •

ومتى انتشرت الرشوة فى قوم من الأقوام ، أو شعب من الشعوب ، أفسدت أخلاقهم ، وأضاعت كرامتهم ، وهدمت أركان العدل فيما بينهم ، وبثت العداوة والبغضاء فى أنفسهم •

فكم وكم من جرائم ارتكبت !! وكم من قتلى ضاع دمها ! وكم من حقوق طمست !! وما كان لذلك من سبب الا الرشوة •

أما اذا عمت الأمانة الناس ، وعرفوا أن الرشوة حرام قد حرمها

---

(١) قال أحد الحكماء : « اذا دخلت الهدية من الباب خرج الحـــق من الكوة » : أى خرج من النافذة .

الاسلام ، وحزمها الحكام ، يعاقب عليها فى الدنيا فى السجن والتعزير ، فضلا عن الخزى فى الآخرة ودخول النار •

اذا عرف الناس كل ذلك ارتدعوا وخافوا من الله تعالى فى الدار الآخرة ، وكانوا حريصين فى الدنيا على حفظ كرامتهم ، وصيانة دينهم ، وسلامة بلادهم •

المرتشى خسيس النفس ، وضيع القدر ، دنىء الهمة ، لأنه يأخذ أجرا خفيا ، ومالا مختلسا كأنه سرقة •

والراشى طامع فيما لا يستحق ، راغب فى شىء متوهم ، يريد أن ينال بالمؤامرة التى عقدها مع الموظف ما ليس له بحق •

ثم يقول بعد ذلك مشيرا الى خطر الرشوة :

وباب الرشوة كثيرا ما يسلب الناس أموالهم ، ويفسد ضمائرهم ، ويضيع دينهم ، وهى فضلا عن ذلك تقدم من يستحق الاقصاء والتأخير ، وتؤخر من يستحق القرب والتقديم • فالرشوة : فساد لميزان العدل الذى قامت عليه السموات والأرض ، وقام عليه عمران الكون والمجتمع •

كان المسلمون فى الصدر الأول : يتحرون الصدق ، والعدل ، والأمانة فى كل أمورهم ، أما نحن : فاذا رأينا من يتصف بالصدق ويتحرى العدل ولا يقبل الرشوة عددناه غريبا ، لأن الفضائل ذهبت أدراج الرياح ، وحلت محلها الرذيلة فى أقبح مظاهرها ••

فهذا سمسار يخفى على الناس أثمان السلع ليشتريها دون ما تستحق ، ويأخذ هو الفرق زيادة على أجرته التى يأخذها •

وهذا رجل يدعى لشهادة حق قد رآه بعينه ، فما هى الا أن يتصل به الظالم ، فيبدل الحق باطلا ، أو يكتم الشهادة من أصلها ، ويتعامى عن الحق الأبلج الظاهر ، فيضيع حق المظلوم لقاء رشوة آخذها من الظالم ، أو لمجاملة صديق ، أو مداهنة صاحب أو قريب ، أو غير ذلك من الأسباب المعروفة التى أصبحت اليوم بين الناس مألوفة ••

وهذا يكتم الجرائم القبيحة كالسرقات ، وهتك الأعراض ، وسفك الدماء ، فلا يبلغها لذوى الشأن متى أخذ الرشوة ••

وهكذا انتشرت الرشوة انتشارا واسعا فى الدوائر والدواوين ، لأن اللصوص الجالسين خلف المناضد عرفوا كيف يحولون بين جرائم المجرمين وبين المسئولين •

فكم من قتيل عرف قاتله وذهب دمه هدرا ، لأن القاتل قدم مالا أو اشتغل لرئيس !!!

وكم من اختلاسات أتلفت وعرف تالفوها ، فذهبت ضحية الرشوة .

وكم من باطل ارتفع ، وكم من حق انخفض ، فكان الرافع والخافض هو الرشوة .

وكم وكم .. مما لا يأتى عليه العد ، ولا يحيط به الحصر .. فالبلاء كله من الرشوة .

فالرشوة هى : المعول الهدام للأخلاق ، وللأمن ، وللفضيلة ، وللدين .

وهى : شر مستطير ، وبلاء كبير وخطر عظيم ، فلعنة الله على الراشين والمرتشين ـ والرائشين[1] ـ والله لا يهدى كيد الخائنين .

فلا تنس كل هذا أخا الاسلام ، حتى لا تقع فى هذا الجرم الكبير .. الذى قد تفعله ـ لجهلك بحقيقته ـ بحسن نية وأنت تحسب أنك تحسن صنعا .

مع ملاحظة أن الذى سيعينك على هذا ، لن يفعل فيك معروفا ، وانما سيعينك على الاثم والعدوان الذى لا يصح ولا يجوز أن يكافأ عليه .. والله تعالى يقول :

« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ، ان الله شديد العقاب »[2] .

* * *

ولهذا ، فقد رأيت ـ أخا الاسلام ـ وبعد العرض السريع الذى أرجو أن يكون حجة لنا لا علينا : أن أذكرك ونفسى ببعض الأحاديث الشريفة المرهبة من الرشوة وأكل حقوق الناس بالباطل ، حتى تكون دائما وأبدا نصب عينيك وفى حلك وترحالك حيثما كنت ..

فاليـك :

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، قال : « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : الراشى والمرتشى » رواه أبو داوود والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه ، ولفظه :

---

(١) الرائش ، هو الواسطة بين الراشى والمرتشى ، وهو ملعـون مثلهما ، كما ورد فى الحديث الشريف .

(٢) المـائدة : ٢

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعنــة الله على الراشى والمرتشى » وابن حبان فى صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح الاسناد •
قال فى الترغيب والترهيب معلقا على هذا الحديث ــ فى الهامش ــ ما نصــه :
أما الراشى فهو مستحق لذلك الوعيد اذا كان يريد بدفع الرشوة أن يعان على الباطل أو أخذ ما لا حق له فيه أو تقدما على من هو أولى منه • وأما ما يعطيه توصلا الى أخذ حق لا سبيل الى تحصيله الا بالرشوة أو توسلا الى دفع ظلم : فهذا غير داخل تحت الوعيد ، فقد روى أن ابن مسعود أخذ بأرض الحبشة فى شىء فأعطى دينارين حتى أخلى سبيله •
وروى عن جماعة من أئمة التابعين قالوا : لا بأس أن يصــانع الرجل عن نفسه وماله اذا خاف الظلم • ومنع ذلك الشوكانى ، وقال : « فالحق التحريم مطلقا أخذا بعموم الحديث ، ومن زعم الجواز فى صورة من الصور فان جاء بدليل مقبول والا كان تخصيصه ردا عليــه فان الأصل فى مال المسلم التحريم » •
وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الراشى والمرتشى فى الحكم » رواه الترمذى وحسنه ، وابن حبان فى صحيحه والحاكم[1] وزادوا : والرائش ، يعنى الذى يسعى بينهما •
الرائش : بالشين المعجمة : هو السفير بين الراشى والمرتشى •
وعن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : « الرشوة فى الحكم كفر ، وهى بين الناس سحت » رواه الطبرانى موقوفا باسناد صحيح •
سحت : أى حرام لا يحل أكله ، وسمى الحرام سحتا لأنه يسحت البركة أى يهلكها •

* * *

هذا •• واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم ، قد ختم وصيته ــ التى ندور حولها ــ بقوله : « فان لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » ••
فان النبى صلى الله عليه وسلم ، يريد أن يقول لنا : ان عجزتم

(١) وكذلك رواه أحمد رحمه الله •

عن تقديم مكافأة من المـــال لمن صنع فيكم معروفا •• فأثيبوه على جميله هـــذا ، بالدعاء الصالح •• حتى تروا أنكم قد كافأتموه •

وهذا معناه أن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم يرغبنا فى ضرورة أن نكافىء الذى صنع فينا معروفا ولو بالدعاء له •• وخصوصا بظهر الغيب :

روى مسلم وأبو داوود عن صفوان بن عبد الله رضى الله عنه ، قال : قدمت الشام فأتيت أبا الدرداء فى منزله فلم أجده ، ووجدت أم الدرداء فقالت : أتريد الحج العام ؟ قلت : نعم • قالت : فادع الله لنا بخير ، فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير ، قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل[1] • قال : فخرجت الى السوق فلقيت أبا الدرداء • فقال لى مثل ذلك عن النبى صـــلى الله عليه وسلم •

ولأبى داوود والترمذى : أن النبى صلى الله عليـــه وسلم ، قال : « أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب » •

ورويا عن عمر قال : « استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم فى العمرة فأذن لى وقال : « لا تنسنا يا أخى من دعائك » فقال عمر : كلمة ما يسرنى أن لى بها الدنيا » •

* * *

فاذا كنت أخا الإسلام ستدعو لأخيك المسلم الذى صنع فيك معروفا بالخير : فان هذا سيكون أعظم مكافأة له ، لأنه قد يكون فى أشد الحاجة الى دعائك له ، ولا سيما بظهر الغيب ـــ كما عرفت ـــ •

واذا كان الوالدن والعلمـــاء ، والأصدقاء الأوفيـــاء ، والأبنـــاء الصالحون •• قد صنعوا فينا خيرا : بتربيتهم ، وتوجيههم ، ووفائهم وبرهم لنـــا ••

فانه لا يسعنا الا أن ندعو لهم : بأن يجزيهم الله تعالى عنا خير الجزاء ، وأن يجمعنا بهم فى مستقر رحمته سبحانه وتعالى ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا •• آمين •

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ••

* * *

---

(١) أى وأدعو لك بمثل ذلك .

الوصية السادسة والخمسون

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

« ان الدنيا حلوة خضرة ، وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعماون : فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء » ..

(رواه مسلم)

*** * ***

فكن أخا الاسلام :

دارسا مدققا فى هذه الوصية العظيمة التى تحتاج منا جميعا الى طول نظر .. حتى نفهم المراد من قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الدنيا حلوة خضرة » :

فقد شبه النبى صلى الله عليه وسلم — وهو أبلغ البلغاء — الدنيا من حيث الرغبة فيها والاقبال والتكالب عليها والميل بالكلية اليها بفاكهة « خضرة » المنظر « حلوة » المذاق .

هى الدنيا تقول بملء فيها
حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركموا منى ابتسام
فقولى مضحك والفعل مبكى

ولهذا ، فان العبد العاقل هو الذى يفهم هذا عن الدنيا ، وهو الذى يتعامل معها أو فيها على أساس من قول الله تبارك وتعالى عنها :

« اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد ، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ، وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور »[1] .

---

(١) الحديد : ٢٠

وقولــه : « **انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلهــا أنهم قادرون عليهــا أتاها أمرنا ليــلا أو نهــارا فجعلناها حصــيدا كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصــل الآيــات لقوم يتفكرون** »[١] .

وقولــه : « **واضرب لهم مثــل الحيــاة الدنيــا كماء أنزلنــاه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح ، وكان الله على كل شيء مقتدرا • المــال والبنون زينة الحيــاة الدنيــا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** »[٢] .

* * *

ففى تلك الآيات القرآنية : يخبرنا الله تعالى بحقيقة الدنيــا ، ويضرب لنا الأمثال الموضحة لتلك الحقيقة التى يجب أن لا تغيب أبدا عن أفكارنا حتى لا نغتر بالدنيا ونشغل بها عن الآخرة التى هى الدار الحقيقية ، كما يشير الى هذا قول الله تبارك وتعالى :

« **وان الدار الآخرة لهى الحيوان[٣] ، لو كانوا يعلمون** »[٤] .

ويوم أن يشــغل الانسان بالدنيــا عن الآخرة ، أو بالفانيــة عن الباقية ، فان هذا سيكون معناه الضياع الكامل بل هو الخسران المبين ، المشار اليه فى قول الله تبارك وتعالى :

« **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا • الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيــا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** »[٥] .

وذلك لأن الدنيا قد استطاعت ببعض ما فيهــا ، أو بكل ما فيهــا من فتن ظاهرة أو باطنة أن تغرر بهم وتجعلهم من المشتغلين بها ، أو العاملين من أجلها بتلك الصورة التى ألهتهم عن الهدف الأسمى من وجودهم فى هذه الحيــاة الأولى ، وهو المشار اليه فى قول الله تبارك وتعــالى :

« **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون • ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون • ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين** »[٦] .

---

(١) يونس : ٢٤ (٢) الكهف : ٤٥ ، ٤٦

(٣) أى لهى الحياة الحقيقية لو كانوا يعلمون .

(٤) العنكبوت : ٦٤ (٥) الكهف : ١٠٣ ، ١٠٤

(٦) الذاريات : ٥٦ ـــ ٥٨

وليست العبادة كما يتصور الجهلاء مجرد صلاة أو زكاة أو صيام أو حج .. ، وانما هى كذلك مع كل تلك الأساسيات الدينية : تنفيذ كل ما أمر الله تعالى به ، والابتعاد عن كل ما نهى الله تعالى عنه .

وفى القرآن الكريم يأمرنا الله تبارك وتعالى بالعمل لدنيانا حتى فى يوم الجمعة الذى يستريح فيه أكثرنا ، فيقول : **« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضـــل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »**[١] .

ويقـــول : **« .. فامشـــوا فى مناكبهـــا وكلوا من رزقه ، واليـــه النشـــور »**[٢] .

وذلك حتى تعمر الأرض كما أرادها الله تعـــالى ، يوم أن قال للملائـــكة : **« .. انى جاعل فى الأرض خليفة .. »**[٣] .

وهو أبونـــا آدم عليـــه السلام الذى أنزله تعـــالى من الجنـــة ــ باختصار ــ لكى يكون خليفة لله تعالى فى الأرض فيعمرها هو وأولاده الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

والى هذا يشير كتاب « قصص القرآن » فى حديثه عن قصة أبينا آدم عليه السلام ، حيث يقول :

خلق الله الأرض فى يومين ، وجعل فيها رواسى من فوقها ، وبارك فيها ، وقدر فيها أقواتها[٤] فى أربعة أيام سواء للسائلين ، ثم استوى الى السماء وهى دخان ، فقال لها وللأرض : ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا : أتينا طائعين .

ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ، ثم خلق ملائكته الذين يسبحون بحمده ، ويقدسون اسمه ، ويخلصون فى عبادته .

ثم شاءت ارادته ، واقتضت حكمته أن يخلق آدم وذريته ، ليسكنوا الأرض ويعمروها ، فأنبأ ملائكته أنه سينشىء خلقا آخر ، يسعون فى الأرض ويمشون فى مناكبها ، وينتشر نسلهم فى أرجائها ، فيأكلون من نبتهـــا ، ويستخرجون الخيرات من باطنها ، ويخلف بعضـــهم بعضا فيـــها .. اهـ .

* * *

---

(١) الجمعة : ١٠ (٢) الملك : ١٥ (٣) البقرة : ٣٠

(٤) أى أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم .

وقد سخر الله سبحانه وتعالى للانسان كل شيء فى هذا الكون حتى يتيسر لهم عمارة الكون وتنفيذ أحكام الله فيه ، وفق ما أراده الله تعالى واقتضته حكمته ، والى هذا يشير الله سبحانه وتعالى ، فى سورة النحل ، حيث يقول :

« خلق السموات والأرض بالحق ، تعالى عما يشركون • خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين • والأنعام خلقها ، لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون • ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون • وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ، ان ربكم لرؤوف رحيم • والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ، ويخلق ما لا تعلمون • وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ، ولو شاء لهداكم أجمعين • هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون • ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ، ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون • وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون • وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ، ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون • وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون • وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون • وعلامات ، وبالنجم هم يهتدون • أفمن يخلق كمن لا يخلق ، أفلا تذكرون • وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ان الله لغفور رحيم »[1] •

ويقول : **« ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون • ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون • ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، ان فى ذلك لآيات للعالمين • ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ، ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون • ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماءا فيحيي به الأرض بعد موتها ، ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون • ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ، ثم اذا**

---

(١) النحل : ٣ — ١٨ .

دعاكم دعوة من الأرض اذا أنتم تخرجون • وله من فى السموات والأرض ، كل له قانتون »[١] •

وكل هـذا حتى يكون الانسان أهلا لخلافة الله فى الأرض — وحتى لا تكون له حجة — وذلك لن يكون الا بالايمان الصادق الذى وعد الله أصحابه بالاستخلاف فى الأرض والتمكين فيها ، كما يشير الى هـذا قول الله تعـالى : « **وعد الله الذين آمنوا منـكم وعملوا الصـالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوف أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون »**[٢] •



فاذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد قال كما قرأنا فى نص الوصية : « انّ الدنيا حلوة خضرة ، وان الله مستخلفكم فيها » ثم قال : « فينظر كيف تعملون » : فلعنا بعد أن عرفنا حقيقة الدنيا وعرفنـا كذلك معنى الاستخلاف فيهـا : سنعمل بعد ذلك ومع ذلك على اثبات وجودنا فيها بصورة ايجابية ، يرانا الله سبحانه وتعالى فيها كما يحب ويرضى •

وذلك لن يكون الا اذا اغتنمنا كل لحظة فى تلك الحياة الأولى وتقربنا فيها الى الله تعالى بعمل صالح •• يضمن لنا الفلاح فى دنيانا وأخرانا •• قال تعـالى : « **من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبـة** (أى فى الدنيـا) **ولنجزينهم أجـرهم بأحسن ما كانوا يعملون »**[٣] أى : فى الآخرة •

ولهذا ، فان العبد الموفق هو الذى تراه فى هذه الدنيـا عاملا لآخرته التى فيها معاده والتى فيها سعادته الحقيقية التى لابد وأن يفوز بها •• بمعنى أن يجعلها مزرعة لآخرته •• فهى كما ورد فى الأثر : « ميراث المغرورين ، وميدان الفاسقين ، وسوق الراغبين ، ومسكن البطالين ، وسجن المؤمنين ، ومزبلة المتقين ، ومزرعة العاملين » ••

ذم رجل الدنيا عند على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال على عليه السـلام :

---

(١) الروم : ٢٠ — ٢٦ (٢) النور : ٥٥
(٣) النحل : ٩٧

الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها ، مهبط وحى الله ، ومصلى ملائكته ، ومسجد أنبيائه ، ومتجر أوليائه ، ربحوا منها الرحمة واحتسبوا فيها الجنة ، فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ، ونادت بفراقها ، وشبهت بسرورها السرور وببلائها البلاء ترغيبا وترهيبا ، فيا أيها الذام الدنيا المعلل نفسه ، متى خدعتك الدنيا أم متى استذمت اليك ![1] أبمصارع آبائك فى البلى ! أم بمضاجع أمهاتك فى الثرى ! كم مرضت بيديك ، وعللت بكفيك ، تطلب له الشفاء ، وتستوصف له الأطباء ، غداة لا يغنى عنه دواؤك ، ولا ينفعه بكاؤك ..

وقد ورد كذلك أنه رضى الله عنه كان يقول :

ان لله عبادا فطنا … طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا … أنها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا … صالح الأعمال فيها سفنا

ويقول :

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها … الا التى كان قبل الموت يبنيها
فان بناها بخير طاب مسكنه … وان بناها بشر خاب بانيها
النفس ترغب فى الدنيا وقد علمت … أن الزهادة فيها ترك ما فيها
فاغرس أصول التقى مادمت مجتهدا … واعلم بأنك بعد الموت لاقيها

* * *

ولهذا ، فقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى أول خطبة خطبها بالمدينة ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله :

« أما بعد ، أيها الناس .. فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك ؟ وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ،

---

(١) استذمت اليك : أى فعلت ما تذمها على فعله .

ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم • فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فان بهـا تجزى الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته » ذكرها ابن هشام فى سيرته ، وأخرجها أيضا البيهقى •

وفى خطبة أخرى يرويها على رضى الله عنه ، يقول صلوات الله وسلامه عليه ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله :

« أما بعد ، أيها الناس •• كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب ، وكأن الذى نشيع من الأموات سفر عما قليل الينا راجعون • نبوئهم أجداثهم[١] ونأكل من تراثهم كأنا مخلدون بعدهم • قد نسينا كل واعظة ، وأمنا كل جائحة[٢] طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس • طوبى لمن طاب كسبه ، وصلحت سريرته ، وحسنت علانيته ، واستقامت طويته • طوبى لمن تواضع لله فى غـير منقصة ، وأنفق مالا جمعه فى غير معصية ، وجالس أهل الفقه والحكمة ، وخالط أهل الذل والمسكنة • طوبى لمن زكت نفسه وحسنت خليقته وطابت سريرته وعزل عن الناس شره • طوبى لمن أنفق الفضل[٣] من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة » ••

وفى رواية : « ولم يعد عنها الى البدعة » أخرجه أبو نعيم وقد ورد بألفاظ متقاربة •

* * *

انك أخا الاسلام ان فعلت هـذا الذى رغبك فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فى هاتين الخطبتين : ستكون قد أثبت وجودك فى هـذه الحياة الأولى بصورة ايجابية سيكافئك الله تعالى عليها ، لأنه سبحانه وتعالى يقول فى قرآنه :

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هـذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشـابها ، ولهم فيها أزواج مطهـرة ، وهم فيها خالدون »[٤] •

---

(١) جمع جدث وهو القبر ، أى ننزلهم مقابرهم •
(٢) الجائحة : الآفة المهلكة • (٣) أى الزائد من المال والقول •
(٤) البقرة : ٢٥

كما يشير الى هذا أيضا قول الله تبارك وتعالى :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المـآب »[١] .

ثم يقول بعد ذلك :

« قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيـها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد »[٢] .

ثم يقول بعد ذلك متحدثا عن مواصفات هؤلاء العباد الذين أعد لهم فى جناته كل هذا الخير العظيم :

« الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار • الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار »[٣] .

كما يشير الى هذا أيضـا قول الله تبارك وتعالى :

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسـن عمـلا • أولئـك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار يحلون فيـها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيهـا على الأرائك ، نعم الثواب وحسنت مرتفقا »[٤] .

* * *

ثم اذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد قال بعد ذلك فى نص الوصية : « فاتقوا الدنيـا واتقوا النساء ، فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء » :

فانه بهذا صلوات الله وسلامه عليـه يحذرنا أولا من حب الدنيا بتلك الصورة التى كثيرا ما كانت سببا فى ضياع الكثيرين من هؤلاء الذين اغتروا بها ، وخدعوا بملذاتها وشهواتها •• حتى أصبحوا لا يفكرون الا فيها ولا يعملون الا من أجلها •• مع أنهم لو عرفوا حقيقتها لبصقوا فى وجهها ولمـا استطاعت أبدا أن تصل الى قلوبهم •• حتى تتربع عليهـا •

وقد قرأت فى كتاب « عيون الأخبار » ما نصه :

حدثنى محمد بن داوود ، قال : حدثنا أبو الربيع عن حماد عن على

---

(١) آل عمران : ١٤ (٢) آل عمران : ١٥

(٣) آل عمران : ١٦ ، ١٧ (٤) الكهف : ٣٠ ، ٣١

ابن زيد عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للضحاك ابن سفيان « ما طعامك » ؟ قال : اللحم واللبن ، قال : « ثم يصير الى ماذا » ؟ قال : ثم يصير الى ما قد علمت . قال : « فان الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا » قال : وكان بشير بن كعب يقول لأصحابه اذا فرغ من حديثه : انطلقوا حتى أريكم الدنيا ، فيجىء فيقف بهم على السوق ، وهى يومئذ مزبلة ، فيقول : انظروا الى عسلهم وسمنهم والى دجاجهم وبطهم صار الى ما ترون .

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق ، والناس كنفتيه[1] فمر بجدى أسك ميت[2] ، فتناوله بأذنه ثم قال : « أيكم يحب أن هذا بدرهم ؟[3] فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء ، وما نصنع به ؟[4] قال : أتحبون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حيا لكان عيبا فيه لأنه أسك ، فكيف وهو ميت ؟ فقال : والله للدنيا أهون[5] على الله عز وجل من هذا عليكم » رواه مسلم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم بشاة ميتة قد ألقاها أهلها[6] ، فقال : والذى نفسى بيده ، للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها » رواه أحمد باسناد لا بأس به .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه ، قال : مر النبى صلى الله عليه وسلم بدمنة[7] قوم فيها سخلة[8] فقال : « ما لأهلها فيها حاجة ؟[9] قالوا : يا رسول الله .. لو كان لأهلها فيها حاجة ما نبذوها[10] ، فقال : والله للدنيا أهون على الله من هذه السخلة على أهلها فلا

---

(١) تثنية كنفة وهى الناحية ، اى عن يمينه وشماله .

(٢) أسك ميت : صفتان لجدى والمراد انه ليس فيه ما يرغب فيه وهو صغير الأذن .

(٣) وفى بعض الروايات أن يكون له هذا بدرهم .

(٤) يعنى وأى شيء تصنعه به وهو ميت وقصير الأذن .

(٥) اى أشد هوانا وأحقر .

(٦) اى طرحوها فى مزبلة من المزابل لتكون طعمة للكلاب .

(٧) اى مزبلة وجمعها دمن .

(٨) السخلة ولد الشاة والجمع سخل .

(٩) الكلام على الاستفهام يعنى اليس لأهلها فيها منفعة حتى طرحوها هكذا .

(١٠) النبذ طرح الشيء والقاؤه لعدم الاعتداد به .

ألقينها[1] أهلكت أحدا منكم » رواه البزار والطبراني في الكبير من حديث ابن عمر بنحوه ، ورواتهما ثقات ، ورواه أحمد من حديث أبي هريرة ولفظه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بسخلة جرباء قد أخرجها أهلها ، قال : « أترون هذه هينة على أهلها ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها » .

ففي الأحاديث الثلاثة : يقسم صلوات الله وسلامه عليه ، بأن الدنيا بكل زخارفها ومتاعها أهون وأحقر عند الله من شاة ميتة على أهلها ، والمراد أنها لا تساوي شيئا أصلا .

والدليل على هذا أيضا ، ما ورد :

عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كانت الدنيا تعدل[2] عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء »[3] رواه ابن ماجه والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

وذلك حتى لا نحب الدنيا وننشغل بها عن الآخرة .. فقد ورد :

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى » رواه أحمد ورواته ثقات ، والبزار وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي في الزهد وغيره ، كلهم من رواية المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبي موسى وقال الحاكم : صحيح على شرطهما .

* * *

ولهذا ، فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحذر أصحابه من زهرة الدنيا وزينتها :

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، وجلسنا حوله ، فقال : « ان مما أخاف عليكم ما يفتح الله عليكم من زهرة الدنيا وزينتها » رواه البخاري ومسلم في حديث ، وكذلك رواه ابن أبي حاتم ، قال : « أنبأنا يونس أخبرني ابن وهب أخبرني مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء

---

(١) يعني فلا أجدنها . (٢) أي تزن .

(٣) وهذا دليل على حقارة الدنيا عند الله تعالى .

ابن يسار عن أبى سعيد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ان أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح لكم من زهرة الدنيا . قالوا : وما زهرة الدنيا ؟ قال : بركات الأرض » .

وحول تفسير معنى « زهرة الدنيا » قال قتادة والسدى : يعنى زينة الحياة الدنيا ، وعلى هذا فقوله « زينتها » عطف تفسير ، ويجوز أن يراد بالزهرة ما يتمتع به فيها من الشهوات .

* * *

ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقول هذا لأصحابه محذرا اياهم من زهرة الدنيا وزينتها فحسب ، وانما كان كذلك فى نفس الوقت قدوة لهم فى العزوف عن زهرة الدنيا وزينتها :

فعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ، ولم يشبع هو ولا أهله من خبز الشعير . رواه البزار باسناد حسن .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية[1] فدعوه[2] ، فأبى أن يأكل[3] ، وقال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ، ولم يشبع من خبز الشعير . رواه البخارى والترمذى .

وقد علل أبو هريرة امتناعه عن الأكل بأنه يحب الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فى زهده وتعففه .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر[4] وهو على حصير قد أثر فى جنبه ، فقال : يا رسول الله .. لو اتخذت فراشا أوثر[5] من هذا ؟ فقال : « مالى وللدنيا ، وما مثلى ومثل الدنيا الا كراكب سار فى يوم صائف[6] ، فاستظل تحت شجرة ساعة[7] ثم راح وتركها » رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه والبيهقى .

---

(١) أى مشوية . (٢) أى عزموا عليه ليأكل معهم .

(٣) أى امتنع من اجابتهم تعففا وزهدا واستكثارا لهذا الطعام .

(٤) وكان هذا فيما روى عندما آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسائه شهرا واشيع أنه طلقهن فاستأذن عليه عمر رضى الله عنه ليسأله عن ذلك ، فلما دخل وجده نائما على حصير .. الخ .

(٥) أفعل تفضيل من قولهم : فراش وثير أى وطىء لين .

(٦) صائف : أى حار .

(٧) أى بقدر ما تنكسر شدة الحر ويعتدل الجو .

نعـــم ..

وما دنيـــــاك الا مثــــــل ظـــل
أظـــلك ثـــم آذن بارتحــــــال

وهذا هو المعنى الذى لابد وأن نقف على أبعاده ، حتى نكون من العقلاء الذين عرفوا حقيقة الدنيا فاعتبروها قنطرة للآخرة :

فعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدنيا دار من لا دار له ، ولها يجمع من لا عقل له » رواه أحمد والبيهقى ، وزاد : « ومال من لا مال له » واسنادهما جيد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم : « يقول العبد : مالى مالى ، وانما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى[1] ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فاقتنى ما سوى ذلك ، فهو ذاهب ، وتاركه للناس » رواه مسلم .

فمعنى « أو أعطى فاقتنى » أى : تصـــدق وأنفق فادخر ثواب ذلك عند الله عز وجل ، قال فى المصباح : « أقناه أعطاه وأرضاه واقتنيته اتخذته لنفسى قنية ، والمعنى يشيد بمـــاله المكارم لتبقى له ذخيرة فى حياته وآخرته » .

وحسب الانسان العاقل أن يلاحظ هذا دائما وأبدا الى آخر لحظة فى حياته حتى تكون الدنيا مطية له ، وحتى يكون المـــال فى يده لا فى قلبـــه .

وذلك حتى لا يكون من أهل الطمع فى الدنيا بتلك الصـــورة التى حذر النبى صلى الله عليه وسلم منها ، فى حديث قال فيه : « .. واياك والطمع فانه الفقر الحاضر »[2] .

ولهذا فقد قال الشافعى رضى الله عنه مشيرا الى هذا المعنى الكبير :

أمت مطامعى فأرحت نفسى   فان النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا   وفى احيـــائه عرضى مصون
اذا طمع يحل بقلب عبــــد   علتـــه مهـــانة وعلاه هون

وكان رضى الله عنه يقول :

أنا ان عشت لســـت أعدم قوتـــا
أو ان مت لســـت أحـــرم قبـــرا

---

(١) « ما أكل فأفنى » الـــخ بدل من ثلاث أى الذى أكله فأذهبه وغيبه .

(٢) جزء من حديث شريف بسنده صحيح .

همــــتى همــة الــكرام ونفسى
نفس حــر ترى المذلــة كفــرا

وعن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وســلم يقول : « طوبى(١) لمن هدى للاسلام ، وكان عيشه كفــافا وقنع » رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صــلى الله عليه وسلم ، قال : « قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافا(٢) ، وقنعــه الله بما آتاه » رواه مسلم والترمذى وابن ماجه .



ولهــذا .. فقد رأيت بعد هذا العرض السريع الذى أرجو أن نكون من خلاله قد عرفنا لمــاذا حذرنا النبى صــلى الله عليه وسلم من حب الدنيا .. رأيت بالاضافة الى هذا ، وحتى تتضح الصورة أكثــر ، وأكثر ، أن أذكر بقصة ــ ذكرها الشيخ على محفوظ رحمه الله ، فى كتابه « هداية المرشدين » ــ حيث يقول فى مضمونها :

روى أن عيسى عليــه السلام كان مع صاحب له يسيحان فأصابهما الجوع وقد انتهيا الى قرية ، فقال لصاحبه : انطلق فاطلب لنا طعــاما من هذه القرية ، وقام سيدنا عيسى يصلى ، فجاء الرجل بثلاثة أرغفة ، فأبطأ عليه انصراف سيدنا عيسى ــ من الصلاة ــ فأكل رغيفا ، فانصرف عيسى فقال : أين الرغيف الثالث ؟ فقال : ما كانا الا رغيفين ، فمرا على وجوههما حتى مرا بظباء ترعى ، فدعا عيسى عليه السلام ظبيا منهــا فذكاه ــ أى ذبحه ــ فأكلا منه ، ثم قال عيسى للظبى : قم باذن الله ، فاذا هو يشتد ــ أى يقوم حيا ــ فقال الرجل : سبحان الله ! فقال له عيسى : بالذى أراك هــذه الآية ، من صاحب الرغيف ــ الثالث ــ ؟ قال : ما كانا الا اثنين . فمضيا فمرا بنهر عظيم فأخذ عيسى بيده فمشى به على المــاء حتى جاوزا المــاء . فقال الرجل : سبحان الله !! فقال عيسى : بالذى أراك هذه الآية ، من صاحب الرغيف ؟ فقال : ما كانا الا اثنين ، فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة ، واذا قريب منها لبن

---

(١) أى العاقبة الطيبة ، وقيل هى شجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام .

(٢) الكفاف ، اى الذى ليس فيه فضل عن الكفاية .

ثلاثة من ذهب ــ أى قوالب ثلاثة من الذهب ــ فقال عيسى عليه السلام : واحدة لى ، وواحدة لك ، وواحدة لصاحب الرغيف الثالث ، فقال : أنا صاحب الرغيف ، فقال عيسى عليه السلام : هى لك كلها . وفارقه ، فأقام عليها ليس معه ما يحملها عليه ، فمر به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا اللبن ــ قوالب الذهب ــ فقال اثنان منهم لواحد : انطلق الى القرية فأتنا بطعام ، فذهب ، فقال أحد الاثنين الباقيين : نقتل هذا اذا جاء ونقسم هذا بيننا . فقال الآخر : نعم . وقال الذى ذهب يشترى الطعام ــ مخاطبا نفسه ــ أجعل فى الطعام سما فأقتلهما وآخذ اللبن ــ وحدى ــ ففعل . فلما جاء قتلاه وأكلا من الطعام الذى جاء به ، فماتا . فمر بهم بعد ذلك سيدنا عيسى ، فلما رآهم جميعا صرعى حول الذهب . قال لمن معه من الحواريين : هكذا الدنيا تفعل بأهلها .

* * *

نعم .. هكذا الدنيا تفعل بأهلها .. وما حدث لهؤلاء الأربعة : صورة من تلك المشاهد الكثيرة التى تحدث كثيرا وكثيرا فى كل زمان ومكان بسبب حب الدنيا .. لأن حب الدنيا كما ورد فى الأثر : « رأس كل خطيئة » :

فمن أحب الدنيا أحب نفسه ، ومن أحب نفسه انفصل عن أسرته ، ومن انفصل عن أسرته انفصل عن المجتمع .. ومن انفصل عن المجتمع أصبح عدوا له بتلك الصورة التي غالبا ما تكون سببا فى ارتكاب الجرائم الأخلاقية والاجتماعية .. بل والأسرية .

وقد أعجبنى كلام ذكره فضيلة الشيخ على محفوظ رحمه الله ، فى كتابه « هداية المرشدين » باختصار ، تحت عنوان :

النهى عن الانهماك فى طلب الدنيــا

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، قال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون . وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين . ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها ، والله خبير بما تعملون »**[1] .

ان من نظر الى الدنيا بعين البصيرة أيقن أن نعيمها ابتلاء ،

---

(١) المنافقون : ٩ ــ ١١

وحياتها عناء ، وعيشها نكد ، وصفوها كدر ، وأهلها منها على وجل ، اما بنعمة زائلة ، أو بلية نازلة ، أو منية قاضية ، مسكين ابن آدم .. رضى بدار حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، ان أخذه من حلال حوسب عليه ، وان أخذه من حرام عذب به . من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن ، من أحبها أذلته ، ومن أبصر اليها أعمته ، والناس فيها طائفتان :

طائفة فطناء ، علموا أنها ظل زائل ، ونعيم حائل ، وأضغاث أحلام ، بل فهموا أنها نعم فى طيها نقم ، وعرفوا أن هذه الحياة الفانية ، انما هى طريق الى الحياة الباقية ، فرضوا منها باليسير ، وقنعوا فيها بالقليل ، فاستراحت قلوبهم وأبدانهم ، وسلم لهم منها دينهم ، وكانوا عند الله تعالى هم المحمودين ، لم تشغلهم دنياهم عن طاعة مولاهم ، جعلوا النفس الأخير وما وراءه نصب أعينهم ، وتدبروا ماذا يكون مصيرهم ، وفكروا كيف يخرجون من الدنيا وايمانهم سالم لهم ، وما الذى يبقى معهم منها فى قبورهم ، وما الذى يتركون لأعدائهم[1] فى الدنيا ، ومن لا يغنيهم من الله شيئا يوم لا ينفع مال ولا بنون ، ويبقى عليهم وباله ونكاله ، أدركوا كل هذا فتأهبوا للسفر ، وأعدوا الجواب للحساب ، وقدموا الزاد للمعاد « وخير الزاد التقوى » فطوبى لهم ، خافوا فأمنوا ، أحسنوا ففازوا .

وطائفة أخرى جهلاء : عمى البصائر لم ينظروا فى آمرها ، ولم يتكشفوا سوء حالها ومآلها ، برزت لهم بزينتها ففتنتهم فاليها أخلدوا ، وبها رضوا ، ولها اطمأنوا ، حتى ألهتهم عن الله تعالى وشغلتهم عن ذكره وطاعته : « .. **نسوا الله فأنساهم أنفسهم** »[2] . جعلهم بسبب ذلك ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ، ولم يفعلوا ما يخلصها ، وسيرون يوم القيامة من الأهوال ما ينسيهم أرواحهم ويجعلهم حيارى ذاهلين « **يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** »[3] .

---

(١) من الأزواج والأولاد ، كما يشير الى هذا قول الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم** » .. (التغابن : ١٤)

(٢) الحشر : ١٩ (٣) الحج : ٢

وفى مثل هؤلاء يقول الشيخ ابن عطاء الله السكندرى رحمه الله تعـالى : « اجتهادك فيما ضمن لك مع تقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك » • أقاموها فهدمتهم ، واعتزوا بها من دون الله فأذلتهم ، أكثروا فيها من الآمال ، وأحبوا طويل الآجال ، ونسوا الموت وما وراءه من أهوال ومخاوف فخاب أملهم وضل سعيهم وخسروا الدنيا ولم يدركوا الآخرة •

روى الترمذى من حديث أنس رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « من كانت الآخرة همـه : جعل الله غناه فى قلبه ، وجمع عليه شـمله وأتته الدنيا وهى راغمة • ومن كانت الدنيا همه : جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيـا الا ما قدر له ، فلا يمسى الا فقيرا ، ولا يصبح الا فقيرا • وما أقبـل عبد على الله بقلبه الا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد اليه بالود والرحمة ، وكان الله بكل خير اليه أسرع » •



فاذكر كل هـذا أخا الاسلام حتى لا تفتن بالدنيا فتنشـغل بها عن الآخرة ، وحتى لا تكون بسبب ذلك ــ كما عرفت من خلال ما وقفت عليـه ــ قد خسرت الدنيا والآخرة •

وحسبى فى نهاية هـذا التذكير والتحذير من فتن الدنيا : أن أذكرك ونفسى بخطبة من خطب الرسول صلى الله عليـه وسلم ، يقول فيها : « أيها الناس : ان لكم معـالم[1] فانتهوا الى معـالمكم ، وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ، ان المؤمن بين مخافتين ، بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه ، وبين أجـل قد بقى لا يدرى ما الله تعالى قاض عليه فيه • فليأخذ العبد لنفسه من نفسه ، ومن دنيـاه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت • والذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب[2] ولا بعد الدنيا دار الا الجنة أو النار » ذكره أبو بكر الباقلانى فى كتابه « اعجاز القرآن » •

---

(١) جمع معلم كمذهب وهو فى الأصل الدليل فى الطريق ، والمراد به هنا حدود الشريعة المطهرة .

(٢) أى ليس بعد الموت استرضاء لأنه وقت جزاء لا وقت عمل .

واذكر كذلك قول الله تعالى للدنيا(١) :

« يا دنيـا ما أهونك على الأبرار الذين تزينت لهم ، انى قذفت فى قلوبهم بغضك والصبر عنك ، ما خلقت خلقا آهون على منك ، أنى قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد ولا يدوم لك أحد » .

فاحرص أخا الاسلام على أن تكون من هؤلاء الأبرار حتى تسلم من شر الدنيا .. التى أولها بكاء وأوسطها عناء وآخرها فناء — كما وصفها على كرم الله وجهه — ، والتى وصفها الرسول صلى الله عليـه وسلم كذلك ، بأنها : « .. دار التواء ، لا دار استواء ، ومنزل ترح ، لا منزل فرح ، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء .. » .

انما الدنيـا فنـاء ليـس للدنيـا ثبـوت
انمـا الدنيـا كبيت نسـجته العنـكبوت
كل ما فيهـا لعمـرى عن قـريب سـيموت
ولقـد يكفيـك منهـا أيهـا العـاقل قـوت



جدير بالتواضع من يموت وحسب المرء من دنياه قوت
فما للمرء يصبح ذا همـوم وحرص ليس تدركه النعوت
فيا هذا سترحل عن قريب الى قوم كلامهم السـكوت



وأما عن التحذير من الافتتان بالنساء المشار اليه فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى نص الوصية بعد التحذير من فتن الدنيا :

« واتقوا النساء » :

فذلك ، لأنهن — كما ورد(٢) — : حبائل الشيطان وفخوخه ، ولا دين لهن ولا عقل عندهن ، وان كان القليل منهن عابدات صابرات قانتات تائبات ، غير أن الحكم عادة للغالب . ففى الحديث الشريف : « يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فانى رأيتكن أكثـر أهل النار ، فقالت امرأة منهن جزلة(٣) : ومالنا يا رسول الله أكثر أهل النار ؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل

---

(١) أى فى الحديث القدسى .
(٢) كما يقول فى هامش الدين الخالص ج ٤ ص ٢٤٣
(٣) بفتح فسكون : أى ذات رأى .

ودين أغلب لذى لب منكن . قالت : يا رسول الله .. وما نقصان العقل والدين ؟ قال : أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل . فهذا من نقصان العقل . وتمكث الليالى ما تصلى[1] ، وتفطر فى رمضان . فهذا من نقصان الدين » أخرجه ابن ماجه .

وفى رواية : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أسلب للب الرجل الحازم من احداهن ، لو صنعت معها الدهر معروفا ثم رأت منك اساءة واحدة ، قالت : ما رأيت منك خيرا قط » .

وعن وهب بن منبه ، قال : عاقب الله المرأة بعشر خصال : شدة النفاس ، وبالحيض ، وبالنجاسة فى بطنها وفرجها ، وجعل ميراث امرأتين ميراث رجل واحد ، وشهادة امرأتين كشهادة رجل ، وجعلها ناقصة العقل والدين لا تصلى أيام حيضها ، ولا يسلم على النساء ، وليس عليهن جمعة ولا جماعة ، ولا يكون منهن نبى ، ولا تسافر الا بولى .

وكان يقال : ما نهيت امرأة قط عن شىء الا أتته .

وقال طفيل فى هذا المعنى :

ان النســاء كأشــجار نبتهن معــا
منهــا المــرار وبعض المــر مأكول
ان النســاء متى ينهين عن خلــق
فانــه واقــع لابــد مفعــــول

وعن رجاء بن حيوة قال : قال معاذ : انكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم ، وانى أخاف عليكم فتنــة السراء ، وان من أشد ذلكم عندى النساء ، اذا تحلين الذهب ، ولبسن ربط الشام[2] وعصب[3] اليمن ، فأتعبن الغنى ، وكلفن الفقير ما لا يجد .

وقد ذكر فى هامش « عيون الأخبار » كتاب النساء (ص ١١٣) ، الحديث الآتى تعليقا على هذا القول السابق :

قال صلى الله عليه وسلم : « أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء . قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال : اذا لبسن ربط الشام ، وحلل العراق ،

---

(١) وذلك بسبب الحيض والنفــاس وكذلك بالنســبة للافطــار فى رمضان بسبب ذلك . وبعد الطهر تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة .

(٢) أى كل ثوب رقيق .

(٣) وهو كل برد يصبغ غزله ثم ينسج ، لا يثنى ولا يجمع ، وانما يثنى ويجمع ما يضاف اليه .

وعضب اليمن ، وملن كما تميل أسنمة البخت ، فاذا فعلن ذلك كلفن المعسر ما ليس عنده • استعيذوا بالله من شر النساء ، وكونوا من خيارهن على حذر » •

وهذا الذى قاله الرسول صلى الله عليـــه وسلم والذى وقفنا عليه فى هذه الأخبار ، معناه كما عرفنا ، أن الرجل العاقل هو الذى يستعيذ بالله من شر النساء ، ويكون من خيارهن على حـــذر ، وذلك حتى يسلم من كيدهن الذى أشار الله سبحانه وتعالى اليه فى قوله : **« •• ان كيدكن عظيـــم »**[1] ، والكيد : المكر والحيلة •

قال فى القرطبى : وانما قال « عظيم » لعظم فتنتهن واحتيالهن فى التخلص من ورطتهن • وقال مقاتل عن يحيى بن كثير عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم : « ان كيد النساء أعظم من كيد الشيطان لأن الله تعالى يقول : **« ان كيد الشيطان كان ضعيفا »**[2] وقـــال : **« أن كيدكن عظيـــم »** •



ومن كيد امرأة العزيز بسيدنا يوسف •• ما أشار اليه سبحانه وتعالى فى قوله : **« وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله ، أنه ربى أحســـن مثـــواى ، انه لا يفلح الظالمون • ولقد همت به ، وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، انه من عبادنا المخلصين »**[3] •

والخلاصـــة ــ كما يقول القرطبى ــ : وفى الخبر أنهـــا قالت له : يا يوسف •• ما أحسن صورة وجهك ! قال : فى الرحم صورنى ربى ، قالت : يا يوسف •• ما أحسن شعرك ! قال : هو أول شىء يبلى منى فى قبرى ، قالت : يا يوسف •• ما أحسن عينيك ! قال : بهما أنظر الى ربى • قالت : يا يوسف •• ارفع بصرك فانظر فى وجهى ، قال : انى أخاف العمى فى آخرتى • قالت : يا يوسف •• أدنو منك وتتباعد منى ؟ ! قال : أريد بذلك القرب من ربى • قالـــت : يا يوسف •• القيطون[4] فادخل معى ، قال : القيطون لا يسترنى من ربى • قالت :

---

(١) يوسف : ٢٨ (٢) النســـاء : ٧٦
(٣) يوسف : ٢٣ ، ٢٤ (٤) القيطون : المخدع ، أعجمى •

يا يوسف .. فراش الحرير قد فرشته لك ، قم فاقض حاجتى ، قال : اذن يذهب من الجنة نصيبى ، الى غير ذلك من كلامها وهو يراجعها ، الى أن هم بهـــا .

وقد ذكر بعضهم : ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شـــهوة حتى نبأه الله ، فألقى عليـــه هيبة النبوة ، فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه . ثم يقول القرطبى :

واختلف العلماء فى همه ، ولا خلاف أن همها كان المعصية ، وأما يوسف فهم بهـــا : « **لولا أن رأى برهان ربـــه** » ، ولكن لمـــا رأى البرهان ما هم ، وهـــذا لوجوب العصمة للأنبياء ، قال الله تعـــالى : « **كذلك لنصرف عنه الســـوء والفحشاء ، انه من عبـــادنا المخلصين** » فان فى الكلام تقديم وتأخير ، أى لولا أن رأى برهان ربه لهم بها . قال أبو حاتم : كنت أقرأ غريب القرآن على أبى عبيدة فلمـــا أتيت على قوله : « **ولقد همت به ، وهم بهـــا** » الآيـــة ، قال أبو عبيدة : هـــذا على التقديم والتأخير ، كأنه أراد ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها ..

وقوله تعـــالى : « **لولا أن رأى برهان ربه** » والجواب محذوف لعلم السامع ، أى لكان ما كان . وهذا البرهان غير مذكور فى القـــرآن ، فروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ، أن زليخا قامت الى صنم مكلل بالدر والياقوت فى زاوية البيت فسترته بثوب ، فقال : ما تصنعين ؟ قالت : أستحى من الهى هذا أن يرانى فى هذه الصورة ، فقال يوسف : أنا أولى بأن أستحى من الله ، وهذا أحسن ما قيل فيه ، لأن فيه اقامـــة الدليـــل . وقيـــل : رأى مكتوبا فى سقف البيت : « **ولا تقربوا الزنا ، أنه كان فاحشة وساء سبيلا** »[1] .

وقـــال ابن عباس : بدت كف مكتوب عليهـــا : « **وان علـــيكم لحافظين** »[2] . وقال قوم : تذكر عهد الله وميثاقه . وقيل : نودى يا يوسف .. أنت مكتوب فى الأنبياء وتعمل عمل السفهاء ؟ ! وقيـــل : رأى صورة يعقوب على الجدران عاضا على أنملته يتوعده فسكن ، وخرجت شهوته من أنامله ، قاله قتادة ومجاهد والحسن والضحاك وأبو صالح وسعيد بن جبير . وروى الأعمش عن مجاهد قال : حـــل

---

(١) الاسراء : ٣٢ (٢) الانفطار : ١٠

سراويله فتمثل له يعقوب ، وقال له : يا يوسف .. فولى هاربا . وروى سفيان عن أبى حصين عن سعيد بن جبير ، قال : مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله ، قال مجاهد : فولد لكل واحد من أولاد يعقوب اثنا عشر ذكرا الا يوسف لم يولد له الا غلامان ، ونقص بتلك الشهوة ولده ، وقيل غير هذا . ثم يقول القرطبى :

وبالجملة : فذلك البرهان آية من آيات الله أراها الله يوسف حتى قوى ايمانه ، وامتنع عن المعصية .



واذا كان الكيد كما علمنا هو المكر ، فان الله تعالى يقول : « **ولا يحيق المكر السىء الا بأهله** »[1] ، وتوضيحا لهذا :

فقد حكى أن خدم بعض الملوك وجدوا طفلا فى الطريق فالتقطوه ، فأمر الملك بتربيته وضمه الى أهل بيته وسماه أحمد اليتيم ، فلما نشأ ظهرت عليه أمارات النجابة والذكاء فهذبه وعلمه ، ولما حضرته الوفاة ، أوصى به — الملك — ولى عهده ، فضمه اليه واصطفاه وأخذ عليه العهد أن يكون له وفيا وخادما أمينا ، وبعد ذلك قدمه فى أعماله فصار حاكما على جميع حاشية الأمير ، ومتصرفا فى شئون قصره .

وفى أحد الأيام أمره أن يحضر شيئا من بعض حجراته ، فذهب ليحضره فرأى بعض جوارى الأمير الخاصة به مع شاب من الخدم يفسقان ويزنيان فتوسلت اليه الجارية أن يكتم هذا الخبر ووعدته بكل ما يطلب ، وراودته عن نفسه لتأمن شره ، فقال لها : معاذ الله أن أخون الأمير ، وقد أحسن الى .. ثم تركها وانصرف على أن يكتم السر . لكن الجارية أوجست فى نفسها خيفة وتوهمت أن أحمد اليتيم سيفشى أمرها للأمير .. فما كان منها الا أن انتظرت الأمير حتى حضر الى قصره ثم ذهبت اليه باكية شاكية فسألها ما خبرها ؟ فقالت : ان أحمد اليتيم راودها عن نفسها ، وكان يريد أن يقهرها على الزنا .. فلما سمع الأمير ذلك غضب واشتد غضبه ، وعزم على قتله .. ثم دبر قتله فى الخفاء حتى لا يعلم الناس بقتله وبسبب هذا القتل . فقال لكبير خدمه : اذا بعثت اليك أحدا بطبق يطلب منك كذا وكذا فاقطع رأسه وضع الرأس فى الطبق ، وابعث به الى .. فأجاب الخادم بالسمع والطاعة .

---

(١) فاطر : ٤٣

وفى يوم من الأيام أحضر الأمير أحمد اليتيم وقال له : اذهب الى فلان الخادم ، وقل له يعطيك كذا وكذا •• فامتثل الأمر وذهب •• الا أنه لقي فى طريقه بعض الخدم ، فأرادوا أن يحكموه بينهم فى أمر فاعتذر وقال : انه مكلف بقضاء أمر الأمير •• فقالوا : نبعث فلانا الخادم نائبا عنك ليحضر ما تطلبه حتى تفصل فى شأننا •• فأجابهم الى ما طلبوا ، فأرسلوا واحدا منهم وهو الشاب الذى سبق له الزنا بالجارية ، فلما ذهب أخذه رئيس الخدم الى المكان الذى أعده ثم قطع رأسه على غرة ثم وضعها فى الطبق وغطاه وجاء به الى الأمير •• فلما أبصر — الأمير — الطبق رفع غطاءه فرأى رأسا غير رأس أحمد اليتيم •• فأحضر الأمير أحمد اليتيم ، فسأله عما فعل ، فأخبره بما كان ، فقال الأمير : أتعرف لهذا الخادم ذنبا ؟ فقال : نعم ، انه فعل كذا وكذا مع الجارية وقد سألانى بالله وبك أن أكتم الخبر ••

فلما سمع الأمير ذلك أمر بقتل الجارية ، وعاد الى ما كان عليه من محبة أحمد واكرامه ، وكانت هذه عاقبة الوفاء ، ونهاية الخيانة « **ولا يحيق المكر السىء الا بأهله** » !! صدق الله العظيم •



فعلى الأخت المسلمة : أن تذكر هذا حتى تبتعد عن المكر السىء الذى لا يحيق الا بأهله •• كما عرفنا ، وحتى تكون كذلك ان شاء الله من المسلمات المؤمنات القانتات التائبات العابدات السائحات ••

وحسبها ان أرادت لنفسها ولغيرها من الرجال خيرا : أن تبتعد عن أسلوب الاثارة للشهوات الغرائزية والذى كثيرا ما كان سببا فى فساد الكثيرين من الرجال الذين لم يستطيعوا بسبب ضعف ايمانهم وعدم غض أبصارهم كما أمرهم الله تعالى : أن يقاوموا هذا الأسلوب الغرائزى المشار اليه فى الحديث الشريف الوارد :

عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « كل عين زانية[1] ، والمرأة اذا استعطرت[2] ، فمرت بالمجلس

---

(١) يعنى كل عين نظرت الى أجنبية قصدا ، والمراد أنها كالزانية فى الاثم •

(٢) يعنى وضعت العطر على بدنها وثيابها •

فهى كذا وكذا ، يعنى زانية »[١] رواه أبو داوود والترمذى ، وقـال : حديث حسن صحيح •

ورواه النسائى ، وابن خزيمة ، وابن حبان فى صحيحهم ، ولفظهم : قال النبى صلى الله عليـه وسلم : « أيما امرأة استعطرت ، فمرت على قوم ليجدوا ريحها[٢] ، فهى زانية[٣] ، وكل عين زانية » رواه الحـاكم أيضا ، وقال : صحيح الاسناد •

حتى ولو كانت المرأة ذاهبة الى المسجد ، فانه يجب عليها أن لا تتطيب •• وان فعلت ذلك ، فانه يطلب منها أن ترجع ••

فعن أبى موسى بن يسار رضى الله عنه ، قال : مرت بأبى هريرة امرأة وريحها تعصف[٤] ، فقال لها : أين تريدين يا أمة الجبار[٥] ، قالت : الى المسجد • قال : وتطيبت ؟ قالت : نعم • قال : فارجعى فاغتسلى ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقـول : « لا يقبل الله من امرأة صلاة خرجت الى المسجد ، وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل » رواه ابن خزيمة فى صحيحه • قال : باب ايجاب الغسل على المطيبة للخروج الى المسجد ، ونفى قبول صلاتها ان صلت قبل أن تغتسل ، ان صح الخبر •

وهذا الحديث وان كان ضعيفا ــ بصرف النظر عن موضوع الغسل وعدم صحة الصلاة ــ الا أنه من الخير لها ولمن فى الطريق والمسجد أن لا تخرج من بيتها متطيبة حتى لا تلفت الأنظار والقلوب اليهـا •• وخير لها أن تصلى فى بيتها :

فعن أم حميد امرأة أبى حميد الساعدى رضى الله عنهما أنها جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله •• انى أحب الصلاة معك[٦] ، قال : « علمت أنك تحبين الصلاة معى ، وصلاتك

---

(١) لأنها وجهت الأنظار اليها ، وحركت اليها شهوة الرجال .

(٢) يعنى أنها قصدت بالمرور عليهم أن يشموا ريحها .

(٣) وذلك لتعمدها جذب قلوب الرجال اليها وتحريك رغباتهم نحوها .

(٤) يعنى تفوح وتنتشر بشدة .

(٥) يريد أن يقول لها : يا أمة الجبار سبحانه وتعالى .. وقد سألها ليعرف وجهتها ليبين لها الحكم ان كانت ذاهبة الى المسجد .

(٦) لأن صلاته عليه الصلاة والسلام أكمل صلاة واتمها ، وقراءته أحسن قراءة واجملها ..

فى بيتك خير من صلاتك فى حجرتك[١] ، وصلاتك فى حجرتك خير من صلاتك فى دارك ، وصلاتك فى دارك[٢] خير من صلاتك فى مسجد قومك[٣] ، وصلاتك فى مسجد قومك خير من صلاتك فى مسجدى[٤] . قال : فأمرت فبنى لها مسجد فى أقصى شىء من بيتها وأظلمه[٥] ، وكانت تصلى فيه حتى لقيت الله عز وجل » رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحهما .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « المرأة عورة وانها اذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان ، وانها لا تكون أقرب الى الله منها فى قعر بيتها » رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

وحول موضوع أن المرأة عورة ، قال فى النهاية : « جعلها نفسها عورة لأنها اذا ظهرت يستحيا منها كما يستحيا من العورة » اه .

ثم يستكمل هذا — شارح « الترغيب والترهيب[٦] ، فيقول :

والعورة الخلل فى ثغر البلاد وغيره يخاف فيه ، ومنه قوله تعالى : « **ان بيوتنا عورة** »[٧] يعنى ممكنة لمن أرادها غير محصنة ، والعورة من الجبال شقوقها ، ومن الشمس مشرقها ومغربها . والعورة أيضا كل ممكن الستر وكل أمر يستحيا منه ، وكل شىء يستره الانسان من أعضائه أنفة وحياء والجمع عورات ، قال تعالى : « **ثلاث عورات لكم** .. »[٨] أراد بها الأوقات الثلاثة التى نهى عن الدخول فيها للمماليك والصغار الا بعد الاستئذان وهى نصف النهار وآخر الليل

---

(١) المكان بالبيت المكان المعد للنوم وهو المخدع ولا شك أنه يكون فى أقصى مكان من الدار فهو أبلغ فى التستر .

(٢) وكذلك الحجرة أخص من الدار فالصلاة فيها أقرب الى التخفى والاحتجاب .

(٣) فان الدار لا يدخلها أحد الا بالاستئذان وكل من معها فى الدار من محارمها بخلاف المسجد .

(٤) فانظر كيف فضل صلاتها فى مسجد قومها على صلاتها فى مسجده مع أن الصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه .

(٥) فهذا دليل على فضل ملازمة المرأة بيتها وصلاتها فيه وأنه أفضل لها من شهود الصلاة فى المسجد جماعة .

(٦) وهو فضيلة الشيخ خليل الهراس رحمه الله .

(٧) الأحزاب : ١٣ (٨) النور : ٥٨

وبعد العشاء الآخرة ، وقوله تعـالى : **« الذين لم يظهروا على عورات النسـاء »**(١) يعنى لم يبلغوا الحلم .

ثم يقول حول معنى : « استشرفها الشيطان » : يقال : استشرف الشىء رفع بصره اليه باسطا كفه فوق حاجبه ، ويقال استشرفه حقه ظلمه ، واستشرف الشاة .. تفقدها ليأخذها سالمة العيوب ، ومعنى استشرفها الشيطان : لازمها فى خروجها وأغرى الرجال بالتطلع اليها .

وفى رواية عند الطبرانى ، قال : « النساء عورة ، وان المرأة لتخرج من بيتها وما بها بأس(٢) فيستشرفها الشـيطان(٣) ، فيقول : انك لا تمرين بأحد الا أعجبته(٤) ، وان المرأة لتلبس ثيابها(٥) ، فيقال : أين تريدين ؟ فتقول : أعود مريضا(٦) ، أو أشهد جنازة(٧) ، أو أصلى فى مسجد(٨) ، وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده فى بيتها » واسناده حسن .

وذلك لأن عبادة المرأة فى بيتها حيث السكن والستر والسلامة من الفتنة أفضل من خروجها ولو لعمل من أعمال الخير التى مثل لها بعيادة المريض وشهود الجنازة والصلاة فى المسجد .

ولأنها تكون ــ فى بيتها ــ حينئذ فى حرز من نظر الرجال اليها وفى مأمن من الفتن ، فلا غرو تكون أقرب الى العفة والفضيلة وبالتالى تكون أقرب الى الله عز وجل لتخلقها بالأخلاق التى يحبها .

* * *

ومع هـذا كله ، فان النبى صلى الله عليـه وسلم لم يأمر أصحابه بمنع نسائهم من الصلاة فى المساجد ، وانما نهاهم عن منعهن ..

فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) النور : ٣١

(٢) يعنى أنها تخرج سليمة النية طاهرة الذيل بعيدة عن وساوس الشيطان .

(٣) أى يركبها ويصاحبها .

(٤) فيحملها على التزين عند الخـروج ليزداد نظر الرجال اليهـا واعجابهم بها .

(٥) يعنى تتهيأ للخروج .

(٦) أى أزور مريضا من مرضى المسلمين رغبة فى حصول الثواب .

(٧) أى أحضر جنازة مسلم وأتبعها .

(٨) يعنى أشهد الصلاة فى المسجد جماعة .

وسلم : « لا تمنعوا نساءكم المساجد ، وبيوتهن خير لهن » رواه أبو داوود .

وفى رواية : « لا تمنعوا اماء الله وليخرجن تفلات » .

وفى أخرى : « اذا استأذنت أحدكم امرأته الى المسجد فلا يمنعها » :

أى اذا كانت ستلتزم[١] بأدب الاسلام ، الذى سيخرجها عن : حد التبرج : الذى لخصه صاحب كتاب « الحلال والحرام فى الاسلام[٢] تحت عنوان :

ما يخرج المرأة عن حد التبرج

حيث يقول : والذى يخرج المرأة المسلمة عن حد التبرج ويسمها بأدب الاسلام أن تلتزم الآداب الآتية :

(أ) غض البصر : فان أثمن زينة للمرأة هو الحياء ، وأبرز عنوان للحياء هو غض البصر . قال تعالى : « **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** »[٣] .

(ب) عدم الاختلاط بالرجال اختلاط تلاصق وتماس ، كما يحدث فى دور السينما ومدرجات الجامعات وقاعات المحاضرات ومركبات النقل ونحوها فى هذا الزمان . وقد روى معقل بن يسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد ، خير له من أن يمس امرأة لا تحل له »[٤] .

المخيط : ما يخاط به كالابرة والمسلة ونحوهما .

(جـ) أن تكون ملابسها موافقة لأدب الشرع الاسلامى . واللباس الشرعى هو الذى يجمع الأصاف التالية :

١ — أن يغطى جميع الجسم ، عدا ما استثناه القرآن .. وهو على الأرجح : الوجه والكفان .

٢ — ألا يشف ويصف ما تحته . فقد أخبر النبى صلى الله عليه

---

(١) سواء أكان خروجها الى المسجد أو الى الطريق لقضاء أى مصلحة مشروعة .

(٢) وهو الدكتور يوسف القرضاوى أثابه الله .

(٣) النور : ٣١

(٤) قال المنذرى : رواه الطبرانى والبيهقى ، ورجال الطبرانى ثقات رجال الصحيح .

وسلم : « أن من أهل النار نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات .. لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها » ، ومعنى كاسيات عاريات : أن ثيابهن لا تؤدى وظيفة الستر فتصف ما تحتها لرقتها وشفافيتها .

دخلت نسوة من بنى تميم على عائشة — رضى الله عنها — وعليهن ثياب رقاق ، فقالت عائشة : « ان كنتن مؤمنات فليس هذا بثياب المؤمنات » .

وأدخلت عليها امرأة عروس عليها خمار رقيق شفاف ، فقالت : لم تؤمن بسورة « النور » امرأة تلبس هذا .

٣ — ألا يحدد أجزاء الجسم ، ويبرز مفاتنه ، وان لم يكن رقيقا شفافا ، كتلك الثياب التى رمتنا بها حضارة الجسد والشهوة — أعنى الحضارة الغربية — التى يتسابق مصممو الأزياء فيها فى تفصيل الثياب التى تبرز النهود والخصور والأرداف ونحوها ، بصورة تهيج الغرائز وتثير الشهوات الدنيا ، فلابساتها كاسيات عاريات أيضا ، وهى أشد اغراء وفتنة من الثياب الرقيقة الشفافة .

٤ — ألا يكون مما يختص بلبسه الرجال كالبنطلون فى عصرنا ، وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم لعن المتشبهات من النساء بالرجال ، كما لعن المتشبهين من الرجال بالنساء ، ونهى المرأة أن تلبس لبسة الرجل ، والرجل أن يلبس لبسة المرأة .

٥ — ألا يكون لباسا اختص بلبسه الكافرات من اليهوديات والنصرانيات والوثنيات ، فان قصد التشبه بهؤلاء محظور فى الاسلام الذى يريد لرجاله ونسائه التميز والاستقلال فى المظهر والمخبر ، ولهذا أمر بمخالفة الكفار فى أمور كثيرة . وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم » .

(د) أن تلتزم الوقار والاستقامة فى مشيتها وفى حديثها وتتجنب الاثارة فى سائر حركات جسمها ووجهها ، فان التكسر والميوعة من شأن الفاجرات لا من خلق المسلمات . قال تعالى : **« فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض »**(١) .

(هـ) ألا تتعمد جذب انتباه الرجال الى ما خفى من زينتها بالعطور أو الرنين أو نحو ذلك . قال تعالى : **« ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن »**(٢) .

---

(١) الأحزاب : ٣٢ (٢) النور : ٣١

فقد كانت المرأة فى الجاهلية حين تمر بالناس تضرب برجلها ، ليسمع قعقعة خلخالها فنهى القرآن عن ذلك ، لما فيه من اثارة لخيال الرجال ذوى النزعات الشهوانية ، ولدلالته على نية سيئة لدى المرأة فى لفت أنظار الرجال اليها والى زينتها .

ومثل هـذا فى الحكم ما تستعمله المرأة من ألوان الطيب والعطور ذات الروائح الفائحة ، لتستثير الغرائز ، وتجذب اليها انتباه الرجال ، وفى الحديث : « المرأة اذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا ، يعنى زانية »[1] .

ومن هنا نعلم أن الاسلام لم يفرض على المرأة — كما يقال — أن تظل حبيسة البيت ، لا تخرج منه الا الى القبر ، بل أباح لها الخروج للصلاة وطلب العلم وقضاء الحاجات ، وكل غرض دينى أو دنيوى مشروع . كما كان يفعل ذلك نساء الصحابة ومن بعدهم من خير القرون .

وكان منهن من يخرج للمشاركة فى القتال والغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء والقواد . وقد قال عليه الصلاة والسلام لزوجه سودة : « قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن »[2] وقال : « اذا استأذنت امرأة أحدكم الى المسجد فلا يمنعها »[3] وفى حديث آخر : « لا تمنعوا اماء الله مساجد الله .. »[4] .

وقد ذهب بعض العلماء المتشددين الى أن المرأة يحرم عليها أن تنظر الى أى جزء من الرجل ، مستدلين بما رواه الترمذى عن نبهان مولى أم سلمة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال لها ولميمونة ، وقد دخل عليهما ابن أم مكتوم : « احتجبا » فقالتا : انه أعمى . قال : « أفعمياوتان أنتما ؟ ألستما تبصرانه » ؟ ولكن المحققين قالوا : ان هذا الحديث غير صحيح عند أهل النقل ، لأن راويه عن أم سلمة نبهان مولاها وهو ممن لا يحتج بحديثه .

وعلى تقدير صحته فان ذلك منه عليه السلام تغليظ على أزواجه لحرمتهن ، كما غلظ عليهن أمر الحجاب ، كما أشار اليه أبو داوود وغيره من الأئمة .. ويبقى معنى الحديث الصحيح الثابت ، وهو أن النبى صلى

---

(١) وقد سبق تخريج هذا الحديث .
(٢) رواه البخارى فى كتاب النكاح .
(٣) رواه البخارى .　　　(٤) رواه مسلم .

الله عليه وسلم أمر فاطمة بنت قيس أن تقضى عدتها فى بيت أم شريك ثم استدرك فقال : « تلك امرأة يغشاها أصحابى ، أعتدي عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى ، تضعين ثيابك ولا يراك »[1] .

ثم يقول بعد ذلك فى « الحلال والحرام فى الاسلام » : تحت عنوان : خدمة المرأة ضيوف زوجها :

وأوضح من ذلك أن للمرأة أن تقوم بخدمة ضيوف زوجها فى حضرته ، ما دامت متأدبة بأدب الاسلام فى ملبسها وزينتها وكلامها ومشيها ، ومن الطبيعى أن يروها وتراهم فى هذه الحال ، ولا جناح فى ذلك اذا كانت الفتنة مأمونة من جانبها وجانبهم .

روى الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد الأنصارى ، قال : « لما أعرس أبو أسيد الساعدى ، دعا النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فما صنع لهم طعاما ولا قدم اليهم الا امرأته أم أسيد ، بلت تمرات فى تور — أى اناء — من حجارة ، من الليل ، فلما فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من الطعام أماثته له — أى مرثته بيدها — فسقته ، تتحفه بذلك » .

ففى هذا الحديث — كما قال شيخ الاسلام ابن حجر — : جواز خدمة المرأة زوجها ومن يدعوه .. ولا يخفى أن محل ذلك عند أمن الفتنة ، ومراعاة ما يجب عليها من الستر ، وجواز استخدام الرجل امرأته فى مثل ذلك . فاذا لم تراع المرأة ما يجب عليها من الستر — كأكثر نساء هذا الزمن — فان ظهورها للرجال يصير حراما .

* * *

فعلى الأخت المسلمة أن تلاحظ كل هذا وتنفذه حتى تكون مسلمة بمعنى الكلمة ، وحتى لا تكون فتنة للرجال .. كما يشير الحديث الشريف الذى يقول فيه الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء »[2] : أى أشد ضررا .

وعليها كذلك اذا أرادت أن تدخل الجنة أن تنفذ ما ذكر فى هذا الحديث الشريف الذى يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه :

---

(١) انظر تفسير القرطبى ج ١٢ ص ٢٢٨

(٢) ورد هذا فى حديث رواه مسلم والنسائى ، بلفظ : « فما تركت بعدى ... » الحديث .

« آذا أدت المرأة فرضها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها : دخلت الجنة » .

* * *

وحسبها أن تعلم — فى النهاية — آنها ان نفذت كل هذا ستفوز فوزا عظيما .. كما يشير الى هذا قول الله تبارك وتعالى :

« ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما »[١] .

وأن تعلم كذلك أنها بسبب تنفيذ كل هذا ان شاء الله : ستكون ريحانة لا شيطانة ، وستكون عونا لزوجها وكل أفراد أسرتها على الخير لا على الشر :

فقد قرأت أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، سمع رجلا يقول :

ان النساء شياطين خلقن لنا
نعوذ بالله من شر الشياطين

فرد عليه رضى الله عنه ، بقوله :

ان النساء رياحين خلقن لنا
وكلنا يشتهى شم الرياحين

كما قرأت دعاء لداوود عليه السلام يقول فيه : « اللهم انى أسألك أربعا وأعوذ بك من أربع : أسألك : لسانا صادقا ، وقلبا خاشعا ، وبدنا صابرا ، وزوجة تعيننى على أمر دنياى وأمر آخرتى .

وأعوذ بك : من ولد يكون على سيدا ، ومن زوجة تشيبنى قبل وقت المشيب ، ومن مال يكون مشبعة لغيرى بعد موتي ويكون حسابه فى قبرى ، ومن جار سوء ان رأى حسنة كتمها وان رأى سيئة أذاعها وأفشاها » .

أسأل الله تعالى أن يتقبل منا جميعا هذا الدعاء كما تقبله من عبده داوود عليه السلام : آمين .. آمين .. آمين ..

* * *

---

(١) الأحزاب : ٣٥

الجزء التاسع عشر

الوصية السابعة والخمسون

عن أبى أمامة صدى بن عجلان الباهلى رضى الله عنه ،
قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فى
حة الوداع ، فقال :

« اتقوا الله ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم ، وأطيعوا أمراءكم : تدخلوا جنة ربكم » ..

(رواه الترمذى فى آخر كتاب الصلاة وقال : حديث حسن صحيح) .

* * *

فكن أخا الاسلام :

منتفعا بهذه الوصية العظيمة التى بدأها صلوات الله وسلامه عليه — كعادته فى أغلب وصاياه — بتقوى الله تعالى .. لأنها — كما عرفنا قبل ذلك — رأس الأمر كله ، كما جاء فى نص وصية أخرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيها لأبى ذر رضى الله عنه : « أوصيك بتقوى الله فانها رأس الأمر كله »[1] : أى أن التقوى بالنسبة للعبادة كالرأس بالنسبة للجسد ، فكما أنه لا حياة للانسان بدون رأس كذلك لا معنى للعبادة بدون تقوى .

ولعل هذا هو السر فى أن الله تعالى قد أوصانا بالتقوى كما أوصى بها الأمم السابقة ، كما يشير الى هذا قوله تعالى :

« .. ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله .. »[2] .

---

(١) ارجع الى الوصية الثالثة من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) النساء : ١٣١

قال القرطبى : الأمر بالتقوى كان عاما لجميع الأمم •• **« وإياكم »** عطف على **« الذين »** • **« أن اتقوا الله »** فى موضع نصب ، قال الأخفش : أى بأن اتقوا الله • وقال بعض العارفين : هذه الآية هى رحى القرآن ، لأن جميعه يدور عليها •

* * *

واذا أردنا أن نعرف حقيقة التقوى ، ومكانة أهلها عند الله تبارك وتعالى : فحسبنا أن نقرأ ما قاله القرطبى ، حول قوله تبارك وتعالى : **« ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين »**[1] : فقد قال ما خلاصته :

خص الله تعالى المتقين بهدايته وان كان هدى للخلق أجمعين تشريفا لهم ؛ لأنهم آمنوا وصدقوا بما فيه •

وروى عن أبى روق أنه قال : هدى للمتقين ، أى كرامة لهم ، يعنى انما أضاف اليهم اجلالا لهم وكرامة لهم وبيانا لفضلهم • وأصل : المتقين : للموتقيين بياءين مخففتين حذفت الكسرة من الياء الأولى لثقلها ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين وأبدلت الواو تاء على أصلهم فى اجتماع الواو والتاء وأدغمت التاء فى التاء فصار للمتقين •

ثم يقول : التقوى يقال أصلها فى اللغة : قلة الكلام ، حكاه ابن فارس • قلت : ومنه الحديث : « التقى ملجم والمتقى فوق المؤمن والطائع » وهو الذى يتقى بصالح عمله وخالص دعائه عذاب الله تعالى ، مأخوذ من اتقاء المكروه بما تجعله حاجزا بينك وبينه ، كما قال النابغة :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

وقال آخر :

فألقت قناعا دونه الشمس واتقت
بأحسن موصولين كف ومعصم

وخرج أبو محمد عبد الغنى الحافظ من حديث سعيد بن زربى أبى عبيدة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود ، قال : قال يوما لابن أخيه : يا ابن أخى •• ترى الناس ما أكثرهم ؟ قال : نعم ، قال : لا خير فيهم الا تائب أو تقى ، ثم قال : يا ابن أخى •• ترى الناس ما أكثرهم ؟ قلت : بلى ، قال : لا خير فيهم الا عالم

---

(١) البقرة : ٢

أو متعلم . وقال أبو يزيد البسطامى : المتقى من اذا قال قال الله ، ومن اذا عمل عمل الله .

وقال أبو سليمان الدارانى : المتقون الذين نزع عن قلوبهم حب الشهوات .

وقيل : المتقى الذى اتقى الشرك وبرىء من النفاق . قال ابن عطية : وهذا فاسد لأنه قد يكون كذلك وهو فاسق .

وسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه أبيا عن التقوى ، فقال : هل أخذت طريقا ذا شوك ؟ قال : نعم ، قال : فما عملت فيه ؟ قال : تشمرت وحذرت ، قال : فذاك التقوى .

فأخذ هذا المعنى ابن المعتز فنظمه :

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى
واصنع كماش فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة ان الجبال من الحصى

ثم يقول القرطبى : التقوى ، فيها جماع الخير كله ، وهى وصية الله فى الأولين والآخرين ، وهى خير ما يستفيده الانسان ، كما قال أبو الدرداء ــ رضى الله عنه ــ وقد قيل له : ان أصحابك يقولون الشعر وأنت ما حفظ عنك شىء ، فقال :

يريد المرء أن يؤتى مناه ويأبى الله الا ما أرادا
يقول المرء فائدتى ومالى وتقوى الله أفضل ما استفادا

وروى ابن ماجه فى سننه عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : « ما استفاد المرء[1] بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة ان أمرها أطاعته ، وان نظر اليها سرته ، وان أقسم عليها أبرته ، وان غاب عنها نصحته فى نفسها وماله » .

والأصل فى التقوى : وقوى على وزن فعلى ، فقلبت الواو تاء من وقيته أقيه أى منعته ، ورجل تقى أى خائف ، أصله وقى ، وكذلك تقاة كانت فى الأصل وقاة كما قالوا : تجاه وتراث ، والأصل وجاه ووراث . اهـ .

* * *

---

(١) فى الجامع الصغير : « المؤمن » بدل المرء .

وأجمع وصف للتقوى ، قول الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه عندما سئل عن التقوى فقال : هى الخوف من الجليل ، والعمل بالتنزيل ، والاستعداد ليوم الرحيل ، والرضا بالقليل .

ولهذا ، حسبنا اذا أردنا أن نكون من المتقين حقا : أن ننفذ هذا الوصف الذى وصفه على كرم الله وجهه للتقوى ، والذى معناه أن عليا كرم الله وجهه كان من كبار المتقين .. وكيف لا ، وهو الذى تربى فى أحضان الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه الكثير والكثير من الايمان والتقوى .. حتى صار جديرا بأن يقول وهو صادق : « سلونى ، وسلونى ، وسلونى عن كتاب الله ما شئتم .. فوالله ما من آية من آياته الا وأنا أعلم أنزلت فى ليل ، أم فى نهار » .

ولهذا كما رأينا ، فقد وصف التقوى وصفا دقيقا على أساس من القرآن والسنة ، وعلى أساس من معايشته لها فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية التى كانت خلقا عظيما يحتذى به الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

واذا كان قد بدأ الوصف بقوله : « هى الخوف من الجليل » ، فالجليل هو الله سبحانه وتعالى الذى يجب علينا أن نكون على وجل منه سبحانه الى أن نلقاه ، لأنه سبحانه وتعالى هو الذى يعلم حقيقة كل واحد منا .. وهو وحده الذى يقرر اذا كان « فلان » من الأتقياء أم لا . فهو القائل سبحانه :

« فلا تزكوا أنفسكم ، هو أعلم بمن اتقى »(١) .

ولهذا كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه — وهو من هو — اذا مدح يقول : اللهم اجعلنى خيرا مما يظنون ، واغفر لى ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون .

وذلك حتى لا يتسرب الغرور الى قلبه فيكون سببا فى غفلته ، أو تكاسله فى طاعة الله .. اعتمادا على هذا المدح الذى سمعه من هؤلاء المداحين الذين لا يعرفون عنه غير الظاهر فقط :

الله يدرى كل ما تضمر ... يعلم ما تخفى وما تظهر
وان خدعت الناس لم تستطع ... خداع من يطوى ومن ينشر

وفى الحديث القدسى ، يقول الله تبارك وتعالى : « لا أجمع على

---

(١) النجم : ٣٢

عبـــدى خوفين ولا أجمع له أمنين ، اذا أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة ، واذا خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة » رواه ابن المبارك عن الحسن مرسلا • ورواه أبو نعيم عن شداد بن أوس موصولا بلفظ : « ان هو أمننى فى الدنيا أخفته يوم أجمع عبادى ، وان هو خافنى فى الدنيا أمنته يوم أجمع عبادى » •

والحديث ذكره السيوطى فى الجامع الصغير باللفظ الثانى وعزاه الى الحلية ، قال المصنف فى شرحه : ورواه البزار ، والبيهقى عن أبى هريرة •

والمعنى ــ كما يقول فى شرح « الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية »[1] ــ : أن الله سبحانه يخبرنا أنه لا يجمع على عبده خوفين ولا أمنين ، فمن خاف الله تعالى فى الدنيا بأن تباعد عن الذنوب والآثام وأقبل على الطاعات والمندوبات : فان الله لم يخفه يوم القيـــامة من أهوالها وشدائد أحوالها ، وكذلك من أمن عذاب الله فى الدنيا واطمأن بسبب ما يسوله الشيطان له من عظيم عفو الله تعالى فيركن اليه ويسبح فى غمرات الشهوات ويتمتع فى لذات الدنيا ومناهيها ، فان الله سبحانه وتعالى لا يؤمنه يوم القيامة يوم العرض عليـــه بل خفه يوم جمع الناس وعرضهم •

ولا شـــك أنه كلما اشتد خوف العبد من الله فى الدنيا ، كان أبعد عن ارتكاب ما يخل به عقلا وشرعا وعادة ، وكلما قل خوفه كثرت جرأته على المخالفات واتيانها ، فمن كان خوفه فى حياته الدنيا شديدا كان أمنه يوم القيامة أكثر وبالعكس ، وهذا معنى قول بعض العـــارفين : لأن الشخص لمـــا صلى حر مخالفة الهوى فى الدنيا لم يذقه الله كرب الحر فى العقبى •

قال القرطبى : فمن استحى من الله تعالى مما يصنع ، استحى الله عن سؤاله يوم القيامة ولم يجمع عليه حياءين كما لا يجمع عليه خوفين • وقال : الحر الى نار الحق فى الدنيا للمعترف رحمة من عذاب النـــار تفديه من نار السطوة فى الآخرة ، ومحمد عليـــه الصلاة والسلام يعطى الأمن يوم القيامة حتى يتفرغ للشفاعة ، وما ذاك الا من الخوف الذى كان علاه أيام الدنيا فلم يجتمع عليـــه خوفان ، فكل من كان له حـــظ

---

(١) وهو الشيخ محمد منير الدمشقي رحمه الله تعالى .

من اليقين فعاين منه ما ذاق من الخوف بقدر ما ذاق هنا ، قال العارفون : الخوف خوفان ، خوف عقاب وخوف جلال ، والأول يصيب أهل الظاهر ، والثاني يصيب أهل القلوب ، والأول يزول والثـانى لا يزول • والله أعـلم ••



وأما العنصر الثانى ، فى وصف التقوى ، وهو : « العمل بالتنزيل » ، فالمراد بالتنزيل ، أى القرآن الكريم الذى أنزله الله تبارك وتعالى على محمد صلوات الله وسلامه عليـه لكى يكون دستورا دائمـا للأمـة الاسلامية ، ومنهجا قويما ينفذ كل ما فيه من أوامر ، ويجتنب كل ما فيه من منهيات •• الى أن يرث الله الأرض ومن عليهـا •• لأن القـرآن الكريم هو مأدبة الله التى أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بأن نتعلم منها ، ونأخذ منها ما شئنا لمـا شئنا :

ففى مقدمة تفسير القرطبى ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم : « ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ، ان هذا القرآن هو حبل الله المتين ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة من تمسك به ، ونجاة من اتبعه ، لا يعـوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن رد أحدكم ، فاتلوه فان الله يأجركم بكل حرف عشر حسـنات ، أما أنى لا أقول ألم حرف ، ولا ألفين أحدكم واضعا احدى رجليـه يدع أن يقرأ سورة البقرة ، فان الشيطان يفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة ، ان أصفر البيوت من الخير ، البيت الصفر — أى الخـالى — من كتاب الله » •

وروى الترمذى ، وقال حديث صحيح ، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول : يا رب حله ، فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يارب زده ، فيلبس حلة الكرامة ، ثم يقـول : يا رب ارض عنه فيرضى ، فيقول له : اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة » •

وروى أبو داوود عن عبد الله بن عمرو ، قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها » اهـ • القرطبى بتصرف •

فاذكر أخا الاسلام كل هذا ، حتى تكثر من تلاوة القرآن بتدبر .. وحتى تكون مع ذلك ان شاء الله من العاملين به فى كل موقع كنت فيه .. حتى يكون حجة لك لا عليك .

ففى القرآن الكريم يقول تعالى : « **ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة ان تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، انه غفور شكور** »[1] .

ويقول : « **ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم** »[2] .

هذا هو القران نبراس الهدى
دستورك الأسمى المنير المشرق

آياته نبع العلوم جميعها
من قال لا فهو الغبى الأخرق

علم الطبيعة والحياة وحكمة
الايجاد من تبيانه تتدفق

وسياسة الدنيا بأقوم شرعة
بين الورى بسواه لا تتحرك

فيه القضاء لحل كل قضية
عن حلها أهل السياسة أخفقوا

عودوا الى القرآن عودة باحث
ترك الهوى والعقل حر مطلق

وخذوا دساتير الحياة جميعها
من آيه وعلى الخليقة أشفقوا

فهو الدواء لكل أدواء الورى
وهو الطبيب لكل سقم صدقوا

فالغرب لما سار سار بنوره
وعلا وقبل الغرب سار المشرق

يا قوم أحمد مجدكم قرآنكم
فهو الكتاب العالمى الأصدق

* * *

---

(١) فاطر : ٢٩ ، ٣٠ (٢) الاسراء : ٩

فلهذا كان من التقوى أن نعمل بالتنزيل ، لأنه كما عرفنا :

« كتاب الله .. فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا : **« انا سمعنا قرآنا عجبا . يهدى الى الرشد »**[1] من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » حديث شريف رواه الترمذى .

* * *

وأما عن العنصر الثالث فى وصف سيدنا على كرم الله وجهه للتقوى ، وهو : « الاستعداد ليوم الرحيل » : الى الله تبارك وتعالى ، فهو كذلك من أهم ما يجب علينا أن نلاحظه ونكون على أتم استعداد لاستقباله .. لأنه آت لا ريب فيه ان عاجلا وان آجلا :

سيصير المرء يوما جسدا ما فيه روح
بين عينى كل حى علم الموت يلوح
كلنا فى غفلة والموت يغدو ويروح
نح على نفسك يا مسكين ان كنت تنوح
لتموتن وان عمرت ما عمر نوح

ولهذا ، فقد قال أبو العتاهية كذلك مشيرا ومذكرا بتلك الحقيقة التى يجب ألا تغيب أبدا عن قلوبنا حتى نستعد دائما وأبدا لما بعدها :

أنلهوا وأيامنا تذهب ونلعب والموت لا يلعب ؟
عجبت لذى لعب قد لها عجبت ومالى لا أعجب ؟
أيلهو ويلعب من نفسه تموت ومنزله يخرب ؟
نرى كل ما ساءنا دائما على كل ما سرنا يغلب ؟
نرى الليل يطلبنا والنهار ولم ندر أيهما أطلب ؟
أحاط الجديدان جمعا بنا فليس لنا عنهما مهرب ؟
وكل له مدة تنقضى وكل له أثر يكتب ؟

* * *

---

(١) الجن : ١ ، ٢

فالموت كما رأينا وكما هو معلوم لنا جميعا حق لا ريب فيه ولا مفر منه « الموت الموت •• ليس منه فوت •• ان أقمتم أخذكم •• وان فررتم أدرككم •• الموت معقود بنواصيكم »[١] .

ولكنه سيأتيك بغتة ، ولن يكون هناك موعد محدد بينك وبينه •• فقد يأتيك وأنت فى الطريق ، وقد يأتيك وأنت فى بيتك ، أو فى عملك ، أو فى غربة .

وقد قرأت أثرا جاء فى مضمونه : أن رجلا كان يجلس مع سيدنا سليمان عليه السلام فى قصره ببلاد الشام •• فنظر الرجل الى باب المكان الذى يجلس فيه ، فرأى من ينظر من الباب ثم يختفى •• فسأل سليمان عليه السلام عن هذا الذى ينظر ثم يختفى ؟ •• فقال له : يبدو أنه ملك الموت •• فارتعد الرجل وظن أن ملك الموت قد جاء من أجله •• ولهذا طلب من سليمان عليه السلام بحق ما بينه وبينه من أخوة وصداقة : أن يأمر الريح بنقله الى أقصى بلاد الهند بعيدا عن ملك الموت •• — وكان سليمان عليه السلام يعلم مسبقا أنه لن يستطيع أبدا أن يفر من ملك الموت •• فأراد أن يثبت له ولغيره هذا — فأمر الريح فعلا فنقلته الى بلاد الهند •• وبعد فترة وجيزة من الزمان •• عاد ملك الموت الى سليمان عليه السلام •• فسأله : لم كنت هنا من فترة وجيزة ثم ذهبت ثم عدت ؟ فقال له ملك الموت عليه السلام : عندما أتيت الى هنا فى المرة الأولى ورأيت الرجل يجلس معك هنا فى بلاد الشام ، تعجبت ! •• لأننى كنت قد أمرت بقبض روحه بعد لحظات فى أقصى بلاد الهند •• فرأيته هو بنفسه يطلب نقله الى أقصى بلاد الهند وهو يظن أنه يهرب •• مع أنه كان يسهل ما كلفت به !!

والى هـذا يشير الشاعر فى قوله :

اذا ما حمام[٢] المرء كان ببلدة
دعته اليها حاجة فيطير

وصدق الله العظيم فهو القائل :

« أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة »[٣] .

ومن أجمل ما قرأت كذلك ما جاء فى مضمونه : أن رجلا من الصالحين

---

(١) من كلام سيدنا على كرم الله وجهه .
(٢) الحمام بكسر الحاء هو الموت .
(٣) النساء : ٧٨

رأى ملك الموت عليه السلام فى منامه ، فسأله : متى سأموت ؟ فبسط له ملك الموت كفه اليمنى بأصابعها الخمس .. فانتبه من نومه يفكر فى هذه الرؤيا وهو يتساءل بينه وبين نفسه : هل سأموت بعد خمسة أعوام أو شهور أو أسابيع أو أيام أو ساعات أو دقائق أو لحظات ؟ .. ولكنه لم يقتنع بتلك التساؤلات .. فذهب الى أحد الصالحين — وقيل الى الامام مالك رحمه الله — وقص عليه الرؤيا .. ثم طلب منه تفسيرا مقنعا لها .. فقال له الامام مالك : ان ملك الموت عليه السلام يذكرك — ببسطه لكفه — بالآية الكريمة التى يقول الله تبارك وتعالى فيها :

« ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت .. »(١) .



وقد تكون هناك رسل للموت تسبقه الى « فلان » قرب انتهاء أجله .. حتى ينتبه ويبادر بالتوبة الى الله قبل فوات الأوان .. كما جاء فى مضمون هذا الأثر الذى يحكى :

أن ملك الموت عليه السلام كان مؤاخيا ليعقوب عليه السلام .. فقال له سيدنا يعقوب ذات يوم : أريد منك مطلبا أرجو أن تحققه لى بحق ما بيننا من أخوة وصداقة .. قال : وما هو ؟ قال : أن تخبرنى اذا دنا أجلى .. فقال له ملك الموت : لك منى هذا ، ولن أرسل اليك رسولا واحدا ، وانما سأرسل اليك رسولين أو ثلاثة .. وبعد أن اتفقا على هذا ، انصرف ملك الموت ، ثم عاد بعد مدة من الزمان .. فقال له سيدنا يعقوب : أزائرا جئت أم قابضا ؟ فقال : بل قابضا .. فتعجب سيدنا يعقوب — لأنه الى تلك اللحظة التى عاد اليه فيها لم يأته رسول واحد من تلك الرسل الثلاثة التى اتفق معه على ارسالها — ولهذا قال له مذكرا ومعاتبا : وأين رسلك الثلاثة ؟ قال : قد فعلت .. بياض شعرك بعد سواده ، وضعف بدنك بعد قوته ، وانحناء جسمك بعد استقامته ..

هذه رسلى يا يعقوب الى بنى آدم .



(١) لقمان : ٣٤

وقد يقول الأخ الشاب : اذا كان الأمر كذلك •• فاننا نستطيع أن نلهو ونلعب كما نشاء الى أن يأتينا الرسل الثلاثة أو بعضها •• وحينئذ نتوب الى الله ونكثر من فعل الخيرات الى أن نلقى الله •

فأقول لقائل هذا : ان الموت يا أخى لا يترك صغيرا ولا كبيرا •• ما داما قد استوفيا أجلهما •• لأن الله تعالى يقول : « •• **فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ، ولا يستقدمون »**[1] •

واذا كنا نذكر بهذا الأثر الموضوعى ، فلأننا نريد أن يعلم أن الشيخ المسن أنه عندما يبيض شعره ، ويضعف بدنه ، وينحنى ظهره •• فان هـذا سيكون معناه أن الموت قد أصبح على بعد خطوات أو لحظات منه • وذلك حتى يكون دائما وأبدا مستعدا ليوم الرحيل بتلك الأعمال الصالحة التى من الخير له أن يختم له بها •• ففى الحديث الشريف يقول صلوات الله وسلامه عليه : « اذا أراد الله بعبد خيرا استعمله ، قيل : وكيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبـل الموت ثم يقبضه عليه » •

ولهذا كان من الخير ــ كما علمنا ــ أن يكون الاستعداد للموت من جانب الكبير والصغير مستمرا حتى اذا ما انتهت حياة الانسـان هـذا ــ سواء أكان صغيرا أم كبيرا ــ كان فرحا بلقاء الله تبـارك وتعالى كبلال رضى الله عنه الذى روى أنه وهو يحتضر كانت ابنته تبكى بجواره وهى تقول : وا أبتاه ، وا كرباه ، وا حزناه •• فانتبه وهى تقول هـذا •• فزجرها ونهرها وهو يقول لها : لا تقـولى ذلك •• لا كرب على أبيك بعد اليوم •• اليوم نلقى الأحبة محمدا وحزبه •

* * *

ثم الى الشباب والشيوخ أقدم ــ فى نهاية هـذا العنصر الثالث ــ هذه الأبيـات :

تزود من التقوى فانك لا تدرى
اذا جن ليل هل تعيش الى الفجر
فكم من صحيح مات من غير عـلة
وكم من عليـل عاش حينا من الدهر

---

(١) النحل : ٦١

وكم من صغار يرتجى طول عمرهم
وقد دخلت أجســادهم ظلمة القبر
وكم من فتى يمسى ويصبح لاهيـا
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى
وكم من عروس زينــوها لزوجهـا
وقد قبضت روحها ليـلة القـدر

* * *

وأما عن العنصر الأخير فى وصف سيدنا على كرم الله وجهه للتقوى ، وهو : « الرضا بالقليل » ، أى القناعة به ، كما يشير الى هذا قــول أحد الحكماء :

كن غنى القلب واقنــع بالقليــل
مت ولا تطلب معــاشا من لئيــم
لا تكن للعيش مجـروح الفــؤاد
انمـــا الـــرزق على الله الـكريم

وهذا الرضا بالقليل معناه الرضا عن الله ، أو بما قسم الله تعالى ، الذى سيكون معناه الغنى الحقيقى عن جميع الناس ، أو ان شـئت فقل : الذى به ستكون أغنى الناس كما يشير الى هذا قول الرســول صلى الله عليــه وسلم : « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » .

وقوله صلوات الله وسلامه عليه : « ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس وان الله عز وجل يؤتى عبده ما كتب له من الرزق ، فأجملوا فى الطلب ، خذوا ما حل ودعوا ما حرم » رواه أبو يعلى واسناده حسن ان شاء الله .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليــه وسلم ، قال : « ليس لابن آدم حق فى سوى هذه الخصــال : بيت يكنه ، وثوب يوارى عورته ، وجلف الخبز والمــاء » رواه الترمذى والحــاكم وصححاه ، والبيهقى ولفظه :

قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : « كل شىء فضل[1] عن ظل بيت ، وكسر خبز ، وثوب يوارى عورة ابن آدم : فليس لابن آدم فيه حق » : قال الحسن : فقلت لحمران : ما يمنعك أن تأخذ ؟ وكان يعجبه الجمال ، قال : يا أبا سعيد .. ان الدنيا تقاعدت بى ..

---

(١) أى زاد .

فمعنى « بيت يكنه » : أى يؤويه ويقيه الأذى والسرقة ، قال فى النهاية : « السكن ما يرد الحر والبرد من الأبنية والمسكن ، وقد كننته أكنه كنا ، والاسم السكن واستكن استتر » .

ومعنى « فضل عن ظل بيت » : أى زاد ، والفضل الزيادة ، تقول أعطنى من فضل مالك ، أى : مما زاد عن حاجتك .

و « الجلف » بكسر الجيم وسكون اللام بعدهما فاء : هو غليظ الخبز وخشنه ، وقال النضر بن شميل : هو الخبز ليس معه ادام .

ويطلق « الجلف » أيضا على حرف الرغيف وعلى كسر الخبز اليابسة .

وروى الطبرانى من حديث فضالة عن أبى أمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها الناس .. هلموا الى ربكم ، فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، يا أيها الناس انما هما نجدان ، نجد خير ونجد شر ، فما جعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير » ؟ .

« النجد » هنا فى هذا الحديث : الطريق ، ومنه قوله تعالى : **« وهديناه النجدين »**(1) أى الطريقين : طريق الخير وطريق الشر .

و « ما » فى قوله صلى الله عليه وسلم : « فما جعل .. » : استفهامية ، يعنى : أى شىء جعل نفوسكم تميل الى نجد الشر وتؤثره على نجد الخير .

وعن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : « طوبى لمن هدى للاسلام ، وكان عيشه كفافا وقنع » رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح ، والحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، وقال شارح الجامع الصغير : انه حديث صحيح .

فمعنى « طوبى » أى : العاقبة الطيبة ، وقيل : هى شجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام . وقوله : « لمن هدى للاسلام » يشير اليه قوله تعالى : **« فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام »**(2) ، وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن علامة ذلك فقال : « التجافى عن دار الغرور ، والانابة الى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله » .

وحول قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « .. وقنع » ، قال فى

---

(1) البلد : ١٠ (2) الأنعام : ١٢٥

النهاية : « وقد قنع يقنع قنوعا وقناعة بالكسر اذا رضى وقنع بالفتح قنوعا اذا سأل ، ومنه الحديث : « القناعة كنز لا ينفد » لأن الانفاق منها لا ينقطع كلما تعذر عليه شيء من أمور الدنيا قنع بما دونه ورضى ، ومنه الحديث الآخر : « عز من قنع وذل من طمع » لأن القانع لا يذله الطلب ، فلا يزال عزيزا ، وقد تكرر ذكر القنوع والقناعة فى الحديث •

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافا ، وقنعه الله بما آتاه » رواه مسلم والترمذى وابن ماجه •

و « الكفاف » أى الذى ليس فيه فضل عن الكفاية • ومعنى قوله : « وقنعه الله بما آتاه » ، أى : وجعله قانعا وراضيا بما أعطاه سبحانه من الرزق اليسير •

وذلك حتى لا يكون من هؤلاء الذين استطاعت الدنيا أن تتربع على قلوبهم ، حتى أنستهم الله فأنساهم أنفسهم •• وحسبنا اذا أردنا أن نقف على أبعاد هذا •• بل اذا أردنا أن نقف على فضيلة هذا الكفاف أن نقرأ هذا الحديث الشريف :

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا — وفى رواية — كفافا » رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه •

قال فى النهاية موضحا معنى القوت أو الكفاف : « أى بقدر ما يمسك الرمق من المطعم » :

وذلك حتى لا ينسوا الله سبحانه وتعالى ، وحتى يكونوا دائما وأبدا على صلة بالله تبارك وتعالى بسؤالهم اياه أن يرزقهم وأن يكلأهم برعايته وفضله •

ولعلنا نلاحظ أن كثيرا من أغنياء الدنيا لا يسألون الله تعالى ولا يتضرعون اليه بدعوى أنهم لا يريدون شيئا •• مع أنهم لو كانوا من العقلاء حقا لعلموا أن الدنيا لا أمان لها ولا دوام لعزها •• فهى كما يقول القائل : « اذا حلت أوحلت ، واذا جلت أوجلت ، واذا كست أوكست ، واذا دنت أودنت •• » وكم من أناس كانوا يملكون الآلاف •• بل والملايين من أموالها •• ثم أصبحوا الآن لا يملكون شيئا من تلك الأموال ، وكم من أناس كانوا لا يملكون وأصبحوا الآن يملكون ويحكمون •• وتلك سنة الله فى خلقه وفى تلك الحياة الأولى التى يعز

الله فيها من يشاء ويذل من يشاء ، والتي يرفع فيها أقـوااما ويخفض آخرين .

ولهذا كان لابد لكي يكونوا من الأكياس الذين ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة : أن يتعرفوا على الله فى الرخاء حتى يعرفهم فى وقت الشـدة .

وذلك بالتضرع الى الله تعالى وسؤالهم من فضله ، وكذلك بشكرهم لله تبارك وتعالى بالانفاق بشيء من فضله على الفقراء والمساكين الذين هم اخوانهم فى الانسانية والدين ، والذين قد يكونون منهم فى يـوم من الأيام اذا ما أراد الله تبارك وتعالى هذا .

واذا كنت أقول هـذا ، فلأنني أريد أن يعلم الأخ المسلم أن القناعة من صميم التقوى .. لأنها ستمنعه من الظلم لغيره والاسـتيلاء على قوته بسبب الطمع الذى كثيرا ما كان سببا فى ظلم الآخرين والتطلع الى ما فى أيديهم من متاع الحياة الدنيا للاستيلاء عليه ظلما وعدوانا .

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « يقول العبد : مالى مالى ، وانما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو أعطى فاقتنى ، ما سوى ذلك فهو ذاهب ، وتاركه للناس » رواه مسلم .

فلا داعى اذن للطمع وعدم القناعة لأن كل هـذا سيؤدى الى ما لا يحمد عقباه .. وخير لنا جميعا أن نكون من الراضين بما قسم الله تعـالى .

مع ملاحظة أنه لا مانع شرعا أن تبتغى فضلا من ربك .. كمـا يشير الى هذا قول الله تبارك وتعالى :

« ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم »(١) ، حتى ولـو أدى هذا الى السفر الى أبعد مكان طلبا للرزق ، كما يشـير الى هـذا قول الله تبارك وتعالى : **« ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة »**(٢) .

على شريطة ألا يكون هذا سببا فى ضياع الحقـوق التى أنت مكلف بأدائها والحرص على تحقيقها وتيسيرها ، ولا سيما حقوق جسدك ، وزورك ، وزوجك ، وأولادك :

---

(١) البقرة : ١٩٨ (٢) النساء : ١٠٠

فعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، قال : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار » ؟ قلت : بلى ، قال : « فلا تفعل ، قم ونم ، وصم وأفطر ، فان لجسدك عليك حقا ، وان لزورك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا » رواه البخارى .

فقياسا على هذا الحديث الصحيح ، نقول لك : اذا كنت ستبتغى فضل ربك — بالاضافة الى أعمالك الأساسية أو الوظيفية بعد فراغك — لا مانع ما دمت ستؤدى لكل ذى حق حقه . وما دمت كذلك لن تنشغل به عن أداء فريضة الصلاة وفى أوقاتها .. ففى وصية من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم ، يقول لرجل سأله أن يوصيه عندما رآه مشغولا بدنياه : « لا تتشاغل عما فرض عليك بما ضمن لك : فانه ليس بفائتك ما قسم لك ، ولست بلاحق ما زوى عنك » .

وحسبك يا أخى اذا أردت أن تكون رجلا بمعنى الكلمة : أن تكون من هؤلاء الذين تحدث الله عنهم فى قوله : **« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب »**(١) .

* * *

والآن .. وبعد أن شرحت لك وصف سيدنا على كرم الله وجهه للتقوى — بما أفاض الله على به — وبما هو ثابت فى كتاب الله وسنة رسوله : أريد أن أجمل لك موضوع التقوى ، حتى لا تنساه ان شاء الله ، وحتى تكون من المتقين الصادقين ، أو الصادقين المتقين :

وذلك بتذكيرك بآية كريمة جمع الله تعالى فيها أهم صفات المتقين ، فقال :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون »(٢) :

---

(١) النور : ٣٧ ، ٣٨

(٢) البقرة : ١٧٧

فهذه الآية الكريمة ــ على ايجازها ــ صورت جميع مكارم الأخلاق . فقد جمعت بين الايمان والعمل ، وبين حقوق الله وحقوق العباد ، وبين جهاد النفوس وجهاد الأعداء ، وبين صلاح الأفراد والجماعات .

واذا كان الله تعالى قد قال فى آخرها بعد ذكر صفات أهل البر : « **أولئك الذين صدقوا** .. » ، أى : فى ايمانهم وادعاء البر .

والصدق فى الآية كذلك : هو الاخلاص الذى يطلب فى العبادات والمعاملات .

« **وأولئــك هم المتقون** » ، أى : الكاملون فى التقــوى ، التى هى الخوف من الله تعالى ، فاذا امتلأ بها قلب العبد أخلص لربه فى السر والعلن ، والغضب والرضا ، والحب والبغض ، واليسر والعسر .



ولهذا .. فقد أوصانا الرسول صلى الله عليه وسلم فى نص الوصية التى ندور حولها بتقوى الله تعالى ، فقال : « اتقــوا الله » ثم قال : « وصلوا خمسكم » ، أى : الصلوات الخمس المفروضة عليكم ، فى كل يوم وليلة خمس مرات ، والتى فرضها الله تعالى عليكم فى ليلة الاسراء والمعراج [1] وبدون واسطة ومن فوق سبع سموات كهدية من الله تبارك وتعالى لهذه الأمة المحمدية التى جعلها الله تبارك وتعالى : « .. **خير أمة أخرجت للناس** .. » .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، قال لمعــاذ حين أرسله الى اليمن : « انك ستأتى قوما أهل كتاب فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ، فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله تعالى قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليله » .. الحديث ، أخرجه البخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « فرضت على النبى صلى الله تعــالى عليه وعلى آله وسلم الصلوات ليلة أسرى به خمسين ، ثم نقصت حتى جعلت خمسا ، ثم نودى : يا محمــد .. انه لا يبدل القول لدى ، وان لك بهذه الخمس خمسين » . أخرجه أحمد والنسائى والترمذى وصححه .

---

(١) قبل الهجرة بسنة ونصف .

وفى رواية الصحيحين : « هى خمس وهى خمسون » أى أنها خمس فى العدد وخمسون فى الأجر : **« من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها »**[١] ..

وقد أشار الله تعالى فى قرآنه الكريم ، الى تحديد كل وقت من أوقات الصلوات الخمس ، فقال : **« وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل »**[٢] .

فطرفا النهار : أوله وآخره ، فيشمل صلاة الصبح والظهر والعصر ، على التحقيق . **« وزلفا من الليل »** أى : وفى أوائله ، فيشمل المغرب والعشاء .

وقال تعالى : **« أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ، ان قرآن الفجر كان مشهودا »**[٣] .

فدلوك الشمس فى اللغة : ميلها عن وسط السماء ، جهة الغرب ، على الأصح .. ويستمر الدلوك الى الغروب ، فيشمل صلاة الظهر والعصر .

وغسق الليل : أى ظلمته ، فيدخل فيه المغرب والعشاء .

وقرآن الفجر : أى صلاة الفجر . وقد سميت الصلاة قرآنا لكثرة ما يقرأ فيها منه .

قال القرطبى : ذكر الله سبحانه فى كتاب الصلاة ، بركوعها ، وسجودها ، وقيامها ، وقراءتها ، وأسمائها ، فقال : **« أقم الصلاة لدلوك الشمس .. »**[٤] .

وقال : **« فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون »**[٥] .

وقال : **« وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها »**[٦] .

وقال : **« .. اركعوا واسجدوا .. »**[٧] .

وقال : **« وقوموا لله قانتين »**[٨] .

وقال : **« واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا »**[٩] .

---

(١) الأنعام : ١٦٠
(٢) هود : ١١٤
(٣) الاسراء : ٧٨
(٤) الاسراء : ٧٨
(٥) الروم : ١٧ ، ١٨
(٦) طه : ١٣٠
(٧) الحج : ٧٧
(٨) البقرة : ٢٣٨
(٩) الأعراف : ٢٠٤

وقال : « **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ..** »(١) .. أى بقراءتك . وهذا كله مجمل ، أجمله — سبحانه — فى كتابه ، وأحال على نبيه فى بيانه فقال جل ذكره :

« **وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم** »(٢) ، فبين صلى الله عليه وسلم مواقيت الصلاة ، وعدد الركعات ، والسجدات ، وصفة جميع الصلوات : فرضها وسننها ، وعددها ، وما لا تصح الصلاة الا به من الفرائض ، وما يستحب فيها من السنن والفضائل ، فقال كما ورد فى صحيح البخارى : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » ، ونقل ذلك عنه الكافة ، عن الكافة ، على ما هو معلوم ، ولم يمت النبى صلى الله عليه وسلم حتى بين جميع ما بالناس الحاجة اليه . فكمل الدين ، وأوضح السبيل ، قال الله تعالى : « **.. اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ..** »(٣) انتهى(٤) .

* * *

وتحت عنوان :

حكمة تفريق الصلوات الخمس على ساعات النهار والليل

أعجبنى ما كتبه صاحب كتاب « الفقه الواضح »(٥) ، حيث يقول :

لعل الله عز وجل فرق الصلوات الخمس على سائر ساعات النهار والليل ليكون العبد على اتصال دائم بخالقه ، ورازقه ، ومدبر أمره ، فلا تتخطفه الشياطين ، ولا تتفرق به السبل ، ولا تلعب به الأهواء ، ولا تطغى عليه الشهوات ، ولا تلهيه شواغل الدنيا ، عن ذكر ربه تعالى ، ولكى يتزود الانسان من الصلاة الى الصلاة بطاقة روحية ، تجدد فيه الأمل والرجاء ، فى رحمة رب الأرض والسماء ، وتبعث فيه الحيوية والنشاط .

وقد فرق — الله سبحانه — الصلوات الخمس على ساعات النهار والليل — أيضا — ، تيسيرا على عباده ، فلو جمعها عليهم فى وقت واحد ، لكان عليهم فى أدائها عسر ومشقة ، والله لا يريد بعباده الا اليسر .

---

(١) الاسراء : ١١٠ (٢) النحل : ٤٤ (٣) المائدة : ٣

(٤) انتهى أى ما قاله القرطبى فى تفسيره ص ١١٢ وما بعدها ج ٩ ، طبعة دار الكتب المصرية .

(٥) وهو الشيخ محمد بكر اسماعيل . أكرمه الله .

ولو جمع الله الصلاة فى وقت واحد ـ كذلك ـ لفات كثيرا من الناس حضور الجماعة ، اذ ليس كل الناس يفرغ من عمله فى وقت واحد ، ولو تفرغوا فى وقت واحد لتعطل كثير من الأعمال •

وبتفريق الصلاة على هذا النحو ، يتيح للعبد اذا فاتته صلاة فى جماعة ، أن يدرك الأخرى ، فيحصل له ثواب الجماعة ، ولا تفوته مزاياها •

وهناك حكمة أخرى ، لا ينبغى أن تغيب عنا ، وهى : أن الصلوات الخمس كفارات للخطايا ، والعبد يخطىء الفينة[1] بعد الفينة ، فاذا ما أخطأ ، جاءت الصلاة ، فمحت هذا الخطأ كما يمحو الماء وسخ الثياب •

روى الطبرانى ، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تحترقون[2] تحترقون ، فاذا صليتم الصبح غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون ، فاذا صليتم الظهر غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون ، فاذا صليتم العصر غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون ، فاذا صليتم المغرب غسلتها ، ثم تحترقون تحترقون ، فاذا صليتم العشاء غسلتها • ثم تنامون فلا يكتب عليكم حتى تستيقظوا » •

* * *

هذا بالاضافة ، الى أن :

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

أى تدفع العبد دفعا الى طاعة الله عز وجل ، وتقوده الى رضوانه ، وتنأى به ـ أى تبتعد ـ عن المعاصى والمنكرات ، وتبغضه فى كل عمل يغضب الله تعالى ، الذى يقول : **« اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر •• »**[3] •

وانما تنهى الصلاة صاحبها عن الفحشاء والمنكر ، اذا أداها بخشوع ، وخضوع ، واخلاص ، وحافظ عليها فى أوقاتها ، وأتم ركوعها ، وسجودها ، ولم ينقرها كنقر الغراب ، ووجد فيها روحه وريحانه ، ولم يدخلها وهو كاره لها ، أو متثاقل فى أدائها •

---

(١) أى الوقت بعد الوقت .

(٢) اى تفعلون من الذنوب ما يوجب احتراقكم فى النهار ، وكرر كلمة تحترقون للتأكيد ، وفى هذا التأكيد اشارة الى كثرة ما يقع منا من الذنوب . والله أعلم .

(٣) العنكبوت : ٤٥

قال القرطبى : لا سيما وان أشعر نفسه أن هــذا ربما يكون آخر عمله ، وهذا أبلغ فى المقصود ، وأتم فى المراد ، فان الموت ليس له رسن محدود ، ولا زمن مخصوص ، ولا مرض معلوم ، وهذا مما لا اخــلاف فيه • وروى عن بعض السلف أنه كان اذا قام الى الصلاة ارتعد ، واصفر لونه ، فكلم فى ذلك ، فقال : انى واقف بين يدى الله تعــالى • وحق لى هذا مع ملوك الدنيــا ، فكيف مع ملك الملوك ؟ •• فهذه صلاة تنهى — ولابد — عن الفحشاء والمنكر ، ومن كانت صلاته دائرة حول الاجزاء[1] ، لا خشوع فيها ، ولا تذكر ، ولا فضائل ، كصلاتنا — وليتها تجزى — فتلك تترك صاحبها من منزلتــه حيث كان ، فان كان على طريقه معاص تبعده من الله تعالى ، تركته الصــلاة يتمادى على بعده ، وعلى هذا يخرج الحديث المروى عن ابن عباس ، وابن مسعود ، والحسن ، والأعمش ، قولهم : « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم تزده من الله الا بعدا ، ولم يزدد بها الا مقتا »[2] انتهى[3] •

ومعنى الحديث — كما قال القرطبى — : أن مرتكب الفحشــاء والمنكر ، لا قدر لصلاته ، لغلبة المعاصى عليه •

ومعنى الحديث — كما قال القرطبى — : أن مرتكب الفحشــاء

« **ولذكر الله أكبر** » أى : أن ذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم ، أكبر من ذكركم له فى عبادتكم وصلواتكم •• وهذا القول هو قول ابن مسعود ، وابن عباس ، وأبى الدرداء ، وجمع من الصحابة — رضى الله عنهم — وهو اختيار الطبرى •

ويؤيده ما روى مرفوعا الى النبى صلى الله عليــه وسلم ، من حديث موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وســلم ، قــال فى قول الله عز وجــل : « **ولذكر الله أكبــر** » قال : « ذكر الله اياكم ، أكبر من ذكركم اياه » •

واذا صح هــذا الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فالقول

---

(١) أى يقصد منها اسقاط الفرض وكفى ، دون النظر الى مرضاة الله تعالى ، والتقرب اليه بها .

(٢) أى بغضا وسخطا .

(٣) أى كلام القرطبى فى تفسيره ج ١٣ ص ٣٤٨ طبعة دار الكتب المصرية .

(٤) « •• **ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ••** » (العنكبوت : ٤٥) .

ما قاله .. وكل قول خالف قول النبى صلى الله عليــه وسلم ، لا يعد شــيئا .

ويؤيد هــذا الحديث ــ ان صح ــ قول الله تبارك وتعــالى : **« فاذكرونى أذكركم »**(١) .

* * *

ثم يشير بعد ذلك فى الفقه الواضح ، الى فائدة أخرى من فوائد الصلاة ، فيقول متسائلا :

لم كانت الصلاة دون غيرها من العبادات ، تنهى عن الفحشــاء والمنكر ؟

ثم يجيب قائلا : لأن الصلاة ذكر ، بل هى الذكر الأكبر . والله سبحانه وتعالى يقول :

« الذين آمنــوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، آلا بذكر الله تطمئن القلوب »(٢) .

ولا ريب أن القلوب المطمئنة بذكر الله ، مستنيرة بنور الله ، فلا يكون للشيطان اليها ســبيل ، لأن الشيطان لا يدخل قلبا قد استنار بنور الله . قال تعــالى : **« أن عبادى ليس لك عليهم سلطان ، وكفى بربك وكيلا »**(٣) .

ثم ان القلب المستنير بنور الله يرى الأشياء على حقيقتها : يرى الحق حقا فيتبعه ، والباطل باطلا ، فيبتعد عنه .. والله أعلم .

ثم يتابع بعد ذلك قوله ، فيقول تحت عنوان :

الصلاة مكفرة للذنوب

والصلاة التى يقبل العبد فيها على ربه ، بقلب خالص ، ويؤديها كما ينبغى : تكفر الذنوب ، وتمحو الخطايا ، وترفع الدرجات .. قــال تعــالى :

« وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليــل ، ان الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين »(٤) .

والمراد بالحسنات ــ هنا ــ الصلوات الخمس .

والمراد بالسيئات : الصغائر .

---

(١) البقرة : ١٥٢
(٢) الرعد : ٢٨
(٣) الاسراء : ٦٥
(٤) هــود : ١١٤

أقول : والصغائر يكفرها الصلوات الخمس ، والجمعة الى الجمعة : بدليل قوله صلى الله عليـه وسلم : « الصلوات الخمس ، والجمعة الى الجمعة : كفارة لمـا بينهن ، ما لم تغش الكبائر » رواه مسلم .

ويكفرها كذلك الاستغفار وقراءة القرآن ، والصدقات .. وكل عمل صالح نتقرب به الى الله تعالى بصدق واخلاص :

على شريطة ــ كما يشير الحديث ــ أن نجتنب الكبائر ، وهى ما ورد فيها تحذير شديد ، وغلظت عقوبتها ، وأكبر الكبائر : الشرك بالله ، ويليــه : قتل النفس بغير حق ، والزنا ، والسرقة ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، وشرب الخمر ، وعقوق الوالدين ، والفرار من الزحف ــ أى من ميدان المعركة ضد أعداء الاسلام ــ وعمل السحر ، والكذب ، وقول الزور ، وتبذير المـال فى غير محله ، والقذف ، وهو : رمى العفيف أو العفيفة بالزنـا ..



وقد جمع أبو طالب المكى رحمه الله تعالى ــ الكبائر ــ على النحو التـالى :

أربعة فى القلب ، وهى : الشرك بالله تعالى ، والاصرار على معصية الله تعالى ، والقنوط من رحمة الله تعالى ، والأمن من مكر الله تعالى .

وأربعة فى اللسان ، وهى : شهادة الزور ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، واليمين الغموس ، والسحر .

وثلاثة فى البطن ، وهى : شرب الخمر ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا وهو يعلم .

واثنان فى اليدين ، وهما : القتل ، والسرقة .

واثنان فى الفرج ، وهما الزنا ، واللواط .

وواحدة فى الرجل ، وهى : الفرار من الزحف .

وواحدة فى جميع البدن ، وهى : عقوق الوالدين .

فيشترط ــ كما عرفت ــ أن تجتنب هذه الكبائر ، اذا أردت أن يغفر الله تعالى لك الصغائر التى يكفرها كذلك الوضوء :

فعن عبد الله الصنابحى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا توضأ العبد فمضمض خرجت الخطايا من فيــه ،

فاذا استنثر[1] خرجت الخطايا من أنفه ، فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه[2] ، فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه ، فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه[3] ، فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ، ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة » — أى زائدة — رواه مالك والنسائى ، وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، ولا علة له ، والصنابحى : صحابى مشهور . وقال الشوكانى فى « نيل الأوطار » الحديث رجاله رجال الصحيح .

* * *

فلاحظ أخا الاسلام هذا الشرط — وهو اجتناب الكبائر — لأن الله تعالى قد اشترطه أساسا فى قرآنه ، فقال : **« ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما »**[4] .

مع ملاحظة كذلك أن الكبائر لا يكفرها الا التوبة الصادقة ، وبتلك الشروط التى ذكرها الامام النووى فى كتابه « رياض الصالحين » حيث يقول :

اذا كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى ولا تعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية .

الثانى : أن يندم على فعلها .

الثالث : أن يعزم على أن لا يعود اليها أبدا . فاذا فقد أحد الثلاثة لا تقبل توبته .

وان كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة : هذه الشروط الثلاثة السابقة ، وأن يبرأ من حق صاحبها :

---

(١) أخرج الماء من أنفه ، ويكون بعد الاستنشاق الذى هو جذب الماء الى الأنف .

(٢) أى من تحت جفونهما .

(٣) وهذا دليل على أن الأذنين من الرأس ، وأنهما يمسحان معه ببقية ماء الرأس ، وهو مذهب سفيان الثورى وأبى حنيفة ، وذهب مالك والشافعى وأحمد وأبو ثور الى أنه يؤخذ لهما ماء جديد .

(٤) النساء : ٣١

فان كان مالا أو نحوه رده اليه ، وان كان حد قذف ونحوه مكنه منه ، أو طلب عفوه ، وان كانت غيبة استحله منها[١] .

ويجب أن يتوب من جميع الذنوب .. فان تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقى عليه الباقى .

* * *

وأختم الموضـوع هـذا بأن النبى صلى الله عليـه وسلم قد شبه الصلوات الخمس فى محوها للذنوب ، بنهر جار ، يغتسل منه المسـلم فى اليوم والليلة خمس مرات ، فقال عليـه الصلاة والسلام :

« أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم ، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء !! قال : فكذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا » رواه البخارى ومسلم .

وقد روى مسلم ــ فى صحيحه ــ عن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، يقول : « ما من امرىء تحضره صلاة مكتوبة ، فيحسن وضوءها ، وخشوعها ، وركوعها ، الا كانت كفارة لمـا قبلها من الذنوب ، ما لم تؤت كبيرة ، وذلك الدهر كلـه » .

* * *

فلتكن أخا الاسلام متذكرا لكل هـذا ، حتى تكون مؤديا للصلوات الخمس وفى أوقاتها بكل أدب وخشـوع يضمن لك الفلاح المشار اليه فى قول الله تبارك وتعالى :

« قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صـلاتهم خاشعون »[٢] ،
ولن يتحقق الخشوع هـذا الا اذا كان المصلى فى صلاته وبين يدى الله تبارك وتعالى : بقلبه قبل قالبه ، والا كان مصل لاه ، كما يشير الى هذا قول المرزبانى رحمة الله تعالى عليه :

يحتاج المصلى الى أربع خصال حتى ترتفع صلاته :
حضور القلب ، وشهود العقـل ، وخضوع الأركان ، وخشـوع الجوارح :

---

(١) أى طلب منه المسامحة . (٢) المؤمنون : ١ ، ٢

فمن صلى بلا حضور قلب : فهو مصل لاه ، ومن صلى بلا شهود عقل : فهو مصل ساه ، ومن صلى بلا خضوع الأركان : فهو مصل جاف ، ومن صلى بلا خشوع الجوارح : فهو مصل خاطىء ، ومن صلى بهذه الأركان : فهو مصل واف .

* * *

ولتكن كذلك منفذا لما أوصاك الرسول صلى الله عليه وسلم — بعد ذلك — فى نص الوصية ، بقوله الموجه الينا جميعا نحن المؤمنين ان شاء الله :

« وصوموا شهركم » ، أى : شهر رمضان المبارك ، الذى كتب — أى فرض — الله تعالى علينا صيامه كما كتبه على الذين من قبلنا ، فقال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »**(١) .

* * *

وحول هذه الآية الكريمة ، أشار القرطبى فى تفسيره لها الى عدة ملاحظات ، منها : باختصار وتصرف :

أن الله تعالى كتب على المؤمنين المكلفين الصيام وألزمهم اياه ، وأوجبه عليهم ، ولا خلاف فيه ، بدليل هذه الآية الكريمة ، وبدليل قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه ابن عمر : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج » .

وأن الصيام فى اللغة : الامساك وترك التنقل من حال الى حال . ويقال للصمت صوم ، لأنه امساك عن الكلام ، قال الله تعالى مخبرا عن مريم عليها السلام : **« .. انى نذرت للرحمن صوما »**(٢) أى سكوتا عن الكلام .

وأن الصوم فى الشرع : الامساك عن المفطرات مع اقتران النية به من طلوع الفجر الى غروب الشمس ، وتمامه وكماله باجتنابه المحظورات ، وعدم الوقوع فى المحرمات ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه من أجله » .

---

(١) البقرة : ١٨٣ (٢) مريم : ٢٦

وأن فضل الصوم عظيم ، وثوابه جسيم ، جاءت بذلك أخبار كثيرة صحاح وحسان ذكرها الأئمة فى مسانيدهم •• ويكفيك الآن منها فى فضل الصوم أن خصه الله بالاضافة اليه كما ثبت فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال مخبرا عن ربه : « يقول الله تبارك وتعالى : كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » •• الحديث •

وانما خص الصوم بأنه له ، وإن كانت العبادات كلها له لأمرين باين الصوم بهما سائر العبادات ، أحدهما : أن الصوم يمنع من ملاذ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه سائر العبادات • الثانى : أن الصوم سر بين العبد وبين ربه لا يظهر الا له ، فلذلك صار مختصا به • وما سواه من العبادات ظاهر ربما فعله تصنعا ورياء فلهذا صار أخص بالصوم من غيره • وقيل غير هذا •

وأن قوله تعالى : « **كما كتب** •• » ، الكاف — فيه — فى موضع نصب على النعت ، والتقدير كتابا كما ، أو صوما كما • أو على الحال من الصيام ، أى كتب عليكم الصيام مشبها كما كتب على الذين •••

وقال بعض النحاة : الكاف فى موضع رفع نعتا للصيام ، اذ ليس تعريفه بمحض ، لمكان الاجمال الذى فيه بما فسرته الشريعة ، فلذلك جاز نعته بـ « كما » اذ لا ينعت بها الا النكرات ، فهو بمنزلة : كتب عليكم صيام • وقد ضعف هذا القول • و « ما » فى موضع خفض وصلتها : « **كتب على الذين من قبلكم** » والضمير فى كتب يعود على « ما » • واختلف أهل التأويل فى مواضع التشبيه ، وهى :

قول الشعبى وقتادة وغيرهما : أن التشبيه يرجع الى وقت الصوم وقدر الصوم ، فان الله تعالى كتب على موسى وعيسى — عليهما السلام — صوم رمضان فغيروا وزاد أحبارهم عليهم عشرة أيام ، ثم مرض بعض أحبارهم فنذر ان شفاه الله أن يزيد فى صومهم عشرة أيام ففعل ، فصار صوم النصارى خمسين يوما ، فصعب عليهم فى الحر فنقلوه الى الربيع • واختار هذا القول النحاس وقال : وهو أشبه بـ « ما » فى الآية • وفيه حديث يدل على صحته أسنده عن دغفل بن حنظلة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « كان على النصارى صوم شهر فمرض رجل منهم ، فقالوا : لئن شفاه الله لنزيدن عشرة ، ثم كان ملك آخر فأكل لحما فأوجع فاه ، فقالوا : لئن شفاه الله لنزيدن سبعة ، ثم كان ملك

آخر ، فقالوا : لنتمن هذه السبعة الأيام ، ونجعل صومنا فى الربيع ، قال : فصار خمسين » .

وقال مجاهد : كتب الله عز وجل صوم شهر رمضان على كل أمة . وقيل : أخذوا بالوثيقة[1] فصاموا قبل الثلاثين يوما وبعدها يوما قرنا بعد قرن ، حتى بلغ صومهم خمسين يوما ، فصعب عليهم فى الحر فنقلوه الى الفصل الشمسى . قال النقاش : وفى ذلك حديث عن دغفل بن حنظلة والحسن البصرى والسدى .

ثم يقول القرطبى : قلت : ولهذا — والله أعلم — كره صوم يوم الشك والستة من شوال باثر يوم الفطر متصلا به . قال الشعبى : لو صمت السنة كلها لأفطرت يوم الشك ، وذلك أن النصارى فرض عليهم صوم شهر رمضان كما فرض علينا فحولوه الى الفصل الشمسى لأنه قد كان يوافق القيظ — أى الحر — فعدوا ثلاثين يوما . ثم جاء بعدهم قرن فأخذوا بالوثيقة لأنفسهم فصاموا قبل الثلاثين يوما وبعدها يوما . ثم لم يزل الآخر يستن بسنة من كان قبله حتى صاروا الى خمسين يوما ، فذلك قوله تعالى : **« كما كتب على الذين من قبلكم »** .

وقيل : التشبيه راجع الى أصل وجوبه على من تقدم لا فى الوقت والكيفيـــة .

وقيل : التشبيه واقع على صفة الصوم الذى كان عليهم من منعهم من الأكل والشرب والنكاح ، فاذا حان الافطار فلا يفعل هذه الأشياء من نام . وكذلك كان فى النصارى أولا وكان فى أول الاسلام ، ثم نسخه الله تعالى بقوله : **« أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم »**[2] . قاله السدى وأبو العالية والربيع .

وقال معاذ بن جبل وعطاء : التشبيه واقع على الصوم لا على الصفة ولا على العدة وان اختلف الصيامان بالزيادة والنقصان . المعنى : كتب عليكم الصـــيام أى فى أول الاسلام ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عاشوراء ، كما كتب على الذين من قبـــلكم وهم اليهود — فى قـــول ابن عباس — ثلاثة أيام ويوم عاشورا . ثم نسخ هـــذا فى هذه الأمة بشهر رمضان . وقال معاذ بن جبل : نسخ ذلك بـــ **« أياما معدودات »** ثم نسخت الأيام برمضان .

---

(١) الوثيقة : الاحكام فى الأمر . والذى فى الطبرى فأخذوا بالثقة من أنفسهم .

(٢) البقرة : ١٨٧

وأن معنى قوله تعالى : ((**لعلكم تتقون**)) : فقيل : معناه هنا تضعفون ، فانه كلما قل الأكل ضعفت الشهوة ، وكلما ضعفت الشهوة قلت المعاصى • وهذا وجه مجازى حسن • وقيل : لتتقوا المعاصى • وقيل : هو على العموم ، لأن الصيام كما قال عليه السلام جنة ووجاء وسبب تقوى لأنه يميت الشهوات •

أقـول : ولهذا فقد أوصى به الرسـول صلى الله عليه وسـلم الشباب بصفة خاصة فقال : « يا معشر الشباب •• من استطاع منكم الباءة[1] فليتزوج فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليـه بالصوم فانه له وجاء »[2] •

وأن معنى قوله تعالى : ((أياما معدودات)) : أياما ، مفعول ثان بكتب ، قاله الفراء ، وقيل : نصب على الظرف لكتب ، أى : كتب عليكم الصيام فى أيام • والأيام المعدودات : شهر رمضان ، وهـذا يدل على خلاف ما روى معاذ ، والله أعلم •

***

ثم ينتقل « القرطبى » بعد ذلك الى الأحكام الفقهيـة المتعلقة بالصيام ، من خلال قول الله تبارك وتعالى :

((•• فمن كان منكم مريضـا أو على سفر فعدة من أيام أخـر ، وعلى الذين يطيقونه فديـة طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصـوموا خـير لكم ، آن كنتم تعلمون))[3] فيقول : قوله تعالى : **((مريضـا))** ، للمريض حالتان : احداهما : ألا يطيق الصوم بحال ، فعليه الفطر واجبا • الثانية : أن يقدر على الصوم بضرر ومشقة ، فهذا يستحب له الفطر ولا يصوم الا جاهل • قال ابن سيرين : متى حصل الانسان فى حال يستحق بها اسم المرض صح الفطر قياسا على المسافر لعلة السفر وان لم تدع الى الفطر ضرورة • قال طريف بن تمام العطاردى : دخلت على محمد بن سيرين فى رمضان وهو يأكل ، فلما فرغ قال : انه وجعت أصبعى هذه •

وقال جمهور من العلماء : اذا كان به مرض يؤلمه ويؤذيه أو يخاف تماديه أو يخاف تزيده صح له الفطر • قال ابن عطيـة : وهذا مذهب

---

(١) الباءة : أى المنزل والنفقة وأعباء الزواج .

(٢) رواه البخارى ومسلم واللفظ له .

(٣) البقرة : ١٨٤ والتى أولها : **((أياما معدودات))** .

حذاق أصحاب مالك وبه يناظرون • وأما لفظ مالك فهو المرض الذى يشق على المرء ويبلغ به • وقال ابن خويز منداد : واختلفت الرواية عن مالك فى المرض المبيح للفطر ، فقال مرة : هو خوف التلف من الصيام • وقال مرة : شدة المرض والزيادة فيه والمشقة الفادحة • وهذا صحيح مذهبه وهو مقتضى الظاهر ، لأنه لم يخص مرضا من مرض فهو مباح فى كل مرض ، الا ما خصه الدليل من الصداع والحمى والمرض اليسير الذى لا كلفة معه فى الصيام • وقال الحسن : اذا لم يقدر فى المرض على الصلاة قائما أفطر • وقاله النخعى • وقالت فرقة : لا يفطر بالمرض الا من دعته ضرورة المرض نفسه الى الفطر ومتى احتمل الضرورة معه لم يفطر • وهذا قول الشافعى رحمه الله تعالى •

ثم يقول القرطبى مرجحا : قلت : قول ابن سيرين أعدل شيء فى هذا الباب ان شاء الله تعالى • قال البخارى : اعتللت — أى مرضت — بنيسابور علة خفيفة وذلك فى شهر رمضان ، فعادنى اسحاق بن راهويه فى نفر من أصحابه ، فقال لى : أفطرت يا أبا عبد الله ؟ فقلت : نعم • فقال : خشيت أن تضعف عن قبول الرخصة • قلت : حدثنا عبدان عن ابن المبارك عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : من أى المرض أفطر ؟ قال : من أى مرض كان ، كما قال الله تعالى : « **فمن كان منكم مريضا** » قال البخارى : وهذا الحديث لم يكن عند اسحاق • وقال أبو حنيفة : اذا خاف الرجل على نفسه وهو صائم ان لم يفطر أن تزداد عينه وجعا أو حماه شدة أفطر •

وقوله تعالى : « **أو على سفر** » : اختلف العلماء فى السفر الذى يجوز فيه الفطر والقصر — فى الصلاة الرباعية — بعد اجماعهم على سفر الطاعة كالحج والجهاد ، ويتصل بهذين صلة الرحم وطلب المعاش الضرورى • وأما سفر التجارات والمباحات فمختلف فيه بالمنع والاجازة ، والقول بالجواز أرجح • وأما سفر العاصى فيختلف فيه بالجواز والمنع ، والقول بالمنع أرجح ، قاله ابن عطية •

ومسافة القصر عند مالك : حيث تقصر الصلاة • واختلف العلماء فى قدر ذلك ، فقال مالك : يوم وليلة • ثم رجع فقال : ثمانية وأربعون ميلا — قال ابن خويز منداد : وهو ظاهر مذهبه — وقال مرة : اثنان وأربعون ميلا • وقال مرة : ستة وثلاثون ميلا • وقال مرة : مسيرة يوم وليلة • وروى عنه يومان ، وهو قول الشافعى • وفصل مرة بين

البر والبحر فقال : فى البحر مسيرة يوم وليلة ، وفى البر ثمانية وأربعون ميلا • وفى المذهب ثلاثون ميلا • وفى غير المذهب ثلاثة أميال • وقال ابن عمر وابن عباس والثورى : الفطر فى سفر ثلاثة أيام ، حكاه ابن عطية •

ثم يقول القرطبى بعد ذلك : قلت : والذى فى البخارى : وكان ابن عمر وابن عباس يفطران ويقصران فى أربعة برد ، وهى ستة عشر فرسخا •

وقد اتفق العلماء على أن المسافر فى رمضان لا يجوز له أن يبيت الفطر ، لأن المسافر لا يكون مسافرا بالنية بخلاف المقيم ، وانما يكون مسافرا بالعمل والنهوض ، والمقيم لا يفتقر الى عمل ، لأنه اذا نوى الاقامة كان مقيما فى الحين لأن الاقامة لا تفتقر الى عمل فافترقا • ولا خلاف بينهم أيضا فى الذى يؤمل السفر أنه لا يجوز أن يفطر قبل أن يخرج ، فان أفطر فقال ابن حبيب : ان كان قد تأهب لسفره وأخذ فى أسباب الحركة فلا شىء عليه• وحكى ذلك عن أصبغ وابن الماجشون • فان عاقه عن السفر عائق كان عليه الكفارة ، وحسبه أن ينجو ان سافر • وروى عيسى عن ابن القاسم أنه ليس عليه الا قضاء يوم ، لأنه متأول فى فطره • وقال أشهب : ليس عليه شىء من الكفارة سافر أو لم يسافر • وقال سحنون : عليه الكفارة سافر أو لم يسافر ، وهو بمنزلة المرأة تقول : غدا تأتينى حيضتى فتفطر لذلك • ثم رجع الى قول عبد الملك وأصبغ وقال : ليس مثل المرأة ، لأن الرجل يحدث السفر اذا شاء ، والمرأة لا تحدث الحيضة •

ثم يقول القرطبى : قلت : قول ابن القاسم وأشهب فى نفى الكفارة حسن ، لأنه فعل ما يجوز له فعله والذمة بريئة فلا يثبت فيها شىء الا بيقين ولا يقين مع الاختلاف ، ثم انه مقتضى قوله تعالى : **« أو على سفر »** •

وقال أبو عمر : هذا أصح أقاويلهم فى هذه المسألة ، لأنه غير منتهك لحرمة الصوم بقصد الى ذلك وانما هو متأول ، ولو كان الأكل مع نية السفر يوجب عليه الكفارة لأنه كان قبل خروجه ما أسقطها عنه خروجه • فتأمل ذلك تجده كذلك ان شاء الله تعالى • وقد روى الدارقطنى حدثنا أبو بكر النيسابورى حدثنا اسماعيل بن اسحاق بن سهل بمصر قال : حدثنا ابن أبى مريم حدثنا محمد بن جعفر أخبرنى زيد

ابن أسلم ، قال : أخبرنى محمد بن المكندر عن محمد بن كعب أنه قال : أتيت أنس بن مالك فى رمضان وهو يريد السفر وقد رحلت دابته ولبس ثياب السفر وقد تقارب غروب الشمس ، فدعا بطعام فأكل منه ثم ركب • فقلت له : سنة ؟ قال : نعم •

وروى عن أنس أيضا قال : قال لى أبو موسى : ألم أنبأ أنك اذا خرجت خرجت صائما ، واذا دخلت دخلت صائما ؟ فاذا خرجت فاخرج مفطرا واذا دخلت فادخل مفطرا • وقال الحسن البصرى : يفطر ان شاء فى بيته يوم يريد أن يخرج • وقال أحمد : يفطر اذا برز عن البيوت • وقـــال اسحاق : لا ، بل حين يضع رجله فى الرحل • قال ابن المنذر : قول أحمد صحيح ، لأنهم يقولون لمن أصبح صحيحا ثم اعتل : انه يفطر بقية يومه ، وكذلك اذا أصبح فى الحضر ثم خرج الى السفر فله كذلك أن يفطر • وقالت طائفة : لا يفطر يومه ذلك وان نهض فى سفره • كذلك قال الزهرى ومكحول ويحيى الأنصارى ومالك والأوزاعى والشافعى وأبو ثور وأصحاب الرأى • واختلفوا ان فعل ، فكلهم قال : يقضى ولا يكفر • قال مالك : لأن السفر عذر طارىء فكان كالمرض يطرأ عليه • وروى عن بعض أصحاب مالك أنه يقضى ويكفر ، وهو قول ابن كنانة والمخزومى وحكاه الباجى عن الشافعى •

واختاره ابن العربى وقال به • قال : لأن السفر عذر طرأ بعد لزوم العبادة ويخالف المرض والحيض ، لأن المرض يبيح له الفطر والحائض يحرم عليهـــا الصوم ، والسفر لا يبيح له ذلك فوجبت عليه الكفارة لهتك حرمته • قال أبو عمر : وليس هذا بشىء ، لأن الله سبحانه قد أباح له الفطر فى الكتاب والسنة • وأما قولهم لا يفطر ، فانما ذلك استحباب لمـــا عقده فان أخذ برخصة الله كان عليـــه القضاء ، وأما الكفارة فلا وجه لهـــا ، ومن أوجبها فقد أوجب ما لم يوجبه الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم • وقد روى عن ابن عمر فى هذه المسألة : يفطر ان شـــاء فى يومه ذلك اذا خرج مسافرا ، وهو قول الشعبى وأحمد واسحاق •

ثم يقول القرطبى بعد ذلك : قلت : وقد ترجم البخارى رحمه الله على هذه المســـألة « باب من أفطر فى السفر ليراه الناس » وساق الحديث عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليـــه وسلم

من المدينة الى مكة فصام حتى بلغ عسفان[1] ، ثم دعا بماء فرفعه الى يديه ليراه الناس فأفطر حتى قدم مكة وذلك فى رمضان • وأخرجه مسلم أيضا عن ابن عباس وقال فيه : ثم دعا باناء فيه شراب شربه نهارا ليراه الناس ثم أفطر حتى دخل مكة • وهذا نص فى الباب فسقط ما خالفه وبالله التوفيق •

وفيه أيضا حجة على من يقول : ان الصوم لا ينعقد فى السفر • روى عن عمر وابن عباس وأبى هريرة وابن عمر ، قال ابن عمر : من صام فى السفر قضى فى الحضر • وعن عبد الرحمن بن عوف : الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر • وقال به قوم من أهل الظاهر ، واحتجوا بقوله تعالى : « •• **فعدة من أيام أخر** » على ما يأتى بيانه ، وبما روى عن كعب بن عاصم ، قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم ، يقول : « ليس من البر الصيام فى السفر » •

وفيه أيضا حجة على من يقول : ان من بيت الصوم فى السفر فله أن يفطر وان لم يكن له عذر • واليه ذهب مطرف وهو أحد قولى الشافعى وعليه جماعة من أهل الحديث • وكان مالك يوجب عليه القضاء والكفارة ، لأنه كان مخيرا فى الصوم والفطر ، فلما اختار الصوم وبيته لزمه ولم يكن له الفطر ، فان أفطر عامدا من غير عذر كان عليه القضاء والكفارة • وقد روى عنه أنه لا كفارة عليه ، وهو قول أكثر أصحابه الا عبد الملك فانه قال : ان أفطر بجماع كفر لأنه يقوى بذلك على سفره ولا عذر له ، لأن المسافر انما أبيح له الفطر ليقوى بذلك على سفره •

وقال سائر العلماء بالعراق والحجاز : انه لا كفارة عليه ، منهم الثورى والأوزاعى والشافعى وأبو حنيفة وسائر فقهاء الكوفة ، قاله أبو عمر •

واختلف العلماء فى الأفضل من الفطر أو الصوم فى السفر ، فقال مالك والشافعى فى بعض ما روى عنهما : الصوم أفضل لمن قوى عليه ، وجل مذهب مالك التخيير ، وكذلك مذهب الشافعى • قال الشافعى ومن اتبعه : هو مخير ، ولم يفصل • وكذلك ابن علية ، لحديث أنس ، قال : سافرنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى رمضان فلم يعب الصائم على

---

(١) عسفان — بضم العين وسكون السين المهملتين — : قرية بينها وبين مكة ثمانية وأربعون ميلا .

المفطر ولا المفطر على الصائم • خرجه مالك والبخارى ومسلم • وروى عن عثمان عن أبى العاص الثقفى وأنس بن مالك صاحبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهما قالا : الصوم فى السفر أفضل ، لمن قدر عليه • وهو قول أبى حنيفة وأصحابه •

وروى عن ابن عمر وابن عباس : الرخصة أفضل • وقال به سعيد ابن المسيب والشعبى وعمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة والأوزاعى وأحمد واسحاق • فكل هؤلاء يقولون : الفطر أفضل لقول الله تعالى : « •• **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** •• »(١) •

وقوله تعالى : « **فعدة من أيام أخر** » : فى الكلام حذف ، أى : من يكن منكم مريضا أو مسافرا فأفطر فليقض • والجمهور من العلماء على أن أهل البلد اذا صاموا تسعة وعشرين يوما وفى البلد رجل مريض لم يصم فانه يقضى تسعة وعشرين يوما • وقال قوم منهم الحسن ابن صالح بن حى : أنه يقضى شهرا بشهر من غير مراعاة عدد الأيام • قال الكيا الطبرى : وهذا بعيد ، لقوله تعالى : « **فعدة من أيام أخر** » ولم يقل فشهر من أيام آخر • وقوله : « **فعدة** » يقتضى استيفاء عدد ما أفطر فيه ، ولا شك أنه لو أفطر بعض رمضان وجب قضاء ما أفطر بعدده • كذلك يجب أن يكون حكم افطار جميعه فى اعتبار عدده •

وقوله تعالى : « **فعدة** » : ارتفع عدة على خبر الابتداء ، تقديره فالحكم أو فالواجب عدة • ويصح فعليه عدة • وقال الكسائى : ويجوز فعدة ، أى : فليصم عدة من أيام • وقيل : المعنى ، فعليه صيام عدة • فحذف المضاف وأقيمت العدة مقامه • والعدة فعلة من العد وهى بمعنى المعدود ، كالطحن بمعنى المطحون ، تقول : أسمع جعجعة ولا أرى طحنا • ومنه عدة المرأة ••

واختلف الناس فى وجوب تتابعها على قولين ذكرهما الدارقطنى فى « سننه » فروى عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : نزلت : « فعدة من أيام أخر متتابعات » فسقطت « متتابعات » • قال : هذا اسناد صحيح • وروى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان عليه صوم من رمضان فليسرده ولا يقطعه » • فى اسناده عبد الرحمن بن ابراهيم ضعيف الحديث • وأسنده عن ابن عباس

---

(١) البقرة : ١٨٥

فى قضاء رمضان « صمه كيف شئت » وقال ابن عمر : « صمه كما أفطرته » . وأسند عن أبى عبيدة بن الجراح وابن عباس وأبى هريرة ومعاذ بن جبل وعمرو بن العاص . وعن محمد بن المكندر ، قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن تقطيع صيام رمضان فقال : « ذلك اليك .. أرأيت لو كان على أحدكم دين فقضى الدرهم والدرهمين ألم يكن قضاه ؟ .. فالله أحق أن يعفو ويغفر » اسناده حسن الا أنه مرسل ولا يثبت متصلا . وفى موطأ مالك عن نافع أن عبد الله بن عمر كان يقول: يصوم رمضان متتابعا من أفطره متتابعا من مرض أو فى سفر . قال الباجى فى « المنتقى » : يحتمل أن يريد الاخبار عن الوجوب ، ويحتمل أن يريد الاخبار عن الاستحباب . وعلى الاستحباب جمهور الفقهاء . وان فرقه أجزأه ، وبذلك قال مالك والشافعى . والدليل على صحة هذا قوله تعالى : **« فعدة من أيام أخر »** ولم يحص متفرقة من متتابعة . واذا أتى بها متفرقة فقد صام عدة من أيام أخر ، فوجب أن يجزيه . ابن العربى : انما وجب التتابع فى الشهر لكونه معينا وقد عدم التعيين فى القضاء فجاز التفريق .

ثم يقول القرطبى : لما قال تعالى : **« فعدة من أيام أخر »** : دل ذلك على وجوب القضاء من غير تعين لزمان ، لأن اللفظ مسترسل على الأزمان ولا يختص ببعضها دون بعض . وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : يكون على الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه الا فى شعبان . الشغل من رسول الله . أو برسول الله صلى الله عليه وسلم فى رواية . وذلك لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا نص وزيادة بيان للآية . وذلك يرد على داوود قوله : انه يجب عليه قضاؤه ثانى شوال . ومن لم يصمه ثم مات فهو آثم عنده ، وبنى عليه أنه لو وجب عليه عتق رقبة فوجد رقبة تباع بثمن فليس له أن يتعداها ويشترى غيرها ، لأن الفرض عليه أن يعتق أول رقبة يجدها فلا يجزيه غيرها . ولو كانت عنده رقبة فلا يجوز له أن يشترى غيرها ، ولو مات الذى عنده فلا يبطل العتق . كما يبطل فيمن نذر أن يعتق رقبة بعينها فماتت يبطل نذره ، وذلك يفسد قوله .

وقال بعض الأصوليين : اذا مات بعد مضى اليوم الثانى من شوال لا يعصى على شرط العزم . والصحيح أنه غير آثم ولا مفرط . وهو قول الجمهور ، غير أنه يستحب له تعجيل القضاء لئلا تدركه المنية فيبقى عليه الفرض .

ثم يقول : من كان عليه قضاء أيام من رمضان فمضت عليه عدتها من الأيام بعد الفطر أمكنه فيها صيامه فأخر ذلك ثم جاءه مانع منعه من القضاء الى رمضان آخر فلا اطعام عليه ، لأنه ليس بمفرط حين فعل ما يجوز له من التأخير • هذا قول البغداديين من المالكيين ويرونه قول ابن القاسم فى المدونة •

فان أخر قضاءه عن شعبان الذى هو غاية الزمان الذى يقضى فيه رمضان ، فهل يلزمه لذلك كفارة أو لا ، فقال مالك والشافعي وأحمد واسحاق : نعم • وقال أبو حنيفة والحسن والنخعي وداوود : لا •

قال القرطبى : والى هذا ذهب البخارى لقوله ، ويذكر عن أبى هريرة مرسلا وابن عباس أنه يطعم • ولم يذكر الله الاطعام انما قال : **« فعدة من أيام أخر »** •

ثم يقول : قد جاء عن أبى هريرة مسندا فيمن فرط فى قضاء رمضان حتى أدركه رمضان آخر ، قال : يصوم هذا مع الناس ، ويصوم الذى فرط فيه ويطعم لكل يوم مسكينا • خرجه الدارقطنى وقال : اسناد صحيح • وروى عنه مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم فى رجل أفطر فى شهر رمضان من مرض ثم صح ولم يصم حتى أدركه رمضان آخر قال : « يصوم الذى أدركه ثم يصوم الشهر الذى أفطر فيه ويطعم لكل يوم مسكينا » فى اسناده ابن نافع وابن وجيه ضعيفان •

فان تمادى به المرض فلم يصح حتى جاء رمضان آخر ، فروى الدارقطنى عن ابن عمر أنه يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من حنطة ثم ليس عليه قضاء • وروى أيضا عن أبى هريرة أنه قال : اذا لم يصح بين الرمضانين صام عن هذا وأطعم عن الثانى ولا قضاء عليه • واذا صح فلم يصم حتى أدركه رمضان آخر صام عن هذا وأطعم عن الماضى ، فاذا أفطر قضاه • اسناده صحيح • قال علماؤنا : وأقوال الصحابة على خلاف القياس قد يحتج بها • وروى عن ابن عباس أن رجلا جاء اليه ، فقال : مرضت رمضانين ، فقال له ابن عباس : استمر بك مرضك أو صححت بينهما ؟ فقال : بل صححت ، قال : صم رمضانين وأطعم ستين مسكينا • وهذا بدل من قوله : انه لو تمادى به مرضه لا قضاء عليه • وهذا يشبه مذهبهم فى الحامل والمرضع أنهما يطعمان ولا قضاء عليهما ، على ما يأتى :

واختلف : فى من أوجب عليه الاطعام فى قدر ما يجب أن يطعم ،

فكان أبو هريرة والقاسم بن محمد ومالك والشافعي يقولون : يطعم عن كل يوم مدا . وقال الثوري : يطعم نصف صاع عن كل يوم .

واختلفوا : فيمن أفطر أو جامع في قضاء رمضان ماذا يجب عليه ؟ فقال مالك : من أفطر يوما من قضاء رمضان ناسيا لم يكن عليه شيء غير قضائه ، ويستحب له أن يتمادى فيه للاختلاف ثم يقضيه ، ولو أفطره عامدا أثم ولم يكن عليه غير قضاء ذلك اليوم ولا يتمادى ، لأنه لا معنى لكفه عما يكف الصائم ههنا اذ هو غير صائم عند جماعة العلماء لافطاره عامدا . وأما الكفارة فلا خلاف عند مالك وأصحابه أنها لا تجب في ذلك ، وهو قول جمهور العلماء . قال مالك : ليس على من أفطر يوما من قضاء رمضان باصابة أهله أو غير ذلك كفارة ، وانما عليه قضاء ذلك اليوم ..

والجمهور على أن من أفطر في رمضان لعلة فمات من علته تلك ، أو سافر فمات في سفره ذلك أنه لا شيء عليه . وقال طاووس وقتادة في المريض يموت قبل أن يصح : يطعم عنه .

واختلفوا فيمن مات وعليه صوم من رمضان لم يقضه ، فقال مالك والشافعي والثوري : لا يصوم أحد عن أحد . وقال أحمد واسحاق وأبو ثور والليث وأبو عبيد وأهل الظاهر : يصام عنه ، الا أنهم خصصوه بالنذر . وروى مثله عن الشافعي . وقال أحمد واسحاق في قضاء رمضان : يطعم عنه . احتج من قال بالصوم بما رواه مسلم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » . الا أن هذا عام في الصوم ، يخصصه ما رواه مسلم أيضا عن ابن عباس قال : جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله .. ان أمي قد ماتت وعليها صوم نذر — وفي رواية : صوم شهر — أفأصوم عنها ؟ قال : « أرأيت لو كان على أمك دين فقضيتيه أكان يؤدى ذلك عنها ؟ قالت : نعم ، قال : فصومي عن أمك » . احتج مالك ومن وافقه بقوله سبحانه : **« ولا تزر وازرة وزر أخرى »**[1] .

وقوله : **« وأن ليس للانسان الا ما سعى »**[2] .

وقوله : **« ولا تكسب كل نفس الا عليها »**[3] وبما أخرجه

---

(١) الأنعام : ١٦٤ (٢) النجم : ٣٩

(٣) الأنعام : ١٦٤

النسائى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يصلى أحد عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مدا من حنطة » .

ثم يقول القرطبى : وهذا الحديث عام فيحتمل أن يكون المراد بقوله : « لا يصوم أحد عن أحد » صوم رمضان . فأما صوم النذر فيجوز ، بدليل حديث ابن عباس وغيره ، فقد جاء فى صحيح مسلم أيضا من حديث بريدة نحو حديث ابن عباس ، وفى بعض طرقه : صوم شهرين أفأصوم عنها ؟ قال : « صومى عنها » قالت : انها لم تحج قط أفأحج عنها ؟ قال : « حجى عنها » . فقولها : شهرين ، يبعد أن يكون رمضان . والله أعلم . وأقوى ما يحتج به لمالك أنه عمل أهل المدينة ويعضده القياس الجلى وهو أنه عبادة بدنية لا مدخل للمال فيها فلا تفعل عمن وجبت عليه كالصلاة . ولا ينقض هذا بالحج لأن للمال فيه مدخلا ..

ومعنى قوله تعالى : **« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين »**[1] ، فقد قال ابن عباس كما روى أبو داوود : كانت رخصة للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة وهما يطيقان الصوم ، أن يفطرا ويطعما مكان كل يوم مسكينا ، والحبلى والمرضع ، اذا خافتا على أولادهما أفطرتا وأطعمتا .

وخرج الدارقطنى عنه أيضا قال : رخص للشيخ الكبير أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا ولا قضاء عليه ، هذا اسناد صحيح . وروى عنه أيضا أنه قال : **« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام .. »** ليست بمنسوخة ، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما ، فيطعما مكان كل يوم مسكينا . وهذا صحيح . وروى عنه أيضا أنه قال لأم ولد له — حبلى أو مرضع — : أنت من الذين لا يطيقون الصيام ، عليك الجزاء ولا عليك القضاء . وهذا اسناد صحيح . وفى رواية : كان له أم ولد ترضع من غير شك فأجهدت ، فأمرها أن تفطر ولا تقضى . هذا صحيح .

يقول القرطبى : فقد ثبت بالأسانيد الصحاح عن ابن عباس أن الآية ليست بمنسوخة وأنها محكمة فى حق من ذكر ..

---

(١) البقرة : ١٨٤

وقال الحسن البصري وعطاء بن أبي رباح والضحاك والنخعي والزهري وربيعة والأوزاعي وأصحاب الرأي : الحامل والمرضع يفطران ولا اطعام عليهما ، بمنزلة المريض يفطر ويقضي • وبه قال أبو عبيد وأبو ثور ، وحكى ذلك أبو عبيد عن أبي ثور ، واختاره ابن المنذر • وهو قول مالك في الحبلى ان أفطرت • فأما المرضع ان أفطرت فعليها القضاء والاطعام • وقال الشافعي وأحمد : يفطران ويطعمان ويقضيان ، وأجمعوا على أن المشايخ والعجائز الذين لا يطيقون الصيام أو يطيقونه على مشقة شديدة أن يفطروا • واختلفوا فيما عليهم ، فقال ربيعة ومالك : لا شيء عليهم • غير أن مالكا قال : لو أطعموا عن كل يوم مسكينا كان أحب الي • وقال أنس وابن عباس وقيس بن السائب وأبو هريرة : عليهم الفدية ، وهو قول الشافعي وأصحاب الرأي وأحمد واسحاق اتباعا لقول الصحابة رضي الله عن جميعهم • وقوله تعالى : **« فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر »**[1] •

ثم قال : **« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين »** وهؤلاء ليسوا بمرضى ولا مسافرين ، فوجب عليهم الفدية • والدليل لقول مالك : أن هذا مفطر لعذر موجود فيه وهو الشيخوخة والكبر فلم يلزمه اطعام كالمسافر والمريض • وروى هذا عن الثوري ومكحول واختاره ابن المنذر •

واختلف من أوجب الفدية على من ذكر في مقدارها ، فقال مالك : مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم عن كل يوم أفطره • وبه قال الشافعي • وقال أبو حنيفة : كفارة كل يوم صاع تمر أو نصف صاع بر • وروى عن ابن عباس نصف صاع من حنطة • ذكره الدارقطني • وروى عن أبي هريرة قال : من أدركه الكبر فلم يستطع أن يصوم فعليه لكل يوم مد من قمح • وروى عن أنس بن مالك أنه ضعف عن الصوم عاما فصنع جفنة من طعام ثم دعا بثلاثين مسكينا فأشبعهم •

وقوله تعالى : **« فمن تطوع خيرا فهو خير له »**[2] قال ابن شهاب : من أراد الاطعام مع الصوم • وقال مجاهد : من زاد في الاطعام على المد • ابن عباس : « فمن تطوع خيرا •• » قال : مسكينا آخر فهو خير له • ذكره الدارقطني وقال : اسناد صحيح ثابت •

---

(١) البقرة : ١٨٤ (٢) البقرة : ١٨٤

و « خير » الثانى صفة تفضيل ، وكذلك الثالث و « خير » الأول • وقرأ عيسى بن عمر ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائى : « **تطوع خيرا** » مشددا وجزم العين على معنى يتطوع • الباقون « **تطوع** » بالتاء وتخفيف الطاء وفتح العين على الماضى •

وقوله تعالى : « **وأن تصوموا خير لكم ، ان كنتم تعلمون** »(١) : أى والصيام خير لكم • وكذا قرأ أبى أى من الافطار مع الفدية وكان هذا قبل النسخ ، وقيل : وأن تصوموا فى السفر والمرض غير الشاق ، والله أعلم • وعلى الجملة فانه يقتضى الحض على الصوم أى فاعلموا ذلك وصوموا ••

* * *

وعلى هذا ، فاننا نستطيع ـ بعد هذا الفقه الذى كان لابد وأن نقف عليه(٢) ـ : أن نقول ان صيام شهر رمضان بالاضافة الى أنه سيكون سببا فى تحقيق التقوى فينا وفى جميع عباداتنا ومعاملاتنا •• كما أشار الى هذا قول الله تعالى : « **لعلكم تتقون** » ، وذلك لأن التقوى ـ كما علمنا قبل ذلك ـ خير زاد : « **فان خير الزاد التقوى** »(٣) :

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ألا تكون كمثله
وأنك لم ترصد كما كان أرصدا

□ □

الموت بحر طامح موجه   تذهب فيه حيلة السابح
يا نفس انى قائل فاسمعى   مقالة من مشفق ناصح
لا يصحب الانسان فى قبره   غير التقى والعمل الصالح

ولهذا ، فقد قال الله تعالى : « **•• واتقون يا أولى الألباب** »(٤) : ففى الصيام بالاضافة الى هذا الخير العظيم ـ وهو تحقيق التقوى ـ : ما أشار اليه الحديث الشريف الذى ورد :

---

(١) البقرة : ١٨٤

(٢) والذى شرحناه شرحا وافيا فى الجزء الرابع من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم ، والذى تستطيع أن تزود نفسك به من كتب الفقه المطولة ..

(٣) البقرة : ١٩٧   (٤) البقرة : ١٩٧

عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليـه وسلم ، قال : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا ، غفر له ما تقدم من ذنبه » متفق عليـه .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان فى الجنة بابا يقال له « الريان » يدخل منه الصائمون يـوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم ، فاذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد » متفق عليـه .

وفى رواية للترمذى : « فمن كان من الصائمين دخله ومن دخله لم يظمأ أبدا » وقال : حسن صحيح .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صـلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له الا الصيام ، فانه لى وأنا أجزى به . والصيام جنة[1] ، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث[2] ولا يصخب ، فان سابه أحـد أو قاتله ، فليقل : انى صائم . والذى نفس محمد بيده لخلوف[3] فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما : اذا أفطر فرح بفطره ، واذا لقى ربه فرح بصومه » متفق عليه .

وهذا لفظ رواية البخارى . وفى رواية له : « يترك طعامه ، وشرابه ، وشهوته ، من أجلى ، الصيام لى وأنا أجزى به ، والحسـنة بعشر أمثالها » .

وفى رواية لمسلم : « كل عمل ابن آدم يضاعف : الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف . قال الله تعالى : « الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به : يدع شهوته وطعامه من أجلى . للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه . ولخلوف فيه[4] أطيب عند الله من ريح المسك » .

---

(١) جنة ــ بضم الجيم ــ أى : وقاية من النار أو المعاصى .

(٢) الرفث : الكلام الفاحش . والصخب ــ بفتح الخـاء ــ : أى اللغط .

(٣) الخلوف ــ بضم الخاء واللام وسكون الواو بالفاء ــ : أى التغير .

(٤) أى فمه .

ولهذا ، فقد ورد كذلك :

عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان اذا رأى الهلال ــ هلال رمضان[١] ــ قال :

« اللهم أهله علينا بالأمن والايمان ، والسلامة والاسلام ، ربى وربك الله ، هلال رشد[٢] وخير » رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

كما ورد كذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يرغب أصحابه فى صيام رمضان اذا حضر :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما حضر رمضان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد جاءكم رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه : تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر . من حرم خيرها فقد حرم » أخرجه أحمد والنسائى والبيهقى .

وهذا معناه[٣] : أن فائدة فتح أبواب الجنة فى رمضان هو توقيف الملائكة على عمل الصائمين ، وحمد الله لهم ، وأن ذلك من الله بمنزلة عظيمة ، وأيضا اذا علم المكلف الموقن بهذا الخبر الصادق يزيد فى نشاطه ويتلقاه بصدر منشرح واهتمام كامل ، وهذا يدل على أن أبواب الجنة تغلق فى غير رمضان[٤] ، ولا ينافيه قوله تعالى : **« .. وأن للمتقين لحسن مآب . جنات عدن مفتحة لهم الأبواب »**[٥] : لأن هذا مع كونه فى الآخرة لا يقتضى دوام كونها مفتحة الأبواب ، وتغليق أبواب النار فى رمضان يقتضى أنها تفتح فى غيره ولا ينافيه قوله تعالى : **« وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ، حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها »**[٦] : لأن هذا فى الآخرة ولا ينافى أن يكون هناك غلق قبل ذلك ، وغلق أبوابها فى رمضان لا ينافى موت الكفرة فيه وتعذيبهم بالنار اذ يكفى فيه فتح باب صغير من القبر الى النار غير الأبواب المغلقة « وتغل فيه الشياطين » لتعجيزهم عن الاغواء وتزيين الشهوات . ولا ينافيه وقوع المعاصى والشرور فى رمضان لأن لذلك أسبابا غير الشياطين كالنفوس الخبيثة

---

(١) هلال كل شهر عربى وهلال رمضان بصفة خاصة .

(٢) الرشد ــ بضم فسكون وبفتحتين ــ : ضد الغى .

(٣) كما يقول فى هامش الدين الخالص ج ٨ ص ٢٨٤ معلقا على هذا الحديث الأخير .

(٤) تغلق وتفتح فى غير رمضان الا باب التوبة فانه لا يغلق .

(٥) سورة ص : ٤٩ ، ٥٠ (٦) الزمر : ٧١

وشياطين الانسان فلا يلزم أن تكون كل معصية بوسوسة شيطان • فهذا ابليس لم يسبقه شيطان آخر وسوس له بل كانت معصيته من قبل نفســـه •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين » أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وعندهما : فتحت أبواب الرحمة ، بدل : أبواب السماء •

والمراد ، بـــ « أبواب السماء »[1] : ما يصعد منها الى الجنـــة لأنها فوق السماء وسقفها عرش الرحمن كما ثبت بالكتاب والســـنة • و« أبواب الرحمة » : تطلق على أبواب الجنة لحديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « تحاجت النار والجنة ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين • وقالت الجنة : فمالى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم[2] وعجزهم ؟ فقال الله للجنة : أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى • وقال للنار : أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى • ولكل واحدة منكما ملؤها » الحديث أخرجه مسلم •

ولله در الشاعر الشيخ « محمد الأسمر » شاعر الأزهر • رحمه الله ، فلقد قال :

رعى الله شهر الصوم • أما نهـــاره
فعـــاف • وأما ليـــله فهو ســـاهر

وحيـــا رجـــالا حين لاح هلالـــه
مشت بينهم مشى النسيم البشائر

بطان اذا ما الشمس أرخت قنـــاعها
خماص اذا ما أقبلت وهى ســـافر

خضـــوعا لمن فوق السموات عرشه
ويعـــلم منهم ما تـــكن الســـرائر

هو « الله » فاعبده العبـــادة كلهـــا
اذا راح يلهـــو بالعبـــادة فاجـــر

---

(١) كما يقول أيضـــا فى الدين الخالص ج ٨ ص ٢٨٥ معلقا على هذا الحديث الأخير .

(٢) بفتح السين والقـــاف ، أى : ضعفاؤهم والمحتقرون منهم . وعجزهم بفتحتين : جمع عاجز أى العاجزون عن طلب الدنيا والتمكن فيها .

فكن أخا الإسلام من هؤلاء الرجال المؤمنين الموفقين ، و :

لا تجعلن رمضان شـــهر فكاهة
تلهيك فيـه من القبيح فنـونه
واعـــلم بأنك لا تنـــال قبـوله
حتى تكـون تصـومه وتصـــونه

وتأمل كذلك قول القائل :

اذا لم يكن فى السمع منى تصامم
وفى بصرى غض وفى مقـولى صمت
فحظى اذن من صومى الجوع والظمأ
وان قلت : انى صمت يوما فما صمت

وتأمل كذلك قول الآخر :

جـاء الصـيام فجاء الخير أجمعه
ترتيـل ذكر وتحميـد وتسـبيح
فالنفس تدأب فى قول وفى عمـل
صوم النهـار ، وبالليل التراويح

* * *

وحسبك أن تعلم كذلك أخا الاسـلام ، أن الصـوم بالاضافة الى ما فيه من الثواب العظيم الذى وقفنا على بعضه : فيه علاج عظيم من أمراض تصيب انسان العصر الحديث[1] نتيجة لزيادة كميات غذائه وما أدخله من وسائل صناعية لتنويع أصنافه وتغيير طعومه ، وغير أنه يستعمل كعلاج ، فهو وقاية من أمراض أخرى : أشار اليها الدكتور « عبد العزيز اسماعيل » كبير الأطباء فى زمانه ، فى كتابه : « الاسـلام والطب الحديث » عن الأسرار الطبية ، حيث يقول :

« من الناس من يتوهم أن صيام رمضان وهو من أركان الاسلام مضرة تلحق بالصائم لمـا يصيب الجهاز الهضمى خاصة وغيره عامة ولمـا يكون من بعض الصائمين من انفعال وغضب .. وهذا خطأ لأن ما ذهبوا اليه ليس من الصيام فى شىء ولكنه من ترك الاعتدال فى طعام الافطار والسحور ، ولأنهم لم يراعوا وقت الافطار ما يتناسب مع خلو المعدة النهار كله ، ولأن السحور يجب أن يقتصر على بضع لقيمات لأنه لا ضرر من الجوع فى ذاته . ولقد ظهر أن الصيام يفيد فى حالات

---

(١) كما جاء فى كتاب (صوم رمضان) للأستاذ عبد الرزاق نوفل .

كثيرة وهو العلاج الوحيد فى أحوال أخرى ، وهو أهم علاج ان لم يكن العلاج الوحيد للوقاية من أمراض كثيرة . فللعلاج يستعمل فى :

١ — اضطرابات الأمعاء المزمنة والمصحوبة بتخمر فى المواد الزلالية والنشوية وهنا ينجح الصيام وخصوصا عدم شرب المـاء بين الأكلتين وأن تكون بين الأكلة والأخرى مدة طويلة كما فى صيام رمضان . وممكن أخذ الغذاء المناسب على حسب حالة التخمر ، وهذه الطريقة أنجع طريقة لتطهير الأمعاء .

٢ — زيادة الوزن الناشئة من كثرة الغذاء وقلة الحركة ، فالصيام هنا أنجع من كل علاج مع الاعتدال وقت الافطار فى الطعام والاكتفاء بالمـاء فى السحور .

٣ — زيادة الضغط الذاتى وهو آخذ فى الانتشار بازدياد الترف والانفعالات النفسية ، ففى هذه الحالة يكون شهر رمضان نعمة وبركة وخاصة اذا كان وزن الشخص أكثر من الوزن الطبيعى لمثله .

٤ — البول السكرى ، وهو منتشر انتشار الضغط ويكون فى مدته الأولى وقبل ظهوره مصحوبا غالبا بزيادة فى الوزن ، فهنا يكون الصيام علاجا نافعا اذ أن السكر يهبط مع قلة السمن ويهبط السكر فى الدم بعد الأكل بخمس ساعات الى أقل من الحد الطبيعى فى حالات البول السكرى الخفيف وبعد عشر ساعات الى أقل من الحد الطبيعى بكثير ، ولا يزال الصيام مع بعض ملاحظات فى الغذاء أهم علاج فى هذا المرض حتى بعد ظهور الأنسولين خصوصا اذا كان الشخص يزيد عن الوزن الطبيعى ولم يكن هناك لهذا المرض قبل الأنسولين غير الصيام .

٥ — التهاب الكلى الحاد والمزمن المصحوب بارتشاح وتورم .

٦ — أمراض القلب المصحوبة بتورم .

٧ — التهابات المفاصل المزمنة خصوصا اذا كانت مصحوبة بسمن كما يحدث عند السيدات غالبا بعد سن الأربعين ، وقد شوهدت حالات تتمشى فى شهر رمضان بالصيام فقط أكثر مما تتمشى مع علاج سنوات بالكهرباء والحقن والأدوية وكل الطب الحديث .

ورب سائل يقول : ولكن الصيام فى كل هذه الاحالات يحتاج الى ارشاد طبيب فى كل مرض على حدة ، والصيام الذى كتب على المسلمين انما كتب على الأصحاء ؟ وهذا صحيح ولكن فائدة الصيام للأصحاء هى

الوقاية من هذه الأمراض وبخاصة أمراض الاضطرابات المعوية وزيادة الوزن ، وزيادة الضغط ، والبول السكرى ، والتهاب المفاصل •

وهذه الأمراض كلها تبتدىء فى الانسان تدريجيا بحيث لا يمكن الجزم بأول المرض ، فلا الشخص ولا طبيبه يمكنهما أن يعرفا أول المرض لأن الطب لم يتقدم بعد الى الحد الذى يعرف فيه أسباب هذه الأمراض كلها ، ولكن من المؤكد طبيا أن الوقاية من كل هـذه الأمراض انما هى فى الصيام بل ان الوقاية فعالة جدا قبل ظهور أعراض المرض بوضوح ، وقد ظهر باحصاءات لا تقبل الشك أن زيادة السمن يصحبها استعداد للبول السكرى وزيادة ضغط الدم الذاتى والتهاب المفاصل المزمن وغير ذلك • ومع قلة الوزن يقل الاستعداد لهذه الأمراض بالنسبة نفسها وهـذا هو السر فى أن شركات التأمين لا تقبل تأمينا على الأشخاص الذين يزيد وزنهم الا بشروط تثقل كلما زاد الوزن • والصيام مدة شهر كل سنة خير وقاية من كل هذه الأمراض ، وهذه الأمراض تنتشر بزيادة الحضارة والترف ، فقد انتشرت فى أوروبا أكثر من الأول •

ويغلب على الظن أن ذلك هو السر فى أن الصيام فى الاسلام أشد منه فى الأديان السابقة ، لأن الاسلام وهو آخر الشرائع السماوية جاء فى زمن نحتاج فيه الى وقاية من أمراض تزداد كلما ازداد الترف » •

وفى كتاب « نحن المعمرون » للأستاذ « حسن عبد السلام » نقرأ كذلك النص الآتى : « وفائدة الصوم أنه يريح الجهاز الهضمى ويتيح لأغشية الجسـم فرصة تتخلص فيها مما يتجمع حولها من النفـايات والمواد الحامضية والتوكسينات التى تتولد باستمرار فى الجسم • كما أنه يعطى الأنسجة والأعضاء المصـابة بشىء من التقيح أو الاحتقان أو الالتهاب مجالا للشفاء • ومن المعلوم أن كل امرىء معرض للاصابة ببعض البؤرات الصديدية التى تتكون داخل الجسم وتلوثه بما تصبه من توكسينات فى مجرى الدم • وهـذه البؤرات قد يكون أثرها ضعيفا فى مبدأ الأمر فلا يحس المرء بنتائجها ويشعر كأنه فى كامل صحته ، غير أنه بمرور الزمن يتراكم الأثر الضار الذى ينجم عن وجـود هـذه البؤرات ، وفجأة يصاب الانسان بمرض جسيم أو اختلال صحى يصعب الشفاء منه • وخير طريقة لتجنب الاصابات بالبؤرات الصديدية انما هو الصوم من حين لآخر ، لأنه فى خلال فترة الصوم يتغذى الجسم بأنسجته الداخلية ، فان كان شىء من الاحتقان أو التقيح أو الالتهاب قد بدأ

يصيب الأنسجة فان أول ما يتهدم منها الخلايا المصابة فتتأكسد ويتخلص الجسم منها .

كما أن الصوم يذيب ما قد بدأ يتكون من الحصيات والرواسب الكلسية والزوائد اللحميـــة وأنواع البروز والنمو الخبيث . ويشيد مشاهير الأطباء فى أمم الغرب بفائدة الصوم أعظم اشادة وكذلك ينصحون به لتجنب ويلات المرض وللشفاء منه فى كثير من الحالات ، ويشيرون به بوجه خاص للمصابين بالديابيطس السكرى وتضخم الكبد والتهاب الكلى والبدانة وارتفاع ضغط الدم وبعض الأمراض التى تنجم عن الافراط فى الأكل واصابة الجسم بشىء من الحموضة وبوجه عـــام للمحافظة على صحة الجسم وتجديد حيويته » .

ويقول الدكتور « محمد الظواهرى » أخصائى الأمراض الجلدية :

« ان كرم رمضان يشمل مرضى الأمراض الجلدية اذ تتحسن بعض الأمراض الجلدية بالصوم . وعلاقة التغذية بالأمراض الجلـــدية متينة اذ أن الامتناع عن الغذاء أو الشراب مدة ما يقلل من المـــاء فى الجسم والدم وهذا بدره يدعو الى قلته فى الجلد وحينئذ تزداد مقاومة الجلد للأمراض الجلدية المعدية والميكروبية ، ومقاومة الجسم فى علاج الأمراض المعدية هى العامل الأول الذى يعتمد عليه فى سرعة الشفاء .

وان الجسم الذى لا يقاوم الميكروبات ويدفعها ينهار . ويضعف تأثير الدواء المبيد للميكروبات مع الجسم القليل المقاومة . وقلة المـــاء فى الجلد تقلل أيضا من حدة الأمراض الجلدية الالتهابية والحادة والمنتشرة بمساحات كبيرة فى الجسم ، وأفضل علاج لهذه الحالات من وجهة الغذاء انما هو الامتناع عن الطعام والشراب لفترة ما ، ولا يسمح الا بالقليل من السوائل البسيطة ، وقلة الطعام تؤدى الى نقص الكمية التى تصل منه الى الأمعاء ، وهذا بدوره يريحها ويقلل من تكاثر الميكروبات الكامنة بها وما أكثرها ، وعندئذ يقل نشاط تلك الميكروبات المعوية ويقل افرازها للسموم ومن ثم يقل امتصاص تلك السموم من الأمعاء . وهذه السموم تسبب العدد الكبير من الأمراض الجلدية . وان الأمعاء لبؤرة خطرة من البؤرة العفنة التى تشع سمومها عند كثير من الناس وتؤذى الجسم والجلد وتسبب لهما أمراضا لا حصر لها .

وشهر الصيام هو شهر الهدنة والراحة من تلك السموم وأضرارها ،

والصيام كذلك عـلاج لأمراض زيادة الحساسية وأمـراض البشرة الدهنيـة » •

وبهذا أخا الاسلام يتأكد لك المعنى المراد من قول الله تبارك وتعالى : **« وأن تصوموا خير لكم ، ان كنتم تعلمون »**[١] •

وقد علمنا هـذا ــ كما رأينا ــ على ألسنة المتخصصين الذين تبين لنا من خلال ما قالوه ضرورة الصيام ، ولا سيما صيام : **« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »**[٢] •

وكما يقول الحسن البصرى ، رحمه الله : « ان الله تعالى جعل رمضان مضمارا لخلقه يتسابقون فيه بطاعته الى مرضاته • فسبق قوم ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا !! فالعجب من الضاحك اللاعب فى اليوم الذى يفوز فيه المحسنون ويخسر المبطلون !! أما والله لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ، ومسىء باساءته » •



فلتكن أخا الاسلام ــ ان شاء الله ــ من الذين سبقوا ففازوا •• ولا تكن من الذين تخلفوا فخابوا •

ولتكن صيامك ان شاء الله تعالى صياما صحيحا على أساس :

من آداب الصيام

التى أرجو ان شاء الله أن تكون منفذا لها حتى يتقبل الله تعالى منك صيامك ، وهى[٣] :

اذا رأيت هـلال رمضان أو هـلال غيره فقل كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقـول : « اللهم أهله علينـا بالأمن والايمـان والسلامة والاسلام ، ربى وربك الله ، هلال رشد وخير » رواه الترمذى وقال : حديث حسن •

وأن تستقبل رمضان بنية أن تصوم لله ايمانا واحتسابا ، وافتتح أول ساعة منه ، صفحة جديدة فى سجل أعمالك ، ومعك العزم الأكيد على التزود فيه بصالح الأعمال ، فمن أدركه رمضان فلم يغفر له ، فقد خاب وخسر ! يقول صلى الله عليه وسلم : « اذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، صفدت الشياطين ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها

---

(١) البقرة : ١٨٤ (٢) البقرة : ١٨٥

(٣) كما قرأت فى ملحق « الوعى الاسلامى » رسالة الصيام والزكاة •

باب ، وينادى مناد : يا باغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر أقصر » رواه النسائى والترمذى بنحو هذا اللفظ ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

وليكن منهجك فى الصوم : التخلى عن الرذائل ، والتجلى بالحلم والوقار والسكينة ، واجتناب الرفث وهو الفحش من القول ، والعبارات البذيئة النابية ، وترك الصخب ، وهو الصياح ورفع الصوت ، فذلك علامة السفه والطيش ، فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من صام رمضان ، وعرف حدوده ، وتحفظ مما ينبغى له أن يتحفظ ، كفر ما قبله » رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه والبيهقى بسند جيد .

واذا صدرت من غيرك اساءة لك ، فقابل السيئة بالحسنة ، وادفع بالتى هى أحسن ، وذكر نفسك بأدب الاسلام ، والتزم خلق الصائم ، وردد ما أمرك الرسول الكريم به فى هذا الموقف : « فان شاتمه أحد أو قاتله ، فليقل : انى صائم .. انى صائم » من حديث رواه أحمد ومسلم والنسائى .

وأقبل على تلاوة القرآن فى رمضان ، فى ليله ونهاره ، فى الصلاة وخارج الصلاة ، فهو شهر القرآن .. ففى الحديث المتفق عليه : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة » .. والصيام والقرآن يشفعان للمؤمن يوم القيامة ، يقول الصيام : « أى رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه .. فيشفعان » رواه أحمد بسند صحيح .

ولا تجعل شهر الصوم شهر فتور وكسل ، فمن الاساءة لفريضة الصوم أن تكون مدعاة للتراخى عن العمل ، وضعف الانتاج ، فهو شهر جلد وصبر ، يتسلح فيه المؤمن بقوة الارادة ، ومضاء العزيمة ، فينشط الى العمل ، وينطلق فى ميادين الكفاح يملؤها بالجد المثمر ، والسعى البناء .. عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يوما وقد حضر رمضان : « أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ،

ينظر الله الى تنافسكم فيه ، ويباهى بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فان الشقى من حرم فيه رحمة الله عز وجل » رواه الطبرانى ورواته ثقات .

وقدم لغيرك ما استطعت من الخير فى رمضان ، فان الثواب يضاعف فيه ، واسداء المعروف ، واطعام الجائع فى هذا الشهر الكريم ، يقع فى ميزان الله أعظم موقع ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون فى رمضان ويقول صلى الله عليه وسلم فى حديثه عن مزايا هذا الشهر الكريم : « هو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فى رزق المؤمن فيه ، من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء » ، قالوا : يا رسول الله .. ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صائما على تمرة ، أو شربة ماء ، أو مذقة لبن » — أى حسوة أو جرعة من اللبن — رواه البيهقى وابن خزيمة فى صحيحه ثم قال : صح الخبر .

وحتى يكون صومك صحيحا يؤتى ثمرته ، ويظهر آثره فى سلوكك وأخلاقك : تجنب قول الزور ، من الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والمراء ، وشهادة الزور ، والسخرية بالناس ، وتتبع عوراتهم ، والأيمان الفاجرة التى تدع الديار بلاقع ! وتجنب أيضا عمل الزور : وهو يشمل المعاصى البدنية جميعها ، وبذلك تكون جوارح الصائم كلها فى مأمن من الرذائل التى تضر بالفرد ، وتدمر المجتمع ! وما أبلغ قول المعصوم صلى الله عليه وسلم وهو يضع دستورا للصائم فى كلمات تنأى به عن مواقع السوء ومزالق الهوى : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخارى .

وتناول افطارك عقب غروب الشمس مباشرة وقبل صلاة المغرب ، على تمرات وترا أو على أى شراب حلو ، فان لم يتيسر لك ذلك ، فعلى الماء ، فان الماء طهور ، وذلك لتكسر حدة الجوع ، وتطفىء حرارة العطش ، فان لبدنك عليك حقا ، وحتى تقبل على صلاة المغرب غير معجل . هذه سنة نبيك عليه أفضل الصلاة والسلام ، فعن سهل بن سعد أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا يزال الناس بخير ، ما عجلوا الفطر » رواه البخارى ومسلم .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « قال الله عز وجل : أحب عبادى الى أعجلهم فطرا » رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

وعند الافطار ، توجه الى الله بالدعاء لنفسك وللمسلمين ، ففى هذه اللحظة دعوة مقبولة ان شاء الله ، يقول صلى الله عليه وسلم : « ان للصائم عند فطره دعوة ما ترد » رواه ابن ماجه .

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر ان شاء الله تعالى » .

وروى مرسلا أنه صلى الله عليه وسلم ، كان يقول : « اللهم انى أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر لى » .

وتناول سحورك قريبا من الفجر ، ففى ذلك عون على النشاط فى النهار ، وتحمل مشاق الصوم ، والوقت المناسب للسحور ، قبل الفجر بنصف ساعة ، وبذلك يجتمع لك فضلان : تحقيق السنة بتأخير السحور ، وادراك صلاة الصبح جماعة فى وقتها .. عن أنس رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عايه وسلم : « تسحروا فان فى السحور بركة » متفق عليـه .

وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه : قال : « تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قمنا الى الصلاة ، قيل كم بينهما ؟ قـال : خمسون آية » متفق عليه .

وتجنب الافراط فى الأكل والشرب ، فان من حكم الصوم ، التخفيف على المعدة . وتنقية البدن من رواسب الطعام المتراكمة فى داخله طول العام ، وان عددا كبيرا من الامراض الشديدة والعلل المنهكة ، ينشـأ من اكتظاظ المعدة بما لا تطيق هضمه ، وقد جاء فى الحديث : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » رواه الترمذى .

وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بترك الاسراف فى الأكل والشرب ، فى رمضان وغيره فقال عز من قائل : « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، أنه لا يحب المسرفين** »[1] .

* * *

(١) الأعراف : ٣١

فلاحظ كل هذا أخا الاسـلام ، ونفذه .. ونفذ كذلك ما أوصانا به الرسـول صلى الله عليه وسلم ، بعد ذلك فى نص الوصـية ، وهو : « وأدوا زكاة أموالكم » :

تنفيذا لأمر الله تعالى الذى يقول : « **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون** »[١] .

ويقـول : « **ان المتقين فى جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم ، انهم كانوا قبل ذلك محسـنين . كانوا قليلا من الليـل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون . وفى أموالهم حق للسائل والمحروم** »[٢] .

ففى الآية الأولى يأمرنا سبحانه وتعالى ـ كمؤمنين ـ بايتاء الزكاة : « .. **للفقراء والمساكين والعاملين عليهـا والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليـم حـكيم** »[٣] :

وتلك هى :

مصارف الزكاة

كما حددتها وبينتها الآية الكريمة ، وهى على ثمانية :

١ ، ٢ ـ الفقراء والمساكين :

وهم المحتاجون الذين لا يجدون كفايتهم ، ويقابلهم الأغنياء وهم المكفيون ما يحتاجون اليه ، والقدر الذى يصير الانسان به غنيا : هو قدر النصاب الزائد عن الحاجات الأصلية له ولأولاده ومن تلزمه نفقتهم من مأكل ، ومشرب ، وملبس ، ومسكن ، ومركب ، وآلة حرفة ، ونحـو ذلك ، فكل من عدم هـذا القدر فهو فقير يستحق الزكاة وليس هنـاك فرق بين الفقراء وبين المساكين من حيث الحاجة والفاقة ومن حيث استحقاقهم للزكاة ، والمساكين : هم قسم من الفقراء لهم وصف خاص بهم .

وقد جاء فى الحديث ما يدل على أن المساكين هم الفقراء الذين يتعففون عن السؤال ولا يتفطن اليهم الناس .

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، قـال : « ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان ..

---

(١) النور : ٥٦
(٢) الذاريات : ١٥ ـ ١٨
(٣) التوبة : ٦٠

انما المسكين الذى يتعفف ، أقرأوا ان شئتم : ((**لا يسألون الناس الحافا**))(١) . رواه الامام مالك والامام أحمد قريبا من هذا المعنى وحكى بعضهم الاتفاق عليه .

٣ — العاملون عليها :

وهم الذين يوليهم الامام أو نائبه العمل على جمع الزكاة من الأغنياء ، ويدخل فيهم الحفظة لها والرعاة لأنعامها والكتبة لديوانها ، ويجب أن يكونوا من المسلمين وألا يكونوا ممن تحرم عليهم الصدقة ويجوز أن يكونوا من الأغنياء .

٤ — المؤلفة قلوبهم :

وهم الجماعة الذين يراد تأليف قلوبهم وجمعها على الاسلام أو تثبيتها عليه لضعف اسلامهم أو كف شرهم عن المسلمين او جلب نفعهم فى الدفاع عنهم .

٥ — فى الرقاب :

ويشمل المكاتبين — من العبيد — ، فيعان المكاتبون بمال الزكاة لفك رقابهم من الرق ويشترى به العبيد ويعتقون .

٦ — الغارمون :

وهم الذين تحملوا الديون ، وتعذر عليهم أداؤها كمن التزم فى ذمته دينا ليدفعه فى اصلاح ذات البين أو ضمن دينا فلزمه ، أو استدان لحاجته الى الاستدانة ، فهؤلاء يأخذون من الزكاة ما يفى بديونهم . ومن استدان لاصلاح ذات البين يأخذ من الزكاة ولو كان غنيا .

٧ — فى سبيل الله :

وسبيل الله هو الطريق الموصل الى مرضاته .. وجمهور العلماء على أن المراد به هنا الغزو . وأن سهم سبيل الله يعطى للمتطوعين من الغزاة الذين ليس لهم مرتب من الدولة ، فهؤلاء لهم سهم من الزكاة فيعطونه ولو كانوا من الأغنياء . قال فى المنار : يجوز الصرف من هذا السهم على تأمين طريق الحج وتوفير الماء ، والغذاء وأسباب الصحة للحجاج ان لم يوجد لذلك مصرف آخر .

وسبيل الله يشمل سائر المصالح الشرعية العامة وفى مقدمتها الاستعداد للحرب بشراء الأسلحة وأغذية الجند وأدوات النقل وتجهيز

---

(١) البقرة : ٢٧٣

الغزاة ، ويشمل انشاء المستشفيات ، وشق الطرق ، ومد الخطوط العسكرية واعداد الدعاة الى الاسلام .

٨ ــ **ابن السبيل :**

وهو المسافر الذى نفد ماله وأصبح فى حاجة الى مال ينفق منه حتى يصل ماله أو يصل الى بلده .



وحول توزيع الزكاة :

فقد اختلف الفقهاء فى توزيع الزكاة على الأصناف الثمانية السابقة .. والراجح أنه لا يجب توزيعها على الأصناف كلها ، وأنه يجوز توزيعها على جنس واحد ، وللمزكى أن يعطى بعض الجنس دون بعضه ، اذ المقصود من الزكاة هو سد الحاجة وهذا يقتضى تقديم أهل الحاجة على غيرهم .



مع ملاحظة : أن الأصناف الآتية لا تستحق الزكاة ولا تحل لهم ولا يجزى صرفها اليهم ، وهم :

١ ــ **الكفرة والملاحدة :**

وقد أجمع الأئمة على عدم جواز صرف شىء من الزكاة الواجبة ــ غير زكاة الفطر ــ الى غير المسلم ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم صرح بقصرها على فقراء المسلمين ، وذلك فى حديثه لمعاذ رضى الله عنه حين بعثه الى اليمن ، وقال له : « فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة من أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » رواه البخارى .

أما زكاة الفطر فقد أجاز أبو حنيفة وحده صرف شىء منها لغير المسلم بينما منع الباقون من الأئمة ذلك ، وأما صدقة التطوع وهى غير الواجبة : فجمهور الأئمة يجيز توزيع بعضها على المحتاج غير المسلم ممن بيننا وبينهم صلة وعهد ، باعتبار أن برهم والاحسان اليهم لم يمنعنا الاسلام منه علما بأن دفعها للمسلم أفضل وأكثر ثوابا ، والأمر فى ذلك يرجع اليك والى تقديرك للظروف التى حولك .

وأهم شىء يجدر بنا أن نراعيه هو حاجة أقاربنا وجيراننا وأهل بلدتنا ، ومن لهم بنا صلة ، ومن هم أشد حاجة الى الزكاة ــ أو الصدقة بصفة عامة ــ من غيرهم .

٢ — آل البيت من بنى هاشم وبنى المطلب :

ففى الحديث : « ان الصدقة لا تنبغى لآل محمد ، انما هى أوساخ الناس » رواه مسلم . وعى أبى هريرة ، قال : أخذ الحسن ثمرة من ثمر الصدقة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « كخ .. كخ[1] — ليطرحها — أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة » متفق عليه .

٣ — الآباء والأبناء ويشمل الأجداد والأمهات والجدات وأبناء الأبناء والبنات :

فقد اتفق الفقهاء على أنه لا يجوز اعطاء الزكاة الى الآباء والأجداد والأمهات والجدات والأبناء وأبناء الأبناء ، والبنات وأبنائهن ، لأنه يجب على المزكى أن ينفق على آبائه وان علوا ، وأبنائه وان نزلوا ان كانوا فقراء : فهم أغنياء بغناه ، فاذا دفع الزكاة اليهم فقد جلب لنفسه نفعا بمنع وجوب النفقة عليه .

وقد استثنى مالك : الجد ، والجدة ، وبنى البنين ، فأجاز دفعها اليهم لسقوط نفقتهم[2] .. هذا فى حالة ما اذا كانوا فقراء ، فان كانوا أغنياء وغزوا متطوعين فى سبيل الله فله أن يعطيهم من سهم سبيل الله ، كما له أن يعطيهم من سهم الغارمين ، لأنه لا يجب عليه أداء ديونهم ويعطيهم كذلك من سهم العاملين اذا كانوا بهذه الصفة .

٤ — الزوجة :

لأن نفقتها واجبة على الزوج .. قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على أن الرجل لا يعطى زوجته من الزكاة . وسبب ذلك أن نفقتها واجبة عليه فتستغنى بها عن أخذ الزكاة مثل الوالدين الا اذا كانت مدينة فتعطى من سهم الغارمين لتؤدى دينها .

* * *

قال فى فقه السنة :

لا يجوز صرف الزكاة الى القرب التى يتقرب بها الى الله تعالى غير ما ذكر فى آية : **« انما الصدقات للفقراء والمساكين »** : فلا تدفع

---

(١) كخ بفتح أو كسر فسكون الخاء مخففا أو مثقلا وبكسرها منونة وغير منونة : كلمة لردع الصبى عن تناول ما لا ينبغى .

(٢) يرى ابن تيمية أنه يجوز دفع الزكاة الى الوالدين اذا كان لا يستطيع أن ينفق عليهما وكانا فى حاجة اليها .

لبناء المساجد والقناطر ، وإصلاح الطرقات ، والتوسعة على الأضياف ، وتكفين الموتى وأشباه ذلك •

قال أبو داوود : سمعت أحمد ــ وسئل : يكفن الموتى من الزكاة ؟ قال : لا ، ولا يقضى من الزكاة دين الميت[1] • وقال : يقضى من الزكاة دين الحى ، ولا يقضى منها دين الميت ، لأن الميت لا يكون غارما • قيل : فانما يعطى أهله • قال : ان كانت على أهله فنعم •

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام ، وأد الزكاة التى أوجبها الله تعالى عليك : كمسلم حر مالك للنصاب من أى أنواع المال الذى تجب فيه الزكاة ، وهو : الذهب ، والفضة ، والزروع ، والثمار ، وعروض التجارة ، والسوائم ، والمعدن ، والركاز •

ويشترط فى النصاب ــ الذى سنقف عليه بعد ذلك ــ :

١ ــ أن يكون فاضلا عن الحاجات الضرورية التى لا غنى للمرء عنها كالمطعم والملبس والمسكن والمركب وآلات الحرفة •

٢ ــ وأن يحول عليه الحول الهجرى ، ويعتبر ابتداؤه من يوم أن ملك النصاب ولابد من كماله فى الحول كله • فلو نقص أثناء الحول ثم كمل اعتبر ابتداء الحول من يوم كماله • قال النووى : مذهبنا ومذهب مالك وأحمد والجمهور أنه يشترط فى المال الذى تجب الزكاة فى عينه ، ويعتبر فيه الحول كالذهب ، والفضة ، والماشية وجود النصاب فى جميع الحول ، فان نقص النصاب فى لحظة من الحول انقطع الحول ، فان كمل بعد ذلك استؤنف الحول من حين يكمل النصاب •

وقال أبو حنيفة : المعتبر وجود النصاب فى أول الحول وآخره ولا يضر نقصه بينهما ، حتى لو كان معه مائتا درهم فتلفت كلها فى أثناء الحول الا درهما ، أو أربعون شاة فتلفت فى أثناء الحول الا شاة ، ثم ملك فى آخر الحول تمام المائتين وتمام الأربعين وجبت زكاة الجميع •

وهذا الشرط لا يتناول زكاة الزروع والثمار ، فانها تجب يوم الحصاد ، قال الله تعالى : ((•• **وآتوا حقه يوم حصاده**))[2] •

وقال العبدرى : أموال الزكاة ضربان أحدهما ما هو نماء فى نفسه ،

---

(١) لأن الغارم هو الميت ولا يمكن الدفع اليه وان دفعها للغريم صار الدفع الى الغريم لا الى الغارم •

(٢) الأنعام : ١٤١

كالحبوب والثمار ، فهذا تجب الزكاة فيه لوجوده . والثانى : ما يرصد للنماء ، كالدراهم والدنانير وعروض التجارة والماشية ، فهذا يعتبر فيه الحول فلا زكاة فى نصابه حتى يحول عليه الحول ، وبه قال الفقهاء كافة ، انتهى . من المجموع للنووى .

* * *

والزكاة عبادة فيشترط لصحتها النية ، وذلك أن يقصد المزكى عند أدائها وجه الله ، ويطلب بها ثوابه ويجزم بقلبه أنها الزكاة المفروضة عليه ، قال الله تعالى : **« وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين »**(١) .

وفى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى » . واشترط مالك والشافعى : النية عند الأداء أو عند عزل الواجب . وجوز أحمد تقديمها على الأداء زمنا يسيرا .

ويجب اخراج الزكاة عند وجوبها ، ويحرم تأخير أدائها عن وقت الوجوب الا اذا لم يتمكن من أدائها فيجوز له التأخير حتى يتمكن ، لما رواه أحمد والبخارى عن عقبة بن الحارث ، قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر ، فلما سلم قام سريعا فدخل على بعض نسائه ، ثم خرج ، ورأى ما فى وجوه القوم من تعاجبهم لسرعته ، قال : « ذكرت وأنا فى الصلاة تبرا(٢) عندنا ، فكرهت أن يمسى أو يبيت عندنا ، فأمرت بقسمته » .

وروى الشافعى والبخارى فى التاريخ عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « **ما خالطت الصدقة مالا قط الا أهلكته** » رواه الحميدى وزاد ، قال : « **يكون قد وجب عليك فى مالك صدقة فلا تخرجها ، فيهلك الحرام الحلال** » .

* * *

ويجوز تعجيل الزكاة وأداؤها قبل الحول ولو لعامين ، فعن الزهرى أنه كان لا يرى بأسا أن يعجل الرجل زكاته قبل الحول . وسئل الحسن عن الرجل أخرج ثلاث سنين يجزيه ؟ قال : يجزيه . قال الشوكانى : والى ذلك ذهب الشافعى ، وأحمد ، وأبو حنيفة ، وبه قال

---

(١) البينة : ٥

(٢) التبر : قال الجوهرى : لا يقال الا للذهب . وقد قال بعضهم فى الفضة .

الهادى والقاسم ، قال المؤيد بالله : وهو أفضل • وقال مالك وربيعة وسفيان الثورى وداوود وأبو عبيد بن الحارث • ومن أهل البيت الناصر : انه لا يجزى حتى يحول الحول ، واستدلوا بالأحاديث التى فيها تعلق الوجوب بالحول وقد تقدمت وتسليم ذلك لا يضر من قال بصحة التعجيل ، لأن الوجوب متعلق بالحول فلا نزاع ، وانما النزاع فى الاجراء قبله • انتهى • قال ابن رشد : وسبب الخلاف هل هى عبادة أو حق واجب للمساكين •• فمن قال انها عبادة وشبهها بالصلاة لم يجز اخراجها قبل الوقت ، ومن شبهها بالحقوق الواجبة المؤجلة آجاز اخراجها قبل الأجل على جهة التطوع ، وقد احتج الشافعى لرأيه بحديث على أن النبى صلى الله عليه وسلم استسلف صدقة العباس قبل محلها ، انتهى •

* * *

والآن آخا الاسلام ، وبعد أن وقفت معى على تلك الأساسيات التى كان لابد وأن تكون على علم بها ، حتى تؤدى زكاتك على أساس من الفقه ، اليك :

*** زكاة الذهب والفضة :**

عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « اذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم • وليس عليك شىء — يعنى فى الذهب — حتى يكون لك عشرون دينارا • فاذا كانت لك عشرون دينارا وحال عليها الحول ففيها نصف دينار • والدينار وزنه مثقال » رواه أبو داوود •

بهذا الحديث تحدد المقدار الذى تجب فيه الزكاة وهو ما يسمى « نصابا » كما تحددت قيمة الزكاة وهى فى الاثنين ربع العشر •

وهل المثقال الذى كان يتعامل به الناس فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، هو المثقال المعروف لنا الآن ، أو غيره وكذلك الدرهم ؟ ••

ليس بين أيدينا الآن ، ما يعطينا الجواب الصحيح ولذلك فنحن نقدم لك هذه المعلومات على أساس وزن المثقال والدرهم الآن ، وان كان وزن المثقال نفسه الآن متغيرا حسب البلاد •• فقد أفادنا تجار الذهب بالكويت أن المثقال العجمى = ٤٫٨ جرامات والمثقال العراقى = ٥ جرامات وبينهما فرق ضئيل •

وعلى هذا فلا مناص لنا من أن يحسب كل واحد زكاته على أساس المثقال المتعامل به عنده حتى نعثر على تحقيق دقيق لما يساويه العشرون

مثقالا فى عهد الرسول من موازيننا الآن ، وكذلك الدراهم •• فاذا كنت تملك ذهبا أو فضة على شكل سبائك أو عملة تتعامل بها ، فان بلغ وزن الذهب عشرين مثقالا أو بلغت الفضة مائتى درهم فقد وجبت فيها الزكاة « ربع العشر » — ٢,٥٪ — وما زاد على هذا المقدار فبحسابه فتخرج عن كل زائد ربع عشره •

وان كان أبو حنيفة لا يرى فى الزائد زكاة حتى يبلغ خمس النصاب فيكون فيه ربع العشر •• فمن يملك مائتى درهم فضة فزكاته قدرها خمسة دراهم ، ويحسب قيمة الزكاة بالعملة الجارية ويوزعها ، فاذا كانت زكاته مثلا خمسة دراهم فضة أخرج قيمة هذه الدراهم بالعملة السائدة فى بلده ، وحسب السعر الجارى وكذلك الأمر فى الذهب ••

* **زكاة العملات الجارية :**

التعامل الجارى الآن لا يتم غالبا بالعملة الذهبية أو الفضية ، وكل دولة من الدول لها عملتها ونقودها السائدة وهى قد تكون من نحاس أو نيكل أو ألمنيوم أو ورق والعملة الورقية هى الغالبة كما نعرف • ولنفرض أن انسانا عنده عشرات أو مئات الأكياس من العملة النحاس أو النيكل أو ما شبههما من المعادن فهل يزكى عنها ؟ مع العلم بأن قيمة هذه العملات مرتبطة بالجنيه ، ومن الممكن تحويلها اليه ، لهذا كله نرى أن فيها زكاة كبقية العملات الجارية • فيزكى عليها اذا بلغ ما عنده منها قيمة النصاب فيخرج عنها ربع العشر • وما دامت هذه العملة وحدة من وحدات الجنيه ويمكن تحويلها اليه فانها تحسب على أساس ما يحسب به الجنيه الورق المتعامل به •

* **زكاة أوراق البنكنوت :**

اذا بلغ ما يملكه المسلم منها ما قيمته عشرون مثقالا من الذهب فنحسب البنكنوت على أساس نصاب الذهب لأن لها مقابلا ذهبيا فى بنك الدولة هو ما يسميه الاقتصاديون بالغطاء الذهبى •

ويجب أن نلاحظ بعناية أن قيمة الذهب والفضة تختلف من زمن الى زمن ومن بلد الى بلد كما هو معروف •

وعلى هذا يجب أن يراعى كل انسان القيمة السائدة للذهب فى بلده وقت اخراج الزكاة ، قد يختلف فى الكويت مثلا ، عنه فى السعودية •• فى مصر •• فى العراق •• الـخ • وذلك حسب سعر الذهب فيها •

كما أن المبلغ الذى تجب فيه الزكاة قد يختلف أيضا من سنة الى

سنة فى البلد نفسه وذلك حسب اختلاف سعر الذهب . وهذا ما يجب أن يتنبه اليه الناس جيدا ولا سيما المفتون من العلماء ولا يعتمدوا على أرقام المبالغ التى دونت فى الكتب من قبل لأنها حسبت على حساب سعر الذهب والفضة فى زمنهم ، والأسعار متغيرة كما نعرف ، وما دام الوزن ثابتا حسب النص ، فانه من الممكن حساب قيمته كل سنة حسب الأسعار فى نهاية السنة عند اخراج الزكاة .

*** كيف تحسب زكاة العملة ؟**

اذا كانت بلدك تتعامل بالمثقال وبالدرهم فاعرف كم يساوى العشرون مثقالا من الذهب بالعملة الجارية ، فاذا وجدت أن عندك قيمة العشرين مثقالا من أوراق البنكنوت ، أو من العملة المعدنية كالنحاس والنيكل ، فانك تكون حينئذ قد ملكت النصاب .

وعليك أن تعرف اليوم الذى بدأ فيه ملكك له ليكون بدء سنته الزكاة ..

أما اذا لم تكن بلدك تتعامل بالمثقال ولا يمكنك معرفته ، فاننا نضع أمامك ما وصلنا اليه بعد الرجوع الى تجار الذهب فى الكويت :

قالوا : ان عندنا نوعين من المثاقيل ، هما :

المثقال العجمى = ٤٫٨٠ جرامات ، فالعشرون مثقالا تساوى ٩٦ جراما .

المثقال العراقى = ٥ جرامات ، فالعشرون مثقالا تساوى ١٠٠ جرام .

والتفاوت بسيط على كل حال ، وعلينا أن نعتمد على الأقل وهو ٩٦ من باب الاحتياط . ومن السهل بعد ذلك أن يعرف كل انسان من سوق بلده ما تساويه الـ ٩٦ جراما من الذهب بالجنيهات الورقية ويحسب زكاته .

بقى عندنا سؤال يقوم فى الأذهان .. وهو : لنفرض أن النصاب توفر فى وقت من الأوقات كان بدء سنة الزكاة ولكن هذا المبلغ نقص أثناء السنة ثم زاد حتى بلغ نصابا أو أكثر عند تمام السنة ، فما الحكم فى هذه الحالة ؟ ..

الامام أبو حنيفة يرى أنه لا يضر النقصان عن النصاب أثناء السنة اذ أن العبرة عنده بوجوده فى أولها وعند نهايتها ، وعلى ذلك يرى وجوب الزكاة فى هذه الحالة .

أما غيره ، فيرى أنه لابد من وجود النصاب طول السنة بحيث لو نقص فى يوم من أيامها انقطعت السنة ، فاذا زاد حتى بلغ النصاب فى يوم من الأيام بدأ حساب سنة جديدة من وقت بلوغه النصاب .

وبعض من لا دين عندهم يحاولون أن يفلتوا من الزكاة ويظنون أنهم يتعاملون مع أفراد لا مع الله الذى يعلم ما فى الصدور فيتهربون من اخراج الزكاة ، ولكن اذا تهربوا فى الدنيا وضنوا بحق الله ، فأين يهربون من الله فى الآخرة يوم لا ملجأ منه الا اليه **« يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم »**(١) ؟ ..

هذا هو الضابط وهو الفرق بين ما يفرضه الله على عباده ، وما يفرضه العباد على العباد خارجا من شرع الله .

*** زكاة الحلى :**

اعتاد الناس أن يتخذوا من الذهب والفضة حليا للزينة ، كما اعتاد بعضهم أن يستعمل بعض الأدوات المتخذة منهما ـ من الذهب والفضة ـ كالملاعق ، والشوك ، والأطباق ، والتحف ، وما الى ذلك .. فهل تكون عليها زكاة ؟ ..

قال جمهور الأئمة : ان كانت الحلى مباحة فلا زكاة عليها .

وقال الامام أبو حنيفة : بل تجب فى الحلى المباحة زكاة .

ومن المعلوم أن المرأة هى التى يباح لها فقط التحلى بالذهب والفضة ، ولا يباح للرجل التحلى بالذهب مطلقا ، ولا بالفضة الا بقدر خاتم صغير منها ، أما استعمال الأوانى والتحف من الفضة أو الذهب فحرام على الرجل والمرأة معا . وعلى هذا تجب الزكاة على ما يتخذه الرجل من زينة ذهبية أو فضية وعلى كل الأوانى المصنوعة منهما المملوكة للرجل أو المرأة وتحسب على أساس نصاب الذهب أو الفضة كما قدمنا .

وعلى رأى من قال بعدم الزكاة على حلى المرأة برد ما يذهب اليه بعض الناس من اتخاذ حلى المرأة مادة ادخار حتى لنجدها أحيانا زائدة عن حد الزينة لمثلها فما يكون الرأى فى هذه الحالة ؟

نرى أن الانصاف فى هذه الحالة يقضى بوجوب فرض زكاة عليها لأنها خرجت عن الغرض المقصود منها وهى الزينة الى الادخار .

---

(١) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩

*** الحلى من الجواهر :**

وقد اعتاد البعض التحلى بخواتم أو بعقود من الماس أو اللؤلؤ أو غيرها من الأحجار الكريمة الغالية الثمن حتى ليصل ثمن الخاتم الى عدة آلاف كما يصل ثمن العقد الى عشرات الألوف ، فهل فى هذه الحلى زكاة ؟

والجواب أن هذه الحلى لم يرد النص بتحريمها ، ومن ثم فهى مباحة ، كما لم يرد نص بالزكاة عليها ، ومن ثم لم يقل أحد من الفقهاء أن عليها زكاة حتى الذين قالوا ان فى حلى الذهب والفضة المباحة زكاة كالامام أبى حنيفة ، ومع ذلك فانها لو اتخذت حليا بقصد الادخار فانه يكون لها شأن آخر اذ أنه يمكن القول فى هذه الحالة بأن عليها زكاة على حسب قيمتها فى آخر كل عام .

وقد جاء فى فتاوى الشيخ شلتوت عن زكاة الحلى من الذهب والفضة ما يأتى :

« حلى المرأة ان كان المقصود من اتخاذه التزين ، كان من الحاجة الأصلية للمرأة ولهذا لا تتعلق به زكاة ، وأما اذا اتخذته كنزا وادخارا باسم الحلى وانما وضعته فى يدها حفظا له من الضياع ، فقد صار نقدا لم تتعلق به حاجة أصلية لصاحبته ، وبهذا تجب فيه زكاة » .

*** زكاة الدين :**

للأئمة والفقهاء المجتهدين آراء وتفصيلات كثيرة حول زكاة الدين مذكورة فى كتب الفقه . ومن خلال هذه الآراء والتفصيلات يمكن أن نختار لك هذا الموجز :

فالدين الذى لك على آخر أو آخرين اما أن يكون :

١ — دينا حيا ، وهو ما كان المدين معترفا به مستعدا لسداده فى وقته أو عند طلبه .

٢ — أو دينا على معسر لا يرجى منه السداد أو على مماطل أو جاحد له غير معترف به .

والقسم الأول ، وهو الدين الحى : يرى جمهور الأئمة أن على الدائن زكاة ماله بالشروط السابقة فى زكاة المال الا أنه لا يجب عليه اخراج زكاته الا بعد قبضه ويزكى عن المدة الماضية كلها سنة أو أكثر .

أما اذا كان الدين من النوع الثانى وهو ما يكون على معسر أو

مماطل أو جاحد : فأكثر الأئمة على أنه لا زكاة فيه ، وان كان الامام مالك يرى أنه اذا قبضه فانه يزكى عنه لعام واحد فقط ولو مكث عنده الدين أعواما •

ومن كان عليــه دين يستغرق كل ماله أو بعضه ، فهل عليه زكاة ؟

قال الشافعية : نعم عليه زكاة فيما تحت يده من مال لو بلغ نصابا •

وقال الحنفية : لا زكاة عليه فيما تحت يده من مال الا زكاة الزروع والثمار فانها تجب •

وقال المـــالكية : لا زكاة عليه فيما تحت يده من مال الا زكاة الزروع والثمار والمــاشية فانها تجب •

وقال الحنابلة بمثل ذلك ••

ونحن نميل الى الأخذ برأى الذين يقولون لا زكاة عليه فى المقدار الذى يساوى الدين الذى عليه •

*** زكاة عروض التجارة :**

اذا كان الانسان يتاجر فى أية سلعة من السلع وجب عليه أن يخرج الزكاة اذا بلغت قيمة السلعة الجارية نصابا عند تمام الحول •

والدليل على ذلك ما رواه أبو داوود والبيهقى عن سمرة بن جندب ، قال : أما بعد •• فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نخرج الصدقة « الزكاة » ما نعده للبيع •

وما رواه أبو عمرو بن حماس عن أبيه ، قال : كنت أبيع الأدم « الجلد » والجعاب « الخفاف » فمر بى عمر بن الخطاب ، فقال : أد صدقة مالك • فقلت : يا أمير المؤمنين انما هو الأدم • قال : قومه ثم أخرج صدقته •

فكل سلعة يتاجر فيها الانسان سواء أكانت أصلا من الأصناف التى تزكى كالحبوب والمــاشية أم لم تكن كالأقمشة والأشياء المصنوعة ، والأرض ، والعقارات والأسهم وغيرها : تجب الزكاة فيها بالشروط الآتيــة :

١ ــ أن تكون عنده نية التجارة فيها •

٢ ــ أن تبلغ قيمة السلعة أو السلع التى يملكها ويتاجر فيهــا نصابا عند تمام السنة التجارية •

٣ ــ والنصاب المعتبر هنا هو النصاب المذكور فى زكاة الذهب والفضة ، فيأتى آخر العام ويجرى جردا عاما لممتلكاته التى يتــاجر

فيها ؛ ويحسب قيمتها وقت الجرد ، ولا يدخل فى ذلك قيمة الآثاث والأجهزة الموجودة فى المحل اللازمة للتجارة ، فان بلغت قيمتها حسب سعر السوق نصابا أو زادت زكاها باخراج ربع عشرها والا فلا زكاة ، وكل تاجر فى بلده يخرج زكاته على أساس قيمة النصاب المالى فيها كما قلنا فى زكاة الذهب والفضة • ولا يضر نقصان قيمة التجارة عن النصاب أثناء الحول اذ العبرة بالقيمة عند تمامه • وتقويم السلع التجارية يكون على أساس العملة الجارية فى بلده •

واذا كانت له عدة محال تجارية فانها تضم بعضها الى بعض وتحسب قيمة ما فى هذه المحال ويخرج عنها الزكاة وهى ربع العشر •• واذا كان يملك أرضا أو عقارا أو مثل ذلك ثم نوى فيه التجارة بدأت سنة الزكاة من حين نيته التجارة فيها ••

ويلاحظ أن الربح يضم الى رأس المال عند الجرد السنوى الختامى وتؤدى الزكاة عن الجميع ، فلو بدأت التجارة مثلا بمائة دينار وفى آخر العام بلغت خمسمائة دينار فالزكاة واجبة على الخمسمائة دينار ، بل ولو كان رأس مال التجارة عند بدئها لا يبلغ نصابا فربح حتى بلغ رأس المال والربح نصابا أو أكثر زكى عليه ••

ومعلوم أن التاجر عندما يعمل حسابه الختامى فى آخر العام يحسب ماله من الديون على الآخرين وما عليه للآخرين ويعرف بعد ذلك قيمة ما يمتلكه ويضم اليه ماله المدخر ان كان وعلى هذا تكون الزكاة • اللهم الا اذا كان له دين على تاجر مفلس أو عميل لا ينتظر منه السداد فلا يحسب فيما تجب فيه الزكاة •

* زكاة التأمين النقدى :

التأمين النقدى الذى يدفعه المستأجر للمالك مال مملوك للمستأجر مودع عند المالك ضمانا لسداد الأجرة فى مواعيدها ، فتجب زكاته على مالكه لا على المؤجر اذا توفرت شروط الوجوب •

* زكاة العقار :

العقار الذى يتجر فيه صاحبه بالبيع والشراء حكمه حكم السلع التجارية ويزكى زكاة عروض التجارة ، والعقار الذى يسكنه صاحبه ، أو يكون مقرا لعمله كمحل للتجارة ومكان للصناعة لا زكاة فيه ، والعقار

الذى يستغله مالكه بالايجار لا زكاة فى عينه ، ولكن غلته تخضع للزكاة بشروطها اذا توفرت من النصاب الزائد عن حاجته والحول .

*** زكاة الأسـهم :**

يرى بعض الفقهاء المعاصرين أن الأسهم التى تتخذ للتجارة تجرى فيها زكاة عروض التجارة ، ومقدارها : ربع العشر فى قيمتها بعد حولان الحول .

أما الأسهم التى لا يقصد صاحبها التجارة فيها ، فتجب الزكاة فى غلاتها ، بعد كل النفقات ، والقدر الواجب اخراجه هو عشر الصافى من الغلة .

*** زكاة الزروع والثمـار :**

وردت آيات من القرآن الكريم تأمر المؤمنين بالانفاق مما أخرجته الأرض ، ومنها أخذ الفقهاء وجوب اخراج زكاة الزروع ، والثمار ، وان اختلفت وجهة نظرهم فى الأصناف التى تؤخذ عليها زكاة ، والأصناف التى لا تؤخذ عليها ، ويقول الله تعالى فى سورة الأنعام : **« وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفـا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه ، كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده »**(١) .

ويقول تعـالى : **« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون »**(٢) .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وفيما سقى بالنضح نصف العشر » رواه الجماعة الا مسلما .

والعثرى بفتح العين والثاء وكسر الراء : الذى يشرب بجذوره لأنه عثر على المـاء فى باطن التربة فلم يعد فى حاجة الى سـقى . أما النضح فهى آلة السقى كالساقية والمـاكينة ونحوهما .

*** الأصناف التى تزكى :**

والذى يتتبع آراء الأئمة حول الأصناف التى تجب فيها الزكاة يجدهم مختلفين فى وجهات نظرهم حولها .

فيرى الأحناف أن الزكاة واجبة فى كل ما يستنبته الانسان من الأرض ، لا فرق بين حبوب وخضر وثمار وفواكه ، فكل ما يزرعـه

---

(١) الأنعام : ١٤١ (٢) البقرة : ٢٦٧

الانسان عليه زكاة ، مع استثناء نحو الحطب والقصب الفارسى والأشجار غير المثمرة وهى واجبة عنده فى القليل والكثير .

أما جمهور الأئمة فيرون أن الزكاة واجبة فى ثمار النخل والكرم وفى كل ما يزرع للقوت بشرط أن يكون صالحا للادخار كالقمح ، والشعير ، والأرز ، والذرة ، واللوبيا ، والحمص ، والعدس ونحو ذلك ، ويزيد الامام أحمد على هذا أنه لا يشترط أن يكون ما يدخر صالحا للأكل فيوجب الزكاة على ما يدخر ولو كان غير صالح للأكل كحب الفجل والفواكه والقطن والكتان وما شابه ذلك ..

وتجب الزكاة فى الثمار عند نضجها واستطابة أكلها كما تجب فى الزروع بعد قوتها واشتدادها وتصفيتها ، فاذا قطعت قبل نضجها أو بدو صلاحها واشتدادها فلا زكاة عليها .

* نصاب الزكاة :

وقد سبق أن عرفت أن الامام أبا حنيفة يوجب الزكاة فى القليل والكثير ولا يشترط بلوغها نصابا .

أما الآخرون فانهم يشترطون مع ما تقدم أن تبلغ الثمار أو الزروع النصاب ، وهو خمسة أوسق حسب نص الحديث السابق ، وذلك بعد تصفية نحو الأرز من قشره ومن الطين والتراب وبعد جفاف الثمر .

والوسق قدره الرسول صلى الله عليه وسلم بستين صاعا بصاع المدينة فى عهده صلى الله عليه وسلم ، فيكون النصاب ثلاثمائة صاع ، والصاع قدح وثلث .

ولا شك أن المكاييل تغيرت الآن عما كانت عليها فى عهد الرسول ، وقد قدر بعض العلماء النصاب حسب المكاييل الحاضرة بأربعة أرادب وكيلتين .. والأردب اثنتا عشرة كيلة ..

وعلى هذا فمن يعرفون عندهم الآن مقدار الصاع المدنى فأمامهم مقدار النصاب بالصيعان ، ومن لا يعرفونه فأمامهم قدر النصاب حسب الكيل المعمول به فى مصر الآن ..

وقد قدر بعض العلماء النصاب بالوزن فقالوا : انه يبلغ بالرطل البغدادى قديما (وهو نحو ١٢٩ درهما) ١٦٠٠ رطل بغدادى وبالرطل المعمول به الآن ١٤٢٩ رطلا .

ولكن لو لجأنا الى الوزن فسنجد أن الحبوب بعضها ثقيل كالأرز مثلا وبعضها خفيف كالشعير ، فلو اتخذنا الوزن مقياسا فيسختلف

المقدار فى الكيل وعلى هذا فان علينا أن نعتبر فى النصاب الكيل كما ورد فى الحديث •

وقد جاء فى دائرة المعارف الاسلامية المجلد (١٤ ص ١٠٥) أن مد النبى صلى الله عليه وسلم يساوى ٧٥ لترا على وجه التقريب فيكون الصاع على هذا ثلاثة آلتار كيلا تقريبا ، واللتر معروف لدى معظم الدول الاسلامية •

*** المقدار الواجب اخراجه :**

نص الحديث الوارد الذى ذكرناه من قبل : بين لنا هذا ، ففى كل زرع يسقى بماء المطر أو بماء الأنهار دون تكلفة من الزارع فزكاته العشر ، أما اذا سقى بالساقية أو الماكينة أو الشادوف أو نحو ذلك مما يتكلفه الزارع فى سقيه ، فزكاته نصف العشر •

واذا سقى نصف المدة بهذا ونصفها الآخر بذاك : فزكاته ثلاثة أرباع العشر ، والمرجع فى هذا ضمير الزارع ووازعه الدينى •

*** ضريبة الأرض والزكاة :**

تفرض الحكومات عادة ضريبة على الأرض الزراعية تختلف قيمتها حسب جودة الأرض أو عدم جودتها ، وهذه الضريبة تتقاضاها الدولة نظير ما تقوم به من شق الترع والمصارف والطرق والسدود وتوفير الوسائل لتحسين الزراعة والنهوض بها كتعيين المشرفين والمرشدين الزراعيين وغير ذلك ، فهل يمكن اعتبار هذه الضريبة زكاة ؟ ••

بالنظرة الأولى لوظيفة الضريبة ومصارفها نجد أنها غير الزكاة ومصارفها ، ومن هنا اختلف الغرض من كل منهما ولا يصح بالتالى أن تقوم الضريبة مقام الزكاة وتغنى عنها ، ومعلوم أن الضريبة تؤخذ سنويا ، أما الزكاة فتؤخذ من الزراعة عند نضجها سواء نضجت فى شهور أم سنة ••

*** زكاة الأنعام :**

الأصناف التى تجب فيها الزكاة ، هى : الابل ، والبقر ، والجاموس ، والغنم ، والماعز • ولا يزكى عنها الا بشروط أربعة :

١ — أن تكون سائمة ، أي ترعى الكلأ المباح أكثر السنة ، وهذا الشرط عند الجمهور ، أما المالكية فانهم لا يشترطون السوم فى وجوب زكاة النعم ، بل تجب سواء أكانت معلوفة أم سائمة •

٢ — أن تتخذ الماشية للدر والنسل والتسمين لا للعمل • وهذا

أيضا على رأى الجمهور بخلاف المـالكية ، فانهم لا يشترطون هـذا الشرط بل يرون أن الزكاة واجبة فى النعم سواء أكانت عاملة أم غير عاملـة .

٣ — أن تبلغ نصابا معينا كما سنوضحه فيما بعد .

٤ — أن يحول عليها الحول الا ما تولد منها أثناء العام ، فانه لا يشترط لوجوب الزكاة فيه مرور عام جديد ولكن يزكى مع الكبار عند تمام عامها .

واليك بعد هذا النصاب والمقدار الواجب فى كل نوع :

*** نصاب زكاة البقر :**

النصاب				القدر الواجب
من	٣٠	الى	٣٩	تبيع أو تبيعه وهو ما له سنة .
من	٤٠	الى	٥٩	مسنة وهى ما لها سنتان .
من	٦٠	الى	٦٩	تبيعان .
من	٧٠	الى	٧٩	مسنة وتبيع .
من	٨٠	الى	٨٩	مسنتان .
من	٩٠	الى	٩٩	ثلاثة أتباع .
من	١٠٠	الى	١٠٩	مسنة وتبيعان .
من	١١٠	الى	١١٩	مسنتان وتبيع .

وما زاد على ذلك ففى كل ثلاثين منه تبيع ، وفى كل أربعين مسنة .

*** نصاب زكاة الابل :**

النصاب				القدر الواجب
من	٥	الى	٩	شاة .
من	١٠	الى	١٤	شاتان .
من	١٥	الى	١٩	ثلاث شياه .
من	٢٠	الى	٢٤	أربع شياه .
من	٢٥	الى	٣٥	بنت مخاض[1] .
من	٣٦	الى	٤٥	بنت لبـون[2] .

---

(١) وهى التى دخلت فى سنتها الثانية ، وسميت بذلك لأن أمها عادة تصبح من المخاض أى الحوامل .

(٢) وهى التى دخلت فى الثالثة ، وسميت بذلك لأن أمها عادة تصبح فى هذه المدة ذات لبن نتيجة الحمل بعدها والولادة .

من ٤٦ الى ٦٠ حقة[1] .
من ٦١ الى ٧٥ جذعة[2] .
من ٧٦ الى ٩٠ بنتا لبون .
من ٩١ الى ١٢٠ حقتان .
فاذا زادت ، ففى كل أربعين ابنة لبون ، وفى كل خمسين حقة .

❋ نصاب زكاة الغنم :

النصاب			القدر الواجب
من ٤٠	الى	١٢٠	شاة لها سنة .
من ١٢١	الى	٢٠٠	شاتان .
من ٢٠١	الى	٣٠٠	ثلاث شياه .

فاذا زادت بعد ذلك ، ففى كل مائة شاة .

هذا ويجوز اخراج الذكور فى الزكاة اتفاقا ، اذا كان نصاب الغنم كله ذكورا ، فان كان اناثا فقط أو اناثا وذكورا ، جاز اخراج الذكور عند الأحناف ، وتعينت الأنثى عند غيرهم .

❋ ❋ ❋

والآن أخا الاسلام ، وبعد أن وقفت على هذه الأحكام المتعلقة بالزكاة وأنواعها ، والتى كان لابد وأن تقف عليها حتى تؤدى زكاتك على أساس من الفقه الذى به تكون عالما لا جاهلا :

بعد أن وقفت على كل هذا ، أرجو ألا تنسى الآية الثانية ، التى أخبرنا الله تعالى فيها ، بأن فى أموالنا حق معلوم : **« للسائل والمحروم »**[3] :

وذلك حتى نحرص على أن نكون من هؤلاء الذين يريدون وجه الله كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها :

« فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله ، وأولئك هم المفلحون . وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون »[4] .

---

(١) وهى التى دخلت فى الرابعة وسميت بذلك لأنها استحقت أن يطرقها الفحل .

(٢) وهى التى دخلت فى الخامسة ، وسميت بذلك لأنها أجذعت ، أى : سقط مقدم أسنانها .

(٣) المعارج : ٢٥

(٤) الروم : ٣٨ ، ٣٩

فحول هاتين الآيتين ، قال القرطبي :

قوله تعـــالى : « **فآت ذا القربى حقه** » فيه ثلاث مسائل :

الأولى : لمـــا تقدم أنه سبحانه وتعالى يبسط الرزق ويقدر[1] أمر من وســـع عليه الرزق أن يوصل الى الفقير كفايته ليمتحن شكر الغنى • والخطاب للنبى صلى عليه وسم والمراد هو أمته ؛ لأنه قال : « **ذلك خير للذين يريدون وجه الله** »[2] • وامر بايتاء ذى القربى لقربه رحمه ، وخير الصدقة ما كان على القريب ، وفيها صلة الرحم • وقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على الأقارب على عتق الرقاب ، فقال لميمونة وقد أعتقت وليدة : « أما انك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لك فى أجرك » •

الثانية : واختلف فى هـــذه الآية ، فقيل : انها منســـوخة بآية المواريث • وقيل : لا نسخ ، بل للقريب حق لازم فى البـــر على كل حال ، وهو الصحيح • قال مجاهد وقتادة : صلة الرحم فرض من الله عز وجل ، حتى قال مجاهد : لا تقبل صدقة من أحد ورحمه محتاجة • وقيل : المراد بالقربى أقرباء النبى صلى الله عليه وسلم •

والأول أصح ، فان حقهم مبين فى كتاب الله عز وجل فى قوله : « **فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى** »[3] •

وقيل : ان الأمر بالايتاء لذى القربى على جهة الندب • قال الحسن : « **حقـــه** » المواساة فى اليسر ، وقول ميسور فى العسر •

« **والمسكين** » ، قال ابن عباس : أى أطعم الســـائل الطواف ، « **وابن السبيل** » الضيف ، فجعل الضيافة فرضا •

الثالثة : « **ذلك خير للذين يريدون وجه الله** » ، أى اعطاء الحـــق أفضل من الامساك اذا أريد بذلك وجه الله والتقرب اليه •

« **وأولئك هم المفلحون** » أى الفائزون بمطلوبهم من الثواب فى الآخرة •

* * *

---

(١) انه يشير الى الآية : ٣٧ فى سورة الروم التى قبل هاتين الآيتين ، وهى : « **أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشـــاء ويقدر ، أن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون** » : أى يوسع الخير فى الدنيا لمن يشاء أو يضيق ، فلا يجب أن يدعوهم الفقر الى القنوط .

(٢) الروم : ٣٨ (٣) الأنفال : ٤١

ثم يقول القرطبى بعد ذلك ـ بايجاز وتصرف ـ : قوله تعالى : **« وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون »**[1] ، فيه أربع مسائل :

الأولى : لما ذكر ما يراد به وجهه ويثيب عليه ، ذكر غير ذلك من الصفة وما يراد به أيضا وجهه . وقرأ الجمهور « آتيتم » بالمد بمعنى أعطيتم . وقرأ ابن كثير ومجاهد وحميد بغير مد بمعنى ما فعلتم من ربا ليربوا ، كما تقول : أتيت صوابا وأتيت خطأ . وأجمعوا على المد فى قوله : **« وما آتيتم من زكاة »** . والربا الزيادة ، وقد مضى فى « البقرة » معناه ، وهو هناك محرم ، وههنا حلال . وثبت بهذا أنه قسمان : منه حلال ومنه حرام . قال عكرمة فى قوله تعالى : **« وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس »** : قال : الربا ربوان ، ربا حلال ، وربا حرام ؛ فأما الربا الحلال فهو الذى يهدى ، يلتمس ما هو أفضل منه . وعن الضحاك فى هذه الآية : هو الربا الحلال الذى يهدى ليثاب ما هو أفضل منه ، لا له ولا عليه ، ليس له أجر وليس عليه فيه اثم . وكذلك قال ابن عباس **« وما آتيتم من ربا »** يريد هدية الرجل الشىء يرجو أن يثاب أفضل منه ، فذلك الذى لا يربوا عند الله ولا يؤجر صاحبه ولكن لا اثم عليه ، وفى هذا المعنى نزلت الآية . قال ابن عباس وابن جبير وطاووس ومجاهد : هذه آية نزلت فى هبة الثواب . قال ابن عطية : وما جرى مجراها مما يصنعه الانسان ليجازى عليه كالسلام وغيره فهو وان كان لا اثم فيه فلا أجر فيه ولا زيادة عند الله تعالى . وقاله القاضى أبو بكر بن العربى . وفى كتاب النسائى عن عبد الرحمن بن علقمة ، قال : قدم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم هدية ، فقال : أهدية أم صدقة ؟ فان كانت هدية فانما يبتغى بها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضاء الحاجة ، وان كانت صدقة فانما يبتغى بها وجه الله عز وجل » قالوا : لا بل هدية ، فقبلها منهم وقعد معهم يسائلهم ويسألونه .

وقال ابن عباس أيضا وابراهيم النخعى : نزلت فى قوم يعطون قراباتهم واخوانهم على معنى نفعهم وتمويلهم والتفضل عليهم ، وليزيدوا فى أموالهم على وجه النفع لهم . وقال الشعبى : معنى الآية أن ما خدم

---

(١) الروم : ٣٩

الانسان به أحدا وخف له لينتفع به فى دنياه فان ذلك النفـع الذى يجزى به الخدمة لا يربوا عند الله • وقيل : كان هذا حراما على النبى صلى الله عليـه وسلم على الخصوص ، قال الله تعـالى : « **ولا تمنن تستكثر** »[١] ، فنهى أن يعطى شيئا فيأخذ أكثر منه عوضا • وقيل : انه الربا المحـرم ، فمعنى « **فلا يربوا عند الله** » على هـذا القـول لا يحكم به لآخذه بل هو للمأخوذ منه • قال السـدى : نزلت هـذه الآية فى ربا ثقيف ، لأنهم كانوا يعملون بالربا وتعمله فيهم قريش •

الى آخر تلك المسائل[٢] التى يعنينا منها بعد ذلك ما أشار اليه فى المسألة الرابعة ، حيث يقول : قوله تعـالى : « **وما آتيتم من زكاة** » قال ابن عباس : أى من صدقة • « **تريدون وجـه الله فأولئـك هم المضعفون** » أى ذلك الذى يقبله ويضاعفه له عشرة أضعافه أو أكثر •

كما قـال : « **من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة** »[٣] •

وقـال : « **ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة** »[٤] •

وقـال : « **فأولئـك هم المضعفون** » ولم يقل فأنتم المضعفون لأنه رجع من المخاطبة الى الغيبة ، مثل قوله : « **حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم** »[٥] •

وفى معنى المضعفين قولان : أحدهما : أنه تضاعف لهم الحسنات • والثانى : أنهم قد أضعف لهم الخير والنعيم ، أى هم أصحاب أضعاف •

وعلى هذا فاننا نستطيع أن نتفق على أنه من الخير لنا أن نكون من هؤلاء الذين يريدون وجه الله •• وأنه من الشر أن نكون ــ والعياذ بالله ــ من هؤلاء البخلاء بما آتاهم الله من فضله ••



وحسبنا ترهيبا لنا من هـذا أن نقرأ قول الله تبارك وتعالى :

« **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم** »

---

(١) المدثر : ٦

(٢) التى تستطيع أن ترجع اليها بتوسع فى القرطبى حول تفسير الآيـة ..

(٣) البقرة : ٢٤٥

(٤) البقرة : ٢٦٥

(٥) يونس : ٢٢

بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، ولله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون خبير »[١] .

وقوله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم • يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون »[٢] .

* * *

بل وحسبنا ترهيبا لنا أن نقرأ كذلك هذين الحديثين الشريفين :

روى أحمد والشيخان عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من صاحب كنز[٣] لا يؤدى زكاته الا أحمى عليه فى نار جهنم فيجعل صفائح ، فتكوى بها جنباه وجبهته حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار ، وما من صاحب ابل لا يؤدى زكاتها الا بطح[٤] لها بقاع قرقر[٥] كأوفر ما كانت[٦] تستن عليه[٧] كلما مضى[٨] عليه أخراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار ، وما من صاحب غنم لا يؤدى زكاتها الا بطح لها بقاع قرقر كأوفر ما كانت فتطؤه بأظلافها[٩] ، وتنطحه بقرونها ليس فيها عقصاء[١٠] ولا جلحاء[١١] كلما مضى عليه أخراها ردت عليه أولاها حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ، ثم يرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار ؛ قالوا : فالخيل يا رسول الله ؟ قال : الخيل فى نواصيها — أو قال :

---

(١) آل عمران : ١٨٠ (٢) التوبة : ٣٤ ، ٣٥

(٣) الكنز مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد ، وأما ما أخرجت زكاته فليس بكنز مهما كثر .

(٤) أى بسط ومد .

(٥) أى المستوى الواسع من الأرض .

(٦) أى كأعظم ما كانت . (٧) أى تجرى عليه .

(٨) أى كلما مر .

(٩) الظلف للغنم كالحافر للفرس .

(١٠) عقصاء : أى ملتوية القرنين .

(١١) أى التى لا قرن لها .

الخيل معقود في نواصيها — الخير الى يوم القيامة ، الخيل ثلاثة : هى لرجل أجر ، ولرجل ستر ، ولرجل وزر ، فأما التى هى له أجر فالرجل يتخذها في سبيل الله ، ويعدها له فلا تغيب شيئا في بطونها الا كتب الله له بها أجر ، ولو رعاها في مرج[1] فما أكلت من شيء الا كتب الله له بها أجرا ، ولو سقاها من نهر كان له بكل قطرة تغيبها في بطونها أجر ، حتى ذكر الأجر في أبوالها وأرواثها ولو استنت شرفا[2] أو شرفين كتب له بكل خطوة يخطوها أجر . وأما الذى هى له ستر فالرجل يتخذها تكرما وتجملا لا ينسى حق ظهورها وبطونها في عسرها ويسرها . وأما التى هى عليه وزر فالذى يتخذها أشرا وبطرا وبذخا[3] ، ورياء الناس ، فذلك عليه الوزر . قالوا : فالحمر يا رسول الله ؟ قال : ما أنزل الله على فيها شيئا الا هذه الآية الجامعة الفاذة[4] : **« فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »**[5] .

وروى الشيخان عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له[6] يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان[7] يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه — يعنى شدقيه — ثم يقول : أنا كنزك أنا مالك . ثم تلا هذه الآية : **« ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله .. »**[8] الآية .

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام حتى تكون مؤديا لزكاتك ، التى سميت زكاة لما يكون فيها من رجاء البركة وتزكية النفس وتنميتها بالخيرات . فانها مأخوذة من الزكاء وهو النماء والطهارة والبركة ، كما يشير الى هذا قول الله تبارك وتعالى : **« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها »**[9] .

---

(١) المرج : أى المرعى . (٢) أى العالى من الأرض .
(٣) الأشر : كفر النعمة بعدم شكرها ، والبطر كذلك ، والبذخ بنفس المعنى .
(٤) أى المتناولة لكل خير وبر .
(٥) الزلزلة : ٧ ، ٨ (٦) مثل له : أى صور .
(٧) الشجاع : الذكر من الحيات ، والأقرع ، أى الذى ذهب شعره من كثرة السم ، وقوله : له زبيبتان : أى نقتطان سوداوان فوق عينيه .
(٨) آل عمران : ١٨٠ (٩) التوبة : ١٠٣

هذا بالاضافة الى أنها — أساسا — أحد أركان الاسلام الخمسة ، وقد قرنت بالصلاة فى اثنين وثمانين آية • وقد فرضها الله تعالى بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واجماع أمته •

وحسبك فى النهاية أن تذكر دائما وأبدا قول الله تبارك وتعالى :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله •• »[1] • أى أن الجماعة التى يباركها الله تعالى ويشملها برحمته : هى الجماعة التى تؤمن بالله ، ويتولى بعضها بعضا بالنصر والحب ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتصل ما بينها وبين الله بالصلاة ، وتقوى صلاتها ببعضها بايتاء الزكاة •



ونفذ كذلك بعد ذلك ما أوصانا به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى آخر الوصية — التى ندور حولها — وهو :

« وأطيعوا أمراءكم » ، أى : ولاة أموركم فى جميع شئون حياتكم العامة منها والخاصة ، والدنيوية والأخروية ، وسواء أكان هذا على مستوى الأسرة أو المجتمع الذى نعيش فيه •• ما دامت أوامرهم ستكون فى حدود طاعة الله ، واجتناب نواهيه •• وعلى أساس من الكتاب والسنة واجماع الأمة : لأنه كما نعلم جميعا كمسلمين : لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق •

وقد أعلن أبو بكر الصديق رضى الله عنه هذا بعد البيعة ، ولما ولى الخلافة :

فقد قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله ، ثم قال :
« أما بعد ، أيها الناس •• فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقومونى • الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع عليه حقه ان شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله • لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا خذلهم الله بالذل • ولا تشيع الفاحشة فى قوم الا عمهم الله بالبلاء • أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لى عليكم • قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله » ذكره الحافظ

---

(١) التوبة : ٧١

ابن كثير فى البداية بسند صحيح • وابن الأثير فى الكامل • وكذا أبو بكر الباقلانى فى اعجاز القرآن ، بلفظ :

قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد •• فانى وليت أمركم ولست بخيركم ولكن نزل القرآن وسن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعلمنا فعلمنا • واعلموا أن أكيس الكيس التقى ، وأن أحمق الحمق[1] الفجور ، وأن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وأن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق • أيها الناس : انما أنا متبع ولست بمبتدع ، فان أحسنت فأعينونى ، وان زغت[2] فقومونى » •

وخطب رضى الله عنه فى ثانى يوم البيعة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

« أيها الناس انما أنا مثلكم ، وانى لا أدرى لعلكم ستكلفونى ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق ، ان الله اصطفى محمدا على العالمين وعصمه من الآفات ، وانما أنا متبع ولست بمبتدع ، فان استقمت فتابعونى ، وان زغت فقومونى ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة[3] ضربة سوط فما دونها ، ألا وانكم تغدون وتروحون فى أجل قد غيب عنكم علمه ، فان استطعتم ألا يمضى هذا الأجل الا وأنتم فى عمل صالح فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك الا بالله ، فسابقوا فى مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم الى انقطاع الأعمال ، فان قوماً نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم ، فاياكم أن تكونوا أمثالهم • الجد الجد ، والنجاء النجاء ، والوحا الوحا[4] فان وراءكم طالبا حثيثا ، أجلا مره سريع • احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والاخوان ولا تغبطوا الأحياء الا بما تغبطون به[5] الأموات » ذكره ابن كثير فى البداية والطبرى فى تاريخه •



---

(١) الحمق بضم فسكون وبضمتين : قلة العقل • والكيس بفتح فسكون : ضد الحمق •   (٢) زغت بكسر فسكون : أى ملت •

(٣) المظلمة بكسر اللام ما أخذه الظالم ، وبفتحها : مصدر ظلم •

(٤) النجاء والوحا : الاسراع ، يقال وحى وتوحى : أسرع •

(٥) الغبطة : تمنى مثل ما للغير من غير أن يريد زوال نعمته عنه •

هــذا •• واذا كنا قد عرفنا أن الأمراء هم ولاة أمورنا ••

فاننى أرى — استنادا الى هــذا — أن نفهم المراد من قول الله تعــالى :

« يا أيهــا الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرســول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا »[١] .

فحول هــذه الآية الكريمة ، قال القرطبى ، فيه ثلاث مسائل :

الأولى : لمــا تقدم الى الولاة فى الآية المتقدمة — وهى :

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعــدل ، ان الله نعمــا يعظــكم به ، ان الله كان ســميعا بصــيرا »[٢] .

وبدأ بهم فأمرهم بأداء الأمانات وأن يحكموا بين الناس بالعدل ، تقدم فى هــذه الآية — التى ندور حولها — الى الرعية فأمر بطاعته عز وجل أولا ، وهى امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، ثم بطاعة رســوله ثانيا فيما أمر به ونهى عنه ، ثم بطاعة الأمراء ثالثا ، على قول الجمهور وأبى هريرة وابن عباس وغيرهم • قال سهل بن عبد الله التسترى : أطيعوا السلطان فى سبعة : ضرب الدراهم والدنانير ، والمكاييل والأوزان ، والأحكام والحج والجمعة والعيدين والجهاد • قال سهل : اذا نهى السلطان العالم أن يفتى فليس له أن يفتى ، فان أفتى فهو عاص ، وان كان أميرا جائرا •

وقال ابن خويز منداد : وأما طاعة السلطان فتجب فيما كان الله فيه طاعة ، ولا تجب فيما لله فيه معصية ، ولذلك قلنا : ان ولاة زماننا لا تجوز طاعتهم ولا معاونتهم ولا تعظيمهم !! ويجب الغزو معهم متى غزوا ، والحكم من قبلهم ، وتولية الامامة والحسبة ، واقامة ذلك على وجه الشريعة • وان صلوا بنا وكانوا فسقة من جهة المعاصى جازت الصلاة معهم ، وان كانوا مبتدعة لم تجز الصلاة معهم الا أن يخافوا فيصلى معهم تقية — أى حماية لنفسه من شرهم — وتعاد الصــلاة •

ثم يقول القرطبى : قلت : روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : حق على الامام أن يحكم بالعدل ، ويؤدى الأمانة ، فاذا

---

(١) النساء : ٥٩ • (٢) النساء : ٥٨ •

فعل ذلك وجب على المسلمين أن يطيعوه ، لأن الله تعالى أمــر بأداء الأمانة والعدل ثم أمر بطاعته .

وقال جابر بن عبد الله ومجاهد : « أولوا الأمر » أهل القــرآن والعلم ، وهو اختيار مالك .

ونحوه قول الضحاك ، قال : يعنى الفقهاء والعلماء فى الدين .
وحكى عن مجاهد : أنهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة .
وحكى عن عكرمة :أنها اشارة الى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما خاصة ..
وقال ابن كيسان : هم أولوا العقل والرأى الذين يدبرون أمر الناس .

ثم يقول القرطبى : قلت : وأصح هــذه الأقوال الأول والثانى ، أما الأول ، فلأن الأصل الأمر منهم والحكم اليهم .

وروى الصحيحان عن ابن عباس قال : نزل : **« يا أيهــا الذين آمنــوا أطيعوا الله وأطيعوا الرســول وأولى الأمر منــكم .. »**[1] : فى عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى السهمى اذ بعثه النبى صلى الله عليــه وسلم فى سرية . قال أبو عمر : وكان فى عبد الله بن حذافة دعابة معروفة ، ومن دعابته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره على سرية فأمرهم أن يجمعوا حطبا ويوقدوا نارا ، فلما أوقدوها أمرهم بالتقحم فيها — أى باقتحامها — فقال لهم : ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعتى ؟ ! وقال : « من أطاع أميرى فقد أطاعنى » فقالوا : ما آمنا بالله واتبعنا رسوله الا لننجوا من النار ! فصوب رسول الله صلى الله عليــه وسلم فعلهم — أى وافقهم عليــه — وقال : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، قال الله تعالى : **« ولا تقتلوا أنفسكم »**[2] . وهو حديث صحيح الاسناد مشهور .

وروى محمد بن عمرو بن علقمة عن عمرو بن الحكم عن ثوبان أن أبا سعيد الخدرى ، قال : كان عبد الله بن حذافة بن قيس السهمى من أصحاب بدر وكانت فيه دعابة ..

وأما القول الثانى فيدل على صحته قوله تعالى : **« فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول »**[3] فأمر سبحانه برد المتنازع فيه الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وليس للعلماء معــرفة كيفية الرد الى الكتاب والسنة . ويدل على صحة كون سؤال العلماء

---

(١) النساء : ٥٩
(٢) النساء : ٢٩
(٣) النساء : ٥٩

واجبا ، وامتثال فتواهم لازما • قال سهل بن عبد الله : لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء ، فاذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم ، واذا استخفوا بهذين فسد دنياهم وأخراهم •

وأما القول الثالث فخاص ، وأخص منه القول الرابع •

وأما الخامس فيأباه ظاهر اللفظ وان كان المعنى صحيحا ، فان العقل لكل فضيلة أس ، ولكل أدب ينبوع ، وهو الذى جعله الله للدين أصلا وللدنيا عمادا ، فأوجب الله التكليف بكماله ، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه ، والعاقل أقرب الى ربه تعالى من جميع المجتهدين بغير عقل • وروى هذا المعنى عن ابن عباس • وزعم قوم أن المراد بأولى الأمر على والأئمة المعصومون • ولو كان كذلك ما كان لقوله : **« فردوه الى الله والرسول »** معنى ، بل كان يقول : فردوه الى الامام وأولى الأمر ، فان قوله عند هؤلاء هو المحكم على الكتاب والسنة • وهذا قول مهجور مخالف لما عليه الجمهور • وحقيقة الطاعة امتثال الأمر ، كما أن المعصية ضدها وهى مخالفة الأمر • والطاعة مأخوذة من أطاع اذا انقاد • والمعصية مأخوذة من عصى اذا اشتد ••

الثانية : قوله تعالى: **« فان تنازعتم فى شىء »** أى تجادلتم واختلفتم ، فكأن كل واحد ينتزع حجة الآخر ويذهبها • والنزع الجذب • والمنازعة مجاذبة الحجج ، ومنه الحديث : « وأنا أقول مالى ينازعنى القرآن »[1] •

وقال الأعشى :

نازعتهم قضب الريحان متكئا
وقهوة مزة راووقها[2] خضل

« فى شىء » أى من أمر دينكم **« فردوه الى الله والرسول »** أى ردوا ذلك الحكم الى كتاب الله أو الى الرسول بالسؤال فى حياته ، أو بالنظر فى سنته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، هذا قول مجاهد والأعمش وقتادة وهو الصحيح • ومن لم ير هذا اختل ايمانه لقوله تعالى : **« أن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر »** • وقيل : المعنى

---

(١) فى نهاية ابن الأثير ولسان العرب : « مالى أنازع القرآن » وينازعنى : يجاذبنى فى القراءة ، ذلك أن بعض المأمومين جهر خلفه فنازعه قراءته فشغله ، فنهاه عن الجهر بالقراءة فى الصلاة خلفه •

(٢) الراووق المصفاة ، والخضل المبتل المندى •

قولوا : الله ورسوله أعلم ، فهذا هو الرد • وهذا كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : الرجوع الى الحق خير من التمادى فى الباطل • والقول الأول أصح ، لقول على رضى الله عنه : ما عندنا الا ما فى كتاب الله وما فى هذه الصحيفة[١] ، أو فهم أعطيه رجل مسلم • ولو كان كما قال هذا القائل لبطل الاجتهاد الذى خص به هذه الأمة والاستنباط الذى أعطيها ، ولكن تضرب الأمثال ويطلب المثال حتى يخرج الصواب • قال أبو العالية : وذلك قوله تعالى : « **ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** »[٢] • نعم ، ما كان مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه فذلك الذى يقال فيه : الله أعلم •

وقد استنبط على رضى الله عنه مدة أقل الحمل — وهو ستة أشهر — من قوله تعالى : « **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** »[٣] ، وقوله تعالى : « **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين** »[٤] : فاذا فصلنا الحولين من ثلاثين شهرا بقيت ستة أشهر ، ومثله كثير • وفى قوله تعالى : « **والى الرسول** » دليل على أن سنته صلى الله عليه وسلم يعمل بها ويمتثل ما فيها • قال صلى الله عليه وسلم : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم فانما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم » أخرجه مسلم • وروى أبو داود عن أبى رافع عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه ، فيقول لا ندرى ، ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه » • وعن العرباض ابن سارية أنه حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس وهو يقول : « أيحسب أحدكم متكئا[٥] على أريكته وقد يظن أن الله لم يحرم شيئا الا ما فى هذا القرآن ألا وانى والله قد أمرت ووعظت ونهيت عن أشياء انها لمثل القرآن أو أكثر » •

---

(١) لعل الصحيفة هذه كان فيها بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم الشريفة . . والله أعلم .

(٢) النساء : ٨٣ (٣) الأحقاف : ١٥ (٤) البقرة : ٢٣٣

(٥) قوله : « متكئا على أريكته » جالسا على سريره المزين ، وهذا بيان لحماقته وسوء أدبه كما هو دأب المتنعمين المغرورين بالمال . وقال الخطابى : أراد به أصحاب الترفه والدعة الذين لزموا البيوت ولم يطلبوا بالأسفار الحديث من أهله فيرده حيث لا يوافق هواه . (عن ابن ماجه) .

وأخرجه الترمذى من حديث المقدام بن معدى كرب بمعناه وقال : حديث حسن غريب • والقاطع قوله تعالى : « **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنــة** »[1] الآية •

الثالثة : قوله تعــالى : « **ذلك خير** » أى ردكم ما اختلفتم فيه الى الكتاب والسنة خير من التنازع •

« **وأحسن تأويلا** » أى مرجعا ، من آل يئول الى كذا أى صار • وقيل : من ألت الشيء اذا جمعته وأصلحته • فالتأويل جمع معانى ألفاظ أشكلت بلفظ لا اشكال فيه ، يقال : أول الله عليك أمرك أى جمعه • ويجوز أن يكون المعنى : وأحسن من تأويلكم •

* * *

والآن أخا الاسلام وبعد أن وقفت معك على تلك الأساسيات الهــامة المتعلقة بطاعة الله ورسوله وأولى الأمر •• أريد أن أنبهك ونفسى الى شيء هام ، وهو :

أن الله تعالى هو ولى جميع أمورنا ــ أولا وأخيرا ــ وهو المتكفل بأرزاق جميع مخلوقاته •• كما يشير الى هذا قوله تعالى :

« **وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ••** »[1] •

ولهذا ، كان لابد وأن نطيع الله تبارك وتعالى •• وذلك بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه •• اذا أردنا أن نكون فعلا من عباده الشاكرين له سبحانه وتعالى على نعمائه التى لا تحصى ولا تعد « **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** »[2] •

واذا أردنا كذلك أن نؤكد حبنا له سبحانه وتعالى •• وذلك لن يكون الا بطاعتنا له والبعد عن معاصيه :

تعصى الاله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كنت حقا صادقا لأطعته ... ان المحب لمن يحب مطيــع

* * *

وحبنا لله تعالى لن يكون حقيقة الا باتباعنا لرسوله المصطفى صلوات الله وسلامه عليه •• كما يشــير الى هذا قول الله تبارك وتعــالى لنبيه ، حتى يبلغنا ويرشدنا : « **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** »[4] •

---

(١) النور : ٦٣
(٢) هود : ٦
(٣) النحل : ١٨
(٤) آل عمران : ٣١

لأن الخير كله فى الاتباع ، والشر كله فى الابتداع .

وفى الحديث الشريف : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » رواه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود .

لأن الله تعالى ، قال : « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا** »[١] .

أى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يترك الدنيا الا بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة وهدى الأمة وكشف الغمة ، والا بعد أن أنزل الله تعالى عليه هذه الآية الكريمة .. التى معناها أن النبى صلى الله عليه وسلم ما ترك خيرا الا وأمر به ، وما ترك شرا الا وقد نهى عنه .

ومن أجل هذا ، فقد قال الأئمة الأعلام :

من استحسن بدعة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة .

ولهذا ، كان لابد وأن نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل ما بلغه عن الله تعالى .. وعندما سنفعل ذلك ان شاء الله فاننا سنكون قد أطعنا الله .. قال تعالى : « **من يطع الرسول فقد أطاع الله ..** »[٢] .

وقال : « **وان تطيعوه تهتدوا ..** »[٣] .

* * *

ثم اذا كان آباؤنا هم ولاة أمورنا ــ بصفة خاصة ــ فاننا نريد أن نفهم المراد من قوله تعالى : « **.. وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون** »[٤] .

وقوله تعالى : « **وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ..** »[٥] .

فهذه الآية والتى قبلها نزلتا فى شأن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، لما أسلم .. فقد قالت له أمه ــ وهى حمنة بنت أبى سفيان ابن أمية ــ : أليس قد أمر الله بالبر ؟ والله لا أطعم طعاما ، ولا أشرب شرابا حتى أموت أو تكفر ، قال[٦] : فكانوا اذا أرادوا أن يطعموها

---

(١) المائدة : ٣ (٢) النساء : ٨٠

(٣) النور : ٥٤ (٤) العنكبوت : ٨

(٥) لقمان : ١٥

(٦) كما فى رواية الترمذى عن سعد بن أبى وقاص .. وهو حديث حسن صحيح . كما قال أبو عيسى .

شجروا[1] فاها فنزلت هذه الآية : « **ووصينا الانسان بوالديه حسنا ، وان جاهداك لتشرك بى ..** »[2] الآية ..

وروى عن سعد أنه قال : كنت بارا بأمى فأسلمت ، فقالت : لتدعن دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى ، ويقال : يا قاتل أمه ، وبقيت يوما ويوما ، فقلت : يا أماه .. لو كانت لك مائة نفس ، فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا ، فان شئت فكلى ، وان شئت فلا تأكلى ، فلما رأت ذلك أكلت ، ونزلت : « **وان جاهداك لتشرك بى** » .. الآية .

واذا كان الله تعـالى قد قال فى الآية الثانية : « **وصاحبهما فى الدنيـا معروفا** » فهو نعت لمصدر محذوف ، أى مصاحبا معروفا .. والآية دليل على صلة الأبوين الكافرين بما أمكن من المـال ان كانا فقيرين ، والانة القول والدعاء الى الاسلام برفق . وقد قالت أسماء بنت أبى بكر الصديق للنبى صلى الله عليـه وسلم ، وقد قدمت عليهـا خالتها ، وقيل أمها من الرضاعة ، فقالت : يا رسول الله .. ان أمى قدمت على وهى راغبة[3] أفأصلها ؟ قال : « نعم » .



واذا كان الأصل فى موضوعنا ــ هـذا ــ هو طاعة أمرائنا المسلمين الذين يأمروننا بطاعة الله لا بمعصيته ، فاننى أضيف الى كل ما وقفنا عليـه ، أن النبى صلى الله عليـه وسلم ، قد رغبنا فى هذا :

فعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسـلم ، قال : « على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، الا أن يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » متفق عليـه .

وعنه قال : كنا اذا بايعنا رسول الله صلى الله عليـه وسلم على السمع والطاعة يقول لنا : « فيما استطعتم » متفق عليه .

وعن أبى الوليد عبادة بن الصامت رضى الله عنه ، قال : « بايعنا رسول الله صلى الله عليـه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر

---

(١) أى أدخلوا فى فمها عودا من الشجر حتى يفتحوه به .

(٢) العنكبوت : ٨

(٣) أى عن الاسـلام .. قال ابن عطية : والظـاهر عندى أنها راغبة فى الصلة ، وما كانت تقدم على أسماء لولا حاجتها .

والمنشط[١] والمكره ، وعلى أثرة علينا[٢] ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله ، الا أن تروا كفرا بواحا[٣] عندكم من الله تعالى فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم » متفق عليه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أطاعنى فقد أطاع الله ، ومن عصانى فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ، ومن يعص الأمير فقد عصانى » متفق عليه .

وعن أبى بكرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أهان السلطان أهانه الله » رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « من كره من أميره شيئا فليصبر ، فانه من خرج من السلطان شبرا[٤] مات ميتة جاهلية » متفق عليه .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من خلع يدا من طاعة[٥] لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »[٦] رواه مسلم .

وفى رواية له : « ومن مات وهو مفارق للجماعة ، فانه يموت ميتة جاهلية » .



ومن حق أمرائنا علينا ــ بالاضافة الى ما رغبنا فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة لهم ــ أن ننصحهم ــ بالحكمة والموعظة الحسنة ــ بما نراه خيرا لهم ولنا ، وأن ندعو لهم بالتوفيق والسداد فى ولايتهم لأمورنا ورعايتهم لمصالحنا وأن نتعاون معهم ــ بالبر والتقوى

---

(١) المنشط والمكره بفتح ميمهما : أى فى السهل والصعب .

(٢) الأثرة : الاختصاص بالمشترك .

(٣) بواحا : بفتح الباء الموحدة بعدها واو ثم الف ثم حاء مهملة : اى ظاهرا لا يحتمل تأويلا .

(٤) أى خرج من طاعته ولو قليلا ، فهو كناية عن القلة .

(٥) أى خرج عنها بالخروج على الامام ، وعدم الانقياد له فى غير معصية .

(٦) أى مات على الضلالة ، كما يموت أهل الجاهلية عليها ، فانهم كانوا لا يدخلون تحت طاعة أمير ويرون ذلك عيبا .

لا بالاثم والعدوان — على تحقيق آمال الأمة وحماية ثغورها من جميع الأعـداء :

وحسبى أن أذكر بحديث صحيح رواه مسلم جاء فى نصه :

عن أبى رقية تميم بن أوس الدارى رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليـه وآله وسلم ، قال : « الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

قال الخطابى : النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له ، وقيل : النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه اذا خاطه ، فشبهوا فعل الناصح بما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسد من خلل الثوب ، وقيل : انها مأخوذة من نصحت العسل اذا صفيته من الشمع ، شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من الخلط .

وحول معنى النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، فقد قال العلماء :

أما النصيحة لله تعالى : فمعناها ينصرف الى الايمان بالله ونفى الشرك عنه ، وترك الالحاد فى صفاته ، ووصفه بصفات الكمال والجلال كلها وتنزيهه سبحانه وتعـالى عن جميع أنواع النقائص ، والقيـام بطاعته ، واجتناب معصيته ، والحب فيه ، والبغض فيه ، وموده من أطاعه ، ومعاداة من عصاه ، وجهاد من كفر به ، والإعتراف بنعمته وشكره عليها ، والاخلاص فى جميع الأمور ، والدعاء الى جميع الأوصاف المذكورة والحث عليها والتلطف بجميع الناس أو من أمكن منهم ، وحقيقة هـذه الأوصـاف راجعة الى العبـد نفسـه ، والله تعـالى غنى عن نصح الناصح .

وأما النصيحة لكتاب الله تعالى : فالايمان بأنه كلام الله تعـالى وتنزيله ، لا يشبهه شيء من كلام الناس ولا يقدر على مثله أحـد من الخلق ، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها ، واقامة حروفه فى التـلاوة ، والذب عنه لتأويل المحرفين وتعـرض الطاعنين ، والتصديق بما فيـه ، والوقوف مع أحكامه ، وتفهم علومه وأمثاله ، والاعتبار بمواعظه ، والتفكر فى عجائبه ، والعمل بمحكمه ، والتسليم لمتشابهه ، والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ، ونشر علومه ، والدعاء اليه والى ما ذكرناه من نصيحته .

وأما النصيحة لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم : فتصديقه على

الرسالة والايمان بجميع ما جاء به وطاعته فى أمره ونهيه ونصرته حيا وميتا ، ومعاداة من عاداه ، وموالاة من والاه ، واعظام حقه وتوقيره ، واحياء طريقته وسنته وبث دعوته ونشر سنته ونفى التهم عنها ونشر علومها والفقه بها والدعاء لها والتلطف فى تعلمها وتسليمها واعظامها وجلالها والتأدب عند قراءتها والامساك عن الكلام فيها بغير علم ، واجلال أهلها لانتسابهم اليها ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه ، ومحبة أهل بيته وأصحابه ومجانبة من ابتدع فى سنته أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك •

وأما النصيحة لأئمة المسلمين : فمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به ونهيهم وتذكيرهم برفق واعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين ، وترك الخروج عليهم وتأليف قلوب المسلمين لطاعتهم :

قال الخطابى : ومن النصيحة لهم ، الصلاة خلفهم ، والجهاد معهم ، وأداء الصدقات اليهم ، وترك الخروج بالسيف عليهم اذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة ، وألا يغروا بالثناء الكاذب عليهم ، وأن يدعى لهم بالصلاح ••

❋ ❋ ❋

ومن أجمل الوصايا التى قرأتها فى هذا المقام : وصية الامام الحسن البصرى — رحمه الله — لأمير المؤمنين « عمر بن عبد العزيز » رضى الله عنه ، حيث قال له :

يا أمير المؤمنين •• الامام العادل : هو قوام كل مائل عن الحق ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ومفزع كل ملهوف •

والامام العادل ، يا أمير المؤمنين •• كالراعى الشفيق على ما يرعى ، وكالأب الحانى على ولده ، وكالقلب بين الجوانح ، تصلح الجوانح بصلاحه ، وتفسد بفساده •

والامام العادل : هو القائم بين الله ، وبين عباده ، يسمع كلام الله ويسمعهم ، وينقاد الى الله ويقودهم ، فلا تكن يا أمير المؤمنين ، فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله ، فبدد المال ، وشرد العيال !!!

واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده ، وقلة أشياعك وأنصارك عنده •

واذكر اذا بعثر من فى القبور ، وحصل ما فى الصدور ، فالأسرار ظاهرة ، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، لا تحكم بحكم الجاهلين ، ولا تسلك سبيل الظالمين ، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين !!! ...

ولا تنظر الى قدرتك اليوم ، ولكن انظر الى قدرتك غدا ، وأنت مأسور فى حبائل الموت ، وموقوف بين يدى الله تعالى ، فى مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين : **« وعنت الوجوه للحى القيوم ، وقد خاب من حمل ظلما »**(١) .

وقال الزهرى : ما سمعت بأحسن من كلام تكلم به رجل عند سليمان ابن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين : اسمع منى أربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك . قال : لا تعد أحدا عدة وأنت لا تريد انجازها ، ولا يغرنك مرتقى سهل اذا كان المنحدر وعرا ، واعلم أن الأعمال جزاء فاحذر العواقب ، والدهر تارات فكن على حذر .

وروى أن الحجاج جمع بعض علماء العراق وفيهم الحسن البصرى والشعبى ، وجعل يحادثهم ، فذكر على بن أبى طالب رضى الله عنه فنال منه ، وجاراه من معه تقربا له ، وأمنا من شره ، الا الحسن البصرى فصمت على مضض وعض على ابهامه اذ غلى مرجل غضبه ، فالتفت اليه الحجاج وقال : يا أبا سعيد ، مالى أراك ساكتا ، قال : ما عسيت أن أقول ؟ قال : أخبرنى عن رأيك فى أبى تراب . قال : سمعت الله جل ذكره يقول : **« وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه ، وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله ، وما كان الله ليضيع ايمانكم ، ان الله بالناس لرؤوف رحيم »**(٢) فعلى ممن هدى الله من أهل الايمان ، فأقول : ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم وختنه(٣) على ابنته ، وأحب الناس اليه ، وصاحب سوابق مباركات سبقت له من الله ، لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يحظرها عليه ، ولا يحول بينه وبينها ، وأقول : ان كانت لعلى هنات فالله حسبه ، والله ما أجد فيه قولا أعدل من هذا ، فبسر وجه

---

(١) طه : ١١١ (٢) البقرة : ١٤٣

(٣) الختن : كل من كان من قبل المرأة مثل الأب والأخ وهم الأختان .. عند العرب .

الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضبا فدخل بيتا خلفه ، وخرج الجمع . فقال عامر الشعبى : أغضبت الأمير ، وأوغرت صدره . فقال : اليك عنى يا عامر ، هلا اتقيت ان سئلت فصدقت أو سكت فسلمت . قال الشعبى : يا أبا سعيد قد قلتها وأنا أعلم ما فيها . قال الحسن : فذاك أعظم فى الحجة عليك ، وأشد فى التبعة .

وبعث الحجاج الى الحسن فلما دخل عليه قال : أنت الذى تقول : قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم ؟ قال : نعم . قال : ما حملك على هذا ؟ قال : ما أخذه الله على العلماء من المواثيق : « .. ليبيننه للناس ولا يكتمونه »[1] ، قال : يا حسن .. أمسك عليك لسانك واياك أن يبلغنى عنك ما أكره ، فأفرق بين رأسك وجسدك .

ودخل ابن السماك يوما على أمير المؤمنين هارون الرشيد ، فوافق أن وجده يرفع الماء الى فمه ليشرب ، فقال : ناشدتك الله يا أمير المؤمنين أن تنتظر به قليلا . فلما وضع الماء ، قال له : أستحلفك بالله تعالى لو أنك منعت هذه الشربة من الماء فبكم كنت تشتريها ؟ قال : بنصف ملكى . قال : اشرب هنأك الله ، فلما شرب ، قال : أستحلفك بالله تعالى يا أمير المؤمنين لو أنك منعت خروجها من جوفك بعد هذا فبكم كنت تشتريها ؟ قال : بملكى كله ، فقال : يا أمير المؤمنين ان ملكا تربو عليه شربة ماء لخليق ألا ينافس فيه ، فبكى هارون حتى ابتلت لحيته . فقال الفضل بن الربيع — وكان واقفا بين يدى الأمير — مهلا يا ابن السماك فأمير المؤمنين أحق من رجا العاقبة عند الله بعدله فى ملكه وحسن قيامه بحق ربه . فقال ابن السماك : يا أمير المؤمنين .. والله ان هذا ليس معك فى قبرك غدا ، فانظر لنفسك فأنت بها أخبر وعليها أبصر ، وأما أنت يا فضل فمن حق أمير المؤمنين عليك فى تقريبه اياك وبره بك ، أن تكون يوم القيامة من حسناته لا من سيئاته ، فذلك أكفأ ما تؤدى به حقه عليك ، والسلام .

وقدم هشام بن عبد الملك حاجا أيام خلافته ، فقال : ايتونى برجل من الصحابة . فقيل : قد تفانوا . قال : فمن التابعين ، فأتى بطاووس اليمانى ، فلما دخل عليه خلع نعله بحاشية بساطه ، ولم

---

(١) على نسق قوله تعالى : « **واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ..** » (آل عمران : ١٨٧) .

يسلم عليه بامرة المؤمنين ، بل قال : السلام عليك . ولم يكنه ، وجلس بازائه ، وقال : كيف أنت يا هشام ؟ فغضب هشام غضبا شديدا ، وقال : يا طاووس .. ما الذى حملك على ما صنعت ؟ فقال : وما صنعت ؟ فازداد غضبا ، وقال : خلعت نعلك بحاشية بساطى ، ولم تسلم على بامرة المؤمنين ، ولم تكننى ، وجلست بازائى . فقال طاووس : أما خلع نعلى بحاشية بساطك ، فانى أخلعها بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يغضب على لذلك ، وأما قولك : لم تسلم على بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرتك ، فكرهت أن أكذب ، وأما قولك : لم تكننى ، فان الله تعالى سمى أولياءه ، فقال : يا داوود يا يحيى ، يا عيسى . وكنى أعداءه فقال : **« تبت يدا أبى لهب وتب »**[1] . وأما قولك : جلست بازائى ، فانى سمعت أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه يقول : اذا أردت أن تنظر الى رجل من أهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم قيام . فقال هشام : عظنى . فقال طاووس : سمعت من أمير المؤمنين على بن أبى طالب أن فى جهنم حيات كالتلال وعقارب كالبغال تلدغ كل أمير لا يعدل فى رعيته ، ثم قام عنه وانصرف .

وقال الفضل بن الربيع : حج هارون الرشيد فبينما أنا نائم اذ سمعت قرع الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : أجب أمير المؤمنين ، فخرجت مسرعا فاذا أنا به أمير المؤمنين ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، لو أرسلت الى أتيتك . فقال : ويحك ، قال حاك فى نفسى شىء لا يخرجه الا عالم ، انظر لى رجلا أسأله . فقلت : ههنا الفضيل بن عياض . فقال : امض بنا اليه . فأتيناه واذا هو قائم يصلى فى غرفته ، يتلو آية من كتاب الله ويرددها ، فقرعت الباب ، فقال : من هذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين ، فقال : مالى ولأمير المؤمنين . فقلت : سبحان الله أما عليك طاعته ؟ فقال : أو ليس قد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس للمؤمن أن يذل نفسه » . ثم نزل ففتح الباب ، ثم ارتقى الغرفة فأطفأ السراج ، ثم التجأ الى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كفى كف الرشيد اليه . فقال :

---

(١) المسد : ١

أواه من كف ما ألينها ان نجت من عذاب الله تعالى • قال : فقلت فى نفسى ليكلمنه الليلة بكلام تقى من قلب تقى • فقال : جد لنا ما جئنا له ، يرحمك الله • قال : وفيم جئت ؟ حملت على نفسك وجميع من معك حملوا عليك حتى لو سألتهم عند انكشاف الغطاء عنك وعنهم أن يحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا • ولكان أشدهم حبا لك أشدهم هربا منك • ثم قال : ان عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم ابن عبد الله ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة ، فقال لهم : انى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا على • فعد الخلافة بلاء ، وعددتها أنت وأصحابك نعمة • فقال سالم بن عبد الله : ان أردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها على الموت • وقال محمد بن كعب : ان أردت النجاة من عذاب الله غدا فليكن كبير المسلمين لك أبا ، وأوسطهم عندك أخا ، وأصغرهم ولدا • فبر أباك وارحم أخاك وتحنن على ولدك • وقال له رجاء بن حيوة : ان أردت النجاة من عذاب الله غدا فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك • ثم متى مت • وانى لأقول لك هذا وانى لأخاف عليك أشد الخوف يوم تزل الأقدام • فهل معك يرحمك الله مثل هؤلاء القوم من يأمرك بمثل هذا ! ••

فبكى هارون بكاء شديدا حتى غشى عليه • فقلت : أرفق بأمير المؤمنين • فقال : يا ابن أم الربيع قتلته أنت وأصحابك وأرفق به أنا ؟ ثم أفاق ، فقال : زدنى • فقال : يا أمير المؤمنين •• ان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه فقال : يا رسول الله •• أمرنى على امارة • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عباس •• — عم النبى صلى الله عليه وسلم — نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ، ان الامارة حسرة وندامة يوم القيامة ، فان استطعت أن لا تكون أميرا فافعل » • فبكى هارون بكاء شديدا ثم قال : زدنى يرحمك الله • قال : يا حسن الوجه أنت الذى يسألك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيامة فان استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل ، واياك أن تصبح وتمسى وفى قلبك غش لرعيتك فان النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « من أصبح لهم غاشا لم يرح رائحة الجنة » • فبكى هارون الرشيد ، ثم قال : عليك دين ؟ قال : نعم ، دين لربى لم يحاسبنى عليه ، فالويل لى ان سألنى ، والويل لى ان ناقشنى ، والويل لى ان لم يلهمنى

حجتي • قال هارون : انما أعني دين العباد ، قال : ان ربي لم يأمرني بهذا ، وأمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره ، فقال تعالى : **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون • ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون • ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين »**[1] • فقال له : هذه ألف دينار فأنفقها على عيالك وتقو بها على عبادة ربك ، فقال : سبحان الله •• أنا أدلك على النجاة وتكافئني بمثل هذا ، سلمك الله ووفقك ، ثم صمت • فلم يكلمنا فخرجنا من عنده ، فقال هارون الرشيد : هذا سيد المسلمين اليوم •

وعن عبد الله بن مهران ، قال : حج الرشيد فوافي الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج ، فخرج فى مجلس وأخذ الصبيان يؤذونه ، حتى اذا أقبلت هوادج هارون فكف الصبيان عن العبث به ، فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته : يا أمير المؤمنين ، فكشف هارون السجاف — الستر — بيده وقال : لبيك يا بهلول • فقال : يا أمير المؤمنين ، حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامرى ، قال : « رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يمضى على جمل وتحته رحل رث ، فلم يكن ضرب ولا طرد ، ولا اليك اليك ، وتواضعك فى سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك ، فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الأرض ، وقال : زدنا يا بهلول يرحمك الله ، فقال بهلول :

هب أنك قد ملكت الأرض طرا
وأن لك العباد فكان ماذا
أليس غدا مصيرك جوف قبر
ويحثو الترب هذا ثم هذا

فبكى هارون ثم قال : أحسنت يا بهلول ، هل غيره ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين •• رجل آتاه الله مالا وجمالا فأنفق من ماله وعف فى جماله كتب فى خالص ديوان الله من الأبرار • فقال هارون له : أحسنت يا بهلول • ثم أمر له بجائزة ، فقال بهلول : اردد الجائزة الى من أخذتها منه فلا حاجة لى فيها • قال : يا بهلول ان يكن عليك دين قضيناه ؟ قال : يا أمير المؤمنين لا يقضى دين بدين ، اردد الحق الى أهله ، واقض دين نفسك يا أمير المؤمنين بنفسك ، قال : يا بهلول ••

---

(١) الذاريات : ٥٦ — ٥٨

فنجرى عليك ما يكفيك • فرفع بهلول رأسه الى السماء وقال : يا أمير المؤمنين •• أنا وأنت من عيال الله تعالى ، فمحال أن يذكرك وينسانى ؛ فأسبل هارون السجاف ومضى الى شأنه •

وقال سفيان الثورى : لمـا حج المهدى ، قال : لابد لى من سفيان ، فوضعوا لى الرصد حول البيت فأخذونى بالليـل ، فلما مثلت بين يديه أدنانى ثم قال : لأى شىء لا تأتينا فنستشيرك فى أمرنا ، فما أمرتنا من شىء صرنا اليه ، وما نهيتنا عن شىء انتهينا عنه ؟ فقلت له : كم أنفقت فى سفرك هـذا ؟ قال : لا أدرى ، لى أمناء ووكلاء • قلت : فما عذرك غدا اذا وقفت بين يدى الله تعالى فسألك عن ذلك ؟ لكن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لمـا حج قال لغلامه : كم أنفقت فى سفرنا هـذا ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، ثمانية عشر دينارا • قال : ويحك ، أجحفنا بيت مال المسلمين •

ولمـا دخل ابن السماك على هارون الرشيد ، قال له : عظنى ، قال : يا أمير المؤمنين ان الله لم يرض لخلافتـه فى عباده غيرك ، فلا ترضى لنفسك من نفسك الا بما رضى الله به ، فانك ابن عم رسول الله صلى الله عليـه وسلم وأنت أولى الناس بذلك يا أمير المؤمنين ، من طلب فكاك رقبته من مهلة من أجله كان خليقا أن يعتق نفسه • يا أمير المؤمنين من ذوقته الدنيـا حلاوتها بركون منه اليـها أذاقته الآخرة مرارتها بتجافيه عنها ، يا أمير المؤمنين ناشدتك الله أن تقدم الى جنة عرضها السموات والأرض وقد دعيت اليـها وليس لك فيها نصيب • يا أمير المؤمنين انك تموت وحدك وتحاسب وحدك ، وانك لا تقدم الا على نادم مشغول ، ولا تخف الا مفتونا مغرورا ، وانك وايانا فى دار سفر وجيران ظعن[1] •

ولمـا حج سليمان بن عبد الملك ودخل المدينة للزيارة بعث الى أبى حازم الأعرج ، وعنده ابن شـهاب ، فلما دخل قال له : تكلم يا أبا حازم • قال : فيم أتكلم يا أمير المؤمنين ؟ قال : فى الخروج من هـذا الأمر • قال : يسير ان أنت فعلته • قال : وما ذاك ؟ قال : لا تأخذ الأشياء الا بحقها ، ولا تضعها الا فى أهلها ، قال : ومن يقوى على ذلك ؟ قال : من قلده الله من الأمر ما قلدك • قال : عظنى يا أبا حازم • قال : يا أمير المؤمنين •• ان هـذا الأمر لم يصل اليك الا بموت من

---

(١) أى على سفر مستمر الى الله تبارك وتعالى .

كان قبلك ، وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك • ثم قال : يا أمير المؤمنين •• نزه ربك فى عظمته عن أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك • قال : يا أبا حازم أشر على • قال : يا أمير المؤمنين •• انما أنت سوق فما نفق عندك حمل اليك من خير أو شر ، فاعتبر لنفسك أيهما شئت • قال : فمالك لا تأتينا ؟ قال : وما أصنع باتيانك ؟ ان أدنيتنى فتنتنى ، وان أقصيتنى أحزنتنى ، وليس عندى ما أخافك عليه ، ولا عندك ما أرجوك له • قال : فارفع الينا حوائجك • قال : قد رفعتها الى من هو أقدر منك عليها ، فما أعطانى منها قبلت ، وما منعنى منها رضيت • يقول الله تعالى : **« نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا »**(١) فمن ذا الذى يستطيع أن ينقص من كثير ما قسم الله ويزيد فى قليل ما قسم الله ؟ فبكى سليمان بكاء شديدا ، فقال رجل من جلسائه : أسأت الى أمير المؤمنين • فقال أبو حازم : اسكت فان الله تعالى أخذ ميثاق العلماء : « ليبيننه للناس ولا يكتمونه » • ثم خرج من عنده فلما وصل الى منزله بعث اليه بمال فرده وقال للرسول قل له : والله ما أرضاه لك فكيف أرضاه لنفسى ؟ ••



فاذكر كل هذا أخا الاسلام سواء أكنت حاكما أو محكوما حتى لا تكون من الذين غضب الله تعالى عليهم فجعلهم عبادا للدنيا وما فيها من متاع زائل :

مع ملاحظة ما قاله صاحب كتاب « هداية المرشدين »(٢) تحته عنوان :

وعظ العلماء للأمراء

حيث يقول : لا ينبغى للمرشد أن يتهاون مع ذوى السلطان فيما يخالف الدين ويضاد الحق ، موافقة لرأيهم ومتابعة لهواهم ، فربما زلت أقدام المتزلفين فى ذلك رغبة أو رهبة فضلوا وأضلوا مع سوء العاقبة ، وقبح الأحدوثة • وقد روى الحسن البصرى رحمه الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال هذه الأمة بخير تحت يد الله وفى كنفه ما لم يمال قراؤها أمراءها ، ولم يترك صلحاؤها فجارها ،

---

(١) الزخرف : ٣٢

(٢) وهو الشيخ على محفوظ رحمه الله تعالى •

ولم يمار أخيارها أشرارها ، فاذا فعلوا ذلك رفع عنهم يده ثم سلط عليهم جبابرتهم فساموهم سوء العذاب ، وضربهم بالفقر والفاقة ، وملأ قلوبهم رعبا » .

ثم يقول : علم هـذا علمـاء السلف وأردفوا العـلم بالعمل ، فكان لهم مع الأمراء وذوى السلطان مواقف مشرفة ، خلدت لهم أحسن الذكرى وأجمل الآثـار ، أعانهم على ذلك ما امتلأت به قلوبهم من الثقة بالله مع ما يعلمونه من سلطان الدين على نفوس الأمراء وذوى السلطان ..

على شريطة كما عرفت ، وكما قرأت فى تلك النماذج : أن تكون مخلصا فى وعظك وارشادك .. وعلى نفس الدرجة العلمية والفقهية كهؤلاء الرجال الذين وقفنا على بعض مواعظهم التى ستظل للحاكم والمحكوم نبراسا مضيئا على طريق الله وفى جميع ميادين الحياة الشريفة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

* * *

وحسبك يا أخى أن تعلم بأنك عندما ستنفذ كل ما أوصاك به الرسول صلى الله عليـه وسلم فى هـذه الوصية ــ التى ندور حولها ــ : ستفوز بالجزاء الأوفى فى جنة ــ جنة الله ــ التى أعد الله تعالى فيها لعباده : المتقين ، المصلين ، الصائمين ، المزكين ، المطيعين لأمرائهم : ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وهذا هو ما أشار اليه الرسول صلى الله عليـه وسلم فى نهاية الوصية حيث يقول مرغبا ومبشرا : « تدخلوا جنة ربكم » :

وهى جنة الخلد والملك الذى لا يبلى .. وهى دار الثواب ، والنعيم المقيـم : للذين آمنوا وعملوا الصـالحات .. وللمتقين المجاهـدين لأنفسهم .. والمسارعين الى مغفرة الله تعـالى طمعا فى رحمته .. قال تعـالى : **« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنـات الفردوس نزلا . خالدين فيها لا يبغون عنها حولا »**(١) .

وقـال : **« وأزلفت الجنـة للمتقين »**(٢) .

وقـال : **« وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المـأوى »**(٣) .

---

(١) الكهف : ١٠٧ ، ١٠٨ (٢) الشعراء : ٩٠
(٣) النازعات : ٤٠ ، ٤١

وقـــال : **« وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين »**[١] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم : « قال الله تعالى : أعددت لعبادى الصــالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » قال أبو هريرة : اقرأوا ان شئتم : **« فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين »**[٢] أخرجه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وأحمد ، وزاد البخارى فى رواية : وقال محمد بن كعب : انهم أخفوا لله عملا فأخفى لهم ثوابا ، فلو قدموا عليه ، أقر تلك الأعين .

وعن أسامة بن زيد « أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ذات يوم لأصحابه : ألا مشمر للجنــة ؟ فان الجنة لا خطر لهــا[٣] وهى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز[٤] ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وفاكهة كثيرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، حلل كثيرة فى مقام أبدا[٥] فى حبرة[٦] ونضرة[٧] فى دور عاليــة سليمة بهيــة . قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله . قال : قولوا : ان شاء الله . ثم ذكر الجهاد وحض عليــه » أخرجه ابن ماجه وابن حبان .

أسأل الله سبحانه وتعــالى أن يجعلنــا جميعا بمشيئته سبحانه وتعالى وتوفيقه من المشمرين للجنــة كأصحاب رسوله المصطفى صلوات الله وسلامه عليــه ، حتى نكون أهلا لها ، ومن الخالدين فيها أبدا : آمين .. آمين .. آمين .

* * *

---

(١) آل عمران : ١٣٣ (٢) السجدة : ١٧

(٣) لا خطر لها : أى لا مثل لها .

(٤) تهتز : أى تتحرك بهبوب الريح .

(٥) أى خالدين فيها أبدا .

(٦) أى النعمة وسعة العيش .

(٧) أى البهية الحسن .

الجزء العشرون

الوصية الثامنة والخمسون

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« قاربوا وسددوا ، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل » ..

(رواه مسلم)

* * *

فكن أخا الاسلام :

منتفعا بهذه الوصية العظيمة التى يوصينا فيها صلوات الله وسلامه عليه بالوسطية والاعتدال فى جميع شئون الحياة الدنيوية والأخرية .

وقد قيل لابن عباس رضى الله عنهما : ان العرب تقول : حب التناهى شطط ، خير الأموز الوسط .. فهل هذا موجود فى القرآن ؟ قال : نعم فى أربعة مواضع : فى قوله تعالى فى وصف بقرة موسى : **« قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ، قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك »**[1] ، أى وسط بين الكبر والصغر فى السن .

وفى قوله تعالى : **« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط .. »**[2] ، أى فتوسط بين الأمرين فى الانفاق .

وفى قوله تعالى : **« ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا »**[3] ، وهذا السبيل هو الوسط فى القراءة .

وفى قوله تعالى فى مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين :

---

(١) البقرة : ٦٨

(٢) الاسراء : ٢٩

(٣) الاسراء : ١١٠

« والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »[١] ، أي وسطا فى المعيشة .

ومن هـذا يتبين لنا أنه ليس من الاسلام التشدد فى غير موضعه ، وانما الاسلام يدعونا الى عكس ذلك وهو — كما علمنا — الوسطية والاعتدال .

وقد ورد كذلك فى الأحاديث الشريفة ما يشير الى هذا :

فعن أبى وائل شقيق بن سلمة ، قال : « كان ابن مسعود رضى الله عنه يذكرنا فى كل خميس ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم ، فقال : أما انه يمنعنى من ذلك أنى أكره أن أملكم وانى أتخولكم بالموعظة ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا[٢] بها مخافة السآمة علينا » متفق عليه .

وعن مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها ، أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلق فأتاه بعد سنة ، وقد تغيرت حاله وهيئته ، فقال : يا رسول الله .. أما تعرفنى ؟ قال : « ومن أنت » ؟ قال : أنا الباهلى الذى جئتك عام الأول . قال : « فما غيرك ، وقد كنت حسن الهيئة » ؟ قال : ما أكلت طعاما منذ فارقتك الا بليل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عذبت نفسك » ! ثم قال : « صم شهر الصبر[٣] ، ويوما من كل شهر » قال : زدنى ، فان بى قوة . قال : « صم يومين » قال : زدنى ، قال : « صم ثلاثة أيام » قال : زدنى ، قال : « صم من الحرم واترك ، صم من الحرم واترك ، صم من الحرم واترك » وقال بأصابعه الثلاث فضمها ، ثم أرسلها — رواه أبو داوود[٤] .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا — بها — كأنهم تقالوها[٥] ، وقالوا : أين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا ، وقال الآخر : وأنا أصوم

---

(١) الفرقان : ٦٧ (٢) يتخولنا : أى يتعهدنا .

(٣) وهو شهر رمضان المبارك .

(٤) ومجيبة ، قال الذهبى : لا تعرف ، وباقى رجاله ثقات . قوله : « صم من الحرم » أى اشهر الحرم ، وهى : شهر رجب ، وذى القعدة ، وذى الحجة ، والمحرم . (٥) تقالوها : أى عدوها قليلة .

الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ، فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ ! .. أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب[1] عن سنتى فليس منى » متفق عليه .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين الا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا ، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » رواه البخارى .

وفى رواية له : « سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا ، وشيء من الدلجة ، القصد القصد تبلغوا » .

قوله : « الدين » مرفوع على مالم يسم فاعله . وروى منصوبا ، وروى : « لن يشاد الدين أحد » . وقوله صلى الله عليه وسلم : « الا غلبه » ، أى غلبه الدين وعجز ذلك المشاد عن مقاومة الدين لكثرة طرقه . « والغدوة » : سير أول النهار . « والروحة » : آخر النهار . « والدلجة » : آخر الليل . وهذا استعارة وتمثيل ، ومعناه : استعينوا على طاعة الله عز وجل بالأعمال فى وقت نشاطكم ، وفراغ قلوبكم بحيث تستلذون العبادة ولا تسأمون ، وتبلغون مقصودكم ، كما أن المسافر الحاذق يسير فى هذه الأوقات ويستريح هو ودابته فى غيرها ، فيصل المقصود بغير تعب ، والله أعلم .

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام حتى تكون من أهل الوسطية والاعتدال ، وحتى لا تكون من المتنطعين المشار اليهم فى الحديث الذى ورد :

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « هلك المتنطعون » قالها ثلاثا ــ رواه مسلم .

و « المتنطعون » : أى المتعمقون المشددون فى غير موضع التشديد .

ولهذا ، فقد ورد كذلك فى الحديث الشريف : « خير الأمور أوساطها » رواه البيهقى .

---

(١) أى أعرض عنها .

« أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما ، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما » رواه الترمذى والبيهقى .

« الهوا والعبوا فانى أكره أن يكون فى دينكم غلظة » رواه البيهقى .

« روحوا[1] قلوبكم ساعة فساعة » رواه أبو داوود .

« ان الله يحب أن تقبل رخصه كما يحب العبد مغفرة ربه » رواه الطبرانى .

* * *

وحتى يتضح لنا هـذا .. فانني أرى كذلك أن أزودك ببعض الآثار التى قرأتها فى « عيون الأخبار » ، تحت عنوان :

التوسط فى الأشياء
وما يكره من التقصير فيها والغلو

*** باب التوسط فى الدين :**

حدثنى الزيادى ، قال : حدثنا عبد العزيز الدراوردى قال : حدثنى محمد بن طحلاء عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة ، قالت : قال النبى صلى الله عليـه وسلم : « اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا ، وان أفضل العمل أدومه وان قل » .

حدثنى القومسى عن أحمد بن يونس عن زهير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدين الحسن والسمت الصـالح والاقتصـاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة » .

حدثنى محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن أبى اسحاق عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عن مسلم بن يسار أن رفقة من الأشعريين كانوا فى سفر ، فلما قدموا ، قالوا : يا رسول الله .. ليس أحد بعد رسول الله أفضل من فلان ، يصوم النهار ، فاذا نزلنا قام يصلى حتى نرتحل ، قال : « من كان يمهن له أو يكفيـه أو يعمل له » ؟ قالوا : نحن ، قال : « كلكم أفضل منه » .

وروى وكيع عن محمد بن قيس عن عمرو بن مرة ، قال : قال حذيفة : خياركم الذين يأخذون من دنياهم لآخرتهم ، ومن آخرتهم لدنياهم .

---

(١) المقصود به اللهو المباح .

وفى بعض الحديث المرفوع : « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ، والآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » ، وقال : « ان الله بعثنى بالحنيفية السهلة ، ولم يبعثنى بالرهبانية المبتدعة ، سنتى الصلاة والنوم ، والافطار والصوم ، فمن رغب عن سنتى فليس منى » •

وفى الحديث : « ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى » •

وفى بعض الحديث : أن عيسى ابن مريم لقى رجلا ، فقال : ما تصنع ؟ قال : أتعبد • قال : من يعود عليك ؟ قال : أخى ، قال : أخوك أعبد منك •

*** باب التوسط فى المداراة والحلم :**

قرأت فى كتاب للهند : بعض المقاربة حزم ، وكل المقاربة عجز ، كالخشبة المنصوبة فى الشمس تمال فيزيد ظلها ، ويفرط فى الامالة فينقص الظل •

ومن أمثال العرب فى هذا : « لا تكن حلوا فتسترط ، ولا مرا فتلفظ » •

وقال أبرويز لابنه : اجعل لاقتصادك السلطان على افراطك ، فانك اذا قدرت الأمور على ذلك وزنتها بميزان الحكمة وقومتها تقويم الثقاف ، ولم تجعل للندامة سلطانا على الحلم •

وقال النابغة الجعدى :

ولا خير فى حلم اذا لم تكن له
بوادر تحمى صفوة أن يكدرا

وقال آخر :

ولا خير فى عرض امرىء لا يصونه
ولا خير فى حلم امرىء ذل جانبه

وقال أكثم بن صيفى : الانقباض من الناس مكسبة للعداوة ، وافراط الأنس مكسبة لقرناء السوء •

*** باب التوسط فى العقل والرأى :**

روى فى الحديث أن زياد بن أبى سفيان كان كاتبا لأبى موسى الأشعرى ، فعزله عمر عن ذلك ، فقال له زياد : أعن عجز عزلتنى يا أمير المؤمنين أم خيانة ؟ فقال : لا عن ذاك ولا عن هذا ، ولكنى كرهت أن أحمل على العامة فضل عقلك •

ويقال : افراط العقل مضر بالجد •

ومن الأمثال المبتذلة : استأذن العقل على الجد فقال : اذهب لا حاجة بى اليك •

* * *

هـذا ، واذا كان الرسول صلى الله عليـه وسلم ، قد قال : — بعد أن رغبنا فى الوسطية والاعتدال — « واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله » •• الخ الحديث :

فان هذا معناه أن النبى صلى الله عليـه وسلم أراد أن يلفت قلوبنا الى أمر خطير كلنا كمؤمنين عاملين لابد أن ننتبه له حتى لا نغتر بأنفسنا ولا نتكل على أعمالنـا •• وهو أننا لن ننجو من عذاب الله ، ولن ندخل الجنة — أساسا — بأعمالنا قلت أم كثرت •• ولكن برحمة الله وفضله •• وليس هـذا بالنسبة لنا فحسب بل كذلك بالنسبة لخير خلق الله صلوات الله وسلامه عليه الذى قال كما قرأنا فى نص الحديث عندما سألوه : « •• ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل » :

ولهذا ، فاننى قد رأيت كمدخل لهذا الموضوع الذى كما قلت : من أخطر المواضيع التى لابد وأن نتنبه لها ، ونلتفت اليها •• رأيت أن أذكر بوصية من وصايا الامام الغزالى — رحمه الله — قرأتها فى كتاب « مع الله » للشيخ محمد الغزالى أكرمه الله ، تحت عنوان :

من رسالة تضمنت وعظ ملك

أما بعد •• فالنصيحة هى هدية العلماء •• وانه لن يهدى — أحد — الى هدية أكرم من قبولها ، واصغائه بقلب فارغ من ظلمات الدنيـا اليـها ••

وقد قيل لرسول الله صلى الله عليـه وسلم : « من أكرم الناس ؟ فقال : أتقاهم • فقيل : من أكيس الناس ؟ فقال : أكثرهم للموت ذكرا ، وأشدهم له استعدادا » •

وقال صلى الله عليه وسلم : « الكيس من دان نفسه وعمل لمـا بعد الموت •• والأحمق من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمانى » •

وأشد الناس غباوة وجهلا ، من تهمه أمور الدنيا التى تختطف منه عند الموت ، ولا يعرف أهو من أهل الجنة أو هو من أهل النار ،

وقد عرفه الله تعالى ذلك حيث قال : **« ان الأبرار لفى نعيــم »**[١] ، **« وان الفجار لفى جحيم »**[٢] ، **« فأما من طغى • وآثر الحياة الدنيا • فان الجحيم هى المــأوى »**[٣] ، **« وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى • فان الجنة هى المــأوى »**[٤] .

وانى أوصيه أن يصرف الى هــذا المهم •• همته •• وأن يحاسب نفسه قبل أن يحاسب •• وأن يراقب سريرته وعلانيته ، وأقواله ، وأفعاله •• أهى مقصورة على ما يعمر دنياه بالمكدرات والهموم ، ثم يختمها والعياذ بالله بالشقاوة •• فليفتح عن بصيرته : **« ولتنظر نفس ما قدمت لغد »**[٥] ، وليعلم أنه لا مشفق عليها ولا ناظر فى أمرها ســواه •• وليتدبر ما هو بصـــدده •• فان كان مشـــغولا بعمـــارة ضيعة فلينظر •• كم من قرية أهلكها الله وهى ظالمـــة فهى خاوية على عروشها بعد عمالها ! •• وان كان مقبلا على استخراج ماء أو عمارة نهر فلينظر كم من بئر معطلة بعد عمارها ؟ وان كان مهتما بتأسيس بناء فلينظر : كم من قصور مشيدة البنيان محكمة القواعد والأركان أظلمت بعد سكانها ؟ •• وان كان مشغولا بخدمة سلطان فليتذكر ما ورد فى الخبر : أنه ينادى مناد يوم القيامة : أين الظلمة وأعوانهم ؟ فلا يبقى أحد مد لهم دواة أو برى لهم قلما فما فوق ذلك الا أحضر •• فيجمعون فى تابوت من نار فيلقون فى جهنم ••

وان كان فى طلب المـــال وجمعه •• فليتأمل قول عيسى عليـــه السلام : يا معشر الحواريين •• مسرة فى الدنيـــا ، مضرة فى الآخرة •• بحق أقول لكم •• لا تدخل الأغنياء ملكوت السماء ••



ثم بعد ذلك يسوق حديثا شريفا هو شاهدى فى هــذا الموضوع ، وهو : قال النبى صلى الله عليــه وسلم : « يحشر الأغنياء أربع فرق : رجل جمع مالا من حرام وأنفقه فى حرام •• فيقال : اذهبوا به الى النار ••

ورجل جمع مالا من حرام وأنفقه فى حلال •• فيقال : اذهبوا به الى النار ••

---

(١) الانفطار : ١٣
(٢) الانفطار : ١٤
(٣) النازعات : ٣٧ ـــ ٤٩
(٤) النازعات : ٤٠ ، ٤١
(٥) الحشر : ١٨

ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه فى حرام •• فيقال : اذهبوا به الى النار ••

ورجل جمع مالا من حلال وأنفقه فى حلال •• فيقال : قفوا هـذا ونسلوه :

لعله ضيع بسبب غناه فيما فرضناه عليه ، أو قصر فى الصلاة ، أو فى وضوئها ، أو فى ركوعها ، أو فى سجودها ، أو فى خشوعها ؟ •• أو ضيع شيئا من فرض الزكاة والحج ••

فيقول الرجل : جمعت مالى من حلال ، وأنفقته فى حلال ، وما ضيعت شيئا من حدود الفرائض ، بل أتيت بتمامها •

فيقال : لعلك باهيت بمالك ، واختلت فى شىء من ثيابك ؟ فيقول : يا رب •• ما باهيت بمالى ، ولا اختلت فى شىء من ثيابى •

فيقال : لعلك فرطت فيما أمرناك من صلة الرحم وحق الجيران والمساكين ، وقصرت فى التقديم والتأخير والتفصيل والتعديل •• ويحيط به هؤلاء فيقولون : ربنا •• أغنيته بين أظهرنا وأحوجتنا اليه فقصر فى حقنا •• فان ظهر تقصيره ذهب به الى النار •• والا قيل له : قف ! •• هات الآن شكر كل نعمة •• وكل شربة •• وكل أكلة •• وكل لذة •• فلا يزال يسئل ويسئل » •

ثم بعد ذلك يعلق الامام الغزالى على هذا •• بقوله :

فهذه حال الصالحين المصلحين القائمين بحقوق الله •• فكيف حال المفرطين المنهمكين فى الحرام والشبهات ؟ ••

وهذا التساؤل الحيوى ، هو ما نريد جميعا أن نفكر فيه ونشغل به وذلك حتى نعمل ليوم الحساب ألف حساب •• كآبائنا وأجدادنا الصالحين الذين سبقونا بالايمان والذين منهم على سبيل المثال لا الحصر :

سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقد قرأت أنه كان دائم البكاء لدرجة أنك كنت ترى على وجهه خطين أسودين من كثرة انحدار الدموع •• وكنت تشم من فمه رائحة الكبد المشوى من شدة الخوف من الله تبارك وتعالى •

وقرأت فى كتاب « الزهد »[1] للامام عبد الله بن المبارك رضى الله عنه :

---

(١) باب تعظيم ذكر الله عز وجل •

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب : خوفنا يا كعب !! فقال : والله ان لله لملائكة قياما منذ خلقهم الله ما ثنوا أصلابهم ، وآخرين ركوعا ما رفعوا أصلابهم ، وآخرين سجودا ما رفعوا رؤوسهم حتى ينفخ فى الصور النفخة الآخرة • فيقولون جميعا : سبحانك وبحمدك ما عبدناك ككنه[1] ما ينبغى لك أن تعبد ، ثم قال : والله لو أن لرجل يومئذ كعمل سبعين نبيا لاستقل عمله من شدة ما يرى يومئذ ، والله لو دلى من غسلين دلو واحد فى مطلع الشمس لغلت منه جماجم قوم فى مغربها ، والله لتزفرن جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا غيره الا خر جاذيا أو جاثيا على ركبتيه يقول : نفسى نفسى ، وحتى نبينا وابراهيم واسحاق يقول رب أنا خليلك ابراهيم • قال : فأبكى القوم حتى نشجوا • فلما رأى ذلك عمر ، قال : يا كعب •• بشرنا ، فقال : أبشروا فان لله تعالى ثلاثمائة وأربع عشرة شريعة لا يأتى أحد بواحدة منهن مع كلمة الاخلاص[2] الا أدخله الله الجنة بفضل رحمته ، والله لو تعلمون كل رحمة الله تعالى لأبطأتم فى العمل • والله لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت من هذه السماء الدنيا فى ليلة ظلماء مغدرة[3] لأضاءت لها الأرض أفضل مما يضىء القمر ليلة البدر ، ولوجد ريح نشرها جميع أهل الأرض ، والله لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة نشر اليوم فى الدنيا لصعق من ينظر اليه وما حملته أبصارهم[4] •

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، قال : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخذ تبنة من الأرض فقال : يا ليتنى هذه التبنة ، ليتنى لم أك شيئا ، ليت أمى لم تلدنى ، ليتنى كنت نسيا منسيا •

وقرأت أنه رضى الله عنه ، قال ذات يوم : ليتنى شعرة فى صدر أبى بكر :

وذلك حتى يدخل الجنة معه •• مع أن الصديق رضى الله عنه كان هو الآخر — وهو من هو — يخاف من الله تعالى خوفا شديدا •• مع أنه قد ورد فى الأثر أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال فى شأنه : « لو وضع ايمان أبى بكر فى كفة وايمان الأمة فى كفة لرجح ايمان

---

(١) أى كحقيقة ما ينبغى ، وكنه الشىء قدره وحقيقته وغايته .
(٢) وهى لا اله الا الله .
(٣) ليلة مغدرة ، أى مظلمة .
(٤) أخرجه أبو نعيم فى الحلية . .

أبى بكر » ، وكان مع هــذا يقول : ــ كما ورد كذلك عنه ــ : لو كانت احدى رجلى فى الجنة والأخرى على بابها ما أمنت من مكر الله •

وكان اذا مدح ــ أى سمع أحدا يثنى عليــه ــ يقول مناجيا ربه : اللهم •• اجعلنى خيرا مما يظنون ، واغفر لى ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون •

❋ ❋ ❋

وقرأت فى كتاب « التذكرة » للقرطبى : أن يزيد الرقاشى كان يقول لنفسه : ويحك يا يزيد ، من ذا يصلى عنك بعد الموت ؟ من ذا يصــوم عنك بعد الموت ؟ من ذا يترضى عنــك ربك بعد الموت ؟ ثم يقول : أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقى حياتكم ؟ من الموت طالبه ؟ والقبر بيته ، والتراب فراشه ، والدود أنيسه ، وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر كيف يكون حاله ؟ ثم يبكى حتى يسقط مغشيا عليه •

وروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان يجمع العلمــاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة ، ثم يبكون حتى كأن بين أيديهم جنــازة •

وذات يوم قالت له جاريته : يا أمير المؤمنين •• لقد رأيت الليلة فى المنام ، كأن الصراط قد مد على جهنم وهى تزفر على أهلها •• ثم قالت : ورأيتك يا أمير المؤمنين وقد جىء بك •• فلما سمعها تقول هذا خر مغشيا عليــه •• والجارية تصرخ فى أذنه قائلة له : رأيتك والله قد نجوت •• رأيتك والله قد نجوت •• رأيتك والله قد نجوت •

❋ ❋ ❋

وكل هــذا ما كان الا بسبب الخوف من الله تعالى •• وهــذا أمر طبيعى بالنسبة للمؤمن الذى لابد وأن يظل خائفا من الله تعالى حتى يلقاه ولا سيما اذا كان عالمــا عاملا ، كما تشير الآية الكريمة التى يقول الله تبارك وتعالى فيــها : **« •• انما يخشى الله من عباده العلماء »**(١) :

قال القرطبى معلقا على هذا الجزء من الآية ٢٨ من سورة فاطر •• مبينا ما ورد حول حقيقة العالم : يعنى بالعلماء الذين يخافون قدرته ، فمن علم أنه عز وجل قدير أيقن بمعاقبته على المعصية ، كما روى على ابن أبى طلحة عن ابن عباس **« انما يخشى الله من عباده العلماء ، أن**

---

(١) فاطر : ٢٨

الله عزيز غفور » ، قال : الذين علموا أن الله على كل شيء قدير • وقال الربيع بن أنس : من لم يخش الله تعالى فليس بعالم • وقال مجاهد : انما العالم من خشى الله عز وجل • وعن ابن مسعود : كفى بخشية الله تعالى علما وبالاغترار جهلا •

وقيل لسعد بن ابراهيم : من أفقه أهل المدينة ؟ قال : أتقاهم لربه عز وجل • وعن مجاهد ، قال : انما الفقيه من يخاف الله عز وجل • وعن على رضى الله عنه ، قال : ان الفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يرخص لهم فى معاصى الله تعالى ، ولم يؤمنهم من عذاب الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه الى غيره ، انه لا خير فى عبادة لا علم فيها ، ولا علم لا فقه فيه ، ولا قراءة لا تدبر فيها • وأسند الدارمى أبو محمد عن مكحول ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان فضل العالم على العابد كفضلى عن أدناكم ــ ثم تلا هذه الآية : « **انما يخشى الله من عباده العلماء** » ان الله وملائكته وأهل سماواته وأهل أرضيه والنون[1] فى البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير »[2] •

فمن هذا السياق الذى ساقه القرطبى يتبين لنا أهمية الخشية من الله تبارك وتعالى ، الذى قال متحدثا عن نفسه سبحانه وتعالى : « **غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول ، لا اله الا هو ، اليه المصير** »[3] •

قال ابن عباس : « **غافر الذنب** » لمن قال لا اله الا الله « **وقابل التوب** » ممن قال : لا اله الا الله « **شديد العقاب** » لمن لم يقل : لا اله الا الله •

وقال ثابت البنانى : كنت جالسا الى سرادق مصعب بن الزبير فى مكان لا تمر فيه الدواب ، قال : فاستفتحت : « **حم • تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم** »[4] فمر على رجل على دابة ، فلما قلت : « **غافر الذنب** » قال : قل : يا غافر الذنب اغفر لى ذنبى ، فلما قلت : « **وقابل التوب** » قال : قل : يا قابل التوب تقبل توبتى ، فلما قلت : « **شديد العقاب** » قال : قل : يا شديد العقاب اعف عنى ، فلما قلت :

---

(١) النون : أى الحوت ، كما يشير قول الله تعالى : « **وذا النون** » .

(٢) الخبر مرسل .

(٣) غافر : ٣

(٤) غافر : ١ ، ٢

« **ذى الطـــول** »(١) قال : قل : ياذا الطول طل على بخير ، فقمت اليه فأخذ ببصرى ، فالتفت يمينا وشمالا فلم أر شيئا .

ومن بركات هـــذه الآية ، ما ذكره القرطبى بعد ذلك ، حيث يقول : وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام ، فقيل له : تتابع فى هذا الشراب ، فقال عمر لكاتبه : اكتب ، من عمر الى فلان ، سلام عليك ، وأنا أحمـــد الله اليك الذى لا اله الا هو : « **بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول ، لا اله الا هو ، اليه المصير** »(٢) ثم ختم الكتاب وقال لرسوله : لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ، ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة ، فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول : قد وعدنى الله أن يغفر لى ، وحذرنى عقابه ، فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع(٣) فأحسن النزوع وحسنت توبته . فلما بلغ عمر أمره ، قال : هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أحدكم زل زلة فسددوه وادعوا الله له أن يتوب عليـــه ، ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليـــه .

ومعنى : « **ذى الطول** » أى ذى الغنى عمن لا يقول : لا اله الا الله . وقال عكرمة : « **ذى الطول** » ذى المن .. وقال محمد بن كعب : « **ذى الطول** » ذى التفضل . ومعنى : « **لا اله الا هو ، اليه المصير** » أى المرجـــع .



فلابد اذن من الخوف من الله تعالى ولكن على شريطة ألا يكون هناك يأس من رحمة الله .. لأن الله تعالى يقول :

« **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم** »(٤) .

ويقـــول : « **.. انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** »(٥) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليـــه وسلم ، قال :

---

(١) الطول : (المن) والعطاء .

(٢) غافر : ١ — ٣

(٣) أى رجع الى الله تعالى بصدق واخلاص .

(٤) الزمر : ٥٣ (٥) يوسف : ٨٧

كان رجل[١] يسرف على نفسه[٢] لما حضره الموت قال لبنيه : اذا أنا مت فأحرقونى ثم اطحنونى[٣] ثم ذرونى فى الريح ، فوالله لئن قدر الله على ليعذبنى عذابا ما عذبه أحدا ، فلما مات فعل به ذلك ، فأمر الله الأرض ، فقال : اجمعى ما فيك ، ففعلت ، فاذا هو قائم ، فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : خشيتك يا رب ، أو قال : مخافتك ، فغفر له .

وفى رواية : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : قال رجل لم يعمل حسنة قط[٤] لأهله : اذا مات فحرقوه ثم اذروا نصفه فى البر ونصفه فى البحر ، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين ، فلمات مات الرجل فعلوا ما أمرهم ، فأمر الله البر فجمع ما فيه ، وأمر البحر فجمع ما فيه ، ثم قال : لم فعلت هذا ؟ قال : من خشيتك يا رب وأنت أعلم ، فغفر الله تعالى له » .

رواه البخارى ومسلم ، ورواه مالك والنسائى نحوه .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « يقول الله عز وجل : أخرجوا من النار من ذكرنى يوما أو خافنى فى مقام » رواه الترمذى والبيهقى ، وقال الترمذى : حديث حسن غريب .

ومعنى هذا الحديث الأخير[٥] : أن الله سبحانه وتعالى يخاطب الملائكة يوم القيامة ويأمرهم باخراج من دخل النار من عباده المؤمنين وكان ذكر الله عز وجل يوما ما من أيام حياته أو خاف الله تعالى فى مقام مدة عمره .

* * *

وقد اختلف المفسرون فى تأويل المقام فى قوله تعالى : **« ولمن خاف مقام ربه جنتان »**[٦] فقيل هو مصدر ميمى بمعنى القيام مضاف الى الفاعل ، أى ولمن خاف قيام ربه وكونه مهيمنا عليه مراقبا له حافظا لأحواله وهذا مروى عن مجاهد وقتادة وقيل هو اسم مكان والمراد به مكان وقوف الخلق يوم القيامة للحساب .

---

(١) أى ممن كانوا قبلنا والظاهر أنه من بنى اسرائيل .
(٢) أى يتجاوز حده فى ارتكاب المعاصى والشرور .
(٣) أى اجعلوا جسمى كالدقيق المطحون الناعم .
(٤) أى فى كل أيام عمره .
(٥) كما جاء فى هامش الترغيب والترهيب .
(٦) الرحمن : ٤٦

والاضافة اليه تعالى على معنى اللام لافادة الاختصاص لأن الملك كله فى هذا اليوم له وحده ، وقيل مقامه سبحانه وتعالى هو الموقف الذى يقفه العباد للحساب كما فى قوله تعالى : **« يوم يقوم الناس لرب العالمين »**[١] فالمقام مصدر بمعنى القيام ، والمراد بالذكر فى الحديث ذكر وعيده سبحانه عند الاقدام على معصية ، وبالخوف كف الجوارح عن المعاصى وتقييدها بالطاعات خوفا من مقامه بين يدى ربه .

كما قال تعالى : **« ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد »**[٢] .

والحديث يدل على فضل الذكر والخوف من الله تعالى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه جل وعلا أنه قال : « وعزتى لا أجمع على عبدى خوفين وأمنين . اذا خافنى فى الدنيا أمنته يوم القيامة ، واذا آمننى فى الدنيا أخفته فى الآخرة » رواه ابن حبان فى صحيحه .

وعن أبى هريرة أيضا رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من خاف أدلج ، ومن آدلج بلغ المنزل ، ألا ان سلعة الله غالية ، ألا ان سلعة الله الجنة » رواه الترمذى وقال : حديث حسن ، وكذلك رواه الحاكم وقال : صحيح .

قال العلقمى : « يقال أدلج بالتخفيف اذا سار من أول الليل ، وأدلج بالتشديد اذا سار من آخره » وهذا الحديث من باب الكناية ، والمعنى أن من خاف الله تعالى أدلج أى سبق غيره الى منازل الأبرار بالجد فى العبادة .

والمعنى كذلك : أن من خاف ألزمه الخوف السلوك الى الآخرة ، والمبادرة بالأعمال الصالحة خوفا من القواطع والعوائق .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة[٣] ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة[٤] ما قنط من رحمته أحد » رواه مسلم .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : قال الله تعالى : « يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى

---

(١) المطففين : ٦
(٢) ابراهيم : ١٤
(٣) يعنى لأهل معصيته .
(٤) يعنى لأوليائه وأهل طاعته .

غفرت لك على ما كان منك ، ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء[١] ثم استغفرتنى غفرت لك ، يا ابن آدم لو آتيتنى بقراب[٢] الأرض خطـايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا ، لأتيتك بقرابها مغفرة » رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال الله عز وجل : « أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حيث يذكرنى » .. الحديث رواه البخارى ومسلم .

يعنى : أنا أكون له على حسب ظنه بى ، فان ظن بى خيرا وجد خيرا ، وان ظن بى سوءا وجد سوءا .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليـه وسلم ، قال : « حسن الظن من حسن العبادة » رواه أبو داوود وابن حبان فى صحيحه واللفظ لهما والترمذى والحاكم ولفظهما ، قال : « ان حسن الظن من حسن عبادة الله » .

أى : من جملة العبادات الحسنة التى يتقرب بها الى الله تعالى ، فاضافة « حسن » الى العبادة من اضافة الصفة للموصوف .

قال بعضهم : « وفائدة هذا الحديث الاعلام بأن حسن الظن عبادة من العبادات الحسنة ، كما أن سوء الظن معصية من معاصى الله تعالى ، وقيل معناه : من حسنت عبادته حسن ظنه ، كما قيل فى قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل » .

واطلاق الحديث يقتضى أن حسن الظن بالمسلم المستور حاله من حسن العبادة سواء أكان مصيبا فى ظنه أم مخطئا .

* * *

فاذكر كل هـذا أخا الاسلام حتى تكون حسن الظن بالله تعالى وحتى تكون اهلا لرحمته سبحانه وتعـالى .. مع ملاحظة ما جاء فى مضمون هذا الحديث القدسى الذى يقول الله تعالى فيه : « ما أقـل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل !! كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى » ؟

---

(١) هو بفتح العين السحاب وبكسرها اللجام .
(٢) أى بما يقارب ملء الأرض خطايا .

وذلك حتى تعمل ان شاء الله تعـالى وبكل ما أوتيت من ايمان واخلاص على أن تكون من أهل الرحمة المشار اليهم فى قول الله تعالى : **« .. ورحمتى وسعت كل شىء ، فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل .. »**[1] الآية .

* * *

وأخيرا أخا الاسلام ، وحتى يكون هناك مع الخوف من الله تعالى رجاء فيه سبحانه .. اليك بعض ما ذكره الامام الغزالى رحمه الله تعالى فى كتابه « احياء علوم الدين » ، فى كتاب الخوف والرجاء ، حيث يقول بتصرف وايجاز :

أما بعد .. فان الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون الى كل مقام محمود ، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤد ، فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان ، مع كونه بعيد الأرجاء ، ثقيـل الأعباء ، محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء ، الا أزمة الرجاء ولا يصدر عن نار الجحيم والعذاب الأليم ، مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب اللذات الا سياط التخويف وسطوات التعنيف .. ثم يقول تحت عنوان :

فضيلة الرجاء والترغيب فيـه

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف : لأن أقرب العباد الى الله تعالى أحبهم له ، والحب يغلب بالرجاء ، واعتبر ذلك بملكين ، يخدم أحدهما خوفا من عقابه ، والآخر رجاء لثوابه ، ولذلك ورد فى الرجاء وحسن الظن رغائب ، لا سيما فى وقت الموت ، قال تعالى : **« .. لا تقنطوا من رحمة الله »**[2] ، فحرم أصل اليأس . وفى أخبار يعقوب عليه السـلام ، أن الله تعالى أوحى اليه : أتدرى لم فرقت بينك وبين يوسف ؟ لأنك قلت : أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون . لم خفت الذئب ولم ترجنى ، ولم نظرت الى غفـلة اخوته ولم تنظر الى حفظى له ؟ .. وقال صلى الله عليـه وسلم : « لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى »[3] . وقال صلى الله عليه وسلم :

---

(١) الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧ (٢) الزمر : ٥٣

(٣) رواه مسلم من حديث جابر .

« يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء »[١] ، ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو فى النزع ، فقال : « كيف تجدك » ؟ فقال : أجدنى أخاف ذنوبى ، وأرجو رحمة ربى . فقال صلى الله عليه وسلم : « ما اجتمعا فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله ما رجا وأمنه مما يخاف »[٢] .

وقال على رضى الله عنه لرجل أخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه : يا هذا .. يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك .

وقال سفيان : من أذنب ذنبا فعلم أن الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه ، غفر الله له ذنبه ، قال : لأن الله عز وجل عير قوما فقال : **« وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم »**[٣] ..

وقال تعالى : **« وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا »**[٤] ..

وفى الخبر الصحيح : « أن رجلا كان يداين الناس فيسامح الغنى ويتجاوز عن المعسر ، فلقى الله ولم يعمل خيرا قط ، فقال الله عز وجل : من أحق بذلك منا » فعفا عنه لحسن ظنه ، ورجائه أن يعفو عنه ، مع افلاسه من الطاعات .

وفى الخبر : « اذا أذنب العبد ذنبا فاستغفر الله ، يقول الله عز وجل لملائكته : انظروا الى عبدى أذنب ذنبا فعلم أنه له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب ، أشهدكم أنى قد غفرت له »[٥] .. الخ .



فاذكر كل هذا أخا الاسلام حتى لا تيأس من رحمة الله تعالى وحتى تكون من أهل الرجاء فى الله تعالى الذى **« .. يغفر الذنوب جميعا .. »**[٦] .

---

(١) رواه ابن حبان من حديث واثلة بن الأسقع وهو فى الصحيحين من حديث أبى هريرة دون قوله « فليظن بى ما شاء » .

(٢) رواه الترمذى وقال غريب ، والنسائى فى الكبرى وابن ماجه من حديث أنس وقال النووى اسناده جيد .

(٣) فصلت : ٢٣ (٤) الفتح : ١٢

(٥) الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ : « ان عبدا أصابه ذنبا فقال : أى رب أذنبت ذنبا فاغفر لى » ..

(٦) الزمر : ٥٣ .

والذى يقول : « **ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشــاء** »[١] .

وادع الله تعالى معى بهذا الدعاء الجامع الذى أسأل الله تعالى أن يتقبله منا جميعا كما تقبله من حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم الذى قال له : « سل » ، فقال صلوات الله وسلامه عليــه : « اللهم انى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لى وترحمنى ، واذا أردت بقوم فتنة فتوفنى غير مفتون ، وأسألك حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقربنى الى حبك »[٢] .. آمين .. آمين .. آمين ..



---

(١) النساء : ٤٨

(٢) من حديث أخرجه الترمذى والحاكم عن معاذ بن جبل رضى الله عنــه .

الوصية التاسعة والخمسون

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير . احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وان أصابك شىء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » ..

(رواه مسلم)



فكن أخا الاسلام :

من المنتفعين بهذه الوصية العظيمة التى يرغبنا فيها الرسول صلى الله عليه وسلم — كمؤمنين — فى أن نكون من الأقوياء فى مظهرنا ومخبرنا وفى جميع شئون حياتنا الدنيوية والأخروية :

وذلك لأن الدين الاسلامى هو دين القوة .. وقد أمر الله المسلمين بأن يأخذوا بأسباب القوة حتى تتحقق لهم عوامل النصر ، والبقاء فى الدنيا ، والسعادة فى الآخرة .

كما أمر الله تعالى الأمة الاسلامية أن تكون قوية فى ايمانها وصلتها بالله ورسوله ، حيث ان الايمان هو الدعامة الأولى فى خلق الحياة الطيبة ، يربى فى النفوس الفضائل ويغرس فيها الاخلاص فى العمل ، ويجعل من الانسان رقيبا عليه يحاسبه اذا قصر ، ويحرسه اذا أهمل ، ويشعر العامل بأن قطرات العرق التى تتساقط من جبينه فى العمل المنتج لأمته انما هى فى سبيل الله . وقوة الايمان هى التى تبعث فى العامل حرارة العمل وتشد فيه قوة العزم ، وتدفعه فى صلابة الى مضاعفة الجهد ، والى حسن الانتاج وزيادته لسعادة أمته ورفاهيتها ، وتذكره بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرسا فيأكل منه انسان أو دابة أو طير الا كان له به صدقة » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

والأمة التى تخوض معركة البناء تحتاج الى الأيدى المخلصة والسواعد الفتية التى تعمل على زيادة الانتاج فى كل ميدان من ميادين العمل حتى توفر للشعب سبل نهضته وأسباب رقيه ، قال تعالى : « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا** »(١) .

والحياة الدنيا حياة العمل لعز الدنيا وشرف الآخرة .. قال تعالى : « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** »(٢) .

والعمل يحتاج الى قوة الروح وقوة البدن ، ولا تقوى الروح الا بعبادة الله عز وجل حيث يستيقظ الضمير ويحيا القلب ويعيش الانسان مع ربه يخافه ويخشاه ، قال تعالى : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين** »(٣) .

وقوة الأبدان لا تكون الا حين تتوفر مطالبها من الانتاج الزراعى الذى هو ثمرة جهد الفلاح وكدحه وكفاحه من أجل وطنه فهو أحد أبنائه ولبنة فى صرح بنائه ، ومن الانتاج الصناعى الذى تعمل الأمة جاهدة على توفيره الأمر الذى يحتم على العمال الاخلاص لعملهم والسعى الدائب لاتقانه وزيادته حتى تحصل الأمة على ثروة تعمر بها وتبنى وتوفر لأبنائها وسائل الحياة الكريمة العزيزة ، كما تجد من بينهم من يمكن أن يكون عدتها فى الشدائد وسنادها فى الخطوب والملمات وقوتها التى تدفع بها كل عدوان وترد كيد كل باغ عن حماها الكريم وبذلك تعيش مرهوبة الجانب موفورة القوة لها ما تستحق فى الدنيا من اجلال واعظام واكبار .

والقرآن الكريم يدعونا الى أن نأخذ بأسباب القوة ، قال تعالى : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ..** »(٤) ، ولفظ القوة عام فى كل ما يتقوى به المسلم فى الداخل وأمام أعدائه فى الخارج ..

* * *

---

(١) الكهف : ٣٠ .
(٢) التوبة : ١٠٥ .
(٣) الذاريات : ٥٦ — ٥٨ .
(٤) الأنفال : ٦٠ .

وتحت عنوان :

القـــــوة

أعجبنى كذلك ما كتبه فضيلة الشيخ محمد الغزالى ــ أكرمه الله ــ فى كتاب « خلق المسلم » حيث يقول[١] :

العقيدة المكينة ، معين لا ينضب للنشاط الموصول ، والحماسة المذخورة ، واحتمال الصعاب ، ومواجهة الأخطار ، بل هى سائق حثيث يدفع الى لقاء الموت دون تهيب ، ان لم يكن لقاء محب مشتاق !!

تلك طبيعة الايمان اذا تغلغل واستمكن ، انه يضفى على صاحبه قوة تنطبع فى سلوكه كله ، فاذا تكلم كان واثقا من قوله ، واذا اشتغل كان راسخا فى عمله ، واذا اتجه كان واضحا فى هدفه ، وما دام مطمئنا الى الفكرة التى تملأ عقله ، والى العاطفة التى تعمر قلبه ، فقلما يعرف التردد سبيلا الى نفسه ، وقلما تزحزحه العواصف العاتية عن موقفه ، بل لا عليه أن يقول لمن حوله :

« اعملوا على مكانتكم انى عامل ، فسوف تعلمون . من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم »[٢] .

هذه اللهجة المقرونة بالتحدى . وهذه الروح المستقلة فى العمل ، وتلك الثقة فيما يرى أنه الحق .. ذلك كله يجعله فى الحياة رجل مبدأ متميز ، فهو يعاشر الناس على بصيرة من أمره . ان رآهم على الصواب تعاون معهم ، وان وجدهم مخطئين : نأى بنفسه ، واستوحى ضميره وحده ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يكن أحدكم امعة . يقول : أنا مع الناس ، ان أحسن الناس أحسنت ، وان أساءوا أسأت !! ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا أن تجتنبوا اساءتهم »[٣] .

والرجل الضعيف ، هو الذى يستعبده العرف الغالب ، وتتحكم فى أعماله التقاليد السائدة ، ولو كانت خطأ يجر معه متاعب الدنيا والآخرة .. الى أن يقول :

أجل .. يجب أن يكون المسلم شاعرا بقوة اليقين فى شخصه ،

---

(١) بتصرف وايجاز .

(٢) الزمر : ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) رواه الترمذى .

وروعة الايمان فى نفسه . فان لم يستطع فرض ذلك على ما حوله بقى كالطود الأشم ، لم تجرفه الغمار السائدة ، ولم تطوه اللجج الصاخبة . وماذا يفعل الناس لامرىء اعتز بايمانه ، واستشعر القوة لصلته بربه واستقامته فى دينه ؟ انهم لو تألبوا عليـــه جميعا ما نالوا منه قليلا ولا كثيرا ..

عن ابن عباس ، قال : كنت رديف رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، فقال : « يا غلام .. احفظ الله يحفظ ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، فان العباد لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا على ذلك . ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا على ذلك ، جفت الأقلام وطويت الصحف » .

والحق أن فضيلة القوة ترتكز فى نفس المسلم على عقيدة التوحيد ، كغيرها من الفضائل التى تجعله يرفض الهوان فى الأرض ، لأنه رفيع القدر بانتسابه الى السماء ، ولأنه يستطيع فى نطاق ايمانه أن يكون أمة وحده ، وفى فمه قول الله عز وجل : **« قل أغير الله أتخذ وليـــا فاطر السموات والأرض ، وهو يطعم ولا يطعم ، قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ، ولا تكونن من المشركين »**(١) .

ومن فضائل القوة التى يوجبها الاسلام : أن تكون وثيق العزم ، مجتمع النية على ادراك هدفك بالوسائل الصحيحة التى تقربك منه ، باذلا قصارى جهدك فى بلوغ مأربك ، غير تارك للحظوظ أن تصنع لك شيئا ، أو للأقدار أن تدبر لك ما قصرت فى تدبيره لنفسك !! فان هناك أقواما يجعلون من اللجأ الى الله ستارا يوارى تفريطهم المعيب وتخاذلهم الذميم ، وهذا التواء كرهه الاسلام .

فعن عوف بن مالك ، قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين . فلما أدبرا قال المقضى عليـــه : حسبى الله ونعم الوكيل ! فقال صلى الله عليـــه وسلم : « ان الله يلوم على العجز !! ولكن عليك بالكيس . فاذا غلبك أمر فقل : حسبى الله ونعم الوكيل » .

أى أن المرء مكلف بتعبئة قواه لمغالبة مشاكله حتى تنزاح من طريقه ، فان ذللهـــا حتى استكانت له فقد أدى واجبه .

---

(١) الأنعام : ١٤ ، يطعم ولا يطعم : الأولى بضم الياء وتسكين الطاء وكسر العين ، والثانية بفتح العين .

وان غلب على أمره أمامها بعد استفراغ جهده كان ركونه الى الله عندئذ معاذا يعتصم به من غوائل الانكسار ، فهو على الحالين قوى ، بعمله أولا وبتوكله آخرا .. الى أن يقول :

وقد جاء فى الحديث : « من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله » .

والتوكل الذى يقوى الانسان به ضرب من الثقة بالله ، ينعش الانسان عندما تكتنفه ظروف محرجة ، ويلتفت حوله فلا يرى عونا ولا أملا !

فالمكافح عدوا قوى الشكيمة ، شديد البأس ، على ضعف العدة وقلة الناصر يحس عندما يتوكل على الله أنه أوى الى ركن شديد ، ويستمد من هـذا التوكل ثباتا ورباطا ، ويظل يقاوم حتى تبرق بشائر النصر خلال جو مكفهر ، وقد بين الله تبارك وتعالى أن هـذا التوكل كان غذاء الكفاح الطويل الذى قاوم به النبيون وأتباعهم مظالم الطغاة وبغى المستبدين .

« ومالنـا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ، ولنصبرن على ما آذيتمونا ، وعلى الله فليتوكل المتوكلون »[1] .

وقد كان الحكام الفجرة وأشياعهم يسمون تشبث المؤمنين بما لديهم وتأميلهم الخير فى المستقبل ، وطمأنينتهم الى أن ضعفهم الحاضر سيتحول قوة غالبة .. كانوا يسمون ذلك غرورا ! :

« اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ، ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم »[2] .

فالتوكل الحق قرين الجهد المضنى والارادة المصممة ، ولم ينفرد التوكل عن هذه المعانى الا فى العصور التى مسخ فيها الاسلام ، وأصبح بين أتباعه لهوا ولعبا .

ومما يجعل المسلم قويا أن يبتعد عن حياة الخلاعة والفجور ، وأن يألف مسالك النزاهة والاستقامة ، فان الرجل المخرب الذمة أو الساقط المروءة لا قوة له ولو لبس جلود السباع ، ومشى فى ركاب الملوك .

وقد نصح الله قوم هود فأرشدهم الى أسباب القوة الصحيحة ، وكانوا عمالقة جبارين ، فقال :

---

(١) ابراهيم : ١٢ (٢) الأنفال : ٤٩

« استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين »[١] .

وأراد رسول الله أن يزين الطاعات للناس ، وأن يغريهم بأدائها ، وأن يشرح لهم عظمة الانسان عندما يفعل الخير ويراغم الشيطان ويسمو الى الملأ الاعلى ، فضرب لهم المثل فى سياق حديث له ، قال :

« لما خلق الله الأرض جعلت تميد وتتكفأ فأرساها بالجبال فاستقرت . فتعجب الملائكة من شدة الجبال ، فقالوا : يا ربنا هل خلقت خلقا أشد من الجبال ؟ قال : نعم ، الحديد . قالوا : فهل خلقت خلقا أشد من الحديد ؟ قال : نعم ، النار ، قالوا : فهل خلقت خلقا أشد من النار ؟ قال : نعم ، الماء ، قالوا : فهل خلقت خلقا أشد من الماء ؟ قال : نعم ، الريح ، قالوا : فهل خلقت خلقا أشد من الريح ؟ قال : نعم ، ابن آدم اذا تصدق صدقة بيمينه فأخفاها عن شماله »[٢] .

ان الانسان ، هذا الكائن العجيب ، يعتبر سيدا لعناصر الكون كلها ، يوازن أعتاها وأقساها فيرجحه ويربو عليه ، يوم يكون شخصا فاضلا ! ولكنه يلعن فى الأرض والسماء ويرجحه الذر والهباء يوم يكون شخصا ساقطا .

والمثل الذى ذكره الحديث ليس إلا ابرازا لقيمة الرجل المحسن وتصويرا لرسوخه وشموخه عندما يسبق فى ميدان الخير ..

ومن عناصر القوة أن يكون المسلم صريحا ، يواجه الناس بقلب مفتوح ومبادىء معروفة ، لا يصانع على حساب الحق بما يغض من كرامته وكرامة أنصاره . بل يجعل قوته من قوة العقيدة التى يمثلها ويعيش لها . ولا يحيد عن هذه الصراحة أبدا فى تقرير حقيقة ما .

حدث أن كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابنه ابراهيم ، فقال الناس : كسفت الشمس لموت ابراهيم !! فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس ، فقال :

« ان الشمس والقمر لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته . ولكنهما آيتان من آيات الله تعالى يريهما عباده ، فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى الصلاة »[٣] .

---

(١) هود : ٥٢

(٢) رواه الترمذى .

(٣) رواه البخارى .

ذلك أن الشخص الذى يحيا فى الحقائق لا يتاجر بالأباطيل ، فهو غنى عنها • وصراحته دليل على ثروة عريضة من الشرف ، تغنى صاحبها عن الدجل والاستغلال ، وتقيم سيرته على ركائز ثابتة من الفضيلة والكمال •

وقاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تنبثق من هـذا السمو النفسى ، لأنها تعتمد على مصارحة المخلصين بما فرط منهم ابتغاء محوه لتثبت مكانه الصواب والخير •

الى أن يقول الشيخ الغزالى :

والذى نريد توكيده هنا أن المسلم يجب أن يكون نقادة للعيوب الفاشية ، جريئا فى الحملة عليها ، لا يتهيب كبيرا ولا يستحى من قريب • ولا تأخذه فى الله لومة لائم ••

وقد كره الاسلام أن يضعف الرجل أمام العصاة من الكبراء ، وأن يناديهم بألفاظ التكريم :

قال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « اذا قال الرجل للمنافق : ياسيد ، فقد أغضب ربه »[1] •• اهـ •

* * *

ولقد كان حبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليـــه مثلا أعلى فى كل عناصر القوة ـــ التى وقفنا عليها ـــ :

فقد جاء فى كتب السيرة أنه صلى الله عليـــه وسلم كان ذا شجاعة ونجدة ، وبسالة وشدة ، طالما ثبت فى الشدائد وهو مطلوب ، وصبر على البأساء والضراء وهو مكروب •

وحسبنا أن نذكر « يوم حنين » وقد التقى جيشه ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ بجيوش قريش ، وخالف جيشه تعاليمه وانصرفوا عن أماكنهم ، قبل أن يتم له النصر • فاحتلها العدو وحمل عليهم ففروا وبقى هو فى الميدان وحيدا يمتطى بغلته ، وهو يقول : « أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » ••

ولعمر الله ان ذلك لفوق ما نعهد من شجاعة البشر ، فان الانسان مهما كانت شجاعته لا يقدم بنفسه على الألوف المؤلفة بعد ما فر عنه أصحابه ، وخصوصا اذا كان على بغلته بين تلك الخيول المطهمة ، والفرسان المدربة •

---

(١) رواه الحاكم •

يقول سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه : « لما جال الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الجولة يوم أحد ، قلت : أزود عن نفسي ، فاما أن أستشهد ، واما أن ألحق حتى ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينا أنا كذلك اذا برجل مخمر وجهه — ملثمه — ما أدرى من هو ؟ فأقبل عليه المشركون حتى قلت : قد ركبوه ، فملأ يده من الحصا ثم رمى به وجوههم ، فتنكبوا على أعقابهم القهقرى ، حتى أتوا الجبل . ففعل ذلك مرارا ولا أدرى من هو ؟ وبينى وبينه المقداد ابن الأسود ، فبينا أنا أريد أن أسأل المقداد عنه ، اذ قال المقداد : يا سعد .. هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك ، فقلت : وأين هو ؟ فأشار اليه ، فقمت وكأنه لم يصبني شيء من الأذى ، وأجلسنى أمامه ، فجعلت أرمي وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم استجب لسعد ، وسدد رميته ، وأجب دعوته » .

ويقول على رضى الله عنه وكرم الله وجهه : « كنا اذا حمى البأس واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه . ولقد رأيتني يوم بدر ، ونحن نلوذ بالنبى — صلى الله عليه وسلم — وهو أقرب الى العدو ، وكان من أشد الناس يومئذ بأسا » .



ومن مظاهر قوته وتحديه لقوى الباطل : ما حدث يوم أن ذهب رجال من أشراف قريش الى عمه أبي طالب ، وقالوا له : يا أبا طالب .. ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وانا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وانا والله لا نصبر على هذا .. من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا ، أو ننازله واياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين .

فلما انصرفوا .. أرسل عمه اليه فجاءه ، فقص عليه نبأ قومه ، ثم قال له : يا ابن أخي ، أبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق . فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قد بدا لعمه رأى جديد ، وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته ، والقيام معه .. فأعلن في قوة ايمانية تؤكد ثقته الكاملة بالله تعالى القوى العزيز ..

قائلا : « والله يا عمى لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » ..

ثم قام واثقا بالله تعالى ثقة لا تزعزعها الأعاصير ، ثقة تميد دونها الجبال ولا تميد ، فلما ولى ناداه أبو طالب : أقبل يا ابن أخى ، فأقبل رسول الله صلى الله عليـه وسلم .. فقال له عمه : اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك اليهم أبدا .

وذلك لأنه لمس منه الرجولة الكاملة ، والقوة الايمانية الخارقة التى لا تقهر .



وهكذا كان أغلب أصحابه الفضـلاء عليهم جميعا رضوان الله .. نذكر منهم على سبيل المثال :

سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلقد ورد أنه كان قويا جدا ، لدرجة أنه — كما سمعت — كان ذات يوم يقص شعره فعطس فأغمى على الحلاق ، وكان عملاقا لدرجة كما يقولون كذلك أنه كان اذا أراد أن يركب جوادا رفع ساقه وهو على الأرض ووضعه فى الناحية الأخرى .

ولهذا فقد تمنى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعز الله به الاسلام ، فقال كما ورد : « اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين عمرو بن هشام ، أو عمر بن الخطاب » .. فكانت الدعوة هذه — ان صحت — من نصيب عمر بن الخطاب .. فى يوم يعتبر من أحلك الأيام بالنسبة له فى أوله ، ومن أعظم الأيام بالنسبة له فى آخره أو فى أوسطه .. لأنه فى هـذا اليوم المشار اليه ، كان قد خرج من بيتـه متجها الى دار الأرقم ابن الأرقم[1] — حاملا سيفه — ليقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فرآه أحد أصدقائه .. فقال له : الى أين يا ابن الخطاب ؟ فقال : انى ذاهب الى هذا الرجل الذى يسب آلهتنا ويسفه أحلامنا لأريح الناس منه . فقال له صاحبه هذا : أرى أن تذهب أولا الى أختك[2] وزوجها — سعيد بن زيد — لأنهما قد آمنا به .. وفعلا بعد أن كان متجها الى دار الأرقم بن الأرقم .. اتجه الى دار أخته ، وهناك طرق الباب طرقة قوية عرف طارقها .. ولهذا حدث فى داخل الدار أن اختبأ الخباب

---

(١) التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو فيها الى الله سرا .

(٢) فاطمة بنت الخطاب رضى الله عنها وعن زوجها .

ابن الأرت وهو صحابى جليل كان يعلمهما القرآن — لانه لا يستطيع مواجهة عمر — ثم ذهبت أخته الى الباب ففتحته •• فلطمها عمر على وجهها فشج وجهها ، ثم ذهب بعد ذلك الى زوجها وأخذ يضربه حتى كاد أن يقتله •• لولا أنه نظر الى وجه أخته فلما رأى الدماء تسيل حن قلبه ، فقام من على صدر زوجها ، ثم قال لها : أين الصحيفة التى كنتما تقرآن فيها[1] ؟ فقالت له : اذهب أولا واغتسل •• فقال لها : لم ؟ قالت : لأنه قرآن ، والقرآن « **لا يمسه الا المطهرون** »[2] •• وفعلا — لأن الله تعالى أراد له الهداية — ذهب فاغتسل ثم عاد •• فناولته الصحيفة •• فبدأ يقرأ بتدبر : « **طه • ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى • الا تذكرة لمن يخشى • تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى • الرحمن على العرش استوى • له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى • وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى • الله لا اله الا هو ، له الأسماء الحسنى** »[3] •

ثم توقف قليلا •• وقال للثلاثة الذين يجلسون حوله — أخته وزوجها والخباب — : من هذا فرت قريش ؟ ! ثم مضى يقرأ :

« **ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى • فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى** »[4] •

وهنا توقف مرة أخرى عن القراءة ثم وقف فى حزم حازم وهو يقول : ينبغى لمن يقول هذا ألا يعبد معه غيره •• دلونى على محمد •• ففرح الثلاثة فرحا شديدا •• ثم قال له الخباب :

أبشر يا عمر •• فانى أرجو أن تكون قد سبقت فيك دعوة رسول الله يوم الاثنين : اللهم أعز الاسلام بأحب هذين الرجلين اليك ، بأبى جهل ابن هشام ، أو بعمر بن الخطاب •

ثم يذهب الخباب به مع زوج أخته الى دار الأرقم بن الأرقم •• وهناك طرق عمر الباب — كذلك — طرقة قوية عرف طارقها •• فلم يجرؤ أحد من الأصحاب على فتح الباب — لأنهم يعرفون من هو عمر — فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الباب ففتحه ثم جذب عمر جذبة هاشمية وهو يقول له : أما آن لك يا ابن الخطاب أن تتشهد

---

(١) لانه سمع التلاوة أثناء طرقه للباب •

(٢) الواقعة : ٧٩

(٣) طه : ١ — ٨

(٤) طه : ١٥ ، ١٦

أن لا اله الا الله ، وأنى رسول الله ؟ •• فيقول عمر : ما جئت الا من أجل هـذا •• أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله •• فكبر الأصحاب تكبيرة ارتجت لها أرجاء مكة •• ثم جلس عمر بعد ذلك بين يدى الرسول صلى الله عليـه وسلم واستمع الى القرآن من فمه الطاهر •• ثم بعد أن امتلأ قلبه بشحنة كبيرة من الايمان أراد بعد ذلك أن يكون مسلما لا متمسلما •• فقال : يا رسول الله •• ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ ! فيقول الرسول صلى الله عليـه وسلم : نعم • فيقول عمر متعجبا : فعلام اذن نختبىء ؟ ! هلم بنا يا رسول الله لنعلن كلمة الحق على الملأ •• ففرح الرسول صلى الله عليه وسـلم وفرح أصحابه فرحا شديدا ثم خرج الرسول صلى الله عليـه وسلم وخرج الأصحاب على رأسهم عمر رضى الله عنه •• فكان نصرا مبينا ، وكان عيدا كما يقـول ابن مسعود رضى الله عنه : كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وامارته رحمة •

وعندما أراد عمر رضى الله عنه أن يهاجر لم يهاجر متخفيا كما فعل جميع الأصحاب والى هذا يشير على كرم الله وجهه : ما علمت أن أحدا من المهاجرين هاجر الا متخفيا ما عدا عمر بن الخطاب ، فانه لمـا هم بالهجرة ، تقلد سيفه وتنكب قوسه ، وانتضى فى يده أسهما • واختصر عنزته ـ عصا لها زج لرمح صغير ـ ومضى قبل الكعبة ، والملأ من قريش بفنائها ، فطاف فى البيت سبعا متمكنا ، ثم أتى المقام فصلى ، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة •• فقال لهم : شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هـذه المعاطس ، من أراد أن تثكله أمه ، أو يؤتم ولده ، أو يرمل زوجته فليلقنى وراء هـذا الوادى •• قال على : فما اتبعه الا قوم من المستضعفين علمهم ما أرشدهم ثم مضى لوجهه •

ولهذا ، لمـا ولى الخلافة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « يا أيها الناس •• انى داع فأمنوا : اللهم انى غليظ فليني لأهل طاعته بموافقة الحق ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقنى الغلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق ، من غير ظلم منى لهم ، ولا اعتداء عليهم ، اللهم انى شحيح فسخنى فى نوائب المعروف ، قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة ، واجعلنى أبتغى بذلك وجهك والدار الآخرة ، اللهم ارزقنى خفض الجنـاح ولين الجانب

للمؤمنين ، اللهم انى كثير الغفلة والنسيان ، فألهمنى ذكرك على كل حال ، وذكر الموت فى كل حين .

اللهم انى ضعيف العمل بطاعتك ، فارزقنى النشاط فيها ، والقوة عليها ، بالنية الحسنة التى لا تكون الا بعزتك وتوفيقك ، اللهم ثبتنى باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك والحياء منك ، وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى والمحاسبة لنفسى واصلاح الساعات والحذر من الشبهات ، اللهم ارزقنى التفكر والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابكم والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر فى عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت ، انك على كل شيء قدير » .

* * *

ولقد كان على كرم الله وجهه بطلا عظيما من أبطال الاسلام الأقوياء الذين أعز الله تعالى الاسلام بهم .

بل هو الفدائى الشجاع الذى افتدى النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه ليلة الهجرة .. فلقد بات على فى فراش الرسول صلى الله عليه وسلم وتغطى بغطاءه .. ولما أصبح فتيان قريش ورأوا عليا ازدادوا غيظا ، وكادوا يفتكون به .. ولكنهم تبعوا محمدا ، فأنجاه الله منهم .. والى هذا يشير الشيخ محمد عبد المطلب رحمه الله حيث يقول فى قصيدة له :

ولن ينسى النبى له صنيعا ... عشية ودع البيت الحراما
عشية سامه[1] فى الله نفسا ... لغير الله تكبر أن تساما
فأرخصها فدى لأخيه لما ... تسجى[2] فى حظيرته وناما
وأقبلت الصوارم[3] والمنايا ... لحرب الله تنتحم[4] انتحاما
فلم يأبه لها آنفا[5] على ... ولم تقلق بجفنيه مناما
وأغشى الله أعينهم فراحت ... ولم تر ذلك البدر التماما
عموا عن أحمد ومضى نجيا[6] ... مع الصديق يدرع[7] الظلاما

---

(١) أى طلب منه . (٢) أى تغطى .
(٣) أى السيوف .
(٤) أى ترسل أصواتا وجلبة فى غضب .
(٥) أى اباء وشجاعة . (٦) أى سرا .
(٧) أى يجعل الظلام كالدرع يستتر به .

وغادرت البطـــاح به[1] ركاب الى الزوراء[2] تعتزم اعتزاما
وفى أم القرى[3] خلى أخـــاه على وجد به يشـــكو الأواما[4]

وفى موقعة بدر .. كان على كرم الله وجهه هو الفارس الأول الذى حصد رؤوس المشركين بسيفه ، وهزمهم شر هزيمة !

قال حكيم بن حزام ، وهو أحد المشركين الذين قاتلوا المسلمين فى موقعة بدر : كان على يلبس فوق رأسه بيضة ـ خوذة ـ لامعة وفيها ريشة ظاهرة ! كان يصول بسيفه فيحصد الرؤوس ، ويقطع الرقاب !! وكانت فرسه تصهل فتبعث الرعب فى قلوب المحاربين ، وكان سيفه يلمع فى سماء المعركة كأنه شعلة من اللهيب ! ما أكثر من قتل !! كان يهوى بسيفه فى صفوفنا كأنه الصاعقة تنقض من السماء !!

لقد قتل على وحده فى معركة بدر ثمانية عشر من زعماء قريش وفرسانها ، وأسر كثيرا من المحاربين بينهم أخوه عقيل بن أبى طالب !! ..

وفى معركة « أحد » .. كان على هو البطل الشجاع الذى دافع عن النبى صلى الله عليـــه وسلم وحماه من سيوف الأعداء ! فقد خرجت قريش تريد الانتقام لقتلاها فى موقعة بدر .. والتقى الجيشان : جيش المسلمين يقوده النبى الكريم .. وجيش الكفار يقوده أبو سفيان زعيم قريش ورأس المشركين !

وصال على بسيفه وجال ، وقتل عددا كبيرا من فرسان المشركين .. وانتصر المسلمون فى بدء المعركة ، ولكن المحاربين فى مؤخرة جيـــش المسلمين تركوا أماكنهم وراحوا يجمعون الغنـائم .. فانتهز جيش المشركين هـذه الفرصة ، وهجموا على المسلمين ، وقتلوا منهم عددا كبيرا . ثم تكاثر المشركون على رسول الله فكسروا رباعيته اليمنى ! وأصابه جرح فى شفته ووجنتيه ! ورأى على أن النبى محـــاصر من المشركين فقفز كالنمر الهائج ومعه الزبير بن العوام الذى دافع عن النبى بسيفه دفاعا مجيدا ، وراح على يتلقى الضربات ، ويدافع عن النبى حتى امتلأ جسده بالطعنات ، ونجا رسول الله صلى الله عليـــه وسلم من كيد المشركين .. وانتهت الموقعة بهزيمة المسلمين ! ـــ التى كانت درسا لهم حتى لا يخالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وســـلم

---

(١) أى بمكة .
(٢) يقصد بها المدينة .
(٣) أى مكة .
(٤) اى حرارة الشوق .

بعد ذلك كما فعل الذين تركوا أماكنهم وراحوا يجمعون الغنـائم ـــ ولما انتهت المعركة تقدمت النساء المسلمات تضمدن الجرحى !

وسألهن النبى صلى الله عليه وسلم عن على فقلن له : يا رسول الله •• ان به عشرين طعنة ! وكلما ضمدنا جرحا •• انفتق جرح آخر !

وتقدم اليه الرسول ومس بيده الكريمة جسده المثخن بالجراح وقال :

ان رجلا لاقى كل هــذه الطعنات فى سبيل الله لهو حبيب الله فى الجنة ! ••

* * *

وهو كذلك بطل الأبطال فى موقعة الخندق :

وكانت المدينة قد هوجمت بأربعة وعشرين ألف مقاتل تحت قيادة أبى سفيان ، وعيينة بن حصن ••

فلما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بخروجهم وتحركهم صوب المدينة •• استجاب لرأى « سلمان الفارسى » الذى كان قد أشار بحفر خندق حولها ••

وفعلا حفر الخندق الذى فوجىء به جيش المشركين •• فكان صدمة بالنسبة لهم لأنهم لم يعهدوا مثل هــذا فى حروبهم •• وحاول بعضهم اقتحام الخندق ولكنهم لم ينجحوا •• فتسلل نفر من صناديد قريش بقيادة فارس معروف وهو « عمرو بن ود » من ثغرة فى الخندق استطاعوا عن طريقها الوقوف فى مواجهة صفوف المسلمين •• وهناك وقف « عمرو بن ود » هو ومن معه من الفرسان أمام المسلمين ، وصاح : من يبارز ؟ ••

فما كان من على كرم الله وجهه الا أن وقف أمامه فى ومض البرق وجها لوجه وقال له بكل شجاعة واستبسال : يا عمرو •• انك كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين الا أخذتها منه •• فأجابه عمرو : أجل • فقال على :

فانى أدعوك الى الله ، والى رسوله ، والى الاسلام •• فقال عمرو : لا حاجة بى الى ذلك •

فقال على : اذن •• فأنا أدعوك الى النزال •

قال عمرو : لم يا ابن أخى ؟ فواللات ما أحب أن أقتلك •

قال على : لكنى والله أحب أن أقتلك !! ••

فغضب عمرو ، وأخذته حمية الجاهلية ، واقتحم عن فرسه وعقره ، ثم هجم على « على » الذى تلقاه بعنفوان أشد •• ثم بارزه بقوة ايمانية •• كانت سببا في أن جعلت « عمرو بن ود » مجندلا على الأرض صريعا ••

وكل هـذا كان ببركة القوة الايمانية والعزيمة القويمة القوية على نصرة الاسلام والمسلمين •

كما يشير الى هذا الشاعر العربى المسلم الذى استقبل عليا بعد أن عاد الى صفوف المسلمين بقوله :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه
ونصرت رب محمد بصواب
لا تحسبن الله خاذل دينه
ورسوله ، يا معشر الاحزاب

وصدق الله العظيم فهو القائل فى كتابه العزيز : « **ولينصرن الله من ينصره** •• »[1] •

وهو القائل : « •• **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** »[2] •

* * *

وهو أيضا ــ كرم الله وجهه ــ بطل موقعة خيبر ••

وكانت خيبر هذه مواطن اليهود •• كما كانت حصونا منيعة •• بالاضافة الى أنها ضواحى خصبة تفيض بالخيرات والثمار ••

فلما أراد النبى صلى الله عليه وسلم فتحها أرسل أول يوم كتيبة قوية بقيادة أبى بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ فارتدت أمام حصنها المنيع ، ثم فى اليوم الثانى أرسل كتيبة أخرى بقيادة عمر ابن الخطاب ــ رضى الله عنه ــ فارتدت كذلك لنفس السبب السابق وهو مناعة حصنها أو حصونها ••

فقال النبى صلى الله عليه وسلم ، وكله تصميم على ضرورة فتح خيبر : « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه » •

فلما قال الرسول صلى الله عليه وسلم هذا تمنى كل صحابى أن يكون هو هذا الرجل •• لدرجة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ،

---

(١) الحج : ٤٠ (٢) محمد : ٧

قال : « ما تمنيت الامارة قط الا اليوم ، رجاء أن أكون من يحبه الله ورسوله » .

ثم حدث بعد ذلك ، وبعد أن أصبح الصباح ، وأقبل المسلمون الى حيث يلتقون برسولهم .. وكلهم شوق الى معرفة الرجل البطل الذى سيعطيه الرسول صلى الله عليـه وسلم الراية ، والذى سيتم على يديه فتح ذلك الحصن الرهيب .. :

أن فاجأ الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بقوله : « أين على بن أبى طالب » ؟ فيقول على ملبيـا نداء الرســول من فوره : ها أنذا يا رسول الله .. ثم يتقدم الى رسول الله عندما أشار اليه بيمينه .. فلما رأى الرسول ما بعينيه من وجع ، بلل أنامله بريقـه الطهور ، ومس بها عين على .. فذهب ما بها من وجع واهتياج .. ثم دعا الرسول بالراية .. وبعد أن أمسكها ورفعها الى أعلى ، ثم هزها ثلاثا .. غرسها فى يمين على وقال له : « خـذ هذه الرايـة ، فامض بها حتى يفتح الله عليـك » .

فكان « على » بعد ذلك أهلا لهذا الشرف العظيم .. الذى كان دائما وأبدا أهلا له .. لأنه ربيب الرسول ، بل وربيب الوحى الذى يقول عنه على وهو صادق : « سلونى ، وسلونى ، وسلونى عن كتاب الله ما شئتم .. فوالله ما من آية من آياته الا وأنا أعلم أنزلت فى ليـل ، أم فى نهار » .

حتى كان كما وصفه « الحسن البصرى » رضى الله عنه : « أعطى القرآن عزائمه ، وعلمه ، وعمله .. فكان منه فى رياض موقنة وأعلام بينـة » .

ولهذا كان بسبب هذه التربية المحمدية .. والانتفاع بوحى السماء من المقربين الى الله ورسوله .. وكان كذلك أهلا لأن يزوجه الرسول صلى الله عليـه وسلم ابنته الزهراء رضى الله عنها ، تلك التى كان الرسول صلى الله عليـه وسلم يحبها حبا جما .. لدرجة أنه كان يقول : « ان فاطمة قطعة منى .. فمن أغضبها أغضبنى » ..

نعم كان على كرم الله وجهه أهلا لهذا الشرف .. فحمل الراية وتقدم كتيبته التى كان يقودها الى الحصن مهرولا حتى وقف أمامه ونادى قائلا : « أنا على بن أبى طالب » .. فتلقى ضربة قوية لم تصبه بسوء ، لكنها أطارت ترسه من يده .. فماذا فعل على كرم الله وجهه بعد ذلك

عندما رأى نفسه يواجه فرقة مسلحة من حرس الحصن ؟ .. لقد صاح قائلا : « والذى نفسى بيده ، لأذوقن ما ذاق حمزة أو ليفتحن الله لى » .. ثم اندفع نحو باب من أبواب الحصن فرفعه بين يديه .. ثم التفت نحوهم بهذا الباب وهو يصيح : « الله أكبر » ..

يقول أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان ضمن كتيبة على : « لقد هممت أنا وسبعة معى أن نحرك هذا الباب من مكانه على الأرض فما استطعنا » ..

ثم بعد أن هجمت الكتيبة المسلمة بقيادة البطل المبارك « على » كرم الله وجهه .. وبعد فترة وجيزة : أن كانت هتافات النصر تدوى من أفواه الجنود المنتصرين : « الله أكبر خربت خيبر » .

***

وهكذا ، كما رأينا وباختصار استطاعت القوة الجسدية المتوجة بالقوة الايمانية بالله ورسوله .. أن تصنع المعجزات مع قلة العدد والعدد ..

ولهذا .. فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم كما قرأنا ــ فى نص الوصية ــ « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » .

ولهذا ــ كذلك ــ كان من الخير أن يحافظ المؤمن على قوته هذه ، وذلك بالمحافظة على صحته بالبعد عن كل مسكر ومفتر[1] ، وعن كل شىء يضر بصحته ولا سيما كثرة الطعام والشراب :

فان الداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام أو الشراب

وقد ورد التحذير من هذا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث شريف قال فيه :

« ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن ، بحسب ابن آدم[2] أكلات[3] يقمن صلبه ، فان كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

« ان من السرف أن تأكل كلما اشتهيت » رواه ابن ماجه .

***

---

(١) فقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن كل مسكر ومفتر .

(٢) بحسب ابن آدم : أى كافيه ذلك سد الرمق .

(٣) أكلات : أى لقم .

ومن أجمل ما قرأت فى هـذا ، ما جاء فى دائرة المعارف (ج ٧) « لمحمد فريد وجدى » تحت عنوان :

تقـوية الجسـم

وهو : من الناس من يكون قويا كامل الصحة فيعثر به ضعف لا يزال به حتى يلحقه بالمرضى • فأول ما يتبادر الى ذهنه أن يرحل الى الأطباء طلبا للعلاجات فلا يزال يتردد على هـذا وذاك مدة حتى يتأصل فيه الضعف وتكون سمية العلاجات قد فعلت بمعدته وأعصابه الأفاعيل •

لو كان اتبع هـذا الرجل القانون الطبيعي لعادت اليه قوته من غير أن يصرف درهما واحدا للأطباء والصيدليات وبدون أن يعرض نفسه لخطر السموم العلاجية فيكتسب منها أمراضا عضالة ••

والقانون الصحى الطبيعى أمر غير شاق الا على أسرى العادات أو التقاليد فهو يقضى بأن يسكن المصاب فى الخلاء وينقطع عن عمله لمدة شهرين أو ثلاثة معرضا نفسه فى أثنائها للهواء الطلق ومتبعا نظاما فى الاستحمام والغذاء لا يتعداه ، فيستيقظ فى الساعة الخامسة فيذهب توا الى الحمام فيدلك جسده بفوطة خشنة مبتلة بالمـاء ثم يخرج من الحمام الى الخلاء يرتاض نحو نصف ساعة ثم يعود فيأكل أكلة الصباح ثم يعود الى الخلاء فيشتغل أشغالا عضـلية معتدلة أو يجلس على شواطىء النيـل أو بين المزارع ، ثم يعود وقت الظهيرة فيتناول الغداء ثم يضطجع فى سريره ساعتين بدون نوم ، ثم يقوم فيرتاض فى الخلاء فى جهات يأنس بها ويرتاح اليها ، ثم يعود فى المساء فيتناول عشاء خفيفا فى الساعة السابعة وينام فى العاشرة تماما فى حجرة نوافذها مفتوحة ••

هذا •• مع مراعاة الحمية التامة فى الأكل فلا يأكل المنبهات الشديدة كاللحم ولا التوابل ولا يتناول من البقول الا ما قل ويجعل عمدة طعامه الخضر والفواكه الناضجة وخصوصا العنب والتين والبطيخ محترزا من الافراط فى كل شىء مع المداومة على التدلك بالمـاء يوميا والاستحمام بسكب المـاء ثلاث مرات فى الأسبوع ، والاجتهاد فى ترك هموم المعيشة والخلافات البيتية فلا يمضى على صاحبنا فى هـذه الحيـاة أسبوع حتى يحس بالفـارق العظيم فى جسده وعقله ، فاذا استمر شـهرين انقلب الى ضد ما كان عليـه فعادت اليه قوته وحيويته ورجع الى عمله كأحسن ما كان عليـه •

هــذا هو الطريق الطبيعى المعقول للتقــوية ، أما الاعتماد على العقاقير فلا ينتج غير الأمراض العضالة عادة ، لأن أكثر العــلاجات سموم قتالة ولا يصح أن يعتمد الانسان عليها الا عند عدم وجود وسيلة ســواها لتسكين ألم شديد واسعاف مغمى عليه • أما فيما عــدا هــذا فالشافيات التى جعلها الله رحمة للناس هى المــاء والهواء والضوء وهى حق شائع بين الكافة على السواء •

هــذا هو الأسلوب الطبيعى الحكيم لتقوية الجســم تقوية ثابتة من طريقها الصحيح ولكن الســواد الأعظم لا يعقلون ذلك ويرون أن العقاقير هى الوسيلة الوحيدة لاعادة القوة ويغيب عنهم أن فعل تلك العقاقير ينحصر فى تهييج الجسم واكسابه ظاهرا من القوة ، وان أفادت الدم أضرت بأعضاء أخرى ، فيكون المصاب كالمستجير من الرمضاء بالنار ، فهل يطول بقاء بعض الناس فى هذا الضلال ؟



ولا تنس كذلك أخا الاسلام ما ذكره ابن قيم الجوزية فى كتابه : « الطب النبوى » ، تحت عنوان :

فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم فى حفظ الصحة

حيث يقول : لمــا كان اعتدال البدن وصحته وبقاؤه ، انما هــو بواسطة الرطوبة المقاومة للحرارة : فالرطوبة مادته ، والحرارة تنضجها وتدفع فضلاتها ، وتصلحها وتلطفها ، والا أفسدت البدن ولم يمكن قيامه • وكذلك الرطوبة : هى غذاء الحرارة ، فلولا الرطوبة : لأحرقت البدن وأيبسته وأفسدته ، فقوام كل واحدة منهما بصاحبتها ، وقوام البدن بهما جميعا • وكل منهما مادة للأخرى ، فالحرارة مادة للرطوبة : تحفظها وتمنعها من الفساد والاستحالة ، والرطوبة مادة للحرارة : تغذوها وتحملها • ومتى مالت احداهما الى الزيادة على الأخرى : حصل لمزاج البدن الانحراف ، بحسب ذلك • فالحرارة دائما تحلل الرطوبة ، فيحتاج البدن الى ما به يخلف عليــه ما حللته الحــرارة ــ ضرورة بقائه ــ وهو : الطعام والشراب ، ومتى زاد على مقدار التحلل : ضعفت الحرارة عن تحليل فضلاته ، فاستحالت مواد رديئة : فعاثت فى البدن وأفسدت ، فحصلت الأمراض المتنوعة بحسب تنوع موادها ، وقبول الأعضاء واستعدادها ••

وهـذا كله مستفاد من قولـه تعـالى : **« وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ... »**[١] ، فأرشد عباده الى ادخال ما يقيم البدن : من الطعام والشراب ، عوض ما تحلل منه ، وأن يكون بقدر ما ينتفع به البدن : فى الكمية والكيفية ، فمتى جاوز ذلك : كان اسرافا ، وكلاهما مانع من الصحة ، جالب للمرض ، أعنى : عدم الأكل والشرب ، أو الاسراف فيه .

فحفظ الصحة كله فى هاتين الكلمتين الالهيتين . ولا ريب أن البدن دائما : فى التحلل والاستخلاف ، وكلما كثر التحلل : ضعفت الحرارة لفناء مادتها ، فان كثرة التحلل تفنى الرطوبة ، وهى مادة الحـرارة ، واذا ضعفت الحرارة : ضعف الهضم ، ولا يزال كذلك حتى تفنى الرطوبة ، وتنطفىء الحرارة جملة ، فيستكمل العبد الأجل الذى كتب الله له أن يصـل اليه .

فغاية علاج الانسان لنفسه ولغيره : حراسة البدن الى أن يصل الى هذه الحالة ، لأنه يستلزم بقاء الحرارة والرطوبة اللتين بقاء الشباب والصحة والقوة بهما ، فان هـذا مما لم يحصل لبشر فى هـذه الدار . وانما غاية الطبيب : أن يحمى الرطوبة عن مفسداتها من العفونة وغيرها ، ويحمى الحرارة عن مضعفاتها ، ويعدل بينهما بالعدل والتدبير الذى قام به بدن الانسان ، كما أن به قامت السموات والأرض ، وسـائر المخلوقات انما قوامها بالعدل .

ومن تأمل هدى النبى صلى الله عليـه وسلم ، وجده أفضل هدى يمكن حفظ الصحة به ، فان حفظها موقوف على حسن تدبير المطعـم والمشرب والملبس والمسكن والهواء ، والنوم واليقظة ، والحركة والسكون ، والمنكح ، والاستفراغ والاحتباس . فاذا حصلت هـذه على الوجـه المعتدل الموافق الملائم للبدن والبلد والسن والعادة : كان أقرب الى دوام الصحة والعافية أو غلبتها الى انقضاء الأجل .

ولـما كانت الصحة من أجل نعم الله على عبده ، وأجزل عطاياه ، وأوفر منحه ــ بل العافية المطلقة أجل النعم على الاطلاق ــ : فحقيق لمن رزق حظا من التوفيق ، مراعاتها وحفظها ، وحمايتها عما يضادها .

---

(١) الأعراف : ٣١

وقد روى البخارى فى صحيحه — من حديث ابن عباس — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعمتان مغبون[١] فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » .

وفى الترمذى وغيره — من حديث عبد الله بن محصن الأنصارى — قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من أصبح معافى فى جسده ، آمنا فى سربه ، عنده قوت يومه : فكأنما حيزت له الدنيا » .

وفى الترمذى أيضا — من حديث أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم — أنه قال :

« أول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة : من النعيم ، أن يقال له : ألم نصح لك جسمك ، ونروك من الماء البارد » ؟!

ومن ههنا ، قال من قال من السلف — فى قوله تعالى : « **ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم** »[٢] — قال : عن الصحة .

وفى مسند الامام أحمد : أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال للعباس :

« يا عباس يا عم رسول الله .. سل الله العافية فى الدنيا والآخرة » .

وفيه[٣] عن أبى بكر الصديق ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول :

« سلوا الله اليقين والمعافاة ، فما أوتى أحد — بعد اليقين — خيرا من العافية » : فجمع بين عافيتى الدين والدنيا . ولا يتم صلاح العبد فى الدارين ، الا باليقين والعافية . فاليقين يدفع عنه عقوبات الآخرة ، والعافية تدفع عنه أمراض الدنيا : فى قلبه وبدنه .

وفى سنن النسائى — من حديث أبى هريرة يرفعه : « سلوا الله العفو والعافية والمعافاة ، فما أوتى أحد — بعد يقين — خيرا من معافاة » .

وهذه الثلاثة تتضمن ازالة الشرور الماضية : بالعفو ، والحاضرة : بالعافية ، والمستقبلة : بالمعافاة . فانها تتضمن المداومة والاستمرار على العافية .

---

(١) قال فى مختار الصحاح : « غبنه » فى البيع خدعه وبابه ضربه وقد « أغبن » فهو « مغبون » .

(٢) التكاثر : ٨

(٣) أى فى مسند الامام أحمد .

وفى الترمذى مرفوعا : « ما سئل الله شيئا أحب اليه من العافية » •

وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى : عن أبى الدرداء : « قلت : يا رسول الله •• لأن أعافى فأشكر ، أحب الى من أن أبتلى فأصبر • فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « ورسول الله يحب معك العافيـة » •

ويذكر عن ابن عباس : « أن أعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما أسأل الله بعد الصلوات الخمس ؟ فقال : سل الله العافية ، فى الدنيا والآخرة » •

واذا كان هذا شأن العافية والصحة : فنذكر من هديه صلى الله عليه وسلم ، فى مراعاة هذه الأمور ، ما يتبين لمن نظر فيه أنه أكمل الهدى على الاطلاق : ما ينال به حفظ صحة البدن والقلب ، وحياة الدنيا والآخرة ، والله المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة الا بالله ••

ثم يستأنف ابن قيم الجوزية بعد ذلك كلامه ، فى فصل آخر ، بقوله عن هدى الرسول صلى الله عليه وسلم فى المطعم والمشرب :

فأما المطعم والمشرب ، فلم يكن من عادته صلى الله عليه وسلم ، حبس النفس على نوع واحد من الأغذية ، لا يتعداه الى ما سواه • فان ذلك يضر بالطبيعة جدا ، وقد يتعذر عليها أحيانا : فان لم يتناول غيره ضعف أو هلك ، وان تناول غيره لم تقبله الطبيعة : فاستضر به • فقصرها على نوع واحد دائما ـ ولو أنه أفضل الأغذية ـ خطر •

بل كان يأكل ما جرت عادة أهل بلده بأكله : من اللحم والفاكهة والخبز والتمر ، وغيره •• من المـأكول •

واذا كان فى أحد الطعامين كيفية تحتاج الى كسر وتعديل : كسرها وعدلها بضدها ان أمكن ، كتعديله حرارة الرطب بالبطيخ • وان لم يجد ذلك : تناوله على حاجة وداعية من النفس من غير اسراف ، فلا تتضرر به الطبيعة •

وكان اذا عافت نفسه الطعام : لم يأكله ، ولم يحملها اياه على كره ، وهـذا أصل عظيم فى حفظ الصحة • فمتى أكل الانسان ما تعافه نفسه ولا تشتهيه : كان تضرره به أكثر من انتفاعه •

قال أنس : « ما عاف رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ، ان اشتهاه : أكله ، والا : تركه ولم يأكل منه » •

ولما قدم اليه — صلوات الله وسلامه عليه — الضب المشوى : لم يأكل منه ، فقيل له : أهو حرام ؟ قال : « لا .. ولكن لم يكن بأرض قومى ، فأجدنى أعافه » . فراعى عادته وشهوته ، فلما لم يكن يعتاد أكله بأرضه ، وكانت نفسه لا تشتهيه : أمسك عنه ، ولم يمنع من أكله من يشتهيه ، ومن عادته أكله .

وكان يحب اللحم ، وأحبه اليه الذراع ومقدم الشاة . ولذلك سم فيه(١) .

وفى الصحيحين : « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم ، فرفع اليه الذراع ، وكانت تعجبه » .

وذكر أبو عبيد وغيره ، عن ضباعة بنت الزبير : « أنها ذبحت فى بيتها شاة ، فأرسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أطعمينا من شاتكم . فقالت للرسول(٢) : ما بقى عندنا الا الرقبة ، وانى لأستحى أن أرسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فرجع الرسول فأخبره ، فقال : ارجع اليها ، فقل لها : أرسلى بها ، فانها هادية الشاة وأقرب الى الخير وأبعدها عن الأذى » .

ولا ريب أن أخف لحم الشاة : لحم الرقبة ، ولحم الذراع والعضد . وهو أخف على المعدة ، وأسرع انهضاما . وفى هذا مراعاة الأغذية التى تجمع ثلاثة أوصاف :

الأول : كثرة نفعها وتأثيرها فى القوى .

الثانى : خفتها على المعدة ، وعدم ثقلها عليها .

الثالث : سرعة هضمها . وهذا أفضل ما يكون من الغذاء . والتغذى باليسير من هذا ، أنفع من الكثير من غيره .

وكان يحب الحلواء والعسل . وهذه الثلاثة — أعنى : اللحم ، والعسل ، والحلواء — من أفضل الأغذية ، وأنفعها للبدن والكبد والأعضاء . وللاغتذاء بها نفع عظيم فى حفظ الصحة والقوة ، ولا ينفر منها الا من به علة أو آفة .

وكان يأكل الخبز مأدوما(٣) ما وجد له اداما ، فتارة يأدمه باللحم ، ويقول : « هو سيد طعام أهل الدنيا والآخرة » رواه ابن ماجه وغيره .

---

(١) أى وضع له فيه السم .

(٢) أى لرسول رسول الله اليها .

(٣) أى كان يأكله بطعام .. أو بلحم .. أو بعسل .

وتارة بالبطيخ ، وتارة بالتمر . فانه وضع تمرة على كسرة ، وقال : « هذا ادام هذه » . وفى هذا — من تدبير الغذاء — أن خبز الشعير بارد يابس ، والتمر حار رطب على أصح القولين ، فأدم خبز الشعير به من أحسن التدبير ، لا سيما لمن تلك عادتهم : كأهل المدينة . وتارة بالخل ، ويقول : « نعم الادام الخل » . وهذا ثناء عليه بحسب مقتضى الحال الحاضر ، لا تفضيل له على غيره : كما يظن الجهال . وسبب الحديث : « أنه دخل على أهله يوما ، فقدموا له خبزا ، فقال : هل عندكم من ادام ؟ قالوا : ما عندنا الا خل . فقال : نعم الادام الخل » .

والمقصود : أن أكل الخبز مأدوما من أسباب حفظ الصحة ، بخلاف الاقتصار على أحدهما وحده . وسمى الأدم أدما : لاصلاحه الخبز وجعله ملائما لحفظ الصحة . ومنه قوله فى اباحته للخاطب النظر : « انه أحرى أن يؤدم بينهما » أى : أقرب الى الالتئام والموافقة ، فان الزوج يدخل على بصيرة ، فلا يندم .

وكان يأكل من فاكهة بلده عند مجيئها ، ولا يحتمى عنها .

وهذا أيضا من أكبر أسباب حفظ الصحة : فان الله سبحانه — بحكمته — جعل فى كل بلد من الفاكهة ، ما ينتفع به أهلها فى وقته ، فيكون تناوله من أسباب صحتهم وعافيتهم ، ويغنى عن كثير من الأدوية . وقل من احتمى عن فاكهة بلده : خشية السقم ، الا وهو من أسقم الناس جسما ، وأبعدهم من الصحة والقوة .

وما فى تلك الفاكهة : — من الرطوبات — فحرارة الفصل والأرض . وحرارة المعدة تنضجها ، وتدفع شرها : اذا لم يسرف فى تناولها ، ولم يحمل منها الطبيعة فوق ما تحتمله ، ولم يفسد بها الغذاء قبل هضمه ، ولا أفسدها بشرب الماء عليها ، وتناول الغذاء بعد التحلى منها . فان القولنج كثيرا ما يحدث عند ذلك ، فمن أكل منها ما ينبغى ، فى الوقت الذى ينبغى ، على الوجه الذى ينبغى — : كانت له دواء نافعا .

ثم ينتقل ابن قيم الجوزية بعد ذلك الى فصل آخر حول :

هديه صلى الله عليه وسلم فى هيئة الجلوس للأكل

فيقول : صح عنه أن قال : « لا آكل متكئا » .

وقال : « انما أجلس كما يجلس العبد ، وآكل كما يأكل العبد » .

وروى ابن ماجه فى سننه : « أنه نهى أن يأكل الرجل وهو منبطح على وجهه » ..

وقد فسر الاتكاء : بالتربع . وفسر : بالاتكاء على الشىء ، وهو الاعتماد عليه . وفسر بالاتكاء على الجنب . والأنواع الثلاثة من الاتكاء ، فنوع منها يضر بالأكل ، وهو : الاتكاء على الجنب ، فانه يمنع مجرى الطعام الطبيعى عن هيئته ، ويعوقه عن سرعة نفوذه الى المعدة ، ويضغط المعدة : فلا يستحكم فتحها للغذاء . وأيضا : فانها تميل ولا تبقى منتصبة ، فلا يصل الغذاء اليها بسهولة .

وأما النوعان الآخران ، فمن جلوس الجبابرة المنافى للعبودية . ولهذا قال : « آكل كما يأكل العبد » ، وكان يأكل وهو مقع .

ويذكر عنه : « أنه كان يجلس للأكل متوركا على ركبتيه ، ويضع بطن قدمه اليسرى ، على ظهر قدمه اليمنى » تواضعا لربه عز وجل ، وأدبا بين يديه ، واحتراما للطعام وللمؤاكل ، فهذه الهيئة أنفع هيئات الأكل وأفضلها : لأن الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعى ، الذى خلقها الله سبحانه وتعالى عليه ، مع ما فيها من الهيئة الأدبية . وأجود ما اغتذى الانسان : اذا كانت أعضاؤه على وضعها الطبيعى : ولا يكون كذلك الا اذا كان الانسان منتصبا الانتصاب الطبيعى . وأردأ الجلسات للأكل الاتكاء على الجنب ، لما تقدم : من أن المرىء وأعضاء الازدراد تضيق عند هذه الهيئة ، والمعدة لا تبقى على وضعها الطبيعى . لأنها تنعصر مما يلى البطن بالأرض ، ومما يلى الظهر بالحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات النفس .

وان كان المراد بالاتكاء الاعتماد على الوسائد والوطاء الذى تحت الجالس ، فيكون المعنى : أنى اذا أكلت لم أقعد متكئا على الأوطية والوسائد ، كفعل الجبابرة ومن يريد الاكثار من الطعام ، لكنى آكل بلغة كما يأكل العبد .

فصل : وكان يأكل بأصابعه الثلاث . وهذا أنفع ما يكون من الأكلات : فان الأكل باصبع أو اصبعين لا يستلذ به الآكل ولا يمريه ، ولا يشبع الا بعد طول ، ولا تفرح آلات الطعام والمعدة بما ينالها فى كل أكلة ، فتأخذها على اغماض ، كما يأخذ الرجل حقه حبة أو حبتين أو نحو ذلك . فلا يلتذ بأخذه ولا يسر به . والأكل بالخمسة ــ أصابع ــ والراحة يوجب ازدحام الطعام على آلاته وعلى المعدة ــ وربما استدت

الآلات فمات — وتغضب الآلات على دفعه ، والمعدة على احتماله ، ولا يجد له لذة ولا استمراء . فأنفع الأكل : أكله صلى الله عليه وسلم ، وأكل من اقتدى به بالأصابع الثلاث .

فصل : ومن تدبر أغذيته صلى الله عليــه وسلم ، وما كان يأكله : وجده لم يجمع قط بين لبن وسمك ، ولا بين لبن وحامض ، ولا بين غذائين حارين ، ولا باردين ، ولا لزجين ، ولا قابضين ، ولا مسهلين ، ولا غليظين ، ولا مرخيين ، ولا مستحيلين الى خلط واحد ، ولا بين مختلفين : كقابض ومسهل ، وسريع الهضم وبطيئه ، ولا بين شوى وطبيخ ، ولا بين طرى وقديد ، ولا بين لبن وبيض ، ولا بين لحم ولبن ، ولم يأكل طعاما فى وقت شدة حرارته ، ولا طبيخا بائتا يسخن له بالغد ، ولا شيئا من الأطعمه العفنة والمـالحة : كالكوامخ والمخللات والملوحات . وكل هذه الأنواع ضار مولد لأنواع من الخروج عن الصحة والاعتدال .

وكان يصلح ضرر بعض الأغذية ببعض : اذا وجد اليه سبيلا : فيكسر حرارة هذا ببرودة هذا . كما فعل فى القثاء والرطب ، وكما كان يأكل التمر بالسمن — وهو : الحيس — ويشرب نقيع التمر يلطف به كيموسات الأغذية الشديدة .

وكان يأمر بالعشاء ولو بكف من تمر ، ويقول : « ترك العشاء مهرمة» ذكره الترمذى فى جامعه ، وابن ماجه فى سننه .

وذكر أبو نعيم عنه : « أنه كان ينهى عن النوم على الأكل ، ويذكر : أنه يقسى القلب » . ولهذا ، فى وصايا الأطباء لمن أراد حفظ الصحة : أن يمشى بعد العشاء خطوات ولو مائة خطوة ، ولا ينام عقبه ، فانه مضر جدا . وقال مسلموهم : أو يصلى عقيبه ، ليستقر الغذاء بقعر المعدة ، فيسهل هضمه ويجود بذلك .

ولم يكن من هديــه : أن يشرب على طعامه فيفسده ، ولا سيما ان كان المـــاء حارا أو باردا ، فانه ردىء جدا . قال الشاعر :

لا تكن عند أكل سـخن وبرد ... ودخول الحمام : تشرب مـاء

فـاذا ما اجتنبت ذلك حقـا : ... لم تخف ما حييت ، فى الجوف داء

ويكره شرب المـاء عقيب الرياضة والتعب ، وعقيب الجماع ،

وعقيب الطعام وقبله ، وعقيب أكل الفاكهة — وان كان الشرب عقيب بعضها ، أسهل من بعض — وعقب الحمام ، وعند الانتهاء من النوم . فهذا كله مناف لحفظ الصحة . ولا اعتبار بالعوائد : فانها طبائع ثوان .

وأما عن :

هديه صلى الله عليه وسلم فى الشراب

فيقول ابن قيم الجوزية بعد ذلك :

وأما هديه فى الشراب ، فمن أكمل هدى يحفظ به الصحة : فانه كان يشرب العسل الممزوج بالماء البارد . وفى هذا من حفظ الصحة ، ما لا يهتدى الى معرفته الا أفاضل الأطباء ، فان شربه ولعقه على الريق : يذيب البلغم ، ويغسل حمل المعدة ، ويجلو لزوجتها ، ويدفع عنها الفضلات ، ويسخنها باعتدال ، ويدفع سددها ، ويفعل مثل ذلك بالكبد والكلى والمثانة . وهو أنفع للمعدة من كل حلو دخلها . وانما يضر بالعرض لصاحب الصفراء : لحدته وحدة الصفراء ، فربما هيجها . ودفع مضرته لهم بالخل ، فيعود حينئذ لهم نافعا جدا . وشربه أنفع من كثير من الأشربة ، المتخذة من السكر — أو أكثرها — ولا سيما لمن لم يعتد هذه الأشربة ، ولا ألفها طبعه . فانه اذا شربها : لا يلائمه ملاءمة العسل ، ولا قريبا منه . والمحكم فى ذلك العادة : فانها تهدم أصولا ، وتبنى أصولا .

وأما الشراب اذا جمع وصفى الحلاوة والبرودة : فمن أنفع شىء للبدن ، ومن أكبر أسباب حفظ الصحة ، وللأرواح والقوى والكبد والقلب عشق شديد له ، واستمداد منه . واذا كان فيه الوصفان : حصلت به التغذية ، وتنفيذ الطعام الى الأعضاء وايصاله اليها ، أتم تنفيذ .

والماء البارد رطب : يقمع الحرارة ، ويحفظ على البدن رطوباته الأصلية ، ويرد عليه بدل ما تحلل منها ، ويرقق الغذاء ، وينفذه فى العروق .

واختلف الأطباء : هل يغذى البدن ؟ .. على قولين :

فأثبت طائفة التغذية به ، بناء على ما يشاهدونه : من النمو والزيادة والقوة فى البدن به ، ولا سيما عند شدة الحاجة اليه .

قالوا : وبين الحيوان والنبات قدر مشترك من وجوه عديدة ، منها : النمو والاغتذاء والاعتدال . وفى النبات قوة حس وحركة تناسبه .

ولهذا كان غذاء النبات بالمـاء . فما ينكر أن يكون للحيوان به نوع غذاء ، وأن يكون جزءا من غذائه التام .

قالوا : ونحن لا ننكر أن قوة الغذاء ومعظمه فى الطعام ، وانما أنكرنا أن لا يكون للمـاء تغذية البتة . قالوا : وأيضا الطعام انما يغذى بما فيه : من المـائية ، ولولاها لمـا حصلت به التغذية .

قالوا : ولأن المـاء مادة حياة الحيوان والنبات ، ولا ريب أن ما كان أقرب الى مادة الشيء حصلت به التغذية ، فكيف اذا كانت مادته الأصلية ؟ ! قال الله تعـالى : **« وجعلنا من المـاء كل شيء حي »**[1] . فكيف ينكر حصول التغذية بما هو مادة الحياة على الاطلاق ؟ !

قالوا : وقد رأينا العطشان اذا حصل له الرى بالمـاء البارد : ترجعت اليه قواه ونشاطه وحركته ، وصبر عن الطعام ، وانتفع بالقدر اليسير منه . ورأينا العطشان لا ينتفع بالقدر الكثير من الطعـام ، ولا يجد به القوة والاغتذاء ، ونحن لا ننكر أن المـاء ينفذ الغذاء الى أجزاء البدن ، والى جميع الأعضاء ، وأنه لا يتم أمر الغذاء الا به . وانما ننكر على من سلبه قوة التغذية عنه البتة ، ويكاد قوله عندنا يدخل فى انكار الأمور الوجدانية .

وأنكرت طائفة أخرى حصول التغذية به . واحتجت بأمور : يرجع حاصلها الى عدم الاكتفاء به ، وأنه لا يقوم مقام الطعام ، وأنه لا يزيد فى نمو الأعضاء ، ولا يخلف عليها بدل ما حللته الحرارة ، ونحو ذلك مما لا ينكره أصحاب التغذية ، فانهم يجعلون تغذيته بحسب جوهره ولطافته ورقته ، وتغذية كل شيء بحسبه . وقد شوهد الهواء الرطب البارد اللين اللذيذ : يغذى بحسبه . والرائحة الطيبة : تغذى نوعا من الغذاء . فتغذية المـاء أظهر وأظهر .

والمقصود : أنه اذا كان باردا ، وخالطه ما يحليه : ــ كالعسل أو الزبيب أو التمر أو السكر ــ كان أنفع ما يدخل البدن ، وحفظ عليـه صحته . فلهذا كان أحب الشراب الى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ، البارد والحلو . والمـاء الفاتر ينفع ويفعل ضد هذه الأشياء .

ولمـا كان المـاء البائت أنفع من الذى يشرب وقت استقائه ، قال النبى صلى الله عليـه وسلم ــ وقد دخل الى حائط أبى الهيثم بن التيهان

---

(١) الأنبياء : ٣٠ .

ــ : « هل من ماء بات فى شنه » ؟ فأتاه به ، فشرب منه • رواه البخارى • ولفظه : « ان كان عندكم ماء بات فى شنه ، والا كرعنا » •

والمــاء البائت بمنزلة العجين الخمير ، والذى شرب لوقته بمنزلة الفطير • وأيضا : فان الأجزاء الترابية والأرضية تفارقه اذا بات ، وقد ذكر : أن النبى صلى الله عليــه وسلم كان يستعذب له المــاء ، ويختار البائت منه • وقالت عائشة : « كان رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، يستقى له المــاء العذب من بئر السقيا » •

والمــاء الذى فى القرب والشنان ، ألذ من الذى يكون فى آنيــة الفخار والأحجار وغيرهما ، ولا سيما أسقية الأدم[1] • ولهذا التمس النبى صلى الله عليــه وسلم ماء بات فى شنة ، دون غيرها من الأوانى • وفى المــاء ــ اذا وضع فى الشنان وقرب الأدم ــ خاصة لطيفة ، لمــا فيــها : من المسام المنفتحة يرشح منها المــاء • ولهذا : المــاء الذى فى الفخار الذى يرشح ، ألذ منه ، وأبرد فى الذى لا يرشح ، فصلوات الله وسلامه عليــه على أكمل الخلق ، وأشرفهم نفسا ، وأفضلهم هديا فى كل شىء ، لقد دل أمته على أفضل الأمور وأنفعها لهم : فى القلوب والأبدان ، فى الدنيا والآخرة •• الخ •



فلاحظ كل هــذا أخا الاسلام حتى تكون قوى الجسم وسليم الصحة ، وحتى تكون أيضا فى نفس الوقت سليم العقل •• لأنه كما نعلم ونحفظ : « العقل السليم فى الجسم السليم » ، أى : من الأمراض والعلل ••

مع ملاحظة : أن العقل هو الأساس فى ادراك كل شىء ، وهو الفيصل بين الانسان الناطق والحيوان الناهق •

ومن أجمل ما قرأت فى هــذا : أن العقل والعلم اختلفا •• فقال العقل : أنا أفضل لأن الله عرف بى ، وقال العلم : أنا أفضل لأن الله اتصف بى فى الكتاب ، فوافقه العقل واعترف له بالفضل •

وقد نظم بعضهم هذا ، فقال :

عــلم العليم وعقل العاقل اختلفا
من ذا الذى منهما قد أحرز الشرفا

---

(١) أى القرب .

فالعلم قال : أنا أحرزت غايتــه
والعقل قال : أنا الرحمن بى عرفا
فأفصح العلم افصاحا وقال له :
بأينا الله فى فرقانــه اتصــفا
فبان للعقــل أن العــلم سـيده
فقبل العقل رأس العــلم وانصرفا

ومعلوم أن العقل ــ بصرف النظر عن المقارنة بينه وبين العلم ــ هو الأساس فى طلب العلم ، وأنه لولاه لمــا كان هناك تحصيل للعلم ، أو مجرد التفكير السليم فى أمر من الأمور الدنيوية أو الأخروية .

ولهذا ، كما أشرت لكى يكون التفكير سليما لابد وأن يكون العقل سليما .. ولن يكون العقل سليما كما عرفت الا اذا كان الجسم سليما .

فاذكر كل هــذا .. ولاحظه فى جميع مراحل حياتك على هذا الأساس الذى وقفت على أهمه فى « الطب النبوى » وذلك حتى تكون ــ ان شاء الله ــ من الذين يحبهم الله تعالى كما أشار النص الذى ندور حوله فى أول الوصية ، وهو : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف .. » .

ثم اذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال بعد ذلك : « وفى كل خير » : فهذا معناه أن المؤمن سواء أكان قوى الجسد أو ضعيفه : فانه لاشك لن يكون محروما من الخير لأنه قد توج أساسا بتاج الايمان الذى هو الأساس فى خيرى الدنيــا والآخرة ، والذى لولاه لمــا كان هناك أمان فى الدنيا والآخرة .. بل ولمــا كان هناك أمان بين المواطنين .. كما يشير الى هذا قول الشاعر :

* اذا الايمان ضاع فلا أمان *

بل كما يؤكد هذا قول الله تبارك وتعالى فى قرآنه :

« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »(1) .

وكما يشير أيضا الى هــذا قول الله تبارك وتعالى فى قرآنه :

« من عمل صــالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينــه حيــاة طيبة(2) ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »(3) .

---

(1) الأنعام : ٨٢ (2) أى فى الدنيا .
(3) أى فى الآخرة والآية من سورة النحل : ٩٧

هـذا بالاضافة كذلك الى أن المؤمن بطبيعته : « خيره بادر وشره نادر » ، وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى وصفه : « المؤمن كله منفعة : ان شاورته نفعك ، وان شاركته نفعك ، وان ماشيته نفعك : فأمره كله منفعة » ، وهو أيضا كذلك كما ورد فى حديث شريف : « .. من أمنه الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم » .

وليس هـذا معناه ــ كذلك ــ أن المؤمن لابد وأن يكون قوى الجسد .. فكم هناك من المؤمنين من حرموا من تلك النعمة ولكن ايمانهم كان أقوى وأرسخ من رسوخ الجبال .



فهذا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ــ أول صادح بالقرآن ــ كما يقول الزبير رضى الله عنه : « كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، اذ اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله ما سمعت قريش هـذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهموه ؟ .. فقال عبد الله بن مسعود : أنا .. قالوا : انا نخشاهم عليك ، انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم ان أرادوه .. قال : دعونى ، فان الله سيمنعنى .. فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام فى الضحى ، وقريش فى أنديتها ، فقام عند المقام ثم قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ــ رافعا بها صوته ــ الرحمن .. علم القرآن ، ثم استقبلهم يقرؤها .. فتأملوه قائلين : ماذا يقول ابن أم عبد ؟ .. انه ليتلو بعض ما جاء به محمد .. فقاموا إليه وجعلوا يضربون وجهه ، وهو ماض فى قراءته حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ .. ثم عاد الى أصحابه مصابا فى وجهه وجسده ، فقالوا له : هذا الذى خشيناه عليك .. فقال : ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا .. قالوا له : حسبك ، فقد أسمعتهم ما يكرهون » .

وكان مع هـذه القوة الايمانية نحيفا ، قصيرا ، يكاد الجالس يوازيه طولا وهو قائم .

وكان له ساقان ناحلتان دقيقتان .. صعد بهما يوما أعلى شجرة يجتنى منها أراكا[1] لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. فرأى أصحابه

---

(١) أى سواكا .. لأن شجر الأراك هو الشجر الذى يجتنى منه السواك .

النبى صلى الله عليه وسلم دقتهما فضحكوا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « تضحكون من ساقى ابن مسعود ؟ •• لهما أثقل فى الميزان عند الله من جبل أحد » !! ••

فالعبرة اذن كما رأيت ليست بقوة الأجساد وضخامتها ، وانما هى بقوة الأرواح وصفائها والى هذا يشير الشاعر فى قوله :

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته
أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس فاستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

* * *

ثم اذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أوصاك بعد ذلك — فى نص الوصية — بقوله : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » ••

فانه بهذا يوصيك ، أولا : بأن تكون حريصا على اغتنام كل لحظة فى حياتك لصالح دنياك وآخرتك كما يشير الى هذا قول الله تعالى :

« ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين »(١) •

وكما يشير الى هذا أيضا الحديث الشريف الذي يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه : « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » رواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما ، وقال شارح الجامع اسناده حسن •

وذلك لأنك هنا فى هـذه الحياة الأولى لأجل معلوم لابد وأن تثبت وجودك فيه : بمعنى أن تكون بعد موتك تاركا لبصماتك الصالحة فى هـذه الحياة بتلك الصورة الايجابية التى ستكون امتدادا لذكرك الحسن فى هـذا الوجود بين أهل الخير الى أن يرث الله الأرض ومن عليها •• كما يشير الى هذا قول القائل :

دقات قلب المرء قائلة له ان الحياة دقائق وثوان
فاعمل لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للانسان عمر ثان

---

(١) القصص : ٧٧

ولتكن هـذه البصمات : صدقة جارية ، أو علما ينتفع به ، أو ولدا صالحا يدعو لك •• كما يشير الحديث الشريف الذى يقول فيه صلوات الله وسلامه عليـه : « اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » أخرجه أحمد ومسلم وأبو داوود والترمذى والنسائى •

والمعنى أن الانسان اذا مات انقطع عمله الا من ثلاثة خصال :

(أ) **الصدقة الجارية** : أى المتصلة كوقف أو بنـاء مسجد أو مستشفى أو منزل للضيف ونحو ذلك •• من الأمور الخيرية التى تسبب فيـها الانسـان هـذا ما دامت قائمة ، وهى عشر خصال نظمها الحافظ السيوطى فى قوله :

اذا مات ابن آدم ليس يجرى ... عليـه من خصـال غير عشر
علـوم بثهـا ودعاء نجل ... وغرس النخل والصدقات تجرى
وراثـة مصحف ورباط ثغر ... وحفر البئر أو اجراء نهر
وبيت للغريب بنـاه يأوى ... اليه أو بنـاء محل ذكر
وتعليـم لقـرآن كريـم ... فخذها من أحاديث بحصر

(ب) **وعلم ينتفع به** : كتعليم وتصنيف ، وهذا أكثر ثوابا لطول بقائه على ممر الزمان •

(ج) **وولد صالح يدعو له** : لأنه السبب فى وجوده •• بل ربما كان قدوة صالحة له فى حياته •• فنشأ الابن معتادا على هـذا الصلاح الذى عوده عليه أبوه الصالح :

وينشأ ناشىء الفتيـان منا ... على ما كان عـوده أبوه

وقد ورد فى الأثر : « لا يستقيم الظل والعود أعوج » •

وكذا كذلك ينفع الميت دعاء غير الولد •• والتقييد بالولد الصالح لحثه على الدعاء لأصله •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليـه وآله وسلم ، قال : « ان الله تعالى ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة ، فيقول : يا رب أنى لى هـذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك » أخرجه أحمد بسند رجاله رجال الصحيح •

فاحرص على ما ينفعك أخا الاسلام واحذر أن تكون ظالمـا لنفسك وعاقا ليومك كما يشير الى هـذا على كرم الله وجهه فى قوله :

« من أمضى يومه : فى غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد بناه ، أو حمد حصله ، أو علم اقتبسه : فقد عق يومه وظلم نفسه » .

* * *

« واستعن بالله » على كل هذا ، لأنه كما يقول الشاعر الحكيم :

اذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجنى عليه اجتهاده

ولأنه : « لا حول ولا قوة الا بالله » .

ولهذا فقد أوصى النبى صلى الله عليه وسلم معاذا بن جبل بقوله : « يا معاذ .. والله انى لأحبك ثم أوصيك ، يا معاذ : لا تدعن فى دبر كل صلاة تقول : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » رواه أبو داوود والنسائى باسناد صحيح .

كما قال له أيضا فى حديث آخر رواه الترمذى وقال عنه انه حديث حسن صحيح ، وكان معاذ قد قال له : يا رسول الله .. أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار .. فقال صلوات الله وسلامه عليه : « لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه .. » .

واعلم أخا الاسلام أنك عندما ستستعين بالله تعالى بصدق سيعينك الله تبارك وتعالى ، فهو القائل : **« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله لمع المحسنين »**[1] .

والقائل : **« ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »**[2] .

والاستعانة بالله تعالى لكى تكون على أساس عقائدى سليم : لابد وأن تكون مصحوبة بحسن التوكل على الله تبارك وتعالى ، كما يشير الى هذا الحديث الشريف الذى يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا » .

فالطير كما يشير الحديث تغدوا وتروح .. وتلك هى الحركة التى أمرنا بها فى قوله تبارك وتعالى :

« فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور »[3] .

وقد أعجبنى كلام جامع كتبه الدكتور محمد البهى رحمه الله ، فى كتابه : « الاسلام فى حياة المسلم » ، تحت عنوان :

---

(١) العنكبوت : ٦٩ (٢) النحل : ١٢٨
(٣) الملك : ١٥

التوكل هو اتباع الطريق المستقيم

حيث يقول : ونعرض للتوكل كما جاء فى القرآن الكريم وعلى نحو ما فهمه المسلمون الأول فكان دافعا قويا لهم نحو العمل فى الحياة ، ونعرض كذلك لفهم المتأخرين اياه على نحو كان سببا لتقاعدهم وتراخيهم واهمالهم .

ويقول الله تعالى : **« .. ومن يتوكل على الله فهو حسبه »**(١) .
فالتوكل على الله هو الاعتماد عليه . والاعتماد على الله ليس بكلمة ينطق بها من يطلب معونة الله ، وانما باتباع الطريق المستقيم الذى خطته رسالة الوحى ، وهى ما فى القرآن الكريم من وصايا ومبادىء وأوامر ونواه . التوكل على الله والاعتماد عليه يبتدىء من الأخذ فى السبل بعد الأخذ فى تنفيذ مشورة القرآن ونصحه . ويقول الله لرسوله الكريم : **« فتوكل على الله ، انك على الحق المبين »**(٢) .

ويطلب منه التوكل وهو بالفعل قد سلك طريق الحق وهو طريق القرآن . وعندئذ ، أى عندما يأخذ الانسان فى تنفيذ نصح القرآن يكون الله فى عونه . وهذا هو معنى قوله تعالى : **« .. فهو حسبه »** : أى كافيه العون والتأييد . فعون الله وتأييده للانسان مقرون بالأخذ فى تنفيذ مشورته ونصحه ، وهو ما جاء به القرآن الكريم : هذا ما تعطيه هذه الآية القرآنية وآيات أخرى مثلها جاء فيها طلبه التوكل . وهذا ما فهمه المسلمون الأول . ولذا كانوا غير متقاعدين عن السعى والعمل ، وكانوا غير متراخين ، كما كانوا غير سلبيين فى الحياة .

ولكن كثيرا من المسلمين المتأخرين فهموا أن التوكل هو القاء بمسئولية الانسان فى السعى والعمل فى الحياة كلية على الله . وعندئذ يقعد الانسان المتوكل عن العمل ، والله حسبه وكافيه فى العون . عندئذ يعينه الله على ماذا ؟ يعينه على القعود عن العمل ؟ يعينه على الركود وعدم الحركة ؟ يعينه على تجميد طبيعته ؟ ..

ان التوكل على الله بهذا المعنى ليس توكل القرآن ولا المسلم الأول . والقرآن اذا فهمت مبادؤه على هذا النحو لا يصلح لتوجيه الانسان . وحاشا قرآن الله عن ذلك .. فهو : **« كتاب أنزلناه اليك**

---

(١) الطلاق : ٣ (٢) النمل : ٧٩

لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العــزيز الحميد »[١] .

ثم يقول بعد ذلك : والانسان خلق ليعمل وليسعى ، خلق ليتحرك ذات اليمين وذات الشمال ، خلق ليغالب ويقاوم ، خلق ليحيا . وما حياته الا سلسلة من السعي والحركة والعمل والمغالبة والمقاومة .

والاسلام جاء فحسب هداية لطبيعة الانسان ، التى من شأنها أن تسعى وتعمل وتتحرك . جاء ليوجه سعى الانسان ويوجه حركته . والتوكل الذى أوصى به المسلمين هو دافع مؤكد للانسان على السعى والحركة والعمل ، دافع آخر على ذلك . لأن المسلم الذى سلك طريق الحق سلك الطريق المــأمون الموصل ، وأخذ فى سبيل تنفيذ مشورة القرآن وسار فى هدايته . ومشورة القرآن وهدايته من وحى الله العليم الخبير ، والرؤوف الرحيم . ولذلك لا يضل السالك لهذا الطريق ولا يتعثر من شىء فى ضوء هدايته . وذلك رشد الله وعونه لمن توكل عليه . اه .

* * *

ولهذا أخا الاسلام يوصيك الرسول صلى الله عليــه وسلم بعد ذلك فى نص الوصية التى ندور حولها ، بقوله : « ولا تعجز » ، أى لا تكن عاجزا عن الأخذ بالأسباب طلبا للرزق .

وذلك حتى تكون متوكلا على الله ــ بهذا المعنى الذى وقفت عليــه ــ لا متواكلا بتلك الصورة المسيئة الى الاسلام والتى نراها متمثلة فى هؤلاء الذين يجلسون فى المساجد أو بجوار الأضرحة ــ مثلا ــ بدون عمل دنيوى بدعوى أنهم من الزاهدين فى الدنيا .

وقد كان من الواجب عليهم كمسلمين أولا ، وكعقلاء ثانيا : أن يعلموا أن الزاهد فى الدنيا ليس هو الذى يترك العمل الدنيوى ، وانما هو الذى يخرج حب الدنيا من قلبه حتى لا تشغله عن الله تبارك وتعالى ، وحتى لا تكون سببا فى حرمانه من ثواب الآخرة ونعيمها الدائم .. كما يشير الى هذا قول الله تبارك وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون »[٢] .

---

(١) ابراهيم : ١ (٢) المنافقون : ٩

ولهذا ، فقد قال العلماء : « ليس الزاهد من لا مال عنده ، بل الزاهد من لم يشغل المـال قلبه وان أوتى مثل ما أوتى قارون » .

فلا مانع اذن — اسلاميا — أن تكون مالكا لمثل مال قارون ، ولكن على شريطة أن يكون المـال فى يدك لا فى قلبك : حتى لا تكون عبدا للدنيا .. أو عبدا لتلك الشهوات الدنيوية المشار اليها فى قول الله تعالى :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحيـاة الدنيـا ، والله عنده حسن المـآب »(١) ثم يقول سبحانه :

« قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيـها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد »(٢) .

فلابد اذن من الحركة فى طلب الرزق ، ولابد كذلك من الأخذ بالأسباب طلبا لهذا الرزق حتى لا نكون عالة على غيرنا وحتى لا نكون كذلك من هؤلاء المتواكلين السلبيين الذين لا عزة لهم ولا كرامة ..

وحتى يتضح لنا هـذا .. فاننى أحب كذلك أن أضيف — الى ما وقفنا عليه قبل ذلك — ما كتبه أيضا الدكتور محمد البهى رحمه الله .. حول أخطاء المسلمين فى فهم الاسلام .. تحت عنوان :

الرزق

فيقول : يقول الله تعالى فى سورة هود : **« وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها ، كل فى كتاب مبين »**(٣) .

وسورة هود تهتم أولا وبالذات بالعدل الالهى فى جزاء الله لأولئكم الذين أنكروا نعمه وكفروا برسالته فى العصور المختلفة . وهى لذلك تقص أخبار الرسل السابقين ، وما تحملوه فى سبيل أداء رسالتهم ، كما تصور موقف المعاندين المنكرين وما حل بهم من جزاء ، يتمثل فيه العدل الالهى تمثلا واضحا .

واذا كان جو هـذه السورة هو هـذا الجو فما ذكر مما يتعلق بصفات الخالق ونعمه على خلقه من شأنه أن يوصل الى تفرده بالعبادة واقناع البشر بما بدأت به السورة فى قوله تعالى : **« ألا تعبدوا الا الله ،**

---

(١) آل عمران : ١٤ (٢) آل عمران : ١٥
(٣) هود : ٦

انني لكم منه نذير وبشير »[1] . ومن شأنه أيضا أن يوضح أن موقف المشرك فى العبادة عندئذ موقف المتعنت المتثبت فى عناده . وقوله تعالى : **« وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها .. »**[2] آية من آيات هـذه السورة التى تعدد خصائص الله سبحانه وتعالى ونعمه بالنسبة لخلقه . ومفادها أن كل كائن يتحرك على وجه هـذه الأرض مرتبط رزقه بارادة الله ارتباطا وثيقا . والله من جانبه يؤكد أنه سيتكفل بهذا الرزق على نحو ما جاء فى قوله : **« على الله رزقها »** . هو قد تكفل بالرزق لكل دابة على الأرض ، أى لكل كائن متحرك على الأرض . ولكنه يتكفل لهذا الكائن المتحرك بالرزق أن استخدم خصيصته التى اختصه بها الخالق ، وهى الحركة . وهذا ما يعبر عنه قوله : **« دابة »** .

وكأن هناك تقابلا ، أو كأن هناك مقدمة ونتيجة . وهما : عندما يتحرك الكائن الذى أعده الله بقوة الحركة ، يتكفل الله له بالرزق . وغير الانسان من الكائنات المتحركة يتحرك بالغريزة وبدفعها القوى . ودفع الغريزة هو الأصل فى الحركة فى اتجاه واحد وهو اتجاه تحصيل الرزق . والانسان أيضا من الكائنات المتحركة التى تدب على الأرض وتتحرك فوقها ، ولكنه كائن له أختيار وارادة يستطيع أن يجمد فى حركته ويستطيع أن يميل وينحرف فيها . ولذا رزقه فى سعته وضيقه وفى اطمئنانه فى الحياة بهذا الرزق أو عدم اطمئنانه به ، وفى تمتعه به كثيرا أو قليلا : مرتبط بنوع حركته واتجاهه فيها . وحركته فى الحياة لا تكون مثمرة ثمرة نافعة ويسعد بها الا اذا كان متبعا فيها خطوط الرسالة الالهية .

وقد كانت سورة يونس قبل سورة هود : تحكى من قبل الله تعالى ذلك الاطمئنان النفسى والسعادة والبهجة التى يسعد بها الانسان المتحرك حركة نافعة مثمرة . وهو ذلك الانسان المؤمن العامل . ثم جاءت سورة هود تحكى الشقاء الذى يصيب الانسان الآخر صاحب الحركة غير المثمرة ، وهو الانسان الجاحد بنعم الخالق . فالحركة المثمرة اذن ، والسعى المجدى أساسان فى الحصول على الرزق وأساسان فى قيمة التمتع به .

ولم يكتف الاسلام بذلك من المؤمن . بل طلب منه العمل مع

---

(١) هود : ٢ (٢) هود : ٦

الايمان .. وهنا نجد آيات القرآن التى وردت فى وصف المؤمنين تقرن الايمان بالعمل كشرط يترتب عليه الثواب أو كتمهيد تعقبه حالة الاطمئنان النفسى . يقول الله تعالى : **« فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله »**(١) .

ويقول : **« الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب »**(٢) .

ويقول : **« ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما »**(٣) .

وعمل الصالحات هو كل عمل فى الحياة لا انحراف فيه عن النهج القويم . ومن بين الصالحات تحصيل الرزق ، من طريقه المشروع .

هذا هو فهم المسلم الأول فى تكفل الله برزق الكائنات الحية ، حسبما ورد فى هذه الآية . فهم ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام وفهمه صحابته رضوان الله عليهم . وكم من أحاديث تروى فى الحث على العمل فى سبيل تحصيل الرزق . وقد فضل الرسول حال الذى يؤدى العبادة فى غير تزايد ومبالغة على حال ذلك الذى يقوم آناء الليل وأطراف النهار تاركا شأن نفسه على غيره أو مهملا أمر من يعوله . وأصبح شعار هذا الوقت : العمل . ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

ثم يقول بعد ذلك ، تحت عنوان « فهم خاطىء » :

ولكن بعض المتأخرين من المسلمين وقف بنظره عند ما ورد فى قوله تعالى : **« على الله رزقها »** وأخذ من الآية كلها كفالة الله الرزق لعباده ، وترك أنه فى سبيل الحصول على الرزق : عليه أن يسعى ، وأن سعيه سعيا مستقيما ، طبقا لتعاليم الله ووصاياه . ترك أنه كائن يتحرك ويدب على الأرض وأن واجبه أن يترك ذاته تتحرك وأن يتدخل بارادته فى توجيه حركته فحسب .

فهم بعض المسلمين المتأخرين أنه ينبغى للمسلم كى يحصل على الرزق أن يتردد على المسجد ، أو يكرر دعاءه لله ويستنجد به رافعا بغيته نحو السماء ، وأنه يكفى أن ينتمى الى المسلمين بالاسم وينطق معهم الشهادة ، وأغفل أنه يجب عليه أن يعمل وأن يكون فى عمله مخلصا لله فلا يؤذى غيره . أغفل أنه يجب عليه أن يعمل عملا صالحا .

---

(١) النساء : ١٧٣ (٢) الرعد : ٢٩

(٣) طه : ١١٢

ان الله يتكفل بالرزق لمن يسعى وأعلن هـذا التكفل فى صيغة الالزام فقـال : « **على الله رزقها** » ليحفز الناس على الانتفاع بطبيعتهم البشرية فى الحركة والسعى ، وليس ليحول بينهم وبين خصائص طبيعتهم التى خلق البشر عليها . ان الاسلام لا يرتد بالطبائع عما لها . وانما ينميها فحسب بالهداية الالهية فى التوجيه . اهـ .

* * *

أقول : وفى القرآن الكريم يأمرنا الله تبارك وتعالى بأن نطلب الرزق حتى فى يوم الجمعة ، فيقول : « **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** »[1] .

كما قرن الله تعالى التجار بالمجاهدين فى سبيله سبحانه وتعالى ، فقـال : « **.. وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله** »[2] .

وهذا شرف عظيم للعاملين .

كما ورد فى السنة الشريفة الترغيب فى السعى على الرزق فى مناكب الأرض :

فعن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وان نبى الله داوود عليه الصلاة والسلام كان يأكل من عمل يده » رواه البخارى وغيره ، وابن ماجه ولفظه ، قال : « ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده ، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة » .

قال الحافظ فى الفتح : « وفى الحديث فضل العمل باليد وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره ، والحكمة فى تخصيص داوود بالذكر : أن اقتصاره فى أكله على ما يعمله لم يكن من الحاجة لأنه كان خليفة فى الأرض كما قال الله تعالى .. وانما ابتغى الأكل من طريق الأفضل ، ولهذا أورد النبى صلى الله عليه وسلم قصته فى مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد ، وهذا بعد تقرير أن شرع من قبلنا شرع لنا ولا سيما اذا ورد فى شرعنا مدحه وتحسينه مع عموم قولـه تعـالى : « **.. فبهداهم اقتـده** »[3] .

---

(١) الجمعة : ١٠ (٢) المزمل : ٢٠ (٣) الأنعام : ٩٠

وفى الحديث أن التكسب لا يقدح فى التوكل ، وأن ذكر الشىء بدليله أوقع فى نفس سامعه » اهـ .

وقد قرأت — والشىء بالشىء يذكر — أن داوود عليـه السلام خرج من قصره ذات يوم متنكرا ليسأل عن نفسه من يصادفه من الناس — وهو لا يعرفه — فتعرض له سيدنا جبريل عليـه السلام فى صورة آدمى ، فقال له سيدنا داوود : يا فتى .. ما قولك فى داوود ؟ فقال له : نعم العبد هو .. غير أن فيه خصلة . فقال له سيدنا داوود : ما هى ؟ قال : يأكل من بيت مال المسلمين وما فى العباد أحب الى الله تعالى من عبد يأكل من كسب يده .. فلما سمع سيدنا داوود هذا عاد بعد ذلك باكيا الى قصره .. وهناك تضرع الى الله تعالى أن يعلمه صنعة يعملها بيده .. فأتاه جبريل وعلمه صنعة الدروع وآلات الحرب .. وألان الله له الحديد حتى كان فى يده بمنزلة العجين « .. **وألنا له الحديد** »[1] فكان اذا تفرغ من قضـاء حوائجه وحوائج أهلـه عمل درعا فباعها وأكل منها هو وأولاده ..

وهكذا كان ولده سيدنا سليمان عليـه السلام :

فقد قرأت كذلك : أنه فى يوم من الأيام ناجى ربه فقال : يا رب قد أعطيتنى ملكا لم تعطه أحدا قبلى وسألتك أن لا تعطيه أحدا بعدى فأعطيتنيه .. فان قصرت فى شكرك فدلنى على أحد هو أشكر لك منى ؟ .. فقال الله تعالى : يا سليمان .. عبد يكسب بيديه يسد جوعه ، ويستر عورته ، ويعبدنى : هو أشكر لى منك .. فعند ذلك بكى سيدنا سليمان عليـه السلام — كما بكى والده من قبل — وتضرع الى الله تعالى أن يعلمه صنعة ليعملها بيده .. فأتاه جبريل عليـه السلام وعلمه صنعة القفاف .. التى كان بعد ذلك يأكل من عائدها .. وأول من عمل الخوص سليمان عليـه السلام .

وقد قال المـاوردى : « أصول المكاسب : الزراعة والتجـارة والصناعة .. وأيها أطيب ؟ فيه ثلاثة مذاهب للناس وأشهرها مذهب الشافعى : أن التجارة أطيب ، والأشبه عندى أن الزراعة أطيب . لأنها أقرب الى التوكل » .

قال النووى : « وحديث البخارى صريح فى ترجيح الزراعة والصنعة

---

(١) سـبأ : ١٠ .

لكونهما عمل يده ، لكن الزراعة أفضلهما لعموم النفع بها للآدمى وغيره وعموم الحاجة اليها » اه • (العينى) •

* * *

فاذكر كل هذا أخا الاسلام حتى تنفذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى : « ولا تعجز » حتى لا تكون عالة على غيرك ، وحتى لا تكون كذلك رخيصا بين اخوانك •• فقد ورد فى الأثر : « أحب الناس الى الناس : من استغنى عن الناس •• وأبغض الناس اليهم : من احتاج اليهم • وأحب الناس الى الله : من احتاج الى الله •• وأبغض الناس اليه : من استغنى عنه واحتاج الى غيره » •

كما ورد كذلك على لسان سيدنا عيسى عليه السلام أنه قال : « استغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكن أسيره ، وأحسن الى من شئت تكن أميره » •

ولله در القائل :

ان الغنى اذا تكلم بالخطا
قالوا : صدقت وما نطقت محالا
أما الفقير اذا تكلم صادقا
قالوا : كذبت وأبطلوا ما قالا
ان الدراهم فى المواطن كلها
تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحة
وهى السلاح لمن أراد قتالا

وقد سئل أحد الحكماء : لماذا تجمع المال وأنت حكيم ؟ فقال : لأؤدى به الفرض ، وأصون به العرض ، وأستغنى به عن القرض •

* * *

فلاحظ كل هذا أخا الاسلام ، مع ملاحظة كذلك :

أنه من تعاليم الاسلام : تحريم موارد الكسب الخبيثة •• وقد حدد الخبث بأنه ما كان بغير مقابل من عمل : كالربا والقمار واليانصيب ونحوها — أو كان بغير حق : كالنصب والسرقة والغش ونحوها — أو كان عوضا لما يضر : كثمن الخمر ، والخنزير ، والمخدر ونحوها •• فكل هذه موارد للكسب لا يبيحها الاسلام ولا يعترف بها •

وأن الاسلام قد عمل على التقريب بين الطبقات بتحريم الكنز ، ومظاهر الترف على الأغنياء ، والحث على رفع مستوى المعيشة بين الفقراء ، وتقرير حقهم فى مال الدولة ومال الأغنياء ووصف الطريق العملى لذلك .

وأكثر من الحث على الانفاق فى وجوه الخير ، والترغيب فى ذلك ، وذم البخل والرياء والمن والأذى ، وتقرير طريق التعاون والقرض الحسن ابتغاء مرضاة الله تبارك وتعالى ورجاء ما عنده : **« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان »**(١) .

وأن الاسلام : قد قرر حرمة المـال ، واحترام الملكية الخاصة ، ما دامت لا تتعارض مع المصلحة العامة : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله » .

و « لا ضرر ولا ضرار » ..

* * *

فاذكر كل هـذا أخا الاسلام ، حتى لا تعتدى على حقوق غيرك ، وحتى تأكل حلالا وتشرب حلالا وتلبس حلالا .. الخ .

مع ملاحظة كذلك : أن الحلال هو الأساس فى ديننـا .. بل وفى جميع الرسالات السماوية :

فعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم : « ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا ، وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى : **« يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا »**(٢) وقال تعـالى : **« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم »**(٣) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديـه الى السماء : يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام : فأنى يستجاب له » رواه مسلم .

وأخرج الحافظ ابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال : تليت هذه الآيـة عند النبى صلى الله عليـه وسلم : **« يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا .. »**(٤) ، فقام سعد بن أبى وقاص فقال : يا رسول الله .. ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة . فقال له : يا سعد .. أطب مطعمك تستجب دعوتك ، والذى نفسى بيده ، ان الرجل

---

(١) المـائدة : ٢
(٢) المؤمنون : ٥١
(٣) البقرة : ١٧٢
(٤) البقرة : ١٦٨

ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوما ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت[1] والربا فالنار أولى به » •

ولهذا فقد ثبت ـ على سبيل المثال ـ أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان لا يأكل طعاما ، ولا يشرب شرابا ، ولا يلبس لباسا ، ولا يقتنى متاعا : الا اذا عرف أنه قد أتاه عن طريق حلال ، حتى يبارك الله فيه ، وكان من عادته أن يسأل خادمه عن مصدر ما يحضره له من طعام أو شراب •• وفى يوم من الأيام اشتد الجوع بأبى بكر ، وأكل من الطعام الذى أحضره له خادمه دون أن يسأله عن مصدره •• فتعجب الخادم ، وسأله : يا سيدى ، لقد كنت تسألنى كل يوم عن مصدر الطعام ، فما بالك اليوم لم تسألنى كعادتك ؟ •• فتوقف أبو بكر عن تناول الطعام خائفا مضطربا ، وقال لخادمه : لقد أنسانى الجوع ذلك ، فمن أين جئت به ؟ فقال الخادم : كنت تكهنت لانسان فى الجاهلية فأعطانى هـذا الطعام •

فأدخل الصديق أصابعه فى فمه وجعل يتقيأ ما أكل وهو يصيح : لقد كدت تهلكنى يا غلام •• ثم أخذ يدعو الله ويقول : اللهم اغفر لى ما شربت العروق واختلط بالدماء ، لأنه لا يستطيع اخراجه • فقيل له : أتفعل كل ذلك من أجل هذه اللقيمات ؟ فقال : والله لو لم تخرج الا مع روحى لأخرجتها ، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسلم يقول : « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » ولقد خشيت أن ينبت شىء من جسدى من هـذه اللقيمات فأصير بسببها الى النار !! ••

فلنأخذ أخا الاسلام درسا من هـذا الدرس العملى العظيم : حتى نتقى الله تعالى فى جميع أعمالنا •• وحتى نبتعد عن الحرام بجميع صوره وألوانه لأن الحرام كما عرفت هو الهلاك بعينه •• ومن عرف الحرام معرفته حرام ••

واعلم أن الحرام اذا اختلط بالحلال كان سببا فى ضياعه •• كما يشير أحدهم الى هذا فى قوله :

جمع الحرام على الحلال ليكثره
دخل الحرام على الحلال فبعثره

* * *

---

(١) أى الحرام •

هـذا •• واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فى نص الوصية قد أوصاك بقوله : « وان أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » :

فان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا التوجيه النبوى يحذرك من أمر خطير لابد أن تلاحظه حتى لا يلعب الشيطان بك ، أو حتى لا تكون كالكرة بين قدميه فى ميادين الحياة الفانية •• وحسبك اذا أردت أن تقف على خطورة هـذا الشيطان عليك :

أن تعلم أن الشيطان الرجيم هـذا ، قد قال لرب العزة سبحانه وتعالى بعد أن حكم عليه بالاغواء :

« •• فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم • ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين »(١) •

ولهذا قال الله تعالى له بعد ذلك : **« •• اخرج منها مذءوما مدحورا ، لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين »**(٢) : ثم يواصل سبحانه وتعالى حديثه بعد ذلك عن بقية ما ترتب على هـذا فيقول : **« ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هـذه الشجرة فتكونا من الظالمين • فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هـذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين • وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين • فدلاهما بغرور ، فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين »**(٣) : الى أن يقول الله تبارك وتعالى بعد ذلك محذرا بنى آدم من فتن الشيطان : **« يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنـة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون »**(٤) •

فالشيطان اذن كما تشير الآيات هو عدونا المبين الذى حذرنا الله تعالى من مكائده وشروره ••

---

(١) الأعراف : ١٦ ، ١٧ (٢) الأعراف : ١٨
(٣) الأعراف : ١٩ — ٢٢ (٤) الأعراف : ٢٧

ولهذا كان لابد وأن ننفذ ما حذرنا الله تعالى منه •• بمعنى أن لا نستجيب لوساوس الشيطان ونداءاته الخفية التى كثيرا ما تكون ، ولا سيما عندما تكون هناك مصيبة من المصائب ، أو مشكلة من المشاكل :

ان الشيطان يحاول تبرير كل هذا بصورة شيطانية كثيرا ما تؤدى الى عكس ما كان من الواجب عليـــه ــ كمؤمن ــ أن يفعله •• وهو أن يستسلم لقضاء الله تعالى ويرضى بقدره •• لأنه لا يحدث شىء فى هــذا الوجود الا بارادة الله سبحانه وتعالى الذى يقول :

« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا •• »(١) ، كما أخبرنا الله تعالى فى قرآنه ــ نحن المؤمنين ــ بأنه سيبتلينا ، وذلك حتى نهيىء أنفسنا لاستقبال ما قضى الله تعالى به ، ونكون من الراضين بهذا القضاء ، فقـــال :

« ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، وبشر الصابرين • الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليــه راجعون • أولئـــك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئـــك هم المهتدون »(٢) :

ولهذا كان لابد كما تشير تلك الآيات القرآنية : أن نكون من هؤلاء المؤمنين الصابرين •• ما دمنا قد آمنا أساسا بأن : « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » ، وكما يقول الشافعى رضى الله عنه :

ومن نزلت بساحتـــه المنايا فلا أرض تقيـــه ولا سماء
وأرض الله واســعة ولكن اذا نزل القضا ضاق الفضاء

ومن هنا كان لابد وأن نلاحظ هذا اذا ما أصابنا شىء من تلك الأمور الدنيوية التى قد تكون مصيبة من المصائب التى لابد أن يتوقعها المؤمن ــ بالذات ــ •• فقد ورد فى الحديث : « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل » •

اذا ما حدث شىء من هــذا •• فحذار أن يوسوس لك الشيطان قائلا : لو لم تفعل كذا لكان كذا •• ولو فعلت كذا لمـــا كان كذا •• الخ ، فان « لو » كما جاء فى تحذير الرسول صلى الله عليـــه وسلم : « تفتح عمل الشيطان » ولكن قل كما أوصاك الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فى مثل ــ كل هــذه الأمثلة ــ : « قدر الله وما شاء فعل » ••

---

(١) التوبة : ٥١ (٢) البقرة : ١٥٥ ــ ١٥٧

انك ان فعلت ذلك لن تكون مهموما ولا محزونا .. ولن تكون من هؤلاء الذين انتصر الشيطان عليهم فكانوا من المفتونين بوسوسته والمقتنعين بها .. وهؤلاء لن يكونوا أبدا فى هذه الدنيا فى أمان أو استقرار لأن الشيطان قد استطاع أن ينزع الايمان بقدر الله من قلوبهم .

* * *

ومن أجل ذلك ، فاننى أرى بعد هذا التقديم — وحتى لا تكون من المشار اليهم — أن أذكرك ونفسي باختصار بأهم ما جاء فى كتاب « الدين الخالص — ج ١ » تحت عنوان :

القضاء والقدر

حيث يقول : القضاء فى الأصل الخلق والأمر والحكم . قال تعالى : **« فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها »**(١) ، أى خلقهن . وقال تعالى : **« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه .. »**(٢) ، أى أمر . وعرفا هو الحكم الكلي الاجمالي فى الأزل ، أى وجود الأشياء فى أم الكتاب مجملة « والقدر » لغة : التقدير وهو جعل كل شيء بمقدار يناسبه بلا تفاوت ، وعرفا : جزئيات حكم القضاء وتفاصيله التي تقع فيما لا يزال . قال تعالى : **« وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم »**(٣) .

وقال النووى : معناه ، أن الله تعالى قدر الأشياء فى القدم وعلم أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده ، وعلى صفات مخصوصة . فهى تقع على حسب ما قدرها سبحانه ، وهو بهذا المعنى يعم القضاء بالمعنى السابق .

وقال الخطابى : قد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى للعبد على ما قدره وقضاه ، وليس الأمر كما يتوهمونه ، وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكتسابات العبد وصدورها عن تقدير منه تعالى وخلقه لها خيرها وشرها . والقدر : اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر . ويجب الايمان والرضا بهما لقوله تعالى : **« وخلق كل شيء فقدره تقديرا »**(٤) ، وقوله تعالى : **« انا كل شيء خلقناه بقدر »**(٥) . ولقول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث جبريل : « وأن تؤمن بالقدر خيره وشره » .

---

(١) فصلت : ١٢ (٢) الاسراء : ٢٣ (٣) الحجر : ٢١
(٤) الفرقان : ٢ (٥) القمر : ٤٩

ولحديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليـــه وآله وسلم ، قال : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله تعالى من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجزن ، وان أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمـــل الشيطان » أخرجه أحمـــد ومسلم وابن ماجه •

ثم يقول بعد ذلك : « هـــذا ما عليـــه أهل السنة والجماعة ، فيجب على المكلف أن يعتقد أن جميع أفعال العباد بقضاء الله وقدره ، وأن الله تعالى يريد الكفر من العبد ويشاؤه ، ولا يرضاه ولا يحبه له • فيشاؤه كونا ولا يرضاه دينا ، وأن كل انسان ميسر لمـــا خلق له ، وأن الأعمال بالخواتيم • فالسعيد من سعد بقضاء الله وقدره ، فيوفقه تعالى للعمل بالشريعة الغراء الى أن يموت على ذلك • والشقى من شقى بقضاء الله وقدره ، فيموت على الكفر والعياذ بالله تعالى ••

فعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كنا فى جنازة ببقيـــع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليـــه وآله وسلم فقعد وقعدنا حوله وبيده مخصرة[1] فجعل ينكت بها الأرض ثم قال : « ما منكم من أحد الا وقد كتب مقعده من النار ، ومقعده من الجنة • فقالوا : يا رسول الله •• أفلا نتكل على كتابنا ؟ فقال : اعملوا فكل ميسر لمـــا خلق له • أما من كان من أهل السعادة فسيصير الى عمل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فسيصير الى عمل الشقاء • ثم قرأ : **« فأما من أعطى واتقى • وصدق بالحسنى • فسنيسره لليسرى •• »**[2] الآيـــة • أخرجه البخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى •

وعن جابر رضى الله عنه ، قال : جاء سراقة بن مالك بن جعشم رضى الله عنه ، فقال : يا رسول الله •• بين لنا ديننـــا كأنا خلقنا الآن فيم العمل اليوم ؟ •• فيما جفت الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل ؟ قال : « فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير » • قال : ففيـــم العمل ؟ قال : « اعملوا فكل ميسر لمـــا خلق له وكل عامل بعمله » أخرجه مسلم •

---

(١) المراد عصا كانت فى يده . . (٢) الليـــل : ٥ ــ ٧

وعن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وان الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » أخرجه الشيخان ، وزاد البخارى : وانما الأعمال بالخواتيم .

ثم يقول فى الدين الخالص : والأحاديث والآثار فى هذا الباب كثيرة . وفيها رد على القدرية الذين يزعمون أن أفعال العباد مقدورة لهم واقعة منهم استقلالا بواسطة الاقدار والتمكين . وقد اتفق لشخص منهم أنه رفع رجله بحضرة رجل من أهل السنة وقال : انى رفعت رجلى عن الأرض بقدرتى . فقال له السنى : فاذن ارفع رجلك الأخرى ، فلم يرد له جوابا . وفيها رد عليهم أيضا فى زعمهم أن العبد يخلق الشر كالمعاصى والكفر . وهو زعم باطل . اذ لو كان العبد يخلق الشر والمخالفات وهى أكثر وقوعا من الطاعات لكان أكثر ما يجرى فى الوجود من أفعال العباد لا يكون بخلق الله وايجاده ، بل بخلقهم وايجادهم وذلك جلى البطلان ، لأن الله تعالى هو المنفرد بالخلق والتأثير على وفق علمه . وقد قال رسول الله صلى الله عليــه وآله وسلم : « القدرية مجوس هــذه الأمة » أخرجه أبو داوود والحاكم من حديث أبى حازم عن ابن عمر . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع أبى حازم عن ابن عمر .

وشبههم صلى الله عليه وسلم بالمجوس حيث فرقوا بين أفعال الله عز وجل فجعلوا بعضها له وبعضها لغيره ، قال الخطابى : انما جعلهم صلى الله عليــه وسلم مجوسا ، لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس فى قولهم بالأصلين النور والظلمة : يزعمون أن الخير من فعل النور ، والشر من فعل الظلمة ، فصاروا ثنوية .

وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله تعالى والشر الى غيره . والله خالق الخير والشر جميعا ، لا يكون شىء منهما الا بمشيئته ، فهما مضافان اليه خلقا وايجادا ، والى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا ... الخ[1] .



---

(١) ارجع الى هذا الموضوع فى الجزء الأول من الدين الخالص .. لتقرأ بعد ذلك آراء المعتزلة كذلك .

أقول : وقد روى النيسابورى فى تفسيره باسناده :

أن على بن أبى طالب — كرم الله وجهه — سأله سائل عن القدر ؟ فقال : طريق دقيق لا تمش فيه ، فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ؟ فقال : سر خفى لله لا تفتشه ، فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنى عن القدر ؟ فقال على رضى الله عنه : يا سائل ، ان الله تعالى خلقك كما شاء أو كما شئت ؟ فقال : كما شاء ، فقال : ان الله يبعثك يوم القيامة كما شئت أو كما يشاء ؟ فقال : كما يشاء ، فقال : يا سائل ، لك مشيئة مع الله ؟ أو فوق مشيئته ؟ أو دون مشيئته ؟ فان قلت : مع مشيئته ادعيت الشركة معه ، وان قلت : دون مشيئته استغنيت عن مشيئته ، وان قلت : فوق مشيئته كانت مشيئتك غالبة على مشيئته ، ثم قال : ألست تسأل الله العافية ؟ قال : نعم ، قال : فمن ذا تسأله العافية ؟ أمن بلاء ابتلاك به ؟ أو من بلاء غيرك ابتلاك به ؟ قال : من بلاء ابتلانى به ، فقال : ألست تقول : لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم » ؟ قال : بلى ، قال : تعرف تفسيرها ؟ فقال : لا يا أمير المؤمنين علمنى مما علمك الله ، فقال : تفسيرها أن العبد لا قدرة له على طاعة الله ولا على معصيته الا بالله عز وجل ، يا سائل ، ان الله يسقم ويداوى ، منه الداء ، ومنه الدواء ، اعقل عن الله ، فقال السائل : عقلت ، فقال له : الآن صرت مسلما ، قوموا الى أخيكم المسلم فخذوا بيده ، ثم قال على — كرم الله وجهه — لو وجدت رجلا من أهل القدر لأخذت بعنقه ولا أزال أضربه حتى أكسر عنقه فانهم يهود هذه الأمة .

* * *

فاذكر كل هـذا أخا الاسلام ، وكن ملاحظا لكلّ أبعاده وما فيه من اشارات وتوجيهات : حتى لا تكون قدريا .. وحتى تقولَ ما أوصاك به الرسول صلى الله عليـه وسلم فى نهاية الوصية .. ان أصابك شىء وهو : « قدر الله وما شاء فعلَ » ، واحذر أن تكون « لو » سببا فى سيطرة الشيطان عليـك .. « فان لو تفتح عملَ الشيطان » : أعاذنا الله جميعا منه ومن أعماله .. آمين ..

* * *

الوصية الستون

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

« ان الدين يسر ولن يشاد الدين الا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » ..

(رواه البخاري)

* * *

فكن أخا الاسلام :

منتفعا بهذه الوصية العظيمة التى تعتبر من أهم الوصايا : لأنها تدعو الى الوسطية فى الدين كما تحذر فى نفس الوقت من التغالى فيه .. وهذا أساس لابد وأن نقف عليه جميعا حتى نعمل على تنفيذه وعدم مخالفته والا كانت النتيجة عكس ما نريد فى دنيانا وأخرانا .

وحسبنا اذا أردنا تأكيدا لهذا أن نقرأ — أولا — قول الله تعالى لنبيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه : **« طه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى »**(1) :

وكان النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه — كما يقول مجاهد فى القرطبى — يربطون الحبال فى صدورهم فى الصلاة بالليل من طول القيام ، ثم نسخ ذلك بالفرض ، فنزلت هذه الآية .

وحكى ابن الأنبارى : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتحمل مشقة الصلاة حتى كادت قدماه تتورم ، ويحتاج الى الترويح بين قدميه ، فقيل له : طأ الأرض ، أى لا تتعب حتى تحتاج الى الترويح .

وذكر القاضى عياض فى « الشفاء » أن الربيع بن أنس قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى ، فأنزل الله تعالى « طه » يعنى : طأ الأرض يا محمد **« ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى »** .

---

(1) طه : 1 ، 2

والخلاصة — كما يقول القرطبى فى نهاية تفسير هـذه الآية — هى : وعلى الأقوال المتقدمة أنه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى تورمت قدماه ، فقال له جبريل : أبق على نفسك فان لها عليك حقا ، أى ما أنزلنا عليك القرآن لتنهك نفسك فى العبادة ، وتذيقها المشقة الفادحة ، وما بعثت الا بالحنيفية السمحة .

ويوضح هذا أيضا ويؤكده قول الله تبارك وتعالى : **« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »** :

وقد قال الله تعالى هذا بعد قوله سبحانه : **« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون »**[١] .

فهـذه الآيـة بتمامها وما تتضمنه من أحكام فقهية تؤكد سماحة الاسلام ورحمته بالعباد الذين لا يتحملون الصيام بسبب المرض أو بسبب السفر الذى هو قطعة من العذاب .

ولهذا كانت الرخصة لهما بالفطر على أن يصوما بعد ذلك فى أيام أخر بعد أن تعود الصحة أو بعد أن يصل المسافر الى وطنه أو الى المكان الذى يريد السفر اليه .

وقد قال القرطبى فى المسألة الرابعة حول هـذا : واختلف العلماء فى الأفضل من الفطر أو الصوم فى السفر ، فقال مالك والشافعى فى بعض ما روى عنهما : الصوم أفضل لمن قوى عليه . وجل مذهب مالك التخيير ، وكذلك مذهب الشافعى . قال الشافعى ومن اتبعه : هو مخير ، ولم يفصل . وكذلك ابن عليـة ، لحديث أنس ، قال : سافرنا مع النبى صلى الله عليـه وسلم فى رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم . خرجه مالك والبخارى ومسلم . وروى عثمان بن أبى العاص الثقفى وأنس بن مالك صاحبى رسول الله صلى الله عليـه وسلم أنهما قالا : الصوم فى السفر أفضل ، لمن قدر عليـه . وهو قول أبى حنيفة وأصحابه .

وروى عن ابن عمر وابن عباس : الرخصة أفضل ، وقال به سعيد

---

(١) البقرة : ١٨٥

ابن المسيب والشعبى وعمر بن عبد العزيز ومجاهد وقتادة والأوزاعى وأحمد واسحاق • فكل هؤلاء يقولون : الفطر أفضل ، لقول الله تعالى : **« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »** •

* * *

واتماما للفائدة ، فاننى أرى أن ألخص لك ما ذكره الشيخ محمود خطاب السبكى رحمه الله تعالى فى الجزء الثامن من الدين الخالص • تحت عنوان :

الأعذار المبيحة للفطر

قال : وهى تسعة :

١ ــ المرض : ان دخل عليه وخاف ــ بغلبة ظن أو تجربة أو اخبار طبيب مسلم حاذق غير ظاهر الفسق ــ من الصوم المرض اذا كان صحيحا ، أو زيادته أو بطؤه اذا كان مريضا لقوله تعالى : **« فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر »** ، وفى حديث معاذ بن جبل فى أحوال الصيام ، قال : ثم ان الله تعالى أنزل الآية الأخرى : **« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه »** فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح • ورخص فيه للمريض والمسافر • وثبت الاطعام للكبير الذى لا يستطيع الصيام » أخرجه أحمد وأبو داوود والبيهقى بسند صحيح •

ثم يقول : وعلى هــذا أجمعت الأمة ، فان تحمل المريض وصام مع هذا فقد فعل مكروها لمــا يتضمنه من الاضرار بنفسه وتركه تخفيف الله وقبول رخصته • ويصح صومه ويجزئه لأنه عزيمة أبيح تركها رخصة فاذا تحمله أجزأه كالمريض الذى يباح له ترك الجمعة اذا حضرها • والصحيح الذى يخشى المرض بالصيام كالمريض الذى يخاف زيادة المرض فى اباحة الفطر لأن المريض انما أبيح له الفطر خوفا مما يتجدد بصيامه من زيادة المرض وتطاوله والخوف من تجدد المرض فى معناه •

٢ ــ السفر : فيباح الفطر للمسافر سفر قصر وان لم يضره الصوم ، لأن السفر الطويل لا يعرى عن المشقة وهى لا تنضبط فاعتبر مظنتها لقوله تعــالى : **« فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر »**[1] • ولحديث عائشة رضى الله عنها أن حمزة بن عمرو

---

(١) البقرة : ١٨٤

الأسلمى قال للنبى صلى الله عليه وسلم : « أأصوم فى السفر ؟ — وكان كثير الصيام — فقال : ان شئت فصم وان شئت فأفطر » أخرجه الجماعة[1] والبيهقى وقال الترمذى : حسن صحيح .

ثم يقول : وهو نص فى اثبات الخيار للمسافر بين الصوم والافطار وأنه يصح صوم الفرض للمسافر وان صومه فى السفر ليس واجبا . وظاهره أنه سأل عن مطلق الصوم فرضا أو غيره فلا يكون فيه حجة على من منع صوم رمضان فى السفر . لكن صرح برمضان فى أحاديث ، منها حديث أبى الدرداء رضى الله عنه ، قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان فى حر شديد حتى ان كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم الا رسول الله صلى الله عليــه وسلم وعبد الله بن رواحة » أخرجه مسلم .

وقد قال عامة العلماء : بجواز صيام رمضان وفطره للمسافر .. واختلفوا فى الأفضل منهما :

فقال الحنفيون ومالك والشافعى والثورى : الصوم فى السفر أفضل لمن قوى عليــه ، والفطر أفضل لمن لم يقو على الصيام ؛ لقوله تعالى : **« وأن تصوموا خير لكم »**[2] .

ولحديث أبى الدرداء السابق ففيه فطر من اشتد عليهم الحر من الصحابة ولم يقو على الصيام وصيام النبى صلى الله عليــه وسلم وعبد الله بن رواحة لأنه لم يجهدهما ، وحديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال : « كنا نغزوا مع رسول الله صلى الله عليــه وسلم فى رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر فلا يجد الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم يرون أن من وجد قوة فصام فان ذلك حسن ويرون أن من وجد ضعفا فأفطر فان ذلك حسن » أخرجه أحمد ومسلم والبيهقى .

وقال أحمد واسحاق : الفطر فى الســفر أفضــل لحديث جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما « أن النبى صلى الله عليــه وسلم كان فى سفر فرأى رجلا قد اجتمع الناس عليــه وقد ظلل عليــه ، فقال : ماله ؟ قالوا : هــذا رجل صائم . فقال رسول الله صلى الله عليــه وسلم : ليس البر أن تصوموا فى السفر » أخرجه أحمد ومسلم .

---

(١) وهم : مالك ، وأحمد والبخارى ومســلم وأبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٢) البقرة : ١٨٤

٣ ، ٤ — الحامل والمرضع : فالحامل هى التى فى بطنها جنين ، والمرضع التى شأنها الارضاع وان لم تباشره ، والمرضعة هى المباشرة له بالقام ثديها الصبى • فيباح للحامل والمرضع الفطر اذا خافتا على أنفسهما أو ولدهما ولو رضاعا — بغلبة الظن بنحو تجربة أو اخبار طبيب ثقة — من حصول ضرر بالصوم كضرر المريض ، وللمرضع الفطر بشرب دواء أخبر الطبيب الثقة أنه يمنع استطلاق بطن الرضيع مثلا ، لحديث أنس بن مالك الكعبى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « ان الله تعالى وضع عن المسافر شطر الصلاة وعن المسافر والحامل والمرضع الصوم — أو الصيام » أخرجه أحمد والأربعة[1] والبيهقى وحسنه الترمذى •

فقد دل الحديث : على أنه يباح للحامل والمرضع الافطار اذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما وبه يقول عامة العلماء • واختلفوا فى لزوم القضاء والفدية عليهما ، فقال ابن عباس وابن عمر : عليهما الفدية بلا قضاء اذا خافتا على ولدهما ، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : اذا خافت الحامل على نفسها والمرضع على ولدها فى رمضان يفطران ويطعمان مكان كل يوم مسكينا ولا يقضيان صوما • أخرجه ابن جرير الطبرى •

وعن نافع أن ابن عمر سئل عن المرأة الحامل اذا خافت على ولدها ، فقال : تفطر وتطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من حنطة • أخرجه مالك والبيهقى •

وقال الحنفيون : يباح الفطر للحامل والمرضع اذا خافتا على أنفسهما أو ولدهما وعليهما القضاء عند القدرة ولا فدية عليهما لعدم النص عليها فى الحديث :

وبهذا قال مالك فى الحامل ، وقال فى المرضع : اذا خافت على ولدها أو نفسها ولم تجد أجرة ترضعه بها عليها الفطر والقضاء والفدية لكل يوم مد ، وقال الشافعى وأحمد : يباح لهما الفطر وعليهما القضاء فقط ان خافتا على أنفسهما فقط أو مع ولدهما • أما ان خافتا على الولد فقط فعليهما القضاء لأن حالهما لا ينقص عن حال المريض وعليهما الفدية أيضا لكل يوم مد من غالب قوت البلد عند الشافعى لأنهما يطيقان الصوم وقد

---

(١) وهم : ابو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه •

قال الله تعالى : **« وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين »**(١)
وقال أحمد : الواجب مد بر أو نصف صاع شعير والخلاف فيه كالخلاف فى اطعام المساكين فى كفارة الجماع . فان سقطتا عنهما بالعجز ككفارة الوطء بل أولى لوجود العذر . وقيل : لا يسقط .

٥ — الكبر : — بكسر ففتح — الطعن فى السن .. فانه يطلب من الشيخ الهرم والمرأة العجوز اذا لحقهما بالصوم مشقة أن يفطرا ويطعما لكل يوم مسكينا مدا من بر عند الشافعى وأحمد ، ونصف صاع من بر أو دقيقه أو سويقه أو صاعا من تمر أو شعير أو زبيب أو قيمة ذلك عند الحنفيين ان قدر والا استغفر الله تعالى وطلب منه العفو والاقالة ، قال ابن عباس : رخص للشيخ الكبير أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا ولا قضاء عليه . أخرجه الدارقطنى والحاكم وصححاه .

٦ — يباح الفطر لمن أكره عليه بملجىء كالقتل أو قطع عضو .

٧ — ويباح الفطر للمجاهد لاعلاء كلمة الدين ولو مقيما اذا خاف الضعف عن الجهاد اذا استمر صائما .

٨ ، ٩ — ويباح الفطر لمن خاف الهلاك أو نقصان العقل أو الضرر من جوع أو عطش شديدين ان لم يفطر لقوله تعالى : **« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة »**(٢) .

وقوله تعالى : **« وما جعل عليكم فى الدين من حرج »**(٣) .

ولحديث ابن عباس : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا ضرر ولا ضرار » أخرجه أحمد وابن ماجه بسند حسن .

* * *

فتلك يا أخى المسلم هى سماحة الاسلام الذى كله يسر ورحمة .. أو ان شئت فقل : **« .. ذلك تخفيف من ربكم ورحمة »**(٤) .

فاشكر الله تعالى على نعمة التيسير واستعن بالله تعالى على تحقيقه .. كما يشير الى هذا الحديث الشريف الذى جاء فى نصه :

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : « قلت يا رسول الله .. أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار ، قال : لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه : تعبد الله لا تشرك به

---

(١) البقرة : ١٨٤
(٢) البقرة : ١٩٥
(٣) الحج : ٧٨
(٤) البقرة : ١٧٨

شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت . ثم قال : ألا أدلك على أبواب الخير : الصوم جنة ، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار ، وصلاة الرجل فى جوف الليل » .. ثم تلا : « **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** »[١] ثم قال : « ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : رأس الأمر الاسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه[٢] الجهاد . ثم قال : « ألا أخبرك بملاك[٣] ذلك كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله . فأخذ بلسانه وقال : كف عليك هذا . قلت : يا نبى الله ، وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك[٤] أمك ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم — أو قال على مناخرهم — الا حصائد ألسنتهم » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وذلك لأنه كما يقول الشاعر :

اذا لم يكن عون من الله للفتى
فأول ما يجنى عليه اجتهاده

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال بعد قوله : « ان الدين يسر » : « ولن يشاد الدين » بالرفع على ما لم يسم فاعله ، وروى منصوبا : « ولن يشاد الدين أحد الا غلبه » : فان المراد أى غلبه الدين وعجز ذلك المشاد عن مقاومة الدين لكثرة طرقه .. فافهم ذلك أخا الاسلام ونفذ ما بعده وهو :

« فسددوا وقاربوا » ، أى القصد فى طاعة الله تعالى كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى نهاية حديث شريف صحيح يقول فيه : « سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشىء من الدلجة ، القصد القصد تبلغوا » .

* * *

---

(١) السجدة : ١٦ ، ١٧ (٢) ذروة سنامه : أى أعلاه .

(٣) ملاك الشىء بكسر الميم : أى مقصوده .

(٤) ثكلتك أمك : أى فقدتك ، ولم يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة الدعاء بل جرى ذلك على عادة العرب فى المخاطبات .

وحسبى حتى يتضح لك هذا وتنفذه ان شاء الله تعالى : أن أذكرك ببعض الأحاديث الشريفة الصحيحة التى ذكرها الامام النووى فى كتابه « رياض الصالحين » تحت عنوان :

باب فى الاقتصاد فى الطاعة

فعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة ، قال : من هذه ؟ قالت : هذه فلانة تذكر من صلاتها ، قال : « مه[١] عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا » وكان أحب الدين اليه ما داوم صاحبه عليه . متفق عليه .

ومعنى « لا يمل الله » : أى لا يقطع ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم ويعاملكم معاملة المال حتى تملوا فتتركوا .. فينبغى لكم أن تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه .

وعن أنس رضى الله عنه ، قال : « جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها[٢] ، وقالوا : أين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر أبدا ، ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ، فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ .. أما والله انى لأخشاكم لله[٣] وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « هلك المتنطعون » قالها ثلاثا . رواه مسلم .

والمتنطعون : أى المتعمقون المشددون فى غير موضع التشديد .

وعن أنس رضى الله عنه قال : دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد فاذا حبل ممدود بين الساريتين[٤] فقال : « ما هذا الحبل » ؟ قالوا : هذا حبل لزينب فاذا فترت[٥] تعلقت به . فقال النبى صلى

---

(١) مه : كلمة نهى وزجر . (٢) أى عدوها قليلة .
(٣) أى أخافه خوفا شديدا مقرونا بالشعور بعظمته سبحانه وتعالى .
(٤) عمودان من سوارى المسجد .
(٥) أى كسلت عن القيام فى الصلاة .

الله عليه وسلم : « حلوه .. ليصل أحدكم نشاطه فاذا فتر فليرقد » متفق عليـــه .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قال : « اذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فانه اذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه » متفق عليـــه .

وعن أبي عبد الله جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال : « كنت أصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات فكانت صلاته قصدا[١] وخطبته قصدا »[٢] رواه مسلم .

وعن أبي جحيفة وهب بن عبد الله رضى الله عنه قال : « آخى[٣] النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبى الدرداء ، فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة[٤] فقال : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا . فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما[٥] فقال له : كل فانى صائم ، قال : ما أنا بآكل حتى تأكل .. فأكل . فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له : نم فنام . ثم ذهب يقوم فقال له : نم . فلما كان آخر الليل[٦] قال سلمان : قم الآن فصليا جميعا . فقال له سلمان : ان لربك عليك[٧] حقا ، وإن لنفسك عليـــك[٨] حقا ، ولأهلك عليك[٩] حقا ، فأعط كل ذى حق حقه ، فأتي النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « صدق سلمان » رواه البخاري .

وعن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أنى أقول : والله لأصومن النهار ، ولأقومن

---

(١) قصدا : اى بين الطول والقصر .

(٢) اى يأتى بمكملات الخطبة ومسنوناتها من غير طول ولا قصر .

(٣) من المؤاخاة والمعاهدة على التناصر والقيام بحقوق الوالدين .

(٤) أى لابسة ثوب المتهنة البذلة تاركة ثياب الزينة والجمال .

(٥) اكراما له .　　(٦) أى عند السحر .

(٧) اى من العبادة .

(٨) اى من الطعام الذى تقوم به بنيتها والمنـــام الذى يحصل به صحتها .

(٩) اتيانها وقضاء وطرها .

الليـــل ما عشت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنت الذى تقول ذلك » ؟ فقلت له : قد قلته بأبى أنت وأمى[١] يا رسول الله . قال : « فانك لا تستطيع ذلك ، فصم وأفطر ، ونم وقم ، وصم من الشهر ثلاثة أيام فان الحسنة بعشر أمثالها ، وذلك مثل صيام الدهر » ، قلت : فانى أطيق أفضل من ذلك . قال : « فصم يوما وأفطر يومين » . قلت : فانى أطيق أفضل من ذلك . قال : « فصم يوما وأفطر يوما فذلك صيام داوود صلى الله عليه وسلم وهو أعدل الصيام » — وفى رواية : « هو أفضل الصيام » — فقلت : فانى أطيق أفضل من ذلك : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا أفضل من ذلك » .

ولأن أكون قبلت الثلاثة أيام التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من أهلى ومالى . اه .

وفى رواية : « ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل » ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : « فلا تفعل .. صم وأفطر ، ونم وقم : فان لجسدك عليك حقا ، وان لعينيك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لزورك عليك حقا ، وان بحسبك أن تصوم فى كل شهر ثلاثة أيام فان لك بكل حسنة عشر أمثالها فاذن ذلك صيام الدهر » فشددت فشدد على ، قلت : يا رسول الله .. انى أجد قوة ، قال : « صم صيام نبى الله داوود ولا تزد عليـــه » قلت : وما كان صيام داوود ؟ قال : « نصف الدهر » فكان عبد الله يقول بعد ما كبر : يا ليتنى قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليـــه وسلم .

وفى رواية : « ألم أخبر أنك تصوم الدهر ، وتقرأ القرآن كل ليلة » ؟ فقلت : بلى يا رسول الله ، ولم أرد بذلك الا الخير . قال : « فصم صيام نبى الله داوود ، فانه كان أعبد الناس ، واقرأ القرآن فى كل شهر »[٢] قلت : يا نبى الله .. انى أطيق أفضل من ذلك ؟ قال : « فاقرأه فى كل عشر » قلت : يا نبى الله .. انى أطيق أفضل من ذلك ؟ قال : « فاقرأه فى كل سبع ولا تزد على ذلك » ، فشددت فشدد على وقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : « انك لا تدرى لعلك يطول بك عمر » قال : فصرت الى الذى قال لى النبى صلى الله عليه

---

(١) أى أفديك بهما .

(٢) أى اختمه متهجدا بتلاوته .

وسلم . فلما كبرت وددت أنى كنت قبلت رخصة نبى الله صلى الله عليــه وسلم .

وفى رواية : « وان لولدك عليك حقا » .

وفى رواية « لا صام من صام الأبد » ثلاثا .

وفى رواية « أحب الصيام الى الله تعالى صيام داوود ، وأحب الصلاة الى الله تعالى صلاة داوود : كان ينام نصف الليــل(١) ويقوم ثلثــه وينام سدسه ، وكان يصوم يوما ويفطر يوما ، ولا يفر اذا لاقى »(٢) .

وفى رواية قال : أنكحنى أبى امرأة ذات حسب(٣) وكان يتعاهد كنته ــ أى امرأة ولده ــ فيسألها عن بعلها(٤) فتقول له : نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا(٥) ولم يفتش لنا كنفا(٦) منذ أتيناه . فلما طال ذلك عليــه ذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم . فقال : « القنى به » فلقيته بعد ، فقال : « كيف تصوم » ؟ قلت : كل يوم ، قال : « وكيف تختم » ؟ قلت : كل ليلة ــ وذكر نحو ما سبق ــ وكان يقرأ على بعض أهله السبع الذى يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل ، واذا أراد أن يتقوى أفطر أياما وأحصى وصــام مثلهن كراهية أن يترك شيئا فارق عليــه النبى صلى الله عليــه وسلم .

كل هــذه الروايات صحيحة معظمها فى الصحيحين وقليل منها فى أحدهما .

وعن أبى ربعى حنظلة بن الربيــع الأسيدى الكاتب أحد كتاب رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، قال : « لقينى أبو بكر رضى الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق(٧) حنظلة ! قال : سبحان الله(٨) ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا

---

(١) ليستريح البدن من تعب أعمال النهار .

(٢) أى اذا لاقى العدو فى الميدان .

(٣) أى ذات شرف . (٤) أى زوجها .

(٥) كناية عن المضاجعة والنوم معها على الفراش .

(٦) أى لم يكشف لنا سترا .. تريد بهذا امتناعه عن الجماع .

(٧) خاف على نفسه النفــاق لمــا كان يحصل له من الخوف فى مجلس النبى صلى الله عليه وسلم .

(٨) تنزيها لله وحده .

بالجنة والنار كأنا رأى عين ، فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا[١] الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا . قال أبو بكر رضى الله عنه : فوالله انا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت : نافق حنظلة يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما ذاك » ؟ قلت : يا رسول الله .. نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا رأى العين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات[٢] نسينا كثيرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسى بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة[٣] وساعة »[٤] ثلاث مرات . رواه مسلم .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بينما النبى صلى الله عليه وسلم يخطب اذا هو برجل قائم فسأل عنه ، فقالوا : أبو اسرائيل نذر أن يقوم فى الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه » رواه البخارى .



وهكذا — كما رأيت أخا الاسلام — كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطط لأصحابه بل لكل فرد من أفراد أمته الى أن يرث الله الأرض ومن عليها « برنامج » بكل تيسير لا تعقيد فيه ولا تعجيز حتى يستطيعوا أن يواصلوا العمل لدنياهم وأخراهم لأن الله تعالى كما يقول عن نفسه فى قرآنه : لا يكلف نفسا الا وسعها[٥] .

مع ملاحظة أن العبرة ليست بكثرة العمل ولكن بالمداومة عليه وان قل — كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث شريف — .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نام عن حزبه من الليل أو عن شىء منه فقرأه

---

(١) اى مارسنا . (٢) الضيعات : اى المعايش .

(٣) اى زمنا لأداء العبادة .

(٤) اى ووقتا للقيام بما يحتاجه الانسان .

(٥) قال تعالى فى سورة البقرة : ٢٨٦ : « .. **لا يكلف الله نفسا الا وسعها** .. » .

ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل » رواه مسلم •

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عبد الله •• لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليـــل » متفق عليه •

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فاتته الصلاة من الليـــل[١] من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة » رواه مسلم •

وهذا أيضا أخا الاسلام يشير الى ملاحظة هامة أرجو أن تنتفع بها ، وهى : أنك اذا كنت متعبا أو مشغولا بأمر من الأمور الدينية أو الدنيوية أو المعيشية ولم تستطع فعل ما اعتدت فعله فى وقت محدد فانك تستطيع تدارك هـــذا بفعل ما أشار اليه الرسول صلى الله عليـــه وسلم فى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ــ السابق ــ بل وبالنية الصادقة لن تحرم ان شاء الله تعالى من الثواب :

فعن أبى عبد الله جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة[٢] فقال : « ان بالمدينة لرجالا ما سرتـــم مسيرا ، ولا قطعتم واديـــا الا كانوا معكم[٣] حبسهم[٤] المرض » •

وفى رواية : « الا شركوكم فى الأجر » رواه مسلم • ورواه البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : رجعنا من غزوة تبوك مع النبى صلى الله عليـــه وسلم ، فقال : « ان أقواما خلفنا[٥] بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديـــا الا وهم معنا ، حبسهم العذر » •

❋ ❋ ❋

وهناك ملاحظة أخرى أرجو كذلك أخا الاسلام أن تنتفع بها ، وهى أن العبرة ليست ــ فقط ــ بكثرة الأعمال وانما هى بالاضافة الى الأساسيات التى فرضها الله عليك وعلينا : سلامة الصدر وحسن الخلق :

فعن أنس بن مالك ، قال : كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يطلع الآن عليـــكم رجل من أهل الجنـــة ، فطلع رجل من

---

(١) أى تهجد الليل . (٢) أى غزوة تبوك .

(٣) أى فى الأجر وادراك الثواب .

(٤) أى منعهم . (٥) أى وراءنا .

الأنصار ، تنطف لحيته من وضوئه ، قد علق نعليه بيده الشمال .. فلما كان الغد قال النبى — صلى الله عليه وسلم — مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان اليوم الثالث قال النبى مثل مقالته أيضا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى . فلما قام النبى — صلى الله عليه وسلم — تبعه عبد الله بن عمرو — تبع الرجل — فقال : انى لاحيت أبى ، فأقسمت ألا أدخل عليه ثلاثا . فان رأيت أن تؤوينى اليك حتى تمضى فعلت ! قال : نعم .

قال أنس : فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الثلاث الليالى ، فلم يره يقوم من الليل شيئا ، غير أنه اذا تعار — أى تقلب فى فراشه — ذكر الله عز وجل حتى ينهض لصلاة الفجر .. قال عبد الله : غير أنى لم أسمعه يقول الا خيرا .

فلما مضت الليالى الثلاث وكدت أحتقر عمله ، قلت : يا عبد الله .. لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة ، ولكنى سمعت رسول الله يقول لك — ثلاث مرات — يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوى اليك ، فأنظر ما عملك فأقتدى بك . فلم أرك عملت كبير عمل !! فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ؟ قال : ما هو الا ما رأيت . قال عبد الله : فلما وليت دعانى فقال : ما هو الا ما رأيت ، غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشا ، ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله اياه . فقال عبد الله : هذه التى بلغت بك »!![1] .

وفى رواية : « ما هو الا ما رأيت يا ابن أخى ، الا أنى لم أبت ضاغنا على مسلم »[2] .

فاذكر كل هذا أخا الاسلام حتى لا تكون من هؤلاء الذين يتكلون على كثرة أعمالهم أو الذين يظنون أن الأعمال هى كل شىء .. مع أنه من المفروض أن لا يتكل الانسان على أعماله .. بل مع الأعمال الصالحة لابد وأن يعتبر نفسه مقصرا فى طاعة الله تعالى .. وأنه ليس بفرض على الله تعالي — ان كان مؤديا للأعمال الصالحة — أن يدخله الجنة .. فان أدخله الجنة فبفضله ، وان أدخله النار فبعدله .. وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول لأصحابه :

---

(١) رواه أحمد. (٢) أخرجه البزار .

« لا يدخل أحدكم الجنـــة بعمله • قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته »[١] •

ورحمة الله تعالى •• ليست الا لهؤلاء الذين تحدث الله سبحانه وتعالى عنهم فى قوله :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أوليـــاء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله •• »[٢] •

وهم أيضا المشار اليهم فى قول الله تعالى :

« •• **ورحمتى وسعت كل شىء** »[٣] : وهذه الآية لم تنته عند هــذا الحد •• لأنها لو انتهت عند هذا لجاز لابليس عليـــه لعنة الله أن يطالب بدخول الجنة لأنه شىء من الأشياء •• واذا كان كلام الملوك لا يرد ، فما بالك بكلام ملك الملوك سبحانه وتعالى •• ولهذا فقد قال الله تعالى بعد ذلك ــ وفى نفس الآية[٤] ــ : « **فسأكتبها** » أى الرحمة :

« للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون • الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون »[٥] •

وفى الحديث القدسى يقول تبارك وتعالى : « ما أقل حياء من يطمع فى جنتى بغير عمل •• كيف أجود برحمتى على من بخل بطاعتى » :

فمع العمل الصالح كما علمت تستطيع أن ترجو رحمة الله تعالى •• مع عدم الاتكال على هذا العمل حتى لا يكون مدخلا للشيطان الى قلبك وسببا فى قصورك أو تقصيرك بعد ذلك •

وليكن هدفك الأسمى هو أن يرضى الله تعالى عنك وأن يختم لك بالايمان ، حتى تكون من الذين أراد الله تعالى بهم خيرا •• فقد ورد فى الحديث الشريف :

« اذا أراد الله بعبد خيرا استعمله •• قيل : وكيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت ثم يقبضه عليه » •

---

(١) كما قال صلوات الله وسلامه عليه فى حديث صحيح •

(٢) التوبة : ٧١

(٣) الأعراف : ١٥٦

(٤) الأعراف : ١٥٦

(٥) الأعراف : ١٥٦ ، ١٥٧

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال بعد ذلك فى نص الوصية — التى ندور حولها — « وأبشروا » : فانه يريد من كل مؤمن مخلص صادق أن يكون مستبشرا وأن لا ييأس أبدا من رحمة الله تعالى ، لأنه : « .. **لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون** »(١) ، وحسبه أن يعلم أنه ما دام سليم العقيدة .. فان الله تعالى سيغفر له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر .. وما دام قد صدق فى توبته على أساس من الشروط التى ذكرها الامام النووى فى كتابه « رياض الصالحين » حيث يقول(٢) :

قال العلماء : التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط : أحدها : أن يقلع عن المعصية ، والثانى : أن يندم على فعلها ، والثالث : أن يعزم أن لا يعود اليها أبدا ، فان فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته . وان كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة . هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها . فان كانت مالا أو نحوه رده اليه ، وان كان حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه ، وان كان غيبة أستحله منها . ويجب أن يتوب من جميع الذنوب ، فان تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقى عليه الباقى . ثم يقول : وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الأمة على وجوب التوبة .

قال الله تعالى : « **وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** »(٣) .

وقال تعالى : « .. **فاستغفروه ثم توبوا اليه** »(٤) .

وقال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا** »(٥) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والله انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة »(٦) .

وعن الأغر بن يسار المزنى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله

---

(١) يوسف : ٨٧
(٢) فى باب التوبة .
(٣) النور : ٣١
(٤) هود : ٦١
(٥) التحريم : ٨
(٩) رواه البخارى .

صلى الله عليـه وسلم : « يا أيها الناس •• توبوا الى الله واستغفروه فأنى أتوب فى اليوم مائة مرة »[١] •

وعن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليـه وسلم ، قال : « ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليـل حتى تطلع الشمس من مغربها »[٢] •

واذا كانت التوبة واجبة — كما قال العلماء — فاننى أحب أن أذكرك — والشىء بالشىء يذكر — بأن هناك ما هو أوجب منها •• كما أشار الى هذا الشافعى رضى الله عنه عندما سئل عن ثمانية أمور : عن الواجب والأوجب ، والعجيب والأعجب ، والصعب والأصعب ، والقريب والأقرب ؟ فأجاب بقوله :

من واجب النـاس أن يتوبوا ... لـكن ترك الذنوب أوجب
والدهـر فى صرفه عجيب ... وغفلـة الناس عنه أعجب
والصبر فى النائبات صعب ... لكن فوات الثواب أصعب
وكل مـا ترتجى قـريب ... والموت من دون ذاك أقرب

فلابد اذن لكى تكون صادقا فى توبتك أن تحقق الواجب والأوجب : وذلك بترك المعاصى والمخالفات •• والتقرب الى الله تعـالى بفعـل الصالحات التى تؤكد صدق توبتك وصدق رجوعك الى الله تبارك وتعالى الذى يقـول : « **ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا** »[٣] •

ثم اليك بعد ذلك الحديث القدسى الذى أردت أن أذكرك به فى أول حديثى عن التوبة ، وهو :

عن أنس رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول : « قال الله تعالى : يا ابن آدم •• انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى • يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك • يا ابن آدم •• انك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح •

وقد كان أحد الصالحين يشير الى هـذا المعنى الكبير فى قوله :

---

(١) رواه مسلم •
(٢) رواه مسلم •
(٣) الفرقان : ٧١

يا رب ان ذنوبى فى الورى كثرت
وليس لى عمل فى الحشر ينجينى
وقد أتيتك بالتوحيد يصحبه
حب النبى وهذا القدر يكفينى

فلتكن مستبشراً على هذا الأساس الذى وقفت عليه : ما دمت موحدا ، وما دمت محبا للحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى يقول : « من أحيا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة »[١] . وحسبك هذا ..

* * *

واعلم أن جميع البشائر الواردة فى القرآن الكريم وفى السنة المحمدية ما كانت الا على هذا الأساس الذى أشرت اليه ..

ففى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى : « **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ، ولهم فيها أزواج مطهرة ، وهم فيها خالدون** »[٢] .

ويقول : « **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ، وقدموا لأنفسكم ، واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه ، وبشر المؤمنين** »[٣] .

ويقول : « **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون . يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم . خالدين فيها أبدا ، ان الله عنده أجر عظيم** »[٤] .

ويقول : « .. **وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم ..** »[٥] .

ويقول : « **ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ..** »[٦] .

ويقول : « .. **وبشر المحسنين** »[٧] .

---

(١) كما ورد عنه صلوات الله وسلامه عليه .
(٢) البقرة : ٢٥ — (٣) البقرة : ٢٢٣
(٤) التوبة : ٢٠ — ٢٢ — (٥) يونس : ٢
(٦) يونس : ٦٢ — ٦٤ — (٧) الحج : ٣٧

ويقـــول : « **وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا** »[١] .
مع ملاحظة أنه اذا كان الله تعالى قد قال فى قرآنه :
« **بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما** »[٢] .
« **وبشر الذين كفروا بعذاب أليم** »[٣] .
« .. **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليـــم** »[٤] .

فان المراد كما يقول الطبرى : أصل البشارة الخبر السار الذى يسر به المخبر ، أقول : ولهـــذا لا تكون البشارة الا فى الخير ، فاذا استعملت فى الشر كان ذلك من باب التهكم والسخرية كقوله تعـــالى : « **فبشرهم بعذاب أليـــم** » .

وفى السنة المطهرة ورد عن بريدة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليـــه وسلم ، قال : « بشروا المشائين فى الظلم[٥] الى المساجد بالنور التام يوم القيامة »[٦] رواه أبو داوود ، والترمذى .

فلتذكر كل هذا أخا الاسلام واعمل على أن تكون من المؤمنين المتقين المبشرين « **فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** »[٧] :

ففى القرطبى حول قوله تعـــالى : « **لهم البشرى فى الحيـــاة الدنيـــا** »[٨] ، ذكر ما يلى : عن أبى الدرداء ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليـــه وسلم عنها ، فقال : « ما سألنى أحد عنها غيرك منذ أنزلت : هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له » خرجه الترمذى فى جامعه .

وقال الزهرى وعطاء وقتادة : هى البشارة التى تبشر بها الملائكة المؤمن فى الدنيا عند الموت .

وعن محمد بن كعب القرظى قال : اذا استنقعت[٩] نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت ، فقال : « السلام عليك ولى الله ، الله يقرئك

---

(١) الأحزاب : ٤٧
(٢) النساء : ١٣٨
(٣) التوبة : ٣
(٤) التوبة : ٣٤
(٥) أى ظلمة العشاء والفجر .
(٦) أى على الصراط .
(٧) يونس : ٦٤
(٨) يونس : ٦٤
(٩) أى اذا اجتمعت فيه تريد الخروج كما يستنقع المـــاء فى قراره ، وأراد بالنفس الروح . (ابن الأثير) .

السلام » ثم نزع بهذه الآية : « **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ..** »(١) . ذكره ابن المبارك .

وقال قتادة والضحاك : هي أن يعلم أين هو من قبل أن يموت .

وقال الحسن : هي ما يبشرهم الله تعالى فى كتابه من جنته وكريم ثوابه ، لقوله : « **يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان** »(٢) .

وقوله : « **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات ..** »(٣) .

وقوله : « **وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون** »(٤) .

ولهذا قال : « **لا تبديل لكلمات الله** »(٥) . أى لا خلف لمواعيده ، وذلك لأن مواعيده بكلماته . ثم يقول القرطبى : « **وفى الآخرة** » : قيل : بالجنة اذا خرجوا من قبورهم . وقيل : اذا خرجت الروح بشرت برضوان الله . وذكر أبو اسحاق الثعلبى : سمعت أبا بكر محمد ابن عبد الله الجوزقى يقول : رأيت أبا عبد الله الحافظ فى المنام راكبا برذونا عليه طيلسان وعمامة ، فسلمت عليه وقلت له : أهلا بك ، انا لا نزال نذكرك ونذكر محاسنك ، فقال : ونحن لا نزال نذكرك ونذكر محاسنك ، قال الله تعالى : « **لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** »(٦) الثناء الحسن ، وأشار بيده « **لا تبديل لكلمات الله** »(٧) أى : لا خلف لوعده . وقيل : لا تبديل لأخباره ، أى لا بنسخها بشىء ، ولا تكون الا كما قال : « **ذلك هو الفوز العظيم** »(٨) أى : ما يصير اليه أولياؤه فهو الفوز العظيم .

جعلنى الله تعالى واياك بكل تلك البشريات العظيمة من أهل هذا الفوز العظيم .

* * *

ثم اذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول بعد قوله : « وأبشروا » ، « واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة » :

فان المراد من هذا التوجيه المحمدى أن ينظم الانسان وقته وبالصورة التى يستطيع من خلالها أن يعطى للجسد حقه :

---

(١) النحل : ٣٢
(٢) التوبة : ٢١
(٣) البقرة : ٢٥
(٤) فصلت : ٣٠
(٥) يونس : ٦٤
(٦) يونس : ٦٤
(٧) يونس : ٦٤
(٨) يونس : ٦٤

ففى « فتح البارى » يقول شارحا هـذا : أى استعينوا على مداومة العبادة بايقاعها فى الأوقات المنشطة • والغدوة بالفتح سير أول النهار ، وقال الجوهرى : ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس • والروحة بالفتح السير بعد الزوال • والدلجة بضم أوله وفتحه واسكان اللام سير آخر الليل ، وقيل سير الليل كله ، ولهذا عبر فيه بالتبعيض ، ولأن عمل الليل أشق من عمل النهار • وهذه الأوقات أطيب أوقات المسافر ، وكأنه صلى الله عليـه وسلم خاطب مسافرا الى مقصد فنبهه على أوقات نشاطه ، لأن المسافر اذا سافر الليل والنهار جميعا عجز وانقطع ، واذا تحرى السير فى هـذه الأوقات المنشطة أمكنته المداومة من غير مشقة • وحسن هـذه الاستعارة أن الدنيا فى الحقيقة دار نقلة الى الآخرة ، وأن هـذه الأوقات بخصوصها أروح ما يكون فيها البدن للعبادة • وقوله فى رواية ابن أبى ذئب « القصد القصد » بالنصب فيهما على الاغراء ، والقصد الأخذ بالأمر الأوسط •• فأراد أن يبين أن الأولى للعامل بذلك أن لا يجهد نفسه بحيث يعجز وينقطع ، بل يعمل بتلطف وتدريج ليدوم عمله ولا ينقطع •

فلاحظ كل هـذا أخا الاسـلام حتى لا تكون من أهل الشطط •• فقد قرأت أن رجلا قال لابن عباس رضى الله عنهما : ان العرب تقول : حب التناهى شطط ، خير الأمور الوسط •• فهل هذا موجود فى القرآن ؟ قـال : نعم فى أربعة مواضع •• فى قوله تعالى فى وصف بقرة موسى : **« قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ، قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك »**(١) ، أى : وسط بين الكبر والصغر فى السن • وفى قولـه تعـالى : **« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطهـا كل البسط »**(٢) ، أى : فتوسط بين الأمرين فى الانفاق • وفى قوله تعالى : **« ولا تجهر بصـلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سـبيلا »**(٣) ، وهذا السبيل هو الوسط فى القراءة • وفى قوله تعالى فى مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين : **« والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »**(٤) ، أى : وسطا فى المعيشة •

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) البقرة : ٦٨
(٢) الاسراء : ٢٩
(٣) الاسراء : ١١٠
(٤) الفرقان : ٦٧

وسلم : « خير الأمور أوساطها » ذكره الحافظ عبد العظيم المنذرى فى الترهيب من ترك السنة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، وفيه : « من كانت فترته الى غير ذلك فقد هلك » وقال : رواه ابن أبى عاصم وابن حبان فى صحيحه ، ورواه ابن حبان أيضا من حديث أبى هريرة .

وفى « جامع الأصول »[1] لابن الأثير (ج ١) قال شارح هذا الحديث — فى الهامش — :

معناه : أن كل خصلة محمودة ، فان لها طرفين مذمومين ، مثل السخاء وسط بين البخل والتبذير . والشجاعة ، وسط بين الجبن والتهور ، والانسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم ، وتجنبه بالتعرى منه ، والتباعد عنه ، فكلما ازداد منه ، فقد ازداد منه تقربا ، وأبعد الجهات والأماكن والمقادير من كل طرفين ، فانما هو وسطها ، لأن الوسط أبعد الجهات من الأطراف ، وهو غاية البعد عنها ، فاذا كان الوسط فقد تعدى عن الأطراف المذمومة بقدر الامكان ، فلهذا كان خير الأمور أوساطها منه .

* * *

ولهذا ، فقد جعل الله تعالى أمتنا — المحمدية — أمة وسطا .. قال تعالى : **« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »**[2] :

قال القرطبى — فى المسألة الأولى — قوله تعالى : **« وكذلك جعلناكم أمة وسطا »** ، المعنى : وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطا ، أى جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم . والوسط العدل . وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها .

وقال — فى المسألة الثانية — : قوله تعالى : **« لتكونوا شهداء على الناس »** ، أى فى الحشر للأنبياء على أممهم ، كما ثبت فى صحيح البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يدعى نوح عليه السلام يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يا رب . فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم . فيقال لأمته : هل بلغكم ؟

(١) طبعة دار احياء التراث العربى — بيروت .
(٢) البقرة : ١٤٣

فيقولون : ما أتانا من نذير • فيقول : من يشهد لك • فيقول : محمد وأمته • فيشهدون أنه قد بلغ ويكون الرسول عليكم شهيدا ، فذلك قوله عز وجل : « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** »[1] •

وقال — فى المسألة الثالثة — : قال علماؤنا : أنبأنا ربنا تبارك وتعالى فى كتابه بما أنعم علينا من تفضيله لنا باسم العدالة وتولية خطير الشهادة على جميع خلقه ، فجعلنا أولا مكانا وان كنا آخرا زمانا ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « نحن الآخرون الأولون » • وهذا دليل على أنه لا يشهد الا العدول ، ولا ينفذ قول الغير على الغير الا أن يكون عدلا ••

فلتكن أخا الاسلام مدركا لأبعاد هـذا حتى تكون عدلا مع نفسك فلا تكلفها ما لا تطيق •

جعلنى الله تعالى واياك من المنفذين لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم الذى صدق فيه قول الله عز وجل : « **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** »[2] :

آمين •• آمين •• آمين •



تم بحمد الله طبع المجلد الثانى « من وصايا الرسول » للأستاذ الشيخ طـه عبد الله العفيفى ويشتمل على الأجزاء من الحادى عشر حتى العشرون بمطابع دار التراث العربى للطباعة والنشر ، لصاحبها « أحمد حمدى أحمد شعبان » فى يوم الاثنين غرة رمضان ١٤٠٥ هـ الموافق ٢٠ مايو ١٩٨٥ م ، ويليه — باذن الله — المجلد الثالث الذى يستكمل شرح المائة وصية ..

وقام بمراجعة آياته وتصحيحه : العبد الفقير الى الله تعالى ، راجى عفوه وغفرانه « محمد الانور احمد البلتاجى » ، سائلا المولى سبحانه وتعالى ان يجعل عمله فى ميزان حسناته « **يوم لا ينفع مال ولا بنون ، الا من أتى الله بقلب سليم** » •

وجزى الله صاحبه — الذى اجتهد فأصاب — أفضل ما جزى به عباده المؤمنين ، ونسأله تعالى أن ينفع به وبكتابه المسلمين .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •



---

(١) البقرة : ١٤٣ (٢) التوبة : ١٢٨

محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة

الصفحة

* * *